المطلب الأول

الانحراف عن منهج الوسطية وتأثير الحاقدين والمنافقين في ظهور الفرق الإسلامية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد روى البخاري ومسلم من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ أنه قال: (كَانَ النَّاسُ يَسأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيرِ، وَكُنتُ أَسأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَن يُدرِكَنِي، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهذا الخَيرِ، فَهَل بَعدَ هذا الخَيرِ مِن شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَم. قُلتُ: وَهَل بَعدَ ذلِكَ الشَّرِّ مِن خيرٍ؟ قَالَ: نَعَم، وَفِيهِ دَخَنٌ.

قُلتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَومٌ يَهدُونَ بَغَيرِ هَديِي، تَعرِفُ مِنهُم وَتُنكِرُ. قُلتُ: فَهَل بَعدَ ذلِكَ الخَيرِ مِن شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَم، دُعَاةٌ إِلَى أَبوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُم إِلَيهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفهُم لَنَا؟ فَقَالَ: هُم مِن جِلدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلسِنَتِنَا.

قُلتُ: فَمَا تَأمُرُنِي إِن أَدرَكَنِي ذلِكَ؟ قَالَ: تَلزَمُ جَمَاعَةَ المُسلِمِينَ وَإِمَامَهُم. قُلتُ: فَإِن لَم يَكُن لَهُم جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ قَالَ: فَاعتَزِل تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَو أَن تَعَضَّ بِأَصلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدرِكَكَ المَوتُ وَأَنتَ

عَلَى ذلِكَ) [١].

• **شرح حديث حذيفة بن اليمان ﷺ في اعتزال الفرق.**

ذكر أكثر الشراح أن المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت عند قتل عثمان ﷺ وما بعده، وبالخير الثاني الذي فيه دخن، ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز ﷺ، وبالذين تعرف منهم وتنكر، الأمراء بعده، فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل، ومنهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور، أو منهم من يعمل بالمعروف تارة، ويعمل بالمنكر أخرى بحسب ما يقع لهم من تتبع الهوى، وتحصيل غرضهم من أمور الدنيا، لا أنهم يريدون تحري الأحرى، ورعاية الدار الأخرى.

وقيل المراد من الشر الأول فتنة عثمان ﷺ وما بعده، وبالخير الثاني ما وقع من صلح الحسن مع معاوية والإجماع عليه، وبالدخن ما كان في زمنه من بعض الأمراء كزياد بالعراق، وخلاف من خالف عليه من الخوارج.

ومعنى دعاة على أبواب جهنم أي جماعة يدعون الناس إلى الضلالة، ويصدونهم عن الهدى بأنواع من التلبيس، ويدعون الناس من الخير إلى الشر، ومن السنة إلى البدعة، ومن الزهد إلى الرغبة، فجعل النبي ﷺ دعوة الدعاة وإجابة المدعوين سببا لإدخالهم إياهم في جهنم ودخولهم

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ١٣١٩/٣ (٣٤١١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن ١٤٧٥/٣ (١٨٤٧)، وننبه إلى أن المرجع الأساسي لهذا المطلب كتاب حقبة من التاريخ للشيخ عثمان بن محمد الخميس بتصرف مناسب لطلاب العلم.

فيها، وجعل كل نوع من أنواع التلبيس بمنزلة باب من أبواب جهنم، من أجابهم إليها، أي إلى جهنم، يعني إلى الضلالة المؤدية إليها، قذفوه فيها أي صاروا سببا لقذفه في جهنم.

وقيل المراد بالدعاة من قام في طلب الملك من الخوارج والشيعة الروافض وغيرهما، ممن لم يوجد فيهم شروط الإمارة والإمامة والولاية المبنية على اتباع منهج السلف وتعظيم الكتاب والسنة، وقد جُعِلوا دعاة على أبواب جهنم باعتبار المآل، فكأنهم كائنون على أبواب جهنم داعين الناس إلى الدخول في ضيافتهم.

ومعنى هم من جلدتنا أي من أنفسنا وعشيرتنا ويتكلمون بألسنتنا أي بالعربية، وقيل معناه من أهل ملتنا، فما تأمرني أن أفعل إن أدركني ذلك الزمان؟ قال: تلزم جماعة المسلمين أي طريقتهم، وحضور جمعتهم وجماعتهم، وطاعة إمامهم في غير معصية الله، ومتابعتهم ومساعدتهم، فإن لم تكن لهم جماعة متفقة، ولا أمير يجتمعون عليه، فاعتزل تلك الفرق الضالة كلها، والقائمة على خلاف طريق أهل السنة والجماعة، ولو أن تعض بأصل شجرة، أي اعتزل الناس اعتزالا دائما ولو قنعت فيه بالعض على جذع الشجر وملازمتها، وعدم فراقها حتى يدركك الموت وأنت على ذلك، فإنه خير لك [(١)].

قال ابن بطال: (هذا الحديث من أعلام النبوة، وذلك أن النبي ﷺ

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان محمد القاري ٩/١٠ تحقيق جمال عيتاني، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

أخبر حذيفة ﷺ بأمور مختلفة من الغيب لا يعلمها إلا من أوحي إليه بذلك من أنبيائه الذين هم صفوة خلقه، وفيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك القيام على أئمة الجور، ألا ترى أنه ﷺ وصف أئمة زمان الشر فقال: دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، فوصفهم بالجور والباطل والخلاف لسنته؛ لأنهم لا يكونون دُعاة على أبواب جهنم إلا وهم على ضلال، ولم يقل فيهم تعرف منهم وتنكر، كما قال في الأولين، ومع ذلك أمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ولم يأمر بتفريق كلمتهم وشق عصاهم [(١)].

قال محمد بن سيرين: لما قتل عثمان ﷺ أتيت أبا مسعود الأنصاري، فسألته عن الفتنة، فقال: عليك بالجماعة، فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة، والجماعة حبل الله، وإن الذي تكرهون من الجماعة هو خير من الذي تحبون من الفرقة [(٢)].

لقد حث الإسلام على وحدة الأمة وعدم الفرقة، وحث أيضا على أن تكون الوحدة مبنية على أساس اعتقادي متين، وهو ما ارتضاها الله لعباده، فلا تصح الوحدة إلا على الاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو المنهج الحق القائم على كتاب وسنة بفهم سلف الأمة، والذي يتمسك صاحبه بالدليل الشرعي في كل قول أو فعل، كما أن النهي عن التفرق

---

(١) شرح صحيح البخاري لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ١٠/٣٣، مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، الطبعة الثانية، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

(٢) السابق١٠/٣٤.

المذموم إنما هو نهي عن الانحراف والتفرق عن الاعتصام بحبل الله، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ آل عمران:١٠٣.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ النساء:١٧٤/١٧٥.

- **الدعوة إلى وحدة الأمة ليس مبررا للتوافق مع أصحاب الفرق الضالة.**

وليس شعار الدعوة إلى وحدة الأمة، وعدم تفرق الكلمة، مبررا لموافقة أصحاب الفرق الضالة والمارقة عن منهج الله، أو الرضا بمناهجهم الباطلة، أو التهاون في قبول مناهج الطرق الداعية إلى الشرك والمعتقدات الفاسدة والتي تهدم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ومعلوم أن إرشاد النبي ﷺ لأصحابه ﷺ ودعوتهم إلى الائتلاف وعدم الاختلاف كان يهدف في الأساس إلى ترسيخ عقيدة التوحيد المبنية على التسليم لله وحده لا شريك لله، والإيمان بخبره دون نزاع، وأن صلاح المسلمين يكمن في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

روى مسلم من حديث سفيان الثقفي ﷺ أنه قال: (قُلت: يا رَسُول اللهِ، قُل لي فِي الإسلاَمِ قَولا، لاَ أَسأَل عَنهُ أَحَدا بعدكَ؟ وَفِي حَدِيث أَبي أُسَامَةَ، غيرَكَ، قَال: قُل آمَنت باللهِ فَاستقِم) [1].

ومن ثم فإن الوحدة وعدم الفرقة قائمة على الطريقة القرآنية

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام ١/٦٥ (٣٨).

النبوية، وأصل الاستقامة هو الاعتدال على الطريق الذي رسمه النبي ﷺ لأصحابه في خط مستقيم، وعدم الانحراف عنه، ولا يكون الاعتدال إلا بشمولية الإيمان بكل ما ورد عن الله ورسوله ﷺ من أخبار، والتسليم لكل ما جاء عنهما من تشريعات وأوامر؛ فإن التقصير في جانب سيؤدي إلى المبالغة أو الانحراف في جانب آخر.

روى الإمام أحمد وحسنه الشيخ الألباني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (خَطَّ لنَا رَسُول اللهِ ﷺ خطّا ثمَّ قَال: هَذا سَبيل اللهِ، ثمَّ خَطَّ خُطُوطا عَن يمينِهِ وَعَن شِمَالِهِ، ثمَّ قَال: هَذهِ سُبل عَلى كُل سَبيل مِنهَا شَيطَانٌ يدعُو إِليهِ، ثمَّ قَرأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ الأنعام:١٥٣) [(١)].

وقد ظل الأمر في عصر النبوة في القرون الفاضلة على نهج الوسطية والاعتدال، والصحابة رضي الله عنهم يسيرون بفضل الله عز وجل على درب نبيهم، يلتزمون بالسنة لا يقصرون فيها، ولا يهونون منها، ويحذرون من البدعة وينبهون على خطورتها، وقد كان القرآن يتنزل على رسول الله ﷺ ثم يبلغه ويبينه لهم، وهم يتلقونه بالقبول، ويفهمونه ويؤمنون به، ولم يعرف عن أحد منهم أنه تردد أو استشكل شيئا من ذلك.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (ما رأيت خيرا من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض ﷺ، كلهن في القرآن، يسألونك عن المحيض، ويسألونك عن الشهر الحرام، ويسألونك

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/٤٣٥ (٤١٤٢)، وحسنه الألباني، انظر مشكاة المصابيح (١٦٦)، وقال شعيب الأرنئوط : إسناده حسن.

عن اليتامى، ما كانوا يسألونه إلا عما ينفعهم) [(١)].

وهذا المنهج هو حبل الله، وهو منهج إيماني فطري مبني على الفهم الدقيق لحقيقة الإسلام والإيمان، فقد كان الصحابة ﷺ يصدقون خبر الله ورسوله ﷺ تصديقا جازما ينفي الوهم والشك والظن، وكانوا ينفذون أمر الله ورسوله ﷺ تنفيذا كاملا يقوم على الطاعة والإخلاص والحب، بحيث تنسجم فطرتهم النقية مع توجيه النصوص القرآنية والنبوية.

لقد كان المسلم في عصر النبوة عندما يشهد ألا إله إلا الله؛ يكون قد عقد في نفسه عقدا أن الله ﷻ هو المعبود الحق الذي يصدق في خبره دون تكذيب، والذي يطاع في أمره دون عصيان، وتلك حقيقة الإيمان التي نزل بها القرآن، وفهمها أصحاب اللسان.

- أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية وهم الطائفة المنصورة.

وقد ظلت أمور المسلمين في عصر النبوة على توحيد العبودية لله، ومتابعتهم لرسول الله ﷺ، عقيدتهم وقلوبهم صافية نقية، فكانوا متمسكين بحبل الله، يطبقون على أنفسهم المنهج الأعلى والشريعة المثلى والنظم العليا لقيادة الإنسان الذي استخلفه الله ﷻ في أرضه، واستأمنه في ملكه، فكانوا يعلمون أن ذلك لا يكون إلا باتباع محمد ﷺ.

ولم يكن بينهم إلا الود والإخلاص والمحبة، والتنافس في طلب

---

(١) سنن الدارمي، المقدمة، باب كراهية الفتيا ١/٦٣ (١٢٥)، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/١٤١، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ومجمع الزوائد للهيثمي ١/١٥٨ نشر دار الريان للتراث القاهرة.

مرضاة الله ﷻ، والسعي إلى رضوانه في جنة الخلد، وكانوا يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، فرضي الله عنهم ورضوا عنه، كما قال تعالى في شأنهم وبيان حالهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ الحشر: ٨/ ١٠.

ولذلك كانوا هم وأتباعهم من بعدهم، وكل من سار على نهجهم واستن بسنتهم، كانوا هم الفرقة الناجية، وهم أهل السنة والجماعة، وهم الطائفة المنصورة، وهم الظاهرون على الحق، الذين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة، وهم الذين أخبر النبي ﷺ عنهم بأنهم يسيرون على طريقته دون انحراف؛ فهم أهل الإسلام المتبعون للكتاب والسنة، المجانبون لطرق الضلال والبدعة.

روى أبو داود وقال الألباني: حسن صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (افتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَى إحدَى أَو ثنتَينِ وَسَبعِينَ فِرقَة، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إحدَى أَو ثنتَينِ وَسَبعِينَ فِرقَة، وَتَفتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثلاَث وَسَبعِينَ فِرقَة) [١].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة ٤/ ١٩٧ (٤٥٩٦)، وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٢ (٨٣٧٧)، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٢٠٣).

وفي رواية ابن ماجة من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه مرفوعا: (افتَرَقَتِ اليَهُودُ على إحدَى وَسَبعِينَ فِرقَة، فَوَاحِدَة في الجنة وَسَبعِينَ في النار، وافترقت النصارى على ثنتَينِ وَسَبعِينَ فِرقَة فَإحدَى وَسَبعِينَ في النار وَوَاحِدَة في الجنة، والذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفتَرِقَنَّ أمَّتِي على ثلاَث وَسَبعِينَ فِرقَة، فَوَاحِدَة في الجنة وثنتَانِ وَسَبعُونَ في النَّارِ، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجَمَاعَة) [1].

وقد سموا أهل السنة لتمسكهم بسنة الدلالة النبوية، واتباعهم للطريقة القرآنية السنية المبنية على تصديقهم للأخبار النقلية الصحيحة، وتنفيذهم للأوامر التكليفية الشرعية، وسائر أحكام العبودية. وسموا بالجماعة لقول النبي ﷺ في إحدى روايات الحديث السابق: هم الجماعة، ولأنهم جماعة الإسلام الذين اجتمعوا على الصراط المستقيم، ولم يحيدوا عنه شيعا متفرقين، فهم أهل السنة والأثر، وهم أهل الحديث، والطائفة المنصورة، والفرقة الناجية.

- **إجمال عقيدة الفرقة الناجية التي دانوا بها لرب العزة والجلال**.

وعقيدة أهل السنة والجماعة التي يدينون لله بها، أنهم يقولون في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، أول لا شيء قبله، وآخر لا شيء بعده، حيٌّ لا يموت، قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، ما زال بصفاته أولا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا، لم يكن قبلهم من

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم ٢/١٣٢٢ (٣٩٩٢) وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (١٤٩٢)، وظلال الجنة (٦٣).

صفته، وكما كان بصفاته أزليا، كذلك لا يزال عليها أبديا، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري، له وصف الربوبية ولا مربوب، ووصف الخالقية ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم، ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

خلق الخلق بتقديره وعلمه، وكتب أمورهم بقلمه في لوحه، فقدر لهم أقدار، وضرب لهم آجالا، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، فكل شيء يجري بتقديره ومشيئته وقدرته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو متعال عن الأضداد والأنداد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، قضاء وحكما وأمرا كونيا.

آمنّوا بذلك كله، وأيقنوا أن كلا من عنده، وأن محمدا ﷺ عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى، وأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى، وبالنور والضياء.

وآمنوا أن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله ﷺ وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦)﴾ المدثر:٢٦، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)﴾ المدثر:٢٥. علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر، ومن وصف الله بصفة البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر.

والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ القيامة:٢٢/٢٣، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلِمَه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ، وردَّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسا تائها شاكا، لا مؤمنا مصدقا، ولا جاحدا مكذبا، ومن لم يتوق التعطيل والتمثيل زل ولم يصب التوحيد، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية والأحدية والوترية، ليس في معناه أحد من البرية.

والمعراج حق، وقد أُسري بالنبي ﷺ، وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾النجم:١١. فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى.

والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته حق، والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار، والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق، وقد علم الله تعالى وقدر فيما كتبه في اللوح المحفوظ عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما قدر بعلمه أن يفعلوه، وكل ميسر لما خُلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله الكوني، واتباعه لقضائه الشرعي، والشقي من شقي بقضاء الله الكوني ومخالفته لقضائه الشرعي.

وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يَطَّلع على ذلك ملكٌ مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ الأنبياء:٢٣. فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين، فهذا جملة ما يحتاج إليه من نور الله قلبه من أوليائه، وهي درجة الراسخين في العلم، لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر،

وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يقولون: نؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رُقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائنٌ، ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه وتقديره في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ليس فيه ناقض، ولا معقب، ولا مزيل، ولا مغير، ولا ناقص، ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان، وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ٱلَّذِى وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ الفرقان:٢. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ الأحزاب:٣٨. فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيما، وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرا كتيما، وعاد بما قال فيه أفّاكا أثيما.

والعرش والكرسي حق، وهو سبحانه مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يقولون: إن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وكلم الله موسى تكليما، إيمانا وتصديقا وتسليما، ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا

على الحق المبين، ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، ولخبره مصدقين ولأمره طائعين.

ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله، ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمدا ﷺ، وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين.

ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب كالخوارج، ولا نقول بقول المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم، والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة، ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بانتفاء ركن من الأركان التي بينتها أدلة الكتاب والسنة، والإيمان في باب طاعة الأمر هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالجوارح والأركان، وأركان الإيمان التي يدل عليها الإيمان المطلق بالمطابقة هي علم القلب، وعمل القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح، وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق، والإيمان يزيد بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى، وينقص بما يقابل ذلك .

والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن، والإيمان في باب تصديق الخبر هو الإيمان بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله تعالى،

ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به.

وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر ﷻ في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ النساء:٤٨. وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته، اللهم يا وليّ الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يقولون: ونرى الصلاة خلف كل برّ وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى، ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة، ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة، ويقولون: الله أعلم، فيما اشتبه علينا علمه، ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر.

والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما، ونؤمن بالكرام الكاتبين، وأن الله قد جعلهم علينا حافظين، ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.

ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان، والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد.

والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ البقرة:٢٨٦. وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد، ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله، ويقولون لا حيلة لأحد، ولا حركة لأحد، ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمدد وعطاء من الله، ولا قوة لأحد على

إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بمدد وتوفيق من الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئتُه المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيَلَ كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدا، تقدس عن كل سوء وحين، وتنزه عن كل عيب وشين، قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الأنبياء:٢٣. وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات. والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات، ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر، وصار من أهل الهلاك والحين. والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى.

ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولا لأبي بكر الصديق ؓ، تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب ؓ، ثم لعثمان ؓ، ثم لعلي بن أبي طالب ؓ.

وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون، وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ وقوله الحق هم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين. ومن أحسن القول في أصحاب

رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق.

وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل. ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام. ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء. ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم.

ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها. ولا نصدق كاهنا ولا عرافا، ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة. ونرى الجماعة حقا وصوابا، والفرقة زيغا وعذابا. ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾آل عمران:١٩. وقال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة:٣. وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس. فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا، ونحن براء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة والمذاهب الردية، مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية، والجبرية والقدرية، وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم

عندنا ضلال وأرداء، وبالله العصمة والتوفيق[1].

• **كيف تبدأ الفرق في الظهور والاستقلال الموجب لعدها فرقة؟**

لا تستحق الفرقة هذا الاسم إلا بعد مرورها بمراحل متعددة، تبدأ فكرة صغيرة، فردية أو جماعية، ثم تتكون شيئا فشيئا إلى أن تصبح فرقة ذات منهج مميز، وفكر مستقل، ولها هيكل سياسي أو اجتماعي، ومن الصعب التخطيط لقيام فرقة من الفرق، بل هي نبتة شيطانية يعقبها تراكمات الهوى، وشبهات المؤسسين، ولذلك قد تطول مدة قيام الفرقة وقد تقصر، حسبما يتهيأ لها من الظروف والعوامل المساعدة لقيامها، وعلى هذا فإنه ينبغي أن نفرق بين ظهور الفرقة كفرقة ذات أفكار وآراء اعتقادية وبين ظهورها كفكرة، والصعوبة إنما تكمن في ظهورها كفكرة، وأما تحديد ظهورها فرقة فهو على ما سجله العلماء عن ظهور كل الفرق والطوائف.

ومن ثم لا يوجد لعلماء الفرق قانون يسيرون عليه في عدّهم للفرق الإسلامية، بل سلكوا طرقا عديدة، كل واحد منهم يعدها حسب اجتهاده، وما وصل إليه علمه.وفي هذا يقول الشهرستاني: (اعلم أن لأصحاب المقالات طرقا في تعديد الفرق الإسلامية، لا على قانون مستند إلى أصل ونص.. إلى أن قال رحمه الله: فما وجدت مصنّفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق، ومن المعلوم الذي لا مراء فيه أنه ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما في مسألة ما عُدّ

---

(١) انظر متن العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي، المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ص٢٠ :٦١ بتصرف.

صاحب مقالة، وإلا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد، وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط إلا أنهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف ما اتفق، وعلى الوجه الذي وجد، لا على قانون مستقر وأصل مستمر) [١].

والواقع أننا نجد مصداق كلام الشهرستاني عند تتبع العلماء للفرق، وأقرب مثال لذلك أنك تجد أمهات الفرق عند الأشعري عشرة أصناف، وعند الشهرستاني نفسه جعلهم أربع فرق، وعند غيرهما ثمان فرق، وعند آخرين ثلاث فرق، وبعضهم يجعلها خمسا، إلى غير ذلك مما يوحي بعدم وجود قانون جامع لعدّ الفرق سواء كانت مستقلة أو تابعة لغيرها؛ وقد كان هَمُّ الأولين فيما يبدو تسجيل ما يجدون من آراء فكرية فردية كانت أو جماعية.

ولعل بعض هؤلاء العلماء اختلط عليه الأمر فيمن يستحق أن يطلق عليه أنه من أهل ملة الإسلام فيعتبر خلافه، أو لا يعتبره من المسلمين فلا يذكر خلافه، وهذا أيضا مرتبط ببيان المراد بأمة الإسلام؟ حيث اختلف المنتسبون إلى الإسلام في تحديد ضابط للذين يدخلون بالاسم العام في ملة الإسلام، أو يخرجون من الإيمان، فبعضهم كالمرجئة يرى أن هذه التسمية تشمل كل مقر بنبوة محمد ﷺ ناطق بالشهادتين، فهل الإيمان هو المعرفة؟ أو هو المعرفة والقول باللسان؟ والصحيح في هذا كله ما كان عليه السلف الصالح أنه لا يدخل في الإسلام إلا من أقر به ظاهرا

---

(١) الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ١/١٤، دار المعرفة بيروت ١٤٠٤هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني.

وباطنا، والتزم بالشريعة الإسلامية، فالإيمان قول وعمل ظاهرا وباطنا، ثم إذا كان له بعض البدع، فإنه ينزل من الإسلام حسب قربه أو بعده عنه، ويعامل على هذا الأساس، ويحترز من تكفير شخص بعينه إلا إذا ظهر كفره من قوله أو فعله، أو اعتقاده بعد إقامة الحجة عليه.

- **كيف ظهر الخلاف والتفرق بين أبناء الأمة الإسلامية؟**

كان الخلاف في عصر النبوة ينتهي فور وصوله إلى الرسول ﷺ حين يحكم فيه، وبعد وفاته ينتهي عند العلم بكلامه وتذكير المختلفين بالدليل من الكتاب والسنة، وحتى آخر عصر الخلفاء الراشدين كان المسلمون على منهج واحد في أصول الدين وفروعه، إلا أنه قد وجدت بعض الأمور التي كانت محل خلاف بين الصحابة ﷺ، بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة، ولكنهم ﷺ قضوا عليها بقوة إيمانهم وصدق نيتهم بعد توفيق الله لهم.

منها ما أصاب بعض الصحابة ﷺ من الدهشة من موت الرسول ﷺ، هل مات الرسول كما مات غيره من الأنبياء؟ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ الزمر: ٣٠؟ أم أن الرسول ﷺ لم يمت، وإنما هو في غيبوبة وسيفيق منها، حتى قال عمر بن الخطاب ﷺ: من قال إن رسول الله مات ضربته بالسيف؟ [١].

---

(١) روى البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلا ٣/١٣٤١ (٣٤٦٧) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم.

وحينما جاء أبو بكر ﷺ قضى على هذا الخلاف بتلاوة آية من القرآن غفل عنها عمر بن الخطاب من هول الفجيعة، وأقر الجميع بموت الرسول ﷺ[(١)]. وإن كان هذا لا يشكل خلافا حقيقيا، وإنما هي حالة طارئة مرّت بالمسلمين دون أن تشكل ظاهرة خلافية.

ومنها اختلافهم في موضع دفنه فأراد أهل مكة رده إلى مكة، وأراد أهل المدينة دفنه بها، وقال آخرون بنقله إلى بيت المقدس، ولكل فريق من هؤلاء حجته فيما يراه، لكن أبا بكر الصديق ﷺ قضى على هذا الخلاف حينما أعلمهم بقول الرسول ﷺ: (ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه) [(٢)].

ومنها اختلافهم في تسيير جيش أسامة ﷺ، هل يبقى بالمدينة كما

---

(١) روى أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ عندما قبض خرج أبو بكر إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويتكلم ويقول: إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى الله ﷻ المنافقين فتكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله ﷻ يقول: إنك ميت وإنهم ميتون. حتى فرغ من الآية : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم. حتى فرغ من الآية فمن كان يعبد الله ﷻ فإن الله حي ومن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، فقال عمر وإنها لفي كتاب الله ما شعرت إنها في كتاب الله. مسند أحمد ٢١٩/٦ (٢٥٨٨٣)، قال شعيب الأرنئوط: إسناده حسن.

(٢) روى الترمذي في كتاب الجنائز ٣٣٨/٣ (١٠١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئا ما نسيته قال: ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه أدفنوه في موضع فراشه. قال الألباني: صحيح، انظر مختصر الشمائل (٣٢٦) نشر المكتبة الإسلامية عمان.

يرى عمر ﷺ وغيره لضرورة الحاجة إليه؟ أم يذهب لما وجهه الرسول ﷺ كما يرى أبو بكر ﷺ؟ وقد شرح الله صدورهم لتوجيهه، واتفقوا عليه وكان في ذلك خير عظيم كما هو معلوم[1].

ومنها اختلافهم في قتال مانعي الزكاة، هل يقاتلون كما يقاتل الكفار؛ لأنهم فرقوا بين ركنين من أركان الإسلام؟ أم لا يقاتلون ما داموا يشهدون الشهادتين ويؤدون الصلاة؟ ثم انتهى الخلاف بقبول رأي أبي بكر ﷺ في قتال هؤلاء[2]، وحتى الذين خالفوا في قتال مانعي الزكاة ما كانوا يريدون تركهم مطلقا دون قتال، وإنما كانوا يرون تأخير محاسبتهم إلى حين القضاء على من هو أخطر منهم وأشد شوكة وضررا.

ومنها الاختلاف في الإمامة من بعد موت النبي ﷺ لمن تكون؟ لقريش أم للأنصار؟ واجتماعهم في سقيفة بني ساعدة، ورجوعهم أخيرا إلى مبايعة أبي بكر الصديق ﷺ حينما تبين لهم الحق في قوله[3].

والصحابة ﷺ وإن اختلفوا في بعض المسائل التي لو كانت عند

(١) انظر تاريخ الطبري ٢/٢٤٥ دار الكتب العلمية بيروت، والبداية والنهاية لابن كثير ٦/٣٠٤ مكتبة المعارف بيروت.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٦/٢٦٥٧ (٦٨٥٥)، وصحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/٥١ (٢٠).

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذا خليلا ٣/١٣٤١ (٣٤٦٧).

غيرهم لأريقت في بعضها الدماء إلا أنهم ما كانوا يريدون الخلاف لذاته أو لأهوائهم كما حصل فيما بعد عند غيرهم، فكان أغلب خلافهم حول فهم نص من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ، وهي أمور أكثرها اجتهادية شبيهة بما كان يحصل أحيانا في حياة الرسول ﷺ كما حصل في أمر صلاة العصر حينما توجهوا إلى بني قريظة[1].

وكان أحدهم إذا تبين له صحة وجهة نظر أخيه ترك خلافه ورجع إلى الحق، بل وربما يرجع عن خلافه في مثل المسائل الاجتهادية حرصا على جمع الكلمة، وسدا لمنافذ الخلافات أو فتح الثغرات التي يأوي إليها المتربصون بهم.

وظل الخلاف في حياتهم لا يراد به إلا الوصول إلى الحق التمسك به، حتى جاء مِن بعدهم مَن كان منافقا حاقدا فأظهر الإسلام والموافقة، ثم عمل على تضخيم الخلاف، وفتح ثغرة في مفاهيم المسلمين، وجادل بالتأويل والشبهات، وبعضهم استغل اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في بعض المسائل، واتخذ منه سبيلا لتمزيق وحدة الأمة الإسلامية بتقليب الأدلة ومعارضة بعضها ببعض، وإذكاء التعصب، وزيادة حدة الخلاف بالحقد على المسلمين ليحقق هدفه في إهلاكهم.

- **تاريخ الأمة الإسلامية اعتراه كثير من التشويه بسبب الفرق.**

لقد كان أنصع العصور بياضا في تاريخ الأمة الإسلامية هو عصر النبوة، ذلك الجيل الذي حمل على عاتقه نشر رسالة الإسلام، فكانوا

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم ٤/١٥١٠ (٣٨٩٣).

صفوة خلق الله بعد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وقد اعترى تاريخ الأمة الإسلامية كثير من التشويه والتحريف بسبب تنازع الفرق التي ظهرت في حاضرة الإسلام؛ إذ حاولت كل فرقة أن تضع من شأن الأخرى وترفع من شأنها، وبذلك فتحوا مجالا للجرأة على خير الناس وفتحوا ثغرات للطعن في عظماء أمتنا، فوجدنا من تجاوز حد المحبة في علي بن أبي طالب ﷺ ليرفعه إلى وصف الإلوهية، فنسب إليه ما لا يتصف به إلا الله، وفي الوقت ذاته حاول أن يضع من شأن غيره، وعد الآخرين معتدين على حقه ظالمين له ولأنفسهم، بل زاد به الغلو في محبة علي ﷺ حتى تعداه إلى أحفاده، فزعم أنهم أئمة منصوص عليهم، وأنهم معصومون، وأنهم يوحى إليهم مشبها لهم بالأنبياء عليهم السلام.

وقد روي عن علي ﷺ أنه قال: ليحبني أقوام حتى يدخلوا النار فيّ، وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي. وقال أيضا ﷺ: يهلك في رجلان: مفرط في حبي، ومفرط في بغضي[1].

وهذه المزاعم وصور الغلو إنما وجدت بعد منتصف القرن الثالث الهجري على الصحيح، ومما يؤكد هذه الحقيقة أننا لا نجد في الروايات

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٢/٥٧١ (١٣٣٨) تحقيق د. محمد سعيد سالم القحطاني، نشر دار ابن القيم الدمام ١٤٠٦هـ. وابن أبي عاصم في السنة ٢/٤٧٦ (٩٨٣) المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٠هـ. وقال العلامة ناصر الدين الألباني: صحيح، انظر ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة (٩٨٣). وانظر كذلك نهج البلاغة ٤/١٠٨، ومناقب الإمام أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفي ٢/٢٨٣، والأمالي للطوسي ص٢٥٦.

الصحيحة المتعلقة بتاريخ الصحابة ﷺ وأحوالهم ما يدل على وجود الكراهية المزعومة بين علي ﷺ وغيره من كبار الصحابة، بل وجدنا ما يدل على عظيم محبتهم بعضهم بعضا، وصورا مشرقة من الإيثار والإخاء والمودة والنصح والمصاهرة، مما يقطع به المنصف الباحث عن الحق أن ما يروج من أباطيل العداوة والشحناء والتباغض إنما هو درب من الكذب.

إن من أعظم أكاذيب التاريخ زعم الزاعمين أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يضمرون العداوة لبعضهم بعضا! وإن من غربة الإسلام بعد القرون الثلاثة الفاضلة أن ظهر كُتّاب شوهوا التاريخ وحرفوه، وخالفوا الحق وعادوه، فزعموا أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا إخوانا في الله تعالى، ولم يكونوا رحماء بينهم، وإنما كانوا أعداء يلعن بعضهم بعضا، ويمكر بعضهم ببعض، وينافق بعضهم بعضا، ويتآمر بعضهم على بعض؛ بغيا وعدوانا واتباعا للدنيا والهوى.

لقد كذبوا وجاءوا بإفك عظيم وبهتان مبين، فقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وأبو عبيدة وعائشة وفاطمة وغيرهم من السابقين والصحابة الميامين ﷺ أنبل وأطهر من أن يقع منهم شيء من ذلك، وكانت بنو هاشم وبنو أمية أوفى من ذلك لإسلامهما ورحمهما وقرابتهما، وأوثق صلة، وأعظم تعاونا على الخير، ومن ثم فُتحت أقطار الأرض على أيديهم، ودخلت الأمم بسعيهم ودعوتهم في دين الله أفواجا.

واعلم أن الأخبار الصحيحة التي يرويها أهل الصدق والعدالة هي

التي تثبت أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا كلهم من خيرة من عرفت الإنسانية بعد الأنبياء والرسل، وأن الأخبار التي تشوه سيرة الصحابة ﷺ وتنتقص من قدرهم، وتوهم أنهم كانوا صغار النفوس هي التي رواها الكذبة الوضاعون.

إن تاريخ المسلمين يحتاج إلى كتابة جديدة، وذلك بأخذه من ينابيعه الصافية، لاسيما في المواطن التي شوهها أهل الذمم الخربة من ملفقي الأخبار الحاقدين وأصحاب الفرق الضالين المضللين، علما بأن أمتنا الإسلامية هي أغنى الأمم بمادة تاريخها الذي حفظته بالأسانيد الثابتة، ولقد تدارك سلفنا الصالح من المؤرخين الأخيار قبل ضياعها، فجمعوا كل ما وصلت إليه أيديهم من غث وسمين منبهين على مصادر الأخبار وأسماء رواتها؛ ليكون القارئ على بينة من أمره، فيميز صحيحها من سقيمها، والغث منها والسمين.

ولا بد لنا كي نسير على خطى سلفنا الصالح أن نصفي هذه الكتب لنكون بذلك خير خلف لخير سلف، وحتى يعلم الجميع أن صحائف أصحاب محمد ﷺ كانت كقلوبهم نقاءً وسلامةً وطهرا، ومن أراد أن يكتب التاريخ فعليه أن يكون سليم الطوية لأهل الحق والخير، عارفا بهم، وعارفا لما لهم من الحق والمكانة، وبارعا في التمييز بين حملة الأخبار، وتمييز الصحيح من السقيم، وصادقا أمينا، ومتحريا في كتاباته الحق المبين.

- **أحداث السقيفة والبيعة بين توقير الصحابة وافتراءات المغرضين.**

لما توفي رسول الله ﷺ جاء أبو بكر الصديق ﷺ من السنح وهي

العوالي، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِ رَسُول اللهِ ﷺ فقبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: بِأَبي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيتًا، وَغَطَّى أَبُو بَكْر ﷺ رَسُولَ اللهِ ﷺ، ثمَّ قَامَ فَصَعِدَ الْمِنْبَر، فَقَالَ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ.

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾آل عمران:١٤٤. فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ، وَخَرَجَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الشَّوَارِعِ يُرَدِّدُونَ هَذهِ الآيَةَ. يَقُولُ أَنَس: وَكَأَنَنا لَمْ نَسْمَعْهَا إِلا فِي ذِلِكَ الْوَقْتِ[١].

ومع أن القرآن قد كمل في زمن رسول الله ﷺ وقبل وفاته، فإن هذه الآية بدت وكأنها جديدة عليهم، كأنهم لم يسمعوها قبل ذلك من شدة الصدمة، وهي خبر وفاة النبي ﷺ. وقام العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب والفضل بن عباس وآخرون بتغسيل وتكفين رسول الله ﷺ حتى يصلى عليه ويدفن بأبي هو وأمي ﷺ، وذلك لأن العباس هو عم النبي ﷺ، وعليا ابن عمه، والفضل ابن عمه، فكانوا هم أولى الناس برسول الله ﷺ [٢].

في هذه الفترة التي انشغل فيها علي والعباس والفضل ﷺ بتجهيز رسول الله ﷺ اجتمع بعض الأنصار في سقيفة بني ساعدة.

---

(١) البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٤/١٦١٨ (٤١٨٧).
(٢) انظر مسند الإمام أحمد ١/٢٦٠ (٢٣٥٧).

ولنذكر رواية ما حدث في السقيفة من تاريخ الإمام الطبري نقلا عن أبي مخنف الكذاب الذي زور في الأحداث التاريخية لينتقص من شأن الصحابة ﷺ ويصورهم بأنهم يتقاتلون على الدنيا، ثم نذكرها من رواية الإمام البخاري، ثم نقارن بين الروايتين حتى نعرف الزيادات التي زادها أبو مخنف، ولعل كثيرا من هذه الزيادات الباطلة الآن أمور مسلمة عند الشيعة وغيرهم من المغرضين، ومثل هذا سيأتينا أيضا في حادثتي الشورى والتحكيم.

قال الإمام الطبري رحمه الله: حدثنا هشام بن محمد، عن أبي مخنف قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري أن النبي ﷺ لما قبض، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عبادة. قام أحدهم فقال: قد دانت لكم العرب بأسيافكم، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنكم راض وبكم قرير عين، استبدوا بهذا الأمر دون الناس، فأجابه الجميع أن قد وفقت في الرأي، فقال قائل منهم: فإن أبت مهاجرة قريش؛ نقول: منكم أمير ومنا أمير. فقال سعد بن عبادة: هذا أول الوهن.

ثم بلغ عمر بن الخطاب أن بعض الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يقولون: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إلى أبي بكر فأخبره، فقال: إن إخواننا الأنصار اجتمعوا ويقولون كذا، فهلم بنا إليهم. فخرج عمر وأبو بكر فوجدا أبا عبيدة فقالا: معنا. فذهب الثلاثة إلى الأنصار. يقول عمر: فزورت كلاما في نفسي، فلما أردت أن أتكلم أشار إلي أبو بكر أن اسكت، فبدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال: إن الله بعث محمدا.. وذكر خطبة طويلة لأبي بكر، وذكر منها أن المهاجرين أولى بالخلافة، فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم، فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز والثروة، وأولو العدد والمنعة، فإن هم أبوا عليكم ما سألتموه، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب[1].

فقال عمر وأبو عبيدة لأبي بكر: ابسط يدك نبايعك، فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، قال: فقام أسيد بن حضير وكان أحد النقباء فقال: والله لئن وَلِيَتها عليكم الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، فقال سعد: أما والله! لو أن بي قوة، ما أقوى على النهوض، لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرا يجرحك وأصحابك، أما والله إذن لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع، احملوني من هذا المكان فحملوه فأدخلوه في داره، فتُرك أياما ثم قال: أما والله! حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي، وأخضب سنان رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي، ومن أطاعني من قومي، فكان سعد بعد ذلك لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمِّع معهم،

---

(١) يعني أنا أولى بها من غيري، والجذيل المحكك هو العمود الذي كان يوضع للإبل التي كانت يصيبها الجرب فتتحكك فيه حتى تشفى من هذا الجرب، وعذيقها المرجب هو عذق النخلة الذي يرجى. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ٢/١٩٧.

ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله تعالى[(١)].

تلك رواية أبي مخنف لقصة السقيفة، ونورد الآن رواية الإمام البخاري لهذه القصة نفسها ثم نقارن.

روى البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارا، وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة. فقال عمر: بل نبايعك أنت؛ فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله) [(٢)].

هذه رواية الإمام البخاري وهي كما نرى مختصرة وقصيرة، وهذه

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٢٤٤ بتصرف لطولها، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا ٣/١٣٤١ (٣٤٦٧) باستثناء عبارة (قتلتم سعد بن عبادة) فموجودة في رواية أخرى في كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت ٦/٢٥٠٣ (٦٤٤٢).

حقيقة السقيفة، أما ما زاده أبو مخنف الكذاب من أن سعد بن عبادة ﷺ قال: أقاتلكم، وكان لا يصلي معهم، ولا يجمِّع بجمعتهم، ولا يفيض بإفاضتهم، وأن الحباب بن المنذر رد على أبي بكر ﷺ وغير ذلك من زيادات؛ فكل ذلك أباطيل لا تثبت، فقصة السقيفة لم تستغرق نصف الساعة في ظاهرها، وانظر كيف أصبحت الرواية أكبر مما هي عليه.

وأما ما يتعلق بسعد بن عبادة ﷺ فقد روى الإمام أحمد من حديث حميد بن عبد الرحمن أنه قال: (فتكلم أبو بكر ﷺ ولم يترك شيئا أُنزل في الأنصار، ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا وذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا سلكت وادي الأنصار. ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم. فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء، وأنتم الأمراء) [1].

قال ابن حجر: (قوله فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة أي كدتم تقتلونه، وقيل هو كناية عن الإعراض والخذلان، ويرده ما وقع في رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب فقال قائل من الأنصار: أبقوا سعد بن عبادة لا تطئوه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله. نعم لم يرد عمر الأمر بقتله حقيقة، وأما قوله قتله الله، فهو دعاء عليه، وهو مشهور في

(١) مسند الإمام أحمد ١/٥ (١٨) قال شعيب الأرنئوط: صحيح لغيره رجاله ثقات رجال الشيخين وهو مرسل، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (١١٥٦).

كلام العرب، ومنه قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ عبس:١٧. وعلى الأول هو إخبار عن إهماله والإعراض عنه، وفي حديث مالك فقلت وأنا مغضب: قتل الله سعدا، فإنه صاحب شر وفتنة) [(١)].

وهذه الرواية وإن كانت مرسلة، إلا أنها أقوى بكثير من رواية ذلك الكذاب أبي مخنف الذي يروي القصة ويزيد فيها ما ينتقص به الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

- **التوفيق الذي لازم الصديق وعمر في إخضاع المرتدين آثار الحاقدين.**

أبو بكر الصديق هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ﷺ صاحب رسول الله ﷺ وخليفته من بعده[(٢)]، وكان النبي ﷺ قد جهز جيش أسامة بن زيد ﷺ لغزو الروم في الشام، فمات رسول الله ﷺ قبل أن يخرج الجيش، فتردد الصحابة ﷺ في إرساله خوفا على المدينة، خاصة بعد أن جاءهم الخبر عن ردة كثير من العرب، وأصر أبو بكر الصديق ﷺ على إرساله، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ولو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أن

---

(١) فتح الباري ٣٢/٧ ، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت.

(٢) أبو بكر الصديق بن أبي قحافة خليفة رسول الله ﷺ هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التميمي، يلتقي نسبه مع نسب النبي ﷺ في مرة بن كعب بن لؤي، أمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ابنة عم أبيه، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١٦٩/٤ تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ.

الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة، وأمر أبو بكر الصديق ﷺ الحرس أن يكونوا حول المدينة، فكان خروج الجيش في ذلك الوقت من أكبر المصالح، فصاروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فأقاموا أربعين يوما، ويقال سبعين، ثم قفلوا سالمين غانمين(١).

قالت عائشة ﷺ: لما توفي رسول الله ﷺ نجم النفاق، وارتدت العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر، فلقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها (٢).

لقد عزم أبو بكر ﷺ على قتال المرتدين ومانعي الزكاة، وقد تكلم الصحابة ﷺ مع الصديق في هذا، وطلبوا منه أن يترك قتال المرتدين خوفا على المدينة وأهلها فأبى، وكلموه أن يترك مانعي الزكاة وما هم عليه، ويتألفهم حتى يتمكن الإسلام في قلوبهم ثم يزكون بعد ذلك، فامتنع الصديق ﷺ من ذلك.

روى البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ قال لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟ فقال أبو بكر ﷺ والله لو منعوني عناقا، وفي

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٦/٣٠٤.

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/٩٨ برقم ٦٨، وانظر سيرة ابن هشام ٦/٨٨ تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ.

رواية: عقالا، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها؛ إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق[1].

لقد ارتد كثير من العرب عند وفاة رسول الله ﷺ، فارتدت أسد وغطفان، وعليهم طليحة الأسدي، وارتدت كندة ومن يليها، وعليهم الأشعث بن قيس الكندي، وارتدت مذحج ومن يليها، وعليهم الأسود العنسي، وارتد بنو حنيفة، وعليهم مسيلمة الكذاب، وارتدت سليم، وعليهم الفجاءة، وارتدت بنو تميم مع سجاح التغلبية، وهناك من منع الزكاة ولم يرتد، وقد استطاع أبو بكر ﷺ بتوفيق الله أن يخضع جميع المرتدين، وأن تنطلق الفتوحات الإسلامية لتخضع الفرس والروم في مدة قياسية أثارت حقد المنافقين من الأعراب واليهود والمجوس والغوغاء.

وقد استمرت خلافة أبي بكر ﷺ سنتين وثلاثة أشهر، ثم توفي وترك الخلافة لعمر ﷺ، وكان أبو بكر قد رأى أن عمر بن الخطاب ﷺ هو أصلح الناس لتولي هذا الأمر، فاختاره من بعده، وبايعه المسلمون بعد ذلك فصار خليفةَ خليفةِ رسول الله ﷺ، وكانت مدة خلافته عشر سنين، وتعد مدة خلافة عمر بن الخطاب ﷺ من أجمل السنوات وأفضلها في تاريخ الإسلام بعد رسول الله ﷺ، وبعد خلافة أبي بكر الصديق ﷺ .

(١) البخاري في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٦/٢٦٥٧ (٦٨٥٥).

- **الحقد المجوسي على عزة الإسلام كان سببا في مقتل عمر بن الخطاب.**

تولى عمر ﷺ الخلافة في بداية القتال العنيف في الشام حيث اجتمع المسلمون في اليرموك أمام جموع الروم الهائلة، وانتصر المسلمون في هذه المعركة انتصارا مؤزرا، وفتحت دمشق وحمص وقنسرين وأجنادين، ثم كان الفتح العظيم وهو فتح بيت المقدس.

وصار المسلمون يجولون في أرض الروم كما يحلو لهم، ثم بعد ذلك اتجه عمرو بن العاص ﷺ إلى مصر وفتحها، واتجه سعد بن أبي وقاص ﷺ إلى الشرق حيث بلاد فارس، فأوطأ الخيل ديارهم، وكبدهم خسائر عظيمة، ثم كانت معركة القادسية العظيمة بقيادة سعد بن أبي وقاص ﷺ، وكانت من المعارك الفاصلة، ثم فتحت خراسان، وكانت الفتوحات كثيرة جدا في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، وكان عمر يراقب الولاة مراقبة شديدة، وكان يسأل الناس عنهم ويستطلع أخبارهم، وكان محمد بن مسلمة ﷺ رسول عمر ﷺ يستطلع أحوال الولاة.

ومن سياسة عمر ﷺ أنه كان يعس بالليل، ويحرص على أمن المدينة حرصا شديدا، ولم يكن يسمح لكبار الصحابة ﷺ بالخروج من المدينة ليستشيرهم في أموره، روى البخاري من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ أنه قال: (بينا نحن جلوس عند عمر؛ قال عمر: أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال عمر: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر؟ قال

حذيفة: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابا مغلقا. قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال حذيفة: بل يكسر. قال عمر: إذا لا يغلق أبدا. قال حذيفة: أجل. قالوا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غد ليلة، وذلك أني حدثته حديثا ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأله من الباب، فأمرنا مسروقا فسأله فقال: من الباب؟ قال عمر) [١].

كان هذا الباب هو عمر بن الخطاب نفسه، وكسر الباب هو قتله ﷺ لما قتله أبو لؤلؤة المجوسي قبحه الله تبارك وتعالى، حيث طعنه وهو يصلي الفجر في الناس طعنتين بخنجر مسموم. وقال عمر ﷺ لما عرف قاتله: الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام. وفي لفظ قال: الحمد لله الذي لم يجعله رجلا من المسلمين يحاجني بسجدة سجدها لله يوم القيامة [٢].

ولما طعن عمر بن الخطاب ﷺ جعل الخلافة في ستة نفر وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. وقد روى الإمام البخاري قصة الشورى في صحيحه، وهي أحد أعظم قصتين

---

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر ٢٥٩٩/٦ (٦٦٨٣)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر ٢٢١٨/٤ (١٤٤) .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان ﷺ ١٣٥٣/٣ (٣٤٩٧) واللفظ الآخر رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٤٣٩/٧ (٣٧٠٧٤).

كثر حولهما الجدل(١).

- **قصة الشورى بين توقير الصحابة ﭫ وافتراءات المغرضين.**

لقد ذكر البخاري قصة طويلة في مقتل عمر ﭬ وذكر فيها أنه قيل لعمر ﭬ: أوص يا أمير المؤمنين استخلف؟ قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدا، وعبد الرحمن بن عوف، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

لما فرغ من دفنه اجتمعوا ﭫ فقال عبد الرحمن ﭬ وكان عمر قد عزل سعد بن أبي وقاص ﭬ عن الكوفة: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: جعلت أمري إلى علي، وقال طلحة:جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، وهكذا تنازل ثلاثة منهم، تنازل طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص.

وأصبح المرشحون ثلاثة وهم علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن بن عوف: أفتجعلونه إلي والله على ألا آلو عن أفضلكما؟ قالا: نعم. فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان ﭬ ٣/١٣٥٣ (٣٤٩٧).

رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن.

وهذه الرواية تبين لنا حقيقة الأمر بصورة دامغة، وهي أن الزبير بن العوام لم يكن من مبغضي علي، كيف وهو ابن عمته صفية، وقد رشحه للخلافة كما هو ظاهر من هذه الرواية، ثم خلا بالآخر وهو عثمان، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق جلس ثلاثة أيام يسأل المهاجرين والأنصار حتى قال ﷺ: والله ما تركت بيتا من بيوت المهاجرين والأنصار إلا وسألتهم، فما رأيتهم يعدلون بعثمان أحدا، ارفع يدك يا عثمان فبايعه، وبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه[1].

هذه رواية البيعة لعثمان بن عفان ﷺ كما في صحيح البخاري، ومن المحزن أننا نرى كتب التاريخ الحديثة التي تتكلم عن حياة الصحابة ﷺ تعرض عن رواية البخاري، وتأخذ برواية أبي مخنف المكذوبة والمذكورة في تاريخ ابن جرير الطبري.

وهذا نصها: لما طعن عمر بن الخطاب ﷺ قيل له: يا أمير المؤمنين لو استخلفت، قال: من أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: إن سالما شديد الحب لله، فقال له رجل: أدلك عليه؟ عبد الله بن عمر، أي استخلف عبد الله بن عمر. فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا، ويحك كيف أستخلف رجلا عجز

(١) المصدر السابق.

عن طلاق امرأته، لا أرب لنا في أموركم، ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيرا فقد أصبنا منه، وإن كان شرا فشر يبعد عنا آل عمر، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد، ويسأل عن أمر أمة محمد، أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافا، لا وزر ولا أجر إني لسعيد، وانظر فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ، ولن يضيع الله دينه، فخرجوا ثم راحوا فقالوا: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا؟ فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّي رجلا أمركم، هو أحراكم أن يحملكم على الحق، وأشار إلى علي، ورهقتني غشية فرأيت رجلا دخل جنة قد غرسها، فجعل يقطف كل غضة ويانعة، فيضمه إليه ويصيره تحته، فعلمت أن الله غالب أمره ومتوف عمر، فما أريد أتحملها حيا وميتا.

قال عمر ﷺ: عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ إنهم من أهل الجنة، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم، ولست مدخله، ولكن الستة: علي، وعثمان ابنا عبد مناف، وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، وطلحة الخير ابن عبيد الله، فليختاروا منهم رجلا، فإذا ولوا واليا فأحسنوا مؤازرته وأعينوه، وإن ائتمن أحدا منكم فليؤد إليه أمانته. فخرجوا فقال العباس لعلي: لا تدخل معهم. قال: أكره الخلاف. قال: إذا ترى ما تكره. فلما أصبح عمر دعا عليا، وعثمان، وسعدا، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، فقال: إني نظرت

فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راض، إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس، فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذن منها فتشاوروا واختاروا رجلا منكم.

ثم قال: لا تدخلوا حجرة عائشة ولكن كونوا قريبا، ووضع رأسه وقد نزفه الدم، فدخلوا فتناجوا، ثم ارتفعت أصواتهم فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: سبحان الله إن أمير المؤمنين لم يمت بعد، فأسمعه فانتبه، فقال: ألا أعرضوا عن هذا أجمعون، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم، ويحضر عبد الله بن عمر مشيرا، ولا شيء له من الأمر، وطلحة شريككم في الأمر، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم.

من لي بطلحة؟ فقال سعد بن أبي وقاص: أنا لك به ولا يخالف إن شاء الله، فقال عمر: أرجو أن لا يخالف إن شاء الله، وما أظن أن يلي هذا الأمر إلا أحد هذين الرجلين، علي، أو عثمان. فإن ولي عثمان فرجل فيه لين، وإن ولي علي ففيه دعابة، وأحرى به أن يحملهم على طريق الحق، وإن تولوا سعدا فأهلها هو، وإلا فليستعن به الوالي فإني لم أعزله عن خيانة ولا ضعف، ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف، مسدد رشيد له من الله حافظ، فاسمعوا منه.

وقال لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلا من الأنصار، فاستحث هؤلاء الرهط

حتى يختاروا رجلا منهم، وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم.

وقال لصهيب: صل بالناس ثلاثة أيام، وأدخل عليا، وعثمان، والزبير، وسعدا، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة إن قدم، وأحضر عبد الله بن عمر، ولا شيء له من الأمر، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة، ورضوا رجلا وأبى واحد، فاشدخ رأسه، أو اضرب رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم، وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلا منهم، وثلاثة رجلا منهم، فحكموا عبد الله بن عمر، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس[1].

هذه رواية أبي مخنف وفيها مخالفات ظاهرة للرواية الصحيحة التي أخرجها البخاري، ثم فيها زيادات منكرة، منها استباحة عمر بن الخطاب ﷺ دماء من قال هو عنهم: إن رسول الله ﷺ مات وهو عنهم راض، سبحان الله! كيف يستحل عمر بن الخطاب ﷺ رقاب أولئك الصحابة الأجلة: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهم جميعا؟! فهذا يظهر كذب هذه الرواية. ثم من سيجرؤ على التنفيذ؟ وهل سيترك؟ إنه التلفيق، ولا شيء غير التلفيق ثم التلميح بل التصريح بأن عليا ﷺ هو الأحق بالخلافة.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٨٠، دار الكتب العلمية بيروت.

• **النصر في عصر عثمان أثار الحقد اليهودي والمجوسي وغوغاء الناس.**

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: ما كان في القوم أوكد بيعة من عثمان، كانت بإجماعهم[1].

والذي عليه أهل السنة أن من قدم عليا على ﷺ أبي بكر وعمر فإنه ضال مبتدع، ومن قدم عليا على عثمان ﷺ فإنه مخطئ، ولا يضللونه ولا يبدعونه، وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم عليا على عثمان؛ لأنه زعم أن أصحاب الرسول ﷺ خانوا الأمانة حيث اختاروا عثمان ﷺ على عليّ رضي الله تبارك وتعالى عنهما.

ويعتبر عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ العصر الذهبي للخلافة الراشدة على الرغم من تشويهه من قبل المفترين والمضللين والجهلة. ففي زمنه امتدت رقعة الإسلام امتدادا عظيما، فكان عهد عثمان ﷺ مليئا بالفتوحات، واستمرت لمدة عشرة أعوام، وكانت من أعظهم السنوات التي تم خلالها نشر بساط الدولة الإسلامية، ففيها غزا معاوية ﷺ قبرص، وكان عمر ﷺ قد منع الغزو عن طريق البحر، وأذن عثمان ﷺ به، وفتحت أذربيجان، وأرمينية، وكابل، وسجستان، وغيرها الكثير من البلدان. وفي خلافته كانت الغزوة العظيمة المعروفة بذات الصواري، وأكبر توسع للإسلام والمسلمين في عهد الخلافة الراشدة كان في عهد عثمان بن عفان ﷺ، فقد قام عثمان بتوسعة الحرمين المسجد النبوي والمسجد الحرام.

---

(١) السنة للخلال ٢/٣٢٠ ، تحقيق د. عطية الزهراني دار الراية الرياض ١٤١٠هـ ١٩٨٩م، الطبعة الأولى.

وأمر عثمان ﷺ عبد الله بن سعد بن أبي السرح سنة سبع وعشرين هجرية أن يغزو بلاد إفريقية، فإذا افتتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نفلا، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها، سهلها وجبلها، ودخل أهلها في الإسلام، وأخذ عبد الله بن سعد ﷺ خمس الخمس من الغنيمة، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان بن عفان ﷺ، وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف، ألفا له وألفين لفرسه، وأصاب الراجل ألفا [(١)].

ولما قصد المسلمون وهم عشرون ألفا إفريقية، وعليهم عبد الله بن أبي السرح، وفي جيشه عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير؛ تصدى لهم ملك البربر المسمى بجرجير في عشرين ومائة ألف، وقيل مائتي ألف، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه، ولا أخوف عليهم منه.

قال عبد الله بن الزبير: فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي السرح، فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري فأقصد الملك، فجهز معي جماعة من الشجعان، فأمر بهم فحموا ظهري، وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه، وهم يظنون أني في رسالة إلى الملك، فلما اقتربت منه أحس مني الشر ففر على برذونه، فلحقته فطعنته برمحي، وذففت عليه بسيفي، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت، فلما رأى ذلك

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٩٧.

البربر تفرقوا، وفروا كفرار القطا، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فغنموا غنائم جمة وأموالا كثيرة، وسبيا عظيما، وذلك ببلد يقال له سبيطلة على يومين من القيروان، فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير ﷺ[1].

وفي عهده حدثت معركة ذات الصواري سنة إحدى وثلاثين للهجرة حيث جمع قسطنطين بن هرقل الروم ومعهم البربر لقتال عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وساروا إلى المسلمين في جمع لم ير مثله، وقد خرجوا في خمسمائة مركب، وقصدوا عبد الله بن أبي السرح ﷺ في أصحابه ببلاد المغرب، فلما تراءى الجمعان بات الروم يصلبون بصلبانهم ابتهالا، وبات المسلمون يصلون ويقرءون القرآن، فلما أصبحوا صف عبد الله بن أبي السرح أصحابه صفوفا في المراكب، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن، وكانت الريح مع الروم والبربر، ثم سكنت الريح، فقال لهم المسلمون إن شئتم القتال، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهرب قسطنطين وجيشه، وأقام عبد الله بن أبي السرح بذات الصواري أياما، ثم رجع منصورا مظفرا[2].

وقد قام عثمان ﷺ بتوسعة المسجد النبوي، وبناء أول أسطول بحري، وجمع القرآن مرة ثانية حيث كلف بذلك ثلاثة من قريش، وواحدا من الأنصار، أما القرشيون فهم عبد الله بن الزبير ﷺ، وسعيد بن العاص ﷺ، وعبد الرحمن بن الحارث ﷺ، وأما الأنصاري فهو زيد

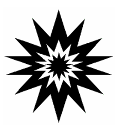
---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٥٢/٧.

(٢) السابق ١٥٧/٧.

ابن ثابت ﵁[١].

ولما كتبت المصاحف العثمانية وأرسلت إلى البلاد الإسلامية، لم يكتف عثمان ﵁ بإرسالها إلى الأمصار وحدها لتكون الملجأ والمرجع، بل أرسل مع كل مصحف عالما من علماء القراءة يعلم المسلمين القرآن وفق هذا المصحف، وعلى مقتضاه، فأمر زيد بن ثابت ﵁ أن يقرئ من بالمدينة، وبعث عبد الله بن السائب ﵁ إلى مكة، والمغيرة بن شهاب ﵁ إلى الشام، وعامر بن عبد القيس ﵁ إلى البصرة، وأبا عبد الرحمن السلمي ﵁ إلى الكوفة، وترك عنده في المدينة مصحفا سادسا وهو الذي يسمى بالمصحف الإمام[٢].



(١) البخاري في المناقب، باب نزل القرآن بلسان قريش ١٢٩١/٣ (٣٣١٥).

(٢) انظر تاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص٧٥، نشره مصطفى محمد يغمور بمكة، طبع للمرة الأولى بمطبعة الفتح بجدة عام ١٣٦٥هـ و١٩٤٦م، وانظر جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة للدكتور علي بن سليمان العبيد.

المطلب الثاني

دواعي المحن وما حدث من الفتن بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا فيما سبق عن أثر الانحراف عن منهج الوسطية وتأثير الحاقدين والمنافقين في ظهور الفرق الإسلامية، وبينا شرح حديث حذيفة بن اليمان ﷺ في اعتزال الفرق، وأن الدعوة إلى وحدة الأمة ليست مبررا للتوافق مع أصحاب الفرق الضالة، وأن أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية وهم الطائفة المنصورة، وأجملنا عقيدتهم التي دانوا بها لرب العزة والجلال.

ثم علمنا كيف تبدأ الفرق في الظهور والاستقلال الموجب لعدها فرقة؟ وكيف ظهر الخلاف والتفرق بين أبناء الأمة الإسلامية؟ ثم تناولنا أحداث السقيفة والبيعة بين توقير الصحابة وافتراءات المغرضين، وأن التوفيق الذي لازم الصديق وعمر في إخضاع المرتدين آثار الحاقدين، وأن الحقد المجوسي على عزة الإسلام كان سببا في مقتل عمر بن الخطاب، ثم تناولنا قصة الشورى بين توقير الصحابة وافتراءات المغرضين، وعلمنا أن النصر في عصر عثمان بن عفان أثار الحقد اليهودي والمجوسي وغوغاء الناس.

وفي هذه المطلب نتناول الحديث عن دواعي المحن، وما حدث من الفتن بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ [١].

- **الأسباب الداعية لمقتل الخليفة عثمان أحد العشرة المبشرين بالجنة.**

بدأت الفتنة سنة أربع وثلاثين من الهجرة عندما حاول بعض الجهلة الغوغاء أن يخرجوا على عثمان بن عفان ﷺ، فأنبهم على فعلهم وتركهم، ولكنهم لم يعتبروا، بل تمادوا مرة ثانية سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وخرجوا من ديارهم كأنهم يريدون الحج، ومروا على المدينة ثم حاصروا عثمان ﷺ في بيته حتى قتلوه شهيدا بعد حصار دام أربعين يوما، ومنع خلالها من كل شيء حتى الصلاة في المسجد.

والسبب الأول في الفتنة كان رجلا يهوديا يقال له عبد الله بن سبأ، وقد اتفق المتقدمون على إثبات هذه الشخصية، بل نسبوا إليه فرقة من الفرق تسمى السبئية، ونسبوا إليها معتقدات خاصة بها.

وبعض الناس يحاولون إنكار وجود ابن سبأ كمرتضى العسكري في كتاب له سماه "عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى". وكذلك طه حسين أنكر أيضا وجود ابن سبأ في كتابه "علي وبنوه" ولم يزد طه حسين على طريقته المعتادة في إنكار اليقينيات والمسلمات كما في كتابه " في الشعر الجاهلي" حيث أنكر أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قد بنيا الكعبة قائلا: للقرآن أن يحدثنا عن هذا، ولكن لا يلزم أنه وقع.

وقد تواتر عند أهل السنة وكل من أرخ لهذه الحقبة حقيقة وجود

---

(١) المرجع لهذا المطلب كتاب حقبة من التاريخ للشيخ عثمان بن محمد الخميس حفظه الله بتصرف مناسب لطلاب العلم.

ابن سبأ وأثره فيها، على أنه لم ينكر وجود ابن سبأ إلا المتأخرون من كتاب الشيعة، وتابعهم عليه كتاب السنة الذين يجهلون ما يرمي إليه الشيعة في إنكارهم لهذه الشخصية.

وعبد الله بن سبأ رجل يهودي يمني أظهر الإسلام وأبطن إفساد المسلمين بالوقيعة والفتن، وما فعله من الفتن يشبه ما فعله بولس اليهودي حين عذب أتباع عيسى عليه السلام ثم أعلن توبته ونصرانيته، ثم غالى في المسيح ودعا إلى ألوهيته، وأنه صلب ليخلص الناس من خطاياهم، فأدخل الشرك إلى النصرانية وبقيت عقيدتهم المعروفة بالضلال إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة، ولولا أن الله عز وجل تكفل بحفظ دينه لضاع الحق ولم يبق شيء من قرآن ولا سنة، بسبب ما فعله اليهودي ابن سبأ حين انتهج التشيع لعلي وقال بألوهيته، وتبعه السبئية الذين جاءوا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وقالوا له: أنت هو. قال: ومن هو؟ قالوا: أنت الله، فأمر مولاه قنبرا بأن يحفر حفرة، ويشعل فيها النار ليلقي فيها من لم يرجع عن ذلك، وقال رضي الله عنه:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا .. أجحت ناري ودعوت قنبرا [1].

قال عليٌّ رضي الله عنه: من لم يرجع عن هذا القول أحرقته بالنار. فأحرق الكثيرين منهم، وفر منهم من فر، ومنهم عبد الله بن سبأ. وقيل: إنه قتل، والعلم عند الله تبارك وتعالى. وقد أظهر ابن سبأ بعض العقائد

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة ٢٥٣٧/٦ (٦٥٢٤). وتفصيل القصة ذكرها ابن حجر في شرحه للحديث ثم قال: وسنده حسن، انظر فتح الباري لابن حجر ٢٧٠/١٢، والشريعة للآجري ١٩٨٨/٤.

اليهودية الأخرى كالقول بالرجعة وأن عليا ﷺ هو الوصي، وأن الإمامة تكون في بيته من بعده وغير ذلك.

وكذلك استغل هذا اليهودي غوغاء الأعراب فأخذ يشيع عندهم الأكاذيب مدعيا أن عثمان ﷺ فعل كذا وكذا من الباطل، وكتب ابن سبأ كتبا مزورة هو ومن ساعده، زورها هذا اليهودي على لسان الزبير، وعلي، وطلحة، وعائشة، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ، وكانوا يختمونها بأختام مزورة، كلها فيها الإنكار على عثمان ﷺ والتذمر من سياسته، ولم يكن في السابق من وسائل الاتصال ما يمكن من خلاله التوثيق والتثبت كما هو الآن، والمتلقون للرسائل أعراب تأتيهم هذه الأخبار فيقبلونها ويصدقونها، فصدقه كثيرون من ذوي الشقاق والحقد والنفاق، وأخذوا يرددون أباطيله بين الناس على أنها آراء الصحابة الكبار في عثمان بن عفان ﷺ.

وكان عبد الله بن سبأ اليهودي يقول لحديثي السن وقليلي العلم والفقه: عجبا لمن يزعم أن عيسى ﷺ يرجع، ويكذب بأن محمدا ﷺ يرجع، وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ القصص:٨٥، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. وكان يقول: كان فيما مضى ألف نبي، ولكل نبي وصي، وإن عليا وصي محمد. فاستجاب له ناس في مختلف الطبقات، فاتخذ بعضهم دعاة، فهموا أغراضه ودعوا إليها، وآخرون صدقوا قوله، فصاروا يدعون إلى قوله عن عمى.

ومن دعاته الذين ساهموا في نشر دعوته رجل يسمي الغافقي بن حرب، وعبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر، وسودان بن

حمران، وعبد الله بن زيد بن ورقاء، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وحرقوص بن زهير، وحكيم بن جبلة، وقتيرة السكوني وغيرهم من الغوغاء والمنافقين [١].

- **من أبرز الأسباب الداعية لمقتل عثمان بن عفان الرسائل الملفقة.**

كان من أبرز الأسباب الداعية لمقتل عثمان ﷺ كثرة الرسائل الملفقة وتزوير الكتب، فقد روي عن مسروق أن عائشة رضي الله عنها قالت عن مقتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، فقال لها مسروق: هذا عملك، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه، فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت لهم سوادا في بياض حتى جلست مجلسي هذا. قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها [٢].

كتبت كتب مزورة على ألسنة أصحاب رسول الله ﷺ، كلها تذم عثمان بن عفان ﷺ وتدعو لعزله والخروج عليه، وكان عبد الله بن سبأ له أتباع في شتى الولايات، وكانوا يرسلون إليه ويرسل إليهم، ويرسل بعضهم إلى بعض أن فعل بنا الوالي كذا بأمر عثمان. وفعل بنا الوالي كذا بأمر عثمان. وذهبنا إلى المدينة ففعل عثمان بنا كذا. وعثمان

---

(١) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص٣١٨، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ١٤٠٤هـ.

(٢) رواه خليفة بن خياط في تاريخه ١/١٧٦ تحقيق د. أكرم ضياء العمري، نشر دار القلم مؤسسة الرسالة دمشق، بيروت ١٣٩٧، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/٨٢، نشر دار صادر بيروت. وقال ابن كثير: إسناده صحيح، انظر البداية والنهاية ٧/١٩٥، نشر مكتبة المعارف بيروت.

فعل بأصحاب محمد ﷺ كذا. وجاءتنا رسالة من الزبير بن العوام ﷺ ينكر على عثمان، وجاءنا خطاب من علي بن أبي طالب ﷺ. وجاءنا كتاب من أم المؤمنين عائشة. وجاءنا كذا وكذا. فصار الأعراب الذين لا يفقهون من دين الله إلا الشيء اليسير يتأثرون بهذه الأمور، فغلت على عثمان ﷺ القلوب حتى عزموا على التخلص منه.

كما أن الرخاء الذي أصاب الأمة الإسلامية مع كثرة الغنائم وطول الاستقرار كان عاملا في تنافس أهل الأهواء على الدنيا وطمعهم فيها فلا يعجبهم إلا ما كان على أهوائهم. قال الحسن البصري رحمه الله: (قلما يأتي على الناس يوم إلا ويقتسمون فيه خيرا، حتى إنه ينادى تعالوا عباد الله، خذوا نصيبكم من العسل، تعالوا عباد الله، خذوا نصيبكم من المال) [١].

وذلك لأن الجهاد كان في أوجه زمن عثمان ﷺ، والرخاء من عادته أن يورث مثل هذه الأشياء عند البعض لبطرهم وعدم شكرهم، فكان التذمر وعدم القبول يحدث كثيرا ممن لم ينل من الغنائم ما يشتهيه، كما أن عمر بن الخطاب ﷺ كان شديدا، وكان عثمان ﷺ حليما رءوفا، غير أنه لم يكن ضعيفا كما يدعي كثير من الناس، بل كان رجلا حليما، ولذلك عندما حاصروه في البيت قال: أتدرون ما جرأكم علي؟ ما جرأكم علي إلا حلمي[٢].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢١٤، وانظر تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين للدكتور محمد أمحزون ١/٣٦٠ نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، مكتبة الكوثر الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٢/٥٩٥، وتحقيق مواقف الصحابة في الفتنة ١/٣٦٣.

وقال عبد الله بن عمر ﷺ: والله لقد نقموا على عثمان ﷺ أشياء، لو فعلها عمر ما تكلم منهم أحد[١].

إذن لماذا نقموا على عثمان؟ نقموا عليه لأن عثمان ﷺ كان يسامح ويترك ويعفو عن تلك الأخطاء ﷺ. أضف إلى ذلك أن القبائل العربية التي دخلت في الإسلام وبخاصة تلك التي ارتد بعض رجالها عن دين الله ثم رجعوا بعد أن قوتلوا، بعضهم رجع إلى الإسلام عن قناعة وتوبة وبعضهم رجع من غير قناعة، وبعضهم رجع وفي القلب شيء من نفاق، لأنهم استثقلوا أن تكون الرئاسة دائما في قريش؛ ولذلك قال ابن خلدون: (وَجِدَت بعض القبائل العربية الرئاسة على قريش، وأنفت نفوسهم، فكانوا يظهرون الطعن في الولاة، ووجدوا في لين عثمان ﷺ فرصة لذلك)[٢].

• المآخذ التي أخذها الغوغاء على عثمان بن عفان ﷺ وأجوبتها.

وروى البخاري من حديث أبي موسى ﷺ أنه قال: (استَفتَحَ عُثمَانُ عَلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَال: افتح وَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ عَلى بَلوَى تَكونُ) [٣].

روى أحمد من حديث عبد الرحمن بن سمرة ﷺ أنه قال: (جَاءَ عُثمَانُ بنُ عَفَّانَ إلى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلفِ دِينَار فِي ثوبِهِ حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور محمد محزون ص٣٦٣.

(٢) انظر العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن صاحبهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون ٢/١٠٢٦، نشر دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٦هـ /١٩٦٦هـ، وانظر تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة ١/٣٦٥.

(٣) البخاري في الأدب، باب من نكت العود في الماء والطين ٥/٢٢٩٥ (٥٨٦٢)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان ٤/١٨٦٧ (٢٤٠٣).

جَيشَ العُسرَةِ، فَصَبَّهَا فِي حِجرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَل النَّبِيُّ ﷺ يُقَلبُهَا وَهُوَ يَقُول: مَا ضَرّ ابنَ عَفَّانَ مَا عَمِل بَعدَ اليَومِ، يُرَدِّدُ ذلكَ مِرَارا) [١].

وروى البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: (صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُدا وَمَعَهُ أَبُو بَكر، وَعُمَرُ، وَعُثمَانُ فَرَجَفَ، فقَال: أُسكُن أُحُدُ، فَليسَ عَليكَ إِلا نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ) [٢].

على الرغم من أن النبي ﷺ شهد لعثمان رضي الله عنه وبشره بالجنة إلا أن الحاقدين من السبئية والغوغاء أشاعوا مآخذ على حكم عثمان رضي الله عنه رغبة في انتقاصه والوقيعة فيه، وفتنة الناس وتحريضهم على خلعه أو قتله، فزعموا أنه يولّي أقاربه، وأنه نفي أبا ذر إلى الربذة، وأنه أعطى مروان بن الحكم خمس إفريقية، وأنه أحرق المصاحف وجمع الناس على مصحف واحد، وأنه ضرب ابن مسعود رضي الله عنه حتى فتقت أمعاؤه، وضرب عمار بن ياسر رضي الله عنه حتى كسرت أضلاعه، وأنه زاد في الحِمَى، وأتم في السفر، وغاب عن غزوة بدر، وفر من المعركة يوم أحد، وغاب عن بيعة الرضوان، ولم يقتل عبيد الله بن عمر رضي الله عنه بقتله للهرمزان.

وهناك أشياء أخرى كقولهم إنه صعد إلى درجة رسول الله ﷺ في المنبر، فكان النبي ﷺ يخطب على الدرجة الثالثة، فلما جاء أبو بكر نزل إلى الثانية، ولما جاء عمر نزل إلى الأولى، ولما جاء عثمان صعد إلى الثالثة، وهكذا استمر الأمر إلى يومنا هذا. وقالوا كذلك كان عمر رضي الله عنه يضرب بالدرة، فصار هو يضرب بالسوط. وقالوا آذى أبا الدرداء من

---

(١) رواه أحمد ٥/٦٣ (٢٠٦٤٩)، وقد حسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٦٠٦٤).

(٢) رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان ٣/١٣٥٣ (٣٤٩٦).

أصحاب النبي ﷺ، وغيرها من الأمور التي أكثرها كذب على عثمان بن عفان ﷺ.

وجواب ذلك أن يقال: أما أقارب عثمان الذين ولاهم ﷺ فهم معاوية، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، والوليد بن عقبة، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر رضي الله عنهم جميعا، هؤلاء خمسة ولاهم عثمان ﷺ وهم من أقاربه، وهذا في زعمهم مطعن عليه، فلننظر إلى باقي ولاة عثمان ﷺ وهم أبو موسى الأشعري، والقعقاع بن عمرو، وجابر المزني، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبو الأعور السلمي، وحكيم بن سلامة، والأشعث بن قيس، وجرير بن عبد الله البجلي، وعتيبة بن النهاس، ومالك بن حبيب، والنسير العجلي، والسائب بن الأقرع، وسعيد بن قيس، وسلمان بن ربيعة، وخنيس بن خبيش، هؤلاء هم ولاة عثمان ﷺ. وبنظرة سريعة نجد أن عدد الولاة من أقارب عثمان أقل بكثير من غيرهم، وبخاصة إذا علمنا أن النبي ﷺ كان يولي بني أمية أكثر من غيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (لا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بني أمية؛ لأنهم كانوا كثيرين، وفيهم شرف وسؤدد) [١].

والولاة الذين ولاهم النبي ﷺ واستعملهم من بني أمية هم عتاب بن أسيد، وأبو سفيان بن حرب، وخالد بن سعيد، وعثمان بن سعيد، وأبان بن سعيد، هؤلاء خمسة كعدد الذين ولاهم عثمان ﷺ.

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١٩٢/٦.

ثم يقال بعد ذلك: إن هؤلاء الولاة لم يتولوا كلهم في وقت واحد بل كان عثمان ﷺ قد ولى الوليد بن عقبة، ثم عزله، فولى مكانه سعيد بن العاص، فلم يكونوا خمسة في وقت واحد، وأيضا لم يتوف عثمان ﷺ إلا وقد عزل أيضا سعيد بن العاص [١].

وعندما توفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة، وهم معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن عامر بن كريز فقط. وهنا أمر يجب التنبه إليه وهو أن عثمان ﷺ عزل الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص من الكوفة!

ومعلوم أن أهل الكوفة أهل تمرد ونفاق، ولا ترضى نفوسهم بوال أبدا، وقد عزل منها عمر سعد بن أبي وقاص ﷺ وعزل ابن مسعود ﷺ، وعزل عثمان منها أبا موسى والوليد بن عقبة وغيرهما، والكوفة هي التي دعا علي ﷺ على أهلها، وغدر أهلها بالحسن بن علي ﷺ، ونقض أهلها العهد مع مسلم بن عقيل ﷺ، وأخيرا وليس آخرا هي التي قتل أهلها الحسين بن علي ﷺ! فالكوفة أهل شقاق ونفاق مع حكامها، ومن ثم فإن عزل عثمان ﷺ لأولئك الولاة لا يعتبر مطعنا فيهم ولا فيه، بل يعتبر مطعنا في أهل المدينة التي ولوا عليها. وقد أثبت هؤلاء الولاة كفاءتهم كما شهد بذلك أهل العلم، ويكفي أن نذكر أن عبد الله بن سعد بن أبي السرح ﷺ هو صاحب الفتوحات الكثيرة في بلاد إفريقية. قال عنه الإمام الذهبي: (لم يتعد، ولا فعل ما ينقم عليه بعد أن أسلم عام الفتح، وكان أحد عقلاء الرجال وأجوادهم) [٢].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٦٣٧/٢ وما بعدها.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤/٣.

ثم يقال كذلك إن علي بن أبي طالب ﷺ ولّى أقاربه كعبد الله وعبيد الله وقثم وتمام أبناء العباس، وربيبه محمد بن أبي بكر، وعبد الرحمن بن هبيرة ابن اخته أم هانئ، ولم ينقم عليه أحد، ولا ننقم عليه نحن أيضا [١].

كما أن الذين نقموا على تولية عثمان ﷺ لأقاربه أحد اثنين إما سني وإما شيعي، فأما الشيعي فيرد عليه بأن علي بن أبي طالب ﷺ ولى أقاربه أيضا، فالأمر سواء؛ فإذا كانت تولية عثمان ﷺ لأقاربه تعد مطعنا عليه، فكذلك تولية علي ﷺ لأقاربه لابد أن تكون مطعنا عليه، وإن لم تكن مطعنا على علي ﷺ فليست بمطعن على عثمان ﷺ، بل إن الذين ولاهم عثمان ﷺ أفضل من الذين ولاهم علي بن أبي طالب ﷺ أجمعين باستثناء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وأما إذا كان الذي ينكر على عثمان ﷺ سنيا؛ فيقال له: أنت بين أمرين اثنين، أحدهما أن عثمان ﷺ ولاهم محاباة لهم، ولم يكونوا أهلا للولاية، وثانيهما أن تقول: إن عثمان كان يظن أنهم يستحقون الولاية ولذلك ولاهم. والأصل إحسان الظن في أمثال عثمان ﷺ، ثم بعد ذلك كله ننظر في سير أولئك الولاة الذين ولاهم عثمان ﷺ، فنجدهم على المحبة لله ورسوله وعلو الدرجة في الإيمان.

أما المأخذ الثاني وهو نفي عثمان بن عفان ﷺ لأبي ذر ﷺ إلى الربذة، فالرواية التي عند الطبري وغيره من رواية سيف بن عمر الضبي

---

(١) انظر تاريخ خليفة بن خياط ص٢٠٠ تحقيق د. أكرم ضياء العمري، نشر دار القلم، ومؤسسة الرسالة دمشق بيروت ١٣٩٧هـ.

الرافضي الكذاب أن معاوية ﷺ وقع بينه وبين أبي ذر الغفاري ﷺ كلام، فأرسل إلى عثمان ﷺ أن أبا ذر قد أفسد الناس علينا، فقال له عثمان: أرسله إلي، فأرسله معاوية إلى عثمان، فأنبه عثمان ﷺ ثم خرج إلى الربذة (١).

هذه رواية سيف بن عمر الذي جرحه جميع المحدثين، أما ما أخرجه البخاري في صحيحه في هذه المسألة عن زيد بن وهب أنه قال: مررت بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر ﷺ قلت: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في الذين يكنزون الذهب والفضة، فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب. وقلت أنا: نزلت فينا وفيهم، وكان بيني وبينه في ذلك، فكتب إلى عثمان ﷺ يشكوني أني أتكلم في هذه المسائل وأثير الناس، فكتب إلي عثمان ﷺ أن اقدم المدينة فقدمتها، فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال عثمان ﷺ: إن شئت تنحيت فكنت قريبا، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت (٢).

ومن ثم لم يطرد عثمان بن عفان ﷺ أبا ذر إلى الربذة، ولم يرسله معاوية مهانا من الشام إلى المدينة، وكل هذا من الكذب عليهم.

أما ما أخذوه على عثمان من إعطاء مروان بن الحكم خمس

---

(١) تاريخ الطبري ٦١٥/٢ نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز ٥٠٩/٢ (١٣٤١). والربذة موضع على ثلاث مراحل من المدينة فيه قبر أبي ذر ﷺ فكان بيني وبينه في ذاك نزاع فيمن نزلت هذه الآية، كثر علي الناس يسألونه عن سبب خروجه من دمشق وعما جرى بينه وبين معاوية، وتنحيت اعتزلت وتباعدت.

إفريقية، فلم يثبت أن عثمان ﷺ فعل هذا، ولو كان فعل هذا فإن المقصود هو خمس الخمس، وذلك أن الغنيمة تقسم خمسة أخماس، أربعة فيها للمجاهدين، وخمس يقسم إلى خمسة أخماس، ذكرها الله في كتابه فقال: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾الأنفال:٤١. فسهم الله ورسوله للإمام يضعه حيث شاء، والذي ذكروه هو أن عثمان ﷺ وعد مروان إذا فتح إفريقية فإنه سيهبه خمس إفريقيا الخاص به، وقد مر في فتح إفريقية أنه إنما جعله مكافأة لعبد الله بن أبي السرح إذا فتح إفريقية.

- **لماذا جمع عثمان المسلمين على المصحف الإمام وأحرق ما سواه؟**

وأما إحراق المصاحف فقد قدم حذيفة بن اليمان على عثمان ﷺ وأخبره أن الناس قد افترقوا في القرآن، واختلفوا اختلافا شديدا، حتى إنه يخشى عليهم من الكفر بالقرآن، فطلب من عثمان ﷺ أن يجمع الناس على قراءة واحدة، وأن يجمع القرآن مرة ثانية، فأمر عثمان ﷺ بجمع القرآن مرة ثانية[1]، وأمر بإحراق ما خالفه، والمصاحف التي أحرقها عثمان ﷺ فيها أشياء من منسوخ التلاوة، وقد أبقاه بعض الصحابة ﷺ، وفيها ترتيب السور على غير الترتيب الذي في العرضة الأخيرة التي عرضها جبريل على النبي ﷺ، وفي بعض المصاحف تفسيرات لبعض الصحابة، لذلك أمر عثمان ﷺ بإحراق تلك المصاحف، وكتب المصحف الوحيد وفيه القراءات، ولم يلغ القراءات الثابتة عن النبي ﷺ، فهذه منقبة لعثمان ﷺ وإن جعلها المغرضون من

(١) البخاري في فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٤/١٩٠٨ (٤٧٠٢).

مساوئه ومثالبه.

وأما ضرب ابن مسعود ﷺ حتى فتق أمعاءه، وضرب عمار بن ياسر ﷺ حتى كسر أضلاعه، فهذا كذب وافتراء؛ ولو فتق أمعاء ابن مسعود ﷺ ما عاش، فما فتق أمعاء ابن مسعود ولا كسر أضلاع عمار رضي الله عنهم جميعا.

وأما الزيادة في الحمى النبي ﷺ كان له حمى، وقال: إنما الحمى حمى الله ورسوله[١]. وقد وضع عمر حمى لإبل الصدقة، وضع لهم أرضا خاصة لا يرعى فيها إلا إبل الصدقة، حتى تسمن ويستفيد منها الناس، فلما جاء عثمان ﷺ وكثرت الصدقات، وسع هذا الحمى فنقموا عليه ذلك حتى قيل له: أرأيت ما حميت من الحمى، آلله أذن لك أم على الله تفتري؟ فقال عثمان ﷺ: إن عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى [٢].

وأما الإتمام في السفر فقد صلى عثمان ﷺ صدرا من خلافته في السفر ركعتين ثم أتم في السفر، وهذه مسألة فقهية اجتهادية اجتهد فيها عثمان ﷺ ولا شيء عليه، فهل هذا الأمر يبيح دم عثمان؟

وأكثر أهل العلم على أن القصر في الصلاة مستحب، ولما أتمت عائشة رضي الله عنها في السفر قالوا لعروة: ماذا أرادت عائشة؟ قال: تأولت كما تأول عثمان ﷺ أجمعين[٣].

---

(١) الحِمى هو موضع االعشب يحميه الإمام فلا يرعى فيه أحد ، والحديث رواه البخاري في المساقاة، باب لا حمى إلا لله ولرسوله ﷺ ٢/٨٣٥ (٢٢٤١).

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ١/٤٧٠ (٧٦٥).

(٣) البخاري في أبواب تقصير الصلاة، باب في كم يقصر الصلاة ١/٣٦٩ (١٠٤٠).

وأما احتجاجهم بأن عثمان لم يحضر بدرا، وفر يوم أحد، وغاب عن بيعة الرضوان، فالرد على هذا ورد في صحيح البخاري عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر فقال: من القوم؟ قالوا: قريش، قال: من الشيخ فيكم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، فجاء لعبد الله بن عمر، فقال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان؟ قال: نعم. فقال المصري: الله أكبر، يعني ظهر الحق الذي يريده. فقال عبد الله بن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له كما قال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾ آل عمران: ١٥٥.

وأما تغيبه عن بدر، فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال النبي ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعثه الرسول ﷺ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فقال ابن عمر: اذهب بها الآن معك [1].

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان ١٣٥٢/٣ (٣٤٩٥). ومعنى لبعثه مكانه أي لبعثه النبي ﷺ بدل عثمان، فبيعة الرضوان ما تمت إلا انتقاما لعثمان لما بلغ النبي ﷺ أن عثمان قد قتل، فبايع النبي ﷺ أصحابه بيعة الرضوان على الانتقام لعثمان ﷺ إن كان قد صح قتله.

وأما أنه لم يقتل عبيد الله بن عمر قصاصا لقتله للهرمزان، فالمشهور في كتب التاريخ أنه بعدما قتل أبو لؤلؤة المجوسي عمر بن الخطاب ﷺ قتل نفسه، لما ألقوا العباءة عليه[١]، فلما أصبح الناس قام عبيد الله بن عمر ﷺ فقتل رجلا يقال له الهرمزان[٢]، وكان مجوسيا فأسلم، فلما قيل له؟ قال: كان مع أبي لؤلؤة المجوسي قبل مقتل عمر بثلاثة أيام وبينهما الخنجر الذي قتل به عمر، فظن أن الهرمزان مشارك لأبي لؤلؤة في هذه الجريمة فذهب إليه وقتله[٣].

وروى ابن سعد بسند صحيح عن سعيد بن المسيب أنه قال: إن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال حين قتل عمر: قد مررت على أبي لؤلؤة قاتل عمر ﷺ ومعه جفينة والهرمزان وهم نُجي، أي يتناجون، فلما بغتهم ثاروا، أي قاموا، فسقط من بينهم خنجر له رأسان ونصابه وسطه، فانظروا ما الخنجر الذي قتل به عمر ﷺ، فوجدوه الخنجر الذي نعت عبد الرحمن بن أبي بكر، فانطلق عبيد الله

---

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب قصة البيعة ١٣٥٣/٣ (٣٤٩٧).

(٢) الهرمزان قائد فارسي مشهور، كان ميمنة رستم في القادسية ثم هرب بعد هلاك رستم، ثم ملك خورستان، وقاتل المسلمين ولما رأى عجزه طلب الصلح فأجيب إليه، ولكنه غدر وقتل مجزأة بن ثور، والبراء بن مالك، فقاتله المسلمون وأسروه وساقوه إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فأسلم فأسكنه أمير المؤمنين المدينة. انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٠٧/٢، ٣٨٩/٢، ٤٦٦/٢ تحقيق عبد الله القاضي، نشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ.

(٣) انظر سنن البيهقي الكبرى ٦١/٨ (١٥٨٦٢) تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٦٢/٣٨ تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، نشر دار الفكر بيروت ١٩٩٥م، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥٤/٥.

بن عمر ﷺ فلما خرج إليه، أي الهرمزان قال: انطلق معي حتى ننظر إلى فرس لي، وتأخر عنه حتى إذا مضى بين يديه علاه بالسيف، قال عبيد الله: فلما وجد حر السيف قال: لا إله إلا الله، قال عبيد الله: ودعوت جفينة، وكان نصرانيا من نصارى الحيرة، فلما علوته بالسيف صلب بين عينيه.

ثم انطلق عبيد الله فقتل ابنة لأبي لؤلؤة صغيرة تدعي الإسلام، وأراد عبيد الله ألا يدع سبيا بالمدينة إلا قتله، فاجتمع المهاجرون الأولون عليه فنهوه وتوعدوه، فقال: والله لأقتلنهم وغيرهم، وعرض ببعض المهاجرين فلم يزل عمرو بن العاص به حتى دفع إليه السيف، فلما دفع إليه السيف أتاه سعد بن أبي وقاص فأخذ كل واحد منهما برأس صاحبه يتناصيان حتى حجز بينهما.. ثم حجز بينه وبين عثمان، فلما استخلف عثمان دعا المهاجرين والأنصار، فقال: أشيروا علي في قتل هذا الرجل الذي فتق في الدين، فاجتمع المهاجرون على كلمة واحدة يشايعون عثمان ﷺ على قتله.

وكان جل الناس الأعظم مع عبيد الله يقولون لجفينة والهرمزان أبعدهما الله، لعلكم تريدون أن تتبعوا عمر ابنه؟ فكثر في ذلك اللغط والاختلاف، ثم قال عمرو بن العاص لعثمان: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر قد كان قبل أن يكون لك على الناس سلطان فأعرض عنهم، وتفرق الناس عن خطبة عمرو، وانتهى إليه عثمان، وودي الرجلان والجارية [١].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٣٥٥ وما بعدها، نشر دار صادر بيروت.

وهنا ثلاثة توجيهات لعدم قتل عثمان بن عفان ﷺ لعبيد الله بن عمر قصاصا بسبب قتله الهرمزان[١]:

الأول: أن الهرمزان تمالأ مع أبي لؤلؤة على قتل عمر ﷺ كما رآهما عبد الرحمن بن أبي بكر، وبهذا يكون مستحقا للقتل كما قال عمر: لو تمالأ أهل صنعاء على قتل رجل لقتلتهم به[٢]، فهنا يكون دم الهرمزان مباحا؛ لأنه شارك في قتل عمر ﷺ.

الثاني: أن النبي ﷺ لم يقتل أسامة بن زيد ﷺ لما تأول في عهده، وذلك أنه في إحدى المعارك رأى رجلا من المشركين قد قتل من المسلمين الكثير، فذهب إليه فلما رآه المشرك فر منه ثم اختبأ خلف شجرة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله فقتله أسامة، فلما بلغ النبي ﷺ هذا الأمر استدعى أسامة فقال: أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله، قال: إنما قالها تعوذا يعني خائفا من السيف، فقال النبي ﷺ: هلا شققت عن قلبه يقول: فما زال يرددها علي قتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟! حتى تمنيت أني لم أسلم إلا الآن[٣].

والحديث واضح في أن النبي ﷺ لم يقم الحد على أسامة؛ لأنه كان متأولا، فكذلك الحال بالنسبة لعثمان ﷺ لم يقم الحد على عبيد الله بن عمر، لأنه كان متأولا.

---

(١) انظر كتاب حقبة من التاريخ لفضيلة الشيخ عثمان الخميس حفظه الله تعالى، الباب الأول، المبحث الخامس، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

(٢) البخاري في الديات، باب إذا أصاب قوم من رجل ٦/٢٥٢٦.

(٣) انظر البخاري في الديات، باب قول الله تعالى ومن أحياها ٦/٢٥١٩ (٦٤٧٨)، ومسلم، في الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ١/٩٦ (٩٦).

الثالث: أن الهرمزان لم يكن له ولي، والمقتول الذي لا ولي له وليه السلطان، فتنازل عثمان عن القتل، وقيل: إن له ولدا يقال له القماذبان، وأنه تنازل عن دم عبيد الله بن عمر رضي الله عنه[1].

هذه هي المآخذ على عثمان رضي الله عنه كلها إما أمور مكذوبة، وإما محاسن وفضائل، وإما اجتهادات مقبولة، ولو رآها غيره أخطاء، فهي لعثمان بن عفان رضي الله عنه أمور مغفورة لأنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.

- **مقتل عثمان على يد الحاقدين من السبئية والمنافقين الغوغاء.**

بعد أن أثيرت هذه الأمور على عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج أناس من أهل البصرة وأناس من أهل الكوفة، وأناس من أهل مصر إلى المدينة في السنة الخامسة والثلاثين من هجرة النبي ﷺ يظهرون أنهم يريدون الحج، وقد أبطنوا الخروج على عثمان رضي الله عنه، واختلف في أعدادهم، فقيل: إنهم ألفان من أهل مصر، وألفان من أهل الكوفة، وألفان من أهل البصرة، وقيل: إن الكل ألفان، وقيل غير ذلك، وليست هناك إحصائية دقيقة، ولكنهم لا يقلون عن ألفين، ولا يزيدون عن ستة آلاف بأي حال من الأحوال.

وكان أولئك القوم من فرسان قبائلهم جاءوا لعزل عثمان رضي الله عنه إما بالتهديد وإما بالقوة، وحاصروا بيته في أواخر ذي القعدة، وأمروه أن يخلع نفسه من الخلافة، واستمر الحصار إلى الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم مقتل عثمان رضي الله عنه. وقيل: إن الحصار استمر أربعين يوما، وقيل

---

(١) قصة تنازل القماذبان عن قتل عبيد الله بن عمر للهرمزان في تاريخ الطبري ٢/٥٩٠ ولكنها من طريق سيف بن عمر الكذاب.

غير ذلك، ولكنه لا يزيد عن الواحد والأربعين يوما.

ولما حوصر عثمان ﷺ في بيته ومنع من الصلاة، بل ومنع من الماء، فكان يصلي بالناس رجل من أئمة الفتنة، حتى إن عبيد الله بن عدي ﷺ دخل على عثمان ﷺ فقال: يصلي بالناس إمام فتنة، فما تأمرنا؟ قال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم [(١)].

وقد دخل بعض أصحاب رسول الله ﷺ بيت عثمان ﷺ كلهم يريد الدفاع عنه، وكان من أشهر الذين جلسوا عنده في بيته الحسن بن علي، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وأبو هريرة، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله، وعبد الله بن عمر، وقد شهروا سيوفهم في وجه أولئك البغاة الذين أرادوا قتل عثمان ﷺ [(٢)].

وجاءت أم المؤمنين صفية رضي الله عنها على بغلة يقودها مولاها كنانة، فلقيها الأشتر مالك بن الحارث النخعي الكوفي فضرب وجه بغلتها. فقالت: ردوني، لا يفضحني هذا الكلب[(٣)].

ولكن عثمان بن عفان ﷺ أمر الصحابة ﷺ بعدم القتال، بل إنه جاء في بعض الروايات أن الذين جاءوا للدفاع عن عثمان ﷺ أكثر من سبعمائة من أبناء الصحابة، ولكن حتى هؤلاء السبعمائة لا يصلون إلى

---

(١) رواه البخاري في الجماعة والإمامة، باب إمامة المفتون والمبتدع ٢٤٦/١ (٦٦٣).
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٨١/٧ نشر مكتبة المعارف بيروت.
(٣) التاريخ الكبرى للإمام البخاري ٢٣٧/٧ تحقيق السيد هاشم الندوي، نشر دار الفكر، والطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٨/٨.

عدد أولئك البغاة على القول بأن أقل عدد لهم كان ألفين.

وروى ابن أبي شيبة بسند صحيح من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة أنه قال: كنت مع عثمان ﷺ في الدار، فقال: إن أعظمكم غنى عندي من كف سلاحه ويده [1]. وذكر ابن أبي شيبة أيضا من حديث ابن سيرين أنه قال: جاء زيد بن ثابت إلى عثمان ﷺ فقال: هذه الأنصار بالباب، قالوا: إن شئت أن نكون أنصار الله مرتين، كما كنا مع النبي ﷺ نكون معك، فقال عثمان: أما قتال فلا [2].

وروى أحمد بسند صحيح من حديث ابن عمر ﷺ أنه دخل على عثمان، فقال عثمان: يا ابن عمر انظر ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلعها ولا تقتل نفسك، فقال ابن عمر: إذا خلعتها، أمخلد أنت في الدنيا؟ فقال عثمان: لا. قال ابن عمر ﷺ: فلا أرى أن تخلع قميصا قمصكه الله فتكون سنة، كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم خلعوه [3].

وعند ابن أبي شيبة من حديث ابن عمر ﷺ أنه قال: استشارني عثمان وهو محصور، فقال: ما ترى فيما يقول المغيرة بن الأخنس؟ قلت: ما يقول؟ قال: يقول إن هؤلاء القوم إنما يريدون أن تخلع هذا الأمر وتخلي بينهم وبينه. فقلت: أرأيت إن فعلت أمخلف أنت في الدنيا؟ قال: لا. قلت: أفرأيت إن لم تفعل، هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا.

---

(١) رواه سعيد بن منصور في سننه ٢/٣٨٨ (٢٩٤٥) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي نشر الدار السلفية بالهند ١٤٠٣هـ، وابن سعد في الطبقات ٣/٧٠.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/٥١٦ (٣٧٦٦٤).

(٣) روى هذا الأثر الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة ١/٤٧٣ (٧٦٧) وابن أبي شيبة في المصنف ٧/٥١٥ (٣٧٦٥٦)..

قلت: أفيملكون الجنة والنار؟ قال: لا. قلت: فإني لا أرى أن تسن هذه السنة في الإسلام، كلما استخطئوا أميرا خلعوه، ولا أن تخلع قميصا ألبسكه الله ﷻ.

ومن ثم فإن عثمان ﷺ هو الذي منع الناس من القتال، ومع هذا فقد أصيب أربعة من شبان قريش ملطخين بالدماء محمولين من جراء دفاعهم عن عثمان بن عفان ﷺ، وهم الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، ومحمد بن حاطب [١].

• هل كان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين أو الأنصار؟

بعد أن حوصر عثمان ﷺ، تسوروا عليه البيت فقتلوه وهو واضع المصحف بين يديه، قيل للحسن البصري: أكان فيمن قتل عثمان ﷺ أحد من المهاجرين أو الأنصار؟ فقال: كانوا أعلاجا من أهل مصر[٢].

ولكن رءوس القتلة الذين عرفوا بعد ذلك بمدة وكانوا قد باشروا قتله هم جبلة بن الأيهم، والأشتر مالك بن الحارث النخعي الكوفي، والغافقي بن حرب العكي المصري، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن حمران السكوني، وقيل هو عبد الله بن سبأ أو المسمى بالموت الأسود كان مدعيا لأسماء شتى، وعبد الله بن زيد بن ورقاء الخزاعي،.

وكان معهم حكم بن جبلة العبدي، وعبد الرحمن بن عديس البَلَوي التّجيبي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعروة بن النباع الليثي، وقتيرة

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ١٠٤٦/٣، وتحقيق علي محمد البجاوي دار النشر دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ، الطبعة الأولى،.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص١٧٦ بإسناد صحيح.

السكوني، وعمرو بن الأصم، وعبد الله بن الأصم، وزيد بن صوحان العبدي، وزياد بن النضر الحارثي، وحرقوص بن زهير السعدي، وذريح بن عباد العبدي، وبشر بن شريح، والحطم بن ضبيعة القيسي، وابن المحرش بن عبد عمرو الحنفي وغيرهم[١].

روى البخاري في التاريخ الكبير عن محمد بن سيرين أنه قال: كنت أطوف بالكعبة فإذا برجل يقول: اللهم اغفر لي، وما أظن أن تغفر لي، قال: فتعجبت منه، فقلت: يا عبد الله ما سمعت أحدا يقول مثل ما تقول، فقال الرجل: إني كنت قد أعطيت الله عهدا لئن مكنني من عثمان لأصفعنه، فلما قتل وضع في سريره في البيت، فكان الناس يأتون ويصلون عليه وهو في بيته، فدخلت أظهر أني أريد الصلاة، فلما رأيت أن البيت ليس فيه أحد كشفت عن وجهه فصفعته وهو ميت، فيبست يدي، قال ابن سيرين: رأيتها يابسة كأنها عود [٢].

وروى أحمد من حديث عمرة بنت أرطأة أنها قالت: خرجت مع عائشة سنة قتل عثمان ﷺ إلى مكة، فمررنا بالمدينة، فرأينا المصحف الذي قتل وهو في حجره، فكانت أول قطرة قطرت من دمه على أول هذه الآية: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾البقرة:١٣٧. قالت عمرة: فما

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٢/٦٥٢.

(٢) البخاري في التاريخ الكبير ٦/٣٩٩ تحقيق السيد هاشم الندوي، نشر دار الفكر، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٦/٢٨٨ نشر دار إحياء التراث العربي بيروت ١٢٧١هـ، والبداية والنهاية ٧/١٩١، ورجاله ثقات غير عيسى بن المنهال ذكره ابن حبان في الثقات ٧/٢٣٧.

مات منهم رجل سويا [1].

- **هل قتل عثمان بن عفان ﷺ ولم يدافع عنه أحد من الصحابة؟**

لقد كان عثمان ﷺ حريصا على عدم إراقة الدماء، فهو الذي عزم عليهم بهذا، فأمرهم أن يغمدوا سيوفهم ونهاهم عن القتال، واستسلم لقضاء الله وقدره، وهذا يدل على شجاعة عثمان ﷺ من جهة، ورحمته بأمة محمد ﷺ؛ لأنه أدرك أن أولئك أعراب أجلاف، وأنهم مفسدون في الأرض، فلو قاتلهم الصحابة ﷺ لكانت المفسدة أعظم من قتل رجل واحد، ولربما انتهى الأمر إلى قتل عدد كبير من الصحابة ﷺ، وقد يتعدون إلى انتهاك الأعراض، وانتهاب الأموال، فرأى أن المصلحة أن يصمد هو وحده ولو قتل، إيثار منه ألا يقتل أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا تهتك حرمة مدينة رسول الله ﷺ.

كما أن عدد الصحابة ﷺ كان أقل بكثير من عدد أولئك الخوارج، فإن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا متفرقين في مكة؛ والموسم موسم حج، وقد خرج الكثيرون للحج. كما أن بعض أصحاب النبي ﷺ تمصروا الأمصار فعاشوا في الكوفة والبصرة ومصر والشام وغيرها من البلاد، وكثير منهم كان في الجهاد والفتوحات، أما من كان منهم في المدينة فلم يكن عددهم مكافئا لعدد أولئك الخوارج.

ويضاف أيضا أن الصحابة ﷺ بعثوا أولادهم للدفاع عن عثمان وما كانوا يتصورون أن الأمر يصل إلى القتل، وإنما حصار وعناد، وبعد ذلك يرجعون، أما أنهم يتجرءون ويقتلون عثمان بن عفان ﷺ فكان

---

(١) المسند ١/٥٠١ (٨١٧)، وأخرجه أيضا في كتاب الزهد ص١٢٨.

بعض الصحابة لا يرى أن الأمر يصل إلى هذه الدرجة، وأرجح هذه الأقوال القول الأول، وهو أن عثمان ﷺ هو الذي منعهم من قتال أولئك الخوارج.

أخرج الحاكم وصححه عن قيس بن عبادة أنه سمع عليا يوم الجمل يقول: (اللهم إني ابرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاءوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحيي أن أبايع قوما قتلوا عثمان، وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما رجع الناس فسألوني البيعة قلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فقالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صدع قلبي، وقلت اللهم: خذ مني لعثمان حتى ترضى) [(١)].

• **أحداث ومحن اقترنت ببيعة علي بن أبي طالب بالخلافة.**

لما قتل الإمام المظلوم عثمان بن عفان ﷺ بقيت المدينة خمسة أيام لا أمير لها، يتولاها أحد قتلة عثمان ﷺ وهو الغافقي بن حرب المصري، وحوله السبئيون والغوغاء الذين تشاركوا في قتل عثمان، وقد كانت أهواء هؤلاء البغاة والطغاة والغوغاء مختلفة فيمن يجعلونه خليفة، فقوم يريدون طلحة ﷺ، وقوم يريدون الزبير ﷺ، وقوم يريدون عليّا ﷺ، وكل واحد من هؤلاء الصحابة الثلاثة يأبى وينكر لما يعرف من خبثهم وطغيانهم واشتراكهم في مؤامرة مدبرة، توافقوا فيها على قتل الخليفة، ثم لما يئس السبئية من الثلاثة الذين رفضوا

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١٠١/٣ (٤٥٢٧)، وانظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥٠/٣٩ نشر دار الفكر بيروت.

الخلافة ذهبوا إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ فاتح إيران، ومن ثم إلى عبد الله بن عمر ﷺ، فلم يكن جوابهما إلا ما أجاب به الثلاثة، وهذا ما ذكره أقدم المؤرخين كالطبري، ووافقه عليه ابن كثير وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم(١).

ولم تكن حيرة السبيئة وخوفهم إلا ليقينهم أنه لو قام خليفة دون مشورتهم، أو بغير رأي منهم لحكّم فيهم السيف، وأخذ منهم القصاص لعثمان بن عفان ﷺ، وقد صرح بذلك ابن كثير في روايته التي ساقها، أن القوم لما يئسوا من الجميع وحاروا في أمرهم قالوا: (إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بعد قتل عثمان بغير إمرة، اختلف الناس في إمرتهم ولم نسلم) (٢).

ثم جمعوا أهل المدينة قسرا إلى المسجد النبوي وقال لهم أهل مصر: أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وأمركم عابر على الأمة، فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع، فقد أجلناكم يومين، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا عليّا وطلحة والزبير وأناسا كثيرا، فغشي الناس عليّا فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتلينا به، فردّ عليهم علي ﷺ بقوله: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا

---

(١) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨٣/٣، وتاريخ الطبري ٦٩٩/٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٢٧/٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٧/٧.

كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزير خيرا لكم مني أميرا، وقد أخذ الأشتر النخعي بيده فبايعه، وبايعه الناس من بعده [١].

وروي أن عليا ﷺ قال في خطبة ألقاها: (حتى إذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه، ثم جئتموني لتبايعوني، فأبيت عليكم، وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني، وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، وازدحمتم عليّ حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم، أو أنكم قاتليّ، فقلتم: بايعنا لا نجد غيرك، ولا نرضى إلا بك، بايعنا لا نفترق ولا تختلف كلمتنا، فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتي، فمن بايع طوعا قبلته، ومن أبى لم أكرهه وتركته) [٢].

وروى أحمد عن محمد بن الحنفية، وهو محمد بن علي بن أبي طالب أنه قال: أتى عليٌّ دار عثمان وقد قتل، فدخل إلى داره، وأغلق بابه عليه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولابد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدا أحق بها منك، فقال لهم علي ﷺ: لا تريدوني؛ فإني لكم وزير خير لكم مني أميرا، فقالوا: لا والله لا نعلم أحدا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرا،

(١) انظر ذكر بيعة علي بالخلافة في البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٢٦ وما بعدها.

(٢) الغارات للثقفي الكوفي الشيعي ١/٣١٠ طهران، شرح النهج لابن أبي الحديد الشيعي ٦/٩٧، بحار الأنوار للمجلسي ص٥٢، وانظر العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٤/٦٨ نشر دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢٠هـ، وشرح نهج البلاغة لأبي حامد عز الدين بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني ٦/٦١ تحقيق محمد عبد الكريم النمري، نشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ.

ولكن أخرج إلى المسجد، فمن شاء أن يبايعني بايعني، فخرج إلى المسجد فبايعه الناس [١].

وبايعه المهاجرون والأنصار الذين كانوا في المدينة، وقيل: إنه تخلف عن بيعته بعض الصحابة كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم. وقيل: إنه بويع من الجميع، وهذا هو المشهور، إنما تخلف سعد، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة عن القتال معه، أما البيعة فقد بايعوه.

قال عوف بن أبي جميلة: كنت عند الحسن البصري، وكان في المدينة عند مقتل عثمان، فذكروا أصحاب النبي ﷺ فقال ابن جوشن الغطفاني: يا أبا سعيد إنما زري بأبي موسى اتباعه عليا[٢]، فغضب الحسن حتى تبين في وجهه فقال: فمن يتبع؟ قتل أمير المؤمنين مظلوما فعمد الناس إلى خيرهم فبايعوه فمن يتبع؟ حتى رددها مرارا [٣].

وأهل السنة مجمعون على أن أفضل الصحابة بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال ابن تيمية رحمه الله: (المنصوص عند أحمد بن حنبل تبديع من توقف في خلافة علي، وقال: هو أضل من حمار أهله، وأمر بهجرانه) [٤].

ومن ثم فأهل السنة مجمعون على أن أفضل الصحابة بعد رسول الله

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ٢/٥٧٣ (٩٦٩) وإسناده صحيح.
(٢) يقصد أن الناس طعنوا في أبي موسى الأشعري لأنه اتبع عليا.
(٣) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ٢/٥٧٦ (٩٧٦).
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٤٣٨.

ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم اختلفوا في عثمان وعلي، والجمهور على أن عثمان أفضل من علي، ثم اتفقوا بعد ذلك على أن علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين.

وقد اجتمع إلى علي ﷺ بعد البيعة طلحة والزبير في عدد من الصحابة ﷺ فقالوا: يا علي إنا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم، فقال لهم: يا أخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موضعا لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، وإن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدا، إن اليأس من هذا الأمر إن حرك على أمور، فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق، فاهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا. واشتد علي ﷺ على قريش وحال بينهم وبين الخروج من المدينة وتركها على حالها. وكان بعض الناس يقول: والله لئن ازداد الأمر، ولم نقدر على الانتصار من هؤلاء الأشرار، فترك هذا إلى ما قال عليّ أمثل، وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا نؤخره، ووالله إن عليّا لمستغن برأيه وأمره عنا [1].

---

(١) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/٨٥، وتاريخ الطبري ٢/٧٠٢.

- **واقعة الجمل ودور السبئية والغوغاء في إشعال الفتنة بين المؤمنين.**

لما بويع علي بن أبي طالب ﷺ استأذن طلحة والزبير عليا ﷺ في الذهاب إلى مكة فأذن لهما، فالتقيا هناك بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكان الخبر قد وصل إليها أن عثمان ﷺ قد قتل، فاجتمعوا هناك في مكة وعزموا على الأخذ بثأر عثمان ﷺ، فجاء يعلى بن منية من البصرة، وجاء عبد الله بن عامر من الكوفة، واجتمعوا في مكة على الأخذ بثأر عثمان ﷺ، فخرجوا من مكة بمن تابعهم إلى البصرة يريدون قتلة عثمان ﷺ، وذلك أنهم يرون أنهم قد قصروا في الدفاع عن عثمان ﷺ، وكان علي ﷺ في المدينة، وكان عثمان بن حنيف ﷺ واليا على البصرة من قبل علي بن أبي طالب ﷺ، فلما وصلوا إلى البصرة أرسل إليهم عثمان بن حنيف: ماذا تريدون؟ قالوا: نريد قتلة عثمان، فقال لهم: حتى يأتي علي، ومنعهم من الدخول.

ثم خرج إليهم أحد الذين شاركوا في قتل عثمان وهو جبلة بن الأيهم فقاتلهم في سبعمائة رجل فانتصروا عليه، وقتلوا كثيرا ممن كان معه، وانضم كثير من أهل البصرة إلى جيش طلحة والزبير وعائشة رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، فخرج علي ﷺ من المدينة إلى الكوفة لما أرسلوا إليه وشوهوا الحقائق بأنه وقع قتال شديد بين واليه على البصرة عثمان بن حنيف وبين طلحة والزبير وعائشة ومن معهم، فخرج وجهز جيشا قوامه عشرة آلاف لمقابلة طلحة والزبير.

وهنا يظهر لنا جليا أن عليا ﷺ هو الذي خرج إليهم، ولم يخرجوا عليه، ولم يقصدوا قتاله كما تدعي بعض الطوائف ومن تأثر بهم، ولو

كانوا يريدون الخروج على علي ﷺ لذهبوا إلى المدينة مباشرة وليس إلى البصرة، فطلحة، والزبير، وعائشة ومن كان معهم لم يحدث قط أنهم أبطلوا خلافة علي، ولا طعنوا عليه، ولا ذكروا فيه جرحا، ولا بايعوا غيره، ولا خرجوا لقتاله إلى البصرة، فإنه لم يكن بالبصرة يومئذ، ولذلك قال الأحنف بن قيس: لقيت طلحة والزبير بعد حصر عثمان ﷺ فقلت: ما تأمراني فإني أراه مقتولا؟ قالا: عليك بعلي. قال: ولقيت عائشة بعد قتل عثمان في مكة فقلت: ما تأمريني؟ قالت: عليك بعلي .

وقد تقدم أن عائشة رضي الله عنها قالت عن مقتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش. فقال لها مسروق: هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه. فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوادا في بياض، حتى جلست مجلسي هذا [١].

أرسل علي ﷺ المقداد بن الأسود والقعقاع بن عمرو رضي الله عنهما ليتكلما مع طلحة والزبير، واتفق المقداد والقعقاع من جهة وطلحة والزبير من جهة أخرى على عدم القتال، وبيّن كل فريق وجهة نظره، فطلحة والزبير يريان أنه لا يجوز ترك قتلة عثمان ﷺ دون الثأر منهم، وعلي يرى أنه ليس من المصلحة تتبع قتلة عثمان الآن لصعوبة

---

(١) رواه خليفة بن خياط في تاريخه ص ١٧٦/١ نشر دار القلم ، مؤسسة الرسالة دمشق ، بيروت ١٣٩٧، الطبعة الثانية، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٨٢/٣ نشر دار صادر بيروت، قال ابن كثير: إسناده صحيح انظر البداية والنهاية ١٩٥/٧ نشر مكتبة المعارف بيروت.

تحقيق ذلك بسبب عدم معرفته بهم، ولا بد أن تستتب الأمور أولا، فقتل قتلة عثمان ﷺ متفق عليه، والاختلاف إنما هو في وقت التنفيذ ومتى يكون ذلك؟ وبعد الاتفاق نام الجيشان بخير ليلة، وبات السبئية وهم قتلة عثمان ﷺ بشر ليلة؛ لأنه تم الاتفاق عليهم، وهذا ما ذكره المؤرخون الذين أرخوا لهذه المعركة أمثال الطبري وابن كثير وابن الأثير، وابن حزم، وغيرهم[1].

عند ذلك أجمع السبئيون رأيهم على أن لا يتم هذا الاتفاق، وفي السحر والقوم نائمون، هاجم مجموعة من السبئيين جيش طلحة والزبير وقتلوا بعض أفراد الجيش وفروا، فظن جيش طلحة أن جيش علي ﷺ غدر بهم، فناوشوا جيش علي في الصباح، فظن جيش علي أن جيش طلحة والزبير قد غدر، فاستمرت المناوشات بين الفريقين حتى كانت الظهيرة فاشتعلت المعركة.

وقد حاول الكبار من الجيشين وقف القتال، ولكن لم يفلحوا، فكان طلحة ﷺ يقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فأصبحوا لا ينصتونه، فقال: أفٍ أفٍ، فَرَاشَ نَارٍ وَذِبَّانَ طَمَعٍ[2]. وكان علي ﷺ يمنعهم ولا يردون عليه، وأرسلت عائشة رضي الله عنها كعب بن سور بالمصحف لوقف

---

(١) انظر القصة بالتفصيل في البداية والنهاية ٧/٢٤٠، وتاريخ ابن خلدون ٢/٦١٧، والفصل في الملل والنحل لابن حزم ٤/١٢٣.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص١٨٢، وقوله: فراش نار وذبان طمع مثل عند العرب يقال في موضع الذم والهجاء، انظر في ذلك الحيوان للجاحظ ٣/٣٠٤ نشر دار الجيل لبنان، بيروت ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، تحقيق عبد السلام محمد هارون.

المعركة، فرشقه السبئيون بالنبال حتى أردوه قتيلا، والحرب إذا اشتعلت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر ﷺ عاجزين عن إطفاء الفتنة.

وكانت واقعة الجمل في سنة ست وثلاثين من الهجرة، أي في بداية خلافة علي ﷺ، بدأت بعد الظهر، وانتهت قبيل مغيب الشمس من اليوم نفسه، وكان مع علي عشرة آلاف، وأهل الجمل كان عددهم ما بين الخمسة والستة آلاف، وراية علي ﷺ كانت مع محمد بن علي بن أبي طالب، وراية أهل الجمل مع عبد الله بن الزبير، وقد قتل في هذا اليوم كثير من المسلمين، وقتل طلحة والزبير ومحمد بن طلحة، أما الزبير فلم يشارك في هذه المعركة ولا طلحة، وقتل طلحة بسهم خطأ، والمشهور أن الذي رماه مروان بن الحكم أصابه في قدمه مكان إصابة قديمة فمات منها ﷺ وهو يحاول منع الناس من القتال، ولما انتهت هذه المعركة وقتل الكثير، خاصة في الدفاع عن جمل عائشة رضي الله عنها لأنها كانت تمثل رمزا لهم فكانوا يستبسلون في الدفاع عنها، ولذلك بمجرد أن سقط الجمل هدأت المعركة وانتهت، وكانت غلبة الأمور لعلي بن أبي طالب ﷺ، وإن خسر المسلمون جميعا في تلك المعركة.

ولما انتهت المعركة صار علي ﷺ يمر بين القتلى فوجد طلحة بن عبيد الله، فقال بعد أن أجلسه ومسح التراب عن وجهه: عزيز علي أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء أبا محمد[1]. وبكى علي ﷺ، وقال:

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/٥٥، أسد الغابة لابن الأثير ٣/٨٦.

وددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة [(١)].

وكذلك رأى علي ﷺ محمد بن طلحة فبكى، وكان محمد بن طلحة يلقب بالسجاد من كثرة عبادته ﷺ، وكل الصحابة ﷺ بلا استثناء الذين شاركوا في هذه المعركة ندموا على ما وقع، ودخل ابن جرموز على علي ﷺ ومعه سيف الزبير، يقول: قتلت الزبير، قتلت الزبير، فلما سمعه علي ﷺ قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن رسول الله ﷺ، ثم قال: بشر قاتل ابن صفية بالنار، ولم يأذن له بالدخول عليه [(٢)].

ولما انتهت المعركة أخذ علي ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأرسلها معززة مكرمة إلى مدينة الرسول ﷺ كما أمره ﷺ، فقد روى أحمد من حديث علي ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال علي: فأنا أشقاهم يا رسول الله، قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها ففعل ﷺ ما أمر به رسول الله ﷺ[(٣)].

لقد رأى علي ﷺ أن تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله؛ لأن عليا ﷺ لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلا؛ لأنهم غير معروفين

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة ٥٦٦/٢ (١٣٢٦)، وابن أبي شيبة في المصنف ٥٤٤/٧ (٣٧٨٢٤).

(٢) السنة لأبي بكر الخلال ٤٢٦/٢، والشريعة للآجري ٢٢٩٠/٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ١١١/٣.

(٣) رواه أحمد في المسند ٣٩٣/٦ (٢٧٢٤٢)، وقال الحافظ ابن حجر: سنده حسن، انظر فتح الباري ٥٥/١٣.

بأعيانهم، وإن كان رؤوس للفتنة هناك، ولهم قبائل تدافع عنهم، والأمن غير مستتب، ومازالت الفتنة قائمة، ولا يبعد أن يقتلوا عليا ﷺ وبالفعل قتلوه بعد ذلك، ولذلك لما وصلت الخلافة إلى معاوية لم يقتل قتلة عثمان أيضا، وذلك لأنه صار يرى ما كان يراه علي ﷺ، فقد كان علي يراه واقعا، ومعاوية ﷺ كان يراه نظريا فلما آلت الخلافة إليه رآه واقعا، صحيح أن معاوية ﷺ أرسل من قتل بعضهم، لكن بقي آخرون إلى زمن الحجاج في خلافة عبد الملك بن مروان حتى قتل آخرهم.

• **واقعة صفين وما حدث بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.**

ذكر البيهقي أن خروج من خرج على أمير المؤمنين علي ﷺ مع أهل الشام في طلب دم عثمان ﷺ ثم منازعته إياه في الإمارة يعد خطأ، وهو غير مصيب فيما فعل، والدليل على براءة علي ﷺ من قتل عثمان ما جرى له من البيعة لما كانت له من السابقة في الإسلام والهجرة والجهاد في سبيل الله، والفضائل الكثيرة والمناقب الجمة التي هي معلومة عند أهل المعرفة، ومن ثم فإن الذي خرج عليه ونازعه كان باغيا عليه، وكان رسول الله ﷺ قد أخبر عمار بن ياسر ﷺ بأن الفئة الباغية تقتله[1]، فقتله هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي ﷺ في حرب صفين.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل ١٠٣٥/٣ (٢٦٥٧) ولفظه عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار) .

قال ابن خزيمة: (خير الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالخلافة أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين، وكل من نازع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في إمارته فهو باغ، على هذا عهدت مشايخنا، وبه قال ابن إدريس يعني الشافعي رحمه الله) (١).

ولم يخرج من خرج عليه ببغيه عن الإسلام، فقد كان رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، تكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة) (٢).

ويعني بقيام الساعة انقراض ذلك العصر والله أعلم، والصحيح عن علي رضي الله عنه أنه قاتلهم قتال أهل العدل مع أهل البغي، فكان أصحابه لا يجهزون على جريح، ولا يقتلون موليا، ولا يسلبون قتيلا.

قال أبو أمامة رضي الله عنه: شهدت صفين، فكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يقتلون موليا، ولا يسلبون قتيلا(٣).

وكان رسول الله ﷺ قد أخبر عن وجود فرقة تكون بين طائفتين من أمته فتخرج من بينهما مارقة يقتلها أولى الطائفتين بالحق، وكانت

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للإمام البيهقي ص٣٧٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب خروج النار ٦/٢٦٠٥ (٦٧٠٤)، ومسلم واللفظ له في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ٤/٢٢١٤ (١٥٧).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/٤٩٨ (٣٣٢٧٨)، والبيهقي في كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص٣٧٥.

هذه الفرقة بين علي ﷺ ومن نازعه، وقد جعلهما جميعا من أمته، ثم خرجت هذه المارقة وهي أهل النهروان قتلهم علي ﷺ وأصحابه، وهم أولى الطائفتين بالحق، وكان النبي ﷺ وصف المارقة الخارجة وأخبر بالمخدج الذي يكون فيهم، فوجدوه بالصفة التي وصف، والنعت الذي نعت، وذلك بين في حديث أبي سعيد الخدري وغيره [(١)].

وكان إخبار النبي ﷺ بذلك ووقوع ما أخبر بعد وفاته من دلائل النبوة، ومما يؤثر في فضائل أمير المؤمنين علي ﷺ في كونه محقا في قتالهم مصيبا في قتل من قتل منهم، وحين وجد المخدج سجد علي ﷺ شكرا لله تعالى على ما وفق له من قتالهم. وروى البخاري من حديث أبي بكرة ﷺ أنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي معه إلى جنبه وهو يلتفت إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين)[(٢)].

والنبي ﷺ سماهم جميعا مسلمين، وهذا خبر من رسول الله ﷺ بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة أبيه ﷺ في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهم جميعا.

وقال الحسن بن علي في خطبته: (أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية ما هو حق لامرئ كان أحق به مني، بل حق لي تركته لمعاوية إرادة

---

(١) رواه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٣/١٣٢١ (٣٤١٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/٧٤٤ (١٠٦٤).
(٢) رواه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٣/١٣٢٨ (٣٤٣٠).

إصلاح المسلمين وحقن دمائهم، بل وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين)[(١)].

والقصة التي توالت فيها أحداث واقعة صفين أن معاوية ﵁ كان قد امتنع عن المبايعة لعلي حتى يتم القصاص لعثمان ﵁ فلما انتهى علي ﵁ من أهل الجمل قال: لا بد أن يبايع معاوية الآن، وجهز الجيش لقتال معاوية أو يبايع، فخرج علي بجيش قوامه مئة ألف إلى صفين في الشام، فلما سمع معاوية ﵁ بخروج علي إلى قتاله صعد المنبر وقال: إن عليا نهد إليكم في أهل العراق فما الرأي؟ فضرب الناس بأذقانهم على صدورهم فقام ذو الكلاع الحميري فقال: عليك الرأي وعلينا الفعال، والناس سكوت. كان ذلك حال أهل الشام أهل طاعة وجلد.

وصعد علي ﵁ المنبر في العراق فقال لأتباعه بعد أن حمد الله وأثنى عليه: إن معاوية قد نهد إليكم في أهل الشام فما الرأي؟ فأضب أهل المسجد يقولون: يا أمير المؤمنين الرأي كذا، الرأي كذا، فلم يفهم علي ﵁ كلامهم من كثرة من تكلم، وكثر اللغط، فنزل وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون[(٢)]. وكان هذا حال أهل العراق، أهل فوضى ونفاق وهم الذين قاتلوا عليا بعد ذلك وقتلوه ﵁.

وقد وصل علي ﵁ إلى صفين في صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة. وكان قتال علي ﵁ في صفين والجمل عن رأي رآه واجتهاد تبناه، فقد أخرج أبو داود من حديث قيس بن عباد ﵁ أنه قال: قلت لعلي ﵁:

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص٣٧٧.

(٢) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩١/١٧، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢٩/٨.

أخبرنا عن مسيرك هذا، أعهد عهده إليك رسول الله ﷺ أم رأي رأيته؟ قال: ما عهد إلي رسول الله شيئا ولكنه رأي رأيته [(١)].

دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية رضي الله عنه فقال له: أنت تنازع عليا، أأنت مثله؟ فقال معاوية: لا والله إني لأعلم أن عليا أفضل وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما؟ وأنا ابن عمه، وأنا أطلب بدمه، فأتوا عليا فقولوا له فليدفع إلي قتلة عثمان وأسلم له الأمور، فأتوا عليا فكلموه فأبى عليهم ولم يدفع القتلة [(٢)].

وكان عدد جيش علي رضي الله عنه مئة ألف، وكان عدد جيش معاوية رضي الله عنه سبعين ألفا، وقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، وكان في جيش علي، وكان النبي ﷺ قد قال لعمار: يا عمار ستقتلك الفئة الباغية [(٣)].

قيل للإمام أحمد بن حنبل: حديث تقتلك الفئة الباغية؟ قال: لا أتكلم فيه، تركه أسلم، كما قال رسول الله ﷺ: قتلته الفئة الباغية، وسكت[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ٤/٢١٧ (٤٦٦٦)، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٢) انظر فتح الباري ٨٦/١٣، وانظر البداية والنهاية لابن كثير ١٢٩/٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٥٤٠/٣. قال ابن تيمية: لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء، بل كان من أشد الناس حرصا على أن لا يكون قتال، وكان غيره أحرص على القتال منه، انظر منهاج السنة النبوية ٤٤٧/٤.

(٣) البخاري في أبواب المساجد، باب التعاون في بناء المسجد ١٧٢/١ (٤٣٦)، ومسلم في الفتنة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ٢٢٣٦/٤ (٢٩١٦).

(٤) السنة للخلال ٤٦٢/٢ (٧٢٠)، نشر دار الراية الرياض ١٤١٠هـ.

وقال ابن حجر رحمه الله: ذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي، وقد ثبت أن من قاتل عليا ﷺ كانوا بغاة، ومع هذا التصويب فهم متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء، بل يقولون: اجتهدوا فأخطئوا [١]. وقال أيضا: (اتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع منهم، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا إلا عن اجتهاد) [٢].

وقال ابن جرير الطبري في تقوية مذهب من ناصر عليا ﷺ: لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهروب منه بلزوم المنازل لما أقيم حد، ولا أبطل باطل، ولوجد أهل الفسوق سبيلا إلى ارتكاب المحرمات [٣].

وهذا كلام صحيح إذا تبين الأمر، ولكن إذا كانت الأمور مشتبهة لزم الابتعاد، فلذلك تخلف الكثير عن المشاركة في هذه المعركة، ومن ثم فالذي يجب أن نعتقده أن طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وكذلك عليا ومن معه، إنما قاتلوا عن اجتهاد، والأمر كان فتنة دبرتها السبئية، ومعركة الجمل بالذات لم تكن عن استعداد لقتال، ولم يكونوا يريدون القتال، ونقل ابن حزم، وابن تيمية عن الجمهور الامتناع عن الكلام في هذه المسألة.

قال ابن تيمية رحمه الله: إن قال قائل إن عليا بدأهم القتال؟ قيل له:

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٣/٦٧.

(٢) السابق ١٣/٣٤.

(٣) فتح الباري ١٣/٣٤.

وهم أولا امتنعوا عن طاعته ومبايعته، وجعلوه ظالما مشاركا في دم عثمان، ﷺ وقبلوا عليه شهادة الزور[١]. وكان قد أشيع عند أهل الشام أن عليا ﷺ رضي بقتل عثمان ﷺ، وراجت هذه الإشاعة عند أهل الشام لأربعة أمور، عدم قتله قتلة عثمان، ومعركة الجمل، وتركه المدينة والسكن بالكوفة، والكوفة هي معقل قتلة عثمان، وكذلك في جيش علي من هو متهم بقتل عثمان.

لهذه الأمور الأربعة وقع الشك عند الجهلة من أهل الشام أن لعلي يدا في قتل عثمان، وهو بريء من ذلك، فقد كان يلعن قتلة عثمان ﷺ، فإن قيل: هذا وحده لم يبح له قتالهم. قيل: إنه ما كان يجوز لهم أن يقاتلوا عليا ﷺ لكونه عاجزا عن قتل قتلة عثمان، بل لو كان قادرا على قتل قتلة عثمان وتركه إما متأولا أو مذنبا، لم يكن ذلك موجبا لتفريق الجماعة والامتناع عن بيعته، بل كانت مبايعته على كل حال أصلح في الدين، وأنفع للمسلمين[٢].

أما الصحابة الذين شهدوا الجمل أو صفين فهم علي والزبير وطلحة وعائشة وابن الزبير والحسن والحسين وعمار وابن عباس ومعاوية وعمرو بن العاص وقيس بن سعد والقعقاع بن عمرو وجرير بن عبد الله وخزيمة بن ثابت وأبو قتادة وأبو الهيثم بن التيهان وسهل بن سعد وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر وعدي بن حاتم والأشعث بن قيس وجارية بن قدامة وفضالة بن عبيد والنعمان بن بشير ﷺ.

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤/٤١٠.
(٢) السابق ٤/٢٣٧.

والذين امتنعوا ولم يشاركوا هم سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وأبو هريرة وزيد بن ثابت وعمران بن حصين وأنس بن مالك وأبو بكرة الثقفي والأحنف بن قيس وأبو أيوب الأنصاري وأبو موسى الأشعري وأبو مسعود الأنصاري والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو برزة الأسلمي وأهبان بن صيفي وسلمة بن الأكوع، بل جل الصحابة ﷺ.

- **قصة التحكيم المشهورة ومحاولة المغرضين الانتقاص من الصحابة.**

انتهت معركة صفين بالتحكيم، فتوقفوا عن القتال بأن رفعت المصاحف على الرماح، ورضي علي ﷺ بالتحكيم، ورجع إلى الكوفة، ورجع معاوية إلى الشام على أن يكون التحكيم في رمضان، وأرسل عليٌّ أبا موسى الأشعري، وأرسل معاوية عمرو بن العاص.

وقصة التحكيم المشهورة المشوهة هي أن أبا موسى الأشعري قام وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة، فلم نر أصلح لأمرها، ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع عليه رأيي ورأي عمرو، وهو أن نخلع عليا ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر؛ فيولوا منهم من أحبوا عليهم، وإني قد خلعت عليا ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا. ثم تنحى وأقبل عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه، فتنابزا وكثر اللغط، وخرج أبو موسى غاضبا، ورجع إلى مكة، ولم يذهب إلى علي في الكوفة،

ورجع عمرو بن العاص إلى الشام [١].

ومما يدل على بطلان القصة زعمهم في أبي موسى وعمرو أنهما اتفقا على خلع الرجلين، فخلعهما أبو موسى، واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية، وأصل المغالطة من تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن يومئذ خليفة. ولا ادعى الخلافة حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه، بل اتفق موسى وعمرو على أن يعهدا بأمر الخلافة إلى أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية؛ لأنه لم يكن خليفة، ولم يقاتل على الخلافة، وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان [٢].

وهذه القصة المزورة المكذوبة بطلها أبو مخنف الكذاب، وقد صور عمرا بأنه كان منافقا خبيثا خادعا ماكرا، قد خدع أبا موسى الأشعري مع أن ابن العاص رضي الله عنه صحابي جليل، وقد روى أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام) [٣].

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضاه الله، وإذا لاحظتموه بعين المروءة دون الديانة، رأيتم أنها سخافة، حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدمُ الدين، وفي الأقل جهل متين، والذي يصح من ذلك ما روى الأئمة كخليفة بن خياط البصري، والدارقطني أنه لما خرجت الطائفة العراقية في مائة ألف

---

(١) تاريخ الطبري ١١٢/٣، والكامل في التاريخ ٢٠٧/٣.

(٢) حاشية العواصم من القواصم ص١٧٧.

(٣) رواه أحمد في المسند ٣٠٤/٢ (٨٠٢٩) قال شعيب الأرنئوط: إسناده حسن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٦).

والشامية في سبعين ألفا أو تسعين ألفا، ونزلوا على الفرات بصفين، واقتتلوا في أول يوم على الماء وهو الثلاثاء، فغلب أهل العراق عليه، ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين، ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت.

ورفعت المصاحف من أهل الشام ودعوا إلى الصلح، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق، فكان من جهة علي ﷺ أبو موسى الأشعري، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص، وكان أبو موسى رجلا تقيا ثقفا فقيها عالما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع مُعاذ، وقدمه عمر بن الخطاب، وأثنى عليه بالفهم، وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعا في القول، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيدا لما أرادت من الفساد، اتبع في ذلك بعض الجهال بعضا، وصنفوا فيه حكايات، وغيره من الصحابة، وكان أحذق منه وأدهى[١].

وقالت الطائفة التاريخية الركيكة إنهما لما اجتمعا بأذرُح من دومة الجندل[٢]، وتفاوضا اتفقا على أن يخلعا الرجلين فقال عمرو لأبي موسى: اسبق بالقول فتقدم، فقال: إني نظرتُ فخلعت عليا عن الأمر،

---

(١) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ لأبي بكر بن العربي ص١٧٦، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستانبولي، نشر دار الجيل بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م الطبعة الثانية.

(٢) أذرح قرية تقع في منطقة بين أراضي شرقي الأردن والمملكة العربية السعودية في الأطراف الجنوبية من بادية الشام.

وينظر المسلمون لأنفسهم كما خلعت سيفي هذا من عنقي، أو من عاتقي، وأخرجه من عنقه فوضعه في الأرض، وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال: إني نظرت فأثبت معاوية في الأمر كما أثبت سيفي هذا في عاتقي وتقلده، فأنكر أبو موسى فقال عمرو: كذلك اتفقنا؟ وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف[1].

قال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع، وإنما الذي روى الأئمة الثقاة الإثبات أنهما لما اجتمعا للنظر في الأمر في عُصبة كريمة من الناس، منهم ابن عمر ونحوه، عزل عمرو معاوية[2].

وذكر الدارقطني بسنده إلى حضين بن المنذر لما عزل عمرو معاوية جاء ابن حضين بن المنذر فضرب فسطاطه قريبا من فسطاط معاوية، فبلغ نبؤه معاوية، فأرسل إليه، فقال: إنه بلغني عن عمرو بن العاص كذا وكذا، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه؟ فأتيته فقلت: أخبرني عن هذا الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، ووالله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول ﷺ وهو عنهم راض، قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يُستعن بكما ففيكما معُونة، وإن يُستغن

(١) السابق ص١٧٧ بتصرف.

(٢) السابق ص١٧٩ بتصرف .

عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما [١].

قال ابن العربي: فهذا كان بدءُ الحديث ومنتهاه، فاعرضوا عن الغاوين، وازجروا العاوين، وعرجوا عن سبيل الناكثين إلى سنن المهتدين، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين، وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ، ودعوا ما مضى، فقد قضى الله ما قضى، وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادا وعملا، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملا، فإن الله لا يضيعُ أجر من أحسن عملا [٢].



(١) نقله ابن العربي في العواصم من القواصم عن الدارقطني ص١٨٠.

(٢) السابق ص١٨٢ بتصرف .

المطلب الثالث

غدر العراقيين بأمير المؤمنين علي والبلاء الذي أوقعوه بولديه الحسن والحسين



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا فيما سبق عن دواعي المحن وما حدث من الفتن بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وبينا الأسباب الداعية لمقتله وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأن أبرز هذه الأسباب كانت الرسائل الملفقة، كما تناولنا المآخذ التي أخذها الغوغاء على عثمان بن عفان ﷺ وبينا أجوبتها، وبينا العلة في جمع عثمان ﷺ المسلمين على المصحف الإمام وإحراقه لما سواه.

ثم تحدثنا عن مقتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ على يد الحاقدين من السبئية والمنافقين الغوغاء، وهل كان فيمن قتل عثمان ﷺ أحد من المهاجرين أو الأنصار؟ وهل قتل عثمان بن عفان ﷺ ولم يدافع عنه أحد من الصحابة؟ ثم تناولنا الأحداث والمحن التي اقترنت ببيعة علي بن أبي طالب ﷺ بالخلافة، وما حدث في واقعة الجمل ودور السبئية والغوغاء في إشعال الفتنة بين المؤمنين، وتناولنا أيضا واقعة صفين وما حدث بين على ومعاوية رضي الله عنهما، وتحقيق قصة التحكيم المشهورة ومحاولة المغرضين الانتقاص من شأن الصحابة ﷺ.

وفي هذه المطلب نتناول الحديث عن غدر العراقيين بعلي أمير المؤمنين، والبلاء الذي أوقعوه بولديه الحسن والحسين [١].

- **لماذا خرجت الخوارج على أمير المؤمنين على بن أبي طالب؟**

مر الأشعث بن قيس على ملأ من بني تميم، فقام إليه عروة بن جرير فقال: أتحكمون في دين الله الرجال؟ وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب عليّ من القراء، وقالوا: لا حكم إلا لله، فسموا المحكمية، وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين، وخرج معاوية ﷺ إلى دمشق بأصحابه، ورجع عليّ ﷺ إلى الكوفة، وعندما كان على مقربة منها اعتزل من جيش عليّ ﷺ قريب من اثني عشر ألفا وهم الخوارج، وأبوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا بمكان يقال له حروراء، وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها، فبعث إليهم علي ﷺ عبد الله بن عباس ﷺ فناظرهم، فرجع أكثرهم وبقي بقيتهم.

وروى أحمد من حديث عبد الله بن شداد أنهم كانوا يقولون لعليّ ﷺ: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله الرجال، ولا حكم إلا لله تعالى، فلما أن بلغ عليا عليّ ﷺ ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، أمر مؤذنا فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف! حدث الناس! فناداه الناس فقالوا: يا أمير

---

(١) انظر في مرجعية هذا المطلب كتاب حقبة من التاريخ للشيخ عثمان بن محمد الخميس بتصرف مناسب لطلاب العلم.

المؤمنين ما تسأل عنه؟ إنما هو مداد في ورق! ونحن نتكلم بما رويناه منه! فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾النساء:٣٥. فأمة محمد ﷺ أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل.

وذكر عبد الله بن شداد أن عليا رضي الله عنه قال: ونقموا علي أن كاتبت معاوية، وكتب في الكتاب اسمي مجردا عن إمرة المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشا، فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: كيف نكتب؟ فقال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: فاكتب محمد رسول الله، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾الأحزاب:٢١.

وذكر عبد الله بن شداد أن عليّا رضي الله عنه بعث إليهم مرة عبد الله بن عباس رضي الله عنه، يقول: فخرجت معه حتى إذا توسطنا معسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن إن هذا عبد الله بن عباس، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرف من كتاب الله ما يعرّفه به، هذا ممن نزل فيه وفي قومه: ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾الزخرف:٥٨. فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله،

فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه كتاب الله، فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكواء حتى أدخلهم على علي ﷺ الكوفة [1].

وذكر عبد الله بن شداد أن عليّا ﷺ بعث إلى بقيتهم، فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما، أو تقطعوا سبيلا، أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، فقالت عائشة لعبد الله بن شداد: يا ابن شداد، فقد قتلهم؟ فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم، واستحلوا أهل الذمة، فقالت: آالله؟ قال: آالله الذي لا إله إلا هو لقد كان، قالت: فما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه، يقولون ذو الثدي، وذو الثدي؟

قال عبد الله بن شداد: قد رأيته وقمت مع علي ﷺ عليه في القتلى، فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي، ولم يأتوا فيه بثبت يعرفه إلا ذلك، قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله، قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا، قالت: أجل، صدق الله ورسوله،

---

(١) مستدرك الحاكم ٢/١٥٠، وأخرجه أحمد في المسند ٦٥٦ بتحقيق العلامة أحمد شاكر، وقال: إسناده صحيح.

يرحم الله عليا، إنه كان من كلامه لا يرى شيئا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه، ويزيدون عليه في الحديث [(١)].

وكان عدد الخوارج ألف رجل فقتلهم، ولم يقتل من جيش علي رضي الله عنه إلا أربعة أو سبعة في بعض الروايات. وكان بينهم المخدج ذو الثدية الذي رآه علي رضي الله عنه، وكان رسول الله ﷺ قد أخبر أن فرقة تخرج على حين اختلاف بين المسلمين تقتلهم أوْلى الطائفتين بالحق، وذكر في حديث آخر أن فيهم ذا الثدية، فصار علي رضي الله عنه يبحث عنه في القتلى حتى وجده، فلما وجده سجد لله شكرا إذ علم أنه على الحق [(٢)].

وهؤلاء الخوارج هم المشار إليهم في الحديث الصحيح بأنه تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق، وهذا من دلائل النبوة إذ قد وقع الأمر مطابقا لما أخبر به النبي ﷺ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي رضي الله عنه أولى الطائفتين بالحق، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن عليا رضي الله عنه هو المصيب، وإن كان معاوية رضي الله عنه مجتهدا، وهو مأجور إن شاء الله [(٣)].

- **خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه.**

وتفصيل الأمر أن الخوارج أشتد أمرهم وبالغوا في النكير على علي

---

(١) البداية والنهاية ٧/٢٩٨.

(٢) أخرجه أحمد ٢/١٥٤ (٨٤٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٨٠ بتصرف.

ﷺ، وصرحوا بكفره، وتعرضوا له في خطبه، واسمعوه السب والشتم، والتعريض بآيات من القرآن، وذلك أن عليا ﷺ قام خطيبا في بعض الجُمع فذكر أمر الخوارج وذمه وعابه، فقام جماعة منهم كل يقول: لا حكم إلا لله، وقام رجل منهم وهو واضع إصبعه في أذنيه يقول لعلي بن أبي طالب ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ الزمر٦٥.

ثم اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة بليغة، زهدهم في الدنيا، ورغبهم في الآخرة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم قال: فاخرجوا بنا يا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد من الأرض وبعض كور الجبال، أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه الأحكام الجائرة.

ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا يدْعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم وقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ النحل:١٢٨.
فقال سنان بن حمزة الأسدي: يا قوم إن الرأي ما رأيتم، وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلا منكم، فإنه لابد لكم من سند وعماد، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها، فبعثوا إلى عبد الله بن وهب الراسبي وعرضوا عليه الإمارة فقبلها وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقا من الموت[1].

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٨٥ بتصرف.

واجتمعوا أيضا في بيت زيد بن حصن الطائي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ ص:٢٦. وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المائدة:٤٤. ثم بكى رجل منهم يقال لهُ عبد الله بن سخبرة السلمي، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس، وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم، وأطيع الله كما أردتم، أثابكم ثواب المطيعين لهُ العاملين بأمره، وإن قتلتم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته؟

والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج ومقاتلة المسلمين، وقد اجتمعوا بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة، وهم جند مستقلون، وفيهم شجاعة، وعندهم أنهم متقربون إلى الله بذلك. ثم بلغ عليا أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فسادا، وسفكوا الدماء وقطعوا السبل، واستحلوا المحارم، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ، حيث أسروه وامرأته معه وكانت حاملا، فاقتادوه بيده، فبينما هو يسير معهم إذ سقطت تمرة من نخلة، فأخذها أحدهم فألقاها في فمه، فقال له آخر: أتأكلها بغير إذن ولا ثمن؟ فألقاها من فمه، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب رضي الله عنه فذبحوه، وجاءوا إلى امرأته فقالت: إني امرأة حبلى ألا

تتقون الله، فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها [(١)].

وروى أحمد بسند صحيح من حديث حُمَيْدِ بْن هِلال عَن رَجُل مِن عَبْدِ القَيْسِ كَان مَعَ الخَوَارِجِ ثمَّ فَارَقَهُمْ، قَال: دَخَلوا قَرْيَة فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْن خَبَّاب ذعِرا يَجُرُّ رِدَاءَهُ، فَقَالوا: لمْ تُرَعْ، قَال: وَاللَّهِ لقَدْ روعْتُمُوني، قَالوا: أَنتَ عَبْدُ اللَّهِ بْن خَبَّاب صَاحِبُ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَال: نعَمْ، قَال: فَهَل سَمِعْتَ مِن أَبِيكَ حَدِيثا يُحَدِّثُهُ عَن رَسُول اللَّهِ ﷺ تُحَدِّثُناهُ، قَال: نعَمْ، سَمِعْتُهُ يُحَدِّث عَن رَسُول اللَّهِ ﷺ أَنهُ ذكَرَ فِتْنة القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِن القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِن المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِن السَّاعِي، قَال: فَإِن أَدْرَكْتَ ذاكَ فَكُن عَبْدَ اللَّهِ المَقْتُول، قَال: أَيُّوبُ وَلا أَعْلمُهُ إلا قَال: وَلا تَكُن عَبْدَ اللَّهِ القَاتِل، قَالوا: أَأَنتَ سَمِعْتَ هَذا مِن أَبِيكَ يُحَدِّثُهُ عَن رَسُول اللَّهِ ﷺ قَال: نعَمْ، قَال: فَقَدَّمُوهُ عَلى ضَفَّةِ النهَرِ، فَضَرَبُوا عُنقَهُ، فَسَال دَمُهُ، كَأَنهُ شِرَاكُ نعْل مَا ابْذقَرَّ، وَبَقَرُوا أُمَّ وَلدِهِ عَمَّا فِي بَطْنِهَا [(٢)].

ولما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام، واشتغلوا بقتال أهله أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم بهذا الصنع، فأرسل علي إلى الخوارج رسولا من جهته، وهو الحرب بن مرة العبدي فقال: أخبر لي خبرهم، واعلم لي أمرهم، واكتب إلى به على الجلية،

---

(١) السابق ٢٨٨/٧ بتصرف.

(٢) رواه أحمد في المسند ١١٠/٥ (٢١١٠١)، وقال شعيب الأرنئوط: رجاله ثقات رجال الشيخين والرجل المبهم الذي روى عنه حميد إن كان ثقة عنده فالإسناد صحيح والله تعالى أعلم.

فلما قدم عليهم قتلوه ولم ينظروه، فلما بلغ ذلك عليا ﷺ عزم على الذهاب إليهم أولا قبل أهل الشام [١].

- **مسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الخوارج وقتالهم له.**

بعث علي ﷺ إلى الخوارج أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم، ثم أنا تارككم وذاهب إلى أهل الشام فبعثوا إلى علي ﷺ يقولون: كلنا قتل إخوانكم، ونحن مستحلون دماءكم، فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة ﷺ فوعظهم فيما ارتكبوا من الأمر العظيم، والخطب الجسيم، فلم ينفع فيهم، وكذلك أبو أيوب الأنصاري ﷺ.

وذهب إليهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم، وتهيؤا للقاء الرب ﷻ، والرواح الرواح إلى الجنة، وتقدموا فاصطفوا للقتال، وتأهبوا للنزال، فأمّر علي ﷺ أبا أيوب الأنصاري ﷺ أن يرفع راية الأمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فزحفوا إلى علي، فقدم علي ﷺ بين يديه الخيل، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدءوكم [٢].

وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، والرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي ﷺ ففرقوهم حتى أخذت طائفة

---

(١) البداية والنهاية ٢٨٨/٧ بتصرف.

(٢) السابق ٢٨٩/٧ بتصرف.

من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة، فاستغلبهم الرماة بالنبل، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج قتلى فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقتل أمراؤهم عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفي ، وعبد الله بن سخبرة السلمي قبحهم الله.

ولما أقبل أهل النهروان جعل الناس يقولون: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي قطع دابرهم فقال علي ﷺ: كلا والله، إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء. وذكر الهيثم بن عدي عن علقمة بن عامر أنه قال: سئل علي ﷺ عن أهل النهروان أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا. قيل أفمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. فقيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا، فهذا ما أورده ابن جرير الطبري وغيره في هذا المقام[1].

- **الأحاديث الواردة في خبر الخوارج وذمهم ووقوعها على الخبر.**

والأحاديث الواردة في صفات الخوارج وذمهم كثيرة جدا منها ما رواه مسلم من حديث زَيْدُ بْن وَهْب الْجُهَنِىُّ أَنهُ كَان فِي الْجَيْشِ الذين كَانوا مَعَ عَلِىّ ﷺ الذين سَارُوا إِلى الْخَوَارِجِ فَقَال عَلِىٌّ ﷺ: أَيُّهَا الناسُ إِنى سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُول: يَخْرُجُ قَوْمٌ مِن أُمَّتِي يَقْرَءُون الْقُرْآن لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيء، وَلاَ صَلاَتُكُمْ إِلى صَلاَتِهِمْ بِشَيء، وَلاَ صِيَامُكُمْ إِلى صِيَامِهِمْ بِشَيء، يَقْرَءُون الْقُرْآن يَحْسِبُون أَنهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لاَ تُجَاوِزُ صَلاَتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُون مِن الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ

---

(١) البداية والنهاية ٧/٢٩٠ بتصرف.

السَّهْمُ مِن الرَّمِيَّةِ . لوْ يَعْلمُ الجَيْشُ الذين يُصِيبُونهُمْ مَا قُضِيَ لهُمْ عَلى لسَان نبِيِّهِمْ ﷺ لاتَّكَلوا عَن العَمَل، وآيَةُ ذلكَ أَن فِيهِمْ رَجُلا لهُ عَضُدٌ، وَليْسَ لهُ ذرَاعٌ، عَلى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثل حَلمَةِ الثدْيِ، عَليْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ. فَتَذهَبُون إلى مُعَاوِيَةَ وَأَهْل الشَّامِ وَتَتْرُكُون هَؤُلاَءِ يَخْلفُونكُمْ فِي ذرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالكُمْ، وَاللهِ إِني لأَرْجُو أَن يَكُونوا هَؤُلاَءِ القَوْمَ، فَإِنهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ الناسِ فَسِيرُوا عَلى اسْمِ اللهِ.

قَال سَلمَةُ بْن كُهَيْل: فَنزَّلني زَيْدُ بْن وَهْب مَنزِلا حَتَّى قَال: مَرَرْنا عَلى قَنطَرَةٍ فَلمَّا التَقَيْنا، وَعَلى الخَوَارِجِ يَوْمَئِذ عَبْدُ اللهِ بْن وَهْب الرَّاسِبِي، فَقَال لهُمْ: أَلقُوا الرِّمَاحَ وَسُلوا سُيُوفَكُمْ مِن جُفُونهَا، فَإِني أَخَافُ أَن يُناشِدُوكُمْ كَمَا ناشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ. فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَسَلوا السُّيُوفَ وَشَجَرَهُمُ الناسُ بِرِمَاحِهِمْ، قَال: وَقُتِل بَعْضُهُمْ عَلى بَعْض، وَمَا أُصِيبَ مِن الناسِ يَوْمَئِذ إِلاَّ رَجُلاَن. فَقَال عَليٌّ رضي الله عنه: التَمِسُوا فِيهِمُ المُخْدَجَ، فَالتَمَسُوهُ فَلمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَليٌّ رضي الله عنه بِنفْسِهِ حَتَّى أَتَى ناسا قَدْ قُتِل بَعْضُهُمْ عَلى بَعْض، قَال: أَخِّرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلي الأَرْضَ، فَكَبَّرَ ثمَّ قَال: صَدَقَ اللهُ، وَبَلغَ رَسُولهُ، قَال: فَقَامَ إِليْهِ عَبِيدَةُ السَّلمَانيُّ فَقَال: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنين اللهَ الذي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ لسَمِعْتَ هَذا الحَدِيث مِن رَسُول اللهِ ﷺ؟ فَقَال: إِي وَاللهِ الذي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ، حَتَّى اسْتَحْلفَهُ ثلاَثا وَهُوَ يَحْلفُ لهُ[1].

وروى مسلم من حديث أَبِي سَعِيد الخُدْرِي رضي الله عنه أنه قَال: بَيْنا نحْن

---

(١) رواه مسلم في الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج ٢/٧٤٨ (١٠٦٦)، والمخدج ناقص الخلقة، وحشوا رموا بالشيء عن بعد منهم.

عِندَ رَسُول اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْما أَتَاهُ ذو الخُوَيْصِرَةِ[1]، وَهُوَ رَجُل مِن بَني تَمِيم، فقَال يا رَسُول اللهِ: اعْدِل. قَال رَسُول اللهِ ﷺ: وَيْلكَ وَمَن يَعْدِل إن لمْ أَعْدِل، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ، إن لمْ أَعْدِل. فقَال عُمَرُ بْن الخَطَّابِ ﷺ: يَا رَسُول اللهِ ائْذن لي فِيهِ أَضْرِبْ عُنقَهُ. قَال رَسُول اللهِ ﷺ: دَعْهُ فَإن لهُ أَصْحَابا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُون القُرْآن لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُون مِن الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّمِيَّةِ، يُنظَرُ إلى نصْلهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ، ثمَّ يُنظَرُ إلى رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ، ثمَّ يُنظَرُ إلى نضِيِّهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ، وَهُوَ القِدْحُ، ثمَّ يُنظَرُ إلى قُذذهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ، سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ[2]، آيَتُهُمْ رَجُل أَسْوَدُ إحْدَى عَضُدَيْهِ مِثلُ ثدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثل البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ[3]، يَخْرُجُون عَلَى حِين فُرْقَة مِن الناسِ، قَال أَبُو سَعِيد:

---

(١) ذو الخويصرة اختلف في اسمه، وذكر كثير من أهل العلم أن اسمه حرقوص بن زهير، وهو رأس الخوارج قُتل مع من قُتل منهم يوم النهر. انظر فتح الباري لابن حجر ١/٢٩٤، ١/٣٣٣.

(٢) يمرقون يخرجون من الإسلام سريعا دون أن يستفيدوا منه، والرمية هو الصيد المرمي، ونصله حديدة السهم، ورصافه هو العصب الذي يلوى فوق مدخل النصل، وقدحه هو عود السهم قبل أن يوضع له الريش، وقذذه جمع قذة، وهي واحدة الريش الذي يعلق على السهم، والفرث ما يجتمع في الكرش. والمعنى يخرجون من الإسلام بغتة كخروج السهم إذا أخرجه من الفريسة رجل قوي الساعد فيخرج منه بسرعة بحيث لا يعلق بالسهم ولا برصافه ولا بقدحه ولا بقذذه شيء من الدم ولا غيره، وذلك لسرعة خروج السهم من الفريسة المرمية، وأشار إلى هذا بقوله: سبق الفرث والدم، أي لم يتعلق بالسهم شيء من الفرث أو الدم لشدة سرعته.

(٣) البضعة قطعة اللحم، تدردر تضطرب وتذهب وتجيء.

فَأَشْهَدُ أَني سَمِعْتُ هَذا مِن رَسُول اللهِ ﷺ، وأَشْهَدُ أَن عَليَّ بْن أَبِي طَالب ﷺ قاتَلهُمْ وأَنا معَهُ، فَأَمَرَ بِذلكَ الرَّجُل فالتُمِسَ فوُجِدَ، فأُتِيَ بهِ حتَّى نظَرْتُ إِليْهِ عَلى نعْتِ رَسُول اللهِ ﷺ الذي نعَت[1].

وروى مسلم من حديث أَبِي سَعِيد الخُدْري ﷺ أنه قال: بَعَث عَليٌّ ﷺ وَهُوَ بِاليَمَن بِذهَبَة فِي تُرْبَتِهَا إِلى رَسُول اللهِ ﷺ، فَقَسَمَهَا رَسُول اللهِ ﷺ بَيْن أَرْبَعَةِ نفَر، الأَقْرَعُ بْن حَابِس الحَنظَليُّ، وَعُيَيْنَةُ بْن بَدْر الفَزَارِيُّ، وَعَلقَمَةُ بْن عُلاَثَة العَامِري، ثمَّ أَحَدُ بَني كِلاَب، وَزَيْدُ الخَيْرِ الطَّائيُ، ثمَّ أَحَدُ بَني نبْهَان، قَال: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، فقَالوا: أَتُعْطِي صَنادِيدَ نجْد وَتَدَعُنا، فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ: إِني إِنمَا فَعَلتُ ذلكَ لأَتأَلفَهُمْ، فَجَاءَ رَجُل كَث اللحْيَةِ مُشْرِفُ الوَجْنتَيْن، غَائِرُ العَيْنيْن، ناتِئُ الجَبِين، مَحْلوقُ الرَّأْسِ، فقَال: اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ. قَال فقَال رَسُول اللهِ ﷺ: فَمَن يُطِعِ اللهَ إِن عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنني عَلى أَهْل الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنوني، قَال: ثمَّ أَدْبَرَ الرَّجُل، فَاسْتَأْذن رَجُل مِن القَوْمِ فِي قَتْلهِ يُرَوْن أَنهُ خَالدُ بْن الوَلِيدِ، فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ: إِن مِن ضِئْضِئِ هَذا قَوْما يَقْرَءُون القُرْآن لاَ يُجَاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَقْتُلون أَهْل الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُون أَهْل الأَوْثان، يَمْرُقُون مِن الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّمِيَّةِ، لئِن أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلنهُمْ قَتْل عَاد[2].

---

(١) رواه مسلم في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/٧٤٤ (١٠٦٤).

(٢) مسلم في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/٧٤١ (١٠٦٤). والذهبية قطعة من ذهب، وصناديد جمع صنديد وهم الرؤساء ، وغائر العنين أي عيناه داخلتان في رأسه لاصقتان بقعر الحدقة، والوجنتان العظمتان المشرفتان على الخدين وقيل لحم جلد الخدين، والضئضيء العقب والنسل .

وروى البخاري من حديث أَبِي سَعِيد الخُدْرِي ﷺ قال: بَعَث عَلىُّ بْن أَبِى طَالب إلى رَسُول اللهِ ﷺ مِن اليَمَن بِذهَبَة في أَدِيم مَقْرُوظ لَمْ تُحصَّل مِن تُرَابِهَا، قَال: فَقَسَمَهَا بَيْن أَرْبَعَةِ نفر، بَيْن عُيَيْنَةَ بْن حِصْن، وَالأَقْرَعِ بْن حَابِس، وَزَيْدِ الخَيْل، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلقَمَةُ بْن عُلاَثَة، وَإِمَّا عَامِرُ بْن الطُّفَيْل، فَقَال رَجُل مِن أَصْحَابِهِ: كُنا نَحْن أَحَقَّ بِهَذا مِن هَؤُلاَءِ، قَال فَبَلَغَ ذلكَ النبِي ﷺ: فَقَال أَلاَ تَأْمَنوني وَأَنا أَمِين مَن في السَّمَاءِ، يَأْتِيني خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحا وَمَسَاء، قَال: فَقَامَ رَجُل غَائِرُ العَيْنيْن، مُشْرِفُ الوَجْنتَيْن، ناشِزُ الجَبْهَةِ، كَث اللحْيَةِ، مَحْلوقُ الرَّأْس، مُشَمَّرُ الإِزَار فَقَال: يَا رَسُول اللهِ اتَّقِ اللهَ، فَقَال: وَيْلكَ أَوَلسْتُ أَحَقَّ أَهْل الأَرْض أَن يَتَّقِيَ اللهَ؟ قَال: ثمَّ وَلى الرَّجُل، فَقَال: خَالدُ بْن الوَلِيدِ يَا رَسُول اللهِ أَلاَ أَضْرِبُ عُنقَهُ، فَقَال: لاَ لعَلهُ أَن يَكُون يُصَلى، قَال: خَالدٌ وَكَمْ مِن مُصَل يَقُول بِلسَانهِ مَا ليْسَ فِي قَلبِهِ، فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ: إني لمْ أُومَرْ أَن أَنقُبَ عَن قُلوبِ الناس وَلاَ أَشُقَّ بُطُونهُمْ، قَال: ثمَّ نظَرَ إِليْهِ وَهُوَ مُقَفّ فَقَال: إِنهُ يَخْرُجُ مِن ضِئْضِيِء هَذا قَوْمٌ، يَتْلون كِتَابَ اللهِ رَطْبا، لاَ يُجَاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُون مِن الدِّين كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّمِيَّةِ، قَال: أَظُنهُ قَال لئِن أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلنهُمْ قَتْل ثمُودَ [(١)].

وروى مسلم من حديث علي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (سَيَخْرُجُ في آخِرِ الزَّمَان قَوْمٌ، أَحْدَاث الأَسْنان، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولون

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب ﷺ وخالد بن الوليد ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٤/١٥٨١ (٤٠٩٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/٧٤٢ (١٠٦٤)، والمقروظ جلد مدبوغ بالقرظ وهو شجر يدبغ به.

مِن خَيْرِ قَوْل البَرِيَّةِ، يَقْرَءُون القُرْآن لاَ يُجَاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُون مِن الدِّين كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِن الرَّمِيَّةِ، فَإِذا لقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلوهُمْ، فَإِن في قَتْلِهِمْ أَجْرا لِمَن قَتَلهُمْ عِندَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ) [1].

- **تآمر الخوارج على مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.**

روى ابن جرير الطبري وغير واحد من علماء التاريخ والسير أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي، اجتمعوا فتذاكروا قتل علي ﷺ إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم، وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟ كانوا لا يخافون في الله لومه لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد، وأخذنا منهم ثأر إخواننا؟ فقال ابن ملجم: أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البرك وأنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فسمموها واتعدوا السبع عشر من رمضان.

سار ابن ملجم إلى الكوفة فدخلها، وكتم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها، فبينما هو جالس في قوم من بني تيم الرباب يتذاكرون قتلاهم يوم النهروان إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها: قطام بنت الشنجة، وقد قتل علي ﷺ يوم النهروان أباها وأخاها، وكانت فائقة الجمال مشهورة به، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تتعبد فيه،

---

(١) رواه مسلم في الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج ٢/٧٤٦ (١٠٦٦).

فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله وخطبها إلى نفسه، فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادما وقينه، وأن يقتل لها علي بن أبي طالب ﷺ قال: فهو لك ووالله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل علي، فتزوجها ودخل بها ثم شرعت تحرضه على ذلك، وندبت له رجلا من قومها يقال له وردان، واستمال ابن ملجم قبحه الله رجلا يقال له: شبيب بن نجدة الأشجعي الحروري.

ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت وقال: هذه الليلة التي واعدت أصحابي فيها أن يقتلوا معاوية وعمرو بن العاص، فجاء هؤلاء الثلاثة وهم ابن ملجم ووردان وشبيب وهم مشتملون على سيوفهم، فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي ﷺ، فلما خرج جعل ينهّض الناس من النوم إلى الصلاة ويقول: الصلاة، الصلاة عباد الله، فثار إليه شبيب بالسيف فضربه، فوقع في الطاق فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه، فسال دمه على لحيته ﷺ، ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حكم إلا لله، ليس لك يا علي ولا لأصحابك، وجعل يتلو قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾البقرة:٢٠٧.

ونادى علي ﷺ: عليكم به، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله، وذهب شبيب فنجا بنفسه، ومُسك ابن ملجم. وقدم علي ﷺ جُعده بن هُبيرة بن أبي وهب فصلى بالناس صلاة الفجر، وحمل علي ﷺ إلى منزله، وحمل إليه عبد الرحمن ابن ملجم، فأوقف بين يديه وهو مكتوف قبحه الله، فقال له: أي عدو الله ألم أحسن إليك؟

قال: بلى، ثم قال علي ﷺ: إن متُ فاقتلوه، وإن عشتُ فأنا أعلم كيف أصنع به، فقال جندب بن عبد الله ﷺ: يا أمير المؤمنين إن متَ نبايع الحسن؟ فقال: لا أمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر، ولما احتضر علي ﷺ جعل يكثر من قول: لا إله إلا الله، ولا يتلفظ بغيرها.

وأما صاحب معاوية ﷺ وهو البرك فإنه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا اليوم فضربه بالسيف، وقيل بخنجر مسموم فجاءت الضربة في وركه، ومسك الخارجي فقتل، وجاء الطبيب فقال لمعاوية: إن جرحك مسموم، فإما أن أكويك، وإما أن أسقيك شربة فيذهب السم، ولكن ينقطع نسلك، فقال معاوية: أما النار فلا طاقة لي بها، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني، فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه، وانقطع نسله وسلم ﷺ.

وأما صاحب عمرو بن العاص وهو عمرو بن بكر، فإنه كمن له ليخرج إلى الصلاة، فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد في ذلك اليوم، فلم يخرج، وخرج نائبه للصلاة خارجة بن أبي حبيبة من بني عامر ابن لؤي، وكان على شرطة عمرو بن العاص فحمل عليه الخارجي فقتله، وهو يعتقد أنه عمرو بن العاص، فلما أُخذ الخارجي قال: أردت عمرا وأراد الله خارجة، فأرسلت مثلا، وقتل قبحه الله.

وحاصل الأمر أن عليا ﷺ قتل يوم الجمعة سحرا وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين، ودفن بالكوفة على ثلاث وستين سنة ﷺ، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، فلما مات علي ﷺ استدعى الحسن بن علي ﷺ ابن ملجم، فقال له ابن ملجم: إني أعرض

عليك خصلة، قال الحسن: وما هي؟ قال: إني كنت عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما، فإن خليتني ذهبت إلى معاوية على أني إن لم أقتله، أو قتلته وبقيت، فلله علي أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك، فقال له الحسن: كلا والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله. وقد قيل: إن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه، وهو مع ذلك يقرأ سورة العلق: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾ العلق:١. إلى آخرها ثم جاءوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال: إني أخشى أن تمر علي ساعة لا أذكر الله فيها، ثم قطعوا لسانه ثم قتلوه [1].

- **خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب وتنازله لمعاوية عام الجماعة.**

ذكر ابن كثير أن عليا ﷺ لما ضربه ابن ملجم قالوا له: استخلف يا أمير المؤمنين فقال: لا، لكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ يعني بغير استخلاف، فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ، فلما توفي صلى عليه ابنه الحسن لأنه أكبر بنيه رضي الله عنهم ودفن بدار الإمارة على الصحيح من أقوال الناس.

ولما فرغ من شأنه ﷺ كان أول من تقدم إلى الحسن بن علي ﷺ قيس بن سعد بن عبادة فقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه فسكت الحسن، فبايعه ثم بايعه الناس من بعده.

وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان تحت يده أربعون ألف مقاتل قد بايعوا عليا ﷺ على الموت، فلما مات علي ألح قيس بن سعد

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/٣٢٦ : ٣٣١ بتصرف.

على الحسن ﷺ في النفير لقتال أهل الشام، فعزل قيسا عن إمرة أذربيجان، وولى عبيد الله بن عباس عليها، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحدا، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعا عظيما لم يسمع بمثله، فأمّر الحسن بن علي ﷺ قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفا بين يديه، وسار هو بالجيوش في أثره قاصدا بلاد الشام، ليقاتل معاوية وأهل الشام، فلما اجتاز بالمدائن إذ صرخ في الناس صارخ: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل، فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم بعضا حتى انتهبوا سرادق الحسن، وحتى نازعوه بساطا كان جالسا عليه، بل طعنه بعضهم، فكرههم الحسن كراهية شديدة، وركب حتى دخل القصر الأبيض من المدائن فنزله وهو جريح.

وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي، فلما استقر الجيش بالقصر، قال المختار بن أبي عبيد قبحه الله لعمه سعد بن مسعود: هل لك في الشرف والغني؟ قال: ماذا تريد؟ قال تأخذ الحسن بن علي فتقيده وتبعثه إلى معاوية، فقال له عمه: قبحك الله، وقبح ما جئت به، أغدر بابن بنت رسول الله ﷺ؟

ولما رأى الحسن بن علي ﷺ تفرق جيشه عليه مقتهم، وكتب عند ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ، فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة، فقدما عليه الكوفة، ونزل عن الإمرة لمعاوية ليحقن الدماء بين المسلمين، واشترط أن ألا يُسب علي ﷺ وهو يسمع مع بعض الأمور الأخرى، فاصطلحوا على ذلك واجتمعت كلمة

المسلمين على معاوية ﷺ[١].

وقد لام الحسين ﷺ أخاه الحسن على هذا الرأي فلم يقبل منه، والصواب مع الحسن ﷺ، والمشهور أن مبايعة الحسن كانت في سنة أربعين، ولهذا يقال له عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على معاوية، وقد سلم الحسن بن علي الأمر لمعاوية بن أبي سفيان[٢].

قال الزهري: لما بايع أهل العراق الحسن بن علي طفق يشترط عليهم أنهم سامعون مطيعون، مسالمون من سالمت، محاربون من حاربت، فارتاب به أهل العراق، وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، فازداد لهم بغضا، وازداد منهم ذعرا، فعند ذلك عرف تفرقهم واختلافهم عليه، وكتب إلى معاوية يسالمه ويراسله في الصلح بينهما على ما يختاران[٣].

وروى البخاري من حديث أبي بكرة أنه قال: (أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذات يَوْمٍ الْحَسَنَ فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِين) [٤].

وروى الحافظ الخطيب البغدادي عن أبي العريف أنه قال: كنا في مقدمة الحسن بن علي اثنا عشر ألفا مستميتين من الجد على قتال أهل الشام، وعلينا أبو الغمر طه، فلما جاءنا بصلح الحسن بن علي كأنما

---

(١) انظر تاريخ الطبري ١٦٥/٣، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤/٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٤٥/٣، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢٧١/٣ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٥/٨.

(٣) رواه الطبري في تاريخه ١٦٧/٣، وانظر البداية والنهاية لابن كثير ١٧/٨.

(٤) البخاري في الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي ﷺ ٢٤٩/٤ (٣٦٢٩).

كسرت ظهورنا من الغيظ، فلما قدم الحسن بن علي ﷺ على الكوفة قال له رجل منا يقال له: أبو عامر سعيد بن النتل: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: لا تقل هذا يا عامر، لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك[1].

ولما تسلم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها، واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق، ورجع إليه قيس بن سعد، وقد كان عزم على الشقاق، فحصل على بيعة معاوية عامئذ الإجماع والاتفاق، وقد رحل الحسن بن علي ومعه أخوه الحسين وبقية أخوتهم وابن عمهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وجعل كلما مر بحي من شيعتهم يبكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية، وهو في ذلك البار الراشد الممدوح، وليس يجد في صدره حرجا ولا تلوما ولا ندما، بل هو راض بذلك مستبشر به، وإن كان قد ساء هذا خلقا من ذويه وأهله وشيعتهم ﷺ وأرضاه وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه [2].

- **خروج الحسين على يزيد معاوية بن أبي سفيان وقصة مقتله.**

بويع ليزيد بالخلافة سنة ستين من الهجرة، وكان عمره أربعا وثلاثين سنة، ولم يبايع الحسين بن علي، ولا عبد الله بن الزبير وكانا في المدينة، ولما طلب منهما أن يبايعا ليزيد قال عبد الله بن الزبير: انظر هذه الليلة

---

(١) رواه ابن أبي شيبة ٤٧٦/٧ (٣٧٣٥٧)، والحاكم ١٩٢/٣ (٤٨١٢)، وفي سنده سفيان بن الليل كوفي كان ممن يغلو في الرفض، لا يصح حديثه.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٩/٨.

وأخبركم برأيي، فقالوا: نعم، فلما كان الليل خرج من المدينة إلى مكة ولم يبايع، ولما جيء بالحسين بن علي ﵄ وقيل له: بايع. قال: إني لا أبايع سرا، ولكن أبايع جهرا بين الناس. قالوا: نعم، ولما كان الليل خرج خلف عبد الله بن الزبير.

وبلغ أهل العراق أن الحسين لم يبايع ليزيد بن معاوية، وهم لا يريدون يزيد بن معاوية، بل ولا يريدون معاوية، لا يريدون إلا عليا وأولاده، فأرسلوا الكتب إلى الحسين بن علي ﵄ كلهم يقولون في كتبهم: إنا بايعناك ولا نريد إلا أنت، وليس في عنقنا بيعة ليزيد بل البيعة لك، وتكاثرت الكتب على الحسين بن علي ﵄ حتى بلغت أكثر من خمسمائة كتاب، كلها جاءته من أهل الكوفة يدعونه إليهم.

عند ذلك أرسل الحسين بن علي ﵄ ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب لتقصي الأمور هناك، وليعرف حقيقة الأمر وجليته، فلما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة صار يسأل حتى علم أن الناس هناك لا يريدون يزيد، بل يريدون الحسين بن علي ﵄، ونزل عند هانئ بن عروة، وجاء الناس جماعات ووحدانا يبايعون مسلم بن عقيل على بيعة الحسين ﵄.

وكان النعمان بن بشير أميرا على الكوفة من قبل يزيد بن معاوية، فلما بلغه أن مسلم بن عقيل بين ظهرانيهم، وأنه يأتيه الناس ويبايعونه للحسين ﵄ أظهر كأنه لم يسمع شيئا ولم يعبأ بالأمر، حتى خرج بعض الذين عنده إلى يزيد في الشام وأخبروه بالأمر، وأن مسلما يبايعه الناس، وأن النعمان بن بشير غير مكترث بهذا الأمر، فأمر يزيد بعزل النعمان

بن بشير، وأرسل عبيد الله بن زياد أميرا على الكوفة، وكان أميرا على البصرة، فضم له الكوفة معها ليعالج هذا الأمر، فوصل عبيد الله بن زياد ليلا إلى الكوفة متلثما، فكان عندما يمر على الناس يسلم عليهم يقولون: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله، يظنون أنه الحسين وأنه دخل متخفيا متلثما ليلا، فعلم عبيد الله بن زياد أن الأمر جد، وأن الناس ينتظرون الحسين بن علي ﷺ[1].

عند ذلك دخل القصر ثم أرسل مولى له اسمه معقل ليتقصى الأمر ويعرف من الرأس المدبر في هذه المسألة، فذهب متخفيا على أنه رجل من حمص، وأنه جاء بثلاثة آلاف دينار لمساندة الحسين ﷺ، فصار يسأل حتى دل على دار هانئ بن عروة، فدخل ووجد مسلم بن عقيل وبايعه وأعطاه الثلاثة آلاف دينار، وصار يتردد أياما حتى عرف ما عندهم، ورجع بعد ذلك إلى عبيد الله بن زياد وأخبره الخبر.

وبعد أن استقرت الأمور وبايع كثير من الناس مسلم بن عقيل، أرسل إلى الحسين ﷺ أن أقدم فإن الأمر قد تهيأ، فخرج الحسين بن علي ﷺ يوم التروية، وكان عبيد الله قد علم ما قام به مسلم بن عقيل فقال: عَلَيَّ بهانئ بن عروة، فجيء به فسأله: أين مسلم بن عقيل؟ قال: لا أدري، فنادى مولاه معقلا فدخل عليه فقال: هل تعرفه؟ قال: نعم، فأسقط في يده، وعرف أن المسألة كانت خدعة من عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله عند ذلك: أين مسلم بن عقيل؟ فقال: والله لو كان

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٧٥، ٣/٢٩٩، والبداية والنهاية لابن كثير ٨/١٥٣، وتاريخ خليفة بن خياط ص٢٣١.

تحت قدمي ما رفعتها، فضربه عبيد الله بن زياد ثم أمر بحبسه.

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج بأربعة آلاف وحاصر قصر عبيد الله، وخرج أهل الكوفة معه، وكان عند عبيد الله في ذلك الوقت أشراف الناس فقال لهم: خذلوا الناس عن مسلم بن عقيل، ووعدهم بالعطايا وخوفهم بجيش الشام، فصار الأمراء يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل، فما زالت المرأة تأتي وتأخذ ولدها، ويأتي الرجل ويأخذ أخاه، ويأتي أمير القبيلة فينهى الناس، حتى لم يبق معه إلا ثلاثون رجلا من أربعة آلاف! وما غابت الشمس إلا ومسلم بن عقيل وحده، قد ذهب كل الناس عنه.

وبقي وحيدا يمشي في دروب الكوفة لا يدري أين يذهب؟ فطرق الباب على امرأة من كندة فقال لها: أريد ماء، فاستغربت منه ثم قالت له: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، وأخبرها الخبر، وأن الناس خذلوه، وأن الحسين ﷺ سيأتي؛ لأنه أرسل إليه أن أقدم، فأدخلته عندها في بيت مجاور، وأتته بالماء والطعام، ولكن ولدها قام بإخبار عبيد الله بن زياد بمكان مسلم بن عقيل، فأرسل إليه سبعين رجلا فحاصروه فقاتلهم وفي النهاية استسلم لهم عندما أمنوه، فأخذ إلى قصر الإمارة الذي فيه عبيد الله بن زياد، فلما دخل سأله عبيد الله عن سبب خروجه هذا؟ فقال: بيعة في أعناقنا للحسين بن علي ﷺ، قال: أو ليست في عنقك بيعة ليزيد؟ فقال له: إني قاتلك. قال: دعني أوصي. قال: نعم أوص. فالتفت فوجد عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال له: أنت أقرب الناس مني رحما تعال أوصيك، فأخذه في جانب من الدار وأوصاه بأن يرسل

إلى الحسين أن ارجع، فأرسل عمر بن سعد رجلا إلى الحسين ليخبره بأن الأمر قد انقضى، وأن أهل الكوفة قد خدعوه، وقال مسلم كلمته المشهورة: ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة، فإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لكاذب رأي.

• أغلب الصحابة حاولوا منع الحسين بن علي من الخروج إلى الكوفة.

قتل مسلم بن عقيل يوم عرفة، وكان الحسين ﷺ قد خرج من مكة يوم التروية قبل مقتل مسلم بن عقيل بيوم واحد، وكان كثير من الصحابة ﷺ قد حاولوا منع الحسين بن علي ﷺ من الخروج وهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن الزبير، وأخوه محمد بن الحنفية. كل هؤلاء ﷺ لما علموا أن الحسين يريد أن يخرج إلى الكوفة نهوه.

قال عبد الله بن عباس ﷺ للحسين لما أراد الخروج: لولا أن يزري بي وبك الناس لشبثت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب[1].

قال الشعبي: كان ابن عمر ﷺ بمكة فبلغه أن الحسين قد توجه إلى العراق، فلحقه على مسيرة ثلاث ليال فقال: أين تريد؟ قال: العراق، وأخرج له الكتب التي أرسلت من العراق يعلنون أنهم معه وقال: هذه كتبهم وبيعتهم، قد غروه ﷺ. قال ابن عمر: لا تأتهم، فأبى الحسين إلا أن يذهب. فقال ابن عمر: إني محدثك حديثا، إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنك بضعة

(١) البداية والنهاية ١٥٩/٨، والمصنف لابن أبي شيبة ٤٧٧/٧ (٣٧٣٦٤).

منه، والله لا يليها أحد منكم أبدا، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع، فاعتنقه عبد الله بن عمر وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل[١].

وقال عبد الله بن الزبير للحسين: أين تذهب؟! تذهب إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك، لا تذهب، فأبى الحسين إلا أن يخرج [٢].

وقال أبو سعيد الخدري: يا أبا عبد الله إني لك ناصح، وإني عليكم مشفق، قد بلغني أنه قد كاتبكم قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فإني سمعت أباك يقول في الكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم، وملوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ولا صبر على سيف[٣].

وممن أشار على الحسين بعدم الخروج من غير الصحابة: الفرزدق الشاعر، وذلك بعد خروج الحسين لقي الفرزدق فقال له: من أين؟ قال من العراق، قال: كيف حال أهل العراق؟ قال: قلوبهم معك، وسيوفهم مع بني أمية، فأبى إلا أن يخرج وقال: الله المستعان[٤].

---

(١) رواه الآجري في الشريعة ٢١٧٧/٥، وأبو سليمان الخطابي في كتاب العزلة ص١٥، والبيهقي في دلائل النبوة ٤٧١/٦.

(٢) هذا اللفظ المذكور هو اللفظ الذي ورد في البداية والنهاية لابن كثير ١٦١/٨، وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٩٣/٣.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٦١/٨، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٠٥/١٤.

(٤) تاريخ الطبري ٢٩٦/٣، والبداية والنهاية لابن كثير ١٦٦/٨.

وبلغ الحسين ﷺ خبر قتل مسلم بن عقيل عن طريق الرسول الذي أرسله عمر بن سعد، فهم الحسين ﷺ أن يرجع فكلم أبناء مسلم بن عقيل، فقالوا: لا والله لا نرجع حتى نأخذ بثأر أبينا، فنزل على رأيهم، وبعد أن علم عبيد الله بن زياد بخروج الحسين ﷺ أمر الحر بن يزيد التميمي أن يخرج بألف رجل مقدمة ليلقى الحسين في الطريق، فلقي الحسين ﷺ قريبا من القادسية، فقال له الحر: إلى أين يا ابن بنت رسول الله؟ قال: إلى العراق. قال: فإني آمرك أن ترجع، وأن لا يبتليني الله بك، ارجع من حيث أتيت، أو اذهب إلى الشام إلى حيث يزيد، لا تقدم إلى الكوفة، فأبى الحسين ذلك ثم جعل الحسين يسير جهة العراق، وصار الحر بن يزيد يعاكسه ويمنعه، فقال له الحسين: ابتعد عني ثكلتك أمك. فقال الحر بن يزيد: والله لو قالها غيرك من العرب لاقتصصت منه ومن أمه، ولكن ماذا أقول وأمك سيدة نساء العالمين[١].

ووقف الحسين في مكان يقال له كربلاء، فسأل ما هذه؟ قالوا: كربلاء، فقال: كرب وبلاء[٢].

ولما وصل جيش عمر بن سعد وعدده أربعة آلاف كلم الحسين وأمره أن يذهب معه إلى العراق حيث عبيد الله بن زياد فأبى، ولما رأى أن الأمر جد قال لعمر بن سعد: إني أخيرك بين ثلاثة أمور فاختر منها

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/٤٠٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٨/١٧٣.

(٢) رواه الآجري في الشريعة ٥/٢١٧٣ وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٢/٦٦٦ والطبراني في المعجم الكبير ٣/١٠٨ (٢٨١٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٨٩ وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقات عن أم سلمة رضي الله عنها.

ما شئت، قال: وما هي؟ قال: أن تدعني أرجع، أو أذهب إلى ثغر من ثغور المسلمين، أو أذهب إلى يزيد حتى أضع يدي في يده بالشام، فقال عمر بن سعد: نعم أرسل أنت إلى يزيد، وأرسل أنا إلى عبيد الله بن زياد، وننظر ماذا يكون في الأمر، فلم يرسل الحسين إلى يزيد، وأرسل عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد، فلما جاء الرسول إلى عبيد الله بن زياد وأخبره الخبر وأن الحسين يقول: أخيركم بين هذه الأمور الثلاثة، رضي ابن زياد أي واحدة يختارها الحسين رضي الله عنه.

وكان عند عبيد الله بن زياد رجل يقال له شمر بن ذي الجوشن، وكان من المقربين من ابن زياد فقال: لا والله حتى ينزل على حكمك، فاغتر عبيد الله بقوله فقال: نعم حتى ينزل على حكمي. فقام عبيد الله بن زياد بإرسال شمر بن ذي الجوشن، وقال: اذهب حتى ينزل على حكمي، فإن رضي عمر بن سعد وإلا فأنت القائد مكانه.

وكان ابن زياد قد جهز عمر بن سعد بأربعة آلاف يذهب بهم إلى الري، فقال له: اقض أمر الحسين ثم اذهب إلى الري، وكان قد وعده بولاية الري، فخرج شمر بن ذي الجوشن، ووصل الخبر للحسين، وأنه لابد أن ينزل على حكم عبيد الله بن زياد فرفض وقال: لا والله لا أنزل على حكم عبيد الله بن زياد أبدا [(١)].

وكان عدد الذين مع الحسين اثنين وسبعين فارسا، وجيش الكوفة خمسة آلاف، ولما تواقف الفريقان قال الحسين لجيش ابن زياد: راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي؟ وأنا ابن بنت نبيكم،

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٨/١٧٠.

وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري، وقد قال رسول الله ﷺ لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة [(١)].

وصار الحسين رضي الله عنه يحثهم على ترك أمر عبيد الله بن زياد والانضمام إليه، فانضم للحسين منهم ثلاثون، فيهم الحر بن يزيد التميمي الذي كان قائد مقدمة جيش عبيد الله بن زياد، فقيل للحر بن يزيد: أنت جئت معنا أمير المقدمة والآن تذهب إلى الحسين؟! فقال: ويحكم والله إني أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة ولو قطعت وأحرقت [(٢)].

بعد ذلك صلى الحسين الظهر والعصر من يوم الخميس، صلى بالفريقين بجيش عبيد الله بن زياد وبالذين معه، وكان قال لهم: منكم إمام ومنا إمام. قالوا: لا، بل نصلي خلفك، فصلوا خلف الحسين الظهر والعصر، فلما قرب وقت المغرب تقدموا بخيولهم نحو الحسين، وكان الحسين رضي الله عنه محتبيا بسيفه، فلما رآهم وكان قد نام قليلا قال: ما هذا؟! قالوا: إنهم تقدموا فقال: اذهبوا إليهم فكلموهم وقولوا لهم: ماذا يريدون؟ فذهب عشرون فارسا منهم العباس بن علي بن أبي طالب أخو الحسين، فكلموهم وسألوهم، قالوا: إما أن ينزل على حكم عبيد الله بن زياد وإما أن يقاتل، قالوا: حتى نخبر أبا عبد الله، فرجعوا إلى

---

(١) رواه الترمذي في المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام ٥/٦٥٦ (٣٧٦٨)، وأحمد في المسند ٣/٣ (١١٠١٢)، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٧٩٦).

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٢٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٨/١٨٠.

الحسين ﷺ وأخبروه، فقال قولوا لهم: أمهلونا هذه الليلة وغدا نخبركم حتى أصلي لربي، فإني أحب أن أصلي لربي تبارك وتعالى، فبات ليلته تلك يصلي لله تبارك وتعالى ويستغفره ويدعو الله هو ومن معه ﷺ أجمعين، وفي صباح يوم الجمعة شب القتال بين الفريقين لما رفض الحسين أن يستأسر لعبيد الله بن زياد، وكانت الكفتان غير متكافئتين، فرأى أصحاب الحسين ﷺ أنهم لا طاقة لهم بهذا الجيش، فصار همهم الوحيد الموت بين يدي الحسين بن علي، فأصبحوا يموتون بين يدي الحسين ﷺ الواحد تلو الآخر حتى فنوا جميعا، ولم يبق منهم أحد إلا الحسين بن علي ﷺ، وولده علي بن الحسين الذي كان مريضا.

وبقي الحسين بعد ذلك نهارا طويلا، لا يقدم عليه أحد حتى يرجع لا يريد أن يبتلى بقتله ﷺ، واستمر هذا الأمر حتى جاء شمر بن ذي الجوشن فصاح بالناس: ويحكم ثكلتكم أمهاتكم أحيطوا به واقتلوه، فجاءوا وحاصروا الحسين بن علي فصار يجول بينهم بالسيف ﷺ حتى قتل منهم من قتل، وكان كالسبع، ولكن الكثرة غلبت، وصاح بهم شمر: ويحكم ماذا تنتظرون؟ أقدموا، فتقدموا إلى الحسين فقتلوه ﷺ، والذي باشر قتل الحسين سنان بن أنس النخعي، وحز رأسه ﷺ، وقيل: بل شمر، قبحهما الله[1].

وبعد أن قتل الحسين ﷺ حمل رأسه إلى عبيد الله في الكوفة، فجعل ينكت به بقضيب كان معه يدخله في فمه، ويقول: إن كان لحسن الثغر، فقام أنس بن مالك وقال: والله لأسوأنك؛ لقد رأيت رسول الله

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٨٧/٨.

ﷺ يقبل موضع قضيبك من فيه (١).

قال إبراهيم النخعي: لو كنت فيمن قتل الحسين، ثم أدخلت الجنة استحييت أن أمر على النبي ﷺ فينظر في وجهي (٢).

وقد قتل مع الحسين من أبناء علي بن أبي طالب ﷺ: جعفر والعباس وأبو بكر، ومحمد، وعثمان، ومن أبناء الحسين عبد الله، وعلي الأكبر غير علي زين العابدين. ومن أبناء الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر. ومن أبناء عقيل جعفر، وعبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، ومسلم بن عقيل كان قد قتل بالكوفة. ومن أولاد عبد الله بن جعفر عون ومحمد. ثمانية عشر رجلا كلهم من آل بيت رسول الله ﷺ قتلوا في هذه المعركة غير المتكافئة.

وما روي من أن السماء صارت تمطر دما، أو أن الجدر لطخت بالدماء، أو ما يرفع حجر إلا ويوجد تحته دم، أو ما يذبحون جزورا إلا صار كله دما، فهذه كلها أكاذيب وترهات، وليس لها سند صحيح إلى

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣/١٢٥ (٢٨٧٨)، والإمام أحمد في فضائل الصحابة ٢/٧٨٤ (١٣٩٧) كلاهما عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس، وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣/٣١٤، وروى البخاري قريبا من ذلك عن أنس أيضا: أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي ﷺ فجعل في طست فجعل ينكث وقال في حسنه شيئا، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوبا بالوسمة. ومعنى مخضوبا أي مصبوغا، والوسمة نبت يميل إلى سواد يصبغ به، انظر البخاري، فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين ٣/١٣٧٠ (٣٥٣٨).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣/١١٢ (٢٨٢٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٩٥ رواه الطبراني ورجاله ثقات.

أحد ممن عاصر الحادثة، وإنما هي أكاذيب تذكر لإثارة العواطف، أو روايات بأسانيد منقطعة ممن لم يدرك الحادثة[1].

والذي أمر بقتل الحسين عبيد الله بن زياد، ولكن لم يلبث هذا أن قتل، حيث قتله المختار بن أبي عبيد انتقاما للحسين، وكان المختار ممن خذل مسلم بن عقيل، فكان الحال بالنسبة لأهل الكوفة أنهم أرادوا أن ينتقموا من أنفسهم؛ لأنهم أولا خذلوا مسلم بن عقيل حتى قتل ولم يتحرك منهم أحد، وثانيا لما خرج الحسين لم يدافع أحد منهم عنه إلا ما كان من الحر بن يزيد التميمي ومن معه، أما أهل الكوفة فإنهم خذلوه، ولذلك تجدهم يضربون صدورهم ويفعلون ما يفعلون للتكفير عن تلك الخطيئة التي ارتكبها آباؤهم كما يزعمون.

قال علي بن الحسين المعروف بزين العابدين موبخا شيعته الذين خذلوا أباه وقتلوه قائلا: أيها الناس نشدتكم بالله، هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه، فتبا لما قدمتم لأنفسكم، وسوأة لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي، فارتفعت أصوات النساء بالبكاء من كل ناحية، وقال بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون. فقال عليه السلام: رحم الله امرءا قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله ورسوله وأهل بيته، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة. فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا سامعون مطيعون، حافظون لذمامك غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك

(١) تفسير ابن كثير ٤/١٤٤.

الله، فإنا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لنأخذن يزيد ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا، فقال عليه السلام: هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم آبائي من قبل؟ كلا فإن الجرح لم يندمل، قتل أبي بالأمس وأهل بيته معه، ولم ينسني ثكل رسول الله ﷺ، وثكل أبي، وبني أبي، ووجده بين لهاتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصته تجري في فراش صدري. وعندما مر الإمام زين العابدين رضي الله عنه وقد رأى أهل الكوفة ينوحون ويبكون، زجرهم قائلا: تنوحون وتبكون من أجلنا فمن الذي قتلنا؟ [(١)].

- **موقف المسلم من قتل الحسين بن علي وما يجب عليه فيه.**

لاشك ولا ريب أن مقتل الحسين رضي الله عنه كان من المصائب العظيمة التي أصيب بها المسلمون، فلم يكن على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره وقد قتل مظلوما رضي الله عنه مدافعا عن أهل بيته، وقتله بالنسبة لأهل الأرض من المسلمين مصيبة، وفي حقه شهادة وكرامة ورفع درجة وقربى من

(١) ذكر الطبرسي هذه الخطبة في الاحتجاج ٣٢/٢ نشر شركة الكبتي بيروت ١٤١٤هـ، ومحسن الأمين العاملي في لواعج الأشجان ص ١٥٨، نشر دار الأمير بيروت ١٩٩٦م، وعباس القمي في منتهى الآمال في تاريخ النبي والآل الجزء الأول ص ٥٧٢ نشر الدار الإسلامية بيروت ١٤١٤هـ، وحسين كوراني في رحاب كربلاء ص١٨٣ نشر دار التعارف للمطبوعات بيروت ١٤١٣هـ، وعبد الرزاق المقرم في مقتل الحسين ص٣١٧ نشر دار الكتاب الإسلامي بيروت ١٣٩٩هـ، ومرتضى عياد في مقتل الحسين ص٨٧ طبعة دار الزهراء بيروت، وأعادها عباس القمي في نفس المهموم ص٣٦٠ نشر دار المحجة البيضاء بيروت ١٤١٢هـ وذكرها رضا القزويني في تظلم الزهراء ص٢٦٢.

الله حيث اختاره للآخرة ولجنات النعيم بدل هذه الدنيا الكدرة.

ونحن نقول: ليته لم يخرج، ولذلك نهاه أكابر الصحابة في ذلك الوقت، بل بهذا الخروج نال أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلوما شهيدا، وكان في قتله من الفساد الذي ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده، ولكنه أمر الله تبارك وتعالى، وما قدر الله كان ولو لم يشأ الناس.

وقتل الحسين ليس بأعظم من قتل الأنبياء، وقد قدم رأس يحيى بن زكريا صلوات الله وسلامه عليه مهرا لبغي، وقتل زكريا، وكذلك قتل عمر وعثمان وعلي، وهؤلاء كلهم أفضل من الحسين ﷺ وعنه، فلذلك لا يجوز للإنسان إذا تذكر مقتل الحسين ﷺ أن يقوم باللطم والشق وما شابه ذلك، بل كل هذا منهي عنه فإن النبي ﷺ قال: (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب)[1]. وقال ﷺ: (أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة)[2]. والصالقة التي تصيح، والحالقة التي تحلق شعرها، والشاقة التي تشق ثيابها. وقال ﷺ: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب [3]. فالواجب على المسلم إذا جاءت أمثال هذه المصائب أن يقول كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ البقرة:١٥٦.

---

(١) رواه البخاري في الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب ١/٤٣٥ (١٢٣٢).

(٢) رواه البخاري في الجنائز، باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة ١/٤٣٦ (١٢٣٤)، ومسلم في الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود ١/١٠٠ (١٠٤).

(٣) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة ٢/٦٤٤ (٩٣٤).

والناس في قتل الحسين على ثلاث طوائف[١]: الطائفة الأولى يرون أن الحسين قتل بحق وأنه كان خارجا على الإمام وأراد أن يشق عصا المسلمين، وحجتهم قول رسول الله ﷺ: من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه كائنا من كان[٢]. ويرون أن الحسين أراد أن يفرق جماعة المسلمين والرسول ﷺ قال: كائنا من كان اقتلوه، فكان قتله صحيحا، وهذا قول الناصبة الذين يبغضون الحسين بن علي رضي الله عنه ورضي عن أبيه. والطائفة الثانية قالوا: هو الإمام الذي تجب طاعته، وكان يجب أن يسلم إليه الأمر، وهو قول الشيعة.

أما الطائفة الثالثة وهم أهل السنة والجماعة قالوا: قتل الحسين مظلوما، ولم يكن متوليا للأمر، أي لم يكن إماما، ولا قتل خارجيا رضي الله عنه بل قتل مظلوما شهيدا، كما قال النبي ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وذلك أنه أراد الرجوع أو الذهاب إلى يزيد في الشام، ولكنهم منعوه حتى يستأسر لابن زياد.

قال ابن تيمية: (بعد مقتل الحسين أحدث الناس بدعتين، الأولى بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي، وما يفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنتهم وإدخال

---

(١) مختصر من كتاب حقبة من التاريخ للشيخ عثمان الخميس حفظه الله تعالى، موقف الناس من قتل الحسين، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

(٢) رواه مسلم عن عرفجة الأسلمي رضي الله عنه في كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ٣/١٤٨٠ (١٨٥٢) بلفظ: من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه، وأما لفظ كائناً من كان، فعند أحمد في المسند ٣/٣٤١ (١٩٠٢٢).

من لا ذنب له مع ذوي الذنوب حتى يسب السابقون الأولون، وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب، وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، أما البدعة الثانية فهي بدعة الفرح والسرور وتوزيع الحلوى والتوسعة على الأهل يوم مقتل الحسين، وكانت الكوفة بها قوم من المنتصرين لآل البيت، وكان رأسهم المختار بن أبي عبيد المتنبئ الكذاب وقوم من المبغضين لآل البيت ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي، ولا ترد البدعة بالبدعة، بل ترد بإقامة سنة النبي ﷺ الموافقة لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦)﴾ البقرة:١٥٦) [(١)].

ولم يكن ليزيد بن معاوية يد في قتل الحسين، وليس هذا دفاعا عن يزيد، ولكنه دفاع عن الحق، فقد أرسل يزيد عبيد الله بن زياد ليحول بين الحسين والوصول إلى الكوفة، ولم يأمره بقتله، بل الحسين نفسه كان حسن الظن بيزيد حين قال: دعوني أذهب إلى يزيد فأضع يدي في يده.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق، ولما بلغ يزيد قتل الحسين أظهر التوجع على ذلك، وظهر البكاء في داره ولم يسب لهم حريما، بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلادهم، أما الروايات التي فيها أنه أُهين نساء آل بيت رسول الله ﷺ وأُنهن أخذن إلى الشام مسبيات وأهن هناك، هذا كله كلام باطل، بل كان بنو أمية يعظمون بني هاشم، ولذلك لما تزوج الحجاج بن يوسف

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤/٥٥٤، ٥٥٥ بتصرف.

فاطمة بنت عبد الله بن جعفر لم يقبل عبد الملك بن مروان هذا الأمر، وأمر الحجاج أن يعتزلها ويطلقها، فهم كانوا يعظمون بني هاشم؛ بل لم تسب هاشمية قط [(١)].

ومن ثم فإن الهاشميات كن عزيزات مكرمات في ذلك الزمن، فالكلام الذي يقال عن يزيد أنه سبى نساء أهل بيت رسول الله ﷺ باطل مكذوب. وما ذكر أن رأس الحسين أرسل إلى يزيد فهذا أيضا لم يثبت، بل إن رأس الحسين بقي عند عبيد الله في الكوفة، ودفن الحسين ولا يعلم قبره ولكن المشهور أنه دفن في كربلاء حيث قتل.

- **الشيعة الذي زعموا أنهم أهل بيت الحسين قتلوة ثم عبدوه.**

لا شك أن فرق الشيعة الذي زعموا زورا وبهتانا أنهم أهل بيت رسول الله ﷺ، وأهل بيت الحسين يقرون بأنهم دعوا الحسين لينصروه فقتلوه، وهذه حقيقة مسطرة في كتبهم.

قال الشيعي حسين كوراني: (أهل الكوفة لم يكتفوا بالتفرق عن الإمام الحسين، بل انتقلوا نتيجة تلون مواقفهم إلى موقف ثالث، وهو أنهم بدءوا يسارعون بالخروج إلى كربلاء، وحرب الإمام الحسين عليه السلام، وفي كربلاء كانوا يتسابقون إلى تسجيل المواقف التي ترضي الشيطان، وتغضب الرحمن، مثلا نجد أن عمرو بن الحجاج الذي برز بالأمس في الكوفة وكأنه حامي حمى أهل البيت، والمدافع عنهم، والذي يقود جيشا لإنقاذ العظيم هانئ بن عروة، يبتلع كل موقفه

---

(١) هذه الفقرة جَمْع بتصرف بين موضعين من كتاب منهاج السنة لابن تيمية ٤/٤٧٢، ٤/٥٥٨ بتصرف.

الظاهري هذا ليتهم الإمام الحسين بالخروج عن الدين لنتأمل النص التالي: وكان عمرو بن الحجاج يقول لأصحابه: قاتلوا من مرق عن الدين وفارق الجماعة) [١]. وقال أيضا: (ونجد موقفا آخر يدل على نفاق أهل الكوفة، يأتي عبد الله بن حوزة التميمي يقف أمام الإمام الحسين عليه السلام ويصيح: أفيكم حسين؟ وهذا من أهل الكوفة، وكان بالأمس من شيعة علي عليه السلام، ثم يقول: يا حسين أبشر بالنار) [٢].

ويتساءل مرتضى مطهري: كيف خرج أهل الكوفة لقتال الحسين عليه السلام بالرغم من حبهم وعلاقتهم العاطفية به؟ ثم يجيب قائلا: والجواب هو الرعب والخوف الذي كان قد هيمن على أهل الكوفة عموما منذ زمن زياد ومعاوية، هذا بالإضافة إلى تغلب عامل الطمع والحرص على الثروة والمال وجاه الدنيا [٣].

وقال الشيعي كاظم الإحسائي النجفي: (إن الجيش الذي خرج لحرب الإمام الحسين عليه السلام ثلاثمائة ألف، كلهم من أهل الكوفة، ليس فيهم شامي ولا حجازي ولا هندي ولا باكستاني ولا سوداني ولا مصري ولا أفريقي بل كلهم من أهل الكوفة، قد تجمعوا من قبائل شتى)[٤]. ونقل حسين بن أحمد البراقي النجفي عن القزويني أنه قال: (ومما نقم على أهل الكوفة أنهم طعنوا الحسن بن علي عليهما السلام،

---

(١) في رحاب كربلاء لحسين كوراني ص٦٠ نشر دار التعارف بيروت ١٤١٣هـ.
(٢) السابق ص٦١.
(٣) الملحمة الحسينية لمرتضى مظهري ٤٧/٣ نشر الدار الإسلامية بيروت ١٤١٣هـ.
(٤) انظر كتابه عاشوراء ص٨٩ مؤسسة البلاغ بيروت ١٤١١هـ.

وقتلوا الحسين عليه السلام بعد أن استدعوه) [(١)]. وقال الشيعي المعروف بمحسن الأمين: (ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفا غدروا به، وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم، فقتلوه) [(٢)].

وقد نقل شيوخ الشيعة أبو منصور الطبرسي وابن طاووس والأمين وغيرهم عن أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما أنها قالت: (يا أهل الكوفة سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسينا وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه، ونكبتموه، فتبا لكم وسحقا لكم، أي دواه دهتكم، وأي وزر على ظهوركم حملتم، وأي دماء سفكتموها، وأي كريمة أصبتموها، وأي صبية سلبتموها، وأي أموال انتهبتموها، قتلتم خير رجالات بعد النبي ﷺ، ونزعت الرحمة من قلوبكم)[(٣)].

ونقل عنها القمي أنها أطلت برأسها من المحمل وقالت: (صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم، فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء)[(٤)].

- **الشعائر الحسينية والطقوس الدينية الوثنية في عبودية الحسين.**

أنشأ الشيعة طقوسا دينية وشعائر وثنية لا ترى فيها إلا مظهرا من

---

(١) تاريخ الكوفة لحسين بن أحمد البراقي ص١١٣ نشر دار الأضواء ١٤٠٧هـ.
(٢) أعيان الشيعة لمحسن الأمين ١/٢٦ طبع دار التعارف بيروت.
(٣) انظر نفس المهموم للشيخ عباس القمي ص٣٦٣، نشر دار المحجة البيضاء بيروت ١٤١٢هـ، ولواعج الأشجان لمحسن الأمين العاملي ص١٥٧ نشر دار الأمير بيروت ١٩٩٦م، وتظلم الزهراء لرضا بن نبي القزويني ص٢٦١.
(١) نفس المهموم لعباس القمي ص ٣٦٥.

مظاهر تعظيم المخلوق كتعظيم الخالق أو أكثر من ذلك، وارتبط هذا التعظيم بوصف أئمتهم وعلى رأسهم الحسين ﷺ بأوصاف الإلوهية فادعوا أن أئمتهم يعلمون الغيب، وأنه لا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء، بل يعلمون ما في أصلاب الرجال، وما في أرحام النساء، ويعلمون ما في الجنة من الأبرار، وما في النار من الفجار، ويعلمون علم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وزعموا أن حكم البلاد والعباد مرجعه إلى الأئمة في خلافتهم التكوينية.

قال الخميني في بث خرافاته الشركية الشيعية: (إن للإمام مقاما محمودا، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية، تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما، لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل) [١].

لقد كان لعقيدة الشيعة الشركية منذ وقت مبكر في الإمامة وتعظيم الإمام كتعظيم الله، كان لها الأثر الواضح في إحداث الشرك والشركيات في العالم الإسلامي، بل نبه شيخ الإسلام ابن تيمية أن الشيعة هم أول من أحدث الشرك وعبادة القبور في الأمة، فقد تحول غلو الشيعة في أئمتها إلى غلو في قبورها وتعظيمها، ووضعوا حكايات وثنية، وقصص مختلقة لتأثيرها في مريدها، واستجابتها لمن شد الرحال إليها، أو طاف بها، أو تلمسها طلبا للبركة.

قال ابن تيمية: (وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة

(١) الحكومة الإسلامية للخميني ص٥٢.

المشاهد التي على القبور، أهل البدع من الرافضة ونحوهم الذين يعطلون المساجد، ويعظمون المشاهد، يدَعون بيوت الله التي أمر أن يذكر فيها اسمه ويعبد وحده لا شريك له، ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها، ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانا، فان الكتاب والسنة إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد) [1].

لقد كانت بدايات الشعائر الشيعية تقتصر على تجمع نفر منهم في بيت أحدهم، وإنشاد فرد منهم أبيات من الشعر، أو تلاوته أحاديث في رثاء أهل البيت، وبكاء الآخرين بكل تكتم وإخفاء وتقية، خشية أن تطيش بهم الحكومات الشرعية وتذهب برؤوسهم، ثم انتقلوا في شعائرهم إلى إخراج مجالس التأبين عن الدور إلى الجامع والشوارع والساحات العامة، وإعلان الحداد الرسمي العام يوم عاشوراء، وإغلاق الأسواق، وتنظيم المواكب المتجولة في الشوارع والساحات، ثم أضافوا إليها التمثيل الذي يجسد المأساة.

ثم توسع الأمر وأصبحت طقوسا محفوظة، فإذا جاء شهر المحرم رأيت المساجد والنوادي الحسينية ومداخل القرى مجللة بالسواد، متسربلة بالحزن، عليها علامات الأسى واللوعة، وتراءت وجوه العاملين تعلوها الكآبة وتتشح بالشجن، فالنفوس منقبضة، والوجوه متجهمة، والقلوب فزعة جزعة، قد تملكها الهلع من فاجعة كربلاء، فهنا وهناك عويل ونواح يكربان القلب، ويوجعان الصدر.

وفي صبيحة اليوم العاشر يكون قد وفد إلى النبطية عشرات الألوف

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٩١/٢٧.

من أبناء الطائفة، وغيرها للاشتراك بإحياء الذكرى، ويبدأ الاحتفال بقراءة مصرع الحسين في حسينية النبطية في الساعة الثامنة صباحا، ينتهي في الساعة التاسعة والنصف تقريبا حيث يجري تمثيل المصرع، فيشترك في التمثيل أبناء النبطية كبارا وصغارا ونساء ورجالا، بالإضافة إلى من نذره أهله لهذه الغاية من الأطفال، وتمثل في ساحة النبطية العامة واقعة ألطف، حيث يشهدها حشد من الشيعة يقدر بأكثر من خمسين ألفا، يتم التمثيل في جو عابق بالحماس الديني، ثم يطوف بعد ذلك عدد من الشبان والأطفال في المدينة، وهم عراة الصدور يضربون رؤوسهم بالسيوف والخناجر، وظهورهم بالسلاسل بشكل يبعث في النفوس الأسى[١].

قال الخميني: إن مواكب اللطم هذه هي التي تمثل رمزا لانتصارنا، لتقم المآتم والمجالس الحسينية في أنحاء البلاد، وليلق الخطباء مراثيهم، وليبك الناس، ولتمارس مواكب اللطم والردات والشعارات الحسينية ما كانت تمارسه في السابق، واعلموا أن حياة هذا الشعب رهينة بهذه المراسم والمراثي والتجمعات والمواكب[٢].

وقد زعموا في طقوسهم أن من زار قبر الحسين عارفا بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وزعموا أن أرض كربلاء أفضل من أرض مكة، والسجدة على التربة الحسينية أفضل من السجدة على أرض الحرم، وصارت هذه الخرافات اعتقادات يقينية وثنية، وأصبحت مشاهد الشيعة ومزاراتها

---

(١) انظر آداب المنابر الحسينية لحسن مغنية ص١٨١.

(٢) نهضة عاشوراء للخميني ص١٠٨.

موطنا للشرك وعبادة غير الله ﷻ بسبب الاعتقادات الشركية التي رسخت في قلوب الملايين ممن نراهم يزحفون إلى كربلاء لدعاء غير الله من الأموات، فيعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ويعظمون المشاهد المبنية على القبور، ويوجبون على كل أتباعهم شد الرحال إليهم بروايات الإفك والزور، والناس يعتقدون في نفعها، فيحجون إليها كما يحجون إلى البيت الحرام، بل يعتقدون أن السفر إليها والطواف بها والصلاة عندها وتقديم القرابين في رحابها، والاستغاثة بها وطلب الشفاء منها أو التوسل إليها، وطلب شفاعتها، والانكباب عليها، هي عندهم من أفضل القربات وأعظم الطاعات.

ومن أضل ممن يفضل الشرك ودعاء الأموات على التوحيد ودعاء رب الأرض والسماوات، فيعمر المشاهد ويعطل المساجد، ويساوي بين الحج إلى مكة ومنزلته في الإسلام، واستلام الركن والصلاة في المقام عند البيت الحرم، وبين الحج إلى أرض كربلاء، وأفعال الشرك ومناسك الباطل والآثام، طهر الله أمير المؤمنين عليا والحسين وأولادهما، وبرأهم جميعا من إفك الشيعة وشركهم.

- **أين رأس الحسين؟ وهل صحيح أنها انتقلت بجوار مشيخة الأزهر؟**

ذكر ابن تيمية أن الحسين رضي الله عنه قتل بكربلاء قريبا من الفرات ودفن جسده حيث قتل، وحمل رأسه إلى قدام عبيد الله بن زياد بالكوفة، هذا الذي رواه البخاري في صحيحه وغيره من الأئمة، وأما حمله إلى الشام إلى يزيد، فقد روي ذلك من وجوه منقطعة لم يثبت شيءٌ منها، بل في الروايات ما يدل على أنها من الكذب المختلق؛ فإنه يذكر فيها أن يزيد جعل ينكت بالقضيب على ثناياه ؛ وأن بعض الصحابة الذين حضروه

كأنس بن مالك وأبي برزة أنكر ذلك، وهذا تلبيسٌ. فإن الذي جعل ينكت بالقضيب إنما كان عبيد الله بن زياد؛ هكذا في الصحيح والمساند، وإنما جعلوا مكان عبيد الله بن زياد يزيد، وعبيد الله لا ريب أنه أمر بقتله وحمل الرأس إلى بين يديه، ثم إن ابن زياد قتل بعد ذلك لأجل ذلك، ومما يوضح ذلك أن الصحابة المذكورين كأنس وأبي برزة لم يكونوا بالشام وإنما كانوا بالعراق حينئذ، وإنما الكذابون جهالٌ بما يستدل به على كذبهم.

وأما حمله إلى مصر فباطلٌ باتفاق الناس، وقد اتفق العلماء كلهم على أن هذا المشهد الذي بقاهرة مصر الذي يقال له مشهد الحسين باطلٌ، ليس فيه رأس الحسين ولا شيءٌ منه، وإنما أحدث في أواخر دولة بني عبيد الله بن القداح، الذين كانوا ملوكا بالديار المصرية مائتي عام إلى أن انقرضت دولتهم في أيام نور الدين محمود، وكانوا يقولون: إنهم من أولاد فاطمة، ويدعون الشرف، وأهل العلم بالنسب يقولون ليس لهم نسبٌ صحيحٌ، ويقال: إن جدهم كان ربيب الشريف الحسيني فادعوا الشرف لذلك[1].

وأما مذاهبهم وعقائدهم فكانت منكرة باتفاق أهل العلم بدين الإسلام، وكانوا يظهرون التشيع، وكان كثيرٌ من كبرائهم وأتباعهم يبطنون مذهب القرامطة الباطنية، وهو من أخبث مذاهب أهل الأرض وأفسد من اليهود والنصارى، ولهذا كان عامة من انضم إليهم أهل الزندقة والنفاق والبدع والمتفلسفة والمباحية والرافضة وأشباه هؤلاء ممن لا يستريب أهل العلم والإيمان في أنه ليس من أهل العلم والإيمان.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٥٠٧ وما بعدها.

وقد أحدث هذا المشهد في المائة الخامسة، نقلٌ من عسقلان، وعقيب ذلك بقليل انقرضت دولة الذين ابتدعوه بموت العاضد آخر ملوكهم. والذي رجحه أهل العلم في موضع رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما هو ما ذكره الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش، والزبير بن بكار هو من أعلم الناس وأوثقهم في مثل هذا، حيث ذكر أن الرأس حمل إلى المدينة النبوية، ودفن هناك وهذا مناسبٌ، فإن هناك قبر أخيه الحسن، وعم أبيه العباس، وابنه علي وأمثالهم(١).

قال أبو الخطاب بن دحية الذي كان يقال له ذو النسبين بين دحية: والحسين في كتاب العلم المشهور في فضل الأيام والشهور لما ذكر ما ذكره الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن، أنه قدم برأس الحسين وبنو أمية مجتمعون عند عمرو بن سعيد فسمعوا الصياح فقالوا: ما هذا؟ فقيل: نساء بني هاشم يبكين حين رأين رأس الحسين بن علي، قال: وأتى برأس الحسين بن علي فدخل به على عمرو بن سعيد فقال: والله لوددت أن أمير المؤمنين لم يبعث به إلي. قال ابن دحية: فهذا الأثر يدل أن الرأس حمل إلى المدينة.

ولم يصح فيه سواه، والزبير بن بكار أعلم أهل النسب وأفضل العلماء بهذا السبب قال: وما ذكر من أنه في عسقلان في مشهد هناك فشيءٌ باطلٌ، لا يقبله من معه أدنى مسكة من العقل والإدراك، فإن بني أمية مع ما أظهروه من القتل والعداوة والأحقاد لا يتصور أن يبنوا على الرأس مشهدا للزيارة.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٥٠٩.

وأما ما افتعله بنو عبيد في أيام إدبارهم وحلول بوارهم وتعجيل دمارهم؛ في أيام الملقب بالقاسم عيسى بن الظافر، حيث افتعل في أيامه بناء المشهد المحدث بالقاهرة ودخول الرأس مع المشهدي العسقلاني أمام الناس ليتوطن في قلوب العامة ما أورد من الأمور الظاهرة، وذلك شيءٌ افتعل قصدا أو نصب غرضا، وقضوا ما في نفوسهم لاستجلاب العامة عرضا، والذي بناه طلائع بن رزيك الرافضي.

وقد ذكر جميع من ألف في مقتل الحسين أن الرأس المكرم ما غرب قط، أي ما توجه إلى الغرب، وهذا الذي ذكره أبو الخطاب بن دحية في أمر هذا المشهد وأنه مكذوبٌ مفترى هو أمرٌ متفقٌ عليه عند أهل العلم.

والكلام في هذا الباب وأشباهه متسعٌ، فإنه بسبب مقتل عثمان ومقتل الحسين وأمثالهما جرت فتن كثيرة؛ وأكاذيب وأهواءٌ؛ ووقع فيها طوائف من المتقدمين والمتأخرين، وكذب على أمير المؤمنين عثمان وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنواعٌ من الأكاذيب يكذب بعضها شيعتهم ونحوهم، ويكذب بعضها مبغضوهم لاسيما بعد مقتل عثمان فإنه عظم الكذب والأهواء، وقيل في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مقالات من الجانبين؛ علي بريءٌ منها، وصارت البدع والأهواء والكذب تزداد حتى حدث أمورٌ يطول شرحها (١).



(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/ ٥١٠ وما بعدها.

المطلب الرابع

الشيعة وانحرافهم عن منهج الإسلام والوسطية
وبيان اعتقاداتهم الشركية الوثنية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن غدر العراقيين بعلي أمير المؤمنين والبلاء الذي أوقعوه بولديه الحسن والحسين، وبينا لماذا خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؟ كما علمنا خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم لأمير المؤمنين علي، ومسيره إليهم وقتالهم له.

وتناولنا الأحاديث الواردة في خبر الخوارج وذمهم ووقوعها على الخبر، وكذلك تآمر الخوارج على مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتناولنا خلافة الحسن بن علي ﷺ وتنازله لمعاوية عام الجماعة، وكذلك خروج الحسين ﷺ على يزيد بن معاوية وقصة مقتله، وموقف المسلم من قتل الحسين وما يجب عليه فيه.

وقد علمنا أن الشيعة الذي زعموا أنهم أهل بيت الحسين قتلوة ثم عبدوه، وبينا جانبا من الشعائر الحسينية والطقوس الدينية الشيعية في عبودية الحسين، ثم تناولنا الحديث عن رأس الحسين وأين هي؟ وهل صحيح أنها انتقلت إلى مجاورة مشخية الأزهر؟

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن فرقة من الفرق المارقة التي اتبع كبراؤها سبيلا غير سبيل المؤمنين، وهي فرقة الشيعة نتناولها بين

الانحراف عن منهج الوسطية وتبنيها للاعتقادات الشركية والوثنية.

- **الشيعية نبتة غرسها اليهود وسقتها يد الغدر بدماء كربلاء.**

إن الافتراق الشيعي الذي غرسه اليهود، وسقته يد الغدر بدماء كربلاء لم يزده الزمن إلا تنافرا في طرفيه، وتباعدا في شقيه، خصوصا من طرف الشيعة الذين ما فتئوا يغذون هذه الأحقاد، ويربون عليها صغارهم، وما برحوا يقيمون كل مناحة ويندبون، يشقون الجيوب ويلطمون، ويضربون الصدور والخدود ويتوعدون، ويحلقون ويصلقون ويتهددون، فيتربى صغيرهم وسط العويل والبكاء، ويألف منظر القتل وسفك الدماء، ويتغنى بالانتقام والعداء لكل من خالفه.

لقد شاع في زماننا التشيع وذاع، وتطاول على المسلمين في جل البقاع، متخذا من التقية ذراعا، ومن الانتساب لأهل البيت قناعا، فتعلق به من تعلق حبا في آل البيت والعترة الطيبة، أو تحت تأثير سحر وسائل الإعلام الخبيثة، ومكنت لهم دولتهم المجوسية الإيرانية ما مكنت من الظروف، وهيأت لهم بعض القوى العالمية مقاليد الحكم في بعض الدول، واجتمع لهم ما لم يجتمع من الأسباب المادية والمعنوية من قبل، فتجرؤوا على نشر مذهبهم في أوساط المسلمين، وجاهروا بما كان مخفيا عبر الزمن بعقيدة الحقد والدفين، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وشوشوا على المسلمين في دينهم، وشككوهم في كتاب ربهم وسنة نبيهم وخيرة قرن من قرونهم.

لقد توحدت كلمة الأمة واجتمع أمرها، وانطفأت الفتنة، وسمي ذلك العام بعام الجماعة، ولم يكن الصراع صراعا على السلطة بقدر ما كان صراعا على مبادئ الشريعة، وحرصا على تطبيق ما يراه كل فريق

من الفريقين، فكان معاوية ﷺ يطالب بالثأر لعثمان بن عفان ﷺ ابن عمه، ويعلن شعار الانتقام ممن شارك في قتله، والأخذ على يدي من اعتدى على حرمة الإسلام وخليفة المسلمين.

وكان عليّ بن أبي طالب ﷺ يرى أنه من الحكمة جمع الكلمة أولا، وأن يبايع معاوية ﷺ وأهل الشام له كما بايع له المسلمون، ثم ينظر بعد ذلك في أمر قتلة عثمان ﷺ، ويأخذ بثأره على حين اتفاق من الأمر واجتماع من الكلمة، وكادت الأمور أن تصل إلى الصلح بين الفئتين، لولا سعي فريق من السبئية الماكرين ممن دبروا لقتل عثمان ﷺ في إشعال الحرب، وإيقاد نار الفتنة حتى لا يؤخذوا بجريرة فعلهم، ويحاسبوا على جريمتهم إذا ما استقرت الأمور.

ومن هنا انقسم المسلمون إلى طائفتين عظيمتين كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ، طائفة ترى أحقية عليّ ﷺ بالخلافة وترى نصرته، والجهاد معه إعزازا للدين، وقياما بواجبهم تجاه إمام المسلمين، فسموا بشيعة عليّ أي حزبه وأتباعه، وفريق يرى أن قتلة عثمان ما زالوا أحياء، لم تطلهم يد الشريعة، ولم ينالوا جزاء فعلتهم الشنيعة، فنهضوا مع معاوية ﷺ وجاهدوا معه، نصرة للدين وانتقاما لذي النورين ﷺ زوج ابنتي رسول الله ﷺ.

وآثر آخرون اعتزال هذه الفتنة ووضعَ السلاح، ولم يقاتلوا لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، وكل مصيب في اجتهاده، وإن كان الحق مع عليّ بن أبي طالب بشهادة رسول الله ﷺ. فقد روى البخاري من حديث عكرمة ﷺ أنه قال: (قال لي ابنُ عبّاسٍ ولابنه عليّ: انطلقا إلى أبي سعيدٍ فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هُو في حائطٍ يُصلحُهُ، فأخذ

رداءهُ فاحتبى، ثم أنشأ يُحدّثنا حتّى أتى ذكرُ بناء المسجد فقال: كُنّا نحملُ لبنة لبنة، وعمّارٌ لبنتين لبنتين، فرآهُ النّبيُّ ﷺ، فينفُضُ التُّراب عنهُ ويقُولُ: ويح عمّار تقتُلُهُ الفئةُ الباغيةُ، يدعُوهُم إلى الجنّة ويدعُونهُ إلى النّار.، قال عمّارٌ: أعُوذُ بالله من الفتن) [1].

وقد قتل عمار رضي الله عنه في صف علي رضي الله عنه، فبقي اسم الشيعة ملازما لأولئك الزمرة التي ناصرت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وجاهدت معه، وكان أغلبهم من أهل العراق، وإن كانوا قد خذلوه وعصوه ولم يقوموا بواجبهم حق قيام حتى تذمر منهم، واشتهرت عنه أقوال كثيرة في ذمهم، والتشكي من خذلانهم.

وبعد ذلك بدأت تظهر آثار الغلو في عليّ رضي الله عنه بين أتباعه وظهر القول بوصايته لمحمد ﷺ كوصاية موسى عليه السلام ليوشع بن نون، وظهر الطعن في صحابة رسول الله ﷺ، وأنهم خانوا الأمانة حين لم يولوا الخلافة لعلي، وظهر الانتقاص من قدر الشيخين أبي بكر وعمر [2].

ومن هنا بدأ التشيع يأخذ منحى جديدا، فلم يعد التشيع مجرد اختلاف حول أحقية عليّ رضي الله عنه في الخلافة، أو تفضيله على عثمان رضي الله عنه، بل أصبح يحمل في طياته عقائد باطلة، كان لليهود يد مباشرة في إقحامها في العقيدة الإسلامية، كما هي وظيفتهم عبر التاريخ يحرفون الكلم عن مواضعه.

---

(١) البخاري في أبواب المساجد، باب التعاون في بناء المسجد ١/١٧٢ (٤٣٦).

(٢) انظر الشيعية المقالات والفرق لسعد بن عبد الله القمي ص٢١، وفرق الشيعة للنوبختي ص٤٤، واختيار معرفة الرجال للطوسي ص١٠٨، وتنقيح المقال للمامقاني ٢/١٨٤، ومن لا يحضره الفقيه ١/٢٢٩، والأنوار النعمانية ٢/٢٣٤.

- **تعريف الشيعة والتشيع في المعاني اللغوية والاصطلاحية.**

قال ابن دريد: (فلان من شيعة فلان أي ممن يرى رأيه، وشايعت الرجل على الأمر تشييعا إذا أعنته عليه، وشايعت الرجل على الأمر مشايعة وشياعا إذا مالأته عليه) [(١)].

وقال الزبيدي: (كل من عاون إنسانا وتحزب له فهو له شيعة، وأصل الشيعة من المشايعة وهي المتابعة، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته، وهم أمة مبتدعة، لا يحصون، وغلاتهم الإمامية المنتظرية يسبون الشيخين، وغلاة غلاتهم يكفرون الشيخين، ومنهم من يرتقي إلى الزندقة) [(٢)].

ومن ثم فإن الشيعة والتشيع في اللغة تدور حول معنى المتابعة والمناصرة، والموافقة بالرأي والاجتماع على الأمر أو الممالأة عليه، ثم غلب هذا الاسم عند علماء المصطلحات على كل من يتولى عليا وأهل بيته، وهذا محل نظر؛ لأنه الباحث في المعنى اللغوي للشيعة والذي يدل على المتابعة والمناصرة، إذا تأمل أكثر فرق الشيعة التي غلب إطلاق هذا الاسم عليها يجد أنه لا يصح تسميتها بالشيعة من الناحية اللغوية؛ لأنها لا تتابع لأهل البيت على الحقيقة، بل الشيعة أعداء أهل البيت ومخالفون لهم ومجافون لطريقتهم.

ولعل هذا ما لاحظه شريك بن عبد الله حينما سأله سائل: أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر، فقال السائل: تقول هذا

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ٢/٨٧٢ نشر دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٧م.

(٢) تاج العروس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ٢١/٣٠٣، نشر دار الهداية.

وأنت شيعي؟ فقال له: نعم، من لم يقل هذا فليس شيعيا، آلله، لقد رقي هذه الأعواد علي، فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، فكيف نرد قوله وكيف نكذبه؟ والله ما كان كذابا [١].

لقد لاحظ الإمام شريك أن الذي لا يتابع عليا ﷺ لا يستحق اسم التشيع، لأن معنى التشيع المتابعة، ولهذا آثر بعض الأئمة أن يطلق عليهم اسم الرافضة، وقد لجأ المتابعون لأهل البيت على الحقيقة إلى ترك هذا اللقب لما غلب إطلاقه على أهل البدع المخالفين لأهل البيت[٢].

وقد وردت مادة الشيعة والتشيع في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

أحدها: التفرق والافتراق، ومنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ الأنعام:١٥٩.

والثاني: بمعنى الأهل والنسب، ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ القصص:١٥.

والثالث: أهل الملة ومنه قوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ الصافات:٧٩/٨٣.

والرابع: الأهواء المختلفة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ الأنعام:٦٥.

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/١٤.

(٢) انظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي ص١٨، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص٢١، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر الإسفراييني ص١٦.

والخامس: بمعنى الإشاعة، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴿١٩﴾﴾ النور:١٩ [(١)].

هذه ألفاظ الشيعة في كتاب الله ومعانيها، وهي لا تدل على الاتجاه الشيعي المعروف، وهذا أمر يدرك بداهة، ولكن الغريب في الأمر أن نجد عند الشيعة اتجاها يحاول ما وسعه الجهد أن يفسر بعض ألفاظ الشيعة الواردة في كتاب الله بطائفته، ويؤول كتاب الله على غير تأويله، ويحمل الآيات ما لا تحتمل تحريفا لكتاب الله وإلحادا فيه، فقد جاء في أحاديثهم في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ الصافات:٨٣. قالوا بأن إبراهيم من شيعة عليّ [(٢)].

وقد نسبوا هذا التفسير كذبا وافتراء إلى جعفر الصادق، ودينه وعلمه ينفيان ذلك، وهو تفسير نابع عن عقيدة غلاة الروافض الذين يفضلون الأئمة على الأنبياء[(٣)]. وهذا التأويل الباطل أو التحريف يجعل إبراهيم عليه السلام أفضل الرسل والأنبياء بعد محمد ﷺ يجعله من شيعة علي رضي الله عنه، وهو أمر يعرف بطلانه بالضرورة، وهو من وَضع وضَّاع لا يحسن الكذب، والذي قاله أهل السنة في تفسير الآية والمنقول عن السلف أن إبراهيم عليه السلام من شيعة نوح عليه السلام وعلى منهاجه وسنته، وهذا التفسير هو الذي يتمشى مع سياق الآية، لأن الآيات التي قبلها في نوح عليه السلام.

---

(١) انظر كتاب نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص٣٧٦.

(٢) تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ٢/٣٢٣، وبحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي ١٢/٦٨، وهو كتاب في مائة وعشرة مجلدا.

(٣) أصول الدين لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ص٢٩٨ استانبول ١٣٤٦هـ، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ص٢٩٠ نشر مطبعة الحلبي.

والمراد بالشيعة اصطلاحا كل من خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بحجة مشايعة عليّ بن أبي طالب وآل بيت النبي ﷺ، فزعم النص على إمامة عليّ ﷺ، أو قصر الإمامة على آل بيته، أو قال بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر والخطأ، أو قال بأنه لا ولاء لعلي إلا بالبراء من غيره من الخلفاء الذين في عصره قولا وفعلا وعقيدة إلا في حال التقية، وقد يثبت بعض الزيدية من الشيعة الولاء دون البراء.

تلك أصول الشيعة التي تشترك فيها جميع فرقهم، وإن اختلفت كل فرقة عن الأخرى في بعض المسائل، فمن قال ممن ينتسب إلى الإسلام بهذه الأصول فهو شيعي، وإن خالفهم فيما سواها، ومن قال بشيء منها ففيه من التشيع بحسبه.

- **الزيدية فرقة من فرق الشيعة الرئيسة والمعاصرون منهم غلاة.**

ومن الجدير بالذكر أن فرق الشيعة الرئيسة خمسة فرق، وهي الزيدية، والإمامية، والكيسانية، والغلاة، والإسماعيلية، ومن العلماء من لم يجعل الإسماعيلية فرقة رئيسية.

والزيدية من الشيعة هم أتباع زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ومن مقالته أن الإمامة تنعقد للمفضول مع وجود الفاضل للمصلحة في ذلك، ومن أجل هذا رأى انعقاد الخلافة لأبي بكر وعمر مع أن عليا عنده أفضل منهما عقيدة، وكان لا يتبرأ منهما، ولما بلغ شيعة الكوفة عنه أنه لا يتبرأ منهما رفضوه، فسموا رافضة، وكان من مذهبه أن الإمامة تكون في أولاد فاطمة الحسن والحسين وأولادهما، وجواز خروج إمامين في قطرين على أن يكون كل منهما من أولاد فاطمة، ويتحلى بالعلم، والزهد، والكرم، والشجاعة.

وقد عاب عليه أخوه محمد بن علي بن الحسين المعروف بمحمد الباقر، أخذه العلم عن واصل بن عطاء الغزال المعتزلي من أجل أنه كان يجوز على جدهما عليّ الخطأ في قتال الخارجين عليه، وكان زيد بن عليّ بن الحسين يذهب في القدر إلى مذهب القدرية المعتزلة، وبذلك ظهر السر في أن الزيدية أتباع زيد كلهم معتزلة.

وقد خرج زيد بن عليّ بن الحسين على حكم هشام بن عبد الملك أيام خلافته، وأعلن عصيان الخليفة وقتاله، وبويع له بالخلافة، فقبض عليه هشام بن عبد الملك، وقتل وصلب بالكوفة عام ١٢١هـ.

وكان ابنه يحيى المقتول بخراسان أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك، قد ذهب إلى جوزجان بخراسان، وخرج أيضا على خليفة المسلمين يطالب بالخلافة، فبعث إليه الوليد بن يزيد أميرها نصر بن سيار سالم بن أحوز، فقتله عام ١٢٥هـ. ثم انحرفت الزيدية بعد يحي بن زيد بن عليّ بن الحسين عن القول بصحة إمامة المفضول، وطعنوا في الصحابة ﷺ جميعهم كفرقة الإمامية الإثنى عشرية. ومما أجمعت عليه الزيدية أيضا تخليد مرتكب الكبيرة في النار متفقين بذلك مع مذهب الخوارج والمعتزلة، وأجمعوا أيضا على الخروج على أئمة الجور، وعدم الصلاة خلف الفساق، وقد افترقت الزيدية على ثلاث فرق، وهم الجارودية، والسليمانية، والبترية.

والجارودية هم أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي الذي توفي عام ١٥٠هـ. ومن مزاعمه أن النبي ﷺ نص على إمامة عليّ ﷺ بالوصف دون الاسم، وإن الصحابة ﷺ كفروا بتركهم بيعة عليّ ﷺ، وبذلك خالف إمامه زيد بن علي بن الحسين.

والسليمانية هم أتباع سليمان بن جرير الزيدي الذي ظهر أيام أبي جعفر المنصور، وكان يقول بأن الإمامة شورى، وأنها تنعقد ولو برجلين من خيار الأمة، وإنها تنعقد للمفضول مع وجود الفاضل إلا أنهم كفروا عثمان ﷺ للأحداث التي نسبت إليه، وكفَّروا عائشة وطلحة والزبير ﷺ لإقدامهم على قتال عليّ بن أبي طالب ﷺ، وطعنوا في الرافضة من أجل قولهم بالبداءة وبالتقية [١].

أما البترية فهؤلاء اتباع رجلين أحدهما الحسن بن صالح بن حي (ت:١٦٧هـ)، والأخير كثير المنوا الملقب بالأبتر (ت:١٦٩هـ)، وقولهم كقول السليمانية أتباع سليمان بن جرير غير أنهم توقفوا في عثمان ﷺ، ولم يقْدِموا على ذمة ولا على مدحه، وهؤلاء أحسن حالا عند أهل السنة من السليمانية أتباع سليمان بن جرير.

قال عبد القاهر البغدادي: (هؤلاء البترية والسليمانية من الزيدية كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية لإقرار الجارودية بتكفير أبي بكر وعمر، والجارودية يكفرون السليمانية والبترية لتركهما تكفير أبي بكر وعمر، وحكى شيخنا أبو الحسن الأشعري في مقالته عن قوم من الزيدية، يقال لهم اليعقوبية اتباع رجل اسمه يعقوب أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر ولكنهم لا يتبرءون ممن تبرأ منهما) [٢].

وقال عبد القاهر: (اجتمعت الفرق الثلاث الذين ذكرناهم من الزيدية على القول بأن أصحاب الكبائر من الأمة يكونون مخلدين في

---

(١) انظر مذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله تعالى، باب الفرق الإسلامية، الزيدية ص٧٤ وما بعدها.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٤ نشر دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٧م.

النار، فهم من هذا الوجه كالخوارج الذين آيسوا أسراء المذنبين من رحمة الله تعالى، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، إنما قيل لهذه الفرق الثلاث وأتباعها زيدية؛ لقولهم بإمامة زيد بن علي بن الحسن بن على بن أبى طالب في وقته، وإمامة ابنه يحيى بن زيد بعد زيد.

وكان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة، وخرج بهم على والى العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي، عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي، قالوا له إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر، اللذين ظلما جدك على بن أبي طالب، فقال زيد: إني لا أقول فيهما إلا خيرا، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا، وإنما خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار، ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم: رفضتموني، ومن يومئذ سموا رافضة وثبت معه نصر بن حريمة العنسي، ومعاوية بن إسحاق بن يزيد بن حارثة في مقدار مائتي رجل، وقاتلوا جند يوسف بن عمر الثقفي حتى قتلوا عن آخرهم، وقتل زيد ثم نبش من قبره وصلب، ثم أحرق بعد ذلك، وهرب ابنه يحيى بن يزيد إلى خراسان، وخرج بناحية الجوزجان على نصر بن بشار والى خراسان، فبعث نصر بن بشار إليه مسلم بن أحوز المازني في ثلاثة آلاف رجل، فقتلوا يحيى بن زيد، ومشهده بجوزجان معروف)[1].

---

(١) المصدر السابق ص٢٥ وما بعدها.

قال عبد القاهر: (روافض الكوفة موصوفون بالغدر والبخل، وقد سار المثل بهم فيهما، حتى قيل: أبخل من كوفي، وأغدر من كوفي. والمشهور من غدرهم ثلاثة أشياء، أحدها أنهم بعد قتل علي ﷺ بايعوا ابنه الحسن، فلما توجه لقتال معاوية ﷺ غدروا به في المدائن، فطعنه سنان الجعفي في جنبه، فصرعه عن فرسه، وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية. والثاني أنهم كاتبوا الحسين بن علي ﷺ ودعوه إلى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية، فاغتر بهم وخرج إليهم فلما بلغ كربلاء غدروا به، وصاروا مع عبيد الله بن زياد يدا واحدة عليه، حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء. والثالث غدرهم بيزيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر، ثم نكثوا بيعته وأسلموه عند اشتداد القتال حتى قتل، وكان من أمره ما كان) [١].

وقد ذكر أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين أن الزيدية ست فرق، منها الثلاث السابقة، والنعيمية أتباع نعيم بن اليمان، واليمانية وهم أتباع محمد بن اليمان، واليعقوبية وهم أتباع يعقوب بن عليّ الكوفي [٢].

- **الكيسانية من الفرق الرئيسية للشيعة انقسمت فرقا يكفر بعضها بعضا.**

الكيسانية من فرق الشيعة أصحاب كيسان مولى عليّ بن أبي طالب ﷺ، ويقال إنه تتلمذ على يد محمد بن الحنفية بن عليّ ﷺ، وقد زعم أتباعه أنه جمع العلوم كلها، وجمع أسرار علوم عليّ وابنه محمد بن

---

(١) المصدر السابق ص٢٦.

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص٦٦.

الحنفية، ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل وهو كيسان، ومن أجل ذلك ضل منهم الكثير، وجاءوا بالكفر كإنكار أركان الإسلام، والشك في البعث والقول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت.

ومن فرق الكيسانية المختارية وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي كان خارجيًّا ثم زبيريًّا ثم شيعيًّا كيسانيا، وهو الذي قام بثأر الحسين بن على بن أبي طالب ﷺ، وقتل أكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء، ومن مقالته القول بإمامة محمد بن الحنفية بعد عليّ أو بعد الحسن والحسين. والذي ساعد على ظهور أمره انتسابه إلى محمد بن الحنفية، وقيامه بثأر الحسين واشتغاله بقتل الظلمة، ومن مذهبه جواز البداء على الله علما وإرادة وأمرا ليبرر بذلك رجوعه فيما أبرمه مع دعواه أنه يوحى إليه. ومن المختارية من قال بأن محمد بن الحنفية لم يزل وأنه المهدي المنتظر، وهم قوم يقال لهم الكربية أصحاب أبي كرب الضرير زعم أن محمد بن الحنفية حي لم يمت، وأنه في جبل رضوى، وعنده عين من الماء، وعين من العسل يأخذ منهما رزقه، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر، يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه، ومن هؤلاء أيضا كثير عزة، وإسماعيل بن محمد الحميري الشاعران، ومنهم من قال بموته وانتقال الإمامة إلى غيره[١].

قال كثير عزة:

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء

(١) انظر الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص٢٧، ومذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي ص٧٧ وما بعدها .

فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

وقد أجابه عبد القاهر البغدادي بقوله:

ولاة الحق أربعة ولكن لثاني اثنين قد سبق العلاء
وفاروق الورى أضحى إماما وذو النونين بعد له الولاء
على بعدهم أضحى إماما بترتيبي لهم نزل القضاء
ومبغض من ذكرناه لعين وفى نار الجحيم له الجزاء
وأهل الرفض قوم كالنصارى حيارى ما لحيرتهم دواء[1]

ومن فرق الكيسانية الهاشمية الذين قالوا بسوق الإمامة من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأن والده أفضى إليه بالأسرار التي أفضى بها عليّ إلى ولده محمد بن الحنفية.

وذهب الباقون من الكيسانية إلى الإقرار بموت محمد بن الحنفية واختلفوا في الإمام بعده، فمنهم من زعم أن الإمامة بعده رجعت إلى ابن أخيه على بن الحسين زين العابدين، ومنهم من قال برجوعها بعده إلى أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية.

واختلف هؤلاء في الإمام بعد أبى هاشم، فمنهم من نقلها إلى أبي محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بوصية أبى هاشم إليه، وهذا قول الروندية، ومنهم من زعم أن الإمامة بعد أبي هاشم

(١) السابق ص٢٩.

صارت إلى بيان بن سمعان التميمي النهدي، وزعموا أن روح الله تعالى كانت في أبي هاشم ثم انتقلت منه إلى بيان، ومن مقالتهم أن عليّا حل فيه جزء من الله، واتحد بجسده فكان به إلها، وعلم به الغيب، وانتصر به في الحروب وغير ذلك، ثم ادّعى النبوة.

ومنهم من زعم أن تلك الروح انتقلت من أبي هاشم إلى عبد الله بن عمرو بن حرب، وادعت هذه الفرقة إلهية عبد الله بن عمرو بن حرب، والبيانية والحربية كلتاهما من فرق الغلاة.

وأما الشيعة الغلاة فهم الذين غلوا في أئمتهم حتى ألهوهم، ويجمعهم القول بتشبيه الأئمة بالله كاعتقاد النصارى في عيسى وغيره، أو تشبيه الله بالأئمة كاليهود، والقول بالبداء والرجعة والحلول وتناسخ الأرواح والإلهية. ومن بحث وأنصف تبين له أن أصول الغلاة دخلت عليهم من تعاليم اليهود والنصارى وماني ومزدك التي انتشرت في العراق، ولهم في كل بلد لقب، فهم يلقبون في أصفهان بالخرمية، والكردية، وفي الري بالمزدكية والسندبادية، وفي أذربيجان بالذقولية وفي موضع بالمحمرة، وفيما وراء النهر بالمبيضة [١].

- **الإمامية الجعفرية من فرق الشيعية وهي أخطر الفرق حتى عصرنا.**

الإمامية من فرق الشيعة الذين قالوا بالنص الصريح على إمامة عليّ في مواضع، وبالإشارة إليه بعينه في مواضع أخرى، وقالوا بأن الإمامة ركن الدين ليس في الإسلام شيء أهم منه، فلا يجوز أن يتركه الرسول ﷺ لاختيار الأمة، بل يجب أن يعين له شخصا، وقد عين له عليّ بن أبي

(١) انظر الفرق بين الفرق ص٢٨.

طالب بالنص عليه والإشارة إليه.

وقالوا بتكفير أكثر الصحابة ﷺ، واتفقوا على إمامة الحسين فعلي زين العابدين، فمحمد الباقر، ثم افترقوا بعد ذلك فرقا كثيرة في الوقوف بالإمامة عند الباقر، وسوقها إلى ابنه جعفر، ثم فيمن كان إماما من أولاد جعفر الستة وهم محمد، وإسحاق، وعبد الله، وموسى، وإسماعيل، وعلي، فمنهم الباقرية، وهم أصحاب أبي جعفر محمد الباقر، وهم يثبتون إمامته بالنص من أبيه زين العابدين، ويزعمون أنه لم يمت وأنه المهدي المنتظر.

ومن فرق الإمامية الجعفرية أو النواسية نسبة إلى رجل يُقال له ناوس أو عجلان بن ناوس من أهل البصرة، أو قرية تسمى ناوسا، ومن مذهبهم انتقال الإمامة إلى جعفر الصادق بنص أبيه الباقر عليه، ويزعمون أنه لم يمت وأنه المهدي المنتظر. ومن الإمامية الشميطية وهم أصحاب يحيى بن أبي شميط كان يقول بموت جعفر الصادق ونصه على إمامة ابنه محمد وأنه المهدي المنتظر. ومنهم الأفطحية أو العمارية ينسبون إلى رجل يقال له عمار، كان يقول بموت جعفر الصادق، ونصه على إمامة ابنه عبد الله الأفطح.

ومن فرق الإمامية الموسوية الذين ينسبون إلى موسى الكاظم قالوا بأن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم بنصه عليه، ثم إن هارون الرشيد حمل موسى الكاظم إلى بغداد وحبسه لإظهاره الإمامة. ومن قال بموت موسى الكاظم ساقوا الإمامة في أولاد موسى بنص كل منهم على من بعده، فزعموا أن الإمام بعد موسى عليّ الرضا، ثم محمد التقي، ثم عليّ بن محمد، ثم الحسن العسكري، ثم ابنه

القائم المنتظر الذي اختفى في سرداب في سر مَنْ رَأى وهو الإمام الثاني عشر.

والواقفية الإسماعيلية قالوا بموت جعفر الصادق، وأنه نص على إمامة ابنه إسماعيل، ثم انتقلت منه إلى ابنه محمد بن إسماعيل لموت إسماعيل في حياة جعفر، وقالوا بغيبة محمد ورجعته.

أما الإسماعيلية الباطنية فهي فرقة من الإسماعيلية ساقت الإمامة بعد محمد بن إسماعيل بن جعفر في أئمة مستورين ثم ظاهرين وهم الباطنية، وهي الفرقة المشهورة في الفرق بهذا الاسم، ومن مقالتهم أن الأرض لا تخلو من إمام حي، إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية! ومن مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية! وسموا باطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا، ولهم ألقاب أخرى، منها أنهم يسمون بالعراق أيضا القرامطة أو المزدكية، وبخراسان التعليمية والملاحدة، وهم يسمون أنفسهم الإسماعيلية لامتيازهم عن الموسوية الاثنا عشرية بالقول بإمامة إسماعيل بن جعفر دون أخيه موسى الكاظم.

ومن مقالتهم أيضا أنهم لا يقولون بإثبات الصفات لله ولا نفيها فرارا من التشبيه بالموجودات والمعدومات، ولهم سوى ذلك كثير من الشناعات الكفرية [١].

- **ما استحدثه الغلاة من الشيعة هو دين آخر غير دين الإسلام.**

أقدم فرق الغلاة السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي،

---

(١) انظر مذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي، فصل الإمامية.

أظهر الإسلام وأثار الفتن الدينية والسياسية، فوضع قاعدة حلول الله في علي، ومنه تشعبت فرق الغلاة الذين قالوا بتناسخ جزء إلهي سَرى في الأئمة بعد علي، ومنهم من قال بحياة عليّ وغيبته ورجعته، وهو الذي أثار الفتن على عثمان ﷺ وألّب عليه فريقا من الأمة، وقد نفاه عليّ ﷺ إلى المدائن لما علمه فيه من الغلو وإحداث الفتن، ويظهر أن فكرة حياة الإمام، والغيبة والرجعة أنشأها عبد الله بن سبأ حينما يئس الشيعة من إقامة دولة لهم ليصرفهم بها عن البيعة لخليفة موجود إلى إمام مفقود.

ومن الغلاة الكاملية وهم أتباع أبي كامل معاذ بن الحصين النبهاني الكوفي، ومذهبهم تكفير من لم يبايع عليا، والطعن في عليّ لعدم قتالهم والخروج عليهم، ومع ذلك غلا أبو كامل في علي، ورأى أن الإمامة نور ينتقل من شخص لآخر ويتفاوت، ففي شخص يقوى حتى يكون نبيا، وفي آخر يكون إماما، وقال كغيره من الغلاة بفكرة الحلول الكلي والجزئي وتناسخ الأرواح.

ومن الغلاة العليائية أتباع العلياء بن ذراع الدوسي الأسدي فقد زعم أن عليًا أفضل من محمد! ثم منهم من زعم أن عليا هو الذي سمى محمدا إلها! وبعثه ليدعو إليه، فدعا إلى نفسه وذموه لذلك! فسموا بالذمية، ومنهم من ألّه عليا ومحمدا أو فضل عليا! وسموا بالعينية، ومنهم من ألههما وقدم محمدا وسموا بالميمية، ومنهم من أله أصحاب الكساء محمدا، وعليّا، وفاطمة، وحسنا، وحسيَنًا وقالوا بأنهم شيء واحد حلت فيهم الروح بالسوية.

ومن الغلاة المغيرية أتباع المغيرة بن سعيد البجلي مولى خالد بن عبد الله القسري، زعم أن الإمام بعد محمد الباقر هو محمد بن عبد الله بن

الحسن الذي خرج في المدينة، وزعم أنه حي لم يمت، ثم زعم الإمامة لنفسه ثم ادعى النبوة، وفي زعمه أن الله صورة، وجسم ذو أعضاء على حروف الهجاء، وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من النور، وله قلب تنبع منه الحكمة إلى غير ذلك من الشناعات.

ومن الغلاة المنصورية أتباع أبي منصور العجلي، زعم أنه إمام حين تبرأ منه الباقر وطرده، ثم زعم بعد وفاة الباقر أن روحه انتقلت إليه، وله كثير من المزاعم، منها أنه عرج به إلى السماء، ومنها أن الكِسْف الساقط من السماء هو الله أو علي، ومنها أن الرسالة لا تنقطع، ومنها تسمية الجنة والنار وأنواع التشريع بأسماء الرجال، لإسقاط التكاليف واستحلال الدماء والأموال، وقد أخذه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق أيام هشام بن عبد الملك وصلبه لخبث دعوته.

ومن الغلاة الخطابية أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي، انتسب أبو الخطاب إلى جعفر الصادق أولا، فلما تبرأ منه جعفر وطرده، زعم الإمامة لنفسه، ومن مزاعمه أن الأئمة أنبياء ثم آلهة! وأن جعفر الصادق إله ظهر في صورة جسم، أو لبس جسما فرآه الناس! ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة، وقد افترق أصحاب أبي الخطاب بعده إلى فرق، منها المعمرية أتباع معمر بن خيثم زعموا أن الإمام بعد أبي الخطاب معمر، وهؤلاء ينكرون فناء الدنيا، ويرون أن ما يصيب العالم فيها من خير وشر هو الجزاء.

ومنها البزيغية أتباع بزيغ بن موسى، زعموا أنه الإمام بعد أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي، وهؤلاء ينكرون الموت لمن بلغ

من الناس النهاية في الكمال، ويزعمون أن من مات فارق فقط ورفع، ويزعمون أن المؤمن يوحى إليه.

ومنها العجلية زعموا أن الإمام بعد أبي الخطاب عمير أو عمرو بن بيان العجلي، ومنها أتباع مفضل الصيرفي الذي قال بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته، وقد تبرأ جعفر الصادق بن محمد الباقر من هؤلاء كلهم، فإنهم كلهم حيارى ضالون جاهلون بحال الأئمة.

ومن الغلاة الكيالية أتباع أحمد بن الكيال، كان له مزاعم لا أساس لها من العقل، ولا مستند لها من السمع، فتركه من انخدع به، ادعى أنه إمام، ثم ادعى أنه القائم، وله تأويلات لنصوص الدين، منها حمله الصراط على نفسه، والجنة على الوصول إلى علمه، والنار على الوصول إلى ما يضاده.

ومن الغلاة الهشامية أتباع هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، وكلاهما من أهل التشبيه، فأما هشام بن الحكم، فقال فيما نقل عنه: إن الله تعالى جسم ذو أبعاض له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات، ولا يشبهه شيء منها، ونقل عنه أنه قال: إنه شبر بشبر نفسه إلى آخر شناعاته، وغلا في عليّ حتى جعله إلها واجب الطاعة، وأما هشام الجواليقي، فقال: إن الله تعالى على صورة إنسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت، إلى آخر شناعاته، وأجاز المعصية على الأنبياء دون الأئمة لعصمتهم.

ومن الغلاة اليونسية وهم أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين، وهو من المشبهة، يزعم أن الملائكة تحمل العرش، وأن العرش يحمل الله، وأن أطيط الملائكة من وطأة عظمة الله على العرش.

ومن فرق الشيعة النصيرية والإسحاقية، فالنصيرية أتباع محمد بن نصير النميري، والإسحاقية ينسبون إلى إسحاق بن الحارث، وكلاهما من غلاة الشيعة، يرون ظهور الروحانيات في صور جسمية خيرة أو خبيثة، ويزعمون أن الله يظهر في صورة إنسان، وأن جزء منه حلّ في عليّ به يعلم الغيب، ويفعل ما لا طاقة لأحد به من البشر، إلا أن النصيرية أميل إلى مشاركة عليّ لله في الإلوهية، والإسحاقية أميل إلى مشاركة عليّ لمحمد في النبوة، وكلاهما يرى أيضا إباحة المحارم وإسقاط التكاليف.

ومن الرافضة أيضا جماعة يقولون بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وأنه لم يزل حيا، وينتظرون خروجه، مع أن جيش أبي جعفر المنصور قد قتله بالمدينة، وأقر بذلك فرقة من أتباع إمامهم محمد[1].

- **لم يبق من فرق الشيعة إلا الإسماعيلية والزيدية والاثنى عشرية.**

لقد تفرق الشيعة فرقا شتى، ولم يبق من هذه الفرق اليوم إلا الإسماعيلية والزيدية والاثنى عشرية، وأخطرها على الإسلام والمسلمين الشيعة الاثنى عشرية، فهم أشهر هذه الفرق وأخطرها، وهم المعروفون باسم الشيعة اليوم، وشخصياتهم مشهورة في العالم كالخميني وغيره، كما أنهم أكثر هذه الفرق عددا، ومنتشرون في كثير من البلدان، ويسعون لتشييع أهل السنة، ويسَخّرون في ذلك عشرات القنوات الإذاعية كالمنار والفرات والزهراء والغدير والأنوار وكربلاء غيرها.

(١) انظر مذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي، بداية من السبئية وما بعدها.

ولذلك فإن دراسة الشيعة تكاد تنصب على هذه الفرقة من فرقهم، وقد سموا باسم الشيعة الاثنى عشرية لاعتقادهم بإمامة اثني عشر إماما بعد رسول الله ﷺ، ويسمون أيضا بالشيعة الإمامية والجعفرية، ويسميهم أهل السنة بالروافض أو الرافضة، لأنهم رفضوا خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويتواجدون بشكل أساسي في إيران، ولهم تواجد كبير في العراق ولبنان والبحرين وباكستان وأفغانستان، ويشكلون أقلية في بعض البلدان كالسعودية والكويت، ودعوتهم نشطة في بلدان أوربا وأمريكا وبعض بلدان المغرب العربي.

والإمامية المنتشرة في العالم اليوم جعلوا شغلهم الشاغل منصبا على الاعتقاد في إمام قائم معين من قبل الله في كل زمان ومكان، فوظيفة الإمام عند الشيعة ليست فقط الوظيفة السياسية والقيادة الدنيوية كما ينظر أهل السنة، بل هي استمرار للنبوة، ووظيفة الإمام عندهم كوظيفة النبي ﷺ وصفاته كصفاته، وتعيين الإمام كتعيين النبي ﷺ لا يتم إلا باختيار إلهي، لذلك أوردوا روايات تصف أئمتهم بكل صفات الكمال التي في الرسل والأنبياء، فلا فرق عندهم بين الإمام والنبي، حتى قال المجلسي صاحب بحار الأنوار: (ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة) [1].

قال الكليني: (كتب الحسن بن العباس المعروفي إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك، أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام؟ قال: فكتب: الفرق بين الرسول والنبي والإمام، أن الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه

---

(١) بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي ٢٦/٨٢.

نحو رؤيا إبراهيم ، والنبي ربما سمع الكلام، وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص) [(١)].

ويرى الخميني أن الإمامة عندهم منصب رباني له من القداسة ما للنبوة أو أكثر، فقال الخميني: (وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما محمودا، لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل) [(٢)].

قال المظفر وهو من أكابر علمائهم، وكتابه في عقائد الإمامية يدرس إلى اليوم في حوزاتهم: (نعتقد أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله، أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هاديا ومرشدا لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه، لأن الشخص الذي له من نفسه القدسية، استعدادا لتحمل أعباء الإمامة العامة، وهداية البشر قاطبة يجب إلا يعرف إلا بتعريف الله، ولا يعين إلا بتعيينه) [(٣)].

ومن ثم انفردت عقيدة الشيعية عن كل الفرق الإسلامية باعتمادها على هذا المبدأ، وجعله ركنا أساسيا ينبني عليه الدخول في الإسلام أو الخروج منه، بل جعلوه أهم ركن من أركانه، كما نسبوا إلى أبي جعفر أنه قال: (بني الإسلام على خمس، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس

---

(١) الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ١٧٦/١، طبعة طهران ١٣٨١هـ ، وقد صحح هذه الروايات صاحب الشافي شرح الكافي ٢٩/٣.

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني ص٥٢ نشر وزارة الإرشاد جمهورية إيران.

(٣) عقائد الإمامية الشيخ محمد رضا المظفر ص٧٤.

بأربع، وتركوا هذه) [(١)].

وفي رواية عندهم: (بني الإسلام على شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان والحج إلى البيت، وولاية عليّ بن أبي طالب) [(٢)].

كما جعلوا قبول أعمال العباد متوقف على اعترافهم بالأئمة، فذكروا عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال: (نزل جبرائيل ﷺ على النبي ﷺ، فقال: يا محمد، السلام يقرئك السلام، ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما عليهن، وما خلقت موضعا أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبدا دعاني منذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحدا لولاية عليّ لأكببته في سقر) [(٣)].

لقد تجرأ الشيعة على أن كفروا أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر، وحكموا بردتهم، لا لشيء إلا أنهم لم يعترفوا بهذا الركن العظيم من أركان الدين.

لقد أنزل الله القرآن كتاب هداية وإرشاد، وبين فيه للناس ما نزل إليهم، لذا جاء في القرآن نصوص كثيرة صريحة في وجوب الصلاة والأمر بها والحث عليها، وصرَف القول فيها وأعاده وأكده، ووعد مقيمها وأوعد تاركها، وكذلك الأمر بالنسبة للزكاة والصوم والأخلاق

---

(١) الكافي للكليني ٢/١٨، قال في شرح الكافي في هذا الحديث عندهم: موثق كالصّحيح فهو معتبر عندهم. الشّافي شرح الكافي ٥/٢٨ (١٤٨٧).

(٢) السابق ٢/٢١، وأمالي الصدوق لأبي جعفر محمد بن بابويه القمي المعروف بالصدوق ص٢٢١، وثواب الأعمال للقمي ص١٥.

(٣) أمالي الصدوق ص٢٩٠.

والمعاملات، بل إن أطول آية في القرآن جاءت لبيان أمر فرعي يتعلق بالدَّين وكتابته وأحوال الكاتب، وحكم الكتابة عن الصغير وغير العاقل، بكل تفصيل وتبيين، فكيف لم يعرض هذا الكتاب لمسألة الإمامة التي يتوقف عليها قبول الأعمال عند الله؟ ولم لم يذكر لنا هذا الركن الأساسي ويبينه ويفصله كسائر الأركان؟ لقد بلغ الحرج الذي لحق الشيعة مداه من الإجابة على هذا السؤال حتى طعنوا في القرآن وحرفوه وزعموا أن الصحابة ﭫ حذفوا من القرآن سورة الولاية التي تنص على مزاعمهم.

- **الوهم الشيعي عند الإمامية في اختلاق أئمة لم يباشروا مهامهم.**

يعتقد الشيعة بأن النبي ﷺ لم يمت حتى أوصى بالأمر إلى عليّ بن أبي طالب ﭬ، وعلي لم يمت حتى أوصى إلى ابنه من بعده، وهكذا كل إمام لا يموت حتى يوصي إلى واحد من أبنائه من بعده، وينص عليه ويعينه، فالأمر عندهم بالوراثة، واختلقت الشيعة في كتبها نصوصا عن الرسول ﷺ ينص فيها على إمامة كل إمام ومن يليه، وهؤلاء الأئمة حسب تسلسلهم هم:

١- عليّ بن أبي طالب المرتضى ٤٠هـ.
٢- الحسن بن عليّ الزكي ٤٩هـ.
٣- الحسين بن عليّ الشهيد ٦١هـ.
٤- عليّ بن الحسين زين العابدين ١١٠هـ.
٥- محمد بن عليّ أبو جعفر الباقر ١١٩هـ.
٦- جعفر بن محمد الصادق ١٤٨هـ.
٧- موسى بن جعفر الكاظم ١٦٤هـ.

٨- عليّ بن موسى الرضا ٢٠٣هـ.

٩- محمد بن عليّ الجواد ٢٢٠هـ.

١٠- عليّ بن محمد الهادي ٢٥٤هـ.

١١- الحسن بن عليّ العسكري الزكي ٢٦٠هـ.

١٢- محمد بن الحسن المهدي وهو ما زال على قيد الحياة وعمره الآن ١١٧١سنة، فيكون أطول عمرا من نوح ﷺ.

وكما تقدم فقد حصل إشكال في هذه الشجرة ثلاث مرات[(١)]، حيث كان إمامهم السادس جعفر الصادق قد عيّن ولده إسماعيل إماما من بعده، وأكد أنه حامل علمه ومعدن سره، وأن رسول الله ﷺ قد عينه وأوصى به، ويأبى الله إلا أن يفضح الكذابين، فمات إسماعيل في حياة أبيه وكانت الفضيحة، واضطربت الأمور وكثر الاستنكار، ورجع كثير منهم إلى مذهب أهل السنة، وأنكر فرقة من الشيعة موته، وادعوا بأنه غاب ولم يمت، وبأنه المهدي المنتظر، وانشقوا بمذهب جديد، وتسموا بالشيعة الإسماعيلية، لكن إمامهم أبا جعفر عين ولده موسى إماما جديدا من بعده بحجة اعتقادهم البداءة.

ثم حصل إشكال مرة ثانية في عصر إمامهم عليّ بن محمد التقي، إذ مات ولده الذي كان قد عينه إماما من بعده، وأخبر أنه معين من قبل الله ورسوله ﷺ من قبل أن يموت أبوه، ولم يتحقق ما أخبر الله به، تعالى الله عما يقولون، ويجيب إمامهم هذه المرة أيضا بالبداءة، ويعين ابنا آخر إماما. وفي المرة الثالثة مات الحسن العسكري إمامهم الحادي عشر، قبل

---

(١) انظر كتاب الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي، المبحث الأول عقائد الشيعة الإمامية، من هم الأئمة الاثنا عشر.

أن يولد له ولد، لتتلاشى عند ذلك الوصاية المزعومة، وتتلاشى معها الإمامة، وتتلاشى الرجعة والتقية والمتعة والخمس والبداءة، وكل العقائد الشيعية التي أساسها ومربطها الإمامة.

لكن مدبرها لديه شيء من الحكمة، فقد اختلق عقيدة جديدة ترقع ما تمزق، وترأب ما انصدع، إذ زعم أن للحسن العسكري ولدا خبأه في سرداب، وسيرجع لشيعته قريبا جدا، لتدور عجلة هذا المذهب بعد أن توقف، ويدفعَ الناس الخمس بعد تخوف، وتعودَ تلك الدنانير إلى أكياسها، وتستمرَّ حياة المعممين في ظل العقيدة الشيعية، ويكتب لهذا المذهب عمر جديد إلى آخر الزمان. ومن العجيب أنه بعد علي والحسن رضي الله عنهما، لم يمكّن لأحد من الأئمة الذين قدسوهم ووصفهم بالعصمة والطهارة وغير ذلك من الصفات التي ألهوهم بها.

- **الشيعة وغلوهم في أئمتهم ووصفِهم لهم بالعصمة وصفات الإلوهية.**

لقد بالغ الشيعة في رفع أئمتهم، ووصفِهم بصفات الكمال والجلال، حتى جعلوا من ضروريات مذهبهم أن لأئمتهم مقاما محمودا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، فمما ادعوه لأئمتهم، العصمة من الخطأ فأفعالهم كلها كمال، وهم معصومون من الخطأ والسهو والنسيان.

قال المجلسي: (جملة القول في مبحث العصمة أن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب الصغيرة والكبيرة، عمدا وخطأ ونسيانا، قبل النبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله تعالى، ولم يخالف في ذلك إلا الصدوق محمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد قدس الله روحهما، فإنهما جوزا الإسهاء من الله تعالى، لا السهو الذي يكون من الشيطان في غير

ما يتعلق بالتبليغ وبيان الأحكام، وقالوا: إن خروجهما لا يخل بالإجماع لكونهما معروفي النسب) [(١)].

ومن ثم جعلوا كلام أئمتهم ككلام الرسول ﷺ، وأعطوهم حق التشريع، فأمرهم هو أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول ﷺ، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى، فيجب التسليم لهم، والانقياد لأمرهم، والأخذ بقولهم، ولهذا يعتقدون أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقى إلا من عذب مائهم، ولا يصح أخذها إلا منهم [(٢)].

ومن روايات الكافي عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: (ما جاء به عليّ عليه السلام فخذ به، وما نهى عنه انتهي عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله، ولمحمد صلى الله عليه وآله الفضل على جميع من خلق الله عز وجل، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله) [(٣)]. وقال الخميني: (إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن، لا تخص جيلا خاصا، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر وإلى يوم القيامة، يجب تنفيذها واتباعها) [(٤)].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٢٥/٣٥٠.

(٢) انظر عقائد الإمامية الشيخ محمد رضا المظفر ص٧٠، ص٩١ نشر دار الصفوة بيروت، وهذا الكتاب يدرس ضمن مقررات الحوزة العلمية في إيران.

(٣) الكافي للكليني ١/١٩٦.

(٤) الحكومة الإسلامية ص١١٣.

ولا خلاف بين المسلمين في كفر من اعتقد هذا الاعتقاد، ونسب التشريع الديني إلى غير الله ورسوله، كما قال ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ الشورى:٢١. وقال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ النساء:٥٩. فأثبت الله تعالى لنفسه الأمر والتشريع كما أثبت لنفسه الخلق والتدبير، ولم يأمرنا بالرجوع إلى هؤلاء الأئمة الذين تزعم الشيعة أن الأحكام الشرعية تؤخذ منهم، وتستقى من عذب ماءهم.

واعلم أن هذا هو أساس الافتراق بين السنة والشيعة المنتشرة الآن في العراق وإيران ولبنان وغيرها من البلدان، فالتشريع مرده عندنا لله وحده ولرسوله ﷺ، والمشرعون عندهم ثلاثة عشر، وخروجهم عن هذا الإجماع الذي أجمع عليه المسلمون من أن حق التشريع هو لله ورسوله لا لغيرهما جعلهم يختلفون مع سائر المسلمين في كثير من الأحكام والفروع الفقهية التي ابتدعوها، فهذا منشأ الخلاف ومن هنا يعالج، وليس الحل بأن نلجأ إلى حل الخلافات الفرعية ما دام الأصل مختلفا فيه، والمنبع متنازعا عليه[1].

- **الشيعة يدعون أن أئمتهم يعلمون الغيب وما دون في اللوح المحفوظ.**

ادعى الشيعة لأئمتهم علمهم الغيب مع أن من المجمع عليه بين أهل الإسلام أن الله ﷻ لا يُطلِع على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسله المبلغين عنه. قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ

---

(١) انظر بتصرف كتاب الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي، المبحث الأول عقائد الشيعة الإمامية، عصمة الأئمة.

ﭐﺭﺗﻀﻰ ﻣﻦ ﺭﺳﻮﻝ ﻓﺈﻧﻪ ﻳﺴﻠﻚ ﻣﻦ ﺑﻴﻦ ﻳﺪﻳﻪ ﻭﻣﻦ ﺧﻠﻔﻪ ﺭﺻﺪﺍ ﴿٢٧﴾ الجن:٢٦/٢٧.

وقال نوح : ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ هود:٣١. وقال محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ الأعراف:١٨٨. فهؤلاء أولوا العزم من الرسل يتبرؤون من دعوى علم الغيب.

لكن الشيعة تزعم أن أئمتها تعلم الغيب، وبالغت في ذلك أشد ما يكون من المبالغة، ووضعت في ذلك من الأحاديث ما لا يحصى عدده، فمن ذلك ما أورده الكليني في افتراءاته التي سطرها في كتابه الكافي الذي هو بمثابة صحيح البخاري عندهم، والذي خصص فيه أبوابا في علمهم الغيب ذكر منها بابا فيه أن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون، وأنهم لا يخفى عليهم الشيء.

ثم تجد بابا يثبت فيه بإفكه أن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم، ثم تجد بابا آخر يثبت فيه أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل.

وتحت كل باب من هذه الأبواب عشرات الأحاديث، التي يجف القلم رهبة عند كتابتها، وترتعد الأصابع من هول ما فيها كهذه الرواية التي ينسبون إلى عليّ أنه يقول فيها: ولقد أعطيت خصالا ما سبقني إليها أحد قبلي: علمت المنايا والبلايا، والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني، أبشّر بإذن الله وأؤدي

عنه، كل ذلك من الله مكنني فيه بعلمه [١].

وفي رواية أخرى عن جعفر بن محمد قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أعطيت تسعا لم يعط أحد قبلي سوى النبي ﷺ: لقد فتحت لي السبل، وعلمت المنايا، والبلايا، والأنساب، وفصل الخطاب، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربي، فما غاب عني ما كان قبلي، ولا ما يأتي بعدي، وإن بولايتي أكمل الله لهذه الأمة دينهم، وأتم عليهم النعم، ورضي لهم إسلامهم [٢].

وقال إمامهم المسمى بالمظفر عن علم الإمام: (أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية، وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله، وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي لا يخطئ فيه ولا يشتبه، ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقينات المعلمين، وإن كان علمه قابلا للزيادة والاشتداد) [٣].

بل يزعمون أن أئمتهم يطلعون على اللوح المحفوظ، وأن اللوح كتاب مفتوح بين أيديهم، قال أحد معاصريهم وهو المسمى بغلام رضا: (يرى محققوا المفسرين أن الضمير في لا يمسه يعود إلى الكتاب المكنون وهو اللوح المحفوظ، فيستفاد حينئذ من الآية أن الأفراد الذين طهرهم الله قادرون على الاطلاع على اللوح المحفوظ وحقائقه، وهي

(١) انظر الكافي للكليني ١/١٩٦.

(٢) أمالي الطوسي ص٢٠٥.

(٣) عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر ص٦٧.

غيب السماوات والأرض) [(١)]. وهو يقصد بذلك ما ورد في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ الواقعة:٧٧/٨٠. أي اللوح المحفوظ، لذلك فإنهم يزعمون أن أئمتهم يعلمون كل ما يحدث، وما ورد في رواياتهم يدل على أنه ما من ليلة تأتي عليهم إلا وأخبار كل أرض عندهم، وما يحدث فيها، وأخبار الجن وأخبار أهل الهوى من الملائكة، وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره إلا أتاهم خبره، وكيف سيرته في الذين قبله، وما من أرض من ستة أرضين إلى السابعة إلا ويصلهم خبرهم[(٢)].

ومن رواياتهم الكاذبة أن عليا ﷺ قال لرجل: أتدري ما حدث البارحة؟ وقع بيت بالصين، وانفرج برج ماجين، وسقط سور سرنديب، وانهزم بطرق الروم بأرمينية، وفقد ديان اليهود بأيلة، وهاج النمل بوادي النمل، وهلك ملك إفريقية، أكنت عالما بهذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فقال: البارحة سعد سبعون ألف عالم، وولد في كل عالم سبعون ألفا، والليلة يموت مثلهم[(٣)].

انظر إلى بُعد المسافة ما بين الصين وإفريقية، بل إلى بُعد ما بين السماء والأرض، والإمام يعلم ما يحدث في هذه العوالم كلها، إن ذلك الاعتقاد الكاذب لو صح للزم أن نعيد النظر في دلالات جميع الآيات التي قصرت علم الغيب على الله ﷻ، وجعلت هذا من خصائص ربوبيته، ومظاهر عظمته، بل إن هذا نقض صريح وإبطال وتكذيب

---

(١) الرد على شبهات الوهابية للشيخ غلام رضا كاردان ص١٧.

(٢) كامل الزيارات جعفر بن محمد بن قولويه ص٥٤١.

(٣) الاحتجاج لأحمد بن علي الطبرسي ص٥٥٨.

بكل هذه الآيات.

قال السيد حامد الإدريسي: (وقد ناقشت أحد آياتهم وهو السيد عليّ مددي في بيته مدة ست ساعات في هذه القضية، وأكد لي أن علم الإمام الغيب مما أجمعت عليه الشيعة، ولم يخالف في ذلك إلا مرجعهم الخوئي، فإنه قال: إنهم يعلمون إذا شاءوا أن يعلموا، وليس على الإطلاق[1].

- **الشيعة يزعمون أن أئمتهم يفعلون المعجزات وهي دليل تنصيبهم.**

ادعى الشيعة لأئمتهم وقوع المعجزات بخرق العادات مع أن الله ﷻ قد خص أنبياءه بذلك لقيام حجتهم على الناس، وليعلموا أن ما جاءوا به هو من عند خالق الأرض والسماوات، وسيّر الدنيا بالسنن الكونية أو العادات لا يخرق إلا بالمشيئة الإلهية، فالنار تحرق إلا أن يشاء الله، والميت لا يرجع إلا أن يحييه الله، وهكذا سائر المعجزات، فإنها تكون خرقا لهذه السنن التي لا يقدر على خرقها إلا الذي خلقها وسنها، ليحصل اليقين بأنهم مبعوثون من عنده، فتقام بهم الحجة على الناس، ويهدى بهم من شاء الله إلى صراطه المستقيم، ولا يدفع هذا اليقين الحاصل في النفوس من تلك المعجزات إلا الكبر والكفر.

وبما أن الإمامة عند الشيعة أخت النبوة، والنبي مثل الإمام، فإن الشيعة الإمامية تزعم أن الله ﷻ أيد الأئمة بمعجزات تثبت حجيتهم، وتدل الناس عليهم، فيقول عالمهم هاشم البحراني: (اعلم أن المعجزات

(١) انظر بتصرف كتاب الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي، المبحث الأول عقائد الشيعة الإمامية، صفات الأئمة، علمهم الغيب.

من الأنبياء والأئمة دليل على صدقهم على الله سبحانه في دعواهم النبوة والإمامة، لأن المعجز الخارق للعادة فعله تعالى، وإقدارهم على ذلك منه جل جلاله، ومن المعاجز مثل كتابة أسمائهم على ساق العرش والحجب والشمس والقمر، وما شاكل مثل كتابتهم على الأشجار وغيرها) [(١)].

ولذلك يقرنون ظهور المعجز على يد النبي أو الإمام بشاهد صدقه، إذ لو كان كاذبا وجب على الحكيم المتعالي تكذيبه، وإلا لزم الإغراء إلى الضلالة وهو لا يصدر منه تعالى[(٢)].

ومن ثم فقد نسجوا لكل إمام معجزات تدل على إمامته، وتلجم من خالفه، وتكون حجة بين يديه، فالإمام زين العابدين حين نازعه عمه محمد بن الحنفية على الإمامة احتكم معه إلى الحجر الأسود قالوا: فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله ﷻ بلسان عربي مبين فقال: اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين بن عليّ عليهما السلام إلى عليّ بن الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ [(٣)].

وعندما نازع زيد بن الحسن الإمام الباقر في الإمامة أمر سكِّينة كانت مع زيد أن تنطق فوثبت السكّينة من يد زيد بن الحسن على الأرض، ثم قالت: يا زيد، أنت ظالم، ومحمد أحق منك وأولى، ولئن لم تكف لأَلِيَنَّ قتلك، ثم أمر صخرة فيما يزعمون فرجفت الصخرة التي تلي زيدا حتى كادت أن تفلق، ولم ترجف الصخرة مما يلي الإمام الباقر

---

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ١/٤١.

(٢) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية لمحسن الخزازي ١/٢٤٦.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٤٢/٧٨، والكافي للكليني ١/٣٤٨، وإعلام الورى لأمين الدين فضل الطبرسي ص ٢٥٨ و٢٥٩ نشر دار الكتب الإسلامية طهران.

ثم قالت: يا زيد أنت ظالم، ومحمد أولى بالأمر منك، فكف عنه وإلا وليت قتلك، فخر زيد مغشيا عليه، فأخذ الباقر بيده وأقامه، ثم قال: يا زيد أرأيت إن أمرت هذه الشجرة تسير لي أتكف؟ قال: نعم فدعا الشجرة فأقبلت تخد الأرض حتى أظلتهم ثم قالت: يا زيد أنت ظالم ومحمد أحق بالأمر منك فكف عنه، وإلا قتلتك إلى آخر الرواية[1].

وزيد هذا هو الذي اختلفت عنده الشيعة، ففرقة زعمت أنه هو الإمام، وفرقة زعمت أن محمد الباقر هو الإمام، وتسمى أتباعه بالشيعة الزيدية، وهم موجودون إلى اليوم في بعض مدن اليمن كما تقدم.

وقد جعل الشيعة لأئمتهم مثل ما للأنبياء من المعجزات، فإذا كان نبي الله صالح عليه السلام قد أخرج لقومه ناقة من صخرة صماء، فإن عليا رضي الله عنه حين جاءه رجل يطلبه بدين ادعاه على رسول الله ﷺ بعد وفاته، أمر ابنه فخرج معه إلى صخرة صماء، فأمرها فتململت، وخرجت منها مائة ناقة تجر بعضها بخطام بعض[2].

وإذا كان موسى عليه السلام قد أحيى ميتا قتله قومه، فإن عليا رضي الله عنه كذلك أحيى مقتولا فدل على قاتله بإذن الله[3].

ومعجزات أئمتهم كثيرة لا تعد ولا تحصى، وكتبهم في ذلك تزاحم كتب الفقه كثرة وتنوعا، ومما رووا بأسانيدهم مما اختلقوه في ذلك أن جنيا كان جالسا عند رسول الله ﷺ فأقبل أمير المؤمنين علي، فاستغاث

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٤٦/٣٢٩.

(٢) خصائص الأئمة للشريف الرضي ص٤٩.

(٣) عيون المعجزات لحسين بن عبد الوهاب ص٢٢، ونوادر المعجزات للطبري الشيعي ص٣٦، ومدينة المعاجز لسيد هاشم بحراني ١/٢٥١.

الجني وقال: أجرني يا رسول الله من هذا الشاب المقبل، قال: ما فعل بك؟ قال: تمردت على سليمان، فأرسل إلي نفرا من الجن فطلت عليهم، فجاءني هذا الفارس فأسرني وجرحني، وهذا مكان الضربة إلى الآن لم تندمل [١].

ورووا بأسانيدهم الباطلة عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: كنا مع النبي ﷺ إذ دخل عليّ بن أبي طالب ﷺ فقال رسول الله: يا أبا الحسن أتحب أن نريك كرامتك على الله؟ قال: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: فإذا كان غدا فانطلق إلى الشمس معي فإنها ستكلمك بإذن الله تعالى.. إلى أن قال هذا المفتري: فقال علي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته أيها الخلق السامع المطيع، فقالت الشمس: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا خير الأوصياء، لقد أعطيت في الدنيا والآخرة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، فقال عليّ عليه السلام: ماذا أعطيت؟ فقالت: ولم يؤذن لي أن أخبرك فيفتتن الناس، ولكن هنيئا لك العلم والحكمة في الدنيا والآخرة [٢].

- **ضلال الفكر الشيعة من اختلاق الوصية إلى اختراع المهدية العسكرية.**

لقد أسس الشيعة مذهبهم كما سبق على مبدأ الوصاية، وأن النبي ﷺ لم يمت حتى أوصى لعلي بوصيه، وأن عليا ﷺ لم يمت حتى أوصى إلى الذي يليه، وهكذا سائر الأئمة، فلا يُعقل على حد قولهم أن يموت الرسول ﷺ دون أن يترك وصيا على أمته، لكن المذهب أوشك على

---

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ١/١٤٢، والثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ٢/٢٤٨، ومشارق أنوار اليقين ص٨٥.

(٢) مدينة المعاجز لهاشم البحراني ١/٢٢٠.

الانهيار بعدما توفي الحسن العسكري إمامهم الحادي عشر ولم يوص، ولم يكن له خلف فيوصي له، ولم يُعرف له ولد حتى أن ماله قسم على أمه وأخيه جعفر، ولم يكن له وارث غيرهما، وهذا أكبر دليل على أنه لم يعرف له ولد، وإلا لما ساغ تقسيم تركته على أمه وأخيه، فالولد يحجب الأخ من الميراث [(١)].

لكن المستغلين لعوام الشيعة من مراجعهم سرعان ما تداركوا الموقف، وادعوا أن للحسن العسكري ولدا غيبه منذ ولادته في سرداب بمدينة سامراء، وكانت فكرة هذا الولد الغائب هي الدعامة التي أسندت المذهب، فرقعت منه ما تمزق، وضمنت له الاستمرار بعدما تلاشت نظرية الوصاية والإمامة بانقطاع نسل الإمام الحادي عشر، فالشيعة يؤمنون بوجود إمام هو الثاني عشر، ويلقبونه بصاحب الزمان، ويعتقدون أنه مختف في سرداب بمدينة سامراء، وهم ينتظرون خروجه، ويزعمون أنه إمامهم الآن، وأنه حجة الله على الخلق، كما كان سائر الأئمة حجة على الخلق، ويروون بأنه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[(٢)]، بل يروون أنه لو بقيت الأرض بدون إمام لساخت بأهلها [(٣)].

ولم يكن أمر هذا الغلام معروفا قبل هذه الحادثة المفجعة، وقبل أن يموت الحسن العسكري من دون أن ينجب ويدركهم بإمام تتسلسل

---

(١) المقالات والفرق لسعد بن عبد الله القمي ص١٠٢، وقد ذكرت كتب التاريخ هذه الحقيقة، وأكدت على أنه لم يعرف للحسن العسكري ولد .

(٢) انظر الرواية في بحار الأنوار ٢٥/١١٥.

(٣) الكافي للكليني ١/١٧٩ .

معه هذه النظرية، وتستمر به هذه الوصاية، ولم يكن أحد يروي أي خبر أو أثر عن هذا الوليد وغيبته، ولم يكن أحد يعرف أن المهدي هو هذا. وهذا آكد دليل على عدم وجود الأحاديث التي ذكروها عن هذا الوليد، وأن الرسول ﷺ لم يخبر عنه ولا عن غيبته، فلو كان منصوصا عليه من قبل الرسول ﷺ لما تفرقوا وتنازعوا، ولما تناطحوا في أمر المهدي وتهارشوا، خصوصا أنهم قبل موت الإمام الذي يختلفون بعده يكونون فرقة واحدة، لهم نفس المصادر ونفس الأحاديث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (علماء الشيعة المتقدمون ليس فيهم من نقل هذا النص، ولا ذكره في كتاب ولا احتج به في خطاب، وأخبارهم مشهورة متواترة، فعلم أن هذا من اختلاق المتأخرين، وإنما اختُلق هذا لما مات الحسن بن عليّ العسكري، وقيل إن ابنه محمدا غائب، فحينئذ ظهر هذا النص بعد موت النبي ﷺ بأكثر من مائتين وخمسين سنة)[١].

لكن الاثنى عشرية فرقة مصرة على ضرورة الاعتقاد بوجود هذا المهدي وغيبته، وهو من العقائد الأساسية عندهم، قال مقرر عقائدهم المسمى عندهم بآية الله المظفر: (غير أن الفرق بين الإمامية وغيرها هو أن الإمامية تعتقد أن هذا المصلح المهدي هو شخص معين معروف ولد سنة٢٥٦هـ، ولا يزال حيا، هو ابن الحسن العسكري واسمه محمد، وذلك بما ثبت عن النبي وآل البيت من الوعد به، وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه) [٢].

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢٤٨/٨.

(٢) عقائد الإمامية ص٧٨.

لذلك ترى العامة والخاصة من الشيعة يدعون دائما عند ذكر اسمه بقولهم: عجل الله فرجه، ويكتبون أمام اسمه عجل، ويلهجون في أدعيتهم بانتظار خروجه وترقب موعده ليملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا، كما ورد في رواياتهم وكما تسمعه في تراتيلهم وأهازيجهم.

ومن الطريف أنهم يُعرضون عن القرآن والسنة، ويعتمدون في دينهم وتشريعهم على نصوص أسموها الرقاع، أو تواقيع الإمام، وهي عبارة عن أوراق تأتي من الإمام المهدي تأمرهم وتنهاهم، وتجيب عن تساؤلاتهم واستفساراتهم، ويجعلونها حجة على الخلق.

ومن هذه الرقاع المختلقة أن الناس قد تساءلوا ما فائدة هذا الإمام الغائب؟ وكيف تحصل به الحجة وإرشاد الخلق وهو مختبئ عنهم؟ فخرج التوقيع عن الإمام الغائب:

(أما وجه الانتفاع في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا على ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى) [1].

ويختلق الشيعة للإمام الغائب المزعوم محمد بن الحسن العسكري توقيعات كثيرة في مختلف أحكام الفقه، وكلها تعد عندهم نصوصا

---

(١) عقائد الإمامية ص٢٩٢، وانظر بحار الأنوار ٣٣٤/٤٧، والاحتجاج لأحمد بن علي الطبرسي ص٤٧٠.

قطعية في بابها، ولا يجوز مخالفتها، وإسحاق بن يعقوب هذا واحد من أبطال هذه المسرحية، فقد تولى أشخاص أمر هذه الصلة بين الناس والمهدي، فكانوا يقدمون إليه ما يدفعه الشيعة من أموال الخمس ويلتقون به على زعمهم، وكانوا يسمون بالأبواب أي أصحاب الباب، ويسلمونه رسائل الشيعة وأسئلتهم، ويتلقون منه هذه التوقيعات.

ومن الطريف أيضا أن أمر هذه البابية اضطرب، إذ أصبحت مصدرا للثراء وجمع الدنانير، فادعى كثير من الناس أنهم أبواب، وأخذوا يجمعون الأموال باسم المهدي، لكن المهدي فضح أمرهم وأصدر فيهم تواقيعه بلعنهم والتبرؤ منهم، والأطرف أن كل باب كان يأتي بتواقيع يلعن فيها الباب الآخر ويتهمه [(١)].

وكان منهم الشلمغاني الذي فضح الأمر وكشف الحال، بعد أن لُعن ولم يحصل على شيء، فقال: ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف [(٢)].

ولما تحول الأمر إلى صراع مقيت، بعد أن لعن بعضهم بعضا، وكفر بعضهم بعضا، وأصدر بعضهم التواقيع في بعض، وكادت اللعبة أن تنكشف، تقرر إنهاء أمر البابية بعد سبعين سنة من جمع الأموال وإيصالها إلى المهدي، مع كونه لا حاجة له في هذه الأموال طالما لا يدفع إيجار

---

(١) انظر ما حكاه الطوسي في باب ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية، وأورد تواقيع المهدي الصادرة في حقهم ص٣٩٧.

(٢) نفس المصدر ص٣٧٣، وانظر الرواية في بحار الأنوار ٥٢/٣٥٨.

الغار المختبئ فيه، وعندما حضرت الوفاة آخرهم واسمه السمري، سُئل عن الوصي على الباب بعده، فقال بأن الله له أمر هو بالغه[1].

وأخرج التوقيع الذي أنهى الخلاف حيث جاء فيه: (أما الوقائع الحادثة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله) [2].

جعل المهدي القسمة متساوية بين المراجع والعلماء، إذ أخذ كل منهم نصيبه من أموال الخمس، وتلاشت الصراعات الطاحنة حول البابية، واصطلحوا بعد انقطاع الصلة بالمهدي على تسمية هذه المرحلة الجديدة بالغيبة الكبرى، وسموا التي قبلها الغيبة الصغرى، ورووا كالعادة في ذلك أحاديث مختلقة، وأن الرسول ﷺ قد أخبر بأن للقائم غيبتان.

- **اختلاقات الشيعة فيما سيفعله العسكري المهدي عند خروجه؟**

ماذا سيحدث عند خروج هذا القائم الذي سيملأ الأرض عدلا بعدما ملئت ظلما وجورا؟ وماذا بعد هذه الغيبة وهذا الانتظار الطويل؟ وماذا سيفعل هذا المصلح؟ ماذا عساه أن يفعل وهو مختبئ كل هذه القرون خوفا من القتل في جحر كجحر الضب أو أضيق؟

إن أول عمل قام به النبيﷺ حين قدم المدينة قائدا للمسلمين أنه آخى بين الأنصار والمهاجرين جاعلا من الأخوّة شعار دولته، وعنوان

---

(١) نفس المصدر ص٣٩٣.

(٢) السابق ص٢٨٥ وانظر ما كتبه الدكتور ناصر القفاري حول البابية، ٢/٨٩٢.

سياسته، فلننظر إلى هذا الذي يزعمون أنه من أبنائه، كيف سيبتدئ مسيرة البناء والإصلاح ليغير هذا العالم، ويملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما، وما هو أول عمل يعمله بعد أن يخرج من مخبأه ويطل من جحره؟ فيروي المجلسي عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: هل تدري أول ما يبدء به القائم عليه السلام؟ قلت: لا، قال: يخرج هذين رطبين غضين فيحرقهما، ويذريهما في الريح، ويكسر المسجد [1].

وعنه أيضا أنه قال: إذا قدم القائم عليه السلام وثب أن يكسر الحائط الذي على القبر فيبعث الله تعالى ريحا شديدة وصواعق ورعودا حتى يقول الناس: إنما ذا لذا، فيتفرق أصحابه عنه حتى لا يبقى معه أحد، وهذه عادتهم، تماما كما فعلوا مع الحسين بن عليّ حين دعوه إلى الكوفة فخذلوه، وتفرقوا عنه وأسلموه للقتل، فيأخذ المعول بيده، فيكون أول من يضرب بالمعول، ثم يرجع إليه أصحابه إذا رأوه يضرب المعول بيده، فيكون ذلك اليوم فضل بعضهم على بعض بقدر سبقهم إليه، فيهدمون الحائط ثم يخرجهما غضين رطبين فيلعنهما، ويتبرأ منهما ويصلبهما، ثم ينزلهما ويحرقهما ثم يذريهما في الريح [2].

وفي رواية عند المجلسي في البحار: (فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما) [3].

وقد علق المجلسي بعد إيراده هذه الرواية فقال: (يعني باللات

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٥٢/٣٨٦ ويقصدون أبا بكر وعمر.
(٢) السابق ٥٢/٣٨٦.
(٣) السابق ٥٢/٢٨٣.

والعزى، صنمي قريش، أبي بكر وعمر) [١]. وقال تعليقا على رواية أخرى: (المراد إحراق الشيخين الملعونين) [٢].

ويرون أنه بذلك يشفي بذلك قلوب أولياء الله، كما ورد في حديث قدسي عندهم، أن الله أرى محمدا ﷺ المهدي والأئمة فقال: يا رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم الذي يحل حلالي، ويحرم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحة لأوليائي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزى طريين فيحرقهما، فلفتنة الناس بهما يومئذ أشد من فتنة العجل والسامري [٣].

ثم يزعمون أن المهدي سيبعث عائشة أم المؤمنين من قبرها ويقيم عليها الحد، فيرون عن أبي جعفر أنه قال: (أما لو قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة عليها السلام منها) [٤].

والمهدي المنتظر محمد بن الحسن العسكري سيكثر على زعمهم القتل في قريش والعرب خاصة! فيروون عن أبي عبد الله جعفر الصادق

---

(١) السابق ٥٢/٢٨٣.

(٢) السابق ٥٢/٣٤٦.

(٣) المصدر السابق ٥٢/٣٧٩، وعيون أخبار الرضا لأبي جعفر الصدوق١/٥٨.

(٤) الخبر في علل الشرائع لأبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق ٢/٢٦٧، وبحار الأنوار للمجلسي ٥٢/٣١٤ وإثبات الهداة للحر العاملي ٣/٤٩٨ ودلائل الإمامة لمحمد بن جرير بن رستم الطبري الشيعي ص٢٥٦.

أنه قال: إذا قام القائم من آل محمد عليه السلام أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات [(١)].

أما سائر العرب سوى قريش، فليس بين المهدي المزعوم وبينهم إلا الذبح! فيروون عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: (ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح، وأومأ بيده إلى حلقه) [(٢)].

وكيف يقدم رجل عربي على قتل العرب وهم قبيلته وعشيرته؟ وما الفائدة في قتل العرب؟ أليس فيهم مسلمون صالحون؟ بل وفيهم شيعة أيضا؟ وإذا كنا نحن نكذب بهذا المهدي الآن ونشكك به، فإن أتباعه كذلك سيشكون في أمره بعد خروجه وظهور حجته، لما يرون من كثرة قتله وشراسته.

روى المجلسي عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج، لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس، أما إنه لا يبدء إلا بقريش، فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم [(٣)].

ويروي أيضا من تخاريفهم واختلاقاتهم عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (المهدي رجل من ولدي لونه لون عربي، وجسمه جسم

---

(١) الإرشاد للمفيد ٢/٣٨٣ وبحار الأنوار ٥٢/٣٣٨.

(٢) بحار الأنوار ٥٢/٣٤٩، والغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني ص٢٤١.

(٣) السابق ٥٢/٣٥٤، والغيبة ص٢٣٨.

إسرائيلي على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السماء، والطير في الجو) [(١)].

أما رضا من في السماء فإن الله لا يحب المفسدين، وأما من في الأرض، فإن أمة العرب كلها لن ترضى، وبما أنه إسرائيلي فلن يحكم بحكم محمد ﷺ، وإنما سيحكم بحكم آل داوود، فيرون عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم داود عليه السلام، ولا يحتاج إلى بينة [(٢)].

وتزعم الشيعة أنه لن يسير بسيرة جده محمد ﷺ، فقد سئل إمامهم محمد الباقر عن المهدي، هل سيسير بسنة محمد؟ فقال: هيهات، إن رسول الله ﷺ سار في أمته باللين، وكان يتألف الناس، والقائم أمر أن يسير بالقتل، وأن لا يستتيب أحدا [(٣)].

وانظر إلى زعمهم أن المهدي سيجيء بكتاب جديد غير القرآن، وأن رسول الله ﷺ كان يسير بالقرآن ليتألف الناس، ومن هنا يمكننا الآن أن نبني تصورا عن شخصية هذا المهدي آخذين بعين الاعتبار ما مر من رواياتهم، فتتمثل شخصيته في أنه يقتل العرب، وليس بينه وبينهم إلا السيف، وأن جسمه جسم إسرائيلي، وسيحكم بحكم آل داود اليهود،

---

(١) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ١٣/١٦١، ودلائل الإمامة ص٤٤١، وبحار الأنوار ٥١/ ٨٠، والأربعين لسليمان الماحوزي البحراني ص٢٠٨.

(٢) الإرشاد للمفيد ص٤١٣ وإعلام الورى لأمين الدين الطبرسي ص٤٣٣ .

(٣) بحار الأنوار ٥٢/٣٥٤ .

وأكثر عساكره من أولاد العجم، ولن يسير بسيرة محمد ﷺ، وسيأتي بكتاب جديد على العرب، وأنه شديد يشمئز الناس من وحشيته ودمويته.

وهذه الخصال هي خصال اليهود إلى اليوم، وهذا غيض من فيض من سيرة هذا المهدي السفاح السافك للدماء، الذي سيملأ الأرض دما وقتلا، بدل أن يملأها رحمة وعدلا.



المطلب الخامس

الشيعة الإمامية الاثنى عشرية وموقفهم من القرآن والسنة كمصدرين للوحي في الإسلام



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن فرقة الشيعة بين الانحراف عن منهج الوسطية والاعتقادات الشركية والديانات الوثنية، وبينا أن الشيعة نبتة غرسها اليهود وسقتها دماء كربلاء وفتنة الجمل وصفين، وتعرفنا على المعاني اللغوية والاصطلاحية للشيعة والتشيع، وتحدثنا عن الزيدية كفرقة من فرق الشيعة الرئيسة وأن المعاصرين منهم غلاة، وأن الإمامية من فرق الشيعية هي أخطر الفرق في عصرنا، وأن الكيسانية من فرق الشيعية المجسمة التي انقرضت، وأن ما استحدثه الغلاة من الشيعة دين آخر غير دين الإسلام، وأنه لم يبق من فرق الشيعة اليوم إلا الإسماعيلية والزيدية والاثنى عشرية.

ثم تحدثنا عن الوهم الشيعي عند الإمامية في اختلاق أئمة لم يباشروا مهامهم، وعن غلوهم في رفع أئمتهم ووصفِهم لهم بصفات الإلوهية، وأنهم يزعمون لأئمتهم علمهم الغيب والاطلاع على اللوح المحفوظ، وأنهم يزعمون أن المعجزات واقعة لأئمتهم كدليل على

تنصيبهم، وبينا ضلال الفكر الشيعي من اختلاق الوصية إلى اختراع المهدية العسكرية، وبينا اختلاقات الشيعة فيما سيفعله العسكري المهدي عند خروجه؟

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن الشيعة الإمامية الاثنى عشرية وموقفهم من مصدري التشريع القرآن والسنة النبوية.

- **الشيعة وتوطين أتباعهم على عقيدة الرجعة والانتقام من خصومهم.**

إن الانتقام وقهر الخصم محبب إلى النفوس، فالنفس البشرية مجبولة على كره من ظلمها وحب الانتصار منه، ويتحقق لها من السعادة في ذلك ما لا يوصف، لذا فقد أرضت هذه العقيدة غريزة الثأر والانتقام عند الشيعة من أعدائهم قديما وحديثا، وجعلتهم يشعرون بنشوة الانتصار، ولو في أحلامهم إذ كان من يعادونهم عبر التاريخ بدءا بصحابة رسول الله ﷺ ثم الخلفاء الراشدين ﷺ فمن بعدهم، أهل شوكة ومنعة وأهل جند وعز، وكان هذا النصر دافعا لكثير من الشيعة لأن يرتاب في عقيدته المخذولة، وينصرف عن جماعته المهزومة، فكانت الرجعة موعدهم المنتظر، ويوم النصر والثأر من كل أعدائهم، فكانوا يعزون أنفسهم بمثل هذه النصوص.

يقولون فيها: (لترجعن نفوس ذهبت، فمن عُذب يقتَص بعذابه، ومن أُغيظ أغاظ بغيظه، ومن قُتل اقتص بقتله، ويُرد لهم أعداؤهم معهم حتى يأخذوا بثأرهم، ثم يعمرون بعدهم ثلاثين شهرا، ثم يموتون في ليلة واحدة قد أدركوا ثأرهم، وشفوا أنفسهم، ويصير عدوهم إلى أشد النار عذابا، ثم يوقفون بين يدي الجبار ﷻ فيؤخذ

لهم بحقوقهم) [١].

ومن ثم فإن الرجعة في العقيدة الشيعية هي رجوع شخصيات بعينها انتقاما منهم فيعودون إلى هذه الحياة الدنيا، فيرجع المنتقمون وهم من علت درجتهم في الإيمان، وهم الشيعة حسب زعمهم، ويرجع المنتقم منهم، وهم كما يعتقدون من بلغ الغاية في الفساد من أهل السنة.

يقول أحد معاصريهم: (من حصيلة مجموع الروايات الواردة في هذا الباب نلاحظ أنها تنص على رجعة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام، وكذلك باقي الأئمة والأنبياء عليهم السلام، وتنص كذلك على رجعة عدد من أنصار الإمام المهدي عليه السلام ووزرائه وبعض أصحاب الأئمة وشيعتهم، ورجعة الشهداء والمؤمنين، ومن جانب آخر تنص على رجعة الظالمين وأعداء الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، وخصوم الأنبياء والمؤمنين، ومحاربي الحق والمنافقين) [٢].

وبما أن أول عدو للشيعة كما يزعمون هو أول ظالمٍ ظلم حق محمد ﷺ والثاني والثالث[٣]. وهم عندهم أشد من بلغ الغاية في الظلم والفساد، فهم أول الراجعين لينتقم المهدي منهم.

إن هذه العقيدة من العقائد التي أجمعت الشيعة الاثني عشرية على

---

(١) انظر بحار الأنوار للمجلسي ٥٣/٤٤، والمرجع لهذا المطلب بتصرف كتاب الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي، المبحث الأول عقائد الشيعة الإمامية، عقيدة الرجعة.

(٢) الرجعة أو العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت ص٥٣، نشر مركز الرسالة.

(٣) أي أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، انظر كامل الزيارات لجعفر القمي ص٣٣١، وبحار الأنوار للمجلسي ٩٨/٢٩٣ .

الاعتقاد بها، وقد ذكر عالمهم الحر العاملي أدلتهم على الرجعة، وذكر منها إجماع الشيعة الإمامية وإطباق الطائفة الاثني عشرية على الاعتقاد بصحة الرجعة، فلا يظهر منهم مخالف يعتد به من علماء الشيعة السابقين ولا اللاحقين، وقد علم دخول المعصوم في هذا الإجماع بورود الأحاديث المتواترة عن النبي والأئمة عليهم السلام الدالة على اعتقادهم بصحة الرجعة، حتى إنه قد ورد ذلك عن صاحب الزمان محمد بن الحسن العسكري المهدي[1].

ويروي القمي عن أبي عبد الله أنه قال: (ما يقول الناس في هذه الآية ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ النمل:٨٣. قلت: يقولون إنها في القيامة، قال: ليس كما يقولون، إن ذلك في الرجعة، أيحشر الله في القيامة من كل أمة فوجا ويدع الباقين؟ إنما آية القيامة قوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ الكهف:٤٧) [2].

وعنه قال في قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ الطارق:١٧. فمهل الكافرين يا محمد، أمهلهم رويدا لوقت بعث القائم عليه السلام، فينتقم لي من الجبارين والطواغيت من قريش وبني أمية وسائر الناس[3].

ورأس الطواغيت عندهم هما أبو بكر وعمر صهرا رسول الله ﷺ، أو ما يطلقون عليهما الجبت والطاغوت، ويصرحون بهذا في روايات

---

(١) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة لمحمد بن الحسن الحر العاملي ص٦٣، ويقصد أن المهدي أخرج لهم توقيعا بذلك، وهذا من أقوى الأدلة عندهم.

(٢) تفسير القمي ١/٢٤.

(٣) السابق ٢/٤١٦.

أخرى، كقصة ابن المهزيار الذي التقى الإمام المنتظر في واد بعد الطائف، فمما قال له: ألا أنبأك الخبر، إنه إذا قعد الصبي، وتحرك المغربي، وسار العماني، وبويع السفياني يُأذن لولي الله، فأخرج بين الصفا والمروة في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سواء، فأجئ إلى الكوفة وأهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأول، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة، وأحج بالناس حجة الإسلام، وأجيء إلى يثرب فأهدم الحجرة، وأخرج من بها، وهما طريان، فآمر بهما تجاه البقيع، وآمر بخشبتين يصلبان عليهما، فتورق من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى، فينادي مناد من السماء: يا سماء أبيدي، ويا أرض خذي، فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن قد أخلص قلبه للإيمان. قلت: يا سيدي، ما يكون بعد ذلك. قال: الكرة الكرة، الرجعة الرجعة [1].

ويقرر شيخهم المجلسي هذه العقيدة بعد أن ذكر أدلتها فيقول: اعلم يا أخي، أني لا أظنك ترتاب بعد ما مهدت وأوضحت لك في القول بالرجعة التي أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار، واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار، حتى نظموها في أشعارهم، واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم، وشنع المخالفون عليهم في ذلك، وكيف يشك مؤمن بأحقية الأئمة الأطهار عليهم السلام فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح، رواها نيف وأربعون من

(١) دلائل الإمامة لمحمد بن جرير بن رستم الطبري الشيعي ص٥٢٢، والبرهان في تفسير القرآن لهاشم بن سليمان الحسيني البحراني ٤٠٧/٢، وهو مطبوع في قم بإيران المطبعة العلمية ١٣٩٣هـ.

الثقات العظام، والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم، كثقة الإسلام الكليني، والصدوق محمد بن بابويه، والشيخ أبي جعفر الطوسي وذكر أسماء من أخرج هذه الروايات ثم قال: وظني أن من يشك في أمثالها فهو شاك في أئمة الدين، ولا يمكنه إظهار ذلك بين المؤمنين، فيحتال في تخريب الملة القويمة بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين، وتشكيكات الملحدين، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون[1].

- **عقيدة البداء عند الشيعة من العقائد الباطلة التي ابتدعها اليهود.**

إن من العقائد الباطلة التي ابتدعها اليهود، وألصقوها في دينهم، قولهم بالبداء على الله ﷻ، وأنه يبدو له الشيء فيغير ما كان قد سبق له تقديره، ويقولون في التوراة: إن الله ندم على خلق البشر لما رأى سوء أفعالهم تعالى الله[2].

ولعله تم استيراد هذه العقيدة للمذهب الشيعي بدافع الحاجة، إذ أن من أصولهم أن الإمام يعلم الغيب، فكانت أخبار أئمتهم ترِد ببشارة قريبة، أو نصر متوقع، أو ظهور للمهدي، فيتخلف الوعد ولا يحصل المأمول، فيعتذر الإمام بأن الله ﷻ قد بدا له شيء فغير أمره، أما الإمام فقد أخبر على نحو ما كان قبل البداء. ولهذا لما توفي إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق في حياة أبيه، وقد كان أبوه عينه على أنه الإمام من بعده، نسبوا إلى أبي جعفر أنه قال: ما بدا لله في شيء كما بدا له في

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ١٢٢/٥٣.

(٢) انظر بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ٣١٧/١.

ابني إسماعيل، إذ اخترمه قبلي، ليعلم أنه ليس بإمام بعدي[١].

لكن من الشيعة من لم يقبل هذا التعليل، ولم تنطل عليه الحيلة، ولم يقبل أن يتغير الإمام فانشقوا عن أصحابهم، وتوقفوا على إسماعيل، وزعموا أنه المهدي، ولم تكن هذه المرة الأخيرة التي يخطئ فيها خبر المعصوم، ويعين الإمام ابنه المنصوص عليه بزعمهم من الله ﷻ، ثم يموت الولد المعين قبل موت أبيه الإمام، فقد حصل أن مات محمد بن عليّ التقي الإمام العاشر، وقد كان أبوه عينه الإمام من بعده. ويروي الكليني ما يدل على أن هذه العقيدة التي تنسب الجهل إلى الله ﷻ هي من تعظيم الله ﷻ وعبادته، ففي رواياتهم: ما عبد الله بشيء مثل البداء، وما عظم الله بشيء بمثل البداء[٢].

وقد كثر الدفع بهذه العقيدة في موضوع المهدي إذ تكررت البشارات بظهوره، واقتراب الفرج بخروجه، ولكن يأبى الله الذي لا يطلع على غيبه أحدا إلا إكذاب هذه الدعوات، ومع ذلك فلا حرج عندهم على الإمام، فإنه كان قد اطلع على اللوح المحفوظ، فأخبر صادقا بما سيقع، لكن الله بدا له فمحا وأثبت. وكانت البشارات تضرب لآجال قريبة في بادئ الأمر، فقد قال أبو جعفر: ليس بين قيام القائم عليه السلام وقتل النفس الزكية أكثر من خمس عشرة ليلة [٣].

---

(١) الاعتقادات في دين الإمامية لابن بابويه الصدوق القمي ص٤١.

(٢) انظر الروايتين في الكافي ١/١٤٦.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد ٢/٣٧٤، النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي قتل سنة١٣٠هـ، وكان قد خرج على الخليفة أبي جعفر المنصور فأرسل عليه عيسى بن موسى الهاشمي فقطع رأسه وأرسلها للخليفة.

ثم زيد في المدة فيروي الكليني عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يا ثابت، إن الله تبارك وتعالى كان قد وقت هذا الأمر في السبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر، ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتا عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب [١].

وتكرر هذا الأمر وطالت الحسرة على هؤلاء الذين ينتظرون الفرج، واشتد يأسهم، وتكرر إخلاف أئمتهم، فيموت أحدهم أسفا قبل أن يدركه الموت ويدفن في حفرته، وقد قضى عمره ينتظر المهدي لينتقم وينتصر ويشفي الصدر، لكنه لا يدرك إلا الغم والنكد، ولا يلقى من انتظاره إلا حرقة الانتظار، وتطييبا لخاطر هذا الذي قضى عمره في تتبع الأخبار وانتظار الإمام رووا عن أبي عبد الله أنه قال: من مات وهو عارف لإمامه لم يضره، تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه، كان كمن هو مع القائم في فسطاطه [٢].

وما أشد ما تأخر هذا الفرج على منتظريه، وطال الوقت على مؤمليه، ولعل مدبري هذا الأمر كانوا على علم بأن لا فائدة من الانتظار، وأن لا فرج قريب، ولا مهدي سيظهر، بل لقد كانوا على علم تام بما يفترون، فقد روى الكليني عن عليّ بن يقطين أنه قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: الشيعة تربى بالأماني منذ مائتي سنة، فقال له أبوه

(١) الكافي للشيخ الكليني ٣٦٨/١.
(٢) السابق ٣٧٢/١.

يقطين وكان سنيا وابنه شيعيا: ما بالنا قيل لنا فكان، وقيل لكم فلم يكن؟ أي ما كان يبشر به من ظهور دولة بني العباس، قال: فقال له علي: إن الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد، غير أن أمركم حضر، فكان كما قيل لكم، وإن أمرنا لم يحضر، فعللنا بالأماني، فلو قيل لنا: إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة، لقست القلوب ولرجع عامة الناس من الإسلام، ولكن قالوا: ما أسرعه وما أقربه تألفا لقلوب الناس وتقريبا للفرج [1].

وما زالت الشيعة تربى بتلك الأماني إلى اليوم، أي منذ ثلاثة عشر قرنا، وهذه حكمة عظيمة من حكم تشريع البداء واهتمام الأئمة به، كما ذكر علامتهم المجلسي، فقد علل هذا الاهتمام البالغ أنه لحكم كثيرة، وذكر منها أنه يكون في هذه الأخبار تسلية للمؤمنين المنتظرين لفرج أولياء الله وغلبة الحق وأهله، لأنهم عليهم السلام لو كانوا أخبروا الشيعة في أول ابتلائهم باستيلاء المخالفين وشدة محنتهم أنه ليس فرجهم إلا بعد ألف سنة، ليئسوا ورجعوا عن الدين، ولكنهم أخبروا شيعتهم بتعجيل الفرج، وربما أخبروهم بأنه يمكن أن يحصل الفرج في بعض الأزمنة القريبة، ليثبتوا على الدين، ويثابوا بانتظار الفرج كما مر في خبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

ثم ساق المجلسي الحديث السابق ذكره من أن الشيعة تربي الأماني فاعترفوا أنهم كانوا يخبرونهم بخروج المهدي، وهم يعلمون يقينا أنه لن يخرج في ذلك الوقت تثبيتا وتأليفا، وقد صدقهم أولائك المساكين، ويا

---

(١) السابق ٣٦٩/١، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ١٣١/٤.

للعجب من هذا العالم الذي يعتبر الكذب حكمة عظيمة، ويتبع إماما كذابا يربي أتباعه بالأكاذيب.

وفي الحقيقة إن المتتبع لأحوال الشيعة ليرثي لما هم عليه، فهاهم مشايخهم يربونهم بالأماني، ويعدونهم بالشيء ليسكنوهم ويدخلوا عليهم السرور، تماما كما يعد الأب المعدم ابنه الملهوف بشراء ما طلبه منه، ويبتسم في وجهه ويجفف دموعه، وهو يعلم في نفسه أن هذا لن يكون، ثم إنك لترثي لحالهم أكثر، وأنت ترى ما يلحقونه بأنفسهم وبأبنائهم من الأذى والجراحات، وإراقة الدم وضرب الصدور والظهور بالسلاسل تقربا إلى الله، فلم يكفهم الأذى المعنوي والنفسي الذي ألحقوه بهم حتى أثخنوهم بالجراح، وآلموهم بالسياط، وأخذوا أموالهم باسم الخمس، واستحلوا فروج بناتهم ونسائهم باسم المتعة، وجعلوهم أضحوكة الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ الحج:١٨[1].

- **عقيدة التقية عند الشيعة ونفاق التلون والكذب المداهنة.**

لقد عرف الفكر الإسلامي عبر التاريخ الكثير من التيارات الفكرية، والمذاهب العقدية المختلفة والمتباينة، لكن أكثرها كذبا ونفاقا وتلونا، وأقدرها على التغلغل بخفاء في المجتمعات، والذوبان بسلاسة في مختلف البيئات هو المذهب الشيعي، فقد استفاد من الخبرة اليهودية المتقنة لعناصر التخفي والبقاء، وأتقن متابعوه سلاح التقية، وتلقوه عقيدة

(١) انظر ملخص المفردات السابقة بتصرف من كتاب الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي، المبحث الأول عقائد الشيعة الإمامية عقيدة الرجعة.

ودينا، وتربوا عليه منذ نعومة أظافرهم، فعاش هذا المذهب متخفيا عبر الزمن، يخفي عقائده، ويواري أفكاره، ولم تُعرف الكثير من كتب المذهب الشيعي إلا بعد قيام الدولة الصفوية في إيران وانتصار ثورة الخميني، حيث طبعت كتبهم واطلع العالم على هذا المذهب الخبيث، وكان كثير من عقائده في طي الكتمان.

وهكذا نظَّر مؤسسو هذا المذهب لعقيدة التقية ليجعلوها من أهم ركائز الفكر الشيعي وأركانه، بل جعلوها تسعة أعشار الدين، قال أبو عبد الله لأبي عمر: يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له. وعنه أيضا أنه قال: اتقوا على دينكم فاحجبوه بالتقية، فإنه لا إيمان لمن لا تقية له، إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير، لو أن الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلا أكلته، ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبونا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم، ولنحلوكم في السر والعلانية [١].

وهكذا أخذت التقية مكانها من عقائدهم، وأصبحت ركنا أساسيا، من تركه قبل خروج القائم فقد خرج عن دين الله تعالى، وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة كما تزعم الرواية [٢].

لقد كانت هذه التقية مصدر قوة للمذهب الشيعي، وأمانا كي يحيا بسلام داخل المجتمعات الإسلامية حتى إذا وجد الزمان الملائم والمكان اندلع كالنار في الهشيم، فيبدأ بنشر المذهب وتأسيس الدولة بالقوة، كما

---

(١) انظر هذه الروايات في الكافي باب التقية ٢/٢١٧.

(٢) الاعتقادات لمحمد باقر لمجلسي ص١١٤.

حدث من دعاة الدولة الفاطمية الذين أقاموا بالمغرب دولتهم، ونشروا بحد السيف مذهبهم، وقتلوا كل من خالفهم، وقد كانوا في غاية من القلة والذلة، بل إن الذين دخلوا المغرب ثلاثة رجال فقط، كونوا بعد ذلك دولة كبيرة (١).

لكن السحر انقلب على الساحر فدمرت عقيدة التقية المذهب بكامله وهدمت أركانه، وارتدت هذه المكيدة التي أسسوها على مذهبهم بالإبطال والنقض والإضلال، والسبب في ذلك كما ذكر أحد علماءهم سبب لا يخفي على ذوي العقول من أهل الإيمان وطالبي الحق من ذوي الأذهان، وهو زعمهم أن الصحابة ﷺ مردة معاندين بعد موت سيد الأنبياء والمرسلين، قاموا بغصب الخلافة من وصيه أمير المؤمنين، وتواثب أولئك الكفرة عليه كما يزعمون، وقصدوه بأنواع الأذى والضرر، وتزايد الأمر شدة بعد موته، وما بلغ إليه حال الأئمة من الجلوس في زاوية التقية، والتغاضي على كل محنة وبلية، وحث الشيعة على استشعار شعار التقية، فلم يُعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل لامتزاج أخباره بأخبار التقية. وقد اعترف بذلك عالمهم محمد بن يعقوب، واعترف بأن الأئمة يخالفون بين الأحكام محافظة على أنفسهم وشيعتهم وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام، فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة وإن لم يكن بها قائل من المخالفين، كما هو ظاهر لمن تتبع قصصهم وأخبارهم وسيرهم وآثارهم (٢).

---

(١) انظر أخبار الدولة الفاطمية وما صنع دعاتها تاريخ ابن خلدون ٤/٣١.

(٢) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة للمحقق يوسف البحراني ١/٥.

وقد كانت المحصلة نصوصا متضاربة وأقوالا متعارضة، تنسب كلها إلى نفس الإمام خوفا على نفسه كما يزعمون، ولا ندري ما الذي يدفعه إلى أن يضارب بين فتاويه أو يخالف بين أقواله؟ وأي خوف يحمل الإنسان على هذا الكذب والافتراء على الله، والقول في دين الله ما ليس منه؟ وكيف يكون هذا الكذب دفعا للقتل عن النفس؟ بل لأن يقتل المسلم ويقطع أهون عليه من أن يقول على الله الكذب وهو يعلم.

وقد اعترف بهذا التضارب شيخهم الطوسي شيخ الطائفة كما يلقبونه فقال وهو يحاول أن يوجد حلا لهذه المعضلة: (ذاكرني بعض الأصدقاء أيده الله ممن أوجب حقه علينا بأحاديث أصحابنا أيدهم الله ورحم السلف منهم، وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد، حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه، حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا، وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا) [1].

ثم ذكر عن شيخه أبي الحسن الهاروني العلوي أنه كان يعتقد الحق، ويدين بالإمامة، فرجع عنها لما التبس عليه الأمر في اختلاف الأحاديث، وترك المذهب [2].

- **التقية أفسدت على الشيعة مذهبهم وجعلت لكل منهم دينا مستقلا.**

لقد بلغ من خطورة هذا الأمر أن الإمام يفتي بشيء، فترد عليه

---

(١) تهذيب الأحكام في شرح المقنعة لمحمد بن الحسن الطوسي ٢/١، وقد طبع بتحقيق حسن الموسوي الخرسان، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٩٠هـ.

(٢) المصدر السابق.

فتواه، ولا يقبل منه قوله بدعوى أنه تقية، كما وقع لأحدهم وهو شعيب العقرقوفي الذي سمع الإمام الصادق عليه السلام ينهى عن أكل ذبائح أهل الكتاب، قال شعيب: فلما خرجنا من عنده، قال لي أبو بصير: كلْها، فقد سمعته وأباه جميعا يأمران بأكلها، ثم سأل الإمام عن ذلك، فقال: لا تأكلها. قال شعيب: فقال لي أبو بصير: كلها وفي عنقي، فسأل الإمام ثانية، فقال: لا تأكلها. فقال أبو بصير: سله ثالثة، قال شعيب: فقلت لا أسأله بعد مرتين[1]. وأبو بصير هذا من أكابر رواتهم.

هذا حال الإمام المعصوم الذي لا يجوز عند الشيعة مخالفته، والراد عليه أمره كالراد على الله تعالى، بعد أن أفسدت عليه التقية صِدْقه، وجعلت أتباعه يصدون عن قوله، ويردون فتواه في وجهه، وقد نقضت هذه النصوص المتضاربة عقيدة عصمة الأئمة، وزعمهم أن أقوالهم معصومة، إذ أصبح لكل قول قولا يضربه، ولكل دليل دليلا يناقضه، فأين كلام الإمام الذي هو حجة على الخلق، هل هو ذا أم عكسه؟ وأي القولين يكون تقية؟

وقد كان استعمال الشيعة لهذه التقية سببا في قطع هذا المذهب الذي يغالي في حب آل البيت، بل ملأته بالاختلاف والاضطراب، فضاع بذلك ما أصلوه من اللطف الإلهي بوجود الإمام والأمر بطاعته، وأنه لولاه لما عرف الناس كيف يعبدون الله، وغير ذلك من الأباطيل، وكما ذكر عالمهم الطوسي فإن التقية هذه كانت من أكبر الطعون على

(١) ذبائح أهل الكتاب الشيخ المفيد ص ٩، وبحار الأنوار ٦٣/١٥.

المذهب، فكل ما حاولوا إيراده لإثبات وجوب وجود الإمام، وأنه لطف لازم لحفظ الشريعة وهداية الخلق قد انتقض، فأصبح الإمام وأقواله سببا للاختلاف والاضطراب وتضليل الناس، فيفتي مرة بالإباحة ومرة بالتحريم، ومرة يفسر الآية بمعنى، ومرة بمعنى آخر مخالف، وما هذا الاختلاف الكثير إلا دليل على بطلان دعوى الوحي المعصوم للأئمة، ومصداق لقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ النساء: ٨٢.

ومن أمثلة استدلالهم بالتقية أنه عندما استدل عليهم مخالفوهم ببطلان ما ادعوا من أن الرسول ﷺ قد أوصى بالخلافة لعلي، وأن الصحابة ظلموه حقه، واغتصبوا منصبه، بأنه لو كان الأمر كما زعموا، لما زوج عليّ ابنته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة المسلمين، فهذا دليل على الأخوة التي كانت تربطهم، والمودة التي كانت تسري في قلوبهم، مع رابطة الدين المتينة، فيجيبون بأن ذلك كان من عليّ تقية.

يقول الطوسي: فإن قيل لو كان الأمر على ما ذكرتموه من النص لَمَا زوج أمير المؤمنين عليه السلام بنته من عمر، وفي تزويجه إياها دليل على أن الحال بينهم كانت عامرة بخلاف ما تدعونه، ويدعي كثير منكم أن دافعه كافر. قلنا: في أصحابنا من أنكر هذا التزويج، وفيهم من أجازه وقال: فعل ذلك لعلمه بأنه يقتل دونها، والصحيح غير ذلك، وأنه زوجها منه تقية [1].

---

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد لمحمد بن الحسن الطوسي ص٢١٣، وقد طبع هذا الكتاب في النجف بالعراق، مطبعة الآداب ١٩٧٩م.

والعجب كيف ينسبون لعلي ﷺ الشجاعة والقوة ويضيفون إليه الخوارق والمعاجز، ثم يروون عن أبي عبد الله أنه قال في تزويج أم كلثوم: إن ذلك فرج غصبناه [1]. كيف يرضى عليّ ﷺ أسد بني هاشم بهذا الذي لا يرضى به صعلوك من صعاليك العرب، فضلا عن ساداتهم وأشرافهم في الجاهلية والإسلام.

وبسبب التقية أيضا تتضارب الروايات عن الإمام المعصوم على زعمهم حتى في تفسير كلام الله تعالى، فعن موسى بن أشيم قال: كنت عند أبي عبد الله ﷺ فسأله رجل عن آية من كتاب الله ﷻ فأخبره بها، ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر به الأول، فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبي يُشرّح بالسكاكين فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ في الواو وشبهه، وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطاء كله، فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي، فسكنت نفسي، فعلمت أن ذلك منه تقية، قال: ثم التفت إلي فقال لي: يا ابن أشيم إن الله ﷻ فوض إلى سليمان بن داود فقال: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وفوض إلى نبيه ﷺ فقال: ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، فما فوض إلى رسول الله ﷺ فقد فوضه إلينا [2].

وهل كان رسول الله ﷺ يناقض أخباره، ويفتن أصحابه حتى كأنهم يُشرّحون بالسكاكين؟ هكذا يتربى الشيعة على التقية، وعندما

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ٥/٣٤٦.

(٢) السابق ١/٢٦٥.

تلتقي شيعيا وتسأله عن بعض عقائد مذهبه كتكفير الصحابة مثلا، فإنك ستجده ينكر ويقسم ويتهرب، ويستخدم أغلظ الأيمان، ويدعوا ثبورا، ويلعن من قال ذلك، وكل هذا مباح في شرعه، بل هو مثاب على كذبه ونفاقه، بل لو ترك التقية قبل خروج القائم لخرج من دين الإسلام على زعمهم.

- الشيعة الإمامية الاثنى عشرية وادعائهم الإجماع على تحريف القرآن.

إن كل فرقة تنتمي إلى الإسلام وتنتسب إلى القبلة، تحتاج في تأصيل مذهبها وبناء منهجها إلى الاستدلال بالقرآن الكريم كأول ركن في إقامة الحجة على الآخرين، ولا يمكن لأي فرقة من هذه الفرق أن تبني فكرا مقبولا في الأوساط المسلمة إلا إذا أوجدت لنفسها حقلا دلاليا من آيات القرآن وتبني من خلاله آراءها ومذهبها وتسوق به أتباعها.

ولقد واجه الشيعة سؤال منذ نشأتها، ومنذ أن أصلت لنفسها عقيدة الإمامة وتغايرت بها عن سائر المسلمين، هذا السؤال هو: لماذا لم يذكر القرآن مسألة الإمامة التي تتوقف عليها نجاتنا أو هلاكنا؟ وإن كان قد ذكرها على زعم الشيعة فلماذا اكتفى بالإشارة والتلميح بدل الإبانة والتوضيح كما هي عادة القرآن الكريم في مثل هذه القضايا التي تتوقف عليها سعادة البشر أو شقاوتهم؟ بل لو تتبعنا أمورا أقل خطرا من الإمامة لوجدنا القرآن قد سلك فيها مسلك التبيين والتفصيل، ولم يكتف بذكرها والتصريح بها فحسب، بل كرر ذكرها وأعاده، وفصل الكلام فيها وأحكمه، ورتب على فعلها الثواب، وعلى تركها العقاب، وهذا واضح لمن تأمل آيات القرآن وتتبع طريقته في تأصيل أحكامه.

لقد سلك الشيعة للإجابة عن هذا الإشكال مسلكين مختلفين، فحاول فريق منهم أن يبحث عن آيات من القرآن الكريم ويجرها عن دلالتها المعروفة في لغة العرب لتكون شواهد للإمامة، وقاعدة ينطلق منها ليحملها من الدلالات ما لا تطيق، ويستدل بها على ما لو أراده القرآن لاختار له العبارة البينة والمعنى الواضح، فبدل أن يشير إلى عليّ كما تزعم الشيعة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ المائدة:٥٥. وتبقى الآية مفتقرة لحملها على عليّ إلى الرواية المعلولة الضعيفة التي تذكر أنه مرَّ سائل بعلي بن أبي طالب وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتَمَه. وقد كان بالإمكان أن يعبر القرآن بعبارة لا تفتقر إلى رواية أو أثر، ومعنى لا يكتنفه غبش أو يشوبه غموض، ليدل على عليّ وأحقيته بالإمامة، ولذكر لنا من أوصاف عليّ ما هو أشهر من قصة هذا الخاتم.

ولنترك الآن هذا الفريق في بحثه المتهافت عن آيات قرآنية يلوي أعناقها لترقع مذهبه وتعطيه الصبغة الشرعية، لننتقل إلى الفريق الآخر الذي أراح نفسه من هذا العناء، واكتفى بالقول بأن القرآن الذي بين أيدينا قد نُقص منه ما يدل على الإمامة ويرشد إليها، وبأن هذا الكتاب قد ترك العالم في حيرة وتخبط بفعل أولائك الصحابة المرتدين الذين حرفوه وحذفوا منه أكثر مما تركوا، وزعموا في روايتهم أنه لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مذكورين بأسمائنا [(١)].

وقد نسب إليهم هذه المقالة جل علماء السنة الذين كتبوا عن الشيعة

(١) تفسير الصافي للفيض الكاشاني ١/٤١، تفسير البرهان لهاشم البحراني ١/١٥.

كالأشعري ٣٣٠ هـ، والبغدادي ٤٢٩ هـ، وابن حزم ٤٥٦هـ وغيرهم.

وقال الشيخ موسى جار الله (ت:١٣٦٩هـ) الذي عاش بين الشيعة زمنا طويلا ودرس في حلقاتهم وشرب من علومهم: (القول بتحريف القرآن بإسقاط كلمات وآيات قد نزلت، وبتغيير ترتيب الكلمات أجمعت عليه كتب الشيعة) [1].

وقال الشيخ حامد الإدريسي الذي ننقل عنه أغلب ما ورد في هذا المطلب: (وقد لقيت في زيارتي للحوزة العلمية في قم، كثيرا ممن يقول بهذا القول إما تصريحا وإما تعريضا، بل كان أغلب من أطرح معه هذه القضية، يهاجمني بأن السنة أيضا تقول بتحريف القرآن، بدل أن يرد بأن القرآن غير محرف، وطرح عليّ أحد آياتهم إشكالا حول سورة تبت يدا أبي لهب، حين كنت أناقشه في هذه القضية، مستنكرا كيف أنه لم يُذكر فيها من الكفار غير عم الرسول ﷺ؟ وهو في هذا يشير إلى رواية عندهم أنه أُسقط من السورة اسم أربعين من الكفار، وأُبقي اسم عم الرسول ﷺ إزراء به.

وعندما سألت أحد الأساتذة في جامعة أهل البيت والذي يدرس أصول الفقه عن هذه المسألة، أجابني بأن السنة أيضا تقول بتحريف القرآن، فقلت له: اذكر لي مثالا لآية ترى أن أهل السنة قد حرفوها، فقال: إن السنة تنقص من آية: صدق الله العلي العظيم كلمة العلي وتقول: صدق الله العظيم. فقلت له مستغربا: إن هذه ليست آية من

---

(١) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله العراقي ص١٠٤، دار الكتب السلفية بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

القرآن وأن الوارد في هذا المعنى قوله: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران:٩٥.
فأجاب بجدة: بل إنها آية من القرآن الكريم، فقلت له في أي سورة وردت؟ ففكر مليا وكان إلى جانبي أحد طلبته من المغاربة المتشيعين، فنظرت إليه فإذا وجهه ممتلئ خجلا واحمرارا، وبعد التفكير والتخمين، رد الشيخ: سأبحث لك عنها في الكمبيوتر ليس في المصحف، وآتيك باسم السورة غدا، وودعناه، وشاء الله أن أقابله في صباح الغد وهو في الطريق فسلمت عليه فلم يقف، وأشار بيده رادا السلام مشمرا في المشي، ولقد استغربت من أني لم أجد أحدا من كل العلماء والطلبة الذين قابلتهم يحفظ القرآن، بل لا يكاد الواحد منهم يسلم من الخطأ في كل آية يسوقها، وقد عجبت لذلك كثيرا، خصوصا من أمثال من يسمون أنفسهم آيات الله الذين جاوزوا الستين من العمر) [(١)].

- **الشيعة يحذرون أتباعهم وأولادهم وعوامهم من حفظ القرآن الكريم.**

ذكر الشيخ موسى جار الله العراقي صاحب كتاب الوشيعة في نقد عقائد الشيعة أن الشيعة يحذرون أتباعهم وأولادهم وعوامهم من حفظ القرآن الكريم، وأكد أنه لم يجد منهم أحدا يحفظ القرآن مع أنه عاش بينهم ودرس في مدارسهم [(٢)].

وسبب هذا أن عمائم الشيعة يروون في كتبهم روايات تحذر من حفظ هذا القرآن الموجود بين أيدي الناس، فعن أبي جعفر أنه قال: إذا

---

(١) انظر الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي، المبحث الثاني الإمامية وموقفهم من مصدري التشريع وموقفهم من القرآن الكريم.
(٢) الوشيعة لموسى جار الله العراقي ص٢٧.

قام قائم آل محمد عليه السلام ضرب فساطيط لمن يعلم الناس القرآن على ما أنزل الله جل جلاله، فأصعب ما يكون حِفْظه على من حفظه اليوم، لأنه يخالف فيه التأليف [1].

وتروي الشيعة الإمامية في كتبها روايات كثيرة مختلقة وبصيغ مختلفة كلها تدل على أن الصحابة رضي الله عنهم قد قاموا بعمل شنيع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أخذوا القرآن فنقصوا منه كل ما فيه فضح لأعمالهم وشناعاتهم، وكل ما فيه إشارة إلى ولاية عليّ بن أبي طالب وذكر فضائله، واستحقاقه الإمامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن إفكهم ما يسندونه إلى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عليّ عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم، كما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا عليّ اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه عليّ عليه السلام وانصرف ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئا للقرآن، فقال له عمر: إن عليا جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم، وأظهر عليّ القرآن الذي ألفه، أليس قد بطل ما قد عملتم؟

قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر: ما حيلة دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢/٣٨٦.

يقدر على ذلك، فلما استُخلِف عمر سأل عليا عليه السلام أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الذي كنت جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه، فقال عليّ عليه السلام: هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا ما جئتنا به، إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي، فقال عمر: فهل وقت لإظهاره معلوم؟ قال عليّ عليه السلام: نعم، إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجري السنة عليه [1].

هذا ما قام به الصحابة في زعمهم، وفاتهم أن القرآن محفوظ بحفظ الله له، وبأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن الله متكفل بحفظه كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ الحجر:٩.

وتعزيزا لدعوى التحريف تجد رواياتهم بعد أن يحرفوها تنص على أن الآية هكذا نزلت، وتجد إمامهم يقرأ الآية على غير ما هي عليه، ثم يعقب بقوله: هكذا نزلت، في إشارة منه إلى أنها كانت هكذا قبل أن تحرف، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ الأحزاب:٧١. يروون في كلامهم وافتراءاتهم عن أبي عبد الله أنه قال: (ومن يطع الله ورسوله في ولاية عليّ وولاية الأئمة من بعده فقد فاز فوزا عظيما، هكذا نزلت) [2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٨٩/٤٢.
(٢) الكافي للكليني ١/٤١٤.

مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة:٢٣.

ويروي الكليني عن جابر أنه قال: نزل جبرائيل بهذه الآية على محمد هكذا: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في عليّ فأتوا بسورة من مثله [(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ النحل:٩٢.

ويروي الكليني عن أحدهم عن أبي عبد الله أنه قرأها: (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أئمة هي أزكى من أئمتكم. قال: قلت: جعلت فداك، أئمة؟ قال: إي والله أئمة، قلت: فإنا نقرأ: أربى، فقال: ما أربى؟ وأومأ بيده فطرحها، إنما يبلوكم الله به، يعني بعلي عليه السلام وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون [(٢)].

ومما يؤكدون به عدم صحة الآية عندهم تهكمهم على المعنى الوارد فيها كما مر في هذه الرواية، حين قال إمامهم متهكما: ما أربى؟ وأومأ بيده فطرحها، مشيرا إلى أن هذا المعنى ضعيف، وأن الآية ليست كما أنزلها الله، وهذا تراه في روايات كثيرة، كما ذكر القمني أن أبا عبد الله قال للقارئ لما قرأ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران:١١٠. فقال

---

(١) المصدر السابق ٤١٧/١.

(٢) السابق ٢٩٢/١.

متهكما: خير أمة. يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين؟ فقال القارئ: جعلت فداك كيف نزلت؟ قال: نزلت كنتم خير أئمة [(١)].

قال محسن الكاشاني: (إن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد ﷺ وسلم، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة، منها اسم عليّ عليه السلام في كثير من المواضع، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضا على الترتيب المرتضى عند الله وعند رسوله ﷺ) [(٢)].

والقمي في تفسيره قد صرح بهذا واستدل عليه بروايات كثيرة، وتحدث عن التحريف في مواضع كثيرة من تفسيره، فقال: (وأما ما هو محرف منه، فهو قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ النساء:١٦٦ . نزلت: لكن الله يشهد بما أنزل إليك في عليّ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون. وقوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ المائدة:٦٧. نزلت: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في عليّ فإن لم تفعل فما بلغت رسالته. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾﴾ النساء:١٦٨ . نزلت: إن الذين كفروا وظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم. وقوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ الشعراء:٢٢٧. نزلت: وسيعلم الذين ظلموا آل

---

(١) تفسير القمي ١/١١٠.

(٢) تفسير الصافي للفيض الكاشاني ١/٤٩.

محمد حقهم أي منقلب ينقلبون وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ الأنعام:٩٣. نزلت: ولو ترى الذين ظلموا آل محمد حقهم في غمرات الموت، ومثله كثير نذكره في مواضعه)[١].

والخميني يصرح بعقيدة التحريف في كتبه، فيقول في كتابه كشف الأسرار: (إن الذين لم يكن لهم ارتباط بالإسلام والقرآن إلا لأجل الرئاسة والدنيا، وكانوا يجعلون القرآن وسيلة لمقاصدهم الفاسدة، كان من الممكن أن يحرفوا هذا الكتاب السماوي في حالة ذكر اسم الإمام في القرآن، وأن يمسحوا هذه الآيات منه، وأن يلصقوا وصمة العار هذه على حياة المسلمين)[٢].

لقد عاشت عقيدة التحريف بين طيات كتب المذهب الشيعي، وفي قلوب كثير من علمائه تحيط بها التقية، وتتناقل بين الكبراء في سرية إلى أن انبعث أحد علمائهم المبجلين، وهو حسين بن محمد المعروف بتقي الدين النوري الطبرسي صاحب كتاب من أكبر كتبهم يسمى مستدرك الوسائل، والذي يقع في ثمانية عشر مجلدا، ويعتبر من مصادرهم المعتمدة في الحديث، وقد بلغ من تبجيلهم لهذا الرجل أن دفنوه في بقعة من

---

(١) تفسير القمي ١/١٠. قال الشيخ محمد عبد الرحمن السيف في مقال له بعنوان الشيعة الاثنى عشرية وتحريف القرآن : قامت دار الأعلمي في بيروت في طباعة تفسير القمي لكنها حذفت مقدمة الكتاب للسيد طيب الموسوي لأنه صرح بالعلماء الذين طعنوا في القرآن من الشيعة.

(٢) كشف الأسرار للخميني ص١١٤، طبعة المطبعة الإسلامية بطهران١٩٤١ م.

أشرف بقاعهم، بداخل ضريح إمامهم في النجف[١].

قام هذا الشيعي بجمع هذه الروايات وتوثيقها في كتاب خصصه لهذه القضية، وسماه فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب قال في مقدمته: (فيقول العبد المذنب المسيء حسين بن محمد تقي الدين الطبرسي جعله الله من الواقفين ببابه المتمسكين بكتابه: هذا كتاب لطيف، وسفر شريف، عملته في إثبات تحريف القرآن، وفضائح أهل الجور والعدوان، وسميته فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عين، وأرجو ممن ينتظر رحمته المسيئون أن ينفعني به في يوم لا ينفع مال ولا بنون) [٢].

وفعلا قام بجمع كل الروايات التي تفرقت في بطون كتبهم، وتتبع أقوال علمائهم، وذكر أكثر من ألف مثال مما ورد في كتبهم مما يدل على أن القرآن قد حرف [٣].

قال الشيخ حامد الإدريسي: (وقد كنت أرى إصرار كثير منهم على إنكار هذا الأمر، وعدم التصريح به، واستخدام التقية بأقصى درجاتها، وبكل ما تبيحها لهم من الأيمان المغلظة، والدعاء بالويل والثبور، وأن هذا مما افتراه المفترون، ويردون على كل من واجههم بهذه الروايات قائلين: ها هو قرآننا الذي نقرأه في إيران، وها هي

---

(١) انظر أعلام الشيعة لأغا بزرك الطهراني المتوفي عام ١٣٨٩ هـ، وهو تلميذ النوري الطبرسي ١/٥٥٣.

(٢) فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب للنوري الطبرسي ص٢.

(٣) أصول مذهب الشيعة الإمامية للشيخ الدكتور ناصر القفاري ١/٣٠٩.

المصاحف التي يقرؤها الشيعة في كل مكان، ليس فيها أي زيادة على ما في مصاحفكم أو نقصان أو اختلاف، لكني وجدت أن هذا هو عين ما أوصى به منظرو التشيع ومؤصلو عقائده، فقد نقلوا في كتبهم عن أئمتهم المعصومين أمرهم لشيعتهم بقراءة هذا القرآن الموجود بين أيدي الناس في زمان الغيبة، وأن لا يجاوزوه حتى يخرج صاحب الزمان، فعن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي الحسن قال: قلت له: جعلت فداك، إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا، اقرؤوا كما تعلمتم، فسيجيئكم من يعلمكم) [(١)].

قال شيخهم المفيد: (إن الخبر قد صح من أئمتنا عليهم السلام، أنهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وأن لا نتعداه، بلا زيادة فيه ولا نقصان منه حتى يقوم القائم عليه السلام، فيقرأ الناس القرآن على ما أنزله الله تعالى وجمعه أمير المؤمنين عليه السلام) [(٢)]. ويقول نعمة الله الجزائري: (قد روي في الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها، والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان، فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء، ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين، فيقرأ ويعمل بأحكامه)[(٣)].

---

(١) الكافي للكليني ٦١٩/٢، وانظر الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي، مبحث الإمامية وموقفهم من مصدري التشريع، وموقفهم من القرآن.

(٢) نقل كلامه المجلسي في بحار الأنوار ٧٤/٨٩.

(٣) الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري ٣٦٣/٢.

لذلك فإن المصحف الموجود في إيران والعراق ولبنان هو نفس المصحف الذي يتداوله السنة ويقرؤونه، إلا أنك تسمع بعضهم يزيد كلمة عليّ في بعض المواضع، وقد سُجل في موقع البرهان مقطع لرجل شيعي، وهو يقرأ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك في عليّ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته بزيادة كلمة في علي.

وقد حاول بعضهم أن يتبرأ من هذه المقالة، لكنك لا تستطيع أن تطلع على حقيقة قوله، وهل هو تقية أو اعتقاد، بل مما يدلك على كونه تقية أنه لم يجرؤ أحدهم على الطعن في كتاب الكافي أصح كتاب عندهم، وهو مليء بهذه الروايات، ولم يجرؤ أحدهم على تضليل الخميني أو غيره ممن صرح بهذا الكفر، فتبقى هذه الروايات وهذه الكتب عارا على الشيعة، بل على المسلمين أجمعين، ويبقى كتاب الله محفوظا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وتبقى اللمسات اليهودية التي دأبت على تحريف الكتب المقدسة ظاهرة ملامحها في هذه العقيدة التي تشكك في مصدري الإسلام القرآن والسنة.

- **كتب الشيعة التي يزعمون أنها نزلت على النبي واختص بها عليّ.**

لا شك عند المسلمين جميعهم أن القرآن هو الكتاب السماوي المنزل من عند الله على نبي الإسلام محمّد بن عبد الله صلوات الله عليه، لكن الشيعة يدعي فقهاؤها أن كتبا سماوية نزلت على النبي صلوات الله عليه، واختص بها أمير المؤمنين وهذه الكتب هي:

١- الجامعة: فيروون عن أبي بصير عن أبي عبد الله أنه قال: وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟! قال قلت: جعلت فداك، وما

الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذارعا بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فلق فِيه، وخط علي عليه السلام فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش[1].

وهناك روايات أخرى كثيرة تجدها في كتاب الكافي والبحار وبصائر الدرجات ووسائل الشيعة تدل على وجود الجامعة، ولا يدري أي عاقل إذا كانت الجامعة حقيقة أم لا وفيها كل ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة؟ فلماذا أخفيت إذن وحرمنا منها، وفيها ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة من حلال وحرام وأحكام؟ أليس هذا كتمانا للعلم وخيانة؟

٢- صحيفة الناموس: يروون عن الرضا عليه السلام في حديث علامات الإمام قال: وتكون صحيفة عنده فيها أسماء شيعتهم إلى يوم القيامة، وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة [2].

والعاقل يتساءل: أية صحيفة هذه التي تتسع لأسماء الشيعة إلى يوم القيامة؟ لو سجلنا أسماء شيعة العراق في يومنا هذا لاحتجنا إلى مائة مجلد في أقل تقدير، فكيف لو سجلنا أسماء شيعة إيران والهند وباكستان وسورية ولبنان ودول الخليج وغيرها؟ بل كم نحتاج لو سجلنا أسماء جميع الذين ماتوا من الشيعة وعلى مدى كل القرون التي مضت منذ ظهور التشيع وإلى عصرنا! وكم نحتاج لتسجيل أسماء الشيعة في القرون القادمة إلى يوم القيامة؟ وكم نحتاج لتسجيل أسماء خصومهم منذ ظهور

---

(١) انظر الكافي للكليني ١/٢٣٩، وبحار الأنوار ٢٦/٢٢، وانظر أيضا كتاب لله ثم للتاريخ، للسيد حسين الموسوي، باب الكتب السماوية.

(٢) بحار الأنوار ٢٥/١١٧.

صحيفة الناموس وإلى يوم القيامة؟! إن عاقلا واحدا من الناس لا يمكنه أن يقبل هذه الرواية وأمثالها فكيف يقبلها جميع العقلاء؟! فمن المحال أن يقول أئمة عقلاء مثل هذا الكلام الذي لا يقبله عقل ولا منطق، ولو اطلع عليه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى لتكلموا بما يحلو لهم، ولطعنوا في دين الإسلام، ولتكلموا بما يشفي غيظ قلوبهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

٣- صحيفة العبيطة: يروون عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: وأيم الله إن عندي لصحفا كثيرة قطع لرسول الله ﷺ وأهل بيته، وإن فيها لصحيفة يقال لها العبيطة، وما ورد على العرب أشد منها، وإن فيها لستين قبيلة من العرب بهرجة، مالها في دين الله من نصيب[2].

وهذه رواية ليست مقبولة أو معقولة، فإذا كان هذا العدد من القبائل ليس له نصيب في دين الله، فمعنى هذا أنه لا يوجد مسلم واحد له في دين الله نصيب، ثم تخصيص القبائل العربية بهذا الحكم القاسي يدل على النزعة المجوسية الحاقدة على العرب والمسلمين.

٤- صحيفة ذؤابة السيف: فيروون عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان في ذؤابة سيف رسول الله ﷺ صحيفة صغيرة فيها الأحرف التي يفتح كل حرف منها ألف حرف، قال أبو بصير: قال أبو عبد الله: فما خرج منها إلا حرفان حتى الساعة [3]. وللعاقل أن

---

(١) لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار لحسين الموسوي ص٦١.

(٢) بحار الأنوار ٢٦/٣٧.

(٣) السابق ٢٦/٥٦.

يساءل: أين الأحرف الأخرى؟ ألا يفترض أن تخرج حتى يستفيد منها شيعة أهل البيت؟ أم أنها ستبقى مكتومة حتى يقوم القائم؟

٥- صحيفة علي: وهي صحيفة أخرى وجدت في ذؤابة السيف فيروون عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وجد في ذؤابة سيف رسول الله ﷺ صحيفة فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، إن أعتى الناس على الله يوم القيامة من قتل غير قاتله، ومن ضرب غير ضاربه، ومن تولى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ، ومن أحدث حدثا أو آوى محدثا لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا [١].

٦- الجفر وهو نوعان: الجفر الأبيض، والجفر الأحمر، فيروون عن أبي العلاء أنه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن عندي الجفر الأبيض قال: فقلت: أي شيء فيه؟ قال: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم عليهم السلام، والحلال والحرام، وعندي الجفر الأحمر. قال: قلت: وأي شيء في الجفر الأحمر؟ قال: السلاح، وذلك إنما يفتح للدم، يفتحه صاحب السيف للقتل. فقال له عبد الله بن أبي اليعفور: أصلحك الله، أيعرف هذا بنو الحسن؟ فقال: أي والله كما يعرفون الليل أنه ليل والنهار أنه نهار، ولكنهم يحملهم الحسد، وطلب الدنيا على الجحود والإنكار، ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيرا لهم [٢].

---

(١) السابق ٢٧/٦٥، ١٠٤/٣٧٥.

(٢) أصول الكافي ١/٢٤.

قال السيد حسين الموسوي: (وقد سألت مولانا الراحل الإمام الخوئي عن الجفر الأحمر، من الذي يفتحه ودم من الذي يراق؟ فقال: يفتحه صاحب الزمان عجل الله فرجه، ويريق به دماء العامة النواصب أهل السنة فيمزقهم شذر مذر، ويجعل دماءهم تجري كدجلة والفرات، ولينتقمن من صنمي قريش يقصد أبا بكر وعمر وابنتيهما يقصد عائشة وحفصة، ومن نعثل يقصد عثمان، ومن بني أمية والعباس، فينبش قبورهم نبشا) (١).

ثم قال حسين الموسوي: (إن قول الإمام الخوئي فيه إسراف إذ أن أهل البيت عليهم السلام، أجل وأعظم من أن ينبشوا قبر ميت مضى على موته قرون طويلة. إن الأئمة سلام الله عليهم كانوا يقابلون إساءة المسيء بالإحسان إليه والعفو والصفح عنه، فلا يعقل أن ينبشوا قبور الأموات لينتقموا منهم، ويقيموا عليهم الحدود، فالميت لا يقام عليه حد، وأهل البيت سلام الله عليهم عرفوا بالوداعة والسماحة والطيب) (٢).

٧- مصحف فاطمة: فيروون عن علي بن سعيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (وعندنا والله مصحف فاطمة، ما فيه آية من كتاب الله، وإنه لإملاء رسول الله صلوات الله عليه وآله بخط علي عليه السلام بيده) (٣).
ويروون عن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (وعندنا

---

(١) لله ثم للتاريخ ص٦٢.
(٢) السابق ص٦٣.
(٣) بحار الأنوار ٢٦/٤١.

مصحف فاطمة عليها السلام، أما والله ما فيه حرف من القرآن، ولكنه إملاء رسول الله ﷺ وخط علي) [(١)].

٨- التوراة والإنجيل والزبور: فيروون عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقرأ الإنجيل والتوراة والزبور بالسيريانية، وفي الكافي باب أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من الله عز وجل، وأنهم يعرفونها كلها على اختلاف ألسنتها [(٢)].

٩- القرآن: والقرآن لا يحتاج لإثباته نص، ولكن كتب فقهائهم وأقوال جميع مجتهديهم تنص على أنه محرف، وهو الوحيد الذي أصابه التحريف من بين كل تلك الكتب، وقد جمع محدثهم النوري الطبرسي في إثبات تحريفه كتابا ضخم الحجم سماه كما تقدم: فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، جمع فيه أكثر من ألف رواية تنص على التحريف، وجمع فيه أقوال جميع الفقهاء وعلماء الشيعة في التصريح بتحريف القرآن الموجود بين أيدي المسلمين، حيث أثبت أن جميع علماء الشيعة وفقهائهم المتقدمين منهم والمتأخرين يقولون: إن هذا القرآن الموجود اليوم بين أيدي المسلمين محرف[(٣)].

قال هاشم البحراني: (وعندي في وضوح صحة هذا القول، أي القول بتحريف القرآن بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع، وأنه من أكبر مقاصد

---

(١) السابق ٢٦/٤٨.
(٢) الكافي للكليني ١/٢٢٧.
(٣) لله ثم للتاريخ ص٦٤.

غصب الخلافة فتدبر) [١].

وقال السيد نعمة الله الجزائري ردا على من يقول بعدم التحريف: (إن تسليم تواتره عن الوحي الإلهي، وكون الكل قد نزل به الروح الأمين يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة وردها، مع أن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها)[٢].

ولهذا قال أبو جعفر كما نقل عنه جابر: (ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده) [٣].

ويذكر السيد حسين الموسوي أن هذا الاعتقاد في تحريف القرآن هو الذي دعا إمامه الخوئي في وصيته لهم وهو على فراش الموت، عندما أوصى كادر التدريس في الحوزة بقم فقال لهم: (عليكم بهذا القرآن حتى يظهر قرآن فاطمة) [٤]. وقرآن فاطمة الذي يقصده الإمام هو المصحف الذي جمعه علي عليه السلام والذي تقدمت الإشارة إليه آنفا.

إن من أغرب الأمور وأنكرها أن تكون كل هذه الكتب قد نزلت من عند الله، واختص بها أمير المؤمنين سلام الله عليه والأئمة من بعده، ولكنها تبقى مكتومة عن الأمة وبالذات عن شيعة أهل البيت، سوى قرآن بسيط قد عبثت به الأيادي فزادت فيه ما زادت، وأنقصت منه ما

---

(١) مقدمة البرهان في تفسير القرآن لهاشم بن سليمان الحسيني البحراني ص٤٩.
(٢) الأنوار النعمانية ٢/٣٥٧.
(٣) الكافي ١/٢٦.
(٤) لله ثم للتاريخ ص٦٤.

أنقصت على حد قولهم، فإذا كانت هذه الكتب قد نزلت من عند الله حقا، وحازها أمير المؤمنين صدقا فما معنى إخفائها عن الأمة وهي من أحوج ما تكون إليها في حياتها وفي عبادتها لربها؟

وقد علل كثير منهم ذلك لأجل الخوف عليها من الخصوم! وللعاقل أن يتساءل: أيكون أمير المؤمنين وأسد بني هاشم جبانا بحيث لا يستطيع أن يدافع عنها؟! أيكتم أمرها ويحرم الأمة منها خوفا من خصومه؟! لا والذي رفع السماء بغير عمد، ما كان لعلى بن أبي طالب أن يخاف غير الله.

والأعجب من ذلك: ماذا يفعل أمير المؤمنين والأئمة من بعده بالزبور والتوراة والإنجيل حتى يتداولونها فيما بينهم ويقرؤونها في سرهم؟ إذا كانت النصوص تدعي أن أمير المؤمنين وحده حاز القرآن كاملا، وحاز كل تلك الكتب والصحائف الأخرى؛ فما حاجته إلى الزبور والتوراة والإنجيل؟ وبخاصة إذا علمنا أن هذه الكتب نسخت بنزول القرآن؟

قال السيد حسين الموسوي: (نحن نعلم أن الإسلام ليس له إلا كتاب واحد هو القرآن الكريم، وأما تعدد الكتب فهذا من خصائص اليهود والنصارى كما هو واضح في كتبهم المقدسة المتعددة. فالقول بأن أمير المؤمنين حاز كتبا متعددة، وأن هذه الكتب كلها من عند الله، وأنها كتب حوت قضايا شرعية هو قول باطل، أدخله إلينا بعض اليهود الذين تستروا بالتشيع) [1].

---

(١) لله ثم للتاريخ ص٦٥.

• **أمثلة للسور المفقودة التي اختلقتها الشيعة وزورها على القرآن.**

زعم الشيعة أن عثمان بن عفان ﷺ أحرق المصاحف، وأتلف السور التي كانت في فضل علي وأهل بيته عليهم السلام، ومعلوم أنهم أرادوا دليلا صريحا من القرآن على كذبهم وتصوراتهم المريضة في ظلم الصحابة لعلي وولايته، فلما لم يجدوا ادعوا أن القرآن محرف وتجرؤا على تأليف نصوص تؤيد ما يشتهون من توثيق مذهبه المجوسي الحاقد الكاذب فاخترعوا ما يسمى بسورة النورين وهذا نصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم الدين * نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم، إن الذين يوفون بعهد الله ورسوله في آيات لهم جنات النعيم * والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم، ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حميم * إن الله الذي نور السماوات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم * قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذناهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم * إن الله قد أهلك عادا وثمودا بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون * وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون * وأغرقناه ومن تبعه أجمعين * ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون * إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون * إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم * يا أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون * قد خسر الذين

كانوا عن آياتي وحكمي معرضون * مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيتهم جنات النعيم * إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم * وإن عليا من المتقين * وإنا لنوفيه حقه يوم الدين * ما نحن عن ظلمه بغافلين * وكرمناه على أهلك أجمعين * فإنه وذريته لصابرون * وإن عدوهم إمام المجرمين * قل للذين كفروا بعد ما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون * يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنا ومن يتولاه من بعدك يظهرون * فأعرض عنهم إنهم معرضون * إنا لهم محضرون في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون * إن لهم في جهنم مقاما عنه لا يعدلون * فسبح باسم ربك وكن من الساجدين * ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل * فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون * فاصبر فسوف يبصرون* ولقد آتينا بك الحكم كالذين من المرسلين * وجعلنا لك منهم وصيا لعلهم يرجعون * ومن يتول عن أمري فإني مرجعه * فليتمتعوا بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين * يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهدا فخذه وكن من الشاكرين* إن عليا قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجوا ثواب ربه * قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون * سيجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون * إنا بشرناك بذريته الصالحين * وإنهم لأمرنا لا يخالفون * فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون * وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك

غضبي إنهم قوم سوء خاسرين * وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون * والحمد لله رب العالمين) [(١)].

ومن السور المفتراة سورة الولاية: (يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما يهديانكم إلى صراط مستقيم * نبي وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير * إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم * فالذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين * إن لهم في جهنم مقام عظيم * نودي لهم يوم القيامة أين الضالون المكذبون للمرسلين * ما خلفهم المرسلين إلا بالحق وما كان الله لنظرهم إلى أجل قريب * فسبح بحمد ربك وعلي من الشاهدين) [(٢)].

وهذا الكليني يروي عن علي بن الحكم عن هشام بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية [(٣)].

والمعروف أن القرآن ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية ٦٢٦٣، ومعناه أن ثلثي القرآن راح على أدراج الرياح، والموجود بين أهل السنة

---

(١) ذكر هذه السورة النوري الطبرسي في كتابه فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ص١٨٠ ، ومحمد باقر المجلسي في كتابه تذكرة الأئمة ص ١٨، وميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي في كتابه منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢/٢١٧، وقد طبع هذا الكتاب في بيروت مؤسسة الوفاء الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

(٢) ذكر هذه السورة ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي في كتابه منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢/٢١٧، ومحمد باقر المجلسي في كتابه تذكرة الأئمة ص١٩.

(٣) انظر أصول الكافي للكليني ٢/١٣٤، ٢/٦٣٤ كتاب فضل القرآن.

هو الثلث فقط، ولقد صرح بذلك جعفر بن الباقر كما ذكر الكليني في الكافي أيضا تحت باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام، فروي عن عدة من أصحابهم عن أحمد بن محمد عن عبد الله الحجال عن أحمد بن عمر الحلبي، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام سترا بينه وبين آخر فأطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك، إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ علّم عليا عليه السلام بابا يفتح له منه ألف باب، يفتح من كل باب ألف باب، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: فنكت ساعة في الأرض ثم قال: إنه لعلم وما هو بذاك. قال: ثم قال: يا أبا محمد! وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟

قال أبو عبد الله: صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش وضرب بيده إلي فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟ قال قلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا كأنه مغضب، قال قلت: هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر؟ قال قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، علم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال أبو بصير قلت: إن هذا هو العلم، قال إنه لعلم

وليس بذاك. ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال قلت: هذا والله العلم قال: إنه لعلم، وما هو بذاك. ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، قال قلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك. قال قلت: جعلت فداك فأي شيء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار الأمر من بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة [(١)].

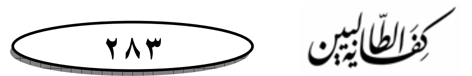
وقد أورد محمد بن الحسن الصفار وهو من تلامذة الحسن العسكري الإمام الحادي عشر المعصوم عند الشيعة بروايته المتصلة عن جابر قال: قال أبو جعفر: دعا رسول الله أصحابه بمنى، فقال: يا أيها الناس! إني تارك فيكم حرمات الله وعترتي، والكعبة البيت الحرام. ثم قال أبو جعفر: أما كتاب الله فحرفوا، وأما الكعبة فهدموا، وأما العترة فقتلوا، وكل ودايع الله فقد تبرؤا [(٢)].

ويذكر الشيخ المفيد عن جابر أنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي إن الناس خلقوا من شجر شتى، وخلقت أنا وأنت من شجرة واحدة، وذلك بأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ

---

(١) الأصول من الكافي للكليني ١/٢٣٩.

(٢) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص٤١٣ طبعة إيران ١٢٨٥هـ.



وَاحِدٍ﴾ الرعد:٤. هكذا قرأها رسول الله ﷺ [1].

- **موقف الشيعة من السنة النبوية ارتبط بموقفهم من الصحابة.**

ارتبط موقف الشيعة من السنة النبوية بموقفهم من الصحابة، فالشيعة في تكفيرهم صحابة رسول الله الكرام، قد أداروا ظهرهم لكل ما ورد عنهم من الأحاديث التي نقلوا فيها قول النبي ﷺ وأفعاله وأحواله وسيره وأيامه، وبهذا توصل واضعو هذه الديانة لهدم الإسلام من أساسه، إذ أن تكفير الصحابة ﷺ هو رد لكل ما روي عنهم من سنن الرسول ﷺ وأخباره وأحكامه، فأبو هريرة وعائشة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم ممن حفظوا لنا أخبار رسول الله ﷺ وأحواله وأحكامه، كلهم عند الشيعة كفار مرتدون، وبالتالي فأخبارهم مردودة وأحاديثهم كلها باطلة، فينهدم بذلك الجسر الوحيد الذي نستمد منه أخبار نبينا ﷺ وهديه.

وهذا بالفعل ما يعتقده الشيعة في صحابة رسول الله ﷺ، ولهذا لا يقبلون الأحاديث التي يرويها أهل السنة في كتبهم، وعلى رأسهم البخاري صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله، ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.

قال مرجعهم محمد حسين آل كاشف الغطا: (إن الشيعة لا يعتبرون من السنة إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت، أما ما يرويه مثل أبي هريرة، وسمرة بن جندب، وعمرو بن العاص ونظائرهم، فليس لهم عند

---

(١) الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير ٢/٢٤٢.

الإمامية مقدار بعوضة)[١].

وقال آخر: (البخاري ومسلم وأضرابهما وضاعون كذابون عند الشيعة، بل حكموا بحماقة البخاري، وقصور فهمه عن التمييز بين الصحيح والضعيف، لأمور شتى)[٢].

وقد تنبه علماء الإسلام لهذا البعد الخطير الذي يوشك أن يقوض بناء الإسلام من أساسه، فقال الإمام مالك رحمه الله: (إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين) [٣].

وكان أبو زرعة الرازي يقول: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة [٤].

وهذا ما يؤكد المقصد الخطير لواضع هذه الديانة، ومراده إلى هدم الإسلام والقدح في الرسول ﷺ، فإذا سقطت عدالة الصحابة سقطت

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ص٧٩، مؤسسة الأعلمى بيروت ١٤١٣هـ.
(٢) الصوارم المحرقة في نقد الصواعق المحرقة للتستري ص٥٧.
(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ١٠٨٨/٣، تحقيق محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، نشر دار ابن حزم بيروت ١٤١٧هـ.
(٤) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٤٩، تحقيق أبي عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، نشر المكتبة العلمية المدينة المنورة.

الشريعة برمتها، وبهذا يظهر جليا أنه لا يمكن أن توجد قنوات للتواصل بين السنة والشيعة، فالقرآن عندهم محرف والسنة موضوعة، والصحابة كفار، فلن يقبل الشيعي من أحاديث الصحابة الكفار شيئا، ولن يسمع من قرآنك المحرف آية، وسيستمر يدعوا إمامه صاحب العصر والزمان، ليخرج وينتقم ممن ظلموا محمدا وآله.

ومن ثم لو جئت تقول للشيعة: قال أبو هريرة، قالوا: أبو هريرة كافر لا نقبل حديثه، فيردون سنة رسول الله ﷺ من هذا المنطلق، إذا جئتهم بحديث يقول لك قائلهم: من الذي رواه؟ تقول له: أبو بكر ذلك الصديق الذي قال الله فيه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة:٤٠ . فيقولون: هو كذاب كافر مختلس للخلافة من أمير المؤمنين. ثم لما طعنوا في سنة رسول الله ﷺ، بدءوا في افتراء الأحاديث على رسول الله ﷺ، وتقولوا أقاويل تؤيد باطلهم مثل حديث: (أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى) [(١)]. فيقولون: إن أهل البيت كالسفينة لابد أن تركبها وإلا فإنك ستهلك.

ويفترون على رسول الله ﷺ الكذب ويزعمون أنه قال في الحسن والحسين رضي الله عنهما: (لما خلق الله الجنة ماتت ميتة، فأنشأ الله لها

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٣٧٣/٢ (٣٣١٢)، والطبراني في المعجم الكبير ٤٥/٣ (٢٦٣٧)، وضعفه الألباني، انظر السلسلة الضعيفة (٤٥٠٣)، وضعيف الجامع (١٩٧٤).

الحسن في ركن والحسين في ركن فثبتاها) (١).

ومن افترائهم على رسول الله ﷺ: (خلقت أنا وعلي بن أبي طالب وزكريا ويحيى من طينة واحدة وعجينة واحدة) (٢). ويقولون عن علي بن أبي طالب: (أنا الصديق، من أبى فقد كفر) (٣).

ويفترون على النبي ﷺ ويزعمون أنه قال في علي: (علي خير البشر، من أبى فقد كفر) (٤). أي من حاول تفضيل أبا بكر أو عمر على عليّ بن أبي طالب فقد كفر عندهم، وخرج من دين الإسلام.

هذا هو موقفهم من سنة رسول الله ﷺ، ولله الحمد أن كتبهم غير مسندة، وليست متصلة الأسانيد إلى رسول الله ﷺ، إنما يقول قائلهم: بلغنا عن أجدادنا، بلغنا عن آبائنا، إلى غير ذلك من الأكاذيب، والبلاغات التي لا تثبت بحال عن رسول الله ﷺ.



(١) الرد على أصول الرافضة لعلي بن نايف الشحود ص١٧٥.
(٢) السابق ص١٧٥.
(٣) السابق ص١٧٥.
(٤) السابق ص١٧٥.

المطلب السادس

الشرك عند الشيعة الإمامية وانحرافاهم الاجتماعية والجنسية وموقفهم من الصحابة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن الشيعة وتوطين أتباعهم على عقيدة الرجعة والانتقام من خصومهم، وبينا أن عقيدة البداء عند الشيعة من العقائد الباطلة التي ابتدعها اليهود، وأن التقية عند الشيعة هي نفاق التلون والكذب المداهنة، وأن التقية أفسدت على الشيعة مذهبهم وجعلت لكل منهم دينا مستقلا.

كما تحدثنا عن الشيعة الإمامية الاثنى عشرية وادعائهم الإجماع على تحريف القرآن، وأنهم يحذرون أتباعهم وأولادهم من حفظ القرآن الكريم، وبينا كتب الشيعة التي يزعمون أنها نزلت على النبي ﷺ واختص بها عليّا ﷺ، وضربنا أمثلة للسور المفقودة التي اختلقتها الشيعة وزورتها على القرآن، ثم بينا أن موقف الشيعة من السنة النبوية ارتبط بموقفهم من الصحابة.

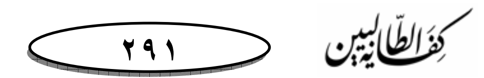
وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن الشرك عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية وانحرافاتهم الاجتماعية والجنسية وموقفهم من الصحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه.

- **الشرك الشيعي ومظاهر الوثنية وتعظيم المخلوق كتعظيم الخالق.**

الشرك في المعاني القرآنية والنبوية يرجع إلى الشراكة والمشابهة بين اثنين أو أكثر في وصف من الأوصاف، والشرك بالله يرجع في حقيقته إلى ثلاثة أصناف أحدهما شرك الربوبية، ومبناه على طلب العلو الذاتي والاستكبار، وعدم الافتقار إلى رب العزة والجلال، والتشبه بالله في العلو والكبرياء، وتأليه النفس بالاستعلاء، ودعوة الناس إلى الخضوع له والذكر لاسمه ووصفه بالمدح والثناء والتعظيم والإطراء.

وهذا الشرك في الربوبية هو الذي نفاه الله عن عيسى ﵇ وبرأه منه وبين أنه عبد لله لا يستنكف عن توحيد العبودية، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ المائدة:١١٦/١١٧ .

أما النوع الثاني من الشرك فهو تشبيه المخلوق بالخالق، وهو شرك العبادة ومبناه على الغلو في تعظيم المخلوق وإعطائه منزلة فوق منزلته، حتى جعل المشركون فيه حظا من الإلهية وشبهوه بالله سبحانه، وهذا هو التشبيه الواقع في سائر الأمم، وهو الذي أبطله الله ﷻ وحذر العباد منه، وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله، وقد نهانا الله عن تشبيه غيره به، وحرم على العباد أن يجعلوا غيره مثيلا له أو ندا وشبها نظيرا. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ

 البقرة:١٦٥.

قال ابن القيم: (حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة) [(١)]. أما الثالث فهو تشبيه الخالق بالمخلوق، وهو السبب في شرك الأسماء والصفات، وهو شرك الأسماء والصفات.

لكن الشيعة تصرف شتى أنواع العبادة كالدعاء والطواف والذبح والنذر والخضوع والتذلل لأئمتهم الذين أعطاهم الله هذا الحق على زعمهم، وأعطاهم هذه القدرة في التصرف وإجابة السائلين، وتلبية طلباتهم، وقضاء حوائجهم، وتعتبر الالتجاء إليهم توحيدا، فعقيدة الشيعة أن صرف العبادة للشخص لا يكون شركا إلا إذا اعتقد أن المتوجه إليه إلها.

قال جعفر السبحاني من مشايخ حوزة قم: (دعاء الأولياء يقع على وجهين: الأول دعاء الولي ونداؤه، بما أنه عبد صالح تستجاب دعوته عند الله إذا طلب منه تعالى شيئا، كما أنه ليس داخلا في مفهوم التوحيد والشرك، ما دام الداعي يؤمن بالله الواحد ويعتبره الرب الخالق والمدبر المستقل دون سواه. والثاني: لا شك أن دعاء النبي أو الصالح ونداءهما والتوسل بهما باعتقاد أنه إله أو رب أو خالق أو مستقل في التأثير أو مالك للشفاعة والمغفرة، شرك وكفر، ولكنه لا يقوم به أي مسلم في أقطار الأرض) [(٢)].

(١) الجواب الكافي لابن القيم ص٩٤.

(٢) الإيمان والكفر لجعفر السبحاني وهو من مشايخ حوزة ص١٠٩.

وفاته أن هذا لا يقول به مشركوا قريش الذين جاء الرسول ﷺ لدعوتهم، فهم لم يقولوا بأن شركاءهم مستقلون في التأثير، بل قالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى. واعترفوا بأن الخالق الرازق هو الله، وإنما جعلوا هؤلاء وسائط تقربهم إليه، فأهل السنة يعتبرون التوجه بالدعاء إلى غير الله شركا، والإمامية لا يعتبرونه شركا إلا إذا قصد أن هذا المدعو إله.

كذلك فإن واسطتهم هذه بزعمهم مأذون بها، بخلاف واسطة المشركين التي لم يأذن بها الله، فلا فرق بين المشركين والمؤمنين في دعائهم غير الله، فالكل يدعوا الوسائط ويجعلهم شفعاء، ويسألهم أن ينفعوه عند الله، لكن هؤلاء مأذون لهم بدعائهم والتوجه إليهم، وأولئك لم يؤذن لهم. ويزعمون أن الفرق بين المؤمنين والمشركين في كل الأديان أن المشركين جعلوا لله شركاء وشفعاء لم يأذن بهم، فأشركوهم معه بأنواع من التشريك الذي زعموه، أما المؤمنون فوحدوا الله وأطاعوه، وهو الذي أمرهم باتخاذ الوسيلة إليه والتوجه إليه بهم وتقديمهم بين يدي دعائهم وأعمالهم، فالأنبياء والأوصياء أحياء وأمواتا وسيلة مشروعة وشفعاء بإذنه، وبذلك يكون الحد الفاصل بين الشرك والتوحيد في نوع الواسطة لا في أصلها، فالواسطة التي أذن بها الله الواحد الأحد سبحانه لا تنافي التوحيد بل تؤكده، والواسطة التي لم يأذن بها شرك يخرج صاحبه عن التوحيد [1].

- الشيعية لا يرون مانعا من الاستشفاع بالملائكة وقبور الأولياء.

الشيعية لا يرون مانعا من الاستشفاع بالملائكة والأولياء وأن يوقف

---

(١) انظر الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي ص٦٠.

الله تعالى أفعاله على طلب العباد من ملائكته أو أوليائه، فيجعلهم أدوات رحمته، ووسائط فيضه، ووسائل عطائه، فالله تعالى عندهم جعل كثيرا من عطائه إن لم يكن كله، عن طريق خيرة عباده من الملائكة والأنبياء والأوصياء، رحمة الله وعطاءه لا ينال إلا بواسطتهم، فمن التوحيد أن نتوسل بهم وندعوهم، هذا ما تأمر به الشيعة أتباعها، وتجعله عين التوحيد وهو عين الشرك.

لذلك انتشرت المظاهر الشركية داخل هذا التأصيل، وفرخت القبورية وتوالدت في هذه العقائد، وعششت في تلك العقول الشركية، فما دمنا لا نعتقد في هذا المقبور أنه إله، فلا بأس في كل فعل نتوجه به إليه، وإن كان عبادة محضة، وفعلا يختص بالله تعالى، فالدعاء الذي هو خالص العبادة وأعلى مقاماتها يوجه بكل خضوع وخشوع، وبعد غسل وتطهر وآداب أخرى لازمة للزيارة يوجه إلى الحسين وأبنائه الأوصياء، وتذرف عند مشاهدهم العبرات، وتنفطر القلوب، وكلنا رأى ما تبثه القنوات الفضائية من أحوال وأهوال، وكيف تجتمع تلك الجحافل عند تلك المشاهد، بين متمسح وباك وداع، ويتحملون في ذلك من المشاق والتكاليف ما سيسأل عنه معمموهم ومشائخهم.

كما أن الرحمات الربانية، والنفحات القدسية، والنفع والضرر، والمغفرة والتوبة، كل ذلك جعله الله عند الشيعة بيد وسائطه إلى خلقه، فتمتلئ قلوب عابديهم بالرغبة والرهبة، وتصرف ما تستطيع من الدعاء والإنابة إليهم، ويتطور الحال حتى لا يبقى في القلب رجاء أو توكل أو خوف إلا ويصرف لهؤلاء الأئمة الأطهار، ويخلوا من كل تعلق بالرب الكبير المتعال.

وقد يستعظم أحدنا هذا الكلام، وتدفعه نفسه إلى التكذيب بأن من المسلمين من يؤصل للشرك مثل التوحيد، بل يدعو إليه ويحض عليه، لأننا نعلم أن النفع والضرر والعطاء والمنع بيد الله(١).

جاء في بحار الأنوار في آداب زيارة العباس بن علي: (ثم انكب على الضريح، وقبل التربة على هيئة السجود، وقل: السلام عليك يا أول مظلوم انتهك دمه، وضيعت فيه حرمة الإسلام، فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، أشهد أني سلم لمن سالمت، وحرب لمن حاربت، مبطل لما أبطلت، محقق لما حققت، فاشفع لي عند ربي وربك في خلاص رقبتي من النار، وقضاء حوائجي في الدنيا والآخرة) (٢).

وروى الكليني في آداب زيارة عليّ بن أبي طالب: (يا ولي الله، إن لي ذنوبا كثيرة، فاشفع لي إلى ربك، فإن لك عند الله مقاما محمودا معلوما، وإن لك عند الله جاها وشفاعة، وقد قال تعالى: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) (٣). وفي زيارة أخرى: (أتيتك يا أمير المؤمنين عارفا بحقك، مستبصرا بشأنك، معاديا لأعدائك مواليا لأوليائك، بأبي أنت وأمي، أتيتك عائذا بك من نار استحقها مثلي بما جنيت على نفسي، أتيتك زائرا أبتغي بزيارتك فكاك رقبتي من النار، أتيتك هاربا من ذنوبي التي احتطبتها على ظهري، أتيتك وافدا لعظيم حالك، ومنزلتك عند ربي، فاشفع لي عند ربك، فإن لي ذنوبا كثيرة، وإن لك عند الله مقاما

---

(١) السابق ص٦١ بتصرف.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٢٣٧/٩٨، ومصباح الزائر لعلي بن طاووس ص١٢٠.

(٣) الكافي للكليني ٥٦٩/٤.

معلوما، وجاها عظيما، وشأنا كبيرا، وشفاعة مقبولة) [١].

وإذا كان صرف الدعاء للأئمة مشروعا عند الشيعة، والاستغاثة والاستعاذة بهم واجبة عندهم، فلا تسأل عن الطواف والنذر والذبح والتمسح والتبرك والتقبيل والسجود عند القبر واستقباله للصلاة، فمن شرائعهم وفرائضهم التي ألزموا بها أتباعهم، وجوب زيارة القبور، وشد الرحال إلى المشاهد والأضرحة، بل ليس للشيعي رخصة في أن يترك هذه الفريضة المؤكدة، بل تشاهد في مدينة قم مئات من العوائل الإيرانية، قد حطت رحالها في الساحة الخارجية للضريح، وافترشوا بسطا على الأرض، على الرغم من كونها ترتعد من البرد.

وقد بالغوا كثيرا جدا في وصف ثواب الزائر لهذه المشاهد، ووحدة القياس في هذا المقام هي الحج، ففي كل زيارة يكتب لك عدد من الحجات، وأحيانا تحتسب لك مع الرسول ﷺ. فمثلا من زار الرضا عليه السلام أو واحدا من الأئمة فصلى عنده صلاة، فإنه يكتب له بكل ركعة ثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، ووقف ألف وقفة في سبيل الله مع نبي مرسل، وله بكل خطوة ثواب مائة حجة، ومائة عمرة، وعتق مائة رقبة في سبيل الله، وكتب له مائة حسنة، وحط منه مائة سيئة[٢].

- **الشيعية والصوفية تشابهت قلوبهم في ابتزاز أموال الخمس والنذور.**

ما ينفقه الزائر من المال في زيارته عند الشيعة أكثر ثوابا مما ينفقه في

(١) نفس المصدر ٤/٥٧١.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٩٧/١٣٧.

حجه وعمرته، فيروي المجلسي عن ابن سنان أنه قال: (قلت لأبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: جعلت فداك، إن أباك كان يقول في الحج يحسب له بكل درهم أنفقه ألف، فما لمن ينفق في المسير إلى أبيك الحسين عليه السلام؟ فقال: يا ابن سنان يحسب له بالدرهم ألف وألف حتى عد عشرة، ويرفع له من الدرجات مثلها، ورضا الله خير له، ودعاء محمد ودعاء أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام خير) [(١)].

وأكثر من هذا وأكثر، وليس ثمة من شك في أن هذا لم يقله الرسول ﷺ، فهم لم ينقلوه عنه، وإنما نقلوه عن أئمتهم، لكن هل قاله هؤلاء الأئمة أم غيرهم؟ من الجدير بالذكر قبل الإجابة عن هذا السؤال الإشارة إلى عنصر ضروري في هذا المقام، وهو أن بناء أضرحتهم عبارة عن بيت نحاسي مشبك حول القبر، على مساحة تقارب العشرين مترا مربعا بداخل المسجد، ويمكنك عبر الزجاج الداخلي للغرفة أن ترى القبر، وفي هذا الزجاج فتحة ممتدة بالعرض، يرمي فيها الزائر ما تيسر وما لم يتيسر من أموال راغبا أم راهبا. ومن زار قبر الرضا وقبر المعصومة يرى الأوراق النقدية تملأ الحجرة، وترتفع إلى ما يقارب المتر، بحيث لو سقط إنسان فيها لغاب بين هذه الأوراق النقدية من جميع الفئات، ومن مختلف الجنسيات، فترى الدينار والريال والدراهم والدولار بالإضافة طبعا إلى التومان الإيراني.

ومن ثم وجب علينا أن نأخذ هذه المبالغ الطائلة بعين الاعتبار، إذا أردنا البحث عن مصدر هذه الأحاديث التي تدر هذه الأموال، وتجعل

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٩٨/٥٠.

الشيعي يبذل بسخاء، إذ تعوضه عن الدرهم عشرة آلاف، ولعل الانقطاع أو التأخر في الزيارة له آثاره المادية، فلعلنا إن سمعنا هذه الرواية وأمثالها أن نبادر خوفا من غضب الله ورسوله أو غضب غيرهما من الأئمة.

روى المجلسي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: يا عليّ، وهو راوي الخبر، يا عليّ بلغني أن قوما من شيعتنا يمر بأحدهم السنة والسنتان لا يزورون الحسين عليه السلام، أما والله لحظهم أخطأوا، وعن ثواب الله زاغوا، وعن جوار محمد ﷺ تباعدوا. قلت: جعلت فداك في كم الزيارة؟ قال: يا عليّ إن قدرت أن تزوره في كل شهر فافعل، قلت: لا أصل إلى ذلك لأني أعمل بيدي، وأمور الناس بيدي، ولا أقدر أن أغيب وجهي عن مكاني يوما واحدا، قال: أنت في عذر ومن كان يعمل بيده، وإنما عنيت من لا يعمل بيده ممن إن خرج في كل جمعة هان ذلك عليه، أما إنه ما له عند الله من عذر ولا عند رسوله من عذر يوم القيامة، قلت: فإن أخرج عنه رجلا فيجوز ذلك؟ قال: نعم، وخروجه بنفسه أعظم أجرا وخيرا له عند ربه [(١)].

يجوز عندهم أن يخرج رجلا عنه، لأن هذا يفي بالغرض، فيأتي هذا الزائر مخبتا خاشعا راجيا مؤملا، ترافقه همومه وآماله، وأحلامه وأمنياته، فها هو المشهد أمامه، ولم تبق إلا خطوات وتغفر خطاياه، وترفع درجاته وتمحى سيئاته، ويعود كيوم ولدته أمه، وتكتب له الآلاف

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ١٢/٩٨ في باب ما يقول الرجل إذا أكل من تربة قبر الحسين، وكامل الزيارات لجعفر بن محمد القمي ص٢٩٥.

الحجات، ويختم زيارته بأن يأخذ معه من تربة الحسين فيأكل ما شاء الله له أن يأكل، وإذا أكلته فقل: بسم الله وبالله، اللهم اجعله رزقا واسعا، وعلما نافعا، وشفاء من كل داء، إنك على كل شيء قدير [1].

كل من دعا عند الشيعة بهذا الدعاء يرجع بالرزق الواسع والعلم النافع والشفاء من كل داء! فانظر كيف وصل استخفافهم بأتباعهم حتى أطعموهم التراب، فهل هذا هو الإسلام دين الفطرة والاعتدال؟ إن المذهب الشيعي بهذه الخرافات يظل سبة في وجه الإسلام وأهله، ويستغل الحاقدون هذه الانحرافات، وينقلون هذه الخرافات، وتلك الطقوس المليئة بالدماء، واللطم والجرح، ليقدحوا في دين الله، دين الرحمة والرقي، والإنسانية والتحضر.

لقد تشابهت مظاهر الشرك والانحراف التي يفعلها الصوفية عند البدوي وأمثاله، بالانحرافات عند الشيعة المعلبة بالدين، ويقودها العلماء، ويستدل لها بالقرآن والأحاديث، وتؤلف فيها المؤلفات وتوضع لها السنن، وآداب الزيارات.

- **الانحراف الاجتماعي وإباحة الزنا واللواط تحت جواز المتعة .**

إن الصورة التي يطرحها الفكر الشيعي لزواج المتعة، تجعل منه علاقة جنسية محضة تربط رجلا بامرأة، دون أن تكفل لها أي حق من الحقوق التي يكفلها لها الزواج الشرعي، كالإرث والسكنى والنفقة، ويجعل المرأة وسيلة مجردة للمتعة وقضاء الوطر لتنال قدرا من المال أسموه مهر المتعة، وليس لهذا الزواج شرط سوى صيغة العقد، وذكر المهر والمدة،

---

(١) كامل الزيارات ص٤٧٦، وبحار الأنوار للمجلسي ١/١٢٨.

وصورته أن يلقى رجل امرأة فيعرض عليها التمتع، ويذكر الصيغة بأن يقول لها: أريد التمتع بك، وتقول متعتك بنفسي أو نحوها، ويتفقان على المهر، ويحددان المدة ولو يوما واحدا.

وهذه بعينها صورة التصريح الذي يمنح للمومسات العاهرات لممارسة الزنا الصريح في بعض الدول العربية، فهي دعوة شيعية مجوسية مباشرة إلى الفحشاء والانحراف، بل نص علمائهم ومنهم الخميني في كتابه تحرير الوسيلة على جواز التمتع حتى بالزانية العاهرة المحترفة للزنا حيث قال: (يجوز التمتع بالزانية على كراهية، خصوصا لو كانت من العواهر والمشهورات بالزنا) [١].

وماذا تريد هذه العاهرة غير ما تكسبه من الدراهم، سواء أكان المورد من متعة أم من زنى؟ فالفرق بين قصد الزنا وقصد المتعة هو الصيغة، فهذا يذكر المتعة، وذاك لا يذكرها! وهذا له الويل والثبور، وذاك له الأجر والقبول.

قال الكليني: لما كان غداة الجمعة وأنا جالس بالباب إذ مرت بي جارية، فأعجبتني فأمرت غلامي فردها، ثم أدخلها داري فتمتعت بها، فأحست امرأتي بي وبها، فدخلت علينا البيت، فبادرت الجارية نحو الباب، وبقيت أنا، فمزقت عليّ ثيابا جديدا كنت ألبسها في الأعياد [٢]. هكذا يفعل الكافي بلا شهود ولا كتابة ولا إعلان، ما الفرق بين هذه الصورة وما نراه في مجتمعاتنا من صور الزنا، لا شيء إلا

(١) تحرير الوسيلة للخميني ٢/٢٩٢.

(٢) شرح أصول الكافي لمولي محمد صالح المازندراني ١٢/٤٠٨.

هاتين الكلمتين متعتك نفسي. وآخر يسأل إمامه عن أمر يؤرقه فيقول قلت لأبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: جارية بكر بين أبويها، تدعوني إلى نفسها سرا من أبويها أفأفعل ذلك؟ قال: نعم واتق موضع الفرج، قال: قلت: فإن رضيت بذلك؟ قال: وإن رضيت، فإنه عار على الأبكار [(١)].

وانظر إلى أي حد انتشر هذا الفساد، حتى بين صغيرات السن، وحتى وهي عند والديها، والإمام جوز له أن يضاجعها دون علم أبويها، وأقرها على ما تفعل من دعوة هذا الرجل إلى نفسها سرا. ونص شيخهم المفيد على جواز التمتع بالبكر دون إذن أبيها، وروى في ذلك عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: لا بأس بتزويج البكر إذا رضيت من غير أذن أبيها. وسأل جميل بن دراج الصادق عليه السلام عن التمتع بالبكر؟ قال: لا بأس أن يتمتع بالبكر ما لم يفض إليها، كراهية العيب على أهلها [(٢)].

ولا ندري أي زواج هذا الذي يباح فيه موضع من المرأة ويحرم موضع، لكن الشيعة جعلت ضرورة لإبقاء البكر على عذريتها، وأباحت لهم في المقابل إتيان النساء من حيث لم يأمرنا الله، فقد سأل أحدهم أبا عبد الله جعفر الصادق عن إتيان النساء في أدبارهن، فقال: هي لعبتك لا تؤذها [(٣)].

---

(١) تهذيب الأحكام في شرح المقنعة لمحمد بن الحسن الطوسي ٢/٧، وموسوعة الفقه لمحمد الحسيني الشيرازي ٢/٢٨٨.

(٢) انظر الكافي للكليني ٢/٤٦ ، وخلاصة الإيجاز في المتعة للشيخ المفيد ص٤٧.

(٣) الكافي الشيخ الكليني ٥/٥٤٠.

وقال أحدهم لعلي لرضا: إن رجلا من مواليك أمرني أن أسالك عن مسألة، هابك واستحيى منك أن يسألك، قال: وما هي؟ قلت: الرجل يأتي امرأته في دبرها؟ قال: ذلك له [١].

ومع هذه الفتوى تتضح لك الصورة، ويصبح الحكم بجواز نكاح البكر في غير الفرج معقولا وعمليا طالما أباح دبرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومن الطريف أن عندهم خلافا فيما إذا أتى الصائم امرأته في دبرها بغير إنزال، هل يفطر أم لا، واستدل المجيزون بما يروى عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: إذا أتى الرجل المرأة في الدبر وهي صائمة، لم ينقض صومها، وليس عليها غسل [٢].

وأما المهر فيكفي فيه سواك يعض عليه، كما نصت عليه الروايات عندهم [٣]. ولا بأس بالتمتع حتى بالصغيرة التي لم تبلغ، فعن محمد بن مسلم أنه سأل محمد بن الحسن العسكري الغائب المنتظر عن الجارية يتمتع منها الرجل؟ قال: نعم إلا أن تكون صبية تخدع، قلت: أصلحك الله وكم الحد الذي إذا بلغته لم تخدع؟ قال: ابنة عشر سنين [٤]. وعلق في الحاشية بقوله: يدل على جواز التمتع بالبكر بعد عشر سنين بدون إذن الأبوين وعلى كراهته قبله، أما مع الإذن فلا كراهة

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) تهذيب الأحكام للطوسي ٤٦٠/٧.

(٣) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل لحسين النوري الطبرسي ٤٦٣/١٤، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بيروت ١٤٠٨هـ.

(٤) رواه الكليني في الفروع من الكافي ٤٦٣/٥، والطوسي في تهذيب الأحكام ٢٥٥/٧، وانظر من لا يحضره الفقيه لأبي جعفر الصدوق القمي ٤٦١/٣.

قبل العشر[١].

وقد نقل أحد علماءهم عن الخميني أنه تمتع ببنت عمرها خمس سنوات، لكن بإذن أبيها[٢]. وهذا دينهم كما قال إمامهم الصدوق: المتعة ديني ودين آبائي، من عمل بها عمل بديننا، ومن أنكرها أنكر ديننا، واعتقد بغير عقيدتنا [٣].

• الشيعة يجعلون للزاني والزانية ثوابا عظيما في الدنيا والآخرة.

وقد كان يكفي في الدعوة إلى هذه الفاحشة إباحتها، لكنهم رتبوا عليها الثواب العظيم، والمغفرة في الدنيا والآخرة، رغبة في أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ولكي يسهلوا على هذه الفتاة المؤمنة زوال ما ينتابها من الخوف عندما تفكر في تمكين رجل من نفسها، وأخذ مقابل لما تبيعه لهذا المتمتع من جسدها، فإنهم يرغبونها في هذا العمل بمثل هذه النصوص، فعن إمامهم الباقر أنه سئل: أللتمتع ثواب؟ قال: إن كان يريد بذلك الله ﷻ، لم يكلمها كلمة إلا كتب الله له حسنة، وإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنبا، فإذا اغتسل غفر الله له بعدد ما مر الماء على شعره، قال السائل: بعدد الشعر؟ قال: نعم بعدد الشعر، يريد بذلك الله ﷻ. وعن الصادق قال: إن الله ﷻ حرم على شيعتنا المسكر من كل شراب، وعوضهم عن ذلك المتعة [٤].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣/٤٦١.

(٢) ذكرها الموسوي في كتابه لله ثم للتاريخ ص٣٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه لأبي جعفر الصدوق القمي ٣/٣٦٦.

(٤) انظر الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي ص٧٠.

ويروي الصدوق عن محمد الباقر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى السماء لحقني جبرائيل فقال: يا محمد إن الله ﷻ يقول: إني قد غفرت للمتمتعين من النساء[١].

إن الأثر المدمّر لهذه الرواية أكثر من كل ما يقوم به أعداء الإسلام في محاولة جر المرأة للانفلات، لأن هذه الدعوة بمباركة الدين، بل ولها أجر أُخرَوي، إن الدّين هو الدّافِعُ القوي ورُبَّما الوحيد للعفة، فإذا كان هذا الدين يُشجّع على الزنا والانفلات فكيف تُحافظ المرأة على عِفّتِها؟ يروي الصدوق عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: (ما من رجل تمتع ثم اغتسل، إلا خلق الله من كل قطرة تقطر منه سبعين ملكا يستغفرون له إلى يوم القيامة) [٢]. والعجيب أنهم يلعنون متجنبها إلى أن تقوم الساعة، قال الشيخ المفيد بعد أن ساق هذه الأخبار: (وهذا قليل من كثير في هذا المعنى) [٣].

إن الهوس الجنسي المقدس عند الشيعة لم يستثني حتى الرضيعة فقد أجمع علماء الرافضة على جواز تفخيذ الرضيعة، ويروي العالم الشيعي التائب حسين الموسوي في كتابه، لله ثم للتاريخ، قصة تفخيذ الخميني للطفلة البريئة المسكينة، وهو يتمتع بها ويتلذذ وهي تصرخ وتبكي وتستغيث، ولا مجيب لصراخها، فالمغتصب الذي يغتصبها هو مشرع هذا الفعلة الجنسية البشعة، ولم يستطع حسين الموسوي التائب أن يتحمل هذه الفعلة ففطرته مازال بها عرق ينبض بالحق حيث يقول في كتابه لله

(١) من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي الملقب بالصدوق ٣/٤٦٣.
(٢) انظر وسائل الشيعة للحر العاملي ١٤/٤٤٤ ، ٢١/١٦.
(٣) رسالة المتعة الشيخ المفيد ص٨.

ثم للتاريخ: (لما كان الإمام الخميني مقيما في العراق كنا نتردد إليه، ونطلب منه العلم حتى صارت علاقتنا معه وثيقة جدا، وقد اتفق مرة أن وُجِّهَتْ إليه دعوة من مدينة تقع غرب الموصل على مسيرة ساعة ونصف تقريبا بالسيارة، فطلبني للسفر معه، فسافرت معه، فاستقبلونا وأكرمونا غاية الكرم مدة بقائنا عند إحدى العوائل الشيعية المقيمة هناك، وقد قطعوا عهدا بنشر التشيع في تلك الأرجاء، وما زالوا يحتفظون بصورة تذكارية لنا تم تصويرها في دارهم.

ولما انتهت مدة السفر رجعنا، وفي طريق عودتنا ومرورنا في بغداد أراد الإمام أن نرتاح من عناء السفر، فأمر بالتوجه إلى منطقة اللطيفية، حيث يسكن هناك رجل إيراني الأصل يقال له سيد صاحب، كانت بينه وبين الإمام معرفة قوية، ففرح سيد صاحب بمجيئنا، وكان وصولنا إليه عند الظهر، فصنع لنا غداء فاخرا، واتصل ببعض أقاربه فحضروا وازدحم منزله احتفاء بنا، وطلب سيد صاحب إلينا المبيت عنده تلك الليلة، فوافق الإمام، ثم لما كان العَشاء أتونا بالعَشاء، وكان الحاضرون يُقَبِّلُونَ يد الإمام، ويسألونه، ويجيب عن أسألتهم.

ولما حان وقت النوم وكان الحاضرون قد انصرفوا إلا أهل الدار، أبصر الإمام الخميني صبية بعمر أربع سنوات أو خمس ولكنها جميلة جدا، فطلب الإمام من أبيها سيد صاحب إحضارها للتمتع بها، فوافق أبوها بفرح بالغٍ، فبات الإمام الخميني والصبيةُ في حضنِه، ونحن نسمع بكاءَها وصريخَها، المهم إنه أمضى تلك الليلة، فلما أصبح الصباح، وجلسنا لتناول الإفطار نظر إليَّ فوجد علامات الإنكار واضحة في وجهي، إذ كيف يَتَمَتَّعُ بهذه الطفلة الصغيرة، وفي الدار شابات بالغات

راشدات كان بإمكانه التمتع بإحداهن فلمَ يفعل؟ فقال لي الخميني: سيد حسين ما تقول في التمتع بالطفلة؟ قلت له: سيدي القول قولك، والصواب فعلُك، وأنت إمام مجتهد، ولا يمكن لمثلي أن يرى أو يقول إلا ما تراه أنت أو تقوله، ومعلوم أني لا يمكنني الاعتراض وقتذاك. فقلت: إن التمتع بها جائز، ولكن بالمداعبة، والتقبيل والتفخيذ، أما الجماع فإنها لا تقوى عليه. وكان الإمام الخميني يرى جواز التمتع حتى بالرضيعة؟ فقال: لا بأس بالتمتع بالرضيعة ضما وتفخيذا وتقبيلا أي يضع ذكَرَهُ بين فخذيها) [1].

لقد عانى المجتمع الشيعي من هذه الرذيلة، وانهدَّت بنيته الاجتماعية، فبعد أن كان الزنا سبة وعارا، أصبح شرفا وثوابا، ولم يعد الفتى يخشى وعيدا أو عقابا، بل سيغفر له بكل قطرة من ماء غسله، ويستغفر له آلاف الملائكة، وقبل هذا كله، نار في أحشائه ستطفأ، وشهوة تؤرقه ستبرد، ووطر في نفسه سيقضى. وقد بلغ من انتشار المتعة في مجتمعهم أن تذمر من ذلك بعض رؤسائهم، فقد ذكرت مجلة الشراع الشيعية أن الرئيس رفسنجاني أشار في حديث له إلى وجود ربع مليون لقيط في إيران بسبب زواج المتعة، وقد وصفت الصحيفة مدينة مشهد المقدسة عندهم، بأنها تكثر فيها المتعة، وأنها المدينة الأكثر انحلالا على الصعيد الأخلاقي في آسيا [2].

وذكرت صحيفة يو إس إي توداي الأمريكية، بعد استطلاع أجرته

(١) انظر تحرير الوسيلة للخميني ٢/٢٤١.

(٢) مجلة الشراع، العدد ٦٨٤ السنة الرابعة ص٤.

في العراق، بعد سقوط نظام صدام أنه بعد تشكيل الشيعة أكبر كتلة في الجمعية الوطنية العراقية، انتشر العمل بالمتعة في المدن الشيعية بشكل كبير، ونقلت عن رجل شيعي يُدعى الزبيدي من مدينة الصدر الشيعية أنهم كانوا يعاقبون الناس على زواج المتعة والآن الجميع يمارسونه، وأضاف أحد رجال الدين يُدعى سيد كريم أن هناك الآن الكثير من الفنادق في المدن الشيعية كالنجف وكربلاء والكاظمية، يرعاها الشيعة وتبارك هذا الزواج [١].

وهكذا يستغل هذا الزواج لدعوة الشباب إلى التشيع بدعوى أنه دين يسر، ولا تضييق فيه على الشباب، خصوصا من لا يستطيع منهم الزواج، ولا تعجب من تسمية أحد الباحثين لهؤلاء المتشيعين بسبب زواج المتعة بالمؤلفة فروجهم، في مقابل المؤلفة قلوبهم الذين كانوا في بداية الإسلام[٢].

- **موقف الشيعة الاثنى عشرية من عامة الصحابة ﭬ.**

لقد أجمع المسلمون بكل فرقهم وطوائفهم، وعلى اختلاف مذاهبهم ونحلهم على أن صحبة الرسول ﷺ شرف ما بعده شرف، ومكانة لا تدانيها مكانة، وكلهم يعترفون لمن نالها بالسابقة والفضل، ويثنون عليهم بما ذكر الله عنهم في كتابه، ويؤمنون بأن لهم الدرجة العليا عند الله، وأن الله زكاهم وشهد لهم بالإيمان وأعد لهم ما أعد من الجنان.

ولم يخرج عن إجماع المسلمين في تزكية الصحابة ﭬ وتبجيلهم

---

(١) صحيفة يو إس إي توادِاي، عدد الخميس ٥/٦/٢٠٠٥.

(٢) الباحث الزبير دحان في كتابه الاستنساخ الفكري.

ومعرفة قدرهم إلا هؤلاء الشيعة الذين أنزلوهم أسفل السافلين، لأن الرسول ﷺ على زعمهم قد جعل عليا ﷺ وارثا له ووصيا من بعده، وقد جمع الرسول ﷺ أصحابه على زعمهم يوم غدير خم، وبلغهم وصيته وحذرهم وأنذرهم، وأشهدهم على استخلاف عليّ وإمامته من بعده، فلم يأتمروا بأمره، بل لم ينتظروا على زعمهم مواراة جسده حتى تكالبوا على الخلافة، واغتصبوا حق عليّ بن أبي طالب، ونكثوا عهد رسول الله ﷺ وآذوه في أهله وابنته على زعمهم، فهم عند الشيعة كفار مرتدون، إذ كلهم على زعمهم بايع ورضي، وكلهم غير وبدل، وكلهم سمع وصية الرسول ﷺ ولم يمتثل لها. بهذه المقدمة يتوصل الشيعة إلى تكفير أصحاب رسول الله ﷺ عموما، ويشهدون لهم بالردة إلا نفرا يسيرا[1].

يروي المجلسي عن أبي جعفر أنه قال: (كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ قال: المقداد وأبو ذر وسلمان الفارسي، ثم عرف أناس بعد يسير، فقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا، وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرها فبايع، وذلك قول الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾آل عمران:١٤٤[2].

(١) الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي ص٧٣.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٣٣٣/٢٢، والكافي للكليني ٢٤٥/٨، وتفسير العياشي لمحمد بن مسعود بن عياشي ١٩٩/١ وكشف الحقائق لعليّ آل محسن ص١٧٥.

وعنه أيضا أنه قال: إن رسول الله ﷺ لما قبض صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة، علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمار؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة (١).

وروى الكليني عن عبد الرحمن بن القصير أنه قال: قلت لأبي جعفر: إن الناس يفزعون إذا قلنا: إن الناس ارتدوا، يقصد أهل السنة يفزعون إذا قيل: إن الصحابة ارتدوا، فقال: يا عبد الرحمن إن الناس عادوا بعدما قُبض النبي ﷺ أهل جاهلية، إن الأنصار اعتزلت فلم تعتزل بخير، جعلوا يبايعون سعدا وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية.

ويقول شرف الدين الموسوي في كلام طويل حول أصحاب النبي ﷺ قال: فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول، وهم عظماؤهم وعلماؤهم، وفيهم البغاة، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال، قال: فنحن نحتج بعدولهم، ونتولاهم في الدنيا والآخرة، وأما ما عداهم فلا نقبل منه. ويقول: إن العدالة في الصحابة لم يدل عليها دليل لا من كتاب ولا من سنة، ولو تدبرنا القرآن الكريم لوجدناه مشحونا بذكر المنافقين(٢).

والعجب من هذه الطائفة أن كل آية وردت في المنافقين، وفي أهل المعاصي والفجور وغير ذلك كلها تنطبق عندهم على أصحاب رسول الله ﷺ، وكل آية وردت في أهل الجنة، وفي أهل الإيمان والصلاح

---

(١) انظر بحار الأنوار للمجلسي ٢٢/٣٣٣ والكافي للكليني ٨/٢٩٦ ومستدرك الوسائل للميرزا النوري ١١/٦٢.

(٢) أجوبة مسائل جار الله لعبد الحسين شرف الدين الموسوي ص١٤، طبع في صيدا نشر مطبعة العرفان ١٩٥٣م.

ربطت بعلي وآل بيته فقط. ويروي الصدوق أن عليا، قال لقنبر: يا قنبر، ابشر وبشر واستبشر، فلقد مات رسول الله ﷺ وهو على أمته ساخط إلا الشيعة [(١)].

وما ندري ما وجه البشارة في هذه المصيبة، ومن يا ترى يفرح بهذا ويستبشر به؟ وهل يبشَّر بهذا إلا يهودي حاقد على الإسلام وأهله، مضمر لهم أشد العداء؟ يقول صدوقهم: فمن ادعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون [(٢)].

روى العياشي عن أبي بصير عن جعفر بن محمد أنه قال: يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب، بابها الأول للظالم وهو زريق أبو بكر، وبابها الثاني لحبتر أي الثعلب عمر، والباب الثالث للثالث، والرابع لمعاوية، والخامس لعبد الملك، إلى آخر إفكهم وبهتانهم [(٣)] .

وقال المجتبى الشيرازي في القرآن آية تقول: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ لقمان:١٩. تفسيرها غُيِّب عنا سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام: ما معنى هذه الحمير؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله أكرم من أن يخلق شيئا ثم ينكره، إنما هو أبو بكر وعمر في تابوت من نار، وفي صورة حمارين، إذا شهقا في النار انزعج أهل النار من شدة صراخهما[(٤)].

وعلماء الشيعة في حوزاتهم العلمية يقولون عند بداية كل درس أو

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق ص٧٢٦.
(٢) الاعتقادات في دين الإمامية لابن بابويه الصدوق القمي ص١١٢.
(٣) تفسير العياشي ٢/٢٤٣.
(٤) انظر بحار الأنوار للمجلسي ٢٣٧/٢٨.

حضرة: (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين، واللعنة على أعدائه من اليوم إلى يوم الدين) [١]. ويقصدون بذلك صحابة رسول الله ﷺ.

• الشيعة يكفرون أبا بكر وعمر ويطلقون عليهما صنمي قريش.

لقد نال الصحابةَ من الشيعة أذى كثيرا، لكن ما ناله أبو بكر وعمر، وابنتيهما أكثر بكثير، فيروي المجلسي عن أبي عبد الله جعفر الصادق في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ البقرة:٢٨٤ . قال: حقيق على الله أن لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من حبهما. قال المجلسي: أي من حب أبي بكر وعمر [٢].

والشيعية تعتبر أن أبا بكر وعمر كانا منافقين على عهد رسول الله ﷺ، يقول المجلسي في كتابه حق اليقين: ومن المعلوم أن حضرة فاطمة وحضرة الأمير عليهما السلام كانا يعدان أبا بكر وعمر منافقين [٣].

ويروي المجلسي عن جعفر أنه قال: لما أقام رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليا يوم غدير خم كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين، منهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة، قال عمر بن الخطاب: أما ترون عينيه كأنهما عينا مجنون، يعني النبي ﷺ، الساعة يقوم ويقول: قال

(١) الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي ص٧٦.
(٢) بحار الأنوار العلامة المجلسي ٥٧/٢٧.
(٣) الانتصار للحر العاملي ١٠١/٩.

لي ربي [(١)].

ويروي المجلسي عن حذيفة قصة محاولة بعض المنافقين إسقاط رسول الله ﷺ من على ناقته عند العقبة، وكان ذلك في طريق رجوعه إلى المدينة من غزوة تبوك، وأنه سُأل عن أسماء هؤلاء المنافقين الذين حاولوا قتل رسول الله ﷺ قال: هم والله أبو بكر، وعمر، وعثمان وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، هؤلاء من قريش، وأما الخمسة الأخرين فأبو موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة الثقفي، وأوس بن الحدثان البصري، وأبو هريرة، وأبو طلحة الأنصاري [(٢)].

وأغلب المعاصرين من الشيعة يزعم أن كبار الصحابة رضي الله عنهم دخل في الإسلام رغبة في المال والسلطة، وكان كفار قريش يعرفونهم، ولأنهم أعلنوا الشهادة فقد أصبحوا من المنافقين، كانت قريش تعلم أن أبا بكر وعمر كانا ينتحلان الإسلام لهدم الإسلام وكذلك عائشة وحفصة، وقد أقدموا على اغتيال رسول الله ﷺ وابنته فاطمة عليها السلام، وقبضوا على سلطة المسلمين [(٣)].

وهكذا قلبت الشيعة الحقائق، فصار أعظم رجلين عند المسلمين، أسوأ رجلين عندهم، فألفوا في كفرهم الروايات، وتأولوا فيهما الكثير من الآيات، فعن أبي عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٣١/٦٣٥، وانظر تفسير القمي ١/٣٠١.

(٢) السابق ٢٨/١٠٠.

(٣) اغتيال النبي للشيخ نجاح الطائي ص١٢٥.

﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ الحجرات:٧. قال: يعني أمير المؤمنين عليه السلام وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان الأول والثاني والثالث [١].

كما حاولوا أن ينفوا عنهما كل فضيلة، وينكروا ما أجمع عليه المسلمون من فضائلهما، فعن خالد بن يحيى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمى رسول الله ﷺ أبا بكر صديقا؟ فقال: نعم. إنه حيث كان معه أبو بكر في الغار، قال رسول الله ﷺ: إني لأرى سفينة بني عبد المطلب تضطرب في البحر ضالة، فقال له أبو بكر: وإنك لتراها؟ قال: نعم، فقال: يا رسول الله، تقدر أن ترينيها؟ فقال: ادن مني، فدنا منه فمسح يده على عينيه، ثم قال له: انظر، فنظر أبو بكر فرأى السفينة تضطرب في البحر، ثم نظر إلى قصور أهل المدينة، فقال في نفسه: الآن صدقت أنك ساحر، فقال له رسول الله ﷺ: صديق أنت! فقلت: لم سمي عمر الفاروق؟ قال: نعم ألا ترى أنه قد فرق بين الحق والباطل، وأخذ الناس بالباطل [٢].

وجاء في مناظرة طويلة بين عليّ ورجل اسمه إسحاق: قال إسحاق: فأطرقت ساعة ثم قلت: يا أمير المؤمنين إن الله ﷻ يقول في أبي بكر: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ التوبة:٤٠. فنسبه الله ﷻ إلى صحبة نبيه ﷺ، فقال: سبحان الله! ما أقل علمكم باللغة والكتاب! أما يكون الكافر صاحبا للمؤمن؟ فأي

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٥٣/٧٥، والكافي للكليني ٣٥٢/١.

(٢) السابق ١٩٤/٣٠.

فضيلة في هذه؟ أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧﴾ الكهف: ٣٧، فقد جعله له صاحبا [١].

أي لا إشكال عنهم في أن أبا بكر قد وصف في هذه الآية بالصحبة وهو عندهم كافر منافق، لأن صاحب الجنتين الكافر وصف بصحبة ذلك المؤمن، وهذا تشبيه مقصود لأبي بكر المؤمن بصاحب الجنتين.

- الشيعة يتقربون إلى الله بلعن أبي بكر وعمر دبر كل مكتوبة.

وقد دأب الشيعة على لعن هذين الرجلين العظيمين، وأكثروا من ذلك في زياراتهم إلى المدينة، فلا تكاد تخلوا زيارة من لعن صريح أو تعريض، فقد كان إمامهم أبو عبد الله جعفر الصادق حسب زعمهم يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال، وأربعا من النساء، فلان وفلان وفلان ومعاوية ويسميهم، وفلانة وفلانة وهند وأم الحكم أخت معاوية [٢].

ويذكر المجلسي أن أبا عبد الله جعفر الصادق أوصى أتباعه بهذا الخير فقال: من حقنا على أوليائنا وأشياعنا أن لا ينصرف الرجل من صلاته حتى يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسالك باسمك العظيم أن تصلي على محمد وآله الطاهرين، اللهم وضاعف لعنتك وبأسك ونكالك وعذابك على الّذين كفرا نعمتك، وخوَّنا رسولك، واتهما نبيك وبايناه، وحلا عقده في وصيته، ونبذا عهده في خليفته من بعده،

(١) مواقف الشيعة للأحمدي الميانجي ١/٣٠٢، وانظر بحار الأنوار ٤٩/١٩٨.
(٢) الكافي للكليني ٣/٣٤٢ والتهذيب للطوسي ١/٢٢٧.

وادعيا مقامه، وغيرا أحكامه، وبدلا سنته، وقلبا دينه، وصغرا قدر حججك، وبدءا بظلمهم، وطرّقا طريق الغدر عليهم، والخلاف عن أمرهم، والقتل لهم، وإهاج الحروب عليهم، ومنع خليفتك من سد الثلم - والثلم موضع الكسر من القدح - وتقويم العوج، وتثقيف الأود، وإمضاء الأحكام، وإظهار دين الإسلام، وإقامة حدود القرآن، اللهم العنهما وابنتيهما وكل من مال ميلهم وحذا حذوهم، وسلك طريقتهم، وتصدر ببدعتهم لعنا لا يخطر على بال، ويستعيذ منه أهل النار، والعن اللهم من دان بقولهم، واتبع أمرهم، ودعا إلى ولايتهم، وشكك في كفرهم من الأولين والآخرين [(١)].

ومن أشنع هذه الأدعية التي يتقربون إلى الله بها، دعاء صنمي قريش. كما ذكر المجلسي حيث قال: ومما يدل على ما قلناه من أن أبا بكر وعمر كانا منافقين غير مؤمنين ما سمع من قنوت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وهو هذا:

(اللهم صل على محمد وآل محمد والعن صنمي قريش، وجبتيهما، وطاغوتيهما، وإفكيهما، وابنتيهما، اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك، وأحبا أعداءك، وجحدا آلاءك وعطلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألحدا في آياتك، وعاديا أولياءك، ووليا أعداءك، وخربا بلادك، وأفسدا عبادك. اللهم العنهما وأتباعهما وأولياءهما وأشياعهما ومحبيهما، فقد أخربا بيت النبوة، وردما بابه، ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه، وعاليه بسافله،

---

(١) بحار الأنوار ٣٠/٣٩٥ ومستدرك الوسائل لحسين النوري الطبرسي ١/٣٤٢.

وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله، وأبادا أنصاره، وقتلا أطفاله، وأخليا منبره من وصيه ووارث علمه، وجحدا إمامته، وأشركا بربهما، فعظّم ذنبهما، وخلدهما في سقر، وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر.

اللهم العنهم بعدد كل منكر أتوه، وحق أخفوه، ومنبر علوه، ومؤمن آذوه، ومنافق ولوه، وولي عزلوه، وطريد آووه، وصادق طردوه، وكافر نصروه، وإمام قهروه، وفرض غيروه، وأثر أنكروه، وشر آثروه، ودم أراقوه، وخبر بدلوه، وكفر نصبوه، وحكم قلبوه، وإرث غصبوه، وفَيءٍ اقتطعوه، وسحت أكلوه، وخمس استحلوه، وباطل أسسوه، وجور بسطوه، ونفاق أسروه، وغدر أضمروه، وظلم نشروه، ووعد أخلفوه، وأمان خانوه، وعهد نقضوه، وحلال حرموه، وحرام أحلوه، وبطن فتقوه، وجنين أسقطوه، وضلع دقوه، وصك مزقوه، وشمل بددوه، وعزيز أذلوه، وذليل أعزوه، وحق منعوه، وكذب دلسوه، اللهم العنهم بعدد كل آية حرفوها وفريضة تركوها، وسنة غيروها، وأحكام عطلوها، ورسوم قطعوها، ووصية ضيعوها، وبيعة نكثوها، ودعوى أبطلوها، وبينة أنكروها، وحيلة أحدثوها، وخيانة أوردوها، وعقبة ارتقوها، ودباب دحرجوها، وأزياف لزموها، وشهادات كتموها.

اللهم العنهما في مكنون السر وظاهر العلانية لعنا كثيرا دائبا أبدا دائما سرمدا لا انقطاع لأمده، ولا نفاد لعدده، ويغدو أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم والمسلمين لهم، والمائلين إليهم والناهضين بأجنحتهم والمقتدين بكلامهم، والمصدقين بأحكامهم. ثم يقول: اللهم عذبهم عذابا يستغيث منه أهل النار آمين

رب العالمين) [1].

وقوله في هذا الدعاء الباطل الذي افتروه على عليّ: (وعقبة ارتقوها ودباب دحرجوها). اخترعوا له قصة فزعم الكذابون الحاقدون من الشيعة أن أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وأبو سفيان ومعاوية ابنه وعتبة بن أبي سفيان وأبو الأعور السلمي والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص وأبو قتادة وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري اجتمعوا في غزوة تبوك على عقبة كؤد لا يمكن أن يجتاز عليها إلا رجل واحد أو جمل واحد، وكان تحت العقبة هوة مقدار ألف رمح من تعدى عن المجرى هلك من وقوعه فيها، وتلك الغزوة كانت في أيام الصيف، والعسكر تقطع المسافة ليلا فرارا من الحر، فلما وصلوا إلى تلك العقبة وصلوا إلى تلك العقبة أخذوا دبابا كانوا هيؤها من جلد حمار، ووضعوا فيها حصى وطرحوها بين يدي ناقة النبي ﷺ لينفروها به فتلقيه في تلك الهوة فيهلك النبي ﷺ. فنزل جبريل على النبي ﷺ بهذه الآية: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ﴾التوبة:٧٤. وأخبره بمكيدة القوم، فأظهر الله تعالى برقا من السماء مستطيلا دائما حتى نظر النبي ﷺ إلى القوم وعرفهم، وإلى هذه الدباب التي ذكرناها أشار عليه السلام بقوله: (وعقبة ارتقوها ودباب دحرجوها) [2].

وقد روى غير واحد من علمائهم الكذابين عن عليّ رضي الله عنه أنه كان

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٨٥/٢٦٠ والمصباح للكفعمي ص٥٥٢،

(٢) يوم الغفران احتفال الرافضة بمقتل عمر بن الخطاب لمحمد مال الله ص٤٤.

يقنت به، وقال: إن الداعي به كالرامي مع النبي ﷺ في بدر وأحد، بألف ألف سهم [(١)].

بل ألف شيوخهم كتبا مستقلة في شرح هذا الدعاء، ذكر منها صاحب الذريعة تسعة شروح [(٢)]. منها شرح شيخهم أسعد بن عبد القاهر بن أسعد بن سفرويه الأصفهاني الذي أسماه: رشح الولاء في شرح دعاء صنمي قريش. قال المجلسي: ودعاء صنمي قريش مشهور بين الشيعة، ورواه الكفعمي عن ابن عباس أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقنت به في صلاته، وهو مشتمل على جميع بدعهما، ووقع فيه الاهتمام والمبالغة في لعنهما بما لا مزيد عليه [(٣)].

وقد رتبوا على هذا اللعن ثوابا عظيما. فعن زين العابدين أنه قال: من قال: اللهم العن الجبت والطاغوت كل غداة مرة واحدة كتب الله له سبعين ألف حسنة، ومحا عنه سبعين ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف درجة [(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الأدعية المأثورة في صحيفة علي بن الحسين، أكثرها كذب على علي بن الحسين) [(٥)].

---

(١) علم اليقين في أصول الدين لمحسن الكاشاني ٢/١٠١، ومستدرك الوسائل للميرزا النوري ٤/٤٠٥ ، وبحار الأنوار للمجلسي ٨٢/٢٦٠.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة لأغا بزرك الطهراني ١٣/٢٥٦، نشر دار الأضواء بيروت ١٤٠٣هـ.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٣٠/٣٩٤.

(٤) الصحيفة السجادية المنسوبة للإمام علي زين العابدين بن الحسين ص٥١.

(٥) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٦/٣٠٦.

- **عيد أبي لؤلؤة المجوسي وزيارة الشيعة لقبره لقتله عمر بن الخطاب.**

أجمع أهل العلم على أن الشيعة المجوس هم قتلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقد فرحوا بمقتله واتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم، وسموا قاتله: بابا شجاع الدين، ويزورون مرقده حتى اليوم في إيران، وقد شيدوا قبره وزخرفوه وتلقى فيه الأموال والتبرعات[1].

قال صاحب كتاب عقد الدرر في بقر بطن عمر: (الفصل الرابع في وصف حال السرور يوم مقتل عمر، وهو يوم فرح الشيعة المخلصين).

ثم وصف الأناشيد التي تقال في هذا اليوم بقوله: (وهي كليمات رائقة، ولفيظات شائقة، هو أنه لما طلع الإقبال من مطالع الآمال، وهب نسيم الوصال بالاتصال بالغدو والآصال، بمقتل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر عمر بن الخطاب الفاجر، الذي فتن العباد، ونتج في الأرض الفساد، إلى يوم الحشر والتناد ملأت أقداح الأفراح من رحيق راح الأرواح، ممزوجة بسحيق تحقيق السرور، وبماء رفيق توفيق الحبور)[2].

ثم بعد هذا الكلام السخيف أعقبه بأبيات خبيثة، والتي تدمع منها العيون لما نالوه من عرض شهيد المحراب عمر بن الخطاب ﷺ، ومن هذه الأبيات قوله في أبي لؤلؤة المجوسي المسمى فيروز:

فيروز لا شُلّت الكفان منك لقد   قتلت غندر قد هنيت بالظفر
ظفرت بالكنز في قتل الغوي ومن   آذى النبي وآذى بضعة الطهر

---

(١) الكنى والألقاب لعباس القمي ١/١٤٧ ، ٢/٥٥ طبع بقم إيران.

(٢) عقد الدرر في بقر بطن عمر تأليف ياسين بن أحمد ص٦، وهي رسالة مخطوطة بمكتبة رضا رامبور بالهند برقم (٢٠٠٣).

قتلت أول من سنّ الخلاف على آل النبي مدى الأيام والعصر
قتلت نعثل عنوان الفسوق به عجل الضلالة محسوب من البقر
قتلت من مات لم يؤمن بخالقه وفاسقا لم يكن يوما بمزدجر
قتلت من عاند الكرار حيدرة وعاود الكفر في سرّ وفي جهر [1].

وقد يستخدمون التقية، ويعبرون بعبارات مموهة، وكأنهم يثنون على الصحابة، وهم في الحقيقة يسبونهم، ومن أمثلة ذلك في مروياتهم: أن جعفر الصادق سئل عن أبي بكر وعمر، فقال: كانا إمامين قاسطين عادلين، كانا على الحق وماتا عليه، فرحمة الله عليهما يوم القيامة. فلما خلا المجلس قال له بعض أصحابه: كيف قلت يابن رسول الله؟ فقال: نعم، أما قولي كانا إمامين فهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ القصص:٤١. وأما قولي قاسطين فهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ الجن:١٥ [2].

ويظهر من هذه القصة وغيرها إتقانهم لفنون النفاق والكذب، وإذا كان هذا حكم أبي بكر وعمر عندهم، فما نصيب أمنا عائشة رضي الله عنها من هذا الحقد الفارسي، وما مكانتها عند هؤلاء الذين ينتسبون إلى القبلة ويتسمون باسم المسلمين!

- موقف الشيعة من أم المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنها.

إن الشيعة لما أصلت لنفسها مبدأ الإمامة وجعلته الركن الأهم من

---

(١) يوم الغفران احتفال الرافضة بمقتل عمر بن الخطاب لمحمد مال الله ص٢٨.

(٢) مجمع النورين للشيخ أبو الحسن المرندي ص ١٠٤.

أركان الدين، لم تتورع في أن تكفر الأمة كلها، بل كفرت خِيرتها وقدوتها، فكفرت الصحابة ﷺ لأنهم لم يعترفوا بالإمامة ولا دانوا بها، وكفرت عائشة أم المؤمنين لنفس السبب، فكان تكفيرهم لها إخراجا للشيعة عن دائرة المسلمين، ولعنها لعنا لهم إلى يوم الدين[1].

والشيعة يحرفون النصوص بالكذب ليستدلوا على أن عائشة وحفصة برأهما الله ورضي عنهما خالفتا ربهما ونبيهما، وليدللوا كذبا على ما يدعون من ظلمهما وعصيانهما وكفرهما، بقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ الأحزاب:٣٣[2]. وأنها تظاهرت مع حفصة على رسول الله ﷺ، كما قال: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾التحريم:٤، وأن الله شبههما بامرأة نوح وامرأة لوط وهما كافرتان كما قال: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ التحريم:١٠[3].

ويروي المجلسي وغيره عن جعفر الصادق في قوله تعالى: وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا. أنها هي حفصة. قال: قال جعفر الصادق عليه السلام: كفرت في قولها: من أنبأك هذا؟ وقال الله فيها وفي أختها: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾التحريم:٤. أي زاغت، والزيغ:

---

(١) انظر الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية للسيد حامد الإدريسي ص٨٧.

(٢) كتاب الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين لمحمد القمي الشيرازي ص٦٢٢، طبع في إيران بتحقيق سيد مهدي الرجائي، نشر مطبعة الامير ١٤١٨ هـ.

(٣) السابق ص٦٢٦.

الكفر. وفي رواية: أن النبي ﷺ أعلم حفصة أن أباها وأبا بكر يليان الأمر، فأفشت إلى عائشة، فأفشت إلى أبيها، فأفشى إلى صاحبه، فاجتمعا على أن يستعجلا ذلك على أن يسقياه سما، فلما أخبره الله بفعلهما هم بقتلهما، فحلفا له أنهما لم يفعلا، فنزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ التحريم:٧[١].

وسترى في رواياتهم وافتراءاتهم تفصيل اغتيالهما للنبي ﷺ كما تصوره الشيعة، والمتتبع لتفسيرهم يرى كثيرا من الآيات القرآنية مما جاء في الكفار والمشركين يسوقونها ويحملونها بنص الأئمة المعصومين عندهم في عائشة أم المؤمنين، فعن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: وجاء فرعون، يعني الثالث، ومن قبله يعني الأولَين، بالخاطئة يعني عائشة، ثم زاد المجلسي الأمر بيانا فقال: فمعنى قوله: وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة في أقوالها وأفعالها، وفي كل خطأ وقع فإنه منسوب إليها، وكيف جاءا بها؟ بمعنى أنهم وثبوها وسنوا لها الخلاف لمولاها، ووزر ذلك عليهم، وفعل من تابعها إلى يوم القيامة [٢].

ويروي المجلسي عن سالم بن مكرم عن أبيه أنه قال: سمعت أبا جعفر يقول في قوله:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٣١/٦٤٠.

(٢) السابق ٣٠/٢٦٠، وتفسير نور الثقلين للشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي، ٥/٤٠٢، نشر المطبعة العلمية بقم، وتأويل الآيات الظاهرة لشرف الدين حسين استرابادي ٢/٧١٤ ، قم انتشارات جامعة مدرسين ١٤٠٩هـ.

ﭐﺗَّﺨَﺬَﺕۡ ﺑَﻴۡﺘٗﺎۖ﴾[العنكبوت:٤١]. قال: هي الحميراء [١]. وعلق المجلسي: إنما كنى عنها بالعنكبوت لأنه حيوان ضعيف اتخذت بيتا ضعيفا أوهن البيوت، وكذلك الحميراء حيوان ضعيف لقلة حظها وعقلها ودينها، اتخذت من رأيها الضعيف وعقلها السخيف في مخالفتها وعداوتها لمولاها، بيتا مثل بيت العنكبوت في الوهن والضعف [٢].

والأدهى من هذا والأمر أنهم يتهمونها وحفصة بقتل الرسول ﷺ، فلم يكن لواضع هذه العقيدة أن يبتعد عن سنة قومه في قتل الأنبياء، وجره الحنين إلى أصله، فلم يستطع أن يترك المشهد خاليا دون أن يجسد الغدر والخيانة في أقرب الناس إلى رسولنا ﷺ، لتبقى البصمات اليهودية التي صاغت هذه المشاهد، والتي مارست قتل الأنبياء، دالة على مُنشئ هذه العقيدة ومُؤسسها. روى المجلسي وغيره عن أبي عبد الله جعفر الصادق، فقال: تدرون مات النبي أو قتل؟ إن الله يقول: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾[آل عمران:١٤٤]. فسم قبل الموت، إنهما سقتاه، فقلنا: إنهما وأبواهما شر من خلق الله [٣]. قال المجلسي: يحتمل أن يكون كلا السمين دخيلين في شهادته ﷺ [٤]. أي سم اليهودية وسم عائشة وحفصة.

ويقول أحد معاصريهم بعد أن أورد الرواية: قرأنا في رواية العياشي

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٢٨٦/٣٢.

(٢) الموضع السابق.

(٣) تفسير العياشي ٢٠٠/١، وتفسير نور الثقلين لعبد علي الحويزي ٤٠١/١، وتفسير كنز الدقائق للشيخ محمد بن محمد القمي المشهدي ٢٥١/٢.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٥١٦/٢٢.

رحمه الله لفظة سمتاه، وفي رواية الفيض قدس سره، لفظة سقتاه، والمعنى إلى مؤدى واحد، أي وضعتا للنبي ﷺ السم، أو جعلتا السم فيما يشرب من ماء، أو لبن مثلا، فشربه ﷺ وسقي معه السم الذي دس فيه [1]. وفي رواية عن الحسين بن المنذر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، القتل أو الموت؟ قال: يعني أصحابه الذين فعلوا ما فعلوا [2].

ولقد اهتم متأخروهم بهذه القضية وجعجعوا حولها، بل ألف فيها أحد معاصريهم كتابا مستقلا أسماه اغتيال النبي ﷺ حوى فيها مروياتهم الكاذبة، وقد جمع في كتابه كل ما تفرق في كتبهم عن عائشة وحفصة رضي الله عنهما، واستدل لقضية الاغتيال، وقال بعد أن ساق بعض قصص عائشة مع النبي ﷺ مما وقع من غيرتها الفطرية رضي الله عنها، قال: من يفعل هذه الأفعال يكون من السهل عليه ارتكاب جريمة أخرى، وهذا ما يؤيد إقدامها على قتل رسول البشرية ﷺ لتهيئة الأرضية لحكومة أبيها، ويدعم ذلك الروايات الصحيحة في اشتراكها في قتل رسول الله ﷺ، وابنته فاطمة عليها السلام [3].

- **تكفير الشيعة لأهل السنة وإباحة قتلهم واستحلال أموالهم.**

إن الشيعة تحكم على أهل السنة بالكفر والخلود في النار، وتروي روايات عن أئمتها المعصومين في كتبها المعتبرة، تبيح قتل السني وأخذ ماله ونسائه، وتحكم عليه بالكفر وبأنه شر من اليهود والنصارى، وإذا

---

(١) شهادة الأئمة لجعفر البياتي ص٨٤.

(٢) غاية المرام وحجة الخصام لهاشم البحراني ٤/٢٢١، وبحار الأنوار ٣١/٦٤١.

(٣) اغتيال النبي للشيخ نجاح الطائي ص١٠٤، ص١٢٥.

كان الشيعة لم يتورعوا عن تكفير أصحاب الرسول ﷺ وأزواجه الذين زكاهم الله في القرآن ورضي عنهم ورضوا عنه، فهل سيتورعون عن تكفير من هم دونهم من باقي المسلمين؟

لقد أطلقت الشيعة كلمة الناصب على مخالفيهم، وهذه الكلمة تعني ناصب العداوة لآل البيت، لكن الشيعة تجعلها في كل مخالفيها، سواء نصب لأهل البيت العداوة، أم أحبهم ووالاهم كأهل السنة الذين يحبون عليا وآل بيته. قال شيخهم البحراني والذي يلقبونه بالمحقق: (والتحقيق المستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام، كما أوضحناه بما لا مزيد عليه في كتاب الشهاب الثاقب أن جميع المخالفين العارفين بالإمامة والمنكرين القول بها، كلهم نصاب وكفار ومشركون، ليس لهم في الإسلام ولا في أحكامه حظ ولا نصيب) [(١)].

ويقول شيخهم المجلسي مقررا هذا المعنى للناصب: (اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفضل عليهم غيرهم، يدل على أنهم كفار مخلدون في النار) [(٢)].

ويكفي في كونه ناصبيا عندهم تقديمه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزعمون أنه قد طرح هذا السؤال على الإمام المهدي في سردابه، إذ كتب إليه أحدهم: هل أحتاج في امتحانه أي الناصب إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب

(١) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة للمحقق يوسف البحراني ١٤/١٥٩.
(٢) بحار الأنوار العلامة للمجلسي ٢٣/٣٩٠ .

من السرداب يقول المهدي: من كان على هذا فهو ناصب [١].

وعلق البحراني على هذا الحديث قائلا: ومعنى الخبر هو أنه لما استفاضت الأخبار عنهم عليهم السلام بكفر الناصب وشركه ونجاسته وحل ماله ودمه، كتب إليه يسأله عن معنى الناصب ومظهر النصب بما يعرف حتى تترتب عليه الأحكام المذكورة، وأنه هل يحتاج إلى شيء زائد على مجرد تقديم الجبت والطاغوت واعتقاده إمامتهما؟ فرجع الجواب أن مظهر النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام، هو مجرد التقديم والقول بإمامة الأولين[٢]. فمرادف الناصبي إذن هو السني، كما صرح أحد علمائهم: بل أخبارهم عليهم السلام تنادي بأن الناصب هو ما يقال له عندهم سنيا [٣].

وقد أورد عالمهم محسن المعلم بعض هؤلاء النواصب وسماهم فقال: ومنهم أي النواصب عمر بن الخطاب وأبو بكر وعثمان وعائشة وأنس بن مالك وحسان بن ثابت والزبير بن العوام وسعيد بن المسيب وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والإمام الأوزاعي والإمام مالك والأشعري وعروة بن الزبير وابن حزم وابن تيمية والإمام الذهبي والبخاري والزهري والمغيرة بن شعبة والباقلاني وغيرهم كثير[٤].

إذا فالنواصب عند الشيعة هم أهل السنة على اختلاف طرقهم، ولن

(١) وسائل الشيعة لمحمد بن الحسن الحر العاملي ٩/٤٩٠.
(٢) الحدائق الناضرة للبحراني ١٠/٣٦١.
(٣) المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية لحسين البحراني ص١٤٧.
(٤) النصب والنواصب لمحسن المعلم ص٢٥٩ نشر دار الهادي بيروت.

تخدعنا التقية إن سمعنا بعضهم يفرق بين الناصب والمخالف، أو يزعم لنا ليرضينا أنهم لا يكفرون إلا من نصب العداوة لآل البيت، ولقد بالغوا في التكفير حتى عدوه من ضروريات مذهبهم وأسسه التي ينبني عليها، فقال المفيد صاحب أوائل المقالات: إن كفر الناصب من ضروريات مذهب الشيعة، ولم يخالف فيه فقيه واحد أصلا [١].

وقال البحراني: لا خلاف بين أصحابنا رضوان الله عليهم في كفر الناصب ونجاسته وحل دمه وماله، وأن حكمه حكم الكافر الحربي [٢]. وقد نص مرجعهم الخوئي على أنه لا فرق بين المرتد والكافر الأصلي الحربي والذمي والناصب[٣]. وعقد المجلسي في بحاره بابا في ذم مبغضهم أي الأئمة وأنه كافر حلال الدم [٤].

كما خصص الجواهري في كتابه الفقهي جواهر الكلام بابا باسم حلية دم الناصبي، وذكر فيه روايات كثيرة منها ما ذكره عن داود بن فرقد أنه قال: قلت لأبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام ما تقول في قتل الناصب، قال: حلال الدم لكني اتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطا، أو تغرقه في ماء لكيلا يُشهد به عليك فافعل، قلت: فما ترى في ماله، قال خذه ما قدرت عليه [٥].

ولعل هذه الروايات أن تجعلنا أكثر إدراكا للدوافع التي تحرك هذا

---

(١) أوائل المقالات للشيخ المفيد ص٢٨٥ نشر دار المفيد بيروت ١٤١٤هـ.

(٢) الحدائق الناضرة للمحقق البحراني ١٠/٤٢.

(٣) منهاج الصالحين للخوئي ١/١١٦، طبعة النجف.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٢٧/٢١٨.

(٥) وسائل الشيعة للحر العاملي ١٨/٤٦٣، وبحار الأنوار للمجلسي ٢٧/٢٣١.

الصراع المرير بين السنة والشيعة في العراق وغيرها، فبينما تجد كتب الشيعة مليئة بهذه الروايات، وبما هو أطم، تجد كتب السنة خالية من أي حديث أو نص مقدس أو رواية عن معصوم تجيز أو تأمر بقتل الشيعي، أو تصرح بكفره، وعلى كل منصف يريد أن يعرف سبب هذا الصراع أن ينظر في كتب هؤلاء، وكتب هؤلاء، ليعرف من مِن الطرفين يحث أتباعه على قتل الآخر بمثل هذه النصوص، ويرتب له الثواب ويتوعد من قدر على القتل ولم يفعل.

- **حكم مناكحة الشيعة للسنة والصلاة خلفهم والصلاة عليهم.**

الشيعة لا يجيزون مناكحة أهل السنة ولا مساكنتهم ولا أكل ذبيحتهم، فيروي الطوسي عن أبي جعفر أنه لما ذكر النواصب فقال: لا تناكحهم، ولا تأكل ذبيحتهم، ولا تسكن معهم [1]. وسأل أحدهم أبا جعفر عن المرأة العارفة أي بالإمامة، هل يزوجها الناصب؟ قال: لا؛ لأن الناصب كافر [2].

وقد تعرضت كتبهم الفقهية لهذه المسألة، وساق الطوسي في كتابه الفقهي تهذيب الأحكام، هذه الروايات في باب من يحرم نكاحهن بالأسباب دون الأنساب، وأورد رواية تستثني البُلْه من النساء أي المستضعفات اللاتي لا ينصبن ولا يعرفن ما أنتم عليه [3].

والنصب عندهم كما سبق تقديم الجبت والطاغوت على عليّ ﷺ،

---

(١) الاستبصار للشيخ الطوسي ٣/١٨٤ وتهذيب الأحكام للطوسي ٧/٣٠٣.
(٢) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٧/٣٠٣.
(٣) السابق ٧/٣٠٣.

والاعتقاد بإمامتهما، فكفر الناصب من ضروريات المذهب، وترتب عليه جميع الأحكام الفقهية، ولا شك أن بناء الأحكام الفقهية على النصوص هي أكبر دليل على صحة تلك النصوص عندهم واعتبارها في مذهبهم، بحيث لا يبقى مجال للشك في أنهم يعتقدون هذه العقيدة بل يبنون عليها أحكامهم وفتاويهم.

أما أنكحة أهل السنة فيما بينهم فيرونها صحيحة، وإن كانوا كفارا ضلالا، قياسا على صحة أنكحة اليهود والنصارى[1]. فانظر كيف يصححون أنكحة المسلمين ؟

أما الصلاة خلفهم فيقول شيخهم الطوسي في مختصره الفقهي: ولا تصل خلف الناصب، ولا خلف من يتولى أمير المؤمنين إذا لم يتبرأ من عدوه إلا في حال التقية [2]. ومن ثم لن يصلي الشيعي خلفك حتى وإن توليت عليا ما لم تتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فيرون عن الباقر أنه سُئل عن الصلاة خلف المخالفين، فقال: ما هم عندي إلا بمنزلة الجدر [3].

يقول الخميني: ثم إنه قد وردت روايات خاصة تدل على صحة الصلاة مع الناس والترغيب في الحضور في مساجدهم والاقتداء بهم والاعتداد بها، كصحيحة حماد بن عثمان عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: من صلى معهم في الصف الأول كان كمن صلى

---

(١) رسائل المرتضى الشريف المرتضى ١/٤٠٠ مطبعة سيد الشهداء ١٤٠٥هـ.

(٢) النهاية في مجرد الفقه والفتاوي للشيخ الطوسي ص١١٢ دار الأندلس بيروت.

(٣) جواهر الكلام للشيخ محمد حسن الجواهري ١٣/١٩٦.

خلف رسول الله صلى الله عليه وآله في الصف الأول، ولا ريب أن الصلاة معه صحيحة ذات فضيلة جمة، فكذلك الصلاة معهم حال التقية، أما مع عدم التقية فلا [(١)].

وأما الصلاة عليهم فربما تستبشر ككل مسلم عندما ترى الشيعة يصلون على موتى المسلمين في مكة أو المدينة، ويقفون مع صفوفهم خاشعين، وربما تقول في نفسك: لو كانوا يحملون أي عداء لأهل السنة لما صلّوا على موتاهم! وهذه علامة على الأخوة الدينية والرابطة العقدية، لكن ما يقوله الشيعة وهم منتصبون للصلاة على هذا السني الذي قد مات وأفضى إلى ما قدم، وهو في أمس الحاجة إلى دعوة صالحة يشعر بالخزي والعار ممن قال نتقارب مع الشيعة الإمامية.

قال شيخهم المفيد في مختصره الفقهي: وإن كان ناصبا فصل عليه تقية، وقل بعد التكبيرة الرابعة: (عبدك وابن عبدك لا نعلم منه إلا شرا، فأخره في عبادك وبلادك، واصله أشد نارك، اللهم إنه كان يوالي أعداءك ويعادي أولياءك، ويبغض أهل بيت نبيك فاحش قبره نارا، ومن بين يديه نارا، وعن يمينه نارا، وعن شماله نارا، وسلط عليه في قبره الحيات والعقارب) [(٢)].

وفي رواية: (اللهم إن فلانا لا نعلم منه إلا أنه عدو لك ولرسولك، اللهم فاحش قبره نارا واحش جوفه نارا، وعجل به إلى النار، فإنه كان يتولى أعداءك، ويعادي أولياءك، ويبغض أهل بيت نبيك، اللهم ضيق

---

(١) رسالة في التقية ص١٠٨.

(٢) المقنعة للشيخ المفيد ص٢٢٩.

عليه قبره، فإذا رفع فقل: اللهم لا ترفعه ولا تزكه) [١].

ويقول ابن البراج في مختصره الفقهي المهذب: (فلا يجوز الصلاة على الناصب للعداوة لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله إذا كانت التقية مرتفعة) [٢]. ويروون كذبا عن رسول الله ﷺ أنه صلى على عبد الله بن أبي المنافق تقية، وأنه قال: (اللهم احش جوفه نارا واملأ قبره نارا واصله نارا) [٣].

أما عن اعتقاد الشيعة في نجاسة أهل السنة فمن رواياتهم التي تثير العجب، وتدلك على مدى الحقد الذي تعاني منه هذه الطائفة، ما رواه المجلسي عن إمامهم أبي عبد الله أنه قال: (إياك أن تغتسل من غسالة الحمام ففيها تجتمع غسالة اليهودي والنصراني والمجوسي والناصب لنا أهل البيت وهو شرهم، فإن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقا أنجس من الكلب، وإن الناصب لنا أهل البيت أنجس منه) [٤].

ويروي الكليني عن أبي عبد الله: (أنه كره سؤر ولد الزنا، وسؤر اليهودي والنصراني والمشرك، وكل من خالف الإسلام، وكان أشد ذلك عنده سؤر الناصب [٥]. لذلك فإنه إذا شرب في إناء ينجسه، بل لا إشكال في نجاسة الناصب المعلن عداوته ولو بالنسبة إلى أوليائهم، إذا كان لأجل الولاء، والأحوط تعفير إنائهم، كتعفيره من ولوغ الكلاب

---

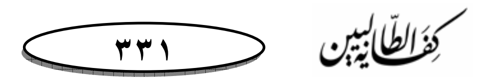
(١) الكافي للكليني ٣/١٨٩ وبحار الأنوار ٤٤/٢٠٢ ووسائل الشيعة ٣/٧٠.

(٢) المهذب لعبد العزيز بن البراج الطرابلسي ١/١٢٩.

(٣) انظر تهذيب الأحكام للطوسي ٣/١٩٦.

(٤) بحار الأنوار العلامة المجلسي ٧٣/٧٢.

(٥) والكافي للكليني ٣/١١.



وتغسل يدك إذا صافحته [1].

• **خيانة الشيعة للأمة الإسلامية ومعاونة أعدائها بين الماضي والحاضر.**

لقد اغتاظ كثير من المسلمين لِما رأوا من تعاون بيّنٍ وتؤازر ظاهر بين الشيعة وقوات التحالف الغازية ضد إخوانهم من المسلمين في العراق وفي أفغانستان، وكيف كانت الشيعة في هذه البلدان الدرع الذي تترس بها الكفار في وجه المسلمين؟ لكن التاريخ ينظر إلى هذا الحدث بعين هادئة، ولا يثير عنده هذا الأمر دهشة أو استغرابا، فقد اعتاد هذا المشهد، وتكرر أمامه بحيث أصبح حقيقة تاريخية، وأمرا معتادا، لا ينكره إلا من لم يكلف نفسه دراسة التاريخ، ولم يسمع شهادة الأيام.

لقد ذكر الثواب الذي وضعوه على قتل السني المنكر للإمامة، بل تنص رواياتهم على أن من استطاع قتله ولم يفعل فعليه من الذنوب ما عليه، وله من العقاب ما له، لذا فإن الشيعة تحرص كل الحرص على تنفيذ أوامر أئمتها المعصومين، وواقع هؤلاء الشيعة مع المسلمين يعطي تجسيدا ملموسا لما تولد عن هذه النصوص والروايات، وما أدت إليه من المجازر والمذابح منذ القرون الأولى، فالوزير عليّ بن يقطين وزير الرشيد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين وكان من خواص الشيعة، فأمر غلمانه فهدوا سقف الحبس على المحبوسين فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل، فأراد الخلاص من تبعات دمائهم فأرسل إلى الكاظم عليه السلام فكتب إليه جواب كتابه، بأنك لو كنت تقدمت إلي قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم، وحيث إنك لم تتقدم إلي فكفر عن كل رجل قتلته

---

(١) تحرير العروة الوثقى للسيد مصطفى الخميني ١/٨٩.

منهم بتيس، والتيس خير منه [١].

وهم يستدلون بهذه الرواية في باب جواز قتل النواصب، ومع أن الرواية نصت على كونهم مخالفين وليسوا نواصب، فإنها أجازت قتلهم وسفك دمهم، ففيها دليل على أن الناصب عندهم هو المخالف، سواء جاهر بعداوة أهل البيت، أو لم يعادهم أصلا. وبهذا يَبرز لنا هذا الوزير الشيعي ثمرة من ثمرات تلك الأحقاد التي غرست بعقيدة الولاية وسقيت بنصوص القتل والتكفير.

ومثله نصير الدين الطوسي والوزير ابن العلقمي فقد وصلت الأمة الإسلامية في أواخر الخلافة العباسية إلى حالة من الضعف والهوان، وتكالبت عليها الأكلة، وكان جيش المغول أكبر خطر كاد أن يقضي على الأمة الإسلامية ويستبيح بيضتها، لولا لطف الله، فاجتاحت جيوشهم العالم الإسلامي من شرق آسيا حتى وصلوا إلى بغداد، وملئوا القلوب رعبا والبلدان دما، ومسحوا مدننا كاملة عن آخرها.

لكن بقيت بغداد معقل الخلافة فلعب هذان الرجلان أكبر دور في هذه الهزيمة، وسجَّلا أعظم خيانة لطخت أيادي الشيعة بالدماء، قبل أن تلطخ جبين الأمة الإسلامية بالعار إلى اليوم، فقد كان نصير الدين الطوسي وزيرا لهولاكو قائد التتار، وجاء معه في جيشه، وكان مقربا ومستشارا له، فأشار عليه بقتل الخليفة وقتل أهل بغداد جميعا.

بينما هيأ الوزير الشيعي ابن العلقمي الظروف من الداخل، فسرح الجيوش متعللا بعدم الحاجة إليهم، حتى بلغوا من القلة والذلة والضعف

---

(١) الأنوار النعمانية ٢/٣٠٨، والنصب والنواصب لمحسن المعلم ص٦٢٢.

إلى حد أنه لم يبق منهم إلا عشرة آلاف، مستغلا ضعف الخليفة وانشغاله بالشهوات، وكان يكاتب المغول ليهون عليهم شأن الخلافة ويشرح لهم الحال، ويدلهم على العورات.

وعندما وصل هولاكو إلى بغداد كان ابن العلقمي أول من خرج بأهله وحشمه لاستقباله، وطلب من الخليفة أن يخرج للقائه ويعرض عليه الصلح مقابل نصف الخراج، وعندما خرج الخليفة في سبعمائة من العلماء والفضلاء والوجهاء، حجبوا عن الدخول إلى هولاكو إلا سبعة عشر نفسا ثم قتلوا جميعا، وعندما رجع الخليفة إلى بغداد، حسن هذين الرجلين لقائد المغول قتل الخليفة، وقالوا إن الأمر لن يستمر على الصلح لو قبلته إلا عاما أو عامين، ثم يشتد عوده وتجتمع قوته فيقاتلك، لذلك عندما خرج إليه الخليفة بالهدايا والتحف قتله وأهله وكل من معه، ودخل بغداد فقتل كل أهلها.

قال ابن كثير في وصف هذه المجزرة: (ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة، فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون) [1].

---

(١) البداية والنهاية ابن كثير ٢٠٢/١٣.

ثم يقول ابن كثير: (وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبا من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعا منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضية، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين، والله غالب على أمره) [(١)].

لكن الشيعة تنظر بعين أخرى إلى هذه الحادثة الأليمة فيقول أحد علمائهم في ترجمة نصير الدين الطوسي: (هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر الجليل إلى أن قال: ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول، حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران، هولاكو خان بن جنكيز خان من عظماء سلاطين التتارية وأتراك المغول، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد، مع كمال الاستعداد، إلى دار السلام بغداد، لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد دائرة الجور والإلباس، بإبداد ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام، في أتباع أولائك الطغام، إلى أن سال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار البوار، ومحل الأشقياء والأشرار [(٢)].

---

(١) السابق ١٣/٢٠٣.

(٢) روضات الجنات في أحوال العلماء السادات ١/٣٠١ لمحمد باقر الخوانساري.

وقد سالت الدماء كما قال، ولكن من تقاة وأطهار، لا من أشقياء وأشرار، وكيف يفرح بهذا مسلم؟ فقد قيل إنه مات في بغداد في هذه الواقعة مليون وثمان مائة ألف، واستمر القتل أسبوعا كاملا، فكانت هذه المجزرة الشيعية التترية من أكبر المجازر التي عرفتها البشرية [١].

ويعتبر الخميني فعلة الطوسي نصرا للإسلام والمسلمين، قال في معرض حديثه عن عقيدة التقية: (إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين، مثل دخول عليّ بن يقطين، ونصير الدين الطوسي رحمهما الله) [٢]. ووصفه الخميني بأنه قدم خدمات جليلة للإسلام فقال: (ويشعر الناس بالخسارة أيضا بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأمثاله ممن قدموا خدمات جليلة للإسلام) [٣].

ومن خيانتهم المعاصرة مجزرة صبرا وشاتيلا التي فعلتها منظمة أمل الشيعية في لبنان والمعروفة حاليا بحزب الله الذي يقوده الشيعي الخبيث حسن نصر الله، لقد تردد في الأوساط الإسلامية قبل سنوات اسم موسى الصدر وحركته الشيعية التي أسسها في لبنان والمسماة حركة أمل، والذي ينساه كثير من الناس أن هذه الشخصية وهذه الحركة كان لهما دور شرس في تقتيل عدد أهل السنة في لبنان، كدور الطوسي وابن العلقمي وغيرهما من الشيعة الحاقدين على أهل السنة، فهي ذرية بعضها من بعض، فبعد الاحتلال اليهودي لأرض فلسطين، انحاز كثير من الفلسطينيين المشردين إلى الدول المجاورة، وكان للبنان نصيب كبير من

(١) انظر تفصيل الواقعة بكاملها في البداية والنهاية ١٣/٢٠٠ وما بعدها.
(٢) الحكومة الإسلامية للخميني ص١٤٢.
(٣) السابق ص١٢٨.

هؤلاء اللاجئين الذين أصبحوا يسكنون في تجمعات خاصة بهم، أطلق عليها اسم مخيمات اللاجئين.

وقد كانت هذه المخيمات كابوسا على طائفتين من الشعب اللبناني، طائفة النصارى الموارنة، وطائفة الشيعة الاثنى عشرية، فقام النصارى باقتحام مخيمي صبرا وشاتيلا سنة ١٩٨٢م على يد فرقة نصرانية مسلحة تعرف بالكتائب، وفرقة من الجيش اليهودي، وارتكبوا أبشع ما يمكن للبشر أن يرتكبه من قتل وتقطيع وتشويه وتعذيب، فأصاب النصارى واليهود حاجتهم، وقضوا من القتل نهمتهم، على مرأى ومسمع من شيعة لبنان وحركة أمل، التي كانت الجناح العسكري للمجلس الشيعي الأعلى، والتي لم تحرك ساكنا لوقف هذا الاعتداء الأثيم في مجزرة صبرا وشاتيلا، ثم جاء دور الشيعة لينالوا نصيبهم، ويقوموا بمجزرة صبرا وشاتيلا الثانية، والتي كانت أنكى على الفلسطينيين وأشد، وتحت ذريعة تسلل مقاومين إلى المخيمات، قامت حركة أمل بقيادة نبيه بري وموسى الصدر، وبدعم من اللواء السادس من الجيش اللبناني، وبتعاون من الدروز بشن هجوم على مخيمي صبرا وشاتيلا ومخيم برج البراجنة في مايو ١٩٨٥م، واستمرت المجزرة قرابة الشهر، ليجري على الفلسطينيين فيها من القتل والتعذيب ما لم يروه من قبل [١].

وقد تأسَّس حزب الله الشيعي في لبنان عام ١٩٨٢م، ولكنه دخل معترك السياسة عام ١٩٨٥م، وقد ولد هذا الحزب من رحم حركة أمل الشيعية اللبنانية المدعومة من إيران. وقد تسمى بداية باسم أمّه حركة أمل الشيعية فتسمّى بأمل الإسلامية رغبة في توسيع نطاقه ليشمل الأمّة

---

(١) أمل والمخيمات الفلسطينية للدكتور عبد الله محمد الغريب ص٣٣ فما بعدها.

الإسلامية، لأن دور حركة أمل اقتصر على النطاق الشيعي السياسي اللبناني، وتكون أمل الإسلامية هي من يتولى نشر التشيّع في لبنان والعالم الإسلامي، وأخذ حزب الشيطان الشيعي صورة المناضل المقاوم الذي يحمل همّ الدفاع عن الأمّة وحماية مقدّساتها، ونظرا لما اقترنت به حركة أمل الشيعية من أعمال وحشية وجرائم بشعة لا تخوّل وليدها أمل الإسلامية من استلام مهام الدفاع عن الأمة، فقد تكوّن حزبٌ جديد هو ما يُعرف اليوم بحزب الله [١].

هذا هو حزب الله الشيعي الذي يقوم بالاستيلاء على مساجد السُّنة في لبنان، وللأسف فإن كثيرا من أبناء جلدتنا فرحوا بانتصارات حزب الله المزعومة واعتبروه فتحا عظيما للإسلام والمسلمين، وما علم هؤلاء أن هذا الحزب يخدم مخططات إيران الرافضية في بلاد المسلمين، وما حزب الله في لبنان إلا بوابة إيران إلى البلدان العربية، ومن يموِّل حزب الله غير قيادتهم في إيران؟

وقد جاء في كتاب "عام قضيته في العراق" للسفير الأمريكي والحاكم المدني الأمريكي للعراق بول بريمر أن المعمم السيستاني رجل متعاون مع القوات الأمريكية، ولكنه لا يريد أن يجتمع مع أحد من القوات علنا، وأثنى على تواصله مع الأمريكان من خلال الوسطاء، وتفهم السفير الوضع الذي لا يمكنه من أن يشاهد علنيا بأنه يتعاون مع القوى المحتلة [٢]. وحتى تعرف نفاق الرافضة وخداعهم للمسلمين

---

(١) المصدر السابق ص١٨١.

(٢) السابق ص٢١٣.

فقد بين بول بريمر هذه الحقيقة بقوله: (فيما كانت وسائل الإعلام العربية والغربية تندب الانقسام المفترض بين آية الله السيستاني والائتلاف، كنت أنا وهو نتواصل بانتظام بشأن القضايا الحيوية من خلال الوسطاء طوال المدة التي قضاها الائتلاف في العراق) [1].

وهل بعد هذا الخيانة من خيانة، فهذا أكبر مرجع للرافضة في العالم يظهر للناس أنه يعارض وجود القوات الأمريكية، أما في الباطن فيراسلهم ويراسلونه بانتظام لأن هدفهم السيطرة على العراق وتقاسم ثرواته، وهذا ليس بغريب على الشيعة، فقد فعل جدهم ابن العلقمي مثل ما فعل في هذا الزمان عبد المجيد الخوئي، ومحمد باقر الحكيم، وعلي السيستاني بالعراق من التعاون مع المحتل، وتسهيل مهمته في غزو بلاد المسلمين.



(١) السابق ص٢١٤.

المطلب السابع

الخوارج والمرجئة فرقتان منحرفتان عن الطريقة النبوية ابتليت بهما الأمة الإسلامية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن الشرك الشيعي ومظاهر الوثنية وتعظيمهم المخلوق كتعظيم الخالق، وبينا أن الشيعية يرون الاستشفاع بالملائكة وقبور الأولياء تقربا إلى الله زلفى، وأن قلوبهم تشابهت مع الصوفية في ابتزاز أموال الخمس والنذور، كما بينا الانحراف الاجتماعي وإباحة الزنا واللواط تحت ما يسمى بجواز المتعة، وأن الشيعة يجعلون للزاني المتمتع والزانية ثوابا عظيما في الدنيا والآخرة.

ثم تحدثنا عن موقف الشيعة الاثنى عشرية من عامة الصحابة ﷺ، وأنهم يكفرون أبا بكر وعمر ويطلقون عليّهما صنمي قريش، بل يتقربون إلى الله بلعنهما دبر كل مكتوبة، ويجعلون لأبي لؤلؤة المجوسي عيدا وشعائر لزيارة قبره لأنه قتل عمر بن الخطاب ﷺ.

وتناولنا موقف الشيعة من أم المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما واتهامهم لهما بوضع السم للنبي ﷺ بعلم من أبويهما، وعلمنا تكفير الشيعة لأهل السنة، وإباحة قتلهم، واستحلال أموالهم، وبينا حكم مناكحة الشيعة للسنة، والصلاة خلفهم، والصلاة عليّهم، كما عرضنا

قضية خيانة الشيعة للأمة الإسلامية، ومعاونة أعدائها في القضاء عليّها بين الماضي والحاضر.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن الخوارج والمرجئة كفرقتين منحرفتين عن الطريقة النبوية ابتليت بها الأمة الإسلامية.

- الخوارج كانوا في أول الأمر من أشد الناس وقوفا مع عليّ.

روى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا يَحِل دَمُ امْرِئ مُسْلم يَشْهَدُ أَن لا إِلهَ إلا اللهُ وَأَني رَسُول اللهِ إلا بإحْدَى ثلاث، النفْسُ بالنفْسِ، وَالثيِّب الزَّاني، وَالمَارِقُ مِن الدِّين التَّارِكُ للجَمَاعَةِ) [1].

إن المفارق للجماعة هو الذي فارق جماعة المسلمين، أي فارق الحق وفارق الإجماع، وخرج من الدين، وأوضح صورة من صور الخروج عن الجماعة هي الخروج من الدين، والخروج من الملة، فتارك الدين المرتد فارق الجماعة من جميع الوجوه، وأهل البدع فارقوا الجماعة، أي فارقوا طريق الجماعة وهي السنة إلى البدعة.

والجماعة أيضا كما أنها اجتماع على المنهج فهي أيضا اجتماع المسلمين على طاعة إمام حق، ونقيضها الخروج على الإمام الحق الذي اجتمعت عليّه الأمة، فمن خرج عليّه فيطلق عليّه: خارج، والفئة التي خرجت يطلق عليّها خارجة، وتجمع على خوارج.

---

(١) البخاري في الديات، باب قوله تعالى: النفس بالنفس ٦/٢٥٢١ (٦٤٨٤)، ومسلم في القسامة، باب ما يباح به دم المسلم ٣/١٣٠٢ (١٦٧٦).

والخوارج في الأصل هم الذين خرجوا زمن عليّ ﷺ بعد حادثة التحكيم يوم واقعة صفين، وقالوا: حكَّم عليّ الرجال في دين الله، وهؤلاء كانوا شبابا أحداث السن، مشغوفون بالعبادة والزهد والتطلع إلى الآخرة، ولكن كان لديهم من ضيق الأفق والنظرة السطحية، ومن الحنق والاندفاع والثورة العمياء ما لم يكن في الصحابة ﷺ، بل هي بعيدة عنهم وعن منهج النبي ﷺ، ذلك المنهج الرحب الذي يقبل الشورى وتعدد الرأي ووجهات النظر في حدود ما قرره الشرع، أما هؤلاء فلا يعرفون إلا أمرا واحدا ورأيا واحدا [١].

والخوارج كانوا في أول الأمر من أشد الناس وقوفا مع عليّ ﷺ، وكانوا يرون أنه على الحق مطلقا، فلما قبل التحكيم في صفين قالوا: حكّم الرجال في دين الله، والحكم لله فهو إذا كفر؛ فكفروا عليّا ﷺ، وخرجوا عليه وفارقوا الجماعة. والنبي ﷺ وصف هذه الفرقة ودل عليها وذكر صفاتها، حتى كأن الإنسان يراها، ولهذا بعد قتلهم في معركة النهروان قال عليّ ﷺ: ابحثوا عن صاحب الثدية، فبحثوا عنه فلم يجدوه، فقال لهم: والله ما كَذَبت ولا كذبت، أي ما كذبت على رسول الله ﷺ، وما كذب علي رسول الله ﷺ فابحثوا عنه، فبحثوا عنه فوجدوه تحت القتلى، فاستخرجوه وفي عضده مثل الثدي، فوقع ما أخبر به النبي ﷺ عليّا [٢].

والشاهد هنا أن النبي ﷺ وصفهم وصفا دقيقا، ومن جملة ما

---

(١) انظر التكفير وضوابطه للشيخ سفر الحوالي بتصرف ص٥.

(٢) سنن النسائي الكبرى، كتاب الخصائص ٥/١٦٣ (٨٥٦٩).

وصفهم به كما جاء في الحديث أنهم يخرجون، وفي رواية يمرقون، ولهذا سُمُّوا خوارج، وهو اسم مشتق من لفظ الحديث، ويُسمون أيضا المارقة اشتقاقا [(١)]. وكانوا يُسمّون القُراء لكثرة اجتهادهم في قراءة القرآن في الصلاة وغيرها، وهم سموا أنفسهم الشراة، لأنهم كما يزعمون شروا أنفسهم لله؛ يعني باعوها في سبيل الله ﷻ، ولا يرضون باسم الخوارج ولا المارقة.

قال أبو الحسن الأشعري: (وللخوارج ألقاب، فمن ألقابهم الوصف لهم بأنهم خوارج، ومن ألقابهم الحرورية، ومن ألقابهم الشراة والحرارية، ومن ألقابهم المارقة، ومن ألقابهم المحكمة، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة؛ فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية، والسبب الذي له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب، والذي له سموا محكمة، إنكارهم الحكمين وقولهم: لا حكم إلا لله، والذي له سموا حرورية نزولهم بحروراء في أول أمرهم، والذي له سمو شراة قولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة) [(٢)].

وقد اجتمع وصفان في الخوارج الأولين، الأول أنهم خرجوا على السنة وهي المنهج القويم والصراط المستقيم، والثاني أنهم خرجوا عن الإمام الحق، ولما طال بهم الزمن أصبحوا فرقة من الفرق المشهورة التي

---

(١) البخاري في المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع ٤/١٥٨١ (٤٠٩٤).

(٢) مقالات الإسلاميين ص١٢٧.

لها منهج معلوم، تطور على امتداد تاريخ المسلمين، فأصبح يطلق اسم الخوارج على من يخرجون عن السنة والدين وإمام المسلمين، ويكفرون المسلمين بالذنوب.

وعليه فلم يعد الخروج عن الإمام السمة البارزة لهم فقط، إذ ليس كل من خرج على الإمام الحق يسمى خارجيا، بل يسمى باغيا، لكن اصطلاح الخوارج أصبح علما على فرقة ذات أصول بدعية، فلا يجوز أن يسمى خارجيا إلا من كان على هذا الوصف المتفق مع أصولهم، وأما من خرج على الإمام فقد اصطلح على تسميته بالباغي وجمعه البغاة، والباغي قد يكون من أهل السنة.

وقد كان أهل الشام خارجين عن طاعة الإمام عليّ ﵁ ، ومع ذلك لم يُسمِّهم خوارج، وإنما كان يعتبرهم بغاة، إذا لو كان الخارجي هو كل من خرج على الإمام، لكان كل من خرج على عليّ ﵁ من أهل الجمل وأهل الشام خوارج، لكن مصطلح الخوارج إذا أطلق فالمراد به من يعتقد عقيدتهم ويسلك مسلكهم، فالخارج على الإمام إن خرج عليه معتقدا اعتقاد الخوارج فهو خارجي؛ وإن خرج على تأويل آخر أو طمعا في الدنيا أو ما أشبه ذلك فيسمى باغيا، وأوضح وصف للخوارج أنهم يكفرون المسلمين بمجرد المعاصي والذنوب التي هي دون الكفر أو الشرك.

- **الخوارج طبقات ودرجات وفرق وإن كان أصلها واحدا.**

وهؤلاء الخوارج طبقات ودرجات وفرق وإن كان أصلها واحدا، ويجب أن ننبه دائما على أن البدعة مدعاة للفرقة، فما ابتدع قوم بدعة

قط إلا وتفرقوا فيها، فأول ما بدأ الرفض والتشيع كان في رجل واحد هو عبد الله بن سبأ اليهودي، ثم أصبحوا كما ورد في كتبهم أكثر من سبعين فرقة، وكذلك الصوفية بدأت بأشخاص زهَّاد يتعبدون الله، والآن أصبحت طرقا صوفية لا تحصى كثرة، بل الطريقة الواحدة تنشق إلى طريقتين في متوالية عددية كانقسام الخلية في بدن الإنسان.

وبما أن البدعة دائما ما تكون مدعاة للفرقة، فإن الناس لا يجمعهم إلا منهج أهل السنة والجماعة الذي هو المنهج الحق، فالخوارج أول ما خرجوا كانوا فرقة واحدة، وكانوا رأيا واحدا، كل همهم تكفير عليّ ﷺ، ثم كفروا أيضا عثمان ﷺ، وكفروا بطبيعة الحال معاوية وعمرو بن العاص ﷺ. بل لما كانت معركة الجمل، وكانوا مع عليّ ﷺ كفروا أصحاب الجمل، وهكذا أخذوا يكفرون من لم ينهج منهجهم حتى إنه لم يسلم من تكفيرهم من الأمراء المؤمنين أو الخلفاء إلا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولهذا لما أرسل إليهم عليّ ﷺ من يناظرهم قالوا: لا نبايعه ولا نرجع في طاعته، وقالوا: إن جئتمونا بمثل عمر دخلنا في طاعته، وعليّ ليس كعمر، فمن أين نأتي بمثل عمر؟

وليت الخوارج رضوا بعد المناظرة وجهد المحاولة في إقناعهم أن يبايعوا عليّا ﷺ، لكنهم أبوا واستمروا بلا راية حتى اجتمعوا في مكان يقال له حروراء، ولهذا يقال لهم حرورية، كما قالت أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها: أحرورية أنتِ؟ عندما سألتها امرأة: لماذا تقضي الحائض الصيام ولا تقضي الصلاة؟ [(١)]. تريد أن تكشف لنا منهج الخوارج،

---

(١) البخاري في الحيض، باب لا تقضي الحائض الصلاة ١/١٢٢ (٣١٥).

وهو الاعتراض على حكم الله ورسوله ﷺ، أما المؤمنون فهم يسلّمون ولا ينازعون ولا يجادلون، لأن الدين يتمثل في تصديق الخبر وتنفيذ الأمر، وهو السمع والطاعة لله ورسوله ﷺ .

وبعد أن تجمع الخوارج في حروراء وهو موضع قريب من الكوفة أمَّروا عليهم رجلا من بني تميم يقال له عبد الله بن وهب الراسبي، والعجيب أنهم خرجوا على علي رضي الله عنه، ليطالبوا بالطاعة لمن هو في منزلة أبي بكر وعمر، ثم أمَّروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي، وهو أعرابي بوّال على عقبيه، ليس له سابقة في الإسلام ولا فضل، ولا شهد الله له بخير، وليتهم أمروا أحد الصحابة.

وبعد عام الجماعة بقي الأمر في مدة خلافة معاوية رضي الله عنه هادئا، وكانت تلك العشرون سنة التي تولى فيها معاوية رضي الله عنه من أفضل وأصلح العصور بعد الخلافة الرشيدة، حيث هدأت فيها الأحوال وسكنت فيها الفتن، وانصرف الناس إلى العلم، وكثير من الأحاديث والآثار إنما رويت في هذه الفترة، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يأتي بعده معاوية يزيد، ومع يزيد ظهرت الفتن واستشرت، ومنها انتشار الخوارج، ثم بعد ذلك كان ظهورهم أشد في أيام عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي، لكنهم تطوروا بعد ذلك وتفرقوا فرقا متعددة، وحكموا بعض الأقطار [(١)].

- **الأزارقة هم أعظم فرق الخوارج غلوا وأبعدهم عن السنة.**

ونستطيع على سبيل الإجمال أن نصنف الخوارج بحسب غلوهم إلى

---

(١) التكفير وضوابطه للشيخ سفر الحوالي ص١٠ بتصرف.

ثلاثة أصناف رئيسية، وإلا فهم فرق كثيرة، فالأزارقة هم أعظم الخوارج غلوا، وأبعدهم عن السنة، وقد ظهرت الأزارقة بعد المحكمة الأولى وهم أصحاب النهروان، وترأسهم نافع بن الأزرق (ت:٦٥هـ) الذي هو شيخهم وإمامهم، وهو مشهور في كتب التفسير كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور وتفسير الطبري، وحتى في البخاري لكن لم يسمه، وهو الذي عرف بسؤالاته لابن عباس عندما كان يسأله ويجيبه ابن عباس فلا يقبل منه ويجادله.

روى ابن أبي حاتم عن يوسف بن ماهك أنه حدث أن نافع بن الأزرق صاحب الأزارقة كان يأتي عبد الله بن عباس، فإذا أفتى ابن عباس يرى هو أنه ليس بمستقيم فيقول: قف، من أين أفتيت بكذا وكذا؟ ومن أين كان؟ حتى ذكر ابن عباس ﷺ يوما الهدهد فقال: يعرف بعد مسافة الماء في الأرض، فقال له ابن الأزرق : قف، قف يا ابن العباس، كيف تزعم أن الهدهد يرى مسافة الماء من تحت الأرض، وهو ينصب له الفخ، فيذر عنه التراب فيصطاد؟ فقال ابن عباس: لولا أن يذهب هذا فيقول: كذا وكذا، لم أقل له شيئا، إن البصر ينفع ما لم يأت القدر، فإذا جاء القدر حال دون البصر. فقال ابن الأزرق: لا أجادلك بعدها في شيء[1].

وكان نافع بن الأزرق يعتقد أن المسلمين جميعا كفار، وأن الأمة بأجمعها كافرة، إلا نافعا أوجب على من كان معه أن يهاجر إليه وينضم معه على الخروج والهجرة، ومن كان على عقيدتهم ولم يهاجر إلى

(١) الدر المنثور للسيوطي ٣٤٩/٦.

الأزارقة وينضم إليهم فهو عندهم كافر، ولو أن إنسانا محبوسا لا يستطيع أن يتخلص من ظلم الحجاج أو من سيطرته مثلا، فلم يخرج ولم يهاجر إلى نافع ويلتحق بجيشه فهذا عندهم كافر، بل يسمونه وأمثاله القعدة أو القاعدين من أولي الضرر، فكان نافع يكفر القعدة، ويرى أن دارهم كلها دار كفر، فكل الأمة الإسلامية دار كفر إلا معسكره فقط، وهو فكر جماعة التكفير والهجرة في عصرنا[١].

وذكر الاسفرايني أن الخوارج الأزارقة أتباع رجل يقال له أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفي، لم يكن لقوم أكثر منهم عددا وأشد منهم شوكة، ولهم مقالات فارقوا بها المحكمة الأولى وسائر الخوارج، منها أنهم يقولون أن من خالفهم من هذه الأمة فهو مشرك، والمحكمة كانوا يقولون أن مخالفهم كافر ولا يسمونه مشركا، ومما اختصوا به أيضا أنهم يسمون من لم يهاجر إلى ديارهم من موافقيهم مشركا، وإن كان موافقا لهم في مذهبهم، وكان من عاداتهم فيمن هاجر إليهم أن يمتحنوه بأن يسلموا إليه أسيرا من أسراء مخالفيهم وأطفالهم ويأمرونه بقتله، ويزعمون أيضا أن أطفال مخالفيهم مشركون، ويزعمون أنهم يخلدون في النار[٢].

وأول من أظهر هذه البدع الزائدة على أولئك، رجل منهم يدعى عبد ربه الكبير، وقيل عبد ربه الصغير، وقيل عبد الله بن الوضين، وكان نافع بن الأزرق يخالفه حتى مات ثم رجع إلى مذهبه، وقد أطبقت

(١) التكفير وضوابطه للشيخ سفر الحوالي ص١١.

(٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لطاهر بن محمد أبي المظفر الاسفراييني ص٤٩ نشر عالم الكتب لبنان ١٤٠٣هـ.

الأزارقة على أن ديار مخالفيهم ديار كفر، وأن قتل نساءهم وأطفالهم مباح، وأن رد أماناتهم لا تجب لنص كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾النساء:٥٨. وهم ليسوا من أهلها.

وزعموا أيضا أن الرجم لا يجب على الزاني المحصن خلافا لإجماع المسلمين، وقالوا: إن من قذف رجلا محصنا فلا حد عليه، ومن قذف امرأة محصنة فعليه الحد. وقالوا: إن سارق القليل يجب عليه القطع، وهذه بدع زادوا بها على جميع الخوارج.

وفرقة الأزارقة غلبوا على بلاد الأهواز وأرض فارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير حين بعث عاملا له على البصرة، فأخرج سرية إلى قتالهم وهم ألف مقاتل، فقضي عليهم الخوارج، ثم بعث إليهم بثلاثة آلاف من المقاتلة، فظفر الخوارج أيضا بهم، فبعث عبد الله بن الزبير من مكة كتابا وجعل قتالهم إلى المهلب بن أبي صفرة حتى جمع عسكرا عظيما وهزم نافع بن الأزرق وقتله.

ثم بايعت الأزارقة بعده رجلا آخر منهم فهزمه المهلب بن أبي صفرة أيضا وقتلوه في الهزيمة، فبايعوا قطري بن الفجاءة التميمي، وسموه أمير الموت، وكان المهلب يقاتلهم حتى هزمهم، وانحازوا إلى سابور من بلاد فارس، وجعلوا ذلك دار هجرتهم، وكان المهلب وأولاده يقاتلونهم تسع عشرة سنة، بعضها في زمان عبد الله بن الزبير، وبعضها في زمان عبد الملك بن مروان[1].

---

(١) المصدر السابق ص٥٠.

ولما ولي الحجاج بن يوسف العراق أقر المهلب على قتالهم، وكان يقاتلهم إلى أن ظهر الخلاف بين الخوارج، وخالف عبد ربه الكبير قطريا وخرج إلى جيرفت كرمان في سبعة آلاف رجل، فقاتله المهلب إلى أن هزمه، ثم تتبع بأمر الحجاج بن يوسف بقيتهم في الري وطبرستان وغيرها من البلدان، وطهر الله الأرض من جملة الأزارقة (١).

ومن مطاعنهم على أصحاب رسول الله ﷺ وخاصة على عليّ ﷺ أن نافع بن الأزرق وهو من كبار الخوارج قال: إن عليّ بن أبي طالب قد كفر وافترى على الله تعالى، وإن الله أنزل في شأن عليّ بن أبي طالب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾البقرة:٢٠٤/ ٢٠٥. وقبح الله هذا الخارجي كيف يقول هذا الكلام في عليّ ﷺ؟

وذكر نافع بن الأزرق أن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل عليّ بن أبي طالب ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾البقرة:٢٠٧ . وهذا الكلام باطل، بل هذا من الانحراف عن منهج الله.

لقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تحذر من هؤلاء الخوارج وتبين انحرافهم، وبين النبي ﷺ في غير حديث أن المسلم لا ينبغي له أن يغتر بالشخص مهما كثرت صلاته وعبادته، وإنما العبرة بالمنهج الذي

---

(٢) المصدر السابق ص٥١.

يتابعه وهل ينطبق مع منهج الصحابة والتابعين أم يفارقه؟

ولهذا لما وصف النبي ﷺ الخوارج قال: (تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق) [1]. وذكر النبي ﷺ أن في وجوههم مثل ركب المعز من كثرة السجود، وأنهم يَبكون ويؤثرون فيمن حولهم، ومع ذلك قال النبي ﷺ للصحابة ﷺ: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم) [2]. إلى غير ذلك مما يبين أنهم ليسوا على الحق مع كثرة ما يعملون من الطاعات والعبادات.

- **النجدات خففوا من غلو الأزارقة في التكفير ولزوم الهجرة.**

لما جاء نافع بن الأزرق بهذا الغلو والتشدد في التكفير العام للأمة خالفه رجل من أتباعه يدعى نجدة بن عامر الحنفي (ت:٦٩هـ)، فخفف الغلو فقط، وقال: من كان على مذهبنا، ولم يستطع أن يهاجر إلينا لا يكفر، ومن أقمنا عليه الحد لا يكفر.

وكلاهما متفقان على أن عليًّا ﷺ وعثمان ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة وغيرهم كفار، لكن اختلفوا في مسائل تتعلق بالتكفير، فالطائفة الأشد غلوا هم الأزارقة إذ يرون التكفير العام المطلق، وأقل منهم غلوا أو الوسط في مذهب الخوارج النجدات أتباع نجدة بن عامر الحنفي، الذي خفف قليلا من غلو الأزارقة، وبقيت مصائب أخرى لم يخففها، وخرج من الأزارقة ومن النجدات أيضا فرق وطوائف ومقالات، لكنهم اجتمعوا على تكفير عثمان ﷺ؛ لأنه تأصل لديهم أن كل من

---

(١) مسلم في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/٧٤٥ (١٠٦٤).

(٢) البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٣/١٣٢١ (٣٤١٤).

ارتكب معصية فهو كافر، ولو كان مؤمنا لم يعص، فعندهم أن عثمان ﷺ قد فعل أمورا خالف فيها سيرة الشيخين.

وعدم فهم حقيقة الإيمان هو أصل ضلال الفرق المخالفة من المرجئة أو الخوارج في القديم أو الحديث واعتبارهم أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبعض ولا يتجزأ ولا يتركب، وليس عندهم تدرج، بل نفي للإيمان بالكلية بأي معصية، بخلاف الإيمان عند أهل السنة والجماعة فإنه بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، فالناس يتفاوتون في إيمانهم وفي صلاتهم وفي صيامهم وفي زكاتهم وفي حجهم تفاوتا واختلافا كبيرا، فقد يصلي الرجلان في الصف الواحد وبين صلاتهما بون عظيم، وهذا شيء واضح ومعلوم.

ذكر طاهر بن محمد الاسفرايني أن النجدات هم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، وكان من حاله أنه لما أطلق نافع بن الأزرق على من امتنع من نصرته مشركا، وأباح قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم، خرج عليه قوم من أتباعه وصاروا إلى اليمامة، وبايعوا نجدة وقالوا: إن من يقول ما قاله نافع فهو كافر، ثم افترق هؤلاء ثلاث فرق وخرجوا على نجدة، فصار فريق منهم مع عطية بن الأسود الحنفي إلى سجستان، وخوارج سجستان أتباع هؤلاء، ولذلك كانوا يدعوْن العطوية.

وصار فريق منهم تبعا لرجل كان يقال له أبو فديك، وكانوا يقاتلون نجدة حتى قتلوه، وإنما خرج هؤلاء عليه لأنهم أخذوا عليه أشياء، منها أنه بعث جندا للغزو في البر وجندا في البحر، ثم فضل في العطاء من

بعثه في البحر، فأنكروا عليه وقالوا: لم يكن من حقه أن يفضل هؤلاء، والأمر الثاني الذي أنكروه عليه أنهم قالوا: إنك بعثت جندا إلى المدينة حتى أغاروا عليها، وسبوا جارية من أولاد عثمان بن عفان، وكاتبه في ذلك المعنى عبد الملك بن مروان، فاشتراها نجدة ممن كانت في يده، وبعثها إلى عبد الملك بن مروان، فأخذوا عليه هذا وقالوا: إنه رد جارية غنمناها إلى عدونا، وقالوا له: تب. فتاب، وقال قوم منهم إنه كان معذورا فيما فعل، وقالوا له: كان لك أن تجتهد، ولم يكن لنا أن نستتيبك، فتب عن توبتك فتاب. واختلفوا عليه كما سبق إلى أن قتله أبو فديك وبعث عبد الملك بن مروان جندا إلى أبي فديك فقتلوه، وكفى الله المسلمين شرهم [(١)].

- **الإباضية من فرق الخوارج لا يزال لها أتباع وأنصار في أماكن كثيرة.**

الإباضية فرقة من الخوارج لا يزال لها أتباع وأنصار في أماكن كثيرة من العالم، وهي تنسب حسب زعم الخوارج إلى جابر بن زيد الأزدي الذي يقدمونه على غيره ويروون عنه مذهبهم، وهو من تلاميذ ابن عباس ﷺ، وقد ذكر ابن حجر أن جابر بن زيد تبرأ من الإباضية، وأنه لما قيل له: إن هؤلاء القوم ينتحلونك يعني الإباضية قال: أبرأ إلى الله من ذلك [(٢)].

وقد نُسِبوا إلى عبد الله بن إباض لشهرة مواقفه مع الحكام، واسمه

---

(١) التبصير في الدين لأبي المظفر الاسفراييني ص٥٢.

(٢) دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، لبكير بن سعيد ص٢٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/٩٣، وتهذيب التهذيب ٢/٣٤.

عبد الله بن يحيى بن إباض المري من بني مرة بن عبيد، وينسب إلى بني تميم، وهو تابعي، عاصر معاوية وابن الزبير، وكانت له آراء واجه بها الحكام، وهذا هو اسمه المشهور عند الجمهور[1].

وقد قامت للإباضية دولتان، إحداهما في المغرب والأخرى في المشرق، فعُمَان يتمتع المذهب الإباضي فيهما بالنفوذ والقوة، وقد ساعد انتشار المذهب الإباضي في عُمَان بعْدُها عن مقر الخلافة، ثم مسالكها الوعرة، ويرجع دخول المذهب الإباضي عُمَان إلى فرار بعض الخوارج بعد معركة النهروان إلى هذا البلد، كما يرى بعض العلماء.

أما بالنسبة لدولة الإباضية في المغرب فإن قيام هذه الدولة كان نتيجة لانتشار المذهب الإباضي هناك بين قبائل البربر بسبب من انتقل إليهم من الخوارج، وكان أول زعيم لهم هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وأتباعه، استولوا على طرابلس، ثم عيَّن عبد الرحمن الرستمي قاضيا عليها، وواصل أبو الخطاب انتصاراته، ولكن جيش الخلافة العباسية دحرهم في معركة قتل فيها أبو الخطاب وتفرقت الإباضية، ثم قام عبد الرحمن الرستمي الذي يعتبر مؤسس الدولة الرستمية الإباضية في المغرب بمحاولات الاستقلال، وتمت له السيطرة على أماكن كثيرة، وسلموا عليه بالخلافة سنة١٦٠هـ، وهو فارسي الأصل، وقد توفي سنة ١٧١هـ، فاختاروا ابنه عبد الوهاب الذي واصل تنمية المذهب، واجتمعت عليه الكلمة إلى أن مات، فخلفه ابنه أفلح بن عبد الوهاب،

---

(١) لسان الميزان للذهبي ٢٤٨/٢، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص١٠١، والملل والنحل للشهرستاني ١٣٤/١، وانظر الإباضية بين الفرق الإسلامية لعلي يحيى معمر ص٣٥٣.

وسار على طريقة والده وأحبه الناس، وبعد وفاته تولى ابنه أبو اليقظان محمد ابن أفلح، فأحب الناس سيرته إلى أن توفي فخلفه ابنه أبو حاتم يوسف بن محمد بن أفلح إلا أن العلاقة ساءت بينه وبين عمه يعقوب بن أفلح، ودارت بينهم معارك هائلة، ومن هنا بدأت الدولة الرستمية في الأفول وانتهت أسرتهم سنة ٢٩٦هـ[١].

أما موقف الإباضية من المخالفين لهم فمعاملة الإباضية لمخالفيهم تتسم باللين والمسامحة وجوزوا تزويج المسلمات من مخالفيهم، والإباضية تعتبر المخالفين لهم من أهل القبلة كفارُ نعمةٍ غير كاملي الإيمان، ولا يحكمون بخروجهم من الملة، ومن الإباضية من يرون أن مخالفيهم محاربون لله ورسوله، والقارئ لكتب علماء الفرق يجد أنهم متعارضون في النقل عنهم إلا أن يقال بأن طائفة من الإباضية معتدلون وآخرون متشددون، ومن الأمور المتفق عليها عند سائر الخوارج الترضي التام والولاء والاحترام للخليفتين الراشدين أبى بكر وعمر، ولم تخرج فرقة منهم عن ذلك.

أما بالنسبة للخليفتين الراشدين الآخرين عثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما فقد هلك الخوارج فيهما وذموهما مما برأهما الله عنه، ونفس الموقف الذي وقفه الخوارج عموما والإباضية أيضا من الصحابة السابقين وقفوه من طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وأوجب لهما النار أبو يعقوب الورجلانى أحد علمائهم [٢] .

---

(١) فرق معاصرة للعواجي ١/١٧٩.

(٢) السابق ١/١٨٦.

وقد بشرهما الرسول ﷺ بالجنة، وهؤلاء الخوارج يوجبون عليهما النار، فسبحان الله ما أجرأ أهل البدع والزيغ على شتم خيار الناس بعد نبيهم الذين نصروا الإسلام بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ومات الرسول ﷺ وهو راض عنهم! فإذا كان أخص أصحاب محمد ﷺ غير مرضيين عند هذه الطوائف من خوارج وشيعة فمن المرضى بعد ذلك؟

وللإباضية أفكار عقدية وافقوا فيها مذهب المعتزلة والأشعرية في صفات الله، فمنهم فريق نفى الصفات نفيا تاما خوفا من التشبيه بزعمهم، وفريق منهم يرجعون الصفات إلى الذات، فقالوا إن الله عالم بذاته وقادر بذاته وسميع بذاته إلى آخر الصفات، فالصفات عندهم عين الذات، فلا يثبتون لله وجها ولا عينا ولا غير ذلك مما هو ثابت، ويؤولون ذلك بالذات، وقد شنع أبو يعقوب الورجلانى على الذين يثبتون الصفات بأنهم مشبهة كعباد الأوثان، وأن مذهب الحق حسب زعمه تأويل الصفات، فاليد النعمة والقدرة، والوجه الذات ومجيء الله مجيء أمره لفصل القضاء، لأن إثبات الصفات لله عنده هو عين التشبيه كما زعم[١].

ومعظم الإباضية يسمون المذنب كافرا كفر نعمة ومنافقا، وفى الآخرة مخلد في النار إذا مات من غير توبة، فوافقوا سائر الخوارج في الحكم على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار إذا مات قبل التوبة، بناء على اعتقاد إنفاذ الوعيد لا محالة، واستدلوا بسائر أدلة الخوارج على كفر مرتكب الكبيرة وخلوده في النار.

---

(١) انظر الدليل لأهل العقول للورجلاني ص٣٢.

وأما مسألة الإمامة والخلافة فالإباضية يزعمون أنه قد يستغنى عن نصب الخليفة، ولا تعود إليه حاجة إذا عرف كل واحد الحق الذي عليه للآخر، وهذا القول أكثر ما شهر عن المُحكمة والنجدات[١]. وإن كان بعض كتابهم ينفي هذا القول عنهم ويعتبرونه من مزاعم خصومهم عنهم، وأن مذهبهم هو القول بوجوب نصب حاكم للناس[٢].

والخوارج كافة ينظرون إلى الإمام نظرة صارمة هي إلى الريبة أقرب، ولهم شروط قاسية قد لا تتوفر إلا في القليل النادر من الرجال، وإذا صدر منه أقل ذنب فإما أن يعتدل ويعلن توبته وإلا فالسيف جزاؤه العاجل، وقد جوَّز الإباضية كأهل السنة صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل خلافا لسائر الخوارج، وجوَّز الإباضية التقية خلافا لأكثر الخوارج[٣].

- **الخوارج تشعبت فرقا كثيرة لا تكاد تحصى بعد الأزارقة والنجدات.**

والخوارج فرق كثيرة منها البيهسية أتباع أبي بيهس، ومذهبهم أن من لا يعرف الله تعالى وأسماءه وتفاصيل الشريعة فهو كافر، والعجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد، وعندهم أن سورة يوسف ليست من القرآن لأنها في شرح العشق والعاشق والمعشوق، ومثل هذا لا يجوز أن يكون كلام الله تعالى، ومنها الصلتية أتباع عثمان بن أبي الصلت، وعندهم أن من دخل في مذهبهم فهو مسلم، وإنما يحكمون بإسلام

(١) دليل الخليج لوريمر ٣٣٠٣/٦.

(٢) غاية المراد للسالمي ص١٨.

(٣) انظر الإباضية بين الفرق الإسلامية لعلي يحيى معمر ص٤٦٢ .

الأطفال من حين بلوغهم[1].

ومنها الميمونية أتباع ميمون بن عمران وعندهم يجوز نكاح بناتهم، ولا يرون أن الشر من خلق الله تعالى، ومنهم الحمزية أتباع حمزة بن أدرك، وهم يقطعون بأن أطفال الكفار في النار، ومنهم الخلفية أتباع خلف وهم لا يرون أن الخير والشر من خلق الله تعالى، ومنهم الأطرافية وهم يقولون إن من لم يعلم أحكام الشريعة من أصحاب أطراف العالم فهو غير معذور[2].

ومنهم الشعيْبية أصحاب شعيب بن محمد، يوافقون بقية الخوارج في البدع، ومنهم الثعلبية أتباع ثعلب بن عامر وهم على ولاية الأطفال إلا إن ظهر منهم باطل في وقت التكليف، ومنهم الأخنسية أصحاب أخنس بن قيس، وهم يتبرءون من كل من لا يوافقهم ولا يسكن في بلاد مخالفهم، ومنهم المعبدية أصحاب معبد وهم لا يجوزون نكاح كل امرأة تخالف الدين[3].

ومنهم المكرمية أصحاب مكرم الخارجي، وهم يقولون بأن تارك الصلاة كافر، لا لأنه ترك الصلاة، بل لأنه جاهل بالله، ومنهم المعلومية والمجهولية، أما المعلومية فيقولون من لم يعرف الله تعالى بسائر أسمائه فهو

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لمحمد بن الحسين الرازي ص٤٧، والتبصر في الدين لأبي المظفر الاسفراييني ص٥٣.

(٢) السابق ص٤٨، والملل والنحل للشهرستاني ١/١٣٠.

(٣) التبصير في الدين ص٥٥، والملل والنحل ١/١٣١، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص٩٤.

كافر، وأما المجهولية فيقولون إن معرفة جميع الأسماء ليست بواجبة، ومنهم الأصفرية أتباع زياد بن الأصفر يجوزون التقية في القول دون العمل، ومنهم الحفصية أتباع أبي جعفر بن أبي المقدام الحفصي يقولون إن بين الإيمان والشرك خصلة أخرى وهي معرفة الله تعالى[1].

- **الإمام الشعبي رحمه الله يضرب مثلا للخوارج وسوء أفعالهم.**

ذكر ابن سعد عن الإمام الشعبي أنه ضرب للخوارج مثلا فقال: شأن هؤلاء كرجل مات وترك ثلاثة أبناء، كبير وأوسط وصغير، فجاء الكبير فاستأثر بالمال كله، ولم يترك للاثنين شيئا، فجاء الأوسط للأصغر، وقال له: أعني على قتال الكبير، فقال الأصغر لا أستطيع أن أقاتله، ولكن اصبر واحتسب، فعدا الأوسط على الصغير وقاتله لأنه لم يخرج معه، ولم يقاتل معه الأكبر[2].

هذا المثل المبسط يدلنا على حقيقة وضع الخوارج، فعبد الملك بن مروان أو الحجاج بن يوسف جعل بيت المال كأنه بيته الخاص، وذهبت أغلب الأموال في غير موضعها فظلم الناس، فجاءت الخوارج وقالوا للناس اشتركوا معنا لنقاتل هؤلاء، فأبوا وقالوا نصبر على الظالمين، فأخذوا يستحلون أموال الناس لأنهم لم يخرجوا معهم.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٣٥، وانظر الاعتصام للشاطبي ٢/٢١٩.

(٢) التكفير وضوابطه للشيخ سفر الحوالي ص١٨. ورد عن الشعبي أنه قال: لقيت علقمة فقال: أتدرى ما مثل علي ﷺ في هذه الأمة؟ قال: قلت: وما مثله؟ قال: مثل عيسى بن مريم ﷺ أحبه قوم حتى هلكوا في حبه، وأبغضه قوم حتى هلكوا في بغضه. أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة ٢/٥٧١.

وأكثر ما نقم الخوارج على بني أمية لم يكن لمخالفتهم في الاعتقاد وإنما لمخالفاتهم في المال، ولا شك أن بني أمية خاصة بعد معاوية ﷺ خالفوا سيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين في بيت المال؛ ولذلك فإن أبا بكر ﷺ بعد أن بويع بالخلافة أراد أن يسعى في طلب الرزق ويعمل، فقالوا: يا خليفة رسول الله إلى أين؟ قال: عيالي؛ فرتبوا له من بيت المال ما يكفيه. وكذلك عمر ﷺ بلغ من عدله مع أهله وأبنائه، أنه لم يسمح لأحدهم أن يأخذ من بيت المال درهما واحدا.

بل ذكر عنه ﷺ أنه ذهب مرة إلى السوق فوجد إبلا سمانا أسمن من غيرها من الإبل فقال: لمن هذه الإبل؟ قالوا: هذه لابنك عبد الله بن عمر ﷺ، فدعاه فقال: يا عبد الله! هذه الإبل لك؟ قال: نعم. قال: مالي أراها أسمن من غيرها ؟ قال: والله يا أمير المؤمنين: لا علم لي، هذه إبلي، واستأجرت لها الرعاة يرعونها، قال: لا. هذه الإبل إذا ذهبت عند الماء قيل: إبل ابن أمير المؤمنين فتشرب قبل إبل المسلمين، وإذا ذهبت في مرعى قالوا: دعوها ترتع؛ لأنها إبل ابن أمير المؤمنين، فلذلك كانت أسمن من غيرها، بيعوها، ولك يا عبد الله رأس مالك، والباقي رده إلى بيت مال المسلمين[1].

ذكر ابن الجوزي وابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز ﷺ في أيامه أخذ المظالم فردها إلى المظلومين، ومن جملة ما رد من المظالم ضيعة كانت لرجل غني، فجاء هذا الرجل بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ﷺ بزمن إلى هشام بن عبد الملك وقال: يا أمير المؤمنين! إنه كانت لي

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٦/١٤٧ (١١٥٩١).

ضيعة أو بستان وهبني إياها أبوك عبد الملك، وأقرني عليها أخوك الوليد وأخوك سليمان، ثم جاء عمر رحمه الله فنزعها مني، وأرجو أن تعيدها لي، فقال: أعد ما تقول! قال: إنه كانت لي ضيعة أعطاني إياها أبوك عبد الملك ثم أقرني عليها أخواك الوليد وسليمان حتى جاء عمر رحمه الله فنزعها مني، فتعجب هشام سبحان الله! يترحم على من أخذها، ولا يترحم على من أعطاه[1].

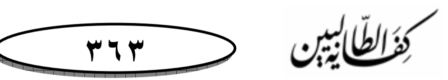
كان الظالم يترحم على عمر بن عبد العزيز، لأن الأمة بفطرتها تشهد له أنه على الحق وإن كان حَرَمَها ما تشتهي أنفسها من التجاوز، لكنه لم يظلمها، فكان الخلاف في مسألة بيت المال أوضح ما كان عند الخوارج، كانوا يجادلون من يجادلونهم في هذا، ولهذا لما قدموا على أبي مجلز السدوسي التابعي المشهور يناظرونه في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المائدة:٤٤. قالوا: أليس هؤلاء الحكام يحكمون بغير ما أنزل الله؟ قال: بلى، قالوا: إذا هم كفار وأنت وأمثالك تداهنونهم، قال: لا، إن دينهم الذي يدينون به هو الحكم بما أنزل الله، ولكنهم يخالفون في بعض العمل[2].

والكفر ليس مجرد المخالفة في بعض العمل، لأن المخالفة في بعض العمل تسمى معاصي وذنوبا، فهؤلاء الخوارج مذهبهم أن من ارتكب كبيرة فهو كافر، وعليه فالحجاج وعبد الملك والوليد كلهم عندهم كفار هم ومن أقر لهؤلاء بأنهم ولاة أمر للمسلمين.

---

(١) التكفير وضوابطه للشيخ سفر الحوالي ص٢٠.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٦/٢٥٢.



- **مخالفة الخوارج لمنهج السلف أوقعهم فيما هو أكبر من المعاصي**

إن مخالفة الخوارج لمنهج السلف جعلهم يقعون فيما هو أكبر من المعاصي، فهذا الخارجي الذي كان يقول إذا خالف الإنسان آية أو حديثا يكفر أصبح يخالف أمورا كثيرة، فزعمت الخوارج أن الرجم لم يرد في كتاب الله، وإنما ذكر الله الجلد فقال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ النور:٢ . فأين الرجم؟

وهكذا بدءوا ينكرون السنة، فإن جئت بالحديث عن عليّ أو عائشة أو طلحة أو الزبير أو ابن عباس كذبوا به، لأن هؤلاء عندهم كفار، أو من جنود السلطان وأتباعه، وإن كان أصل الخوارج هو التشدد والتنطع في العبادة إلا أنهم خرجوا عن الدين كما قال عبد الله بن عباس ﷺ وقد أدرك مقالتهم قال: من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن[١]؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ الحشر:٧. وقال: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥﴾النساء:١٥ . والسبيل كما قال رسول الله ﷺ: هو الرجم[٢].

وأيضا كانت للرجم آية تقرأ: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما

(١) النسائي في الرجم، باب تثبيت الرجم ٤/٢٧٥ (٧١٦٢)، والحاكم في المستدرك ٤/٤٠٠ (٨٠٦٩).

(٢) البيهقي في الحدود، باب ما يستدل به على أن السبيل هو جلد الزانيين ورجم الثيب ٨/٢١٠ (١٦٦٨٥)، ومسند الطيالسي ١/٧٩ (٥٨٤).

البتة، ثم نسخت تلاوتها، وبقي حكمها [١].

والمقصود أن بعض الخوارج كفر ببعض الحدود بعد أن كانوا يتشددون ويقولون: من زنى كفر، فكفروا هم بالرجم، وكفروا بالقرآن بعد أن كانوا يرون من خالف آية منه أو حرفا منه كافرا، وظهر من فرق الخوارج من يقول: إن سورة يوسف ليست من القرآن؛ والقرآن لا يمكن أن يكون فيه العشق، فكفروا وآل بهم الحال بعد التشدد والغلو في الدين إلى أن خرجت منهم طوائف كثيرة عن دين الله.

قال ابن تيمية: (إن الخوارج يعظمون القرآن، ويوجبون اتباعه، وإن لم يتبعوا السنن المخالفة لظاهر القرآن، وهم يقدحون في علي وعثمان ومن تولاهما، وإن لم يقدحوا في أبي بكرٍ وعمر) [٢].

وقال: (أصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب، ويعتقدون ذنبا ما ليس بذنب، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب وإن كانت متواترة، ويكفرون من خالفهم، ويستحلون منه لارتداده عندهم ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي، كما قال النبي ﷺ فيهم: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان. ولهذا كفروا عثمان وعليا وشيعتهما؛ وكفروا أهل صفين الطائفتين في نحو ذلك من المقالات الخبيثةِ) [٣].

---

(١) ابن ماجه في الحدود، باب الرجم ٢/٨٥٣ (٢٥٥٣)، وانظر إرواء الغليل للشيخ الألباني ٨/٣.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٦/٥٢٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٣/٣٥٥.

ويمكن القول إن أبرز معتقدات الخوارج يتمثل في تكفيرهم لمرتكب الكبيرة، بناء على سوء فهمهم لكتاب الله حيث أنزلوا الآيات التي نزلت في الكفار أنزلوها على المؤمنين العصاة وتمسكوا بظواهر النصوص من غير اعتبار للآيات الأخرى، كما أنهم أوجبوا الخروج على الأئمة إذا وقعوا في معصية باعتبار أنهم كفار وأنكروا الشفاعة، وذلك بناء على أن صاحب المعصية كافر وبالتالي لا تنفعه الشفاعة، وكذلك كفروا بعض الصحابة كعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، وأم المؤمنين عائشة وكل من رضي بالتحكيم، وأما في جانب العقيدة فأغلبهم معطلة ينكرون صفات الله ويقولون بخلق القرآن، وينكرون الرؤية في الآخرة.

- **المرجئة فرقة من أوائل الفرق الإسلامية التي ظهرت كرد فعل للخوارج.**

المرجئة من أوائل الفرق التي تنتسب إلى الإسلام في الظهور، وقد احتلت مكانا واسعا في أذهان الناس، واهتم العلماء بأخبارهم وبيان معتقداتهم، وهم بين مدافع عنهم ومحاج لهم، وبين معجب بأدلتهم وداحض لها، ولقد أخذت تلك الخصومات أشكالا من العنف واللين، ولكنها ذهبت حول تقرير حقيقة الإرجاء والرد عليه، وجمع أدلته والوقوف عندها، وكان يكفى للانتهاء عن الخوض في هذه القضية وقفة واحدة متأنية، ومواجهة الحقيقة التي طالما أغفلها هؤلاء وأولئك وهى كون الإرجاء الذي هو بمعنى ترك الأعمال وعدم الاهتمام بها لا وجود له في الواقع إلا في أذهان المتأخرين الذين يريدون التحايل والانفلات بأي وسيلة.

ذلك أن الذين قرروا الإرجاء في بدء أمرهم كانوا عند التحقيق من أكثر الناس عبادة وعملا، بدليل أنك تجد الشخص منهم يحث على الإرجاء بكلام قد ألفه وحفظه، ولكن إذا جاء إلى ميدان العمل تجده من المحرضين على اغتنام الفرص، والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، فلم يبق للإرجاء عنده إلا ذلك المنهج الكلامي الجدلي الذي سلكه المتكلمون وابتدعوه مع الخصوم.

ومن هنا نجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية لما قدم دراسة وافية لمرجئة الفقهاء بين فيها أن السلف كانوا يصلون خلفهم ويترحمون عليهم، وإنما شنعوا عليهم مسلكهم الخاطئ في تأخير العمل عن حقيقة الإيمان، هذا بخلاف مرجئة الجهمية الغلاة [١].

- **تعريف الإرجاء في الأصول اللغوية والمعاني الاصطلاحية.**

قال الشهرستاني: (الإرجاء على معنيين، أحدهما بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ ﴾ الأعراف:١١١. أي أمهله وأخره، والثاني إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وأما بالمعنى الثاني فظاهر فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار) [٢].

---

(١) فرق معاصرة للعواجي ١/١٤٠.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٣٩.

والأساس الذي قام عليه مذهب الإرجاء هو الخلاف في حقيقة الإيمان وتحديد معناه وماهيته، وما يتبع ذلك ويترتب عليه من أحكام، فهل الإيمان قول القلب فقط؟ أو هو قول اللسان؟ أو هو قول القلب وقول اللسان؟ وهل العمل غير داخل في حقيقته؟ وهل يزيد الإيمان أو ينقص، أم أنه واحد لا يختلف أهله فيه؟

هذه أهم الموضوعات التي تناولتها طوائف المرجئة، وإلى كل قسم من تلك الأقسام ذهب فريق من المرجئة إلا أن أكثر فرق المرجئة على أن الإيمان هو مجرد ما في القلب من معرفة، ولا يضر مع ذلك أن يظهر من عمله ما ظهر، حتى وإن كان كفرا وزندقة، وهذا مذهب الجهم بن صفوان، ولا عبرة عنده بالإقرار باللسان ولا الأعمال أيضا، لأنها ليست جزءا من حقيقة الإيمان.

وذهبت الكرَّامية إلى أن الإيمان هو القول باللسان، ولا يضر مع ذلك أن يبطن أي معتقد حتى وإن أبطن الكفر، وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان، لا يغنى أحدهما عن الآخر، أما العمل فلا يدخل في مسمى الإيمان، فمن صدق بقلبه وأعلن التكذيب بلسانه لا يسمى مؤمنا، وعلى هذا قام مذهب الحنفية، والعاصي عنده تحت المشيئة، هذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة من المرجئة، وهو ما ذهب إليه أبو حنيفة ومن قال بقوله من فقهاء الكوفة الذين أخروا العمل عن حقيقة الإيمان وماهيته.

غير أن نسبة الإرجاء إلى أبي حنيفة حدث فيه خلاف كبير بين العلماء وكتاب المقالات والفرق، لأن إخراج العمل من الإيمان هو

الإرجاء، وواقع أبي حنيفة كان ضد الإرجاء فقد بلغ رحمه الله حدا كبيرا في الاهتمام بفروع الفقه والمعاملات، مما يدل على أنه يهتم بالعمل وكيفية أدائه، وهذا عكس الإرجاء، فكيف يوصف بالإرجاء؟

وقد دافع عنه الشهرستاني وذهب إلى أن نسبة الإرجاء إلى أبي حنيفة إنما كان سببه المعتزلة والقدرية وسوء فهمهم لرأى أبي حنيفة الذي يرى بأن الإيمان هو التصديق بالقلب، وأنه لا يزيد ولا ينقص، فظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان، إضافة إلى أن المعتزلة كما يرى الشهرستاني كانوا يسمون كل من خالفهم مرجئا[1].

والواقع أن النقول الثابتة بإرجاء أبي حنيفة كثيرة، وعلماء الفرق أغلبهم يقر نسبة الإرجاء إليه بالمعنى الذي تقدم ذكره وهذا هو الثابت، ولا يقال: إن أبا حنيفة كان من غلاة المرجئة كالجهمية مثلا، وذلك لموافقته أهل السنة والاعتقاد السليم في جوانب كثيرة في باب الإيمان وإن خالفهم في العمل.

وقد بذل كثير من علماء الأحناف جهدهم ليجعلوا الخلاف بينهم وبين أهل السنة في حقيقة الإيمان لفظيا، فلم يتم لهم ذلك مع أنهم يستندون إلى جعل الخلاف لفظيا على الاتفاق الحاصل فعلا بينهم وبين أهل السنة في مرتكب الكبيرة عند الله، إذ لا يسمى كافرا، ولا يحكم له بالخلود في النار يوم القيامة، بل هو تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه بفضله، وإن شاء عاقبه بعدله.

وكذلك اتفاقهم على أن الأعمال لا بد منها، وأن العبد لو صدق

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٤١.

بقلبه وأقر بلسانه، ولكن امتنع عن العمل فلم يقم به، أنه يستحق اللوم والعقوبة، وأنه من العصاة إلا أن كل هذه الحجج لا تجعل الخلاف لفظيا، وذلك أن أهل السنة لا يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، فالتفرقة بين الأعمال والإيمان لا يقول بها السلف، كما أن السلف لا يرون أن الناس على درجة واحدة في الإيمان والتوحيد، ولا يوافقون الأحناف في القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه.

- **أول من قال بالإرجاء في تاريخ الإسلام وبيان أهم زعماء المرجئة.**

ذكر العلماء أن الحسن بن محمد بن الحنفية هو أول من ذكر الإرجاء في المدينة بخصوص علي وعثمان وطلحة والزبير، حينما خاض الناس فيهم وهو ساكت ثم قال: قد سمعت مقالتكم ولم أر شيئا أمثل من أن يرجأ علي وعثمان وطلحة والزبير، فلا يتولوا ولا يتبرأ منهم[١].

ولكنه ندم بعد ذلك على هذا الكلام وتمنى أنه مات قبل أن يقوله، فصار كلامه بعد ذلك طريقا لنشأة القول بالإرجاء، وقد بلغ محمد بن الحنيفة كلام ولده الحسن فضربه بعصا فشجه، وقال: لا تتولى أباك عليّا؟ ولم يلتفت الذين تبنوا القول بالإرجاء إلى ندم الحسن بعد ذلك، فإن كلامه عن الإرجاء انتشر بين الناس، وصادف هوى في نفوس كثيرة فاعتنقوه[٢].

ولكن ينبغي معرفة أن إرجاء الحسن إنما هو في الحكم بالصواب أو الخطأ على من ذكرهم، ولم يتعلق إرجاؤه بالإيمان أو عدمه، كما هو

(١) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي للشيخ الدكتور سفر الحوالي ص٢٤٤.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٩/١٤٠.

الحال في مذهب المرجئة أخيرا. وقيل: إن أول من قال بالإرجاء على طريقة الغلو فيه هو رجل يسمى ذر بن عبد الله الهمداني وهو تابعي، وقد ذمه علماء عصره من أهل السنة، بل كان بعضهم مثل إبراهيم النخعي لا يرد عليه إذا سلم، وكذلك سعيد بن جبير.

وهناك أقوال أخرى في أول من دعا إلى الإرجاء إن أول من أحدثه حماد بن أبى سليمان وهو شيخ أبى حنيفة وتلميذ إبراهيم النخعي، ثم انتشر في أهل الكوفة، وقد عاصر حماد ذر بن عبد الله الهمداني، ويذكر شيخ الإسلام عن نشأة الإرجاء بالكوفة أن أول من قاله فيهم حماد بن أبى سليمان[١].

وقيل أول من قال به رجل اسمه سالم الأفطس، ويطلق على إرجاء هؤلاء إرجاء الفقهاء، ويظهر أن تلك الأقوال لا تباعد بينها، لأن هؤلاء كانوا في عصر واحد، وكانوا أيضا على اتفاق في إرجائهم.

ولقد نسب الإرجاء إلى علماء مشاهير عدّ الشهرستاني جماعة منهم، فذكر الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب، وذكر أنه أول من قال بالإرجاء، ولكنه لم يجزم بذلك فيما يبدو من تعبيره، حيث ذكر ذلك بصيغة التمريض، ثم ذكر أنه كان يكتب في الإرجاء الكتب إلى الأمصار ثم قال: إلا إنه ما أخر العمل عن الإيمان، كما قالت المرجئة اليونسية أتباع يونس السمري، والعبيدية أصحاب عبيد المكتئب.

كما عدّ الشهرستاني منهم سعيد بن جبير، وطلق بن حبيب، وعمر بن مرة، ومحارب بن زياد، ومقاتل بن سليمان، وذر بن عبد الله

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧/٢٩٧.

الهمداني، وعمرو بن ذر، وحماد بن أبي سليمان، وأبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وقديد بن جعفر، ثم قال: وهؤلاء كلهم أئمة الحديث لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة، ولم يحكموا بتخليدهم في النار، خلافا للخوارج والقدرية[1].

- بيان أهم الأصول التي تتفق عليها فرق المرجئة على اختلاف أنواعهم.

ومن كبار فرق المرجئة ومشاهيرهم الجهمية أتباع الجهم بن صفوان، والصالحية أتباع أبي الحسين الصالحي، اليونسية أتباع يونس السمري، والثوبانية أتباع أبي ثوبان المرجئي، والعبيدية أصحاب عبيد المكتئب، والنجارية أتباع أبي الحسين بن محمد النجار، والغسانية أتباع غسان المرجئي، والغيلانية أتباع غيلان الدمشقي، والتومنية أتباع أبي معاذ التومني، والمريسية أتباع بشر المريسى، والكرامية أتباع محمد بن كرام، والمقاتلية أتباع مقاتل بن سليمان المشبه لله ﷻ بخلقه، والجواربية أتباع أبي داود الجواربي وهما من غلاة المشبهة[2].

وقد اعتمدت المرجئة على أصل واحد وهو تحديد الإيمان والكفر، فكان هو المقوّم لجميع عقائدها وأفكارها، وليس لهم رأي في الموضوعات الأخرى بشكل خاص ومبسوط، ولأجل ذلك تفرقوا في آخر أمرهم، إلى فرق متبددة ومتضادة، فترى مرجئيا يتبع منهج الخوارج، وآخر يقتفي أثر القدرية، وثالثا يشايع الجبرية.

وأهم الأصول التي تتفق عليها فرق المرجئة على اختلاف أنواعهم

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٤٦.
(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص١٣٢ وما بعدها.

تعريف الإيمان بأنه التصديق أو المعرفة بالقلب أو الإقرار وأن العمل ليس داخلا في حقيقة الإيمان، ولا هو جزء منه، مع أن كثيرا منهم لا يغفلون منزلة العمل من الإيمان إلا عند الجهم بن صفوان ومن تبعه في غلوه، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأن التصديق بالشيء والجزم به لا يدخله زيادة ولا نقصان، وأن أصحاب المعاصي مؤمنون كاملو الإيمان بكمال تصديقهم، وأنهم حتما لا يدخلون النار في الآخرة، ولهم اعتقادات أخرى كالقول بأن الإنسان يخلق فعله، وأن الله لا يرى في الآخرة، وقد تأثروا في هذه الآراء بالمعتزلة، وكذا رأيهم في أن الإمامة ليست واجبة، فإن كان ولا بد فمن أي جنس كان، ولو كان غير قرشي، وقد تأثروا بهذا الرأي واستمدوه من الخوارج.

ومن عقائد المرجئة الجهمية أن الكفر بالله هو الجهل به، وهو قول جهم، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأنه لا يتبعض، ومنها أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان، ويفنى أهلهما ولا خلود لأحد فيهما(١).

• جماعة التكفير والهجرة في عصرنا امتداد لمنهج الخوارج في التكفير.

تبنت جماعة التكفير والهجرة فكر الخوارج، وأطلقت على نفسها جماعة المسلمين، وقد نشأت داخل السجون المصرية في بادئ الأمر، وبعد إطلاق سراح أفرادها تبلورت أفكارها، وكثر أتباعها في صعيد مصر، وبين طلبة الجامعات المصرية خاصة.

وبعد وقوعهم في أنواع شديدة من الابتلاءات وألوان من العذاب

---

(١) أصول وتاريخ الفرق الإسلامية جمع وترتيب مصطفى محمد ص٣٩٨، وفرق معاصرة للعواجي ١٤٣/٣.

داخل المعتقلات تقشعر من ذكرها الأبدان، نشأ التكفير في جماعتهم كرد فعل للغلو في التعذيب الذي أصابهم، فأعلنوا كفر الحاكم ونظامه، بل اعتبروا الذين لم يكفروا الحاكم من إخوانهم مرتدين عن الإسلام، وكل من لم يكفره فهو كافر، والمجتمع بأفراده كفار لأنهم موالون للحكام، وبالتالي فلا ينفعهم صوم ولا صلاة، وكان إمام هذه الفئة ومؤسس أفكارها رجل يدعى عليّ عبده إسماعيل أحد خريجي الأزهر، صاغ لهم مبادئ العزلة والتكفير لدى الجماعة، ضمن أطر شرعية حتى تبدو وكأنها مبنية على الكتاب والسنة، وموافقة لحياة النبي ﷺ في الفترتين المكية والمدنية، متأثرا في ذلك بأفكار الخوارج، إلا أنه رجع إلى رشده وأعلن براءته بعد ذلك من تلك الأفكار التي كان ينادي بها [١].

تولى قيادة الجماعة من بعده أبو سعد شكري أحمد مصطفى، وكان أحد شباب جماعة الإخوان المسلمين، ثم بدأ تكوين الهيكل التنظيمي لجماعته، وتمت مبايعته أميرا للمؤمنين وقائدا لجماعة المسلمين المعروفة بجماعة التكفير والهجرة، ثم أمر بخروج أعضاء الجماعة إلى المناطق الجبلية ،واللجوء إلى المغارات بعد أن تصرفوا بالبيع في ممتلكاتهم، وزودوا أنفسهم بالمؤن اللازمة والسلاح الأبيض، تطبيقا لمفاهيمهم الفكرية حول الهجرة.

وقد هيأ شكري مصطفى لأتباعه بيئة متكاملة من النشاط، وشغلهم بالدعوة والعمل والصلوات والدراسة، وبذلك عزلهم عن المجتمع، إذ

---

(١) التكفير مفهومه وأخطاره وضوابطه إعداد أحمد محمد بوقرين ص١٦ بتصرف.

أصبح العضو يعتمد على الجماعة في كل احتياجاته، ومن ينحرف من الأعضاء يتعرض لعقاب بدني، وإذا ترك العضو الجماعة اعتُبِرَ كافرا، ومن ثم يتعقبونه ويقتلونه، وبعد مواجهات شديدة بين أعضاء الجماعة والسلطات المصرية تم القبض على المئات من أفراد الجماعة، وتمت محاكمتهم وإعدام شكري مصطفى ومعه بعض إخوانه، وقضى بقيتهم فترات متفاوتة بالسجن.

ولما أفرج عن كثير منهم اتخذت الجماعة طابع السرية في العمل لاسيما بعد الضربات القاسية التي تلقتها، الأمر الذي حافظت به الجماعة على وجودها حتى الآن، ولكنه وجود غير مؤثر لشدة مواجهة الصحوة الإسلامية من أصحاب العقيدة السلفية بالحوار والمناظرات، سواء كان داخل السجون والمعتقلات أم خارجها، مما دفع الكثير منهم إلى العودة إلى رشده والتبرؤ من جماعة التكفير والهجرة [١].

• **أفكار ومعتقدات جماعة التكفير والهجرة التي قتلوا المسلمين بسببها.**

إن التكفير عنصر أساسي في أفكار ومعتقدات هذه الجماعة، فهم يكفرون كل من أرتكب كبيرة وأصر عليها ولم يتب منها، وكذلك يكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل، ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم أيضا بإطلاق ودون تفصيل، ويكفرون العلماء لأنهم لم يكفروا المجتمع، كما يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله، أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم ثم يبايع إمامهم، كما فعلت الأزارقة من الخوارج الأولى.

---

(١) السابق ص ١٨ بتصرف.

أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مرتد حلال الدم، وعلى ذلك فالجماعات الإسلامية إذا بلغتها دعوتهم، ولم تبايع إمامهم فهي كافرة مارقة من الدين، وكل من أخذ بأقوال الأئمة أو بالإجماع حتى ولو كان إجماع الصحابة أو بالقياس أو بالمصلحة المرسلة أو بالاستحسان ونحوها فهو في نظرهم مشرك كافر.

ويرون العصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية لتقديسها لصنم التقليد، ويوجبون على المسلم أن يعرف الأحكام بأدلتها، ولا يجوز له التقليد في أي أمر من أمور الدين، وقول الصحابي وفعله ليس بحجة عندهم ولو كان من الخلفاء الراشدين.

أما الهجرة فهي العنصر الثاني في فكر الجماعة، ويقصدون بها العزلة عن المجتمع الجاهلي، وعندهم أن كل المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية، والعزلة المعنية عندهم عزلة مكانية، وعزلة شعورية إيمانية، بحيث تعيش الجماعة في بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقة على رأيهم كما عاش الرسول ﷺ وصحابته الكرام في الفترة المكية.

ويرون أنه يجب على المسلمين في هذه المرحلة الحالية من عهد الاستضعاف الإسلامي أن يزيدوا ولائهم للإسلام من خلال اتباعهم لجماعة التكفير والهجرة، وفي الوقت ذاته عليهم أن يكفوا عن الجهاد حتى تكتسب القوة الكافية، ولا قيمة عندهم للتاريخ الإسلامي لأن التاريخ هو أحسن القصص الوارد في القرآن الكريم فقط.

ولا قيمة عندهم أيضا لأقوال العلماء المحققين وأمهات كتب التفسير والعقائد لأن كبار علماء الأمة في القديم والحديث بزعمهم مرتدون

عن الإسلام، صحيح أنهم قالوا بحجية الكتاب والسنة فقط، ولكن هم كغيرهم من أصحاب البدع الذي اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، فما وافق أقوالهم من السنة قبلوه، وما خالفها تحايلوا في رده أو رد دلالته.

ومن أعجب ما فعلوه أنهم دعوا إلى الأمية لتأويلهم الخاطئ لحديث نحن أمة أمية، فدعوا إلى ترك الكليات ومنع الانتساب للجامعات والمعاهد إسلامية أو غير إسلامية؛ لأنها عندهم مؤسسات الطاغوت، وتدخل ضمن مساجد الضرار، وزعموا أن الدعوة لمحو الأمية دعوة يهودية لشغل الناس بعلوم الكفر عن تعلم الإسلام، فما العلم إلا ما يتلقونه في حلقاتهم الخاصة.

ونادوا بترك صلاة الجمعة والجماعة بالمساجد لأن المساجد كلها ضرار، وأئمتها كفار إلا أربعة مساجد، المسجد الحرام والمسجد النبوي وقباء والمسجد الأقصى، ولا يصلون فيها أيضا إلا إذا كان الإمام منهم، وزعموا أن أميرهم شكري مصطفى هو مهدي هذه الأمة المنتظر، وأن الله تعالى سيحقق على يد جماعته ظهور الإسلام على جميع الأديان .

وقد انتشرت هذه الجماعة في معظم محافظات مصر، وفي منطقة الصعيد ودمياط على الخصوص، ولها وجود في بعض الدول العربية مثل اليمن والأردن والجزائر وغيرها [(١)].

• **ظهور جماعة الجهاد في مصر ومدى علاقتها بفكر الخوارج.**

جماعة الجهاد هي جماعة إسلامية نشأت في الجامعات المصرية تدعو

---

(١) الغلو في التكفير لأبي حسام الدين الطرفاوي ص٦١ بتصرف.

إلى الجهاد أو الفريضة الغائبة عن حياة المسلمين لإقامة الدولة الإسلامية وإعادة الإسلام إلى المسلمين، ثم الانطلاق لإعادة الخلافة الإسلامية من جديد، ويطلق عليها إعلاميّا اسم جماعة الجهاد إلا أنها تختلف عن جماعات الجهاد من حيث الهيكل التنظيمي وأسلوب الدعوة والعمل بالإضافة إلى بعض الأفكار والمعتقدات.

نشأت الجماعة الإسلامية في الجامعات المصرية في أوائل السبعينات من القرن الماضي على شكل جمعيات دينية وقت فترة ركود الحركة الإسلامية، لتقوم ببعض الأنشطة الثقافية والاجتماعية البسيطة في محيط الطلاب، ومع ذلك فإنها كانت قليلة العدد ضعيفة المجهود في هذا الوقت الذي كانت تسيطر فيه الاتجاهات الماركسية والقومية الناصرية على الحياة الجامعية، وخصوصا في جامعات القاهرة وعين شمس والإسكندرية وأسيوط.

وقد نمت هذه الجماعة داخل الكليات الجامعية، واتسعت قاعدتها، وتطور مفهومها وتطورت نظرتها للعمل الإسلامي، فاجتمع نفر من القائمين على هذا النشاط واتخذوا اسم الجماعة الإسلامية، ووضعوا لها بناء تنظيميّا يبدأ من داخل كل كلية من حيث وجود مجلس للشورى على رأسه أمير، وينتهي بمجلس شورى الجامعات، وعلى رأسه الأمير العام، أو أمير أمراء الجماعة الإسلامية.

وقد اتخذ العمل الإسلامي داخل الجامعات المصرية بعدا أوسع واستطاعت الجماعة الإسلامية قيادة الحركة الطلابية في كل الجامعات المصرية تقريبا، ومن هنا زادت وتعددت أنشطة الجماعة الإسلامية

الثقافية والتربوية من اللقاءات والندوات والمعسكرات، بل وزاد الاهتمام بحلول المشاكل الاجتماعية للطلاب، وتعدى الأمر أسوار الجامعات فزاد الاهتمام بمشاكل المجتمع اليومية.

وقد التقى عضو مجلس شورى الجماعة كرم زهدي في عام ١٩٧٩م بالمهندس محمد عبد السلام فرج العضو في أحد فصائل تنظيم الجهاد وعضو مجلس شورى الجماعة فيما بعد، وصاحب كتاب الفريضة الغائبة الذي عرض على كرم زهدي فكر الجهاد، وأن الحاكم قد كفر وخرج عن الملة فوجب الخروج عليه وخلعه وتغيير النظام، وأن لتنظيمه تشكيلاته المتفرعة، ثم عرض عليه فكرة اشتراكهم مع التنظيم في التخطيط لإقامة الدولة الإسلامية.

عرض كرم زهدي الفكرة على مجلس شورى الجماعة في صعيد مصر الذي يرأسه الدكتور ناجح إبراهيم فوافق المجلس على أن يكون هناك مجلس شورى عام، ومجلس شورى القاهرة، وعلى أن يتولى إمارة الجماعة أحد العلماء العاملين الذين لهم مواقفهم الصلبة ضد الحاكم الذي اعتبره من الطاغوت، وهو الدكتور عمر عبد الرحمن.

وقد تم إقرار تشكيل الجناح العسكري وجهاز الدعوة والبحث العلمي والتجنيد وتطبيق القوانين الإسلامية، وكذلك جهاز الدعم اللازم للحركة في مجالاته المتعددة، ومن هذه اللحظة انفصلت الجماعة عن التوجه السلفي في الدعوة بشكل عام تحت مسمى الجماعة الإسلامية، وقد اختير الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن أميرا للجماعة، وواصل نشاطه الدعوي متنقلا بين المحافظات مشاركا في المؤتمرات

والندوات، عارضا فكرة الجماعة محمسا الشباب للجهاد، والخروج على نظام الحكم مما أدى إلى اعتقاله مرات عديدة وتحديد إقامته بمنزله بالفيوم، وأخيرا استطاع السفر إلى أمريكا ليقيم في ولاية نيوجرسي حيث يكثر أتباعه، وقد حكم عليه بالسجن في أمريكا بسبب بعض فتاويه وما زال مسجونا حتى الآن.

وقد ظهرت الجماعة على الساحة بقوة حيث قام الجناح العسكري للجماعة بقيادة الملازم أول خالد أحمد شوقي الإسلامبولي وبصحبة زملائه عبد الحميد عبد السلام الضابط السابق بالجيش المصري، والرقيب متطوع القناص حسين عباس محمد بطل الرماية وصاحب الرصاصة الأولى القاتلة، والملازم أول احتياط عطا طايل حميدة رحيل بقتل أنور السادات أثناء احتفالاته وانتصاراته بمدينة نصر بالقاهرة، وقد قبض عليهم جميعا، وقدموا للمحاكمة التي حكمت عليهم بالإعدام.

ثم قام بعض أفراد الجناح العسكري للجماعة الإسلامية بمهاجمة مديرية أمن أسيوط ومراكز الشرطة واحتلال المدينة، ودارت بينهم وبين قوات الأمن المصرية معركة حامية قتل فيها العديد من كبار رجال الشرطة والقوات الخاصة وانتهت بالقبض عليهم وعلى رأسهم الدكتور ناجح إبراهيم وكرم زهدي وعصام دربالة، والحكم عليهم فيما عرف في وقتها بقضية تنظيم الجهاد بالأشغال الشاقة المؤبدة وتم سجنهم.

وبعد الإفراج عن الكثير من أعضاء الجماعة من غير المتهمين في قضايا التنظيم، أعيد تنظيم الجماعة برئاسة محمد شوقي الإسلامبولي ومن ثم زاد نشاطها في الدعوة إلى الله في المساجد، ومن خلال اللقاءات

والندوات والمعسكرات، وبخاصة بين الشباب والطلبة في المدارس والجامعات في معظم محافظات مصر، داعية إلى الخروج على الحاكم وقتال الطائفة الممتنعة عن إقامة شرائع الإسلام، وقد دفع ذلك كله قوات الأمن المصرية إلى الصدام الدائم معهم، وإلقاء القبض على الكثير منهم، وتعرضهم للتعذيب والتضييق الشديد، مما أوجد بين أفراد الجماعة ردود فعل عنيفة راح ضحيتها الكثير من المسلمين من الضباط وجنود الشرطة والمسئولين وغيرهم.

- **أهم أفكار ومعتقدات الجماعة الإسلامية الجهادية بمصر.**

تبلورت معظم أفكار الجماعة الإسلامية في صورة كتب ورسائل داخل سجن ليمان طره، ومن أهمها كتاب ميثاق العمل الإسلامي وهو دستور الجماعة، وقد احتوى في كثير من جنباته على معتقد أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلا، كتجريد الإخلاص له سبحانه وتحقيق المتابعة لنبيه ﷺ، وفهم الإسلام بشموله كما فهمه علماء الأمة الثقات المتبعون لسنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ﷺ.

وأبر ما عندهم أنهم يرون الجهاد في عصرنا بالمواجهة وقتال الحكام والخروج عليهم، أما اقتصار الجهاد على الوسائل السلمية مثل الكتابة والخطابة، والإعداد بتربية أبناء الأمة تربية علمية وفكرية، أو بمزاحمة السياسيين في أحزابهم وأساليبهم السياسية، فذلك عندهم يعد من الجبن والتخاذل، بل إن الاهتمام بالدعوة يعد سببا في هزيمة الأمة، ولن ينتصر المسلمون إلا بقوة السلاح وعليهم أن ينخرطوا في الجهاد والمواجهة مهما قل عددهم، كما أن الطوائف المنتسبة للإسلام الممتنعة عن التزام

بعض شرائعه تقاتل حتى تلتزم ما تركته من الشرائع، وكذلك قتال من عاونهم من الشرطة ونحوهم، وإن قتل ما لا ذنب له من المسلمين فلا وزر على القاتل لأنهم يبعثون على نياتهم.

ويرون أن القتال ليس فقط لمن داهمنا في ديارنا واستولى على جزء من أرض الإسلام، ولكنه أيضا لمن يقف بالسيف والسلطان في وجه دعوتهم رافضا التخلية بينهم وبين الناس؛ لأن الاستعمار هو العدو البعيد والحكام الكفرة هم العدو القريب فهم أولى من قتال العدو البعيد، ويرون قتال أي طائفة على وجه الأرض تحكم الناس بغير شرع الله كافرة كانت أو منتسبة للإسلام دون مراعاة الواقع والمرحلية المتدرجة في الجهاد، وعلى ذلك يرون حتمية المواجهة لعدة أسباب كما في رسالتهم المسماة بحتمية المواجهة، منها خلع الحاكم الكافر المبدِّل لشرع الله، وقتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام، وإقامة الخلافة وتنصيب خليفة للمسلمين، وتحرير البلاد، واستنقاذ الأسرى ونشر الدين.

ويعتبرون الديار المصرية وما شابهها من البلاد العربية ليست دار سلم تجري عليها أحكام الإسلام، ولا دار حرب تجري عليها أحكام الكفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحق، ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحق، وعلى ذلك لا يكفرون الأمة إنما يكفرون الحكام الذين يبدلون ويعطلون شرائع الإسلام ومن يعاونهم، وعليه لا يحرِّمون تولي الوظائف الحكومية مثل جماعة التكفير.

ويوجبون الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى

لآحاد الرعية بمراحله الثلاث، ولكن يؤخذ عليهم في ذلك عدم مراعاة الضوابط الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وميلهم لاستعجال النتائج، وقد تنبه قادة الجماعة أخيرا إلى سوء عاقبة مسلكهم الأول، فعاد كثير منهم عن أفكارهم مؤخرا [١].

ومن الجدير بالذكر أن هناك مجموعات أخرى عرفت باسم تنظيم الجهاد، ودعت للخروج على الحاكم بالجهاد المسلح مثل تنظيم الفنية العسكرية عام ١٩٧٤م بقيادة صالح سرية، وكارم الأناضولي، وكذلك تنظيم جهاد الإسكندرية عام ١٩٧٦م، أو تنظيم سالم الرحال الأردني وليس لهذه التنظيمات علاقة بالجماعة الإسلامية في مصر [٢].

- **تنظيم القاعدة المنسوب لابن لادن والظواهري وعلاقته بفكر الخوارج.**

لا يكفي صدق النية وحده في جواز الفعل أو رد الفعل، فلا بد من متابعة النبي ﷺ في كل قول وفعل، سواء بالنظر إلى الكليات أو الجزئيات، ومن المعلوم أن تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن يشغل حيزا كبيرا من الاهتمام العالمي؛ نظرا للتأثير الذي تركه التنظيم على مجريات الأحداث بأبعادها العالمية والإقليمية والمحلية، خاصة بعد حادثة

---

(١) انظر كتاب تجديد الخطاب الديني، ونظرات في حقيقة الاستعلاء بالإيمان، هداية الخلائق بين الغايات والوسائل، ودعوة للتصالح مع المجتمع، وحتمية المواجهة وفقه النتائج، وكلها من تأليف ناجح إبراهيم عبد الله، وأقره وراجعه قيادات التنظيم الذين تراجعوا عن أفكارهم الباطلة وهم كرم محمد زهدي ومحمد عصام الدين دربالة، وعلى محمد على الشريف ، وأسامة إبراهيم حافظ، وحمدي عبد الرحمن عبد العظيم، وعاصم عبد الماجد محمد، وفؤاد محمود الواليبي.

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للشيخ غالب عواجي ص١٩٣ بتصرف.

ضرب عدة مراكز مؤثرة وحساسة في الولايات المتحدة الأمريكية في سبتمبر عام ٢٠٠١م، والذي مات فيه خلق كثير.

وتنظيم القاعدة قائم في الأساس على تفعيل الصراع في مواجهة الأعداء من اليهود والصليبيين، وتجييش عامة المسلمين لضربهم، وإيقاع الضرر بهم مهما كانت نتائجه، تمهيدا لتكوين نواة تمثل اللبنة الأولى في مشروعهم لتشكل قاعدة تنطلق نحو دولة الخلافة العالمية كما يراها التنظيم، لقد بدأ فكر القاعدة مبنيا على رؤية قائد التنظيم أسامة بن لادن في استهداف العدو البعيد المتمثل في المحور الأمريكي الصهيوني ومن التحق به من قوى الغرب.

وكان التنظيم قائما بذاته من حيث التخطيط والتنفيذ، غير مكترث بغيره من التنظيمات التي تتبنى نظما متشابهة، ثم تحول المشروع من مشروع تنظيم مركزي إلى مشروع شراكة لا مركزية متعددة الجنسيات، تقوم على الانتماء الفكري المتوافق مع أفكار تنظيم القاعدة وأهدافها.

ثم كانت انطلاقة ما يسمى بالجبهة العالمية لقتال اليهود والأمريكان، ووقع عليه قادة عدة فصائل جهادية كان على رأسهم زعيم القاعدة أسامة بن لادن، ورفاعي طه رئيس الجماعة الإسلامية بمصر، وتعددت بعد ذلك الكيانات والفصائل التي التحقت بالتنظيم، وكان آخرها الجماعة السلفية للدعوة والقتال بالجزائر والعراق.

واستطاع الرجل الثاني في التنظيم أيمن الظواهري في كتابه المسمى بفرسان تحت راية النبي، استطاع أن يضيف ما وصفه بالعدو القريب

الذي يتمثل من وجهة نظرة في الأنظمة العربية وحكامها إلى قائمة المستهدفين، لينقسم العالم وفق رؤية القاعدة إلى حلف المجاهدين تحت لواء القاعدة، وحلف المناوئين تحت اللواء الغربي.

وليس من المصلحة في شيء أن نجعل جميع الأنظمة الحاكمة في صف واحد مع العدو البعيد، بل إن وضعها في دائرة العدو في حقيقة الأمر لا يمكن التسليم به جملة وتفصيلا، فالعدو البعيد لا يستهدف فقط الشعوب، وإنما يستهدف الأمة كلها، ومن ثم فان توصيف تلك الأنظمة بالعدو لن يفيد إلا العدو الحقيقي.

وإذا ما نظرنا إلى مرحلية الصراع من وجهه نظر التنظيم وخوضه بالأمة، سنجد خللا واضحا بين مرحلة التأهيل للصراع، ومرحلة خوض الصراع، فالتنظيم بدأ بالفعل في الصراع، فيما الأمة لم تحقق حتى الحد الأدنى من مقومات الدخول في ذلك الصراع المهلك، كما قرر الظواهري دخول الأمة في هذا الصراع وكأنه متفرد بالقرار، مهدرا كثيرا من الطاقات العلمية والشرعية الأخرى التي قد لا تتفق بالضرورة مع توجهاته، ومن ثم فإن اختطاف تنظيم واحد للأمة أو محاولته ذلك فيه قدر كبيرا من التعسف والرغبة في تولي القيادة بضرب من القهر وتجاهل جميع العلماء وكل ما يمكن وصفه بأهل الحل العقد، فضلا عن المخالفين لفكر القاعدة ومنحاها.

ومن زاوية النظر العالمية أيضا التي انطلق منها التنظيم، يوجد خلل في ميزان القوى بكافة جوانبه الاقتصادية والعسكرية يميل بلا شك لصالح الغرب، فيما تجد الأمة الإسلامية ما زالت حتى الآن لم تستكمل إن

صح التعبير، أو لم تبدأ في مشروع نهضتها الذي يجعلها في استقلالية عن الآخرين حتى من الجانب الاقتصادي، فهي حتى الآن تعتمد بصورة أساسية على الغرب الذي غرس أنيابه في أراضيها وامتص ثرواتها من قبل وما زال.

ولا شك أن خوض صراع عالمي دون إعداد وعدة لا يجد ما يدعمه من أصول الشرع وأبجديات السياسية الشرعية، بل نجد الظواهري قد انتقد جبهة الإنقاذ في الجزائر لعدم إدراكها لموازين القوى وقواعد السياسية، وما نراه قد التزمها.

ومن ثم فإن شن صراع عالمي واستفزاز الغرب من خلال عمليات متناثرة، تقتل بضع مئات هنا وهناك، مما يجعل من الأمة رجالها ونسائها في مواجهة غير محسوبة ودون استعداد لها، هذه الأعمال خلفت وما زالت مآسي عديدة وأفعالا إجرامية، نكل فيها الغرب بعامة المسلمين وخاصتهم، فتنظيم القاعدة عند التحقيق فشل حتى الآن فيما خطط له من نقل المعركة إلى أرض العدو، فيما اتسعت الرقعة المحروقة من بلاد العرب والمسلمين، وذاقت الأمة من ألوان الإهانة والإذلال وانتهكت حرمات النساء ما سطرت فيه المؤلفات والكتب ولم تجيَّش الأمة للصراع كما تطلع الظواهري وبن لادن.

كما أن الانطلاق من فشل الحكام المسلمين في العمل السياسي لقيادة الأمة، والاستشهاد بذلك على حصر وسيلة الصراع في الأعمال المسلحة فقط تحتاج إلى وقفة، لأن الفشل يسري أيضا إلى العمل المسلح، فلم تتمكن جماعة واحدة من جماعات الجهاد من الوصول لأهدافها بتلك

الأعمال، بل تراجعت الجماعة الإسلامية في مصر عن منهجها، وجماعة الجهاد وغيرها [(١)].

كما أنه من الضروري النظر إلى العلاقة بين التدبير الكوني والتدبير الشرعي، والعلاقة بين قدرة الله من جهة وحكمته في خلق العباد واستخلافهم في أرضه جميعا، واستئمانهم في ملكه على مستوى كل فرد، وليس كما ينظر الكثيرون إلى حصر المسألة في استخلاف الحاكم وحده، والمقاتلة على تنصيبه ليقيم دولة الخلافة.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ هود:١١٨/١١٩.

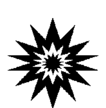
قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ السجدة:١٣.



(١) بتصرف عن مقالة للباحث عصام زيدان في مواقع متعددة على الإنترنت.

المطلب الثامن

فرق المعطلة بداية من الجهمية إلى تنوع الفرق الكلامية وتأثيرها السلبي على واقع الأمة الإسلامية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن الخوارج وأنهم كانوا في أول الأمر من أشد الناس وقوفا مع علي بن أبي طالب ﷺ، وعلمنا أن الخوارج طبقات ودرجات وفرق وإن كان أصلها واحدا، وأن الأزارقة هم أعظم فرق الخوارج غُلُوّا وأبعدهم عن السنة، وأن النجدات خففوا من غلو الأزارقة في التكفير ولزوم الهجرة.

كما علمنا أن الإباضية من فرق الخوارج لا يزال لها أتباع وأنصار في أماكن كثيرة، وأن الخوارج تشعبت فرقا كثيرة لا تكاد تحصى بعد الأزارقة والنجدات، وذكرنا أن الإمام الشعبي رحمه الله ضرب مثلا للخوارج وسوء أفعالهم، وأن مخالفة الخوارج لمنهج السلف أوقعهم فيما هو أكبر من المعاصي.

كما تحدثنا عن المرجئة وكونها فرقة من أوائل الفرق الإسلامية التي ظهرت كرد فعل للخوارج، وتعرفنا على معنى الإرجاء في الأصول اللغوية والاصطلاحية، وعلمنا أول من قال بالإرجاء في تاريخ الإسلام وأهم زعماء المرجئة، ثم بينا أهم الأصول التي تتفق عليها فرق المرجئة

على اختلاف أنواعهم.

ثم تناول الحديث جماعة التكفير والهجرة في عصرنا، وأنها امتداد لمنهج الخوارج في التكفير، وتعرفنا على أفكارهم ومعتقداتهم التي قتلوا المسلمين بسببها، ثم تناولنا ظهور جماعة الجهاد في مصر ومدى علاقتها بفكر الخوارج، وأهم أفكارهم ومعتقداتهم، وكذلك تحدثنا عن ابن لادن والظواهري وعلاقة تنظيم القاعدة بفكر الخوارج، وبينا أن مرحلية الصراع من وجهه نظر تنظيم القاعدة به خلل واضح.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن المعطلة بداية من الجهمية إلى تنوع الفرق الكلامية وتأثيرها السلبي على واقع الأمة الإسلامية.

• الجهمية وانطلاق الفرق الكلامية في تعطيل نصوص الكتاب والسنة.

علمنا مما سبق أن الجهمية ترجع نسبتها إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي (ت:١٢٨هـ) حامل لواء التعطيل، وهو من أهل خراسان، ويكنى بأبي محرز، كان من الجبرية الخالصة، وهو أول من ابتدع القول بخلق القران وتعطيل صفات الله، وكان مولى لبني راسب، وهي إحدى قبائل الأزد، وقد كتبت فيه مؤلفات عديدة ورسائل جامعيه وكان الجهم كثير الجدال والخصومات متحذلقا كثير الكلام والمناظرات، ولم يكن له بصر بعلم الحديث، ولا مجالسة لأهل العلم، بل كلامه وجداله أساسه الهوى والسفسطة.

قال الإمام أحمد بن حنبل: (وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، فضلوا وأضلوا بكلامهم بشرا كثيرا، فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله، أنه كان من أهل خراسان، من أهل

ترمذ وكان صاحب خصومات وكلام)[١].

ويذكر العلماء أن الجهم بن صفوان استمد فكره من طريق يهودي وآخر وثني، فقد تربّى الجهم بن صفوان على يد أستاذه الجعد بن درهم، وهو رجل من المنكرين لأوصاف الله بحجة نفي التشبيه والتجسيم، أخذ جل أفكاره وآراءه عن أبان بن سمعان، الذي كان تلميذا لطالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وهو الساحر اليهودي الذي سحر النبي ﷺ في مشط ومشاطة[٢].

قال ابن تيمية: (أصل مقالة التعطيل للصفات، إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فان أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام، أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى، ونحو ذلك، هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي، الساحر الذي سحر النبي ﷺ. وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل: من أهل حران. وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين الذين صنف

(١) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل ص١٩، تحقيق محمد حسن راشد، نشر المطبعة السلفية القاهرة ١٣٩٣هـ.

(٢) رواه البخاري في كتاب الطب، باب السحر ٥/٢١٧٤ (٥٤٣٠)، ومسلم في السلام، باب السحر ٤/١٧١٩ (٢١٨٩).

بعض المتأخرين في سحرهم) [(١)].

وقد تجلى حقد اليهود بعد هزيمتهم والقضاء عليهم، في إقدامهم على إيذاء النبي ﷺ بسحرهم، وطرقهم المعهودة في الغدر، والوقيعة بين أبناء الأمة حتى حدثت الفتنة التي قتل فيها عثمان بن عفان ﷺ.

• الجهمية أسست المدرسة العقلية التي عطلت النصوص النقلية.

وقد استمد الجهم بن صفوان فكره أيضا من طريق وثني، ظهر حين لقي أناسا من المشركين يقال لهم السمنية، نسبة إلى قرية بالهند تسمى سُومَنَات. وهي فرقة تعبد الأصنام، وتقول بتناسخ الأرواح، وتنكر الوحي والدين، جرت بينهم وبين الجهم مناظرة عقلية، لما عرفوا الجهم قالوا له: نكلمك ونناظرك، فإن ظهرت حجتنا عليك، دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا، دخلنا في دينك، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له: ألست تزعم أن لك إلها؟ قال: نعم. قالوا له: فهل رأيت إلهك؟ قال: لا. قالوا: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا. قالوا: فهل شممت له رائحة؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له حسا؟ قال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إله؟ فتحير الجهم، فلم يدر من يعبد أربعين يوما [(٢)].

وقد استدرك الجهم حجة كحجة النصارى الذين يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو الله، وأن الله حل فيه، فإذا أراد الله أمرا

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/٢٠.

(٢) انظر الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل (١/١٩) نشر المطبعة السلفية، وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/٣١٨)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢١٨)، ودرء التعارض لابن تيمية (٢/٤٠٩).

دخل في عيسى فتكلم على لسانه، فيأمر وينهى بما يشاء، وهو روح غائبة عن الأبصار، فاستدرك حجتهم وقال للسمني: ألست تزعم أن فيك روحا؟ قال السمني: نعم، فقال له: هل رأيت روحك؟ قال: لا. قال: فسمعت كلامها؟ قال: لا، قال: فوجدت لها حسا؟ قال: لا. قال: فكذلك الله لا يرى له وجه، ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، وهو في كل مكان، فالمخلوقات بمثابة الجسد، والله ﷻ في داخلها بمثابة الروح [١].

وقد شككه المشركون في دينه حتى ترك الصلاة أربعين يوما، وقال: لا أصلي لمن لا أعرفه، ثم اشتق هذا الكلام، فأنكر عليه الوالي فقال: إذا ثبت عندي من أعبده صليت له، فضرب عنقه [٢].

قال أبو معاذ البلخي: (كان جهم على معبر ترمذ ـ بلد من نواحي إيران ـ وكان رجلا كوفي الأصل، فصيح اللسان، لم يكن له علم، ولا مجالسه لأهل العلم، وكان قد تناقل كلام المتكلمين، وكلمه السمنية، فقالوا له: صف لنا ربك الذي تعبده؟ فدخل البيت لا يخرج كذا وكذا، ثم خرج عليهم بعد أيام فقال: هو هذا الهواء، مع كل شيء، وفي كل شيء، ولا يخلو منه شيء) [٣].

وما يعنينا الآن أنه بهذا الفكر العقلي الخبيث الذي زعم به الجهم بن

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية (١/١٩).

(٢) انظر الوافي بالوفيات للصفدي ١٦١/١١ نشر دار إحياء التراث، بيروت.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي ٣٨٠/٣ (٦٣٥)، والعلو للعلي الغفار للذهبي (١/١٥٥)، والأسماء والصفات للبيهقي ٣٣٧/٢.

صفوان أن الله ﷻ حل في مخلوقاته، وهو بذاته في كل مكان، نظر في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فما توهم بظنه السيئ أنه يوافق رأيه من النصوص احتج بها، وما توهم أنه يخالف مذهبه منها، أنكرها وعطلها عن مدلولها، وإن كانت تلك النصوص من السنة الصحيحة فالويل لها منه، فقد اتهمها بأنها أمور ظنية وآحاد مروية لا تدل على اعتقاد، فوجد قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ الحديد:٤. فأخذه حجة لرأيه القائل بأن الله في كل مكان، وكذلك وجد قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ الأنعام:١٠٣. فبنى عليه نفي صفات الله وتعطيلها.

ووجد الجهم قوله سبحانه: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ طه:٥. وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ المعارج:٤. يخالف ما ذهب إليه من القول بأن الله في كل مكان، فعطل الآيات عن معناها ونفاها وحاول مسحها من القرآن، بل دفع الجهم بن صفوان القرآن برجله!

قال أبو نعيم البلخي وكان قد أدرك جهما: (كان للجهم صاحب يكرمه ويقدمه على غيره، فإذا هو قد هجره وخاصمه، فقلت له: لقد كان يكرمك، فقال: إنه جاء منه ما لا يتحمل، بينما هو يقرأ سورة طه والمصحف في حجره، إذ أتى على هذه الآية : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ طه:٥. قال: لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت، فاحتملت هذه. ثم إنه بينما يقرأ آية أخرى إذ قال: ما أظرف محمدا حين قالها. ثم بينما هو يقرأ القصص والمصحف في حجره، إذ مر بذكر موسى عليه السلام فدفع المصحف بيديه ورجليه، وقال: أي شيء هذا؟

ذكره هنا فلم يتم ذكره، وذكره هنا فلم يتم ذكره!) [(١)].

• **اعتقادات الجهمية الباطلة وأفكارها التي تفرد بها الجهم بن صفوان.**

وقد أخذ الجهم بن صفوان كما ذكرنا مقالة التعطيل عن أستاذه الجعد بن درهم، الذي قال بنفي أوصاف الله ﷻ، وعطل الآيات عن مدلولها، وقال بخلق القرآن.

قال أبو القاسم اللالكائي: (ولا خلاف بين الأمة، أن أول من قال القرآن مخلوق، جعد بن درهم، ثم جهم بن صفوان) [(٢)].

وأبرز عقائد الجهمية القول بتعطيل صفات الله ونفيها، وأن الإنسان مجبور مسير مقهور في فعله لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة والقدرة، وأن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو معرفة الله حتى لو كفر الإنسان باللسان، وقالوا أيضا: بأن القرآن مخلوق [(٣)].

قال أبو الحسن الأشعري: (قول الجهمية الذي تفرد به جهم، القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة، ودارت السفينة، وزالت الشمس، وإنما فعل

(١) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ١/١٦٧ (١٩٠)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٤٠، والعلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص١٥٤.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٣١٢.

(٣) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية لطاهر الاسفراييني ص١٠٧.

ذلك بالشجرة والسفينة والشمس الله سبحانه وتعالى، وكان جهم ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) [(١)].

وكان جهم يقف على الجذامى ويشاهد ما هم فيهم من البلايا ويقول: (أرحم الراحمين يفعل مثل هذا) [(٢)]. وهو يعني أنه ليس هناك رحمة في الحقيقة ولا حكمة، وأن الأمر راجع إلى الجبر، وإلى محض المشيئة الخالية عن الحكمة والرحمة.

وقد بدأ الجهم بن صفوان من ترمذ أحد البلدان في إيران، بدأ الدعوة لمذهبه، فانتشرت فيها عقائد الإنكار والتعطيل لكلام الله، ثم وجد لدعوته أتباعا ومريدين من العامة والدهماء في مدن أخرى من مدن إيران، ثم انتشرت أفكاره في بغداد وبقية البلدان.

ومن ثم فإن الجهمية فرقة ظهرت في أواخر الحكم الأموي، ومؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي السمرقندي. وقد مات مقتولا، قتله سالم بن الأحوز في آخر أيام الدولة الأموية[(٣)].

وقد تفرعت من فرقة الجهمية فرق عديدة، انقسمت إلى أكثر من عشر فرق، كل فرقة اتخذت لنفسها مسلكا فكريا خاصا، وعقيدة مستقلة، كان أبرزها فرق المعطلة.

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ٢٧٩، وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/٤١٩، وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة ص٣٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/٤٦٠، ومنهاج السنة النبوية ٣/٣٢، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ٢/١٧٧.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/١٢٣، والملل والنحل للشهرستاني ١/٢٠.

• المعتزلة من أكبر فرق المعطلة التي ابتليت بها الأمة في تاريخها.

المعتزلة اسم يطلق على فرقه ظهرت في القرن الثاني بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال، نشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الفلسفية، وأصبحت فرقه كبيره تفرعت عن الجهمية في معظم الآراء، ثم انتشرت في أكثر البلدان الإسلامية انتشارا واسعا.

وقد انتقلت أفكار هذه الفرقة في عقيدة التوحيد وتعطيل الصفات إلى أغلب الفرق الإسلامية، فشيعه العراق على الإطلاق معتزلة، وأيضا شيعه الأقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية، ومثلهم الزيدية في اليمن فإنهم على مذهب المعتزلة في الأصول، وكذلك انتقل منهجهم إلى الأشعرية والماتريدية، وهؤلاء يعدون في المسلمين بالملايين.

والمعتزلة يطلق عليهم جهمية لاتفاقهم مع الجهمية في المنهج والمسائل الاعتقادية، وسموا بالقدرية بسبب موافقتهم للقدرية في إنكار القدر، وإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، وهم لا يرضون بهذا الاسم، ويرون أنه ينبغي أن يطلق على الذين يقولون بالقدر خيره وشره من الله.

وسموا أيضا بالثنوية والمجوسية لقولهم بوجود خالق للخير وخالق آخر للشر، وهم ينفرون من هذا الاسم، والذي حمل المخالفين لهم على تسميتهم به هو مذهب المعتزلة نفسه، ويسمون أيضا بالوعيدية لما اشتهروا به من قولهم بإنفاذ الوعد والوعيد لا محالة، وأن الله لا يخرج أحدا من أهل الكبائر من النار، ولا بشفاعة النبي ﷺ، ويسمون بالمعطلة وهو اسم للجهمية ثم أطلق على المعتزلة لموافقتهم الجهمية في نفي الصفات وتعطيلها، وتأويل ما لا يتوافق مع مذهبهم من النصوص.

وهناك أسماء أخرى اختاروها لأنفسهم، وأخذوا يدللون على فضلها، وهي المعتزلة حينما رأوا ولع الناس بتسميتهم أخذوا يدللون على أنه اسم مدح بمعنى الاعتزال عن الشرور والمحدثات، واعتزال الفتن والمبتدعين على حد قولهم، وسموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد؛ لأنهم ينزهون الله عن صفات الحوادث، وأن تضاف إليه أفعال العباد القبيحة، وسموا أنفسهم بأهل الحق؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم على الحق ومن عداهم على الباطل، وسموا أنفسهم بالفرقة الناجية والمنزهون لله، وأطلقوا على من عداهم وخصوصا أهل السنة أسماء جائرة كاذبة مثل المشبه والحشوية والقدرية.

- ظهور المعتزلة كامتداد لمنهج الجهمية في تعطيل النصوص النقلية.

الجهم بن صفوان قدم عقله ورأيه على الأدلة القرآنية والنبوية عندما أجاب السمنية بجهله إجابة خاطئة كاذبة، وزعم أن الله بذاته في كل مكان، وأنه لا صفة له حتى لا يشبه الإنسان، ثم نظر هذا المفتون إلى نصوص القرآن، فما تصور أنه يوافق مذهبه جعله حجة وبرهانا كدليل ثان، وما خالفه صرح برده وتعطيل نصه من القرآن.

وقد تبنى فكر الجهمية واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وإليهما ينسب مذهب الاعتزال، فالمعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء الغزال (ت:١٣١هـ) الذي كان تلميذا للحسن البصري. وكان متكلما مفوها بليغا، على الرغم من كونه كان عاجزا عن النطق ببعض الحروف.

كان واصل بن عطاء ضمن الطلاب المجتمعين في حلقة شيخهم الحسن البصري من علماء السلف الصالح، فجاء إلى الحلقة رجل من

عامة المسلمين يسأل عن الحكم الشرعي في مرتكب الكبيرة؟

ومعلوم أن أهل السنة والجماعة يقولون بأن مرتكب الكبيرة مسلم فاسق، لا يخرج عن الملة. والخوارج يقولون: مرتكب الكبيرة كافر بالله العظيم مخلد في النار، وقبل أن يجيب الشيخ البصري قام تلميذه واصل بن عطاء دون أدب ولا حياء، وقال: إن الفاسق من هذه الأمة لا هو مؤمن ولا هو كافر، هو في منزلة بين المنزلتين[1].

أجاب واصل بن عطاء بعقله دون احترام لشيخه، ودون علم أو نظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، عند ذلك رده الحسن البصري وبين حكم مرتكب الكبيرة، وبدلا من أن يرجع إلى شيخه ويعتذر عن سوء أدبه أخذته العزة بالإثم، واعتزل شيخه الحسن البصري، وجلس إلى سارية من سواري المسجد في البصرة، وانضم إليه بعد ذلك رجل آخر يقال له عمرو بن عبيد، واجتمع إلى واصل بن عطاء أراذل الناس من أتباع الجهم بن صفوان، فكان الحسن البصري يقول: اعتزلنا واصل، اعتزلنا واصل، وكان بقية طلاب العلم من تلاميذ الحسن البصري يطلقون عليهم المعتزلة، فارتسم عليهم هذا الاصطلاح عند عامة المسلمين وخاصتهم[2].

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ٤٦/١، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ٣١٤/١ بتصرف، دار النشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

(٢) انظر السابق ٤٨/١، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر الاسفراييني ص٦٨.

وكان هؤلاء المعتزلة يدّعون الزهد والصلاح والنصح والإصلاح، وكان لهم صلة بالحكام في الدولة العباسية، تلك الصحبة أو الصداقة بين رؤوس المعتزلة والخلفاء من بني العباس أثارت حفيظتهم في حث الخلفاء على الأخذ بمشورتهم والعمل بنصيحتهم، وإلزام الأمة بمذهبهم على أنه الحق والتوحيد والتنزيه والعدل، وقد أدت هذه الثقة إلى بدعة كبرى وطامة عظمى مرت بالأمة الإسلامية وعصفت بها في القرن الثالث الهجري، ولا زالت تعاني من آثارها حتى الآن.

وقد أسس المعتزلة مذهبهم على خمسة أصول رنانة، وشعارات فتانة، اغتر بها كثير من المسلمين في الماضي، وكثير من العلمانيين والحداثيين في الحاضر، وكل أصل من أصولهم ستروا تحته أصلا من أصول البدعة.

- **الأصول الخمسة التي ابتدعتها المعتزلة بالعقل وعطلت بها النقل.**

ابتدعت المعتزلة بالعقل الفاسد أصولا خمسة جعلتها أساسا عطلت بها النقل، وحملت النصوص على غير ما تحتمل تحت مسمى التأويل، وهو في حقيقته تحريف للكلم عن مواضعه، وتتمثل هذه الأصول فيما يلي:

الأصل الأول من أصولهم الخمسة رفعوا فيه شعار التوحيد، وستروا تحته تعطيل الصفات، فقد زعموا أنهم أهل التوحيد وخاصتُه، والمنزهون لربهم عن التشبيه، وخلاصة رأيهم في التوحيد أن الله تعالى لا صفة له عندهم ؛ لأنه منزه عن الشبيه والمثيل كما قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ الشورى:١١، وكلامه هذا وتوحيدهم يناقض الفطرة، ولا ينطلي إلا على أذهان السفهاء، بل هو توحيد يسخر منه جميع العقلاء، فهل يصح

أن تقول مثلا، ولله المثل الأعلى: الأمير لا نظير له أبد، فيقال في ماذا؟ أو ما الذي انفرد به؟ فتقول: ولا شيء، فلا صفة له أصلا. ولا نظن أن عاقلا سوف يقبل ذلك على نفسه فضلا عن ربه، فالعقلاء يمدحون غيرهم بإثبات الصفات التي تليق بهم، والموحدون لله حقا يحمدون ربهم بإثبات أسمائه الحسنى وصفاته العليا. أما توحيد المعتزلة فتوحيد معكوس يزعمون فيه أنهم يمدحون ربهم، وهم في حقيقة أمرهم يذمونه ويصفونه بصفات النقائص التي لا يرضاه عاقل لنفسه، وقد أداهم توحيدهم هذا إلى القول بنفي صفة الكلام عن الله سبحانه وتعالى، والقول بخلق القرآن، وزعموا أنه مخلوق كسائر المخلوقات[1].

الأصل الثاني من أصولهم الخمسة رفعوا فيه شعار العدل وستروا تحته القول بخلق العباد لأفعالهم، ومعناه على رأيهم الباطل أن الله لا يخلق أفعال العباد لو كانت شرا، فعطلوا قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ الصافات:٩٦. وستروا تحت شعار العدل هذا نفي التقدير وعلم الله بالمقادير، وقالوا: إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به، إذ لو خلقه ثم عذبهم عليه كان ذلك جورا وظلما، والله تعالى لا يظلم ولا يجور.

وهذا الأصل الفاسد الذي رفعوا فيه شعار العدل، يلزمهم فيه أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يشاء، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه سبحانه بالعجز في مقابل وصفهم بالمشيئة والحرية، ونفي كونها مشيئة محدودة ومقيدة بالاختيار بين طريقين، طريق الخير أو الشر، أو

---

(١) انظر المزيد عن هذا الأصل في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين الملطي ص٣٧، نشر المكتبة الأزهرية للتراث.

طريق الإيمان أو الكفر، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، فمن المعلوم أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي الإيمان بعموم المشيئة الإلهية، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن [١].

الأصل الثالث من أصول المعتزلة هو ما يعرف بالمنزلة بين المنزلتين، ويقصدون به أن مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين الإيمان والكفر، خرج من الإيمان، ولم يدخل الكفر، فليس بمؤمن ولا كافر. وقد قرر ذلك الأصل واصل بن عطاء رأس المعتزلة لما رد على السائل في حلقة الشيخ الحسن البصري كما تقدم، أما حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة فهم يتفقون في ذلك مع الخوارج حيث يقولون بأنه مخلد في النار، ولا يخرج منها أبدا، ولا تجوز فيه شفاعة النبي ﷺ.

والفرق بين المذهبين أن الخوارج يقولون بأن مرتكب الكبيرة في الدنيا كافر خارج من الملة، والمعتزلة يقولون هو في منزلة بين المنزلتين، أو بين الإيمان والكفر [٢].

وقول أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة أنهم لا يحكمون على عليه بالكفر، بل هو مسلم فاسق، ولا يكفرون بالذنوب، ويقولون: إن مرتكب الكبيرة كالزنا والسرقة وغير ذلك من الكبائر تحت المشيئة يوم القيامة، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه.

الأصل الرابع من أصول المعتزلة إنفاذ الوعيد، ويقصدون به حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة، ويعني عندهم أن الله ﷻ يجب عليه أن

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٨٩ بتصرف.

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٣٧ بتصرف.

يعاقب مرتكب الكبيرة من المسلمين، ويخلده في النار أبد الآبدين، ولا يجوز أن يخرجه من النار بشفاعة أحد من المؤمنين، حتى لو كان الشافع هو سيد الأنبياء والمرسلين. وهم يشبهون الخوارج في قولهم: إذا توعد الله بعض عبيده وعيدا، فلا يجوز ألا يعذبهم أو يخلف وعيده. وكأنه سبحانه مقيد لا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يشاء، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، وأصل ضلالهم أنهم يقيسون الله ﷻ على خلقه أولا، ثم يعطلون أوصاف الله وأفعاله ثانيا ، وهذا ما فعلوه في أحكام الشفاعة طبقوا نظام البشر فيها على الله، وشتان بين الشفاعة عند الناس وعند الله.

الأصل الخامس من أصول المعتزلة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الشعار الرنان الذي يفتتن به كل إنسان، يقصدون به الدعوة إلى أصولهم الخمسة، فالمعروف عندهم هو من اعتنق أصولهم ودان بها، والمنكَر عندهم هو اتباع مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة، وقد أدى بهم هذا الأصل أن يجوزوا مسلك الخوارج في الخروج على حكام المسلمين وخلفائهم بالسيف[١] .

وقد استطاع المعتزلة الهيمنة على عقل الخليفة العباسي المأمون بن هارون، واستجلبوه إلى جانبهم، وحجبوا عنه كل فكر يخالف فكرهم، وكان يسوقه ويوجهه قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد، ومن ثم ناصر المعتزلة بكل ما لديه من قوه، بل حمل كافة الناس على اعتناق المذهب المعتزلي، ورغب الناس فيه، ورهبهم من تركه، ولقي المسلمون عنتا

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢٦/١٣بتصرف.

شديدا منه، وفتن كثيرة من الناس، وكانت تسمى هذه الفترة بمحنه خلق القران، وقد بلغوا الذروة في ابتلاء العلماء والعامة، كل ذلك جلب السخط العام على رجال الدولة، فأبطل الخليفة المتوكل المحنة وأبطل القول بخلق القران بعد فترة، وأبطل المحاكمات الجائرة ونصر المحدثين نصرا مؤزرا، فأصبح القول بالاعتزال يتحدث به بين أتباعه سرا بعد أن كان جهرا.

- **الكلابية فرقة كلامية تبنى مبادئها بعد المعتزلة مشايخ الأشعرية.**

تنسب الكلابية إلى أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري (ت:٢٤٠هـ) رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، والكلابية يفرقون بين الوصف والصفة فيجعلون الوصف هو القول، ويجعلون الصفة المعنى القائم بالموصوف، فقالوا: إن الوصف الذي هو القول يراد به الأفعال، وزعموا أنها لا تقوم به، والصفة هي الصفات اللازمة القائمة بالذات، فظنوا أن هناك نوعين مختلفين من الصفات:

أحدهما: قائم بالذات لازم لها، كصفات المعاني السبعة التي هي العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام.

والثاني: صفات أفعال لا تقوم عندهم بالذات، بل هي نسب إضافية عدمية تنشأ من إضافة المفعول لفاعله، ولا يعقل لها وجود إلا بتلك الإضافة، فوجودها أمر سلبي، وليس لها وجود في نفسها، فليس ثمت عندهم موجود إلا المفعولات، وأما الأفعال فنسب وإضافات.

ومذهب الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم

الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة، وهي أربعة معان في نفسه وهي الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة.

وأول من عرف بهذا المذهب الباطل هو ابن كلاب، وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، والحروف والأصوات حادثة؛ فلا يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى؛ لأنه ليس محلا للحوادث، فهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم لذلك المعنى وهو غير مخلوق[1].

وقد بدع إمام الإمام أحمد الكلابية أتباع ابن كلاب، وشدد عليهم وهم كالأشاعرة الأوائل، قال الإمام ابن تيمية: (وأما الحارث المحاسبي فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب، ولهذا أمر أحمد بهجره، وكان أحمد يحذر من ابن كلاب وأتباعه) [2].

وقال ابن تيمية: (والإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة كانوا يحذرون من هذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب، ويحذرون من أصحابه، وهذا هو سبب تحذير الإمام أحمد عن الحارث المحاسبي ونحوه من الكلابية) [3].

وقال أيضا: (والكلابية هم مشايخ الأشعرية فإن أبا الحسن الأشعري

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول لحافظ بن أحمد حكمي ١/٣٧٦.

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٢/٦.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢/٣٦٨.

إنما اقتدى بطريقة أبي محمد بن كلاب، وابن كلاب كان أقرب إلى السلف زمنا وطريقة، وقد جمع أبو بكر بن فورك شيخ القشيري كلام ابن كلاب والأشعري، وبين اتفاقهما في الأصول، ولكن لم يكن كلام أبي عبد الرحمن السلمي قد انتشر بعد، فإنه انتشر في أثناء المائة الرابعة لما ظهرت كتب القاضي أبي بكر بن الباقلاني ونحوه) [١].

وقد ذكر ابن تيمية أن الأشعرية ينسب إليها القول بأن القرآن قديم لا بصوت ولا حرف إلا معنى قائم بذات الله، غير أن هذا القول أول من قاله في الإسلام عبد الله بن كلاب، فإن السلف والأئمة كانوا يثبتون لله تعالى ما يقوم به من الصفات والأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته، والجهمية تنكر هذا وهذا، فوافق ابن كلاب السلف على القول بقيام الصفات القديمة، وأنكر أن يقوم به شيء يتعلق بمشيئته وقدرته، وجاء أبو الحسن الأشعري بعده، وكان تلميذا لأبى على الجبائي المعتزلي، ثم إنه رجع عن مقالة المعتزلة وبين تناقضهم في مواضع كثيرة، وبالغ في مخالفتهم في مسائل القدر والإيمان، والوعد والوعيد حتى نسبوه بذلك إلى قول المرجئة والجبرية والواقفة، وسلك في الصفات طريقة ابن كلاب، وهذا القول في القرآن هو قول ابن كلاب في الأصل وهو قول من اتبعه كالأشعري وغيره [٢].

وابن كلاب يثبت الأسماء والصفات لله تعالى إلا أنه ينفي منها ما يتعلق بمشيئة الله وإرادته، بناء على نفي حلول الحوادث بذات الله

---

(١) كتاب الاستقامة لابن تيمية ١/١٠٥.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢/١٧٨بتصرف.

تعالى، وهو بهذا قد وافق المعتزلة على هذا الأصل المقرر عندهم والمبني على دليل حدوث الأجسام، وهو أن من قامت به الحوادث لا يخلو منها، فنفوا جميع الصفات عن الله تعالى بناء على ذلك، أما ابن كلاب فقد خالفهم فأثبت لله الصفات الذاتية والمعنوية وجعلها أزلية، ونفي الصفات الفعلية لموافقته لهم على هذا الأصل[1].

قال أبو الحسن الأشعري مفصلا مذهب الكلابية في ذلك: (قال عبد الله بن كلاب: إن الله سبحانه لم يزل متكلما، وأن كلام الله سبحانه صفة له قائمة به، وأنه قديم بكلامه، وأن كلامه قائم به، كما أن العلم قائم به، والقدرة قائمة به، وهو قديم بعلمه وقدرته، وأن الكلام ليس بحروف ولا صوت، ولا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتغاير، وأنه معني واحد قائم بالله ﷻ، وأن الرسم هو الحروف المتغايرة، وهو قراءة القرآن، وأنه خطأ أن يقال كلام الله هو هو أو بعضه أو غيره، وأن العبارات عن كلام الله سبحانه تختلف وتتغاير، وكلام الله سبحانه ليس بمختلف ولا متغاير)[2].

• الأشعرية امتداد لمنهج المعتزلة والكلابية في تعطيل النصوص النقلية.

الأشعرية في عصرنا يمثلون الأغلبية في العالم الإسلامي، وذلك ليس عن رغبة معتنقيه من أهل العلم في هذا المذهب، ولكن لكونه واقعا مفروضا في أغلب المؤسسات التعليمية في مرحلة التلقي والتعليم منذ الصغر، فهذا المذهب الذي يطلق عليه معتنقوه على زعمهم مذهب أهل

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن صالح المحمود ١/٣٨٦.

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص٥٨٤.

السنة، ما زال مقررا في أغلب المدارس والجامعات في البلاد الإسلامية إلا من رحم ربك.

وطالب العلم يدخل منذ نعومة أظفاره إلى المدارس والمعاهد وهو خالي الذهن، فيجد مقررا منفرا غريبا في مادة التوحيد، ويجد المدرسين يلقنونه ويحفظونه أنواعا من التوحيد مبنية على أدلة عقلية بعيدة عن طريقة السلف المعتمدة على تصديق ما ورد في الكتاب والسنة من أخبار وتنفيذ ما ورد فيهما من أوامر.

ويستمر الطالب في دراسته حتى يصبح أستاذا جامعيا، وهو يجهل حقيقة ما عليه السلف، ولو نُوقش في ذلك، إما أن يستنكف عن الخضوع للحق؛ لأنه أستاذ صاحب هيبة ومكانة، وقبول الحق عنده يعني إقراره بلوازم يصعب تصورها، أو الالتزام بها، وإما أن يزداد إصرارا على صدق العقيدة الأشعرية، ويتمادى في الدفاع عنها بحجج عقلية حتى يستحيل معه النقاش.

والحق يقال: إن بعض من يقوم على التدريس للطلاب، أو يلخص لهم بعض ما جاء في الكتاب، ربما يشعر بشيء من المسئولية عند فهمه للطريقة السلفية، فينبه طلابه على أن ما يدرسونه يجب أن يكون للنجاح في الامتحان، وليس للاعتقاد والإيمان الذي يسأل عنه يوم القيامة، وقد رأيت ذلك بعيني في بعض الملخصات الخارجية للمقررات الأزهرية في مادة التوحيد، مما أثلج صدري، وأثار في نفسي العجب والاستغراب، ومن هنا كانت أهمية التعرف على التوحيد وتصنيفاته عند الأشعرية، والرد عليهم من باب النصيحة لإخواننا من جهة، وتحصين طلاب العلم من جهة أخرى.

لقد اعتمد السلف الصالح في اعتقادهم على الاستسلام لأمر الله وتنفيذه على وجه الكمال، والتصديق بخبره وإثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فالله ﷻ أعلم بنفسه ووصفه منا، ونحن ما رأيناه، وما رأينا له مثيلا، فكيف نحكم على كيفيته بعقولنا القاصرة؟

وليس هناك من خيار أمام من يدافع بإصرار عن استخدام عقله في وصف ربه إلا أن يقع في المحذور، ويستخدم في حق ربه أقيسة التمثيل والشمول، فيقول: لو كان الله كذا، لكان كذا، ويجب عليه كذا، لأجل كذا، ولو قلنا في وصفه بكذا، لكان كذا وكذا، وهو في حقيقة مبدئه يعتبر ربه فردا من أفراد ذلك القياس، ينطبق عليه ما ينطبق على سائر الناس. ولذلك كان مذهب السلف في التوحيد مذهبا حاسما، قطع الطريق على هؤلاء بمنع الأقيسة العقلية المبنية على اجتهادات فكرية في التعرف على الغيبيات أو كيفية الذات والصفات سواء كانت أقيسة تمثيلية أو شمولية.

لكن إصرار الأشعرية على استخدام حصيلتهم العقلية، والتي جمعوها من أفكار فلسفية كلامية يونانية وثنية في وصف الله ﷻ، وزعمهم أن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أداهم إلى أن يصنفوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع أساسية، فقالوا: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

والسؤال الذي يطرح نفسه على العقلاء: على أي أساس عقلي صنف هؤلاء المتكلمون التوحيد إلى ثلاثة أنواع؟ هل استندوا إلى حكم العقل بأن الله أعلم بنفسه ووصفه منا، فجاء هذا التصنيف مستندا على

كتاب ربهم وسنة نبيهم؟ أو أنهم استندوا إلى فهم الصحابة والتابعين وأئمة السنة المقبولين عند المسلمين كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم؟

في الحقيقة لم يستندوا في تصنيفهم للتوحيد لا إلى هذا ولا إلى ذاك، وإنما جعلوا الأمر مشاعا عقليا لكل من يدلي بدلوه في الموضوع، فأشبه الأمر استفتاءا شعبيا، واستبيانا فكريا لسائر العقلاء، كان مضمونه: أيها العقلاء الذين لم تروا ربكم، ولم تروا له مثيلا، خمنوا وبينوا لنا ما يجب في حق الله، وما يجوز له، وما يستحيل عليه، وسنأخذ في النتيجة النهائية برأي الأغلبية، لأننا نعلم أنه من المستحيل اتفاق الكل على استفتاء عادي، فضلا عن استفتاء فكري، ولكن سنعتبر رأي الأغلبية أصولا عقلية، ثم نعتبرها بعد ذلك أصولا لديننا وعقيدتنا، فقبلت مجموعة كبيرة من كبار المتكلمين العقلاء المشاركة في هذا الاستفتاء، ثم خرج بعضهم بنتيجة غريبة، لا يعرف فيها مقياس لفرز الآراء، ولا عدد الذين اتفقوا عليها من ذوي الأصوات العقلية الصحيحة.

المهم أن رأيا عاما ظهر في تلك النتيجة، نسبوه إلى أبي الحسن الأشعري، واعتبروه دستور الحق ومعيار الصدق في باب الاعتقاد، وأن من دان به فهو من أهل السنة والجماعة، وأهل الحق والتحقق والدين الخالص، فكان من بنود هذه الأحكام العقلية تصنيف التوحيد إلى ثلاثة أنواع، بناء على الحيثيات التالية:

النوع الأول: أن الله واحد في ذاته، لا ينقسم، وليس له أجزاء وأبعاض، لأنه إن كان له أجزاء، لم يخل إما أن يكون كل جزء منه حيا عالما قادرا، أو كان بعض الأجزاء مختصا بالحياة والعلم والقدرة، فإن

كان كل جزء منه حيا عالما قادرا، كان في ذلك إثبات آلهة متعددة، ويُستدل على بطلانه، وإن كانت الحياة والقدرة والعلم في جزء مخصوص، لم يكن الجزء الثاني حيا عالما قادرا، لاستحالة وجود العلة في محل، وثبوت حكمها في محل آخر[١].

النوع الثاني: أن الله واحد في صفاته لا شبيه له، لأنه يخالف الحوادث، والحوادث لا تقوم به، والدليل على استحالة قيام الحوادث بذات الباري تعالى، أنها لو قامت به لم يخل عنها، ومن لم يخل عن الحوادث فهو حادث، فالرب متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بالمحاذاة، لا تحيط به الأقطار، ويجل عن قبول الحد والمقدار، والدليل على ذلك أن كل مختص بجهة شاغل لها متحيز، وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها، ويرتب على ذلك تعاليه عن الاختصاص بمكان، وملاقاة أجرام وأجسام [٢].

النوع الثالث: أن الله واحد في أفعاله لا شريك له، والدليل على وحدانية الإله دليل التمانع، وفحواه كما تقدم أننا لو قدرنا إلهين اثنين، وفرضنا عرضين ضدين، وقدرنا إرادة أحدهما لأحد الضدين، وإرادة الثاني للثاني، فلا يخلو من أمور ثلاثة، إما أن تنفذ إرادتهما، أو لا تنفذ إرادتهما، أو تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر، والنتيجة النهائية تنفيذ إرادة واحد فقط، هو الإله القادر على تحصيل ما يشاء[٣].

(١) الغنية في أصول الدين للنيسابوري المتولي ص٦٦ بتصرف.

(٢) لمع الأدلة ص١٠٧.

(٣) انظر نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني ص٥٧.

كما ظهرت ضمن هذا الاستفتاء الكلامي والحكم العقلي بنود أخرى كثيرة، تضاف إلى تقسيم التوحيد عند الأشعرية منها:

١- أن أول ما يجب على المكلف هو القصد إلى النظر الصحيح المؤدي إلى العلم بحدوث العالم، وإثبات العلم بالصانع، والدليل عليه إجماع العقلاء على وجوب معرفة الله تعالى، وعلمنا عقلا أنه لا يُعلم حدوث العالم ولا الصانع إلا بالنظر والتأمل، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب[(١)].

٢- يجب في حق الله القدم، والبقاء، والقيام بالنفس، والوحدانية، ونفي التركيب وحلول الحوادث، وهي خمس صفات سلبية. وله سبع صفات نفسية فهو بذاته مريد بإرادة، عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، وهذه كلها معان وجودية أزلية، وقد ثبتت له هذه المعاني عندهم بناء على ما جاء في النتائج العقلية التي اختارها أغلب المتكلمين، ودليلهم العقلي فيها أن الفعل الحادث يدل على القدرة، والتخصيص يدل على الإرادة، والإتقان يدل على العلم، وهذه الثلاثة لا تكون إلا في حي، والحي لابد أن يكون سميعا بصيرا متكلما [(٢)].

٣- النصوص الخبرية الواردة في الآيات القرآنية وصحيح الأحاديث

---

(١) الغنية في أصول الدين ص٥٥.

(٢) انظر بتصرف رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص١٧ وما بعدها، وكتاب أصول الدين ص٦٣، لجمال الدين أحمد بن سعيد تحقيق عمر وفيق الداعوق، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت سنة ١٩٩٨.

النبوية التي وردت في صفات الله، هي عندهم موهمة للتشبيه والجسمية، وظاهرها أمور كفرية باطلة ومستحيلة وغير مراد لله في كلامه، والواجب عندهم إما أن تؤول، وإما أنها من أخبار الآحاد التي لا تفيد اليقين في أمور الاعتقاد[1].

تلك أغلب الآراء التي نتجت عن ذلك الاستفتاء من قبل عقلاء المتكلمين من الأشعرية وغيرهم، وقد اعتبروها أصول الدين، والقواطع العقلية، والفيصل المبين في النظر إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافق تلك الأصول من النصوص والآيات فهو دليل ثانوي لهم، يقدمونه فقط عند الكتابة في المؤلفات، أو عند المحاجة في المخاصمات والمناظرات، حتى يشعر المخاطب أنهم يعتمدون على نصوص الوحي في إثبات الصفات والغيبيات، وما خالف أصولهم وتقسيمهم للتوحيد، فينبغي التعامل معها بأي وسيلة، وأن يبذل لها المرء كل حيلة، بادعاء مجاز أو تأويل، أو تهوين وتعطيل، أو تقبيحها في نفس السامع حتى تبدو ضربا المستحيل، المهم عندهم أن يقر بأن ظاهرها الذي ورد في التنزيل ظاهر باطل ومستحيل، ويجب صرفه إلى شيء آخر.

- **مناقشة الأشعرية في تصنيفهم التوحيد وبيان بطلانه.**

قول الأشعرية في التوحيد إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له. فيه ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ، وفيه ما يخالفه، وليس الحق الذي فيه هو الغاية التي جاء بها الرسول ﷺ، بل التوحيد الذي أُمِرَ به يتضمن الحق الذي في هذا الكلام

(١) انظر بتصرف المختار من شرح البيجوري علي جوهرة التوحيد ص ١٠٩.

وزيادة أخرى، فهذا الكلام ضرب من التلبيس الذي اختلط فيه الحق بالباطل؛ لأن الإنسان لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء، لم يكن موحدا، بل ولا مؤمنا حتى يشهد أن لا إله إلا الله، ويقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له، فإنهم إذا قالوا الله واحد في ذاته لا قسيم له ولا جزء له ولا شبيه له، فهذا اللفظ وإن كانت نيتهم تحمل معنى صحيحا، فإن الله ليس كمثله شيء في ذاته أو صفاته أو أفعاله، وهو سبحانه منزه عن تفرق ذاته أو فسادها، أو تحولها إلى ذات أخرى، بل هو واحد أحد وتر صمد. والصمد هو الذي لا جوف له، وهو السيد الذي كمل سؤدده، لكنهم يدرجون تحت هذا التوحيد المزعوم، وتحت شعار أنه لا ينقسم نفي علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، الذي أخبر به عن نفسه، ومباينته لمصنوعاته، ونفي ما ينفونه من صفاته، ويقولون إن إثبات ذلك يقتضي أن يكون مركبا منقسما مشابها للحوادث[1].

قال فخر الدين الرازي وهو من أكابر الأشعرية قال في نفي علو الله على خلقه، وتعطيل استوائه على عرشه: (لو كان الله مختصا بالمكان، لكان الجانب الذي في يمينه، يلي ما على يساره، فيكون مركبا منقسما، فلا يكون أحدا في الحقيقة، فيبطل قوله: قل هو الله أحد) [2].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/٢٢٨ وما بعدها بتصرف.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ٦/٢٢، نشر دار الكتب العلمية بيروت، وانظر أساس التقديس للفخر الرازي ص٢٥.

وهم لما نفوا الاستواء وعطلوا علو الفوقية بهذه الحجج العقلية، ساءت حجتهم عند عامة المسلمين، فالله ﷻ يقول صراحة هو على العرش، وهم يقولون صراحة ليس على العرش، فما المخرج من هذه الورطة التي وضعوا أنفسهم فيها؟

والجواب في قول أحدهم: لو سئلنا عن قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥؟ لقلنا المراد بالاستواء القهر والغلبة والعلو، ومنه قول العرب استوى فلان على المملكة، أي استعلى عليها واطردت له، ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق : من غير سيف ودم مهراق[١].

- **الأشعري مات سلفي المعتقد مخالفا للأشعرية المعطلة.**

الأشعرية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري وهو علي بن إسماعيل الأشعري ينتسب إلى أبي موسى الأشعري أحد علماء القرن الثالث تنتسب إليه الأشعرية ولد في البصرة، تعمق أولا في مذهب المعتزلة وتتلمذ على أبي علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب أحد مشاهير المعتزلة، إلا أن الله أراد له الخروج عن مذهبهم والدخول في مذهب أهل السنة والجماعة.

ومن سيرته الذي ذكرها في كتابه أنه كان دائما ما يمل من اختلاف الفرق في وقته، فهداه الله إلى الحق واقتنع بما عليه السلف من اعتقاد مطابق لما جاء في القرآن والسنة النبوية فكان له موقف حاسم، وقد مكث في بيته خمسه عشر يوما لا يخرج إلى الناس، وفي نهايتها خرج

(١) انظر لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة ص ١٠٨ بتصرف.

يوم جمعه، وبعد أن انتهى من الصلاة صعد المنبر وقال مخاطبا جموع الناس: (من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وإن الله لا يُرى في الدار الآخرة بالأبصار، وإن العباد يخلقون أفعالهم، وها أنا تائب من الاعتزال مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم، معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة، لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء على شيء فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما انخلعت من ثوبي هذا) [(١)].

وانخلع من ثوب كان عليه ودفع للناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين [(٢)].

مر الأشعري بثلاث مراحل في عقيدته أولها مرحلة الاعتزال التي تربى فيها على يد أبي على الجبائي، ثم المرحلة الثانية التي تأثر فيها بالمنهج العقلي في تقرير إثبات الصفات، فأثبت سبع صفات نفسية وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، أما المرحلة الثالثة فهي إثبات ما أثبته الله لنفسه على مراد الله ورسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل على طريقة السلف.

ومن أشهر زعماء الأشعرية الذين انتسبوا إلى أبي الحسن الأشعري قبل توبته وعودته إلى مذهب السلف والذين يمثلون مذهب المتكلمين المعطلة الذي يدرس في البلاد الإسلامية حتى الآن أبو بكر الباقلاني،

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ١/١٨١.

(٢) السابق ١/١٨١.

والبيضاوي والشريف الجرجاني، والإمام أبو المعالي الجويني، وأبو حامد الغزالي، وأبو الفتح محمد الشهرستانى.

وقد قف الأشاعرة بالنسبة للإيمان بصفات الله وقوفا مضطربا مملوءا بالتناقض المعهود عند المعتزلة، فذهب الأشاعرة إلى تقسيم الصفات الإلهية إلى صفات نفسية راجعه إلى الذات وإلى صفات سلبيه اختاروا لها خمسه أقسام هي الوحدانية والبقاء والقدم والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس.

وها هنا حقيقة هامة ربما تخفى على كثير من الدارسين للمذهب الأشعري، تلك الحقيقة التي نستطيع الجزم بها، أن أبا الحسن الأشعري الذي ينتسب إليه جميع الأشعرية في البلاد الإسلامية اليوم، يدين لله في أغلب أمور العقيدة بغير ما يدين به هؤلاء، فطريقته في التوحيد طريقة سلفية تنطق بما نطقت به الأصول القرآنية والنبوية.

وهذا كتابه الإبانة عن أصول الديانة، وهو من أواخر ما كتب في بيان عقيدته، ولا يجرؤ أحد من الأشعرية التشكيك في نسبته، لتواتر تلك النسبة إليه عند كل من ترجم لشخصيته، وقد جاء فيه بلا لبس أو غموض، أو تعصب أو جمود، جاء فيه التصريح بأن عقيدته التي يدين لله بها هي بذاتها وعينها ونفسها عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وقد أثبت فيها علو الله على خلقه، واستوائه بذاته على عرشه، وأنه تعالى في السماء، وأثبت جميع ما ورد في صفات الذات والأفعال على عكس طريقة الأشعرية في عصرنا، المنتهجين لطريقة الجهمية والمعطلة.

قال رحمه الله: (فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة، فإن قال لنا

قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟ قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا ﷻ، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم)[1].

ثم سرد عقيدته التي يدين بها، وقد جاء فيها أن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك، قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد[2].

وقال رحمه الله عن عقيدته في الاستواء وعلو الله على خلقه: (إن قال

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص٢٠، تحقيق دكتورة فوقية حسين محمود، نشر دار الأنصار القاهرة ١٣٩٧هـ.

(٢) السابق ص٢١.

قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول إن الله ﷻ يستوي على عرشه استواء يليق به كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. وقد قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ فاطر:١٠، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ النساء:١٥٨، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ السجدة:٥. وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ الملك:١٦، فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السماوات.

وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنى جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى الله تعالى ذكر السماوات فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦﴾ نوح:١٦. ولم يرد أن القمر يملؤهن جميعا، وأنه فيهن جميعا. ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله ﷻ على العرش، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطّونها إذا دعوا إلى الأرض[1].

ثم أبطل رحمه الله قول القائلين من الجهمية وأتباعهم بأن معنى استوى استولى، وأبطل تأويلهم معنى الاستواء بالقدرة، وأنه ملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وشنع على جحدوهم أن يكون الله ﷻ

(١) السابق ص١٠٥ وما بعدها.

مستويا على عرشه بالكيفية الحقيقية التي يعلمها هو، كما قال أهل الحق، ثم فند أقوالهم، وكشف عورتهم، وأبان للجميع سوأتهم.

كما أنه أثبت من الصفات الخبرية ما يعتبره الأشعرية من بعده حتى اليوم تشبيها وتجسيما، وظاهرا باطلا مستحيلا، يجب صرفه عندهم بالتأويل إلزاما، فأثبت لله وجها بلا كيف، ويدين بلا كيف، وعينين بلا كيف، وغير ذلك من الصفات الخبرية على اصطلاح الأشعرية(١).

وهو يعني بوضوح شديد أن إثبات الوجه بلا كيف، واليدين بلا كيف، والعينين بلا كيف، هو إثبات حقيقة الصفة الذاتية لله، وأن المراد بقوله: بلا كيف، هو ما يعنيه الإمام أحمد بن حنبل من نفي العلم بكيفية الصفة الذاتية الحقيقية الملازمة للموصوف، لا أنه يعني بقوله: بلا كيف نفي وجود كيفية الصفة، كما حاول بعضهم أن يشيع ذلك عن علماء السلف، وحاول أن يجعل نفي الكيفية نفيا لإثبات وجود الصفة، وهذا كذب على علماء السلف؛ لأنه لا خلاف بينهم أن الكيفية الغيبية كيفية حقيقية موجودة، وهي كيفية معلومة لربنا، مجهولة لنا، وأن الله سبحانه هو وحده الذي يعلم كيفية وجهه ويديه وعينيه، فهذا مراد أبي الحسن الأشعري من قوله: وجه ويد وعين بلا كيف .

فأين هذا ممن يوجب تأويل الصفات بحجة أنها موهمة للتشبيه والجسمية، ويوجب تأويلها بأي صورة مجازية، أو يُسأل عن الاستواء ويصر على أن معناه استيلاء وقهر، وأنه سبحانه في كل مكان، وليس على عرشه كما ورد في الكتاب والسنة؟!

---

(١) السابق ص٢٢.

- **الماتريدية فرقة من فرق المعطلة المنتشرة انتشار واسعا حتى عصرنا.**

تنتسب الماتريدية إلى أحد علماء القرن الثالث الهجري وهو محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي (ت:٣٣٣هـ) ولد في ماتريد، وهي من بلدان سمرقند فيما وراء النهر، وتلقى علوم الفقه الحنفي والكلام على أحد كبار علماء ذلك العصر، وهو نصر بن يحي البلخي وغيره من كبار علماء الأحناف، كأبي نصر العياض، وأبي بكر أحمد الجوزجاني، وأبي سليمان الجوزجاني حتى أصبح من كبار علماء الأحناف، وتتلمذ عليه بعض المشاهير فكان له مناظرات ومجادلات عديدة مع المعتزلة في الأمور التي خالفهم فيها، واتحد مع الأشعري في محاربه المعتزلة وكان معاصرا له.

وعقيدة الماتريدية قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية، وقد مرت الماتريدية كفرقة كلامية بعدة مراحل ولم تعرف بهذا الاسم إلا بعد وفاة مؤسسها، كما لم تعرف الأشعرية ولم تنتشر إلا بعد وفاة أبي الحسن الأشعري، ومرحلة التكوين التي مرت بها الماتريدية (٣٣٣هـ - ٥٠٠هـ) هي مرحلة تلامذة الماتريدي ومن تأثر به من بعده، وفيه أصبحت الكلامية فرقة ظهرت أولا في سمرقند، وعملت على نشر أفكار شيخهم وإمامهم، ودافعوا عنها، وصنفوا التصانيف متبعين مذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع والأحكام، فراجت العقيدة الماتريدية في تلك البلاد أكثر من غيرها، ومن أشهر أصحاب هذه المرحلة أبو القاسم إسحاق بن محمد الحكيم السمرقندي٣٤٢هـ، وأبو محمد عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوي ٣٩٠هـ

ثم تلي ذلك مرحلة أخرى تعتبر امتدادا للمرحلة السابقة، ومن أهم

وأبرز شخصياتها، أبو اليسر البزدوي ٤٩٣هـ، وهو محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم والبزدوي نسبة إلى بزدوة، وقد أخذ عن الشيخ أبو اليسر البزدوي جم غفير من التلاميذ؛ ومن أشهرهم ولده القاضي أبو المعاني أحمد، ونجم الدين عمر بن محمد النسفي صاحب العقائد النسفية وغيرهما.

ثم تلي ذلك مرحلة التأليف والتأصيل للعقيدة الماتريدية الكلامية (٥٠٠هـ - ٧٠٠هـ) وامتازت بكثرة التأليف وجمع الأدلة للعقيدة الماتريدية ؛ ولذا فهي أكبر الأدوار السابقة في تأسيس العقيدة، ومن أهم أعيان هذه المرحلة، أبو المعين النسفي (ت:٥٠٨هـ) وهو ميمون بن محمد بن معتمد النسفي، ونجم الدين عمر النسفي (ت:٥٣٧هـ) وهو أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد الحنفي النسفي.

ثم تلي ذلك مرحلة التوسع والانتشار إلى ١٣٠٠هـ، وتعد من أهم مراحل الماتريدية حيث بلغت أوج توسعها وانتشارها في هذه المرحلة؛ وما ذلك إلا لمناصرة سلاطين الدولة العثمانية لها، فكان سلطان الماتريدية يتسع حسب اتساع سلطان الدولة العثمانية، فانتشرت في شرق الأرض وغربها وبلاد العرب والعجم والهند والترك وفارس والروم.

وهناك مدارس مازالت تتبنى الدعوة للماتريدية في شبه القارة الهندية وتتمثل في مدرسة ديوبند والمدرسة الندوية ١٢٨٣هـ، وفيها كثر الاهتمام بالتأليف في علم الحديث وشروحه فالديوبندية أئمة في العلوم النقلية والعقلية؛ وإلا أنهم متصوفة محضة، وعند كثير منهم بدع قبورية كما يشهد عليهم كتابهم "المهند على المفند" للشيخ خليل أحمد

السهارنفوري أحد أئمتهم، وهو من أهم كتب الديوبندية في العقيدة، ولا تختلف عنها المدرسة الندوية في كونها ماتريدية العقيدة.

ومدرسة البريلوية ١٢٧٢هـ نسبة إلى زعيمهم أحمد رضا خان الأفغاني الحنفي الماتريدي الصوفي الملقب بعبد المصطفى ١٣٤٠هـ، وفي هذا الدور يظهر الشرك الصريح والدعوة إلى عبادة القبور وشدة العداوة للديوبندية، وتكفيرهم فضلا عن تكفير أهل السنة.

ثم مدرسة الكوثري ١٢٩٦هـ وتنسب إلى محمد زاهد الكوثري الجركسي الحنفي الماتريدي١٣٧١هـ، ويظهر فيها شدة الطعن في أئمة الإسلام ولعنهم، وجعلهم مجسمة ومشبهة، واعتبارهم كتب السلف ككتاب التوحيد والإبانة والعلو وغيرها كتبا وثنية وتجسيما وتشبيها، كما يظهر فيها أيضا شدة الدعوة إلى البدع الشركية والتصوف من تعظيم القبور والمقبورين تحت ستار التوسل.

• **أهم المعتقدات الكلامية التي يدين بها الماتريدية في تعطيل النقل.**

قسم الماتريدية أصول الدين إلى ما يستقل العقل بإثباتها وهي الإلهيات وتشمل أبواب التوحيد والصفات، وإلى الشرعيات والسمعيات وهي الأمور التي يجزم العقل بإمكانها ثبوتا ونفيا، ولا طريق للعقل إليها، مثل النبوات وعذاب القبر وأمور الآخرة، علما بأن بعضهم جعل النبوات من قبيل العقليات.

ولا يخفى ما في هذا من مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة حيث إن القرآن والسنة وإجماع الصحابة هم مصادر التلقي عندهم، أما بدعة تقسيم أصول الدين إلى عقليات وسمعيات فقد قامت على فكرة باطلة

أصّلها الفلاسفة من أن نصوص الدين متعارضة مع العقل، فعملوا على التوسط بين العقل والنقل مما اضطرهم إلى إقحام العقل في غير مجالات بحثه؛ فخرجوا بأحكام باطلة تصطدم مع الشرع ألجأتهم إلى التأويل والتفويض بينما لا منافاة عند أهل السنة والجماعة بين العقل الصريح والنقل الصحيح.

وبناء على التقسيم السابق فإن موقفهم من الأدلة النقلية في مسائل الإلهيات وتوحيد الصفات مرهونة بحكم العقليات، فإن كان من نصوص القرآن الكريم والسنة المتواترة مما هو قطعي الثبوت قطعي الدلالة عندهم، أي مقبولا عقلا خاليا من التعارض مع عقولهم ؛ فإنهم يحتجون به في تقرير العقيدة، وأما إن كان قطعي الثبوت ظني الدلالة عندهم، أي مخالفا لعقولهم؛ فإنه لا يفيد اليقين؛ ولذلك تؤول الأدلة النقلية بما يوافق الأدلة العقلية، أي تفسر الأدلة بغير ما أراد الله ورسوله ﷺ بها، أو تفويض معانيها إلى الله ﷻ.

وهم في ذلك مضطربون ليست عندهم قاعدة مستقيمة في التأويل والتفويض؛ فمنهم من رجح التأويل على التفويض، ومنهم من رجح التفويض، ومنهم من أجاز الأمرين، وبعضهم رأى أن التأويل لأهل النظر والاستدلال، والتفويض أليق للعوام.

والملاحظ أن القول بالتأويل أي تفسير الأدلة بغير ما أراد الله ورسوله ﷺ بها لم يكن على عهد النبي ﷺ، ولا أصحاب القرون المفضلة، وإنما هي بدعة دخلت على الجهمية والمعتزلة من اليهود والنصارى، وإلى التأويل يرجع جميع ما أُحدث في الإسلام من بدع فرقت شمل الأمة، وهو أشر من التعطيل؛ حيث يستلزم التشبيه والتعطيل، واتهاما للرسول

ﷺ بالجهل، أو كتمان العلم وبيان ما أنزل الله، وأما القول بالتفويض فهو من أشر أقوال أهل البدع لمناقضته ومعارضته نصوص التدبر للقرآن واستلزام تجهيل الأنبياء والمرسلين برب العالمين.

والأحاديث عند الماتريدية إن كانت من أحاديث الآحاد، فإنها تفيد الظن ولا تفيد العلم اليقيني، ولا يعمل بها في الأحكام الشرعية مطلقا، بل وفق قواعدهم وأصولهم التي قرروها، وأما في العقائد؛ فإنه لا يحتج بها ولا تثبت بها عقيدة، وإن اشتملت على جميع الشروط المذكورة للحديث الصحيح، وإن كانت ظاهرة فظاهرها غير مراد، وهذا موقف الماتريدية قديما وحديثا؛ حتى إن الكوثري ومن وافقه من الديوبندية طعنوا في كتب السنة بما فيها الصحيحين.

وطعنوا في عقيدة أئمة السنة مثل حماد بن سلمة راوي أحاديث الصفات، والإمام الدارمي عثمان بن سعيد صاحب السنن، وهذا مخالف لفعل النبي ﷺ حيث كان يبعث الرسل إلى الملوك والرؤساء فرادى يدعونهم إلى الإسلام وحديثهم حديث أحاد، وكذلك فإن تقسيم ما ورد عن النبي ﷺ إلى متواتر وآحاد لم يكن معروفا في عصر الصحابة والتابعين .

كما رتبوا على ذلك وجوب معرفة الله تعالى بالعقل قبل ورود السمع، واعتبروه أول واجب على المكلف، ولا يعذر بتركه ذلك، بل يعاقب عليه ولو قبل بعثة الأنبياء والرسل، وبهذا وافقوا قول المعتزلة وهو قول ظاهر البطلان تعارضه الأدلة من الكتاب والسنة.

والماتريدية قالوا أيضا بالتحسين والتقبيح العقليين حيث يدرك العقل

حسن الأشياء وقبحها إلا أنهم اختلفوا في حكم الله وحسابه لعباده بمجرد إدراك العقل للحسن والقبح، فمنهم من قال: إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ولو لم يبعث إليهم رسول كما سبق، ومنهم من قال بعكس ذلك.

وذهب الماتريدية كغيرها من الفرق الكلامية إلى أن المجاز واقع في اللغة والقرآن والحديث؛ ويقصدون بالمجاز بأنه اللفظ مستعمل في غير ما وضع له، وهو قسيم الحقيقة عندهم، ولذلك اعتمدوا عليه في تأويل النصوص دفعا في ظنهم لشبه التجسيم والتشبيه، وهو بهذا المعنى قول مبتدع محدث لا أصل له في اللغة ولا في الشرع، ولم يتكلم فيه أحد من أئمة اللغة.

ومفهوم التوحيد عند الماتريدية يتفقون فيه مع الأشعرية في إثبات أن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له ، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا يشاركه أحد، وأن الإله عندهم هو القادر على الاختراع مستخدمين في ذلك الأدلة والمقاييس العقلية والفلسفية التي أحدثتها المعتزلة والجهمية، مثل دليل حدوث الجواهر والأعراض، وهي أدلة طعن فيها السلف والأئمة وأتباعهم.

وقالوا بإثبات ثماني صفات لله تعالى فقط على خلاف بينهم، وهي الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام والتكوين، وجميع الأفعال المتعدية ترجع إلى التكوين، أما ما عدا ذلك من الصفات التي دل عليها الكتاب والسنة كالصفات الخبرية من صفات ذاتية أو صفات فعلية فإنها لا تدخل في نطاق العقل ولذلك قالوا بنفيها.

وقولهم بأن القرآن الكريم ليس بكلام الله تعالى على الحقيقة وإنما هو كلام الله تعالى النفسي لا يسمع وإنما يسمع ما هو عبارة عنه قول مبتدع محدث أول من ابتدعه ابن كلاب. ولذلك فإن حقيقة قولهم في القرآن أنه مخلوق.

وتقول الماتريدية في الإيمان إنه التصديق بالقلب فقط، وأضاف بعضهم الإقرار باللسان، ومنعوا زيادته ونقصانه، وقالوا بتحريم الاستثناء فيه، وأن الإسلام والإيمان مترادفان، لا فرق بينهما، فوافقوا المرجئة في ذلك وخالفوا أهل السنة والجماعة.

وعقيدة الماتريدية فيها حق وباطل، وقد تأثر أبو منصور الماتريدي مباشرة، أو بواسطة شيوخه بعقائد الجهمية من الإرجاء والتعطيل؛ وكذلك المعتزلة والفلاسفة في نفي بعض الصفات، وتحريف نصوصها، ونفي العلو والصفات الخبرية ظنا منه أنها عقيدة أهل السنة.

وقد انتشرت الماتريدية وكثر أتباعها في بلاد الهند وما جاورها من البلاد الشرقية كالصين وبنغلاديش وباكستان وأفغانستان، كما انتشرت في بلاد تركيا والروم وفارس وبلاد ما وراء النهر والمغرب، حسب انتشار الحنفية وسلطانهم، وما زال لهم وجود قوي في هذه البلاد.

- الفرق بين فرقة الأشاعرة والماتريدية في أهم المسائل الاعتقادية.

موقف الأشاعرة بشكل عام تجاه أحاديث الآحاد أقل حدة من موقف الماتريدية حيث يحتجون بها في السمعيات وفي مسائل العقيدة التي لا تتعارض مع العقل بزعمهم، أما الماتريدية فموقفهم من أحاديث الآحاد أشد غلوا، فهم يبطلون الاحتجاج بها في مسائل العقيدة وإن

اشتملت على كل الشروط المذكورة في كتب الأصول، وهذا خلاف أهل السنة والجماعة الذين يحتجون بأحاديث الآحاد متى ثبتت صحتها في مسائل العقائد والأحكام على السواء، فلا تفريق عندهم بين المتماثلات، فكل ورد به الدليل الشرعي ولا تعارض عندهم بين الأدلة النقلية والعقلية فالكل من عند الله.

وذهب الأشاعرة إلى القول بأن التحسين والتقبيح لا يكون إلا بالشرع، ولا دخل للعقل فيه البتة، وبنوا على هذا القول بأن الشرع قد يجافي الفطرة وأن أفعال الله ﷻ لا تعلل بالأغراض، ولازم هذا نفي الحكمة عن أفعال الله ﷻ، وأنه يجوز التكليف بما لا يطاق وإن لم يقع ذلك شرعا، وأما الماتريدية فاقتربوا من المعتزلة في هذه المسألة وقالوا بأن التحسين والتقبيح مسألة عقلية، فالعقل عندهم يستقل بمعرفة الحسن والقبيح، وأما أهل السنة والجماعة فمذهبهم وسط في هذه المسألة على تفصيل تقدم ذكره في أصول العقيدة[1].

وفي مسألة التأويل وإن اتفقا في تأويل الصفات الفعلية إلا أن الأشاعرة يؤولونها بالإرادة، بينما يؤولها الماتريدية بالتكوين، وأما أهل السنة والجماعة فأثبتوها على الوجه الذي يليق بجلال الله.

وفي مسألة القضاء والقدر خالف الأشاعرة أهل السنة والجماعة وقالوا بنظرية الكسب وهي محاولة غير ناجحة للتوسط بين أهل السنة والمعتزلة في هذه المسألة حيث قالوا بأن الله ﷻ هو فاعل فعل العبد على الحقيقة دون حقيقة الكسب، وهذا يؤول إلى الجبر لا محالة، وأما العبد

(١) كتاب أصول العقيدة للرضواني ١/١٢٧.

فهو كاسب لهذا الفعل على سبيل الوهم، وعلاقة إرادته بفعله علاقة اقترانية لا تأثيرية، فلا تأثير لإرادة العبد في فعله، وإنما هو مجرد اقتران بينهما في الحدوث، فالنار عندهم لا يحصل الإحراق بها، وإنما يحصل عندها، ولازم هذا إنكار السببية، وهذا أمر ظاهر الغرابة والبطلان حدا بكثير من الأشاعرة وعلى رأسهم إمام الحرمين أبي المعالي الجويني إلى إنكار هذه النظرية حتى حكي عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله الرجوع عنها.

وأما الماتريدية فوافقوا أهل السنة في هذه المسألة فالله ﷻ هو خالق فعل العبد والعبد هو مكتسب فعله وفاعله حقيقة، بإرادة مؤثرة فيه خلقها الله للعبد، لا تخرج عن إرادته الكونية.

- المشبهة والمجسمة من فرق المعطلة لتعطيلها الصفات الحقيقية.

الممثل والمشبه عطل بتمثيله وتشبيهه الصفة الحقيقية لله؛ لأن تمثيله الباطل غطى على الحقيقة، فعطل العلم الصحيح بأوصاف الحق التي وردت في نصوص الكتاب والسنة تحت ستار التمثيل والتشبيه، ولذلك قال ابن تيمية: كل ممثل معطل[1].

ولذلك أدرجنا المشبهة ضمن فرق المعطلة، فالمشبهة هم الذين شبهوا الله بخلقه، وجعلوا صفاته من جنس صفات المخلوقين، ولذلك سموا بالمشبهة، وأول من قال هذه المقالة هو هشام بن الحكم الرافضي، وبيان بن سمعان التميمي الذي تنسب إليه البيانية من غالية الشيعة، فالمشبهة

---

(١) انظر الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٧/٣، ٤٩/٣. وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية٩٥/٢.

غلوا في إثبات الصفات حتى أدخلوا في ذلك ما نفاه الله ورسوله مما لا يليق به سبحانه من صفات النقص، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، ومن هؤلاء هشام بن سالم الجواليقي وداود الجواربي.

وقد اختلفت المجسمة فيما بينهم في التجسيم، وهل للبارئ تعالى قدر من الأقدار؟ فقال هشام بن الحكم: إن الله جسم محدود عريض عميق طويل، طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه، نور ساطع، له قدر من الأقدار، بمعنى إن له مقدارا في طوله وعرضه وعمقه، لا يتجاوزه في مكان دون مكان، كالسبيكة الصافية، يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها، ذو لون وطعم ورائحة ومجسة، لونه هو طعمه، وهو رائحته، وهو مجسته، وهو نفسه لون، ولم يثبت لونا غيره، وأنه يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد، هو عندهم جسم لا كالأجسام[1].

وقد ذكر عن بعض المجسمة أنه كان يثبت البارئ ملونا، ويأبى أن يكون ذا طعم ورائحة ومجسة، وأن يكون طويلا وعريضا وعميقا، وزعم أنه في مكان دون مكان، متحرك من وقت خلق الخلق، وقال قائلون إن البارئ جسم، وأنكروا أن يكون موصوفا بلون أو طعم أو رائحة أو مجسة، أو شيء مما وصف به هشام غير أنه على العرش مماس له دون سواه.

واختلفوا في مقدار البارئ بعد أن جعلوه جسما فقال قائلون هو جسم، وهو في كل مكان، وفاضل عن جميع الأماكن، وهو مع ذلك متناه غير أن مساحته أكثر من مساحة العالم، لأنه أكبر من كل شيء، وقال بعضهم مساحته على قدر العالم، وقال بعضهم إن البارئ جسم له

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/٢٠٧.

مقدار في المساحة، ولا ندرى كم ذلك القدر؟ وقال بعضهم هو في أحسن الأقدار، وأحسن الأقدار أن يكون ليس بالعظيم الجافي ولا القليل القميء، وحكي عن هشام بن الحكم أن أحسن الأقدار أن يكون سبعة أشبار بشبر نفسه، وقال بعضهم ليس لمساحة البارئ نهاية ولا غاية، وأنه ذاهب في الجهات الست اليمين والشمال والإمام والخلف والفوق والتحت، قالوا وما كان كذلك لا يقع عليه اسم جسم، ولا طويل ولا عريض ولا عميق، وليس بذي حدود ولا هيئة ولا قطب.

وقال قوم إن معبودهم هو الفضاء، وهو جسم تحل الأشياء فيه، ليس بذي غاية ولا نهاية، وقال بعضهم هو الفضاء، وليس بجسم والأشياء قائمة به، وقال داود الجواربي ومقاتل بن سليمان إن الله جسم وجثة على صورة الإنسان، له لحم ودم وشعر وعظم، وله جوارح وأعضاء، من يد ورجل ولسان ورأس وعينين، وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه، وحكى عن الجواربي أنه كان يقول أجوف من فيه إلى صدره، ومصمت ما سوى ذلك، وكثير من الناس يقولون هو مصمت ويتأولون الصمد بالمصمت الذي ليس بأجوف.

وقال هشام بن سالم الجواليقي إن الله على صورة الإنسان، وأنكر أن يكون لحما ودما، وأنه نور ساطع يتلألأ بياضا، وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان، سمعه غير بصره، وكذلك سائر حواسه يد ورجل وأذن وعين وأنف وفم، وأن له وفرة سوداء[1].

وقال قائلون هو جسم خارج من جميع صفات الجسم، ليس بطويل

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/٢٠٩.

ولا عريض ولا عميق ،ولا يوصف بلون ولا طعم ولا مجسة ولا شيء من صفات الأجسام، وأنه ليس في الأشياء ولا على العرش إلا على معنى أنه فوقه غير مماس له، وأنه فوق الأشياء وفوق العرش ليس بينه وبين الأشياء أكثر من أنه فوقها.

وقال هشام بن الحكم إن ربه في مكان دون مكان، وأن مكانه هو العرش، وأنه مماس للعرش، وأن العرش قد حواه وحده. وقال بعض أصحابه إن البارئ قد ملأ العرش، وأنه مماس له، وقال بعض من ينتحل الحديث إن العرش لم يمتلئ به، وأنه يقعد نبيه معه على العرش.

وقال قائلون الحملة تحمل البارئ، وأنه إذا غضب ثقل على كواهلهم وإذا رضي خف، فيتبينون غضبه من رضاه، وأن العرش له أطيط إذا ثقل عليه كأطيط الرحل، وقال بعضهم ليس يثقل البارئ ولا يخف ولا تحمله الحملة، ولكن العرش هو الذي يخف ويثقل وتحمله الحملة.

وكل المجسمة إلا نفرا يسيرا يقول بإثبات الرؤية، وقد يثبت الرؤية من لا يقول بالتجسيم، فقالت المجسمة له يدان ورجلان ووجه وعينان وجنب يذهبون إلى الجوارح والأعضاء [1]. تعالى الله عن قولهم وتنزه عن وصفهم كما قال: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ الصافات: ١٨٠/١٨٢.



(١) السابق ١/٢١٠.

المطلب التاسع

فرقة البيجورية المعطلة وبيان أخطائهم الاعتقادية الكلامية المنتشرة في المقررات الدراسية الأزهرية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن فرق المعطلة بداية من الجهمية إلى تنوع الفرق الكلامية، وتأثيرها السلبي على واقع الأمة الإسلامية، فتناولنا الحديث عن الجهمية وانطلاق الفرق الكلامية في تعطيل نصوص الكتاب والسنة، وأن الجهمية أسست المدرسة العقلية التي عطلت النصوص النقلية، كما تحدثنا عن اعتقادات الجهمية الباطلة وأفكارها التي تفرد بها الجهم بن صفوان.

ثم تحدثنا عن المعتزلة وأنها من أكبر فرق المعطلة التي ابتليت بها الأمة في تاريخها، وأن ظهورها امتداد لمنهج الجهمية في تعطيل النصوص النقلية، وتناولنا الأصول الخمسة التي ابتدعتها المعتزلة بالعقل وعطلت بها نصوص النقل، وكذلك تناولنا الحديث عن الكلابية كفرقة كلامية تبنى مبادئها بعد المعتزلة مشايخ الأشعرية.

ثم تحدثنا عن الأشعرية وكونها امتداد لمنهج المعتزلة والكلابية في تعطيل النصوص النقلية، ومناقشة الأشعرية في تصنيفهم التوحيد وبيان بطلانه، وأن الأشعري مات سلفي المعتقد، مخالفا للأشعرية المعطلة، وتحدثنا أيضا عن الماتريدية كفرقة من فرق المعطلة المنتشرة انتشار واسعا

حتى عصرنا، وبينا أهم المعتقدات الكلامية التي يدين بها الماتريدية في تعطيل نصوص النقل، والفرق بين فرقة الأشاعرة والماتريدية في أهم المسائل الاعتقادية، وعلمنا أن المشبهة والمجسمة من فرق المعطلة لتعطيلها الصفات الحقيقية لله تعالى.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن فرقة البيجورية المعطلة التي تنتشر في البلاد الإسلامية بسبب ما تربى عليه أغلب الدارسين في بعض البلاد الإسلامية كالأزهر وغيره ممن درسوا منهج الأشاعرة المعطلة في كتاب تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد، فالفكر الذي نشئوا عليه امتداد خفي لضلالات المتكلمين الاعتقادية في المدرسة العقلية المعاصرة، والتي تقدم العقل على النقل، وتعطل النصوص بالتأويل الباطل الممقوت على ما هو أشد تعطيلا من المعطلة الأولى، والتنبيه على ما أورده البيجوري في المقررات الدراسية الأزهرية.

- تعريف بفرقة البيجورية وأثرها السيئ على واقع الأمة الإسلامية.

البيجورية فرقة تنسب إلى إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المالكي المصري (ت:١٠٤١هـ)، وإبراهيم بن محمد البيجوري (ت:١٢٧٧هـ) أحد شيوخ الأزهر، وهما من المعطلة الأشعرية الذين استحوذت عقيدتهما الكلامية على الأزهر حتى عصرنا، فهذا الاعتقاد البيجوري الذي يطلق عليه معتنقوه مذهب أهل السنة والجماعة، ما زال مقررا في أغلب المعاهد والجامعات في البلاد الإسلامية.

وحقيقة العقيدة البيجورية هي العقيدة الأشعرية الكلامية بذاتها، وقد أفردنا مطلبا للتعريف بها لأنها تمثل امتدادا للمعطلة الأولى ممزوجة باعتقادات كثيرة لفرق أخرى باطلة، فقد جمعت البيجورية عقائد

وتصورات لمذاهب فكرية فلسفية وكلامية وذوقية كثيرة تكلم عنها أهل السنة من السلف الصالح وردوا عليها ردودا مفصلة، فأشعرية البيجوري جمعت الإرجاء في الإيمان، والجبر في القدر، وقول الجمهية والمعطلة في الصفات والغيبيات، وقول المعتزلة في خلق القرآن، وكثير من ضلالات الفلاسفة والصوفية، مما يجعلها فرقة مستقلة بذاتها، ومن ثم لا بد من تنبيه طلاب العلم إلى خطر معتقداتها وجرأة أتباعها.

وعلماء البيجورية على كثرتهم وعلى ما لهم من جوانب إيجابية إلا أن أثرهم السيئ على واقع الأمة الإسلامية غير محدود، فربما يكون أحدهم ذا مكانة في قلوب المسلمين بسبب شهرته الإعلامية ثم يصادم الناس بفتاوى ينفطر لها القلب، وما ذلك إلا أنه تربى على عقيدته البيجورية في الاستناد إلى عقله المحض في تحرير فتواه وتأويل النصوص وفق هواه، دون النظر إلى قيود الأدلة الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو يحسب بذلك أنه يحسن صنعا للإسلام والمسلمين بل يفتخر ويفاخر بأنه من البيجورية أصحاب المدرسة العقلية، كالذي أفتى للمسلمات المؤمنات في فرنسا بجواز التعري للطالبات البالغات في المدارس الفرنسية وخلع المؤمنة التقية لملابسها، والخروج بملابس السباحة أمام الرجال الكفار وحجته العقلية البيجورية أن الضرورات تبيح المحظورات.

ومثل ذلك عند أعلام البيجورية في العصر الحاضر كثير فقد أصيب الناس بصدمة حين قام أحد علمائهم الذين نمت أجسادهم وتشبعت بعقيدة البيجورية التي تجعل النقل مطية للعقل بإزالة الستر عن وجه طالبة مؤمنة ومنعها بالقوة من تغطية وجهها، وبدأ يطعن في حجاب

العفة وستر النساء المسلمات لوجوههن مدعيا أن ستر المرأة لوجهها عادة جاهلية وليس له نصيب من أحكام الشريعة الإسلامية، وأصدر قرارا بمنع المسلمات طالبات ومدرسات من دخول المعاهد والجامعات إلا إذا كانت سافرات وغير ساترات لوجوههن، حتى أنصفهن القضاء وأوجب على أمثال هؤلاء البيجورية الرجوع عن هذه الفتوى الباطلة.

بل تعجب ممن يحرم الختان على النساء، ويجعل التعامل بالربا الصريح في البنوك هو الوجه الصحيح المشرع، ويدعو إلى الاعتقاد بأن النبي ﷺ حي بيننا حياة بشرة، ويزعم أنه قابل النبي ﷺ يقظة، وأن الرسول ﷺ ترك هذا البيجوري يعد الشعر الأبيض في لحيته ﷺ حتى عد سبع عشرة شعرة إلى غير ذلك من الدروشة والجرأة والفتاوى التي تعتمد تأويل النصوص وفق هوى عقول البيجورية، ولذلك كان لا بد من التنبيه على خطورة فرقة البيجورية وأثرها السيئ على واقع الأمة الإسلامية.

وإذا كانت الجبرية منفردة قد حملت لواء الجبر ونفي الحكمة الإلهية الذي به خرجت عن أصول أهل السنة وعدت فرقة بدعية ضالة، وإذا كانت المعتزلة منفردة قد حملت لواء القول بخلق القران وبه عدت فرقة بدعية ضالة، وإذا كانت المرجئة منفردة حملت لواء الإرجاء وبه خرجت عن أصول أهل السنة، إذا كانت كل فرقة من هذه الفرق مع قولها ببدعة منفردة، قد خرجت من أن تكون ممثلة لأهل السنة والجماعة؛ فكيف بمن حمل هذه العقائد جميعا في جراب واحد، وكيف يكون في عقيدته البيجورية ممثلا لأهل السنة والجماعة؟ [1].

---

(١) الرد الأثري على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد تأليف عمر بن محمود ص٦٩ بتصرف، وقد اقتبسنا أغلب مفردات هذا المطلب منه بتصرف.

لقد انبرى عدد من أئمة الهدى للرد على مثل ما تدعو إليه البيجورية من عقيدة كلامية فلسفية، وكان الأئمة منذ عصر السلف والقرون الفاضلة قد حذروا من علم الكلام ونشطت أقلامهم في الرد على أهل البدع من سلف البيجوري واللقاني، رأينا ذلك في كتاباتهم المتعددة، فالإمام أبو حنيفة النعمان بن ثاب (ت١٥٠هـ) رد عليهم في كتابه الفقه الأكبر، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٣هـ) في كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته، والإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) رد على المعطلة في كتابه أصول العقيدة، وكذلك أبو عمر محمد بن يحيي بن العدني (ت٢٤٣هـ) في كتابه الإيمان، والإمام الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ) في كتابه السنة، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) في كتابه صريح السنة.

كما ألف الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ) كتابا للرد على أمثال البيجوري سماه كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، والإمام أبو جعفر بن سلامة الأزدي الطحاوي (ت٣٢١هـ) في العقيدة الطحاوية، وأبو بكر الإسماعيلي (ت٣٧١هـ) في كتابه اعتقاد أئمة الحديث، والإمام البيهقي (ت٤٥٨هـ) في كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في كتاب العقيدة الواسطية والرسالة التدمرية وغيرها من المؤلفات الغزيرة، والشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ) في كتابه عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وغير ذلك كثير ممن كتبوا في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة القائمة على قرآن وسنة بفهم سلف الأمة.

قال ابن الجوزي رحمه الله في بيان حال المتكلمين أمثال البيجوري وفرقته المعطلة: (وقد تنوعت أحوال المتكلمين، وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك، وببعضهم إلى الإلحاد، ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزا، ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلا، ثم يرد الصحيح عليلا، فأمسكوا عنه، ونهوا عن الخوض فيه، حتى قال الشافعي رحمه الله: لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام. وقال: حكمي في علماء الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام، وقال أحمد بن حنبل: لا يفلح صاحب كلام أبدا، علماء الكلام زنادقة) [(١)].

ولا يعني التحذير مما عند البيجورية من الباطل أنهم مفارقون للحق من جميع الوجوه، بل عندهم حق وباطل، والحق الذي عندهم كان سببا في انتشار مذهبهم، لاسيما أن موقفهم من الصحابة يوافق عقيدة أهل السنة والجماعة، وموقفهم من نصوص المعاد موقف سليم أيضا، وقد سلمت نصوص المعاد عندهم مما أصيبت به عند غيرهم من الباطنية، ومن تأثر بهم من التحريف الذي سماه أهله تأويلا ليقبل، وقد انخدع بهم كثير من علماء الفقه والحديث، فوافقهم في بعض ما ابتدعوه.

وقد ساعد على انتشار مذهب المتكلمين الأشاعرة اعتناق بعض الحكام لعقيدتهم ،واعتبارها عقيدة أهل السنة والجماعة، حيث قاموا بالدفاع عنها والدعوة إليها بشدة إلى درجة استباحة دم من خالفها كما

---

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٢، وقواعد العقائد لأبي حامد الغزالي ص٨٥، وتحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة المقدسي ص٤١.

فعل تومرت وأتباعه في المغرب، فقد كان المغاربة على مذهب السلف في أصول الدين زمن دولة المرابطين في منصف القرن الخامس الهجري، فلما ظهر محمد بن تومرت المغربي المصمودي الأشعري (ت:٥٢٤هـ) كفّر مخالفيه السنة من المغاربة واتهمهم بالتشبيه والتجسيم واستباح دماءهم وأموالهم، ودخل في حروب طاحنة مع المرابطين، وأدخل المغرب الإسلامي في فتنة دامية، وفرض عقيدة الأشعرية على الرعية، وعندما تُوفي واصل أتباعه دعوته، وارتكبوا مجازر رهيبة في حق المرابطين عندما دخلوا مدينة مراكش سنة ٥٤١هـ، ويُروى أنهم قتلوا منهم سبعين ألف شخص[١].

وقد وصف ابن قيم الجوزية ابن تومرت وأفعاله بأنه: (رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل، قتل النفوس وأباح حريم المسلمين، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وكان شرا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير، واستباح قتل مخالفيه من العلماء، وسمى أصحابه موحدين، وهم جهمية نُفاة لصفات الله تعالى)[٢].

لهذه ولغيره من الأسباب توارث الناس هذه الطريقة الكلامية الأشعرية وانتشرت في مصر والشام والعراق وبلاد المغرب باسم عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا الانتشار الواسع لا يعني أنها مقبولة عند الله فالحق لا يعرف بالانتشار ولا بالاشتهار بل للحق ميزان يوزن به، وللباطل علامات يعرف بها، ولا بد من ضبط العقيدة على ضوابط

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٦٥٤/١٩ وانظر الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ١٩٦/١ دار الكتاب، الدار البيضاء سنة١٩٩٧.

(٢) المنار المنيف ص١٥٣.

الكتاب والسنة بدلا من هذه الآراء المضطربة التي لا تستند في الغالب إلى الوحي، ولكن إلى خيالات علماء الكلام التي سموها قطعيات ويقينيات، تسمية للأشياء بغير أسمائها لتروج وتستساغ[١].

• **أحاديث الآحاد عند البيجورية لا تفيد اليقين في أمور الاعتقاد.**

البيجورية لا يحتجون لعقائدهم إلا بالنصوص المتواترة، ولا يقبلون حديث الآحاد لأنه يفيد الظن فقط، وهؤلاء القوم يزعمون التوقي لدينهم من الدخن والتحرز من اعتقاد الخطأ، والعجيب أن البيجوري الذي يرى أن الكشف أعلى درجات الأدلة في إثبات العقائد يرفض أحاديث الآحاد النبوية، ويزعم أنها لا تصلح دليلا للاحتجاج في الأمور الاعتقادية، فهو يرفض حديث النبي ﷺ الذي نص فيه أن والده في جهنم لأنه حديث آحاد، وهو يرفض حديث إطالة الأجل بصلة الرحم لأنه حديث آحاد، ولا يجزم أن للأنبياء أحواض لأنها أحاديث آحاد[٢].

وهذه المسألة من المسائل التي ظهرت عندما نبتت نابتة السوء في تاريخ الإسلام فأدخلت آثار اليونان ونفايات السابقين إلى أُمتنا فصارت عندهم مسلّمة لا شبهة فيها، حتى زعم أقوام أن الإجماع قد انعقد على أن العقائد لا يقبل فيها إلا بالمتواتر.

قال الشيخ محمود شلتوت: (نصوص العلماء المتكلمين والأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به العقيدة، ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه للدكتور محمد أمان بن علي الجامي ص١٢٨ بتصرف.

(٢) انظر شرح الجوهرة ص٢٩، ص١٦٠، ص١٨٤.

في شيء) [١].

لقد تغيرت العقائد ومسخت أصول الإسلام لما صار المنطق اليوناني الفلسفي أصلا ترد إليه سائر العلوم، ووجد علماء الكلام المنتسبين للإسلام أن هذه الأصول الفلسفية تخالف ما ورد من النصوص القرآنية والنبوية، سواء أكانت هذه المسائل في الإلهيات، أم في غيرها من أمور الغيبيات، فانتحلوا الأسباب والدلائل لردها لحصول الشك لديهم في هذه النصوص، فابتدع لهم شيطانهم هذه المقالة، وهي ترك الاحتجاج بحديث الآحاد في أهم الأمور الاعتقادية وصرف الناس عن طريق الهدية النبوية في تصديق خبر الله، فتحجمت العقيدة وتقلص التوحيد، وصار أهل الكلام يملئون مداخل العقيدة بآرائهم ونتاج عقولهم وأهوائهم فخرج الحق من نصله، وحل الخبيث بدلا منه، ولعل قارئ شرح جوهرة التوحيد للبيجوري يرى ذلك واضحا جليا[٢].

قال ابن القيم: (أعلم أن خبر الواحد، وإن كان يحتمل الصدق والكذب والظن، وللتجوز فيه مدخل؛ ولكن هذا الذي قلناه وهو أن الحديث بنفسه يفيد العلم لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم وقته مشتغلا بالحديث، والبحث عن سيرة النقلة والرواة، ليقف على رسوخهم في هذا العلم، وكبير معرفتهم به وصدق ورعهم في أقوالهم وأفعالهم، وشدة حذرهم من الطغيان والزلل، وما بذلوه من شدة العناية في تمهيد هذا الأمر، والبحث عن أحوال الرواة، والوقوف على صحيح

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت ص٧٤: ص٧٦.

(٢) انظر ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد لأبي عمرو عمر بن محمد ص١٢.

الأخبار وسقيمها، وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحدا في كلمة واحدة يتقولها على رسول الله ﷺ، ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك، وقد نقلوا هذا الدين كما نقل إليهم، وأدوا كما أدى إليهم، وكانوا في صدق العناية والاهتمام بهذا الشأن ما يجلّ عن الوصف، ويقصر دونه الذكر، وإذا وقف المرء على هذا في شأنهم، وعرف أحوالهم، وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم، ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه) [1].

ولآن أهل الحديث هم أدرى الناس بكلام رسول الله ﷺ فهم أعلم أمة محمد ﷺ بما يفيد منه الاطمئنان واليقين وما لا يفيد، فقد حاول البيجورية إخراج هؤلاء الزمرة الطاهرة النقية من ساحة المحاورة ليخلو لهم الجو فينشروا بضاعتهم الفجة ويوردها الناس بلا مدافع.

قال ابن القيم: (كون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي يختلف باختلاف المدرك المستدل، ليس هو صفة للدليل في نفسه، فهذا أمر لا ينازع فيه عاقل، فقد يكون قطعيا عند زيد ما هو ظني عند عمرو، فقولهم: إن إخبار رسول الله ﷺ الصحيحة المتلقاة بين الأمة بالقبول لا تفيد العلم بل هي ظنية؛ هو إخبار عما عندهم، إذ لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها أهل السنة من العلم ما حصل لهم، فقولهم لم نستفد بها العلم، لم يلزم منها النفي العام على ذلك، بمنزلة الاستدلال على أن الواجد للشيء العالم به، غير واجد له ولا عالم به، فهو كمن يجد من نفسه وجعا أو لذة أو حبا أو بغضا، فينتصب له من يستدل على أنه غير وجع ولا متألم ولا محب ولا مبغض، ويكثر له من الشبه

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢/٤٠٩، وانظر أيضا شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٤٠٠، الانتصار لأصحاب الحديث لأبي المظفر السمعاني ص٤١.

التي غايتها أني لم أجد ما وجدته، ولو كان حقا لاشتركت أنا وأنت في هذا، وهذا عين الباطل) [١].

وقال ابن حزم: (وقد ثبت يقينا أن خبر الواحد العدل عن مثله مبلغا إلى رسول الله ﷺ حق مقطوع به موجب للعمل والعلم معا)[٢].

وقال ابن أبي العز الحنفي: (وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملا به وتصديقا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة نزاع في ذلك كالأحاديث المتفق عليها بين الصحيحين، كخبر عمر إنما الأعمال بالنيات، وخبر ابن عمر رضي الله عنهما، نهى عن بيع الولاء وهبته، وخبر أبي هريرة، ولا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها، وكقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وأمثال ذلك)[٣].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (ومن الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول فعملوا به، فهذا يفيد العلم ونجزم بأنه صدق لأن الأمة تلقته بالقبول تصديقا وعملا بموجبه، والأمة لا تجتمع على ضلالة)[٤].

لقد ذهب الإمام إسحاق بن راهويه إلى القول بكفر منكر أحاديث الآحاد، إلا أنه يكون معذورا بجهله، ولعل الذين ذهبوا إلى القول بكفره نظروا إلى الأحاديث المجمع على صحتها، أو التي تلقتها الأمة بالقبول،

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/٤٣٢، وانظر كتاب الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام للشيخ الألباني ص٧٠.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي ١/١١٧.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٣٩٩.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨/١٦.

فيخشى على مثل هذا أن يصيبه الله بعقاب، لأنه أعرض عن قول رسول الله ﷺ والله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾النور:٦٣[1].

وأما من رأى أن السنة بالكلية لا تصلح دليلا للعقائد واليقينات ويزعم أنه لا يرضى إلا بكتاب الله ﷻ ولا يرضى بسنة رسوله ﷺ فهو كافر كما أفتى به كثير من العلماء.

قال ابن حزم: (ولو أن امرءا قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافرا بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر، لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حد للأكثر في ذلك، وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال)[2].

- **مفهوم الإيمان عند البيجوري والدعوة إلى مذهب الإرجاء الجهمي.**

قال اللقاني الناظم:

وفسر الإيمان بالتصديق :

والنطق فيه الخلف بالتحقيق[3].

وفسر البيجوري هذا النظم بقوله: (إن الإيمان هو مطلق التصديق، والإيمان والعمل الصالح متغايران، ومن صدق بقلبه ولم يتفق له الإقرار في عمره لا مرة ولا أكثر من مرة مع القدرة على ذلك، فهو مؤمن عند

---

(١) أصل الاعتقاد دراسة حديثية لعمر الأشقر ص٨٨ نشر الدار السلفية بتصرف.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/٢٠٨ نشر دار الحديث ١٤٠٤هـ.
(٣) شرح جوهرة التوحيد ص٤٢.

الله تعالى؛ ولكنه شرط في إجراء الأحكام الدنيوية)[١]. قال: (والراجح أن الإيمان هو التصديق وهو غير الجزم)[٢].

قولهم إن الإيمان هو التصديق فقط إخراج لأعمال الجوارح منه، وهو قول المرجئة الباطل، بل يعود قولهم إلى مذهب الجهم بن صفوان في الإيمان، وقد تقدم في دورة منة الرحمن في توحيد العبادة وحقيقة الإيمان، بيان أركان الإيمان المطلق التي دل عليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال ابن تيمية: (لقد غلط المرجئة في أصلين، أحدهما ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط، ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية في القلب، فإن أعمال القلوب كلها فيها مما فرضه الله ورسوله، فهو من الإيمان الواجب، وفيها ما أحبه الله ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب، فالأول لابد لكل مؤمن منه، ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب اليمين، والثاني للمقربين السابقين، وذلك مثل حب الله ورسوله ؛ بل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ بل أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من أهله وماله، ومثل خشية الله وحده من دون خشية المخلوقين، ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين، والتوكل على الله وحده دون المخلوقين، والإنابة إليه مع خشيته، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ ق:٣٢/٣٣. والثاني من غلط المرجئة،

(١) السابق ص٤٢.
(٢) السابق ص٤٦، ص٥١.

ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار، فإنما ذلك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق، وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع، فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره، ومع ذلك يجحد ذلك لحسده إياه، أو لطلب علوه عليه، أو لهوى في النفس، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه، وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم، وأنهم صادقون ولكنهم يكذِّبون، إما لحسدهم، وإما لإرادتهم العلو والرئاسة، وإما لحبهم لدينهم الذي كانوا عليه، فيكونون بذلك من أكفر الناس كإبليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل، والرسل إنما معتمدهم على مخالفة أهوائهم، كقولهم لنوح: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ ﴾ الشعراء:١١١.

ومعلوم أن اتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه، ومثل قول فرعون: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧ ﴾المؤمنون:٤٧. ومثل قول عامة المشركين: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢ ﴾ الزخرف:٢٢. وهذه الأمور وأمثالها ليست حججا تقدح في صدق الرسل؛ بل تبين أنها تخالف إرادتهم وأهوائهم وعاداتهم، فلذلك لم يتبعوهم، وهؤلاء كلهم كفار؛ بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي ﷺ ويحبون علو كلمته، وليس عندهم حسد له، ولكن كانوا يعلمون أنّ في متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم، فما احتملت نفوسهم ترك العادة واحتمال هذا الذم، فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم؛ بل لهوى النفس، فكيف يقال: إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله) [(١)].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧/١٩٠.

وقد ذكر ابن تيمية أيضا أن السلف الصالح كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرهما قد كَفّر من يقول بأن الإيمان هو التصديق فقط، وقالوا: إبليس كافر بنص القرآن، وإنما كفره باستكباره وامتناعه عن السجود لآدم لا لكونه كَذّبَ خبرا، وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾النمل:١٤.

وقال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾الإسراء:١٠٢. فدل على أن فرعون كان عالما بأن الله أنزل الآيات، وهو من أكبر خلق الله عنادا وبغيا لفساد إرادته وقصده، لا لعدم علمه[1].

وقال أيضا: (لقد تبين أن الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يُراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى وبلفظ الدين، فإن النبي ﷺ يبين أن الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[2]، فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان، وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق وكذلك لفظ التقوى وكذلك الدين أو دين الإسلام)[3].

وأما قول البيجوري إن التصديق لا يعني الجزم، فهو يعني عنده أن المؤمن لا يجزم بما آمن به وهو مخالف لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨٩/٧.

(٢) صحيح مسلم في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان ٦٣/١ (٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧٩/٧.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ الحجرات:١٥. فاشترط سبحانه في صدق إيمانهم كونهم لم يرتابوا ولم يشكوا.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة) [1]. فاشترط رسول الله ﷺ الجزم وعدم الشك لصحة الإيمان.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ أرسل أبا هريرة ﷺ بنعليه قائلا له: (من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة) [2].

- **منطق المتكلمين المعطلين لصفات الله الذي تبناه البيجوري.**

البيجوري وناظم الجوهرة اللقاني يأبيان سلوك طريق السلف الصالح في توحيد الصفات، وهما يتبعان طريق الخلف في ذلك، فالبيجوري من القائلين بتأويل صفات الله ﷻ وصرفها عن ظاهرها، وتحميل نصوص الصفات معان جديدة جاؤوا بها من عند أنفسهم، فحرموا متابعة الأُول، ووافقوا أقواما طالما حمل عليهم السلف غارات الحق من أجل ردعهم عن باطلهم، ومن أجل كشف عوار عقائدهم، قال اللقاني:

وكل نص أوهم التشبيها : أوله أو فوِّض ورم تنزيها

قال البيجوري: أوِّله أي احمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ١/٥٥ (٢٧).

(٢) الموضع السابق ١/٥٩ (٣١).

المراد، فالمراد: أولّه تأويلا تفصيليا، بأن يكون بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف، وهم من كانوا بعد الخمسمائة. وقيل من بعد القرون الثلاثة. وقوله: أو فوّض أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، فبعد هذا التأويل فوِّض المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف. ثم قال: وطريقة الخلف أعلم وأحكم، لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم، وهي الأرجح، ولذلك قدمها الناظم، وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد الله. وقوله: ورم تنزيها، أي واقصد تنزيها له تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد؛ فظهر مما قررناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالي، لأنهم يصرفون النص الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى.

ثم يقول شارحا ذلك بالأمثلة، قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ النحل:٥٠. فالسلف يقولون فوقية لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد بالفوقية التعالي في العظمة، أي ارتفاعه فيها. وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ طه:٥. فالسلف يقولون: استواء لا نعلمه، والخلف يقولون: المراد به الاستيلاء والملك. كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق : من غير سيف ولا دم مهراق[1]

ويقول مؤيدا قول الغزالي في القصيدة المنسوبة إليه:

وهو فوق الفوق لا فوق له : وهو في كل النواحي لا يزول

---

(١) انظر لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة لإمام الحرمين الجويني ص ١٠٨ بتصرف نشر عالم الكتب لبنان.

وقال البيجوري: ومما يوهم الجسمية قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾الفجر:٢٢. وحديث الصحيحين: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، ويقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له) [١]. فالسلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب، والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله.. إلخ.

وقال: ومما يوهم الجوارح قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ﴾الرحمن:٢٧. ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾الفتح:١٠. وحديث: (إن قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين أصبعين من أصابع الرحمن) [٢]. فالسلف يقولون: لله وجه ويد وأصابع لا نعلمها، ويقول الخلف المراد من الوجه الذات، وباليد القدرة؛ والمراد من قوله: بين أصبعين من أصابع الرحمن، بين صفتين من صفاته وهاتان الصفتان القدرة والإرادة [٣].

هذه عقيدة التعطيل التي قررها البيجوري الأشعري في صفات الله ﷻ، وهي دراسة إلزامية في جميع المعاهد الأزهرية في مصر وغيرها من

---

(١) رواه البخاري في أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ١/٣٨٤ (١٠٩٤) (٥٩٦٢)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ١/٥٢١ (٧٥٨).

(٢) رواه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ٤/٤٤٨ (٢١٤٠)، وأحمد في المسند ٣/١١٢ (١٢١٢٨)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ ٢/١٢٦٠ (٣٨٣٤)، وصححه الألباني، انظر صحيح ابن ماجه (٣٨٣٤).

(٣) شرح جوهرة التوحيد ص٩١.

الدول العربية والإسلامية.

- **ليس في القرآن نصوص ظاهرها البطلان أو تشبيه موهم الجسمية.**

وعقيدة السلف التي دل عليها القرآن والسنة مغايرة لعقيدة التعطيل التي يتلقاها أبناؤنا منذ نعومة أظفارهم، فعقيدة السلف في الصفات تعتمد على تصديق خبر الله الثابت في القرآن والسنة دون الطعن فيه بأن ظاهره باطل مستحيل يدل على التجسيم، ويجب صرفه عن هذا الظاهر الموهم للشرك.

والقاعدة الأولى التي قام عليها اعتقاد السلف في صفات الله ﷻ هي توحيده وإفراده عمن سواه، فالتوحيد يُقصد به في باب الصفات إفراد الله سبحانه بذاته وصفاته وأفعاله عن الأقيسة والقواعد والقوانين التي تحكم ذوات المخلوقين وصفاتهم وأفعالهم لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١.

والشاهد من الآية أن الله سبحانه بين انفراده عن أوصاف المخلوقين وكل ما يحكمهم، بجميع ما ثبت له من أوصاف الكمال والجمال، وعلو شأنه فيها بأنواع الحسن والجلال، فمن البلاهة العقلية أن نطبق قوانين الجاذبية الأرضية على استواء الله على عرشه، أو على حملة العرش، أو على نزوله إلي السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل؛ لأن ذلك ينطبق على الكائنات الأرضية، ولا ينطبق على رب البرية، فهو منفرد متوحد عن قوانين البشر بذاته وصفاته وأفعاله، ومعلوم أننا لم نر الله، ولم نر له مثيلا، أو شبيها، أو نظيرا، والشيء لا يعرف إلا برؤيته، أو برؤية نظيره، فكيف نقول كما قالت الجهمية والمعتزلة والمتكلمون

الأشعرية وفرقة البيجورية لو كان الله على العرش لكان محمولا؟!

ولذلك فإن السلف فرقوا بين النصوص التي تدل على المخلوق، والنصوص التي تدل على الخالق، فالنصوص التي تدل على المخلوق تليق به، وظاهرها مراد في حقه، وهي معلومة المعني لورودها في القرآن والسنة باللغة العربية، وكذلك معلومة الكيفية؛ لأننا نراها بحواسنا ومداركنا، أو نري نظيرها، فنحكم عليها بالتشابه أو المثلية.

أما النصوص القرآنية والنبوية التي تدل على الخالق فهي معلومة المعني أيضا؛ لأن الله ﷻ خاطبنا باللغة العربية، لا باللغة الأعجمية، فلا يمكن القول بأن كلام الله بلا معني، أو كلام الله يشبه كلام الأعاجم والألغاز التي لا تفهم.

أما الكيفية الغيبية للصفات الإلهية التي دلت عليها تلك النصوص فهي كيفية حقيقية، معلومة لله، تليق به، لكنها مجهولة لنا، لا نعلمها، لأننا ما رأينا الله ﷻ. روى مسلم أن النبي ﷺ: (تَعَلَمُوا أَنَّهُ لنْ يَرَي أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حتى يَمُوتَ)[1].

وكذلك ما رأينا لكيفية الله سبحانه وتعالى نظيرا، أو مثيلا نحكم عليها من خلاله إذ يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى:١١.

ومن الأمور الهامة التي ينبغي الحذر منها صيانة للقاعدة الأولى، وحتى لا يُهدم التوحيد في قلب المسلم، أو تشوبه شائبة، أن يحذر من نوعين من القياس حرمهما الله ﷻ على من استخدمهما في حقه، وقد

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد ٤/٢٢٤٥ (١٦٩).

وقع فيهما أهل الضلال من الممثلة والمشبهة الذين جسدوا في أذهانهم صورا للمخلوقات، وزعموا أن أوصاف الله التي وردت بها النصوص في الكتاب والسنة على هذه الكيفية، وقد استخدم الممثل النوع الأول من القياس، وهو قياس التمثيل، والنوع الثاني استخدمه المشبه، وهو قياس الشمول، وأحيانا يطلق عليه المكيف.

والنتيجة المترتبة على استخدام الممثل لقياس التمثيل، واستخدام المكيف أو المشبه لقياس الشمول تعطيل العلم الصحيح بأوصاف الحق التي وردت في نصوص الكتاب والسنة تحت ستار التمثيل والتشبيه، فالممثل عطل الصفة الحقيقية لله ﷻ، ولذا قال ابن تيمية: كل ممثل معطل[(١)].

قال فخر الدين الرازي في بيان السبب الأول لوجوب تغيير ما دل عليه الكتاب والسنة من أمور حقيقية إلى أشياء معنوية مجازية بالتأويل: (ورد في القرآن ذكر الوجه، وذكر العين، وذكر الأيدي، وذكر الساق الواحدة، فلو أخذنا بالظاهر يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد، وعلى ذلك الوجه أعين كثيرة، وعليه أيد كثيرة، وله ساق واحدة، ولا نرى في الدنيا شخصا أقبح صورة من هذه الصورة المتخيلة)[(٢)].

لقد تخيل البيجوري كما تخيل الرازي في ذهنه صورة قبيحة لربه،

---

(١) انظر الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٧، ٣/٤٩، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية٢/٩٥، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة مكة المكرمة،سنة ١٣٩٢هـ.

(٢) أساس التقديس للفخر الرازي ص ١٠٥، وقد طبع بتحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٦هـ.

رسمتها حسب زعمه الآيات القرآنية، فحاول أن ينفي تلك الصورة بالتحامل على القرآن والسنة وادعاء أن ظاهرهما يفيد البطلان، فوقع في عدة محاذير:

١- أنه رسم صورة لربه كصورة الإنسان، وجعل صورة الإنسان هي أصل القياس لصورة الرب سبحانه وتعالى، وزعم أن ظاهر الآيات القرآنية الواردة في صفات الله ﷻ رسمت صورة لربه هي أقبح من صورة البشر.

٢- أن ظاهر كلام الله ﷻ يلزم بتكوين تلك الصورة التي فهمها، وهذا بهتان عظيم، فالحق تبارك وتعالى لا يقول كلاما لازمه أنه سبحانه وتعالى بهذه الكيفية القبيحة التي يعتقدها الرازي، والتي حاول نفيها حتى لا يقع في هذا اللازم.

٣- أن هذه اللوازم خفيت على رسول الله ﷺ إذ لم يثبت عنه أنه غير معناها إلى أمور معنوية، لا تدل على حقيقة أو وجود الكيفية، وهذا يقتضي أنهم أعلم من رسول الله ﷺ، وهذا محض افتراء.

٤- أن رسول الله ﷺ لو علم تلك اللوازم وتركها، وأوجب التأويل والتبديل من أجلها، دون نص ثابت صرح فيه ﷺ بوجوب التأويل، فما بلغ البلاغ المبين، إذ كيف يترك الناس قرونا في الضلال حتى يأتي الرازي وأمثاله من الأشعرية، ليوضحوا للناس أن الرسول ﷺ وصف ربه بالنقص، ومن ثم يجب أن نغير كلامه بالتأويل حتى يدل على الكمال الواجب في حق الله؟!

٥- أن أصحاب رسول الله ﷺ خفيت عليهم هذه الصورة التي

رسمتها الآيات القرآنية لربهم، ولم يغيروا المعني إلى أمور معنوية كما فعل هو، فيلزمه وصفهم بالنقص؛ لأنهم رضوا بالباطل، وآمنوا بالرسول ﷺ وهم يعلمون أن خالقهم بهذه الصورة القبيحة.

- **ظاهر النصوص مراد عند السلف غير مراد عند البيجوري.**

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من المتأخرين من يقول بأن مذهب السلف هو إقرار النصوص على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وهذا اللفظ مجمل، فإن قوله بأن ظاهرها غير مراد، يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين، مثل أن يراد يكون الله قِبَل وجه المصلى وأنه مستقر في الحائط الذي يصلى إليه، وأن الله معنا، ظاهره أنه إلى جانبنا، ونحو ذلك، فلا شك أن هذا غير مراد.

ومن قال إن مذهب السلف إن هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى، لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هذا هو ظاهر الآيات والأحاديث، فإن هذا المحال ليس هو الظاهر، فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النسبية [١].

وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر، أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظا ومعنى، وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله الظاهر غير مراد عندهم أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا تختص بصفة المخلوقين غير مراد، فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب، فما يمكن أحد قط أن ينقل عن

(١) انظر بتصرف مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/١٠٨.

واحد من السلف ما يدل لا نصا ولا ظاهرا أنهم كانوا يعتقدون أن ظاهر النصوص، هو أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع، ولا بصر، ولا يد حقيقة.

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقولون: إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى، ولكن السلف امسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إلى ذلك.

ويقولون: الفرق بين الطريقين، أن هؤلاء قد يعيِّنون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعيِّنون لجواز أن يراد معنى لا يريده الله ﷻ، وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف[1].

ومن تأمل كلام السلف المنقول عنهم علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك، والله يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ـ والكلام لشيخ الإسلام ـ ما رأيت كلام أحد منهم يدل لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقرائن على نفى الصفات الخبرية، أو نفي إثبات حقائقها، بل الذي رأيته أن كثيرا من كلامهم يدل إما نصا وإما ظاهرا على تقرير سائر نوعية هذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة على حده، بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة، وما رأيت

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/١٠٩.

أحدا منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه، وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله ﷻ بخلقه، مع إنكارهم على من ينفى الصفات أيضا، كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها) [(١)].

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفى التشبيه من غير إثبات الصفات، قالوا: هذا جهمي معطل، وهذا كثير جدا في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئا من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء، حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك.

- **لا يكون التوحيد عند السلف توحيدا إلا بإثبات الصفات.**

من القواعد الأساسية التي قام عليها اعتقاد السلف إثبات الصفات على مراد الله ورسوله ﷺ؛ لأن الله ﷻ بعد أن بدأ بالتوحيد أولا في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى:١١. اتبع ذلك بإثبات الأسماء والصفات التي تليق به فقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى:١١.
فالتوحيد يستلزم إثبات الصفات، وهذا ما يناسب الفطرة السليمة والعقول المستقيمة.

وبيان ذلك أن المتوحد المنفرد عن غيره لابد أن ينفرد بشيء يتميز

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥٣٢/٣. وانظر العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ١٧٢/١، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٩٩/١٣، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٩٦/٥.

به، ويكون هو الوحيد المتصف به، أما الذي لا يتميز بشيء عن غيره ولا يوصف بوصف يلفت الأنظار إليه فهذا لا يكون منفردا، ولا متوحدا ولا متميزا عن غيره، فلو قلت مثلا: فلان لا نظير له، سيقال لك في ماذا؟ تقول: في علمه، أو حكمته، أو غناه، أو قدرته، أو لا نظير له في ملكه أو استوائه على عرشه، أو أي صفة تذكرها، فلا بد من ذكر الوصف الذي يتميز به.

لكن من العبث أن يقال لك: فلان لا نظير له في ماذا؟ فتقول: في لا شيء، أو تقول لا صفة له أصلا، فالله ﷻ ـ وله المثل الأعلى ـ أثبت لنفسه أوصاف الكمال التي انفرد بها دون غيره، ونفى عن نفسه أوصاف النقص ليثبت توحده في ذاته وصفاته، فأثبت لنفسه الوحدانية في استوائه، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. فاستواؤه له كيفية تليق به لا نعلمها، ولا مثيل ولا شبيه له فيها.

وأثبت الوحدانية في كلامه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ النساء:١٦٤. فكلامه بكيفية تليق به، ليس كمثله شيء فيها، ولا علم لنا بها، فمداركنا وعقولنا وإن استوعبت معنى كلام الله، فإنها لا تستوعب كيفية أداء الكلام؛ لأنها كيفية غيبية. وأثبت لنفسه يدين لا مثيل ولا شبيه له فيهما فقال: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص:٧٥. وكذلك الحال في سائر الصفات والأفعال.

ومن ثم فمن الأمور الهامة التي ينبغي للموحد أن يحذر منها صيانة للقاعدة الثانية حتى لا يهدم إيمانه بما أثبته الله ﷻ لنفسه وما أثبته رسوله ﷺ أن يحذر من نوعين من الضلال، وهما التعطيل والتحريف

المبني على التأويل الباطل وهي بذاتها العقيدة التي دعت إليها البيجورية، فالتعطيل هو رد النصوص الثابتة في الكتاب والسنة ورفض محتواها وعدم التسليم لها، كما رُوي عن الجهم بن صفوان التصريح بالرغبة في محو كلام الله الذي ورد فيه الاستواء على العرش لأنه تصور أن إثبات الاستواء تمثيل وتجسيم، والمعطلة كالمعتزلة والأشعرية والماتريدية يرددون مثل هذه العلة في تأويل الاستواء بالاستيلاء والقهر. فقال الجهم: لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت، يقصد قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥ [(١)].

وهكذا المعطل اعتقد في النصوص التمثيل، فاضطر إلى أن يعطلها، وقد علمنا من محذورات القاعدة الأولى أن الممثل عطل الصفة الحقيقية لله، لأن تمثيله الباطل غطى على الحقيقة، ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله: كل ممثل معطل، وكل معطل ممثل.

والتحريف هو التأويل بغير دليل، وهو تحريف للكلم عن مواضعه، لأن المتكلم يقصد شيئا في كلامه يختلف عن المعنى الذي أراده المؤول، والسبب الذي دفع أهل الضلال إلى التأويل الباطل لنصوص الكتاب والسنة، أن المعطل بعد رفضه للنصوص بناء على اعتقاده التمثيل والتشبيه فيها كما سبق أراد أن يستر جريمة التعطيل حتى لا يقال في حقه إنه يكذب بالقرآن والسنة، فأخفى جريمة التعطيل تحت شعار التأويل وادعاء البلاغة في فهم النصوص، فاستبدل المعنى المراد من

---

(١) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ١/١٦٧، وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٤٠، والعلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص١٥٤، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم عيسى ٢/٨٨.

النصوص بمعنى بديل لا يقصده المتكلم بها.

روى أن أحمد بن أبي دؤاد القاضي أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، بدلا من قول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ الشورى:١١، فحرف كلام الله لينفي وصفه تعالى بأنه يسمع ويبصر، لاعتقاده أن السمع في حق الله ﷻ لا بد أن يكون بأذن أو جارحة[1].

ويشبه هذا الصنيع الباطل قول المعتزلة والأشعرية بأن الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. معناه الاستيلاء والقهر. ومعنى اليدين في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ ص:٧٥. هما القوة والقدرة.

وكل ذلك وأمثاله منكر من القول وتزوير في لغة العرب، لأن العرب عند التحقيق لا تعرف الاستواء بمعنى الاستيلاء والقهر، ولا اليدين في مثل هذا السياق بمعنى القدرة، ولذلك ذكر ابن تيمية أن التحريف بالتأويل أقبح من التعطيل والتكييف والتمثيل. والسبب في ذلك أنه ما حرف إلا لأنه عطل، وما عطل إلا لأنه كيَّف ومثل، فجمع أنواع الضلال في هذا الباب بتأويله الباطل.

ولا حجة لقول بعضهم إن اللغة مرنة وحمالة للمعاني، وفضفاضة تتسع لأنواع التأويل، لأن اللغة التي نزل بها القرآن لها ضوابط معروفة، لا يسعنا أن نخرج عن قواعدها، فالسلف استعملوا التأويل في عصرهم بمعنى غير ما يعرف الآن عند الأشعرية أو سائر علماء الكلام، إذ تقيدوا

(١) انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية ١٣/١٨٤.

بما ورد في القرآن والسنة وما عرف بين الصحابة والتابعين من معاني التأويل، وهي الحقيقة التي يؤول إليها الكلام أو التفسير والبيان.

لقد استخدم البيجوري معنى التأويل كما استخدمه علماء الخلف من المعتزلة والمتكلمين الأشاعرة، استخدموه بدليل أو بغير دليل، ليضفوا الشرعية على آرائهم، ويبرروا تعطيلهم لأوصاف الله ﷻ، فصرفوا معاني النصوص الظاهرة إلى معان ابتدعوها بغير دليل، وقاموا بلي أعناق النصوص وذبحها بصورة لا تخفى على عاقل، فقالوا في الاستواء كما سبق استيلاء وقهر هروبا من إثبات فوقية الله على خلقه، وقالوا: معنى في السماء، أي عذابه وسلطانه، ومعنى اليدين القدرة، ومعني الوجه الذات، ومعني المجيء مجيء الأمر، ومعني النزول نزول الرحمة، ومعني الرضا إرادة الإكرام، والغضب إرادة الانتقام، والقدم مثل للردع والانزجار.

وهكذا أغلب الصفات حتى تشعر من أقوالهم بأن المتبادر إلى الذهن عند قراءة الكتاب والسنة معان باطلة، واعتقادات فاسدة، وأنه كان ينبغي أن يكون القرآن الكريم أحسن من هذا، وكان ينبغي لكلمات النبي ﷺ في الأحاديث أن تكون بغير هذه الألفاظ حتى لا يتكلفوا مشقة صرف الكلام عن معناه، وتأويله بغير دليل.

قال ابن تيمية: (وأما التأويل بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، كتأويل من تأول استوى بمعنى استولى ونحوه، فهذا عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته، فلا يقال في مثل هذا التأويل: لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، بل يقال فيه:

﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ يونس:١٨. كتأويلات الجهمية والقرامطة الباطنية، كتأويل من تأول الصلوات الخمس بمعرفة أسرارهم، والصيام بكتمان أسرارهم، والحج بزيارة شيوخهم، والإمام المبين بعلي بن أبي طالب، وأئمة الكفر بطلحة والزبير، والشجرة الملعونة في القرآن ببني أمية، واللؤلؤ والمرجان بالحسن والحسين، والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والبقرة بعائشة، وفرعون بالقلب، والنجم والقمر والشمس بالنفس والعقل ونحو ذلك، فهذه التأويلات من باب التحريف للكلم عن مواضعه، والإلحاد في آيات الله، وهي من باب الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وكتابه.

ومثل هذه لا تُجعل حقا حتى يقال إن الله استأثر بعلمها، بل هي باطل مثل شهادة الزور.. وأصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف الإعراض عن فهم كتاب الله تعالى كما فهمه الصحابة والتابعون، ومعارضة ما دل عليه بما يناقضه، وهذا هو من أعظم المحادة لله وللرسول، لكن على وجه النفاق والخداع)[(١)].

- فهم المعنى والكيفية بين البيجورية المعطلة والعقيدة السلفية.

لما قال علماء الأشعرية سلف البيجوري بأن نصوص الصفات الإلهية موهمة للتشبيه والجسمية، تغير تبعا لذلك مفهوم المحكم والمتشابه عندهم وعند أتباعهم، من معنى سلفي يعتبر المتشابه من القرآن آيات معلومات المعنى، واضحات الدلالة، ظاهرها مراد في حق الله ﷻ، وليس كمثله

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٥/٣٨٢.

شيء في حقائقها، وأن المجهول فقط وهو كيفية الصفات الإلهية التي دلت عليها هذه الآيات، تغير مفهوم المتشابه عندهم إلى اعتبار تلك النصوص نصوصا تدل على ظاهر باطل محال يحمل التشبيه والتجسيم، ويجب صرفه عن الصورة المنفرة التي صورها لربهم، كل ذلك ليجعلوا الناس مؤيدين لآرائهم وأصولهم، مهيئين لقبول تأويلهم وتبديلهم.

ثم طرحوا بديلا آخر أمام الناس كخيار ينسبونه لعقيدة السلف، وهو القول بأن نصوص الصفات الإلهية معانيها معان مجهولة كدلالة الألفاظ الأعجمية، يفوض فيها الأمر والعلم إلى الله ﷻ، ثم ألصقوا هذا الطرح بدعوى التسليم، وعدم الخوض في توحيد الصفات كما كان شأن السلف الصالح.

والبيجوري ومن قبله الكثير من الأشعرية يعتبرون معاني نصوص الصفات الإلهية من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله مستدلين بهذه الآية، وفي هذا نظر حيث يترتب على ذلك من اللوازم الباطلة ما لا يرضاه المسلم على كلام الله.

وسبب ذلك كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، اعتقادهم أنه ليس لله صفة دلت عليها هذه النصوص، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات لله، وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان أخرى بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل، وتعطيل السمع، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه، فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين

الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا السبق في هذا كله [1].

والحقيقة أن الفهم السلفي يتسم بالدقة والأصالة والعمق لمسألة المحكم والمتشابه التي وردت في قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾آل عمران:٧.

بل هذا الفهم يتوافق وينسجم مع اعتقادهم في التوحيد، لاسيما في توحيد الصفات، فهم لما آمنوا بصفات حقيقية جاءت بها الأدلة السمعية، وفرقوا بين فهم المعنى الذي حواه اللفظ العربي وفهم الكيفية، وفقوا في تفسير المحكم والمتشابه، فإذا كان المحكم هو المعلوم الواضح المعنى، وكان المتشابه عكس المحكم، وهو المجهول الذي لا يعلم على نحو ما تقدم، فإنهم يعتبرون معاني نصوص الصفات محكمات، والكيفية الغيبية فقط من المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله.

أما إذا كان معنى النص معلوما، والكيفية التي دل عليها معلومة أيضا، كانت الآية محكمة لأهل العلم على تفاوتهم في المعرفة والفهم، كما هو الحال في جميع آيات الأحكام، ولذلك والله أعلم سميت نصوص التكليف بما تحويه من أحكام أحكاما لوضوح معناها والعلم

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/١٠.

بكيفية أدائها.

وإن كان المعنى معلوما والكيف مجهولا كان النص محكم المعنى متشابه الكيف، وإذا قيل في عرف السلف: هذا النص متشابه، فيحمل على أنه متشابه باعتبار الكيف لا المعنى، كما ذكر الإمام أحمد مصطلح المتشابه في قوله: (فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٨﴾ القصص:٨٨، ونحو هذا من متشابه القرآن) [١].

وانظر إلى عقيدة البيجورية في فهمهم للمتشابه وجعلهم المتشابه هو المعنى وكأنه لغز وكلام أعجمي ليس فيه أي هدي إلهي، فقال صاحب جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيه : أوله أو فوِّض ورم تنزيها

ويذكر البيجوري تحت هذا البيت في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾ الفجر:٢٢. وحديث الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: (يَنْزِل رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُل لَيْلَةٍ إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثلثُ اللَيْل الآخِرُ) [٢]. يقول: فالسلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمه) [٣].

ادعت فرقة البيجورية أن مذهب السلف الصالح هو تفويض المعنى، وهذا باطل لأنه جعل كلام الله بلا معنى، وجعل السلف بمنزلة الجهلة

---

(١) العقيدة للإمام أحمد بن حنبل، رواية أبي بكر الخلال ص٧٧.
(٢) البخاري في التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ١/٣٨٤ (١٠٩٤).
(٣) شرح البيجوري على الجوهرة، طبعة المعاهد الأزهرية ص١٠٩.

الذين خاطبهم الله ﷻ بالألغاز والأحاجي وما لا يفهم معناه.

ولا يعقل أن نسمع رجلا أجنبيا يتحدث بلغة لا نفهمها، ولا نعلم لسان أهلها، ثم نقول بعد سماعنا له: كلامك جيد، ووصفك سليم، وكلامك ليس فيه باطل، ونحن نصدق كل ما تقول! وإذا كان هذا مستقبحا بين البشر فكيف نقبله في كلام الله ﷻ؟! فالسلف لم يقولوا: مجيء ونزول لا نعلمه، كما ادعت فرقة البيجورية، وإنما قالوا: مجيء ونزول لا نعلم كيفيته، وفرق بينهما عظيم.

وقال البيجوري الشيخ أمين محمود خطاب عن نصوص الصفات: (إن السلف فوضوا علم المراد منها إلى الله تعالى. فقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥، يقول فيه السلف، هو مصروف عن ظاهره، ويفوضون علم المراد منه إلى الله) [(١)].

والسلف الصالح ما قالوا هذا، وإنما قالوا في الآية: هي على ظاهرها، والمعنى معلوم واضح، والمجهول هو الكيف فقط، ولكن الأشعرية ظنوا أن الظاهر منها يتحتم أن يكون الظاهر من استواء بلقيس على عرشها، ولو سئل أحدهم: هل رأيت استواء بلقيس؟ فيقول: لا. يقال له: وهل رأيت له مثيلا؟ فيقول: نعم، فيقال عند ذلك: معنى استواء بلقيس معلوم، وكيفية استوائها معلومة أيضا من رؤيتك للمثيل، لكن إذا سئل: هل رأيت استواء الله؟ فيقول: لا، فيقال: وهل رأيت له مثيلا؟ فيقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ الشورى:١١. فيقال له: كيف حكمت أن الظاهر في استواء الله يماثل الظاهر في استواء بلقيس؟ أليس هذا قول

(١) الفتاوى الأمينية ص٩٧.

على الله بلا علم؟ إنما يكفي القول إن معنى استواء الله معلوم، وهو العلو والارتفاع، وكيفية استوائه معلومة لله مجهولة لنا.

- **البيجوري يثبت الصفات المعنوية ويعطل الصفات الخبرية.**

لا يثبت البيجورية من الصفات سوى سبع صفات تبعا للأشعرية والماتريدية وهي العلم، القدرة، الحياة، الجمع، البصر، الإرادة، الكلام، ويزيد بعض الماتريدية صفة ثامنة هي التكوين، أما بقية الصفات الواردة في الكتاب وصحيح السنة فهي عندهم موهمة للباطل والتشبيه، ويجب صرفها عن هذا الظاهر المستحيل بالتأويل أو التفويض.

والحق الذي عليه السلف أنه لا يجوز أن نثبت بعض الصفات، وننازع في إثبات باقي الصفات، أو نردها بالتعطيل والتأويل بغير دليل، لأن منهج السلف واحد في كل ما ورد من الصفات وسائر الغيبيات، إما أن تثبت الجميع وتكون مؤمنا، أو ترد الجميع وتكون جاحدا معطلا، أما إثبات البعض ورد البعض تحت أي حجة، فهذا عمل اليهود كما سبق، وهو أشد بطلانا؛ لأنه استخفاف بكلام الله ﷻ ونوع من العبث بكتابه وسنة رسوله ﷺ .

وينبغي أن يحترز بهذا الأصل في معرفة صفات الله من بدعة والبيجورية الذين سلكوا سبيل الأشعرية في الصفات الإلهية، حيث ابتدعوا تقسيما عجيبا في صفات الله ﷻ على أهوائهم، جعلوا منه ما هو واجب لله ﷻ، وما هو جائز له، وما هو مستحيل عليه. فقالوا: الوجود صفة نفسية، والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية صفات سلبية، والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر صفات معاني أو معنوية.

وبقية الصفات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية صفات خبرية، تدل على التشبيه والأعضاء والجسمية، وظاهرها غير مراد؛ لأنه باطل قبيح دل على معان كفرية شركية، لا يثبتها العقل لربه، حتى قال البيجوري كما سبق:

وكل نص أوهم التشبيه : أوِّله أو فوِّض ورم تنزيها

ولو سألناهم: لم أثبتم قدرته سبحانه، وإرادته، وعلمه، وحياته، وكلامه، وسمعه، وبصره مع أنها وردت في الكتاب والسنة، ونفيتم صفة المحبة، والرضي، والغضب، والاستواء، والعلو، والمجيء، وسائر الصفات الخبرية مع أنها أيضا وردت في الكتاب والسنة؟ قالوا: لأن الصفات التي أثبتناها لا تدل على التشبيه، أما الصفات التي نفيناها تدل على التشبيه، فيقال لهم: إن العقلاء لا يقرون هذا، فالقول في الصفات كالقول في بعض، فإما أن تقولوا بالتمثيل الباطل في الذات وجميع الصفات كما فعل الممثل، وقال: إرادة الله مثل إرادة المخلوق، ومحبته، ورضاه، وغضبه، واستواءه، وعلوه، وسائر الصفات الخبرية مثل أوصاف المخلوق، ومعلوم أن هذا كذب على الله ﷻ وقياس باطل محرم. وإما أن تقولوا كما قال أهل التوحيد إرادة الله تليق به، وإرادة المخلوق تليق به، والله ﷻ ليس كمثله شيء في إرادته، ومحبته، ورضاه، وغضبه، واستواءه، وعلوه، وسائر الصفات الثابتة في الكتاب والسنة كما هو اعتقاد أهل الحق.

وصاحب المذهب البيجوري إن أتى بحجج عقلية سقيمة ينفي بها ما يشاء ويثبت من صفات الله ﷻ، فالعقل لن يسأم من مقارعة الحجة بالحجة، فإن قال: نفيت الغضب لأنه غليان دم القلب لطلب الانتقام،

وهذا لا يجوز على الخالق سبحانه وتعالى، قيل له: والإرادة التي أثبتها ميل القلب إلي جلب منفعة، أو دفع مضرة، وهذا لا يجوز على الخالق سبحانه وتعالى. فإن قال: تلك إرادة المخلوق، أما إرادة الخالق فليست كذلك، قيل له: وهذا الغضب الذي وصفته غضب المخلوق، أما غضب الخالق فليس كذلك، وهذا لازم في كل صفة أثبتها أو نفاها.

ولا ريب أننا وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام لله تعالى، ونحن قطعا لا نعقل من الحياة إلا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من السمع والبصر إلا أعراضا تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون حياته ليست بعرض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك، وهي صفات تليق به لا كما يليق بنا، فكذلك نقول أيضا حياته معلومة وليست مكيفة، وعلمه معلوم ليس مكيفا، وكذلك سمعه وبصره معلومان كما يليق به.

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله، ففوقيته معلومة ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر، فإنهما معلومان، ولا يكيفان، كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة، بل هي كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة، أو انتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته وجلاله، وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة من حيث التكييف والتحديد، فيكون العبد بها مدركا من وجه، غير مدرك من وجه، مبصرا من حيث الإثبات والوجود، ولا يعلم من حيث التكييف والتحديد[1].

(١) انظر أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، لمرعي الكرمي ص٢٠٢.

وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله ﷻ نفسه به، وبين نفي التحريف والتعطيل، والتشبيه التمثيل، وذلك هو مراد الرب تعالى في إبراز صفاته لنا، لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها، وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل.

ولا فرق بين النزول والبصر، الكل ورد في النص، فإن قالوا لنا: في الاستواء شبهتم، نقول لهم في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بوصف المخلوق، فإن قالوا: لا تشبيه بل هو كما يليق به، قلنا في الاستواء والفوقية لا تشبيه، بل ذلك كما يليق به، فجميع ما يلزموننا به في الاستواء، والنزول، واليد، والوجه، والقدم، والضحك، والعجب من التشبيه، نلزمهم به في الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، فكما لا يجعلونها من جنس ما يوصف به المخلوق، فكذلك نحن لا نجعلها من جنس صفات المخلوق.

وليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء، والنزول، والوجه، واليد صفات المخلوقين، فيحتاجوا إلى التأويل والتحريف، ولا يفهموا ذلك في الصفات السبع، فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في السمع والبصر وبقية ما يثبتونه من الصفات صفات المخلوقين، فما يلزمونا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نلزمهم به في هذه الصفات، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع، وينفون عنه عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نقول في تلك التي ينسبونا فيها إلى التشبيه، سواء بسواء[1].

---

(١) انظر رسالة في إثبات الاستواء والفوقية لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني الطائي السنبسي ص٧٤.

ومن أنصف عرف الحق ودان لله ﷻ بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التمثيل والتشبيه والتعطيل والتأويل بغير دليل، وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك؛ لأن تلك الصفات جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأولناها، كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، فالقول في الصفات واحد ﷻ لا فرق بين صفة وأخرى.

- البيجورية يجعلون أول واجب على المكلف المعرفة والنظر.

ذكر البيجوري أن أول الواجبات على المكلف فيه خلاف، وعد اثني عشر قولا ثم قال: والأصح أن أول واجب مقصدا المعرفة، وأول واجب وسيلة قريبة النظر، ووسيلة بعيدة القصد إلى النظر[1].

إذا فأول واجب على المكلفين عند البيجوري هو القصد إلى النظر، لان الوسيلة قبل الغاية، والوسيلة تبدأ من البعيد قبل القريب. ويفسر البيجوري النظر بقوله: والنظر لغة الإبصار، أي إدراك الشيء بحاسة البصر والفكر، أي حركة النفس في المعقولات، وأما في المحسوسات فتخيل وعلم، من ذلك أن النظر مشترك بين الإبصار والفكر، والمراد منه هنا الثاني، وهو الفكر[2].

إذا فالقصد إلى النظر باصطلاح المتكلمين هو القدرة على التعبير عن وجود الله فقط، وهذه من الأدلة المنطقية التي ورثها بعض أهل الإسلام من نفايات أهل اليونان، ويقصد بالمعرفة اعتقاد وجود الصانع وليس

---

(١) شرح جوهرة التوحيد ص٣٨.

(٢) السابق ص٣٨.

المراد بها التوحيد كما يتبادر إلى الأذهان، ودليل ذلك قول البيجوري: (وحاصله أن تقول نفسي ملزومة لصفات حادثه، وكل ملزوم لصفات حادثه فهو حادث، وكل حادث لابد له من صانع حكيم واجب الوجود موصوف بالصفات)[1].

إذا علمت هذا تستطيع أن تحكم على كلام البيجوري بأن أول واجب هو النظر، أو القصد إلى النظر، أو المعرفة، تستطيع أن تحكم أن هذا ليس من الإسلام في شيء؛ بل لو نظرنا إلى الكتاب والسنة لرأينا أن أول واجب على المكلف هو توحيد العبادة لله، وهذا يغاير كل المغايرة ما دعا البيجوري الناس إليه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأعراف:٥٩. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ النحل:٣٦. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ الأنبياء:٢٥.

والنصوص تدل على إجماع الأنبياء أنهم ما أتوا بالنظر ولا بالقصد، بل جاءوا بالتوحيد وعبادة الله وحده واجتناب ما عبدوا من دون الله، ومعهم في ذلك خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ حين قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)[2].

---

(١) السابق ص٣٩.

(٢) رواه البخاري في الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ١/١٧ (٢٥).

هذه النصوص الصريحة والواضحة جلية المراد في دلالتها الأكيدة على أن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا اله إلا الله، قال ابن العز الحنفي: (أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول واجب يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك، ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتين، وإن كان الإقرار بالشهادتين واجبا ووجوبه يسبق الصلاة، لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك)[1].

- البيجورية وصلتها بالقبورية وكشف الصوفية ووحدة الوجود.

لعل المسلم الواعي لأبسط الأمور في عقيدته يدرك أن أصل العقيدة وأساسها يكمن في أن العبادة لا تصرف إلا لله وحده، وأن الله ﷻ هو المستحق للعبادة، وهذا هو المتبادر الأول لذهن المؤمن حين ينطق بلا إله إلا الله، وهو يعلم كذلك أن صرف العبادة لغير الله إنما هو شرك من أعظم الذنوب.

قال البيجوري في ضلالاته: (ولذا قيل من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق، وقال الشعراني: ذكر لي بعض المشايخ أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملك يقضي الحوائج، وتارة يخرج الولي من قبره فيقضيها بنفسه) [2].

هذا التقرير العجيب في باب إثبات كرامات الأولياء وتحت شرحه

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٧٥.
(٢) شرح الجوهرة للبيجوري ص١٥٣، .

لقوله الناظم المسمى باللقاني:

وأثبتن للأولياء الكرامة : ومن نفاها انبذن كلامه

هذا التقرير العجيب ماذا يحمل في طياته؟ هل يسعى حقا لإثبات كرامات الأولياء التي لا ينكرها أحد من أهل السنة؟ أم هو أمر آخر؟ إن الناظر فيه بتمعن يدرك الدعوة الصارخة للالتجاء إلى القبور لقضاء الحوائج، لأن الولي يقضي الحوائج، أو الملك الموكل بقبره، وهي طامة عظمى ودعوة جاهلية في تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ذلك الكتاب الذي تشبع بمحتواه ملايين المسلمين تخرجوا من الأزهر وأثروا في الواقع القبوري المشين الذي أصاب للأمة الإسلامية بالوهن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والذين يزورون قبور الأنبياء والصالحين ويحجون إليها ليدعوهم ويسألوهم أو ليعبدوهم ويدعوهم من دون الله هم مشركون)[1]. وقال: (وهؤلاء الذين يعتقدون أن القبور تنفعهم وتدفع البلاء عنهم قد اتخذوها أوثانا من دون الله، وصاروا يظنون فيها ما يظنه أهل الأوثان في أوثانهم، فإنهم كانوا يرجونها ويخافونها، ويظنون أنها تنفع وتضر) [2].

وقد يقول أحدهم: إننا لو دعونا صاحب القبر فنحن نعتقد أنه لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله؛ ولكن بقولنا مدد يا بدوي أو بقولنا مدد يا شاذلي نتقرب بذلك ونتوسل إلى الله بمن يحبهم من أوليائه ورسله، أي بمعنى نتخذهم وسطاء عند الله لعظم قدرهم وجاههم.

(١) الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية لابن تيمية ص٥٢.

(٢) السابق ص٥٦.

والحقيقة أن هذا هو عين شرك الجاهليين قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يونس:١٨. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ الزمر:٢/٣.

قال ابن تيمية: (والمقصود هنا أن هؤلاء المشركين الذين يجعلون أصحاب القبور وسائط يشركون بهم كما يشرك أصحاب الأوثان بأوثانهم يدعونهم ويستشفعون بهم ويرجونهم ويخافونهم وقد جعلوهم أندادا يحبونهم كحب الله، هم الذين يقولون لمن نهى عن هذا الشرك وأمر بعبادة الله وحده إنه تنقصهم وعاداهم وعاندهم، كما يزعم النصارى إن من جعل المسيح عبدا لله ولا يملك ضرا ولا نفعا أنه قد تنقص المسيح وعاداه وسبه وعانده)[١].

وقال ابن تيمية: (فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم يستحب الشارع قصدها، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها قاصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله عندها، أو لينسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به، لا نوعا ولا عينا، إلا أن ذلك قد يجوز لحكم الاتفاق، لا لقصد الدعاء فيه، كمن يزورها ويسلم عليها

(١) السابق ص٦٢.

ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة، وأما تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره فهذا هو المنهي عنه) [١].

والبيجوري ممن يؤمن بالكشف الصوفي طريقا إلى المعرفة؛ بل يصرح بأن الكشف يصلح دليلا لإثبات الحقائق العلمية، قال البيجوري بعد أن ذكر طرق النظر الموصلة للحقائق الاعتقادية: (ويقوم مقام ذلك ما لو عرف العقائد بالكشف) [٢]. أي أن الكشف يوصلك إلى حقيقة العقائد الإيمانية، مع العلم أنه لم يجعل السنة طريقا للعقائد؛ بل منع تحصيلها بأحاديث الآحاد.

وهنا لابد من تساؤل عن الكشف بأي شيء يحصل: هل هو باستغراق صوفي ضال على طريق متصوفة الهند وعقائد وحدة الوجود الباطلة يحصل الكشف؟! أم بماذا؟ قال البيجوري في تفضيل الكشف والفناء عن شهود السِّوى: فإن تصديق المقلد ليس كتصديق العارف بالدليل، وهو ليس كتصديق المراقب، وهو ليس كتصديق المشاهد، وهو ليس كتصديق المستغرق الذي لا يشاهد إلا الله[٣].

هذه نهاية الكشف الفناء عن شهود السِّوى وهو أن لا يشاهد إلا الله، ولا يرى في الوجود إلا الله، لا خالق ولا مخلوق، فالكل هو الله، العبد رب والرب عبد، وأصرح من ذلك وأوضح في بيان الاعتقاد الصوفي الفلسفي للبيجوري قوله: (فالتقليد للعوام، والعلم لأصحاب

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/١٥٨.
(٢) شرح الجوهرة ص٢٢.
(٣) السابق ص٥١.

الأدلة، والعيان لأهل المراقبة، ويسمى مقام المراقبة، والحق للعارفين، ويسمى مقام المشاهدة، والحقيقة للواقفين، ويسمى مقام الفناء لأنهم يفنون عن غير الله، ولا يشهدون إلا إياه، وأما حقيقة الحقيقة فهي للمرسلين، وقد منعنا الله من كشفها، فلا سبيل إلى بيانها)[1].

وحدة وجود بينة واضحة، وطامات مستورة، يخفيها عن المسلمين فما هذا الذي يعلمهم في شرحه جوهرة التوحيد هل هو باطن مخفي؟ أم هو الظاهر الجلي؟ هل يستطيع عالم منصف أن يمسح هذا السواد المظلم عن تلك الضلالات، أو أن يجد لها تأويلا، وبعد هذا كله يكون هذا الشرح معتمدا لدى المسلمين في مدارسهم وحلقاتهم، هذا الكشف في العقائد، فهل الكشف عند البيجوري يصلح لأمر آخر؟

قال البيجوري: (ولعل هذا الحديث، حديث إحياء والدي النبي ﷺ وإيمانهما ثم موتهما صح عند أهل الحقيقة بطريق الكشف)[2].

لقد أضاع البيجوري جهود علماء الحديث في البحث عن الأسانيد واتصالها وتحقيقها، لماذا أضاعوا أعمارهم؟ ولماذا شقوا على أنفسهم، إذا كانت هذه العلوم والضوابط يغني عنها الكشف البيجوري؟

أليس هذا منهج ابن عربي في زندقته حين قال: (ربما صح عندنا من أحاديث الأحكام ما اتفق المحدثون على ضعفه وتجريح نقلته، وقد أخذناه عن الكشف عن قائله صحيحا، فنتعبد به أنفسنا على غير ما

---

(١) السابق ص٤٣.

(٢) السابق ص٣٠، وانظر في مسألة أبوي النبي ﷺ منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤/٣٤٩ وكتاب أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول ﷺ لعلي بن سلطان محمد القاري، بتحقيق مشهور بن حسن بن سلمان.

تقرر عند علماء الأصول، ورب حديث قد صححوه واتفقوا عليه، وليس بصحيح عندنا بطريقة الكشف، فنترك العمل به) [(١)].

يجلس الصوفي في خلوته مستغرقا في وحدة الوجود، وبالكشف يخبرنا صحيح الحديث وضعيفه، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، أهذا هو علم التوحيد عند البيجورية والمقرر في المعاهد الأزهرية؟ أهذا هو الإسلام الذي فهمه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة المسلمين؟

- **ضلالات كثيرة وطامات كبيرة عند البيجورية في تحفة المريد.**

ويعجب العاقل من غرائب القصص التي يحشو بها البيجوري شرحه، وما فيها من الشطط والضلالات والدعوة إلى الجاهلية ليدلل بها على عقيدته وينصر بها دعوته، محتقرا عقل المسلم الواعي. قال البيجوري عن موسى عليه السلام حين سمع كلام الله من غير صوت: (وقد أشرق وجهه من النور، فما رآه أحد إلا عمي فتبرقع، وبقي البرقع على وجهه إلى أن مات)[(٢)].

من أين للبيجوري هذا الخبر ومن أي طريق استقاه؟ وسيجيبك أتباع البيجورية من الأشاعرة والصوفية، بأنه قد صح هذا عند أهل الحقيقة بطريق الكشف وما عليك إلا التسليم ، ولا تعترض فتنطرد، ألم يسمع رسول الله ﷺ كلام ربه حين أسري به؟ فلماذا لم يتبرقع رسول الله ﷺ؟ كما فعل أخوه موسى من قبل كما زعموا؟

---

(١) رسائل ابن عربي ص٤ نشر دار إحياء التراث، حيدر آباد، الهند ١٩٤٨م.

(٢) شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص٧٤.

قال البيجوري : (وحكي أن ابن الشجري كان يقرر في درسه قوله تعالى: كل يوم هو في شأن. فسال سائل وقال له: ما شأن ربك الآن؟ فأطرق رأسه وقام متحيرا فنام، فرأى النبي ﷺ فسأله عن ذلك ، فقال له ﷺ: السائل لك الخضر، فإذا أتاك في غد وسألك فقل له: شؤون يبديها ولا يبتديها، يرفع أقواما ويخفض آخرين، فلما أصبح أتاه وسأله فأجابه بما ذكر فقال له: صل على من علمك، ومشى مسرعا)[1].

هذه القصة التي ذكرها البيجوري تحمل من العقائد الباطلة الكثير والكثير، فمن ذلك أن الخضر عليه السلام حي بين أظهرنا، وأن الخضر عليه السلام يعلم الغيب حتى ما يحدث معنا في منامتنا، وأن الرؤى والأحلام طريق من طرق تلقي العلم وغير ذلك من عقائد الضلال، فالخضر عليه السلام ميت وليس حيا لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٤.

وكذلك الخضر عليه السلام لا يعلم الغيب لقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ النمل: ٦٥.

وقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الجن: ٢٦/٢٧. كما أن الرؤى والأحلام طريق لتلقي العلم عند البيجورية.

هذا كتاب البيجوري في شرحه لجوهرة التوحيد الذي صار عمدة للحلقات العلمية، ومصدرا للتدريس في كثير من الجامعات والمعاهد الإسلامية، تخرج على أصوله الفكرية والفلسفية والتأويلات الباطنية

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص١٣٩ طبعة دار السلام القاهرة.

كثير ممن تجرأ على الفتوى بحجج عقلية، وضرب عرض الحائط بالنصوص القرآنية والنبوية، فلا عجب إذا من عبث الفتاوى لأصحاب المدرسة العقلية البيجورية كالذي أفتى للمؤمنات في فرنسا بجواز التعري ونزول حمامات السباحة وهي شبه عارية حتى تتمكن من الدارسة، وحجته العقلية البيجورية أن الضرورات تبيح المحظورات.

قال الدكتور القرضاوي: (فالأمة الإسلامية في معظمها أشاعرة أو ماتريدية، فالمالكية والشافعية أشاعرة، والحنفية ماتريدية، والجامعات الدينية في العالم الإسلامي أشعرية أو ماتريدية، الأزهر في مصر، والزيتونة في تونس، والقرويين في المغرب، وديوبند في الهند، وغيرها من المدارس والجامعات الدينية، فلو قلنا إن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة، لحكمنا بالضلال على الأمة كلها أو جلها، ووقعنا فيما تقع فيه الفرق التي نتهمها بالانحراف، ومن ذا الذي حمل لواء الدفاع عن السنة ومقاومة خصومها طوال العصور الماضية غير الأشاعرة والماتريدية؟)[١].

لعل التنبيه على هذه الفرقة البيجورية المعاصرة التي نشأت على العقيدة الفلسفية الكلامية الصوفية ندرك معه ضرورة السعي لتغيير إيجابي لهذا الاعتقاد البيجوري كي ينهض المسلمون على كتاب وسنة بفهم سلف الأمة.



(١) الإخوان المسلمون ٧٠ عاما في الدعوة والتربية والجهاد.

المطلب العاشر

فرق الصوفية تنسب إلى علم دخيل على الأمة الإسلامية وليس له أصول قرآنية ولا نبوية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن فرقة البيجورية المعطلة وأخطائهم الاعتقادية الكلامية المنتشرة في المقررات الدراسية الأزهرية، وتعرفنا على البيجورية وأثرها السيئ على واقع الأمة الإسلامية، وموقفهم من أحاديث الآحاد وأنها عندهم لا تفيد اليقين في أمور الاعتقاد، وبينا مفهوم الإيمان عند البيجوري والدعوة إلى مذهب الإرجاء الجهمي.

ثم تحدثنا عن منطق المتكلمين المعطلين لصفات الله الذي تبناه البيجوري، وأنه ليس في القرآن نصوص ظاهرها البطلان أو التشبيه الموهم للجسمية، وأن ظاهر النصوص المراد عند السلف غير مراد عند البيجوري، وكذلك لا يكون التوحيد عند السلف توحيدا إلا بإثبات الصفات، ثم بينا فهم المعنى والكيفية بين البيجورية المعطلة والعقيدة السلفية، وعلمنا أن البيجوري يثبت الصفات المعنوية ويعطل الصفات الخبرية، وأن صلة البيجورية بالقبورية الصوفية صلة وثيقة وأن كشف الصوفية من مصادر المعرفة عندهم، وعلمنا أن البيجورية لهم ضلالات كثيرة وطامات كبيرة مسطرة في تحفة المريد.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن التصوف الذي تنسب إليه

فرق الصوفية، وأنه علم دخيل على الأمة الإسلامية، وليس له أصل في الأصول القرآنية والنبوية.

- **الأصول القرآنية والنبوية هي النبع الصافي لجميع العلوم الإسلامية.**

إن الوحي الإسلامي المتمثل في الكتاب والسنة هو النبع الصافي لجميع العلوم والأصول الإسلامية، وقد جعل الله ﷻ الوحي بمنزلة الماء الذي ينزل من السماء فيطهرُ الأرضَ ويُذهب الزبدَ جفاء، أو كجودة المعادن في الأصالة والنقاء ونفع الناس ودوام البقاء. قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ الرعد:١٧.

وإذا كانت العلوم الإسلامية قد فاضت من هذا النبع الصافي؛ فإن أصالة كل علم ونقاء معدنه، وما فيه من نفع للإنسانية يقاس بمقدار أصوله الممتدة وجذوره الراسخة في الكتاب والسنة مصداقا لقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ الرعد:١٧.

وأول ما يطالب به أصحاب كل علم من العلوم الإسلامية أو كل طريقة أو مذهب ينتسب إلى الأمة الإسلامية هو البحث عن الأصول التي أهلتهم للخوض في هذا المجال، أو بتعبير آخر البحث عن أصالة علمهم وإظهار الأصول التي يعتمدون عليها من الكتاب والسنة، فمن البديهي أن العلوم الإسلامية كعلوم القرآن والحديث والفقه والمواريث والتوحيد واللغة، وغير ذلك من أنواع العلوم، لم تظهر بصورتها المتميزة في عصر النبوة أو عصر الخلافة الراشدة، وإنما ظهرت بعد ذلك بفترة،

ولكن تلك العلوم قائمة على أصول قرآنية أو نبوية تمنحها شرف الانتساب، ورخصة الإنشاء، وجواز التوسع فيها حتى تصل إلى ما يمكن من الكمال، فعلوم القرآن المختلفة كضوابط التلاوة وتنوع القراءات وتفسير القرآن، وفهم الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول يمكن أن ترد جميعها إلى ما ورد عند البخاري من حديث عثمان بن عفان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِن أَفْضَلَكُمْ مَن تَعَلمَ القُرْآن وَعَلمَهُ) [١].

وفي رواية أخرى: (خَيْرُكُمْ مَن تَعَلمَ القُرْآن وَعَلمَهُ) [٢]. فللمشتغلين بعلوم القرآن أن يحتجوا بمثل هذه الأحاديث على أصالة علمهم، وجودة مطلبهم، وسلامة مقصدهم، وشرف نسبتهم وتسميتها.

كما أن الرسول ﷺ دعا المسلمين جميعهم إلى البحث في القرآن ليكون القول فيه عن علم وفهم، وحذر من الخوض فيه بالرأي والهوى، وجعل المسلم المتعلم المعلم من خيرة الأمة وأفضلها، كل ذلك يضاف إلى ما ورد في القرآن من الأمر بترتيله وتدبره، كقوله تعالى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾المزمل:٤. وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾القمر:١٧. وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾النساء:٨٢. فهذه الآيات وأمثالها تدل دلالة صريحة على أصالة هذا العلم ونقاء معدنه.

وللمشتغلين بعلوم الحديث رواية ودراية المعنيين بدراسة العلل والأسانيد ومعرفة الرجال ووصفهم بالجرح أو التعديل، لهم أن يستندوا

---

(١) البخاري في فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن ٤/ ١٩١٩ (٤٧٤٠).

(٢) الموضع السابق ٤/ ١٩١٩ (٤٧٣٩).

في رد الحديث وعلومه إلى لفظ وارد في السنة أو اصطلاح يحمل الدلالة على معنى التثبت في النقل والتحذير من الكذب على النبي ﷺ، وإتاحة الجهود اللازمة لوضع الضوابط الضرورية التي تحقق تلك الغاية.

كما ورد عند البخاري من حديث عَبدِ اللهِ بن عَمْرٍو رضي الله عنه أَن النبي ﷺ قَال: (بلغُوا عَني وَلوْ آيَةً، وَحَدِّثوا عَن بني إِسْرَائِيل وَلَا حَرَجَ، وَمَن كَذب عَلي مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النارِ) [1]. فلفظ حدثوا فيه جواز النسبة إلى علم الحديث، ورخصة إنشائه، وبذل الجهد للتوسع فيه حتى يصل إلى الكمال الممكن، فإذا كان الصحابة رضي الله عنهم يسمعون من رسول الله ﷺ سماعا مباشرا، فإن الجيل الثالث أو الرابع بعد عصر التابعين يلزمه لكي يحدث بصدق عن رسول الله ﷺ إحداث الضوابط الموضوعة في علم الحديث.

وكما وجدنا أصولا قرآنية أو نبوية لعلوم القرآن والحديث يمكن أن يجد المشتغلون بالفقه والفرائض والمواريث والتوحيد واللغة أصولا قرآنية لنسبة علومهم، والمبررات الداعية لإنشائها، وإتاحة الجهود اللازمة للتوسع فيها حتى تصل إلى الكمال الضروري في وضع الضوابط العلمية لكل باب، فنجد نسبة علم الفقه والدعوة إلى تعلمه ونقله إلى الناس بما يلزمه من ضوابط وأمور تسهل تعلمه وتحقق هذه الغاية في قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ التوبة:١٢٢ والشاهد أن قوله تعالى: ليتفقهوا بني عليه علم الفقه.

---

(١) البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣/١٢٧٥ (٣٢٧٤).

وكذلك ما ورد عند البخاري من حديث مُعَاوِيَة بن أَبى سُفْيَان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين) [١].

وعلم الفرائض أو المواريث له أصول قرآنية ونبوية تحض على تعلمه وحفظ أحكامه واستقصاء أصوله من الكتاب والسنة، كقول الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ النساء:٧ أو قوله: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ النساء:١٧٦. فقوله ﷻ مفروضا، يرثها، تعطي أصالة النسبة لعلم الفرائض والمواريث، وتتيح مشروعية بذل الجهود وتضافرها من أجله.

وكذلك ما رواه أبو داود وصححه الألباني من حديث أبي إمامة الباهلي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: (إن اللهَ قَدْ أَعْطَى كُل ذي حَقٍّ حَقَّهُ فَلاَ وَصِيَّةَ لوَارِث) [٢]. وروى البخاري من حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ: (أَلحِقُوا الفَرَائِضَ بأَهْلها فَمَا بقِيَ فَهْوَ لأَوْلى رَجُل ذكَرٍ) [٣].

وعلم التوحيد ومعرفة عبادة الله وحده لا شريك له، له أيضا أصول قرآنية ونبوية منصوص على لفظه فيها كما ورد عند البخاري من حديث ابن عباس ﷺ أنه قال: (لَمَّا بعَث رَسُول اللهِ ﷺ مُعَاذا عَلى

(١) البخاري في الخمس، باب قوله تعالى: فأن لله خمسه ٣/١١٣٤ (٢٩٤٨).
(٢) أبو داود في الوصايا، باب ما جاء في الوصية ٣/١١٤ (٢٨٧٠)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٦٥٥).
(٣) البخاري في الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمه ٦/٢٤٧٦ (٦٣٥١.

اليَمَن قَال: إنكَ تَقْدَمُ عَلى قَوْمٍ أَهْل كِتَاب، فَليَكن أَوَّل مَا تَدْعُوهُمْ إليْهِ عِبادَةُ اللهِ.. الحديث) [١]. وفي رواية أخرى عند البخاري: (إنكَ تَقْدَمُ عَلى قَوْمٍ مِن أَهْل الكِتَاب فَليَكُن أَوَّل مَا تَدْعُوهُمْ إلى أَن يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالى..) [٢]. فقوله ﷺ: عبادة الله، يوحدوا الله، يدل على أن علم توحيد العبودية هو أصل الدين، وأول العلوم التي يبدأ بها الداعي دعوته، كما أنه يمثل المحصلة المرجوة والغاية العظمى من دعوة الإسلام؛ لأن الرسول ﷺ علق على معرفته واليقين به جميع الأحكام.

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ إبراهيم:٥٢. فلو قامت طائفة من المسلمين يبحثون عن وحدانية الله في التنزيل، وما انفرد به من أوصاف الكمال بلا تمثيل ولا تعطيل، وما ينبغي له من أنواع التعظيم في أمور العبادة، فقد أحسنوا وبلغوا شرف العلم وزيادة لأن شرف العلم مرتبط بشرف المعلوم ولا شك أن الحديث عن توحيد الله ﷻ من أشرف العلوم.

وما يقال في العلوم السابقة يقال أيضا في علم اللغة وحسن التعبير والبيان، فلأهل اللغة المشتغلين بضوابط الكلمة ووضع القواعد التي تحقق استقامة اللغة وعدم اعوجاجها أن يستندوا إلى القرآن والسنة في نسبة علمهم وتأصيل مبناه ورده إلى أصول شرعية كقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ النحل:١٠٣

---

(١) البخاري في الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس ٢/٥٢٩ (١٣٨٩).

(٢) البخاري في التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٦/٢٦٨٥ (٦٩٣٧).

وقال البخاري: (نزَل القُرْآن بلسَان قُرَيْشٍ وَالعرَب) [١]. وقد ذكر رسول الله ﷺ أنه أعطي جوامع الكلم وحسن البيان، كما روى البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (بعِثتُ بجَوَامِعِ الكَلمِ) [٢]. فعلم اللغة ضرورة مفروضة لفهم القرآن والسنة لاسيما، وكل ما ورد عن النبي ﷺ فيه كمال الفصاحة وروعة البلاغة اللغوية التي تُظهر جوامع الكلم في قوله ﷺ، وهكذا يمكن بالبحث والتتبع أن نتعرف على الأصول القرآنية والنبوية لكل علم من العلوم الإسلامية فيه نفع للإنسانية في الدنيا والآخرة.

• هل يمكن أن يرد التصوف منذ ظهوره إلى أصول إسلامية مقبولة؟

وإذا عدنا إلى التصوف وعلومه، فمنذ ظهر التصوف في البيئة الإسلامية وأصبح له كيان محسوس في القرنين الثاني والثالث الهجريين، والخلاف مستمر في رد التصوف إلى أصول إسلامية أو غير إسلامية، سواء كانوا من أبناء الصوفية أو من غيرهم، فمنهم المنكر لنسبة التصوف إلى الإسلام جملة وتفصيلا، ومنهم المؤيد الداعي إلى كونه قلب الإسلام وأصله، ومنهم المتوسط بينهما، فالمنكر يحاول نفيه وإثبات بدعيته محتجا بأن عصر النبوة لا تصوف فيه، ولم يعرف عن أحد من أصحاب النبي ﷺ أنه كان متصوفا، كما أن القرآن والسنة فيهما من الحياة الروحية والأخلاق الكريمة ما يغني عن التصوف وعلوم الصوفية، والمؤيد يؤكد أن سيد الصوفية وأسوتهم هو رسول الله ﷺ ويجعله على رأس طبقاتهم ثم خيار الصحابة والتابعين، ويحاول جاهدا أن يرد

(١) البخاري في فضائل القرآن، باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب ٤/١٩٠٦.
(٢) البخاري في التعبير، باب المفاتيح في اليد ٦/٢٥٧٣ (٦٦١١).

التصوف إلى نسبة محمودة أو تبرير معقول، فتارة ينسبه إلى الصوف، وأخرى إلى الصفاء، وثالثة إلى أهل الصفة، ورابعة إلى الصف الأول، وآخرون يؤكدون أنه عَلم، وهو اسم ظهر بلا اشتقاق أو غيره [١].

والصوفية أنفسهم مختلفون في تأصيل نسبة التصوف ومصدرها وإيجاد مستند قرآني أو نبوي يتكئون عليه في بناء علومهم، ففي الوقت الذي يرده السراج الطوسي (ت:٣٧٨هـ)، ويشاركه في ذلك أبو بكر الكلاباذي (ت:٣٨٠هـ)، والسهروردي البغدادي (ت:٦٣٢هـ) أو غيرهم يردون التصوف إلى الصوف، يصف غيرهم تلك الردة جهلا بالتصوف حتى قال أحدهم معبرا عن ذلك:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
جهلا وظنوه مأخوذا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتي
صافي فصوفي حتى سمي الصوفي [٢].

وفي المقابل لهذين الرأيين نجد أبا القاسم القشيري (ت:٤٦٥هـ)، ويشاركه على بن عثمان الهجويري (ت:٤٦٥هـ)، يميلان إلى أن الكلمة لا تخضع للاشتقاقات اللغوية المعروفة إذ أن الصوفية من الرفعة بحيث لا يكون لها أصل تشتق منه.

---

(١) انظر التصوف في الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه للدكتور عبد اللطيف محمد العبد ص١٣: ٢٥ طبعة دار الثقافة العربية سنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
(٢) الدر الثمين والمورد المعين لمحمد بن محمد المالكي ٢/١٦٩، طبعة مصطفي البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥٤م.

قال على بن عثمان الهجويري: (يؤكد البعض أن الصوفي لقب بهذا الاسم لأنه يرتدي رداء من الصوف ويقول البعض الآخر: إنه لقب بالصوفي لأنه في الصف الأول، ويقول آخرون: إن السبب هو أنهم ينتمون إلى أهل الصفة ﷺ، وهناك من يقول كذلك: إن الاسم مشتق من الصفاء، ولكن هذه التفسيرات لكلمة صوفي لا توفي متطلبات الاشتقاقات اللغوية) [١].

ويرى الهجويري أن هذه التسمية اسم علم لا يحتاج إلى شرح، فمعني الصوفية عنده بالنسبة للصوفي واضح كضوء الشمس، ويبرر ذلك بأن الصوفي ممنوع من العبارة عن نفسه أو الإشارة حتى لا يقع في الرياء أو إظهار الذات، وبما أن كلمة صوفي تتطلب شرحا، فإن كل الناس يحاولون تفسيرها، سواء عرفوا قدرها أم جهلوه أثناء تعلم معناها، ولكن هكذا يلقب الكامل منهم بالصوفي، ويسمي المريد والطلاب بالمتصوفة [٢].

ويحاول الكلاباذي جاهدا أن يضع الاحتمالات الممكنة لتبرير هذه النسبة بوجه معقول، ليجعلها متفقة في المعاني وإن اختلفت في الظاهر اختلاف تنوع، لا اختلاف تنافر أو تضاد، فهي إن أخذت من الصفاء والصفوة كانت صَفَوِيَّة، وإن أضيفت إلى الصَّف أو الصُّفَة كانت صَفَيِّة أو صُفِّية، ويجوز عنده أن يكون تقديم الواو على الفاء في لفظ الصوفية وزيادتها في لفظ الصَفِّية أو الصُفِّية إنما كانت من تداول الألسن، وإن جعل مأخذه من الصوف استقام اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة،

(١) كشف المحجوب للهجويري ص٣٩.

(٢) السابق ص ٣٩ بتصرف.

وجميع تلك المعاني عند أبي بكر الكلاباذي من التخلي عن الدنيا وعزوف النفس عنها وترك الأوطان، ولزوم الأسفار ومنع النفوس وحظوظها وصفاء المعاملات وصفوة الأسرار وانشراح الصدر وصف التصوف السابق [١].

ودورنا الآن البحث عن أصل قرآني أو نبوي مقبول يمكن أن يرد إليه مصطلح التصوف، فهل ورد بالفعل في القرآن الكريم أو السنة النبوية ما يدل على أصالته كبقية العلوم الإسلامية؟ وما هو التحليل التاريخي أو الكيفية التي ظهرت عليها نسبة التصوف إلى الأصول المذكورة عند الصوفية؟

- **هل كان أحد من الصحابة والتابعين يعرف مصطلح التصوف؟**

لم يكن أحد من الصحابة والتابعين يعرف مصطلح التصوف، وبغض النظر عن السبب في ظهور التصوف، سواء قيل إن الدافع هو الإيمان المحض وبلوغ الحقيقة، أو قيل بأنهم لجئوا إلى ذلك درءا للفتن والمنازعات التي حدثت بين المسلمين في أعقاب الخلافة الرشيدة فآثروا وقتها البعد والانعزال عن الناس والزهد في الدنيا، وسواء قيل إن السبب هو رد الفعل الطبيعي لحياة الترف التي مرت بالمسلمين إبان الفتوحات الإسلامية والملك والمتوارث، أيا كان الدافع لهذا المسلك الصوفي والسبب في ظهوره؛ فإن لفظ التصوف بات علما على تلك الطائفة وأصبح الصوفية واقعا مفروضا بحكم وجودهم، لهم سَمْتُهم وعلمهم وألفاظهم التي اصطلحوا عليها [٢].

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلاباذي ص٣٤ بتصرف.

(٢) من قضايا التصوف في ضوء الكتاب للدكتور الجليند من ص١٩ إلى ص٢٤.

غير أن العامة والخاصة من أصحاب العلوم الإسلامية الأصيلة الذين يعتمدون الكتاب والسنة أصلا ومنهجا لكل ما هو مقبول في مختلف العلوم الإسلامية، قد التفتت أنظارهم إلى التصوف في بدايته باعتباره طريقة ومذهبا لعدد كبير من المسلمين يناقشون الصوفية في المخالفات البدعية التي ارتكبوها بدافع الغلو في العبادة، أو في موقفهم من إتباع أفكار غريبة عن البيئة الإسلامية كالقول بالفناء والحلول والإتحاد، ويطالبون الصوفية على وجه التفصيل برد مفردات أفعالهم وأقوالهم إلى مستند شرعي، ويلزمونهم أيضا برد التصوف في الجملة إلى أصل قرآني أو نبوي.

وتجدر في الإشارة إلى مراحل التصوف إلى أن بداية التصوف المعبر عن إذلال النفس وقمعها والمجاهدة في محو أوصافها والغلو في زهد الحياة بأنواعها، والذي وجد مسطورا في كتب الأوائل ككتاب الصدق لأبي سعيد الخراز، وتراث الحارث بن أسد المحاسبي لاسيما كتابه الرعاية لحقوق والحكيم الترمذي وغيرهم، كان أصحاب تلك الفترة لا يشيرون في كتاباتهم إلى مصطلح التصوف، وإنما يذكرون مصطلح المريد وآداب المريدين والزهد والصدق والتوكل والرعاية لحقوق الله ومحاسبة النفس وما شابه ذلك من ألفاظ وتعبيرات [١].

أما التصوف في المرحلة الثانية أعني مرحلة الحب والفناء، والتي أصبحت قريبة من الفكر الفلسفي المنظم إلى حد ما عند أبي نصر السراج الطوسي، وأبي بكر الكلاباذي، وأبي طالب المكي في كتابه

---

(١) مدخل إلى التصوف الإسلامي، أبو الوفا التفتازاني ص٩٥.

قوت القلوب، وأبي الحسن على بن عثمان الهجويري، وأبي القاسم عبد الكريم القشيري، هؤلاء جميعهم أظهروا عَلمِيَّة التصوف، وأنه اصطلاح يخصهم، ومذهب يستقلون به دون سائر الناس، فحاولوا جاهدين أن يضعوا حدا للتصوف يتميز باستقلالية خاصة عن بقية العلوم ويعرفون به، فنقلوا عن الأوائل بعض العبارات الجامعة في حد التصوف تدل في مجملها على أنه يدور في أحد مجالين:

١- إما أن التصوف مبني على الوصول إلى كمال التوحيد في العبادة وعلو الإيمان إلى أعلى درجاته وبلوغ درجة الإحسان.

٢- أو أن التصوف يدور حول تهذيب النفس ومكارم الأخلاق والخلق العظيم الذي اتصف به النبي ﷺ.

- **حيرة الصوفية في جعل التصوف مناظرا للأخلاق أو درجة الإحسان.**

أما المجال الأول فتجد فيه عبارات كثيرة ومتكررة تدل في مجملها على أن التصوف هو أداء العبودية وتوحيد الله ﷻ في أبهي صوره المرجوة التي تصل بالعبد إلى درجة الإحسان، كقول ذي النون المصري (ت:٢٤٥هـ): (الصوفية قوم آثروا الله تعالى عن كل شيء فآثرهم الله عن كل شيء) [١]. ومثل ذلك قول الجنيد بن محمد سيد الطائفة في عصره (ت:٢٩٧هـ): (التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به) [٢]. وكذلك أيضا قول أبي بكر الشبلي (ت:٣٣٤هـ) في تعريف الصوفي: (هو من انقطع عن الخلق واتصل بالحق) [٣]. وتجد المعني ذاته في تعريف

(١) الرسالة القشيرية ٢/٥٥٥.
(٢) السابق ٢/٥٥١.
(٣) السابق ٢/٥٥٤.

أبي القاسم المقرئ الرازي (ت:٣٦٦هـ) للتصوف إذ يقول: (التصوف استقامة الأحوال مع الحق) [(١)].

وتلك العبارات وأمثالها تدل جميعها على معنى جامع يعبر عن قرب العبد من ربه من خلال حفظه لعبوديته وتوكله عليه واستعانته به حتى يصل إلى مرضاته ومحبته، وعندها يتولاه بحفظه ورعايته، فيحفظ عليه بدنه في حركته وسكنته، فيسمع بسمع الله ويري بنوره ويمشي في طاعته، فيحي بالله ولله، ميتا عن كل ما سواه.

وتلك التعريفات في حقيقتها معان جامعة للتعبير عن الطريق الموصل إلى الصدق في الإيمان وأداء العبودية على درجة الإحسان، فلا فرق بين هذه العبارات،وما ورد عند البخاري من حديث أَبى هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال عن رب العزة: (وَمَا تَقَرَّب إلَيَّ عَبدِي بشَيْءٍ أَحَب إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَال عَبدِي يَتَقَرَّب إلَيَّ بالنوَافِل حَتَّى أُحِبهُ فَإذا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبصَرَهُ الذي يُبصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التِي يَبطُشُ بهَا وَرِجْلَهُ التِي يَمْشِي بهَا، وَإن سَأَلني لأعْطِيَنهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذني لأعِيذنهُ) [(٢)]. ولو وصل العبد إلى هذه الدرجة الإيمانية والحالة السلوكية فقد حقق أركان الإسلام والإيمان والإحسان.

أما المجال الثاني الذي دارت حوله عبارات الصوفية في تعريفهم للتصوف فهي عبارات كثيرة ومتكررة تدل في مجملها على الأخلاق الفاضلة التي اتصف بها النبي ﷺ؛ فالخلق العظيم يمثل في مجموعه

---

(١) طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص٥١١، تحقيق نور الدين شريبة.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع ٥/٢٣٨٤ (٦١٣٧).

الصورة المثلى التي أرادها الله ﷻ من عباده، حيث اختار لهم كل ما هو حسن من الأقوال والأفعال الظاهرة في الأبدان والباطنة في الجنان، وكل ما يدل على المحبة ويرفع من كرامة الإنسان، وكره إليهم ما يقابلها من الكفر والفسوق والعصيان وأخلاق الشيطان، فقال تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ القلم:٤.

وعند البخاري من حديث أنس ﷺ أنه قال: (كَان النبي ﷺ أَحْسَنَ الناسِ خُلقًا) [1]، وعند البخاري من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: (إِن مِن أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلقًا) [2].

وعند مسلم من حديث حكيم بن أفلح ﷺأنه سأل عائشة رضي الله عنها: (يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِين أَنبِئِينِي عَن خُلق رَسُول الله ﷺ؟ قَالتْ: أَلسْتَ تَقْرَأُ القُرْآن؟ قُلتُ: بلى قَالتْ: فَإِن خُلقَ نبيِّ اللهِ ﷺ كَان القُرْآن، قَال: فَهَمَمْتُ أَن أَقُومَ وَلاَ أَسْأَل أَحَدًا عَن شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ) [3].

كل تلك المعاني الخلقية التي تدل على الدعوة إلى التزام المسلم بمنهج الله الشامل في السلوك والأخلاق عبر عنها كثير من أوائل الصوفية بمصطلح التصوف، فجعلوه معبرا عن حسن الخلق والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة. روي عن أبي الحسين النوري (ت:٢٩٥هـ) أنه قال: (ليس التصوف رسوما ولا علوما ولكنه أخلاق) [4].

---

(١) البخاري في الأدب، باب الكنية للصبي ٢٢٩١/٥ (٥٨٥٠).

(٢) البخاري في الأدب، باب لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا ٢٢٤٣/٥ (٥٦٨٢).

(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ٥١٢/١ (٧٤٦).

(٤) كشف المحجوب الهجويري ص٥٢، وطبقات الصوفية للسلمي ص١٦٧.

وروي عن أبي محمد الجريري (ت:٣١١هـ) قال: (التصوف هو الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني) [١].

ومثل ذلك روي عن أبي بكر الكتاني (ت:٣٢٢هـ): (التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف) [٢]. وروي عن أبي محمد المرتعش (ت:٣٢٨هـ): (التصوف حسن الخلق) [٣]. رغبة منه أن يكون التصوف معبرا عن جماع البر المشار إليه فيما رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان الأنصاري ﷺ أنه قال: (سَأَلتُ رَسُول اللهِ ﷺ عَن البرِّ وَالإِثمِ؟ فَقَال: البرُّ حُسْن الخلقِ، وَالإِثمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَن يَطَّلعَ عَليْهِ الناسُ) [٤].

- **الإسلام لم يسم تصوفا وضوابط الإسلام تقمع بدع التصوف.**

وسواء عبرت تلك التعريفات الصوفية عن توحيد الله وعبادته في أبهي صوره المرجوة أو دلت على الأخلاق الفاضلة التي اتصف بها النبي ﷺ إلا أنها تدل على رغبة أكيدة عند قائليها أن يكون التصوف معنى شاملا للالتزام الصحيح بالإسلام، وفي أعلى درجاته الممكنة، كما عبر عن ذلك أبو القاسم النصرباذي (ت:٣٦٧هـ) تصريحا فقال: (أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق، وحسن صحبة الرفقاء، والقيام بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة والمداومة على الأوراد، وترك

(١) اللمع للسراج الطوسي ص٤٥.
(٢) السابق ص٥٢.
(٣) الرسالة القشيرية ٢/٤٩٥، كشف المحجوب للهجويري ص٤٨.
(٤) رواه مسلم في البر، باب تفسير البر والإثم ٤/١٩٨٠ (٢٥٥٣).

ارتكاب الرخص والتأويلات، وما ضل أحد في هذا الطريق إلا بفساد الابتداء، فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء) [(١)]. وهنا بدا اعتراض أو تساؤل يتوجه إلى الصوفية في أمرين:

الأمر الأول: أن الإسلام لم يسم تصوفا، ومن ثم لا بد من تبرير مقبول لتسميتهم أخلاق الإسلام وأمور الإيمان بالتصوف، كما أن المعترض لو أنكر التسمية فلن ينكر الواقع، إذ أصبح التصوف علما على كم كبير من الصوفية لهم كيانهم واصطلاحاتهم رموزهم وألفاظهم، وأنهم عرفوا عند الناس بصبغة الزهد في الحياة، وهيئة ملبسهم الداعية إلى ذلك، والاهتمام البالغ إلى حد الغلو في كثير من العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج، وأغلب الأنواع الأخرى من الأحكام.

الأمر الثاني: أن التصوف وإن كان معبرا عن الإسلام وبلوغ العبد حقيقة الإيمان فسوف يقف المنهج الإسلامي حائلا للمبالغة في العبادة، والمطالبة بالدليل على كل قول أو فعل يستحدثه الصوفية في تجربتهم وسيرهم إلى الله ﷻ، لاسيما وقد نهي النبي ﷺ عن الغلو والتشدد والابتداع في الدين وتبرأ منهما على الملأ كما تقدم عند البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ حيث قال ﷺ: (فَمَن رَغِب عَن سُنتِي فَلَيْسَ مِني) [(٢)]. ومن ثم بات الصوفية يخوضون في رد التصوف إلى أصول إسلامية مقبولة، ولم يتوان كتابهم - شأنهم شأن الآخرين - في وضع الإجابة المقنعة لمثل هذه التساؤلات ورد التصوف إلى أصل يشهد له الكتاب والسنة.

(١) طبقات الصوفية للسلمي ص٤٨٨.

(٢) رواه البخاري في النكاح، باب الترغيب في النكاح ٥/١٩٤٩ (٤٧٧٦).

- **نسبة التصوف إلى الصوف وعلاقته بلبس الخرق والمرقعات؟**

لما ظهر اتجاه الزهد الذي تبناه أوائل الصوفية وقوي بعد عصر التابعين آثر أصحابة البعد والعزلة، إما بدافع الخلوة المؤدية إلى زيادة الإيمان وبلوغ الحقيقة كما تقدم أو لأي سبب من الأسباب، واتخذوا ما تيسر من اللباس المناسب وقتها لاتجاه الزهد، فلجأ أغلبهم بالضرورة إلى نوعية الصوف الملائم للخشونة وشظف العيش، متقيدين آنذاك بحكم طبيعة البيئة العربية أو غير العربية في المجتمع الأوَّلي البسيط، وذلك ليتوافق مع تأديب النفس وإلزامها بتحمله فترة طويلة، فكان أحدهم يرتدي ملبسا خشنا من الصوف مدة عشرين سنة [(١)].

ولا يخفي أن ذلك يبعث على تكوين صورة الزهد في أذهان العامة والخاصة مقترنة بلبس الصوف على الدوام، ويحكي الهجويري عن شيخه أنه ارتدي جبة واحدة من الصوف مدة إحدى وخمسين سنة، وكان يضع الرقع عليها دون كبير اهتمام [(٢)].

ويتكرر الأمر ملحوظا عند الغالبية العظمى من أبناء الصوفية حتى أصبح لفظ الخرقة والمرقعة من المصطلحات التي لها مدلول مشترك وفق أصول وقواعد تعارفوا عليها في وقت مبكر، كما وضعت لها كتب وأبواب وفصول. يقول الهجويري: (كتبت كتابا مفصلا في هذا الموضوع عنوانه أسرار الخرق والمرقعات، وعلي المريد أن يحتفظ لنفسه بنسخة منه) [(٣)].

---

(١) هو عبد الله بن خفيف الشيرازي، انظر كشف المحجوب ص٦٢.

(٢) السابق ص٦٢.

(٣) السابق ص٦٩.

كل ذلك أدى إلى ظهور رأي عام انتشر بين الصوفية وغيرهم يربط الزهد برؤية خشونة الصوف على بدن الزاهد حتى أشبه الأمر إجماعا سكوتيا صامتا، دل على ذلك ما ذكره ابن بطال حيث قال: (كره مالك لبس الصوف لمن يجد غيره لما فيه من الشهرة بالزهد لأن إخفاء العمل أولى، فلم ينحصر التواضع في لبسه بل في القطن وغيره ما هو دون ثمنه) (١).

ومثله أيضا يلحظه الباحث فيما روي أبو الشيخ الأصفهاني بإسناده عن محمد بن سيرين أنه بلغه أن قوما يفضلون لباس الصوف، فقال: (إن قوما يتخيرون الصوف يقولون إنهم متشبهون بالمسيح بن مريم، وهدي نبينا أحب إلينا، وكان النبي ﷺ يلبس القطن وغيره) (٢). وإذا أضفنا إلى ما تقدم سلامة اشتقاق مصطلح التصوف من مادة الصوف وجدنا تبريرا قويا يدعو إلى تبني القول برد التصوف إلى الصوف.

ومن ثم لما ظهرت حركة التأليف والتدوين في مختلف العلوم سرى ذلك إلى عامة الصوفية، فبدأ رجال من القوم يكتبون مناهجهم وما يدافعون به عن صحة اعتقادهم وسلوكهم، فحاولوا في طي ذلك البحث عن أصول قرآنية أو نبوية ينسبون علمهم وطريقتهم إليها، وكان أول من قام بذلك فيما أثر عن الصوفية من تراث هو السراج الطوسي (ت:٣٧٨هـ)، فهو كما ذكر الدكتور عبد الحليم محمود أعظم مؤرخ صوفي في التاريخ قديما وحديثا (٣).

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٠/٢٦٩.

(٢) الصوفية والفقراء لابن تيمية ص١٢.

(٣) اللمع للسراج الطوسي بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ص٧.

ولم أجد في حقيقة الأمر من سبق أبا نصر السراج الطوسي في رد التصوف إلى الصوف أو محاولته تبرير ذلك بأنه دأب الأنبياء والصديقين وشعار المساكين المتنسكين ولذلك جزم بالأمر مرة واحدة إذ يقول: (باب الكشف عن اسم الصوفية، ولم سموا بهذا الاسم؟ ولم نسبوا إلى هذه النسبة؟ إن سأل سائل فقال: قد نسبت أهل الحديث إلى الحديث، ونسبت الفقهاء إلى الفقه، فلم قلت: الصوفية، ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم؟) [١].

وسياق النص في كتاب لأقدم المؤرخين كاللمع في التصوف يشعر بأن السراج الطوسي صاحب القدم الأولى واليد الطولى في تبرير تلك النسبة، وقد بين فيما طرحه من تساؤل أن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع، ولم يرتسموا برسم من الأحوال دون رسم، فليس لديه خيار إلا ظاهر اللبسة فنسبهم إليها، ثم وجد أن ملبس الأنبياء والأولياء الأصفياء على أغلب الظن يتوافق مع ملبس الفقراء فجزم بالأمر في رد التصوف إلى الصوف.

يقول السراج: (فكذلك الصوفية عندي والله أعلم، نسبوا إلى ظاهر اللباس ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها مترسمون، لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء وشعار الأولياء والأصفياء، ويكثر في ذلك الروايات والأخبار، فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسما مجملا عاما مخبرا عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة) [٢].

---

(١) السابق ص٤٠.

(٢) السابق ص٤٠.

ومن العجب أنه وهو يتعقب الأدلة ليقوي رأيه في نسبة التصوف إلى الصوف ليبحث عن دليل قرآني أو نبوي يصحح النسبة إلى ظاهر اللباس، نظر إلى حال الحواريين أتباع عيسي عليه السلام [1]، إذ لبسوا البياض وجمعوا أوصاف الإيمان وصدق المتابعة في كل النواحي فسموا حواريين نسبة إلى ظاهر اللبسة، يقول السراج: (ألا تري أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسي فنسبهم إلى ظاهر اللبسة فقال عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ المائدة:١١٢. وكانوا قوما يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى إلى ذلك، ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التي كانوا بها مترسمين، فكذلك الصوفية عندي والله أعلم) [2].

شبه حال الصوفية في إيمانهم وعدم اختصاصهم بعلم أو رسم ينسبون إليه بحال الحواريين الذين لم ينسبوا إلى علم أو حال، فالعلة المشتركة بينهم هي النسبة إلى ظاهر اللبسة، فصحت عنده نسبة التصوف إلى الصوف.

ولما أصل السراج الطوسي هذه النسبة وأظهر رأيه فيها بجرأة تتابع المؤلفون من معاصريه ولاحقيه يوافقون رأيه أو يخالفون، يدققون ويبحثون عن اللوازم المترتبة على رد التصوف إلى الصوف، إما بإظهار نسبة أخري تتآزر مع السابقة أو تنفرد دونها لأن القول بأن التصوف نسبة إلى الصوف فقط تركيز على المظهر دون الجوهر والظاهر دون

---

(١) الحواريون جمع حواري، وهو مأخوذ من الحور، وهو البياض عند أهل اللغة، وقال ابن عباس رضي الله عنه: إنما سموا الحواريين لبياض ثيابهم كانوا صيادين، انظر فتح القدير للشوكاني ١/٣٤٤، وفتح الباري لابن حجر ٨٠/٧.

(٢) اللمع للسراج الطوسي ص٤١.

الباطن، والمفترض في حقيقة دعوتهم أنها تنصب على الباطن وتدعوا إلى النظر في أعماق الأمور وبلوغ الحقيقة.

ومن ثم حاول الكلاباذي أن يستقصي كل الوجوه الممكنة، ثم تابعه على بن عثمان الهجويري وأبو القاسم القشيري، ثم أبو حامد الغزالي والسهروردي وغيرهم من مؤرخي التصوف، فكانت أبرز الوجوه التي يرد إليها التصوف غير الصوف القول بأنه من الصفاء أو نسبة إلى أهل الصفة أو الصف الأول.

لكن كثيرا من أعلام الصوفية أيدوا كلام السراج الطوسي ووافقوه، فيذكر السهروردي البغدادي أن اختيارهم للبس الصوف كان لتركهم زينة الدنيا، وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة، واستغراقهم في أمر الآخرة، وهذا الاختيار ملائم ومناسب من حيث الاشتقاق، ولأن ذلك أبين في الإشارة إليهم، وأدعى إلى حصر وصفهم، إذ لبس الصوف حال المقربين من الأنبياء والصالحين [١].

كما أن تلك النسبة نسبة راجحة عند كثير من المؤرخين، قال ابن خلدون: (والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف) [٢].

ومن ثم اعتمد أغلب الصوفية وغيرهم في تأصيل التصوف نسبته إلى الصوف ويعتبرونها الأسلم والأصوب نظرا للسلامة اللغوية، فالتصوف

---

(١) عوارف المعارف للسهروردي ٢١١/١.

(٢) مقدمة ابن خلدون ١٠٦٢/٣، تحقيق الدكتور على عبد الواحد.

مصدر الفعل الخماسي المصوغ من صوف للدلالة على لبس الصوف، وكما يقال: تقمص إذا لبس القميص، يقال: تصوف إذا لبس الصوف، كما أن الصوف يتوافق مع الهدف الصوفي الداعي إلى التقشف والخشونة وشظف العيش، فالنسبة إلى الصوف على حد قول بعضهم: (موفقة كل التوفيق) [١]. بل رأي بعض الباحثين كالأستاذين لويس ماسينيون ومصطفي عبد الرازق ضرورة رفض ما سواها من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون على السواء في أصل الكلمة [٢].

• **إبطال نسبة التصوف إلى الصوف ودعوى أنه ملبس الأنبياء والأولياء.**

لا بد لنا هنا من اتباع البحث المنهجي في معرفة هدي النبي ﷺ في اللباس واستقصاء الأدلة في الكتاب والسنة لاستخراج الأصل الذي يدعو إلى لبس الصوف أو اعتباره شعارا لسلوك ما، أو تفضيله على غيره من أنواع الملبس بحيث يمكننا القول إن مصطلح التصوف له أصل قرآني أو نبوي يرد إليه إذا نسب إلى الصوف، وإن اتخاذ الصوف ملبسا وشعارا للصوفية في زيهم دون غيره أمر لا غبار عليه شرعا؟

وإذا طالعنا كتاب الله ﷻ وجدنا أن الصوف ورد مرة واحدة في سياق آية تعدد نعم الله على الإنسان، منها أن الله خلق الأنعام ينتفع بها في عدة أشياء ذكر منها الصوف لكنه نص على استخدامه في الأثاث والمتاع، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا

---

(١) قضية التصوف المنقذ من الضلال للدكتور عبد الحليم محمود ص٣٦.

(٢) الإسلام والتصوف، تأليف لويس ماسينيون ومصطفي عبد الرازق ص١٤، طبعة دار الشعب بالقاهرة سنة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ ﴾النحل: ٨٠. ولما ذكر الله ﷻ الملبس بعدها عمم ولم يخصص الصوف وحده فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾النحل: ٨١.

قال البخاري: (سَرَابيل قُمُصٌ) [١]، وقال قتادة: سرابيل من القطن والكتان والصوف [٢]. وقال ابن عباس ﷺ: (سَرَابيل تَقِيكُمُ الحَرَّ يعني الثياب)[٣]. فالصوف ذكر على سبيل النعمة المستخدمة غالبا في الأثاث والمتاع لقوة تحمله كالخيام والغطاء والوطاء وما يفرش في المنازل ويتزين به [٤]. كما يستخدم الصوف مع غيره من أنواع الثياب في الملبس بحكم الواقع البدائي.

وقد دلت السنة النبوية على أن لبس الصوف لم يكن مرغوبا بين الصحابة ﷺ وإنما فرض عليهم لأنهم لم يجدوا غيره، وإذا تيسر استبدلوه وغيروه، فعند أبي داود وحسنه الشيخ الألباني من حديث عكرمة مولى ابن عباس ﷺ أن أناسًا مِن أَهْلِ العِرَاق جَاءُوا فَقَالوا: (يَا ابن عَبَاس، أَتَرَي الغُسْل يَوْمَ الجمُعَةِ وَاجِبا؟ قَال: لا، ولَكِنهُ أَطْهَرُ وَخَيْرٌ لَمَن اغتَسَلَ وَمَن لَمْ يَغْتسِل فَلَيسَ عَلَيْهِ بوَاجِب، وَسَأخْبرُكمْ كَيْفَ بدْءُ الغُسْل؟ كَان الناسُ مَجْهُودِين يَلبسُون الصُّوفَ وَيَعْمَلون على ظُهُورِهِمْ وَكَان مَسْجِدُهُمْ ضَيِّقًا مُقَارب السَّقْفِ، إنمَا هُوَ عَريشٌ فَخَرَجَ رَسُول الله ﷺ فِي يَوْمٍ حَارٍّ، وَعَرِقَ الناسُ في ذلكَ الصُّوفِ حتى ثارَتْ مِنهُمْ رِيَاحٌ

(١) البخاري في التفسير، سورة النحل ٤/١٧٣٩، وانظر فتح الباري ٨/٣٨٦.
(٢) فتح القدير للشوكاني ٣/١٨٦.
(٣) السابق ٣/١٨٦.
(٤) السابق ٣/١٨٤.

آذي بذلكَ بعْضُهُمْ بعْضًا، فَلمَّا وَجَدَ رَسُول الله ﷺ تِلكَ الرِّيحَ قَال: أَيُّهَا الناسُ إذا كَان هَذا اليَوْمَ فَاغْتَسِلوا ولَيَمَسَّ أَحَدُكمْ أَفْضَل مَا يَجِدُ مِن دُهْنِهِ وَطِيبِه، قَال ابن عَباسٍ رضي الله عنه: ثمَّ جَاءَ الله بالخَيْر، ولَبسُوا غَيْرَ الصُّوفِ، وكفوا العَمَل، وَوُسِّعَ مَسْجِدُهُمْ، وَذهَب بعْضُ الذي كَان يُؤْذي بعْضُهُمْ بعْضًا مِن العَرَقِ) [(١)].

والشاهد من الحديث واضح في دلالته على رفضهم البقاء على استعمال الصوف بعد مجيء الخير، ولولا أنهم لم يجدوا غيره ما لبسوه، ومعلوم أن انتقالهم عنه إلى غيره لم ينقص من فضلهم شيئا، ولم يؤثر في عبوديتهم لله عز وجل أو قوة إيمانهم به، فدعوى تفضيله على غيره أو مواظبة الفضلاء السابقين من الصحابة والتابعين على استعماله كملبس لهم يظهرون من خلاله معاني الزهد والخشونة في العيش دعوة مرفوضة بالأصول النبوية.

ويبدو واضحا من الحديث أن أبا موسى يحكي عن ملبسهم كواقع مضى استبدلوه في حاضرهم بغير الصوف من أنواع اللباس الأفضل عند ظهور النعمة وتوفر البديل، ولو كان في بقائه فضل لما غيروه.

وورد أيضا كثير من الروايات الدالة على إشفاق النبي ﷺ على مجموعة من فقراء العرب لأنهم لم يجدوا غير الصوف ملبسا من شدة الحاجة والفاقة فحث الناس على الصدقة ورغب فيها أشد ما يرغب، ولو بشيء يسير يساعد على تغيير تلك الصورة البائسة فعند مسلم من

---

(١) أبو داود في الطهارة، باب الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة ١/٩٧ (٣٥٣)، وأحمد في المسند ١/٢٦٨ (٢٤١٩)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٤٤).

حديث جَرير بن عَبدِ الله ﷺ قال: (جَاءَ ناسٌ مِن الأعْرَاب إلى رَسُول الله ﷺ عَلَيْهِمُ الصُّوفُ، فَرَأَي سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابتْهُمْ حَاجَةٌ) [١].

وفي رواية أخرى يصفهم جرير بن عَبدِ الله ﷺ بقوله: (كُنا عِندَ رَسُول الله ﷺ في صَدْرِ النهَار، فَجَاءهُ قَوْمٌ حُفَاة عُرَاة مُجْتَابي النمَار أَو العَباءِ مُتَقَلدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِن مُضَرَ، بل كلهُمْ مِن مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُول الله ﷺ لَمَا رَأَي بهمْ مِن الفَاقَةِ، فَدَخَلَ أي إلى منزله ثمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بلالا فَأَذن وَأَقَامَ، فَصَلى ثمَّ خَطَب فَقَال: يَا أَيُّهَا الناسُ اتَّقُوا رَبكُم الذي خَلَقَكُمْ مِن نفْسٍ وَاحِدَةٍ.. إلى آخرِ الآيَةِ.. إن الله كَان عَلَيْكُمْ رَقِيبا، وَالآيَةَ التِي فِي الحَشْرِ: اتَّقُوا الله وَلتَنظُرْ نفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لغَدٍ وَاتَّقُوا الله، تَصَدَّقَ رَجُل مِن دِينارِهِ من دِرْهَمِهِ، مِن ثوْبِهِ، مِن صَاعِ برِّهِ، مِن صَاعِ تَمْرِهِ حتى قَال: وَلوْ بشِقِّ تَمْرَةٍ) [٢].

• **كان أحَب الثياب إلى النبي ما صنع من القطن ولم يكن يحب الصوف.**

وأما العادة في ملبسه ﷺ وهو الأسوة والقدوة لكل مسلم فكان المحبوب لديه دائما القطن وغيره دون الصوف، لما رواه البخاري عن قَتَادَةَ أنه قال: (قُلتُ لأنس بن مالك: أَيُّ الثيَاب كَان أَحَب إلى النبيِّ ﷺ أَن يَلبسَهَا؟ قَال: الحِبرَة) [٣]، والحبرة ثياب مزينة من القطن أو الكتان، قال ابن بطال: الحبرة من برود اليمن تصنع من القطن، وكانت أشرف الثياب عندهم [٤].

---

(١) مسلم في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ٢/٧٠٦ (١٠١٧).

(٢) الحديث السابق.

(٣) البخاري في اللباس، باب البرود والحبرة والشملة ٥/٢١٨٩ (٥٤٧٥).

(٤) فتح الباري لابن حجر ١٠/٢٧٧.

ولا يعني تفضيل النبي ﷺ للثياب المصنوعة من القطن أنه نهى عن استعمال الصوف أو تركه مطلقا، ولكنه ﷺ كان يستعمله ضمن اللباس لا يفضله على غيره، لما ثبت عند أبي داود وصححه الألباني من حديث المُغِيرَةِ بن شُعْبَة ﷺ أنه قال: (كُنا مَعَ رَسُول الله ﷺ في رَكْبِهِ وَمَعِي إِدَاوَة، فَخَرَجَ لحَاجَتِهِ ثمَّ أَقْبل فَتَلقيْتهُ بالإِدَاوَةِ، فَأَفْرَغْتُ عَليْهِ فَغَسَل كَفَّيْهِ وَوَجْهَهُ ثمَّ أَرَادَ أَن يُخْرِجَ ذرَاعَيْهِ، وَعَليْهِ جُبة مِن صُوفٍ مِن جباب الرُّومِ ضَيِّقَةُ الكُمَّيْن، فَضَاقَتْ، فَادَّرَعَهُمَا ادِّرَاعًا) [١].

ومن مجموع ما ورد من الأصول النبوية يمكن القول أن الصوف لم يكن ملبسا دأب النبي ﷺ أو أحد أصحابه على تفضيله أو استعماله، فدعوى السراج الطوسي بأن لبس الصوف دأب الأنبياء والصديقين وشعار المساكين دعوى تفتقر إلى الدليل والدليل قائم على خلافها [٢].

وقد تتبعت الأدلة النبوية جاهدا أن أصل إلى حديث ثابت يدل على أن الأنبياء بصفة عامة داوموا على تفضيل الصوف، أو الالتزام به، أو اقترانه لديهم بعلم ما أو سلوك، فلم أجد إلا ما اشتهر عند الصوفية من حديث الترمذي الذي تنفرد به عَن ابن مَسْعُودٍ ﷺ أن النبي ﷺ قال: (كَان على مُوسَى يَوْمَ كَلمَهُ رَبهُ كِسَاءُ صُوفٍ وَجُبة صُوفٍ وَكمَّة صُوفٍ وَسَرَاوِيل صُوفٍ، وَكَانتْ نعْلاهُ مِن جلدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ) [٣]. وهو حديث ضعيف جدا.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين ١/٣٨ (١٥١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٥٨)، ومعنى وادرعهما أي نزعهما.

(٢) اللمع للسراج الطوسي ص٤٠.

(٣) انظر السلسلة الضعيفة (٤٠٨٢).

وأما ما ورد عند ابن ماجة من حديث أنسٍ ﷺ أنه قال: (لبسَ رَسُول الله ﷺ الصّوفَ وَاحتَذي المَخصُوفَ) [١]. فعلى فرض ثبوته لا يدل على المداومة على الصوف أو تفضيله، ولكن تفرد به ابن ماجة وهو ضعيف. وعلى ذلك فرد التصوف إلى الصوف وإن كان سليما من ناحية الاشتقاق إلا أنه يتطلب أصلا قرآنيا أو نبويا واضحا بينا نبني عليه مشروعية الدعوة إلى تفضيل الصوف واتخاذه شعارا لعلم ما أو مذهب أو طريقة معينة.

- **بطلان نسبة التصوف إلى الصفاء وأن الصفاء مقصور على الصوفية.**

من جهة الاشتقاق اللغوي لا يصح رد التصوف إلى الصفاء أو الصفوة، لأنه لو صح لقيل صافي أو صَفَوي لا صوفي، والصوفية في ردهم التصوف إلى الصفاء أرادوا أن يبينوا أن طريقتهم ليست في التزام الصوف والزهد الظاهري فقط، وإنما هي جوهر يجعلها أسمى الطرق وأعلاها كمالا وتحققا، فلهم من الفهم العميق والاستنباط الدقيق في بعض النواحي ما ليس لغيرهم.

قال السراج الطوسي: (وللصوفية مستنبطات في علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء لأن ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم تخفي في العبارة من دقتها ولطافتها، وذلك في معنى العوارض والعوائق والعلائق والحجب وخبايا السر ومقامات الإخلاص وأحوال المعارف وحقائق العبودية ومحو الكون بالأزل.. الخ) [٢].

---

(١) رواه ابن ماجة في الأطعمة، باب خبز الشعير ٢/١١١١ (٣٣٤٨) وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه ١/٢٧٠ (٧٢٨)، واحتذى المخصوف أي لبس النعل.

(٢) اللمع للسراج الطوسي ص٣٢.

ولما كان مسلك الصوفية هو التخلص من الشوائب الحاجبة في الباطن، والتحرر مما سوي الله، وكانت النسبة إلى الصوف وحدها لا تكفي تبريرا معقولا لأصل التصوف لأنها مظهر دون جوهر، نقب بعضهم عن شخصية مرموقة يرجعون إليها الصفاء كأصل للتصوف، فتخير أبا بكر الصديق ﷺ مثلا أعلى وقدوة يحتذي بها الصوفي في صفائه فقال الهجويري:

إن الصفا صفة الصديق: إذا أردت صوفيا على التحقيق [١].

ويتابع قائلا: (ذلك أن للصفاء أصلا وفرعا، فأصله انتزاع القلب من الأغيار وفرعه نفض اليد من هذه الدنيا الخادعة، وكانت هاتان الصفتان تميزان الصديق أبا بكر عبد الله بن أبي قحافة ﷺفهو إمام أهل هذه الطريقة) [٢].

ثم يورد دليلين على صفاء أبي بكر ﷺالذي انتسب إليه الصوفية أحدهما له أصول قرآنية والآخر له أصول نبوية، أما الأول: فهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران:١٤٤. ووجه استدلاله بالآية أن الصحابة ﷺ كلهم انكسرت قلوبهم لموت رسول الله ﷺ حيث تعلقت قلوبهم بالفاني وسل عمر سيفه وقال: من قال إن النبي ﷺ قد مات جززت رأسه،

---

(١) كشف المحجوب للهجويري ص٤٠، واللمع للسراج الطوسي ص٢١٠، ٣٤٦، ٤٨٣، ٥١٣، والرسالة القشيرية ٢/٥٦٣، ٥٨٥.

(٢) كشف المحجوب للهجويري ص٤٠.

فقال أبو بكر عندها بصوت عال: (من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وتلا الآية الكريمة) [١].

يقول الهجويري معقبا: (فكل من يربط قلبه بالفاني فإنه يفني ويضيع سعي قلبه هباء، والذي يمد روحه إلى الله الباقي يكون قائما بالبقاء حين تفنى النفس، فأبو بكر لم ينظر إلى ما حدث من تبديل الحياة بالموت، ولكنه نظر إلى الله الذي بدل كل شيء ومن ثم تحقق فيه أصل الصفاء وهو انتزاع القلب من الأغيار) [٢].

أما الدليل الثاني فهو فرع الصفاء، وهو نفض اليد من هذه الدنيا الخادعة حيث تبرع أبو بكر بماله كله ومواليه وارتدي رداء الصوف على حد قول الهجويري، ثم جاء إلى النبي ﷺ فسأله: وما خلفت لعيالك؟ فأجابه أبو بكر تركت لهم الله ورسوله. ثم يقول الهجويري معقبا: (إن الصفا عكس للكدر والكدر من صفات الإنسان، ولهذا فإن الصوفي الحقيقي هو من يترك الكدر وراء ظهره) [٣].

وهذا الكلام لا يعبر عن حقيقة الأمر أو واقع الأدلة، لأن فيه تنقيص لشأن الصحابة ﷺ وقدح لإيمانهم دون أبي بكر ﷺ، فهل انكسرت قلوبهم لأنهم تعلقوا بالفاني على حد قول الهجويري وحزنوا على موت رسول الله ﷺ؟ أو هل في صفائهم كدر وما تركوه وراء ظهورهم كأبي بكر ﷺ؟ أو أن أبا بكر يصلح أن يكون قدوة للصوفية

---

(١) السابق ص٤٠، والحديث رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا ٣/١٣٤١ (٣٤٦٧).

(٢) كشف المحجوب للهجويري ص٤٠.

(٣) السابق ص٤١.

في صفائه، وعمر بن الخطاب ﷺ صفاؤه مشوب ولا يصلح لذلك؟

إن الأمر في حقيقته لا علاقة له بصفاء أبي بكر ﷺ أو غيره، ولكن الثابت الصحيح أن عمر بن الخطاب ﷺ ظن أن رسول الله مغشي عليه، وكان في اعتقاده أن تمام الدين يلزمه القضاء على المنافقين، ومن ثم سوف يبقي النبي ﷺ حتى يقضي عليهم جميعا، دل على ذلك ما رواه أحمد من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد مات النبي ﷺ بين يدها، وهي تظن أنه مغشي عليه قالت: (فَسَجَّيْتُهُ ثوْبا فَجَاءَ عُمَرُ وَالْمُغيرَةُ بن شُعْبَةَ، فَاسْتَأْذنا فَأَذنتُ لهُمَا، وَجَذبتُ إلي الحِجَاب، فَنظَرَ عُمَرُ إليْهِ فقَال: وَاغَشْيَاهْ مَا أَشَدُّ غَشْيَ رَسُول الله ﷺ ثمَّ قَامَا، فَلمَّا دَنوَا مِن الباب، قَال المغيرَةُ: يَا عُمَرُ مَاتَ رَسُول الله ﷺ، قَال: كَذبتَ، بل أَنتَ رَجُل تَحُوسُكَ فِتْنة، إِن رَسول الله ﷺ لا يَمُوتُ حتى يُفْنيَ الله ﷻ الْمُنافِقِين) [1].

وفي رواية أخرى عند ابن ماجة وصححها الألباني: (وَعُمَرُ فِي ناحِيَةِ المَسْجِدِ يَقُول: وَالله مَا مَاتَ رَسُول الله ﷺ وَلَا يَمُوتُ حتى يَقْطَعَ أَيْدِيَ أُناسٍ مِن الْمُنافِقِين كَثِيرٍ وَأَرْجُلهُمْ) [2].

وفي هذا دليل قوي على رغبة عمر في تصفية التوحيد من النفاق، وأما بقية الصحابة كانوا ذهولا من أثر الواقعة وذلك من شدة صفائهم لله وحبهم لرسوله ﷺ وليس الأمر على ما يفسره الهجويري أنهم جميعا ربطوا قلوبهم بالفاني وأبو بكر ﷺ هو الذي مد روحه إلى الله الباقي،

---

(١) رواه أحمد في المسند ٦/٢١٩ (٢٥٨٨٣)، وقال شعيب إسناده حسن.

(٢) جزء من حديث في سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ﷺ ١/٥٢٠ (١٦٢٧)، وصححه الألباني، انظر صحيح ابن ماجة (١٣١٩).

كما أن أبا بكر ﷺ كان من أشد المنكسرين قلبا على فراق خليله، فورد فيما ذكرته أم المؤمنين عائشة: (ثمَّ جَاءَ أَبو بكرٍ فَرَفَعْتُ الحِجَاب، فَنظَرَ إليْهِ فَقَال: إنا للهِ وإنا إليْهِ رَاجِعُون، مَاتَ رَسُول الله ﷺ، ثمَّ أَتَاهُ مِن قِبل رَأْسِهِ، فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبل جَبهتَهُ، ثمَّ قَال: وَا نبيَّاهْ، ثمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثمَّ حَدَرَ فَاهُ وَقبل جَبهَتَهُ، ثمَّ قَال: وَا صَفيَّاهْ، ثمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَحَدَرَ فَاهُ وَقَبل جَبهَتَهُ وَقَال: وَاخَليلاهْ مَاتَ رَسُول الله ﷺ) [1]. وليس أدل على انكسار قلبه من ذلك.

• **الصوفية يرون ضرورة التلازم بين الصفاء وتخلي المرء عما يملك.**

وكذلك يقال في استدلال الهجويري على نفض الدنيا الخادعة بما فعله أبو بكر ﷺ عندما قدم كل ما يملك صدقة لله ورسوله ﷺ، فقد ساق الحديث ليبرر به ضرورة التلازم بين الصفاء وتخلي المرء عما يملك، وانتقاله إلى رداء الصوف ولبس المرقعات أسوة بأبي بكر الصديق ﷺ، ولا يخفي أن الحديث مسوق لتبرير نسبة التصوف إلى الصفاء، بل وصل الأمر أن يبرروا به ما فعله أبو الحسين النوري وأبو بكر الشبلي وأمثالهما، فالنوري من صفائه كما سبق أنه حمل إليه ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له فصعد قنطرة وظل يرمي واحدا واحدا منها إلى الماء ويقول: حبيبي تريد أن تخدعني منك بمثل هذا؟ [2].

والشبلي ربما يخلع ثيابه المثمنة ثم يحرقها بالنار [3]، وهو الذي أوجب على الصوفية أن تكون زكاة خمس من الإبل خمسا من الإبل

(١) رواه أحمد في المسند ٦/٢١٩ (٢٥٨٨٣).
(٢) اللمع للسراج الطوسي ص٤٩٣.
(٣) السابق ص ٤٨٣.

بدلا من شاة كما هو الحال في الحكم الشرعي [(١)].

ولما سئل السراج الطوسي عن إمامهم في هذه الأفعال؟ قال: إمامهم أبو بكر الصديق ﷺ حيث خرج من ماله كله، فقال النبي ﷺ: ما خلفت لعيالك؟ قال: الله ورسوله، فلم ينكر عليه ذلك [(٢)].

ومعلوم أن الاستدلال بفعل أبي بكر ﷺ على هذه الأمثلة قياس مع الفارق لاختلاف العلة في الفعلين، فأفعالهم لا يقبلها عقل صريح ولا يقرها نقل صحيح، وفعل أبي بكر ﷺ خدمة للأمة في وقت يجب مثله، فلا شك أن الضرورة قد تدعو الإنسان إلى التضحية بكل ما يملك في بعض الأوقات والأزمات لاسيما المسلم، وهذه علة فعل أبي بكر الصديق ﷺ إضافة إلى أن الرسول ﷺ هو الذي أمرهم بالصدقة ما استطاعوا لسد حاجة المسلمين ونصرة الدين، وأمر الرسول ﷺ مطاع عند المؤمنين على قدر المستطاع، فعند الترمذي وصححه الألباني من حديث عمر ﷺ أنه قال: (أَمَرَنا رَسُول الله ﷺ أَن نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذلكَ عِندِي مَالا، فَقُلتُ: اليَوْمَ أَسْبقُ أَبا بكرٍ إن سَبقْتُهُ يَوْمًا، قَال: فَجِئْتُ بنصْفِ مَالي فَقَال ﷺ: مَا أَبقَيْتَ لأهلكَ؟ قُلتُ: مِثلهُ، وَأَتَي أَبو بكْرٍ بكُل مَا عِندَهُ فَقَال: يَا أَبا بكْرٍ مَا أَبقَيْتَ لأهلك؟ قَال: أَبقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولهُ، قُلتُ: وَاللهِ لا أَسْبقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبدًا) [(٣)].

والنبي ﷺ مع هذا يسأل أبا بكر وعمر ما خلفت لأهلك؟ حرصا

---

(١) السابق ص٢١٠.

(٢) السابق ص٤٩٣.

(٣) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٥/٦٤١ (٣٦٧٥)، وحسنه الألباني، انظر المشكاة (٦٠٢١).

منه ﷺ على الاكتفاء الذاتي للأسرة، فليس من المعقول أو المنقول أن يخرج المرء كل ما عنده بغية الصفاء، ثم يدور يسأل الناس أعطوه أو منعوه. إن تبرير الهجويري في رده التصوف إلى صفاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيه تحميل الأدلة ما لا يطاق وتوجيه لها في غير موضعها الصحيح، حيث بدت للناظر وكأنها مسوقة إلى غير مأتاها لتتوافق مع الدعوة إلى الصفاء الصوفي، وليس من شك أن السعي إلى الصفاء والتحرر من قيود المعصية هو دين الله عز وجل وهو عام في كل قول وفعل، بل يمكن القول إنه شرط لإسلام لقبول العمل ولكن بضوابط العبودية الممثلة في ركنيها الأساسيين:

١- الإخلاص الذي هو معنى الركن الأول من الشهادة: لا إله إلا الله، والذي بينه رسول الله ﷺ في الحديث القدسي عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَال الله تعالى: (أَنا أَغْني الشُّرَكَاءِ عَن الشِّرْكِ، مَن عَمِل عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَه).

٢- المتابعة لرسوله ﷺ التي هي معنى الركن الثاني من الشهادة: محمد رسول الله وقد بينه النبي ﷺ في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها حيث قال: (مَن عَمِل عمَلا لَيسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ) [1].

ومن ثم علمنا أن دعوة النبي ﷺ للصدقة تكون على سبيل الاستحباب إذا أدى المسلم فرض الزكاة إلا في حالة يلزم فيها التضحية، إما لجهاد أو بناء لازم من اللوازم الضرورية لقيام المجتمع الإسلامي، فإذا تغير الحال وزادت الأموال، وزال لازم التضحية فلا معنى للمداومة

---

(١) مسلم في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ٣/١٣٤٣ (١٧١٨).

على نفض اليد أولا بأول على حد قول الهجويري، ولا معنى لخروج المسلم من كل ما يملك كلازم للصفاء، إذ أن الصفاء صفاء القلب بالزهد في الحياة، وإدراك المسلم أنه فيها مبتلى من الله، وأنه مطالب بتنفيذ أمره فيما خوله واسترعاه، وهذا متحقق في كثير من أنبياء الله ﷺ كإبراهيم وداود وسليمان عليهم السلام.

كما أن النبي ﷺ نهى أن يفارق المسلم ماله كله في الحياة، ومن الخير أنه إذا مات أغنى به ورثته إلا الثلث، فله أن يوصي به لمن شاء، فمن عمل عملا على غير ذلك وإن حسنت نيته ففعله لا أصل له، وهو مخالف للسنة، وصفاؤه مردود عليه[1].

ومن ثم فإن هذا أمر النبي ﷺ ليضبط مسألة الصفاء في الفرع وكيف يتعامل المسلم مع المال، والمقياس الذي ينفض به يده منه، ومعلوم أن سعد رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة، وامتثاله لأمر الرسول ﷺ يعد أنموذجا للصفاء المطلوب، وهو يشبه في صفائه صفاء أبي بكر رضي الله عنه لأنه ولي الخلافة بعد رسول الله ﷺ وكان بيت مال المسلمين بين يديه، يقوم بعده وإحصائه، والانشغال بتقسيمه على مستحقيه، ولم يقلل ذلك من صفائه أو يؤثر في كمال إيمانه، ومعلوم أيضا أن أبا بكر رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة، وعليه فإن الصفاء الذي يدعوا إليه الهجويري وغيره لا يكون مقصورا على أبي بكر وحده، بل ذلك عام في جميع الصحابة رضي الله عنهم، فدعواهم تخصيص أبي بكر بأن يكون أسوة للصوفية في صفائهم وتخليهم عن الدنيا تفتقر إلى الدليل الواضح.

---

(١) البخاري في النفقات، باب فضل النفقة على الأهل ٥/٢٠٤٧ (٥٠٣٩).

ومن ثم حاول بعض الصوفية أن يبحث عن نسبة أخرى تجمع معنى الصدق في أوصاف الظاهر والباطن، لأن النسبة إلى الصوف نسبة إلى الظاهر والنسبة إلى الصفاء نسبة إلى الباطن، فرأى بعضهم فقر أهل الصفة وصدق حالهم وانقطاعهم إلى الله، فنسب التصوف إليهم كتبرير معقول يجمع معاني الإيمان الظاهرة والباطنة، فهل نسبة التصوف إلى أهل الصفة يعتبر أصلا مقبولا؟

- **بطلان نسبة التصوف إلى أهل الصفة وبيان حالهم كما نطقت الأخبار.**

من ناحية اللغة لا يصح، فلو رُد التصوف إلى أهل الصفة لقيل صُفّي، أما من ناحية التشبه بأفعال أهل الصفة والنظر والمقارنة بين طريقة الصوفية ومذهبهم وتجاربهم بحال أهل الصفة، فالأمر يتطلب الكشف عن حال أهل الصفة أولا من خلال استقصاء شامل للأصول القرآنية والنبوية، فالصفة التي ينسب إليها أهل الصفة من الصحابة ﷺ كانت في شمال مؤخرة مسجد النبي ﷺ.

وقد ورد ذكرها عند مسلم من حديث أنس ﷺ وفيه: (ثمَّ قَال ﷺ اذهَب فَادْعُ لي فُلانا وَفُلانا وَفُلانا وَمَن لقِيتَ، وَسَمَّي رِجَالا، قَال: فَدَعَوْتُ مَن سَمَّي وَمَن لقِيتُ، قَال جعد بن دينار راوي الحديث عن أنس: قُلتُ لأنس: عَدَدَ كَمْ كَانوا؟ قَال: زُهَاءَ ثلاثمِائَةٍ، وَقَال لي رَسُول اللهِ ﷺ: يَا أَنسُ هَاتِ التَّوْرَ، قَال: فَدَخَلوا حتى امْتَلات الصُّفَّةُ وَالحُجْرَةُ، فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ: ليَتَحَلقْ عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ، وَليَأْكُل كُل إنسَان مِمَّا يَليهِ، قَال: فَأَكَلوا حتى شَبِعُوا فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ وَدَخَلتْ طَائِفَةٌ حتى أَكَلوا كُلهُمْ، فَقَال لي يَا أَنسُ: ارْفَعْ فَرَفَعْتُ فَمَا أَدْرِي حين

وَضَعْتُ كَان أَكْثرَ أَمْ حِين رَفَعْتُ؟) [(١)].

وكانت الصفة متسعا لمن يأوي إليها من المهاجرين الجدد المتتابعين على البيئة الجديدة في دار الهجرة، فهي تشبه دار الضيافة حيث يقيم المهاجر حتى يدبر أمره ويتأهل، أو يستقل بحياته الشخصية أو الأسرية، ولما انتشر الإسلام في العهد المدني كثر عدد المهاجرين وتوالى تزاحمهم على المدينة شيئا فشيئا، سواء كانوا فقراء أو أغنياء متأهلين أو عزاب، فكان من لم يتيسر له مكان يأوي إليه يأوي إلى تلك الصفة التي في المسجد، ولذلك لم يكن جميع أهل الصفة يجتمعون في وقت واحد، بل منهم من يتأهل أو ينتقل إلى مكان آخر يتيسر له، ثم يجئ أناس بعد أناس فكانوا تارة يكثرون وتارة يقلون [(٢)].

إذا طال مكث أحد من أهل الصفة فهو والوافدون عليه ضيوف على الإسلام والمسلمين يأكلون من الصدقة أو يلبسون، يشاركون النبي ﷺ في أغلب الأحيان في الهدايا التي تبعث إليه، وقد ورد ذلك منصوصا عليه في الأحاديث النبوية فمن ذلك:

١- ما ثبت عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: (وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ لاَ يَأْوُون إِلى أَهْل وَلاَ مَال، وَلاَ عَلى أَحَدٍ) [(٣)].

٢- أنهم عاصروا فترة زمنية في المدينة توالت الوفود فيها على رسول

---

(١) رواه مسلم في كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس ٢/١٠٥١ (١٤٢٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٤٠ بتصرف.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا ٥/٢٣٧٠ (٦٠٨٧).

الله ﷺ فازدحمت بأهلها وأثر العجز الاقتصادي في المدينة على الجميع، ومن البديهي أن أهل الصفة هم الأكثر من غيرهم معاناة، فهم أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال، ولا على أحد، وقد كان أبو هريرة ﷺ واحدا منهم، وكان يقول: (آللهِ الذي لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ إن كُنتُ لأَعْتَمِدُ بكَبِدِي عَلى الأَرْضِ مِن الجُوعِ، وَإِن كُنتُ لأَشُدُّ الحَجَرَ عَلى بطْني مِن الجُوعِ) [1].

٣- أنهم على الرغم من مرارة ما يعانون من شظف العيش إلا أنهم كانوا يتعففون عن السؤال ولا يسألون الناس إلحافا.

٤- أن النبي ﷺ كان يشركهم الطعام على الرغم من كثرتهم، وعلى نحو ما ذكره أبو هريرة ﷺ: (إذا أَتَتْهُ صَدَقَة بعَث بهَا إلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَناوَل مِنهَا شَيْئًا، وَإِذا أَتَتْهُ هَدِيَّة، أَرْسَل إِلَيْهِمْ وَأَصَاب مِنهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا) [2].

٥- أنهم سبب في إكرام الله ﷻ للنبي ﷺ وبعض أصحابة بخوارق العادات وإظهار المعجزات والكرامات في تكثير القليل من المشروبات والمطعومات [3].

٦- أن الفقر الذي لزم أهل الصفة كان فقرا اضطراريا من أمور القدر على سبيل الابتلاء لمن هاجر إلى رسول الله ﷺ وآثره على أهله وعشيرته، ولم يكن باختيارهم أو رغبتهم في أن يكونوا على تلك الحالة، فهم كانوا يكتسبون عند إمكان الاكتساب ولذلك كان النبي ﷺ

(١) جزء من الحديث السابق ٥/٢٣٧٠ (٦٠٨٧).
(٢) جزء من الحديث السابق ٥/٢٣٧٠ (٦٠٨٧).
(٣) جزء من الحديث السابق ٥/٢٣٧٠ (٦٠٨٧).

يراعي ضعف قوتهم وقلة حيلتهم، فيجيز من يقف أثناء صلاة الجماعة لينادي على النساء وهن خلف الرجال في الصفوف ألا يرفعن رؤوسهن حتى يستوي الرجال جلوسا، فربما تنكشف عورة أحدهم لقصر ملبسه فمن حديث أبي هريرة ﷺ قال: (لقَدْ رَأَيْتُ سَبعِين مِن أَصْحَاب الصُّفَّةِ مَا مِنهُمْ رَجُل عَليْهِ رِدَاءٌ إمَّا إزَارٌ وَإمَّا كِساءٌ، قَدْ رَبطوا فِي أَعْنَاقِهِمْ فَمِنهَا مَا يَبلغُ نصْفَ السَّاقَيْن وَمِنهَا مَا يَبلغُ الكَعْبيْن فَيَجْمَعُهُ بيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَن ترَي عَوْرَتُه) (١).

وعند البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ في وصفه أهل الصفة: (كَان رِجَال يُصَلون مَعَ النبي ﷺ عَاقِدِي أُزْرِهِمْ عَلَى أَعْناقِهِمْ كَهَيْئَةِ الصِّبيَان، وَقَال للنسَاءِ: لاَ تَرْفَعْن رُءُوسَكُن حَتَّى يَسْتَوِي الرِّجَالَ جُلوسًا) (٢). هذا وصف أهل الصفة كما ورد في صحيح السنة، قوم ألجأهم الإيمان بالله ورسوله إلى أن يتركوا رغد العيش في أوطانهم ويهاجروا إلى المدينة، ويصبروا على الفقر فيها بغية مرافقة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، ولم تكن لهم رغبة في أن يكونوا عالة على أحد أو يتواكلوا فيتفرغوا للعبادة تاركين الكسب والعمل مع تيسره.

- **مؤرخو الصوفية يدلسون حين يجعلون أهل الصفة من الصوفية.**

وهذه الصورة لأهل الصفة لا تتفق مع وصفهم عند مؤرخي الصوفية، فقد ذكر الهجويري أن أهل الصفة قوم صرفوا وجوههم إلى ربهم متعبدين ومهتمين بأمر آخرتهم، عكفوا على العبادة ورياضة النفس، والتجرد عن أعراض الدنيا فانقطعوا في المسجد يأكلون من مال

(١) البخاري في أبواب المساجد، باب نوم الرجال في المسجد ١/١٧٠ (٤٣١).

(٢) البخاري في أبواب الصلاة، باب إذا كان الثوب ضيقا ١/١٤٢ (٣٥٥).

المسلمين، ويكرمون من أجل صلاحهم وتقواهم [١].

بل إنه حكى الإجماع على ذلك فقال في باب الكشف عن أهل الصفة: (اعلم أن المسلمين جميعا قد اتفقوا على أن عددا من الصحابة لجئوا إلى مسجد الرسول واشتغلوا بالعبادة تاركين الدنيا زاهدين في البحث عن وسائل العيش) [٢].

واحتج لهم بأصل قرآني يوحي باللوم على النبي ﷺ لإنكاره عليهم الانقطاع للعبادة فقال: (ولقد عاتب الله رسوله من أجلهم حين قال في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ الأنعام:٥٢) [٣].

ويقول غيره أيضا: (وهم الذين نزلت فيهم الآية الثامنة والعشرون من سورة الكهف: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ الكهف:٢٨) [٤].

وهذا الكلام لا يطابق حقيقة الأصول القرآنية والنبوية ولا يشهد للصوفية في ردهم التصوف لأهل الصفة، وبرهان ذلك أن آيتي الأنعام والكهف نزلتا بمكة، فالسورتان مكيتان، ومعلوم مما أورده الهجويري

---

(١) كشف المحجوب للهجويري ص١٠١.

(٢) السابق ص١٠١.

(٣) السابق ص١٠١.

(٤) انظر التصوف عند العرب لجبور عبد النور ص٧٥.

وغيره أن أهل الصفة لم يظهروا إلا في المدينة بعد وجود الصفة وبناء المسجد النبوي، فكيف عاتب الله ﷻ نبيه في مكة على قوم لم يظهروا إلا في المدينة؟

أما الأصل الذي يمكن أن يرد إليه أهل الصفة من القرآن هو قوله ﷻ: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) ﴾البقرة:٢٧٣.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هم أصحاب الصفة الفقراء) [١]. والآية واضحة الدلالة في كونهم يعجزون عن الكسب لا يستطيعون ضربا في الأرض ومعلوم أن عجزهم إما لعلة فيهم من مرض أو غيره، أو لانعدام أسباب العمل التي يتكسبون منها بسبب ازدحام المدينة بالمهاجرين على أهلها، وعجز الموارد في الدولة الإسلامية وقتها، وقد وصفهم الله بالتعفف وعدم السؤال البتة، لا سؤال إلحاح ولا سؤال غير إلحاح كما ذهب لذلك جمهور المفسرين [٢].

كما أن أهل الصفة لم يمكثوا على حالهم بعد وجود الخير وانفتاح أبوابه، فأغلبهم جاهد وقاتل وتولى الإمرة وتفاعل مع الحياة على أنها وسيلته إلى الآخرة، وعلى النحو المرضي لله ﷻ، ولو كان في مكثهم على حالهم خير ما بدلوه وللزموا المسجد النبوي لا يفارقونه إلا بالموت.

وكما استدل السراج الطوسي لنسبة التصوف إلى الصوف على أنه

(١) فتح القدير للشوكاني ١/٢٩٣.
(٢) السابق ١/٢٩٣.

ملبس الأنبياء ودأب الأولياء بأحاديث ضعيفة أو موضوعة ليظهر التوافق بين الصوفية وسلوك الأنبياء في التزام الصوف دون غيره، روي الهجويري في أهل الصفة حديثا لا أصل له عن ابن عباس ﷺ فيه دعوة إلى تفضيل البقاء على حال أهل الصفة وألا يرضى الصوفي عنه بديلا لأن ذلك أصل التصوف عنده فقال: (روي عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ وقف على أهل الصفة فرأي فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم، فقال: أبشروا يا أصحاب الصفة، فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه، راضيا بما هو فيه، فإنه من رفقائي في الجنة) [(١)].

والهجويري إنما يعبر عن الرغبة في إيجاد أصل مقبول للتصوف ورده إلى أهل الصفة، وقد سبق في وصف أبي هريرة ﷺ لأهل الصفة أنهم إنما كانوا أضياف الإسلام والضيف له إكرام لا يتعدي وقتا معلوما، فإن تخطاه أصبح عالة على غيره، وعبئا ثقيلا على المجتمع.

وكيف يرضى رسول الله ﷺ أن يكون أهل الصفة عالة على غيرهم ويقرهم على ذلك وهو القائل فيما رواه البخاري من حديث أبي هريرة: (لان يَأْخُذ أَحَدُكمْ حَبلهُ ثمَّ يَغْدُوَ إلى الجَبل فَيَحْتَطِب فَيَبيعَ فَيَأْكُل ويَتَصَدَّقَ خَيْرٌ لهُ مِن أَن يَسْأَل الناسَ) [(٢)].

وقد ورد في الحض على الكسب وتحريم المسألة لغير حاجة أحاديث كثيرة يضيق المقام عن ذكرها، وتدل في جملتها على منافاة هذا الحديث

---

(١) كشف المحجوب للهجويري ص١٠١، وقد أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين في أخلاق الصوفية (٢/٢)، وقال الشيخ الألباني: ضعيف جدا، انظر ضعيف الجامع (٣٩)، والسلسلة الضعيفة (١٥٨٩).

(١) البخاري في الزكاة، باب قوله: لا يسألون الناس إلحافا ٥٣٨/٢ (١٤١٠).

ومعارضته، ومن ثم فإن أهل الصفة لو وجدوا من أسباب الحياة ما يغنيهم كسائر الصحابة ﷺ ما جلسوا في الصفة وما كانوا أهل الصفة، فهم لم يخيروا فاختاروا، ولكن اضطروا فسلموا وصاروا مؤمنين بالقدر، وعليه فإن قياس حال الصوفية على حال أهل الصفة قياس مع الفارق ولذلك لجأ بعضهم إلى نسبة أخرى فنسب التصوف إلى الصف الأول.

- **الصوفية لا يحبون الصلاة في الصف الأول فكيف ينسبون إليه؟**

قال الكلاباذي: (وقال قوم إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه)[١].

من جهة اللغة لا يصح نسبة التصوف إلى الصف الأول، لأنه لو صح لقيل: صَفّي كما لا يصح من جهة الوصف، فالصوفية ليس كما ذكر الكلاباذي أنهم بين يدي الله ﷻ في الصف الأول هممهم مرتفعة إليه، وإقبالهم متزايد عليه، واقفون بسرائرهم بين يديه بل الواقع يخالف ذلك، وأدلة البحث تؤيده، فالسراج الطوسي صاحب أقدم المراجع الصوفية، وأكبرها وأوثقها، وأغزرها مادة، وأنقاها جوهرا ولفظا، ومن مادته الخصبة اقتبس كافة من أرخ للتصوف، يصرح بلا لبس أو غموض أن الصوفية ليس من آدابهم المحافظة على الصف الأول كما هو مذكور عند الكلاباذي.

قال السراج الطوسي في وصف آدابهم في الصلاة: (ومن آدابهم أيضا أنهم يكرهون الإمامة والصلاة في الصف الأول بمكة وغيرها،

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلاباذي ص ٢٩.

ويكرهون التطويل، أما الإمامة فلو أن أحدهم يحفظ القرآن فإنهم يختارون الصلاة خلف من يحسن أن يقرأ الحمد وسورة أخرى، وأما ترك الصلاة في الصف الأول فإنهم يريدون بذلك ألا يزاحموا الناس ويضيقوا عليهم لأن الناس يزدحمون ويطلبون الصف الأول) [(١)].

وعلة ذلك والتي لم يذكرها السراج أن الناس إنما يزدحمون على الصف الأول بدافع الرغبة في تحصيل الأجر الذي أعده الله للمصلين عملا بما ورد عند البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (لوْ يَعْلَمُ الناسُ مَا فِي النداَءِ وَالصَّفِّ الأوَّل، ثمَّ لمْ يَجِدُوا إِلا أَن يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا) [(٢)].

قد تقدم أن أغلب الصوفية يعتبرون أنفسهم في عبادتهم أحرارا من التجارة وانتظار العوض، وقد سبق قول أبي يزيد البسطامي: (الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم) [(٣)].

وهذا الكلام شاع بين الصوفية قبل السراج الطوسي بقرنين تقريبا، عندما اشتهر بينهم قول رابعة العدوية (ت:١٨٥هـ): (ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكن حبا لذاتك) [(٤)].

وقد ثبت في السنة أن رسول الله ﷺ بين الغاية والمحصلة من أفعاله، وأنها تدور حول طلب الجنة والنجاة من عذاب النار[(٥)].

---

(١) اللمع في التصوف للسراج الطوسي ص ٢٠٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان ١/٢٢٢ (٥٩٠).

(٣) طبقات الصوفية ص٤٨٩، والتعرف ص١٦١، ١٨٤.

(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي ٤/٢٧.

(٥) رواه أحمد في المسند ٥/٧٤ (٢٠٧١٨).

وإذا كان هذا هو حال الصوفية أنهم لا يطمعون في ثواب الصف الأول، فكيف يقال إنهم سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله ﷻ، إن هذه النسبة يمكن أن تصح إذا بلغ من حرص الصوفي مثلا أن يهادي به بين الرجلين حتى يقام في الصف كما هو شأن الصحابة ﭫ أو كما ورد عند مسلم من حديث ابن مسعود ﭬ أنه قال: (وَلَقَدْ كَان الرَّجُل يُؤْتَي بِهِ يُهَادَي بيْن الرَّجُلَيْن حتى يُقَامَ فِي الصَّفِّ) [١].

وقد كان رسول الله ﷺ يسأل عن المتخلفين عن الصلاة في جماعة، وكيف تركوا الصف الأول دون شهوده فعند النسائي وصححه الألباني من حديث أُبي بن كَعْب ﭬ أنه قال: (صَلي بنا رَسُول الله ﷺ يَوْمًا الصُّبحَ فَقَال: أَشَاهِدٌ فُلان؟ قَالوا: لا قَال أَشَاهِدٌ فُلان؟ قَالوا: لا، قَال: إِن هَاتَيْن الصَّلاتَيْن أَثقَل الصَّلَوَاتِ على المُنافِقِين) [٢].

فكيف يتفق هذا مع قول السراج الطوسي: (ومن آدابهم أنهم يكرهون الصلاة في الصف الأول بمكة وغيرها)· أو يصح قول أبي بكر الكلاباذي في تبرير بعضهم لنسبة التصوف: (إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله ﷻ).

والمسألة في رد التصوف إلى الصوف، أو الصفاء والصفوة، أو أهل الصفة، أو الصف الأول تفتقر إلى وجه صريح وتبرير صحيح يعتمد على الأصول القرآنية والنبوية، ومن ثم لجأ كثير من المحققين إلى جعل

---

(١) مسلم في المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ١/٤٥٣ (٦٥٤).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في فضل صلاة الجماعة ١/١٥١ (٥٥٤)، والنسائي في كتاب الإمامة ٢/١٠٤ (٨٤٣) وحسنه الشيخ الألباني، انظر مشكاة المصابيح (١٠٦٦)، وصحيح الترغيب والترهيب (٤١١).

النسبة عَلما بلا اشتقاق معروف، واعتبروه اسما بلا وصف أو أصل، أو علما على ذات التصوف دون البحث عن مضمون الاسم أو محتواه.

قال القشيري (ت:٤٦٥هـ): (ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال: رجل صوفي وللجماعة صوفية، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة متصوفة) [١].

وقد أفرد السراج الطوسي بابا سماه: (الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة وليس لعلم التصوف دلالة من الكتاب والأثر) [٢].

ولكنه لم يورد دليلا واحدا في مستوى أدلة أصحاب الحديث والفقه وعلوم القرآن والتوحيد في استدلالهم على نسبة علومهم بالأصول القرآنية أو النبوية، بل ما ذكره لا يميز الصوفية بشيء ينفردون به عن أصحاب الطوائف الأخرى، صحيح كما ذكر السراج الطوسي أنه لا خلاف بين أئمة المسلمين أن الله تبارك وتعالى ذكر في كتابه الصادقين والصادقات والقانتين والقانتات والخاشعين والخاشعات والموقنين والمخلصين والخائفين والراجين والوجلين والعابدين والصابرين والراضين والمتوكلين والمخبتين والأولياء والمتقين والمصطفين والأبرار والمقربين [٣].

ولكن ذلك عام في المسلمين أصحاب التقوى والدرجات العليا، والقول بأن الصوفية ينفردون بتلك الأوصاف دون غيرهم تنقيص لشأن الآخرين، فهذه الأوصاف أولى بها الخلص من العلماء ومشايخ

---

(١) الرسالة القشيرية ٢/٥٥٠.

(٢) اللمع في التصوف للسراج الطوسي ص٣٤.

(٣) السابق ص٣٤.

المحدثين والفقهاء وأهل التوحيد والتفسير وعلوم اللغة والقرآن وغير ذلك من أصناف المسلمين القائمين على خدمة دينهم، الداعين إلى الله ﷻ، أو على الأقل يشاركون الصوفية في ذلك والظن، فالتصوف كاصطلاح دام أكثر من ألف عام لا أصل له ولا حجة مقبولة على تبني الدعوة إليه.

وتحصيل التصوف عند أغلب الصوفية لا يكون بكثرة صلاة أو زكاة أو صوم ولكنه كما ذكر أبو حامد الغزالي يكون بتخليص النفس من النظر إلى الخلق، ثم من النظر إلى النفس، فإن الملتفت إلى نفسه عندهم سواء كان في صلاة أو عبادة محجوب عن الله تعالى ليس من أهل التصوف في شيء [(١)].

ويحكي أبو حامد الغزالي تلك الحقيقة ويقررها بما ذكره عن شاهد عظيم القدر من أعيان بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد البسطامي، فقال له يوما: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر ولا أفطر وأقوم الليل ولا أنام، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكره شيئا - يعني علوم الصوفية - وأنا أصدق به وأحبه فقال أبو يزيد: ولو صمت ثلاثمائة سنة، وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة. قال: ولم؟ قال: لأنك محجوب بنفسك. قال: فلهذا دواء، قال نعم. قال: قل لي حتى أعمله. قال: لا تقبله. قال: فاذكره لي حتى أعمل. قال: اذهب الساعة إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا، واجمع الصبيان حولك، وقل: كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة، وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/٣٧٧.

وعند من يعرفك وأنت على ذلك. فقال الرجل: سبحان الله، تقول لي مثل هذا؟! فقال أبو يزيد: قولك سبحان الله شرك. قال: وكيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك. فقال: هذا لا أفعله ولكن دلني على غيره. فقال: ابتدأ بهذا قبل كل شيء. فقال: لا أطيقه. قال: قد قلت لك إنك لا تقبل. ويعقب الغزالي بقوله: (فهذا ليس له دواء سوي هذا وأمثاله) [١].

ومن ثم فالمسألة في رد التصوف إلى الصوف أو أهل الصفة أو الصفاء والصفوة أو الصف الأول هي مجرد تبريرات لإثبات الذات وتواجد الشخصية الصوفية بين أصحاب العلم النافع، وقد تقدم أنه لا يوجد وجه مقبول لذلك. ولو كان التصوف اسما علما على علم الأخلاق والبحث في أدلتها من الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لكان الأمر مقبولا من جهة الشرع، فعلم الأخلاق له أصل قرآني، فالبحث عن الخلق العظيم علم شريف حض عليه الشرع، ولكن هل يرضي الصوفية أن يكون جهدهم مقصورا على خدمة الإسلام في هذا الجانب؟ لقد حاول بعض أوائل الصوفية أو المعتدلين منهم أن يرضي بذلك ويقنع به، فعرَّفوا التصوف بأنه دعوة إلى الأخلاق الفاضلة ولكن هؤلاء أنفسهم رأوا عدم كفاية الأخلاق لإشباع التصوف وامتلاء جوفه، فذكروا للتصوف تعاريف أخرى لا تدل على ارتباطه بالأخلاق أو الدعوة إلى تحصيلها، فتارة يقول النوري: (التصوف هو الحرية والفتوَّة وترك التكلف والسخاء وبذل الدنيا) [٢]. وأخرى يقول بندر

(١) السابق ٢/٥٥٠، ٢/٥٥١.

(٢) كشف المحجوب ص٥٣.

الصيرفي (ت:٣٦٦هـ): (التصوف إسقاط الرؤية للحق ظاهرا وباطنا)[١]. وثالثة: (التصوف حال تضمحل فيها معالم الإنسانية) [٢]. ورابعة: (التصوف إسقاط الجاه وسواد الوجه في الدنيا والآخرة) [٣].

ولا ندري من ذلك معنى جامعا لتعريف التصوف تستقر حوله الأذهان حتى يصدم المرء بقول أبي بكر الشبلي (ت:٣٣٤هـ) في تعريفه للتصوف: (التصوف شرك) [٤]. هكذا جملة واحدة، ويقول الهجويري معقبا: (لأنه صيانة القلب من رؤية الغير ولا غير) [٥].

ويحار المرء حتى يفجع بقول أحدهم من أصحاب وحدة الوجود هو شيخ الصوفية عبد الكريم الجيلي (ت:٨٢٩هـ): (الصوفي هو الله) [٦]. ثم ينسب ذلك إلى النبي ﷺ فيقول ما نصه: (ولقد روي لي من أثق بروايته عن النبي ﷺ أنه قال: الصوفي هو الله) [٧]. ومعلوم من ظاهر الرواية أنها كذب على الله ورسوله ﷺ.



(١) السابق ص٥١.
(٢) الرسالة ٢/٥٥٦.
(٣) السابق ٢/٥٥٦.
(٤) كشف المحجوب ص٤٨.
(٥) السابق ص٤٨.
(٦) المناظر الإلهية لعبد الكريم الجيلي ص١٧١، طبعة دار المنار سنة١٩٨٧م.
(٧) السابق ص١٧١.

المطلب الحادي عشر

الزندقة الصوفية في هدم الأصول الإسلامية بفلسفة الفناء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن فرقة الصوفية، وأنها تنسب إلى علم دخيل على الأمة الإسلامية، وليس له أصول قرآنية ولا نبوية، وعلمنا أن الصوفية يرون ضرورة التلازم بين الصفاء وتخلي المرء عما يملك، وبينا أن التصوف منذ ظهوره لا يمكن أن يرد إلى أصول إسلامية مقبولة، وأن الصحابة والتابعين لم يعرفوا مصطلح التصوف، ثم علمنا حيرة الصوفية في جعل التصوف مناظرا للأخلاق أو درجة الإحسان، وأن الإسلام لم يسم تصوفا، وضوابط الإسلام تقمع بدع التصوف.

ثم تحدثنا عن نسبة التصوف إلى الصوف وعلاقته بلبس الخرق والمرقعات، ثم تناولنا إبطال نسبة التصوف إلى الصوف ودعوى أنه ملبس الأنبياء والأولياء، وبينا أن أحَب الثياب إلى النبي ﷺ ما صنع من القطن، وأنه لم يكن يحب الصوف، ثم بينا بطلان نسبة التصوف إلى الصفاء، ودعواهم أن الصفاء مقصور على الصوفية، وبينا أن الأصول القرآنية والنبوية هي النبع الصافي لجميع العلوم الإسلامية.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن زندقة الصوفية في هدم الأصول الإسلامية بفلسفة الفناء، والحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

- **التصوف في أول ظهوره كان مبنيا على الغلو في العبادة.**

كان التصوف في أول ظهوره معبرا عن الزهد وسلوك طائفة من المسلمين بالغت في إذلال النفس ومحو أوصافها، والانعزال عن زينة الدنيا بأنواعها بنوع من الغلو قربة منهم إلى الله ﷻ كما قال الجنيد بن محمد (ت:٢٩٧هـ): (ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات؛ لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله التعزف عن الدنيا) [(١)].

كان أداء الصوفية للعبادات على نوع من الغلو فيها، أعني أنهم يجعلون المستحب في منزلة الواجب، والمكروه في منزلة المحرم، كل الأحكام عندهم على سبيل الحتم والإلزام بدعوى التحرر من قيود الشهوة والعمل في مرضات الله ﷻ على وجه الاضطرار، كقول أبي بكر الشبلي مثلا (ت:٣٣٤هـ): (كنت في أول بدايتي إذا غلبني النوم أكتحل بالملح فإذا زاد علي الأمر أحميت الميل فأكتحل به) [(٢)].

وكقول إبراهيم بن شيبان لأبي بكر الشبلي: (كم في خمس من الإبل؟ أي مقدار الزكاة فيها، فقال الشبلي: في واجب الأمر شاة، أي حكم الشرع عند عامة المسلمين شاة، وفيما يلزمنا كلها، أي في عرف الصوفية يخرجونها كلها) [(٣)].

ونجد أيضا بين صوفية القرن الثالث بمن يحرم على نفسه أكل ما أباح الله من أنواع الطعام حتى إنه ليقول لمريد من مريديه قد مد يده إلى قشر

(١) طبقات الصوفية ص ١٥٨.
(٢) اللمع في التصوف ص ٢٠٤.
(٣) السابق ص ٢١٠ .

البطيخ يريد أن يأكل منه شيئا: (أنت لا يصلح لك التصوف الزم السوق) [(١)].

كما نجد ما هو أشد من ذلك لأبي الحسين أحمد بن محمد النوري (ت:٢٩٥هـ) حيث صعد قنطرة وأخذ يرمي ثلاثمائة دينار في الماء واحدا واحدا ثمن عقار بيع له وهو يقول مخاطبا ربه: (حبيبي تريد أن تخدعني منك بمثل هذا) [(٢)].

وعطش رويم بن أحمد البغدادي (ت:٣٠٣هـ) عطشا شديدا فاستسقى جارية، فقالت: (ويحك صوفي يشرب بالنهار فاستحى منها ونذر ألا يفطر أبدا) [(٣)].

وهذا يعني أن قواعد العبادة عند أوائل الصوفية مبنية على معنى الاضطرار الذي لا مساغ فيه، بحيث لا يجد العبد مجالا للمستحبات والمباحات أو خيارا مقبولا لو وقع في المكروهات، كما قال عبد الله بن محمد بن منازل من كبار الصوفية (ت:٣٢٩هـ): (العبودية اضطرار لا اختيار فيه) [(٤)].

وهو يعني بذلك الصيام الدائم والقيام المستمر والشهوة الموصدة والفقر المدقع، أو كما قال إبراهيم الخواص (ت:٢٩٩هـ): (من ادعى العبودية وله مراد باق فيه فهو كاذب في دعواه) [(٥)].

---

(١) الرسالة القشيرية ١/١٠٩، والقائل هو أبو تراب النخشبي (ت:٢٤٥هـ).

(٢) اللمع في التصوف للطوسي ص٤٩٣.

(٣) الرسالة القشيرية ١/١٢٨.

(٤) طبقات الصوفية ص ٣٦٨.

(٥) السابق ص٤٤ ، ص٢٤٥.

- **لم يسمح النبي ﷺ بمسلك الصوفية في الغلو والمبالغة في العبادة.**

ومعنى الاضطرار الذي لا مساغ فيه أن الصوفية أسقطوا من قواعد العبادة كل ما فيه مندوحة للإنسان من أحكام التكليف المتعلقة بالمستحبات والمباحات والمكروهات رغبة في الوصول إلى التحرر من كل ما سوى الله، والعمل في مرضاته على وجه الاضطرار، وهذا وإن دل على علو الهمة، ولم يكن منهم في البداية عن سوء نية، لكن ذلك هو بعينه الغلو في العبادة الذي حذر منه النبي ﷺ.

روى البخاري من حديث أنس ﷺ أنه قال: (جَاءَ ثلاَثةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبِي ﷺ يَسْأَلون عَن عِبَادَةِ النبِي ﷺ؟ فَلمَّا أُخْبِرُوا كَأَنهُمْ تَقالوهَا فَقالوا: وَأَيْن نحْن مِن النبِي ﷺ، قدْ غفِرَ لهُ مَا تَقدَّمَ مِن ذنبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قال أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنا فَإني أُصَلي الليْل أَبَدًا، وَقال آخرُ: أَنا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقال آخرُ: أَنا أَعْتَزِل النسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُول اللهِ ﷺ فَقال: أَنتُمُ الذين قلتُمْ كذا وَكَذا، أَمَا وَاللهِ إني لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقاكُمْ لهُ، لكِني أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلي وَأَرْقدُ، وَأَتَزَوَّجُ النسَاءَ فَمَن رَغبَ عَن سُنتِي فَليْسَ مِني)[1].

وما فعله رويم بن أحمد البغدادي يناقض هذا الحديث عندما نذر ألا يفطر أبدا وعزم على الوصال في الصيام بسبب أن الجارية التي طلب منها الماء انقدح في ذهنها أن الصوفي هو من يصوم الدهر ولا يفطر فقالت له منكرة كما تقدم: صوفي يشرب بالنهار؟

وما فعله أبو بكر الشبلي عندما أكتحل بالملح، أو لسع عينه بالميل بعد

---

(١) البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ٥/١٩٤٩ (٤٧٧٦).

أن وضعه في النار رغبة منه في المداومة على قيام الليل، مخالف لما رواه البخاري من حديث أنس ﷺ أنه قال: (دَخَل النبِيُ ﷺ فَإذا حَبْل مَمْدُودٌ بَيْن السَّارِيَتَيْن فَقال: مَا هَذا الحَبْل؟ قالوا: هَذا حَبْل لزَيْنبَ، فَإذا فَتَرَتْ تَعَلقتْ، فَقَال النبِي ﷺ: لاَ، حُلوهُ، ليُصَل أَحَدُكُمْ نشَاطَهُ، فَإذا فَتَرَ فَليَقعُدْ) [1].

ولو أمرها النبي ﷺ بالاكتحال كما فعل الشبلي أو قال لها: جزاك الله خيرا أحسنت صنعا، لكانت المشقة التي يعز على العبد أن يداوم عليها إلا على حساب التقصير في أمور أخرى سوف تؤدي إليها الضرورة الفطرية في خلق الإنسان، ولو سمح النبي ﷺ بمثل هذه الأفعال لظهر التصوف في عصر النبوة منذ وقت مبكر.

• منهج الاعتدال يراعي الضروريات ويمنع الانحرافات البدعية.

ولا شك أيضا أن الضرورة قد تدعو المسلم إلى التضحية بما يملك في بعض الأوقات والأزمات كما فعل أبو بكر الصديق ﷺ، لكن التضحية على الدوام وفي أوقات الرخاء بكل ما يملكه الإنسان ويغنيه عن الناس مخالفة صريحة لسنة النبي ﷺ، لما ثبت عند البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إِنكَ أَن تَذرَ وَرَثَتَكَ أَغنيَاءَ خَيْرٌ مِن أَن تَذرَهُمْ عَالة يَتَكَفَّفُون الناسَ، وَلسْتَ تُنفِق نفَقَةً تَبْتَغي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ أُجِرْتَ بهَا حَتَّى اللقمَةَ تَجْعَلهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ) [2].

والشاهد أنه لو كان خروج سعد ﷺ من جميع المال فيه صلاح له

(١) البخاري في التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة ١/٣٨٦ (١٠٩٩).
(٢) البخاري في النفقات، باب فضل النفقة على الأهل ٥/٢٠٤٧ (٥٠٣٩).

لأمره النبي ﷺ بذلك، فأين هذا من فعل أبي الحسين النوري عندما صعد القنطرة ورمى الدنانير في الماء واحدا واحدا وسمي ذلك خروجا من خداع الله له بالمال.

ومن ثم فإن السنة فيها مراعاة للضروريات بالقدر الذي يتناسب مع ماهية الإنسان وتركيبه الذاتي، فالإنسان لا يعتاد شيئا إلا ويشعر بالسآمة، وقد جعل الله فطرة الإنسان وعلاقته بمن حوله ميدانا تظهر فيه آثار ربوبيته وأسمائه وصفاته، وجعل المنهج النبوي ميدانا لتحقيق العبودية ومقياسا دقيقا عن صدق النية، فمن المعلوم أن الشمولية في فهم العبادة وصف لا يلحق إلا من سلك مسلك النبي ﷺ في كل متعلقات الحياة، فالتوازن قائم ومنسجم في كل النواحي المتعلقة بأحكام العبودية، فإذا بالغ العبد في آداء جانب سيظهر تقصيره في جانب آخر دون أن يشعر، فالطاقة والوسع مجالهما محدود فيما منح للإنسان.

ومن ثم فإن كثيرا من أوائل الصوفية لما بالغوا في تحقيق العبودية وتكلفوا أمور الاستحباب على وجه الحتم والإلزام وأسقطوا النظر إلى درجات التكليف في الأحكام، لم تطرد المبالغة أو تنسحب على كل مفردات الإسلام، ومن ثم برز جانب على حساب آخر، ففي الوقت الذي ظهرت المغالاة في بعض العبادات كالصلاة والصيام والذكر وبعض النواحي الأخرى، لم تظهر همتهم في تعبيد الدنيا لله وإعداد أسبابها للدعوة وإرهاب العدو والجهاد في سبيل الله وتنظيم الروابط الأسرية والاجتماعية، بل أثروا الرباط والخلوة والسياحة في البوادي وقام بالأمور الأخرى غيرهم.

- **انتقال التصوف من الغلو في الزهد إلى الفناء عن شهود السِّوى.**

انتقل التصوف نقلة جديدة تمثلت في تحول الصوفي من مجرد سالك أو متوكل يجعل كده وجهده في مزيد من الزهد وحمل النفس على الاستغراق في المجاهدة إلى صوفي ينقل إلينا تجربته الشخصية في كيفية الاتحاد بالله وحلوله فيه.

قال أبو يزيد البسطامي: (طلقت الدنيا ثلاثا، ثلاثا بتاتا لا رجعة فيها، وصرت إلى ربي وحدي، فناديته بالاستغاثة: إلهي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك، فلما عرف صدق الدعاء من قلبي، والإياس من نفسي كان أول ما ورد علي من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم) [١].

ويسرف أبو يزيد في التعبير عن حال فنائه واتحاده بمحبوبه فينطق بشطحات غريبة نحو قوله: (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) [٢].

وقوله أيضا: (سبحاني ما أعظم شأني) [٣]. وقوله: (خرجت من بايزيديتي كما تخرج الحية من جلدها، ونظرت فإذا العاشق والمعشوق والعشق واحد، لأن الكل واحد في عالم التوحيد[٤]. وسئل ما هو العرش ؟ فأجاب: أنا هو، وما هو الكرسي ؟ فأجاب: أنا هو، وما هو اللوح والقلم؟ فأجاب: أنا هو) [٥].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ٣٦/١٠.
(٢) تذكرة الأولياء ١٣٧/١ لفريد الدين العطار.
(٣) السابق ١٦٠/١.
(٤) السابق ١٦٠/١.
(٥) السابق ١٧١/١.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الفناء قد تطور عبر المراحل السابقة إلى درجات متعددة ليصل إلى محله في هذه المرحلة ويبلغ بذلك منتهاه، ويمكن تلمس أنواعه في ثلاث درجات:

الأولى: فناء بمعنى تغيير معنوي للصوفي بإفناء ميوله ورغباته جميعا من المخالفة إلى الموافقة ومن العصيان إلى الطاعة.

الثانية: فناء بمعنى عدم الالتفات إلى المدركات والأفكار والأفعال والأحاسيس، وذلك بانحصار تفكيره في الله فقط.

الثالثة: فناء بمعنى إبطال قوي الفكر الواعي حتى يصبح فيما يشبه الغيبوبة التي لا يدرك في الفناء أنه في الفناء فعلا، وهو ما يدعي بفناء الفناء كخطوة نهائية لحلول الله في الذات الصوفية [١].

ويلاحظ أن ألفاظ الصوفي الفاني ومصطلحاته في تلك المرحلة تظهر فكرا لا يتميز بالبساطة التلقائية التي كان السالكون في المرحلة السالفة يتبعونها، وتطلب الأمر إعادة تعريف بعض ألفاظ الصوفية الشائعة باعتبار التغير الدلالي الذي طرأ عليها، فتعريفها أصبح يمثل جزءا هاما في تحديد الإطار الفكري لكل حالة صوفية على حده، وبدا من ذلك أيضا ملمحا جديدا لم يكن من مقبل، وهو ابتعاد الصوفي عن إلحاحه في طلب الجنة باعتبارها الجزاء الأوفى الذي كانت تتجه إليه مجاهدات الزاهدين، وانصرف تركيزه على الذات الإلهية لاعتبارها غاية الغايات، مما جعل أبا يزيد البسطامي يضع في منهجية العارف أنه لا يفتر من ذكره، ولا يمل من حقه، ولا يستأنس بغيره، ولا يغيب إدراكه عن ربه

---

(١) الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة د.عبد القادر محمود ص٧٦ بتصرف.

حتى لمجرد لحظة ينصرف فيها ذهنه إلى التفكير في الجنة ونعيمها فقال: (إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه، فخلع عليهم خلعة من خلعة، فاشتغلوا بالخلع عنه، وإني لا أريد من الله إلا الله) [١]. وهو يقصد أنهم اشتغلوا بالتفكير في الجنة التي أعطاهم إياها وتركوا ذكره هو.

ولذلك اتسم سلوك البسطامي بطابع أفرده عن غيره واشتهر به، فقد روي أن أحمد بن حرب وجه إليه حصيرا وكتب معه: (صلى عليه بالليل، فكتب أبو يزيد إليه إني جمعت عبادات أهل السماوات والأرضين السبع فجعلتها في مخدة، ووضعتها تحت خدي وكان يقول: لم أزل أجول في ميدان التوحيد حتى خرجت إلى دار التفريد، ثم لم أزل أجول في دار التفريد حتى خرجت إلى الديمومية، فشربت بكأسه شربة لا أظمأ من ذكره بعدها أبدا) [٢].

ويبدو واضحا من بين السطور اتجاه حب الله لذاته دون مكاسب أخرى عاجلة أو آجلة، وقد أدي هذا الشعور إلى طلب الاستزادة والبحث الدائم عن وسيلة تنفع في إفناء النفس في الله، وفي المقابل استحقار المريد ومن هو قائم في البدايات أو واقف مع نفسه على طلب الجنة. قال البسطامي: (الجنة لا خطر لها عند المحبين وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم، وإن لله خواصا من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار) [٣].

---

(١) طبقات الصوفية ص٧٠ ، وانظر حلية الأولياء ١٠/٣٦.
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ١٠/٣٥ .
(٣) السابق ١٠/٣٦.

ويشاركه أبو بكر الشبلي (ت:٣٣٤هـ) ويصرح بأنه لا يخاف من النار ولا تمثل عنده شيئا يلتفت إليه فقال: (إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفئوها) [1].

وقال أيضا: (لو خطر ببالي أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق مني شعره لكنت مشركا) [2].

ولما سمع قارئا يقرأ هذه الآية: ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ ﴾ المؤمنون: ١٠٨. قال: ليتني كنت منهم [3].

ومن ثم فإن الأمور لم تعد تعالج من خلال النظر إلى طبيعتها المألوفة التي اعتاد عليها الصحابة والتابعون وعامة سلف الأمة، فقد كان من سبق منهم يغمره إحساس بالخوف من عذاب الحريق، حيث يضطرب إشفاقا على نفسه من ذنبه الذي أحاط به، فمثل هذا عند الصوفية قد أصيب وأمثاله بخيبة الأمل في تعلقهم بشيء ظنوا أنه نافع ذو جدوى وهو عند أبي يزيد ورفقائه لا شيء.

لقد أصبح للمتحققين في التصوف عبر هذه المرحلة نوع من البعد الجديد يظهر عبر الاتصال بالذات الإلهية دون النظر إلى مسألة الحساب أو الترغيب في الثواب أو الترهيب من العقاب كأساس قامت عليها الشرائع ونزل من أجلها الوحي، فالغاية عندهم هي الحرص على الوصول إلى رب الجنة وليس إلى الجنة، والخوف من إعراض رب النار وليس من حريقها، هاتان الغايتان أعلى عند هؤلاء من مرتبة التجارة أو

(١) اللمع للسراج الطوسي ص٤٩٠.
(٢) السابق ص٤٩١.
(٣) السابق ص٤٩١، وانظر بتصرف التعرف ص١٦١، ص١٨٤.

مرتبة العامة التي كان ينظر بها للعلاقة بين العبد وربه [(١)].

• ابن تيمية ونقده للفناء الحلولي ودعوى الفناء عن شهود السِّوى.

وذكر ابن تيمية أن الفناء الذي يذكر الشيخ الهروي صاحب منازل السائرين، هو الفناء في توحيد الربوبية لا في توحيد الإلهية، وهو يثبت توحيد الربوبية مع نفي الأسباب والحِكَم، كما قول القدرية المجبرة كالجهم بن صفوان ومن اتبعه والأشعري وغيره.

وهذا الفناء عنده لا يجامع البقاء، فإنه نفي لكل ما سوى حكم الرب، بإرادته الشاملة التي تخصص أحد المتماثلين بلا مخصص، ولهذا قال في باب التوبة في لطائف أسرار التوبة: اللطيفة الثالثة أن مشاهدة العبد الحكم لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة، لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكْم، أي الحكم القدري، وهو خلقه لكل شئ بقدرته وإرادته، فإن من لم يثبت في الوجود فرقا بالنسبة إلى الرب، بل يقول: كل ما سواه محبوب له، مرضي له، مراد له، كله سواء بالنسبة إليه، ليس يحب شيئا ويبغض شيئا، فإن مشاهدة هذا لا يكون معها استحسان حسنة، ولا استقباح سيئة بالنسبة إلى الرب، إذ الاستحسان والاستقباح على هذا المذهب لا يكون إلا بالنسبة إلى العبد، يستحسن ما يلائمه، ويستقبح ما ينافيه، وفي عين الفناء لا يشهد نفسه ولا غيره، بل لا يشهد إلا فعل ربه، فعند هذه المشاهدة، لا يستحسن شيئا ويستقبح آخر على قول هؤلاء القدرية الجبرية، المتبعين لجهم بن صفوان وأمثاله، وهؤلاء وافقوا القدرية في أن مشيئة الرب وإرادته ومحبته ورضاه

(١) الحب الإلهي عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ص١٣٥.

سواء، ثم قالت القدرية النفاة: وهو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان، فهو لا يريده ولا يشاؤه، فيكون في ملكه ما لا يشاء. وقالت الجهمية المجبرة: بل هو يشاء كل شيء، فهو يريده ويحبه ويرضاه، وأما السلف وأتباعهم فيفرقون بين المشيئة والمحبة، وأما الإرادة فتكون تارة بمعنى المشيئة وتارة بمعنى المحبة [(١)].

وفناء خاصة الخاصة هو الفناء عن وجود السِّوى عند الصوفية وهو فناء العارفين المتحققين المضمحلين الغائبين في بحار الحلول والاتحاد والوحدة. فيذكر الكاشاني من فناء العارفين الغائبين فناء من فني بالحق، وهو الذي تكون نفسه موجودة والخلق موجودين، إلا أنه لا علم له بهم، ولا نفسه ولا إحساس ولا خبر، ويكون ذلك لاستهلاكه في حضرات القرب، فهو لا يسعه إدراكه لنفسه، فضلا عن غيره من العالمين، ومثاله من دخل على ذي سلطان عظيم، فأذهله عن نفسه، وعن أهل مجلسه، بل وربما أذهله استعظام ذلك العظيم عن رؤيته له، بحيث إذا خرج من عنده، لم يمكنه استثبات شيء مما كان في ذلك المجلس، حتى لو سئل عن هيئة المجلس وملابس أهله وترتبهم فيه، لم يدر ما يقول، وكثيرا ما يقع مثل هذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ يوسف: ٣١ .

قالوا: فإذا كن لم يجدن عند مشاهدة جمال يوسف ألم قطع الأيدي، وهو جمال صورة مقيدة بتعين جزئي من تعينات مطلق الجمال، فما

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥/٣٥٩.

شأنك بمن شاهد كمال صورة الجمال المطلق عن الإطلاق والتقييد، فبالأولى أن لا يجد مع شهوده غيره، فإن من استولى عليه سلطان الحقيقة، لم يتسع معها أن يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا ولا رسما ولا طللا، وهذا هو الذي فني عن الخلق ببقائه بالحق، فيرى كل ما سوى الله بالله لا بغيره .

وفناء الحلول والاتحاد هو فناء الفناء، وهو الفناء عن شهود هذا الفناء، وهو فناء الوجود في الوجود، ويقال: فناء الشهود في الشهود، ويقال: اتصال الوجود، ومعناه فناء اسم الموجود في الوجود الحق، فيفني من لم يكن، ويبقي من لم يزل، وهذا إنما يكون بعد الفناء عن الفناء، كما قالوا: فنيت عن الفناء وعن فنائي: فناء في وجودك عن وجودي.

- التصوف وانتقاله من الفناء عن شهود السِّوى إلى الحلول والاتحاد.

زعم الحلاج منذ وقت مبكر أن التوحيد لا يكون توحيدا إلا إذا كان كل من المحب والمحبوب يحل كل منهما محل الآخر وينوب عنه في الكلام والنطق، بحيث تكون صيغته واحدة عند الطرفين، وهي التي نطق بها الله نفسه، فأعمل فكره في لغة القرآن ومبانيه ومعانيه وكانت له في ذلك مواقف معروفة، وقد عبر عن ذلك بقوله: (حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك والاتصاف بأوصافه) [١].

وزعم الحسين بن منصور الحلاج أن من هذب في الطاعة نفسه وأشغل قلبه بالأعمال الصالحة، وصبر على مفارقة اللذات، وملك نفسه

(١) أخبار الحلاج لأبي يوسف القزويني ص٢٤.

في منع الشهوات واجتهد في أمور البدايات ارتقى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يتنزل في درج الصفاء من صفاء إلى صفاء، ومن نقاء إلى نقاء حتى يصفو عن طبيعة البشرية، فإذا لم يبق فيه من البشرية نصيب حل فيه روح الله الذي كان في عيسي بن مريم، فيصير مطاعا في أمره فلا يريد شيئا إلا كان يقول وقتها للشيء كن فيكون، في كل ما ينفذ فيه أمر الله، ويصبح جميع فعله حينئذ فعل الله، وجميع أمره أمر الله، وهذا يعني أن الحلاج اعتنق عقيدة حلول الله في ذات الإنسان، وأن الإرادة الإنسانية تتحول إلى إرادة إلهية بحيث يصبح كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال أفعالا إلهية لله تعالى [١].

ونظم الحلاج نصوصا شعرية كثيرة فلسف فيها نظريته في حلول المحبوب في المحب أو حلول الرب في العبد منها قوله:

مزجت روحك في روحي : كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني : فإذا أنت أنا في كل حال
أنا من أهوى ومن أهوى : أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته : وإذا أبصرته أبصرتنا
سبحان من أظهر ناسوته : سرا سنى لاهوته الثاقب
حتى بدأ في خلقه ظاهرا : في صورة الآكل والشارب [٢].

وقد فاضل الحلاج بين موقفي إبليس وموقف النبي محمد ﷺ فرأى أن موقف إبليس في رفض السجود لآدم أقوم في التوحيد، وهو أشبه ما يكون بموقف النبي ﷺ لكن الفرق بينهما أن محمدا ﷺ لم يرجع إلى

(١) الحياه الروحية في الإسلام للدكتور مصطفي حلمي ص١٤٠ ، ١٤١.
(٢) الطواسين للحلاج ص١٣٠ وما بعدها.

حوله فقال: بك أحول وبك أجول، بينما رجع إبليس إلى حوله بقوله: أنا خير منه.

لذلك رأى الحلاج أن فرعون وإبليس مثالان رائعان للفتوة والثبات على دعوى التوحيد رغم ما لحقهما من لعن وعذاب، واتخذهما قدوة له في الثبات على ادعائه بأنه الحق قائلا: (فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون، فإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة البتة) [١].

وحكم الحلاج بأن الأديان كلها لله ﷻ وأنه شغل بكل دين طائفة لا اختيارا فيهم بل اختيارا عليهم، وأن من لام أحدا ببطلان ما هو عليه فقد حكم أنه اختار ذلك لنفسه وأن اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة وأسماء متغايرة والمقصود فيها لا يتغير ولا يختلف [٢].

وهذا يعني أن الأصول القرآنية التي جعلت الإسلام ناسخا لما سبق من الأديان تعد نوعا من اللغو وتجاوزا غير مشروع عند الحلاج، وليس كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ آل عمران: ٨٥ .

وقال ابن تيمية أيضا: (وحقيقة قول هؤلاء الإتحاد والحلول الخاص من جنس قول النصارى في المسيح، وهو أن يكون الموحد هو الموحد، ولا يوحد الله إلا الله، وكل من جعل غير الله يوحد الله، فهو جاحد

---

(١) السابق ص١٢، ص٥١، وانظر الصوفية في الإسلام لنيكلسون ص١٤٠.

(٢) السابق ص٧٠.

عندهم كما قال ما وحد الواحد من واحد. أي من واحد غيره، إذ كل من وحده جاحد. فإنه على قولهم هو الموحد والموحد، ولهذا قال: توحيد من ينطق عن نعته. عارية أبطلها الواحد. يعني إذا تكلم العبد بالتوحيد وهو يرى أنه المتكلم، فإنما ينطق عن نعت نفسه، فيستعير ما ليس له، فيتكلم به، وهذه عارية أبطلها الواحد، ولكن إذا فني عن شهود نفسه، وكان الحق هو المتكلم على لسانه حيث فني من لم يكن، وبقي من لم يزل، فيكون الحق هو الناطق بنعت نفسه، لا بنعت العبد، ويكون هو الموحِّد وهو الموحَّد، ولهذا قال: توحيده إياه توحيده، أي توحيد الحق إياه، أي نفسه، هو توحيده هو، لا توحيد المخلوقين له، فإنه لا يوحده عندهم مخلوق، بمعنى أنه هو الناطق بالتوحيد على لسان خاصته، ليس الناطق هو المخلوق، كما يقوله النصارى في المسيح إن اللاهوت تكلم بلسان الناسوت)[(١)].

وقال ابن تيمية: (والنصارى مع كثرتهم يقولون إن المسيح هو الله، وفي المنتسبين إلى القبلة خلق كثير يقولون ذلك في كثير من المشايخ وأهل البيت، حتى إن كثيرا من أكابر شيوخ المعرفة والتصوف يجعلون هذا نهاية التحقيق والتوحيد، وهو أن يكون الموحِّد هو الموحَّد، وينشدون: ما وحد الواحد من واحد، إذ كل من وحده جاحد) [(٢)].

- **فناء أصحاب الحلول والوحدة زندقة تهدم الكتاب والسنة.**

ذكر الذهبي في ترجمة ابن الفارض أنه عمر بن علي بن مرشد بن علي، الأديب البليغ شرف الدين أبو القاسم الحموي الأصل، المصري

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥/٣٧١.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٣/٣٢٥.

المولد والدار، ابن الشيخ أبي الحسن الفارض سيد شعراء العصر، وشيخ الاتحادية، ديوان شعره مشهورٌ، وهو في غاية الحسن واللطافة والبراعة والبلاغة، لولا ما شانه بالتصريح بالاتحاد الملعون في ألذ عبارة، وأرق استعارة، كالفالوذج سمه سم الأفاعي، وها أنا أذكر لك منه أبياتا لتشهد بصدق دعواي، فإنه قال: تعالى الله عما يقول:

وكل الجهات السِّتِّ نحوي مشيرةٌ.. بما تم من نسكٍ وحجٍّ وعمرة. لها صلواتي بالمقام أقيمها.. وأشهد فيها أنها لي صلت. كلانا مصل واحدٌ ساجدٌ إلى.. حقيقته بالجمع في كل سجدة. وما كان لي صلى سواي ولم تكن.. صلاتي لغيري في أداء كل ركعة. إلى كم أواخي السِّتر ها قد هتكته.. وحل أواخي الحجب في عقد بيعتي.

وها أنا أبدي في اتِّحادي مبدئي.. وأنهي انتهائي فيتواضع رفعتي. فإن لم يجوِّز رؤية اثنين واحداً.. حجاك ولم يثبت لبعد تثبُّت. فبي موقفي لا بل إليَّ توجُّهي.. ولكن صلاتي لي ومني كعبتي. فلا تك مفتوناً بحسِّك معجباً.. بنفسك موقوفاً على لبس غرَّة. وفارق ضلال الفرق فالجمع منتجٌ.. هدى فرقةٍ بالاتِّحاد تحدَّت.

وصرِّح بإطلاق الجمال ولا تقل.. بتقييده ميلاً لزخرف زينة. فكل مليحٍ حسنه من جمالها.. معارٌ له أو حسن كل مليحة. وما ذاك إلاَّ أن بدت بمظاهر.. فظنُّوا سواها وهي فيهم تجلت. وما زلت إيَّاها وإيَّاي لم تزل.. ولا فرقٍ بل ذاتي لذاتي أحبَّت. وليس معي في الملك شيءٌ سواي وال.. معيَّة لم تخطر على ألمعيَّتي. وها دحيةٌ وافى الأمين نبيَّنا.. بصورته في بدء وحي النبوَّة. أجبريل قل لي كان إذ بدا.. لمهدي الهدى في صورةٍ بشريَّة.

ولا تك ممّن طيّشته دروسه.. بحيث استقلت عقله فاستقرّت. فثمّ وراء النقل علمٌ يدق عن.. مدارك غايات العقول السّليمة. تلقيته عني ومني أخذته.. ونفسي كانت من عطائي ممدّتي. ولا تك باللاهي عن اللهو جملة.. فهزل الملاهي جدّ نفس مجدّة. تنزّهت في آثار صنعي منزّها.. عن الشّرك بالأغيار جمعي وألفتي. فبي مجلس الأذكار سمع مطالعٍ.. ولي حانة الخمّار عين طليعتي. وما عقد الزنار حكماً سوى يدي.. وإن حل بالإقرار بي فهي حلت.

وإن خرّ للأحجار في البدّ عاكفٌ.. فلا تعد بالإنكار بالعصبيّة. قد عبد الدينار معنى منزهٌ.. عن العار بالإشراك بالوثنية. وما زاغت الأبصار من كل ملةٍ.. وما زاغت الأفكار في كل نحلة. وما حار من للشّمس عن غرّة صبا.. وإشراقها من نور إسفار غرّتي. وإن عبد النار المجوس وما انطفت.. كما جاء في الأخبار في ألف حجّة. فما قصدوا غيري وإن كان قصدهم.. سواي وإن لم يظهروا عقد نيّة. رأوا ضوء نوري مرّةً فتوهموا.. نارا فضلوا في الهدى بالأشعّة.

توفي ابن الفارض عليه من الله ما يستحق في جمادى الأولى ٦٠٥هـ، ثاني يوم منه بمصر، وقد جاور بمكة زمانا. وأنشدنا غير واحد له أنه قال عند الموت هذين البيتين لما انكشف له الغطاء: إن كان منزلتي في الحبّ عندكم.. ما قد لقيت فقد ضيّعت أيّامي. أمنيّةٌ وثقت نفسي بها زمناً.. واليوم أحسبها أضغاث أحلام[(١)].

ذكر ابن تيمية أن ابن الفارض في قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤٦/١٠٩، نشر دار الكتاب العربي بيروت.

لها صلواتي بالمقام أقيمها. وأشهد فيها أنها لي صلت. كلانا مصل واحد ساجد إلى. حقيقته بالجمع في كل سجدة.

قال ابن تيمية: (إن العارف المحقق من هؤلاء يقول: أرسل من نفسه إلى نفسه رسولا بنفسه، فهو المرسل والمرسل إليه والرسول، ويقول من هو من أكبر من أضلوه من أهل الزهادة والعبادة مع الصدق في تسبيحاته وأذكاره: الوجود واحد وهو الله، ولا أرى الواحد ولا أرى الله. ويقول أيضا: نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود، والوجود واحد لا ثنوية فيه، ويكرر ذلك كما يكرر المسلمون: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وعنده أن هذا غاية التحقيق والعرفان. ويجيء من هو من أفضل المتكلمين من النفاة للعلو يعتقد في مثل هذا أنه كان من أفضل أهل الأرض أو أفضلهم، ويأخذ ورقة فيها سر مذهبه، ويرقي بها المرضي كما يرقي المسلمون بفاتحة الكتاب، كما أخبرنا بذلك الثقاة وهم يقدمون تلك الرقية على فاتحة الكتاب)[1].

- التصوف من الحلول والاتحاد إلى الزندقة في فلسفة وحدة الوجود.

في المرحلة الأخيرة للتصوف ظهر تصوف أصحاب وحدة الوجود، والقاسم المشترك بين هذه المرحلة وبين ما سبق في التصوف الحلولي مفارقة الألفاظ الاصطلاحية لمعانيها الدلالية والعبث بطريقة الاستدلال في الأصول القرآنية والأحاديث النبوية، فقد ذهب فريق من الصوفية في القرن السادس وما بعده يتزعمهم محي الدين بن عربي الأندلسي إلى أن الله ﷻ هو هذا الوجود بعينه وأنه لا موجود سواه.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٦/١٦٩ ، وانظر مجموع الفتاوى ٢/٣١٦.

وتصوف وحدة الوجود هو التصوف المبني على القول بأن ثمة وجودا واحدا فقط هو وجود الله، أما العالم وكثرة المخلوقات فهي وهم على التحقيق تحكم به العقول القاصرة فالوجود إذن واحد لا كثرة فيه، على أن من أصحاب وحدة الوجود كابن عربي من يفسح المجال للقول بوجود الممكنات أو المخلوقات على نحو ما، ومنهم من يطلق القول بالوحدة ويمعن في ذلك إلى الحد الذي يجعله لا يثبت إلا وجود الله فقط، وهؤلاء هم أصحاب الوحدة المطلقة وعلى رأسهم ابن سبعين [١].

وأيا كانت الاختلافات بين القائلين بوحدة الوجود إلا أن النتيجة المترتبة على هذا الفكر الصوفي الفلسفي أن هذه الكثرة التي نراها إنما هي مظاهر لله فقط، أو مرآة يتعين فيها ويرى نفسه فيها، أو أثواب يلبسها ويخلعها، فهو السماء بما فيها من شمس وقمر ونجوم وأفلاك، وهو هذا السحاب الذي نراه مسخر بين السماء والأرض بما فيه من ثلج وبرد وأمطار، ولا فرق بين الأضداد، ولا فرق بين العبد والرب ؛ فالعابد هو المعبود والذاكر هو المذكور.

يقول ابن عربي: (ما في الوجود مثل ما في الوجود ضد، فإن الوجود حقيقة واحدة، والشيء لا يضاد نفسه، فإذا أدخلت جنته دخلت نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التي عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك إياه، فتكون صاحب معرفتين معرفة به من حيث أنت، ومعرفة به من حيث هو، لا من حيث أنت) [٢]. ويقول:

فيحمدني وأحمده : ويعبـــدني وأعبده

(١) مدخل إلى التصوف الإسلامي ص١٩٩، وانظر السابق ص١٩١.

(٢) فصوص الحكم لمحي الدين بن عربي ، شرح عبد الرزاق الكاشاني ص٩٢.

ففي حـــال أقربه : وفي الأعيان أجحده
فيعرفني وأنكره : وأعـرفه فأشـــهده

ويقول أيضا:

فأنت عبد وأنت رب : لمن له فيـــه أنـت عبـد
وأنت رب وأنت عبد : لمن له في الخطاب عهد (١).

والله ﷻ عند ابن عربي هو الهواء والماء والتراب والنار التي منها تتركب سائر الموجودات، والأمر قسمة بينه وبين هذه العوالم التي هي مجالي له يظهر فيها، فكما أنها فقيرة ومحتاجة إليه لأنه هو جوهرها ووجودها الأصيل، فكذلك هو مفتقر إليها من أجل تعينه وظهوره فيها، كما تفتقر الروح في ظهور آثارها للأبدان (٢). يقول: (سبحان من خلق الأشياء وهو عينها) (٣)، وقال أيضا:

يا خالق الأشياء في نفسه : أنت لما تخلقه جامع
تخلق مالا ينتهي كونه فيك : فأنت الضيق الواسع (٤).

وقد كان لابن عربي من الخصائص والقدرات العجيبة على صياغة مذهبه شعرا ونثرا ما يثير استغراب العقول، يقول في الإفصاح عن فلسفته:

فإنا أعبـــدٌ حقـــا : وإن الله مـــولانا
وإنا عيـــنه فاعلم : إذا ما قلت إنسانا

---

(١) السابق ص٩٥.
(٢) عقلة المستوفز لابن عربي ص٦٦، نشر ليدن ، مكتبة المثني بغداد ١٣٣٦هـ.
الفتوحات المكية لابن عربي محيي الدين بن علي بن محمد الطائي ٢/٤٥٠.
(٣) فصوص الحكم ص٩٤.

فلا تحجب بإنسان : فقد أعطـاك برهانا
فكن حقا وكن خلقا : تكن بالله رحمـــانا [(١)]

وهذه العبارات التي نطق بها ابن عربي في وحدة الوجود مهما اختلفت وتنوعت فإن مضمونها شيء واحد، وهو أنه ما ثم غير الله في هذا الوجود سواء جُعلت الكثرة أجزاء له أو أنواع أو أنها وهم، أو جُعلت مظاهر وتجليات، فالمآل واحد وهو أنه ما ثم إلا وجود واحد.

ويلزم من هذا الفكر الخبيث أن يكون الله ﷻ هو الأشياء جميعا بما فيها متقابلات ومتضادات، ويلزم أن يكون هو الإنس والجن والشجر والحيوان وكل شيء، ولذا يرى ابن عربي أن الأديان كلها حق، وأن المجوس عبدة النار والمشركين عابدي والأوثان وغيرهم ليسوا كفار وضلالا، بل مذاهبهم هي عين الهدى والإيمان، لأنهم حين عبدوا النار والحجارة والصلبان ما عبدوا إلا الله ﷻ، فإذا كان الله تعالى قد تجلى بذاته لذاته في جميع هذه الصور والمتعينات فالهدى والإيمان في زعمهم أن تعبد وتعظم جميعا، والضلال أن تخصيص بعض تلك المظاهر بالعبادة دون بعض، فالكفر عندهم ليس هو عبادة غير الله إذا ليس هناك غيره، ولكن الكفر ستر حقيقة المعبود بتخصيص بعض مجالية بالعبادة دون البعض الآخر.

وحكم ابن عربي أيضا بإيمان فرعون وأنه كان يشاهد عين الحقيقة حين قال أنا ربكم الأعلى، ولم يكن كاذبا في دعواه أنه هو الله، بل

---

(١) السابق ص ١٤٣.

كان في أعلى مقامات التوحيد، ولذا كان أغراقه في البحر تطهيرا له من توهم الغيرة حين هم أن يسلم، وخالف في ذلك صريح القرآن الذي نطق بموته على الكفر، وأنه لم ينفعه إيمانه حين أدركه الغرق، وأن الله إنما نجاه ببدنه ليكون عبرة ماثلة للأجيال من بعده، وزعم أيضا أن موسى عليه السلام لم يلم قومه على عبادة العجل ولم ينكرها عليهم.

وقد أكد ابن عربي في فلسفته لمعاني الجزاء والطاعة والمعصية بأن هذه الأمور لا مدلول لها في مذهبه بالمعنى الذي نفهمه نحن منها، فإنه لا نعيم ولا عذاب بالمعنى المفهوم من الشرائع، بل إن مآل الخلق جميعا إلى النعيم حتى من كان في عذاب فهو في نعيم بهذا العذاب الذي سمي عذابا من عذوبته وحلاوة طعمه، قال ابن عربي:

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم : على لذة فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد : وبينهما عند التجلي تباين

يسمي عذابا من عذوبة طعمه : وذاك كالقشر والقشر صائن [1].

• ابن عربي وأسلوبه الصوفي في الزندقة والترويج لوحدة الوجود.

وكل هذه الأمور في واقع مذهب ابن عربي تجليات من الله في صور الرضا والغضب كتجلياته تماما في صور الهدي والضلال، ويمكننا أن نلخص منهج ابن عربي وأسلوبه في صياغة مصطلحاته الفلسفية ومزجها بألفاظ قرآنية أو نبوية حتى تلتبس على عامة أتباعه في النقاط الآتية:

١- يتعمد ابن عربي تعقيد البسيط وإخفاء الظاهر لأغراض يصعب

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي ص١٢٢.

معرفتها فعباراته تحتمل في أغلب الأحيان معنيين على الأقل أحدهما ظاهر، وهو ما يشير إليه ظاهر الشرع، والآخر باطن وهو ما يشير به إلى مذهبه، ومن يعمق النظر في معانيه ومراميه يدرك أن المعنى الثاني هو الهدف الذي يرمي إليه، أما ما يذكره مما له صلة بظاهر الشرع فإنما يقدمه إرضاء لأهل الظاهر من الفقهاء وأهل الحديث الذين يخشى أن يتهموه بالخروج والمروق.

٢- يستعمل ابن عربي كثيرا من المصطلحات الفلسفية والكلامية على سبيل الترادف أو المجاز مع ألفاظ أخرى واردة في القرآن والحديث، فيحملها من المعاني ما يخرجها عن أصلها، فالخير الذي تكلم عنه أفلاطون والواحد الذي تكلم عنه أفلوطين والجوهر عند الأشاعرة، والحق أو الله كما يفهم معناه المسلمون كل هذه مستعملة عنده بمعنى واحد وغير ذلك كثير.

٣- قوة التفكير عنده خاضعة إلى حد كبير لقوة خياله لذلك نراه يلجأ إلى الأساليب الشعرية والتشبيهات والمجازات في إيضاح أدق المعاني الفلسفية في مذهبه فيؤدي ذلك إلى تضليل القارئ الذي يأخذ بجميع لوازم ذلك.

٤- يتلاعب بالألفاظ والمعاني ويحملها أكثر مما تحتمل لدرجة التعسف، ويتجه بها كثيرا نحو الغموض ويتمتع بدرجة عالية من الحصيلة اللفظية، كما يتمتع بقدرة فائقة على صياغة أفكاره شعرا ونثرا، ولا يلتزم الرمزية على صعوبتها التزاما مطردا، فإذا رمز بشيء في موضع عاد فرمز به هو نفسه إلى شيء آخر.

٥- الاستناد الكثير والمتكرر إلى كتاب الله، وتأويل آياته وفق نظريته،

ويسهل على ابن عربي إلى حد كبير التقاط ما يشاء من ألفاظ القرآن ليضعها على أي معنى مفارق يعن له، ويكاد المتتبع لوجوه الاستدلال تنقطع أنفاسه في معرفة تبرير معقول أو وجه من الوجوه لارتباط ألفاظ ابن عربي ومصطلحاته بأصولها القرآنية، وكثيرا ما يمزج الآيات القرآنية بعضها ببعض حيث لا توجد صلة ظاهرة بينها، فيؤدي ذلك إلى خلط كثير، كما أنه يفعل ذلك أيضا في السنة فيستند إلى أحاديث منسوبة للنبي ﷺ ويتأولها على ما يوافق المذهب، كما أن تلك الأحاديث أكثرها ضعيف أو موضوع، ويستند أيضا إلى أقوال منسوبة إلى الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، ويعوز تلك الأقوال الصدق والأمانة العلمية.

٦- الاستناد إلى أقوال كبار رجال التصوف السابقين أمثال الجنيد بن محمد وأبي يزيد البسطامي وغيرهما ويحمل كلامهم في أكثر المواضع ما لا يحتمل، ويكثر من ذكر الكرامات للأولياء والصالحين والمبالغة فيها إلى حد كبير.

٧- الاعتماد على المنامات والأحلام والإلهامات والتعامل معها كما يتعامل مع الواقع لدرجة أنه ادعى أنه رأى النبي ﷺ، وأعطاه كتاب فصوص الحكم، وأنه كتبه بناء على توصياته وأنه ﷺ هو الذي وضع له حدوده.

٨- تأدى به اعتقاده في وحدة الوجود إلى جرأة في وصفه للحق تبارك وتعالى تهتز لها أفئدة المسلمين، فهو يتكلم عن الله ﷻ وكأنه يتكلم عن مخلوق من أحقر المخلوقات على اعتبار أنه تعين في الكل وظهر متجليا في المخلوقات بأسرها، فلا عجب أن يصفه بصنم أو أنه ظهر متجليا في كلب أو خنزير، أو أنه ظهر في صورة امرأة جميلة أو

دميمة أو ما شابه ذلك مما تقشعر له الأبدان ويعجز اللسان عن وصفه.

تلك حقيقة التصوف عبر مراحله بصورة وجيزة، ولعل القارئ يشاركني الرأي في استبعاد المرحلتين الثالثة والرابعة لما فيهما من أمور الزندقة والدعوة إلى هدم الإسلام تحت مسمى التصوف، وإن كان أثرهما أوسع في الواقع حيث استمرت الألفاظ والمصطلحات التي نجمت عنهما حتى هذا العصر.

وما من مكان إلا وستجد من شيوخ الطرق الصوفية من يدافع عن ابن عربي ويتبنى آراءه الفلسفية، بل يعتبره قطب الأولياء وخاتمهم، وأن البشرية لم تنجب عارفا مثله، ولذا أنبه إلى أن المباحث الآتية حول أصول التصوف يدور النقاش فيها في إطار المراجع التي خلفها الصوفية الذين يعترفون بالثوابت الإسلامية، وأن الوحي مبني على القرآن وما ثبت في السنة النبوية.

- **الفكر الفلسفي الصوفي وأثره في الزندقة والعبث بأصول الدين.**

لقد ظهر أثر هذا العبث الصوفي الفلسفي في الأصول القرآنية والنبوية فبدلا من أن يكون اللفظ عندهم موضوعا على المعنى المراد في الكتاب والسنة، أصبح اللفظ نفسه موضوعا عندهم على نقيضه تماما تحت هذه الفلسفة الحلولية الوجودية، فالقرآن لم يعد هو القرآن، بل هو عندهم عبارة عن الذات التي يضمحل فيها جميع الصفات، فهي المجلى المسماة بالأحدية، أنزلها الحق تعالى على نبيه محمد ﷺ، ليكون مشهد الأحدية من الأكوان.

قال محي الدين بن عربي: (قال في التنزيل بلسان نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي

دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ نوح:٥/٦. وعلم العلماء أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان، والأمر قرآن لا فرقان، ومن أقيم في القرآن لا يصغى إلى الفرقان وإن كان فيه، فإن القرآن يتضمن الفرقان والفرقان لا يتضمن القرآن، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ﷺ، لأنه أوتي جوامع الكلم، فما دعا محمد قومه ليلا ونهارا، بل دعاهم ليلا في نهار، ونهارا في ليل) [1].

ويقول أيضا: (فإن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المائدة/٣. هذا هو الفرقان عند أهل الله بين الأمرين، فإنهم قد يرونه ﷺ في كشفهم فيصحح لهم من الإخبار، ما ضعف عندهم بالنقل، وقد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل) [2].

ويقول الكاشاني: (ولقد آتيناك سبعا أي الصفات السبع التي ثبتت لله تعالى، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والتكلم من المثاني التي كرر وثنى ثبوتها لك، أولا في مقام وجود القلب عند تخلقك بأخلاقه واتصافك بأوصافه فكانت لك، وثانيا في مقام البقاء بالوجود الحقاني بعد الفناء في التوحيد، والقرآن العظيم، أي الذات الجامعة لجميع الصفات، وإنما كانت لمحمد ﷺ سبعا، ولموسى تسعا لأنه ما أوتى القرآن العظيم، بل كان مقامه التكليم، أي مقام كشف الصفات دون كشف الذات، فله هذه السبع مع القلب والروح) [3].

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي ص٧٠.

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي ٣١/٤.

(٣) تفسير القرآن الكريم لعبد الرزاق الكاشاني ٦٧٠/١.

ومن زندقة الصوفية أن الصنم الذي عنوان الشرك والضلال أصبح هو الله عند الصوفية فالصنم عندهم هو من حيث هو مظهر الوجود المطلق تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. قال التهانوي: (الصنم في اصطلاح السالكين عبارة عن مظهر الوجود المطلق الذي هو الحق، فالصنم من حيث الحقيقة هو الحق، وليس باطلا أو عبثا، وعابد الصنم يطلق عندهم على عابد الحق لأن الحق في صورة صنم: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الإسراء:٢٣. فإذا ظهر صحيحا فالكل عابد بالضرورة) [١].

وهذا الصنم يفسر على المعنى الذي ذكره ابن عربي أن للحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله في المحمديين، وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، أي حكم ربك فالعالم يعلم من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وإن التفرقة والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوة المعنوية في الصورة الروحانية، فما عبد غير الله في كل معبود، فالأدنى يقصد أهل الظاهر من تخيل فيه الإلوهية، فلولا هذا التخيل ما عبد الحجر ولا غيره [٢].

ومصطلح الذكر في مفهوم محي الدين بن عربي لا يؤدي إلى معنى تطمئن به القلوب وتغفر به الذنوب، ولكن يؤدي إلى ما ذكره ابن عربي في قوله: ألا بذكر الله تزداد الذنوب.. وتحتجب البصائر والقلوب وترك الذكر أفضل كل شيء.. فشمس الذات ليس لها غروب. وقوله:

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٤/٢٦٩، طبعة طهران سنة ١٩٤٧.

(٢) فصوص الحكم لابن عربي ص ٦٦، ٦٧.

دع الذكر والتسبيح إن كنت عاشقا.. فليس يديم الذكر إلا المنافق. إذا كان من تهواه في القلب حاضرا.. وأنت تديم الذكر كنت منافقا [١].

وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ويوم الجمعة الذي جعله الله لصلاة الجمعة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ الجمعة: ٩. أصبحت ليلة القدر ويوم الجمعة عند الصوفية هو وقت اللقاء والوصول إلى عين الجمع، إذ هو عندهم اليوم الذي ظهرت فيه جميع الصفات، وسمي هذا الظهور عين الجمع لاجتماع الكل فيه، ولهذا المعنى عندهم سميت الجمعة جمعة، وهو يوم وصول السالك إلى مقام المشاهدة المعبر عنها بلقاء الحق، وهو يوم دائم عندهم يعني به الصوفي وقت مطلق اللقاء، كما قال عمرو بن الفارض: وكل الليالي ليلة القدر إن دنت.. كما كل أيام اللقا يوم الجمعة [٢].

وحتى الغراب لم يسلم من زندقتهم، فيذكر الكاشاني أن الغراب في عرف الصوفية كناية عن الجسم الكلى لكونه في غاية البعد عن عالم القدس والحضرة الأحدية، ولخلوه عن الإدراك والنورية.

يقول الكاشاني: (الغراب الجسم الكلي، وهو أول صورة الجوهر الهبائي، وبه عم الخلاء، وهو امتداد متوهم من غير جسم، وحيث قبل

(١) ديوان ترجمان الأشواق لابن عربي ص٥٤، وانظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٤/١١٦.

(٢) انظر لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، وقد ذكر الألوسي هذه الأبيات عند تفسيره لسورة القدر، انظر تفسير روح المعاني ٣٠/١٩٩.

الجسم الكلي من الأشكال الاستدارة، علم أن الخلاء مستدير، ولما كان هذا الجسم، أصل الصور الجسمية الغالب عليها غسق الإمكان وسواده، فكان في غاية البعد من عالم القدس وحضرة الأحدية، سمي بالغراب الذي هو مثل في البعد والسواد) [1].

وهل يوجد عاقل يقبل الدعاء عليه بسواد الوجه في الدارين؟ فسواد الوجه في الدارين لم يعد مذمة عند الصوفية، ولكنه كمال المدح لكل صوفي وصل إلى مرتبة وحدة الوجود، لأن سواد الوجه في الدارين عند هؤلاء الصوفية يعبر عن أسمى الحالات التي يمكن أن يصل إليها الصوفي، فهو الفناء في الله بالكلية، بحيث لا وجود لصاحبه ظاهرا وباطنا دنيا وآخرة، وهو الفقر الحقيقي على زعمهم، وهو الرجوع إلى العدم الأصلي [2].

- **ادعاء الصوفية أن الولي المحقق يعرج إلى السماء كما يشاء.**

ادعي الصوفية أن الولي المحقق عند الصفاء يعلم السراء والضراء ويعرج إلى السماء كيفما يشاء. قال ابن عربي: (اعلم يا بنيّ أن العبد المحقق الصوفي إذا صفا وتحقق صار كعبة لجميع الأسرار الإلهية من كل حضرة وموقف، ويرد عليه في كل يوم جمعة ما دام في ذلك المقام ستمائة ألف سرّ ملكوتي، واحد منها إلهي، وخمسة أسرار ربانية، ليس لها في حضرة الكون مدخل) [3].

---

(١) معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص١٨٥.

(٢) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام لعبد الرزاق الكاشاني ٢/٢٩.

(٣) مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار لابن عربي ص١٧١.

وقال ابن البان عن عروجه إلى السماء: (أوقفني الحق على بساط الأسرار، وارتقيت إلى السماء الأولى، ثم ارتقينا إلى السماء الثانية، ثم انتهينا إلى السماء السابعة، وفيها ملك على كرسي من نور، وفي هذه السماء رضوان خازن الجنان، وأجمل الملائكة من جنده، وفيها إسرافيل رئيس عالم الجبروت، وهو الذي بشرني بالقرب والمنزلة الكريمة عند ربي، وبالسعادة في الآخرة والشفاعة في أمة محمد ﷺ، وفي هذه السماء رأينا إبراهيم الخليل مسندا إلى البيت المعمور، ثم انتهينا إلى سبعين حجابا آخر حتى انتهيت إلى آخر حجاب هناك، وإذا بكرسي من اللؤلؤ منصبة قوائمه من الجوهر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، فأخذ آخذ بيدي وأجلسني عليه.

ثم نزّل عليّ شيء ودخل جوفي من حيث لا أعلم، فقال لي شيئا في قلبي: ها قد أكرمك مولاك بالسكينة الربانية، فلما أحسّ باطني بها سكن كل جارحة فيّ. فكأني لم أر أشياء ولم يهلني شيء. ثم نوديت من مكان قريب. وذلك من جهاتي الستّ: يا حبيبي ومطلوبي، السلام عليك، فغمضت عينيّ، وكنت أسمع بقلبي ذلك الصوت حتى أظنه من جوارحي لقربه مني، ثم نوديت: انظر عليّ، ففتحت عينيّ فصرت كلي أعينا، وكأن في باطني ما أراه في ظاهري.

وصرت كأني برزخ بين كونين وقاب، كما يرى الرائي عند النظر في المرآة ما بخارجها. ثم سمعت بقارئ يقرأ قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ البقرة: ٢٨٥.
وإذا بذلك الحجاب قد رفع وأذن لي بالدخول، ولما دخلته رأيت

الأنبياء صفوفا صفوفا ودونهم الملائكة، ورأيت أقربهم للحق أربعة أنبياء، ورأيت أولياء أمة محمد أقرب الناس إلى محمد وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى وأقرب إليه أربعة أولياء، فعرفت منهم السيد محيى الدين عبد القادر، وهو الذي تلقاني إلى باب الحجاب، وأخذ بعضدي حتى دنوت من سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، فناولني يمينه فأخذته بكلتا يديّ، فلا زال يجذبني ويدنيني حتى ما بقي بيني وبين ربي أحد، فلما حققت النظر في ربي ورأيته على صورة النبي، إلا أنه كالثلج أشبه شيء أعرفه في الوجود من غير رداء ولا ثياب، ولما وضعت شفتي على محل منه لأقبله أحسست ببرد الثلج سبحانه وتعالى، فأردت أخر صعقا، فمسكني سيدنا محمد صلى الله عليه وآله) [1].

وابن عربي يجعل عروجه محاكيا للمعراج النبوي فيقول: (بينما أنا نائم وسر وجودي متهجد قائم جاءني رسول التوفيق، ليهديني سواء الطريق، ومعه براق الإخلاص، عليه لبد الفوز ولجام الإخلاص، فكشف عن سقف محليّ، وأخذ في نقضى وحليّ، وشق صدري بسكين السكينة، وقيل لي تأهب لارتقاء الرتبة المكينة، وأخرج قلبي في منديل، لآمن من التبديل، وألقى في طست الرضا، بموارد القضا، ورمى منه حظ الشيطان، وغسل بماء: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان، ثم أتيت بالخمر واللبن، فشربت ميراث تمام اللبن، وتركت الخمر حذرا أن أكشف السر بالسكر، استفتح لي سماء الأجسام فرأيت سر روحانية آدم عليه السلام، فاستفتح الرسول الوضاح، سماء الأرواح، قال لي: مرحبا

---

(١) المواقف الإلهية لابن قضيب البان ص١٦٤ إلى ص١٦٩ وهو ملحق بكتاب الإنسان الكامل لعبد الرحمن البدوي طبعة وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٦م.

وأهلا) (١). إلى آخر الخرافات والمختلقات الصوفية.

ونقل عن أبي الحسن الخرقاني أنه قال: (صعدت ظهيرة إلى العرش لأطوف به فطفت عليه ألف طوفة أو كما قال، ورأيت حواليه قوما ساكنين مطمئنين فتعجبوا من سرعة طوافي وما أعجبني طوافهم، فقلت: من أنتم، وما هذه البرودة في الطواف؟ فقالوا: نحن ملائكة، ونحن أنوار، وهذا طبعنا لا نقدر أن نجاوزه، فقالوا: ومن أنت؟ وما هذه السرعة في الطواف؟ فقلت: بل أنا آدميّ وفيّ نور، ونار هذه السرعة من نتائج نار الشوق) (٢)

وعبد الكريم الجيلي كذلك ادعى عروجه ومعراجه، ورؤيته لسدرة المنتهى وتجليات الربّ تبارك وتعالى(٣) .

وهناك آخرون كثيرون من الصوفية ادعوا عروجهم إلى السماء، ومعراجهم أو مكالمتهم الرب ومخاطبتهم إياه، ومنهم صالح بن بان النقاء السوداني (٤)، ودفع الله بن محمد الكاهلي الهذلي السوداني(٥)، وفتح الله بوراس القيرواني(٦)، ومحمد بن قائد اللواني العراقي(٧)، وأبو العباس

---

(١) انظر كتاب الإسراء لابن عربي ص١٨ من رسائل ابن عربي الطبعة الأولى حيدر أباد دكن الهند ١٣٦٧هـ.
(٢) السابق ص١٣.
(٣) الإنسان الكامل للجيلي ٢/١٢.
(٤) الطبقات لمحمد ضيف الله الجعلي الفضلي ص١٠٥، طبعة لبنان.
(٥) السابق ص٨٩.
(٦) الوصية الكبرى لعبد السلام الفيتوري ص٧٤، طبعة طرابلس ليبيا ١٩٧٦م.
(٧) ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص٢٢٤.

المرسي[(١)]، ومثل هؤلاء كثيرون لا يعدون ولا يحصون.

ويذكر الصوفي القديم المشهور عزيز الدين النسفي عن عروج المتصوفة إلى السماء: (إن بعض الصوفية يعرجون إلى السماء الأولى ويطوفون حولها، وبعضهم يتجاوزون من السماء الأولى.. وبعضهم يصلون إلى العرش إذا أمكن لهم) [(٢)].

• **الصوفية يدعون أنهم يكلمون ربهم عند التجلي في عين الجمع.**

الصوفية لا يعرجون إلى السماء فقط، ولكنهم يدعون أنهم يكلمون ربهم عند التجلي في عين الجمع، فيقول عبد الكريم الجيلي: (ومن المكلمين من يذهب به الحق من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح وهؤلاء أعلى مراتب. فمنهم من يخاطب في قلبه، ومنهم من يصعد بروحه إلى سماء الدنيا، ومنهم إلى الثانية والثالثة كل على حسب ما قسم له، ومنهم من يصعد به إلى سدرة المنتهى فيكلمه الله هناك.

وكل من المكلمين على قدر دخوله في الحقائق تكون مخاطبات الحق له وإنه سبحانه وتعالى لا يضع الأشياء إلا في مواضعها، ومنهم من يضرب له عند تكليمه إياه نور له سرادق من الأنوار، ومنهم من ينصب له منبرا من نور، ومنهم من يرى نورا في باطنه فيسمع الخطاب من تلك الجهة النورية، وقد يرى النور كثيرا وأكثر مستديرا ومتطاولا. ومنهم من يرى صورة روحانية تناجيه، كلّ ذلك لا يسمى خطابا، إلا إن أعلمه الله أنه هو المتكلم، وهذا لا يحتاج فيه إلى دليل، بل هو على سبيل

---

(١) النفحة العلية في أوراد الشاذلية لعبد القادر زكي ص٢٣٠.

(٢) انظر زبدة الحقائق لعزيز الدين نسفي ص٥٨.

الوهلة فإن خاصية كلام الله لا تخفى، وأن يعلم أن كل ما سمعه كلام الله فلا يحتاج هناك إلى دليل ولا بيان، بل بمجرد سماع الخطيب يعلم العبد أنه كلام الله.

ومن صعد به إلى سدرة المنتهى من قيل له: حبيبي إنيتك هي هويتي، وأنت عين هو، وما هو إلا أنا، حبيبي بساطتك تركيبي، وكثرتك واحديتي، بل تركيبك بساطتي وجهلك درايتي، أنا المراد بك، أنا لك لا لي، أنت المراد بي، أنت لي لا لك، حبيبي أنت نقطة عليها دائرة الوجود، فكنت أنت العابد فيها والمعبود، أنت النور، أنت الظهور، أنت الحسن والزين، كالعين للإنسان، والإنسان للعين: أيا روح روح الروح، والآية الكبرى، ويا منتهى الآمال، يا غاية المنى، حديثك ما أحلاه عندي وما أمرا. ويا كعبة التحقيق، يا قبلة الصفا، ويا عرفان الغيب، يا طلعة الغرا. أتيناك أخلفناك في ملك ذاتنا، تصرف لك الدنيا جميعا مع الأخرى، فلولاك ما كنا، ولولاي لم تكن، فكنت وكنا، والحقيقة لا تدرى، فإياك نعني بالمعزة والغنى، وإياك نعني بالفقير ولا فقرا) [1].

• الطريقة الرفاعية تدعي أن شيخ الطريقة يكلم الله بلا واسطة.

والرفاعية أيضا لا يريدون أن يقل شأن مرشدهم وهاديهم، وتنحط مكانته في أعين مريديه ومقلديه، فنقلوا عنه أنه كان كثيرا بينه وبين الربّ مناجاة ومخاطبات، فنقلوا عن ابن جلال ما نصه: (نقل عن السيد إبراهيم الأعزب أنه قال: كنت جالسا في الغرفة مع السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنهما، ورأسه على ركبتيه، فرفع رأسه

(١) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ص٦٥.

وضحك بأعلى صوته فضحكت أنا أيضا، ثم ألححت عليه ليخبرني عن سبب ضحكه، فقال: أي إبراهيم، ناداني العزيز سبحانه: أني أريد أن أخسف الأرض، وأرمي السماء على الأرض. فلما سمعت هذا النداء تعجبت، وقلت: إلهي، من ذا الذي يعارضك في ملكك وإرادتك؟ قال سيدي إبراهيم: فأخذته الرعدة، ووقع على الأرض، وبقي في ذلك الحال زمانا طويلا) [١].

وحينما رأى الشاذلية هذه المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة لمرشد الرفاعية أحمد الرفاعي، لم يرضوا أن يتخلفوا عنهم، فقالوا: إن ما لشاذلينا لم تكن مخاطبات فحسب، بل إن الله جل مجده هو الذي سماه بهذا الاسم، فيذكر الإمام الأكبر شيخ الأزهر السابق الدكتور عبد الحليم محمود نقلا عن أبي الحسن الشاذلي كيفية نزوله من جبل زغوان، ومغادرته خلوته، فيقول:

(قيل لي: يا علي: اهبط إلى الناس ينتفعوا بك. فقلت: يا ربّ أقلني من الناس، فلا طاقة لي بمخالطتهم. فقيل لي: انزل فقد أصحبناك السلامة، ودفعنا عنك الملامة. فقلت: تكلني إلى الناس آكل من دريهماتهم. فقيل لي: أنفق يا علي، وأنا المليء، إن شئت من الجيب، وإن شئت من الغيب) [٢].

ويذكر شيخ الأزهر السابق عبد الحليم محمود أن الشاذلي ﷺ نزل

---

(١) انظر قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر ص١٨٠.

(٢) انظر كتاب الدكتور عبد الحليم محمود المدرسة الحديثة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي ص٣٤ ، ص٣٥، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة.

من على الجبل ليغادر شاذلة، ويستقبل مرحلة جديدة، فقد انتهت المرحلة الأولى التي رسمها له شيخه، وقبل أن نغادر معه شاذلة إلى رحلته الجديدة نذكر ما حكاه ﷺ فيما يتعلق بنسبته إلى شاذلة، قال: (قلت: يا ربّ لم سميتني بالشاذلي؟ ولست بشاذلي؟ فقيل لي: يا علي، ما سميتك بالشاذلي، وإنما أنت الشّاذ لي. بتشديد الذال المعجمة يعني: المنفرد لخدمتي ومحبتي) [١].

وقلما يوجد عارف صوفي إلا وقد ادّعى مثل هذه الدعوى، بل كتب التراجم وطبقات الصوفية مليئة بمثل هذه الأكاذيب والشناعات، والجرأة على الله، والانتقاص من شأن خاتم النبيين وسيد المرسلين، حيث ينسبون إلى أنفسهم، ما لم يكن لبشر أن يحصل عليه حتى سيد الخلائق وأفضل النبيين مثل ما أوردنا عنهم، ومثل ما رووا عن فتح الله بوراس القيرواني أنه كان يقول: (أشهدني الله تعالى ما في السموات السبع، وما في الكرسي، وما في اللوح المحفوظ، وجميع ما في الحجب، وفككت طلاسم السموات السبع، والفلك الثامن الذي فيه جميع الكواكب وجميع الفلك الثامن، وهم بنات نعش والجدي والقطب، ووصلت إلى الفلك التاسع الذي يسمونه الأطلس، ورصدت جداوله، وأنا عند ذلك طفل صغير لم أبلغ الحلم) [٢].

وكان يقول: (وفي السماء السابعة شاهدت ربي، وكلّمته، وفوق

(١) السابق ص٣٥.

(٢) الوصية الكبرى لشيخ العروسية عبد السلام الفيتوري ص٧٥، طبعة مكتبة النجاح طرابلس ليبيا.

العرش والكرسي قد ناداني وخاطبته، وما في اللوح المحفوظ من الآي والأمر والنهي قد حفظته، وبيدي باب الجنان قد فتحته ودخلته، وما فيه من الحور العين قد رأيته وأحصيته، ومن رآني ورأى من رآني وحضر مجلسي في جنة عدن وبستانها قد أسكنته) [1].

ومثل ذلك ذكر الشعراني عن إبراهيم الدسوقي المتوفى سنة ٧٧٦هـ حيث قال: (أنا كل وليّ في الأرض خلعته بيدي، ألبس منهم من شئت، أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيدي أبواب النار أغلقتها، وبيدي جنة الفردوس فتحتها، من زارني أسكنته جنة الفردوس) [2].

ثم إن الصوفية أصّلوا قاعدة وحكما عاما ينطبق على أهل الحقائق جميعا، فما كان وليّ متصل بالله تعالى إلا وهو يناجي ربه، كما كان موسى عليه السلام يناجي ربه[3]، وزعموا أن معراج الصوفية وخرقهم السموات، ومكالمتهم الربّ، ومخاطبته إياهم جائز شرعا ونقلا، وهو المنقول عن الشاذلي، وابن عطاء الله في لطائف المنن، ومحمد السنوسي، والشيخ عبد الباقي وغيرهم[4].

وقد نقل الشعراني عن الشاذلي قوله: (لا إنكار على من قال: كلّمني الله كما كلّم موسى) [5].

---

(١) الموضع السابق.

(٢) انظر الطبقات الكبرى للشعراني ١/٢٥٦.

(٣) السابق ١/٢٥٦.

(٤) كتاب الطبقات لمحمد ضيف الله الجعلي الفضلي ص١٠٧.

(٥) طبقات الشعراني ١/٣٧٨.

يقول الدباغ: (وكلام الحق سبحانه يسمعه المفتوح عليه إذا رحمه الله عز وجل سماعا خارقا للعادة، فيسمعه من غير حرفه ولا صوت ولا إدراك لكيفية، ولا يختص بجهة دون جهة، بل يسمعه من سائر الجهات، بل ومن سائر جواهر ذاته، وكما لا يخص السماع له جهة دون أخرى، كذلك لا يخص جارحة دون أخرى، يعني أنه يسمعه بجميع جواهره، وسائر أجزاء ذاته، فلا جزء ولا جوهر، ولا سن ولا ضرس، ولا شعرة منه إلا وهو يسمع به، حتى تكون ذاته بأسرها كأذن سامعة) [(١)].

- **الصوفية يزعمون أن أولياءهم يعلمون الغيب وما كان وما يكون.**

وأما إطلاعهم على الغيب، وإحاطتهم بعلم ما كان وما يكون، وإخبارهم بكل ما ظهر وما بطن، فكتب القوم مليئة بهذه المختلقات والترهات، نقل الكلاباذي عن أبي عبد الله الأنطاكي أنه قال: (إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق، فإنهم جواسيس القلوب، يدخلون في أسراركم، ويخرجون من هممكم) [(٢)].

ويقول ابن عجيبة الحسني: (إن الحق سبحانه قسّم الخلق قسمين وفرقهم فرقتين: قسم اختصهم بمحبته، وجعلهم من أهل ولايته، ففتح لهم الباب، وكشف لهم الحجاب، فأشهدهم أسرار ذاته، ولم يحجبهم عنه بآثار قدرته) [(٣)].

وقال عبد الكريم الجيلي: (إذا كشف الحجاب، وفتح لهم الباب علم

(١) الإبريز لعبد العزيز لدباغ ص١٥٦.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص٣٣.

(٣) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني ص٧٧.

العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد، وعلم كل شيء كيف كان؟ وكيف هو كائن؟ وكيف يكون؟ وعلم ما لم يكن، ولم لا يكون ما لم يكن؟ ولو كان ما لم يكن كيف كان يكون؟ كل ذلك علما أصليا حكيما كشفيا ذوقيا من ذاته لسريانه في المعلومات، علما إجماليا تفصيلا كليا جزئيا مفصلا في إجماله. ومنهم من تجلى الله عليه بصفة السمع فيسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات، وكان البعيد عنه كالقريب) [١].

وقال عماد الدين الأموي: (إذا انكشفت الحجب عن القلب تجلى فيه شيء مما هو مستور في اللوح المحفوظ، ولمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم. يشرف على الملكوت الأعظم، ويرى عجائبه، ويشاهد غرائبه، مثل اللوح، والقلم، واليمين الكاتبة، وملائكة الله تعالى يطوفون حول العرش، يسبحون بحمد ربهم، وبالبيت المعمور، ويسبحونه ويقدسونه، ويفهم كلام المخلوقين من الحيوانات والجمادات ثم يتخطى منها إلى معرفة الخالق للكل، والمالك للكل، فتغشاهم الأنوار، وتتجلى لقلوبهم الحقائق) [٢].

ويقول الدباغ وهو يذكر بعض ما يشاهده المفتوح عليه وهو الولي عنده، فيقول: (أما في المقام الأول فإنه يكاشف فيه بأمور، منها أفعال العباد في خلواتهم. ومنها مشاهدة الأرضين السبع والسموات السبع، ومنها مشاهدة النار التي في الأرض الخامسة، وغير ذلك مما في الأرض

---

(١) الإنسان الكامل للجيلي ١/٦٣.

(٢) حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب لعماد الدين الأموي ص٢٧٥.

والسماء. ومن الأشياء التي يشاهدونها اشتباك الأرضين بعضها ببعض، وكيف تخرج من أرض إلى أرض أخرى؟ وما تمتاز به أرض عن أرض أخرى، والمخلوقات التي في كل أرض، ومنها مشاهدة اشتباك الأفلاك بعضها ببعض، ما نسبتها من السموات وكيف وضع النجوم التي فيها؟ ومنها مشاهدة الشياطين وكيف توالدها؟ ومنها مشاهدة الجن وأين يسكنون؟ ومنها مشاهدة سير الشمس والقمر والنجوم.

وأما ما يشاهده في المقام الثاني فإنه يكاشف بالأنوار الباقية كما كوشف في المقام الأول بالأمور الظلمانية الفانية، فيشاهد في المقام الملائكة والحفظة والديوان والأولياء الذين يعمرونه. وأما المقام الثالث فإنه يشاهد فيه أسرار القدر في تلك الأنوار المتقدمة. وأما المقام الرابع فإنه يشاهد فيه النور الذي ينبسط عليه الفعل، وينحل فيه كانحلال السمّ في الماء، فالفعل كالسم والنور كالماء. وفي المقام الخامس يشاهد انعزال الفعل عن ذلك النور، فيرى النور نورا، والفعل فعلا، والمفتوح عليه لا يغيب عليه ما في أرحام الأنثى فضلا عن غيره) [(١)].

وكان الدباغ هذا يرى أيضا أن المتصوفة لا يعرفون الغيب فحسب، بل يعرفون الغيوب الخمسة التي ذكرها الله تعالى في محكم كتابه وبين أنه لا يعلمها أحد غيره بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ لقمان: ٣٤.

قال ابن المبارك: (قلت للشيخ عبد العزيز الدباغ ﷺ: إن علماء

(٣) الإبريز للدباغ ص١٥١ وما بعد.

الظاهر من المحدثين وغيرهم اختلفوا في النبي ﷺ، هل كان يعلم الخمس المذكورات في قوله: إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ. فقال ﷺ: وعن سادتنا العلماء كيف يخفى أمر الخمس عليه، والواحد من أهل التصوف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس) [١].

والجدير بالذكر أن الدباغ هو القائل: (ما السموات والأرضون السبع في نظر العبد المؤمن إلا كحلقة ملقاة في فلاة) (٢). وقال أيضا: (إن الجنين إذا سقط من بطن أمه يراه العارف في تلك الحالة إلى آخر عمره) [٣].

وقال أحمد الرفاعي: (إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق، فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة، ولا تخضر ورقة إلا بنظره، ويتكلم هناك عن الله بكلام لا تسعه عقول الخلائق، وكان يقول: إن القلب إذا انجلى من حبّ الدنيا وشهوتها صار كالبلّور، وأخبر صاحبه بما مضى، وبما هو آت من أحوال الناس) [٤].

قال أبو بكر الشبلي: (لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أشعر بها، أو لم أعلم بها، لقلت أنه ممكور بي) [٥].

---

(١) الإبريز للدباغ ص١٦٧.
(٢) السابق ٢٤٢.
(٣) السابق ص٢٧٤.
(٤) قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر ص١٤٨.
(٥) الإنسان الكامل للجيلي ١/١٢٢.

وينقل المنوفي الحسيني عن إبراهيم الدسوقي أنه كان يقول: (إن للأولياء الإطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء، وما في البر والبحر، وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء، وما في جباه الإنس والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة) [١].

وأما الشاذلي فقال: (من عبد الله باسمه الحيّ المحيي وأكثر منه، ولا حد لأكثره، شاهد حياة كل شيء ومحييه، ومن ذكر بهم جميعا صعدت روحه إلى الملأ الأعلى، وصعدت روحه إلى العرش، ليكتب عند الله من الكاملين الصديقين) [٢].

وقال أفضل الدين: (لا يعطى أحد القطبية حتى يعرف جميع عوالم هذه العروش والكراسي والسموات والأرضين بأسمائهم وأنسابهم وأعمارهم وأعمالهم) [٣].

- من الصوفية من لا يزال عاكفا على اللوح أو يشهده تارة تارة.

قال ابن عربي: (من الصوفية من لا يزال عاكفا على اللوح، ومنهم من يشهده تارة تارة) [٤]. ونقل ابن عربي عن الجنيد أنه قال: (العارف هو الذي ينطق عن سرّك، وأنت ساكت) [٥].

وقد بين محي الدين بن عربي طريق إطلاع الصوفية على الغيب

---

(١) جمهرة الأولياء للمنوفي الحسيني ص٢٤٢ نشر مؤسسة الحلبي القاهرة.
(٢) المدرسة الحديثة الشاذلية وإمامها الشاذلي د. عبد الحليم محمود ص٦١٤.
(٣) الأخلاق المتبولية للشعراني ١/٩٩.
(٤) مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار لابن عربي ص١٤٨.
(٥) السابق ص١٤٩.

فقال: (الكشف والإطلاع على الغيب يكون بطريق التجلي، إما بالتنزل أو بالعروج) [(١)].

ويقول ابن عربي: (فأما العلم اللدني فمتعلقه الإلهيات، وما يؤدي إلى تحصيلها من الرحمة الخاصة، وأما علم النور فظهر سلطانه في الملأ الأعلى قبل وجود آدم بآلاف السنين من أيام الرب، وأما علم الجمع والتفرقة فهو البحر المحيط، الذي اللوح المحفوظ جزء منه، ومنه يستفيد العقل الأول، وجميع الملأ الأعلى منه يستمدون، وما ناله أحد من الأمم سوى أولياء هذه الأمة، وتتنوع تجلياته في صدورهم على ستة آلاف ومائتين، فمن الأولياء من حصّل جميع هذه الأنواع، كأبي يزيد البسطامي، وسهل بن عبد الله، ومنهم من حصّل بعضها) [(٢)].

ويقول في إحدى رسائله: (للأرواح الإنسانية إذا صفت وزكت معارج في العالم العلوي المفارق وغير المفارق، فينظر مناظر الروحانيات المفارقة، فترى مواقع نظرهم في أرواح الأفلاك ودورانها بها، فينزل مع حكم الأدوار، وترسل طرفها في رقائق التنزيلات حتى ترى مساقط نجومها في قلوب العباد، فتعرف ما تحويه صدورهم وما تنطوي عليه ضمائرهم، وما تدل عليه حركاتهم) [(٣)].

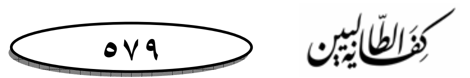
وقال ابن عربي: (يرتقي الوليّ إلى عالم الغيب فيشاهد اليمين ماسكة

---

(١) إنشاء الدوائر لابن عربي ص٣٥ طبعة مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦هـ.

(٢) شرح المسائل الروحانية لابن عربي المنشور في كتاب ختم الولاية للحكيم الترمذي ص١٤٢، ص١٤٣ طبعة المطبعة الكاثوليكية بيروت.

(٣) انظر كتاب التجليات لابن عربي ص٢٢، من مجموعة رسائله طبعة حيدر أباد دكن الهند ١٣٦٧هـ.



قلمها وهي تخطط في اللوح)[١].

هذه هي آراء ابن عربي وأقواله صريحة في معناها، جلية في مغزاها، واضحة في مرادها، لا غموض فيها ولا تعقيد، ولا تحتاج إلى التبيين والتوضيح.

وأما تلميذه محمد بن إسحاق القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ فيقول: (إن الكمل ومن شاء الله من الأفراد، أهل الإطلاع على اللوح المحفوظ، بل وعلى المقام القلمي، بل وعلى حضرة العلم الإلهي، فيشعرون بالمقدر كونه لسبق العلم بوقوعه)[٢].

ويقول شهاب الدين السهروردي المقتول: (الأنبياء والفضلاء المتألهون يتيسر لهم الإطلاع على المغيبات، لأن نفوسهم إما قوية بالفطرة أو تتقوى بطرائقهم وعلومهم، فينتقشون بالمغيبات، لأن نفوسهم كالمرايا المصقولة تتجلى فيها نقوش من الملكوت، فقد يسري شبح إلى الحس المشترك، يخاطبهم ألدّ مخاطبة وهو في أشرف صورة، وربما يرون الغيب بالحس المشترك مشاهدة، وربما يسمعون صوت هاتف، أو يقرءون من مسطور)[٣].

وقال لسان الدين بن الخطيب في روضته: (النفوس عند صفائها تتشبه بالملأ الأعلى، وتنتقش فيها أمثلة الكائنات المتعشقة فيه بنوع ما، وتشاهد المحجوبات، وتؤثر في العوالم السفلية)[٤].

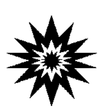
---

(١) مواقع النجوم لابن عربي ص٨٢.
(٢) رسالة النصوص لمحمد بن إسحاق القونوي ص٤٠، طبعة مشهد إيران.
(٣) الألواح العمادية للسهروردي ص٦٤، طبعة مركز تحقيقات فارسية إيران.
(٤) روضة التعريف لابن الخطيب ص٤٦٣، دار الفكر العربي.

والترمذي الملقب بالحكيم يقول: (إن الأولياء لهم علامات وعلوم، وأما ما يعرفونه من العلوم فهي (علم البدء، وعلم الميثاق، وعلم المقادير، وعلم الحروف، فهذه أصول الحكمة، وهي الحكمة العلمية، وإنما يظهر هذا العلم عن كبراء الأولياء ويقبله من له حظ في الولاية) [١].

ويقول الجيلي عبد الكريم: (كل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف في جميع المملكة الوجودية، ويعلم كل واحد منهم ما اختلج في الليل والنهار فضلا عن لغات الطيور. وقد قال الشبلي رحمه الله تعالى: لو دبّت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أسمعها لقلت: أني مخدوع أو ممكور بي. وقال غيره: لا أقول ولم أشعر بها لأنه لا يتهيأ لها أن تدبّ إلا بقوتي وأنا محركها) [٢].

هذا ومثله أكثر من أن يحصى، وتأتي حكايات المتصوفة المتضمنة إخبارهم بالغيب، وإحاطتهم بجميع علوم الكون وأحواله، وإطلاعهم على ما كان وما يكون في محله[٣].



(١) ختم الولاية للحكيم الترمذي ص ٣٦٢.
(٢) الإنسان الكامل للجيلي ص١٢٢.
(٣) نقلنا بعض فقرات هذا المطلب من كتاب التصوف المنشأ والمصدر للشيخ الدكتور إحسان إلهي ظهير رحمه الله بتصرف.

المطلب الثاني عشر

الصلة بين الصوفية والشيعة الإمامية في عقيدة الولاية والتقية وغيرها من العقائد البدعية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن الزندقة الصوفية في هدم الأصول الإسلامية بفلسفة الفناء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وعلمنا أن التصوف في أول ظهوره كان مبنيا على الغلو في العبادة، وأن النبي ﷺ لم يسمح بمسلك الغلو وأمر بالاعتدال الذي يراعي الضروريات ويمنع الانحرافات البدعية، ثم تحدثنا عن انتقال التصوف من الغلو في الزهد إلى الفناء عن شهود السِّوى، ونقد ابن تيمية للفناء الحلولي، وأن التصوف انتقل من الفناء عن شهود السِّوى إلى الحلول والاتحاد والزندقة التي تهدم الكتاب والسنة.

ثم تناولنا الحديث عن التصوف وانتقاله فلسفة وحدة الوجود، وبينا أسلوب ابن عربي في الترويج لذلك، وأثر هذا الفكر الفلسفي الصوفي في العبث بأصول الدين، وادعاء الصوفية أن الولي المحقق يعرج إلى السماء كما يشاء، وأنهم يكلمون ربهم عند التجلي في عين الجمع، وأن الطريقة الرفاعية تدعي أن شيخ الطريقة يكلم الله بلا واسطة، وكذلك زعم الصوفية أن أولياءهم يعلمون الغيب ويعلمون ما كان وما يكون، وأن منهم من يزعم لا يزال عاكفا على اللوح أو يشهده تارة تارة.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن التقاء الصوفية والشيعية الإمامية في عقيدة الولاية والتقية وغيرها من العقائد البدعية.

- **الإيمان بنزول الوحي على الأئمة والأولياء بين الشيعة والصوفية.**

إذا نظرنا إلى الفكر الفلسفي الصوفي ومعتقدات الصوفية الخاصة لرأينا الصلة الوثيقة بين التصوف والتشيع، بل ترى الأصول المستترة والظاهرة في كلام الصوفية، ويسهل التعرف على منبعه، ومصدره ومأخذه، فعقائد الشيعة الاثني عشرية في أئمتهم مبنية على أن جبريل عليه السلام ينزل عليهم الوحي، ويكلمهم الله من وراء حجاب، ويناجيهم من دون حجاب، وأن النبوة لم تنقطع، ولم تختم بمحمد ﷺ، وأن الولاية أعظم وأفضل من النبوة والرسالة، وعلمهم بدون واسطة فصاروا يعلمون علم ما كان وما يكون، وفضلهم على الخلائق من الأنبياء والرسل، والنصوص والروايات في هذا الخصوص جاوزت المئات، وعليها أسست وبنيت الديانة الشيعية نتيجة مؤامرة ابن سبأ اليهودية للقضاء على الأمة الإسلامية ودعوة خاتم النبيين[1].

وإذا رجعنا بتأمل إلى آراء الصوفية وأفكارهم ومعتقداتهم وكتبهم ورسائلهم ورواياتهم ومقولاتهم وتصريحاتهم وعباراتهم نجد معظم هذه الأفكار وطابعها واضحا جليا، بل إنها عين هذه الترهات والخزعبلات، مبثوثة منشورة في كتب الأولين منهم والآخرين. قال الصوفي الكبير عبد القادر الحلبي المعروف بابن قضيب البان: (كل ما خصّت به

---

(١) انظر في مفردات هذا المطلب كتاب التصوف المنشأ والمصادر للشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله تعالى ص ١٦٤ وما بعدها بتصرف مناسب لطلبة العلم.

الأنبياء، خصّت به الأولياء) [(١)].

وما هي اختصاصات الأنبياء غير الوحي، ونزول الملائكة، وكلام الربّ معهم، وإخبارهم عن الغيب، وكونهم معصومين عن الخطأ والزلل في تبليغ رسالات الله، التي يريد ابن البان إشراك غيرهم معهم من الصوفية؟ وهل لسائل أن يسأل: أوَبعد مشاركة الغير يبقى الاختصاص اختصاصا؟

يقول ابن عربي الشيخ الأكبر للصوفية رادّا على الغزالي: (إن الغزالي غلط في التفريق بين نزول الملك على النبي والوليّ، مع أن النبي والوليّ كلاهما ينزل عليه الملك) [(٢)].

وقال الشعراني أيضا: (فإن قلت: قد ذكر الغزالي في بعض كتبه: إن الفرق بين تنزّل الوحي على قلب الأنبياء وتنزله على قلوب الأولياء نزول الملك، فإن الوليّ يلهم، ولا ينزل عليه ملك قط، والنبي لا بد له في الوحي من نزول الملك به، فهل هذا صحيح؟ فالجواب كما قاله الشيخ ابن عربي في الباب الرابع والستين وثلاثمائة: أن ذلك غلط.. قال الشيخ: وسبب غلط الغزالي وغيره في منع تنزل الملك على الوليّ عدم الذوق، وظنهم أنهم قد علموا بسلوكهم جميع المقامات، فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم يروا ملك الإلهام نزل عليهم أنكروه، وقالوا: ذلك خاص بالأنبياء، فذوقهم صحيح وحكمهم باطل، مع أن هؤلاء الذين منعوا قائلون بأن زيادة الثقة مقبولة، وأهل الله كلهم ثقات. قال: ولو أن أبا

(١) المواقف الإلهية لابن قضيب البان المتوفى ١٠٤٠هـ ص١٦٠، ملحق بكتاب الإنسان الكامل لعبد الرحمن البدوي طبعة وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٦م.

(٢) الإبريز لعبد العزيز الدباغ ص١٥١ طبعة مصر.

حامد وغيره اجتمعوا في زمانهم بكامل من أهل الله، وأخبرهم بتنزل الملك على الوليّ لقبلوا ذلك ولم ينكروه، قال: وقد نزل علينا ملك فلله الحمد) [١].

ولا ندري كيف يرد على الغزالي وهو القائل: (ومن أول الطريق تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يرتقي الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق) [٢].

وقال نجم الدين الكبري المتوفى سنة ٦١٨هـ بأن الملائكة تنزل على الصوفية[٣]. وبمثل ذلك قال الدباغ في عبارة أكثر وضوحا من هذه العبارات: (وأما ما ذكروه في الفرق بين النبي والوليّ من نزول الملك وعدمه فليس بصحيح، لأن المفتوح عليه سواء كان وليا أو نبيا لا بد له أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه، ويخاطبهم ويخاطبونه، وكل من قال: إن الوليّ لا يشاهد الملك ولا يكلمه فذاك دليل على أنه غير مفتوح عليه) [٤].

ونقل الشعراني عن الشيخ عبد الغفار القوصي أنه قال في كتابه المسمّى بالوحيد: (إنّ الشيخ تاج الدين بن شعبان كان إذا سأله إنسان

(١) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشعراني ٢/٨٥.
(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ص١٢٧.
(٣) انظر فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبري ص١٠.
(٤) الإبريز للدباغ ص١٥١.

في حاجة يقول له: اصبر حتى يجيء جبريل) [١].

وعند الصوفية ينزل الملك على الولي بالأمر والنهي كما نص على ذلك الدباغ بقوله: (ينزل الملك على الوليّ بالأمر والنهي) [٢].

وأولياء الصوفية يسمعون كلام الله أيضا فيقول السهروردي: (فإذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمدا، وشهوده مؤبدا، وسماعه متواليا متجددا يسمع كلام الله تعالى) [٣]. ويقول أيضا: (يتلقاهم ملائكة الله مشرقين، يحيونهم بتحايا الملكوت، ويصبون عليهم ماء النبع من ينبوع البهاء. ويقومون في هياكل القربات، يناجون مع أصحاب حجرات العزة ويسمعون صوتا كصوت رعد أو دويّ في الدماغ) [٤].

ويقول السهروردي عن الأولياء ويسميهم إخوان التجريد: (يتعلمون العلم من روح القدس بلا تعلم بشرى، وتطيعهم مادة العالم العنصري، وينذرون الكون ويخبرونه بالجزئيات الواقعة في الماضي والمستقبل) [٥].

ويقول الحكيم الترمذي في قضية مكالمة الله مع الوليّ: (الولاية لمن ولى الله حديثه على طريق أخرى فأوصله إليه، فله الحديث، وينفصل ذلك الحديث من الله ﷻ على لسان الحق، معه السكينة تتلقاه السكينة

---

(١) الأخلاق المتبولية للشعراني ٤٥٤/١ مطبعة حسان القاهرة.

(٢) الإبريز للدباغ ص١٥١.

(٣) عوارف المعارف للسهروردي ص٢٧.

(٤) حكمة الإشراق لشهاب الدين السهروردي ص٢٤٢، نقلا عن ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص٤٦٦.

(٥) كتاب اللمحات لشهاب الدين السهروردي، المورد السادس ص١٧٢.

التي في قلب المحدّث، فيقلبه ويسكن إليه) [١].

- **سلاسل العهد في ترتيب مشايخ الطرق الصوفية سلاسل شيعية.**

لقد تأثر التصوف بالتشيع وعلمائه، فسلاسل التصوف كلها ما عدا النادر القليل منها تنتهي إلى علي بن أبي طالب ﷺ دون سائر أصحاب رسول الله ﷺ، وفي طرق إسنادها إلى أسماء أئمة الشيعة المعصومين حسب زعمهم من أولاد علي ﷺ دون غيرهم، وأن رؤساء هذه العصابة من الصوفية يذكر لهم اتصال وثيق، وصلات وطيدة مع أئمة القوم كما يذكر في تراجمهم وسيرهم وأحوالهم.

إضافة إلى ذلك أن الخرقة الصوفية لا يبدأ ذكرها أيضا إلا من علي ﷺ أيضا، فإن علي بن أبي طالب ﷺ مع كونه من سادة أصحاب رسول الله ﷺ وأشرافهم، ومن العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الأربعة من الخلفاء الراشدين الذين خلفوا رسول الله ﷺ بعد وفاته لقيادة هذه الأمة وتسيير أمورها، ولكنه لم يكن أزهد من أبي بكر الصديق ﷺ، ولا من عمر الفاروق ﷺ.

وقد أشار إلى ذلك ابن تيمية في رده على الشيعة الذين قالوا: إن عليا كان أزهد أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: (أزهد الناس بعد رسول الله الزهد الشرعي أبو بكر وعمر، وذلك أن أبا بكر كان له مال يكسبه فأنفقه كله في سبيل الله.. ولقد تلا أبا بكر عمرُ في هذا الزهد، وكان فوق علي في ذلك يعني في إعراضه عن المال واللذات. وأما علي ﷺ فتوسع في هذا المال من حله، ومات عن أربع زوجات وتسعة عشر أم

---

(١) ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص٣٤٦ المطبعة الكاثوليكية بيروت.

ولد سوى الخدم، وتوفي عن أربعة وعشرين ولدا من ذكر وأنثى، وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به أغنياء قومهم ومياسيرهم، هذا أمر مشهور لا يقدر على إنكاره من له أقل علم بالأخبار. فصح بالبرهان الضروري أن أبا بكر ﷺ أزهد من جميع الصحابة ﷺ، ثم عمر) [١].

وقد كان في الصحابة ﷺ زهاد آخرون، ولكن الصوفية لم ينهوا سلسلة سندهم إلا إلى علي بن أبي طالب ﷺ مثل الشيعة الذين يجعلونه أول إمام لهم، كما نقل الهجويري عن الجنيد أنه قال: (شيخنا في الأصول والبلاء على المرتضى، أي أن علي بن أبي طالب هو إمام هذه الطريقة في العلم والمعاملة، فأهل الطريقة يطلقون على علم الطريقة اسم الأصول، ويسمون تحمل البلاء فيها بالمعاملات) [٢].

قال أبو نصر السراج الطوسي: (ولأمير المؤمنين علي ﷺ خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله ﷺ بمعاني جليلة، وإشارات لطيفة، وألفاظ مفردة، وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم، وغير ذلك، وخصال شريفة تعلق وتخلق به أهل الحقائق من الصوفية) [٣].

وقال الحسيني المنوفي: (وأما علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فذاك مدينة العلم، وأول آخذ لبيعة الطريق، طريق الأولياء، وأول ملقن بالذكر والسر من الرسول ﷺ)[٤].

ويذكر الحسيني المنوفي أن جبريل ﷺ نزل إلى رسول الله ﷺ أولا

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٧/٤٨٣ نشر مؤسسة قرطبة.

(٢) كشف المحجوب للهجويري ص٢٧٤ طبعة بيروت ١٩٨٠م.

(٣) كتاب اللمع للطوسي ص١٧٩.

(٤) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف للمنوفي الحسيني ١/١٢٢.

بالشريعة، فلما تقررت ظواهر الشريعة واستقرت، نزل إليه بالحقيقة المقصودة، والحكمة المرجوة من أعمال الشريعة وهي الإيمان والإحسان، فخص رسول الله ﷺ بباطن الشريعة بعض أصحابه دون البعض. وكان أول من أظهر علم القوم وتكلم فيه سيدنا علي كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ[(١)].

ويذكر الدباغ أن عليا رضي الله عنه من ممن يعلمون من الله ما لم يعلمه غيره، ولا جبرائيل ولا ميكائيل لأن رسول الله ﷺ لما لقن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وخلع عليه ذلك صار يقول: (عندي من العلم الذي أسرّه إلى رسول الله ﷺ ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل)[(٢)].

وقال الجنيد سيد الطائفة: (رضوان الله على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة، ذاك امرؤ أعطى علم اللدني، والعلم اللدني هو العلم الذي خصّ به الخضر عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ الكهف:٦٥)[(٣)].

ونقل الشعراني عن أحد الصوفية أنه قال: (إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفع كما رفع عيسى عليه السلام، وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام ثم يقول الشعراني: قلت: وبذلك قال سيدي علي الخواص رضي الله عنه فسمعته يقول: إن نوحا عليه السلام أبقى من السفينة لوحا على اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفع عليه إلى السماء فلم يزل محفوظا في صيانة القدرة حتى رفع علي

(١) السابق ١/١٥٩.

(٢) درر الغواص للشعراني ص٧٣ بهامش الإبريز للدباغ طبعة مصر.

(٣) كتاب اللمع للطوسي ص١٧٩.

بن أبي طالب ﷺ)[١].

هذا هو علي بن أبي طالب ﷺ ومكانته، ومنزلته، وشأنه، وإليه تنتسب سلاسل التصوف كلها كما قال محمد معصوم شيرازي الملقب بمعصوم علي شاه: (ولابد لكل سلسلة من سلاسل التصوف من الأزل إلى الأبد، ومن آدم إلى انقراض الدنيا أن تكون متصلة بسيد العالمين وأمير المؤمنين)[٢]. لأنه أزهد الصحابة عند الصوفية[٣].

كما هو عندهم رأس الفتوة وقطبها، ذكر الشعراني أن الشيخ محمد الحنفي قال: (وجدت مقام سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ أعلى من مقام سيدي عبد القادر الكيلاني ﷺ ثم قال: وسبب ذلك أن سيدي عبد القادر سئل يوما عن شيخه؟ فقال : أما فيما مضى فكان شيخي حمادا الدباس، وأما الآن فإني أسقي من بين بحرين بحر النبوة وبحر الفتوة). قال الشعراني: يعني ببحر الفتوة علي بن أبي طالب ﷺ[٤].

ومن ثم فإن أول وليّ عند الصوفية هو علي بن أبي طالب ﷺ، ومنه انتقلت الولاية إلى غيره من الأولياء، كما أنه أول إمام عند الشيعة، وتسلسلت منه فورثها غيره، وكذلك الفتوة والقطبية، وهو الذي ألبس خرقته الحسن البصري، وهذه الخرقة التي يلبسها الصوفية خلفاءهم وورثتهم[٥].

---

(١) طبقات الشعراني ١/٣٤٣.

(٢) انظر طرائق الحقائق لمعصوم علي شاه ١/٢٥١ طبعة طهران ١٣٣٩هـ.

(٣) انظر قوت القلوب لأبي طالب المكي ١/٤٤٣ نشر دار الكتب العلمية.

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٤٠٩.

(٥) عوارف المعارف للسهروردي ص٩٨، والأنوار القدسية للشعراني ص٤٩.

• **ابن خلدون يقرر انتقال فكرة الإمامة من الشيعة إلى الصوفية.**

قال ابن خلدون في مقدمته عند ذكر الصوفية: (ثم إن هؤلاء المتأخرين من الصوفية المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس، توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه، وملئوا الصحف منه، مثل الهروي، في كتاب المقامات له وغيره، وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما، ثم ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة، مذهبا لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام الصوفية القول بالقطب، ومعناه رأس العارفين، يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله، ثم يورث مقامه الآخر من أهل العرفان.

وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب الإشارات في فصول التصوف منها، فقال: جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد، أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد. وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي، وإنما هو من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الرافضة في توارث الأئمة عندهم، فانظر كيف سرقت طباع هؤلاء القوم هذا الرأي من الرافضة ودانوا به، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب، كما قاله الشيعة في النقباء، حتى إنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف، ليجعلوه أصلا لطريقتهم ونحلتهم، رفعوه إلى علي ﷺ، وهو من هذا المعنى أيضا، وإلا فعلي ﷺ لم يختص من بين الصحابة بنحلة ولا طريقة في لباس ولا حال، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، أزهد

الناس بعد رسول الله ﷺ وأكثرهم عبادة، ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه على الخصوص، بل كان الصحابة ﷺ كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة، تشهد بذلك سيرهم وأخبارهم.

نعم إن الشيعة يخيلون بما ينقلون من ذلك اختصاص علي بالفضائل دون من سواه من الصحابة ذهابا مع عقائد التشيع المعروفة لهم، والذي يظهر أن الصوفية بالعراق، لما ظهرت الإسماعيلية من الشيعة، وظهر كلامهم في الإمامة وما يرجع إليها ما هو معروف، فاقتبسوا من ذلك الموازنة بين الظاهر والباطن، وجعلوا الإمامة لسياسة الخلق في الانقياد إلى الشرع، وأفردوه بذلك أن لا يقع اختلاف كما تقرر في الشرع، ثم جعلوا القطب لتعليم المعرفة بالله لأنه رأس العارفين، وأفردوه بذلك تشبيها بالإمام في الظاهر، وأن يكون على وزانه في الباطن وسموه قطبا لمدار المعرفة عليه، وجعلوا الأبدال كالنقباء مبالغة في التشبيه) [(١)].

وهذا إضافة إلى أن هذه الخرقة ونسبتها إلى عليّ، ورواية لبس الحسن البصري لها كلها باطلة، لا أصل لها، لأنه لم يثبت لقاء الحسن مع علي بن أبي طالب ﷺ على القول الصحيح، ولأن عليا ﷺ انتقل من المدينة إلى الكوفة والحسن كان صغيرا، وعلى كل فإن الصوفية ينهون سند لبس الخرقة إلى علي بن أبي طالب ﷺ، كما ينهون إليه سلاسلهم.

ولا يقتصرون على عليّ بن أبي طالب وحده، بل يقولون مثل ما يقوله الشيعة تماما، فسيد الفتيان بعد النبوة والرسالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث أسلم صبيا، وجاهد في سبيل الله مراهقا، وبوأه الله

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٤٧٣ نشر دار القلم بيروت ١٩٨٤م.

قطبانية الأولياء رجلا وكهلا، وعنه أخذ الفتوة ابناه الحسن والحسين.

ويذكر أبو الفيض المنوفي أنه من دلائل فتوة الحسن ﷺ عندهم أن آثر الخلافة الباطنة على الخلافة الظاهرة، وتنازل عن الظاهرة حقنا لدماء المسلمين، ومن دلائل فتوة الحسين أنه الشهيد الأعظم في سبيل الله وفي سبيل الأمانة، ومن الخصائص التي خصّ الله تعالى بها عليا كرم الله وجهه أنه إذا كان الرسول ﷺ مدينة العلم فعليّ بابها، وإن كان للفروسية أو الولاية فتيان فهو فتاها الأول، فعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه أول فتيان هذه الأمة وفتى أوليائها، وحسبه في ذلك أن أراد افتداء الرسول بنفسه [(١)].

ويقول أيضا: (إن علي بن أبي طالب أخذ البيعة الخاصة بطريق الله عن رسول الله ﷺ، ولقن بها ابنه الحسن، ثم الحسين) [(٢)].

وكان الصوفي المشهور أبو العباس المرسي تلميذ الشاذلي يقول: (طريقنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة، بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ وهو أول الأقطاب) [(٣)].

وقال المنوفي: (وكان من أوائل أهل طريق الله بعد الصحابة علي بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر بن محمد الصادق، وذلك بعد علي والحسن والحسين ﷺ جميعا) [(٤)].

وقال الكلاباذي: (ممن نطق بعلومهم، وعبر عن مواجيدهم، ونشر

---

(١) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي ١/ ٨٩.

(٢) السابق ص٨٩.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٣٠٣.

(٤) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي ١/ ١٦٣.

مقاماتهم، ووصف أحوالهم قولا وفعلا بعد الصحابة رضوان الله عليهم: علي بن الحسين زين العابدين. وابنه محمد الباقر. وابنه جعفر بن محمد الصادق ﷺ) [(١)].

• الصوفية يشاركون الشيعة الاثنى عشرية في عقيدة المهداوية والغيبة.

يرتب الصوفية أئمتهم بنفس ترتيب الشيعة لأئمتهم حيث يعدّون الإمام الأول والثاني والثالث علي وابنه الحسن والحسين، والرابع والخامس والسادس زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر بن محمد الباقر. ثم الإمام السابع والثامن عندهم: موسى بن جعفر الملقب بالكاظم، وعلي بن موسى الكاظم الملقب بالرضا، من الأئمة الاثنى عشر.

وها هو الشعراني أيضا يعدهم أئمة، واثني عشر أيضا عندما يذكر من بين الصوفية وأولياء الله موسى بن جعفر، فيقول: (ومنهم موسى الكاظم ﷺ أحد الأئمة الاثنى عشر، وهو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وكان يكنّى بالعبد الصالح لكثرة عبادته واجتهاده وقيامه بالليل، وكان إذا بلغه عن أحد يؤذيه يبعث إليه بالمال) [(٢)].

ومن الطرائف أن ذكر الثمانية هؤلاء من أئمة الشيعة الاثنى عشر بالتسلسل الشيعي في كتب الصوفية كثير، مثل ما يذكرون عن أحمد الرفاعي الكبير أنه أخذ العهد والطريق من يد خاله شيخ الشيوخ صاحب الفتح الصمداني سيدنا منصور البطائحي الرباني، وهو لبسها

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص٣٦.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٥٧.

من خاله سيدنا الشيخ أبي المنصور الطيب، وهو لبسها من ابن عمه الشيخ أبي سعيد يحيى البخاري الأنصاري، وهو لبسها من الشيخ أبي الترمذي، وهو لبسها من الشيخ أبي القاسم السندوسي الكبير، وهو لبسها من الشيخ أبي محمد رويم البغدادي، وهو لبسها من خاله الشيخ سري السقطي، وهو لبسها من الشيخ معروف الكرخي، وهو لبسها من إمام الزمان وحجة أهل العرفان الإمام ابن الإمام علي الرضي، وهو لبسها من أبيه نور حدقة العناية والإمامة ونور حديقة الولاية والكرامة، ملجأ الأولياء الأعاظم أبي الحسن موسى الكاظم، وهو لبسها من أبيه صاحب القدم السابق الإمام جعفر الصادق، وهو لبسها من أبيه صاحب السر الطاهر الإمام محمد الباقر، وهو لبسها من أبيه كهف المحتاجين وإمام الأفراد أبي محمد الإمام زين العابدين علي السجاد، وهو لبسها من أبيه أحد سبطي رسول الله شهيد كربلاء الإمام الحسين أبي عبد الله، وهو لبسها من أبيه إمام الأئمة، ومجن هذه الأمة صاحب القدر العظيم والشرف الجلي أمير المؤمنين الإمام أبي الحسن علي رضي الله عنه وعنهم أجمعين [1].

ومن الغرائب أن الصوفية يعتقدون أن الحسن العسكري له ابن مخفي كالشيعة الاثنى عشرية، مع اتفاق أهل السنة والمؤرخين، وشهادة الشيعة ونقيب الأشراف وأخوه العسكري وأمه بأنه لم يولد له ولد، وأثبت رواية فيه وأقوم حجة ما رواه الكليني بنفسه، والآخرين من مؤرخي الشيعة وأعلامهم أن الحسن العسكري لما دفن أخذ السلطان والناس في طلب ولده، وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقفوا عن قسمة ميراثه،

(١) قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر لمحمد الرفاعي ص٣٧٥.

ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهم عليها الحمل ملازمين حتى تبيّن بطلان الحمل، فلما بطل الحمل قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، وادعت أمه وصيته، وثبت ذلك عند القاضي[١].

وقد ذكر هذا الخبر جميع مؤرخي الشيعة ومؤلفيهم ومحدثيهم من المفيد في الإرشاد، والطبرسي في إعلام الورى، والأربلي في كشف الغمة، والملا باقر المجلسي في جلاء العيون، وصاحب الفصول في الفصول المهمة، والعباس القمي في منتهى الآمال، وقال النوبختي الشيعي المشهور: (إن الحسن العسكري توفى ولم يوّله أثر، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ميراثه أخوه جعفر وأمه) [٢].

لكن الصوفية يقولون أنه وُلد للحسن العسكري وَلَد، وهو الذي سيخرج مهديا، كعقيدة الشيعة تماما بدون أدنى تغيير. قال عبد الوهاب الشعراني: (فهناك يترقب خروج المهدي عليه السلام، وهو من أولاد حسن العسكري، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام، فيكون عمره إلى وقتنا هذا، وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ٩٥٨هـ، سبعمائة سنة وست سنين ٧٠٦هـ، هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الرئيس المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة على الإمام المهدي حين اجتمع به، ووافقه على ذلك شيخنا سيدي علي الخواص رحمهما الله تعالى. وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات يقول: وأعلموا أنه لابد من

---

(١) كتاب الحجة الكافي ص٥٠٥ طبعة طهران.

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص١١٨، طبعة كربلاء العراق.

خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا، ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد طوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة جدة الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده حسن العسكري بن الإمام النقي بالنون، ابن محمد التقي بالتاء، ابن الإمام على الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين علي بن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[1].

وكذلك الرفاعيون، حيث يعدّون الرفاعي الإمام الثالث عشر بعد الثاني عشر الموهوم الذي لم يولد[2].

هذه هي عقائد الصوفية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأئمة الشيعة من أولاده، فإليهم ينتسبون، وبمسلكهم يسلكون، وبخرافاتهم يتمسكون، وهذا وحده كاف لبيان تأثير التشيع في التصوف.

- **الصوفية من ضلالاتهم أنهم يجعلون مقام الولاية كمقام النبوة أو يزيد.**

لقد جعل الصوفية لأنفسهم مقاما ساميا، وهو تسويهم بين الولاية والنبوة، بل وتفضيلهم الولاية على النبوة والرسالة، وتفضيلهم الأولياء على أنبياء الله ورسله، شأنهم شأن الشيعة في غلوهم وجعلهم الأئمة في منزلة النبوة.

قال لسان الدين ابن الخطيب: (الولاية أن يتولى الله الواصل على

---

(١) انظر اليواقيت والجواهر لعبد الوهاب الشعراني ٢/١٤٣.

(٢) انظر المجالس الرفاعية المقدمة للسيد خاشع الراوي الرفاعي ص٦.

حضرة قدسه بكثير مما تولى به النبي من حفظ وتوفيق وتمكين واستخلاف وتصريف، فالولي يساوي النبي في أمور، منها العلم من غير طريق العلم الكسبي، والفعل بمجرد الهمة، فيما لم تجر به العادة أن يفعل إلا بالجوارح والجسوم مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم.

كان الفضيل بن عياض على جبل من جبال منى، فقال: لو أن وليا من أولياء الله أمر هذا الجبل أن يميد لماد، فتحرك الجبل، فقال: اسكن، لم أردك بهذا، فسكن الجبل. ويفعل بالهمة في عالم الخيال وفي الحس، فإنه يسمع ويرى ما لا يُرى ولا يُسمع وهو بين الناس.

ويفارق الولي النبي في المخاطبة الإلهية والمعارج، فإنهما يجتمعان في الأصول وهي المقامات إلا أن النبي يعرج بالنور الأصلي، والولي يعرج بما يفيض من ذلك النور الأصلي، وإن جمعهما مقام اختلفا بالوحدة في كل مقام من فناء وبقاء، وجمع وفرق.

والولي يأخذ المواهب بواسطة روحانية نبيه، ومن مقامه يشهد إلا ما كان من الأولياء المحمديين، فإنه لما كان نبيهم صلوات الله وسلامه عليه جامعا لمقامات الأنبياء، أورثهم الله مقامات الأنبياء، وأوصل إليهم أنوارهم من نور نبيهم الوارث وبوساطته، فإنه هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم في عالم الأرواح، ثم شاركت الأولياء الأنبياء في الأخذ عنه، وإليه الإشارة بقوله: أولياء أمتي أنبياء من دونهم، فقد يرث ولي من الأولياء آدم، أو إدريس، أو إسحاق، أو إسماعيل، أو يوسف، أو موسى، أو عيسى، لكن لا يتوصل إلى نوره ولا حاله إلا من محمد صلوات الله وعليهم وسلامه، إلا القطب وحده، فإنه على قلب

محمد ﷺ، ولمثل هذا المقام الكريم فليعمل العاملون) (١).

وقال الكمشخاوي: (إن الأولياء لهم أربعة مقامات: الأول مقام خلافة النبوة، والثاني مقام خلافة الرسالة، والثالث مقام خلافة أولي العزم، والرابع خلافة مقام أولي الاصطفاء، فمقام خلافة النبوة للعلماء، ومقام خلافة الرسالة للأبدال، ومقام خلافة أولي العزم للأوتاد، ومقام خلافة الاصطفاء للأقطاب، فمن الأولياء من يقوم في عالم مقام الأنبياء، ومنهم من يقوم في عالم مقام الرسل، ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي العزم، ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي الاصطفاء) (٢).

وقال ظهير الدين القادري: (الولاية ظل النبوة، والنبوة ظل الإلهية، فالأنبياء عليهم السلام مصادر الحق، والأولياء مظاهر الصدق، والأولياء خصوا بإشارات نبوية، وإطلاعات حقيقة، وأرواح نورية، وأسرار قدسية، وأنفاس روحانية، ومشاهدات أزلية) (٣). وقال آخر بوضوح أكثر: (ما قيل في النبي يقال في الوليّ) (٤).

ولم يقتصر القوم على مثل هذه السخافات والأباطيل، بل زادوا في غلوائهم حيث فضلوا الولاية على النبوة والرسالة، والأولياء على الأنبياء والمرسلين، فقالوا: (خضنا بحورا وقفت الأنبياء بسواحلها) (٥).

---

(١) روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين بن الخطيب ص٥١٩.

(٢) جامع الأصول في الأولياء للكمشخاوي ص٥.

(٣) الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين لأبي الظفر القادري ص٥٢.

(٤) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص٢٦٤.

(٥) الإبريز للدباغ ص٢٧٦، وجمهرة الأولياء للمنوفي ١/٢٦٦، والفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص٢٦١، والإنسان الكامل للجيلي ١/١٢٤.

وقال الجيلي: (معاشر الأنبياء، أوتيتم اللقب، وأوتينا ما لم تؤتوه) [1].

وقال البسطامي: (تالله أن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ، لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس، كلهم من النبيين) [2].

وهذا ما صرّح به الشعراني وغيره فقالوا: (مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الوليّ) [3]. ويعني أن مقام النبوة يعطي للأخذ عن الله بواسطة وحي الله، ومقام الرسالة يعطي تبليغ ما أمره الله به للعباد، ومقام الولاية الخاصة يعطي الأخذ عن الله بالله من الوجه الخاص.

- **ابن عربي يجعل الولي أفضل من النبي لأن الولاية هي الدائرة الكبرى.**

قال ابن عربي: (إن الولاية هي المحيطة العامة وهي الدائرة الكبرى، فمن حكمها أن يتولى الله من شاء من عباده بالنبوة وهي من أحكام الولاية، وقد يتولاه بالرسالة وهي من أحكام الولاية أيضا، فكل رسول لابد أن يكون نبيا، وكل نبيّ لابد أن يكون وليا، فكل رسول لابد أن يكون وليا، فالرسالة بخصوص مقام في الولاية، والرسالة في الملائكة دنيا وآخرة، لأنهم سفراء الحق لبعضهم.. والرسالة في البشر لا تكون إلا في الدنيا وينقطع حكمها في الآخرة، وكذلك تنقطع في الآخرة بعد دخول الجنة والنار نبوة التشريع لا نبوة العامة، وأصل الرسالة في الأسماء الإلهية، وحقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع، فهي حال لا مقام، ولا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ، وهي تتجدد بخلاف الولاية فإنها لا تنقطع أبدا، ولا تحدّ، لا بالزمان ولا بالمكان، ولها

---

(١) الإنسان الكامل للجيلي ١/١٢٤.

(٢) لطائف المنن والأخلاق للشعراني ١/١٢٥ طبعة القاهرة.

(٣) انظر الطبقات للشعراني ١/٣٧٧.

الإنباء العام)[١].

وقال ابن عربي: (والله لم يتسمّ بنبي ولا برسول، وتسمّى بالوليّ، واتصف بهذا الاسم، فقال: الله ولي الذين آمنوا، وقال: هو الوليّ الحميد، وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة)[٢].

وذكر ابن عربي أن الولي يعلم علمين: علم الشريعة، وعلم الحقيقة، أي الظاهر والباطن، والتنزيل والتأويل، حيث أن الرسول من حيث هو رسول ليس له علم إلا بالظاهر والتنزيل والشريعة، فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو وليّ عارف، ولهذا مقامه من حيث هو عارف أتمّ وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع[٣].

ويذكر أيضا أن النبي والرسول يستمدّ بالعلم والمعرفة من الملك الذي يبلغه الوحي الإلهي بواسطته، ولا يمكنه الأخذ من الله مباشرة، والوليّ يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك الذي يؤدي بدوره إلى الأنبياء والرسل، فمرجع الرسول والنبي المشرع إلى الولاية والعلم[٤].

ولا ندري كيف يدافع من يدافع عن ابن عربي بأنه لا يفضل الولي على النبي بعد هذه التصريحات كلها؟ ولذلك ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية في رسائله بشدّة عليه، وعلى من نهج منهجه وسلك مسلكه في رسائله وكتبه، ونسب كلامه إلى الكفر الذي تكاد السموات يتفطرن

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ٢/٢٥٣.
(٢) فصوص الحكم لابن عربي ١/١٣٥ طبعة دار الكتاب العربي بيروت.
(٣) السابق ص١٣٥ فصّ حكمة قدرية في كلمة عزيرية.
(٤) السابق ص١٣٥.

منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا [(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذا لفظ خاتم الأولياء لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي، وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء كابن حمويه وابن عربي وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها، وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي ﷺ من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعا في رياسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء، وقد غلطوا، فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك، وليس كذلك خاتم الأولياء، فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ﷺ، ثم عمر ﷺ ثم عثمان ﷺ، ثم علي ﷺ، وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون في الناس، وليس ذلك بخير الأولياء ولا أفضلهم، بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق ﷺ تعالى عنه، ثم عمر: اللذان ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما) [(٢)].

وقال داود القيصري: (فالنبوة دائرة تامة مشتملة على دوائر متباينة متفاوتة في الحيطة، وقد علمت أن الظاهر لا يأخذ التأييد والقوة والتصرف والعلوم وجميع ما يفيض من الحق تعالى عليه إلا بالباطن، وهو مقام الولاية المأخوذ من الولي وهو القرب، والوليّ بمعنى الحبيب

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢/١٩٨، ٢/٢٠٩.

(٢) السابق ١١/٤٤٤.

أيضا، فباطن النبوة الولاية، وهي تنقسم بالعامة والخاصة، فالأولى تشتمل على كل من آمن بالله وعمل صالحا، على حسب مراتبهم كما قال الله تعالى: الله وليّ الذين آمنوا. والثانية تشتمل على الواصلين من السالكين فقط عند فنائهم فيه، وبقائهم به في الولاية الخاصة، عبارة عن فناء العبد في الحق، فالوليّ هو الفاني فيه الباقي به، وهذا الفناء موجب لأن يتعين العبد بتعيّنات حقانية وصفات ربانية مرة أخرى، وهو البقاء بالحق، فلا يرتفع التعين منه مطلقا، وهذا المقام دائرة أتمّ وأكبر من دائرة النبوة، لذلك اختتمت النبوة، والولاية دائمة، وجعل الوليّ اسما من أسماء الله تعالى دون النبي)[1].

هذه عقيدة الصوفية في الأولياء والولاية وهي عين تلك العقيدة الشيعية الشنيعة في أئمتهم، وهي تتضمن تفضيل الأولياء على أنبياء الله ورسله، والبعض الآخر كتموها عملا بالتقية التي لم يأخذوها أيضا إلا من الشيعة، فإن الوليّ عندهم فوق الرسول والنبي، ودون الله قليلا، وأحيانا يحذفون هذا الفرق البسيط أيضا بينه وبين الله، ويجعلونه ذات الله وعينه، وعلى ذلك قالوا: لو كشف عن حقيقة الوليّ لعبد[2].

- **النبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي مستمرة ولا تنقطع.**

قال ابن عربي شيخ الصوفية الأكبر: (ويجمع النبوة كلها أم الكتاب، ومفتاحها بسم الله الرحمن الرحيم. فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق، وإن كان التشريع قد انقطع، فالتشريع جزء من أجزاء النبوة، فإنه يستحيل أن ينقطع خبر الله وأخباره من العالم، إذ لو انقطع لم يبق للعالم

(١) ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص٤٩١.

(٢) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ١/٢٣٥.

غذاء يتغذى به في بقاء وجوده، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾الكهف:١٠٩ وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾لقمان:٢٧ وقد أخبر الله أنه ما من شيء يريد إيجاده إلا يقول له: كن، فهذه كلمات الله لا تنقطع، وهي النداء العام لجميع الموجودات، فهذا جزء واحد من أجزاء النبوة لا ينفد، فأين أنت من باقي الأجزاء التي لها)[١].

وقال ابن عربي: (ويتضمن هذا الباب المسائل التي لا يعلمها إلا الأكابر من عباد الله، الذين هم في زمانهم بمنزلة الأنبياء في زمان النبوة، وهي النبوة العامة، فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله ﷺ إنما هي نبوة التشريع لا مقامها، فلا شرع يكون ناسخا لشرعه ﷺ، ولا يزيد في حكمه شرعا آخر، وهذا معنى قوله ﷺ: إن الرسالة والنبوة انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي، أي لا نبيّ بعدي يكون على شرع يكون مخالفا لشرعي، بل إذا كان يكون تحت حكم شريعتي، فهذا هو الذي انقطع وسدّ بابه، لا مقام النبوة)[٢].

وأما السهروردي المقتول فيقول: (إن اتفق في الوقت متوغل في التأله والبحث فله الرياسة، وإن لم يتفق فالمتوغل في التأله المتوسط في البحث، وإن لم يتفق فالحكيم المتوغل في التأله عديم البحث، وهو خليفة الله، ولا تخلو الأرض من متوغل في التأله أبدا)[٣].

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ٨٩/٢.

(٢) السابق ٦/٢.

(٣) مجموعة في الحكمة المشرقية للسهروردي ص٢٣.

وهذه عقيدة أخرى منافية للإسلام ومخالفة له، ومعارضة لأسسه وقواعده ومناقضة لشرعته وتعاليمه متبطنة لأشد أنواع الكفر، ومتضمنة الارتداد كل الارتداد، مأخوذة من العقيدة الشيعية واليهودية.

• الصوفية يدعون عصمة الأولياء كما زعمت الشيعة لأئمتهم.

العصمة في تبليغ رسالات الله ضرورية للأنبياء والرسل كي لا يقع الخطأ والغلط في أداء أوامر الله ونواهيه، وأحكام الله وإرشاداته، فيدعمون ويسددون بالوحي ونزول الملائكة عليهم، فما ينطقون عن الهوى، ويجب اتباعهم في كل ما يقولونه ويأمرون به، لسلامتهم من الخطأ والزلل، بخلاف غيرهم، فإنه يمكن عليهم الخطأ والنسيان، والزلل والغلط، فلا يؤمن جانبهم من هذه الأمور كلها، غير أن الشيعة الذين جعلوا أئمتهم كالأنبياء أو المشاركين في النبوة والمضاهين لها، اختلقوا لهم هذه المكانة، وادعوا لهم هذه المنزلة، فقالوا: (إن الإمام يجب أن يكون معصوما) [١].

وقال ملا باقر المجلسي: (الشرط الثاني في الإمام أن يكون معصوما، وإجماع الإمامية منعقد على أن الإمام مثل النبي صلى الله عليه وآله معصوم من أول عمره إلى آخر عمره، من جميع الذنوب الصغائر والكبائر والأحاديث المتواترة على هذا المضمون واردة) [٢]. ورووا في هذا الخصوص روايات مكذوبة على النبي ﷺ وعلى عليّ رضي الله عنه وأولاده.

(١) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة لابن المطهر الحلي، ملحق بمنهاج السنة لابن تيمية ص٧١ طبعة باكستان، وانظر كمال الدين وتمام النعمة لابن بابويه القمي ١٠/١ طبعة دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٩٥هـ.

(٢) حق اليقين للمجلسي ص٣٩ طبعة إيران.

وبمثل ذلك قالت الصوفية في كبرائهم وأوليائهم، فيعتقدون في أوليائهم ما يعتقد الشيعة في أئمتهم من تأليههم وجعلهم كالأنبياء، معصومين، ولو أنهم كثيرا ما يتجنبون استعمال هذه اللفظة، ويستبدلونها بالحفظ ولا يقصدون من ورائها إلا العصمة التي يستعملها الشيعة توقيا وتحفظا من طعن الطاعنين واعتراض المعترضين.

قال ابن عربي: (إن من شرط الإمام الباطن، يعني الولي، أن يكون معصوما) [١]. وبمثل ذلك قال أبو الحسن الشاذلي: (إن من خواص القطب إمداد الله له بالرحمة والعصمة والخلافة والنيابة) [٢].

وقال أبو بكر الواسطي (ت: ٣٢٠هـ): (الناس على ثلاث طبقات، الطبقة الأولى منّ الله عليهم بأنوار الهداية، فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق، والطبقة الثانية منّ الله عليهم بأنوار العناية فهم معصومون من الصغائر والكبائر، والطبقة الثالثة منّ الله عليهم بالكفاية فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة وحركات أهل الفضيلة) [٣].

ويزيل السهروردي عبد القاهر في عوارفه بعض الحجب عن ذلك فيقول: (الشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي، فكما لا يخون جبريل في الوحي لا يخون الشيخ في الإلهام، وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتد برسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا، لا يتكلم بهوى النفس) [٤].

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ٣/١٣٦.
(٢) كتاب القصد للشاذلي ص٤١٧.
(٣) غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية ١/١٦٠.
(٤) عوارف المعارف للسهروردي ص٤٠٤.

وتعليل ذلك عندهم أن العارف معدن علم الله، ومرضع أرواح الطالبين بنفسه، وصحف أسرار ربّ العالمين بروحه، والعارف وإن كان بدويا وحشيا فهو معدن العقل والعلم، وهم معصومون لأنهم أطفال في حجر الحق، وأنهم قائمون بالله، قد تولى الله أمرهم، فإذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثوابا، لأنهم لم يرو أنفسهم محلا لها، وإن ظهرت منهم زلة فالدية على العاقلة، لم يشاهدوا غيره في الشدة والرخاء، قيامهم بالله، ونظرهم إليه، وخوفهم هيبته، ورجاؤهم الأنس به [(١)].

ومقولاتهم في كتبهم تؤيد وتدعم أنهم يدّعون أولياءهم ومتصوفيهم معصومين، وأنه لا يجوز الاعتراض على وليّ من أوليائهم أو على أحد من متصوفيهم، ولو كان عمله يعارض الشرع، أو يظهر بصورة منكرة، فيقول الشعراني: (من دخل في صحبة شيخ، ثم اعترض عليه بعد ذلك، فقد نقض عهد الصحبة) [(٢)].

ثم نقل حكايتين خبيثتين تدلان على عقيدة القوم في مشايخهم وكونهم معصومين، فيقول: (كان أبو سهل الصعلوكي رحمه الله يقول: كان لبعض الأشياخ مجلس يفسر فيه القرآن العظيم، فأبدله بمجلس قوال، فقال مريد بقلبه: كيف يبدل مجلس القرآن بمجلس قوال؟ فناداه الشيخ يا فلان، من قال لشيخه: لم، لم يفلح، فقال المريد التوبة.. وزار أبو تراب النخشبي وشقيق البلخي أبا يزيد البسطامي، فلما قدّم خادمه السفرة قلا له: كل معنا يا فتى، فقال: لا، إني صائم. فقال له أبو

---

(١) انظر مناقب العارفين لشمس الدين الأفلاكي ١/٢٨٦، والتعرف للكلاباذي ص١١٠، روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٤٢٣.

(٢) انظر الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية للشعراني ١/١٧٤.

تراب: كل ولك أجر صوم شهر. فقال: لا، فقال له شقيق: كل ولك أجر صوم سنة، فقال: لا، فقال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين رعاية الله ﷻ، فسرق ذلك الشاب بعد سنة، فقطعت يده عقوبة له على سوء أدبه مع الأشياخ، ثم نقل عن الشيخ برهان الدين أنه قال: من لم ير خطأ الشيخ أحسن من صوابه لم ينتفع به) [١].

وبمثل ذلك قال أحمد الدردير: (فالآداب التي تطلب من المريد في حق شيخه أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرا وباطنا، وعدم الاعتراض عليه في أيّ شيء فعله، ولو كان ظاهره أنه الحرام، ويؤول ما أنبهم عليه، وتقديمه على غيره، وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين، فلا يزور وليا من أهل العصر، ولا صالحا إلا بإذنه، ولا يحضر مجلس غيره إلا بإذنه، ولا يسمع من سواه حتى يتمّ سقيه من ماء سرّ شيخه) [٢].

- **الكون كله صورة القطب عند الصوفية الذي يتحكم في كل شيء.**

قال ابن عجيبة في وصف أولياء الصوفية: (هم باب الله الأعظم، ويد الله الآخذة بالداخلين إلى حضرة الله، فمن مدحهم فقد مدح الله، ومن ذمّهم فقد ذمّ الله) [٣].

وقال ابن قضيب البان: (القطب فاروق الوقت، وقاسم الفيض، وإليه مفوّض أزمّة الأمور، وقلب قطب خزانة أرواح الأنبياء، وله بكل وجه وجه، وأرواح الأنبياء خزائن أسرار الحق.. الكون كله صورة

---

(١) السابق ١/١٧٥.

(٢) كتاب سيدي أحمد الدردير للدكتور عبد الحليم محمود ص١١٩.

(٣) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني ص٢٧٢.

القطب.. وهو الباب الذي لا دخول ولا خروج إلا منه.. وفؤاد القطب شمعة نصبت لفراش أرواح العالم، ونطقه شهد حقائق المعارف، الذي فيه شفاء أسرار المقربين، وصلاح مشاهد العارفين، وغذاء أفئدة الواصلين.. ومن نفسه قيام عمود السموات الروحية والأرضين الجسمية، وإرادته المأثرة فيهما، ومن اختياره همم أهل زمانه) [١].

وقال ابن عربي بصراحة ووضوح وبدون إبهام ولا إيهام: (أنا القرآن والسبع المثاني.. وروح الروح لا روح الأواني. فؤادي عند معلومي مقيم.. يشاهده وعندكم لساني) [٢].

والصوفية كالشيعة يعتقدون أن أئمتهم يعرفون جميع الألسن واللغات، وحتى لغات الطيور والوحوش، فمثلا يروي عن جعفر بن الباقر أنه قال: (قال الحسن بن علي ﷺ: إن لله مدينتين، إحداهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب، عليهما سوران من حديد، وعلى كل مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبه، وأنا أعرف جميع اللغات، وما فيهما، وما بينهما، وما عليهما حجة غيري) [٣].

ومثل ذلك ذكر الصوفية في كتبهم عن أوليائهم ومشائخهم، فيقول الشعراني في طبقاته عن إبراهيم الدسوقي: (وكان ﷺ يتكلم بالعجمي والسرياني والعبراني والزنجي وسائر لغات الطيور والوحوش) [٤].

---

(١) المواقف الإلهية لابن قضيب البان ص١٩٠.

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي ١/٤٣.

(٣) انظر بصائر الدرجات الكبرى للصفار ٧/٣٥٩.

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٢٣٧.

وقال عماد الدين الأموي: (العارفون يفهمون كلام المخلوقين من الحيوانات والجمادات) [١].

وقال الشعراني: (الولي يعطيه الله تعالى معرفة سائر الألسن الخاصة بالإنس والجن، فلا يخفى عليه فهم كلام أحد منهم) [٢].

وذكر القوم حكايات كثيرة عن متصوفيهم تشتمل على تكلمهم مع السباع والطيور وغيرها، ولكن للطرافة نذكر حكاية واحدة ذكرها الشعراني في طبقاته الكبرى، فيقول: (أقام الشيخ أبو يعزي في بدايته خمس عشرة سنة في البر، لا يأكل إلا من حبّ الشجر في البادية، وكانت الأسود تأوي إليه والطير يعكف عليه، وكان إذا قال للأسود: لا تسكني هنا، تأخذ أشبالها وتخرج بأجمعها. قال الشيخ أبو مدين ﷺ: زرته مرة في الصحراء وحوله الأسود والوحوش والطير تشاوره على أحوالها، وكان الوقت وقت غداء، فكان يقول لذلك الوحش: اذهب إلى مكان كذا وكذا، فهناك قوتك، ويقول للطير مثل ذلك فتنقاد لأمره. ثم قال: يا شعيب، إن هذه الوحوش والطيور أحبت جواري فتحملت ألأم الجوع لأجلي ﷺ)[٣].

- **الأولياء عند الصوفية يتشكلون في صور غيرهم بالحلول والتناسخ.**

قال عبد الكريم الجيلي: (أعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد

---

(١) حياة القلوب لعماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب ٢/٢٧٥.

(٢) الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية للشعراني ٢/١١٥.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٩٦.

منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس، ويظهر في كنائس، فيسمى باعتبار لباس ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان، فقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولست أعلم أنه النبي ﷺ، وكنت أعلم أنه الشيخ، وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة ٧٩٦هـ، وسر هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة، فالأديب إذا رآه في الصور المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه، وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد، فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة، ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية، ألا تراه ﷺ لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه قال الشبلي لتلميذه: أشهد أني رسول الله، وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه، فقال: أشهد أنك رسول الله، وهذا أمر غير منكور، وهو كما يرى النائم فلانا في صورة فلان.

ثم إياك أن تتوهم شيئا في قولي من مذهب التناسخ، حاشا لله وحاشا رسول الله ﷺ أن يكون ذلك مرادي، بل إن رسول الله ﷺ له من التمكين في التصور بكل صورة يتجلى في هذه الصورة، وقد جرت سنته ﷺ أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ليعلي شأنهم ويقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم) (١).

---

(١) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ٢/٧٤.

ويدل أيضا على اعتقاد الصوفية بالتناسخ ما ذكره الدباغ في الإبريز بأن روح الولي تقدر على أن تخرج من ذات الولي وتتصور بصورة غير صورته[(١)]. وأيضا ما ذكره الشعراني عن صوفي أنه ظهر لأعدائه في هيئة أسد عظيم [(٢)]. وكذلك ذكر المنوفي في جمهرته صوفيا كان يظهر في مظهر السباع والفيلة [(٣)].

بل زادوا في غلوائهم وغيّهم وضلالهم، حيث قالوا نقلا عن إبراهيم الدسوقي أنه قال عن نفسه في أبياته: (أنا ذلك القطب المبارك أمره.. فإن مدار الكل من حول ذروتي. أنا شمس إشراق العقول ولم.. أفل ولا غبت إلا عن قلوب عمية. يروني في المرآة وهي صدية.. وليس يروني بالمرآة الصقيلة. وبي قامت الأنباء في كل أمة.. بمختلف الآراء والكل أمتي. ولا جامع إلا ولي فيه منبر.. وفي حضرة المختار فزت ببغيتي. بذاتي تقوم الذات في كل ذروة.. أجدد فيها حلة بعد حلة. فليلى وهند والرباب وزينب.. وعلوى وسلمى بعدها وبثينة. عبارات أسماء بغير حقيقة.. وما لوحوا بالقصد إلا لصورتي. نعم نشأتي في الحب من قبل آدم.. وسرى في الأكوان من قبل نشأتي. أنا كنت في العلياء مع نور أحمد.. على الدرة البيضاء في خلويتي. أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه.. بلطف عنايات وعين حقيقة. أنا كنت مع إدريس لما أتى العلا.. وأسكن الفردوس أنعم بقعة. أنا كنت مع عيسى على المهد ناطقا.. وأعطيت داودا حلاوة نغمة. أنا كنت مع نوح بما شهد الورى.. بحارا وطوفانا

---

(١) انظر الإبريز للدباغ ص ٢٠٤.

(٢) الطبقات للشعراني ١/٢٨٨.

(٣) انظر جمهرة الأولياء للمنوفي الحسيني ٢/٢٦٤.

على كف قدرة. أنا القطب شيخ الوقت في كل حالة.. أنا العبد إبراهيم شيخ الطريقة) [١].

ورووا عن أحد الصوفية البارزين أنه كان يقول: (أنا موسى الكليم في مناجاته، أنا عليّ في حملاته، أنا كل وليّ في الأرض خلقته بيدي، ألبس منهم من شئت، أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيدي أبواب النار إن أغلقتها أغلقها بيدي، وبيدي جنة الفردوس إن فتحتها أفتحها، ومن زارني أدخلته جنة الفردوس) [٢].

وقال فتح الله بوراس في زندقته: (أنا كل ولي في الأرض قد أوليته، أنا كل حكيم من أهل السماء قد علمته. وأيوب من جميع الأمراض قد أشفيه، وبصر يعقوب أنا الذي قد رددته، وابنه يوسف من الجبّ الغريق قد أظهرته، ويونس من بطن الحوت بالعراء قد نبذته، ونوح من بحر الطوفان أنا الذي أنجيته، وفي السماء السابعة شاهدت ربيّ وكلمته، وبيدي باب الجنان قد فتحته ودخلته، وما فيه من الحور العين قد رأيته وأحصيته. ومن رآني ورأى من رآني وحضر مجلسي في جنة عدن وبستانها قد أسكنته) [٣].

- مراتب الصوفية التي وضعوها لطبقات الصوفية ومكانة أحوالهم.

وأما مراتب الصوفية التي وضعوها لبيان طبقات الصوفية ومكانتهم، وقدرتهم واختيارهم على الخلق، وأعدادهم، وهم حسب كلام لسان

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٢٥٨.

(٢) السابق ١/٢٥٥، وانظر أيضا النفحة العلية في أوراد الشاذلية جمع عبد القادر زكي ص٢٥٦ مكتبة المتنبي القاهرة.

(٣) الوصية الكبرى لعبد السلام الفيتوري ص٧٤، طرابلس ليبيا ١٣٩٦هـ.

الدين بن الخطيب: (خواصّ الله في أرضه، ورحمة الله في بلاده على عباده: الأبدال، والأقطاب، والأوتاد، والعرفاء، والنجباء، والنقباء، وسيدهم الغوث) [١].

وقال الهجويري: (أهل الحل والعقد، وقادة حضرة الحق جل جلاله، فثلاثمائة يدعون الأخيار، وأربعون آخرون يسمون الأبدال، وسبعة آخرون يقال لهم: الأبرار، وأربعة يسمون الأوتاد، وثلاثة آخرون يقال لهم: النقباء، وواحد يسمى القطب والغوث. وهؤلاء جميعا يعرفون أحدهم الآخر، ويحتاجون في الأمور لإذن بعضهم البعض) [٢].

وقال الجرجاني: (القطب وهو الغوث: عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان، وهو على قلب إسرائيل عليه السلام. الإمامان: هما شخصان، أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت، والآخر عن يساره، ونظره في الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف الغوث. الأوتاد: عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة. البدلاء: وهم سبعة، ومن سافر من القوم من موضعه وترك جسدا على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام. النجباء: أربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يترفون إلا في حق الغير. النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس،

---

(١) روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين بن الخطيب ص٤٣٢.

(٢) كشف المحجوب للهجويري ترجمة عربية ص٤٤٧ ، ٤٤٨.

وهم ثلاثمائة)[١].

وهذا الترتيب مأخوذ عن ابن عربي في فتوحاته كما قال: (والمجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمهات: أقطاب، وأئمة، وأوتاد، وأبدال، ونقباء، ونجباء)[٢].

وقال داود بن محمود القيصري: (ولهم مراتب. الأولى مرتبة القطبية، ولا يكون فيها أبدا إلا واحد بعد واحد، ويسمى غوثا، لكونه مغيثا للخلق في أحوالهم. ثم مرتبة الإمامين، وهما كالوزيرين للسلطان. أحدهما صاحب اليمين، وهو المتصرف بإذن القطب في عالم الملكوت والغيب، وثانيهما صاحب اليسار، وهو المتصرف في عالم الملك والشهادة. وعند ارتحال القطب إلى الآخرة، لا يقوم مقامه منهما إلا صاحب اليسار، لكونه أكمل في السير من صاحب اليمين: لأنه، بَعْدُ، ما نزل في السير من عالم الملكوت إلى عالم الملك، وصاحب اليسار نزل إليه، وكملت دائرته في السير والوجود.

ثم مرتبة الأربعة، كالأربعة من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين! ثم مرتبة البدلاء السبعة، الحافظين للأقاليم السبعة. وكل منهم قطب للإقليم الخاص به. ثم مراتب الأولياء العشرة، كالعشرة المبشرة. ثم مراتب الاثنى عشر، الحاكمين على البروج الاثنى عشر، وما يتعلق بها ويلزمها من حوادث الأكوان. ثم العشرين والأربعين والتسعة والتسعين، مظاهر الأسماء الحسنى إلى الثلاثمائة والستين. وهؤلاء قائمون في العالم

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٣٠٧ نشر دار الكتاب العربي بيروت١٤٠٥هـ.

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي ٢/٤٣.

على سبيل البدل، في كل زمان، ولا يزيد عددهم ولا ينقص إلى يوم القيامة، وغيرهم من الأولياء يزيدون وينقصون، بحسب ظهور التجلي الإلهي وخفائه.

وبعدهم مرتبة الزهاد والعبّاد والعلماء من المؤمنين، الكائنين في كل زمان إلى يوم الدين. وجميع هؤلاء المذكورين داخلون في حكم القطب، والأفراد الكمّل الذين تعادل مرتبتهم مرتبة القطب إلا في الخلافة، هم الخارجون من حكمه. فإنهم يأخذون من الله سبحانه ما يأخذون من المعاني والأسرار الإلهية بخلاف الداخلون في حكمه، فإنهم لا يأخذون شيئا إلا منه) [1].

هذه المراتب والترتيب والأعداد لم يأخذها الصوفية إلا من الشيعة أيضا، وخاصة من الشيعة الإسماعيلية والنصيرية كما ذكر ابن تيمية فقال: (وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، فهذه الأسماء ليست موجودة في كتاب الله، ولا هي أيضا مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل، إلا لفظ الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال: إن فيهم يعني أهل الشام الأبدال أربعين رجلا، كلما مات رجل أبدله الله مكانه رجلا[2]: ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذه الترتيب.

(١) ختم الأولياء للترمذي الحكيم ص ٤٩٥.

(٢) رواه أحمد في المسند ١/١١٢ (٨٩٦) ، قال شعيب الأرنئوط: إسناده ضعيف لانقطاعه، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني (٢٤٩٨).

وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين، لا يتم الإيمان إلا به، ثم مع هذا يقولون: أنه كان صبيا دخل السرداب من أكثر من أربعمائة وأربعين سنة، ولا يعرف له عين ولا أثر، ولا يدرك له حس ولا خبر. وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم معناها للرافضة من بعض الوجود، بل هذا الترتيب والاعتداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والحدّ وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان) [1].

ذكر أحمد أمين المصري أن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالا وثيقا، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي، وصاغتها صياغة جديدة وسمته قطبا، وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح، وعلى رأس هذه المملكة الروحية القطب، وهو نظير الإمام أو المهدي في التشيع، والقطب هو الذي يدبر الأمر في كل عصر، وهو عماد السماء، ولولاه لوقعت على الأرض، ويلي القطب النجباء [2].

- **نفاق التقية الشيعي وتلون الصوفية في التأويل بين الظاهر والباطن.**

من أهم المبادئ الشيعية وأسسهم ومعتقداتهم الإخفاء والكتمان، وإظهار ما لا يعتقدونه في السر، وإعلان ما يبطنون خلافه، وهذا من أخطر ما يؤمن به الشيعة، ويميزهم بالسوء عن الطوائف المسلمة الأخرى، ويحول بينهم وبين الالتقاء بهم، لأنه لا يعلم ظاهرهم من باطنهم، وكذبهم من صدقهم، كما قال محب الدين الخطيب: (وأول

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/٤٣٣ ، ١١/٤٣٩.

(٢) ضحى الإسلام لأحمد أمين ص٢٤٥ طبعة القاهرة ١٩٥٢م.

موانع التجاوب الصادق بالإخلاص بيننا وبينهم ما يسمونه التقية، فإنها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفاهم والتقارب، وهم لا يريدون ذلك، ولا يرضون به، ولا يعملون له) [(١)].

وقال ابن تيمية: (النفاق والزندقة في الرافضة أكثر منه في سائر الطوائف، بل لا بد لكل منهم من شعبة نفاق، فإن أساس النفاق الذي بني عليه الكذب، وأن يقول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه كما أخبر الله تعالى عن المنافقين: أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. والرافضة تجعل هذا من أصول دينها وتسميه التقية، وتحكي هذا عن أئمة أهل البيت الذين برأهم الله عن ذلك حتى يحكوا ذلك عن جعفر الصادق أنه قال: التقية ديني ودين آبائي، وقد نزّه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك، بل كانوا من أعظم الناس صدقا وتحقيقا للإيمان، وكان دينهم التقوى، لا التقية) [(٢)].

وعلى ذلك قال صدوقهم ابن بابويه القمي: (اعتقادنا في التقية أنها واجبة، لا يجوز رفعها إلى أن يقوم القائم، ومن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة) [(٣)].

والصوفية أخذوا مذهب التقية بكامله عنهم، وزادوا عليهم حيث اتهموا رسول الله بتهمة برّأ الله ساحته عنها بقوله: وما هو على الغيب

---

(١) الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها مذهب الشيعة الاثنى عشرية للسيد محب الدين الخطيب ص٨.

(٢) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/٤٦.

(٣) الاعتقادات لابن بابويه القمي ص ٤٤.

بضنين. فقالوا: (أمر الله نبينا محمدا ﷺ بكتم أشياء مما لا يسعه غيره للحديث المروي عنه ﷺ أنه قال: أوتيت ليلة أسري بي ثلاثة علوم، فعلم أخذ علي في كتمه، وعلم خيّرت في تبليغه، وعلم أمرت بتبليغه، فالعلم الذي أمر بتبليغه هو علم الشرائع، والعلم الذي خيّر في تبليغه هو علم الحقائق، والعلم الذي أخذ عليه في كتمه هو الأسرار الإلهية ولقد أودع الله جميع ذلك في القرآن. فالذي أمر بتبليغه ظاهر. والذي خيّر في تبليغه باطن لقوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ فصلت:٥٣. وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾الحجر:٨٥. وقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ الجاثية:١٣. وقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾الحجر:٢٩. فإن جميع ذلك له وجه يدل على الحقائق، ووجه يتعلق بالشرائع، فهو كالتخير، فمن كان فهمه إلهيا فقد بلغ ذلك.

ومن لم يكن فهمه ذلك الفهم وكان مما لو فوجئ بالحقائق أنكرها، فإنه ما بلغ إليه ذلك لئلا يؤدي ذلك إلى ضلالته وشقاوته. والعلم الذي أخذ عليه في كتمه فإنه مودع في القرآن بطريق التأويل لغموض الكتم، فلا يعلم ذلك إلا من أشرف على نفس العلم أولا، وبطريق الكشف الإلهي، ثم سمع القرآن بعد ذلك، فإنه يعلم المحل الذي أودع الله فيه شيئا من العلم المأخوذ على النبي ﷺ في كتمه وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾آل عمران:٧. على قراءة من وقف هنا، فالذي يطلع تأويله في نفسه هو المسمى بالله فافهم)[1].

---

(١)الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ١١٧/١.

وقال أبو نصر السراج الطوسي: (إن حقائق رسالة محمد ﷺ وما خصّه الله تعالى به من العلم، لو وضعت على الجبال لذابت إلا أنه كان يظهرها لهم على مقاديرهم) [١].

وبمثل ذلك قال محمد الحنفي: (وهاهنا كلام لو أبديناه لكم لخرجتم مجانين لكن نطويه عمن ليس من أهله) [٢].

وكان كبار الصوفية يعملون بهذا المبدأ، ولم يكونوا يظهرون للناس علومهم وأفكارهم كما روى الكلاباذي عن الجنيد أنه قال للشبلي: (نحن حبّرنا هذا العلم تحبيرا، ثم خبأناه في السراديب، فجئت أنت، فأظهرته على رؤوس الملأ، فقال: أنا أقول وأنا أسمع، فهل في الدارين غيري) [٣].

ونقل الشعراني كذلك عن الجنيد أنه كان يستر كلام أهل الطريق عمن ليس منهم، وكان يستتر بالفقه والإفتاء على مذهب أبي ثور، وكان إذا تكلم في علوم القوم أغلق باب داره، وجعل مفتاحه تحت وركه [٤]. وروى عن الشاذلي أنه كان يقول: (امتنعت عني الرؤيا لرسول الله ﷺ، ثم رأيته، فقلت: يا رسول الله، ما ذنبي؟ فقال: إنك لست بأهل لرؤيتنا لأنك تطلع الناس على أسرارنا) [٥].

والصوفية يكتمون آراءهم ومعتقداتهم عن غيرهم، ويوصون

---

(١) كتاب اللمع للسراج الطوسي ص ١٥٩.
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٤١٧.
(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص١٧٢.
(٤) اليواقيت والجواهر للشعراني ٢/٩٣ .
(٥) انظر الطبقات الكبرى للشعراني ١/٣٨٧.

مريديهم في كتبهم ومؤلفاتهم بكتمانها وأنها كتبت للخاصة وخاصة الخاصة، فالصوفي الشهير عبد السلام الفيتوري يقول: (إخواني، وسنذكر لكم كلاما في المغيبات لكن يجب الإمساك عنها إلا لأهله الذين يكتمونه، ولا ينبغي إظهاره للسفهاء الذين يلحقون به إلى الأمراء والجبابرة وأهل الدنيا) [1].

وقال عبد الوهاب الشعراني: (وكان بعض العارفين يقول: نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقتنا، وكذلك لا يجوز لأحد أن ينقل كلامنا إلا لمن يؤمن به، فمن نقله إلى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول إليه جهنم الإنكار، وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤوس الأشهاد وقالوا: من باح بالسرّ استحق القتل) [2].

وقد ذكر الدباغ حكايات كثيرة عن الذين لم يكتموا السرّ فابتلاهم الله ببلايا عديدة، من القتل والصلب والحرق والعمى وغير ذلك[3]. وكان منهم الحلاج، لأنه لم يقتل إلا لإفشاء سرّه. وكما يروون أن الخضر عبر على الحلاج وهو مصلوب، فقال له الحلاج: (هذا جزاء أولياء الله؟ فقال له الخضر: نحن كتمنا فسلمنا، وأنت بحت فمتّ) [4].

وروي عن أبي بكر الشبلي أنه قال: (كنت أنا والحسين بن منصور شيئا واحدا، إلا أنه أظهر وكتمت) [5].

---

(١) الوصية الكبرى لعبد السلام الأسمر الفيتوري ص١٠٥.

(٢) اليواقيت والجواهر للشعراني ص١٧.

(٣) انظر الإبريز للدباغ ص١٢.

(٤) انظر تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص ٢٥٢ طبعة باكستان.

(٥) أربعة نصوص إسماعيلية للداعي الإسماعيلي المجهول تحقيق ماسينيون ص١٩.

هذا هو المبدأ الخطير الذي أخذه الصوفية من الشيعة ليكونوا حزبا سرّيا يعمل في الخفاء لهدم مبادئ الإسلام وتعاليمه، ولتأسيس ديانة جديدة تعمل لتوهين نشاط المسلمين في نشر الكتاب والسنة، كما أن فكرة تقسيم الشريعة إلى الظاهر والباطن، والعام والخاص نتج عنها التأويل الباطني وهدم الدين باسم العلم اللدني، فأخذت الصوفية أفكار الشيعة ومعتقداتهم، فآمنوا بها واعتقدوها، ونقلوا إلى العالم الإسلام أصول فرق الباطنية.

قال ابن عجيبة: (العلوم ثلاثة: ظاهر، وباطن، وباطن الباطن، كما أن الإنسان له ظاهر، وباطن، وباطن الباطن، فعلم الشريعة ظاهر، وعلم الطريقة باطن، وعلم الحقيقة باطن الباطن) [1].

وأما سبب التجاء الصوفية إلى علم الباطن ومنه إلى التأويل هو أن الصوفية لم يجدوا في القرآن والسنة ما يمكن أن يكون سندا لهم على منهجهم ومسلكهم، ودليلا على طرقهم التي اختاروها، والمناهج التي اخترعوها للوصول إلى الله، والحصول على معرفته ورضائه، فالتجئوا إلى علم الباطن والتأويل الباطني.

ذكر المستشرق نيكلسون أنه لا يمكن أن يكون القرآن أساسا لأي مذهب صوفي، ومع ذلك استطاع الصوفية متبعين في ذلك الشيعة أن يخترعوا بطريقة التأويل لنصوص الكتاب والسنة معنى باطنا لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم في أوقات جدهم، ومن هنا نستطيع أن نتصور كيف سهل على الصوفية بعد أن

---

(١) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص ٣٣٣، طبعة عالم الفكر القاهرة.

سلموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلا من القرآن لكل قول من أقوالهم ونظرية من نظرياتهم أيا كانت، وأن يقولوا إن التصوف ليس في الحقيقة إلا العلم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طالب عن النبي.

ويلزم من مبدأ التأويل هذا أن تأويل الصوفية لتعاليم الإسلام قد يأتي على أنحاء وأشكال لا حصر لعددها، وربما أدى إلى تناقض في العبادات والمسائل العلمية، وكل ذلك مفروض صدقه لأن معاني القرآن لا حصر لها، وهي تنكشف لكل صوفي بحسب ما منحه الله من الاستعداد الروحي، فالتعريفات العديدة التي وضعت للفظ التصوف نفسه تدل على تعدد وجوه النظر في فهم معناه.

كذلك الحال في موقف الصوفية من الشريعة فإن هذا الموقف يختلف بحسب حال كل صوفي، ولذلك تجد بعضهم قد قام بشعائر الدين بكل دقة بالرغم من أنهم كانوا يعتبرون أن صور العبادات ليس لها من القيمة ما لأعمال القلوب، أو أنها لا قيمة لها البتة إلا من حيث دلالتها على الحقائق الروحية، فالحج مثلا رمز للبعد عن المعاصي، والإحرام خلع الشهوات والملذات مع خلع الثياب.

وهذا الأسلوب من البحث أسلوب معروف عند الإسماعيلية الباطنية، والظاهر أن الصوفية أخذوه عنهم، وآخرون منهم قالوا برفع التكاليف الدينية سواء أكانوا من الصوفية الذين تحرروا من القيود الشرعية في تفكيرهم وأعمالهم، أم من الصوفية الصادقين في تصوفهم كالملامتية الذين دفعهم الخوف من مدح الناس إلى الظهور فيهم بما يستجلب الملامة والذم، أم من العارفين الذين لم يأبهوا بمظاهر الشرع ورسومه ولا بأخلاق هذا العالم الزائل.

والصوفية اعتبروا أنفسهم خاصة أهل الله الذين منحهم الله أسرار العلم الباطن المودع في القرآن والحديث، وأنهم استعملوا في التعبير عن هذا العلم لغة الرمز والإشارات التي لا يقوى على فهمها غيرهم من المسلمين[1].

وسبب آخر لاستعمالهم لغة الرمز والإشارات، وهو أنهم تقوّلوا بكلمات كلها كفر وإلحاد، ونقل ذلك عن الباطنية والتشيع والفرق الباطلة الأخرى، فلما سمع العلماء هذه المقولات كفروهم بها، ورموهم بالإلحاد والزندقة فلم يسعهم آنذاك إلا القول بالظاهر والباطن، والهروب إلى التأويل، وفي كتب التصوف أمثلة كثيرة مبعثرة في ذلك.

ومن أمثلة التأويلات الصوفية الباطلة للقرآن والحديث قول الجيلي مفسرا قول الله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ الإنسان:١. إذ يقول: (اتفق العلماء على أن هل في هذا الموضوع بمعنى قد، يعني قد أتى الإنسان حين من الدهر، والدهر هو الله، والحين تجل من تجلياته، لم يكن شيئا يعني أن الإنسان لم يكن شيئا مذكورا، ولا وجود له في ذلك التجلي، لا من حيث الوجود العيني، ولا من حيث العملي، لأنه لم يكن شيئا مذكورا، فلم يكن معلوما، وهذا التجلي هو أزل الحق الذي لنفسه) [2].

ومن أمثلة تأويلات الصوفية الباطلة تأويل عبد الكريم الجيلي للصلاة

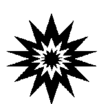
---

(١) انظر بتصرف في التصوف الإسلامي وتاريخه لنيكلسون ترجمة عربية لأبي العلاء العفيفي ص٧٦ ، ص٧٧ طبعة القاهرة.

(٢) الإنسان الكامل للجيلي ص ١٠١، ص١٠٢.

والزكاة والصوم تأويلا قرمطيا إسماعيليا، فيقول: (وأما الصلاة فإنها عبارة عن واحدية الحق تعالى، وإقامتها إشارة إلى إقامة ناموس الواحدية بالاتصاف بسائر الأسماء والصفات، فالطهر عبارة عن الطهارة من النقائص الكونية، وقراءة الفاتحة إشارة إلى وجود كماله في الإنسان، لأن الإنسان هو فاتحة الوجود، وأما الزكاة فعبارة عن التزكي بإيثار الحق على الخلق، وأما كونه واحدا في كل أربعين في العين، فلأن الوجود له أربعون مرتبة، والمطلوب المرتبة الإلهية، فهي المرتبة العليا وهي واحدة من أربعين، وأما الصوم فإشارة إلى الامتناع عن استعمال المقتضيات البشرية ليتصف بصفات الصمدية، فعلى قدر ما يمتنع أي يصوم عن مقتضيات البشرية تظهر آثار الحق فيه، وأما الحج فإشارة إلى استمرار القصد في طلب الله تعالى، والإحرام إشارة إلى ترك شهود المخلوقات، ثم ترك حلق الرأس إشارة إلى ترك الرياسة البشرية، ثم مكة عبارة عن المرتبة الإلهية، ثم الكعبة عبارة عن الذات، ثم الحجر الأسود عبارة عن اللطيفة الإنسانية) [١].

وهذه التأويلات عند الصوفية لا حصر لها، والقوم أشبعوا الكلام في علم الباطن والتأويل الباطني، وملئوا كتبهم به، وهذه الفكرة لم تتدرج إليهم إلا من الشيعة والتشيع [٢].



(١) المصدر السابق ٢/١٣٤ وما بعد ملخصا.

(٢) نقلنا بعض فقرات هذا المطلب من كتاب التصوف المنشأ والمصدر للشيخ الدكتور إحسان إلهي ظهير رحمه الله بتصرف.

المطلب الرابع عشر

فرقة الباطنية والنصيرية وأصولهما المجوسية واليهودية وأثرهما في القضاء على الأمة الإسلامية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن أبرز الطرق الصوفية المنتشرة في البلاد الإسلامية وأثرها في نشر بدع الاعتقادات والعبادات، وعلمنا أن العارفين بالله هم أرقي أنواع الصوفية، والعابدين لله تعالى أدنى طبقاتهم، وأن العارفين من الصوفية الفانين عن شهود السوى لا يرون التكاليف الشرعية لفنائهم، وأن الشعراني جعل الزناة واللوطية من طبقات الصوفية وخاصة الأولياء، ثم تحدثنا عن تعريف بالطرق الصوفية المنتشرة في البلاد الإسلامية ومنشئها وماهيتها.

وتعرفنا على الطريقة القادرية الجيلانية، وأنها من أبرز طرق الصوفية في القرن السادس الهجري، وأن الطريقة الأحمدية البدوية أبرز شبكات الطرق الصوفية في مصر، وكذلك الطريقة الشاذلية من أبرز الطرق التي انتشرت منذ القرن السابع، وتعرفنا على الطريقة البرهانية الدسوقية وانتشارها في مصر والسودان،كما تحدثنا عن أبر الطرق الصوفية المنتشرة في العالم الإسلامي ونسبتها إلى مبتدعيها، وعلمنا أبرز الشخصيات الصوفية المؤثرة في تاريخ التصوف.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن فرقة الباطنية والنصيرية وأصولهما المجوسية واليهودية وأثرهما في القضاء على الأمة الإسلامية.

- **مذهب الباطنية من أخبث وأردأ المذاهب وأهله أفسد المخلوقات.**

يعتبر مذهب الباطنية من أخبث وأردأ المذاهب، وأهله من عتاة الشر وأفسد المخلوقات، وهم أعدى أعداء المسلمين قديما وحديثا، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى بعض عقائدهم نحو المسلمين، فذكر أن لهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة، فإذا كانت لهم مكنة يسفكون دماء المسلمين، وإن عجزوا لجئوا إلى الخطط والمؤامرات السرية ضدهم، وحينما استولوا على البحرين وصارت لهم فيه دولة عاثوا في الأرض فسادا [(١)].

وكذلك حينما تمكنوا من الوصول إلى مكة والناس في الحج قتلوا الحجيج، بل حصدوهم كما تحصد الحشائش، وألقوا بجثثهم في بئر زمزم، وبعضهم دفنوهم في صحن المسجد، وبعضهم تركوهم جثثا منثورة، ثم اقتلعوا الحجر الأسود وأخذوه معهم، وقتلوا من علماء المسلمين ومشائخهم وأمرائهم وجندهم ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى.

وهم دائما مع كل عدو للمسلمين، فقد كانوا في أيام الحروب الصليبية أعظم أعوان النصارى، فلم يستول الصليبيون على السواحل الشامية إلا من جهتهم، وما دخل التتار بلاد المسلمين إلا بمعونتهم، فلقد كان النصير الطوسي أبرز عيونهم، ولقد كان الخليفة مغترا به.

---

(١) انظر فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب بن علي عواجي، الباب الخامس الباطنية، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

وما أن دخل التتار بغداد حتى حرضهم النصير الطوسي على قتل الخليفة وعشرات الألوف من المسلمين، وهدم عليهم دورهم، وقتل النساء والأطفال، وسبى من أراد سبيه من نسائهم وفضحهن، وأغرق كثيرا من كتب المسلمين في نهر دجلة حتى تغير ماء النهر[1].

وأعظم أعيادهم هو اليوم الذي يصيب المسلمين فيه بلاء وكرب، كيوم استيلاء الصليبيين على سواحل الشام، وكيوم استيلاء التتار على بغداد. كما كانت أعظم مصائبهم يوم أن نصر الله المسلمين على التتار والصليبيين والعبيديين[2].

وقد أوجز البغدادي عداوة الفرق الباطنية للإسلام والمسلمين في قوله: (اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل وأعظم من الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال من وقت ظهوره، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها عن أربعين يوما وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر) [3].

والسبب أن الباطنية خطرهم ظاهر وعداوتهم معروفة والناس يحذرونهم بطبيعة الحال، ولكن الضرر الشديد يأتي ممن يتظاهر بالإسلام فيغتر به المسلمون، فيطعنهم من خلفهم كما هو حال الباطنية في مختلف

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢١٥/١٣.
(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦٣٦/٢٨.
(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٦٥.

عصورهم، وقلما تجد كاتبا من علماء المسلمين من المؤرخين وعلماء الفرق إلا وهو يذكر من أفعال هؤلاء بالمسلمين ما تقشعر له الجلود.

وقد وصف ابن كثير عداوتهم ووقيعتهم بالمسلمين حينما قادهم أبو طاهر الجنابي ووصلوا إلى مكة، والناس في الحج آمنون مطمئنون، قال عن ذلك: (فانتهب أموالهم، واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقا كثيرا، وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة والرجال تصرع حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام، في الشهر الحرام، في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام وهو يقول: أنا الله وبالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا. فكان الناس يفروّن منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئا، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون وهم في الطواف.. إلى أن قال: فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره، وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم ودفن كثيرا منهم في أماكنهم من الحرم وفي المسجد الحرام، وهدم قبّة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين أصحابه) [1]. إلى آخر ما ذكره عن جرم هؤلاء، وقد حدد بعض العلماء عدد من قتل بثلاثة عشرة ألف نسمة [2].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية من أشد المحذرين من الباطنية لمعرفته الواسعة بمذاهبهم، وقد أجاب من سأله عنهم بجواب طويل جاء فيه: (هؤلاء القوم المسمّونْ بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٦٠.

(٢) كشف أسرار الباطنية لأبي الفضائل الحمادي ص٣٩.

أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا بنهي، ولا بثواب ولا بعقاب، ولا بجنة ولا بنار.. إلى أن قال: فإن كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين كما قتلوا مرة الحجاج وألقوهم في بئر زمزم.. إلى أن قال: ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائما مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى والعياذ بالله النصارى على ثغور الإسلام، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعونتهم ومؤازرتهم، فإن منجم هولاكو الذي كان وزيرهم هو النصير الطوسي كان وزيرا لهم، وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء) [1].

وفي كتب الباطنية من المدح والتمجيد لهذا المجرم ما لا يحصى، قال مصطفى غالب عنه: (حتى أخضع هولاكو خان قلعتي آلموت، وميمون دز، فعثر على هذا الفيلسوف الكبير في مرصد القلعة، فاقتاده الجند إلى هولاكو خان، ولما مثل بين يديه أكرمه وطلب منه أن يلتحق بخدمته كوزير له، فرفض في بادئ الأمر إلا إذا أمن على أرواح وممتلكات الإسماعيلية، فوعده خيرا شريطة أن يرافقه في حملته على بغداد، وهكذا انتقل هذا الفيلسوف العظيم إلى خدمة هولاكو خان بعد أن أخذ منه

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥/١٤٩.

العهد على المحافظة على الإسماعيلية.. وبعد أن تم لهولاكو احتلال بغداد أشار عليه بأن يقتل آخر خلفاء بني العباس المستعصم بالله.. واغتنم فرصة وجوده في بغداد، فجمع كل ما تمكن من جمعه من الكتب النادرة. وقيل: إن مكتبته أصبحت بعد فتح بغداد أكثر من أربعمائة ألف مجلد) [1].

لقد ظل هؤلاء على عداوتهم للمسلمين، ورغم تشتت النصيرية قديما لكنهم ظلوا يعملون في الخفاء بنشاط إلى أن استطاعوا الوصول إلى الحكم في سوريا في هذا العصر على حين غفلة من المسلمين، فما كان لهم همّ مثل همِّهم القضاء على المسلمين أهل السنة في سوريا وفي غيرها، وأفعالهم اليوم تعيد إلى الأذهان فعل أسلافهم قديما.

ولهم في الحروب التي جرت بين العرب واليهود سنة ١٩٦٧م تعاون ظاهر وخفي، إذ مكنوا كما قال المطلعون على أخبارهم اليهود من احتلال أجزاء كبيرة من سوريا هضبة الجولان والقنيطرة، ومن الأردن ومن لبنان لقاء اتفاقيات سرية ومصالح مشتركة. ومن المؤسف أن تجد الكثير من أهل السنة قد انخدع بنفاق هؤلاء الباطنية، فصادقوهم وأمدوهم بالأموال متناسين ما تنطوي عليه نيات هؤلاء، ظانين أن تغير الأسماء قد أخرجهم عن ديانتهم وحقدهم على المسلمين.

- **ظهور مذهب الباطنية والغرض من إقامة مذهبهم وكيف تأسس؟**

ذهب بعض العلماء إلى أن الباطنية ظهر مذهبهم سنة ٢٠٥هـ، وذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت في زمن المأمون وانتشرت

---

(١) انظر أعلام الإسماعيلية لمصطفى غالب ص ٥٨٧.

في عهد المعتصم، ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين بحرّان، ويذكر البغدادي أنهم دهرية زنادقة.

قال الديلمي في بيانه لنشأتهم: (اعلم أن ابتداء وضع مذهب الباطنية سلط الله عليهم طوفان نوح وريح عاد وحجارة لوط، وصاعقة ثمود كان في سنة خمسين ومائتين من الهجرة) [(١)].

وقال عبد القاهر البغدادي في بدء ظهور الباطنية: (ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحرّان.. إلى أن قال: الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم) [(٢)].

بينما يذهب الشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي إلى أن نشأة الباطنية كان في سنة مائتين وست وسبعين، حينما قام زعيمهم ميمون القداح بإنشاء هذا المذهب الخبيث هو وزملاؤه الذين كانوا على شاكلته [(٣)]. ولكن بدأ التخطيط لإقامة هذا المذهب في الإسلام كما يترجح من أقوال العلماء ما بين سنة المائتين، والثلاثمائة أي بعد انتشار الإسلام وعز أهله به، وانطفاء نار المجوسية، وكسر صليب النصارى، وكسر طاغوت الوثنية، ودحر اليهودية، وضرب الذلة والمسكنة عليهم، فأكل الحسد قلوبهم، وبدأوا يخططون في الخفاء لطريق ينفّسون بها عن أحقادهم للنيل من الإسلام وأهله، فهداهم الشيطان إلى هذه الطرق، ليستيقن طالب العلم أن ما نعايشه في عصرنا هذا من مؤامرات ظاهرة وخفية على الإسلام وأهله، إنما هو امتداد لتلك الحركات الأصول في

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٣.

(٢) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص٢٩٤.

(٣) انظر كشف أسرار الباطنية لأبي الفضائل الحمادي ص٣٢.

ذلك الزمن، وإنما تخمد حينا وتنشط أحيانا أخرى، والهدف واحد على امتداد الزمن.

قام هذا المذهب الهدام من أول الأمر على النيل من الإسلام وأهله، إما بإخراج المسلم عن دينه بالكلية، أو بإدخال الشكوك في قلبه، ولقد استفاض العلماء في بيان ذلك كله، واتضح أن قيام هذا المذهب كان لأسباب كثيرة ومقاصد خبيثة من أهمها إبطال الإسلام والقضاء عليه وعلى أهله، أو زعزعته من نفوس المسلمين أو تشكيكهم فيه، وإحلال المجوسية والإلحاد محله، من أجل ذلك، ومن أجل إقامة حكم عام في الأرض تسيطر عليه الآراء الباطنية، وينفذ فيه حكمه قام هذا المذهب الخبيث، واتخذ أهله عدّة أقنعة تستّروا بها لتحقيق ما يهدفون إليه منها اعتمادهم على تأويل النصوص تأويلات تنافي ما يقرره الإسلام ويأمر به، ومن مقاصدهم إظهار التشيع لعلمهم بأن مذهب التشيع يحتمل كلامهم، إذ لم يجدوا مدخلا إلى الإسلام إلا من جهة إظهار التشيع والانتساب إلى المذهب الشيعي وموالاة آل البيت.

وقد تم تأسيس هذا المذهب فيما يذكره الغزالي في اجتماع لقوم من أولاد المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين، زاد الديلمي وبقايا الخرمية واليهود، جمعهم ناد واشتوروا في حيلة يدفعون بها الإسلام، وقالوا: إن محمدا غلب علينا وأبطل ديننا، واتفق له من الأعوان ما لم نقدر على مقابلتهم، ولا مطمع لنا في نزع ما في أيدي المسلمين من المملكة بالسيف والحرب لقوة شوكتهم وكثرة جنودهم، وكذلك لا مطمع لنا فيهم من قبيل المناظرة لما فيهم من العلماء والفضلاء والمتكلمين والمحققين فلم يبق إلا اللجوء

إلى الحيل والدسائس[(١)].

ثم اتفقوا على وضع حيل وخطط مدروسة يسيرون عليها لتحقيق أهدافهم من خلال الأمور التالية:

١- التظاهر بالإسلام وحب آل البيت والانتصاف لهم.

٢- دعوى أن النصوص لها ظاهر وباطن، والظاهر قشور والباطن لبّ، والعاقل يأخذ اللبّ ويترك القشور، وهذا الزعم الكاذب يريدون من ورائه سلب المعاني عن الألفاظ، والإتيان بمعان باطنية تتفق مع ما يهدفون إليه من الكيد للإسلام.

٣- اختاروا أن يدخلوا على المسلمين عن طريق التشيع، وعلى مذهب الرافضة، وإن كان هؤلاء الباطنيون يعتبرون الروافض أيضا على ضلال، إلا أنهم رأوهم على حد ما ذكر الغزالي أردأ الناس عقولا، وأسخفهم رأيا، وألينهم لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات ، وأكثر الناس قبولا لما يلقى عليهم من الروايات الواهية الكاذبة، فتستروا بالانتساب إليهم ظاهرا للوصول إلى أصناف الناس، فكان ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض، أو كما قال بعض العلماء: إن الإمامية دهليز الباطنية، وهذا هو التفسير الواضح لما تلحظ من التقارب الشديد بين الباطنية والرافضة[(٢)].

٤- اتفقوا أن يبثوا دعاتهم وأن يلزموهم بخطة ماكرة، وهي أنه يجب

---

(١) فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي ص١٨، وانظر بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص١٩.

(٢) المصدر السابق ص ٣٧.

على كل داعية أن يوافق هوى المدعو مهما كان مذهبه ودينه مستعملا معه الحيل التسع المعروفة عنهم.

وكان من أبرز دعاتهم ميمون بن ديصان القدّاح، وهو رئيسهم تظاهر بالإسلام على يدي جعفر الصادق وترك المجوسية فغيروا اسمه إلى القداح فيما بعد، لأنه يقدح العلم عن خاطره على حد زعمهم وهو فارسي من الأهواز [١].

وحمدان بن الأشعث الأهوازي الملقب بقرمط، أصله من خوزستان، ولقب بقرمط لقصر كان فيه، فرجلاه قصيرتان بشكل ملفت للنظر الأمر الذي جعله ناقما على المجتمع، وقد سماه ابن كثير قرط بن الأشعث البقار وحمدان قرمط، وقد سماه ابن كثير قرمط بن الأشعث البقار [٢]. وزكرويه بن مهرويه، وأبو سعيد الجنابي، وولده أبو طاهر وغيرهم ممن يطول حصرهم.

وقد تحمل دعاة الباطنية كثيرا من المشقة والآلام والأسفار الكثيرة في نشر باطلهم من بلد إلى بلد.

- **أسماء الباطنية التي يتخفون تحتها وسبب تسميتهم بهذه الأسماء.**

أطلقت على هذه الطائفة أسماء كثيرة للتمويه على الناس، بعضها يقبلونه، وبعضها لا يقبلونه، ومن أشهرها:

---

(١) مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٢٠، وانظر ترجمته في أعلام الإسماعيلية لمصطفى غالب ص ٥٥٩.

(٢) انظر البداية والنهاية ١١/٦٢، وسماه النوبختي قرمطوية، انظر فرق الشيعة للنوبختي ص٩٣، وانظر تلبيس إبليس ص ١٢٦.

١- الباطنية وقد أطلق عليهم هذا الاسم لزعمهم أن النصوص من الكتاب والسنة لها ظاهر وباطن، وأن الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللب [١].

٢- الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق لزعمهم الانتساب إليه [٢]، لأن والده جعفر الصادق نص على إمامته من بعده، وأوصى له بها رغم أن علماء النسب مجمعون على أن إسماعيل مات في حياة والده سنة ١٤٥هـ، لكن الإسماعيليين يزعمون أن إسماعيل لم يمت في حياة والده أو في العام المذكور، بل إن أباه قد جعله وصيه، ولخوفه عليه من الخليفة العباسي احتال لإخفائه فأعلن موته، وفي نفس الوقت توجّه إسماعيل سرا إلى السلمية في مدينة حماة إلى الجنوب الشرقي منها حيث كان يقيم فيها آنذاك رهط من بني هاشم، وانتسب إليهم فعرفوه وأقام بينهم وأصبحت مركزا للإسماعيلية.

وزعم الإسماعيليون أن الخليفة العباسي علم بمكان إسماعيل في السلمية، وحينئذ خرج إسماعيل متخفيا إلى دمشق، وعلم به كذلك الخليفة، وكان العامل على دمشق إسماعيليا فأخبر إسماعيل بما كتب به الخليفة من إلقاء القبض على إسماعيل، وإرساله إلى الخليفة، فقرر إسماعيل التوجه إلى العراق ووصل البصرة سنة١٥١هـ، ثم ظل ينتقل بين أتباعه سرا، وتحت أزياء مختلفة وأسماء عديدة إلى أن توفي سنة ١٥٨هـ بعد أن رزق حسب زعمهم من الأولاد محمد وعلي وفاطمة،

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٢١، وفضائح الباطنية ص١١.

(٢) انظر الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ليحيى بن حمزة العلوي ص٢٣.

وبعد أن أوصى بالإمامة من بعده إلى محمد [١].

وقد حصل شقاق وتفرق بين الإمامية والإسماعيلية في سوْق الإمامة، فبينما هي عند الشيعة الاثني عشرية في جعفر الصادق ثم في موسى الكاظم، إذا هي عند الإسماعيلية في جعفر الصادق ثم في ابنه إسماعيل ثم في محمد بن إسماعيل. إلى آخر أئمتهم المستورين، وقد تفرقت الإسماعيلية إلى ثلاث فرق معاصرة وهي الدروز، والنزارية البهرة، والأغاخانية.

٣- السبعية والسبب إطلاق هذه التسمية عليهم إدعاؤهم أن أدوار الإمامة سبعة سبعة، كلما انتهى حكم سبعة من الأئمة قامت القيامة وابتدأ الدور من جديد إلى ما لا نهاية، ثم لشغفهم بالعدد سبعة حيث فسروا كثيرا من الأمور على وفق هذا العدد، فقالوا: إن السموات سبع، والأرضين سبع، والكواكب السيارة سبعة، والأيام سبعة، وأعضاء الإنسان سبعة إلى آخر أدلتهم على مزية العدد سبعة، وقيل أطلق عليهم السبعية بسبب اعتقادهم أن العالم السفلي تديره الكواكب السبعة وهي زحل، والمشتري، وعطارد، والمريخ، والزهرة، والشمس، والقمر، وهي عقيدة مأخوذة من ملاحدة المنجمين [٢].

٤- التعليمية وقد أطلق عليهم بسبب أن مذهبهم قائم على الحَجر على العقل، وإبطال النظر والاستدلال، والدعوة إلى الإمام المعصوم المستور، وأن العلم لا يجوز أخذه إلا منه، واستدلوا لهذا بأن الحق إما أن

---

(١) انظر كتاب أعلام الإسماعيلية لمؤلفه الباطني مصطفى غالب ص١٦١.

(٢) انظر الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ليحيى بن حمزة العلوي ص٢٣.

يعرف بالرأي أو بالتعليم، وباطل أن يعرف بالرأي لتعارض الآراء واختلاف العقلاء، فلم يبق إلا أن يعرف بالتعليم، والعلم لا يجوز أخذه عن أحد غير الإمام المعصوم لضمان صحته والوثوق به [١].

٥- الإباحيّة وهذه التسمية التي أطلقت عليهم مأخوذة من اعتقاداتهم وأفعالهم، وهم لذلك أهل إباحة، لا يحرمون محرّما، ولا يلتزمون بشرع، بل الحلال ما حل في أيديهم، والحرام ما منعوا منه، ويستدلون على هذا المسلك بقول الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ البقرة:٢٩.

٦- الملاحدة: لأنهم ينفون وجود الله ﷻ ويقولون بتأثير الكواكب في واقعهم، ولا يرد على هذا ما يوجد عندهم من ذكر الله تعالى وذكر صفاته ﷻ فقد وصفوا الله تعالى بصفات سلبية مؤداها إنكار وجوده تعالى[٢].

٧- المزدكية: نسبة إلى رجل يقال له مزدك، قيل إنه رئيس الخرمية، وقيل غير ذلك[٣]، وأطلق على الباطنية لمشابهتهم مذهب مزدك.

٨- البابكية: لانتسابهم إلى بابك الخرمي، خرج في أيام المعتصم بناحية أذربيجان، فجهز لهم الجيوش حتى قتلهم، وقد كان من إباحية هؤلاء البابكية أن لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج ثم يتناهبون النساء، فيبيت كل واحد مع امرأة، ويزعمون أن من احتوى على امرأة استحلها بالاصطياد كائنة من كانت، وأن هذا الصيد

---

(١) فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي ص١٧.

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٢٤.

(٣) السابق ص٢٤.

من أطيب المباحات بزعمهم، وتسمى هذه الليلة ليلة الإفاضة، وهو عمل لا تقبل به حتى البهائم، وقبلته عقولهم التي هي أحط من عقول البهائم، إضافة إلى أنهم يدعون نبوة رجل كان من ملوكهم قبل الإسلام يقال له شروين، يزعمون أنه أفضل من نبينا محمد ﷺ ومن سائر الأنبياء[1].

٩- الخرمية أو الخرمدينية: وكلمة خرم أعجمية، ومعناها الشيء المستلذ المستطاب الذي ترتاح له النفس، وهو من باب الدعاية لمذهبهم الذي هو رفع التكاليف وتسليط الناس على ارتكاب الشهوات، وهو لقب كان يطلق على المزدكية قبل الإسلام وهم أصحاب الشيوعية الأولى الإباحية الذين ظهروا في عهد قياذ، وقضى عليهم ولده أنوشروان [2]. وهم الذين قال فيهم أبو الحسين الملطي عند ذكره لأصناف الفرق: وإنما سموا مزدكية لأنه ظهر في زمن الأكاسرة رجل يقال له مزدك، فقال هذه المقالة [3].

١٠- المحمرة وسمو بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك، ولبسوها شعارا لهم. وقيل: لأنهم يطلقون على مخالفيهم اسم الحمير، وقيل لأن أخلاقهم وطبائعهم صارت شبيهة بطبائع الحمير، ولا مانع أن توجد هذه الأسباب كلها فيهم، وإن كان أكثر العلماء يرجح القول الأول[4].

---

(١) فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي ص١٥.

(٢) انظر الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ليحيى بن حمزة العلوي ص٢٢.

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص٩٢.

(٤) انظر الإفحام ليحيى العلوي ص٢٣، وفضائح الباطنية لأبي حامد ص١٧.

• القرامطة تمثل أقبح الصور التاريخة الخبيثة لفرق الباطنية.

من الأسماء التي أطلقت على الباطنية، وأصبحت علما تاريخيا على ضلالهم اسم القرامطة، وسبب تسميتهم بهذا الاسم انتسابهم إلى رجل يقال له حمدان قرمط، وهو رجل من أهل الكوفة، وقد كان راعيا مائلا إلى الزهد والديانة في بداية حياته، وقيل كان يتظاهر بذلك وأنه كان على المجوسية، فصادفه أحد دعاة الباطنية ويسمى حسين الأهوازي وهو متوجه إلى قريته، وبين يدي حمدان بقر يسوقها، فدارت بينهما محادثة، قال حمدان لذلك الداعي وهو لا يعرفه ولا يعرف حاله: أراك سافرت من موضع بعيد فأين مقصدك؟ فذكر له الداعي موضعا في قرية حمدان. فقال له حمدان: اركب بقرة من هذا البقر لتستريح من تعب المشي، فلما رآه مائلا إلى الزهد والديانة أتاه من حيث رآه مائلا إليه، وهذه إحدى خطط الباطنية، فقال له: إني لم أومر بذلك. فقال حمدان: وكأنك لا تعمل إلا بأمر؟ قال: نعم. قال حمدان: وبأمر من تعمل؟ فقال: الداعي بأمر مالكي، ومالكك ومن له الدنيا والآخرة. فقال: ذلك هو رب العالمين. فقال الداعي: صدقت، ولكن الله يهب ملكه لمن يشاء. قال حمدان: وما غرضك في البقعة التي أنت متوجه إليها؟ قال: أمرت أن أدعو أهلها، وأخرجهم من الجهل إلى العلم، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشقاوة إلى السعادة، وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر، وأملكهم ما يستغنون به عن الكد والتعب. فقال حمدان: أنقذني أنقذك الله، فما أشد احتياجي إلى مثل ما ذكرته. فتحرج الداعي أن يخبره بشيء حتى يأخذ عليه العهد أن لا يفشي سرّ الإمام المعصوم المستور، ولا يفشي له خبرا، وهذه إحدى حيل الباطنية، فعاهده حمدان على ذلك، فشرع الداعي في استدراجه إلى الباطنية حتى صار فيما بعد

ركنا من أركانها، وصار له أتباع، وفرقة تنسب إليه تسمى القرامطة أو القرمطية، كان لهم في تاريخ الأمة الإسلامية حوادث هائلة، وأخبار مؤسفة في تنكيلهم بالمسلمين [١].

قال ابن كثير في حوادث سنة ٢٧٨هـ: (وفيما تحركت القرامطة، وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة زرادشت ومزدك، وكانا يبيحان المحرمات، ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل، وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة، ويدخلون إلى الباطل من جهتهم، لأنهم أقل الناس عقولا، ويقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج ابن جعفر الصادق) [٢].

تحرك القرامطة سنة ٢٨٦هـ برئاسة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي واستولوا على هجر وما حولها من البلاد، وأكثروا فيها الفساد، وقد كان أبو سعيد هذا سمسارا في الطعام يبيعه للناس في القطيف، فجاء بعض الدعاة الباطنيون إلى شيعة القطيف، فاستجابوا له وتأمر عليهم أبو سعيد الجنابي، وأصله من بلدة جنابه قريبة من القطيف، وعاثوا في الأرض فسادا وأخافوا أهل العراق والشام إلى أن هلك أبو سعيد هذا عام ٣٠١هـ، فتولى بعده ولده أبو طاهر الجنابي، وكثر دعاة القرامطة، وصارت لهم دولة [٣].

وقد اشتدت شوكتهم جدا سنة ٣١٧هـ، وتمكنوا من الوصول إلى الكعبة، والناس يوم التروية، فما شعروا إلا والقرامطة برئاسة أبي طاهر

---

(١) فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي ص١٢.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١١/٦١.
(١) السابق ١١/٨١.

الجنابي قد انتهبوا أموالهم، وقتلوا كل من وجدوه من الحجيج في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام، وفي جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر، بل أبو النجس على باب الكعبة والرجال تصرع حوله، والسيوف تعمل في المسجد الحرام، في الشهر الحرام، في يوم التروية، وكان يقول هذا الملعون: أنا الله، وبالله أنا، أنا أخلق الخلق، وأفنيهم أنا، تعالى الله عما يقول علوا كبيرا، ولم يدع أحدا طائفا، أو متعلقا بأستار الكعبة إلا قتله، ثم أمر بإلقاء القتلى في بئر زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها عنها، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاء قرمطي فضرب الحجر بمثقل في يده وهو يقول: أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلعه وأخذوه معهم، فمكث عندهم اثنين وعشرين سنة [1]، وهو ابتلاء من الله للمسلمين في ذلك الوقت.

وفي نفس السنة نبغت لهم نابغة في بلاد المغرب عرفت باسم الفاطميين، على يد زعيمهم أبي محمد عبيد الله بن ميمون القداح، وكان يهوديا صباغا بسلمية، فادعى أنه أسلم، ثم سافر من سلمية فدخل بلاد المغرب، وادعى أنه شريف فاطمي، فصدقته طائفة كثيرة من البربر حتى صارت له دولة، فملك مدينة سجلماسة[2]، ثم ابتنى مدينة سماها المهدية، وانتزع الملك من يد أبي نصر زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب على أفريقية، وقد تمكن حفيده المعز من الاستيلاء على مصر واستمر ملك العبيديين بها نحو قرنين من الزمان، إلى أن قضى عليهم صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٤هـ، وأزال منها كل آثار العبيديين، وقطع

---

(١) السابق ١١/١٦٠.

(٢) السابق ١١/١٦١.

شرورهم عن الناس، وأراح الله منهم العباد.

• **أماكن وجود القرامطة وانتشارهم في العالم الإسلامي.**

مما يجدر ذكره أن القرامطة توزعوا إلى أقسام، وأخذوا أماكن كثيرة تجمعوا فيها؛ فلهم تواجد في اليمن، وقد تزعم القرامطة في أول الأمر رجلان، هما المنصور بن الحسن بن زاذان، وعلي بن الفضل الجدني، أرسلهما ميمون ين ديصان القداح، وقد تلقب المنصور بمنصور اليمن، واجتمع حوله عدد من القبائل، وأظهر الدعوة باسم الإمام الإسماعيلي المنتظر، وقد تمكن عام ٢٦٦هـ أن يؤسس أول دولة إسماعيلية، وقام بنشاط كبير، ثم أرسل الدعاة إلى عدة جهات بعيدة عن مركز الخلافة العباسية، مثل الداعية عبيد الله بن ميمون القداح الذي ذهب إلى المغرب، وادعى كذبا أنه شريف فاطمي من آل البيت، وكون هناك كما سبق دولة.

وكان علي بن الفضل الجدني أيضا من أصدقاء المنصور إلا أنه اختلف معه فيما بعد، وقامت بينهما حروب حين تمكن علي بن الفضل من جمع عدة قبائل حوله، ثم ادعى النبوة وأباح المحرمات، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه: وأشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وامتد له العتو والفجور فكان يكتب إلى عماله: من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده فلان.. إلى أن مات مسموما بواسطة طبيب أقسم ليقتلنه غيرة لله، فتم له ذلك سنة ٣٠٣هـ[1].

---

(١) كشف أسرار الباطنية لأبي الفضائل الحمادي ص٤٠، والباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي للجبهان ص٢٠، والقرامطة لمحمود شاكر ص٥٢.

ولهم تواجد في العراق والمعروف أن جنوب العراق القريب من فارس أرض الشيعة ومهدها الأول، ومركز الجهل والخرافات أيضا، كان جنوب العراق القاعدة والمركز الأساسي لانتشار القرامطة، وقد نشط الدعاة من الإسماعيلية أمثال مهرويه المجوسي من أصل فارسي، وحسين الأهوازي وهو فارسي، وانتسب إلى الأهواز لإخفاء شخصيته، لأن الأهواز كانت عربية وتسمى الأحواز، وعبيد الله بن ميمون القداح رأس الدعوة الإسماعيلية الذي فرق أولاده في أماكن كثيرة من تلك الجهات، ونشط دعاة آخرون متسترين بالدين وبالانتساب إلى آل البيت وقلوبهم المجوسية تغلي على الإسلام والمسلمين، وبسطوا نفوذهم في أماكن كثيرة من الأهواز وخراسان والشام إلى أن قتل آخر زعمائهم، وهو زكرويه عام ٣٠١هـ، وتشتت أتباعه في تفاصيل كثيرة يذكرها علماء الفرق (١).

ولقد كان أساس نشأة القرامطة في العراق بتأثير من حمدان قرمط الذي تأثر بدعوة حسين الأهوازي حين خرج من السلمية في الشام قاصدا العراق فصادف حمدان وجرى بينهما ما قدمنا الإشارة إليه من تلك المحادثة التي أعقبها دخول حمدان في دعوة الباطنية، ثم كان له بعد ذلك شأن كبير في إشاعة الفساد وتخويف الآمنين، وقد قدر عدد الضحايا الذين سقطوا في حروب القرامطة من أهل الشام ومن البوادي ومن الحجيج ومن أهل المدن، ومن جند مصر، ومن جند العراق بما يزيد على ستمائة ألف بين رجل وامرأة وطفل (٢) .

---

(١) القرامطة لمحمود شاكر ص٥٥.

(٢) الباطنيون والحركات الهدامة للجبهان ص١٢، القرامطة لمحمود شاكر ص٦٦.

ولهم وجود في البحرين، وأول ما عرف شأن القرامطة في البحرين كان على يد شخص نزل البحرين، وأعطى نفسه اسم يحيى بن المهدي وبعضهم يقول: الحسن بن بهرام الفارسي [1].

وقد استمال إليه الناس بالتدريج فأظهر بالتدرج أولا أنه شيعي، وحينما رأى إقبال الناس ادعى أنه المهدي المنتظر، وكانت الدولة العباسية قد بدأت في مراحل الضعف، واشتغلت بمشاكلها الداخلية الكثيرة، وقد تبع هذا الداعية رجال كان لهم شهرة وقيادة، مثل الحسن ابن بهرام الذي عرف باسم أبي سعيد الجنابي، الذي عاث في الأرض فسادا، وأذاق الناس القتل والجوع إلى أن قتل عام ٣٠١هـ، وتولى بعده أبو طاهر، وفعل أفعالا تقشعر منها الجلود من القتل والنهب، فقد دخل البصرة عام ٣١١هـ، في ٢٧٠٠ من رجاله فقتل خلقا عظيما وحمل الأموال والأمتعة والنساء والصبيان ورجع بها.

وفي عام ٣١٢هـ قطع على الحجاج الطريق، فأخذ منهم جميع ما يملكون، وترك من لم يقتله منهم بلا ماء ولا زاد، فمات أكثرهم في تلك القفار. وفي عام ٣١٣هـ دخل الكوفة وعاث فيها فسادا مدة ستة أيام نقل خلالها ما أراد من الأمتعة، وفعل ما فعله في العام السابق، وأغار على مدينة الأنبار وعين التمر. وفي عام ٣١٧هـ فعل فعلته الكبرى فهجم على الحجاج في يوم التروية كما تقدم، فنهب الأموال، وقتل الحجاج في المسجد الحرام.

ووصل نفوذ هؤلاء القرامطة إلى نجد والحجاز والشام، وأرادوا

---

(١) السابق ص١٦.

القاهرة إلا أنهم صدّوا من قبل جوهر الصقلي، ثم تناوب عدة زعماء إلى أن أراد الله إهلاكهم، فقام أحد زعماء قبيلة بني عبد القيس المشهورة، وهو عبيد الله بن علي العيوني فاستعان بالخلفية العباسي القائم بأمر الله، كما استعان بالسلطان السلجوقي ملكشاه، وجاءت القوات العباسية وساعدت عبيد الله بن علي العيوني، وقضت على القرامطة نهائيا في عام ٤٦٧هـ، وأراح الله منهم العباد، وطهر منهم البلاد (١). ويذكر العلماء أحداثا كثرة لتحركات قرامطة البحرين، وما فعلوه من قتلهم المسلمين وتخريب بلدانهم، فهؤلاء الذين يتظاهرون بالتشيع والإسلام، فعلوا ما لم يفعله سائر الكفار غير التتار.

- **الطرق والحيل التي يستعملها الباطنيون والقرامطة لإغواء الناس.**

من المبادئ الأساسية عند الباطنية تقديس النفاق والكذب والخداع، ومن الوصايا الهامة التي يجب أن يسير بموجبها كل داعية باطنية هي أن يجاري من يخاطبه، ويوافقه في مذهبه تماما، بل ويحسِّن له الغلو فيه، ويريه أنه أحرص منه على التزامه به، فإذا كان المدعو شيعيا فإنه يجب أن يكون مذهبه شيعيا أيضا، وإذا كان المدعو فاجرا مستهترا أو ناسكا متعبدا أو يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا فإن مذهب الداعي كذلك، وإذا كان المدعو فاجرا حسّن له الداعي انتهاب اللذات، وأن الحياة منتهية والدنيا فانية، وإذا كان المدعو ناسكا حسن له التعبد والزهد وعدم الالتفات إلى الدنيا، وإذا كان المدعو يهوديا حسّن له الداعي مذهبه، وأظهر له تعظيم السبت، وشتم النصارى والمسلمين جميعا، وإذا كان مجوسيا يظهرون عنده تعظيم النار والضوء والشمس وغير ذلك من

---

(١) انظر الباطنيون والحركات الهدامة ص١٦، والقرامطة لمحمود شاكر ص ٦٦.

مذهب المجوس، ومن وجدوه نصرانيا يظهرون عنده الطعن في اليهود والمسلمين جميعا، وأن القول بالأب والابن وروح القدس حق ويعظمون الصليب عندهم.

ومن وجدوه ثنويا فقد ظفروا ببغيتهم، فيدخلون عليه بإبطال التوحيد والقول بالسابق والتالي، وهكذا فإن مذهبهم هو مذهب المدعوين، مهما كان هذا المذهب، يتلونون تلون الماء بالإناء الذي فيه والنتيجة من كل ذلك هو استجلاب المدعو، ثم إخراجه من دينه إلى دين الباطنية، ولهم حيل وطرق للوصول إلى قلوب الناس والتدرج بهم في الكفر شيئا فشيئا. وقد ذكرها الغزالي قائلا: (ففي الاطلاع على هذه الحيل فوائد جمة لجماهير الأئمة) [1].

وسبب استتارهم وراء هذه الحيل هو الخوف من إظهار كفرهم بطريقة مكشوفة، وترتيب حيلهم وفق خطة تبدأ من الزرق والتفرس، ثم التأنيس، ثم التشكيك، ثم التعليق، ثم الربط، ثم التدليس، ثم التأسيس، ثم الخلع، ثم المسخ أو السلخ.

والزرق والتفرس معناها أن يكون الداعي ذكيا فطنا صاحب فراسة، يميز بين من يطمع في استدراجه لقبول دعوته، ومن لا يطمع في ذلك، وله معرفة بتأويل النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة إلى المعاني الباطنة، وأن لا يبدأ بالمخالفة للمدعو، بل يوافقه ثم يستدرجه بعد ذلك على حسب الخطط الباطنية، إذا تفرس فيه القبول، ثم حيلة التأنيس والمراد بها الوصول إلى قلب المدعو واستمالته بلطف الحديث، وذكر

(١) فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي ص٢١.

بعض الآيات والأحاديث والأشعار، وبحث جوانب من الأمور اليومية، وإلقاء خطب ومواعظ، ويظهر له كل أمر يزيد في الأنس بينهما ويقرِّب بين الأفهام.

والحيلة والتشكيك هي أن يسأل الداعي المدعو عن مسائل في أمور الدين، وهي مسائل يعجز المدعو عن الإجابة عنها لجهله، وذلك أن الدعاة الباطنيين يركزون دعوتهم على العوام، وأيضا لأن بعض تلك المسائل تعبدية، قد لا تعرف الحكمة فيها، كأن يسأله عن متشابه القرآن، ومسائل يعجز المدعو عن الإجابة عنها لجهله.

أما حيلة التعليق فتتم بعد طرح تلك المسائل، فإذا طلب المدعو الاستفسار عنها، وتعلق قلبه بها وبمعرفتها قالوا له: إننا لا نخبرك بشيء حتى تعطينا العهد والميثاق، فإذا رضي بذلك نقلوه إلى حيلة الربط، وهي إحكام قبضتهم عليه بما يؤخذ عليه من العهود والمواثيق الغليظة في عدم إفشائه سرا من أسرارهم، وأنه إذا فعل ذلك فقد استوجب لعنة الله وغضبه، وأنه مخلد في النار أبد الآباد إلى آخر تلك الإيمان الطويلة التي لا يؤمنون بها هم.

ثم تأتي حيلة التأسيس وهي إظهارهم تعظيم الشرع والرغبة في طلب العلم، والمحافظة على أوامر الدين، وأن تلك العهود التي أعطاهم المدعو يجب احترامها، وهم في الواقع إنما يظهرون له هذه الأمور من أجل اصطياده، وإلا فهم لا يؤمنون بعهد ولا بميثاق، ومنها اشتراطهم أخذ العلم عن الإمام المعصوم المستور الذي يزعمون أنه هو الطريق إلى علم النبي الناطق والوصي، وهو الأساس إلى علم الناطق، وزعمهم أنه مستور، لأنهم يعلمون أن لا وجود له، وإنما هو دجل وتمويه وخداع

للمدعو، وقد ذكر الغزالي سبعة أمثلة لهذا المسلك وأطال في شرحها.

ثم تأتي حيلتهم الكبرى وهي الانسلاخ من الدين أو حيلة السلخ، فهي أنهم إذا أنسوا من المدعو الإجابة وصار منهم، أعلموه أنه قد أطلق من وثاقه، وحل له كل ما حرم على غيره من الناس الذين لم يدخلوا مذهبهم، ولهم حيل في إسقاط التكاليف عن المدعو، حيث يوهمونه أن التكاليف تسقط عنه تلقائيا إذا تدرج في المعرفة ووصل إلى معرفة أن التكاليف إنما كانت موضوعة في الظاهر للناس الجهال حتى يطلبوا العلم، ويخرجوا عن مشقة التكاليف، لأن الإمام المعصوم المستور ونوّابه يعلمون معنى القيام بتلك التكاليف ومعناها الحقيقي، فتسقط عنهم فريضة الصلاة إذا دفع للإمام مبلغ ١٢دينارا، ويقرأ له الإمام قول الله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الأعراف:١٥٧. ويفهمه أن الصلاة معناها الحقيقي بزعمهم معرفة أسرار الباطن، أو معرفة خمسة أسماء وهي: علي والحسين والحسن ومحسن وفاطمة.

ثم يسقطون عنه فريضة الصوم بعد أن يدفع المبلغ المذكور للإمام، ثم يفهمونه أن الصوم إنما المقصود منه كتمان أسرار الباطنية، أو معرفة ثلاثين رجلا أو ثلاثين امرأة يعدّونهم في كتبهم، وليس معنى الصوم الامتناع عن الأكل والشرب، ويقرأ عليه قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ مريم:٢٦. فلو كان معنى الصوم ترك الطعام لقال: فلن أطعم؛ فدل على أن الصيام هو الصمت والسكوت عن إبداء أسرار الأئمة بزعمهم.

ثم يسقطون عنه الحج بتفهيمه أن المقصود بالحج إنما هو زيارة

مشائخهم لا الذهاب إلى مكة، ثم يسقطون عنه حرمة الخمر والميسر بتفهيمه أن المقصود بهما أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما، فأما الخمر المصنوع من العنب وسائر ما يصنع منه فليس بحرام، لأن كل ما تنبت الأرض حلال. ثم يسقطون عنه وجوب الاغتسال من الجنابة بدعوى أن الطهارة هي طهارة القلب، وأن المؤمن طاهر بذاته والكافر نجس بذاته، والكافر نجس بذاته، ولا يطهره الماء ولا غيره، بل إن الجنابة المقصود بها موالاة أضداد الأنبياء والأئمة، وأما المنيّ فهو طاهر إذ هو أصل الإنسان، ولو كان الاغتسال منه لنجاسته لكان الاغتسال من البول والغائط أولى بزعمهم.

ثم يسقطون عنه حرمة الزنا، ويسمونه المشهد الأعظم ونهاية الفوز، وإن إحلال الزنا هو دخول الجنة، ويسلك به مسالك ملتوية، وفي نهايتها يبدأ بتطبيق ما تعلمه المدعو من جواز الفحش والفجور، وأن ذلك حلال، فيبدأ يطبق ذلك على زوجته فيبيحها للمدعو، ثم يحضر المشهد الأعظم، وهو اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد، وإطفاء السرج بعد أن تدار الكؤوس، وتحمى الرؤوس، ثم يتناهبون النساء ويسمون ذلك صيدا كما أشرنا إلى ذلك فيما تقدم [1].

وينبغي أن تعلم أن ما قدمناه من ذكر تلك الحيل لا تتم على عجل، بل إنهم يدرسون الشخص دراسة لا نظير لها إذا وقع عليه اختيارهم، ولا ينبغي أن تفهم أن تلك التعليمات تلقى عليه بهذه البساطة التي عرضناها؛ بل إنه يمر بتعقيدات وتعليمات وصقل، قد يأخذ فيها مددا طويلة أو قصيرة حسب ميوله وذكائه وتقبله، ولهذا

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص١١.

يحكمون عليه قبضتهم.

- **النصيرية إحدى فرق الباطنية الغلاة الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر.**

تنتسب هذه الطائفة إلى زعيمهم محمد بن نصير النميري، وكنيته أبو شعيب، وكان من الشيعة الاثني عشرية، وأصله من فارس، ثم انفصل عنهم إثر نزاع بينه وبينهم على ثبوت صفة الباب له، حيث ادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر، فلم تقرّ له الإمامية بذلك، فانفصل عنهم وكوّن له طائفة، وقد ظل زعيما لطائفته إلى أن هلك سنة ٢٦٠هـ، وقيل سنة ٢٧٠هـ، وقد كان فيما ذكر علماء الفرق مولى للحسن العسكري الإمام الحادي عشر للشيعة الاثني عشرية، ولقد كان للحسن العسكري موقف شديد منه ومن آرائه الكفرية [(١)].

لقد صار ابن نصير داخلا في قَسم كل نصيري، وهو قسم مملوء بالشرك والإلحاد، وهو يشير بكلمات موجزة إلى ديانتهم، وما فيها من الاعتقادات، لا يعرفها إلا من توسع في دراسة هذه الطائفة ووقف على مخازيهم بمداخلته لهم.

وهذا القسم هو: (إني وحق العلي الأعلى، وما أعتقده في المظهر الأسنى، وحق النور وما نشأ منه، والسحاب وساكنه، وإلا برئت من مولاي عليّ العلي العظيم وولائي له ومظاهر الحق، وكشفت حجاب سلمان بغير إذن وبرئت من دعوة الحجة ابن نصير، وخضت مع الخائضين في لعن ابن ملجم، وكفرت بالخِطاب، أي بالديانة والدعوة،

---

(١) انظر فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب بن علي عواجي، الباب السادس النصيرية بتصرف مناسب لطلبة العلم.

وأذعت السر المصون، وأنكرت دعوى أهل الحق، وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى اجتثت أصولها وأمنع سبيلها، وكنت مع قابيل على هابيل، ومع النمرود على إبراهيم، وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه إلى أن ألقى العلي العظيم وهو عليّ ساخط، وأبرأ من قول قنبر، وأقول إنه بالنار ما تطهر) [1].

وحين بنى ابن نصير ديانته على الالتصاق بالحسن العسكري، وإنه الباب إلى ابنه المزعوم محمد بن الحسن العسكري، كان الحسن العسكري شديد التحذير منه شديد السخط عليه حيث كتب إلى أحد أتباعه قائلا له ومحذرا من أفكار ابن نصير وفجوره: (إني أبرأ إلى الله من ابن نصير النميري، وابن بابا القمي فأبرأ منهما، وإني محذرك وجميع موالي، ومخبرك أني ألعنهما، عليهما لعنة الله فتانين مؤذيين، آذاهما الله وأرسلهما في اللعنة، وأركسهما في الفتنة) [2].

والسبب في لعنه إنما كان في دعوى ابن نصير النبوة ودعوى الألوهية لأهل البيت، وغير ذلك من المبادئ والاعتقادات الوثنية المجوسية، وقد نقل عبد الحسين عن القمي وصفه لابن نصير بأنه كان فاحشا وشاذا جنسيا بالتعبير الحديث، حيث أجاز اللواط وسائر المحرمات مدعيا أن ذلك من التواضع والتذلل في المفعول به.. إلى آخر ما وصف به من صفات شنيعة لا يلق بالمقام ذكرها هنا [3].

ومن الجدير بالذكر أن الاثني عشرية قد توجهت نحو جميع فرق

(١) العلويون أو النصيرية لعبد الحسين الشيعي ص٣.

(٢) المصدر السابق ص٤.

(٣) المصدر السابق ص٢١ ، نقلاً عن مقالات القمي ص١٠٠.

الباطنية النصيرية وغيرهم من سائر الغلاة بوجهة جديدة، وهي احتواء جميع تلك الفرق وصهرها في بوتقة المذهب الاثني عشري؛ فقد نادوا بأن النصيرية العلوية هم شيعة أهل البيت[1]، ووقوف العلويون إلى جانب الرافضة في عصرنا الحاضر أقوى شاهد.

- **أسماء فرقة النصيرية التي أطلقت عليهم وعرفوا بها والسبب في إطلاقها.**

أطلقت على هذه الطائفة أسماء بعضها يقبلونه وبعضها لا يقبلونه، لكنها أصبحت علما عليهم، منها اسم النصيرية وهو الاسم الذي غلب على غيره من أسمائهم واشتهروا به، ومع هذا فإن النصيريين لا يحبون أن يسموا به، ومن أسباب كراهيتهم له حسب تعليلاتهم أن الأتراك حينما كانوا مسيطرين على بلادهم أطلقوا عليهم اسم النصيرية نسبة إلى الجبال التي يسكنونها نكاية بهم واحتقارا لهم، حتى جاءت فرنسا واستعمرت بلادهم، فأطلقوا عليهم التسمية التي يحبونها، ولهذا نجد أن النصيرية تدين لفرنسا بالولاء والتقدير، حيث أصدر الفرنسيون قرارا يقضي بتسمية جبل النصيريين بأراضي العلويين المستقلة تعميقا لانفصالهم.

ويوجد تعليل آخر لسبب تسميتهم بالنصيريين: وهو لمستشرق

---

(١) انظر رسالة العلويين شيعة أهل البيت لحسن الشيرازي، نشر دار الصادق في بيروت، حيث ذكر في رسالته هذه ص٢، أنه التقى بالنصيريين في سوريا ولبنان، وذلك بأمر من مرجعهم الديني محمد الشيرازي وقال: بأنه وجدهم كما يظن من شيعة أهل البيت الذين يتمتعون بصفاء الإخلاص وبراءة الالتزام بالحق، وينتمون إلى علي بن أبي طالب بالولاية، وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب، وقال بأن العلويين والشيعة كلمتان مترادفتان مثل كلمتي الإمامية والجعفرية.

يسمى ريسو، فقد جعل تسميتهم النصيريين بهذا الاسم لوجود صلة بينه وبين تسمية نصارى أو نصراني، ولعل الذي حمله على هذا القول هو ما رآه من المشابهة بين النصيريين والنصارى في كثير من التقاليد والطقوس الدينية، ومشاركة النصيريين للنصارى في كثير من أعيادهم، وتقديس كل منهم للخمر، والوقوف إلى جانب بعضهم البعض في الأوقات الحرجة، وما هو حاصل الآن في لبنان أقوى شاهد على هذا، إلا أن هذا القول وإن صدق في وجود التشابه إلا أن الأقرب إلى الصواب أن هذه التسمية إنما أخذت من اسم مؤسس طائفتهم أبي شعيب محمد بن نصير البصري النميري[1] .

وما ذكره ريسو في سبب تسميتهم بالنصيرية يؤيده ما ذكره أيضا عنهم الدكتور حسن إبراهيم حسن بقوله: (وثمة تفسير آخر لا يزال مألوفا عند السنيين الذين يجاورونهم، وهو أن لاسمهم صلة بلفظ نصراني أو نصارى، ومما يزكي هذا التفسير أن النصيرية لا يزالون يمارسون بعض طقوس النصارى، كالاحتفال ببعض الأعياد النصرانية مثل عيد الميلاد وعيد الفصح، ويعتبرونها من الأعياد الكبرى، كما أن بعضهم يحمل أسماء نصرانية مثل متى ويوحنا وهيلانة.

وبالإضافة إلى المبادئ التي اقتبسها النصيرية من النصرانية، فإن ديانتهم تحتفظ بقسط وافر من الأسرار، وما تزال تحتفظ بمعالم واضحة تنبئ عن معتقداتهم التي هي مزيج من عناصر غير متجانسة تماما تقوم على أساس نظام ديني يتصل بعبادة النجوم والكواكب.

---

(١) طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها للدكتور سليمان الحلبي ص٢٣، وقد طبع في الدار السلفية الكويت ١٩٨٤م.

وقد اقتبست هذه التعاليم في القرون الأولى للعصر المسيحي بعض المبادئ الروحية عند المسيحيين، ويقوم نظام النصيرية على التجسد، ويدور حول هذه الأسماء الثلاثة التي تكون التثليث الشبيه بتثليث النصارى، ويتمتع هؤلاء بالوحدانية والخلود.

وهذه الأسماء الثلاثة التي يرمزون إليها في قائمة مذهبهم هو التي تكون تثليثا شبيها بالتثليث الكائن في النصرانية، ويرمز إلى هذا التثليث عند النصيرية بحروف ع.م.س ويقولون: إن الله حلّ في ثلاثة هم علي ويرمزون إليه بالمعنى، ومحمد ويرمزون إليه بالاسم، وسلمان الفارسي ويرمزون إليه بالباب) [(١)].

ومن أسمائهم العلويون، وهم يحبون هذا الاسم ويتمنون أن يطلقه الناس عليهم وينسوا ما عداه من أسمائهم، وقد ذكر بعض العلماء أن هذه التسمية أخذت من عبادة هؤلاء لعلي ﷺ وتأليههم له، وعلي بريء من إلحادهم مثل براءة جعفر الصادق من مذهب الجعفرية.

ويقول عبد الحسين عن ارتياحهم لهذه التسمية: (وقد ارتاحوا لها لأنها في الأقل تخلصهم مما علق تاريخيا باسم النصيرية من ذم وتشنيع وتكفير، كما أنها تفتح لهم آفاقا أرحب للتقارب مع الشيعة.. ولاشك في أن الانتساب إلى الإمام على أي نحو كان أفضل من الانتساب إلى ابن نصير) [(٢)].

وقد أطلق عليهم الأتراك اسم السوراك وأصلها سورة ك، بمرور

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن إبراهيم حسن ٤/٢٦٥، نشر دار الجيل ٢٠٠١م.

(٢) العلويون أو النصيرية لعبد الحسين الشيعي ص٣٢.

الزمن صار الناس يلفظونها سوراك، ومعناها عند الأتراك المنفيون أو المساقون، ويوجد إلى هذه الأيام كما يذكر الحلبي بعض النصيريين في حلب، وفي أقضية صهيون والعمرانية وصافيتا بهذا الاسم [(١)].

ويطلق عليهم اسم النميرية، نسبة إلى محمد بن نصير النميري، ولهم أسماء أخرى محلية مثل التختجية والحطابون في غربي الأناضول، والعلي إلهية في فارس وتركستان وكردستان [(٢)].

• النصيرية في عصرنا تمكنوا من السيطرة على مقاليد الحكم في سوريا.

بعد وفاة ابن نصير تناوب على زعامة النصيرية عدة أشخاص أثروا المذهب النصيري بأفكارهم وتنوع المعتقدات، وتعدد الطرق والآراء، كان من أبرزهم أبو محمد الجنبلاتي وتلميذه الحسين بن حمدان الخصيبي ومحمد بن علي الجلي، وعلي الجسري، والميمون بن سرور بن قاسم الطبراني، وحسن المكزون السنجاري، وهو آخر مظهر لقوة النصيرية.

قال الدكتور سليمان الحلبي: (وبعد وفاة الحسن المكزون تفرق النصيريون إلى عدة مراكز دينية غير مرتبطة ببعضها البعض، يتبوأ كل منها لمرجع ديني يطلقون عليه لقب الشيخ، واستقل كل شيخ برئاسة مركز صغير إلى أن استطاعوا بالأمس القريب وفي غفلة المسلمين في سوريا وغيرها من السيطرة على نظام الحكم في سوريا، فعادت لهم

---

(١) تاريخ العلويين لمحمد أمين غالب الطويل ص٣٤٢ طبع في اللاذقية عام ١٩٢٤م، ومحمد غالب الطويل شخصية نصيرية كان أحد قادتهم أيام الاحتلال الفرنسي لسوريا، وقد ألف هذا الكتاب يتحدث فيه عن جذور هذه الفرقة، وانظر طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها للدكتور سليمان الحلبي ص٣٥.

(٢) العلويون أو النصيرية ص٣١.

سطوتهم وقوتهم مرة أخرى يتحكمون بها في رقاب المسلمين) [١].

ولكنهم في هذا الظهور الجديد اتخذوا لهم أسماء براقة خادعة مثل حزب البعث الاشتراكي، ودعوى التقدمية والتحرر، وما إلى ذلك، وهم إنما غيروا الاسم لإبعاد الأنظار عن حقيقتهم قدر الإمكان ولجلب الساقطين إلى صفوفهم.

ويعتبر النصيريون ديانتهم ومذهبهم سرا من الأسرار العميقة التي لا يجوز إفشاؤها لسواهم، وقرروا أن الذي يفشي شيئا منها يكون جزاؤه القتل في أسوأ صورة له، لأنه أفشى سر العلي الأعلى.

ومن أمثلة ذلك أن سليمان الأضني وهو من أبناء مشايخ النصيرية من ولاية أضنة تنصر بتأثير بعض المنصرين الأمريكيين وجاء إلى اللاذقية، وكتب كتبا سماه الباكورة السليمانية، وكشف فيها الكثير من أسرار العقيدة النصيرية، وطبع المنصرون الأمريكيون الكتاب في بيروت سنة ١٨٦٣م. وبعد أن قام باللاذقية مدة أخذ أقاربه يراسلونه ويحببون إليه العودة إليهم، مستعملين في ذلك كل وسائل التودد والمجاملة حتى آمن جانبهم وعاد إلى وطنه الأصلي، فكان جزاؤه أن أحرقوه حيا، ثم حاول النصيريون بكل جهد وعزم احتواء الكتاب حتى اختفى تدريجيا، ولا توجد منه الآن نسخة واحدة [٢].

وهكذا فإنهم يترصدون لكل من يذكر عنهم شيئا، أو يشير إلى عقائدهم الخبيثة التي تنضح شركا ووثنية، ولا يملكون من وسائل

---

(١) طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها للدكتور سليمان الحلبي ص٤٢.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ١٠/٢٤٩.

الدفاع والرد غير التصفية الجسدية، لعلمهم بأن مذهبهم عورات لا تحتمل النقاش أو عرض الأدلة، فهي أقنعة واهية سرعان ما يظهر ما وراءها وينكشف، ومن هنا فإنهم ليسوا على استعداد لأي بحث ومناظرة.

- **النصيرية علويون يعتقدون بإلوهية الإمام عليّ وأنه حالٌّ في القمر.**

النصيرية علويون يعتقدون بألوهية الإمام علي، والشمالية منهم يقولون إنه حالٌّ في القمر. والكلازية يذهبون إلى أنه حال في الشمس، ولهذا فهم يقدسون الشمس والقمر وسائر النجوم.

ويعتقدون بتناسخ الأرواح، فالأرواح الصالحة عندهم تحل في النجوم، ولهذا يسمون عليا أمير النحل أي أمير النجوم، والأرواح الشريرة تحل في أجسام الحيوانات التي هي في نظرهم نجسة كالخنازير والقرود وبنات آوى.

ويعتقدون أن كلمة السر عندهم ثلاثة أحرف وهي ع.م.س، أي علي، محمد، سلمان. كما أن للنصيرية كتابا مقدسا يعتمدونه ويرجعون إليه وهو غير القرآن، ولا يحتل القرآن عندهم إلا مكانا ثانويا، وأغلب العقائد خليط بين عقائد وثنية قديمة وإسلامية متطرفة [١].

والتعاليم النصيرية تعتبر المرأة من أجهل نساء العالم وتقضي بعدم جواز اطلاع المرأة على أي سر من أسرار المذهب؛ لأنها في نظرهم ضعيفة العقل والإرادة، ولأنها أكثر شرا من الرجل، وأكثر احتيالا ومكرا، وهن سبب كل شر، كما صرح بذلك الهفت الشريف المقدس

(١) العلويون أو النصيرية لعبد الحسين الشيعي ص٦٣.

عندهم، والجهل بمذاهبهم هو العلم، فالمرأة النصيرية إذا لا دين لها [١].

وفي كتابهم الهفت الشريف وصايا عديدة حول الاحتراس من المرأة، وذكر المساوئ الكثيرة التي تصدر عنها، وأن الرجل قد يجازى أيضا بالتناسخ بأن يتحول إلى صورة امرأة عقابا له إذا كان في حياته السابقة غير مؤمن بالنصيرية، أو كانت عليه ذنوب كثيرة في حق إخوانه النصيريين، أو لم يحترم المشائخ ويقدم لهم الهدايا وأنواع المأكولات [٢].

وقد ذكر المفضل الجعفي عن الصادق وهو من جملة أكاذيبهم عليه أنه قال في وجوب الحفاظ على سرية المذهب: (كذلك الكافرون ينحطون من درجة الرجال حتى يصيرون نساء كافرات عامة ، قال المفضل: يا مولاي روي عن أبيك أنه قال: النساء أشر من الرجال، وأكثر احتيالا ومكرا، قال الصادق: يا مفضل إن أصل كل شر النساء، وحين أخرج أبونا آدم من الجنة كان بسبب حواء حين أغواه ضده على أكل الحبة، وكذلك قتل قابيل أخاه هابيل بسبب النساء، ألم تسمع كلام الله في كتابه الكريم عن امرأة نوح ولوط وكيف خانتاهما؟

ومن هذه النظرة المتشائمة للنساء؛ فإنه لا أمل في صلاحها عند النصيرية، ويجب إبعادها عن كل أمر مهم ومنه سر الديانة، أما في الإسلام فلا أحد يجهل مكانة المرأة العالية؛ حيث جعلها راعية ومسئولة، وأن الله لا يضيع عمل عامل سواء كان ذكرا أو أنثى، وأن المرأة مكلفة بنفس التكاليف التي أمر بها الرجل إلا ما استثنى لضرورة المرأة، وجعل

---

(١) طائفة النصيرية للدكتور سليمان الحلبي ص٤٣.

(٢) الجيل التالي لمحمد حسين ص٩.

لها حق التملك، وطلب منها إخراج زكاة مالها، ورغبها في الصدقة وفعل الخير.

- **كيفية تلقي العهد لمن كان يرونه مهيئا للدخول في تعاليم النصيرية.**

ولما كانت العقيدة النصيرية من أردأ المذاهب وأشدها توغلا في الباطل، لم يستسيغوا إظهار مذهبهم صراحة حتى لبعضهم البعض إلا بعد تعقيدات واختبارات شديدة يذل فيها الداخل من خلالها، ويتجرع أشد أنواع الإهانة، إذ يتم دخوله في المذهب بطريقة فاحشة يتم من خلالها القضاء على كل عرق ينبض بالرجولة والشهامة فيه، وتداس كرامته وينتهك عرضه، فحينما يحضر التلميذ يختار الشيخ الذي سيلازمه من بين مجموعة المشائخ الموجودين، ويسمونه الوالد الروحي أو الوالد الديني، ثم يغرسون في نفس التلميذ تقديس شيخه، والتواضع له تواضعا مطلقا، أشبه ما يكون بالقاعدة الصوفية كالميت بين يدي الغاسل.

ومن الطرق التي يتوسلون بها إلى إذلال الشخص، أنه حينما يدخل يقف في ناحية وهو ساكت، لا يتكلم بشيء وأحذية المشايخ مرفوعة فوق رأسه، ثم يتكلم شيخه لبقية المشايخ ويتوسل إليهم أن يقبلوا هذا الشخص الماثل أمامهم، ويدخلوه في زمرتهم، فإذا قبله المشائخ أنزلت الأحذية من فوق رأسه، ثم يأخذ في تقبيل أيدي وأرجل الحاضرين من المشايخ، ثم يقف في مكانه ويوضع على رأسه خرقة بيضاء، ثم يأخذ الشيخ في قراءة العقد الذي سيتم بين التلميذ وبين المشايخ، وهو أشبه ما يكون بعقد الزواج، ويعتبرون هذا بمثابة الخطبة، ويعتبرون الكلام الذي يسمعه بمثابة النكاح، وما يتحمله من العلم عنهم بمثابة الحمل، فإذا علم

وأراد التعليم، فإن ذلك يكون بمثابة الوضع. وبعد أن تتم هذه المرحلة يقال للتلميذ، يجب عليك أن تكرر في اليوم خمسمائة مرة بحق ع. م. س لمدة يحددونها، ثم بعد ذلك يأتي إليهم ليتم تعليمه المذهب بعد اختبارات قاسية يرضى فيها بكل شيء، حتى ولو بإهدار رجولته [١].

والنصيرية يشترطون فيمن يتلقى تعليم المذهب أن يجتاز سن التاسعة عشرة، وأن يمر بمرحلة البقاء على الجهل، وفيها يهيئون من يقع عليه الاختيار من أبناء الطائفة لقبول وحمل أسرار المذهب، ثم مرحلة التعليق وفيها يلقنونه شيئا من تعاليم المذهب، ويبقى مدة سنة إلى سنتين تحت إشراف شيخ من شيوخ الطائفة ليطلعه على شيء من أسرار المذهب بالتدريج، فإذا توسموا فيه القبول والنجابة، نقلوه إلى مرحلة السماع وهي الدرجة العليا، ويطلعونه فيها على أكثر أصول المذهب النصيري، ثم يعقد الرؤساء الروحيون للطائفة مجمعا خاصا لتلقينه بقية أسرار المذهب، ثم ينقلونه إلى درجة أعلى يطلقون عليه درجة الشيخ أو صاحب العهد[٢].

ويتم ذلك بحضور الكفلاء، والشهود يشهدون باستعداد الرجل لقبول السر ومحافظته عليه، ثم يحلف اليمين المقررة عندهم أن يحافظ على السر ولو أريق دمه، وبعد حصوله على هذه الدرجة يصبح شيخا من شيوخ الطائفة [٣].

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور محمد أحمد الخطيب ص٣٧٤.

(٢) العلويون أو النصيرية لعبد الحسين الشيعي ص٥٧.

(٣) طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها للدكتور سليمان الحلبي ص٤٥، وانظر العلويون أو النصيرية ص٥٧.

ومما يجدر التنبيه إليه أن التلميذ دائما وهو بين أيدي المشايخ لا يلقى إليه شيء من تعاليم المذهب الملتوية إلا في غياب عقله وتفكيره عنه؛ ليقبل تلك العقائد التي تشمئز منها النفس، ويمجها العقل وتأنف منها الفطرة السليمة، وكل هذه الأهوال يعيشها الشخص حتى تستكمل إجراءات تفهيمه المذهب في جو غير طبيعي.

وقد وصف أحد الداخلين واسمه مخلوف في العقيدة النصيرية الموقف والحال المتبع عند دخول الشخص الذي يرتضونه لتحمل سر الديانة، فقال مخبرا عن ذلك: (وفي اليوم المحدد اجتمع من المشائخ وأهل القرية والقرى المجاورة جمهور كثير، واستدعوني إليهم، وناولني قدح خمر، ثم وقف أحد المشائخ وهو برتبة النقيب في الديانة النصيرية، ووقف بجانبي وقال لي: قل: بسرّ إحسانك يا عمي وسيدي وتاج رأسي، أنا لك تلميذ وحذاؤك على رأسي، ولم أجد بدا من شرب الخمر لأول مرة في حياتي، فلما شربت الكأس التفت إلى الإمام قائلا: هل ترضى أن ترفع أحذية هؤلاء الحاضرين على رأسك إكراما لسيدك؟ فقلت: كلا، بل حذاء سيدي فقط، فضحك الحاضرون لعدم قبولي القانون، ثم أمروا الخادم فأتى بحذاء السيد المذكور، فكشفوا رأسي ووضعوه عليه، وجعلوا على الحذاء خرقة بيضاء.

ثم أخذ النقيب يصلي على رأسي وأوصوني بالكتمان وانصرفوا، إلى أن قال: ثم بعد أربعين يوما اجتمع جمهور آخر واستدعوني إليهم، ووقف الشيخ الكبير بجانبي وبيده كأس خمر، فسقاني الكأس وأمرني بأن أقول سر ع. م. س، ثم بعد ذلك قال لي الإمام: إنه فرض عليك أن تتلو هذه اللفظة، وهي سر ع. م. س كل يوم خمسمائة مرة، ثم

أوصوني بالكتمان وانصرفوا.

ثم بعد سبعة أشهر والمدة للعامة تسعة أشهر، اجتمع جمهور آخر أيضا واستدعوني حسب عادتهم، وأوقفوني بعيدا عنهم، ثم قام هؤلاء بمهازل أمامه وطقوس، ثم قام وكيل من بين الجماعة، وقال للإمام: نعم نعم نعم يا سيدي الإمام، فقال له الإمام: ما مرادك وماذا تريد؟ فأجابه أنه تراءى لي شخص بالطريق إلى أن قال: هذا الشخص اسمه مخلوف، وقد أتى ليتأدب أمامكم، فقال: من دله علينا؟ فأجاب: المعنى المعنى والاسم العظيم والباب الكريم وهي لفظة ع. م. س، فقال الإمام: ائت به لنراه، فأخذ المرشد بيدي وذهب بي إلى الإمام، فلما دنوت منه مدّ لي رجليه فقبلتهما، ويديه أيضا، وقال لي: ما حاجتك وماذا تريد أيها الغلام؟ ثم نهض النقيب ووقف بجانبي وعلمني أن أقول: بسر الذي فيه أنتم يا معاشر المؤمنين.

ثم نظر إليّ بعبوسة وقال: ما الذي حملك أن تطلب منا السر المكلل باللؤلؤ والدر، ولم يحمله إلا كل ملاك مقرب أو نبي مرسل؟ اعلم يا ولدي أن الملائكة كثيرون، ولا يحمل هذا السر إلا المقربون، والأنبياء كثيرون، وليس منهم من يحمل هذا السر إلا الممتحنون، أتقبل قطع الرأس واليدين والرجلين ولا تبيح بهذا السر العظيم؟ فقلت له: نعم. فقال لي: أريد منك مائة كفيل، فقال الحاضرون: القانون يا سيدنا الإمام، فقال: إكراما لكم ليكن اثنا عشر كفيلا، ثم قام المرشد الثاني وقبل أيدي الاثني عشر كفيلا، وأنا أيضا قبلت أيديهم.

ثم نهض الكفلاء وقالوا: نعم نعم نعم يا سيدي الإمام، فقال الإمام: ما حاجتكم أيها الشرفاء؟ قالوا: أتينا لنكفل مخلوفا، فقال: إذا باح بهذا

السر، أتأتوني به نقطعه تقطيعا، ونشرب دمه، فقالوا: نعم، فأجاب وقال: لست أكتفي بكفالتكم فقط؛ بل أريد اثنين معتبرين يكفلانكم، فجرى واحد من الكفلاء وأنا وراءه، وقبّل أيدي الكفيلين المطلوبين، وقبلتهما أنا أيضا، ثم نهضا قائمين وأيديهما موضوعة على صدريهما، فالتفت إليهما الإمام وقال: الله ممسيكما بالخير أيها الكفيلان المعتبران الطاهران، أهل البرش والكرش، فماذا تريدان؟ فأجابا أننا قد أتينا لنكفل الاثني عشر كفيلا، وهذا الشخص أيضا، فقال: إذا هرب قبل أن يكمل حفظ الصلوات، أو باح بهذا السر، هل تأتياني به لتعدم حياته، فقالا: نعم، قال الإمام: إن الكفلاء يفنون وكفلاء الكفلاء يفنون، وأنا أريد منه شيئا لا يفنى. فقالا له: افعل ما شئت، فالتفت إليّ وقال: ادن يا مخلوف فدنوت منه، وحينئذ استحلفني بجميع الأجرام السماوية بأني لا أبوح بهذا السر.

ثم ناولني كتاب المجموع في يدي اليمنى، وعلمني النقيب الواقف بجانبي أن أقول: تفضل حلفني، يا سيدي الإمام على هذا السر العظيم، وأنت بريء من خطيئتي، فأخذ كتاب المجموع مني، وهو مكتوب بالخط اليدوي..إلى أن قال: ثم قال الإمام: اعلم يا ولدي أن الأرض لا تقبلك فيها مدفونا إن أبحت بهذا السر، ولا تعود تدخل القمصان البشرية، بل حين وفاتك تدخل قمصان المسوخية، وليس لك منها نجاة أبدا، ثم أجلسوني بينهم، وكشفوا رأسي ووضعوا عليه غطاء، ثم إن الكفلاء وضعوا أيديهم على رأسي، وأخذوا يصلون، فقرءوا أولا سورة الفتح والسجود والعين، ثم شربوا الخمر وقرءوا سورة السلام، ورفعوا أيديهم عن رأسي، وسلموني إلى مرشدي الأول، ثم أخذ بيده كأس

الخمر وسقاني وعلمني أن أقول: بسم الله، يسمي الله على شرب الخمر! وبالله، وسر السيد أبي عبد الله العارف بمعرفة الله، سر تذكار، والصالح سره أسعده الله [١] .

ثم انصرفت الجماعة وأخذني الشيخ صالح الجبلي شيخ الخياطين إلى بيته، وابتدأ يعلمني أولا التبري وهو الشتائم، وحينئذ أطلعني على صلاة النصيرية، وفيها عبادة علي بن أبي طالب، وهي ست عشرة سورة [٢].

ومن الواضح جدا أن القائمين على تعاليم المذهب مجموعة، أو شركة من اللصوص سراق عقول البشر، همهم الزعامة وجمع الأموال بأي وجه كان، ووجدوا في أشباه البشر من يصدقهم في ترهاتهم وأباطيلهم التي تبدأ بترداد ع. م. س وتنتهي بعبادة غير الله ﷻ، إنها مهازل يندى لها الجبين، قام بها عتاة المجوسية عباد الأوثان، واقتطعوا أمما بتلك المسالك الشيطانية، وأخرجوهم عن دينهم.

- **النصيرية وأبعادها المجوسية التي هيمنت على عقائدها وأفكارها.**

للنصيرية عقائد كثيرة، بعضها ظاهر، وبعضها وهو الأكثر لا يزال في طي الكتمان، ومن أهم عقائدهم تأليه علي ﷺ، ولا يستبعد وقوع هذا؛ فإن هؤلاء من أساسهم كانوا عباد أوثان، وعباد بقر وفروج، وبعد أن دخلوا في الإسلام، أو على الأصح تظاهروا به، كان من أبرز عقائدهم تأليه الإمام علي ﷺ، زاعمين أنه إمام في الظاهر، وإله في

---

(١) الجيل التالي لمحمد حسين ص٣٩.

(٢) هي مجموعة من الأدعية والكلام الركيك أكثره في مناجاة أمير النحل يقصدون علي بن أبي طالب ﷺ، وبرأه الله منهم مملوءة بالشرك وإظهار ربوبية علي، وأنه الله رب العالمين خالق السموات والأرضين، لا نريد التطويل بذكرها هنا.

الباطن، لم يلد ولم يولد، ولم يمت ولم يقتل، ولا يأكل ولا يشرب.

وبحسب اعتقادهم أن الله تجلى في علي، فقد اتخذ علي محمدا، وبالغوا في كفرهم فقالوا إن عليا خلق محمدا، ومحمد خلق سلمان الفارسي، وسلمان خلق الأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض وهم المقداد رب الناس وخالقهم، الموكل بالرعود والصواعق والزلازل، وأبو الدر أبو ذر الغفاري الموكل بدوران الكواكب، والنجوم، وعبد الله بن رواحة الأنصاري الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر، وعثمان بن مظعون الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان، وقنبر بن كادان الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام [(١)].

والمجوسية ظاهرة في هذه الأفكار لم يتغير فيها إلا الأسماء فقط، وهذه الأقوال يكفي واحدة منها لدحض ما يزعمونه من إسلام، فهي نهاية الكفر والخروج عن منهج الله ﷻ، ويحتج النصيريون لهذه العقيدة بقولهم إن الله معبود مقدس يحل في الأجسام متى يشاء، وله التصرف، وإليه ترجع الأمور، وعلي ﷺ وحاشاه عن كفرهم حين زعموا أنه إمام في الظاهر وإله في الباطن، قسموا طبيعته إلى قسمين، الظاهر وهو القسم البشري منه قسم الناسوت الذي يأكل ويشرب ويلد ويولد ويتقرب إلى عباده ليعرفوه عن كثب، وأما الباطن منه فهو قسم اللاهوت الذي لا يأكل ولا يشرب.

ومن حماقتهم أنهم يستدلون على ألوهية عليّ بما حصل له من كرامات كقلع باب خيبر، وشجاعته الحربية، وزعموا أنه كان يكلم

---

(١) طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها للدكتور سليمان الحلبي ص٤٧، وانظر الجيل التالي لمحمد حسين ص١١٣.

الجن، وأن الرسول ﷺ أسند إليه قتال الكفار الظاهرين، وعليّ أسند إليه قتال المنافقين، لأنه يعرف البواطن، وقد اختلفوا في مكان حلوله بعد أن ترك ثوبه الآدمي أي صورته البشرية، فمنهم من يتجه إلى القمر في عبادته لاعتقاد أنه حل فيه، بل القمر نفسه هو عليّ، وهؤلاء يسمون الشمالية.

ومنهم من يتجه إلى الشمس في عبادته لاعتقادهم أنه حل فيها، بل الشمس نفسها هي علي، وهؤلاء يسمون الكلازية [(١)]. ومن هنا قال مدير مدرسة نصيري حينما سمع بوصول رواد الفضاء من الأمريكان وغيرهم إلى سطح القمر بزعمهم، إن كان ما ذكروه حقا أن القمر مكون من جمادات فعلى الدين السلام، وغضب لربه وقال في ذمه لهذه الكشوفات عن القمر: الآن ينتهي مفعول الدين، إذا أثبتت هذه الكشوف كونه مجموعة من التلفيقات [(٢)].

ويؤكد صاحب الهفت الشريف أنه ما من مؤمن يموت إلا وتحمل روحه إلى الإمام علي فينظر فيها، فإذا كان مؤمنا ممتحنا صافيا صعدت الملائكة بروحه إلى السماء فتغمسها في عين على باب الجنة اسمها عين الحياة [(٣)].

ويقول عن الأئمة: (نحن الأئمة أولياء الله لا يَفْتُر علينا من علمه شيء لا في الأرض ولا في السماء، نحن يد الله وجنبه، ونحن وجه الله وعينه، وأينما نظر المؤمن يرانا، إن شئنا شاء الله، ولا تلقه إلا إلى أهله، والحمد

(١) العلويون أو النصيرية لعبد الحسين الشيعي ص٥٧.

(٢) الإسلام في مواجهة الباطنية ص٣٩.

(٣) الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق للمفضل الجعفي، تحقيق مصطفى غالب الإسماعيلي ص٨٢ طبعة دار الأندلس بيروت.

لله الذي اصطفانا من طينة نور قدرته، ووهبنا سر علم مشيئته) [(١)].

ويتجلى تأليههم للإمام علي ﷺ في تلك الأدعية الركيكة الخالية عن العقل وعن أدنى أنواع المعرفة، والتي تسمى سورا عندهم كما جاء في السورة الثالثة: (اللهم إني أسألك يا مولاي، يا أمير النحل، يا عليا يا عظيم، يا أزل يا فرد يا قديم، يا علي يا كبير، يا أكبر من كل كبير، يا خالق الشمس والقمر المنير، يا علي يا قدوة الدين، يا عالم يا خبير، يا راحم الشيخ الكبير يا منشئ الطفل الصغير، يا جابر العظم الكسير، يا محل كل يسير من غير عسير) [(٢)].

أما دعاؤهم في سورة السجود: (يا علي سجد لك وجهي الفاني البالي إلى نور وجهك العزيز الحي الدائم.. يا علي لك الإلهية، يا علي لك الملكوتية.. إياك مولاي عليّ نعبد) [(٣)].

وفي سورة الإشارة: (لله ارتفاع القصد والعزة، والإشارة لك يا مولاي يا أمير المؤمنين، يا علي يا أنزع البطين، أي يا كبير البطن، يا محيي العظام الدوارس وهي رميم، اللهم إني أسألك يا مولاي يا أمير المؤمنين أن تجعلنا في عبادتك كاسبين غانمين مؤيدين منصورين، ولا تجلعنا في عبادتك لا خاسرين ولا نادمين) [(٤)].

وجاء في السور الكبيرة: (أول معرفتي بالله أشهد شهادة تقية نقية، مشعشعة نورانية، بيضية علوية حجابية محمدية، أشهد شهادة الحق في

---

(١) السابق ص١٩٧.

(٢) الإسلام في مواجهة الباطنية لأبي الهيثم ص٢٥٠، والجيل التالي ص٧٩.

(٣) الجيل التالي ص٨٧.

(٤) المصدر السابق ص٩٣.

منهج الصدق، أشهد شهادة بأن لا إله إلا مولاي ومولاك أمير النحل علي، ولا حجاب إلا السيد محمد، ولا باب إلا السيد سلمان.. وأشهد أن الله علي ربي يحييني ويميتني، وهو الحي الذي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير وإليه المصير) [1].

ويختلف النصيريون عن المسلمين في العبادات، بل وفي كل شيء، وهذا طبيعي؛ إذ إن تعاليم الإسلام لا يمكن أن تتفق مع التعاليم الوثنية مهما أظهروها بالمظهر الإسلامي، مثل استعمالهم الأسماء الإسلامية، كما قد يتسمون بالأسماء المسيحية أيضا؛ لكنهم لا يسمحون لأحد منهم أن يتسمى بأفضل أصحاب رسول الله ﷺ كأبي بكر وعمر، ولأن مذهبهم خليط من شتى الأفكار والديانات، فإن ما ورد في عقيدتهم وكتبهم من كلمات الصلاة والحج والزكاة والصيام لا يريدون بها المقصود منها في الشريعة الإسلامية، بل أولوها إلى معان أخرى باطنية.

وذكر الدكتور مصطفى الشكعة أن النصيريين يصلون في خمس أوقات، إلا أنها تختلف في الأداء وفي عدد الركعات عن بقية المذاهب الإسلامية، وصلاتهم لا سجود فيها، وفيها بعض الركوع أحيانا، ولا يصلون الجمعة، ولا يعترفون بها كفرض، ولا يتطهرون قبل أداء صلواتهم، ولا يصلون في المساجد، بل يحاربون بناء المساجد، ولا يرضون بإقامتها، بل يجتمعون في بيوت معلومة وأوقات معينة، ويسمون هذا الاجتماع عيدا يقوم الشيوخ بتلاوة بعض القصص والأخبار والمعجزات الخرافية لأئمتهم، ويختلط الحابل بالنابل في هذه الاجتماعات رجالا ونساء، ثم يقومون بأداء بعض الطقوس والصلوات المشابهة

---

(١) الجيل التالي ص٩٩.

لقداسات وطقوس المسيحيين[١].

والصيام عند النصيرية ليس الامتناع عن جميع المفطرات في نهار رمضان؛ بل هو الامتناع عن معاشرة النساء طوال شهر رمضان، والحج إلى بيت الله الحرام يعتبرونه كفرا وعبادة للأصنام [٢].

• فرق النصيرية وأعيادهم وأماكنهم وجهود المسلمين في ردهم إلى السنة.

أكثر النصيرية يعيش اليوم في الجنوب والشمال من سوريا، ولهم وجود في جنوب تركيا وأطراف لبنان الشمالي وفارس وتركستان الروسية وكردستان [٣].

وقد تفرق النصيريون إلى فرق وطوائف كثيرة، ومن أهم تلك الطوائف الجرانة، وتنسب إلى قريتهم جرانة، ويقال لهم القمرية لأنهم يعتقدون أن عليا حل في القمر، ويرون أن الإنسان إذا شرب الخمر الصافية يقترب من القمر[٤].

ومن فرقهم الغيبية أي الذين رضوا بما قدر لهم في الغيب فتركوا التوسل، أو هم الذين قالوا إن الله تجلى في علي ثم غاب عن البشر واختفى، والزمان الحالي هو زمان الغيبة، ويقررون أن الغائب هو الله الذي هو علي، ثم سميت بعد ظهور زعيم منهم سمي عليا ﷺ حيدرا الحيدرية.

---

(١) إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص٣٠٩.
(٢) طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها للدكتور سليمان الحلبي ص٦٦.
(٣) العلويون أو النصيرية لعبد الحسين الشيعي ص٧.
(٤) طائفة النصيرية دكتور الحلبي ص٨٣.

ومنهم الماخوسية نسبة إلى زعيمهم علي الماخوس المنشق عن الكلازية، ومنهم النياصفة نسبة إلى زعيمهم ناصر الحاصوري من بلدة نيصاف بلبنان [١].

وللنصيرية أعياد كثيرة في أوقات كثيرة مثل عيد الغدير، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد عاشوراء، وعيد الغدير الثاني يوم المباهلة، وعيد النوروز، وعيد المهرجان، وعيد الصليب، وعيد الغطاس وعيد السعف، وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارة، وعيد الميلاد إلى آخر، أعيادهم الكثيرة التي وافقوا فيها المسلمين والنصارى والوثنيين[٢].

وعن احتفالاتهم بعيد النوروز قال عبد الحسين العسكري: (احتفال النصيرية بعيد النوروز وهو العيد الديني والقومي للفرس يدل على الأثر الفارسي في النصيرية، ويشير إلى تمجيدهم للفرس بدعوى حلول الإله وشخصوه في ملوكهم، حتى إنهم جعلوا منهم ثالوثا نظير ثالوثهم، وهم يدعون الإسلام، حيث زعموا أن ثلاثة منهم توارثوا الحكمة وتجلى الإله فيهم وهم شروين وكروين وكسرى، ويقابلهم في الإسلام النصيري المعنى والاسم والباب علي، محمد، سلمان، ع.م.س) [٣].

حاول كثير من الزعماء المسلمين إرجاع النصيرية إلى الإسلام، وقاموا بمجهودات كثيرة بالترهيب تارة وبالترغيب تارة ، وكما هو شأن هذه الطائفة إذا أحسوا بقوة تضغط عليهم وخافوا سطوتها أظهروا

---

(١) طائفة النصيرية للدكتور سليمان الحلبي ص٨٣ ، ودراسات في الفرق للدكتور صابر طعيمة ص٥٤، ومذاهب الإسلاميين للدكتور عبدالرحمن بدوي ٤/٢٩٥.

(٢) ذكرها الدكتور سليمان الحلبي بتوسع في كتابه طائفة النصيرية ص٧١.

(٣) العلويون أو النصيرية لعبد الحسين الشيعي ص١٠٤.

الموافقة والتمسك بشرائع الإسلام الظاهرة، فإذا ضعفت هذه القوة ظهر النصيريون على حقيقتهم، وأعلنوا الحرب على تلك الشعائر الإسلامية.

ومن هؤلاء الزعماء الذين حاولوا إصلاح النصيرية صلاح الدين الأيوبي فبعد دحره للصليبيين بنى المساجد، وأمر جميع النصيريين بالصلاة فيها وبالصوم، وغيرهما من بقية شعائر الإسلام، فأطاعوه إلى أن توفي فتركوا ذلك، وجعلوا المساجد زرائب للحيوانات.

ومنهم الظاهر بيبرس فبعد أن دحر التتار ألزمهم ببناء المساجد بقراهم وإقامة الصلاة فيها، فبنوها بعيدة عن القرى وهجروها، وربما كان يمر الغريب في المسجد فيؤذن فيه فيقولون له: لا تنهق يأتيك علفك بعد قليل، كما حكى ذلك الرحالة ابن بطوطة.

ومنهم السلطان العثماني سليم بنى المساجد، وقام بكثير من الإصلاحات، ولكنهم رجعوا بعده إلى ما كانوا عليه، وكذلك إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والى مصر، قام بإصلاحات كثيرة من أجل تركهم عقائدهم الفاسدة إلا أنهم حينما أنسوا من أنفسهم قوة رجعوا عن ذلك كله.

ومنهم السلطان العثماني عبد الحميد كرر المحاولات بإرساله رجلا من خاصته اسمه ضياء باشا، وجعله متصرفا على لواء اللاذقية، فأنشأ لهم المساجد والمدارس، فأخذوا يتعلمون ويصلون ويصومون، وأقنع الدولة بأنهم مسلمون، إذ لم يعصوا له أمرا، ولكنه بعد أن ترك هذا المتصرف منصبه خربت المدارس وحرقت الجوامع ودنست[1].

---

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار لمحمد اللواتي ١/٩٦، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور محمد أحمد الخطيب ص٣٣٢، وطائفة النصيرية ص٦٥.

ولقد كان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله صولات وجولات مع هؤلاء، فقد غزا رحمه الله النصيرية في جبل كسروان بمن معه من المسلمين وفتح بلادهم، وكاتب السلطان فيهم بحسم مادة شيوخهم الذين يضلونهم، والأمر بإقامة شعائر الإسلام ونشر السنة ببلادهم.

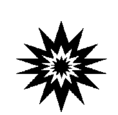
وهكذا انتهت تلك المحاولات بلا جدوى، وربما يعود السر في محاربتهم لبناء المساجد إلى عقيدة عندهم؛ إذ يزعمون أن من عرف ربه وعرف معنى التكاليف صار حرا غير مكلف، وبقاء المساجد في نظرهم دليل على الجهل والتقصير، وعدم معرفة الرب في عقيدتهم، ومعرفة أوامره ظاهرا وباطنا، فالنصيرية إحدى الفرق الباطنية الغلاة، ظهرت في القرن الثالث للهجرة وانشقت عن فرقة الإمامية الاثني عشرية، وهم كغيرهم من أعداء الإسلام الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، إذ لم تمر بهم فرصة دون إيقاع أكبر الأذى بالمسلمين، والنصيريون حينما يوقعون الأذى بالمسلمين يوقعونه دون هوادة أو رحمة، ويعتقدون أنهم مثابون على ذلك، فكلما أوغل الشخص منهم في إلحاق الأذى بالمسلمين كلما زاد ثوابه حسب اعتقادهم.

وأقرب مثال على مواقف النصيريين في العصر الحاضر ما يجري في أماكن المسلمين في سوريا ولبنان من تقتيلهم الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال، ثم وقوفهم كذلك في صف المارونيين والخمينيين.

ولقد هيأ هؤلاء للتتار قديما وللصليبيين الفرص لذبح المسلمين وإنزال أفدح المصائب بهم، مما لم يسمع بمثله باعتراف كتّاب النصيرية أنفسهم، وما من فتنة تثور ضد المسلمين من أهل السنة إلا وهؤلاء النصيريون في خندق واحد مع عدو المسلمين، وكم ذهبت من أنفس

واستبيحت من أعراض بسبب دسائس النصيرية، وتآمرهم في وقائع تقشعر منها الجلود، وبينهم وبين اليهود والنصارى مودة وتشابه في كثير من المعتقدات.

ولعل هذا يفسر لنا السر في المجزرة التي قام بها حافظ الأسد النصيري في مدينة حماة السورية، تلك المجزرة الرهيبة التي هزت كيان كل مسلم، ففي عام ١٩٨٢م حوصرت مدينة حماة المسلمة السنية بقوات من قوات الخاصة السورية الشيعية النصيرية حتى تم تدمير وهدم ٨٨ بالمائة من مساجد حماة، وتصفية شباب أهل السنة في جريمة نكراء قتل فيها ما يزيد على أربعين ألف مسلم من أهل السنة، واعتقال خمسة عشر ألف آخرين يعتبرون إلى الآن في عداد المفقودين، بينما تشرد حوالي ١٥٠ ألف مسلم سني من المدن السورية الأخرى إلى البلاد العربية المجاورة. وهناك مجاز أخرى كمجزرة مخيم تل الزعتر عام ١٩٧٦م، ومجزرة سجن تدمر، ومجزرة هنانو، ومجزرة جسر الشغور، ومن سوء أفعالهم الوقحة نزع حجاب المسلمات العفيفات من أهل السنة من على رؤوسهن بالقوة في الشوارع العامة لمدينة دمشق عام ١٩٨٠م، لتصبح نساء سوريا كاسيات عاريات. ولعلنا ندرك الآن السر في قول الخميني الذي نشر في الصحف العالمية: (إن رؤساء الدول الإسلامية كلهم غير مسلمين إلا حافظ الأسد).



المطلب الثالث عشر

أبرز الطرق الصوفية المنتشرة في البلاد الإسلامية وأثرها في نشر البدع الاعتقادية والشرك في العبودية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن الصلة بين الصوفية والشيعة الإمامية في عقيدة الولاية والتقية وغيرها من العقائد البدعية، وتحدثنا عن دعوى نزول الوحي على الأئمة والأولياء بين الشيعة والصوفية، وبينا أن سلاسل العهد في ترتيب مشايخ الطرق الصوفية هي في الأصل سلاسل شيعية، ثم بينا ما قرره ابن خلدون من انتقال فكرة الإمامة من الشيعة إلى المتصوفة، وأن الصوفية يشاركون الشيعة الاثنى عشرية في عقيدة المهداوية والغيبة وغيرها.

وعلمنا أن الصوفية من ضلالاتهم أنهم يجعلون مقام الولاية كمقام النبوة أو يزيد، وأن ابن عربي يجعل الولي أفضل من النبي، لأن الولاية عنده هي الدائرة الكبرى، وأن النبوة عنده مستمرة لا تنقطع، وأن الصوفية يدعون عصمة الأولياء كما زعمت الشيعة لأئمتهم، وأن الكون كله صورة القطب عند الصوفية يتحكم في كل شيء، وأن الأولياء عند الصوفية يتشكلون في صور غيرهم بالحلول والتناسخ، وبينا مراتب الصوفية التي وضعوها لطبقات المتصوفة، وأن نفاق التقية الشيعي يماثل تلون الصوفية في التأويل بين الظاهر والبطن.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن أبرز الطرق الصوفية المنتشرة في البلاد الإسلامية وأثرها في نشر البدع الاعتقادية والشرك في العبودية.

- **العارفون بالله أرقي أنواع الصوفية والعابدون لله تعالى أدنى طبقاتهم.**

القاسم المشترك بين طوائف الصوفية أنهم يقسمون طريق السالكين تقسيما بدعيا، فيجعلونه على ثلاث مراحل، مرحلة تخص العوام وهي طريق العابدين، ووصفوا هؤلاء بأنهم أدنى أنواع السالكين الذين يعبدون الله طمعا في جنته وخوفا من ناره، فلا يوقرون الله إلا لما ينالهم من العوض.

ثم المرحلة الثانية وهي تخص الأواسط من الناس، ويسلكون طريق المريدين، وهم الذين عبدوا الله لمحبة الذات الإلهية بلا عوض، كما اشتهر عن رابعة العدوية، فلا يطمعون في جنة ولا يخافون من نار.

ثم المرحلة الثالثة وتسمى بطريق العارفين الذين هم أرقى أنواع السالكين عند الصوفية، فإذا قيل هذا عارف بالله، فقد قطع المرحلتين السابقتين طريق العابدين وطريق المريدين.

وهذا التصنيف يعد أساسا ساريا في كلامهم، وكلام من تأثر بهم من طوائف الصوفية المختلفة، إما تصريحا وإما تلميحا، وإما ظاهرا أو باطنا، وإما بارزا أو مستترا، فالأول هو توحيد العامة، والثاني للخاصة، والثالث لخاصة الخاصة .

قال الهروي: (التوحيد على ثلاثة وجوه، الوجه الأول: توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والوجه الثاني: توحيد الخاصة وهو الذي

يثبت بالحقائق، والوجه الثالث: توحيد قائم بالقدم، وهو توحيد خاصة الخاصة) [١].

ثم يبين أن التوحيد الأول هو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو المبني على العبادة لله وحده الذي يلتزم فيه العامي بالملة ويعمل بالشرائع. وأما التوحيد الثاني فيجعله منقطعا عن الأسباب في الدنيا والآخرة، فهو توحيد الخاصة وهو إسقاط الأسباب الظاهرة.

وأما التوحيد الثالث فهو توحيد العارفين الذي لم ينطق عنه لسان، ولم تشر إليه عبارة، فإن التوحيد وراء ما يشير إليه مكون، أو يتعاطاه حين أو يقله سبب، وقد أجبت في سالف الزمان سائلا سألني عن توحيد الصوفية بهذه القوافي الثلاث: ما وحد الواحد من واحد، إذ كل من وحده جاحد. توحيد من ينطق عن نعته، عارية أبطلها الواحد. توحيده إياه توحيده، ونعت من ينعته لأحد [٢].

ويعقب ابن تيمية على توحيد العارفين بأن العارف المحقق من هؤلاء يقول: أرسل من نفسه إلى نفسه رسولا بنفسه، فهو المرسل والمرسل إليه والرسول، ويقول من هو من أكبر من أضلوه من أهل الزهادة والعبادة مع الصدق في تسبيحاته وأذكاره: الوجود واحد وهو الله، ولا أرى الواحد ولا أرى الله. ويقول أيضا نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود، والوجود واحد لا ثنوية فيه، وعنده أن غاية هذا التحقيق والعرفان [٣].

---

(١) منازل السائرين للهروي ص١٣٥.

(٢) السابق ص١٣٥.

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٦/١٧٠.

وهذا المقام يسمونه مقام الاصطلام، وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته، وبمشهوده عن شهادته، وبمذكوره عن ذكره، فلا قيمة عند ذلك للعبادة ولا الذكر.

• **العارفون من الصوفية الفانون عن السِّوى لا يرون التكاليف الشرعية.**

قال أبو الحسن الأشعري: (وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى درجة تزول فيها عنهم العبادات، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنا وغيره مباحات لهم) [1].

وقالوا: إذا وصلت إلى مقام اليقين سقطت عنك العبادة، مؤولين قول الله ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ الحجر:٩٩ [2].

وقد ظهر هؤلاء منذ نشأة التصوف، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام، وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات، وركنوا إلى إتباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان، ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحرروا من رقّ الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم تجري عليهم أحكامه وهم محو، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية،

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ص٢٨٩.

(٢) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها للدكتور عرفان عبد الحميد ص٧٤ طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٤م ، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤١٧/١١.

وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا، بل صرفوا [(١)].

كما أقر السراج الطوسي بإباحتهم للمحظورات فقال: (زعمت الفرقة الضالة، في الحظر والإباحة، أن الأشياء في الأصل مباحة، وإنما وقع الحظر للتعدي، فإذا لم يقع التعدّي تكون الأشياء على أصلها من الإباحة، وتأولوا قول الله ﷻ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾ عبس:٢٧/٣٢.
فقالوا هذا على الجملة غير مفصل، فأدّاهم ذلك بجهلهم إلى أن طمعت نفوسهم بأن المحظور الممنوع منه المسلمون مباح لهم، إذا لم يتعدّوا في تناوله، وإنما غلطوا في ذلك بدقيقة خفيت عليهم من جهلهم بالأصول، وقلة حظهم من علم الشريعة، ومتابعتهم شهوات النفس في ذلك، فظنت هذه الطائفة الضالة بالإباحة، لأن ذلك كان منهم على حال، جاز لهم ترك الحدود، أو أن يجاوزوا حد متابعة الأمر والنهي، فوقعوا من جهلهم في التيه وتاهوا، وطلبوا ما مالت إليه نفوسهم من اتباع الشهوات، وتناول المحظورات، تأويلا، وحيلا، وكذبا، وتمويها) [(٢)].

وقد ذكر ابن الجوزي أن المتصوفة في صحبة الأحداث على أقسام، منهم أخبث القوم، وهم أناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول. قال أبو نصر السراج، قال: بلغني أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى

---

(١) الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ١/٨.
(٢) كتاب اللمع للطوسي ص ٥٣٨.

اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية، وأنهم يرون الله ﷻ في الدنيا حالا في صفة الآدمي [١].

ثم حكى حكايات كثيرة عن هؤلاء المتصوفة، تدل على فسقهم وفجورهم، ومما ذكر أن جماعة من الصوفية دخلوا على أحمد الغزالي وعنده أمرد، وهو خال به، وبينهما ورد، وهو ينظر إلى الورد تارة، وإلى الأمرد تارة، فلما جلسوا قال بعضهم: لعلنا كدرناك، فقال: أي والله، فتصايح الجماعة على سبيل التواجد.

وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب إليه في رقعة: أنك تحب غلامك التركي، فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام، فصعد إليه النظر، فقبله بين عينيه، وقال: هذا جواب الرقعة.

قال ابن الجوزي معقبا على ذلك: إني لأعجب من فعل هذا الرجل وإلقائه جلباب الحياء عن وجهه، وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الإنكار عليه، ولكن الشريعة بردت في قلوب كثير من الناس[٢].

وقال يوسف بن الحسين: (كل ما رأيتموني أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث، فإنها أفتن الفتن، ولقد عاهدت ربّي أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثا، ففسخها على حسن الخدود، وقوام القدود، وغنج العيون، وما سألني الله معهم عن مصيبة) [٣].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٣٢٤.

(٢) السابق ص ٣٢٧.

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ص١٩١، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص٣٣٥.

قال ابن تيمية: (فكل الرسل دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى طاعتهم، والإيمان بالرسل هو الأصل الثاني من أصلي الإسلام، فمن لم يؤمن بأن هذا رسول الله ﷺ إلى جميع العالمين وأنه يجب على جميع الخلق متابعته، وأن الحلال ما أحله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه فهو كافر مثل هؤلاء المنافقين ونحوهم ممن يجوز الخروج عن دينه وشريعته وطاعته، إما عموما أو خصوصا.. ويعتقدون مع هذا أنهم من أولياء الله، وأن الخروج عن الشريعة المحمدية سائغ لهم، وكل هذا ضلال وباطل، وإن كان لأصحابه زهد وعبادة) [١].

وقال الحافظ ابن حزم الظاهري: (ادّعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل، وقالوا من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك، وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك، واستباحوا بهذا نساء غيرهم، وقالوا بأننا نرى الله ونكلمه، وكل ما قذف في نفوسنا فهو حق) [٢].

وقال الشعراني: (سيدي شريف رضي الله عنه ورحمه، كان يأكل في نهار رمضان، ويقول أنا معتوق، أعتقني ربي) [٣]. ومثل هذا يذكر عن أبي يزيد البسطامي أنه أخرج من كمّه رغيفا، وأخذ في أكله في المدينة، وكان هذا في شهر رمضان [٤].

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥٢/١١.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل للحافظ ابن حزم ١٧٠/٤.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ٤٨٩/١.

(٤) كشف المحجوب للهجويري ص٢٦٢، طبعة دار النهضة العربية بيروت.

ويذكر عن الشبلي أنه كان يقول: (يا ويلاه، إن صليت جحدت، وإن لم أصلّ كفرت)[١].

وقد ورد في كتب الصوفية حكايات كثيرة لا تعدّ ولا تحصى تدل على إتيان المتصوفة المنكر، وإباحتهم المحظورات، وتركهم الواجبات، ومع ذلك عدّوهم من أولياء الله وكبار المستجابين عند رب العالمين تبارك وتعالى عما يقوله الأفاكون أن يختار الفسقة أولياء وأصفياء.

• الشعراني يجعل الزناة واللوطية من طبقات أولياء الصوفية.

ذكر من يدعى بالقطب الرباني عند الصوفية والهيكل الصمداني العارف بالله سيدهم عبد الوهاب الشعراني في طبقاته من كرامات الشيخ علي وحيش ﷺ الذي كان يقيم في المحلة في خان بنات الخطا أن كل من كان يخرج بعد أن يفعل فاحشة الزنا يقول له قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج، فيشفع فيه، وكان إذا رأى شيخ بلد وغيره ينزله من على الحمارة ويقول له: أمسك رأسها لي حتى أفعل فيها الفاحشة، فإن أبى شيخ البلد تسمّر في الأرض، ولا يستطيع أن يمشي خطوة، وإن سمع كلامه حصل له خجل عظيم، والناس يمرون عليه، وكان له أحوال غريبة[٢].

وماذا نستطيع أن نقول بعد سرد هذه الرواية عن الشعراني، ثم مدحه لمثل هذا الفاجر الخبيث، وجعله من أعيان المجاذيب، وأرباب الأحوال، وصاحب الكرامات والخوارق، ومستجاب الدعوات، مأذونا

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص١٦٣.
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٤٨٩.

بالشفاعة عند الله، وليس مأذونا فحسب، بل شفيعا مقبولا، مبشرا بقبول شفاعته فيمن أراد أن يشفع فيهم، وهل هناك استهزاء بالشريعة، وتعطيل لحدود الله، وتلاعب بأوامر الله ونواهيه، وزندقة وإلحادا وفسقا وفجورا أكبر من هذا؟

وهناك صوفي آخر من كبار مشايخ القوم يسمونه قطب الواصلين عبد العزيز الدباغ يقول: (إن بعض المريدين قال لشيخه: يا سيدي دلّني على شيء يريحني مع الله ﷻ؟ فقال له الشيخ: إن أردت ذلك فكن شبيها له في شيء من أوصافه ﷻ فإنك إن اتصفت بشيء منها فإنه يسكنك يوم القيامة مع أوليائه في دار نعيمه، ولا يسكنك مع أعدائه في دار جحيمه، فقال المريد: وكيف لي بذلك يا سيدي وأوصافه تعالى لا تنحصر؟ فقال الشيخ: كن شبيهه في بعضها، فقال: وما هو يا سيدي؟ فقال: كن من الذين يقولون الحق، فإن من أوصافه تعالى قول الحق، فإن كنت من الذين يقولون الحق فإن الله سيرحمك، فعاهد المريد الشيخ على أن يقول الحق وافترقا، وكان بجوار المريد بنت فدخل الشيطان بينهما حتى فجر بها وافتضها، فلم تقدر البنت على الصبر مع أنها هي التي طلبت منه الفعل، لأنها تعلم أن الافتضاض لا يخفى بعد ذلك، فأعلمت أباها فرفعه إلى الحاكم وقال له: إن هذا فعل ببنتي كذا وكذا، فقال الحاكم للمريد: أتسمع ما يقول؟ فقال المريد: صدق، قد فعلت ذلك؛ لأنه كان مستحضرا للعهد الذي فارق الشيخ عليه، فلم يقدر على الجحود والنكران، فلما سمع منه الحاكم ما سمع، قال: هذا أحمق، اذهبوا به إلى المارستان، فإن العاقل لا يقرّ على نفسه بما يعود عليه بالضرر فدخل المارستان، ثم جاء من رغب الحاكم

وشفع فيه فسرّحوه) [١].

إن جماعة من الصوفية تظاهروا بالصلاح والتقوى لكنهم لم يستطيعوا أن يخفوا عشقهم ويكتموا فسقهم، وشهدوا على أنفسهم بعدم مبالاة الشرع وأحكامه، والتطرق إلى المنكرات والمحظورات، فهذا هو الشيخ الأكبر للصوفية محيي الدين بن عربي يرفع الستار عن شخصه وكنهه، فيقول شارحا لديوانه ترجمان الأشواق الذي فضحه هو وعشقه ببنت أحد مشايخ مكة وغزله فيها، وقد كثر الكلام والغمز واللمز فيه وأحدث هذا الشعر دويا كبيرا [٢].

وهناك صوفي كبير من شبه القارة الهندية الباكستانية لا زال مشهده قائما يزار ويقام عليه العرس سنويا، ولعله من أكبر الأعراس في باكستان، وهو مشهد الصوفي المشهور بمادهو لعل حسين، فقد ذكر أصحاب السير والطبقات في ترجمته أنه كان من أولياء الله ومستجاب الدعوات، وما كان يطلب شيئا من الربّ إلا لبى طلبه، فكان حافظا للقرآن وعالما فقيها، ويوما من الأيام كان يدرس عند شيخه تفسير مدارك التنزيل فلما بلغ إلى قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ محمد:٣٦. طرأ عليه الوجد، وبدأ يرقص ويقول: ما دام أن الحياة لهو ولعب فلماذا لا نلهو ونلعب؟ فأخذ كتبه ورماها في البئر وحلق لحيته وشواربه، وأخذ كأس الخمر، وبدأ يرقص في الشوارع والأسواق، ويرتاد بيوت المومسات، ويقضي أوقاته فيها إلى أن وقع نظره على أمرد هندوكي جميل اسمه مادهو، فوله به وعشقه، وما زال يطوف حول بيته

---

(١) الإبريز للدباغ ص ٤٣ طبعة مصر.

(٢) انظر مقدمة ذخائر الأعلاق لمحمد الكروي، ص ٧ مطبعة السعادة مصر.

ست عشرة سنة حتى أوقعه في حباله وفخه، وجعل اسمه جزءا من اسمه، فصار مادهو لعل الحسين، بعد أن كان حسينا فقط، وبعد وفاته صار مزاره مهبط الأنوار ومحط البركات[1].

• **تعريف بالطرق الصوفية المنتشرة في البلاد الإسلامية ومنشئها وماهيتها.**

إن التصوف عبر تاريخه الطويل امتلأ بالكثير من الانحراف، فهو خليط من الفلسفات والأفكار البائدة، وما كان فيهم من خير في العبادة والزهد وحسن التوكل على الله، فقد سبق به الأوائل على غلو منهم فيه، وما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيه الغنى والسلامة والنجاة، أما ما كان منهم في القرون المتأخرة حتى عصرنا فقد بني على بدع شركية، وابتداع شعائر وطقوس تعبدية لطرق عديدة تسمى الآن بالطرق الصوفية، ولهم مشيخة تسمى بمشيخة الطرق الصوفية، لها دستورها الذي ينظم إقامة الموالد والأعياد، وصناديق النذور، وكسوة القبور والمزارات.

وعلى الرغم من صعوبة تحديد المراد بالطريقة والوصول لمفهوم موحد لجميع الطرق الصوفية إلا إنه يمكن القول إن الطريقة الصوفية تعني النسبة أو الانتساب إلى شيخ يزعم لنفسه الترقي في ميادين التصوف، والوصول إلى رتبة الشيخ المتحقق، ويدعي لنفسه رتبة صوفية من مراتب الأولياء العارفين، كما أنها تعنى اختيار جماعة من المريدين شيخا لهم يسلك بهم رياضة بدنية، وأورادا خاصة بهم على دعوى تصفية القلب لغاية الوصول إلى معرفة الله.

(١) انظر تذكرة أولياء الباكستان والهند للدكتور ظهور الحسن ٢/٢٥٩.

ومن ثم فإن الطريقة الصوفية تعني اتصال المريد بالشيخ، وارتباطه به حيا أو ميتا، وذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المريد بإذن من الشيخ أول النهار وآخره، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ، وهذا العقد يعرف بالعهد، وصورته أن يتعهد الشيخ بأن يخلص المريد من كل شدة، ويخرجه من كل محنة، متى ناداه مستعينا به، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة، ويتعهد المريد بأن يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى الحياة، كما يلتزم بلزوم الطريقة وعدم استبدالها بغيرها من سائر الطرق.

والتصريح بضمان الجنة للمريد أمر مشهور عند الصوفية، وهو أكبر من مجرد الشفاعة يوم القيامة، حتى قال أحد مشايخ الصوفية وهو الشيخ التيجاني: وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي[1].

وهناك تنافس محموم بين الطرق الصوفية لجذب المريدين، ولذلك فإن كل طريقة تحاول أن يكون لها ذكر خاص تنفرد به عن سائر الطرق، وأن يكون لهذا الذكر ميزة خاصة، ومسبحة خاصة، وحركات خاصة، ولكل طريقة مشاعر خاصة، من حيث لون العلم والخرقة وطريقة الذكر ونظام الخلوة وغيرها.

والطرق يتوارثها الأبناء من الآباء، وذلك أن الطريقة التي تستطيع

---

(١) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر بن سعيد الفوتي السنغالي الأزهري التيجاني (ت:١٢٨١هـ) ٢/١٤٣، دار الفكر، بيروت.

جلب عدد كبير من المريدين والتابعين تصبح بعد مدة من الزمن إقطاعية صوفية تفد الوفود إلى رئيسها أو شيخها من كل ناحية في مولد الشيخ، وتأتيه الصدقات والهبات والبركات من كل حدب وصوب، وحيثما حل الشيخ في مكان ذبحت الطيور والخرفان وأقيمت الموائد، ولذلك فإن أصحاب الطرق الصوفية اليوم يتقاتلون عليها بالسيوف.

والطرق الصوفية وإن اختلفت وتباينت فإنها تتفق في الاحتفال بدخول المريد في الطريقة بطقوس مرسومة دقيقة، وقد يتطلب في بعض الطرق من المريد أن يمضي وقتا شاقا في الاستعداد للدخول، كما تتطلب التقيد بخرقة أو زي خاص يمثل رمز أصحاب الطريقة الذي يميزهم عن غيرهم.

ولا بد من اجتياز المريد مرحلة شاقة من الخلوة والصلاة والصيام وغير ذلك من الرياضات، والإكثار من الذكر مع الاستعانة بالموسيقى والطبل والحركات البدنية المختلفة التي تساعد على الوجد والجذب، ولابد من الاعتقاد في القوى السرية الخارقة للعادة التي يكتسبها المريدون بالمجاهدات، وهي القوى التي تمكنهم من أكل الجمر، والتأثير على الثعابين، والإخبار بالمغيبات، وفي كل الطرق قاسم مشترك وهو احترام شيخ الطريقة إلى درجة التقديس، فيكون المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي مغسله.

وترجع نشأة الطرق الصوفية بهيكلها المعروف حاليا إلى أبي سعيد محمد أحمد الميهي الصوفي الإيراني ٤٣٠هـ، فهو أول من وضع هيكلا تنظيميا للطرق الصوفية بجعله متسلسلا عن طريق الوراثة، ويمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها، حيث

انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية المنسوبة لعبد القادر الجيلاني ٥٦١هـ، كما ظهرت الطريقة الرفاعية المنسوبة لأبي العباس الرفاعي ٥٧٨هـ، وفي القرن السابع الهجري ظهرت الطريقة الأحمدية البدوية ٦٢٧هـ، وقد دخل التصوف الأندلس وأصبح ابن عربي أحد أكابر الصوفية ٦٣٨هـ.

واستمرت الصوفية بعد ذلك في القرون التالية إذ انتشرت الفوضى واختلط الأمر على الصوفية لاختلاط أفكار المدارس الصوفية، وبدأت مرحلة الدراويش والتصوف المختلط بالتفاعل المركب والمزود بأنواع من الطقوس والخرق الدالة على الزهد مع الفلسفات الوثنية والمذاهب الكلامية الحلولية وطقوس الديانات الاتحادية كالهندية والبوذية مع بعض الشعائر الإسلامية وشركيات العرب في الجاهلية.

ويلاحظ أن الذين ينتمون لهذه الطرق من عارفيهم يجمعهم منهج واحد وإن تعددت الطرق الصوفية، فمنهجهم التزم طريق السالكين الذي يبدأ بطريق العابدين ثم طريق المريدين ثم طريق العارفين، بقي هذا المنهج ساريا في جميع الطرق الصوفية حتى يصل الصوفي إلى الفناء عن شهود السوى ثم القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

قال عبد القادر عيسى: (إن الطريق واحدة في حقيقتها، وإن تعددت المناهج العملية، وتنوعت أساليب السير والسلوك، تبعا للاجتهاد وتبدل المكان والزمان، ولهذا تعددت الطرق الصوفية، وهي في ذاتها وحقيقتها وجوهرها واحدة) [1].

(١) حقائق عن التصوف ص٢٧٢.

ومن ثم فإن الصوفية عقيدتهم الأصلية التي يدين بها كل المتصوفة قديمهم وحديثهم واحدة، فجميع الطرق الصوفية كالشاذلية والرفاعية والقادرية والخلوتية والنقشبندية والمولوية والبكتاشية والتيجانية وغيرها من الطرق، وإن اختلفت أسماؤها فهي كلها تؤدي إلى هدف واحد هو تبني العقيدة الصوفية التي تنتهي بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

- **الطريقة القادرية الجيلانية من أبرز طرق الصوفية في القرن السادس.**

من أبرز الطرق الصوفية التي ظهرت في القرن السادس الهجري وانتشرت استمرت حتى عصرنا الطريقة القادرية، وتسمى أيضا الطريقة الجيلانية، وتنسب إلى عبد القادر الجيلاني٥٦١هـ، وهي منتشرة الآن في العراق ومصر وشرق أفريقيا، ويضاهيها كذلك الطريقة الرفاعية المنسوبة لأحمد بن علي الرفاعي ٥٧٨هـ، وهي منتشرة الآن في العراق ومصر وغرب آسيا.

أما مؤسس الطريقة الجيلانية فهو عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي الحسني الذي ولد بجيلان سنة٤٧٠هـ وقدم بغداد شابا سنة ٤٨٨هـ، وتوفي وعمره ٩٠ عاما ودفن سنة ٥٦١هـ.

وأتباعه يزعمون أنه أخذ الخرقة والتصوف عن الحسن البصري عن الحسن بن علي بن أبي طالب، كما نسبوا إليه من الأمور العظيمة فيما لا يقدر عليها إلا الله تعالى من معرفة الغيب، وإحياء الموتى وتصرفه في الكون حيا أو ميتا، بالإضافة إلى مجموعة من الأذكار والأوراد والأقوال التي منها قوله:

(من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني في شدة فرجت

عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيتها له)[١].

ينتشر أتباع الطريقة القادرية في كثير من البلاد أشهرها سوريا وتركيا والعراق والمغرب والجزائر وفلسطين ولبنان والصين وموزمبيق والكاميرون ونيجيريا والاتحاد السوفيتي وغانا وإيران والجزائر ومصر والسودان والنيجر ومالي وغينيا وتشاد وأفغانستان وباكستان والصومال وأندونيسيا ويوغسلافيا وتونس وماليزيا وإرتيريا.

ومن أوراد الطريقة القادرية: تلاوته اسم الإشارة "هو" عدد أربعة وأربعون ألفا وستمائة مرة، وتوجهه: يا من هو الله لا إله إلا أنت هو هو هو، إلهي حقق باطني بسر هويتك، وأفن مني أنانيتي إلى أن تصل إلى هوية ذاتك العلية، يا من ليس كمثله شيء، أفن عني كل شيء غيرك، وخفف عني ثقل كثائف الموجودات، وامحُ عني نقطة الغيرية لأشاهدك ولا أدري غيرك، يا هو يا هو يا هو، لا سواك موجود، لا سواك مقصود، يا وجود الوجود، الحمد لله الذي كيَّف الكيْف، وتنزه عن الكيفية، وأيَّن الأيْن وتعزز عن الأينية، ووُجد في كل شيء وتقدس عن الظرفية، وحضر عند كل شيء وتعالى عن العندية، إلهنا فطهر قلوبنا من الدنس لنكون محلا لمنازلات وجودك، وخلصنا من لوث الأغيار لخالص توحيدك حتى لا نشهد لغير أفعالك وصفاتك وتجلي عظيم ذاتك، وطهِّرنا من قاذورات البشرية، وصفّنا بصفاء المحبة الصديقية من صدأ الغفلة ووهم الجهل، حتى تضمحل رسومنا بفناء الأنانية، ومعاينة الطمسة الإنسانية في حضرة الجمع والتحلية، والتحلي بإلوهية الأحدية،

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١١/١٧١.

والتجلي بالحقائق الصمدانية في شهود الوحدانية، حيث لا حيث، ولا أين ولا كيف، ويبقى الكل لله، وبالله، ومن الله، وإلى الله، ومع الله، غرقا بنعمة الله، في بحر منة الله [1].

وقد تفرع عن الطريقة القادرية عدة طرق منها الطريقة القادرية البودشيشية، والطريقة القادرية العركية، والطريقة البريفكانية القادرية، والطريقة العلية القادرية الكسنزانية.

- **الطريقة الرفاعية من أبرز طرق الصوفية وتضاهي القادرية الجيلانية.**

أما مؤسس الطريقة الرفاعية فهو أبو العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي، ويطلق عليها البطائحية نسبة إلى مكان ولاية بالقرب من قرى البطائح بالعراق، وجماعته يستخدمون السيوف ودخول النيران في إثبات الكرامات.

وكُتَّاب الصوفية كدأبهم مع من ينتسبون إليهم ينسجون حوله الأساطير والخرافات، بل ويرفعونه إلى مقام الربوبية، ومن هذه الأقوال قول الشعراني: (كان قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماوات، ثم صارت السماوات السبع في رجله كالخلخال) [2].

وقد تزوج الرفاعي العديد من النساء ولكنه لم يعقب، ولذلك خلفه على المشيخة من بعده علي بن عثمان ت٥٨٤هـ، ثم خلفه عبد الرحيم بن عثمان ت٦٠٤هـ، ولأتباعه أحوال وأمور غريبة وشعوذات مريبة.

قال عنهم الشيخ الألوسي: (وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على

---

(١) الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص١٦.

(٢) انظر قلادة الجواهرص٤٢.

الدين والدولة مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها، وعنهم موردها، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء وعبادة مشايخهم) [١].

وأتباع الطريقة الرفاعية غلوا في شخصية شيخ الطريقة الرفاعية أحمد الرفاعي، وجعلوا منه شخصية أسطورية من قبل مولده وحتى وفاته، فقد جاء في كتاب قلادة الجواهر لأحد الرفاعية وهو محمد الصيادي الرفاعي أن الشيخ أحمد الرفاعي قال: (وحق العزيز سبحانه وتعالى، قبض العزيز جل جلاله من نور وجهه، فخلق منها سيدنا المصطفى ﷺ، فرشحت القبضة، فخلقني منها) [٢].

وجاء في كتاب الروض النضير أن الله أمر كل نبي أن يعطي شيئا من روحه إلى الشيخ الرفاعي، فتكونت روحه من أرواحهم، ومن روح جده المصطفى، وجاء في هذا الكتاب أيضا أن الرفاعي كان يخاطب أمه وهو في بطنها فيقول: (يا أماه السلام عليكم، فتقول: وعليك السلام يا ولدي، ما اسمك؟ فيقول: اسمي أحمد) [٣].

قال ابن خلكان: (ولأتباع أحمد الرفاعي أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية، والنزول في التنانير وهي تضرم بالنار فيطفئونها، ويقال: إنهم في بلادهم يركبون الأسود، ومثل هذا وأشباهه) [٤].

وقد حدثت مناظرة ابن تيمية العلنية لدجاجلة البطائحية الرفاعية

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني للعالم السلفي محمود شكري الآلوسي البغدادي ١/٣٧٠ وقد نشر في دار إحياء السنة النبوية.

(٢) قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر لأبي الهدى الرفاعي ص١٣٣.

(٣) السابق ص٢٠.

(٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ١/١٧٢.

وهي من أعظم ما تصدى له وقام به ابن تيمية من إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء السنة، ومحاربة البدعة.

ذكر ابن تيمية رحمه الله في شأن هؤلاء البطائحية الرفاعية أنهم وإن كانوا منتسبين إلى الإسلام وطريقة الفقر والسلوك، ويوجد في بعضهم التعبد والتأله، والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة والكشف والتصرف ونحو ذلك ما يوجد، فيوجد أيضا في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر، ومن الغلو والبدع في الإسلام والأعراض عن كثير مما جاء به الرسول، والاستخفاف بشريعة الإسلام، والكذب والتلبيس وإظهار المخارق الباطلة، وأكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله ما يوجد، وقد تقدمت لي معهم وقائع متعددة بينت فيها لمن خاطبته منهم ومن غيرهم بعض ما فيهم من حق وباطل، وأحوالهم التي يسمونها الإشارات، وتاب منهم جماعة، وأدب منهم جماعة من شيوخهم، وبينت صورة ما يظهرونه من المخاريق مثل ملابسة النار والحيات وإظهار الدم والزعفران وماء الورد والعسل والسكر وغير ذلك، وإن عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة، وأراد غير مرة منهم قوم إظهار ذلك، فلما رأوا معارضتي لهم بأني أدخل معكم النار بعد أن نغتسل بما يذهب الحيلة، ومن احترق كان مغلوبا، فلما رأوا الصدق أمسكوا عن ذلك ورجعوا ودخلوا على أن أسترهم فأجبتهم إلى ذلك بشرط التوبة) [1].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/٤٤٦.

- **الطريقة الأحمدية البدوية أبرز شبكات الطرق الصوفية في مصر.**

من أبرز الطرق الصوفية التي ظهرت في القرن السابع ولها تأثير صوفي كبير في العالم الإسلامي الطريقة الأحمدية أو البدوية المنسوبة إلى الشيخ أحمد البدوي ٦٢٧هـ في مصر، والطريقة الشاذلية المنسوبة للشيخ أبي الحسن الشاذلي ٦٥٦هـ في مصر والمغرب العربي واليمن وسوريا والأردن، والطريقة البرهامية الدسوقية المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي ٦٧٦هـ في مصر.

أما مؤسس الطريقة البدوية فهو أحمد بن علي البدوي المولود في مدينة فاس بالمغرب سنة ٥٩٦هـ؛ رحل به أبوه إلى مكة، ثم سافر هو إلى العراق، وزار بها قبر عدي بن مسافر، وقبر الحسين بن منصور الحلاج المقتول، ثم زار مصر ودخل طنطا ونزل في دار رجل من مشايخ المتصوفة يسمى ابن شحيط، فصعد البدوي إلى سطح غرفته وبقي فيه طول نهاره وليلته، قائما شاخصا ببصره إلى السماء! وقد انقلب سواد عينيه بجمرة تتوقد كالجمر! وكان يمكث الأربعين يوما أو أكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام! ثم ينزل لحاجة ثم يعود إلى مكانه على حاله السابق، وبقي على ذلك اثنتي عشرة سنة [1].

وذكر السخاوي عن الشيخ أبي حيان أنه قال: ألزمني الأمير ناصر الدين محمد بن جنكلي المسير معه لزيارة أحمد البدوي بناحية طنتدا فوافيناه يوم الجمعة، وإذا هو رجل طوال عليه ثوب جوخ وعمامة صوف، والناس يأتونه أفواجا؛ فمنهم من يقول: يا سيدي خاطرك مع

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٢٥٩.

غنمي، وآخر يقول مع بقري، وآخر مع زرعي إلى أن حان وقت الصلاة، فنزلنا معه إلى الجامع وجلسنا لانتظار إقامة الجمعة، فلما فرغ الخطيب وأقيمت الصلاة، وضع الشيخ رأسه في طوقه بعد ما قام قائما، وكشف عن عورته بحضرة الناس وبال على ثيابه، وحضر المسجد، واستمر ورأسه في طوق ثوبه، وهو جالس إلى أن انقضت الصلاة ولم يصل[1].

وتذكر كتب البدوية أنه نزل مع أسرته مهاجرا من المغرب إلى مكة، إلا أنه أقام بمصر، وتوفي البدوي في مدينة طنطا بمصر سنة ٦٧٥هـ، وهو عند الصوفية أحد الأقطاب الأربعة إضافة إلى الجيلاني، والرفاعي، والدسوقي، وطريقته من أكبر الطرق الصوفية في مصر، ولها فروع كثيرة، وشارة الطريقة هي العمامة الحمراء، والعلم الأحمر، ويحتفل بمولد البدوي في ثلاثة مواسم، والأشهر من هذه الموالد في شهر أغسطس، وتتوافد عليه الجموع من كل أنحاء مصر، ويقيم الأتباع حلقات الذكر، ويطوف الخليفة مع أتباعه المدينة، ويعتبر مولد أحمد البدوي أكبر موالد مصر، وتنتشر الطريقة البدوية في جميع أنحاء مصر، ويوجد في مدينة طنطا شمال القاهرة ضريح البدوي.

وتقول مصادر الطريقة إن عدد مريديها يتجاوز المليونين إلا أن البعض يشكك في ذلك ويقول إن أعدادها أقل من ذلك بكثير، وقد تفرعت منها طرق كثيرة في مصر أهمها، الشناوية وشيخها حسن محمد الشناوي، والمرازقة وشيخها عصام الدين أحمد شمس الدين، والشعيبية

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ٩/١٥٠، نشر بدار مكتبة الحياة بيروت، وقرة عيون الموحدين للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص١١٤.

وشيخها محمد محمد الشعيبي، والزاهدية وشيخها حسن السيد حسن يوسف، والجوهرية وشيخها الحسين أبو الحسن الجوهري، والفرغلية وشيخها أحمد صبري الفرغلي، والإمبابية وشيخها هاني محمد علي سلمان، والبيومية وشيخها أحمد حامد فضل، والسطوحية وشيخها علي زين العابدين السطوحي، والحمودية وشيخها إبراهيم محمد المغربي، والتسقيانية وشيخها أحمد إبراهيم التسقياني، والكناسية وشيخها محمد سلامة نويتو، والمنوفية وشيخها علي الدين عبد الله المنوفي، والجعفرية وشيخها عبد الغني صالح الجعفري، والجريرية وشيخها عبد الله خويطر جرير، والحلبية، والسلامية، والكتانية، وهم بلا شيوخ الآن.

وطقوس الانضمام لعضوية الطريقة الأحمدية البدوية تبدأ بالبيعة التي يؤديها المريد لشيخ الطريقة على السجادة لاصقا ركبتيه، ثم يقرأ عليه الشيخ البيعة ويطلب منه الاستغفار والتوبة ويردد خلفه الرضا بمشيخته، وإرشاده بطريقة البدوي، ويقيمه المرشد مريدا على هذا العهد.

والبدوية من الصوفية يبالغون في كرامات البدوي بصورة خرافية خيالية فيذكر الشعراني من كراماته أن ثورا كاد يقتل رضيعا بمصر، فمد البدوي يده إليه وكان حينذاك موجودا بالعراق، فنجاه وأبعد الثور عنه! (١).

وكان البدوي يتلثم بلثامين، لا يرى من وجهه شيء سوى عينيه! فطلب منه أحد مريديه أن ينظر إلى وجهه دون لثام ليرى وجهه، فقال له البدوي:كل نظرة برجل أي سيموت إذا رآني، فقال المريد: يا سيدي أرني وجهك ولو مت، فكشف البدوي له اللثام العلوي، فبدا له بعض

(١) قال الشعراني في الطبقات ١/٢٦٠.

وجهه، فصعق مريده ومات من فوره [١].

وهم يقصدون بذلك تجلي الله في البدوي بفلسفة وحدة الوجود، فلو كشف الله الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

قال الشعراني: وأخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوي ﷺ أن شخصا أنكر حضور مولده فسُلب الإيمان! فلم يكن فيه شعرة تحنُّ إلى دين الإسلام، فاستغاث بسيِّدي أحمد ﷺ، فقال : بشرط أن لا تعود ؟ فقال: نعم، فردَّ عليه ثوب إيمانه! ثم قاله له: وماذا تنكر علينا ؟ يعني في المولد قال: اختلاط الرجال والنساء، فقال له سيِّدي أحمد ﷺ: ذلك واقعٌ في الطواف ولم يمنع أحدٌ منه، ثم قال: وعزة ربي ما عصى أحدٌ في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته، وإذا كنتُ أرعى الوحوش في القفار، والسمك في البحار، وأحميهم من بعضهم بعضا، أفيعجزني الله ﷻ عن حماية مَن يحضر مولدي؟[٢]

ومن كراماته المزعومة كما ذكر الشعراني أنه تخلف سنة ٩٤٨هـ عن ميعاد حضور مولد البدوي، فأخبره بعض الأولياء بزعمه ممن حضر مولد البدوي، أن البدوي ذلك اليوم كان يقوم من قبره فيكشف الستر عن ضريحه ويقول: أبطأ عبد الوهاب ما جاء! [٣]

ومنها كراماته المزعومة أن الشعراني أراد في سنة من السنين التخلف عن مولد البدوي، فرأى البدوي ومعه جريدة خضراء! وهو يدعو

---

(١) السابق ١/٢٦٣.

(٢) السابق ١/٢٦٠.

(٣) السابق ١/٢٦٢.

الناس من سائر الأقطار إلى مولده، والناس خلفه ويمينه وشماله أمم لا يحصون، ثم إن البدوي أرى الشعراني خلقا كثيرا من الأولياء وغيرهم من الأحياء والأموات من الشيوخ والزمنى بأكفانهم يمشون ويزحفون، وآخرين من الأسرى جاءوا معه من بلاد الإفرنج مقيدين مغلولين يزحفون على مقاعدهم! فقوي عزم الشعراني بعدها على الحضور، ووعد البدوي بذلك، إلا أن البدوي أبى، ولم تطب نفسه حتى أقام على الشعراني سبعين عظيمين أسودين كالأفيال وقال البدوي لهذين السبعين لا تفارقاه حتى تحضرا به! كذا زعم الشعراني في طبقاته[1].

- **الطريقة الشاذلية من أبرز الطرق التي انتشرت منذ القرن السابع.**

الطريقة الشاذلية سلسلة صوفية مشهورة وطريقة منتشرة في مصر وتونس والجزائر وغيرها من البلدان، والشاذلية نسبة إلى أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الزاهد الضرير المولود بغمارة من قرى سبته سنة ٥٩٣هـ، وهي من المغرب الأقصى[2].

ولكن عطاء الله السكندري وهو تلميذ أبي العباس المرسي يذكر أن مبدأ ظهوره بشاذلة ولكن منشأه بالمغرب الأقصى فلم يعرف بالمنشأ والمولد، بل نسب إلى مبدأ ظهوره[3].

واختلفوا في نسبه أيضا، فمريدوه والمتعلّقون به ينسبونه إلى الأشراف

---

(١) السابق ١/٢٦٣.

(٢) النفحة العلية في أوراد الشاذلية ص ٢٢٦ طبعة مكتبة المتنبي القاهرة، وانظر أيضا أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٠.

(٣) لطائف المنن لابن عطاء السكندري ص ١٣٥ بتحقيق دكتور عبد الحليم محمود مطبعة حسان، القاهرة ١٩٧٤.

ويصلون بنسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كعادة أهل كل طريقة صوفية، ولو أنهم يختلفون فيما بينهم في أسماء آبائه، وكان ضريرا كما سماه ابن الملقن والشعراني بالضرير الزاهد[1].

وانتقل في صغره إلى مدينة تونس، فبدأ ينتقل من مدينة إلى مدينة، ومن بلدة إلى بلدة حتى حجّ ثم دخل العراق، وبدأ يفتش عن القطب الصوفي حسب زعم الشاذلي، فقال له أحد الأولياء هناك: إنك تبحث عن القطب بالعراق مع أن القطب ببلادك، ارجع إلى بلادك تجده[2]. فرجع إلى بلاده باحثا ومفتشا عن القطب، يسأل عنه المقبل والمدبر والراحل والمقيم إلى أن اجتمع به، وكان هذا القطب هو أبو محمد عبد السلام بن مشيش.

يقول الشاذلي: أتيت إليه وهو ساكن مغارة برباط رأس جبل، فاغتسلت في عين أسفل الجبل، وخرجت عن علمي وعملي، وطلعت إليه فقيرا، وإذا به هابط إليّ، فقال: مرحبا يا علي، وذكر نسبي إلى رسول الله [3]. ثم قال لي: يا علي، طلعت إلينا فقيرا من علمك وعملك، وأخذت منا غنى الدنيا والآخرة، فأخذني من الدهش، فأقمت عنده أياما إلى أن فتح الله عليّ بصيرتي[4].

وعبد السلام بن مشيش هذا ينقل فيه الشيخ الأكبر للأزهر سابقا عبد الحليم محمود عن صاحب الدرة البهية، أنه القطب الأكبر، والعلم

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٤٥٨، والطبقات الكبرى للشعراني ١/٢٩٠.

(٢) المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٣.

(٣) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص ١١٦.

(٤) المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي ص٢٣.

الأشهر، والطود الأظهر العالي السنام، هو البدر الطالع الواضح البرهان، الغنيّ عن التعريف والبيان، المشتهر في الدنيا قدره، والذي لا يختلف في غوثيته اثنان، وطريقه ترياق شاف لأدواء العباد، وذكره رحمة نازلة في كل ناد، سرى سرّه في الأفاق، وسارت بمناقبه الركبان والرفاق، قضى عمره في العبادة، وقصده للانتفاع أهل السعادة، وكان ﷺ في العلم في الغاية، وفي الزهد في النهاية، جمع الله له الشرفين الطيني والديني، وأحرز الفضل المحقق اليقيني[1].

ويذكر الشاذلي عبد السلام بن مشيش فيقول: كنت في سياحتي في مبدأ أمري حصل لي تردد: هل ألزم البراري والقفار للتفرغ للطاعة والأذكار أو أرجع إلى المدائن والديار لصحبة العلماء والأخيار؟ فوصف لي وليّا هنالك، وكان برأس جبل، فصعدت إليه، فلما وصلت إليه ليلا قلت في نفسي لا أدخل عليه في هذا الوقت، فسمعته يقول من داخل المغارة: اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك، فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذلك، اللهم وإني أسألك أعوجاج الخلق علي حتى لا يكون ملجئي إلا إليك.

قال الشاذلي: فالتفت إلى نفسي، وقلت: يا نفس انظري من أي بحر يغترف هذا الشيخ، فلما أصبحت دخلت إليه فأرعبت من هيبته. فقلت له: يا سيدي كيف حالك؟ فقال: أشكوا إلى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار، فقلت: يا سيدي أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته، وأنا الآن فيه، وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلماذا؟ فقال: أخاف أن تشغلني حلاوتها عن الله،

(١) المدرسة الشاذلية للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٤.

قلت: يا سيدي سمعتك البارحة تقول: اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك، فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذلك، اللهم وإني أسألك أعوجاج الخلق علي حتى لا يكون ملجئي إلا إليك، فتبسم ثم قال: يا بني، ما تقول: سخر لي خلقك، قل: يا رب كن لي، أترى إذا كان لك، أيفوتك شيء؟ فما هذه الجناية [1].

وبعد مدة من الزمن وبقاء الشاذلي عند ابن مشيش قال له شيخه ابن مشيش: يا علي ارتحل إلى أفريقية، واسكن بلدا بها تسمى شاذلة، فإن الله يسميك شاذليا، وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس، وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق، وترث فيها القطبانية [2].

وحسب زعم الشاذلية لما ورث الشاذلي القطبانية وظهر بالخلافة الكبرى، والولاية الكثرى، والقطبية العظمى، والغوثية الفردى، وخصّه الله بعلوم الأسماء، ومن عليه بأعلى مقامات الأولياء، وخصوصيات الأصفياء، وانفرد في زمانه بالمقام الأكبر، والمدد الأكثر، والعطاء الأنفع والنوال الأوسع، استقل ولم ينتسب لأحد[3].

قيل للشيخ أبي الحسن: من هو شيخك؟ فقال: كنت انتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، وأنا الآن لا انتسب لأحد، بل أعوم في عشرة أبحر: خمسة من الآدميين، النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وخمسة من الروحانيين جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل

---

(١) لطائف المنن لابن عطاء السكندري ص١٥٩.

(٢) جامع الأصول في الأولياء لمكشخانوي ص١١٧، كذلك أبو الحسن الشاذلي لعبد الحليم محمود ص٢٩، أيضا النفحة العلية في أوراد الشاذلية ص٢٢٨.

(٣) جامع الأصول في الأولياء لأحمد الكمشخانوي ص١١٧.

والروح الأكبر[١].

- **الشاذلية يزعمون أن شيخهم الشاذلي قدمه على رقبة كل ولي.**

ويذكر الشاذلية أنه تصرّف في أحكام الأولياء ومددها بالأذن والتمكين، وانفراد بسؤددها حق اليقين، وأمدّ الأولياء أجمعين، وكذا الصديقين، ونال مقام الفردانية الذي لا يجوز المشاركة فيه بين اثنين، وأجمع على ذلك من عاصره من العلماء العارفين والأولياء المقربين وخواص الصديقين، وشهد بقطبانيته وفردانيته الجمّ الكثير، وبدأ يقول: والله لقد جئت في هذا الطريق ما لم يأت به أحد، حتى تعالى وتفاخر فقال: قدمي على جبهة كل ولي لله [٢].

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور عبد الحليم محمود الذي تولّى مشيخة الأزهر، وتخرّج من جامعة فرنساوية كتب كتابا في تمجيد الشاذلي ومدح الشاذلية، فيذكر فيه على سبيل المدح أن الله كلّمه على جبل زغوان، الجبل الذي اعتكف الشاذلي في قمته، وتعبّد وتحنّث، والذي يذكره نقلا عن صاحب كتاب درة الأسرار أن الشيخ قرأ على جبل زغوان سورة الأنعام إلى أن بلغ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ الأنعام:٧٠. أصابه حال عظيم، وجعل يكررها ويتحرك، فكلما مال إلى جهة مال الجبل نحوها، وما كانت حياته على الجبل إلا على نباتات الأرض وأعشابها [٣].

---

(١) لطائف المنن لابن عطاء السكندري ص١٤٦، والطبقات الكبرى للشعراني ١/٢٩٣، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢/١٧٦، النفحة العلية ص٢٢٩.

(٢) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص١١٧، ولطائف المنن ص١٤٦.

(٣) انظر المدرسة الشاذلية الحديثة وأمامها ص٣٢.

وعلى هذا الجبل ارتقى منازل، وتخطّى مراتب حيث نبع له عين تجري بماء عذب، ثم بدأت الملائكة تحفّ بأبي الحسن، بعضها يسأله فيجيبه، وبعضها يسير معه، ثم تأتيه أرواح الأولياء زرافات ووحدانا تحفّ بأبي الحسن وتتبرك به[1].

وبعد تجاوز هذه المراتب كلها التي أهّلته لأن يخاطب الرب بدون واسطة ولا ملك، كلّمه الرب تبارك وتعالى حسب قول الدكتور عبد الحليم محمود، فقال له: يا علي، اهبط إلى الناس ينتفعوا بك. فقلت: يا رب أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخاطبتهم. فقيل لي: انزل فقد أصحبناك السلامة، ودفعنا عنك الملامة. فقلت: تكلني إلى الناس آكل من دريهماتهم. فقيل لي: انفق علِي، وأنا المليء، إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب، ونزل الشاذلي ﷺ من على الجبل ليغادر شاذلة، ويستقبل مرحلة جديدة، فقد انتهت المرحلة الأولى التي رسمها له شيخه

حكى الشاذلي عن نفسه فيما يتعلق بنسبه إلى شاذلة، قال: قلت يا رب لم سميتني بالشاذلي ولست بشاذلي؟ فقيل لي: يا علي، ما سميتك بالشاذلي وإنما أنت الشَّاذُّ لِي، يعني المفرد لخدمتي ومحبتي[2].

ولما قدم المدينة وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه عريان الرأس حافي القدمين، يستأذن على رسول الله ﷺ، فسئل عن ذلك فقال: حتى يؤذن لي، فإن الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ الأحزاب:٥٣. فسمع النداء من داخل

(١) السابق ص٣٣.

(٢) السابق ص٣٥.

الروضة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام: يا علي ادخل[(١)].
فمن يكن هذا شأنه ومقامه ومكانته لا يستبعد عنه أن يقول: لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يكون في غد وبعد غد إلى يوم القيامة[(٢)]. وقال أيضا: أعطيت سجلا مدّ البصر، فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاء من النار[(٣)].

وعلى ذلك ينقل عنه ابن عطاء الله السكندري عن شيخه أبي العباس المرسي خليفة أبي الحسن الشاذلي وتلميذه الخاص به أنه قال: قال لي عبد القادر النقاد، وكان من أولياء الله: اطلعت البارحة على مقام الشيخ أبي الحسن، فقلت له: وأين مقام الشيخ؟ فقال: عند العرش، فقلت له: ذاك مقام تنزل لك الشيخ فيه حتى رأيته، وإلا مقامه فهو فوق ذلك[(٤)].

وذكروا من جملة كراماته أنه أثناء سفره إلى الإسكندرية مكث بتونس مدة، واشتهر أمره وذاع صيته، والتف حوله خلق كثير فحسده فقيه تونس وقاضي قضاتها ابن البراء فوشاه إلى السلطان، ودسّ له عنده، وتكلّم في نسبه ولكن السلطان لم يمسه بسوء، ووقره في قلبه واحترمه ولكن منعه من الخروج، وما أن منعه إلاّ وماتت جاريته في ذاك الحين التي أحبها فملكت عليه جميع أقطاره، ثم التهبت النار في البيت فلم يشعروا حتى احترق كل ما في البيت من الفرش والثياب وغير ذلك

(١) السابق ص٨٣.
(٢) جامع الأصول ص١١٦، والنفحة العلية في أوراد الشاذلية ص٢٢٨.
(٣) الموضع السابق ص١١٦.
(٤) انظر لطائف المنن لابن عطاء السكندري ص١٤٣.

من الذخائر، فعلم السلطان أنه أصيب من قبل هذا الوليّ"[1].

وقد استقر الشاذلي بعدئذ في الإسكندرية بمصر، وتزوج هنالك وولد له أولاد، وحبس عليه السلطان برجا من أبراج السور في أسفله مرابط للبهائم، وفي الوسط مساكن للفقراء وجامع كبير، وفي أعلاه أعلية لسكانه وعياله [2]، وكان من عادته إذا ركب تمشى أكابر الفقراء وأكابر الأغنياء حوله، وتنشر الأعلام على رأسه، وتضرب الكاسات بين يديه، ويأمر النقيب أن ينادي أمامه: من أراد القطب فعليه بالشاذلي[3].

سافر الشاذلي للحج في سنة ٦٥٦هـ ، وفي صحراء عيذاب وافته المنية فدفن هناك[4]. ويقول الجامي: وكان ماء هذا الصحراء ملحا لا يشرب ولكنهم بعد ما غسلوه بمائه صار ببركته حلوا عذبا[5].

وفي هذه الصحراء ادّعى بأنه التقى بالخضر وكلّمه، كما نقلوا عنه أنه كان يقول: لقيت الخضر في صحراء عيذاب، فقال لي: يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل، وكان لك صاحبا في المقام والرحيل[6].

وقد نقل عن الشاذلي تفسير بعض الآيات القرآنية تفسيرا باطنيا ينهج فيه منهج الباطنية، ثم خلف بعده على الشاذلية أبو العباس المرسي،

(١) درة الأسرار في مناقب أبي الحسن الشاذلي لابن الصباغ ص٣٠.
(٢) السابق ص٤٥.
(٣) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص١١٧، والنفحة العلية ص٢٢٨.
(٤) طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٤٥٩.
(٥) نفحات الأنس للجامي ص ٥٧٠ طبعة طهران.
(٦) لطائف المنن السكندري ص١٥١، جامع كرامات الأولياء للنبهاني ١٨٣/٢.

والذي صار قطبا بعد موته حسب زعمهم كما ينقلون عن زكي الدين الأسواني أنه قال: قال لي الشيخ أبو الحسن ﷺ: يا زكي، عليك بأبي العباس، فوالله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء إلا قد أوصله إلى الله، يا زكي، عليك بأبي العباس، فو الله ما من ولي لله كان أو هو كائن إلا وقد أطلعه الله عليه، يا زكي، أبو العباس هو الرجل الكامل[1].

ويقول أبو العباس عن نفسه: بالله لا إله إلا هو، ما من ولي لله كان أو كائن إلا وقد أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه، وكم حظه من الله[2]. وهو الذي قال: والله لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين[3]. وكان يقول: لا أعلم أحدا اليوم يتكلّم في هذا العلم غيري على وجه الأرض. وقدم إليه بعضهم طعاما فيه شبهة يمتحنه فامتنع الشيخ من أكله، وقال: إنه كان للشيخ المحاسبي عرق في أصبعه يضرب إذا مدّ يده إلى شبهة، فأنا في يدي ستون عرقا تضرب، فاستغرب الرجل وتاب على يديه[4].

ثم خلفه على مشيخة الشاذلية ياقوت العرش وكان حبشيا، وهو الذي شفع في الشيخ شمس الدين بن اللبان لما أنكر على أحمد البدوي ﷺ وسلب عمله وحاله بعد أن توسل بجميع الأولياء، ولم يقبل أحمد البدوي شفاعته فيه، وجاءته مرة يمامه فجلست على كتفه وهو جالس

---

(١) انظر لطائف المنن لابن عطاء السكندري ص١٦٨.

(٢) السابق ص١٦٨.

(٣) السابق ص ١٦٩، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني ١/٣١٤.

(٤) نفحات الأنس للجامي ص ٥٧٢، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢/١٤.

في حلقة الفقراء وأسرّت إليه شيئا في أذنه، فقال: بسم الله ونرسل معك أحد من الفقراء، فقالت: ما يكفيني إلا أنت، فركب بغلته من الإسكندرية وسافر إلى مصر العتيقة حتى دخل إلى جامع عمرو فقال: أجمعوني على فلان المؤذن، فأرسلوا وراءه فجاء، فقال له: هذه اليمامة أخبرتني بالإسكندرية أنك تذبح فراخها كلما تفرخ في المنارة، فقال: صدقت، قد ذبحتهم مرارا، فقال: لا تعد، فقال: تبت إلى الله تعالى، ورجع الشيخ إلى الإسكندرية ﷺ.

ثم خلفه ناس آخرون فاشتهر من بينهم محمد المغربي، وهو الذي قال: أعطيت الشاذلية ثلاثا لم تحصل لمن قبلهم ولا لمن بعدهم، الأول إنهم مختارون في اللوح المحفوظ، والثاني أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو، والثالث أن القطب منهم إلى يوم القيامة.

والعجيب أن كل طائفة من الطوائف الصوفية تدعي أن القطب منهم، ولا يرضى بهذه المقولة أحد من غير الشاذلية، وقد اشتهر عنهم أوراد عديدة منها حزب البر، وحزب البحر، والحزب الكبير، وغيرها من الأحزاب والأوراد، واختلقوا لها فضائل ومناقب لم ينزل الله بها من برهان، ذكرها كل من عطاء الله الإسكندري في كتابه لطائف المنن والدكتور عبد الحليم محمود في كتابه المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي، والآخر في النفحة العلية في الأوراد الشاذلية [(١)].

- **الطريقة الصوفية البرهانية الدسوقية وانتشارها في مصر والسودان.**

الطريقة الدسوقيّة إحدى الطرق الصوفية التي تنسب إلى برهان الدين

---

(١) ملخص من كتاب الطريقة الشاذلية لإحسان إلهي ظهير.

إبراهيم بن أبي المجد المعروف بالدسوقي، الملقب عند الصوفية بأبي العينين، والمكنى ببرهان الملة والدين عند الصوفية، أحد الأقطاب الأربعة التي يعتقدونها إضافة إلى الجيلاني، والرفاعي، والبدوي، ويزعم أتباع الطريقة أنها خاتمة الطرق الصوفية، وأكثرها انتشارا في جميع أرجاء العالم، ولد الدسوقي في شعبان سنة ٦٣٣هـ، وتوفي في مصر سنة ٦٧٦هـ، وهو كبقية شيوخ الصوفية ينسب نفسه إلى آل بيت النبي ﷺ وإلى أبناء الحسين بن علي رضي الله عنهما.

والخلاف قائم في اسم الطريقة المنسوبة إلى إبراهيم الدسوقي، هل اسمها الطريقة البرهامية بالميم، أو البرهانية بالنون؟ ويذكر دكتور محمد جميل غازي أن الميم والنون أقامتا معركة بين صوفية السودان ومصر، أما مصر فإنها أقامت الطريقة البرهامية بالميم، وأما السودان فأقامت الطريقة البرهانية بالنون، وسبب المعركة بسيط، فالولي الجديد للطريقة اسمه محمد عثمان عبده البرهاني بالنون، زعم أنه التقى بإبراهيم الدسوقي في جلسة علنية، وأنه سأله هل طريقتك البرهامية بالميم أو البرهانية بالنون؟ فقال إبراهيم الدسوقي: طريقتي البرهانية بالنون؛ لأنني برهان الله في الأرض، وعلى هذا الأساس خرج محمد عثمان عبده بطريقة البرهانية بالنون، واجتمعت مشيخة الطرق الصوفية في مصر، وخرجت على الناس ببيان رفضت فيه اعتبار الطريقة البرهانية بالنون إحدى الطرق الصوفية المعتمدة، لكنها موجودة ولها مقر بجوار مشيخة الطرق الصوفية، وتقوم بنشاطها الملموس، ويحضرها كثير من طلبة الجامعات [(١)].

(١) الصوفية والوجه الآخر للدكتور محمد جميل غازي ص٥٧.

وقال الدكتور محمد جميل غازي: (زرت محمد عثمان البرهاني في منزله بالخرطوم في ميدان عبد المنعم وسألته عن حرب أكتوبر٧٣ مع اليهود وكانت المعركة قائمة في مصر، وكنا في رمضان بعد عشرة رمضان: هل يقود المعركة الآن إبراهيم الدسوقي؟ قال: نعم والذي دعاني إلى هذا السؤال أن بعض المجلات نشرت مقالات بعنوان دولة أبي العينين بينت أن قطب الوقت هو أبو العينين، وأن الذي سيقود المعركة ضد اليهود هو أبو العينين، وأنه سيطرد اليهود من مصر ومن سيناء إلى آخره، فسألت محمد عثمان البرهاني: هل الذي يقود المعركة الآن في مصر هو إبراهيم الدسوقي؟ قال: نعم، قلت: له بلحمه ودمه. قال: نعم بلحمه ودمه) [1].

وذكر محمد عثمان عبده البرهاني في كتابه تبرئة الذمة في نصح الأمة من مناقب الدسوقي أنه سأل الله أن يعطيه جسما كبيرا كبيرا، ولما سئل إبراهيم الدسوقي لماذا؟ قال: لأزحم به النار، فلا يدخلها أحد، ونفس الكلام محاولة زحم النار أو زحمة النار ذكرها السيد البدوي أيضا، قال: إنه دعا الله بثلاث دعوات فأجاب الله دعوتين وأبطل الثالثة، دعا الله أن يشفعه في كل من زار قبره فأجاب الله ذلك، فدعا الله أن يكتب حجة وعمرة لكل من زار قبره فأجاب الله ذلك، فدعا الله أن يدخله النار فرفض الله ذلك، فسألوا السيد البدوي لماذا رفض الله أن يدخلك النار؟ قال: لأني لو دخلتها فتمرغت فيها تصير حشيشا أخضر، وحق على الله أن يعذب بها الكافرين [2].

---

(١) السابق ص٥٨.

(٢) السابق ص٥٩.

قال أحمد بن المبارك السلجماسي (ت:١١٥٥هـ): قص علينا بعض أصحابنا من أخيار أهل تلمسان، فأخبرني أنه سمع بعض من حج بيت الله الحرام يقول: إنه زار قبر سيدي إبراهيم الدسوقي فوقف الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي وعلمه هذا الدعاء وهو: بسم الله الخالق، يلجمه بلجام قدرته، أحمى حميثا، أطمى طميثا، وكان الله قويا عزيزا، حم عسق حمايتنا، كهيعص كفايتنا، فسيكفيكهم الله، وهو السميع العليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويتابع السلجماسي قائلا: وقال له سيدي إبراهيم ادع بهذا الدعاء ولا تخف من شيء، فقال له صاحبنا التلمساني وهو الحاج الأبر التاجر الأطهر سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم من أولاد إبراهيم القاطنين بتلمسان: إن أخي الحاج محمد بن إبراهيم استشكل معنى هاتين الكلمتين، وهما أحمى حميثا وأطمى طميثا، وامتنع من هذا الدعاء، وقال: لا أدري ما معناها، ولعل أن يكون فيهما ما أكره، فسألني عن معنى الكلمتين، فسألت شيخنا ﷺ عن معناهما، فقال بديهة: لا يتكلم أحد اليوم على وجه الأرض بهاتين الكلمتين فمن أين لك بهما؟ فحكيت له الحكاية، فقال ﷺ: نعم سيدي إبراهيم الدسوقي من أكابر الصالحين، ومن أهل الفتح الكبير، وهو وأمثاله الذين يتكلمون بهاتين الكلمتين، ثم قال ﷺ: هما كلمتان باللغة السريانية، أما أحمى فمعناه يا مالك الأسرار يا مالك الأنوار يا مالك الليل والنهار يا مالك الحساب المدرار، يا مالك الشموس والأقمار، يا مالك العطا والنفع، يا مالك الخفض والرفع، يا مالك كل حي، يا مالك كل شيء، وفي هذا الاسم

سر عجيب لا يطيق القلم ولا العبارة تبلغه أبدا، وأما قوله أطمى، فهو بمنزلة من يصفه تعالى بالعظمة والكبرياء والقهر والغلبة والعز والانفراد في ذلك كله وكأنه يقول: يا عالم كل شيء، يا قادرا على كل شيء، يا مكون كل شيء، ويا مدبر كل شيء، ويا قاهر كل شيء، ويا من لا يتطرق إليه عجز ولا يتوهم في تصرفه نقص.

وطميثا إشارة إلى الأشياء التي يتصرف فيها، وإلى الممكنات التي يفعل فيها ما يشاء ويحكم ما يريد سبحانه لا إله إلا هو، وفي هذا الاسم سر عجيب لا يطيق القلم تبليغه أبدا والله أعلم[١].

وقال إبراهيم الدسوقي: إن للأولياء الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما في البر والبحر، وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء، وما في حياة الإنس والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة[٢].

ونقل عنه الشعراني أنه قال: أنا موسى عليه السلام في مناجاته، وأنا علي في حملاته، أنا كل ولي في الأرض، خلعته بيدي، ألبس منهم من شئت، أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيدي أبواب النار غلقتها، وبيدي جنة الفردوس فتحتها، من زارني أسكنته جنة الفردوس، وما كان ولي متصلا بالله إلا وهو يناجي ربه كما كان موسى يناجي ربه. ثم قال: وقد كنت أنا وأولياء الله تعالى أشياخا في

---

(١) الإبريز للدباغ ص ٢٩٠.

(٢) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي الحسيني ص٢٤٢ .

الأزل، بين يدي قديم الأزل، وبين يدي رسول الله ﷺ، وأمرني أن أخلع على جميع الأولياء بيدي، فخلعت عليهم بيدي، وقال لي رسول الله ﷺ: يا إبراهيم أنت نقيب عليهم [(١)].

وقال إبراهيم الدسوقي في وصف قدراته الخارقة: (أشهدني الله تعالى ما في العلا وأنا ابن ست سنين، ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين، وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين، ورأيت في السبع المثاني حرفا معجما حار فيه الجن والإنس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته، وحركت ما سكن، وسكنت ما تحرك بإذن الله تعالى، وأنا ابن أربع عشرة سنة) [(٢)].

ومركز الدسوقية في مصر مدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ، ومن فروعها في مصر الشرنوبية وشيخها محمد عبد المجيد الشرنوبي، والسعيدية الشرنوبية وشيخها حمدي إبراهيم الشرنوبي، والشهاوية وشيخها محمد أبو المجد الشهاوي، والمجاهدية وشيخها عبد القادر أحمد مجاهد، ومنها الحصافية الشاذلية التي تربى عليها الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين[(٣)].

ولم تحدد لنا مصادر الطريقة عددا معينا لأعضائها إلا أنها قالت: إنه يتجاوز الخمسين ألفا. أما طريقة الانضمام لها فتتشابه طقوس الانضمام إليها بطقوس الانضمام إلى الطريقة الشاذلية لما بينهم من صلة،

---

(١) طبقات الشعراني ١/٢٥٦.

(٢) السابق ١/٢٥٨.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية للشيخ حسن البنا ص٢٤.

فالانتساب إليها يكون بالمصافحة والتلقين والذكر ولبس الخرقة الخاصة بهم، وأهم رموزها في العصر الحديث محمد عبده البرهاني، ومحمد علي عاشور، ومحمد عبد المجيد الشرنوبي، ومحمد أبو المجد الشهاوي.

ومن أوراد وأذكار الطرية البرهانية الدسوقية ورد الأساس ويقرأ مرة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر، بسم الله الرحمن الرحيم مائة مرة، وأستغفر الله العظيم هو التواب الرحيم مائة مرة، لا إله إلا الله مائة مرة، يا دايم مائة مرة، اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم مائة مرة.

ومن الأوراد المربوطة للطريقة الدسوقية، ورد خاتم الصلوات ويقرأ عقب كل صلاة مفروضة ونصه: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام فحيينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دارك دار السلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا أنت ثلاث مرات، بسم الله الرحمن الرحيم ثلاث عشرة مرة، وسورة الفاتحة مرة، وآية الكرسى مرة، لقد جاءكم رسول من أنفسكم مرة، والكافرون مرة، الصمدية مرة، والمعوذتان كل منهما مرة واحدة، وسبحان الله ثلاث وثلاثون مرة، الحمد لله ثلاث وثلاثون مرة، الله أكبر أربع وثلاثون مرة، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم اغفر لأمة محمد ﷺ، اللهم ارض عن أمة محمد ﷺ، اللهم الطف بأمة محمد ﷺ، اللهم تفضل على أمة محمد ﷺ، اللهم استر أمة محمد ﷺ، اللهم آت نفسى هداها، وألهمها رشدها وتقواها، وزكها وأنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها،

اللهم إني أسألك من كل خير سألك منه حبيبك سيدنا محمد ﷺ، وأستعيذ بك من كل شر استعاذ بك منه حبيبك سيدنا محمد ﷺ آمين، يا دايم ست وستون مرة.

ومن أورادها ما ألفه إبراهيم محمد عثمان عبده البرهاني في الحزب الكبير: (الم نووا فلووا عما نووا ثم لووا عما نووا فغمط، فوقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا، أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا، وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فهم لا، وكان الله قويا عزيزا بها بها بهيا بهيا بهيا بهيات بهيات بهيات القديم الأزلي. وكرب كدٍ كدٍ كردد كردد كرده كرده ده ده ده الله)[1].

- أبرز الطرق الصوفية المنتشرة في العالم الإسلامي ونسبتها إلى مبتدعيها.

ذكرنا أبرز الطرق التي نشأت في القرنين السادس والسابع الهجريين وفصلنا نشأتهم، وذكرنا بعض كرامات مؤسسيهم وطرفا من أورادهم وأذكارهم، وهناك طرقا أخرى كثيره جدا تنتشر كالأخطبوط في سائر دول العالم تفت من عضد الأمة الإسلامية، وتوهنها بالمناهج الصوفية البدعية، والتي تشترك جميعا في القول بالحلول والاتحاد وتتبنى الفكر الفلسفي في وحدة والوجود، ومن أبرز هذه الطرق:

١- الطريقة الأكبرية، نسبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر (ت:٦٣٨هـ) وتقوم طريقته على عقيدة وحدة الوجود والصمت والعزلة والجوع والسهر.

---

(١) أوراد الطريقة البرهانية لإبراهيم محمد عثمان البرهاني ص٢٦.

٢- الطريقة البكداشية، وهي الطريقة التي كان الأتراك العثمانيون ينتمون إليها، وهي لا تزال منتشرة في ألبانيا، كما أنها أقرب إلى التصوف الشيعي، وكان لهذه الطريقة أثر بارز في نشر المذهب الشيعي بين الأتراك والمغول.

٣- الطريقة النقشبندية وتنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن البخاري الملقب بشاه نقشبند (ت:٧٩١هـ) وهي طريقة تشبه الطريقة الشاذلية، انتشرت في فارس وبلاد الهند آسيا الوسطى وسوريا.

٤- الطريقة الملامتية، ومؤسسها أبو صالح حمدون بن عمار المعروف بالقصار (ت:٢٧١هـ) أباح بعضهم مخالفة النفس بغية جهادها ومحاربة نقائصها، وقد ظهر الغلاة منهم في تركيا حديثا بمظهر الإباحية والاستهتار وفعل كل أمر دون مراعاة للأوامر والنواهي الشرعية.

٥- الطريقة التيجانية أسسها أبو العباس أحمد التيجاني ١٢٣٠هـ الذي ولد بالجزائر ويدعي أنه التقى النبي لقاء حسيا ماديا وأنه تعلم منه صلاة الفاتح وأنها تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة، ويلاحظ على أصحاب هذه الطريقة شدة تهويلهم للأمور الصغيرة وتصغيرهم للأمور العظيمة على حسب هواهم ما أدى إلى أن يفشو التكاسل بينهم لما شاع بينهم من الأجر العظيم على أقل عمل يقومون به، ويرون أن لهم خصوصيات ترفعهم عن الآخرين من أهمها تخفف سكرات الموت عنهم، وأن الله يظلهم في ظل عرشه، وأن لهم برزخا يستظلون به وحدهم، وأهل هذه الطريقة كباقي الطرق الصوفية يجيزون التوسل بذات النبي، وقد بدأت هذه الطريقة في مدينة فاس وصار لها أتباع في السنغال ونيجيريا وشمال

أفريقيا ومصر والسودان.

أما صلاة الفاتح التي يزعمون أن الرسول ﷺ قد خصهم بها والتي تحتل لديهم مكانة عظيمة فنصها: (اللهمَّ صلّ وسلّم وبارك على سيِّدنا محمَّد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، وناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم ﷺ وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم).

وأما كيفية التوسل البدعي بالتيجاني كما تحدده الطريقة التيجانية فهي أنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فصل على رسول الله ﷺ بصلاة الفاتح لما أغلق مائة مرة، واهد ثوابها لرسول الله ﷺ قضاء الحاجة التي تريدها ثم تقول: يا رب توسلت إليك بجاه القطب الكامل سيدنا أحمد بن محمد التجاني، وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا، وتسمي حاجتك بعينها عشرًا. قال التيجاني: لو اجتمع أهل السموات السبع وما فيهن والأرضين السبع وما فيهن على أن يصفوا ثواب الفاتح لما أغلق ما قدروا [(١)].

٦- الطريقة الختمية، وهي طريقة صوفية تلتقي مع الطرق الصوفية الأخرى في كثير من المعتقدات، مثل الحلول والاتحاد والقول بوحدة الوجود والغلو في رسول الله ﷺ وادعاء لقياه، وأخذ تعاليمهم وأورادهم وأذكارهم التي تميزوا بها عنه مباشرة، هذا إلى جانب ارتباط الطريقة بالفكر الشيعي وأخذهم من آداب الشيعة وجدالهم.

وقد أسس هذه الطريقة محمد عثمان الميرغني ويلقب بالختم إشارة إلى

(١) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض التيجاني لعلي حرازم ١/١٠٩.

أنه خاتم الأولياء، وأن مكانته تأتي بعد الرسول ﷺ، ومنه اشتق اسم الطريقة الختمية، كما تسمى الطريقة الميرغنية ربطا لها بطريقة جد المؤسس عبد الله الميرغني المحجوب، وقد بدأت هذه الطريقة من مكة والطائف، وأرسيت لها قواعد في جنوب وغرب الجزيرة العربية، كما عبرت إلى السودان ومصر، وتتركز قوة الطريقة من حيث الأتباع والنفوذ في السودان.

٧- الطريقة البريلوية وهي فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في مدينة بريلي بالهند أيام الاستعمار البريطاني، وقد اشتهرت بمحبة وتقديس الأنبياء والأولياء بعامة، والنبي ﷺ بخاصة، ومؤسس هذه الطريقة هو أحمد رضا خان (ت:١٣٤٠هـ) ولقد سمى نفسه عبد المصطفى، ويعتقد أبناء هذه الطائفة بأن الرسول ﷺ لديه القدرة التي يتحكم بها في الكون، ولقد غالوا في نظرتهم إلى النبي ﷺ حتى أوصلوه إلى قريب من مرتبة الإلوهية، يقول أحمد رضا خان: إي يا محمد لا استطيع أن أقول لك الله، ولا أستطيع أن أفرق بينكما، فأمرك إلى الله هو أعلم بحقيقتك.

كما أن هذه الطائفة لديها عقيدة الشهود حيث أن النبي ﷺ في نظرهم حاضر وناظر لأفعال العباد في كل زمان ومكان، كما أنهم يشيدون القبور ويعمرونها ويتبركون بها، ويؤمنون بالإسقاط وهي صدقة تدفع عن الميت بمقدار ما ترك من صلاة أو صيام أو سائر العبادات وهي مقدار صدقة الفطر، وأعظم أعيادهم هو ذكرى المولد النبوي.

٨- الطريقة الصوفية السعدية المنسوبة إلى الشيخ سعد الدين الجباوي (ت:٥٧٥هـ) وهي منتشرة في بلاد الشام.

٩- الطريقة العلوية أو طريقة السادة آل باعلوي المنسوبة إلى الشيخ محمد بن علي باعلوي (ت:٦٥٣هـ) وهي طريقة أخطبوطية منتشرة في اليمن وأندونيسيا وشرق آسيا والحجاز.

١٠- الطريقة الصوفية العروسية المنسوبة إلى الشيخ أحمد بن عروس (ت:٨٦٩هـ وهي منتشرة في تونس وليبيا.

١١- الطريقة الصوفية العيساوية المنسوبة إلى الشيخ محمد بن عيسى (ت:٩٣٣هـ وهي منتشرة في المغرب.

١٢- الطريقة الصوفية الخلوتية المنسوبة إلى الشيخ محمد بن أحمد بن كريم الدين الخلوتي (ت:٩٨٦هـ) وهي طريقة أخطبوطية منتشرة في مصر وتركيا وفلسطين والأردن.

١٣- الطريقة الصوفية السمانية المنسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان (ت:١١٨٩هـ)، وهي منتشرة في السودان.

١٤- الطريقة الصوفية الإدريسية المنسوبة إلى الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي ١٢٥٣هـ، وهي منتشرة في السودان والصومال.

١٥- الطريقة الصوفية المولوية المنسوبة إلى الشيخ جلال الدين الرومي (ت:١٢٧٢هـ) وهي منتشرة في تركيا وحلب.

١٦- الطريقة الصوفية السنوسية المنسوبة إلى الشيخ محمد بن علي السنوسي (ت:١٢٧٦هـ) وهي طريقة أخطبوطية منتشرة في ليبيا

وشمالي أفريقيا والسودان والصومال.

١٧- الطريقة الصوفية الكسنزانية المنسوبة إلى الشيخ عبد الكريم شاه الكسنزان (ت:١٣١٧هـ) وهي منتشرة في العراق.

١٨- الطريقة الصوفية الجعفرية المنسوبة إلى الشيخ صالح الجعفري الحسيني إمام الأزهر (ت:١٣٩٩هـ) وهي طريقة أخطبوطية منتشرة في المغرب والسنغال وغرب أفريقيا.

١٩- الطريقة البودشيشية المنسوبة إلى الشيخ سيد علي بن محمد الملقب بسيدي علي بودشيش وهي منتشرة في المغرب.

٢٠- السلسلة العظمية المنسوبة إلى الشيخ قلندر بابا أولياء (ت:١٣٩٩هـ) وهي طريقة أخطبوطية عنكبوتية منتشرة في باكستان وروسيا والبحرين والإمارات العربية المتحدة والمملكة المتحدة وكندا وإندونيسيا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا.

- **أهم الشخصيات الصوفية الأكبر تأثيرا عبر تاريخ الأمة الإسلامية.**

أبرز الشخصيات الصوفية وأكثرها تأثيرا في ابتداع الصوفية لأفكار غريبة عن البيئة الإسلامية عبر العصور، وخصوصا الذين دعوا الى عقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود هم:

١- أبو يزيد البسطامي (ت:٢٦١هـ): هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي كان جده مجوسيا فاسلم، وهو أول من استخدم لفظ الفناء بمعناه الصوفي الذي يقصد منه الاتحاد بذات الله، كزعمه أن الله قد نصب الخلائق بين يدي أبي يزيد، وها هي ذا تتحرق إلى رؤياه في هذا

المقام، لكن لكي يمكنهم أن يروه كان عليه أن يطلب إلى الله أن يزين أبا يزيد بوحدانيته ويلبسه أنانيته، وعلى هذا فإن عقيدة البسطامي واضحة، فهو أول من سعى في نشر عقيدة الحلول والاتحاد[1].

٢- الحلاج (ت:٣٠٩هـ) وهو الحسين بن منصور الحلاج، تبرأ منه سائر الصوفية والعلماء لسوء سيرته ومروقه، كان يقول بالحلول والاتحاد وأن سيده إبليس وفرعون، واستمر الحلاج في نشر فكره الحلولي حتى استفحل أمره فألقي القبض عليه لتتم مناظرته ومناقشته بحضره القضاة وبعد أن تيقن السلطان المقتدر أمره أمر بقتله[2].

٣- الغزالي (ت:٥٠٥هـ): أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي، ولد بطوس من إقليم خرسان، نشأ في بيئة كثرت فيها الآراء والمذاهب مثل علم الكلام والفلسفة والتصوف، وأورثه ذلك حيرة وشكا، وقد ألف عددا من الكتب أهمها تهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال، وأهمها على الإطلاق إحياء علوم الدين، ويعد الغزالي رئيس مدرسة الكشف في المعرفة، ومن أعماله كشفه لفضائح الباطنية، وفي آخر حياته أقبل على حديث الرسول ومات وصحيح البخاري على صدره[3].

٤- ابن الفارض (ت:٦٣٢هـ): وهو أبو حفص عمر بن علي الحموي الأصل المصري المولد، لقب بشرف الدين، وهو من الغلاة الموغلين في وحدة الوجود، كان يزعم أنه منذ القدم كان الله، ثم تلبس

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣/٨٦.
(٢) وفيات الأعيان ٢/١٤٠، وتاريخ بغداد ٨/١١٢، ولسان الميزان ٢/٣١٤.
(٣) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٣ ووفيات الأعيان ٤/٢١٦.

بصورة النفس، ونص شيخ الإسلام ابن تيمية على أن ابن الفارض من أهل الإلحاد القائلين بالحلول الاتحاد ووحدة الوجود[1].

٥- ابن عربي (ت:٦٣٨هـ): وهو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي الملقب بالشيخ الأكبر عند الصوفية، رئيس مدرسة وحدة الوجود، ويعتبر نفسه خاتم الأولياء، استقر في دمشق حيث مات ودفن، وله فيها قبر يزار، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه جميع الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله، وهذا يوضح خطورة آرائه، ولذلك فقد اتفق علماء الإسلام شرقا وغربا على ذم ابن عربي وآرائه.

٦- ابن سبعين (ت:٦٦٩هـ): وهو قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين الأشبيلي المرسي، أحد الفلاسفة المتصوفة القائلين بوحدة الوجود وذكر ابن تيمية أن ابن سبعين وإن قال بأن الوجود واحد فهو يقول بالاتحاد والحلول من هذا الوجه، لأن معنى كلامه أن الحق محل للخلق، ويرى ابن سبعين أن الله هو الوجود كله ولا شيء معه إلا علمه، والكائنات هي عين علمه، وكلامه من أبطل الباطل وأعظم الكفر والضلال.

٧- العفيف التلمساني (ت:٦٩٠هـ): هو سليمان بن علي الكومي التلمساني يلقب بعفيف الدين، ذكر الذهبي أنه أحد زنادقة الصوفية،

(١) سير أعلام النبلاء ٣٦٨/٢٢ ووفيات الأعيان ٤٥٤/٣ ، ولسان الميزان ٣١٧/٤.

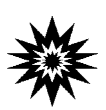
ونسب إليه عظائم الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض، وشهرته تغني عن الإطناب في ترجمته، ومن أقوال التلمساني الشنيعة التي توضح كفره قوله: القرآن ليس فيه توحيد، بل القرآن كله شرك، ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد.

٨- النابلسي (ت:١١٤٣هـ): هو عبد الغني بن إسماعيل الدمشقي النابلسي الحنفي النقشبندي القادري، تبنى عقيدة الفناء والحلول ووحدة الوجود.



المطلب الخامس عشر

فرق الدروز والبهائية والقديانية وقيام معتقداتهم وطقوسهم البدعية على أصول وثنية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن مذهب الباطنية وأنه من أخبث وأردأ المذاهب، وأن أهله أفسد المخلوقات، وتحدثنا عن ظهور مذهب الباطنية والغرض من إقامة مذهبهم وكيف تأسس؟ وذكرنا أسماء الباطنية التي يتخفون تحتها، وسبب تسميتهم بهذه الأسماء، كما بينا أن القرامطة تمثل أقبح الصور التاريخية الخبيثة لفرق الباطنية، وبينا أماكن وجود القرامطة وانتشارهم في العالم الإسلامي.

كما علمنا الطرق والحيل التي يستعملها الباطنيون والقرامطة لإغواء الناس، ثم تناولنا الحديث عن النصيرية إحدى فرق الباطنية الغلاة الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، وكذلك علمنا أسماء فرقة النصيرية التي أطلقت عليهم وعرفوا بها والسبب في إطلاقها، كما علمنا أن النصيرية في عصرنا تمكنوا من السيطرة على مقاليد الحكم في سوريا، وأن النصيرية علويون يعتقدون بإلوهية الإمام عليّ وأنه حالٌّ في القمر.

ثم تحدثنا عن كيفية تلقي العهد لمن كان يرونه مهيئا للدخول في تعاليم النصيرية، وتناولنا النصيرية وأبعادها المجوسية التي هيمنت على

عقائدها وأفكارها، ثم تحدثنا عن فرق النصيرية وأعيادهم وأماكنهم وجهود المسلمين في ردهم إلى السنة.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن فرق الدروز والبهائية والقديانية وقيام معتقداتهم وطقوسهم البدعية على أصول وثنية.

- **الدروز فرقة باطنية عبيدية من الغلاة الذين ألهوا الحاكم بأمر الله.**

هذه الطائفة هي إحدى فرق الباطنية الإسماعيلية العبيدية الغلاة الذين ألهوا الحاكم بأمر الله، وجحدوا كل ما أخبر به الله عن القيامة والثواب والعقاب، وقالوا بالتناسخ الذي يسمونه التقمص مخالفة للنصيرية، ظهرت في بداية القرن الخامس الهجري في مصر، وقد وحذر علماء المسلمين من هذه الطائفة أشد تحذير[١]. قال السفاريني: (وكتب أهل الكفر لاسيما كتب الدروز عليهم لعنة الله، فقد نظرت في بعضها فرأيت العجب العجاب، فلا يهود ولا نصارى ولا مجوس مثلهم؛ بل هم أشد مَن عَلمنا كفرا لإسقاطهم الأحكام وإنكارهم القيامة، وزعمهم أن الحاكم العبيدي الخبيث رب الأنام) [٢].

وهم يتكتمون على عقائدهم أشد التكتم، ولهذا خفي أمرهم على كثير من علماء الفرق والتاريخ، وهم لا يسمحون لأحد أن يدخل في مذهبهم، ولا يعترفون بخروج أحد منه، ولهم في هذا فلسفة يبررون بها موقفهم تقوم على مفهوم التناسخ الذي يسمونه التقمص.

ومن الجدير بالذكر أن بينهم وبين النصيرية اتفاقا في كثير من الآراء

---

(١) أضواء على العقيدة الدرزية ص٥.

(٢) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ١/٢٥٢.

الاعتقادية، واختلافا أيضا في بعضها، وبينهم عداوة شديدة بسبب تأليه النصيرية لعلي بن أبي طالب ﷺ وعدم تأليههم للحاكم بأمره، وكراهية النصيرية لهم لتأليههم الحاكم دون علي ﷺ، وهي اعتقادات باطلة تعد ظُلُمات بعْضُها فوْق بعْض .

والدروز في إسرائيل من أخلص الناس لليهود، وتعاملهم إسرائيل أيضا بالمثل لمعرفتهم بعمالتهم التامة لهم، ولإسرائيل مشاريع كثيرة في قراهم وفي مدنهم، ومنذ وقت غير بعيد سلمتهم السلاح وألّفت منهم دوريات على حدودها مع لبنان لثقتهم بهم [١].

• المعاني اللغوية والاصطلاحية لكلمة الدروز ونسبتها إلى مؤسسيها.

والدروز في أصل معناها اللغوي تطلق على الأولاد غير الشرعيين الذين لا يعرف لهم آباء، وتطلق كذلك على السفلة والساقطين من الناس فيقال لهم أولاد درزة، وتطلق هذه اللفظة أيضا على القمل والصئبان، فيقال: بنات الدروز [٢].

وتدل هذه المعاني على الرداءة والانحطاط، ومن هنا نجد أن الدروز لا يحبون أن تطلق عليهم، أما كلمة الدروز في التعريف الاصطلاحي لدى علماء الفرق فتطلق على طائفة من غلاة الباطنية يعتقدون إلوهية الحاكم بأمره، انشقوا عن الإسماعيلية في الظاهر وإن كانوا متفقين معهم في جوهر عقائدهم، وقد نسبوا إلى أحد دعاة الضلال وهو نشتكين الدرزي المجوسي [٣].

---

(١) انظر عقيدة الدروز ص٢٥١.

(٢) انظر تهذيب اللغة ١٣/١٨١، القاموس المحيط ٢/ ١٨٢.

(٣) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص١٩٩.

أما أصل الدروز فقد اختلف الناس في أصل الدروز على أقوال كثيرة، منها أنهم سلالة قبائل عربية، وهو ما يزعمونه لأنفسهم، وقد أكده الأستاذ محمد حمزة، وأنهم من لخم وتنوخ، وأثنى عليهم ثناء كثيرا. ومنها أنهم من سلالة السامريين القدماء، أو أنهم من بقايا الحيثيين القدماء. وقيل هم مزيج من عناصر مختلفة من عرب وفرس وهنود، أو أنهم سلالة الجنود الفرنسيين الصليبيين، وقيل هم من أصل إنجليزي وتبدو تلك الأقوال كلها غير القول الأول بعيدة [١].

وتنسب هذه الطائفة إلى أحد دعاة الباطنية الذين قالوا بإلوهية الحاكم العبيدي، ويسمى هذا الداعي محمد بن إسماعيل نشتكين الدرزي من أصل فارسي، قدم إلى مصر ودخل في خدمة الحاكم بأمر الله، ثم كان أول من أعلن إلوهية ذلك الحاكم المفتون، ولم يكن نشتكين في هذا الميدان وحده، بل كان معه رجل ضال آخر فارسي يسمى حمزة بن علي الزوزني من أهالي زوزن بإيران، وكان له الأثر البارز في تاريخ الدروز فيما بعد، بل هو زعيم المذهب الدرزي ومؤسسه[٢].

وقد بدأ درزي في إعلان مذهبه الهدام بتأليف كتاب أعلن فيه إلوهية الحاكم، ثم جاء به إلى أشهر مكان في القاهرة وهو الجامع الأزهر، وبدأ يقرأه على الناس فأحدث ضجة كبيرة، وثارت غيرتهم الإسلامية وأرادوا قتله، فهرب أو هربه الحاكم من مصر إلى جبال لبنان، حيث أخذ ينشر مذهبه إلى أن هلك مقتولا سنة ٤١٠هـ[٣].

---

(١) التآليف بين الفرق الإسلامية ص١١٨.

(٢) طائفة الدروز ص٦.

(٣) انظر طائفة الدروز ص٧٧.

وقد أصبح درزي هو الزعيم الذي يعترف به الدروز ويقدسونه في ذلك الوقت، وخصوصا أهل بلاد تيم الذي انتشر مذهب درزي بينهم، ولكن في الوقت الحاضر، نجد الدروز يلعنون درزي مع أن نسبتهم إليه، ويقدمون حمزة ويقدسونه، وسبب خلافهم على درزي وسبهم له هو موقف حمزة منه، فقد أراد درزي أن يستقل بالإمامة، ثم تسرعه في إظهار العقيدة الدرزية التي تنادي بإلوهية الحاكم قبل أن يرضى حمزة عن ذلك التوقيت لإعلانها، فقد أظهر درزي إلوهية الحاكم سنة ٤٠٧هـ، بينما أحب حمزة إظهارها سنة ٤٠٨هـ، وهي السنة التي كان يعتبرها الدروز أولى سني تقويمهم [1].

ويلاحظ أن الدعوة إلى تأليه الحاكم بدأت في حدود سنة ٤٠٠هـ سرية، فلما قويت الدعوة أظهروها، وكان أول من أظهرها محمد بن إسماعيل الدرزي نشتكين ليحظى بسبق التقدم بها إلى الحاكم وتجاهل زميليه في الخيانة، وهما حمزة بن علي الزوزني والحسن بن حيدرة الفرغاني كبار شياطين الدعوة الإسماعيلية، الذين استولوا على عقل الحاكم وحولوه إلى عقائدهم المجوسية الوثنية التي تجعل من الحكام آلهة، وقد صار حمزة فيما بعد صاحب الميدان، وله الكلمة النافذة والطاعة التامة، حيث صارت الدولة رهن إشارته بعد أن طابت أفكاره في نظر الحاكم الذي وقف من ورائه بكل ثقله لتتم دعوى الإلوهية والتقمص الإلهي في شخصه.

ولم ينس حمزة أن يخص نفسه بعدة ألقاب وصفات لم يسبغها حتى الأنبياء على أنفسهم، فهو الآية الكبرى، وآية التوحيد، وآية الكشف،

---

(١) السابق ص٧٤.

والعقل الكلي، والإرادة، وعلة العلل، وذومعه أي المعبود، كما سمى نفسه هادي المستجيبين، وإمام الزمان، وقائم الزمان، والمنتقم من المشركين لسيف مولانا [(١)].

ثم ادعى أنه هو نفسه سلمان الفارسي في عصر الحاكم عن طريق التناسخ، وأنه هو الذي أنزل القرآن على محمد ﷺ حينما كان في دور سلمان، إلى آخر ما ذكر من أوصاف عالية لشخصه[(٢)].

وقد جاء في كتاب لحمزة بعث به إلى قاضي القضاة في زمنه، ويسمى أحمد بن محمد بن العوام جاء في أول الكتاب: (توكلت على أمير المؤمنين جل ذكره، وبه أستعين في جميع الأمور، معل علة العلل صفات بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد أمير المؤمنين ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف أمير المؤمنين وشدة سلطانه ولا معبود سواه إلى أحمد بن محمد بن العوام الملقب قاضي القضاة.. إلخ الكتاب الذي ملأه بالسب والشتم والاستهزاء بهذا القاضي؛ بسبب امتناعه عن الدخول تحت عبادة الحاكم) [(٣)].

ويبدو من رسالته هذه ضحالة فكره وجهله المشين بالدين الإسلامي وباللغة العربية، وقد كانت آخر حياته أن اختفى بعد موت الحاكم وظل مختفيا إلى أن مات سنة ٤٣٠هـ.

- **الأسماء التي أطلقت عليهم وانتشارهم وأساليبهم في كتمان أسرارهم.**

الاسم المشهور عنهم والمتداول على ألسنة الناس هو الدروز، وهو

---

(١) السابق ص٧٧، ص١١٢.

(٢) الحركات الباطنية ص٢١٧.

(٣) انظر طائفة الدروز ص٧٨.

نسبة إلى نشتكين الدرزي، وهم لا يحبون أن يطلق عليهم، أما الاسم الذي يحبونه ويطلقونه على أنفسهم في كتبهم التي يقدسونها فهو اسم الموحدين، ويجب ملاحظة أن هذه التسمية لا تعني توحيد الله ﷻ الذي يعبده المؤمنون، ولكن معناها الإخلاص في توحيد الحاكم بأمره حيث يذكر حمزة ابن علي الزوزني ذلك بقوله: التوحيد لمولانا عوض الشهادتين [(١)].

ومما ينبغي التنبيه له أن الدروز لا يزالون على اعتقاد تأليه الحاكم إلى وقتنا الحاضر، يقرونه في مجالسهم الخاصة وخلواتهم، ولكنهم قد يتظاهرون أمام الناس بعدم تأليه الحاكم، وهم يعلمون أنهم لو تركوا هذه الفكرة لأصبحوا بلا دين، وقد كشف هذا الستار أحد علماء الدروز وهو عبد الله النجار الذي قتلوه بعد ذلك في أحداث لبنان فهو يقول: (وإني لأذكر عتاب كبير الأشياخ الثقات؛ لأني ذكرت في أحد الكتب المطبوعة أن أم الحاكم كانت صقلية؛ إذ قال لي: إن الحاكم لا أم له مرددا ما جاء في الرسالة ٢٦: حاشا مولانا جل ذكره من الابن والعم والخال، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) [(٢)].

وقال محمد أحمد الخطيب عن موقف الدروز منه حين طبع كتابه عقيدة الدروز، وما لاقاه من مضايقات وتهديدات بسبب ما دونه من حقائق لا يستطيعون دفعها بأي حال لاستناده فيما كتبه عنهم إلى مصادرهم، يقول: (وللحقيقة أذكر أن هذه الأمور مجتمعة قد حدثت معي شخصيا حينما تم طبع ونشر كتاب عقيدة الدروز عرض ونقض،

---

(١) طائفة الدروز ص٦، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص٢٧٨.

(٢) مذهب الدروز والتوحيد ص١٠٥، ١٠٦، عن الحركات الباطنية ص٢٣٧.

وهي رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٠هـ حيث ظهر وبشكل واضح طريقة التعامل القذر الذي يتم مع كل من يحاول أن يبحث عن حقيقتهم، فقد توالت عليّ المكالمات الهاتفية التي تهدد بالقتل، وجاء على أثرها الكثير من الرسائل والتي تتوعدني بالويل والثبور إن لم أعتذر عن كتابي وما ورد فيه، ولم يكتفوا بذلك بل عملوا على جمع ما يستطيعون من نسخ الكتاب المذكور وإحراقه، وكذلك عملوا على مطالبة المسئولين في كثير من البلاد العربية بمنع الكتاب، فكان أن منع في عدد من البلاد العربية) [1].

وقد استوطن الدروز أماكن كثيرة متفرقة، وأهم أماكن تجمعاتهم سوريا ويسكنون في محافظة السويداء، جبل حوران، أو جبل الدروز، أو جبل العرب كما يقال له، ويعيش منهم في هذه المنطقة أكثر من ثلاث وسبعين قرية، وفي لبنان ويسكنون في عدة مناطق منه؛ في الغرب الأسفل، وفي الغرب الأعلى، وفي الشحار والمناصف، وفي الجرد، وفي العرقوب، والباروك والجرد الشمالي، وفي الشوف، وفي فلسطين عند جبل الكرمل وصفد، وفي بلاد المغرب بالقرب من مدينة تلمسان قبيلة تعرف ببني عبس تدين بالعقيدة الدرزية، دون أن يعرف جيرانهم حقيقة مذهبهم.

- **التعريف بإله الدروز الحاكم بأمر الله وطريقتهم في تعليم ديانتهم.**

الحاكم بأمر الله الذي ألهه الدروز السفهاء هو أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي لقب بالحاكم بأمر الله، ولد سنة ٣٧٥هـ، وتولى الملك بعد موت أبيه في رمضان سنة ٣٨٦هـ، وكان

---

(١) عقيدة الدروز ٢٩٩.

سادس الملوك العبيديين تولى الملك وعمره إحدى عشرة سنة، ادعى الإلوهية على يد حمزة بن علي، وغيره من ملاحدة الإسماعيلية سنة ٤٠٨هـ، إلى أن قتل سنة ٤١١هـ، ويذكر المؤرخون لهذا الحاكم أنه كان أسطورة في سفك الدماء وإرهاب الناس، وكانت له مواقف متناقضة عجيبة، وله غرائب كثيرة.

ومن غرائبه أنه كان دائما يفتك بوزرائه ويقتلهم شر قتلة، يعين أحدهم في منصبه ثم يقتله ويعين آخر، فلا تمضي فترة بسيطة إلا وهو يتشحط في دمه، وقد قتل من العلماء والكتاب ووجوه الناس ما لا يحصى، لقد كان الحاكم نفسه مثال الشذوذ، فقد كانت له تصرفات غريبة غير مفهومة، فقد لبس الصوف سبع سنين، وامتنع من دخول الحمام لا يغتسل، وأقام سنين يجلس في ضوء الشمع ليلا ونهارا، ثم عنّ له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة.

ومن تناقضاته أنه مرة يأمر بسب الصحابة وبكتابة ذلك في المساجد، ثم يعود فيأمر به أن يمحى، وقد بنى المساجد الكثيرة، ثم منع من صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها، وأراق خمسة آلاف جرة من العسل في البحر خوفا أن تعمل نبيذا، ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ليلا ونهارا، ثم أمر بقتل الكلاب كلها، ثم عاد فمنع من ذلك، وهكذا كانت حياته مليئة بالمتناقضات والشذوذ، وقد أثبت حمزة كثيرا من تناقضات الحاكم وتصرفاته المجانبة للعقل، ثم أجاب عن كل ذلك بتأويلات باطنية [1].

قال السيوطي: (إن الحاكم أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر

---

(١) انظر طائفة الدروز ص٢٨، ٢٩ فصل طبقات المجتمع عند الدروز.

أن يقوموا على أقدامهم صفوفا إعظاما لذكره واحتراما لاسمه، فكان يفعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين، وكان أهل مصر على الخصوص إذا قام خروا سجدا حتى إنه يسجد بسجودهم في الأسواق وغيرها، وكان جبارا عنيدا، وشيطانا مريدا، كثير التلون في أقواله وأفعاله) (١).

وقد كان يعمل الحسبة بنفسه، فكان يدور بنفسه في الأسواق على حمار له، وكان لا يركب إلا حمارا، فمن وجده قد غش في معيشة أمر عبدا له يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى، وهو منكر لم يسبقه إليه أحد، وأما القتلى فقد قدر بعض العلماء ضحايا الحاكم بثمانية عشر ألف شخص من مختلف الطبقات(٢).

ولقد حيرت العلماء مواقف الحاكم واختلفت كلمتهم حول الحكم عليه، فقد رفعه قوم إلى درجة الإلوهية وهم الدروز، واعتقد فيه قوم أنه إمام المسلمين وخليفة رب العالمين، وهم الإسماعيلية الفاطميون، وذهب أكثر المؤرخين إلى أنه كان شاذ الطباع مريضا بالعقل، يأتي بأعمال تضحك الثكلى وتدل على الجنون، وهؤلاء هم مؤرخو العرب والمؤرخون المسيحيون (٣).

ولكن بالنظر إلى أن مدة حكم الحاكم كانت من سنة ٣٨٦هـ إلى

---

(١) التآلف بين الفرق الإسلامية ص١٢٤.

(٢) انظر طائفة الدروز ص٤٢ ٤٧، وفيها وصف كامل لكل حياة الحاكم وتصرفاته اليومية وأعماله وكل ما يقوم به. وانظر لمزيد التفاصيل النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٤ / ١٧٦، ١٧٧.

(٣) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عنان ص٥٩.

سنة ٤١١هـ يظهر أن الاعتذار عنه بأنه كان مجنونا؛ كلام لا يلتفت إليه؛ لأنه من المحال أن يبقى في الحكم شخص مجنون مدة تصل إلى خمس وعشرين سنة، بل كان سلوك الحاكم على تلك الصور إنما نشأ عن تأثير فكرة الإلوهية، وأن كل ما صدر عنه من أعمال وأقوال إنما كان بدافع واحد وهو تأليهه، خصوصا أنه تولى الحكم وهو صغير السن، وقد أحيط بهالة من التعظيم مما أسبغته العقيدة الإسماعيلية على أئمتها، فكان يطمح إلى أكثر من الملك.

إضافة إلى ما زينه له بعض زعماء المجوسية من الجرأة على تلك الدعوى بعد أن قربهم إليه وصاروا خاصته حتى أنسوه الدين والعقل، وبعد أن رأى كذلك دعوى إلوهية بعض أهل البيت عند السبئية وإلوهية جعفر عند الخطابية وغيرهم ممن ادعى الإلوهية أو ادعيت له[١].

ومن الجدير بالذكر أنه يوجد من بين الكتاب المعاصرين من يحاول الدفاع عن الحاكم وعن تصرفاته متهما المؤرخين بالتحامل على تاريخ الحاكم، وأنه ما كان إلا مفكرا مخلصا لوطنه وحاكما بارعا، وهذا الدفاع عن الحاكم يعتبر شذوذا وزورا ويكفي لرد سخافته ما أجمع عليه العلماء من تاريخ ذلك الحاكم الضال [٢].

لقد شغف الحاكم بالطواف بالليل؛ خصوصا في جنبات جبل المقطم بالقاهرة ينظر في النجوم ويخلو بنفسه، وفي ليلة الاثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١هـ خرج كعادته للطواف في هذا الجبل، وليس معه إلا رجل وصبي، ولكنه لم يرجع إلى بيته، ومن هنا وقع الخلاف بين الناس في

---

(١) طائفة الدروز ص٣٩.

(٢) السابق ص٣١.

شأنه، فقيل إن أخته ست الملك قد دبرت اغتياله لأمرين، أولهما إنها خافت على نفسها من بطشه؛ إذ اتهمها بسوء سلوكها مع الرجال، فآثرت أن تقضي عليه قبل أن يقضي عليها، ودفنته في مجلس دارها، والأمر الثاني هو إنكارها لما أقدم عليه الحاكم، وخوفها أن تزول الخلافة بسبب دعواه الإلوهية [(١)].

وقد اختلف كثيرون في سبب قتله، ومهما قيل فقد كان لاختفاء الحاكم على هذا الوجه فرصة لإذكاء دعوى الدروز أن الحاكم اختفى وسيعود قريبا مرة أخرى، ويملك الأرض وينشر العدل إلى آخر خرافاتهم فيه، فالقول بانتظار الحاكم ليظهر مرة أخرى كان هو نفس معتقد الشيعة الاثنى عشرية في المهدي المنتظر، ولقد جرى على الدروز ما جرى للشيعة من ظهور بعض الأشخاص المغامرين يدعون أنهم المهدي عند الشيعة، أو الحاكم عند الدروز، فقد ظهر رجل اسمه سكين كان رئيس الدعوة الدرزية في سوريا، ادعى أنه الإله الحاكم بأمر الله وقد رجع من غيبته في سنة ٤١٨هـ خصوصا وأنه كان يشبه ملامح الحاكم، وقد وصل مصر ودعا الناس إلى هذه الفكرة، بل ووصل إلى قصر الحكم، ووقف على بابه ينادي أصحابه بأنه الحاكم، فارتاع حرس القصر برهة، ثم عادوا إلى رشدهم، وهجموا على سكين وأصحابه وقتلوهم، وأخذ سكين وصلب.

ثم ظهر رجل آخر في صعيد مصر قبطي اسمه شروط ادعى أنه الإله الحاكم بأمر الله، وأعيا الدولة في القبض عليه، وسمى نفسه أبا العرب، ثم ظهر شخص آخر يعرف بابن الكردي، وادعى نفس الدعوة السابقة؛

---

(١) انظر طائفة الدروز ص٤٩.

إذ أنها صارت دعوى سهلة، لا تتطلب أكثر من الجرأة والإقدام والاستهانة بعقول الناس، واستحلال الكذب بكل أشكاله.

وعلماء الدروز من أشد الناس تسترا على مبادئهم حتى من الموالين لهم، فلا يطلعون أحدا على أسرار المذهب إلا بعد أن يجتاز امتحانات كثيرة من قبل هؤلاء المشايخ الذين هم بمنزلة السلطة العليا، وقد وصف محمد كامل حسين ذلك بأنهم من الناحية الدينية ينقسمون إلى عقال أو أجاويد، أي الذين لهم الحق في معرفة شيء من العقيدة السرية، وبين جهال أي الذين ليس لهم الحق في معرفة أسرار الدين.

والعقال ينقسمون بدورهم إلى درجات ثلاث؛ ففي مساء كل يوم جمعة يجتمع العقال في أماكن العبادة التي تعرف بالخلوات، لسماع ما يتلى عليهم من الكتاب المقدس، وبعد تلاوة المقدمات يخرج من الخلوة الطبقة الدنيا من العقال، ثم بعد تلاوة بعض الرسائل البسيطة التي ليس بها تأويلات تخرج الطبقة الثانية بحيث لا يبقى إلا رجال الدرجة الأولى الذين لهم وحدهم الحق في سماع الأسرار العليا للعقيدة.

أما الجهال فلا يسمح لهم بحضور هذه الخلوات، أو بسماع شيء من الكتب المقدسة إلا في يوم عيدهم، وهو يوافق عيد الأضحى عند المسلمين، على أن طبقة الجهال يسمح لهم بأن ينتقلوا إلى طبقة العقال، بعد امتحان عسير شاق، يقوم على ترويض النفس وإخضاع شهواتها مدة طويلة؛ إذ لا يقبل في طبقة العقال من يدمن التدخين مثلا، وقد يستمر الامتحان أكثر من سنة بأكملها، حتى يثق الشيوخ بأحقية الطالب أن ينتقل من طبقة الجهال إلى طبقة العقال.

والعقال في المجتمع الدرزي يعرفون بعمائمهم، ولبس القباء الأزرق

الغامق، ويطلقون لحاهم، على أن الذين يسند إليهم وظائف حكومية يباح لهم ترك هذه الملابس، وارتداء الزي الذي يتطلبه منصبه الرسمي.

والنساء في المجتمع الدرزي ينقسمن أيضا إلى عاقلات وجاهلات مثل الرجال تماما، لا فرق بين المرأة والرجل، والنساء العاقلات يلبسن النقاب وثوبا اسمه صاية، وللدروز رؤساء دينيون في كل مكان، على رأسهم شيخ يلقب بشيخ العقل، ويتولى منصبه بالانتخاب، أو بالاتفاق بين الزعماء وكبار رجال الطائفة، ولشيخ العصر أعوان في كل قرية أو بلد هم شيوخ العقل المحليون.

وشيوخ العقل في لبنان ينقسمون إلى حزبين سياسيين هما الشيوخ الجنبلاطية نسبة إلى جنبلاط بن سعيد بن مصطفى بن حسين جنبلاط، والشيوخ اليزبكية وهم عائلة من مشايخ الدروز في لبنان، ينسبون إلى قبيلة من قبائل الأزد القيسية، بينما ينقسم الدروز عامة في لبنان مدنيا إلى أمراء ومشايخ وعامة، فالأمراء هم آل أرسلان وهم المناذرة ملوك الحيرة، الذين كان لهم زمن الدولة العباسية قوة ونفوذ في لبنان، وكذلك زمن الدولة الفاطمية، ومشائخ الدروز هم الجنبلاطية واليزبكية.

ويذكر محمد حمزة أن أغلب الأحكام الفقهية التي ليس للدروز فيها تشريع خاص يتبعون فيها مذهب أبي حنيفة النعمان، وأن ذلك كان بتأثير العثمانيين الذين فرضوا المذهب الحنفي في سوريا ولبنان .

- **الدروز لا يؤمنون بيوم القيامة فلا حساب ولا جزاء ولا ثواب.**

والدروز لا يؤمنون بيوم القيامة، فلا حساب ولا جزاء ولا ثواب ولا عقاب في الحياة الآخرة، وإنما يتم ذلك كله في الدنيا عن طريق التقمص، وما تلاقيه الروح في تقمصها من النعيم أو العقاب، إلا أنهم

ينتظرون يوما يجيء الحاكم في صورة ناسوتية مرة أخرى، ويدين له كل أهل الأديان بالتوحيد والطاعة كما يزعمون، يخرج من بلاد مصر كما يرى حمزة، أو من بلاد الصين من سد الصين العظيم، وحوله قوم يأجوج ومأجوج القوم الكرام أو المؤمنون بالحاكم كما يسمونهم، ويتضح حقد هؤلاء على الإسلام والمسلمين في زعمهم أن الحاكم إذا جاء يأتي إلى الكعبة ويهدمها ويفتك بالمسلمين والنصارى في جميع الأرض حيث يحاسبهم حمزة حسابا شديدا [١].

وأما متى يكون هذا اليوم فيذكر محمد كامل حسين أنه لم تحدد كتب الدروز ذلك، ولكنها تذكر أنه سيكون في شهر جمادى أو رجب، ومن الطرائف المضحكة أن أحد مشايخ الدروز ويسمى داود أبو شقراء أعلن أن يوم القيامة سيكون في ١٦ أغسطس عام ١٩٥٢م؛ معتمدا في ذلك على حساب الحروف والجمل، وبالفعل فقد اقتنع بذلك بعض شيوخ لبنان وحوران وشاع الخبر؛ وجاء الوقت وظهر افتراء الكذابين ولم يحصل ما توقعوه [٢].

وهم معروفون بعداوتهم وحقدهم على الأنبياء حقدا شديدا وينكرون فضائلهم، بل وينسبوهم إلى الجهل، لأنهم يدعون الناس بزعمهم إلى توحيد المعدوم تعالى الله عن قولهم، وما عرفوا المولى الموجود أي الحاكم بأمر الله، وقد أوجب داعيتهم الأول حمزة محاربة دعوة الأنبياء، وأوجب البراءة من جميع أديانهم، ويحقدون على نبينا محمد ﷺ كثيرا لأنه أوجب الجهاد، بينما إلههم الحاكم قد أبطله، وسبوا

(١) طائفة الدروز ص١٠٢.

(٢) السابق ص١٠٧.

الصحابة وخصوصا من أطفأ نار المجوسية منهم كأبي بكر، وعمر، وغيرهما من خيار الصحابة.

ولا يؤمن الدروز بوجوب القيام بتلك التكاليف التي جاء بها الشرع في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، بل شريعة الدروز تتلخص في إسقاط الفرائض الدينية التكليفية وعدم إقامة الفرائض الدينية الإسلامية [١].

والدروز في العصر الحاضر يقودهم كمال جنبلاط، وهو من أشد المتعصبين لمذهبه الدرزي، وقد أقدم على جريمة كبيرة في هذا العصر؛ حيث بدأ هو وشخص آخر اسمه عاطف العجمي بتأليف كلام يحاكيان به القرآن الكريم، زاعمين أنه كلام مقدس تحت اسم المصحف المنفرد بذاته، أو مصحف الدروز مملوء من شتى الأفكار، ومن شتى السور من القرآن الكريم، ومن حِكَمِ الهند التي يميل إليها كمال جنبلاط كثيرا، بل هي قبلة حجهم إلى وقتنا الحاضر، ومن كلام زعمائهم، فأصبح خليطا فاسدا يدور كله حول تأليه الحاكم، والثبات على العقيدة الدرزية، ومع أنه هذا المصحف كما يسمونه قد نسب إلى حمزة بن علي إلا أن الدكتور الخطيب يرى أنه من صنع كمال جنبلاط بدليل ما جاء فيه من ألفاظ وأسلوب عصري .

وقد أنكر جنبلاط في مصحفه هذا القرآن واعتبره فرية، وشنع على الذين يلتزمون به، وقد نقل الدكتور الخطيب عن هذا المصحف الذي لا يوجد إلا عند الدروز، وقد تيسر له الاطلاع عليه فنقل عنه هذه النصوص: (لقد ضل الذين جحدوا الحكمة، واتبعوا فرية صحف اكتتبوها فهي قبلة آبائهم يتلونها بكرة وعشيا، وقالوا هذا من عند الله

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص٣٠٢، عقيدتهم في الأنبياء.

المعبود. وقال الذين كفروا منكم إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وعليه وجدنا آباءنا، قل لو كنتم على الهدى لآمنتم به، ولكنكم لا تعلمون غير ما تهواه أنفسكم وأنتم تجهلون، نحن أعلم بما في أيديكم ونحن المنزلون، لقد ضل هؤلاء الذين يريدون أن يحكموا بالقرآن ويتخذوه سبيلا ثم به يكفرون، بعد أن تبين الحق، قل: أليس الحق أحق أن يتبع) [(١)].

ويقسم هذا المصحف إلى أربعة وأربعين عرفا، ويقع في ٢٦٩ صفحة، ويقول كاتبه في مقدمته: (جرى تقسيم هذا المصحف المكرم، وفق المواضيع لتسهيل الاطلاع عليه، ووضع لكل فصل تسمية تنطبق مع ما ورد فيه من معان، ولقد اخترنا اسم العرف تناسبا مع ما يطلق على أبناء التوحيد كنيتم بالأعراف ووصفتم بالأشراف) [(٢)].

وقد جاء في عرف الأمر والتقديم من هذا المصحف قوله: (أنتم وما تعبدون مكبكبون على وجوهكم يوم ينادي منادي مولاكم الحاكم من مكان بعيد، هذا يومكم الذي فيه توعدون، تتلوها أيام العذاب إنكم لخالدون، ولات محيص.. إلى أن يقول: وإلا فقولوا لي أيها الضالون المعاندون، فهل جاء لكم رب غيره مع جنوده، أروني إن كنتم صادقين) [(٣)].

ويزعم الدروز أن الناس خلقوا دفعة واحدة، فهم لا يزيدون ولا ينقصون، كلما مات إنسان تحولت روحه إلى جسم جديد وهكذا.

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٨، طائفة الدروز ص١٢٠.

(٢) فضائح الباطنية ص٥٦.

(٣) بيان مذهب الباطنية ص٨.

- **فرقة الشيخية والرشتية حلقات متصلة بالبابية والبهائية.**

البهائية إحدى الفرق الباطنية الخبيثة التي حاولت هدم الإسلام وإخراج أهله منه بأساليب وطرق شتى قديما وحديثا، وقبل البدء بالكلام عن البهائية لابد من التطرق أولا وبإيجاز إلى التعريف بالبابية وبيان الصلة بين البابية والبهائية، فالبابية والبهائية والشيخية والرشتية حلقات متصلة بعضها بالبعض الآخر، وتعتبر الشيخية والرشتية هي النواة الأولى للبابية، كما تعتبر البابية هي الدرجة الأولى للبهائية.

ونبدأ الآن بذكر الشيخية، فالشيخية هي الطائفة المنسوبة إلى زعيمها الضال أحد شيعة العراق، ويسمى الشيخ أحمد الإحسائي، وهو أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الإحسائي الذي ولد بالمطير من قرى الإحساء في شهر رجب سنة ١١٦٦هـ، وتوفي سنة ١٢٤١هـ ، ودفن بالبقيع، ويعتبر من كبار علماء الشيعة الإمامية وهو باطني من الغلاة، وله أفكار خارجة عن الإسلام يظهر فيها الاعتقاد بالحلول مثل قوله: إن الله تجلى في علي وأولاده الأحد عشر، وغلو الفلاسفة كما في قوله: إن الأئمة هم العلة المؤثرة في وجود المخلوقات، ولولاهم ما خلق الله شيئا، ويظهر فيها الإلحاد كما في قوله: إن اللوح المحفوظ هو قلب الإمام المحيط بكل السموات وكل الأرضين، وكان ينكر المعاد والبعث.

كما يظهر فيها كذلك القول بالتناسخ حينما زعم للناس أن المهدي يحل في أي رجل كان فيكون له صفة الباب، وأن روح المهدي حلت فيه هو فصار هو الباب إلى المهدي.. إلى آخر ما قاله من خرافات وإلحاد، كما زعم أيضا أن الرسول ﷺ مخلوق من نور الله، وهذا النور عقل واحد يظهر في محمد ﷺ، ثم يظهر في علي، ثم في الحسن، ثم في

الحسين، وأن الزمان لا يخلو من ناطق، وأن كلامه في المعاد غامض مع إيمانه بالرجعة، وما يتبعها من الحوادث .

ولكن الشيخ عبد الرحمن الوكيل يبين أن هذه الرجعة التي يؤمن بها الإحسائي ليست هي الرجعة المفهومة عند الاثنى عشرية، فإنه حكم بموت الإمام الثاني عشر، وبأن روحه طارت إلى الملأ الأعلى، ولكنها ستعود لتحل مرة أخرى بجميع خصائصها في إنسان جديد، تولد ولادة حقيقية من أب وأم جديدين غير والدي الإمام الثاني عشر الغائب المزعوم، ولهذا ثار عليه شيعة إيران .

وتتضح شخصية الإحسائي وأوهامه من خلال دراسة الرشتية والبابية؛ لأن هؤلاء صاروا على طريقته مع زيادة الغلو الذي استحسنوه لتقوية المذهب وتكامله، ولتتم كذلك المؤامرة الرهيبة التي خطط لها هؤلاء، ومن وراءهم بهدف القضاء على الإسلام والأمة الإسلامية وتمزيق وحدتها، وتشتيت كلمة أبنائها، وضرب بعضهم ببعض.

وما أن انتهت أيام الإحسائي الذي ألهب مشاعر أتباعه من الشيعة بقرب مجيء المهدي، وجعله في أذهانهم قاب قوسين أو أدنى، ما إن انتهت أيامه حتى تولى بعده أعظم تلاميذه وهو الرشتي الذي أسس بعد ذلك جماعة ينتسبون إلى اسمه وهم الرشتية، واسمه كاظم الرشتي ولد سنة ١٢٠٥هـ في بلدة رشت في إيران .

وقد سار على نفس طريقة أستاذه الإحسائي وزاد عليه أقوالا كفرية أخرى، كانت هي النواة الأولى لظهور البابية بفعل تأثير الرشتي في تلميذه علي محمد الشيرازي، الذي تزعم الدعوة البابية الهدامة التي ظهرت في إيران البلد المضياف لكثير من الدعوات المناوئة للإسلام، وقد

قال بالتناسخ حيث ادعى أنه حل فيه روح الباب، كما حل في الإحسائي، ولكنه عاف فكرة الأبواب هذه، وقفز إلى التبشير بظهور المهدي نفسه، وقد روج الرشتي أفكار شيخه الإحسائي، وأدخل الكثيرين في مذهبه ومذهب الإحسائي، وصارت الشيخية فرقة مستقلة في كثير من الأفكار، ويحترم البابيون والبهائيون الإحسائي والرشتي احتراما عظيما ويسمونهما بالنورين [١].

- فرقة البابية وكيفية ارتباطها بالشيخية وأثرهما في ظهور البهائية.

زعيم البابية الأول هو علي بن محمد رضا الشيرازي ولد في سنة ١٢٣٥هـ في بلدة شيراز جنوبي إيران، مات أبوه وهو طفل، فكفله خاله ويلقب بالميرزا، وحين بلغ السادسة من عمره عهد به خاله إلى رجل يسمى الشيخ عابد، وهو أحد تلامذة الرشتي لتعليمه في مدرسته التي سماها قهوة الأنبياء والأولياء، وبعد أن حصل على قسط قليل من التعلم عزف عن مواصلة التعليم، فأشركه خاله في التجارة ببيع الأقمشة، وتفنن فيها مع خاله الآخر الميرزا محمد.

وكان قد بلغ السابعة عشر من عمره، فاتصل به أحد دعاة الرشتية ويسمى جواد الكربلائي الطباطبائي، وبدأ يلقي في مسامعه أفكار الشيخية عن المهدي المنتظر، ويوهمه بأنه ربما يكون هو نفسه، أي علي محمد الشيرازي المهدي المنتظر، لظهور علامات تدل على ذلك حسب زعمه، فوقع الشيرازي في فخه وترك التجارة، ومال إلى قراءة كتب الصوفية التي زادته هوسا، ومارس شتى أنواع الرياضات، حتى إنه كان

---

(١) انظر فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب بن علي عواجي، ص٢١٨ وما بعدها، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

كما قيل عنه يقف في حر الظهيرة المحرقة تحت أشعة الشمس على سطح البيت مكشوف الرأس عاري البدن مستقبلا قرص الشمس، حتى كان يعتريه الذهول والوجوم، وتأثر عقله، وكان الكربلائي ملازما له يحرضه على هذا المسلك، فأشفق عليه خاله وأرسله إلى النجف وكربلاء للاستشفاء بزيارة المشاهد التي يقدسونها هناك، إلا أنه في كربلاء بدأ يتردد على مجالس كاظم الرشتي ويدرس أفكاره وآراء الشيخية، وكان الرشتي أيضا قد وقع اختياره على الميرزا ليجعل منه المهدي المنتظر، فكان يبشر أتباعه ومريديه وتلاميذه باقتراب الأوان لظهور المهدي ودنو قيام القائم المنتظر، ويشير إلى الميرزا علي محمد ويبالغ في إكرامه.

وبعد أن أحكمت الخطة بينه وبين مشايخ الرشتية وسفير روسيا في ذلك الوقت والمترجم بها كنيازد الجوركي أعلن سنة ١٢٦٠هـ أنه هو الباب الأصل إلى الإمام الغائب المنتظر عند الشيعة، وأن صديقه الملا حسين البشروئي هو باب الباب، وهو أول من آمن به.

وكان عمْر الباب الشيرازي آنذاك خمسا وعشرين سنة، واعتبر ذلك اليوم عيد المبعث لظهور الباب ودعوته جهرا، وآمن بدعوته كثير من زعماء الشيخية، وأهمهم ثمانية عشر شخصا جمعهم في حروف حي؛ لأن الحاء والياء يعادلها ثمانية عشر بحساب الحروف الأبجدية.

ثم وزع هؤلاء في أقاليم مختلفة من إيران وتركستان والعراق، وكان لهؤلاء نشاط في الدعوة إلى البابية؛ خصوصا زرين تاج بنت الملا صالح القزويني، والملا حسين البشروئي، والملا محمد علي الزنجاني، والملا حسين اليزدي، والملا البارفروشي.

لقد تهيأت الفرصة الذهبية لجميع الحاقدين على الإسلام حينما

اصطنعوا فكرة الباب لعلي محمد رضا الشيرازي، ووقفوا بكل عزم في نشر دعوته الهدامة، فقد سارع زعماء الإنجليز والروس إلى حماية هذه الطائفة، بل وإلى مدها بالأسلحة الخفيفة والثقيلة، والهجوم على حكومتهم في أماكن كثيرة لإرهاب الناس وتوجيههم إلى قبول هذه الدعوة، وفتحت الحكومة الروسية أبواب بلادها للبابية ليعيشوا فيها بكل حرية وراحة ،ويدبروا المؤامرات من مكان مصون.

وكان للمترجم الروسي كنيازد الجوركي بالسفارة الروسية نشاط قوي في دفع الميرزا على محمد إلى زعامة البابية وادعاء المهدية، ثم دفع البهاء أيضا إلى زعامة البهائية ومناصرته أمام الشاة، كما صرح بذلك في مذكرته، وقد قوي أمر الشيرازي وانتشرت دعوته وخافت الحكومة والعلماء من انتشارها حتى ألقي القبض على الشيرازي وحوكم وقتل.

لقد كان للحاكم حسين خان حاكم شيراز مواقف حازمة ضد الباب الشيرازي ورفقته؛ حيث استدرج الشيرازي وألان له القول، واعتذر عما صدر منه من إهانة له ولأتباعه سابقا، وأوهمه أنه قد تابعه أيضا على فكرة البابية وسائر الدعاوى التي جاء بها الباب، ثم استدعى الحاكم العلماء ليقيم عليهم الحجة في صدق الباب كما أوهمه، وكان قد عهد إليهم بأن يصبروا على أخذ الاعتراف منه بخط يده في سائر عقائده الباطلة، وأوهمه بأن كل من سيجرأ على إظهار الكفر به فسيكون القتل مصيره؛ فاطمأن الباب وحضر مجلس العلماء ثم بادأ الجميع بقوله: (إن نبيكم لم يخلف لكم بعده غير القرآن فهاكم كتابي البيان، فاتلوه واقرءوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن) [1].

---

(١) البابية عرض ونقد، للشيخ الدكتور إحسان إلهي ظهير ص١٠٤.

وكظم العلماء ثورتهم، ثم طلب الحاكم إلى الباب أن يسجل ما يدعوه إليه كتابة ففعل ذلك، ثم نظر العلماء فيما كتبه الشيرازي فإذا به ينضح كفرا وخروجا عن الإسلام، فما كان من الحاكم إلا أن صب جام غضبه على الشيرازي قائلا له: فلأعذبنك لعلك ترجع عن غيك، ثم ضربه ضربا شديدا وأمر أن يطاف به في الأسواق على دابة شوهاء، وأن يعلن التوبة من كفره على منبر المسجد الكبير.

ثم ارتقى المنبر وأعلن رجوعه من كل ما ادعاه وأنه على دين الاثني عشرية؛ لأنه الحق اليقين، ثم ألقي به في السجن، ولكن أتباعه ظلوا ينشرون فكرة المهدية والبابية وسائر الأفكار الشريرة، وعوام الناس يتناقلونها بكل لهفة لموافقتها هوى في نفوسهم.

ولما تجاوز الأمر الحدّ وأدرك عامة الشعب الإيراني واستيقظت الحكومة في إيران على مدافع هؤلاء وبنادقهم يقتلون المسلمين ويستبيحون منهم كل ما يشاءون في معارك دامية واغتيالات متنوعة، ويدعون إلى ظهور المهدي وإلى كتابه المقدس اجتمع عدد كبير من العلماء والفقهاء وكفروا الباب، وأعلنوا مروقه عن الإسلام ووجوب قتله بالأدلة الدامغة، إلا أن حاكم ولاية أصبهان الذي تظاهر بالإسلام ويسمى منوجهر خان الأرمني وهو صليبي استطاع إخفاءه في قصره معززا مكرما ليطعن به الإسلام والمسلمين من الخلف.

وكان الشيرازي يصدر توجيهاته إلى أتباعه من هذا المخبأ إلى أن توفي هذا الحاكم وخلفه جورجين خان، فكتب هذا إلى الحكومة في طهران يخبرهم عن وجود الشيرازي فألقي عليه القبض وأمر الميرزا أقاس رئيس الوزراء أن يعتقل الشيرازي في قلعة ماه كو، ومكث معتقلا

حوالي ثلاث سنوات.

وحينما أحسّ البابيون من أنفسهم القوة وكان زعيمهم الباب معتقلا قرروا عقد مؤتمر لهم يسمى بمؤتمر بدشت ليبحثوا فيه أمر الباب وكيفية خلاصه من السجن حتى ولو بالقوة، ونسخ شريعة الإسلام وإظهار شرائعهم، وهذا أهم ما عقد له المؤتمر.

وقد تم بالفعل عقد هذا المؤتمر في صحراء بدشت، حضر فيه جميع زعماء البابية، وكان من بينهم غانية البابيين الخليعة أم سلمى زرين تاج التي كانت تلقب بقرة العين وبالطاهرة، وهي ذات جمال فائق وأنوثة ثائرة تستميل بجمالها أغمار الناس، وكانت هي القوة الحقيقة الظاهرة في هذا المؤتمر، ولها أخبار طويلة لا يتسع المقام لذكرها.

وكان في هذا المؤتمر خليط من الرجال والنساء، لا تسأل عما جرى فيه من الإباحية والخمر والفرح والمرح والأفعال القبيحة والتي أقلها إباحة الزنا وجميع ما يشتهيه الشخص، ثم أضافوا إلى هذا أيضا إقرار نسخ الشريعة الإسلامية بمجيء الباب الشيرازي باعتبار أنه المهدي الذي ينسخ شريعة محمد ﷺ.

ودعوى البابية هذه إنما هي ستار لاستجلاب الناس إلى البابية، ولأنهم يعتقدون أن الشيرازي ليس بابا فقط أو مهديا، بل هو رسول مثل سائر الرسل، وله شريعة خاصة به، وأقر في المؤتمر إحكام الخطط لتنفيذ مآربهم بالنسبة لنسخ الشريعة الإسلامية بتحريض شديد من تلك الغانية الملقبة بقرة العين.

وانفتحت على حكومة طهران مصائب كثيرة من البابيين وحروب مشتعلة، فرأت الحكومة وعلى رأسها ناصر الدين شاه القاجاري قتل

الشيرازي رأس الفتنة فجيء به وأظهر تراجعه، ولكن لم يكن لينفعه الاستمرار على خداعه ومراوغته فتقرر قتله وقتل كبار أتباعه المسجونين معه في صبيحة يوم الاثنين ٢٧ من شعبان سنة ١٨٤٩م.

ولما علم الشيرازي بهذا الحكم ضده انهارت قواه وأسقط في يده وصار يبكي وينوح، وغمره الذهول العميق والشرود حتى فهم أصحابه في السجن أن هناك أمرا قد قرر، ويروى عنه أنه طلب من يقتله في السجن في تلك الليلة حتى لا يرى المهانة والذل عند القتل في صبيحة هذه الليلة، وقال لأصحابه: لو فعل أحد من الأحباء هذا لكان ما فعله عين الصواب.

ولما استعد لذلك الملا محمد علي الزوزني ارتعد الشيرازي وتراجع، وبدأ هو وأصحابه في النحيب والبكاء، وفي الصباح اقتيد هو والزوزني، وكان يوما مشهودا فقد احتشد الناس رجالا ونساء وأطفالا من كل مكان ليروا تنفيذ حكم الإعدام، ثم جيء بمجموعة من الجنود وصوبوا بنادقهم إليه فوقع أشلاء ممزقة.

ولقد كان لهذه الحادثة ألم شديد في نفس قنصل الروس الذي حاول بكل جهده أن ينقذه ليتم به تنفيذ مآرب الحاقدين على الإسلام، ولقد سر المسلمون بقتله ونهاية فتنته، ثم امتد القتل بعد ذلك إلى جميع زعماء البابية مثل قرة العين والكاشاني وغيرهم .

وكان قد استمر في ضلالته متدرجا من كونه الباب للمهدي إلى أنه هو المهدي إلى النبوة وأخيرا إلى الإلوهية، وكان أتباعه ينادونه بالرب وبالإله، وقد أذله الله في أماكن كثيرة أمام الناس بعد مناظراته ويضرب ضربا مهينا ثم يبدي التوبة، إلا أن المتآمرين على إثارة التفرقة بين

المسلمين والراغبين في الإباحية ونسخ الشريعة الإسلامية كانوا يدفعونه دفعا ويهيئون له الجو الملائم لمثل هذه الدعاوى الكاذبة.

وقد أسفرت الديانة البابية عن إنكار القيامة وما جاء في وصفها في القرآن الكريم، وزعم أنها قيام الروح الإلهية في مظهر بشري جديد، وأن البعث هو الإيمان بإلوهية هذا المظهر، وعن لقاء الله يوم القيامة بأنه لقاء الباب لأنه هو الله، وعن الجنة بأنها الفرح الذي يجده الشخص عندما يؤمن بالباب، وعن النار بأنها الحرمان من معرفة الله في تجلياته في مظاهره البشرية، وزعم أنه البرزخ المذكور في القرآن، لأنه كان بين موسى وعيسى.

كما أنه خرج عن تعاليم الإمامية الاثنى عشرة حول مفهوم الرجعة؛ حيث بينها بأنها رجوع الصفات الإلهية وتجليها مع آثارها في مظهر جديد للحقيقة الإلهية، ثم ألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة وصلاة الجماعة إلا في الجنازة، وقرر أن الطهر من الجنابة غير واجب، وأن القبلة هي البيت الذي ولد فيه بشيرازا، ومكان سجنه والبيوت التي عاش فيها هو وأتباعه، وهي نفس الأماكن التي فرض على أتباعه الحج إليها. وأما الصوم فهو تسعة عشر يوما، يصوم الشخص فيه من شروق الشمس إلى غروبها، والزكاة خمس العقار تؤخذ في آخر العام من رأس المال ويدفع للمجلس البابي المكون من تسعة عشر عضوا.

وأما الزواج فهو إجباري بعد بلوغ الحادية عشر، ويكفي رضا الطرفين ويجوز وقوع الطلاق تسع عشرة مرة، وعدة المطلق تسعة عشر يوما، وعدة المطلقة خمسة وتسعون يوما، وإذا تزوجت الأرملة فيجب دفع الدية كاملة على من يتزوج بها، وليس في دين البابية نجاسة لشيء

لأن اعتناق البابية يطهر من كل شيء، ويجب دفن الميت في قبر من البلور والمرمر المصقول، ووضع خاتم في يمناه منقوش فقرة من كتاب البيان، والميراث يكون لسبعة أشخاص من القرابة هم الولد والزوج والزوجة والأب والأم والأخ والأخت والمعلم.

والعيد الرئيس عند البابية هو عيد النيروز ومدته تسعة عشر يوما، كما أنه يجب على البابي أن يستقبل الشمس بالسلام في صباح كل يوم جمعة، وقد حرم الباب على أتباعه قراءة القرآن ووجوب إحراقه وسائر الكتب المخالفة، ومن هنا قاموا بإحراقها كما اعتبروا كل من لم يدخل في دينهم كافرا حلال الدم [١].

وقد كتب علي محمد الشيرازي كتابه الذي سماه البيان وهو كتاب البيان العربي الذي زعم فيه أنه منزل من عند الله، وأنه ناسخ للقرآن، وأنه أفضل الكتب المنزلة على الإطلاق، بل وتحدى الجن والإنس أن يأتوا بمثله على حد زعم الشيرازي .

قال الشيرازي في بيانه المزعوم في اللوح الأول من آيات الوحي شئون الحمراء: (إنا قد جعلناك جليلا للجاللين وإنا قد جعلناك به عظيما عظيمانا للعاظمين، وإنا قد جعلناك نورا نورانا للنورين، قد جعلناك رحمانا رحيما للراحمين، وإنا قد جعلناك تميما للتامين. إلى أن يقول: قل: إنا قد جعلناك مليكا للمالكين، قل: إنا قد جعلناك عليا للعالين، قل: إنا قد جعلناك بشيرا للباشرين) [٢].

---

(١) انظر فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب بن علي عواجي، ص١١٦ وما بعدها، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

(٢) حقيقة البابية والبهائية، لمحسن عبد الحميد ص٩٩.

وحينما يقارن الإنسان بين كلام الله ﷻ وكلام هؤلاء الدجالين يتبين له نور الحق، وبعد أن انتهى أمر الباب الشيرازي قام صراع حاد جدا على تولي الزعامة البابية وما بعدها بين حسين علي المازندراني وزعماء البابية متمثلة في أخيه صبح الأزل، وقد أخذ حسين علي المازندراني منها نصيب الأسد، وهزمت البابية على يديه شر هزيمة في أحداث طويلة.

• البهائية ومؤسسها حسين المازندراني يخلف البابية بعد صراع طويل.

مؤسس البهائية يسمى حسين علي بزرك النوري المازندراني، ولد في قرية من قرى المازندران في إيران تسمى نور، وقيل في طهران سنة ١٢٣٣هـ، وحين ظهرت البابية لم يكن هذا الرجل معتبرا من حروف حي التي نظمها الباب الشيرازي، ولا كان له ذكر مشهور في أول قيام البابية، وقد اعتنق البابية سنة١٢٦٠هـ وهو في السابعة والعشرين من عمره، وقد غضب في نفسه على الباب الشيرازي، إذ لم يجعله من حروف حي أي صفوة زعماء البابية، بل جعل أخاه يحيى صبح الأزل منهم، ولكن المازندراني استطاع كظم غيظه وأسرّ ذلك في نفسه على الباب، إلا أنه ظل يتحين الفرص للظهور، ووجد فرصته حينما عقد البابيون مؤتمرهم في صحراء بدشت.

حيث هيأ للمؤتمرين كل وسائل المتعة والترف، واستحوذ على قرة العين غانية البابيين، واستحوذت هي الأخرى عليه، وكانا أساس المؤتمرين وأهم البارزين فيه، إلا أن المازندراني كان يخفي نفسه في أول المؤتمر ليتحاشى الخصومة مع المؤتمرين، ولكنه ظهر في آخر المؤتمر ليقطف ثمرته حين كانت قرة العين كما سماها الشيرازي تصر على

نسخ الشريعة الإسلامية بالشريعة البابية.

وحينما تأزمت الأمور بينهما وبين بقية المؤتمرين تدخل المازندراني لصالح قرة العين، وأخذ يقرأ سورة الواقعة ويفسرها بتفسيرات باطنية ويزعم لهم أن القرآن نفسه فيه إشارة قوية لنسخ شريعة الإسلام بشريعة الباب، فاجتمعت الكلمة على طاعة قرة العين التي جعلت نفسها بعد ذلك طائعة للمازندراني تمام الطاعة ولقبته على أحد الأقوال بهاء الله أو لقب نفسه هو بهذا اللقب، بعد أن تعاظم في نفسه، أو لقبه اليهود لتحقيق ما في كتبهم من ذكر بهاء الله ورب الجنود الذي يقيم دولتهم عندما يأتي للإيحاء بأن مجيء المازندراني يعتبر من جملة الإرهاصات لمجيء رب الجنود إله إسرائيل بزعمهم.

وقد تلقى المازندراني العلوم الشيعية والصوفية وهو صغير، وتزعم كتب البهائية أنه كان يتكلم في أي موضوع، ويحل أي معضلة تعرض له، ويتباحث في المجامع مع العلماء، ويفسر المسائل العويصة الدينية، وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.

وكان شغوفا بما يتعلق بالمهدي وأخبار المهدي وقراءة كتب الصوفية والفلاسفة والباطنية، إلا أنه حينما عظم في نفسه وجاء بتخريفاته الإلحادية زعم أنه أمي لا يعرف شيئا، ولكن الله ألهمه العلوم والمعرفة جميعا، وكتب ما كتب من أقوال تعد من أشنع الكذب، وكان محبا مائلا لأقوال الصوفية وشطحاتهم إلى أفكار البراهمة والبوذيين والباطنية والمانوية، وغير ذلك من المذاهب التي كان يغترف منها مدعيا أن كلامه وحي وظهور لكلام الله تعالى، ولقد ذكر العلماء أقوالا شنيعة في تناقض المازندراني حين ادعى أنه أمي مع ما لفقه في كتبه.

وكانت أسرته عميلة وفية للروس، فقد كان أخوه الأكبر كاتبا في السفارة الروسية، وكان زوج أخته الميرزا مجيد سكرتيرا للوزير الروسي بطهران، ولذلك كان الجاسوس الروسي كنييازد الجوركي من بناة البابية الأوائل، وليس الروس وحدهم في هذا الميدان؛ بل إن اليهود أيضا دخلوا في خدمة هذه النحلة أفواجا مع شدة تعصب اليهود لدينهم ولجنسهم واحتقارهم الآخرين.

لقد أدرك اليهود وهم يسعون حثيثا لامتلاك دولة باسمهم أن أي دعوة تقبل فكرة محو الجهاد في سبيل الله تعالى وتستهجنه أدركوا أن هذه الدعوة هي إحدى الروافد التي تمدهم بالقوة، فكيف إذا كانت تلك الدعوة إنما تقوم من الأساس على أكتاف اليهود وعلى تجمعهم في فلسطين، فإن المازندراني نفسه قال في الوحي الذي زعمه: (قل تالله الحق إن الطور يطوف حول مطلع الظهور، والروح ينادي من في الملكوت هلموا وتعالوا يا أبناء الغرور. هذا يوم فيه سر كرم الله شوقا للقائه وصاح الصهيون قد أتى الوعد وظهر ما هو المكتوب في ألواح الله المتعالي) [1]. وهذا النداء إنما هو موجه إلى اليهود ليعودوا من كل مكان إلى امتلاك فلسطين وغيرها، وإقامة دولتهم، وجاء ابنه أو عبده كما سمى نفسه عباس عبد البهاء فأجلى الحقيقة بما لا وضوح بعده فقال: (وفي زمان ذلك الغصن الممتاز، وفي تلك الدورة سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة) [2].

---

(١) الأقدس ص١٧٢.

(٢) السابق ص١٧٣.

إن هذا الكلام ليس إخبارا بالمغيبات ولكنه إخبار عن مؤامرات محكمة لعودة اليهود وتجمعهم في الأرض المقدسة، عاش عبد البهاء ووالده من قبله أول خيوط تنفيذها ولا يزالون إلى اليوم يعملون على إخراجها ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وتاريخنا في هذا العصر إنما هو شاهد على نجاح تلك المخططات بكل وضوح، وشاهد على جرم البهائية ومسايرتها لليهودية، وشاهد على حقدهم على الإسلام وأهله. لقد امتزجت أفكار البهائية بأفكار اليهود وأصبح لليهود فضل كبير على عميلهم البهاء، فقد آزروه وآووه، وهيئوا السبل لنشر أفكاره.

وبعد أن بلغ المازندراني الخامسة والسبعين من العمر أصابته الحمى، وقيل إنه جن في آخر حياته وكان ابنه عباس عبد البهاء يعمل كحاجب له فاستأثر بالأمر وأغدق على الجماعة الأموال فأحبوه، وحين اشتدت الحمى بمدعي الإلوهية جاءه القدر المحتوم فمات سنة ١٣٠٩هـ، ودفن قرب منزله في عكا وقيل في حيفا، وقد أوصى بالخلافة من بعده لابنه الأكبر عباس، وبعده للأصغر منه الميرزا محمد علي، وكتب بذلك كتابا وختمه بختمه، إلا أن الأمور لم تسر على هذا الوجه، فقد استولى عباس على الأمر كله ولم ينفذ وصية والده، ونشبت بين الأخوين خلافات هائلة أعادت إلى الأذهان تلك المؤامرات التي قام بها والدهما مع أخيه صبح الأزل، وما حصل بينهم من المهاترات والنزاعات الشديدة، فكان هذا خير خلف لتنفيذ خيانة سلفه بتمامها.

وقد انقسم البهائيون حينئذ إلى فرقتين، الفرقة الأولى وهي الموالية لعباس أفندي، وتسمى العباسية، والفرقة الثانية وهي الموالية لمحمد علي بن حسين المازندراني، وتسمى بالموحدين، وصار بعد ذلك مجموع فرق

البهائية بعد حدوث الانشقاقات بينهم أثر شدة المنازعات خمس فرق هي البابية الخلص، الأزلية أتباع صبح الأزل، والبهائية، والعباسية، والموحدون.

وقد آلت زعامة البهائية بعد عباس أفندي عبد البهاء إلى ابن ابنته، وهو شوقي أفندي؛ لأن عبد البهاء مات ولم يخلف غير أربع بنات فخلفه شوقي بوصية منه، ولقبه آلة الله وولي أمر الله، ثم أوصى عبد البهاء بإمامة البهائية إلى أولاد شوقي الذكور دون الإناث، لكن شوقي مات بسكتة قلبية في لندن، ولم يخلف لا ذكورا ولا إناثا.

• البهائية وكتابهم الأقدس ومذهبهم الذي لا يتفق مع الإسلام في شيء.

البهائية كما هو واضح من تعاليمهم ومعتقداتهم مذهب خارج عن الإسلام، لا يتفق مع الإسلام في شيء، بل ولا مع تعاليم الديانات السماوية كلها، بعد أن وصل أتباعه بالمشئوم حسين المازندراني إلى درجة الإلوهية حيث دعاهم فاستجابوا له، وأهم دعاياتهم التي ينادون بتحقيقها ليضمنوا للبشر السعادة فيما يزعمون، وحدة جميع الأديان والالتقاء على دين واحد، لتزول الخلافات بين الناس، ومن المعروف بداهة أن ذلك الدين سيكون الدين البهائي بطبيعة الحال، ووحدة الأوطان بحيث تنمحي المفاهيم الوطنية ولا يبقى في الأذهان إلا الوطن الذي سيختاره المازندراني لهم، ووحدة اللغة بحيث لا يتكلم الناس كلهم بأي لغة لا محلية ولا عالمية إلا اللغة التي سينتخبها لهم المازندراني.

أما كتاب البهائية الذي يقدسونه فقد ادعى حسين علي المازندراني الإلوهية، ومن هنا كان حتما عليه أن ينزل الكتب المقدسة ويبيّن لعباده ما يريد حسب أوهامه، فكان أن جاء بكتابه الأقدس، وجاء فيه بما

يستحي طالب العلم المبتدئ في الطلب من نسبته إلى نفسه، فكان بحق أحط كتاب، وصيغ بأردأ العبارات، وحشي بألفاظ وعبارات تنضح جهلا، وزعم المازندراني أنه أفصح وأشرف كتاب منزل على الإطلاق، نسخ به جميع الكتب السابقة وفي أولها القرآن الكريم.

ولا تسأل عما فيه من الألفاظ الشنيعة والمعاني الركيكة والأخطاء اللغوية والتراكيب الغامضة، قراءته مملة ثقيلة على النفس من تبجح مؤلفه واستكباره الذي فاق استكبار فرعون وهامان وقارون، فإنه كله مدح لنفسه ولبهائه ولجودة قريحته وعمق تفكيره، وإحاطته علما بما كان وما يكون، وسماعه ضجيج أصوات الذرية في أصلاب آبائهم.

وهذه أمثلة تلك الآيات التي لفقها المازندراني في كتابه الأنجس وليس الأقدس، فيقول: (يا ملأء البيان إنا دخلنا مكتب الله إذ أنتم راقدون، ولا حظنا اللوح إذ أنتم نائمون، تالله الحق قد قرأناه قبل نزوله وأنتم غافلون.. من الناس من يدعي الباطن وباطن الباطن، قل: أيها الكذاب تالله ما عندك أنه من القشور تركناها لكم كما تترك العظام للكلاب) [1].

وقال في بيانه لمنزلة كتابه الأقدس: (لا تحسبن أنا أنزلنا لكم الأحكام، بل فتحنا ختم الرحيق المختوم بأصابع القدرة والاقتدار، يشهد بذلك ما نزل من قلم الوحي تفكروا يا أولي الأفكار.. من الناس من غرته العلوم، وبها منع عن اسمي القيوم، وإذا سمع صوت النعال من خلفه يرى نفسه أكبر من نمرود قل: أين هو يا أيها المردود، تالله إنه لفي أسفل الجحيم.. من يقرأ من آياتي لخير له من أن يقرأ كتب الأولين

(١) السابق ص١٤٧.

والآخرين، هذا بيان الرحمن إن أنتم من السامعين، قل: هذا حق العلم لو أنتم من العارفين.. لو يقرأ أحدا به من الآيات بالروح والريحان خير له من أن يتلو بالكسالة صحف الله المهيمن القيوم.. قل تالله لا تغنيكم اليوم كتب العالم، ولا ما فيه من الصحف إلا بهذا الكتاب الذي ينطق في قطب الإبداع أنه لا إله إلا أنا العليم الحكيم) [1]. إلى آخر إفكه وإلحاده وجهله بجميع الأديان.

وأماكن البهائية التي تنتشر فيها الأفكار وتتغلغل بين الناس دون أن يفطن لها المجتمع، لا تحدها الحدود الدولية السياسية، ولا تمسك بزمامها سلطة، تسري في الأمة سريان النعاس في جسم الإنسان حتى إذا قوي أمرها وانتشر خبرها وصار لها رجال يدافعون عنها، ظهرت متنكرة للوسط الذي تعيش فيه طالبة التغيير الجذري لكل ما حولها.

وقد انتشرت البهائية في أماكن كثيرة بعضها معلوم وبعضها في الخفاء، إلا أن وجودهم الأكبر ومركزهم الرئيسي بين حلفائهم في أرض فلسطين التي اغتصبها اليهود، وبارك هذا الاغتصاب ونشر الدعاية له البهائيون في كل مكان.

ويوجد لهم خلايا كثيرة في إيران وأمريكا والعراق ومصر وإمارات الخليج والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب، ومحافلهم كثيرة وأكبرها في شيكاغو وإسرائيل وكندا وبنما ولندن وألمانيا وسويسرا والهند وباكستان وشمال أفريقيا وأوغندا واستراليا.

وقد قدر بعض زعماء البهائية عدد البهائيين بما يزيد على ستين

(١) السابق ص١٧٣.

مليون نسمة في العالم، ولكن لا ينبغي تصديقهم فيه فهو رقم دعائي أكثر منه حقيقي.

ومما لا ينكر أنه قد وقف أعداء الإسلام إلى جانب البهائية مدافعين عنها ومشجعين لها في الاستمرار، وكل من حاول الأخذ على أيدي البهائيين في أي مكان من العالم تقوم ضده دعاية رهيبة بأنه غير متحضر وإرهابي، ولا يسمح بحرية الفكر، ولا يراعي حقوق الإنسان، إلى غير ذلك من الدعايات الطويلة العريضة التي يجيدونها.

ثم يلجئون إلى مجلس الأمن للعويل على حقوق الإنسان التي ترعاها الأمم المتحدة في نيويورك، ليجد كل من يريد إيقافهم عند حدهم أنه أصبح في عداد الأشرار دون أن يعرف الذنب الذي اقترفه، وهذا بفعل دسائس زعماء البهائية في كل مكان يوجدون فيه وتكاتفهم على باطلهم ووقوف بعضهم إلى جانب البعض الآخر لشعورهم بالقلة والذلة أدام الله ذلهم.

- **فرقة القاديانية الأحمدية هي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة.**

القاديانية وهي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة، ظهرت في آخر القرن التاسع عشر في الهند، وتسمى في الهند وباكستان بالقاديانية، وسموا أنفسهم في أفريقيا وغيرها من البلاد التي غزوها بالأحمدية؛ تمويها على المسلمين أنهم ينتسبون إلى الرسول ﷺ، فهي ثورة على النبوة المحمدية وثورة على الإسلام ومؤامرة دينية وسياسية.

وقد احتضنها الإنجليز حينما كانوا حكاما مستعمرين للهند وتبنوها، وبذلوا لنصرتها ما في وسعهم من الإمكانيات المادية والمعنوية؛ وذلك لما رأوه فيها من تحقيق مآربهم، والتمكين لهم في الهند وغيرها، واحتضنتها

كذلك اليهودية العالمية، ولهم مراكز في أنحاء العالم وفي إسرائيل لنشر الإسلام كما يزعم القاديانيون.

وقد نبغت هذه الفتنة في عصر كثر فيه الاضطراب، وخيّم الجهل وانتشرت الأفكار والمبادئ الهدامة على أوسع نطاق، وتغلغلت بين صفوف المسلمين على حين غفلة منهم، حتى أصبحت طائفة كبيرة خصوصا حينما تولى وزارة الدولة الباكستانية المسلمة وزير قادياني هو ظفر الله خان؛ فقد تولى وزارة الخارجية، وعمل كل ما في وسعه لتمكين القاديانية من الانتشار والظهور.

وصارت قاديان ثم الربوة عاصمة للقاديانية ومركز دعوة ودعاية لها، وبدأت القاديانية توجه دعوتها إلى البلاد العربية والإسلامية، وبدأت تظهر في العراق وسوريا وتنتشر في أندونيسيا وبعض البلدان في أفريقيا حتى أصبحت لهم أكثر من قناة فضائية وبلغات مختلفة.

وزعيم القاديانية هو غلام أحمد القادياني، واسم والده غلام مرتضى، وهو يزعم أنه ينتمي إلى أسرة أصلها من المغول ومرة يزعم أن أسرته فارسية، ومرة زعم أن أسرته صينية الأصل، ومرة أنه من بني فاطمة بنت الرسول ﷺ، وأخرى قال بأنها جاءت من سمرقند، وزعم مرة أنه يرجع إلى بني إسحاق، وبعد كل هذا الخلط والاضطراب زعم أن الله أوحى إليه أن نسبه يرجع إلى أسرة فارسية.

وقد خلفه الميرزا بشير الدين محمود وهو من كبار الفساق، كان يتصيد الفتيات في ستر من الزعامة الدينية، وله وكلاء وسماسرة من الرجال والنساء يحضرون له الفتيات الغافلات والشباب، وقد أسس لهذا الغرض ناديا سريا من الرجال والنساء يفسق فيه، وقد سار على سيرة

والده الميرزا غلام أحمد في استهتارهما بالدين، فأصبح انتهاب الملذات من الأمور المألوفة، وهذا النادي يشهد صراحة بتأثير العقائد القاديانية في أصحابها، ودليل على أن هذه الفرقة إنما قامت من الأساس على خداع الناس والوصول إلى مآربهم وشهواتهم التي لا حد لها.

وقد كان عز القاديانية وانتشارها مرهونا بعز الإنجليز وانتشارهم، فكان القاديانيون يفرحون بانتصار بريطانيا وانكسار المسلمين، وقد صرح بهذا كبار القاديانية ابتداء بالغلام وخلفائه، مثلهم في هذا مثل سائر الباطنية حين يفرحون بمصائب المسلمين ويحزنون من أفراحهم.

وقد حاول القادياني غلام أحمد التلاعب بعقول المسلمين وإيهامهم أن نبوته لا تتعارض مع القول بختم النبوة بمحمد ﷺ، مستعملا في ذلك شتى أنواع التأويلات الباطنية للتمويه والتعميم على نبوته الجديدة، وقد رصد العلماء كل تلك المفاهيم والتأويلات الباطلة، وكانت هذه المواقف تمثل البدايات الأولى لظهور الغلام، ولكن بعد مدة من الزمن، وبعد أن اشتد طمعه في إثبات النبوة له، تمرد وعتا وادعى هو وجماعته بكل وضوح أن النبوة لا تزال ولن تزال أبدا تحل بأشخاص وتنتهي عن أشخاص دون انقطاع، وأن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ، وركبوا لذلك كل صعب وذلول، ولم يكترثوا بأن هذا كفر صريح بما جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، وبدلا من أن يرجعوا إلى الحق أخذوا يتفننون في بيان مفهوم ختم النبوة على معان مختلفة وتأويلات ملفقة.

ولم يقتصر الميرزا على التنبؤ، بل حمله غروره على أن فضّل نفسه على أكثر الأنبياء والمرسلين، وأنه جُمع فيه ما تفرق في أنبياء كثيرين؛ فما من نبي إلا وقد أخذ منه قسطا فقال: (لقد أراد الله أن يتمثل جميع

الأنبياء والمرسلين في شخص رجل واحد، وإنني ذلك الرجل.. وقد آتاني ما لم يؤت أحدا من العالمين) [١].

• **أهم عقائد القاديانية التي جاءوا فيها بأفكار شاذة غريبة ومتناقضة.**

لقد تخبط القادياني وأتباعه في متاهات عديدة وجاءوا بأفكار شاذة غريبة، وتناقضوا في أقوالهم وأفعالهم. ومن الأمور التي تظهر في معتقدات زعيمهم القادياني اعتقاد التناسخ والحلول، وأن الأنبياء تتناسخ أرواحهم، وتتقمص روح بعضِهِم وحقيقتُه جسد الآخرين وحقيقتهم ، وتظهر في مظهر الجسد الآخر تماما، وقد قال بهذا ليصل إلى تثبيت بعثته ونبوته، وعلى هذا الاعتقاد الفاسد قرر أن إبراهيم عليه السلام قد ولد مرة أخرى بعادته وفكرته ومشابهته القلبية بعد وفاته بنحو ألفين وخمسين سنة، في بيت عبد لله بن عبد المطلب وسمي بمحمد ﷺ، ومثل هذه الولادة حصلت لعيسى عليه السلام حينما ظهر بمظهر القادياني أيضا، وأن الرسول محمدا ﷺ بعث مرتين كما صرح القاديانيون بذلك بعثته الأولى معروفة، وبعثته الأخرى حينما حلت روحانيته في القادياني نفسه.

وفي هذا يقول القاديانية: (إن مراتب الوجود دائرة، وقد ولد إبراهيم بعادته وفطرته ومشابهته القلبية بعد وفاته بنحو ألفي سنة وخمسين، في بيت عبد الله بن عبد المطلب وسمي بمحمد ﷺ) [٢].

ومن عقائدهم التشبيه فكان للقادياني أقوال كفرية في وصف الله تعالى؛ فهو يزعم أن الله يصلي ويصوم ويصحو وينام، وأنه يخطئ

---

(١) انظر القاديانية دراسة وتحليل ١٤٤، وملحق حقيقة الوحي ص٨٧، وانظر فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام للدكتور غالب بن علي عواجي، ٢/٢٢٢.

(٢) ترياق القلوب ص ١٥٥.

ويصيب، وبلغ منتهى التشبيه والتجسيم حين زعم أنه رأى في الكشف أنه قدم أوراقا كثيرة إلى الله تعالى ليوقع عليها ويصدق على طلباته التي اقترحها؛ فوقع الله عليها بحبر أحمر، وكان عنده كما يزعم في وقت الكشف رجل من مريديه اسمه عبد الله، ثم نفض الرب القلم فسقطت منه قطرات الحبر على أثوابه وأثواب مريده، وحينما انتهى الكشف رأى بالفعل أن أثوابه وأثواب عبد الله لطخت بتلك الحمرة.

وقد وصف الله تعالى بأنه مثل الأخطبوط له أياد وأرجل كثيرة، وأعضاءه بكثرة لا تعد ولا تحصى، وفي ضخامة لا نهاية لطولها وعرضها، مثل الأخطبوط له عروق كثيرة امتدت إلى أنحاء العالم وأطرافه، بل يصف القادياني إله العالمين بصفات في غاية القبح والشناعة، ننزه عن ذكرها أسماع وأبصار طلاب العلم؛ كلها تدور حول الجنس والولادة على طريقة الباطنية وغلاة التشبيه والتجسيم، بل وعلى طريقة النصارى الذين ادعوا أن لله ولدا.

- **القاديانية وأثرها في هدم شريعة الإسلام وعلاقتها بغير المسلمين.**

لقد حاولت القاديانية مزاحمة الإسلام، وأرادت أن تحل محله في العقيدة والفكر والعاطفة، وجعلت كل من يدخل هذه الديانة الجديدة أو الإسلام الجديد كما يزعم القاديانيون بعيدا عن الإسلام الذي ارتضاه رب العالمين لخلقه، ومن هنا نرى القاديانيين يقارنون بين الصحابة وبين أتباع الغلام، دون أن يجدوا في ذلك أي حرج، فقد جاء في صحيفة الفضل القاديانية أنه لا يوجد فرق بين أصحاب النبي ﷺ، وتلاميذ الميرزا غلام أحمد؛ إلا أن أولئك رجال البعثة الأولى، وهؤلاء رجال البعثة الثانية.

ثم جعلوا الحج الأكبر هو زيارة قاديان، وقبر القادياني، مضاهاة لزيارة المسجد النبوي الشريف والسلام على الرسول ﷺ بالمدينة، ونصوا على أن الأماكن المقدسة في الإسلام ثلاثة، مكة والمدينة وقاديان، وأوّلوا المراد بالمسجد الأقصى بأنه مسجد قاديان.

واخترعوا لهم أشهرا غير الأشهر الإسلامية، وهي شهر الصلح، التبليغ، الأمان، الشهادة، الهجرة، الإحسان، الوفاء، الظهور، تبوك، الإخاء، النبوءة، الفتح، وهو نفس المسلك الذي سار عليه البهاء المازندراني حين اخترع له أشهرا غير الأشهر الإسلامية، ليقطعوا صلتهم بالأشهر الإسلامية، وبما جاء فيها من مناسبات مفضلة.

ومن هنا يتضح أن علاقة القاديانيين بالمسلمين أتباع محمد ﷺ علاقة مبتورة، فالمسلمون عندهم كفار ما لم يدخلوا في القاديانية؛ لأنهم يفرقون بين الرسل، فالمؤمن بالإسلام ونبيه إذا لم يؤمن بالقاديانية ونبيها فإنه يكون كافرا، لأنه يفرق بين أحد من رسله، وعلى هذا فإنه لو مات مسلم، فإنه لا يجوز للقادياني الصلاة عليه، ولا دفنه في مقابرهم؛ لأنه كافر لعدم إيمانه بنبوة الغلام، فلا تجوز الصلاة عليه ولو كان طفلا أيضا، ولا يجوز نكاح المسلم بالقاديانية، ويجوز ذلك للقادياني كما هو الحال بالنسبة لأهل الكتاب؛ أي إنهم يعاملون المسلمين معاملة أهل الكتاب.

ولا تصح الصلاة خلف غير القادياني مهما كانت منزلته، وإذا فعل ذلك تقية أو لمصلحة، فعليه أن يعيد تلك الصلاة حتما، حتى وإن كان صلاها في أحد الحرمين الشريفين، وهذه التقية أو النفاق هو الأساس الذي قام عليه مذهب الشيعة والباطنية والقاديانية، ولا يجوز حضور

اجتماعات المسلمين سواء كانت في أفراحهم أو في مصائبهم، بل ولا يجوز أن يذكر المخالف للقاديانية من المسلمين، أو يترحم عليه، أو يستغفر له، بل و أبعد من هذا أنهم لا يجوزون الصلاة على من يصلي من القاديانيين خلف المسلمين أو يتعامل معهم أو يوادهم.

وأما علاقتهم بغير المسلمين فقد قامت بين القاديانيين وبين كثير من الملل المخالفة للإسلام علاقات قوية، خصوصا بينهم وبين الدول المعادية للمسلمين، مثل بريطانيا وإسرائيل واليهودية الحاقدة، فهي تتمتع معهم بصداقات حميمة واتصالات وثيقة، وقد أعطتهم إسرائيل أمكنة لفتح المراكز والمدارس، وأغدقت عليهم الأموال سرا وجهرا.

ومن المعروف بداهة أن إسرائيل ما كانت لتحتضن هذه الدعوة القاديانية، ولا أن تقوم بتمويلها، بل والدعاية لها لو أنها تعرف فيها مثقال ذرة من الإسلام، الذي تعتبره إسرائيل الخطر الحقيقي عليها، كما أن إسرائيل تمول جميع الحركات الهدامة من قاديانية وبهائية وغير ذلك لتحقيق أهدافها في السيطرة والعلو، فالمؤامرات واضحة لا تحتاج إلى سياسي بارع، ولا ذكي محنك في تحليل الأحداث.

وقد رحب القوميون الهنود بالقاديانية، وفرحوا بها، وتحمسوا لها كثيرا، لأن هؤلاء الهنادكة يحقدون على الإسلام حقدا لا يقل عن حقد اليهود والنصارى، وضايقهم جدا توجه المسلمين الهنود بقلوبهم إلى نبيهم محمد ﷺ وكتاب ربهم، بل وإلى الجزيرة العربية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولهذا فقد اعتبروا توجه الناس إلى قاديان انتصارا للوطنية الهندية على الإسلام الأجنبي عن بلادهم، وفرصة سانحة للتحول العظيم في تفكير المسلمين الهنود وغيرهم من الإسلام إلى القومية.

إن تقدم الحركة الأحمدية ضربة قاضية على الحضارة العربية والوحدة الإسلامية، وكل من اعتنق الأحمدية تغيرت وجهة نظره وضعفت صلته الروحية بمحمد ﷺ، وتنتقل الخلافة من الجزيرة العربية وتركيا إلى قاديان في الهند، ولا يتبقى لمكة والمدينة إلا حرمة تقليدية.

- **انتشار القاديانية ووفاة القادياني غلام الله بعد مناظرته للعلامة ثناء الله.**

لقد انتشرت القاديانية في غفلة العالم الإسلامي في إفريقيا في الوقت الذي تنشر فيها القاديانية أكثر من خمس مجلات راقية، بينما لا توجد مجلة واحدة للمسلمين في أفريقيا كلها لتجابههم، ويوجد مئات المبلغين القاديانيين الذي يتجولون من أدنى أفريقيا إلى أقصاها عبر القارات الأخرى، حيث أقاموا فيها سبعا وأربعين مدرسة، وبنوا مائتين وستين مسجدا، هذا غير ما يتبع ذلك من المكتبات العامة والخاصة والمؤلفات والنشرات، كما فتحوا في الآونة الأخيرة مستشفيات ودورا اجتماعية في مختلف أنحائها، وأصبح أتباعهم حسب نشراتهم أكثر من مليوني شخص في مدة لا تجاوز خمس عشرة سنة.

لقد كان للقاديانيين نشاط قوي في الصحافة والمجلات، لعلمهم بتأثير هذه الوسيلة في مفاهيم الأمة، ومن هنا فقد أصدر القاديانيون عدة مجلات بعدة لغات، فلهم في نيجيريا مجلة أسبوعية باللغة الإنجليزية، ولهم في غانا مجلة شهرية باللغة الإنجليزية، ولهم في سيراليون مجلة شهرية باللغة الإنجليزية، ولهم في كينيا مجلة تصدر كل ثلاثة أشهر باللغة الإنجليزية، ولهم في شرق أفريقيا مجلة شهرية باللغة السواحلية، ولهم في موريشيوس مجلة شهرية باللغة الإنجليزية والفرنسية، ولهم في سيلون مجلة شهرية باللغة

الإنجليزية، ولهم في إندونيسيا مجلة شهرية باللغة الإندونيسية، ولهم في إسرائيل مجلة شهرية باللغة العبرية، ولهم في سويسرا مجلة شهرية باللغة الألمانية، ولهم في لندن مجلة شهرية باللغة الإنجليزية، ولهم في الدنمارك مجلة شهرية باللغة الدنماركية.

هذا بالإضافة إلى الكتب الكثيرة والمبالغ الضخمة التي ترسلها دائما إلى بلدان كثيرة لنشر القاديانية بين شعوب تلك البلدان،كما أن لهم نشاطات أخرى؛ وهي بناء المدارس والمساجد، فقد بلغ عدد المساجد التي بنوها في العالم حوالي ٣٤٣ مسجدا.

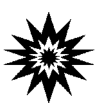
وهذه المساجد إنما أقيمت لتكون وكرا للقاديانية، ومحلا للتخطيط وحبك الدسائس على الأمة الإسلامية، وإقامة الزعامة القاديانية على حساب الإسلام، فهي أشبه ما تكون بمسجد الضرار الذي هدمه الرسول ﷺ بأمر ربه حينما بني على نية سيئة.

وقعت في عام ١٩٠٧م بين القادياني وبين العلامة ثناء الله مناظرات خرج الغلام منها مدحورا مغضبا، ثم تحدى القادياني الشيخ ثناء الله بأن الله سيميت الكاذب منهما في حياة الآخر، ودعا الله تعالى أن يقبض المبطل في حياة صاحبه، ويسلط عليه داء مثل الطاعون يكون فيه حتفه، وفي شهر مايو ١٩٠٨م أجيبت دعوة القادياني، فأصيب بوباء الكوليرا في لاهور، ومات في بيت الخلاء، وكان جالسا لقضاء حاجته، واستفتحُوا وخاب كل جبار عنيد.

وانطبق على القادياني قوله في مناظرته: (إن كنت كذابا ومفتريا كما تزعم في كل مقالة لك فإنني سأهلك في حياتك؛ لأنني أعلم أن

المفسد الكذاب لا يعيش طويلا، في عاقبة الأمر يموت ذلا وحسرة في حياة ألد أعدائه، حتى لا يتمكن من إفساد عباده) [1].

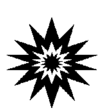
ونقلت جثته إلى قاديان حيث دفن في المقبرة التي سماها بمقبرة الجنة بهشتي مقبرة، وعاش ثناء الله بعده أربعين سنة في نضال القاديانيين والرد عليهم.



(١) القدياني والقاديانية ص٢٦، وانظر فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام للدكتور غالب بن علي عواجي ٢/٤٤٢.

المطلب السادس عشر

دين الحنيفية من آدم حتى ظهور اليهودية وأثر الانحراف عن دعوة الخليل إبراهيم



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن فرق الدروز والبهائية والقديانية وقيام معتقداتهم وطقوسهم البدعية على أصول وثنية، وعلمنا أن الدروز فرق باطنية عبيدية من الغلاة الذين ألهوا الحاكم بأمر الله، وبينا المعاني اللغوية والاصطلاحية لكلمة الدروز، ونسبتها إلى مؤسسيها، كما تحدثنا عن الأسماء التي أطلقت عليهم وانتشارهم وأساليبهم في كتمان أسرارهم، وتناولنا التعريف بإله الدروز الحاكم بأمر الله وطريقتهم في تعليم ديانتهم.

كما بينا أن الدروز لا يؤمنون بيوم القيامة، فلا حساب ولا جزاء ولا ثواب، وعلمنا أن فرق الشيخية والرشتية حلقات متصلة بالبابية والبهائية، وتحدثنا عن فرقة البابية، وكيفية ارتباطها بالشيخية وأثرهما في ظهور البهائية، وعلمنا أن مؤسس البهائية حسين المازندراني خلَف البابية بعد صراع طويل، وتحدثنا عن البهائية وكتابهم الأقدس ومذهبهم الذي لا يتفق مع الإسلام في شيء.

كما تناولنا الحديث عن فرقة القاديانية الأحمدية وأنها إحدى الفرق الباطنية الخبيثة، وبينا أهم عقائدهم التي جاءوا فيها بأفكار شاذة غريبة ومتناقضة، وبينا خطورة القاديانية وأثرها في هدم الشريعة الإسلامية وعلاقتها بغير المسلمين، ثم تحدثنا عن انتشار القاديانية ووفاة القادياني غلام الله بعد مناظرته للعلامة ثناء الله.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن دين الحنيفية من آدم حتى ظهور اليهودية، وأثر الانحراف عن دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام.

- **توحيد العبادة لله من آدم إلى ظهور الشرك ثم زواله في عهد نوح.**

وكل والله عز وجل آدم عليه السلام منذ خروجه وزوجته من الجنة بالرسالة السماوية التي احتوت على أوامره التكليفية فيما استخلفه واسترعاه، وأمره هو بتبليغها إلى ذريته، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة:٣٨.

ثم تكاثر الناس وانتشروا في جهات الأرض، يتتبعون أسباب الرزق والماء في مختلف بقاعها، وفق النظام الفطري في تكاثر الخلق، وتوزعهم في شتات الأرض، حتى كان منهم الشعوب والقبائل، ومع تطاول العهد نسوا وصايا أبيهم آدم، وضيعوا دينهم، ولعبت بهم الأهواء، وأضلتهم الشياطين، فأشركوا وظلموا وكفروا بالله، فتداركهم الله بإرسال الرسل معلمين ومبشرين ومنذرين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ فاطر:٢٤ .

وقال أيضا: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل:٣٦ .

هاتان الآيتان تدلان على أنه ما من أمة من الأمم السابقة إلا وسبق أن أرسل الله فيها رسولا ينذرها، فلم يدع الله أمة منعزلة من أمم الأرض تتيه في ضلالها وغيها دون أن يتداركها بالبلاغ، ومن هؤلاء الرسل من قص الله علينا قصصهم، وذكر لنا أسماءهم، ومنهم من لم يذكرهم ولم يقص قصصهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ غافر:٧٨.

وقد كان آدم عليه السلام أول الرسل، وكانت رسالته عامة في ذريته، كما حدد الله لنا في كتابه كيفية خلقه لآدم، بشكل صريح واضح لا يحتمل التأويل، فلا مجال لإيراد تخيلات وفرضيات حول كيفية بدء وجود الإنسان على هذه الأرض، وأن آدم فرد من نوعية بشر سابقين، ولا مجال لنظريات دارون في أصل الإنسان ونشأته وأنه كان قردا وتتطور فأصبح إنسانا، فقد بين القرآن بأدلة يقينية لا شبهة فيها أن الله سبحانه هو الذي خلقه من تراب وصوره في أحسن تقويم، ونحن نعلم أن كل اعتقاد يخالف القرآن الكريم بشكل قاطع هو اعتقاد مخالف للحقيقة.

وكان أول فساد وقع على الأرض قتل أحد ابني آدم لأخيه كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن

تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ المائدة: ٣١/٢٧.

وقد كان آدم عليه السلام نبيا مكلما، وقد مكث أولاده وبنوه من ذريته عشرة قرون كلهم على الإسلام، كما ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام) [(١)].

ثم فسد حال الناس بعد ذلك وتطاول عليهم العمر، وفتنهم الشيطان، وصاروا يعبدون الأوثان، وقد أثبت القرآن الكريم خمسة أوثان كانوا يقدسونها ويعبدونها، وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ نوح:٢٣. ونوح عليه السلام إنما بعثه الله تعالى لما عبدت هذه الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله عز وجل رحمة للعباد، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض.

ومضمون ما جرى له مع قومه كما دلت نصوص الكتاب والسنة أن ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا، كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا، قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، فلو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة فصورهم، فلما ماتوا وجاء آخرون وانتشر الجهل ورفع العلم دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم،

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/٤٨٠ (٣٦٥٤).

وبدعائهم يسقون المطر، فعبدوهم من دون الله.

ولما بعث الله نوحا عليه السلام دعاهم إلى إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له وألا يعبدوا معه صنما ولا تمثالا ولا طاغوتا، وأن يؤمنوا بوحدانيته وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، فدعاهم إلى الله مرارا، ليلا ونهارا، جهرا وإسرارا، بالترغيب تارة، والترهيب تارة، وكل هذا لم يؤثر فيهم، بل استمر أكثرهم على الطغيان والضلالة، وعبادة الأصنام والأوثان، ونصبوا له العداوة في كل وقت وآن، وتنقصوه وتنقصوا من آمن به وتوعدهم بالرجم والإخراج، ونالوا منهم، وبالغوا في أمرهم.

وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ العنكبوت:١٤ .

ولما يئس نوح عليه السلام من صلاحهم، ورأي أنه لا خير فيهم، وتواصلوا في أذيته ومخالفته وتكذيبه بكل سبيل دعا عليهم بالهلاك، فاستجاب الله دعوته وأمره أن يصنع سفينة لنجاة المؤمنين؛ لأن الله قدر إغراقهم، فنجاه الله بها، وفتح بينه وبين قومه، وأقر عينه ممن خالفه وكذبه.

وأرسل الله تعالى من السماء مطرا، لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده، كان كأفواه القرب، وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها، وعم الماء جميع الأرض بطولها وعرضها وسهلها وقفارها وجبالها ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء صغير ولا كبير، ثم أمر الله الأرض أن تبتلع ماءها وأمر السماء أن تقلع، قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟

﴿عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾ نوح: ٢٥/٢٧ .

لقد جعل الله ذرية نوح الباقين من نسل آدم، فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى من ركبوا السفينة مع نوح، وما ورد في القرآن يقتضي أن نوحا عليه السلام مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاما، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون، ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك؟

- التوحيد من بعد نوح إلى ظهور الشرك ثم زواله في عهد هود وصالح.

وبعد مدة من الطوفان أرسل الله هودا عليه السلام لما ظهر الشرك والفساد في قوم عاد، وهم قبيلة تنسب إلى عاد بن عوص بن سام بن نوح وكانوا عربا يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل التي كانت باليمن بين عُمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر، وكانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، فبعث الله فيهم أخاهم هودا عليه السلام فدعاهم إلى الإسلام كما قال تعالى بعد ذكره لقوم نوح: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾ الأعراف: ٦٩ / ٧٠.

وكان قوم عاد جفاة كافرين عتاة مشركين مصرين على عبادة الأصنام، فأرسل الله فيهم رجلا منهم يدعوهم إلى إفراده العبادة لله، ورغبهم ورهبهم، فقال الملأ الذين كفروا منهم إنا لنرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه سفه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة الأصنام التي يرتجى منها النصر والرزق، ومع هذا نظنك تكذب في دعواك أن الله أرسلك

وما جئتنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به، ولن نترك عبادة آلهتنا لمجرد قولك بلا دليل أقمته ولا برهان نصبته، وما نظن إلا أنك مجنون فيما تزعمه، أو أصابك بعض آلهتنا بسوء فاعتراك الجنون.

ولما أبوا إلا الكفر بالله ﷻ أرسل الله عليهم ريحا عارضة عاتية، فلما رأوا هذا العارض ظنوه سحابا ممطرا واعتقدوه رحمه، فإذا هو نقمة وريح عاتية باردة فيها عذاب أليم، استمرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما، فلم تبق منهم أحدا، بل تتبعهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ الحاقة:٦/٨.

وبعد مدة من هلاك عاد أرسل الله صالحا عليه السلام لما ظهر الشرك والفساد في ثمود، وكانوا عربا عاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك، وقد مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين، وكانوا بعد قوم عاد يعبدون الأصنام، فبعث الله فيهم رجلا منهم، وهو عبد الله ورسوله صالح عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ولا يشركوا به شيئا، فآمنت طائفة منهم وكفر أغلبهم، وهموا بقتله، وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

وكانت قوم ثمود قد اجتمعوا يوما في ناديهم، فجاءهم رسول الله صالح، فدعاهم إلى الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم، فطلبوا منه أن

يخرج لهم من الصخرة ناقة حددوا صفتها وتعنتوا في نعتها، وأن تكون عشراء طويلة، فدعا الله أن يخرجها لهم، فأمر الله ﷻ تلك الصخرة أن تنفطر وتنشق عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه الذي طلبوا، فلما خرجت الناقة وعاينوها كذلك، رأوا أمرا عظيما، ومنظرا هائلا، وقدرة باهرة، ودليلا قاطعا، وبرهانا ساطعا، فآمن كثير منهم، وبقيت الناقة فترة طويلة يشربون من لبنها بشرط أن تشرب ماء بئرهم قسمة بينهم؟، يوما لها، ويوما لهم، فلما طال عليهم هذا الحال، ومنعوا من البئر يوما من بعد يوم، تناودوا واجتمعوا واتفقوا على أن يعقروا الناقة ليستريحوا منها، ويتوافر عليهم ماؤهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم، فأخبرهم صالح أن يتمتعوا في دارهم ثلاثة أيام، فلم يصدقوه وهموا بقتله وأرادوا أن يلحقوه بالناقة.

ولما قضي الوعد جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض ففاضت الأرواح وزهقت النفوس، وسكنت الحركات، فأصبحوا في دارهم جاثمين، جثثا لا أرواح فيها ولا حراك بها، كأن لم يقيموا في سعة الرزق وبسطة، ونجى الله نبيه صالحا عليه السلام ومن آمن به، وقطع دابر القوم الذين ظلموا. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ الصافات:١٣٧/١٣٨. وقال: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ النمل:٥٢.

روى أحمد بإسناد صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: (لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا القدور، فأمرهم رسول الله فأهرقوا القدور وعلفوا العجين

الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا فقال: إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم) [(١)].

وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه لما وصلوا الحجر ديار ثمود: (لا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين إلاّ أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم) [(٢)].

وفي رواية: (لما مرّ رسول الله ﷺ بالحجر، قال: لا تدخلوا مساكن الّذين ظلموا أنفسهم، أن يصيبكم ما أصابهم، إلاّ أن تكونوا باكين، ثمّ قنّع رسول الله ﷺ رأسه، وأسرع السّير حتّى أجاز الوادي) [(٣)].

- **ظهور الشرك بعد هلاك عاد وثمود ودعوة أبي الأنبياء إلى التوحيد.**

وبعد مدة من هلاك ثمود أرسل الله إبراهيم الخليل عليه السلام لما ظهر الشرك والفساد في العراق وبلاد الشام وفلسطين ومصر، وقد ولد إبراهيم ببابل في العراق على الصحيح، وهي أرض الكلدانيين وقتها، وكانت أول دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له، وكان أبوه ممن يعبد الأصنام، فبين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها، ولا تبصر مكانه، فكيف تغني عنه

---

(١) أحمد ١١٧/٢ (٥٩٨٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه البخاري في أبواب المساجد، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب ١٦٧/١ (٤٢٣)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ٢٢٨٥/٤ (٢٩٨٠).

(٣) رواه البخاري في المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر ١٦٠٩/٤ (٤١٥٧).

شيئا، أو تفعل به خيرا من رزق أو نصر؟

ثم حدثت المناظرة لقومه في هذه الأجرام والكواكب التي عبدوها دون الحي القيوم الذي لا إله إلا هو، وكان أهل بابل يصورون لمعبوداتهم أوثانا وأصناما على هيئتها، فناظرهم في عبادتهم لها وأهانها وبين بطلانها، فلما خرجوا إلى عيدهم واستقر هو في بلدهم، راغ إلى آلهتهم ضربا باليمين، وجعلهم حطاما إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون، فلما رجعوا من عيدهم، ووجدوا ما حل بمعبوداتهم، أتوا به على رءوس الأشهاد لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه، ويعاينون ما سيحل به من العذاب، فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، فأمر الله النار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم.

ثم خرج إبراهيم ﷺ من أرض الكلدانيين في العراق، وكان معه ابن أخيه لوط بن هاران إلى أرض الكنعانيين في بلاد الشام، فنزلوا حران، وناظر فيها النمرود ابن كنعان، وكان قد طغى وبغي وتجبر وعتا، فدعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فحمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع، فحاج إبراهيم في ربه وادعى لنفسه الربوبية، فغلبه إبراهيم في الحجة حتى بهت الذي كفر.

ثم ارتحلوا قاصدين بيت المقدس فأقاموا فيها، وكانت سارة امرأة الخليل إبراهيم عاقرا لا يولد لها، ولم يكن له من الولد أحد، بل معه ابن أخيه لوط، فمكث إبراهيم في فلسطين، ثم انطلق بعد قحط وشدة وغلاء حل بهم، فارتحلوا إلى مصر ومعه زوجته سارة، وكان فرعون مصر وقتها يأخذ المرأة الحسناء لنفسه غصبا من زوجها، فقال إبراهيم لها: قولي أنا أخته.

روي مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله قال: (لَم يَكذب إبرَاهِيم النبِي ﷺ قَطّ إلا ثلاَث كَذبَاتٍ، ثنتَين في ذاتِ اللهِ، قَوله إني سَقِيمٌ. وقَوله بَل فَعَلَه كَبِيرهم هَذا، وَوَاحِدَة فِي شَأن سَارَةَ، فَإِنه قَدِمَ أَرضَ جَبار وَمَعَه سَارَة، وكَانت أَحسَن الناس، فَقَالَ لَهَا: إن هَذا الجَبارَ إن يَعلَم أَنكِ امرَأَتِي يَغلِبني عَلَيك، فَإن سَأَلَكِ فَأَخبِرِيهِ أَنكِ أختِى، فَإنكِ أختِي فِي الإِسلاَم، فَإني لاَ أَعلَم فِي الأَرض مسلِما غَيري وَغَيرك، فَلَما دَخَلَ أَرضَه رَآهَا بَعض أَهلِ الجَبار أَتَاه فَقَالَ لَه: لَقَد قَدِمَ أَرضَكَ امرَأَة لاَ يَنبَغِي لَهَا أَن تَكون إلا لَكَ، فَأَرسَلَ إِلَيهَا فَأتِي بِهَا، فَقَامَ إبرَاهِيم ﷺ إِلَي الصلاَةِ، فَلَما دَخَلَت عَلَيهِ لَم يَتَمَالَك أَن بَسَطَ يَدَه إِلَيهَا فَقُبِضَت يَده قَبضَة شَدِيدَة، فَقَالَ لَهَا: ادعِي الله أَن يطلِقَ يَدِي وَلاَ أَضرّكِ. فَفَعَلَت، فَعَادَ فَقُبِضَت أَشَد مِن القَبضَةِ الأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثلَ ذلِكَ، فَفَعَلَت، فَعَادَ فَقُبِضَت أَشَد مِن القَبضَتَين الأولَيَين، فَقَالَ ادعِي الله أَن يطلِقَ يَدِى، فَلَكِ الله أَن لاَ أَضرك، فَفَعَلَت وَأُطلِقَت يَده، وَدَعَا الذي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَه: إنكَ إنمَا أَتَيتَنِي بِشَيطَان، وَلَم تَأتِني بِإنسَان، فَأَخرِجهَا مِن أَرضِي وَأَعطِهَا هَاجَرَ. قَالَ: فَأَقبَلَت تَمشِي فَلَما رَآهَا إبرَاهِيم ﷺ انصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهيَم، قَالَت: خَيرا كَف الله يَدَ الفَاجِرِ وَأَخدَمَ خَادِما. قَالَ أَبو هرَيرَةَ: فَتِلكَ أمّكم يَا بَنِي مَاءِ السمَاءِ) (١).

ثم عاد إبراهيم ﷺ مع زوجته سارة وجاريته هاجر غانمين آمنين إلى فلسطين، وأمر إبراهيم لوطا ﷺ أن يذهب إلى الأردن في أرض الأغوار المعروفة لينذرهم ويحذرهم من أفعالهم الفاسدة عند انتشار الشذوذ بينهم، ومعاشرة الرجال بعضهم لبعض، فنزل بمدينة سدوم،

---

(١) مسلم في الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ٤/١٨٤٠ (٢٣٧١).

وهي أم تلك البلاد في ذلك الزمان، وكان أهلها أشرارا كفارا فجارا، فجعل الله عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة أهلكتهم جميعا، ونجى الله لوطا عليه السلام.

ثم إن سارة وهبت هاجر لإبراهيم عليه السلام فدخل بها، وحملت منه بإسماعيل، وحدث بينها وبين سارة ما يكون بين النساء من الغيرة، فوضعت هاجر إسماعيل عليه السلام، وإبراهيم له من العمر وقتها ست وثمانون سنة، قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة، ولما ولد إسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة، ومن وراء إسحاق يعقوب.

- إسكان إبراهيم لإسماعيل في مكة وبناء البيت الحرام لحجة الإسلام.

لما ولد لهاجر إسماعيل عليه السلام ذهب إبراهيم بها وبولدها إلى برية فاران وهي موقع مكة المكرمة، وكان ولدها إذ ذاك رضيعا، روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعها هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ إبراهيم:٣٧.

وجعلت أم إسماعيل عليه السلام ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط، فانطلقت كراهية إن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر، هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحدا؟ فلم تر أحدا، فعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: ذلك سعى الناس بينهما، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا، فقالت: صه تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، أو قال بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعد ما تغرف.

قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أم إسماعيل! لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا، قال ابن عباس: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن هاهنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرا عائفا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه من ماء، فأرسلوا جريا أو جريين، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبرهم بالماء، فأقبلوا، قال ابن عباس ﷺ: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لاحق لكم في الماء عندنا، قالوا: نعم.

قال عبد الله بن عباس ﷺ قال النبي ﷺ: فألفى ذلك أم إسماعيل، وهي تحب الأنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم، فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وكان أنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيلﷺ فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، وشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه، فلماء جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا فقال: هل جاءكم من أحد؟ فقالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: هل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك، فالحقي بأهلك، وطلقها وتزوج منهم أخرى، ولبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته

فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله ﷻ فقال: وما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء.

قال إبراهيم عليه السلام: اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النبي ﷺ: ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ، ولو كان لهم حب لدعا لهم فيه. قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه - يعنى أهل مكة يألفون المداوة على أكل اللحم دون غيرهم - قال إبراهيم: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبت بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك، ثم لبث عندهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك به ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، وجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ربنا تقبل منا

إنك أنت السميع العليم[١].

- **دعوة الخليل إبراهيم وانتقال الحنيفية من إسحاق ويعقوب إلى موسى.**

بعد بناء البيت عاد إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين ومكث فيها، وقد مرت الملائكة بإبراهيم عليه السلام مجتازين ذاهبين إلى قوم لوط ليدمروا عليهم قريتهم سدوم فظنهم الخليل ضيوفا فعاملهم معاملة الضيوف وشوى لهم عجلا سمينا فقربه إليهم، فلم ير لهم همة إلى الأكل بالكلية فنكرهم، وأوجس منهم خيفة، فأخبروه خبرهم، وبشروه بإسحاق من سارة، ومن وراء إسحاق يعقوب.

ولما وفي إبراهيم عليه السلام ما أمره به ربه جعله للناس إماما يقتدون به ويأتمون بهديه، وسأل الله أن تكون هذه الإمامة متصلة في عقبه، وباقية في نسبه، فأجيب إلى ما سأل على ألا ينالها الظالمون، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ العنكبوت:٢٧.

ولم يخرج من ذرية إسماعيل عليه السلام من سلالته من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق وسيدهم، وفخر بني آدم في الدنيا والآخرة، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي المكي ثم المدني صلوات الله وسلامه عليه، فلم يوجد من هذا الفرع الشريف سوى هذه الجوهرة الباهرة وهو الذي يفتخر به يشفع لأهل الجمع ويغبطه الأولون والآخرون يوم القيامة.

أما الفرع الثاني لإبراهيم وأصله ولده إسحاق، فقد ظهر منه جميع

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب يزفون ٣/١٢٢٧ (٣١٨٤).

الأنبياء، فأنجب إسحاق يعقوب وقد سماه الله إسرائيل، وأنجب يعقوب الأسباط، وهم بنو إسرائيل اثنا عشر ولدا ذكرا، وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف عليه السلام، وأبرز إخوته من أثرت في التاريخ ذريتهم لاوى ويهوذا، فقد خرج من نسل لاوى موسى وهارون، وخرج من نسل يهوذا داود وسليمان وعيسى بن مريم عليهم السلام.

وبعد ذلك حدثت قصة يوسف عليه السلام وفيها من عجائب التقدير وألوان الحكم والتأثير، ما يعلّم البشرية جميعا توحيد اللطيف الخبير، منذ تآمر إخوته على قتله وألقوه في البئر، وحملته السيارة إلى مصر وبيع فيها رقيقا لعزيزها، وراودته امرأته عن نفسها وعصمه الله منها، وسجها له ثم تأويله لرؤيا الملك في البقرات السبع، ثم توليه للقيادة الاقتصادية في مصر، ثم التجاء إخوته إليه بعد أن أصابهم القحط في فلسطين، ثم إحضار يوسف لأبيه وتحقيق رؤياه لما صار عزيزا لمصر، ورفع أبويه على العرش، وقد وصى يعقوب عليه السلام بنية الأسباط بالإسلام والتزام توحيد العبادة لله كما قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ البقرة:١٣٣ .

وقد استقر بنو إسرائيل بمصر قرابة أربعة قرون حتى أرسل الله موسى بن عمران عليه السلام من نسل لاوي بن يعقوب إلى فرعون لما ادعى الربوبية، وليعيد بني إسرائيل إلى موطنهم الأصلي، وقد ذكر الله تعالى موسى عليه السلام في مواضع كثيرة من القرآن، وذكر قصته في مواضع متعددة مبسوطة مرة، وغير مطولة مرة أخرى.

وقد جاء فيها أن فرعون لما استضعف بني إسرائيل، وأُخبر أن مولودا

منهم سيكون هلاكه على يديه، حرص كل الحرص على قتل كل مولود ذكر منهم، حتى جعل رجالا وقوابل يدورون على الحبالي، ويعلمون ميقات وضعهن، فلا تلد امرأة ذكرا إلا ذبحه، فجعل الله تربيته في دار فرعون وعلى فراشه، بين يدي امرأته، ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما.

ودخل مرة المدينة على حين غفلة من أهلها، فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، فوكزه موسى فقضي عليه، فلما علم موسى باجتماع الملأ لقتله خرج خائفا يترقب متجها إلى أرض مدين، وقد استقر عند نبي الله شعب الذي زوجه بإحدى ابنته على أن يمكث عنده عقدا من الزمان.

ولما قضى موسى الأجل عاد بأهله إلى مصر، وخاطبه الله بالوحي عند جبل الطور في سيناء، وأعطاه معجزتين وأرسله إلى فرعون كما أخبر سبحانه فقال: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ القصص:٣٥/٢٩.

وقد طلب موسى عليه السلام من ربه أن يرسل معه أخاه هارون وزيرا فلبى الله طلبه، وأمرهما أن يأتيا فرعون ويبلغاه ما أرسلا به من دعوته إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وأن يفك أسارى بني إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته، ويتركهم يعبدون ربهم حيث شاءوا، فتكبر فرعون وعتا وطغي وبغى، ونظر إلى موسى بعين الإزدراء والتنقص، جاحدا لمعجزة العصا، وما جاء به موسى عليه السلام مما يؤيده يقينا.

ثم ادعى فرعون كذبا أن هذا الذي جاء به موسى عليه السلام سحر يريد أن يخرج به الناس من أرضهم، ويفتنهم عن دينهم في عبادة فرعون، وأنه يمكن معارضته بسحر مثله، ثم طلب من موسى عليه السلام موعدا في وقت معلوم ومكان معلوم، فاختار موسى يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى، فذهب فرعون فجمع من كان ببلاده من السحرة وأتوا بسحر عظيم، وحدثت المناظرة الكبرى، وبانت فرية السحرة العظمى، فلما ألقى موسى عليه السلام عصاه صارت حية عظيمة أقبلت على ما ألقوه من الحبال والعصي، فجعلت تلقفها واحدا واحدا أسرع ما يكون من الحركة، والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها.

ولما رأى السحرة ما حدث هالهم الأمر، وحيرهم في أمر سحرهم، واطلعوا على ما لم يكن في خلدهم، ولا خطر ببالهم، ولا يدخل تحت صناعتهم وأشغالهم، فعند ذلك وهنالك تحققوا بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا خيال ، ولا شعوذة ولا ضلال، بل هو حق لا يقدر عليه إلا الحق، وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة، وأنارها

بالهدى وأزاح عنها القسوة، وأنابوا إلى ربهم تائبين، وخروا له ساجدين، ولم يخشوا عقوبة لأحد من الحاضرين، وشهدوا بالإيمان قائلين: آمنا بالله رب العالمين، رب وموسى هارون.

- موسى يرحل ببني إسرائيل إلى سيناء وتنزل عليه ألواح التوارة.

لقد طغى فرعون وبغى فقتل المؤمنين الذين كانوا سحرته بالأمس، ولم تؤثر فيه الآيات التسع، ولا السنين وأعوام الجدب، ولا وفّى بوعده أنه سيؤمن لموسى ويرسل معه بني إسرائيل إذا كشف عنه الرجز والبأس، كل ذلك وفرعون وقومه لم يرتدعوا، بل تمردوا واستمروا على كفرهم وعنادهم، والله ﷻ يُنظرهم ولا يعجل عليهم، ويؤخرهم ويملي لهم، ما يريهم من آية إلا هي أكبر من أختها، وبعد إقامة الحجة عليهم والإعذار إليهم، أخذهم الله ﷻ أخذ عزيز مقتدر، فجعلهم عبرة ونكالا وسلفا للكافرين، ومثلا لمن اتعظ من عباده المؤمنين.

خرج المسلمون بنو إسرائيل بأمر الله متوجهين إلى الأرض المقدسة وهي أرض فلسطين، فخرجوا بليل سائرين حتى بلغوا البحر الأحمر عند خليج السويس، فلما علم فرعون بذهابهم حنق عليهم كل الحنق، واشتد غضبه عليهم، وجمع جنوده ليلحقهم ويمحقهم، فأتبعوهم مشرقين، كما قال رب العالمين: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ الشعراء:٦١/٦٦ .

لما لحقهم فرعون بالجنود أدركهم عند شروق الشمس، وتراءى

الجمعان، فقال أصحاب موسى وهم خائفون إنا لمدركون، فقال لهم موسى عليه السلام كلا إن معي ربي سيهدين، فنظر إلى البحر وهو يتلاطم بأمواجه، ونزل الوحي يأمره أن يضرب البحر بعصاه، فلما ضربه انفلق بإذن الله اثني عشر طريقا يابسا، لكل سبط طريق يسيرون فيه، فكان ماء البحر قائما مثل الجبال بقدرة الله، فلما جاوزوه وخرج آخرهم منه وانفصلوا عنه، وكان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون إليه وإقبالهم عليه، أراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان، لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول إليه، ولا سبيلا للمرور عليه، فأمره القدير سبحانه أن يترك البحر رهوا ساكنا على هيئته وبطرقه ليعبروا خلفه، فلما عبر فرعون وجنوده التأم البجر وجعلت الأمواج تخفضهم تارة وترفعهم أخرى، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده، وما أحل الله بهم من البأس العظيم والخطب الجسيم، ليكون أقر لأعين بني إسرائيل، وأشفى لنفوسهم، فلما عاين فرعون الهلكة وأحيط به، وباشر سكرات الموت آمن مستكبرا فقال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين، فعاجله جبريل ودس الماء في فيه ومات كافرا مخلدا في الجحيم.

روى الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة) [١].

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب من سورة يونس ٥/٢٨٧ (٣١٠٧)، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٢٠١٥).

ولما عبر بنوا إسرائيل البحر أتوا على يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون، فلما أدركهم العطش طلبوا من موسى عليه السلام السقيا، فأمره الله أن يضرب الحجر بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد أسباطهم، وطلبوا الطعام من نبيهم، فأنزل الله عليهم المن والسلوى، فأكلوا منه حتى سئموا وطلبوا من موسى طعاما مما تنبت الأرض من البقول وغيرها.

وقد أرهقوا موسى بكثرة مطالبهم، وقد كان من نعم الله عليهم أنه ظلل الغمام عليهم وجعل السحاب يستر عنهم حر الشمس في حلهم وترحالهم، فأمرهم الله عز وجل أن يتوجهوا إلى فلسطين لقتال الجبارين الذين ملكوها، فأبوا وقالوا لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا في سيناء قاعدون، فضرب الله عز وجل عليهم التيه أربعين سنة، فكانوا يحاولون الخروج من سيناء لكنهم بعد تعب وكلل من محاولاتهم اليومية يرجعون إلى مكان انطلاقهم، وحاولوا مرارا دون جدوى.

وقد نزل بنو إسرائيل حول طور سيناء، وصعد موسى الجبل فكلمه ربه، وأمره أن يذكر بني إسرائيل ما أنعم به عليهم من نجاتهم من فرعون وقومه، وأمر بني إسرائيل أن يتطهروا ويغتسلوا ليجتمعوا حول جبل الطور، ولا يقترب أحد منهم إليه، فلما رأوا موسى يكلم ربه قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأختهم الصاعقة وهم ينظرون.

وقد واعد الله موسى أربعين ليلة يصومها ثم يأتي فيصعد جبل الطور ليكلمه ربه وينزل عليه التوراة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥)﴾ الأعراف:١٤٣/١٤٥ .

كلمه الله من وراء حجاب وأسمعه الخطاب فناداه وناجاه وقربه وأدناه فسأل موسى رفع الحجاب وأن يرى الله، فبين سبحانه وتعالى أنه لا يقوى ولا يثبت عند التجلي، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وساخ الجبل، وخر موسى صعقا، فلما أفاق تاب إلى ربه من سؤاله.

وقد أنزل الله على موسى التوراة في ألواح مكتوبة بيد الله كتب فيها موعظة وتفصيلا لكل شيء مما يتطلبه أمر التكاليف الشرعية والأخبار الغيبية التي سيحاسب الله عليها بني إسرائيل، وقد ثبت في صحيح البخاري أن الله كتب لموسى التوراة بيده، وأمره الله وقومه أن يأخذوها بعزم ونية، وإرادة صادقة قوية.

وكان قوم موسى وقت صعوده للجبل قد اتخذوا من حليهم عجلا جسدا له خوار، اتخذه لهم رجل يقال له السامري، وزعم أنه إله موسى فعكفوا عليه، وعجز هارون عن ردهم عن غيهم، وغلبوه على أمره واستمروا على ضلالهم، فأخبر الله موسى بما حدث من قومه وهو على الجبل، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠)﴾ الأعراف:١٥٠.

وقد أخذ موسى عجل السامري الذي ظل عليه عاكفا وحرقه ثم نسفنه في اليم نسفا، ولم يقبل الله توبة عابدي العجل إلا بقتل أنفسهم فقتلوا أنفسهم ثم أحياهم وتاب عليهم. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ البقرة:٥٤/٥٦.

وقد اختار موسى من قومه سبعين رجلا يذهبون إلى جبل الطور نيابة عن بني إسرائل ليتوبوا إلى ربهم من فعلة السفهاء منهم لما عبدوا العجل. قال تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الأعراف:١٥٥.

ولما سكن عن موسى الغضب أخذ ألواح التوراة وأمرهم بقبولها والأخذ بها بقوة كما أمره الله ﷻ، فقالوا أنشرها علينا فإن كانت أوامرها ونواهيها سهلة قبلناها، فقال: بل اقبلوها بما فيها، فراجعوه مرارا، فرفع الله الجبل على رءوسهم حتى صار كأنه ظلة وغمامة على رءوسهم، وقيل لهم إن لم تقبلوها بما فيها وإلا سقط الجبل عليكم، فقبلوا ذلك وأمروا بالسجود فسجدوا، فجعلوا ينظرون إلى الجبل بشق وجوههم. قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ الأعراف:١٧١.

وقد احتفظ موسى بالتوراة في تابوت عند سبطه، وهم اللاوون نسبة إلى جده لاوى بن يعقوب من إخوة يوسف، وكان يذكرهم بالتوراة ويخرجها لهم، ويقرأها عليهم أيام السبت، ويعرفهم بأحكام الشريعة والإيمان، وقد ذكر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب، ولى موسى فأدركه رجل فقال: أي رسول الله! هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إلى الله، وقيل: بلى، قال: أي رب فأين؟ قال: بمجمع البحرين قال: أي رب اجعل لي علما أعلم ذلك به، قال قال: خذ نونا ميتا حيت ينفخ فيه الروح ويفارقك فهو عنده. وحدث التقاء موسى بالخضر عن اجتماع الخليجين، أو مجمع البحرين في جنوب سيناء، وكان ما كان بينهم مما قص الله في سورة الكهف.

ومكث موسى وهارون في سنوات التيه حتى مات هارون ثم موسى قرب الأرض المقدسة، وكان قد دعا ربه فقال: رب أدنني إلى الأرض المقدسة رمية حجر، وكان ملك الموت يأتي الناس عيانا، فأتي موسى عليه السلام فلطمه موسى ففقأ عينه، فأتى ربه فقال: يا رب عبدك موسى فقأ عيني، ولولا كرامته عليك لعتبت عليه، قال له: اذهب إلى عبدي وقل له فليضع يده على جلد ثور، فله بكل شعرة وارت يده سنة، فأتاه فقال له فقال: ما بعد هذا؟ قال: الموت قال: فالآن، قال: فشمه شمة فقبض روحه[1].

وقد روى أحمد وصححه الألباني من حديث أنس بن مالك أن رسول الله قال: (لما أسرى بي مررت على موسى وهو قائم يصلي في

(١) انظر السلسلة الصحيحة (٣٢٧٩).

قبره عند الكثيب الأحمر [(١)].

ولم يبق أحد ممن أبى أن يحارب الجبارين وأن يدخلوا فلسطين من الجيل الذي تعود على الجبن والذل في عهد فرعون إلا مات ولم يشهد الفتح، إلا الرجلين المذكورين الذين أنعم الله عليهما، والقائلين: ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، وجعل الله الفتح على يد الجيل الذي ولد حرا في سنوات التيه، وقد زعم بعضهم أن موسى عليه السلام هو الذي خرج بهم من التيه ودخل بهم الأرض المقدسة، وهذا خلاف ما عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين.

- دخول بني إسرائيل فلسطين وسياسة الأنبياء لهم بأحكام التوراة.

وقبل موت موسى أمر بني إسرائيل أن يجعلوا على كل سبط من الاثني عشر أميرا، وهو النقيب، ليتأهبوا لقتال الجبارين عند الخروج من التيه، وكان هذا عند اقتراب انقضاء الأربعين سنة، فقادهم فتى موسى يوشع بن نون حتى تم لهم النصر بفضل الله، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ المائدة:١٢.

روى أحمد وصححه الألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت

---

(١) أحمد في المسند ٢٤٨/٣ (١٣٦١٨)، والسلسلة الصحيحة (٢٦٢٧).

المقدس)[١].

وفي رواية عند البخاري قال رسول الله ﷺ: (غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن، ولا أحد قد بنى بنيانا ولما يرفع سقفها، ولا أحد قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها، فغزا فدنا من القرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي شيئا، فحبست عليه حتى فتح الله عليه، فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار لتأكله، فأبت أن تطعم، فقال: فيكم غلول، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فبايعوه، فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فبايعته قبيلته، قال: فلصق بيد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، أنتم غللتم فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعوه في المال وهو بالصعيد، فأقبلت النار فأكلته، فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن الله تبارك تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا)[٢].

ولما دخل يوشع ببني إسرائيل باب المدينة أمرهم الله أن يدخلوها ساجدين راكعين شاكرين على ما من به عليهم من الفتح العظيم، وأن يقولوا لربهم حال دخولهم حط عنا خطايانا التي سلفت من خذلاننا ونكولنا الذي تقدم منا، فخالفوا ما أمروا به ودخلوا الباب يزحفون على إستهم، وهم يقولون: حبة حنطة.

---

(١) أحمد في المسند ٣٢٥/٢ (٨٢٩٨)، والسلسلة الصحيحة (٢٠٢).

(٢) البخاري في الخمس، باب قوله ﷺ: أحلت لكم الغنائم ١١٣٦/٣ (٢٩٥٦)، ومسلم في الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ١٣٦٦/٣ (١٧٤٧).

ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس استمروا في فلسطين مع نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه، وكانوا هم المسلمون وأهل التوحيد في زمانهم، وصاروا ممكنين في الأرض المقدسة ما شاء الله يحكمهم ويسوسهم كثير من الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي آخر، كما روى البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم)[1].

وكانت التوراة كتاب الله في تابوت العهد الذي استحفظ الله عليه اللاوين من الأسباط، وهم كانوا علماء بني إسرائيل، يخرجون التوراة الحقيقية المكتوبة بيد الله في الألواح، يقرأونها على عامة المسلمين كما علمهم موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ ﴾ المائدة:٤٤.

وبعد مدة من وجود بني إسرائيل في فلسطين، انتشر بينهم الفساد واتباع الهوى وأنواع المشتهيات، وكانت أول فتنة لهم النساء، كما ثبت عند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله ﷻ مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل

(١) البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣/١٢٧٣ (٣٢٦٨)، ومسلم في الإمارة، باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ٣/١٤٧١ (١٨٤٢).

كانت في النساء)[1].

وبدأ الناس يتعاملون بالربا، وظهر فيهم الظلم والرشوة والمحسوبية، وكانوا يتآمرون على قتل أنبيائهم بسبب منعهم من أفعال السوء والفحشاء، وتحذيرهم من عواقب أفعالهم، وظهر الفساد بين كثير من الأحبار والرهبان لأكلهم أموال الناس بالباطل وصدهم عن سبيل الله بتأويلهم كلام الله، وقلبهم للحق باطلا بغية الدنيا والحرص عليها وكنز أموالها كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ التوبة:٣٤.

وقال عن تأويلهم لكلام الله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ آل عمران:٧٨. وقال تعالى عن انتشار الربا بينهم: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ النساء:١٦١.

وقد تكدست أموالهم حتى وصفوا الله بالفقر، ووصفوا أنفسهم بالغنى، وكان من نصحهم من أنبيائهم يسعون في قتله، وتكذيب كلامه كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ

(١) رواه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ٢٠٩٨/٤ (٢٧٤٢).

ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ آل عمران:١٨١ .

ولما انتشر الفساد وهوى النفس واتباع الشهوات، والتحايل على كتاب الله بالتأويل والشبهات، بقي الناس لا يتناهون عن منكر فعلوه كما قال تعالى: ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ المائدة:٧٨/٧٩.

وقد ضرب الله مثلا للفساد الذي انتشر في قرية من قرى بني إسرائيل كانت مطلة على البحر، ابتلاهم الله في صيدهم فخالفوا أمر ربهم بالسعي إلى العبادة وذكر الله بالصلاة في يوم السبت، فمسخهم قردة خاسئين، قال تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ الأعراف:١٦٣/١٦٥.

- **طرد بني إسرائيل من فلسطين ثم عودتهم إبان حكم داود.**

مكث بنوا إسرائيل في الأرض المقدسة ما يزيد على أربعة قرون، وقد زاد عصيانهم وكثرت خطاياهم، وقتلوا من قتلوا من الأنبياء، وسلط الله عليهم ملوكا من الأعداء جبارين يظلمونهم، ويسفكون دماءهم فأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم، وكان علماؤهم من اللاوين يحتفظون بتابوت العهد الذي حفظت فيه التوراة، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، ولما غلب الجبارون بقيادة جالوت على بني إسرائيل وقتلوا

منهم خلقا كثيرا، وسبوا من أبنائم جمعا كبيرا، بعث الله لهم نبيا يقال له صموئيل، فطلبوا منه أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله.

وقد قص الله قصتهم فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ البقرة:٢٤٦/٢٥١.

وقد دلت هذه النصوص على أن التوراة كانت في تابوت العهد، وأن الملائكة تجسدت وحملته أمام أعينهم، ونقلته من سبط لاوى وسلمته إلى طالوت كدليل على اختيار الله له ملكا عليهم، ثم انتقلت التوراة بعد ذلك إلى داود ، وهو من سبط يهوذا، وذلك بعد أن قتل داود جالوت وآته الله الملك والحكمة.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ سبأ:١٠/١١. وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الأنبياء:٨٠/٧٩ .

وقال تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ص:٢٠/١٧.

وقد أنزل الله الزبور على داود ، وهو كتاب تسابيح وأدعية وثناء على الله سبحانه، كان داود يقرأه قرآنا في وقت قصير، كما روى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (خفف على داود القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يديه) [1].

روى البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن

(١) البخاري في الأنبياء، باب قوله تعالى: آتينا داود زبورا ١٢٥٦/٣ (٣٢٣٥).

رسول الله ﷺ قال: (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوما ويفطر يوما) [1].

• **اتساع ملك بني إسرائيل في عهد سليمان وبقاء ألواح التوراة إلى زمنه.**

ورث سليمان أباه داود، وسخر الله له كل ما يحتاج إليه من الجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين، كما قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ سبأ:١٢/١٣.

وقد اتسع ملك سليمان فهيمن على ملوك الشام، ثم امتد ملكه إلى اليمن، وخضعت له ملكة سبأ فآمنت به ودخلت في دينه، وقام بعمارة بيت المقدس، وقد ذكر الله شأن سليمان ونبوته وملكه، وأنه أوحى إليه كما أوحى إلى سائر الرسل، وأن الله فضله وأباه على أهل زمانه، وآتاه علم منطق الطير، وسخر له الريح تجري بأمره حيث أراد، غدوها شهر ورواحها شهر، فإذا أرادها رخاء جرت بأمره رخاء حيث أصاب، وإذا أرادها عاصفة جرت بأمره عاصفة إلى الأرض التي أراد، فتسوق له السفن، وتتجه بأمره إلى الأرض التي يوجهها إليها، وهذا التسخير من المعجزات التي اختص الله بها سليمان عليه السلام .

---

(١) البخاري في أبواب التهجد، باب من نام عند السحر ١/٣٨٠ (١٠٧٩)، ومسلم في الصيام، باب النهى عن صوم الدهر ٢/٨١٦ (١١٥٩).

وقد سخر الله له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، يعملون له ما يشاء من محاريب، وتماثيل، وجفان كالجواب، وقدور راسيات، كما سخر الله له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويبنون له ما يشاء، كما سلطه الله على شياطين آخرين يكف شرهم عن الناس بتقييدهم في الأغلال، ومن الأحداث التي جرت لسليمان عليه السلام قصته مع ملكة سبأ، ومروره على وادي النمل.

وقد قضى الله على سليمان الموت فمات وبقي أمر موته مجهولا، وكان متكئا على عصاه، فلما مات بقيت العصا حافظة لتوازنه، ولبث هكذا حتى أكلتها دابة الأرض فانكسرت وخر جسمه فعلموا موته، ولما رأت الجن ذلك تبينوا أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ سبأ:١٤.

وعقب انتهاء ملك سليمان عليه السلام في مطلع القرن العاشر قبل الميلاد انقسمت مملكة بني إسرائيل في الأرض المقدسة إلى قسمين متنازعين بين أبناء سليمان الذين هم من سبط يهوذا، وحدث علو كبير منهم على سبط لاوى وبقية أسباط بني إسرائيل، وانتشر الفساد والشرك بينهم أكثر مما كان قبل عصر داود وسليمان، حتى وقع فيهم الهلاك مرتين، فسلط الله عليهم الآشورين في الوعد الأول، وسلط عليهم البابليين في الوعد الثاني بقيادة بختنصر البابلي.

قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ

وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ الإسراء: ٤/٨.

بعث الله عليهم بختنصر البابلي فقتلهم، وسبى نساءهم وذراريهم وهدم مسجد سليمان، وهذا التدمير البابلي هو ما يعرف في تاريخهم بالسبي البابلي، حيث أجلاهم بختنصر عن بيت المقدس وأخذهم أغلبهم سبيا إلى بابل في العراق.

• هلاك اليهود بعد عصر سليمان وضياع الألواح في الخراب البابلي.

وتفصيل الأمر فيما حدث بعد وفاة سليمان أن مملكة بني إسرائيل انقسمت بعد وفاة سليمان إلى دولتين متنازعتين، إحداهما في الشمال وتسمى مملكة إسرائيل، أو مملكة السامرة، أو المملكة الشمالية وعاصمتها تسمى شكيم التي بناها يربعام، وهو أحد قادة جيوش سليمان، والأخرى في الجنوب وتسمى مملكة يهوذا أو المملكة الجنوبية وعاصمتها أورشليم أو القدس وقائدها رحبعام بن سليمان.

وقد وقع بنو إسرائيل في الردة والكفر والفجور منذ بداية عصر الانقسام، وتكرر ذلك منهم مرات عديدة في أزمنة مختلفة، واستمرت سلسلة من الحروب والنكبات المستمرة بين المملكتين، ومع البلاد المجاورة لها، ووقع عليهم غزو الآشوريين العراقيين على مملكة إسرائيل

الشمالية، والقضاء عليها وتدميرها تدميرا نهائيا، ونقل من بقي من أهلها أسرى إلى آشور العراق على يد الإمبراطور الآشوري سرجون الثاني، وبذلك كانت نهاية مملكة إسرائيل الشمالية.

وبقيت مملكة يهوذا الجنوبية تكافح وتناضل الطامعين فيها من أجل البقاء إلى أن جاء البابليون بقيادة ملكهم بختنصر الذي احتل القدس، ودمّر أسوار أورشليم، وأحرق بيت المقدس، وخرب الحصون وهدم المساجد، وأحرق التوراة وقتل بني إسرائيل، وأخذ من بقي منهم عبيدا إلى بابل، وهذا ما يعرف في تاريخ اليهود بالأسر أو السبي البابلي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد تقريبا، وكان ذلك القضاء المبرم على مملكة يهوذا، أو ما تبقى من مملكة بني إسرائيل.

وقد عاش بنو إسرائيل في المنفى أو السبي البابلي مدة طويلة، انحرفوا خلالها عن الدين الحق، وتأثروا بوثنية أسيادهم البابليين ومن جاء بعدهم، ثم احتل الفرس بابل وورثوا ممتلكاتهم، وأظهر ملك الفرس كورش تعاطفا نحو بني إسرائيل حيث سمح لهم بالعودة إلى فلسطين، ولكن الكثيرين منهم فضلوا البقاء في بابل، وعاد بعضهم على صورة جماعات تحت قيادة رجل يقال له عزرا، أو عزير كما سماه القرآن، حيث إعادة بناء مدينة أورشليم وهيكل سليمان، وقد زعم اليهود أنه أعاد التوراة المفقودة في السبي البابلي من حفظه، وأنه الذي جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها، وأنه مؤسس اليهودية المتأخرة في القرن الخامس قبل الميلاد، ولذلك يلقبونه بالكاهن الكاتب أو الوراق(١).

---

(١) تاريخ بني إسرائيل لمحمد دروزة ص٢٠٧، واليهودية د.أحمد شلبي ص٨٤.

ومن ذلك الزمان اختفي ذكر الأسباط العشرة الأخرى، فمن عاد منهم إلى فلسطين اختلط بسبطي يهوذا وبنيامين، وفي ذلك الحين سُمَّي الإسرائيليون يهودا، وقد عاشت الجماعات اليهودية العائدة إلى فلسطين تحت ظل الحكم الفارسي لتلك البلاد، ومن بعده في ظل حكم الاسكندر الأكبر المكدوني اليوناني، ومن بعده حكم البطالسة المصريين التابعين لأحد قادة الإسكندر الأكبر الذين اقتسموا مملكته بعد وفاته، ثم جاء الحكم الروماني على فلسطين في القرن الأول قبل الميلاد، وفي فترة الحكم الروماني ولد وعاش عيسى بن مريم عليه السلام.

وقد حاول اليهود مرارا وتكرارا في ظل الحكومات المتعاقبة السابقة إعادة مجدهم السابق، وعزهم الزائل وحلمهم الكبير في إقامة مملكة مستقلة لليهود في فلسطين، ولكن محاولاتهم الكثيرة كانت تبوء بالفشل والندم والدم حيث تنتهي ثوراتهم باضطهادهم وتدميرهم وقتلهم وتشريدهم وذلهم وهوانهم، عقابا لهم من الله وغضبا عليهم، لكفرهم وفجورهم وقتلهم الأنبياء والصالحين وإفسادهم في الأرض.

وعلى أثر ثورة من الثورات المتكررة التي كان يقوم بها اليهود في القرن الأول الميلادي دمّر الإمبراطور الروماني تيطس هيكل سليمان مرة ثانية، وقتل وسبى عددا كبيرا من اليهود، وفي القرن الثاني الميلادي قام اليهود بثورة أخرى زمن الإمبراطور الروماني أدريانوس الذي دمّر مدينة أورشليم، وبنى مكان الهيكل معبدا لـجوبتير كبير آلهة الرومان وغيّر اسم المدينة إلى إيليا، وتخلص من اليهود بالقتل والتعذيب والتشريد والنفي ومنعهم من دخولها، فازداد تشتت اليهود وتفرقهم في أنحاء العالم عما كانوا عليه من قبل.

وإلى هنا ينتهي تاريخ الإسرائيليين كأمة، فإنهم بعد خراب أورشليم تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقي من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها أو نزلوا فيها، وقد قاسوا في غربتهم هذه صنوف العذاب والبلاء، فإن الرومانيين حظروا عليهم دخول أورشليم.

ومع تشتتهم فإن العذاب كان يحل بهم أينما حلوا، وتعرضوا لنقمة أهل البلاد التي يسكنون فيها بسبب كفرهم وفسقهم وفسادهم وإفسادهم في الأرض وإشاعتهم للفتن والرذائل، وأكل أموال الناس بالباطل، فكان عقاب الله ﷻ عليهم بأن سلّط عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ الأعراف:١٦٧/١٦٨.

لقد سلط الله على اليهود الفراعنة والآشوريين والبابليين واليونانيين والبطالسة والرومان، وقطعهم في الأرض أمما متفرقين، فتفرقوا في كثير من البلدن يحملون أحقادهم في التوراة التي كتبها لهم عزير، والذي قدسوه وعبدوه وزعموا أنه ابن الله، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وكان ممن تقطع في الأرض جماعة من علمائهم كانوا يعرفون نبي آخر الزمان محمد ﷺ الذي جاء ذكره في التوراة، وجاء ذكر وصفه ووصف بلده ومبعثه ومماته، وأنه سيعلوا على أعدائه، فهاجروا إلى يثرب انتظارا له لعله يعيد لهم مجدهم ودولتهم.

غير أن اليهود ظنوا أن أنبياء الله سيوافقونهم على ضلالاتهم التي دونها لهم عزرا في التوراة المحرفة، فمن مكث منهم في فلسطين تآمر على قتل عيسى عليه السلام حتى رفعه الله، ومن انتظر خاتم الأنبياء والمرسلين في يثرب، سلطه الله نبيه ﷺ عليهم بعد محاولتهم قتله، فأجلى بني قينقاع وبني النضير عن المدينة النبوية، وقتل بني قريظة وحارب يهود خيبر حتى استسلموا له وصالحوه، ثم أوصى بإخراجهم من جزيرة العرب، كما روى مسلم من حديث عمر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أذر فيها إلا مسلما) [(١)].

وفي المسند من حديث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أنه قال: (إن آخر ما تكلم به النبي ﷺ قال: أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب) [(٢)].

- **اليهود بعد تفرقهم لم تقم لهم قائمة ولا دولة في فلسطين إلا في عصرنا.**

وفي العصر الحديث كان اليهود يسامون سوء العذاب عقابا على أفعالهم الخبيثة في الدول الأوروبية النصرانية وغيرها، فعوقبوا في بريطانيا سنة ١٢٩٨م حينما أمر الملك ادوارد الأول بطرد اليهود من جميع البلاد البريطانية، وفتك البريطانيون باليهود فتكا ذريعا جزاء أفعالهم وخبثهم، وفي فرنسا عاقبهم الملك لويس التاسع، والملك فيليب ونكل بهم الفرنسيون وطردوهم مرات ومرات، وفي إيطاليا حاربهم بابوات الكنيسة الكاثوليكية حربا شعواء، وفي سنة ١٥٤٠م ثار عليهم الإيطاليون

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ٣/١٣٨٨ (١٧٦٧).

(٢) رواه أحمد في المسند ١/١٩٦ (١٦٩٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

فقتلوهم وطردوهم، وفي روسيا حدثت مذابح فظيعة في عهد الحكم القيصري النصراني خاصة سنة ١٨٨١م حيث قتل اليهود بالآلاف[١].

وفي ألمانيا ظل قتل اليهود قائما في القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين كعقاب لهم، وكان آخر ما لاقوه من عذاب وتقتيل وتشريد على يد هتلر النازي إبتداء من توليه الحكم في ألمانيا عام ١٩٣٣م إلى ١٩٤٥م، وهذه العقوبات التي وقعت على اليهود في كل البلاد التي نزلوا بها بسبب خبثهم وعقيدهم التي يستبيحون فيها أموال غيرهم ودماءهم، وينشرون الرزيلة والفحشاء في كل مكان حلوا به، فتعرضوا لنقمة أهل البلاد التي سكنوها وغضبهم، ويستوي في ذلك تاريخهم القديم والأوسط والحديث وفي المستقبل أيضا حسب الوعيد الإلهي في بأنهم يسامون العذاب إلى يوم القيامة، ويكون ذلك على يد المسلمين إن شاء الله كما ورد عند البخاري من حديث ابن عمر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله) [٢].

وهاهم اليهود اليوم لم تقم لهم قائمة ولا دولة ولا كيان في فلسطين إلا في عصرنا الحاضر حينما تحالفت اليهودية الماكرة مع الصليبية الحاقدة التي احتلت بلاد المسلمين بجيوشها الصليبية وسعت في تشريد المسلمين

---

(١) هذه الفقرة ملخصة بتصرف من كتاب موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة للدكتور محمود عبد الرحمن قدح ص٣٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ١٣١٦/٣ (٣٣٩٨)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ٢٢٣٩/٤ (٢٩٢١).

وسلب أراضيهم في فلسطين، وخاصة بيت المقدس ومنحها أو بيعها لليهود، وتشجيع هجرتهم إليها من شتى بقاع الأرض لإقامة دولة غاصبة لهم في فلسطين، وقد مرّت إقامة تلك الدولة المشؤمة بعدة مراحل، فأول دعوة علنية لإنشاء وطن قومي لليهود كانت في كتاب نداء اليهود الذي أصدره السير هنري فتش بإنجلترا عام ١٦١٦م.

ثم جاء الجنرال نابليون بونابرت الفرنسي الذي دعا اليهود إلى إقامة وطن لهم في فلسطين خلال الحملة التي قام بها على مصر والشرق عام ١٧٩٨م، ووجه إلى اليهود بيانا سماهم فيه ورثة فلسطين الشرعيين، ولكن هزيمة نابليون حالت دون إكمال المؤامرة التى أسس فكرتها الملك لويس التاسع لما سجن أسيرا في دار ابن لقمان في المنصورة في آخر حملة صليبية له على مصر.

ثم توالت نداءات وكتابات زعماء ومفكري اليهود إلى اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود، وإقامة دولة لهم فيها بشتى الوسائل، وتكونت في أوروبا وأمريكا وآسيا وغيرها عشرات الجمعيات والمنظمات اليهودية التي ترعى شؤون اليهود ومصالحهم، ومن أبرزها جمعية أحباء صهيون التي قدمت عام ١٨٨٢م طلبا للقنصل العثماني في روسيا يطلبون الإقامة في فلسطين، فكان الرد بالرفض القاطع من السلطان عبد الحميد العثماني.

وقد استطاع اليهود أن يتغلغلوا في الأوساط الدينية والاجتماعية والمالية والإعلامية والسياسية في البلاد الغربية ذات النفوذ العالمي مثل بريطانيا وروسيا وفرنسا ثم أمريكا وغيرها، وأن يُسَخِّروا حكومات وشعوب تلك البلاد في تحقيق المصالح اليهودية والأهداف الصهيونية

والتي كانت تلتقي دائما مع المطامع والمصالح الصليبية الغربية ضد الإسلام والمسلمين.

ففي المجال الديني فقد استطاع اليهود أن يندسوا في الكنيسة النصرانية، ويصلوا إلى أعلى المناصب الكنسية حتى منصب بابا الفاتيكان، ويستصدروا من مجمع الفاتيكان العالمي الثاني المنعقد عام ١٩٦٣م قرارا بتبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام، ثم أصدر البابا بولس السادس في ٢٨ أكتوبر ١٩٦٥م عن المجمع المسكوني بيانا اشتهر باسم وثيقة التبرئة يؤكد فيه ما سبق.

وأما في المجال المالي فقد ظهرت امبراطوريات مالية يهودية كبيرة في أوروبا وامتد نشاطها إلى أمريكا، ومن أبرز تلك الإمبراطوريات المالية عائلة روتشيلد اليهودية وغيرها التي قامت بتمويل الحركات الثورية والمنظمات الصهيونية التي تخدم مصالح اليهود.

وأما في المجال الإعلامي فقد سيطر اليهود عن طريق المال بشرائهم وإنشائهم للمؤسسات الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية، وعن طريقها كانوا يتحكمون في الحكومات والشعوب ويوجهونهم حسب خطط اليهود وأهدافهم ومصالحهم.

وأما في المجال السياسي فقد استطاع اليهود السيطرة عليه والتغلغل فيه عن طريق الإغراء المالي والجنسي والتأثير الإعلامي والجمعيات الماسونية للوصول إلى أعلى المناصب السياسية، أمثال اليهودي بنيامين دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا، وأعضاء الحزب الشيوعي في روسيا بعد الانقلاب الشيوعي الذي أطاح بالحكم القيصري النصراني، فقد كان معظمهم من اليهود، وكذلك أعضاء الكونجرس الأمريكي ووزراء

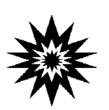
ومستشارو الرئيس الأمريكي ومعاونوه.

وقد أصدر الصحفي اليهودي تيودور هرتزل عام ١٨٩٦م كتابه الدولة اليهودية، ودعا إلى مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م حضره زعماء اليهود وحاخاماتهم من جميع أنحاء العالم، وتقرر فيه إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية، واختيار فلسطين لتكون وطنا قوميا لليهود بعد تجميعهم فيها من أنحاء العالم، وبذل كافة الجهود لتحقيق ذلك، ثم أنشأ هرتزل الصندوق اليهودي الوطني عام ١٩٠١م لشراء الأراضي في فلسطين، وعرض على السلطان عبد الحميد العثماني رشوة مالية ضخمة مقابل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، فرفض السلطان ذلك العرض الدنيء، وقام بطرد هرتزل.

وقد تمكن الماسونيون عام ١٩٠٩م من الإطاحة بالسلطان عبد الحميد وعزله بانقلاب عسكري، وتولي حزب الاتحاد والترقي للسلطة الفعلية في تركيا، وكان معظم أعضائه من يهود الدونمة السلانيك والماسونيين، ثم قاموا بإلغاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م على يد مصطفى كمال أتاتورك، ثم أصدر وزير خارجية بريطانيا بلفور وعده المشؤم بمنح اليهود حق إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، ومساعدتهم في ذلك في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، وقامت بريطانيا بعد احتلالها فلسطين بتحقيق وعد بلفور المشؤم في تشجيع ودعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتوطينها وحمايتها، فهاجر إلى فلسطين أثناء مدة الانتداب البريطاني ما يقرب من ١١٨ ألف يهودي كوّنوا عصابات إرهابية مسلحة بهدف الإستيلاء على أراضي المسلمين وتشريدهم وإرهابهم، وقد اندمجت تلك العصابات اليهودية بعد ذلك في جيش الدفاع في الدولة اليهودية.

وقد أصدرت الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين بين المسلمين واليهود، وانتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧م، ثم أعلن بن جوريون في ١٥ مايو ١٩٤٨م قيام دولة يهودية في فلسطين على أثر إعلان بريطانيا انتهاء الانتداب، وقد تسارعت الدول الغربية الصليبية التي تتلاقى مصالحها ومطامعها مع المخططات اليهودية إلى الاعتراف بالدولة اليهودية الغاصبة وفي مقدمة تلك الدول إمريكا وروسيا وفرنسا.

وقد استطاعت الدولة اليهودية التي سُميت باسم إسرائيل ترسيخ وجودها، بل توسيع أراضيها المغتصبة في المنطقة العربية الإسلامية بدعم حلفائها الغربيين، وخاصة إمريكا وروسيا حيث قامت باحتلال القدس الغربية وجنوب النقب عام ١٩٤٩م، ثم احتلال القدس الشرقية والضفة الغربية، وقطاع غزه، وصحراء سيناء وهضبة الجولان عام ١٩٦٧م، وبناء المستوطنات الإسرائيلية على الأراضي المحتلة [١].



(١) السابق ص٣٣.

المطلب السابع عشر

اليهودية وخروجها عن دين الإسلام وأصول الحنيفية وعلاقتها بالصهيونية والماسونية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن دين الحنيفة من آدم حتى ظهور اليهودية، وأثر الانحراف عن دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام، وتحدثنا عن توحيد العبادة لله من زمن آدم عليه السلام إلى ظهور الشرك ثم زواله في عهد نوح عليه السلام، ثم تحدثنا عن التوحيد من بعد نوح إلى ظهور الشرك ثم زواله في عهد هود وصالح، وما كان من إسكان إبراهيم لإسماعيل عليه السلام في مكة وبناء البيت الحرام لقيام حجة الإسلام.

ثم تحدثنا عن دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام وانتقال الحنيفية من زمن إسحاق ويعقوب إلى موسى عليه السلام، وعلمنا أن موسى رحل ببني إسرائيل إلى سيناء ونزلت عليه ألواح التوارة، وتحدثنا عن دخول بني إسرائيل فلسطين، وسياسة الأنبياء لهم بأحكام التوراة، ثم طردهم من فلسطين ثم عودتهم إبان حكم داود عليه السلام، واتساع ملك بني إسرائيل في عهد سليمان عليه السلام وبقاء ألواح التوراة إلى زمنه، ثم تناولنا الحديث عن هلاك اليهود بعد عصر سليمان عليه السلام وضياع الألواح في الخراب البابلي، وأن اليهود بعد تفرقهم لم تقم لهم قائمة ولا دولة في فلسطين إلا في عصرنا.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن اليهودية وخروجها عن دين الإسلام وأصول الحنيفية وعلاقتها بالصهيونية والماسونية [١].

- **الديانة اليهودية خليط مقتبس من الطقوس البابلية والمصرية والكنعانية.**

إن الديانة اليهودية التي دخلت عليها الطقوس الوثنية البابلية والمصرية والكنعانية لم تكتسب صيغة الضلال النهائية إلا في زمن متأخر، أي عند كتابة التوراة البابلية بعد فقدان الألواح في الأسر البابلي، وهذا هو العصر الذي يمثل البداية الأولى للديانة اليهودية، وقد أراد الأحبار المتأخرون في كتابتهم للتوراة أن ينشئوا جسرا يصل عصورهم بين السبي البابلي ومعتقدات الدولة الفارسية من جهة، وبين العصر الذي وجد فيه موسى عليه السلام، وحاولوا أن ينكروا وجود ثغرة بينهم وبين موسى عليه السلام، ولكن هذه الثغرة بقيت طويلا، ولم يستطيعوا ردمها، ولذلك فإن جذور العلاقة بين الفرس الممثلين في إيران الآن وبين اليهود وأساليبهم جذور ضاربة في أعماق التاريخ.

لقد ظل توحيد العبادة لله معروفا وغالبا لدى اليهود، أو بني إسرائيل قبل تسميتهم باليهود فترة الخروج من مصر والدخول إلى الأرض المقدسة، وكذلك أيام حكم داود وسليمان، وإن لم تخل هذه الفترات من حدوث الشرك لدى كثير منهم كما حدث عند عبادتهم لعجل السامري أيام موسى عليه السلام، وقد كان الموحدون منهم يمثلون المسلمين المؤمنين في ذلك الزمان بفتراته المتعددة، غير أنه سرعان ما ضعف

(١) هذا المطلب ملخص من كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الصادر عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي بإشراف ومراجعة دكتور مانع بن حماد الجهني نشر دار الندوة العالمية الجزء الخاص باليهودية وما تفرع عنها.

إيمانهم بالله الواحد الأحد، وانشغلوا بالشهوات والشبهات، ولم يكن يذكرون الله ويتوبون إليه إلا حين يستعبدهم شعب آخر، فإذا انتصروا يعودون إلى نسيان الله، أو يشركون به في عبادته.

وكان اتجاه اليهود بعد زوال أغلب المسلمين من بني إسرائيل بموت سليمان ووقوع الخراب البابلي، كان اتجاههم يميل إلى التجسيم والتشبيه والانقسام والتعدد، وبدا هذا واضحا في جميع مراحل تاريخهم، وربما يكون تعدد أنبيائهم دليلا على تجدد الشرك فيهم، بل يرى المستشرق ويل ديورانت أن اليهود لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش؛ لأن عبادة العجل كانت حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر، وظلوا زمنا طويلا يتخذون هذا الحيوان رمزا لإلههم، وقد ذكر غيره من المستشرقين أن بني إسرائيل قد عبدوا الأفعى باعتبارها حيوانا مقدسا، لأنها تمثل الحكمة والانسياب.

ويذكر الدكتور إبراهيم شلبي أن مسألة الإلوهية كلها سواء اتجهت للوحدانية أو للتعداد لم تكن عميقة الجذور في نفوس بني إسرائيل، فقد كانت المادية والتطلع إلى الأسلوب النفعي في الحياة أكثر ما يشغلهم، فاليهودية تهتم بالأعمال الدنيوية أكثر من اهتمامها بالقضايا الإيمانية، ومجال تفكير اليهودية ليس في الإيمان بالغيبيات وما وراء الحياة الدنيا، وإنما مجالها الأوحد هو العالم الحاضر.

وقد تأثرت الحياة الاجتماعية لدى اليهود بالتعاليم الدينية المستمدة من الطقوس التي وضعوها، فالأسرة أساس النظام الاجتماعي في المجتمعات اليهودية، ولذلك فالزواج واجب مقدس على كل شاب يهودي، ويتم الزواج بطريقة الشراء، فالرجل يدفع ثمن المرأة لتصبح بعد

ذلك ملكا له كأي متاع، وكان تعدد الزوجات جائزا عند اليهود، وكذلك يفتخر اليهودي بكثرة الأولاد باعتبارهم هبة من الله، واعتبر عقم المرأة خزيا وعارا لها، بل يرى نجاستها أيام حيضتها.

والمجتمع اليهودي دائما فيه طبقة الأغنياء وهم أصحاب الضياع وكبار التجار والطبقة الحاكمة، وطبقة الفقراء وهم الأغلبية العظمى من الشعب، وطبقة العبيد وهم أشد تعاسة وبؤسا من طبقة الفقراء؛ فالعبد من ممتلكات سيده، وقد ظل المجتمع اليهود عبر تاريخه قاصرا على جماعات من رعاة الغنم والفلاحين والتجار والمرابين، وقد أجاد اليهود حرفة التجارة بحكم مواهبهم في المكر والدهاء، والقدرة على الخداع، والشهوة العارمة إلى جمع المال، واشتهر اليهود في كل تاريخهم بالربا حتى كاد أن يصبح وقفا عليهم، ومصدرا لثرواتهم في كل زمان ومكان، مع أن بقايا شريعتهم الصحيحة تمنع اليهودي من أخذ الربا، غير أنهم حرفوا تلك الشريعة وجعلوا التعامل بالربا محرما فيما بينهم، ولا يجوز على بني جنسهم، مباحا حلالا يحل لهم أخذه من غيرهم، ومن كل أجنبي عنهم، وقد ظلوا فترة طويلة من تاريخهم لا يستعملون النقود في معاملاتهم، وإنما أساس التعامل بينهم وزنات من الفضة والذهب، وكانت المدن اليهودية تزخر بالأسواق التي كانت تكثر فيها المتاجر على جوانب الشوارع والساحات، وكان اليهود فضلا عن استخدامهم الأسواق والساحات في البيع والشراء يستخدمونها في عقد الاجتماعات وإجراء المحاكمات وتجمع العاملين.

وبنظرة إجمالية لما أضافه اليهود إلى البشرية؛ فإنه لم يكن لهم أي شي تقوم به حضارة ولا علوم ولا صناعة، بل يعيشون على أكتاف غيرهم،

ولم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت في بناء المعارف البشرية، ولم يتجاوزوا مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها في التاريخ إضافة تذكر، فكانوا أكثر الشعوب شرورا وآثاما، ووحشية وإجراما، وخيانة وغدرا، وخبثا وخداعا، ورياء والتواء، وخسة وجبنا، وتعصبا وغرورا، ونهما وجشعا، وانغماسا في الدعارة، فهم يفرطون في أعراضهم ليصلوا إلى أغراضهم، ويبيعون ذمتهم وكرامتهم وشرفهم، بل ربما يبيعون ديانتهم وإيمانهم بالله في سبيل قليل من المال، أو قدر ضئيل من النفوذ والجاه.

وقد كان اليهود في معظم أحوالهم وعلى الرغم من أنهم شعب صغير كانوا أكثر الشعوب غرورا وتعصبا لجنسهم، فهم ينظرون إلى غيرهم من الشعوب غير اليهودية نظرة التعالي والازدراء مهما كانت نشأتهم، ومهما بلغت هذه الشعوب سطوتها، أو حضارتها، أو عراقتها، أو اتساع رقعتها، وكانوا يلقبونهم كما ذكر الله تعالى بالأميين احتقارا لهم واستصغارا لشأنهم، وكانوا يعتبرون أرض هذه الشعوب نجسة، إذا مسها أو وطئها يهودي تنجس، ووجب عليه أن يبادر إلى تطهير نفسه على مقتضى أحكام الشريعة.

وسيطرت على اليهود نزعة مخيفة قادتهم إلى قسوة الجنونية، وولع حقود مشبع بالقتل والشنق والذبح والخنق والرجم والحرق والتنكيل والتعذيب وتقطيع الأوصال وإبادة الناس بالجملة، وإشعال النار في المدن وإشاعة الدمار في كل مكان يقع في قبضتهم، وقد برعوا في الجاسوسية والاندساس بين الشعوب لخداعها، واستغلال ثقتها فيهم للإطلاع على أسرارها وخباياها، ثم استخدام هذه الأسرار والخبايا في السطو على

هذه الشعوب والقضاء عليها، وكانوا لا يتورعون عن أن يتجسس بعضهم ضد البعض الآخر في صراعهم الذي لم ينقطع أبدا.

واشتهر اليهود في معظم عصورهم بالتمرد والعصيان وإثارة الشغب، فكانوا على الدوام يتمردون على حكامهم، سواء أكانوا يهوديا أم غير يهود، بل كانوا دائما يتمردون على شريعة ربهم ويعصون ويثورون، فلم تكن حياتهم تخلو أبدا من الخصومات والمنازعات والمشاحنات والاضطرابات والتدمير والتخريب وإشعال النار وسفك الدماء.

- **فرق اليهود القديمة وتوصيف توراتهم وكتبهم وأعيادهم المقدسة لديهم.**

تعددت فرق اليهود على مدار تاريخهم الطويل، واختلفت معتقداتهم من فرقة إلى أخرى، وجميعها تحكمهما الصفات العامة الخبيثة التي عليها اليهود في كل زمان ومكان، وأبرزها ما يلي:

١- الفريسيون: وهم المتشددون ويسمون بالأحبار أو الربانيين وهم رهبانيون متصوفة لا يتزوجون، لكنهم يحافظون على مذهبهم عن طريق التبني، ويعتقدون بالبعث والملائكة واليوم الآخر.

٢- الصدقيون: وتعني المكذبون، وهي تسمية من الأضداد لأنهم مشهورون بإنكار ثوابتهم، فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار، وينكرون التلمود، كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر.

٣- المتعصبون: وهم في فكرهم قريبون من فكر الفريسيين، لكنهم اتصفوا بعدم التسامح وبالعداوانية، وقد قاموا في مطلع القرن الميلادي الأول بثورة كبيرة قتلوا فيها الرومان، وكذلك كل من يتعاون من اليهود مع هؤلاء الرومان، فأطلق عليهم اسم السفاكين.

٤- الكتبة أو النساخ: عرفوا الشريعة من خلال عملهم في النسخ والكتابة، فاتخذوا الوعظ وظيفة لهم، يسمون بالحكماء، وبالسادة، وقد أثروا ثراء فاحشا على حساب مدارسهم ومريديهم.

٥- القراءون: وهم قلة من اليهود ظهروا عقب الفريسيين، وورثوا أتباعهم، لا يعترفون إلا بالعهد القديم، ولا يخضعون للتلمود، ولا يعترفون به بدعوى حريتهم في شرح التوراة.

٦- السامريون: وهم طائفة من المتهودين الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل، كانوا يسكنون جبال بيت المقدس، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون، دون نبوة من جاء بعدهم، وقد ظهر فيهم رجل يقال له الألفان ادعى النبوة، وذلك قبل المسيح بمائة سنة، وقد تفرقوا إلى دوستانية وهم الألفانية، وإلى كوستانية أي الجماعة المتصوفة، وقبلة السامرين إلى جبل يقال له غريزيم بين بيت المقدس ونابلس، ولغتهم غير لغة اليهود العبرانية.

٧- السبئية: وهم أتباع عبد الله بن سبأ الذي دخل الإسلام ليدمره من الداخل، فهو الذي نقل الثورة ضد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، من الإفتراء بالقول والمكائد والتزوير إلى المواجهة بالسيف والحصار والتقتيل مشعلا الفتنة بين الصحابة ﷺ، وهم الذين دسوا الأحاديث الموضوعة ليدعموا بها رأيهم، فهم رواد الفتن السياسية والدينية التي أثرت في وحدة المسلمين وقوتهم.

وأما كتب اليهود فتتمثل في العهد القديم، وهو مقدس لدى اليهود والنصارى، وقد سجل فيه شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير

وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء، وينقسم إلى قسمين:

١- حكاية التوراة التاريخية وفيها خمسة أسفار، وهي التكوين أو الخلق، والخروج، واللاوين، والعدد، والتثنية، ويطلق عليها اسم أسفار موسى، وهي الرواية المكتوبة بعد ضياع الألواح التي نزلت من السماء على موسى عليه السلام في جبل الطور، أما أسفار العهد القديم الذي يسمى بالتوراة، فأغلبها يعتريه التحريف والنقصان وسوء الترجمة.

٢- أسفار الأنبياء: وهي نوعان، النوع الأول أسفار الأنبياء المتقدمين وهي سفر يوشع بن نون، والقضاة، وسفر صموئيل الأول، وصموئيل الثاني، وسفر الملوك الأول، وسفر الملوك الثاني. أما النوع الثاني فهي أسفار الأنبياء المتأخرين، كسفر أشعيا، وإرميا، وحزقيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، ويونس، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجى، وزكريا، وملاخي.

٣- أسفار المزامير، والزبور، والأمثال، وأمثال سليمان، وأيوب، والمجلات الخمس وهي نشيد الإنشاد، راعوت، المرائي، مرائي إرميا، الجامعة، أستير، وكذلك الكتب، وهي كتب دانيال، وعزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني.

وهذه الأسفار السابقة الذكر معترف بها لدى اليهود، وكذلك لدى البروتستانت، أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبعة أخرى، وهي طوبيا، ويهوديت الحكمة، يسوع بن سيراخ، باروخ، المكابيين الأول، المكابيين الثاني، كما تجعل أسفار الملوك أربعة، وأولها وثانيها بدلا من سفر صموئيل الأول والثاني.

٤- لليهود أيضل كتاب استير ويهوديت، وكل منهما أسطورة تحكي قصة امرأة تحت حاكم من غير بني إسرائيل حيث تستخدم جمالها وفتنتها في سبيل رفع الظلم عن اليهود، فضلا عن تقديم خدمات لهم.

٥- التلمود: وهو روايات شفوية تناقلها الحاخامات حتى جمعها الحاخام يوضاس سنة ١٥٠م في كتاب سماه المشناة، وتعني الشريعة المكررة في توراة موسى عليه السلام، وهي من باب الإيضاح والتفسير، وقد أتم الراباي يهوذا سنة ٢١٦م تدوين زيادات وروايات شفوية، وتم شرح هذه المشنا في كتاب آخر يسمي جمارا، ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود.

ويحتل التلمود عند اليهود منزلة مهمة جدا تزيد على منزلة التوراة، بل يعتبرونه من قديم الزمان كتابا منزلا كالتوراة ما عدا طائفة اليهود القرآئين، فإنهم لا يعتقدون ذلك، بل يرون أن التلمود هو الذي حافظ على شعب إسرائيل وصانهم أكثر من محافظتهم عليه.

ويذكر المؤرخ اليهودي الألماني هاينزيخ غريتس أن التلمود البابلي كان له أكبر الأثر في صيانتهم من الفساد، وأنه يمثل تلك القوة الدائبة التي تغلبت على الخمول، وتبلد الملكات العقلية، بل هو النبع الأزلي الذي أبقى الذهن دائم التوقد والنشاط.

وبذلك يمكن القول بأن التلمود عند اليهود هو مربي الأمة اليهودية ومعلمها، وكثير من المؤرخين والباحثين اليهود يجمعون على الإشادة بدور التلمود في الحياة اليهودية، ويعترفون بمنزلته وأثره البعيد، لكنهم يتجنبون إيراد كل إشارة من شأنها أن تبين لغير اليهود بصورة مباشرة

وصريحة شيئا يسيرا عن النواحي المظلمة في تسلط التلمود وطغيانه الجائر على الحياة اليهودية طيلة قرون.

وأما أعياد اليهود فلهم عيد يسمى بيوم الفصح، وهو عيد خروج بني إسرائيل من مصر، يبدأ من مساء ١٤ أبريل وينتهي مساء ٢١ من نفس الشهر، ويكون الطعام فيه خبزا غير مختمر، وعيد يسمى بيوم التكفير في الشهر العاشر من السنة اليهودية، حيث ينقطع الشخص تسعة أيام يتعبد فيها ويصوم، وتسمى أيام التوبة، وفي اليوم العاشر الذي هو يوم التكفير لا يأكل فيه اليهودي ولا يشرب، ويمضي وقته في العبادة حيث يعتقد أنه تغفر فيه جميع سيئاته ويستعد فيه لاستقبال عام جديد.

ولهم عيد آخر وهو زيارة بيت المقدس حيث يتحتم على كل يهودي ذكر بالغ رشيد زيارة البيت المقدس مرتين كل عام، ولهم عيد الهلال الجديد، فيحتفلون لميلاد كل هلال جديد حيث كانت تنفخ الأبواق في البيت المقدس وتشعل النيران ابتهاجا به.

ولهم عيد أسبوعي وهو يوم السبت، ولا يجوز لديهم الاشتغال في هذا اليوم لأنه كما يعتقدون اليوم الذي استراح فيه الرب، فقد اجتمعت اليهود على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه، واضعا إحدى رجليه على الأخرى، تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً.

- عقيدة اليهود التي دلت عليها كتبهم وما تحمله من أباطيل كاذبة.

كان بنو إسرائيل أو اليهود في عصر موسى عليه السلام مسلمين موحدين، وإن لم يعرف وقتها مصطلح اليهود، فهم كتابيون موحدون في الأصل،

ويظهر منهم عبر تاريخهم الطويل فئات يتجهون إلى التجسيم والتأثر بالوثنية، واتباع الشهوات والنفعية، مما أدى إلى وجود الأنبياء فيهم بكثرة لردهم إلى جادة التوحيد، كلما أصابهم انحراف في مفهوم الإلوهية، فقد اتخذوا العجل معبودا لهم بُعيْد خروجهم من مصر، ويروي كاتب العهد القديم في افتراءاته أن موسى عليه السلام قد صنع لهم حية من نحاس، وأن بني إسرائيل قد عبدوها بعد ذلك، كما أن الأفعى مقدس لديهم لأنها تمثل الحكمة والدهاء.

أما أوصاف الإله المختلقة والمختلطة مع بقايا التوراة الصحيحة، فالإله لدى اليهود سموه يهوه، وهو ليس إلها معصوما بل يخطئ ويثور، ويقع في الندم وهو يأمر بالسرقة، وهو قاس، متعصب، مدمر لشعبه، وهو بهذا عدو للآخرين، ويزعمون أنه يسير أمام جماعة من بني إسرائيل في عمود من سحاب.

وهم يعظمون عزرا الذي أعاد توراة موسى عليه السلام بعد أن ضاعت، فبسبب ذلك وبسبب إعادته بناء الهيكل سمي عزرا ابن الله، وهو الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ التوبة: ٣٠.

ومن أفكارهم ومعتقداتهم الأخرى أنهم يعتقدون بأن الذبيح من ولد إبراهيم هو إسحاق المولود من سارة، والصحيح أنه إسماعيل، ولم يرد في دينهم شيء ذو بال عن البعث والخلود والثواب والعقاب إلا إشارات بسيطة، فهذه الأمور بعيدة عن تركيبة الفكر اليهودي المادي،

وعندهم أن الثواب والعقاب إنما يتم في الدنيا، فالثواب هو النصر والتأييد، والعقاب هو الخسران والذل والاستعباد.

ويعتقدون أنهم شعب الله المختار، وأن أرواح اليهود جزء من الله، وإذا ضرب أمي إسرائيليا فكأنما ضرب العزة الإلهية، وأن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بمقدار الفرق بين اليهودي وغير اليهودي، ويجوز عندهم غش غير اليهودي وسرقته، وإقراضه بالربا الفاحش، وشهادة الزور ضده، وعدم البر بالقسم أمامه، ذلك أن غير اليهود في عقيدتهم كالكلاب والخنازير والبهائم، بل أن اليهود يتقربون إلى الله بفعل ذلك بغير اليهودي.

ويذكر التلمود في شأن المسيح أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمه مريم أتت به من الزنا عن طريق الخطيئة، وإن الكنائس النصرانية هي مقام القاذورات، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة، وبسبب ظروف الاضطهاد نشأت لديهم فكرة المسيح المنتظر كنوع من التنفيس والبحث عن أمل ورجاء.

ويزعمون أن يعقوب قد صارع الرب، وأن لوطا قد شرب الخمر وزنى بابنتيه بعد نجاته إلى جبل صوغر، وأن داود قبيح في عين الرب، ويرون أن الولد الأكبر هو أول من يرث، وله حظ اثنين من إخوته، ولا فرق بين المولود بنكاح شرعي أو غير شرعي في الميراث، وبعد الزواج تعد المرأة مملوكة لزوجها، ومالها ملك له، ولكن لكثرة الخلافات فقد أقروا بعد ذلك أن تملك الزوجة رقبة المال والزوج يملك المنفعة، ومن بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة، وتعدد الزوجات جائز شرعا بدون حد، فقد حدده الربانيون بأربع زوجات بينما أطلقه القراءون،

وقد جعلوا ديانتهم خاصة بهم، مقفلة على الشعب اليهودي.

- **ماهية التلمود ومعتقدات اليهود في التخطيط لهيمنة ملك إسرائيل.**

ذكر أحد الباحثين في التلمود أن بعض أقوال التلمود مغال ومبالغ فيها، وبعضها كريه، وبعضها الآخر كفر، ولكنها تشكل في صورتها المخلوطة أثرا غير عادي للجانب السلبي من الجهد الإنساني، ومكر السوء للعقل البشري والحماقة الإنسانية.

ومن المعلوم أن المسيحي وإن كان في اعتقاده مخطئا إلا أنه يعتقد أن الحق في تمسكه بإنجيله ويسعى للبشارة به، وكذلك المسلم له قرآنه وسنته ينشر دين التوحيد بين جميع الناس، أما الإسرائيلي فله كتابان أحدهما كتاب معروف هو التوراة، ولا يعمل به، ولا يدعو الناس إلى معرفته، والآخر كتاب مجهول لا يعرف وهو التلمود، يفضّله اليهودي على الأول ويدرسه خفية، وهو أساس كل مصيبة.

وإذا كان المسلمون يعترفون بأن الله هو رب العالمين وهو المعبود بحق في السماء والأرض، فإن الصهاينة اليهود يريدون أن يكون الإله لهم وحدهم، زد على ذلك أن التلمود ينص على أن جميع خيرات الأرض ملك خاص لبني إسرائيل، وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان خلقوا عبيدا لهم، أما اليهود فهم منحدرون من الله كما ينحدر الابن من أبيه، وجميع شعوب الأرض ما عداهم مشتّقة من الأرواح النجسة، ولم يُعطوا صورة الإنسانية إلا إكراما لبني إسرائيل.

ولهذا يذكر التلمود أن زرع الرجل غير اليهودي ـ يقصد نطفته ـ هو زرع حيواني، وزرع الأغراب كزرع الحصان، وإن غير اليهود كلاب

عند اليهود، وإن غير اليهودي لا يختلف في شيء عن الخنزير البري، وإن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات، وقد كتب على شعوب الأرض بأن لحومكم من لحوم الحمير، وزرعكم من زرع الحيوانات، هكذا أبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم دون أن يتحملوا عناء العمل.

وأما نظرة التلمود إلى العرب القدماء فكاتبه يراهم أمة محتقرة، وأنه من العار الزواج بعربية، وأنهم مرتكبو تسعة أعشار الجرائم في العالم، وأن صفتهم الغدر وكراهية اليهود، وقد كانوا قادة تخريب الهيكل مع نبوخذ نصر.

وحسب تعاليم التلمود فإن عباد الأوثان الذين لا يعتنقون الدين اليهودي والمسيحيين والمسلمين هم في نظر اليهود أعداء الله، وأعداء اليهود، ويمنع التلمود السلام على الكفار، ويجوز أن تغشّ الغريب وتدينه بالربا الفاحش، ويجب انتزاع قلب النصراني من جسده وإهلاك علية القوم منهم، وإذا ردّ أحد اليهود إلى الغريب ما أضاعه فالرب لا يغفر له أبدا.

واليهود يضعون التلمود فوق التوراة، والحاخام فوق الله، والله يقرأ وهو واقف على قدميه، وما يقوله الحاخام يفعله الله، وتعاليم اللاهوتيين في التلمود هي أطيب من كلام الشريعة أو كلام الله، والخطايا المقترفة ضد التلمود هي أعظم من المقترفة ضد التوراة، ويعتقد كاتب التلمود أن الله يأخذ برأي الربانيين على الأرض في المشاكل التي تنشأ في السماء، وإن كلمات الربانيين أشدّ عذوبة من كلمات الأنبياء؛ لأن كلماتهم هي كلمات الله.

ومما ورد في التلمود أن الله قد تاب عن تركه بني إسرائيل يرتطمون في الشقاء كمن يتوب عن إثم شخصي، وأن الله عندما يُقسم في كل مرة بدون مبرّر معقول فمن اللازم أن يحل قسمه بقسم آخر نظيره، وأن الله قد أقسم بغير عدل، وارتكب خطيئة الكذب لكي يلقي السلام والوئام بين سارة وإبراهيم، وأن اليهود أحبّ إلى الله من الملائكة، فالذي يصفع اليهودي كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء، وهذا يُفسر لنا استحقاق الوثني وغير اليهودي الموت إذا ضرب يهوديا، وإذا أراد الرجل أن يقترف ذنبا فعليه أن يذهب إلى المنفي في مكان يكون مجهولا فيه لئلا يُهين الله علانية.

وعمل الملائكة الرئيسي حسب ما ورد في التلمود أنها تسكب النوم على عيون البشر، وتقوم على حراستهم في الليل، وقد وصفوا عيسى عليه السلام بالأحمق والمجذوم وغشاش بني إسرائيل، واتهموا أمه بالزنا، وتلاميذه بالملحدين، والإنجيل بالكتاب المملوء بالإثم.

ويعتقد التلمود اعتقادا جازما بأن التنجيم علم يتحكم بحياة الناس، وأن تأثير النجوم تجعل الرجل ذكيا، وبنو إسرائيل تحت تأثير النجوم، وكسوف الشمس عندهم آية سوء للشعوب، وخسوف القمر آية سوء لبني إسرائيل، لأن إسرائيل تعتمد في بقائها على القمر.

والتلمود مليء بطقوس السحر والشعوذة والعرافة، وطرق الاتصال بالجن، وفيه أن الأرواح الشريرة والشياطين والجنيات من ذرية آدم، وأنهم يطيرون في كل اتجاه، وهم يعرفون أحوال المستقبل باستراق السمع، وهم يأكلون ويشربون ويتكاثرون مثل الإنسان، ويجوز للناس

استشارة الشيطان في آخر أيام الأسبوع.

ولهم في الروح والبعث والجزاء أقوال شتى، غير أنهم يعتقدون أن نفس اليهودي تنتقل بعد موته إلى جسد آخر، وعندما يلفظ المتقدم في السن أنفاسه تسرع نفسه إلى جنين في بطن أمه لتحل فيه، وكذلك اليهودي الذين يقتل يهوديا تدخل روحه في الحيوانات والنباتات، ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب عذابا أليما مدة اثنيّ عشر شهرا، ثم تعود ثانية لتدخل في الجمادات، ثم في الحيوانات، ثم في الوثنيين، حتى ترجع إلى جسد يهودي بعد تطهيرها.

ويعتقدون أن الجنة ليس فيها أكل أو شرب، أو زواج أو تناسل، وإنما يجلس الصالح فيها بوقار وسكينة، وأن نار جهنم لا سلطان لها على مذنبي بني إسرائيل، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء، ويعتقدون حسب ما جاء في التلمود أنه لا حساب بعد انفصال الروح عن الجسد، ويقولون المشروبات السماوية هي الخمور الفاخرة المعتّقة المحفوظة من يوم الخليقة السادس، وهذه الجنة اللذيذة لا يدخلها إلا اليهود الصالحون، أما الباقون فيُزجّون في نار جهنم، ويأتي المسلمون بعد النصارى لأنهم لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم وأفخاذهم وعوراتهم، كل هؤلاء يُحشرون حشرا في جهنم ولا يغادرونها أبدا.

ويعتقدون أن المسيح الذي ينتظرون ظهوره يُعيد الملك إلى إسرائيل، فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك، ولا يأتي ما لم ينقرض ملك الشعوب غير اليهودية، لأن السلطة على الشعوب غير اليهودية هي من نصيب اليهود فقط، وفي كل مكان يدخله اليهود يجب أن يكونوا هم المتسلطين، وطالما هم بعيدون عن تحقيق هذه الفكرة فيعتبرون أنفسهم

منفيين وغرباء.

هذا جزء يسير مما جاء في التلمود من أفكار وأقوال لحاخامات اليهود، وهذا الواقع اليهودي الذي يدل على خبثهم وتحريفهم لكتاب ربهم الذي نزل على موسى هدى ونور، ولا زال يزخر حتى الآن بجانب مشرق طمسه الأحبار والرهبان، هذا الواقع عبر عنه القرآن في قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ النساء:٤٦/٥٢.

- **الأدلة المنطقية على تحريف التوراة بالمنهج الاستقرائي المقارن.**

الأدلة على تحريف التوراة أدلة منطقية موضوعية قائمة على استقراء الواقع الذي حوته نصوص التوراة، بل شهد على هذا التحريف شهود من أهلها سواء من اليهود والنصارى، ومن أبرز الأدلة التي يمكن الاستشهاد بها ما يلي:

الدليل الأول: أن التوراة هي الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام في ألواح نزلت عليه من السماء في أرض سيناء، والدلائل تشير أن التوراة كتبها الله بيده، وهذه ميزة فضل الله بها التوراة على غيرها من الكتب السماوية، وقد ورد النص بذكر هذه الميزة في التوراة نفسها، كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، فمن القرآن قول الله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ الأعراف:١٤٥. وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ﴾ الأعراف:١٥٠.

وقد ورد عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (احْتَجَّ آدَم وَموسَى، فقَال موسَى: يَا آدَم أَنتَ أَبُونا خَيَّبْتَنا وَأَخْرَجْتَنَا من الجَنةِ فقَال لهُ آدَم: أَنتَ موسَى، اصْطفاك اللهُ بِكلامهِ، وكتَبَ لك التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، أَتَلومني عَلَى أَمرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَليَّ قَبْل أَن يَخْلقَني؟ فقَال النبِيُّ صلى الله عليه وسلم: فحَجَّ آدَم موسَى فحَجَّ آدَم موسَى) [1].

وكذلك ورد ذكر الألواح والنص على وجودها في العهد القديم في عدة مواضع، كقول كاتب التوراة: (وَقَال الرَّبُّ لموسَى: اصْعَدْ إلى الجَبَل، وَامكثْ هُناك لأُعْطيَك الوَصَايَا وَالشَّرَائِعَ التِي كَتَبْتُهَا عَلَى لوْحَي الحَجرِ لتُلقِّنهَا لهُم) [2].

(١) البخاري في القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله ٦/٢٤٣٩ (٦٢٤٠)، ومسلم في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٤/٢٠٤٢ (٢٦٥٢).

(٢) سفر الخروج ٢٤/١٢.

وكما ورد ذكر الألواح أيضا في قول موسى عليه السلام: (وَسَلمني الرَّبُّ لوْحَيِ الحَجَرِ المكتُوبيَيْن بِأَصْبَعِ اللهِ، حَيْثُ خَط عَلَيْهما جَميعَ الوَصَايَا التِي كلمكم بِهَا الرَّبُّ في الجَبَلِ من وَسَط النارِ في يَوْمِ الاجْتِماع) [١].

وقد بينت التوراة الموجودة بأيدي اليهود والنصارى الآن أن موسى عليه السلام كسر اللوحين عندما وجد قومه قد عبدوا العجل كما ورد في قول كاتبها: (وَما أن اقْتَرَبَ موسَى من المخيَّم، وَشَاهَدَ العِجْل وَالرَّقْصَ حَتَّى احْتَدَم غَضَبُهُ وَأَلقَى بِاللوْحَيْن من يَدِهِ، وَكسَّرَهُما عِندَ سَفحِ الجَبَل) [٢].

وتذكر التوراة أيضا أن الرب أمر موسى عليه السلام أن ينحت لوحين من حجر مثل الأولين حتى يكتب الرب عليهما الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين: (ثم قَال الرَّبُّ لموسَى: انحَتْ لك لوْحَين من حَجَرٍ مثْل اللوْحَين الأَوَّليْن، فأَكتُبَ أَنا عَليْهما الكلماتِ التِي دَوَّنتُهَا عَلى اللوْحَين الأَوَّليْن اللذيْن كسَرْتَهُما، وَتَأَهَّبْ في الصَّبَاحِ ثم اصْعَدْ إلى جَبَل سِيناءَ، وَامثُل أَمامي هُناك عَلى قِمةِ الجَبَل، وَلاَ يَصْعَدْ معْك أَحَدٌ، وَلاَ يُشَاهَدْ عَلى الجَبَل إنسَان، وَلاَ تَرْعَ الغَنم أَيْضا وَالبَقَرُ بِاتِّجَاهِ هَذا الجَبَل، فنحَتَ موسَى لوْحَيْن من حَجَرٍ مماثِليْن للأَوَّليْن، وَبَكرَ في الصَّبَاحِ، وَصَعِدَ إلى جَبَل سِيناءَ حَسَبَ أَمرِ الرَّب) [٣].

وكثير من النصوص الأخرى التي تدل جملة وتفصيلا على وجود ألواح كتبت بيد الله عز وجل، والسؤال الآن أين هذه الألواح التي نزلت من

---

(١) السابق ٣٤/١٠:١٣.
(٢) السابق ٣٢/٢٠.
(٣) السابق ٣٤/١ : ٤.

السماء وتلقاها موسى ﷺ عند جبل الطور في سيناء؟

- **التناقضات الصارخة الثابتة في التوراة دليل على أنها من عند غير الله.**

الدليل الثاني على تحريف التوارة، وجود التناقضات الصارخة القائمة فيها حتى الآن، إذ لو كانت هذه الأسفار هي كلمة الله التي نزلت على موسى ﷺ لاستحال أن يدخلها التناقض أو الاختلاف، ونظرا لأن حصر التناقضات التي تمتلئ بها أسفار العهد القديم يحتاج إلى سِفر كامل فإننا سنكتفي هنا بذكر بعضها على سبيل المثال:

١- اسم الله في هذه الأسفار أحيانا يكون يهوه، وأحيانا يكون إيلوهيم، الأمر الذي يشهد على اختلاف العصور، وتعدد المواريث الدينية، وتنوع الثقافات اللاهوتية، وتمايز المصادر التي جمعت وأُدخلت في هذه الأسفار.

٢- ورد في هذه الأسفار عن بدء الخلق العديد من الاختلافات والتناقضات، ففي سفر واحد، هو سفر التكوين نجد أن النور قد خلق في اليوم الأول. تكوين ١/٥. ثم نجد في موضع آخر أنه قد خلق في اليوم الرابع. تكوين ١: ١٦/١٩. وكذلك الشمس يقال في مرة إنها خلقت في اليوم الأول. تكوين ١/٥. ثم نجد في موضع آخر أنها خلقت في اليوم الرابع. تكوين ١/١: ١٩.

٣- في تاريخ خلق الكائنات الحية، في سفر التكوين ١/٢٠. نجد في موضع أن الحيوانات والطيور خُلقت أولا في اليوم الخامس، وأن آدم خُلق في اليوم السادس، ثم يعود نفس السفر فيقول: إن الإنسان خُلق، أولا ثم النباتات، ثم الحيوانات والطيور. تكوين ٢/٧. فهل يمكن أن

تكون هذه الاختلافات والتناقضات التي حوتها التوراة هي كلمة الله التي أوحى بها إلى موسى عليه السلام ؟!

٤- في الحديث عن عمر الزمان من آدم إلى طوفان نوح نجد في التوراة العبرية ١٦٥٦ عاما، وفي النسخة اليونانية ٢٢٦٢ عاما، وفي النسخة السامرية ١٣٠٧ أعوام، فهل يجوز أن ينسب هذا الاختلاف إلى الله خالق الزمان؟

٥- وفي الحديث عن تاريخ نزول إبليس إلى الأرض نجد كاتب التوراة يذكره قبل خلق آدم ودخوله الجنة كما ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٢/٧. ومرة بعد خلق آدم ومعصيته في الجنة. التكوين ١/٣. وفي مدة طوفان نوح نجدها مرة أربعين يوما وأربعين ليلة. التكوين ١٢/٧. وفي نفس السفر نجد مدة الطوفان مائة وخمسين يوما التكوين ٢٤/٧. فبماذا نسمي ذلك إلا أن يكون اختلافا وتحريفا وتزييفا ؟!

ولو تتبعنا هذه التناقضات والاختلافات لوجدنا منها المئات والمئات في كل سفر من هذه الأسفار، ويكفي أن التوراة السامرية التي ترجع إلى القرن الرابع ق.م تختلف عن النص الماسوري الحاخامي في أكثر من ستة آلاف موضع! بل التوراة السامرية لا تتفق مع الترجمة التسعينية التي كتبت ما بين ٢٥٠-١٣٠ ق.م إلا في الثلث فقط!

٦- كذلك سفر إرميا في الترجمة السبعينية ينقص عن النص العبري نحو السبع! وسفر أيوب في الترجمة السبعينية ينقص عن النص العبري نحو الربع! كما نجد أسفار العهد القديم لا تتحدث عن موسى عليه السلام بلسان المخاطب، أي أنها لم تنزل عليه، وإنما تتحدث عنه كثيرا بضمير الغائب

أي أنها تراث جُمع ودوِّن بعد وفاته.

ومن ذلك على سبيل المثال قول كاتب التوراة: (وكلم يهوه موسى، وكلم يهوه موسى وجها لوجه) الخروج ٣٣/١١. وكقوله أيضا: (أما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض) العدد ١٢/٣. وقوله: (فمات هناك موسى، ودفنه الرب، وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات، ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى) التثنية ٣٤/٥. وفي الآية السادسة من نفس السفر ونفس الإصحاح إشارة إلى وفاة موسى عليه السلام، تقول: (ولا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا). فهل هذا الكلام نزل على موسى عليه السلام في التوراة أم هو إضافات وتأليفات أُدخلت في هذا التراث بعد وفاة موسى عليه السلام بقرون؟!

٧- ثم هناك اختلافات الكنائس النصرانية في عدد أسفار العهد القديم التي تؤمن بها هذه الكنائس، فالبروتستانت يؤمنون بستة وستين سفرا، والكاثوليك يؤمنون بثلاثة وسبعين سفرا، والأرثوذكس يؤمنون بستة وستين سفرا، والأرثوذكس المصريون يعترفون بأن أسفار العهد القديم الحالية قد حذفت منها الأسفار القانونية التي تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بأنها جزء من العهد القديم. تلك مجرد أمثلة على التناقضات والاختلافات التي تزخر بها أسفار العهد القديم والشاهدة على تحريف هذه الأسفار، والقاطعة بأنها لا يمكن أن تكون هي بذاتها وجملتها كلمة الله التي أنزلها على موسى عليه السلام.

الدليل الرابع على تحريف التوراة: شهادة علماء اليهود أنفسهم، وأولئك الذين تخصصوا في نقد العهد القديم، ومنهم العديد من

الحاخامات الذين جمع دراساتهم العالم اليهودي زالمان شازار في كتاب عنوانه تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث. وهو الكتاب الذي امتلأت فصوله وصفحاته بالشهادات اليهودية القاطعة بأن أسفار العهد القديم إنما هي ثمرة لتراكم تراث شفهي، تكوّن عبر قرون طويلة، وعصور مختلفة، وبيئات متباينة، وثقافات متمايزة، ومصادر متعددة، ومؤلفين مختلفين، ومن ثم فإن أغلب هذه الأسفار لا علاقة لها بألواح موسى (عليه السلام)، ولا بالبيئة الصحراوية سيناء التي نزلت فيها.

نعم يشهد علماء اليهود أنفسهم على أن أسفار العهد القديم هذه هي ركام من الاختلافات والتحريفات فيقولون علي سبيل المثال: إن هذه الأسفار المقدسة هي من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، ومؤلفين مختلفين، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن، فلا ارتباط بينها، سواء في أسلوب اللغة أم في طريقة التأليف، وأقوال التوراة ليست إلا لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأسباط مختلفة.

وهذه الأسفار التي يؤمن بها اليهود والنصارى والتي شهد واقع نصوصها بالتحريف، قال الله تعالى عنها: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ البقرة:٧٩. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ

وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة:١٣.

وقد بين الله ﷻ وصف اليهود الذين عاصروا النبيﷺ: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾ المائدة:٤١.

- **الصهيونية منظمة يهودية تسعى لإعادة مجد اليهود وبناء الهيكل.**

الصهيونية منظمة يهودية مهمتها تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد بني إسرائيل، وبناء هيكل سليمان، ثم إقامة مملكة إسرائيل، ثم السيطرة من خلالها على العالم تحت ملك يهوذا المنتظر، وقد سميت بذلك نسبة إلى صهيون، وهو جبل يقع جنوب بيت المقدس يقدسه اليهود، والصهيونية قرينة للماسونية إلا أن الصهيونية يهودية بحتة في شكلها وأسلوبها ومضمونها وأشخاصها، في حين أن الماسونية يهودية مبطنة تظهر شعارات إنسانية عامة، وقد ينطوي تحت لوائها غير اليهود من المخدوعين والنفعيين.

كما أن الصهيونية حركة دينية سياسية معلنة تخدم اليهود بطريق مباشر فهي الجهاز التنفيذي الشرعي والرسمي لليهودية العالمية، في حين أن الماسونية حركة علمانية إلحادية سرية تخدم اليهود بطريق غير مباشر، فهي القوة الخفية التي تعد الأسباب والأوضاع لليهود.

والصهيونية كالماسونية ليست وليدة هذا العصر فقد مرت بمراحل كثيرة منذ القرون الأولى قبل ظهور المسيحية وبعدها، وقبل ظهور الإسلام وبعده، وكانت مهمتها في مراحلها الأولى تحريض اليهود على الانتفاضة والعودة إلى أرض فلسطين وبناء هيكل سليمان، وتأسيس مملكة إسرائيل الكبرى، وتدبير المؤامرات والمكائد ضد الأمم والشعوب الأخرى.

أما الصهيونية الحديثة فقد بدأت نواتها الأولى عام ١٨٠٦م حين اجتمع المجلس الأعلى لليهود بدعوة من نابليون لاستغلال أطماع اليهود وتحريضهم على مساعدته، ثم حركة هرتزل اليهودي التي تمخضت عن المؤتمر اليهودي العالمي في بال بسويسرا عام ١٨٩٧م، والذي قرر فيه أقطاب اليهود ما يسمى ببروتوكولات حكماء صهيون، وهو المخطط اليهودي الجديد للاستيلاء على العالم، ومن هذا المؤتمر انبثقت المنظمة الصهيونية الحديثة.

وأهداف الصهيونية كحركة يهودية خالصة يقوم على شقين أو جانبين، أحدهما سياسي والآخر ديني، أما الجانب السياسي فمبني على حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية، وإثارة الروح القتالية بين اليهود، والعصبية الدينية والقومية لهم للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى، وأما الجانب السياسي فيتلخص في إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة وهي أرض فلسطين.

- الماسونية منظمة يهودية سرية إباحية تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود.

الماسونية كلمة تعني البنائين الأحرار، وهي منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإِباحية والفساد، وأغلب أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، وتأخذ الماسونية عهدا وميثاقا عليهم بحفظ الأسرار، ويقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام الفعالة.

والماسونية جماعة يهودية قديمة أسسها هيرودس اكريبا (ت:٤٤م) ملك الرومان بمساعدة مستشارَيه اليهوديَّيْن، وهما حيرام أبيود نائب الرئيس، وموآب لامي كاتم سر أول. وقد قامت الماسونية منذ أيامها الأولى على المكر والتمويه والإِرهاب، حيث اختاروا رموزا وأسماء وإشارات للإِيهام والتخويف، وسموا محفلهم هيكل أو أورشليم، للإِيهام بأنه هيكل سليمان عليه السلام، فالماسونية يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها، فهي يهودية من البداية إلى النهاية.

أما تاريخ ظهورها فقد اختلف فيه لتكتمها الشديد، والراجح أنها ظهرت سنة ٤٣م، وسميت في عهد التأسيس القوة الخفية، وهدفها التنكيل بالنصارى واغتيالهم وتشريدهم ومنع دينهم من الانتشار، ومنذ بضعة قرون تسمت بالماسونية لتتخذ من نقابة البنائين الأحرار لافتة تعمل من خلالها، ثم التصق بهم الاسم دون حقيقته.

تلك هي المرحلة الأولى للماسونية، أما المرحلة الثانية فتبدأ سنة ١٧٧٠م عن طريق آدم وايزهاويت المسيحي الذي ألحد واستقطبته الماسونية بهدف السيطرة على العالم، وانتهى المشروع سنة ١٧٧٦م، ووضع أول محفل في هذه الفترة يسمى بالمحفل النوراني نسبة إلى

الشيطان الذي يقدسونه، وقد استطاعوا خداع ألفي رجل من كبار الساسة والمفكرين، وأسسوا بهم المحفل الرئيسي المسمى بمحفل الشرق الأوسط، وفيه تم إخضاع هؤلاء الساسة لخدمة الماسونية، وأعلنوا شعارات براقة تخفي حقيقتهم فخدعوا كثيرا من المسلمين.

ومن أبرز قادة الماسونية آدم وايزهاويت، وهو مسيحي ألماني توفي سنة ١٨٣٠م، أحد ووضع الخطة الحديثة للماسونية، وميرابو الذي كان أحد مشاهير قادة الثورة الفرنسية، ومازيني الإِيطالي الذي أعاد الأمور إلى نصابها بعد موت وايزهاويت، والجنرال الأمريكي ألبرت مايك الذي سُرِّح من الجيش فصب حقده على الشعوب من خلال الماسونية، وهو واضع الخطط التدميرية منها موضع التنفيذ، وليوم بلوم الفرنسي المكلف بنشر الإِباحية، وقد أصدر كتابا بعنوان الزواج لم يُعرف أفحش منه، ومثله كودير لوس اليهودي صاحب كتاب العلاقات الخطرة، ومن شخصياتهم كذلك جان جاك روسو، وفولتير، وجرجي زيدان، وكارل ماركس.

أما أهم الأفكار والمعتقدات التي عليها دعاة الماسونية، فتتمثل في أنهم يكفرون بالله ورسله وكتبه وكل الغيبيات ويعتبرون ذلك من قبيل الخرافات، ويعملون على احتقار الأديان والقضاء عليها، وإسقاط الحكومات الشرعية، وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد المختلفة والسيطرة عليها، وإباحة الجنس، واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة، والعمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم، وتسليح هذه الأطراف، وتدبير الحوادث لتقاتلها.

ويعملون على بث سموم النزاع داخل البلد الواحد، وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية، وهدم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية، ونشر الفوضى والانحلال والإِرهاب والإِلحاد، واستعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة مع ذوي المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية، والغاية عندهم تبرر الوسيلة.

ويعملون كذلك على إحاطة الشخص الذي يقع في حبائلهم بالشباك من كل جانب لإحكام السيطرة عليه، وتسييره كما يريدون، وهو ينفذ صاغرا كل أوامرهم، كما أن الشخص الذي يلبي رغبتهم في الانضمام إليهم يشترطون عليه التجرد من كل رابط ديني أو أخلاقي أو وطني، وأن يجعل ولاءه خالصا للماسونية، وإذا تململ الشخص أو عارض في شيء تدبروا له فضيحة كبرى، وقد يكون مصيره القتل، وكل شخص استفادوا منه، ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة ممكنة، كما أنهم يسعون للسيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية، والسيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات لتكون أعمالهم متكاملة، وكذلك السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإِعلام، واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية.

ومن اعتقاداتهم وسلوكياتهم بث الأخبار المختلقة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق لتحويل عقول الجماهير وطمس الحقائق أمامهم، ودعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة، وتوفير أسبابها لهم، وإباحة الاتصال بالمحارم، وتوهين العلاقات الزوجية، وتحطيم الروابط الأسرية، والدعوة إلى العقم الاختياري وتحديد

النسل لدى المسلمين، كما أنهم يسعون إلى السيطرة على المنظمات الدولية بترؤسها من قبل أحد الماسونيين كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، ومنظمات الأرصاد الدولية ومنظمات الطلبة والشباب والشابات في العالم.

ولأتباعهم من حيث الانتساب للماسونية درجات ثلاث: الأولى تسمى بدرجة العُمي الصغار، والمقصود بهم المبتدئون من الماسونيين، ثم الدرجة الثانية وهي الماسونية الملوكية، وهذه درجة لا ينالها إلا من تنكر كليا لدينه ووطنه وأمته وتجرد لليهودية، ومنها يقع الترشيح للدرجة الثالثة كتشرشل وبلفور، ثم الدرجة الثالثة وهي درجة الماسونية الكونية وهي قمة الطبقات، وكل أفرادها يهود، وهم فوق الأباطرة والملوك والرؤساء لأنهم يتحكمون فيهم، وكل زعماء الصهيونية من الماسونية الكونية كتيودور هرتزل، وهم الذين يخططون لقيادة العالم.

ويتم قبول العضو الجديد في جو مرعب مخيف وغريب، حيث يقاد إلى الرئيس معصوب العينين، وما أن يؤدي يمين حفظ السر ويفتح عينيه حتى يفاجأ بسيوف مسلولة حول عنقه، وبين يديه كتاب العهد القديم، ومن حوله غرفة شبه مظلمة فيها جماجم بشرية، وأدوات هندسية مصنوعة من خشب، وكل ذلك لبث المهابة في نفس العضو الجديد، وهي كما ذكر بعض المؤرخين آلة صيد بيد اليهود يصرعون بها الساسة ويخدعون عن طريقها الأمم والشعوب الجاهلة.

والماسونية وراء عدد من الويلات التي أصابت الأمة الإِسلامية، ووراء أغلب الثورات التي وقعت في العالم، فكانوا وراء إلغاء الخلافة

الإسلامية، وعزل السلطان عبد الحميد، كما كانوا وراء الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية.

وتشترط الماسونية على من يلتحق بها التخلي عن كل رابطة دينية أو وطنية أو عرقية ويسلم قياده لها وحدها، وللحركة كثيرٌ من النشرات السرية وأقدم كتبهم كتاب القوانين وهو من تأليف دكتور جميس اندرسون اليهودي وقد طبع سنة ١٧٢٣م، وكتاب الوصايا القديمة سنة ١٧٣٤م، وقد نسخها داود كاسلي، فالماسونية امتداد لجذور يهودية صرفة من الناحية الفكرية ومن ناحية الأهداف والوسائل وفلسفة التفكير، فهي بضاعة يهودية أولا وآخرا.

ولم يعرف التاريخ منظمة سرية أقوى نفوذا من الماسونية، إذ لها نفوذ واسع في العالم من خلال الزعماء الذي اصطادتهم فأصبحوا كالدمى في يدها خوفا على أنفسهم وعلى كراسيهم، ولها محافل في كل بلاد العالم تقريبا، حيث تستقطب هذه المحافل الشخصيات المؤثرة في كل بلدٍ لضمان سيطرتها عليه، بل تسيطر على كل الجمعيات والمنظمات الدولية ومنظمات الشباب لتضمن سير العالم كما تريد، ولتضمن أن يكون القرار دائما بيدها، وكذلك تسيطر على معظم وسائل الإعلام ودور النشر والصحافة في العالم، وبيدها أكثر موارد الاقتصاد ووسائل الإِنتاج في العالم، ولهم عصابات إرهابية لتنفيذ العمليات الإجرامية للتخلص من كل من يقف في طريقهم عن قصد أو عن غير قصد.

- يهود الدونمة أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية للكيد بالمسلمين.

يهود الدونمة هم جماعة من اليهود أظهروا الإِسلام وأبطنوا اليهودية

للكيد بالمسلمين، سكنوا منطقة الغرب من آسيا الصغرى، وأسهموا في تقويض الدولة العثمانية، وإلغاء الخلافة عن طريق انقلاب جماعة تسمى بجماعة الاتحاد والترقي، ولا يزالون إلى الآن يكيدون للإسلام، ولهم براعة كبيرة في مجالات الاقتصاد والثقافة والإعلام وغيرها من وسائل السيطرة على المجتمعات.

وهذه الجماعة تنسب إلى سبتاي زيفي ١٦٧٥م، وهو يهودي أسباني الأصل، تركي المولد والنشأة، أسسها سنة ١٦٤٨م حين أعلن أنه مسيح بني إسرائيل ومخلصهم الموعود، وقد استفحل خطر سبتاي فاعتقلته السلطات العثمانية وناقشه العلماء في ادعاءاته، ولما عرف أنه تقرر قتله أظهر رغبته في الإسلام.

وقد واصل دعوته الهدامة من موقعه الجديد كمسلم وأمر أتباعه بأن يظهروا الإِسلام ويبقوا على يهوديتهم في الباطن، وقد طلب من الدولة العثمانية السماح له بالدعوة في صفوف اليهود، فسمحت له بذلك فعمل بكل خبث، واستفاد من هذه الفرصة العظيمة للنيل من الإسلام، واتضح للحكومة العثمانية بعد أكثر من عشر سنوات أن إسلام سبتاي كان خدعة فنفته إلى ألبانيا ومات بها.

ومن أهم شخصيات هذه الطائفة بعد مؤسسها زوجته سارا، وهي فتاة بولندية آمنت بسبتاي وتزوجت منه، وإبراهام نطحان وهو يهودي، وقد أصبح رسول سبتاي إلى الناس، وجوزيف بيلوسوف وهو خليفة سبتاي ووالد زوجته الثانية، كان يتحرك باسم عبد الغفور أفندي، ومصطفى جلبي رئيس فرقة القرقاش، وهي من ضمن ثلاث فرق

تفرعت عن الدونمة.

وليس لهم مؤلفات مطبوعة أو متداولة، ولكن لهم نشرات سرية كثيرة يتداولونها فيما بينهم، ومن أبرز الأفكار والمعتقدات، أنهم يعتقدون أن سبتاي هو مسيح إسرائيل المخلص لليهود، ويقولون بإن الجسم القديم لسبتاي صعد إلى السماء، فعاد بأمر الله في شكل ملاك يلبس الجلباب والعمامة ليكمل رسالته، وهم لا يصومون ولا يصلون ولا يغتسلون من الجنابة، وقد يظهرون بعض الشعائر الإسلامية في بعض المناسبات والأعياد إيهاما وخداعا، ويحرمون مناكحة المسلمين، ولا يستطيع الفرد منهم التعرف على حياة الطائفة وأفكارها إلا بعد الزواج.

ولهم أعياد كثيرة تزيد على العشرين، منها الاحتفال بإطفاء الأنوار، وارتكاب الفواحش، ويعتقدون أن مواليد تلك الليلة مباركون، ولهم زي خاص بهم، فالنساء ينتعلن الأحذية الصفراء، والرجال يضعون قبعات صوفية بيضاء مع لفها بعمامة خضراء، ويحرمون المبادرة بالتحية لغيرهم، ويهاجمون حجاب المرأة، ويدعون إلى السفور والتحلل والتعليم المختلط ليفسدوا على الأمة شبابها.

ويهود الدونمة عقيدتهم يهودية صرفة وبالتالي فهم يتحلون بالخصال الأساسية لليهود كالخبث والمراوغة والدهاء والكذب والجبن والغدر، وتظاهرهم بالإسلام إنما هو وسيلة لضرب الإسلام من داخله، ولهم علاقة وطيدة بالماسونية، وكان كبار الدونمة من كبار الماسونية يعملون ضمن مخططات الصهيونية العالمية.

وغالبيتهم العظمى توجد الآن في تركيا، ولا يزالون يملكون فيها

وسائل السيطرة على الإعلام والاقتصاد، ولهم مناصب حساسة جدا في الحكومة، وكانوا وراء تكوين جماعة الاتحاد والترقي التي كان أغلب أعضائها منهم، كما ساهموا من موقعهم هذا في علمنة تركيا المسلمة، وقد سخروا كثيرا من شباب المسلمين ونسائهم المخدوعات بمذهبهم لخدمة أغراضهم التدميرية.

- **بروتوكولات حكماء صهيون والحقد اليهودي على شعوب العالم.**

لم يعد هناك شك في وجود بروتوكولات حكماء صهيون، هذه البروتوكولات عرضها أحد كبار أثرياء اليهود وهو ماير روتشيلد أمام اثني عشر من كبار أثرياء اليهود الغربيين في فرانكفورت بألمانيا عام ١٧٧٣م، وكان اكتشافها قد تم مصادفة عام ١٧٨٤م في ألمانيا نفسها من قبل الحكومة، وتمت محاربتها ومحاربة كل رموزها الظاهرة في ألمانيا آنذاك، ونزل باليهود أشد أنواع التنكيل، ولذلك انتقلت إلى العمل في سرية تامة.

وقد سارع معظم يهود العالم إلى التنصل منها، واستطاعوا بما لديهم من نفوذ من إرغام الناس والحكومات على تجاهلها، ومنذ ذلك اليوم الذي كشفت فيه وحتى منتصف القرن الماضي، والكتّاب والباحثون الغربيون يتناولونها بالبحث والتقصي، ويؤكدون مطابقة ما جاء فيها، مع ما جرى ويجري على أرض الواقع، ويحذرون حكوماتهم من الخطر اليهودي المحدّق بأممهم، ومعظم الكتب التي حذرت وما زالت تحذر من الخطر اليهودي على شعوب العالم كان مصيرها الاختفاء من الأسواق، أو الإلقاء في زوايا النسيان والإهمال.

أما من يُفكر اليوم بمناهضة اليهود ومعاداتهم في الغرب فقد ثكلته أمه، لقد أطلق هايدر زعيم أحد الأحزاب النمساوية عبارات مناهضة لليهود عندما فاز حزبه بأغلبية في مقاعد البرلمان فقامت الدنيا ولم تقعد، وحدثت ضجّة إعلامية كبرى في إسرائيل وأمريكا وبريطانيا وفرنسا والأمم المتحدة، حتى أرغم الاتحاد الأوروبي على مقاطعة النمسا لمنع هايدر من ترشيح نفسه لأي منصب في الحكومة النمساوية.

وهذا المخطط، بروتوكولات حكماء صهيون، وُضع قبل أكثر من مائتي عام تقريبا، وبقي العمل على تنفيذه جاريا على قدم وساق، وكان دائم التجدّد والتطوّر من حيث القائمين عليه، ومن حيث برامجه وأدواته، ليتوافق مع التطورات المتسارعة التي ظهرت في القرنين الماضيين، من مخترعات واكتشافات كوسائل الاتصال، ووسائل الحروب على مختلف أنواعها، فقد سُخرّت كلها لخدمة هذا المخطط الشيطاني الذي خطته أيدي أبالسة اليهود على مرّ العصور، وما كان لبشر من غير اليهود أن يجمعوا كل هذا الشرّ في جعبتهم، ويصهروه بهذا الشكل المذهل المتعمق في معرفته بدواخل النفس البشرية وأهوائها، ومكامن ضعفها وقوتها، اتقانا ربما يعجز إبليس نفسه عن الإتيان بمثله، حتى استطاعوا من خلاله، التحكم بالبشر بدءا من أعلى شخصية أو سلطة في أمريكا إلى أدناها في أفريقية، وها هم الآن قد بدءوا يُزيلون أقنعتهم شيئا فشيئا، فتصريحاتهم من مواقع السياسة الأمريكية ومواقفهم تكشف عن مدى قباحة وجوههم وأفعالهم في حقّ الإنسانية.

لقد استطاع اليهود في محاولاتهم الدنيئة، ومن خلال مواظبتهم على تنفيذ هذه البروتوكولات من إسقاط نظام الحكم الملكي في بريطانيا

لفترة ليست بالقصيرة، ثم عاد النظام الملكي بشكل صوري لا يتمتع بأي سلطة كما هو الحال الآن، وقاموا أيضا بإسقاط النظام الملكي في فرنسا، ثم تم تحويلها إلى النظام الجمهوري، وبعد إثارتهم للحرب العالمية الأولى استطاعوا إسقاط الحكم القيصري في روسيا، الذي عاملهم كما عوملوا في أوروبا، ولكن بدون طرد وإدخال الحكم الشيوعي إليها، واستطاعوا إسقاط الحكم القيصري في ألمانيا أيضا، وأسقطوا الإمبراطورية العثمانية، واستطاعوا وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، كما استطاعوا إنشاء دولة قوية لليهود في فلسطين ومسلحة بأسلحة نووية وغير تقليدية، واستطاعوا القضاء على قوة العراق العظمى والتمهيد للأخطبوط الشيعي أن يلتف على أهل السنة.

- العناصر الرئيسية للمخطط الشيطاني في بروتوكولات حكماء صهيون.

١ـ أن قوانين الطبيعة تقضي بأن الحقّ مع صاحب القوة، بمعنى أن الذي يملك القوة هو الذي يُحدّد مفاهيم الحق ويفرضها على الآخرين.

٢ـ أن الحرية السياسية ليست إلا فكرة مجردة، ولن تكون حقيقة واقعة، بمعنى أنك تستطيع الادعاء ظاهريا بأنك تسمح بحرية الرأي، ولكن في المقابل يجب قمع الرأي الآخر سرا.

٣ـ سلطة الذهب المال فوق كل السلطات وفوق سلطة الدين، ولابد من محاربة الدين وإسقاط أنظمة الحكم غير الموالية للصهيونية اليهودية، من خلال تمويل الحركات الثورية ذات الأفكار التحررية، وتمويل المنتصر منها بالقروض.

٤ـ الغاية تبرّر الوسيلة، فالسياسي الماهر هو الذي يلجأ إلى الكذب

والخداع والتلفيق في سبيل الوصول إلى سدة الحكم.

٥ـ من العدل أن تكون السيادة للأقوى، وبالتالي تحطيم المؤسسات والعقائد القائمة عندما يترك المستسلمون حقوقهم ومسؤولياتهم للركض وراء فكرة التحرّر الحمقاء.

٦ـ ضرورة المحافظة على السرية، فالصهويونية يجب أن تبقى سلطتها الناجمة عن سيطرتها على المال مخفيّة عن أعين الجميع، حتى الوصول إلى درجة من القوة لا تستطيع أي قوة منعها من التقدم.

٧ـ ضرورة العمل على إيجاد حكام طغاة فاسدين، لأن الحرية المطلقة تتحول إلى فوضى وتحتاج إلى قمع، لكي يتسنى لأولئك الحكام سرقة شعوبهم، وتكبيل بلدانهم بالديون ولتصبح الشعوب متاحة البيع.

٨ـ إفساد الأجيال الناشئة لدى الأمم المختلفة، ترويج ونشر جميع أشكال الانحلال الأخلاقي لإفساد الشباب، وتسخير النساء للعمل في دور الدعارة، وبالتالي تنتشر الرذيلة حتى بين سيدات المجتمع الراقي اقتداء بفتيات الهوى وتقليدا لهن.

٩ـ الغزو السلمي التسللي هو الطريق الأسلم لكسب المعارك مع الأمم الأخرى، والغزو الاقتصادي لاغتصاب ممتلكات وأموال الآخرين لتجنب وقوع الخسائر البشرية في الحروب العسكرية المكشوفة.

١٠ـ إحلال نظام مبني على هيمنة المال الفاسد بدلا من هيمنة النسب، لذلك يجب إطلاق شعارات الحرية والمساواة والإخاء بين الشعوب بغية تحطيم النظام السابق، وكان هذا موجها إلى الأسر الأوروبية ذات الجذور العريقة ومن ضمنها الأسر الملكية والإمبراطورية،

ليلقى لصوص هذه المؤامرة بعدها كل التقدير والاحترام.

١١ـ إثارة الحروب وإيجاد الثغرات في كل معاهدات السلام التي تعقد بعدها لجعلها مدخلا لإشعال حروب جديدة، وذلك لحاجة المتحاربين إلى القروض وحاجة كل من المنتصر والمغلوب لها بعد الحرب لإعادة الإعمار والبناء، وبالتالي وقوعهم تحت وطأة الديون فتقييد الحكومات تسيير أمورها حسب ما يقتضيه المخطط من سياسات هدامة.

١٢ـ إيجاد قادة للشعوب من ضعاف الشخصية الذين يتميزون بالخضوع والخنوع، وذلك بإبرازهم وتلميع صورهم من خلال الترويج الإعلامي لهم، لترشيحهم للمناصب العامة في الحكومات الوطنية، ومن ثم التلاعب بهم من وراء الستار بواسطة عملاء متخصّصين لتنفيذ سياسات الصهيونية.

١٣ـ امتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها لترويج الأكاذيب والإشاعات والفضائح الملفقة التي تخدم المؤامرة.

١٤ـ قلب أنظمة الحكم الوطنية المستقلة بقراراتها، والتي تعمل من أجل شعوبها، ولا تستجيب لمتطلبات المؤامرة، وذلك بإثارة الفتن وإيجاد ثورات داخلية فيها لتؤدي إلى حالة من الفوضى، وبالتالي سقوط هذه الأنظمة الحاكمة وإلقاء اللوم عليها، وتنصيب العملاء قادة في نهاية كل ثورة، وإعدام من يُلصق بهم تهمة الخيانة من النظام السابق.

١٥ـ استخدام الأزمات الاقتصادية للسيطرة على توجهات الشعوب والتسبب في إيجاد حالات من البطالة والفقر والجوع، لتوجيه الشعوب إلى تقديس المال وعبادة أصحابه، ولتصبح لهم الأحقية والأولوية في

السيادة، واتخاذهم قدوة والسير على هديهم، وبالتالي سقوط أحقية الدين وأنظمة الحكم الوطنية، والتمرد على كل ما هو مقدّس من أجل لقمة العيش.

١٦ـ نشر العقائد الإلحادية المادية من خلال تنظيم محافل الشرق الكبرى، تحت ستار الأعمال الخيرية والإنسانية كالماسونية ونوادي الروتاري والليونز والتي تحارب كل ما تمثله الأديان السماوية، وتساهم أيضا في تحقيق أهداف المخطط الأخرى داخل البلدان التي تتواجد فيها.

١٧ـ خداع الجماهير المستمر باستعمال الشعارات والخطابات الرنانة، والوعود بالحرية والتحرر التي تلهب حماس ومشاعر الجماهير لدرجة يمكن معها أن تتصرف بما يخالف حتى الأوامر الإلهية، وبالتالي بعد الحصول على السيطرة المطلقة على الشعوب، ويقول أصحاب مخطط البروتوكولات: سنمحو حتى اسم الله من معجم الحياة.

١٨ـ ضرورة إظهار القوة لإرهاب الجماهير، وذلك من خلال افتعال حركات تمرد وهمية على أنظمة الحكم، وقمع عناصرها بالقوة على علم أو مرأى من الجماهير بالاعتقال والسجن والتعذيب والقتل إذا لزم الأمر، وذلك لنشر الذعر في قلوب الجماهير وتجنب أي عصيان مسلح قد يُفكرون فيه عند مخالفة الحكام لمصالح أممهم.

١٩ـ استعمال الدبلوماسية السريّة من خلال العملاء للتدخل في أي اتفاقات أو مفاوضات، وخاصة بعد الحروب لتحوير بنودها بما يتفق مع مخططات المؤامرة الصهيونية.

٢٠ـ الهدف النهائي لهذا البرنامج هو إيجاد الحكومة الصهيونية

العالمية التي تسيطر على العالم بأسره، لذلك سيكون من الضروري إنشاء احتكارات عالمية ضخمة من جرّاء اتحاد ثروات اليهود جميعها بحيث لا يمكن لأي ثروة من ثروات الغرباء مهما عظمت من الصمود أمامها، مما يؤدي إلى انهيار هذه الثروات والحكومات عندما يوجّه اليهود العالميون ضربتهم الكبرى في يوم ما.

٢١ـ الاستيلاء على الممتلكات العقارية والتجارية والصناعية للغرباء وذلك من خلال فرض ضرائب مرتفعة ومنافسة غير عادلة للتجار الوطنيين وبالتالي تحطيم الثروات والمدخرات الوطنية وحصول الانهيارات الاقتصادية بالأمم، وكذلك السيطرة على المواد الخام وإثارة العمال للمطالبة بساعات عمل أقل وأجور أعلى، وهكذا تضطر الشركات الوطنية لرفع الأسعار فيؤدي ذلك إلى انهيارها وإفلاسها، ويجب ألا يتمكن العمال بأي حال من الاستفادة من زيادة الأجور.

٢٢ـ إطالة أمد الحروب لاستنزاف طاقات الأمم المتنازعة ماديا ومعنويا وبشريا حتى لا يبقى في النهاية سوى مجموعات من العمال تسيطر عليها وتسوسها حفنة من أصحاب الملايين العملاء مع عدد قليل من أفراد الشرطة والأمن لحماية الاستثمارات اليهودية المختلفة.

٢٣ـ الحكومة العالمية المستقبلية تعتمد الدكتاتورية المطلقة كنظام للحكم، وفرض النظام العالمي الجديد، الذي يقوم فيه الدكتاتور بتعيين أفراد الحكومة العالمية من بين العلماء والاقتصاديين وأصحاب الملايين.

٢٤ـ تسلل العملاء إلى كافة المستويات الاجتماعية والحكومية، من أجل تضليل الشباب وإفساد عقولهم بالنظريات الخاطئة حتى تسهل

عملية السيطرة عليهم مستقبلا.

٢٥ـ ترك القوانين الداخلية والدولية التي سنتها الحكومات والدول كما هي، وإساءة استعمالها وتطبيقها عن طريق تفسير القوانين بشكل مناقض لروحها، يستعمل أولا قناعا لتغطيتها، ومن ثم يتم طمسها بعد ذلك نهائيا.

- حقيقة نوادي الروتاري والجمعيات الماسونية اليهودية الأخطبوتية.

الروتاري جمعية ماسونية يهودية تضم رجال الأعمال والمهن الحرة وتتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين العلاقات بين البشر، وتشجيع المستويات الأخلاقية السامية في الحياة المهنية، وتعزيز النية الصادقة والسلام في العالم.

وكلمة روتاري كلمة إنجليزية معناها دوران أو مناوبة، وسبب إطلاق هذا الاسم أن الاجتماعات كانت تعقد في منازل أو مكاتب الأعضاء بالتناوب، ولا زالت تدور الرئاسة بين الأعضاء بالتناوب.

وقد اختارت النوادي شارة مميزة لها وهي العجلة المسننة على شكل ترس ذات أربعة وعشرين سنا باللونين الذهبي والأزرق، وداخل محيط العجلة المسننة تتحدد ست نقاط ذهبية، كل نقطتين متقابلتين تشكلان قطرا داخل دائرة الترس بما يساوي ثلاثة أقطار متقاطعة في المركز وبتوصيل نقطة البدء لكل قطر من الأقطار الثلاثة بنهاية القطرين الآخرين تتشكل النجمة السداسية تحتضنها كلمتي روتاري وعالمي باللغة الإنجليزية، أما اللونان الذهبي والأزرق فهما من ألوان اليهود المقدسة التي يزينون بها أسقف أديرتهم وهياكلهم ومحافلهم الماسونية،

وهما اليوم لونا علم دول السوق الأوروبية المشتركة.

لقد أسس المحامي بول هاريس في ٢٣ من فبراير عام ١٩٠٥م أول ناد للروتاري في مدينة شيكاغو بولاية أليونوي، وذلك بعد ثلاث سنوات من نشر بول هاريس لفكرته التي اقتنع بها البعض من مؤسسي الحركة الروتارية وواضعي أسسها الفكرية.

وقد عقد اجتماعهم الأول في نفس المكان الذي بني عليه فيما بعد مقر النادي الروتاري الذي يحمل اسم شيكاغو ١٧٧ اليوم، ولم يقبل بول هاريس أن يرأس النادي في أول عهده بل ترك رئاسته لأحد زملائه، ثم قبل رئاسة النادي في عام ١٩٠٨م، وبعد ثلاث سنوات انضم إليه رجل يدعى شيرلي د. بري الذي وسع الحركة بسرعة هائلة، وظل سكرتيرا للمنظمة إلى أن استقال منها في سنة ١٩٤٢م، ولما توفي بول هاريس المؤسس سنة ١٩٤٧م بعد أن امتدت الحركة إلى ثمانين دولة، وأصبح لها ستة آلاف وثمانمائة ناد تضم ٣٢٧٠٠٠ عضو.

وقد انتقلت حركة الروتاري إلى دبلن بأيرلندا سنة١٩١١م ثم انتشرت في بريطانيا عن نشاط شخص اسمه مستر مورو الذي كان يتقاضى عمولة عن كل عضو جديد، ولا يدون الروتاي الدولي اسم فلسطين في سجلاته، بل يذكر صراحة اسم إسرائيل.

ومن المعلوم أن مصر وفلسطين في العالم العربي والإسلامي الدولتان اللتان تأسس فيهما أول نادي للروتاي عام ١٩٢٩م، وهما نادي روتاري القاهرة ونادي روتاري أورشليم القدس، كما أنهما أكثر عددا، ففي مصر أكثر من عشرين ناديا، وفي فلسطين أكثر من أربعين.

وقد ارتبط تاريخ الروتاري في الوطن العربي بثلاث ظواهر، وهي الاستعمار الغربي في نشأته وغالبية أعضائه، والطبقات الارستقراطية وذوي النفوذ والمال، ونشاط شامل عام لجميع العالم العربي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وفي الثلاثينات تم تأسيس فروع للروتاري في الجزائر ومراكش برعاية الاستعمار الفرنسي، ويوجد في طرابلس الغرب فرع للروتاري.

أما الأفكار والمعتقدات عند أتباع الروتاري فمبنية على عدم اعتبار الدين مسألة ذات قيمة لا في اختيار العضو، ولا في العلاقة بين الأعضاء ولا يوجد أي اعتبار لمسألة الوطن، ويزعم الروتاري أنه لا يشتغل بالمسائل الدينية أو السياسية، وليس له أن يبدي رأيا في أي مسألة عامة قائمة يدور حولها جدال.

ونوادي الروتاري تلقّن أفرادها قائمة بالأديان المعترف بها لديها على قدم المساواة وهي مرتبة حسب الترتيب الأبجدي من البوذية، النصرانية، الكونفشيوسية، الهندوكية، اليهودية، المحمدية، ومعلوم أن إسقاط اعتبار الدين يوفر الحماية لليهود ويسهل تغلغلهم في الأنشطة الحياتية كافة، وهذا يتضح من ضرورة وجود يهودي واحد أو اثنين على الأقل في كل ناد للروتاري.

ويوجد توافق كامل كبير بين الماسونية والروتاري في مسألة الدين والوطن والسياسة، وفي اعتمادهم على مبدأ الاختيار، فالعضو لا يمكنه أن يتقدم بنفسه للانتساب، ولكن ينتظر حتى ترسل إليه بطاقة دعوة للعضوية، كما أن القيم والروح التي يُصْبَغُ بها الفرد واحدةٌ في الماسونية والروتاري مثل فكرة المساواة والإخاء والروح الإنسانية والتعاون

العالمي، وهذه روح خطيرة تهدف إلى إذابة الفوارق بين الأمم، وتفتيت جميع أنواع الولاءات، حتى يصبح الناس أفرادا ضائعين تائهين، ولا تبقى قوة متماسكة إلا اليهود الذين يريدون السيطرة على العالم.

والروتاري وما يماثله من النوادي إنما تعمل في نطاق المخططات اليهودية، وذلك من خلال السيطرة الماسونية عليها الذين هم بدورهم مرتبطون باليهودية العالمية نظريّا وعمليّا، ورصيد هذه المنظمات ونشاطاتها يعود على اليهود أولا وأخرا، وتختلف الماسونية عن الروتاري في أن قيادة الماسونية ورأسها مجهولان، على عكس الروتاري الذي يمكن معرفة أصوله ومؤسسيه، ولكن لا يجوز تأسيس أي فروع للروتاري إلا بتوثيق من رئاسة المنظمة الروتاري الدولية.

وهي تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين الصلات بين مختلف الطوائف، وتتظاهر بأنها تحصر نشاطها في المسائل الاجتماعية والثقافية، وتحقق أهدافها عن طريق الحفلات الدورية والمحاضرات والندوات التي تدعو إلى التقارب بين الأديان وإلغاء الخلافات الدينية، أما الغرض الحقيقي فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الود والإخاء، وعن طريق ذلك يصلون إلى جمع معلومات تساعدهم في تحقيق أغراضهم الاقتصادية والسياسية، وتساعدهم على نشر عادات معينة تعين على التفسخ الاجتماعي، ويتأكد هذا إذا علمنا بأن العضوية لا تمنح إلا للشخصيات البارزة والمهمة في المجتمع.

- **الليونز مجموعة من النوادي الماسونية تتخفى في طابع اجتماعي خيري.**

أما الليونز فهي مجموعة نواد ذات طابع خيري اجتماعي في الظاهر،

لكنها لا تعدو أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية التي تديرها أصابع يهودية بغية إفساد العالم وإحكام السيطرة عليه، دعا مؤسس هذه النوادي ملفن جونس في صيف ١٩١٥م إلى فكرة إنشاء نواد تضم رجال الأعمال من مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وكان أول نادٍ تأسس من هذا النوع في مدينة سانت أنطونيو تكساس.

لقد أنشئ نادي الليونز ليكون بديلا عن النوادي السابقة في حالات انكشافها أو اضطهادها لما يتمتع به من مظهر اجتماعي إصلاحي خيري، واسم الليونز بمعنى الأسود إنما يرمز إلى القوة والجرأة، وحروف الكلمة بالإنجليزية كل حرف منها يرمز لمعنى عندهم.

ونوادي الليونز تنهى كسائر النوادي الماسونية عن المجادلة في الأمور السياسية والعقائدية الدينية، وتتظاهر بالعمل في الدعوة إلى الإخاء والحرية والمساواة والخدمات العلمية والثقافية وتشجيع تبادل الزيارات والرحلات واللقاءات، ونشر معاني الخير والتعاون بين الشعوب، وتنمية روح الصداقة بين الأفراد بعيدا عن الروابط العقدية، والاهتمام بالرفاهية الاجتماعية، والعمل على نشر المعرفة بكل الوسائل الممكنة، ومساعدة المكفوفين والخدمات الاجتماعية الأخرى، وتخفيف متاعب الحياة اليومية عن المواطنين، وإقامة المسابقات الترفيهية وتشجيع اللقاءات وتبادل الزيارات والرحلات، ودعم المشروعات الخيرية.

وشروط العضوية في هذه النوادي لا تختلف كثيرا عن شروط العضوية في نوادي الماسونية والروتاري، لكنها تمتاز عن النوادي الماسونية بأنه يجوز لديهم بأن يمثل المهنة الواحدة أكثر من عضوين، ولا يستطيع أي شخص أن يقدم طلب انتساب إليها، إنما هم الذين

يرشحونه ويعرضون عليه ذلك إذا رأوا مصلحة لهم فيه.

ويشترط أن يكون العضو من رجال الأعمال الناجحين، وأن يكون مكان عمل العضو في ذات المنطقة التي فيها النادي، ويمنعون منعا باتا دخول أصحاب العقائد وذوي الغيرة الوطنية الشديدة، ويجتذبون الشباب والشابات بغية المحافظة على أدنى مستوى ممكن من الأعمار الشابة للمحافظة على حيوية النادي الدائمة فضلا عن سهولة التأثير، ويجتذبون السيدات من زوجات كبار المسؤولين، كما يسند إليهن مهمة الاتصال بالشخصيات الكبيرة، ولهن نوادٍ بهن تسمى نوادي سيدات الليونز.

وتتشابه أندية الليونز مع أندية الروتاري في وضع نظام شبه جغرافي يقسم العالم إلى عدد من التكتلات حسب كثافة انتشار الأندية ولكل تكتل رقم خاص، ويتكون التكتل الواحد من دولة أو عدد من الدول ويسمى بالمنطقة أو المحافظة، وترتبط رئاسة كل منطقة من المناطق على مستوى العالم مباشرة بالمركز العام وتقع مجموعة الدول العربية في المنطقة رقم ٣٥٢ من تقسيم أندية الليونز.

وتتمثل خطورة هذه النوادي في نشاطاتها الخيرية الظاهرية، فهي مصيدة تخفي وراءها أهدافها الحقيقية، وهم يتسمون بالتخطيط الدقيق، ويعملون على أساس من السرية في جمع المعلومات، ويتعرفون على أسرار المهن من خلال لقاءاتهم مما يعطيهم قدرة على التحكم في السوق المحلية كما يعينهم على التدخل في الشؤون الاقتصادية للبلد.

كما يجمعون المعلومات المتعلقة بالشؤون السياسية والدينية للبلد

الذي يعملون فوق أرضه، ويرسلونها إلى مركز المنظمة العالمي التي تقوم بتحليلها، ووضع الخطط اللازمة والمناسبة حيالها، وهناك غموض شديد يكتنف أسرارهم ومواردهم ووسائلهم، وتضرب مجالس إدارات مناطق الليونز إجراءات أمن مشددة حولها، ويرددون دائما شعار الدين لله والوطن للجميع، ويقف الإسلام لديهم على قدم المساواة مع الديانات الأخرى، سماوية كانت أم بشرية، هذا من حيث الظاهر، أما الحقيقة فإنهم يكيدون له أكثر مما يكيدون لسواه، وهم يركزون في دعواتهم ومحاضراتهم على إبراز مكانة معينة لإسرائيل وشعبها، كما يقومون بزراعة أفكار الصهيونية في عقول أعضائها.

وهم يقيمون حفلات مختلطة ماجنة راقصة تحت شعار الحفلات الخيرية، ومن ثم فإن نوادي الليونز لا تخرج عن الدائرة الماسونية التي تتبع لها، فالجذور إذن واحدة.

وقد أصدر المجمع الفقهي في دورته الأولى المنعقدة في مكة المكرمة بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٩٨هـ قرارا بَيَّن فيه أن مبادئ حركات الماسونية والليونز والروتاري تتناقض كليّا مع مبادئ وقواعد الإسلام.



المطلب الثامن عشر

النصرانية والانحراف عن دين الحنيفية وأثر اليهود في ضياع الإنجيل وتخريب المسيحية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن اليهودية وخروجها عن دين الإسلام وأصول الحنيفية، وعلاقتها بالصهيونية والماسونية، وبينا أن الديانة اليهودية خليط مقتبس من الطقوس البابلية والمصرية والكنعانية، ثم تناولنا الحديث عن فرق اليهود القديمة وتوصيف توراتهم وكتبهم وأعيادهم المقدسة لديهم.

وعلمنا عقيدة اليهود التي دلت عليها كتبهم، وما تحمله من أباطيل كاذبة، وماهية التلمود ومعتقدات اليهود في التخطيط لهيمنة ملك إسرائيل، وبينا الأدلة المنطقية على تحريف التوراة بالمنهج الاستقرائي المقارن، وأن التناقضات الصارخة الثابتة في التوراة دليل على أنها من عند غير الله، وأن الصهيونية منظمة يهودية تسعى لإعادة مجد اليهود وبناء الهيكل، وكذلك الماسونية منظمة يهودية سرية إباحية تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود.

ثم تحدثنا عن يهود الدونمة الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية

للكيد بالمسلمين، وتناولنا الحديث عن بروتوكولات حكماء صهيون والحقد اليهودي على شعوب العالم، وما جاء من العناصر الرئيسية للمخطط الشيطاني في تلك البروتوكولات، ثم تحدثنا عن حقيقة نوادي الروتاري والجمعيات الماسونية اليهودية الأخطبوتية، وأن الليونز مجموعة من النوادي الماسونية تتخفى في طابع اجتماعي خيري.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن النصرانية والانحراف عن دين الحنيفية وأثر اليهود في ضياع الإنجيل وتخريب المسيحية.

- الخراف الضالة وخروج اليهود عن فطرة العبودية ودين الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ (٥١) ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ (٥٤) إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ (٥٥)﴾ آل عمران:٤٩/٥٥.

نصت الأناجيل على أن الله أرسل المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل ولم

يرسل إلى غيرهم، والأمر واضح جدا من العهد الجديد، فعلى سبيل المثال لا الحصر جاء في سفر أعمال الرسل قوله: (الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام يسوع المسيح) أعمال الرسل١٠: ٣٦.

وقد كان المسيح حريصا على الدعوة بين بني إسرائيل فقط، ولم يأمر بغير ذلك، جاء في الإنجيل: (وهؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا إلى أمم لا تمضوا، إلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بني إسرائيل الضالة) متى٥:١٠/٦.

ولم يثبت عن المسيح أبدا في دعوته أنه حاول تبليغها لغير اليهود، فلم نسمع أنه أرسل رسلا أو رسالات في حياته إلى الملوك والأمراء والسلاطين، كما فعل نبينا محمد ﷺ مع حكام الفرس والروم ومصر والحبشة واليمن وغيرها، لأن الإسلام دين عالمي بلا منازع.

وقد كان أتباع المسيح الاثنا عشر يهودا، وأتباعه من النساء والشيوخ والآخرين كلهم يهود، قال المسيح: (لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة) متى ١٥: ٢٣/٢٤.

ويقول: (وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل) متى ٢:٦.

ويقول الإنجيل: (يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا) متى٢٣ : ٣٧.

وقد جاء في إنجيل متى أن المسيح عليه السلام قد بين بصورة أكيدة وصريحة

أن المحافظة على شريعة موسى عليه السلام التي جاءت بها التوراة وطاعتها والعمل بموجبها فرض قطعي فقال: (لا تظنوا أني جئت لانقض الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فأني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكمل الكل) متى٥: ١٧/١٨.

ولنحاول أن نتلمس السبب في كون عيسى عليه السلام رسولا إلى بني إسرائيل وحدهم، فبعد الخراب البابلي الذي حل ببني إسرائيل في فلسطين ووقوعهم في الأسر، وبعد حرق التوراة الأصلية وضياع الألواح السماوية، استمر الشتات والتفرق واقعا على بني إسرائيل مدة طوية، وقد أعيدت كتابة التوراة وفق ما رآه عزير من حفيظته وحفيظة بعض اللاويين أو علماء بني إسرائيل ممتزجة بما وضعوه من افتراءات ما أنزل الله بها من سلطان، ومخلوطة بتحريف في كثير من التشريعات التي جاءت بها الألواح، حيث رفعوا أنفسهم على سائر الناس، وزعموا فيها أنهم هم وحدهم أبناء الله وأحباؤه، وهم وحدهم شعب الله المختار، وما سواهم خدم أمّيين وليس عليهم في الأمين سبيل.

وقد ظهر مصطلح اليهود كبديل عن مصطلح بني إسرائيل وانتشر على ألسنتهم وألسنة سائر الناس، لاسيما بعد عودتهم واجتماعهم مرة أخرى في فلسطين، وقد كانوا يعلمون من ألواح التوراة أن نبيا سوف يبعث ينصره الله على أعدائه، وينتشر أتباعه في الآفاق، وتكون لهم الغلبة على العالم، فكان انتشار بعض أحبارهم في الأماكن التي يتوقعون ظهوره فيها، ومن هنا استوطن بعضهم يثرب، وبعضهم انتظره في

فلسطين، فلما تعالى اليهود وتكبروا على باقي الأجناس واحتقروا غيرهم من بني الإنسان، أرسل الله إليهم زكريا ويحيى وعيسى من سبط يهوذا بن يعقوب، فأمروهم بالإخلاص لله، والعبادة له وحده، وترك ألوان الفساد التي داخلت أحبارهم فضلا عن عامتهم من الربا والزنا وغيرها من المنكرات، ودعوهم إلى التواضع لله ومساواتهم ببقية عباده المؤمنين، فمكروا لهم وكادوا لزكريا عليه السلام، وقتلوا يحيى عليه السلام، وتآمروا على قتل عيسى عليه السلام حتى رفعه الله إليه.

وقد ذكر الله سبحانه خبر زكريا عليه السلام، وما كان من أمره حين وهبه الله يحيى على الكبر، وكانت امرأته عاقرا في حال شيبتها فنادى ربه مناداة أسرها، وكان الباعث له على هذه المسألة أنه لما كفل مريم بنت عمران بن ماثان، وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير أوانها، وكرامات كثيرة من ربها، فطمع أن يرزقه الله ولدا على كبره، وكان قد خاف من تصرف عصبته على منحى اليهود في الإفساد من بعده ، فسأل الله وجود ولد من صلبه يكون برا تقيا مرضيا يرثه في النبوة والحكم في بني إسرائيل وآل يعقوب، وأن يكون نبيا رضيا كما كان آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب، فدعا أن يجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمهم بها من النبوة والوحي، وليس المراد هاهنا وراثة المال كما زعم البعض، فقد كان زكريا عليه السلام نجارا يعمل بيده، ويأكل من كسبها ، وقدر روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كان زكريا نجارا) [١].

(١) مسلم في الفضائل، باب من فضائل زكريا عليه السلام ٤/١٨٤٧ ٢٣٧٩.

- **قصة عيسى وأمه من ولادته على غير العادة إلى رفعه في السماء.**

ولد عيسى عليه السلام من غير أب، وكانت أمه مريم آية، فقد وهبتها أمها امرأة عمران لله، فحين وضعتها خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى المقيمين فيه، فتنازعوا فيها أيهم يكفلها، وكان زكريا نبيهم في ذلك الزمان، وطلبوا أن يقترع معهم، فخرجت قرعته غالبة، فكفلها واتخذ لها مكانا شريفا من المسجد لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من العبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل.

وقد اشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة حتى كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها، وجد عندها رزقا غريبا في غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، فطلب من ربه الولد على كبره وكانت امرأته عاقرا، فاستجاب الله له ووهبه يحيى وقد جعله نبيا إلى بني إسرائيل، وأمره أن يأخذ أحكام الشريعة بقوة، وقد تزامن وجوده مع ولادة عيسى عليه السلام.

وكان جبريل عليه السلام قد نفخ في مريم فحملت بعيسى على غير عادة النساء، ووضعته وأتت به قومها تحمله، فاتهموها بالزنا، فأنطق الله عيسى في المهد وبرأها، وعلم بنو إسرائيل أنه عبد الله ورسوله إليهم، فانتظروا نموه لعله يعيد لهم مجدهم الذي زخرفوه في التوراة، فلما شب ودعاهم مع يحيى إلى الإخلاص وعبادة الله تآمروا على قتله.

روى الترمذي وصححه الألباني من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل

بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أنا آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وتعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن.

أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غيره سيده، فأيكم يرضي أن يكون عبده كذلك؟

وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم، وآمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله.

قال النبي ﷺ: وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن، السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من

جثا جهنم، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله) [(١)].

وتذكر الأناجيل أن يحيا مات مقتولا على يد هيرودس حاكم الجليل والله أعلم بالسبب الحقيقي في مقتله، أما عيسى عليه السلام فقد رفعه الله إلى السماء بعد ما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به، وخلصه ممن أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان، فأمر الملك بقتله وصلبه فحصروه في دار ببيت المقدس، فلما حان وقت دخولهم ألقى الله شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ممن وشى به وهو يهوذا الاسخريوطي، ورفع عيسى عليه السلام من فتحة البيت الذي كان فيه إلى السماء واختفي عن أنظار تلامذته.

وكان قد قال لهم كما ورد في الأناجيل: (إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات.. فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات، فخرج بطرس إلى خارج وبكى بكاء مرا) [(٢)].

ومن ثم خاطب التلاميذ يهوذا بعد إلقاء الشبه عليه ظانين أنه عيسى عليه السلام فقبض عليه الجنود واقتادوه ظانين هم أيضا أنه عيسى عليه السلام، فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له، وظن كثير من عوام النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى عليه السلام حين رفع، واعتقدوا أنه صلب، وضلوا بسبب ذلك ضلالا مبينا بعيدا، وقد ثبت

(١) رواه الترمذي في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ١٤٨/٥ ٢٨٦٣، وقال الألباني: صحيح.

(٢) انظر مرقس ٧٢/١٤، لوقا ٦٠/٢٢، متى ٧٤/٢٦، يوحنا ٢٧/١٨.

أن عيسى عليه السلام ينزل إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام.

- **مؤسس المسيحية بشكلها الحالي هو بولس اليهودي وليس المسيح.**

كان لبولس اليهودي أثر هائل في تحريف ديانة النصارى، وإن كانوا يرونه أهم من كل كتابهم ومفكريهم، وذو رأي معتبر بين جميع طوائف النصارى المنتشرة في جميع أنحاء العالم، فهو عندهم أهم الإنجيليين على الإطلاق، وقد سافر إلى أماكن عدة يبشر بالنصرانية وينشر أفكاره بين غير اليهود حتى عُرف بين اللاهوتيين باسم رسول الأمم.

ولد بولس لأبوين يهوديين في مدينة طرسوس في آسيا الصغرى أو تركيا القديمة في العام الرابع للميلاد تقريبا، ونشأ فيها من أصل عبراني خالص، فيجمع أغلب المؤرخين النصارى أنه لم يكن هناك أصل أممي في أجداده أبدا، وتعلم حرفة صنع الخيام لسهولتها وقلة رأسمالها آنذاك، ويذكر مؤرخو النصارى أيضا أن أباه قد وهبه لدراسة الناموس منذ صغره، وعندما شب أرسله إلى أورشليم القدس، فأكمل تعليمه عند أحد أشهر معلمي الناموس في أورشليم غَمَالائيلَ.

وكان اسمه فيما مضى شاؤول، ومعناه طالب، ثم سمى نفسه بعد تنصره بولس ومعناه الصغير، وتذكر كذلك أغلب المصادر أنه كان متعصبا لليهودية، ذو غيرة على دينه أكثر من كل أقرانه اليهود، ولا تذكر المصادر النصرانية التقاء بولس بالمسيح عليه السلام على الرغم من أن بولس كان من معاصريه عليه السلام، وأول ذكر لبولس فيما يتصل بالنصرانية هو شهوده محاكمة وقتل استفانوس أحد تلاميذ المسيح عام ٣٧م، ويذكر بولس أنه كان راضيا عن قتله، فقد كان يهوديا معاديا

للنصرانية، بل وكان يشارك في تعذيب النصارى الأوائل فكان يسطو على الكنيسة، وهو يدخل البيوت ويجرّ رجالا ونساء، ويسلّمهم إلى السّجن.

ويذكر سفر أعمال الرسل أيضا تنصر بولس المفاجئ وانقلابه دون مقدمات ولا تمهيدات بعد أن رأى المسيح عليه السلام بعد رفعه بسنوات، فزعم أنه بينما هو ذاهب إلى دمشق في مهمة لرؤساء الكهنة اليهود قد تجلى له المسيح عليه السلام وحده دون القافلة التي كان يسير معها، فأبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له: شاؤل لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد، فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل.

وذكر أن يسوع منحه حينئذ منصب الرسالة، وقد أضاف في رسالته أن عيسى هو ابن الله، وأن الله أرسل ابنه الوحيد ليخلص البشرية من خطيئة آدم، وبعد ذلك انتقل بولس إلى أورشليم القدس، وحاول أن يرافق الحواريين، غير أنهم أوجسوا منه خيفة لأفكاره الغريبة، ولماضيه المحمل بآلام النصارى وتعذيبهم، فما كانوا يصدقون أنه قد تنصر، فأخذه برنابا وقربه منهم حتى خرجوا جميعا يكرزون بديانتهم في أنحاء البلدة، وبعد ذلك كما يزعمون وقع اختيار الروح القدس بحسب رواية سفر الأعمال على بولس وبرنابا للتبشير بين الأمم، فذهبا إلى قبرص ثم أنطاكية، ثم إلى سوريا، ثم عادا إلى أنطاكية فحدثت بينهما مشاجرة أدت إلى افتراقهما.

وبعد ذلك خرج بولس في رحلة تبشيرية عام ٥٥م إلى بلاد اليونان،

وإفسوس من أسيا الصغرى ثم عاد إلى أورشليم، وكان خلال رحلته ينشئ الكنائس، ويكتب الرسائل، ويلقي الخطب والمواعظ حتى كانت رسائله أول ما كتب من العهد الجديد، وهي أساس اعتقاد النصارى بما اشتملت عليه من مبادئ في الاعتقاد بإلوهية المسيح وصلبه.

وهنا يتعجب العاقل ويسأل: كيف يتحول رجل من الكفر بديانة أو عقيدة إلى شدة الاعتقاد فيها كطفرة دون سابق تمهيد؟ فقد يحدث أن يتحول أحدهم من الكفر إلى الإيمان، فلذلك حالات كثيرة في مختلف الديانات، ولكن من الكفر الشديد إلى الدعوة إلى الدين الذي ناوأه وعاداه ثم الزعم بأنه رسول يوحى إليه أيضا! فهذه طفرة شديدة تحتاج إلى تفسير معقول، فلم يُعهد ذلك في أنبياء الله أو رسل العهد القديم، فالمعروف أن الرسل يجب أن تكون لهم مقدمات وعلامات وإعدادات لتقبل الوحي، وإذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها، فلا يكون قبلها ما ينافيها ويناقضها.

وبدراسة بعض النصوص التي كتبها بولس في رسائله العديدة أو التي تحكي عنه كسفر الأعمال مثلا، نجد العديد من التناقضات التي يُفهم منها ادعاء بولس الكذب أحيانا، مما يجعل المحققين في حيرة شديدة من موقفه! وعلى الرغم من أن أناجيل النصارى تذكر أن بولس أو شاؤل كان من معاصري المسيح عليه السلام إلا أنهما لم يلتقيا أبدا.

وتؤكد بعض المراجع أيضا على أن بولس كان في أورشليم القدس أثناء حادثة الصلب المذكورة في الأناجيل الأربعة، ولكنه لم يكن من شهودها ولم يسمع بها، ولم يكن يسمع عن المسيح عليه السلام ولا أتباعه.

ومن ثم فإن قصة رؤيته للمسيح عليه السلام واندفاعه كرسول للنصرانية قصة اختلقها بولس بسبب يأسه من هزيمة أتباع المسيح، فقد رآهم يثبتون على الحق رغم فنون العذاب الذي صبه عليهم، فعلاقة بولس بالمسيح عليه السلام هي في الواقع علاقة من طرف واحد فقط وهو طرف بولس؛ فأغلب كلماته تصرخ أنه يكرز باسم الرب يسوع على حد قوله، وينعم بنعمة الرب يسوع، ويجاهد في سبيل الرب يسوع، ويدعو الأمم لملكوت الرب يسوع! فكل ما طرأ على النصرانية من بدع كان هو مبتدعها.

وإذا اطلعنا على الأناجيل سوى ما قد يقال عن إنجيل يوحنا نجدها تخلو من تقرير عقيدة إلوهية المسيح، ولكن على العكس، فإن رسائل بولس تمتلئ بالغلو في المسيح، والنصوص التي تعتبر المسيح كائنا فريدا عن البشر [1].

- **النصرانية ديانة متناقضة فرض شركياتها الملك الروماني قسطنطين.**

بعد أن أدخل بولس على النصرانية قضية إلوهية المسيح صار جدل كبير على مدار وقت طويل في تقرير ملامح الاعتقاد عند النصارى، فهل عيسى هو عبد الله ورسوله؟ أو هو رب له صفات الإلوهية؟ وإن كان إلها فلماذا نزل من السماء وحوته بطن امرأة؟ فظهرت فلسفات متعددة للجواب عن مثل هذه الناقضات الظاهرة أسفرت عن تأليف عشرات الأناجيل، كل مؤلف يعبر عن رؤيته الخاصة في حياة المسيح عليه السلام واعتقاده فيه.

---

(١) بولس وأثره في النصرانية دراسة تحليلية طارق محمد الشافعي ص٦ بتصرف.

وكانت عهود الاضطهاد الواقع على النصارى تشتد تارة، وتخف أحيانا، وبقيت الدعوة إلى النصرانية الحق ضعيفة متخفية غالبا إلى أن جاء عهد قسطنطين الأول فقد اعتنق النصرانية، وكان أول من تنصر من ملوك الروم، فلما أعلن قسطنطين نصرانيته، ظهرت النصرانية وبدأت بالانتشار بقوة، فكان له دور هام في تحويلها من فرقة دينية مضطهدة إلى ديانة مسيطرة ومهيمنة في أوروبا، وكان من أول أعماله إصدار مرسوم ميلان الذي أصبحت النصرانية بموجبه دينا شرعيا مسموحا به [١].

وقد بُديء في عهد قسطنطين ببناء عدة كنائس شهيرة مثل كنيسة المهد في بيت لحم، وكنيسة القمامة في القدس والتي يسميها النصارى القيامة، وقد أعاد قسطنطين بناء مدينة بيزنطة، ووسعها وسماها القسطنطينية وجعلها عاصمة له، فأصبحت من أعظم مدن العالم.

ولما رأى قسطنطين الخلاف بين النصارى في عقيدتهم حول المسيح أراد أن يجمعهم على رأي واحد، فأنشأ مَجْمع نيقية لمعالجة الانقسام الداخلي في الكنيسة وذلك عام ٣٢٥م، أي بعد المسيح بثلاثمائة سنة وقبل البعثة المحمدية بمثل ذلك، وقد عمل هذا المجمع على إنشاء عقيدة نيقية التي أصبحت فيما بعد المذهب الأرثوذكسي للكنسية.

وفي هذا المجمع اجتمع الأساقطة والبطارقة من شتى الديار ثلاث مرات في زمن قسطنطين، وعدة مرات بعد ذلك، وقرروا ما سموه بالأمانة، أو قانون الإيمان الذي صرّحوا فيها بتثليثهم، ولعن كل من

(١) التحفة المقدسية في مختصر تاريخ النصرانية لأبي محمد المقدسي ص٩٧ بتصرف.

يخالفهم، خصوصا من كانوا يقولون بعقيدة التوحيد؛ وأن عيسى عبد الله ورسوله، وقد غلبت عقيدة التثليث على النصارى في ذلك الزمان.

وقد تكررت تلك المجامع حتى اتفقوا على الأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا، واعتبروا بولس رسولا من عند الإله يسوع ودخل الضلال واستقرت الوثنية في العقيدة المسيحية، قال ابن القيم: (وكل مجامعهم كانت تجتمع على الضلال وتفترق على اللعن، فلا ينفض مجمع إلا وهم ما بين لاعن وملعون) [١].

والقصد أنه بعد المسيح ﷺ بثلاثمائة سنة وقعت على عقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى ﷺ طامة عظمى وبلية كبرى وهو سم الأفعى الذي دسه اليهودي بولس، وأحدث اختلافا بين جميع الأساقفة والقساوسة والشمامسة في المسيح، وعلى أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضبط، واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية فصار الملك إلى قول التثليث، فسموا بالنصارى الملكية، وقد وضعوا القوانين والأحكام المخالفة للتوراة، وأحلوا أشياء هي حرام بنص التوراة ومن ذلك لحم الخنزير، وصلوا إلى المشرق، ولم يكن المسيح يصلى إلا لصخرة بيت المقدس، وكذلك جميع الأنبياء بعد موسى ومحمد خاتم النبيين صلى إليها بعد هجرته إلى المدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم حول إلى الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل.

وقد صوروا الكنائس ولم تكن مصورة قبل ذلك ووضعوا العقيدة التي يحفظها أطفالهم ونساؤهم ورجالهم والتي يسمونها بالأمانة وهي في الحقيقة شرك بالله، وجميع الملكية والنسطورية أصحاب نسطورس

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/٢٧٦، نشر دار المعرفة بيروت ١٣٩٥هـ.

أهل المجمع الثاني، واليعقوبية أصحاب يعقوب البراذعي أو أصحاب المجمع الثالث يعتقدون هذه العقيدة ويختلفون في تفسيرها فيقولون فيها: (نؤمن بإله واحد ضابط الكل خالق السموات والأرض، كل ما يرى، وكل ما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الذي كان به كل شيء، من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب على عهد ملاطس النبطي، وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماء، وجلس على يمين الأب، وأيضا فسيأتي بجسده ليدبر الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه، وروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب مع الأب والابن مسجود له، وبمجده الناطق في الأنبياء كنيسة واحدة جامعة مقدسة، واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وأنه حي إلى قيامة الموتى آمين).

- **إنجيل متى أحد الأناجيل الأربعة المحرفة التي اتفق عليها النصارى.**

متّى الذي ينسب إليه الإنجيل هو ابن حلفى، ويدعى أيضا لاوى، كان عشارا يجبى الخراج للدولة الرومانية في كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين وما حولها، وكانت هذه الوظيفة مكروهة ومحتقرة عند اليهود، لأنها تلجئ أصحابها إلى المظالم، وكانوا يأنفون منها لأنها برهان على خضوعهم للسلطة الرومانية الأجنبية [1].

(١) المبادئ المسيحية لحبيب جرجس ص٤، وانظر مرشد الطالبين ص٢١٦، وتاريخ الأمة القبطية ٥٢/٢، ومفاتيح كنوز الأسفار١١/٢.

والسبب في دخول متى النصرانية أن المسيح رآه جالسا عند مكان الجباية فقال له: اتبعنى فقام وتبعه [١]. ويرى المحققون من العلماء أن متى ليس من حوارى المسيح، يقول الدكتور موريس بوكاى الفرنسى: (لنقل صراحة: إن متى لم يعد مقبولا اليوم القول إنه أحد حواريين المسيح)[٢]. وهذا القول يخالف ما عليه أكثر علماء النصارى الذين يرون أن متى اختاره المسيح تلميذا من تلاميذه الاثنى عشر، ولما صعد المسيح إلى السماء جال متى للتبشير في بلاد كثيرة ثم توفى سنة٧٠م ببلاد الحبشة إثر ضرب مبرح أنزله به أحد جنود ملك الحبشة، وفي رواية أخرى أنه طعن برمح سنة ٦٢م بعد ما قضى قرابة ٢٣ سنة مبشرا بأثيوبيا كما هو الراجح [٣].

وأما اللغة التي كتب بها إنجيل متى فالذى ثبت من خلال الدراسات العلمية أن هذا الإنجيل كتب باللهجة الآرمية الفلسطينية الحديثة والتى كانت مستخدمة في المحادثة والكتابة في هذا العصر في فلسطين [٤]. وقد قرر ابن البطريق[٥] وغيره من المؤرخين أن متى قد كتب إنجيله باللغة العبرية.

وقد اختلف علماء النصارى في تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافا

---

(١) مرشد الطالبين ص٢١٥.

(٢) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٨٠.

(٣) تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٢، ومفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ٢/١١

(٤) انظر الأسفار المقدسة قبل الإسلام، د. على عبد الواحد وافى ص٧٦.

(٥) من أشهر مؤرخي المسيحية من رجال القرن الثالث الهجري، كان من مترجمي الكتب في بلاط الخليفة المأمون، وقد ترجم له من اليونانية كتاب الأصول في الهندسة لإقليدس، وله كتاب في تاريخ المسيحية يعتبر مرجعا لكثير من الباحثين.

كبيرا، يقول الأستاذ محمد أبو زهرة: (إن باب الاختلاف في شأن التاريخ الذي كتب فيه لا يمكن سده، ولا يمكن ترجيح رواية، ولا جعل تاريخ أولى من تاريخ بالاتباع، ولذلك يقول هورن: ألف الإنجيل الأول سنة ٣٧م، أو سنة ٣٨م، أو سنة ٤١م، أو سنة ٤٣م، أو سنة ٤٨م، أو سنة ٦١م، أو سنة ٦٢م، أو سنة ٦٤م من الميلاد، ونحن نقول يجوز غير ذلك) [١].

غير أن الدكتور الفرنسى موريس بوكاى في الدراسة الجادة التي قدمها لنا عن الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة يذهب إلى أن تاريخ كتابة هذا الإنجيل يرجع إلى ما بين عام٨٠م، وعام٩٠م، أو ربما قبل ذلك بقليل[٢].

وأهم الأمور التي يشتمل عليها إنجيل متى هي تاريخ تناسل المسيح عليه السلام من إبراهيم وداود، وبعض أمور تختص بمولده وطفولته، ومجئ المجوس ليسجدوا للطفل يسوع، ويقدموا له القرابين بناء على أنه المسيح الموعود به، وفيه خبر يوحنا المعمدان وتعميد المسيح، وموعظة السيد المسيح على الجبل، والمعجزات التي أجراها الله على يديه، ودخول المسيح عليه السلام إلى أورشليم، ونبوءة المسيح عليه السلام بخراب أورشليم وهيكلها لأجل كفر اليهود وشرهم، وخيانة يهوذا الأسخريوطى الفاحشة في تسليمه المسيح، وسقوط بطرس وضعفه حيث جحد ربه، وجناية اليهود وبيلاطس بقضائهم على المسيح عليه السلام وصلبهم أياه حسب ما يرى النصارى، وقيامة المسيح، والعجائب المصاحبة لها

(١) محاضرات في النصرانية ص٥٣.

(٢) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٨١.

حسب ما يعتقده النصارى [١].

والأمور الشهيرة التي ذكرها متى وغيره من الإنجليين زيارة المجوس للمسيح، ونزول المسيح إلى مصر، وقتل هيرودس الصبيان في بيت لحم، وحكم زوجة بيلاطس، وإرشاء رؤساء الكهنة والشيوخ الحراس الرومانيين، ومشى بطرس على الماء، ونهاية الأسخريوطى [٢].

أما رأى العلماء في إنجيل متى، فهناك مآخذ كبيرة وجهها العلماء الثقات إلى إنجيل متى، منها ما يتوجه إلى هذا الإنجيل من ناحية الإسناد حيث وصل إلينا هذا الإنجيل بطريقة يشوبها اللبس والغموض، فعلماء النصارى يقفون حيارى أمام تحديد الزمن الذي كتب فيه هذا الإنجيل، وما قالوه عن تاريخ تدوينه لا يعدو الظن والتخمين، والقول بالظن وعدم اليقين في كتاب كهذا يدين به ملايين البشر له خطره وخطورته.

كما أننا لا نعرف شيئا عن النسخة الأصلية التي كانت بالآرمية أو العبرية، وإذا كانت النسخة التي وصلت إلينا مكتوبة باللغة اليونانية، فمن الذي قام بالترجمة من اللغة الأصلية التي كتب بها إلى اللغة اليونانية؟ وكيف كان حاله من صلاح أو غيره؟ وهل كان عالما بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتى ترجم إليها؟

لقد كنا نود أن يكون بين أيدينا الأصل الذي ترجم حتى نحكم به على الترجمة، هل هى طبق الأصل أم لا؟ وكنا نود أيضا أن نعرف المترجم حتى ندرس علمه وخلقه، وهل هو عالم لا يزيد على العلماء،

---

(١) مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ص٢٢٢.

(٢) السابق ص٢٢٣، وقاموس الكتاب المقدس ص٨٣٤.

فقيه في المسيحية حجة فيها، عارف للغتين فاهم لهما؟ فعندئذ كنا نقول ثقة روى عن ثقة بترجمته، ولكن امتنع هذا أيضا[١]. فهذا هو حال إنجيلهم الأول، فهل يمكن أن نثق فيه ونحن لا نعرف من ترجمه، وهل الترجمة صحيحة أم محرفة؟

قال الشيخ محمد أبو زهرة: (لقد اشتمل بعض هذه الكتب على أخبار لو صحت لكانت معلومة مشهورة في التاريخ، يعرفها الخاص والعام ولدونتها كتب التاريخ على أنها حوادث مفردة عجيبة في الدهر، إن أمثال هذه الحكايات كانت في حاشية النسخة العبرية وأدخلها الكتاب في المتن، وهذا وقع في يد المترجم فترجمها كما وجدها) [٢].

ويعلق الشيخ محمد الغزالي على النص السابق بقوله: (لعل كثيرا مما في المتن أصله في الحاشية ثم نقل خطأ في المتن، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يكون هذا الكتاب وأشباهه مصدرا لاعتقاد جازم وإيمان بدين؟ وكيف يزعم زاعم أن هذا الكتاب بحواشيه الداخلية غير المعلومة من متنه الأصلي هو بإلهام من الله العلي القدير؟)[٣].

ويضرب الشيخ محمد الغزالي مثلا على الأحداث الغريبة التي يشتمل عليها إنجيل متى فيقول: هذا متى يقول عند صلب المسيح وقيامته: (فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح، وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت والصخور

---

(١) النصرانية محمد أبو زهرة ص٥٣، وانظر أيضا نظرة في كتب العهد الجديد للدكتور محمد توفيق صدقي ص٣.

(٢) محاضرات في النصرانية ص٥٤.

(٣) إظهار الحق ١/٢٤١.

تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين، وأما قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كانوا خائفين جدا وقالوا: حقا كان هذا ابن الله) متى ٢٧: ٥٠/٥٤.

وهذه حادثة عظيمة لو صحت لدونها التاريخ العام الذي لم يشر إلى المسيح بكلمة ولو صحت أيضا لآمن الرومان واليهود، أو آمن نفر منهم، الصخور تنشق، والأرض تزلزل، والأموات ينشرون ويسيرون على الأرض، ويراهم الكثيرون ويبقى بعد ذلك مساغ لإنكار؟ ومع هذا لم ترد أخبار بإيمان أحد من اليهود على أثر تلك البينات الباهرات، ولقد جزم العلامة المسيحى نورتن بكذب هذه الحكاية، وقال في تكذيبها: هذه الحكاية كاذبة [1].

وقد عاب الدكتور موريس بوكاى على متى أنه يتصرف بحرية خطيرة مع النصوص، ويلاحظ ذلك فيما يتعلق بنسب المسيح الذي يضعه في بداية إنجيله ثم قال: (وقد ألحق بكتابه روايات يستحيل بالدقة تصديقها) [2].

وقد استدل الدكتور بوكاى بهذه الحكاية على خيال متى الواسع في سرده للأحداث التي تواكب موت المسيح، وبعد أن أورد القصة سالفة الذكر فنراه يقول: (وليس لهذه الفقرة من إنجيل متى الإصحاح ٢٧ الفقرات من ٥١ إلى ٥٣ مثيل في الأناجيل الأخرى) [3].

---

(١) راجع أيضا إظهار الحق ١/٢٤١.

(٢) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٨٢.

(٣) السابق ص٨٣.

ولا ندرى كيف استطاعت أجساد القديسين المعينين أن تقوم عند موت المسيح أى قبل يوم السبت كما تقول الأناجيل وألا تخرج من قبورها إلا بعد قيامة عيسى، أى غداة السبت حسب نفس المصدر، وربما كان إنجيل متى هو الذي يحتوى على هذا القول الذي يتميز بعدم معقولية لا جدال فيها [(١)].

ويثبت إنجيل متى في نصه أن متى لم يكن هو مؤلف إنجيل متى، تأمل النص التالي: (واجتاز يسوع من هنا، فرأى رجلا عند مكان الجباية اسمه متى، فقال يسوع له: اتبعنى، فقام متى وتبعه). متى٩: ٩. ولا يحتاج المرء ذكاء خارقا ليستنتج أن الضمائر هذه لا تعنى أن يسوع أو متى هما مؤلفا هذه الرواية، بل شخص ثالث كان يسجل الوقائع من الشائعات، فإذا لم ينسب هذا الكتاب إنجيل متى إلى متى الحوارى فكيف نقبله ككلام من الله؟

- تعريف بإنجيل مرقس وثبوت التناقض والجهالة في نسبته إلى عيسى.

مرقس اسمه يوحنا، ويلقب بمرقس، أمه كانت أختا لبرنابا صاحب الإنجيل، ولم يكن مرقس من تلاميذ المسيح ولا حوارييه، وإنما كان من طبقة السبعين، ويذكر علماء النصارى أن المسيح كان يتردد على بيته، وقد رافق مرقس بولس وبرنابا للتبشير بالنصرانية في أنطاكية وقبرص، ثم عاش في أسيا الصغرى [(٢)] .

وعلى يد مرقس دخلت الديانة المسيحية مصر في القرن الأول، فقد

---

(١) السابق ص٨٢، ص٨٣

(٢) انظر تاريخ الأمة القبطية ٢/٦١.

ذهب إليها عن طريق الصحراء الغربية في منصف القرن الأول الميلادى تقريبا، فمر أولا ببعض بلاد الوجه القبلى، ثم انتقل إلى الإسكندرية شمالا، وأخذ يبشر فيها بدعوى المسيح عليه السلام [١].

وأول من قبل بشارته إسكاف اسمه أنبانوس ذهب إليه مرقس ليصلح حذاءه، فحدث بينهما تعارف، فدعاه الإسكاف إلى بيته، وجمع له أصحابه وجيرانه الذين أمنوا بدعوة المسيح عليه السلام [٢].

ثم أقام مرقس أنبانوس أسقفا وسافر إلى روما، ثم عاد إلى الديار المصرية، وأخذ يجول في البلاد مبشرا بدعوة المسيح حتى كثر أتباعه، وقد جاء في كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار أن مرقس كان ينكر إلوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحوارى[٣].

وفي يوم عيد القيامة الذي وقع في ٢٦ إبريل سنة ٦٨ ميلادية بينما كان المسيحيون يحتفلون بالعيد في كنيستهم، هاجمهم الوثنيون وقبضوا على مرقس وظلوا يعذبونه حتى مات[٤].

أما إنجيل مرقس فهو أقصر الأناجيل وأقدمها كما يقول موريس بوكاى ومع ذلك فلم يكتبه حواري، بل على أفضل تقدير كتبه تلميذ لأحد الحواريين[٥]. وليس لدى النصارى معلومات دقيقة عن الزمن الذي كتب فيه إنجيل مرقس، ولا يجزمون في ذلك بشيء.

---

(١) السابق ٢/٦٤، ومفاتيح كنوز الأسفار الإلهية ٢/٣٤.
(٢) السابق ٢/٦٥.
(٣) مروج الأخبار في تراجم الأبرار لأبي زهرة ص٥٥.
(٤) انظر تاريخ الأمة القبطية ٢/٦٦، ومرشد الطالبين ص٢١٦.
(٥) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل ص٨٤.

قال حبيب جرجس: إن مرقس كتب إنجيله سنة ٦١م [١]. وهذا القول رجم بالغيب لا يعتمد على بينة، ولذلك يقول أنطون صالحاني: لم يتفق شارحو الكتاب المقدس في تعيين الزمان الذي كتب فيه مرقس إنجيله، ومنطوق الإنجيل لا يبين ذلك[٢].

ولا يدرى علماء النصارى أيضا أيهما أسبق وجودا، إنجيل متى أم إنجيل مرقس؟ فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس: (ويظن بعض العلماء أن مرقس هو أول الأناجيل التي دونت وأن متى ولوقا استخدما على وجه العموم نفس النقاط الرئيسية التي وضعها مرقس)[٣].

أما لغة إنجيل مرقس التي كتب بها فمن المقرر أنه كتب باليونانية وكانت هذه اللغة شائعة عند الرومانين[٤].

ولم يكتب مرقس الإنجيل لأجل اليهود المتنصرين كما فعل متى، ولا لأجل سكان أورشيلم واليهودية، بل لأجل المسيحيين المرتدين من الوثنين في رومية [٥].

وأهم الأمور التي يشتمل عليها إنجيل مرقس خبر خدمة يوحنا المعمدان وخبر تعميد المسيح، ويتضمن تعاليم المسيح، وخبر دخول المسيح إلى أورشليم وأمثاله ومخاطباته هناك، وموته وقيامته حسب اعتقاد النصارى، وقد ذكر أعجوبتين لا يذكرهما غيره، وهما شفاء الأصم،

---

(١) المبادئ المسيحية ص٨.

(٢) مقال مرقس صاحب الإنجيل الثاني، مجلة الشرق ص٥٦٩ مجلد ٢٧.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص١٢١، وانظر أديان العالم لحبيب سعيد ص٢٧٢.

(٤) مقال مرقس صاحب الإنجيل الثاني مجلة المشرق ص٥٧٠ مجلد ٢٧.

(٥) السابق ص ٥٦٨.

وفتح عيني الأعمى الذي كان في بيت صيدا [١].

ومن المآخذ على إنجيل مرقس أن الجزء الأخير من الإنجيل وجد في بعض المخطوطات القديمة، ولم يوجد في البعض الآخر مثل المخطوطة السينائية، ومخطوطة الفاتيكان[٢].

وهذا الكلام الذي يقوله علماء النصارى أنفسهم يعني أن خاتمة إنجيل مرقس مشكوك فيها، وأنها لم تكن موجودة في بعض نسخهم القديمة، ولكنها أضيفت فيما بعد كما هو الحال الآن.

- لم يكن كاتب إنجيل لوقا من تلاميذ المسيح وكان رفيقا لبولس .

لوقا ولد في إنطاكية [٣] ودرس الطب، ونجح في ممارسته [٤]، وكان مرافقا لبولس في أسفاره وأعماله، وهو كاتب سفر أعمال الرسل والإنجيل الذي ينسب إليه، ويروى بعضهم أنه استشهد في حكم نيرون، ويقول آخرون إنه مات في مدينة بتراس ببلاد اليونان سنة ٧٠م [٥].

ولم يكن لوقا كاتب هذا الإنجيل من تلاميذ المسيح، وهو لا يدعى أنه قد شاهد بعينه الأمور التي كتبها، بل يصرح بأنه جمع ما كتبه باجتهاد وتدقيق[٦].

وقد اختلفوا فيمن كتب له هذا الإنجيل فالقس سعيد يقول: إنه

---

(١) مرشد الطالبين ص ٢٢٥، ص ٢٢٦.

(٢) إنجيل مرقس ص١٦ إصحاح ٢/٩، وقاموس الكتاب المقدس ص٨٥٥.

(٣) يقرر د.بوست أنه لم يكن أنطاكيا، وإنما كان رومانيا نشأ بإيطاليا.

(٤) مهنة الطب ليست موضع اتفاق، لأن بعضهم يقرر أنه كان مصورا.

(٥) تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٣.

(٦) مرشد الطالبين ص٢٢٧.

كتب لليونان غير أن لوقا نفسه يصرح في أول إنجيله أنه كتبه إلى رجل يدعى ثاوفيلس، ولكن من هو ثاوفيلس هذا؟

اختلفوا أيضا فمنهم من يقول: إنه كان مصريا، ويقول عنه ابن البطريق إنه من عظماء الروم. فالإنجيل كتب لليونانيين لا للمصريين [١].
ولكن متى كتب هذا الإنجيل؟ يرجح الدكتور بوست أنه كتب سنة ٥٨ إلى ٦٠ من الميلاد. ويقول هورن: ألف الإنجيل الثالث سنة ٥٣م أو سنة ٦٣م أو سنة ٦٤م [٢] .

وأول ما يلاحظ على هذا الإنجيل أن كاتبه ليس تلميذا للمسيح ولم يره، ولا يوجد دليل على أنه كتب إنجيله بالوحى، بل الظاهر من المقدمة أنه كتبه بالاجتهاد، ولم يذكر أيضا هذا الإنجيل صراحة في القرن الأول والثانى إلى سنة ١٨٠م [٣].

ومهما يكن من أمر فإن لوقا كان واضحا وصريحا عندما قال بصراحة إنه سمع كثيرين يكتبون عن وقائع حياة المسيح، ولما كان قد جمع معلومات كثيرة عن هذا من شهود عيان، فقد قرر أن يكتب هو أيضا، ولم يزعم أن روح القدس نزلت عليه، ولا تقمصه وهو يكتب، ومن ثم فلا مسئولية عليه إن اعتبر البعض كتابه هذا منزلا ومقدسا، ولا

---

(١) انظر مرشد الطالبين ص٢٢٧، والنصرانية لأبى زهرة ص٥٨، وقد أكدت هذا الرأي اللجنة التي قامت بترجمة إنجيل لوقا إلى العربية، وقد اعتمد تشكيلها البابا كيرلس السادس فقد قالت اللجنة: وإنجيل لوقا موجه إلى اليونان جميعا لأنه كتب باليونانية.
(٢) النصرانية لأبى زهرة ص٥٨.
(٣) نظرة في كتب العهد الجديد، د.محمد توفيق صدقي ص٦.

غرابة، ولا لوم عليه إن أورد بعض الأساطير التي لا أساس لها من الصحة [(١)]. ويعطى كل من متى ولوقا أنسابا مختلفة والتناقض بينهما كبير من وجهة النظر العلمية [(٢)].

يقول الأب كانيجر عن لوقا كاتب هذا الإنجيل: (لوقا هو أكثر كتاب الأناجيل الأربعة إرهافا في الحس، وأكثرهم ميلا للأدب، إنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائى الحقيقى) [(٣)] .

وأما مصدر وحى لوقا فيخبرنا لوقا مَنْ الذي أوحى إليه أن يكتب للعزيز ثاوفيلس؟ إنه يخبرنا بأنه يمشى على خطى الذين من قبله فيقول: (إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس) لوقا ١/١: ٢.

وهذا يعنى أن الكتابات كثرت عن المسيح عليه السلام وقصته، وأنه رأى أن يقدم المعلومات الصحيحة التي وصلته من شهود عيان، فهو ليس منهم اى أنه لم يشاهد المسائل، ولا عاصر الوقائع التي كتب عنها، ولاحظ أنه حسب ترتيب الإنجيل الحالى فلم يسبقه في الكتابة إلا اثنان متى ومرقص، فكيف يتحدث عن الكثيرين الذين كتبوا إلا إذا كان الكثيرون قد كتبوا على عهده ثم حرقت واختفت أناجيلهم[(٤)].

---

(١) خواطر مسلم ص١٢٢، محمد جلال كشك بتصرف.
(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل لموريس بوكاي ص٨٩.
(٣) السابق ص٨٩.
(٤) خواطر مسلم حول الإنجيل، محمد جلال كشك ص١١٤.

يقول العالم النصراني فيليبس في مقدمته لترجمة بشارة لوقا: (قام لوقا بإذن من نفسه بمقارنة وتنقيح المواد الأدبية المتوفرة، ومن الواضح أنه كانت لديه مصادر إضافية أخرج منها هذه المعلومات) [(١)].

- إنجيل يوحنا وبطلانه واختلاف قساوسة النصارى فيه اختلافا بينا.

يوحنا حسب اعتقادهم هو ابن زبدى وأخو يعقوب الكبير، ولد في بيت صيدا من أعمال الجليل، ويذكر علماء النصارى أن المسيح عليه السلام كان يحبه، وقد نفاه القيصر دوميتانوس إلى جزيرة بطمس أيام الاضطهادات الأولى، ثم عاد من منفاه إلى أفسس ولبث يبشر بها [(٢)].

ينسب إلى يوحنا الإنجيل الرابع، والرسائل الثلاث التي تدعى باسمه، وكان في أواخر أيامه قد ضعف حتى عجز عن الوعظ، ويذكر إبرونيموس إنه توفى عام ٩٨م [(٣)].

وقد اختلف المسيحيون في تاريخ كتابة هذا الإنجيل اختلافا بينا، فصاحب كتاب مرشد الطالبين يذكر أنه كتب سنة ٩٨م[(٤)]. ويقول هورن في تاريخ تدوين هذا الإنجيل: ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨م، أو سنة ٧٠ م، أو سنة ٨٩ م، أو سنة ٩٨م [(٥)]. وقد كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية [(٦)].

---

(١) هل الكتاب المقدس كلام الله؟ نقلا عن أحمد ديدات ص ٧٨.
(٢) تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٣.
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص١١٩.
(٤) المبادئ المسيحية جبيب جرجس ص١٢.
(٥) النصرانية لأبي زهرة ص٦٢.
(٦) تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٣.

والعلة في كتابة إنجيل يوحنا مناصرة الاعتقاد القائل بأن المسيح ليس إنسانا، ولذلك اجتمع عموم أساقفة أسيا وغيرهم عند يوحنا سنة ٩٦م والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح، وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بتخصيص لاهوت المسيح، فلم يسعه أن ينكر إجابة طلبهم[1].

وزعم بعض النصارى المقصد بكتابته إبقاء بعض مسامرات المسيح الضرورية ذات التروى مما لم يذكره باقي الإنجيليين، وإفناء بعض هرطقات مفسدة أشهرها معلمون كذبة في شأن ناسوت المسيح وموته، وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلصهم، وأن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس أسيا وغيرها، والسبب أنه كانت طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته، وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أناجيلهم[2].

ومما دلت عليه نصوص كتب النصارى يتبين أن الأساقفة اجتمعوا والتمسوا من يوحنا أن يكتب لهم عن لاهوت المسيح لأن الطبقة الأولى إلى نهاية القرن الأول كانت تنكر لاهوت المسيح؟ كما أن الأناجيل الثلاثة لم تذكر شيئا من لاهوته، وهو أول دين النصرانية وأساس عقيدتها، فحيث أهملوا هذا الأمر المهم، فقد سقطت عدالتهم وأصبح خبرهم لا يعول عليه، وحيث أن إنجيل يوحنا كتب بالالتماس، فلا يصح أن يقال إنه من الإلهام، فظهر لنا أن البعض من أساقفة الطبقة

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق، باجة جي زاده ص٣٤١ بتصرف.

(٢) الموضع السابق ص٣٤١ بتصرف.

الثانية هم الذين ابتدعوا فرية ألوهية المسيح.

وعار على المسيحى أن يدعى إلهامية كتاب صنف بالالتماس، وكيف يعتقد بلاهوت المسيح الذي أهملته الأناجيل وزاده يوحنا إجابة لطلبهم والتماسهم فخالف بذلك الطبقة الأولى الذين هم أعلم بحقيقة المسيح وأدرى بأخباره وأحواله.

ثم إن اختلاف علماء النصارى في شأن يوحنا وتاريخ تأليفه مع عدم وجود السند المتصل في روايته بطريق التواتر إلى مؤلفه يسقطه عن الاعتبار، ويحط رتبته عن باقي الأناجيل، فضلا عن كونه أعلى منها أو مساويا لها [(١)].

وجمهور النصارى على أن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحوارى غير أن المحققين من العلماء أنكروا ذلك، قال العالم الفرنسى بوكاى: أما فيما يتعلق بيوحنا فمن العسير حقا التأكد بأنه كاتب الإنجيل الذي يحمل اسمه. ثم يقول أيضا: لا تتمسك غالبية المعلقين بالفرض القائل بأنه الذي حرر الإنجيل الرابع.

وقد أورد علماء الأديان كثيرا من الأدلة التي تدل على أن كاتب هذا الإنجيل ليس يوحنا تلميذ المسيح، ومن ذلك أسلوبه الذي يدل على أن كاتب هذا الإنجيل ليس يوحنا، فآخر فقرة منه وهى قوله: هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق، فإنه ذكر فيها يوحنا بضمير الغائب، وأنه كتب وشهد بذلك، فالذى ينقل هذا عنه لابد أن يكون غيره.

---

(١) انظر السابق ٣٤٢.

ولقد كان الخلاف حول هذا الإنجيل وصدق نسبه إلى يوحنا محتدما في القرن الثانى على عهد أرينوس تلميذ بوليكارب الذي هو تلميذ يوحنا، ولم يرد عليهم أرينيوس بأنه سمع من بولكارب أن أستاذه يوحنا هو الكاتب له، كما يشهد كبار كتاب ومؤرخى المسيحية بأن هذا الإنجيل ليس من تصنيف يوحنا، فقد كتب أستادلن أن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية بلا ريب.

ويذكر المحققون كبوطشبندر وكرونيس وغيرهم أن هذا الإنجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه، بل صنفها أحد في ابتداء القرن الثانى ونسبه إلى يوحنا، وأن هذا الإنجيل كان عشرين بابا فألحقت كنيسة أفسس الباب الحادى والعشرين بعد موت يوحنا، كما أن جمهور علمائهم ردوا إحدى عشرة آية من أول الفصل الثامن أسقطها السريان من ترجمتهم(١).

ويعتقد كولمان أن الإضافات اللاحقة واضحة في إنجيل يوحنا مثل الإصحاح الحادي والعشرين، ويعتقد أنه من عمل أحد التلاميذ، وقد أضاف بعض اللمسات إلى متن الإنجيل(٢).

والبرهان القاطع على ذلك ما جاء في دائرة المعارف الكبرى الفرنسية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحوارى

---

(١) إظهار الحق ص٣٤ وما بعدها والفارق بين المخلوقين والخالق ص٣٤٢.

(٢) موريس بوكاى ص٩١.

الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ووضعت اسمه على الكتاب نصا، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة هذا الرجل الفلسفى الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل، فإن أعماله تضيع عليهم سدى لتخبطهم على غير هدى)[١].

وينكر بعض الباحثين أن يكون إنجيل يوحنا تاريخا صحيحا يوثق به، وإنما هو مجموعة رموز وأمثال وأسفار يراد بها معناها دون حقيقتها، ومن هؤلاء الكاهن الفرنسى لوازي الذي يقول في كتابه الذي يدعى الإنجيل الرابع: (ليست روايات يوحنا تاريخا صحيحا، وإنما هي تأملات تَقويّة عن الإنجيل، وكذلك الخطب التي رويت في بشارته إنما هي مذكرات لاهوتية في سر الخلاص مجردة عن الحقيقة التاريخية) [٢].

وقد بنى هؤلاء العلماء رأيهم هذا كما يذكر ألفرد دوران اليسوعي على ما وجدوه من التباين بين الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا وبين إنجيل يوحنا.

وهناك مسائل كثيرة مذكورة في هذا الإنجيل الرابع ولا أثر لها في الثلاثة الأولى كدعواه أن يوحنا ذهب مع بطرس إلى دار رئيس الكهنة

---

(١) محاضرات في النصرانية ص٥٥.

(٢) إنجيل يوحنا لألفرد اليسوعي مقال بمجلة المشرق ١٩٧٧ص١٠٦٦.

وقت محاكمة المسيح، ودخوله وحده قبل بطرس، ثم استئذانه له ١٥/١٨، وأنه دون سائر التلاميذ، وكان واقفا عند الصليب مع مريم أم عيسى ٢٦/١٩، وذهابه مع بطرس إلى القبر بعد قيامة المسيح منه ٢/٢٠. وتسميته نفسه في أغلب الأوقات بالتلميذ الذي يحبه يسوع ٢٠/٢١، إلى غير ذلك مما لم يرد في الأناجيل، للمبالغة في مدح يوحنا وتعظيمه عن باقي التلاميذ، ولذلك لم يروها إنجيل من الأناجيل الأخرى وهي من الأهمية بمكان عظيم لو صحت[1].

وقد صورت الأناجيل الثلاثة الأولى المسيح بأنه ما كان يعلم أن يهوذا الأسخريوطي سيسلمه إلا في آخر حياته، وأنه ما كان يعلم متى تقوم القيامة، وأنه كان حزينا جدا، ويستغيث بالله مرار لينجيه من الصلب حتى صار يتصبب عرقا من كثرة الإلحاح في الدعاء، فنزل عليه ملك من السماء ليقويه، وأما الإنجيل الرابع فصوره بأنه كان من أول الأمر يعلم أن يهوذا سيخونه، وأنه يعلم كل شئ، وأنه ما كان حزينا لأجل الصلب، غير أنه اضطرب قليلا، وأنه أسلم نفسه لليهود طائعا مختارا، حتى كانوا يسقطون على الأرض هيبته [2].

وقد ذكرت الأناجيل الثلاثة الأولى أن رجلا نادى عيسى بقوله: أيها المعلم الصالح، فأنكر المسيح عليه ذلك تواضعا، وقال له: لماذا تدعوني صالحا، ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله. وأما يوحنا فلم يذكر هذه القصة مطلقا كعادته، وروى عن المسيح أنه كان يقول مرارا: أنا هو الراعي الصالح. وأنه قال: أنا والأب واحد، وغير ذلك كثير مما لم تروه

---

(١) السابق ص٨.

(٢) السابق ص ١٢.

الأناجيل الأخرى، وإن كانت العبارة الأخيرة التي رواها يوحنا ليست نصا في ألوهيته، إذ حملها على المجاز سهل كما هو ظاهر، وقد قال المسيح أيضا نحوها في تلاميذه إلا أن روح العظمة والكبرياء التي في رواية يوحنا هذه لا تتفق مع روح التواضع التي في روايات الآخرين عن المسيح[١].

فإن كان ما رواه يوحنا عنه صحيحا فمن أقبح النقص، ومن أعظم أسباب تضليل الناس في أمر المسيح أن يترك ذلك الإنجيليون الثلاثة وخصوصا لوقا الذي تعمد أن يكون إنجيله كاملا وجامعا لجميع أخبار المسيح وأقواله المهمة، إذ قد تتبع كما يقول عن نفسه كل شئ من الأول بتدقيق، فلا يعقل أن مثل هذا الكاتب المدقق يترك كل أقوال المسيح المهمة في مبحث ألوهيته ليكملها له يوحنا أو غيره كما يدعون، فلم إذا لم يوح إليه ما أوحى إلى يوحنا مع أن يوحنا لم يرد أن يكون إنجيله كاملا كلوقا؟ أم نسى الله أن يلهمه هذا المبحث العظيم، ولم يعلم أن ذلك سيكون سببا في إنكار كثير من الناس إلوهية عيسى في كل زمان ومكان، وتكذيبهم يوحنا فيما رواه وانفرد به دون جميع زملائه الآخرين حتى إن تسمية المسيح بالابن الوحيد وبالكلمة بالمعنى الذي أراده يوحنا لم ترد في كتاب من كتب العهد القديم أو الجديد إلا في المؤلفات المنسوبة إلى هذا الرجل، وما هى إلا فلسفة يهود الإسكندرية وغيرهم في الكلمة سرت إلى المؤلف فطبقها على المسيح، والمسيح براء مما ينسبه إليه، أو يرويه عنه كما هو ظاهر من الأناجيل الأخرى [٢].

---

(١) السابق ص٢٥.

(٢) السابق ص٢٦.

• إقامة البرهان وتعدد الدليل على وقوع التحريف في الإنجيل.

أولا: فقدان الإنجيل الأصلي، لقد جاء المسيح عليه السلام بإنجيل أي بشارة بشر بها باللغة الآرامية، فأين هو هذا الإنجيل؟ إن العالم كله بجميع كنائسه وبكل مذاهب النصرانية فيه لا يملك نسخة واحدة من هذا الإنجيل، إنجيل المسيح عليه السلام، والذي لدى كل الكنائس المسيحية هي أناجيل لا يُنسب واحد منها إلى المسيح، وإنما هي سير وقصص كتبها كتاب متعددون ومختلفون، ودونوا فيها ما سمعه كل واحد منهم عن ظهور المسيح، وما تحدث به، وما حدث له.

من هنا فإن الإنجيل الذي جاء به المسيح والذي تحدث عنه القرآن الكريم باعتباره ذكرا أنزله الله، وفيه هدى ونور، والذي يطلب من النصارى أن يقيموا أحكامه، هذا الإنجيل لا وجود له لدى أي كنيسة من كنائس النصرانية، ولا لدى أي نصراني في هذا العالم.

ثانيا: أن الأناجيل الأربعة المشهورة، والمعتمدة لدى الكنائس النصرانية الكبرى المعاصرة، اثنان منها كتبهما اثنان من الجيل التالي لجيل المسيح أي من تابعي صحابة المسيح، فمرقس تلميذ لبطرس الحواري، ولوقا تلميذ لبولس فليسا شاهدين على ما كتبا! والإنجيل الثالث إنجيل يوحنا الذي تفرد بتأليه المسيح ترجح الدراسات المستندة إلى النقد الداخلي لنصوصه أنه قد كتب بواسطة يوحنا آخر غير يوحنا الحواري في نهاية القرن الأول الميلادي[1]. فنحن أمام ثلاثة أناجيل من أربعة لا علاقة لها بعصر المسيح!

---

(١) دائرة المعارف البريطانية، المجلد الثاني ص ٩٥٥.

ثالثا: أن هذه الأناجيل قد انتقلت نصوصها وتغيرت ألفاظها مرات عديدة بالترجمات إلى العديد من اللغات، الأمر الذي باعد بين ألفاظها في هذه الترجمات وبين أصولها بعدا شديدا، وإذا كانت الترجمة مهما بلغت دقتها إنما تمثل نوعا من الحكاية عن النص الأصلي وخاصة عندما يكون النص ذا طابع شعري أو وعظي أو صوفي، تكثر فيه المجازات والكنايات والاستعارات والتشبيهات كما هو حال هذه الأناجيل، فمن ذا الذي يجرؤ على الحديث عن انتفاء التحريفات والتغييرات التي أصابت هذه الأناجيل؟ إن إنجيل متى على سبيل المثال وهو الذي يتصدر أناجيل العهد الجديد قد كتب أولا بالآرمية لا بالعبرية ولقد ترجم إلى اليونانية وضاع النص الأول وبقي الثاني[١].

وإذا كانت الأناجيل قد مرت بمئات التغييرات في الألفاظ ومن ثم في المعاني عندما ترجمت مئات الترجمات إلى مئات اللغات الأمر الذي يفتح الباب لدراسات مقارنة لهذه الاختلافات في ألفاظها ومعانيها. فإننا مراعاة للمقام سنضرب على ذلك بعض الأمثلة:

أ- لقد ترجم إنجيل مرقس ترجمة مصرية جديدة وترجمة عربية ومن يقارن هذه الترجمة بنظيرتها العربية الموجودة ضمن مجموعة الكتاب المقدس سيجد العديد من الاختلافات في كل صفحة من الصفحات! فأول سطر في الطبعة العربية التقليدية: بدء إنجيل المسيح ابن الله نجدها في الترجمة العربية الجديدة: هذه بداية بشارة يسوع المسيح ابن الله فبدء أصبحت هذه بداية، وإنجيل صارت بشارة! وفي الآية الثانية نجد كما هو مكتوب في الأنبياء في الطبعة العربية التقليدية، قد صارت وفقا لما

(١) المسيح في الإسلام د. ميشال الحايك ص١٢٤.

هو مكتوب في سفر إشعيا النبي! في الترجمة العربية الجديدة.

وهكذا امتلأت كل صفحة من صفحات هاتين الطبعتين بالعديد من الاختلافات في الإنجيل الواحد، وفي اللغة الواحدة فما بالنا بما أصاب هذا الإنجيل وغيره من الاختلافات والتحريفات عبر مئات الترجمات إلى مئات اللغات؟ [١].

ب- لقد شهد عقد التسعينات من القرن العشرين ترجمات جديدة لنصوص العهدين القديم والجديد إلى العديد من اللغات الحية، وقفت وراءها الحركات الأنثوية الغربية المتطرفة، وتم في هذه الترجمات الجديدة تحييد الأسماء الكثيرة المذكرة في هذه النصوص، كي لا تكون الثقافة الدينية فيها ثقافة ذكورية كما تقول هذه الحركات الأنثوية المتطرفة، أي أن التغييرات والتحريفات قد طالت حتى أسماء الله والأنبياء والقديسين! وهذه الترجمات الجديدة يتم الترويج لها، والإشاعة لثقافتها بواسطة قوى العولمة وما بعد الحداثة عبر قارات العالم المعاصر! إذن، فنحن أمام نصوص دينية لا تمتلك شيئا من القدسية أو شروط النص التي تعارف عليها العلماء.

رابعا: إننا إذا نظرنا في افتتاحية إنجيل لوقا الإصحاح الأول، فنقرأ قول لوقا تلميذ بولس: (إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا ايضا إذ قد تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق

---

(١) قارن إنجيل مرقس طبعة دار الكتاب المقدس، ضمن مجموعة العهد القديم والجديد بالطبعة العربية التي ترجمتها لجنة مكونة من زكي شنودة، ومراد كامل، طبعة دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٥م.

أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفليس، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به) لوقا١/٤.

نحن أمام نص يقول لنا إن كثيرين وليسوا أربعة فقط قد ألفوا أناجيل كثيرة هي قصص عن ما سلمه الذين عاينوا، ولوقا هذا قد كتب قصته إنجيله ليصحح الكلام الذي كتبه الكثيرون من كتَّاب الأناجيل الكثيرة!. ادعى أنه هو الذي تتبع كل شئ من الأول بتدقيق رغم أنه من التابعين وليس من تلامذة المسيح عليه السلام!

وإذا كان كلام الله الذي يستحق هذا الوصف لابد أن يكون وحيا مباشرا ولا يدخل فيه التأليف البشري والإبداع الإنساني، فإن هذه الأناجيل التي كتبها بشر، والتي حفلت بالعديد من الاختلافات والتناقضات لا يمكن أن تكون وحيا إلهيا، وإلا لجاز لنا في الإسلام أن نطلق وصف الوحي وكلام الله على آلاف الكتب التي ألفت في سيرة رسولنا عليه الصلاة والسلام.

خامسا: من الأدلة على تحريف الأناجيل حدوث الاختلافات والتحريفات والتناقضات وحتى الشكوك في حقيقة كُتَّاب الأناجيل فلقد جاء في دائرة المعارف البريطانية، وهي أوثق وأشهر دوائر المعارف في العالم المسيحي جاء عن هذه الأناجيل الأربعة:

أ- إنجيل متى: إن كون متى هو مؤلف هذا الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد [1]. ومن المسلم به أن متى قد اعتمد في كتابة إنجيله على إنجيل مرقس أول الأناجيل تأليفا، حيث حوى تسعة بالمائة من محتويات إنجيل

(١) دائرة المعارف البريطانية ٦/٦٩٧.

مرقس، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: كيف يعتمد متى وهو حواري المسيح الذي لازمه منذ البداية منذ بداية دعوته على إنجيل كتبه مرقس، وهو تلميذ الحواري بطرس، أي من الجيل الثاني من أتباع المسيح؟!.

ب- ذكرت الموسوعة البريطانية أن إنجيل مرقس في أفضل المخطوطات، تعتبر بعض الأسفار إضافات متأخرة والأعداد الأخيرة فيه غير موجودة في بعض المخطوطات، ويوجد عوضا عنها مقاطع أقصر في مخطوطات أخرى، وهناك خلاف حول تأليف مرقس لهذا الجزء [(١)].

جـ- إنجيل لوقا تقول عنه الموسوعة البريطانية: إن مؤلف هذا الإنجيل يظل مجهولا [(٢)].

د- إنجيل يوحنا: وهو الإنجيل الوحيد الذي ينص على ألوهية عيسى وأنه والآب واحد، وأن الذي رآه فقد رأى الآب يوحنا١/٣، يعارض هذا الإنجيل الأناجيل الأخرى في أمور مهمة جدا وحاسمة، فهو يذكر أن المسيح صلب يوم ١٤ إبريل، بينما يفهم من بقية الأناجيل أن الصلب كان يوم ١٥، ولا يذكر يوحنا في إنجيله تفاصيل رواية القربان المقدس، أو العشاء الأخير التي أصبحت فيما بعد شعيرة من شعائر المسيحية، ولا يذكر أن المسيح تعمّد بواسطة يوحنا المعمدان، وفي حين يفهم من إنجيل يوحنا أن رسالة المسيح استغرقت ثلاثة أعوام، فإنه يفهم من الأناجيل الأخرى أنها استغرقت عاما واحدا.

ويوحنا هو الوحيد الذي ذكر أن عيسى أخبر تلاميذه، قبل صلبه أنه

---

(١) المصدر السابق ٢/٩٥١.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٩٥٤.

سيرسل الفارقليط، وهذه الاختلافات المهمة وغيرها كثير، مما جعلت الموسوعة البريطانية تورد قول أحد الأساقفة وهو بابياس المتوفى سنة ١٣٠م أي المعاصر لكتابة الأناجيل عن وجود أكثر من يوحنا، يوحنا بن زيدي الحواري، ويوحنا آخر هو الكاهن في أفسس.

وفي داخل الإنجيل يفهم أنه كتب بواسطة حواري محبوب مجهول الاسم، وبما أن الشواهد الداخلية والخارجية مشكوك فيها، فإن الفرضية المطروحة لهذا العمل هي أن إنجيل يوحنا ورسائله حررت في مكان ما في الشرق، ربما في أفسس، كإنتاج لمدرسة، أو دائرة متأثرة بيوحنا في نهاية القرن الأول الميلادي[1].

سادسا: أن تاريخ كتابة هذه الأناجيل متأخر عن عصر المسيح عليه السلام وتاريخ وفاته، فأقدم هذه الأناجيل كما تذكر الموسوعة البريطانية هو إنجيل مرقس الذي كتب ما بين سنة ٦٥م وسنة ٧٠م أي بعد ثلاثين عاما من رفع المسيح عليه السلام، وإنجيل متى كتب ما بين سنة ٧٠م وسنة ٨٠م، وإنجيل لوقا كتب سنة ٨٠م، أما إنجيل يوحنا فكتب في نهاية القرن الميلادي الأول أي سنة ١٠٠م [2].

هذا إذا سلمنا بأن كُتّابها هم الذين نُسبت إليهم كتابتها! مع الأخذ في الاعتبار أن مرقس ولوقا لم يشهدا أحداث القصة التي كتباها، وإنما كتبا ما سمعاه شفهيا من قصص تلك الأحداث، نقلا عن الجيل السابق عليهما! وكما يقول الأسقف بابياس المتوفى سنة ١٣٠م أي المعاصر

(١) المصدر السابق ٢/٩٥٥.

(٢) المصدر السابق ٢/٩٥٥، وانظر كذلك محمد السعدي حول موثوقية الأناجيل والتوراة ص ١٥، ص٢٤ طبعة طرابلس ليبيا سنة ١٩٨٦م.

لكتبة هذه الأناجيل، فإن مرقس الذي كان ترجمانا لبطرس، قد كتب القدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ما قيل عن أعمال يسوع وأقواله، ولكن دون مراعاة للنظام، لأن مرقس لم يكن قد سمع يسوع، ولا كان تابعا شخصيا له، لكنه في مرحلة متأخرة قد تبع بطرس[1].

سابعا: ثم كيف ينتفي التحريف اللفظي عن هذه النصوص، وهناك مغايرة بين اللغة التي كان يعظ بها المسيح ﵇، أي لغة الإنجيل الذي جاء به وهي اللغة الآرامية وبين اللغة الإغريقية التي كتبت بها النسخ الأصلية لهذه الأناجيل؟ الأمر الذي جعل الأب كانينجسر الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس يقول: لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل، إنهم حفظوا منها نصيبا، وإنهم حرَّفوا النصيب الذي أتوه، فهي كتابات ظرفية خصامية حرر مؤلفوها تراث جماعتهم المسيحية.

كما كتب مؤلفو كتاب الترجمة المسكونية للعهد الجديد وهم أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت فقالوا: لقد جمع المبشرون وحرروا، كل حسب وجهة نظره الخاصة ما أعطاهم إياه التراث الشفهي [2].

ثامنا: إن الأصول الأولى لكل الأناجيل المشهورة والمعتمدة عند الكنائس المسيحية قد فقدت، وأقدم المخطوطات لهذا الأناجيل الحالية يفصل بينها وبين المسيح وعصر من نسبت إليهم هذه الأناجيل ما يقرب من ثلاثمائة عام، وبشهادة الموسوعة البريطانية: فإن جميع النسخ الأصلية

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص٥١، طبعة مكتبة وهبة القاهرة سنة ١٩٧٨م.

(٢) موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٧٨.

للعهد الجديد التي كتبت بأيدي مؤلفيها الأصليين قد اختفت، وأن هناك فاصلا زمنيا لا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة سنة بين أحداث العهد الجديد وتاريخ كتابة مخطوطاته الموجودة حاليا [١].

تاسعا: إذا كان فقد المخطوطات الأصلية للأناجيل واختفائها ووجود فجوة زمنية تبلغ مئات السنين بين الأصول الأولى للأناجيل وبين المخطوطات التي أخذت عنها هذه الأناجيل الحالية لا يكفي دليلا للتحريف عند النصارى، فإن هناك أكثر من مائة وخمسين ألفا من مواضع الاختلاف بين المخطوطات التي طبعت منها الأناجيل المتداولة الآن، وهذه الاختلافات ليست بين مخطوطات الأناجيل المختلفة فقط، بل في مخطوطات الإنجيل الواحد، وبنص عبارة الموسوعة البريطانية: فإن جميع نسخ الكتاب المقدس قبل عصر الطباعة تظهر اختلافات في النصوص، وإن مقتبسات آباء الكنيسة من كتب العهد الجديد والتي تغطيه تقريبا، تظهر أكثر من مائة وخمسين ألفا من الاختلافات بين النصوص[٢].

وهذه الحقيقة التي أشارات إليها الموسوعة البريطانية في حقيقة الاختلافات بين نصوص الأناجيل التي اقتبسها الآباء آباء الكنيسة وبين صورة هذه النصوص في الأناجيل الحالية عليها شواهد ونماذج كثيرة، فلقد كان انتقال التبشير بالمسيحية من الإطار الإسرائيلي الذي بُعث إليه المسيح إلى إطار الأممي سببا في تغيير وتعديل نصوص الأناجيل لتلائم التبشير بين الأمم، وذلك بحذف الكلمات التي تشير إلى اختصاص

(١) المصدر السابق ٢/٩٤١.

(٢) المصدر السابق ٢/٩٤١.

النصوص ببني إسرائيل أو تشير إلى تراثهم، فالإنجيل قد كتب أكثر من مرة، وتعدلت صياغته لاعتبارات عديدة تاريخية ومعنوية، وأضفى عليه كاتبوه صورا ومعاني ومؤثرات لم تكن به من قبل نتيجة خبراتهم، وقراءاتهم، واستماعهم، وطبيعة جمهورهم الذي يبشرونه بهذا الإنجيل، ثم وضعوا كل هذا الذي ابتدعوه على لسان المسيح عليه السلام [(١)].

وهكذا صاحب التحريف التطورات التي طرأت على مسيرة التبشير بالنصرانية حتى قال القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي عن النصرانية التي زرعها بولس في الدولة الرومانية والتي طوعها للوثنية الرومانية: إن النصرانية عندما دخلت روما لم تتنصر روما، ولكن النصرانية هي التي تروّمت.

عاشرا: بالإضافة إلى الاختلافات والتناقضات في الأناجيل الموجودة والمفترض أن المسيح قد بشر بإنجيل واحد، هناك غير الأناجيل الأربعة التي تقرر اعتمادها من قبل الدولة الرومانية وليس من قبل الله، فهناك إنجيل متى غير الإنجيل الشهير بهذا الاسم، وإنجيل مرقس آخر، وإنجيل نيقوديموس، وإنجيل يعقوب، وإنجيل لوقا في نصه اللاتيني، وإنجيل لوقا في نصه السرياني، وإنجيل الطفولة في نصه الأرمني، وإنجيل الطفولة في نصه السرياني، وإنجيل توماس الذي ذهب يبشر في أرض بابل، وإنجيل فيلبس الذي ذهب يبشر في القيروان وقرطاجنة، والنص العربي القديم لقصة يوسف النجار، فإذا أضفنا إلى هذه الأناجيل إنجيل برنابا، وإنجيل يهوذا، وإنجيل العبريين، وإنجيل الناصريين، وإنجيل الحقيقة، وكذلك

---

(١) عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية حسنى يوسف الأطير ص١٣٧، طبعة مكتبة النافذة القاهرة سنة ٢٠٠٤م.

الأناجيل التي اكتشفت ضمن مخطوطات نجع حمادي في صعيد مصر سنة ١٩٤٧م، وفيها ٥٣ نصا، وتقع في ١١٥٣ صفحة والتي جمعت في ١٣ مجلدا وهي التي يرجع تاريخ كتابتها إلى ما قبل كتابة الأناجيل الأربعة المشهورة بعشرين عاما ومنها إنجيل مريم المجدلية، وإنجيل فليب، وإنجيل بطرس، وإنجيل المصريين، إذا علمنا هذا العدد غير المحصور للأناجيل والذي وصل في الموسوعة الأمريكية إلى ستة وعشرين إنجيلا ووصل في بعض الدراسات إلى مائة إنجيل! ظلت شائعة معتمدة لدى طوائف نصرانية كبيرة وكثيرة حتى القرن الرابع الميلادي عندما قرر مجمع نيقية سنة ٣٢٥م إلغاء الأناجيل التي لا تقول بألوهية المسيح! إذا علمنا ذلك رأينا حقيقة غيبة الموثوقية عن هذه الأناجيل التي هي قصص وتدوين لثقافة شفهية، والتي اعتمد الرومان أربعة منها، فرضوها بقوة الدولة على المخالفين [١].

- **دين النصارى قائم على شتم الله والشرك به في خرافة الفداء.**

ذكر ابن القيم أن النصارى يعتقدون أن رب السموات والأرض تبارك وتعالى نزل عن كرسي عظمته وعرشه ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتحيض فالتحم ببطنها، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين البول ودم الطمث، ثم خرج منها يصرخ، وكلما بكى ألقمته أمه ثديها، ثم انتقل إلى المكتب بين الصبيان، ثم آل أمره إلى لطم اليهود خديه، وصفعهم قفاه، وبصقهم في وجهه، ووضعهم تاجا من الشوك على رأسه، والقصبة في يده استخفافا به، وانتهاكا لحرمته، ثم قربوه من مركب فشدوه عليه، وربطوه بالحبال وسمروا يديه ورجليه،

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٣٧، ٣٨.

وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد، وألم الصلب، هذا وهو الذي خلق السموات والأرض، وقسم الأرزاق والآجال، ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن أعداءه من نفسه لينالوا منه ما نالوا، فيستحقوا بذلك العذاب والسجن في الجحيم، ويفدي أنبياءه ورسله وأولياءه بنفسه، فيخرجهم من سجن إبليس، فإن روح آدم وإبراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم كانت في سجن إبليس في الناس حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعداءه من صلبه.

وأما قولهم في مريم فإنهم يقولون إنها أم المسيح ابن الله في الحقيقة، ووالدته في الحقيقة، لا أم لابن الله إلا هي، ولا والدة له غيرها، ولا أب لابنها إلا الله، ولا ولد له سواه، وأن الله اختارها لنفسه، ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء، ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها، ولكن اختصت عن النساء بأنها حبلت بابن الله وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره، ولا والد له سواه، وأنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى، والد ابنها، وابنها عن يمينه.

والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق، وصحة البدن، وطول العمر، ومغفرة الذنوب، وأن تكون لهم عند ابنها ووالده الذي يعتقد عامتهم أنه زوجها، ولا ينكرون ذلك عليهم، ويقولون في دعائهم: يا والدة الإله اشفعي لنا، وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين، ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة، حتى إن اليعقوبية يقولون في مناجاتهم لها: يا مريم يا والدة الإله كوني لنا سورا وسندا وذخرا وركنا. والنسطورية يقولون: يا

والدة المسيح كوني لنا كذلك. ويقولون لليعقوبية: لا تقولوا يا والدة الإله وقولا: يا والدة المسيح، فقالت لهم اليعقوبية: المسيح عندنا وعندكم إله في الحقيقة، فأي فرق بيننا وبينكم في ذلك، ولكنكم أردتم مصالحة المسلمين ومقاربتهم في التوحيد.

والراهب والقسيس يغفر ذنوبهم، ويطيب لهم نسائهم، وليس عند النصارى على من زنا أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبدا، ولا عذاب في الآخرة، لأن القس والراهب يغفره لهم، فكلما أذنب أحدهم ذنبا أهدى للقس هدية، أو أعطاه درهما، أو غيره ليغفر له به، وإذا زنت امرأة أحدهم بيتها عند القس ليطيبها له، فاذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها قبل ذلك منها، وتبرك به.

ومعلوم أن المسيح لم يفوض الأساقفة والبطاركة في التشريع، بل هم يقرون أن المسيح قال: إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلي، وما جئت ناقضا بل متمما، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئا من شريعة موسى، ومن نقض شيئا من ذلك يدعى ناقضا في ملكوت السماء، وما زال هو وأصحابه كذلك إلى أن خرج من الدنيا، وقال لأصحابه: اعملوا بما رأيتموني أعمل، وارضوا من الناس بما أرضيتكم به، ووصوا الناس بما وصيتكم به، وكونوا معهم كما كنت معكم، وكونوا لهم كما كنت لكم، وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريبا من ثلاثمائة سنة، ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهوون، ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة، فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح إنه ساحر مجنون ولد زانية، فقالوا: هو إله تام وهو

ابن الله، ورأوا اليهود يختتنون، فتركوا الختان، ورأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة، ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجامعوها، ورأوهم يحرمون الخنزير فأباحوه، وجعلوه شعار دينهم، ورأوهم يحرمون كثيرا من الذبائح والحيوان، فأباحوا ما دون الفيل الى البعوضة، وقالوا: كل ما شئت ودع ما شئت ولا حرج، ورأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق، ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها، فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ما شاؤا، ويحللوا ما شاؤا، ويحرموا ما شاؤا، ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الأحد، وأحلوا السبت مع إقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت ويحفظه، ورأوهم ينفرون من الصليب فإن في التوراة ملعون من تعلق بالصليب، والنصارى تقر بهذا فعبدوا هم الصليب، كما أن في التوراة تحريم الخنزير نصا فتعبدوا هم بأكله، وفيها الأمر بالختان فتعبدوا هم بتركه مع إقرار النصارى بأن المسيح قال لأصحابه: إنما جئتكم لأعمل بالتوراة ووصايا الأنبياء قبلي وما جئت ناقضا بل متمما، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئا من شريعة موسى، فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايدة اليهود ومغايظتهم[1].



(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص١٣٩.

المطلب التاسع عشر

منهج القرآن في مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن
أفضل المناهج في مقارنة الأديان



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن النصرانية والانحراف عن دين الحنيفية، وأثر اليهود في ضياع الإنجيل وتخريب المسيحية، وقد تحدثنا عن الخراف الضالة وخروج اليهود عن فطرة العبودية ودين الإسلام، وقصة عيسى وأمه من ولادته على غير العادة إلى رفعه، وبينا أن مؤسس المسيحية بشكلها الحالي هو بولس اليهودي وليس المسيح، وأن النصرانية ديانة متناقضة فرض شركياتها الملك الروماني قسطنطين.

تم تعرفنا على إنجيل متى، وبينا أنه أحد الأناجيل الأربعة المحرفة التي اتفق عليها النصارى، وتعرفنا أيضا على إنجيل مرقس وثبوت التناقض والجهالة في نسبته إلى عيسى، وعلمنا أنه لم يكن كاتب إنجيل لوقا من تلاميذ المسيح وأنه كان رفيقا لبولس، وتكلمنا عن إنجيل يوحنا وبطلانه واختلاف قساوسة النصارى فيه اختلافا بينا، ثم تحدثنا عن إقامة البرهان والدليل على وقوع التحريف في الإنجيل، وعلمنا أن دين النصارى قائم على شتم الله والشرك به في خرافة الفداء.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن منهج القرآن في مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن وأنه أفضل المناهج في مقارنة الأديان[(١)].

- **الحوار الهادف في الإسلام ينطلق من الحرص على نجاة الآخرين.**

من المعلوم أن الحوار الهادف الذي جاء به الإسلام، إنما ينطلق من حرص الداعي المسلم على كل إنسان، والأخذ بيده إلى الجنة والبعد عن النار، فهو بعيد في الأصل عن المصالح الدنيوية الخاصة المبنية على استغلال الآخر والسطو على ممتلكاته التي خوله الله فيها.

ولذلك فإن المعرفة الموضوعية والمنحى الصادق في تعريف أهل الديانات الأخرى بالإسلام، ومقارنته بالجانب الإيجابي في حياتهم سيجعلهم لا محالة يقفون على الحق، وأن الله ﷻ من وراء القصد، ومن ثم فإن الواجب دعوة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار إلى الإسلام ليخرجوا من الظلمات إلى النور، وإقامة الحجة عليهم ليحي من حي عن بينه ويهلك من هلك عن بينة، وأقرب الطرق لذلك طريق الدعوة باللين والموعظة الحسنة كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل:١٢٥.

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ العنكبوت:٤٦.

---

(١) انظر في هذا المطلب بتصرف كتاب ثم شتان للدكتور محمود عبد الرازق الرضواني، نشر مكتبة سلسبيل.

وليس من الحكمة أن نتعجل النتائج سواء مع أهل الكتاب أو غيرهم، ولا يمكن أن ينقلب الناس فجأة في لحظة من حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة؛ لأن الحكمة الإلهية بنيت على التأني عند النظر للأسباب والأخذ بها.

وأما حوار أهل الكتاب وغيرهم لأجل النزول عند رغبتهم، وإرضائهم، وتحقيق أهدافهم، فمنكر عظيم وشر مستطير، وفتنة كبيرة، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ المائدة: ٤٩.

قال ابن القيم في التعليق على قصة قدوم وفد نجران على النبي ﷺ وما فيها من فوائد: (ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليول ذلك إلى أهله، وليخل بين المطي وحاديها، والقوس وباريها)[1].

ومن ثم فإن المقارنة بين الأديان ليست قضية يطرحها أتباع دين معين لإحراج آخرين في محاورة الأديان، وليست مجالا لعرض كلام على العوام ينتصر فيه صاحبه بكثرة الدليل والبرهان في مقابل عجز الآخرين عن التأويل أو التفسير والبيان، وكذلك ليست طرحا لنماذج واقعية حقيقية لهداية مفتعلة لبعض العقلاء من بني الإنسان، أو تمثيلية مفتعلة

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٣/٦٣٩.

لأناس رغبوا عن دين من الأديان رغبة في البحث عن حقيقة الإيمان، وإنما القضية هنا مسألة تجرد وإخلاص في بيان حقيقة أصل الأديان، وهل هي فعلا عدة أديان أم أن الأمر كان دينا واحدا حاد عنه الكثيرون بسبب المصالح الشخصية لكثير من الأحبار والرهبان.

إنها وقفة صدق مع النفس والرجوع إلى أحكام العقل بقواعد النظر والمقارنة بالحجة والبرهان، والتعامل المباشر مع النص المقدس دون وصاية فكرية من فلان أو فلان، فلندَع العقلاء إلى رؤيتهم الشخصية وقناعتهم الفكرية، وهم حكم على أنفسهم فيما يقررونه في أعماق ضمائرهم.

إن المسألة هنا قضية حقيقة تجعل القلب يخشع بتلقائية يوجبها العلم بالحق الذي نزل على محمد ﷺ، وظهور المعرفة به ظهورا بينا يجعل العين تفيض من الدمع خشية من الله إن أنكر صاحبها حقا دامغا ونورا ساطعا، وتالله كم من عَبْرة أو دمعة فاضت دون مقدمات عند العثور على المعلومات والتعرف على الآيات القطعية التي نطق بها محمد بن عبد الله ﷺ ووردت في التوراة أو الأناجيل أو كتب الأنبياء في الكتاب المقدس الذي بأيدي النصارى اليوم.

ومن ثم فإن المسألة هنا أمر تطبيقي حقيقي فعلي في مقارنة الأديان، أو إن شئت قل: تلك هي مقارنة الأديان الحقيقية التي يواجهها كل إنسان، ويترتب عليها مصير من قرأها، لاسيما إن كان مؤمنا يدرك هدفه في الحياة، ويعمل استعدادا للمصير الحتمي الذي سيلقاه.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ

أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ الكهف: ٢٩.

- **فاعلية المقارنة الإيجابية بين القرآن والسنة ونصوص أهل الكتاب.**

تحتوي نسخ الكتاب المقدس عند أهل الكتاب على نصوص كثيرة جدا لو قورنت مقارنة حقيقية مع نصوص القرآن والسنة لوجدنا البرهان الصادق والحق الدامغ في إثبات ما نزل على محمد بن عبد الله ﷺ من الوحي بصورة لا تخفي على من له عينان.

بل إن أي عاقل منصف يعرف من خلالها أن كثيرا من القساوسة والرهبان يعرفون محمدا ﷺ بالدليل والبرهان كما يعرفون أبناءهم، وأنه رسول الله حقا وصدقا، وأنه نبي آخر الزمان إلزاما وحتما، بل ينتاب القارئ شعور غريب وإحساس عجيب عندما يرى أن النصين قد نزلا من السماء وخرجا من مشكاة واحدة، وأن محاولات التغيير وطمس وضوح الحقيقة أمر يعتري الكتب السابقة على الوحي الإسلامي.

بل بدا الأمر وكأنك تعثر على النسخة الثانية لكنز من ذهب خالص مكون من نسختين، النسخة الأولى موجودة بيننا مكتوبة بحروف بارزة منقوشة على ألواح من ذهب خالص لم تمسسها يد إنسان، وهي على الدوام كائنة بيننا تبرق في سناها بالنور واللمعان، مكتملة بحروفها وألفاظها، محفوظة بكلماتها ونصوصها، لا يخفى أصلها أو فصلها أو

مكان حفظها على أي إنسان.

والنسخة الثانية لهذا الكنز هي التي تعثر عليها في ألواحا مغطاة بعوامل الزمن والتغيير، وتوالي تقلبات النوازع عند القساوسة واختلاف الضمير، تآكلت بعض أطرافها وحروفها، وتغيرت بعض النصوص عن مواضعها، غير أنها مكتوبة في أصلها بصورة مطابقة لكثير وكثير من المعاني الموجودة في النسخة الأولى التي بين أيدينا الآن.

ولا يتكلف العاقل الناظر عند المقارنة سوى إظهار ذلك اللمعان الذهبي، وتجلية حروف النص الذي دون فيه الكلام الإلهي عند أهل الكتاب، والذي يتوافق أو أحيانا يتطابق مع النص القرآني النبوي الذي بلغه عن الله رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ.

إن عاقلا لا يمكنه عند المقارنة بين أمرين أن يطمس الحقيقة بكاملها، بل سيبين القدر المشترك بينهما ويظهر القدر الفارق، وسيحكم إما بالتماثل أو التشابه أو وحدة المادة ومكوناتها، وضرورة صدور ما يلمع فيها من النور من أصل مشكاتها، وأن مصدرها الذي خرجت منه مصدر واحد، وسوف يتعرف على مواطن التغيير بمجرد النظر وبداهة المنطق والتفكير.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ آل عمران:١٩/٢٠.

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ آل عمران: ٨٤/٨٥.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ الصف: ٦/٩.

وورد عند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (وَالَّذي نفْسُ محَمدٍ بيده، لا يَسْمعُ بِي أَحَدٌ من هذه الأُمةِ، يَهُودِيٌّ ولا نصْرَانيٌّ، ثم يَموتُ ولم يُؤْمن بِالذي أُرْسِلتُ بِهِ إلا كان من أَصْحَابِ النارِ) [١]. وورد عنده أيضا من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مرَّتَيْن .. فذكر أولهم فقال: رَجُل من أَهْلِ الكتَابِ آمن بِنبِيِّهِ وَأَدْرَك النبي ﷺ فآمن بِهِ وَاتَّبعَهُ وَصَدَّقَهُ فَلهُ أَجْرَان) [٢].

- كان محمد ﷺ نبيا أميا لا يقرأ كتابا من الكتب المنزلة ولا غيرها.

لقد آمنا بما أخبر الله ﷻ في كتابه، وما أجراه علينا من أحكامه،

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ١/١٣٤ (١٥٣).
(٢) السابق ١/١٣٤(١٥٤).

وكل مسلم يسمع كلام الله يلزمه تصديق خبره وتنفيذ أمره، غير أن إحساس الهداية يزداد هدى عندما ترى بعين البصر والبصيرة كلام محمد ﷺ في الكتاب المقدس عند أهل الكتاب، ذلك الوحي الذي لا يخفى علمه ونظامه ونوره وبيانه على أحد من العقلاء .

مع أنه كان معلوما من حال محمد ﷺ أنه كان أميا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بكتاب معجز، أخبر فيه عما وقع وحدث من عظائم الأمور ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه، فذكر قصة آدم عليه السلام، وابتداء خلقه، وما صار أمره إليه من الخروج من الجنة، وتوبته لربه، وما كان من أمر ولده، ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه، وما انتهى إليه أمرهم، وكذلك أمر إبراهيم عليه السلام وما كان من سائر الأنبياء المذكورين في القرآن، والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيامهم .

ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، فقد كان معروفا أنه لم يكن ملابسا لأهل الآثار وحملة الأخبار، ولا مترددا إلى التعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه علم الوحي ، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ العنكبوت:٤٨/٤٩ .

والمعنى أنك يا محمد قد لبثت في قومك من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمرا لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة، بل كل واحد يعرف أنك رجل

أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول: إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء [(١)] .

قال ابن تيمية : (بين سبحانه من حاله ما يعلمه العامة والخاصة، وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه متواترا عند من غاب عنه، وبلغته أخباره من جميع الناس أنه كان أميا لا يقرأ كتابا ولا يحفظ كتابا من الكتب، لا المنزلة ولا غيرها، ولا يقرأ شيئا مكتوبا، لا كتابا منزلا ولا غيره، ولا يكتب بيمينه كتابا، ولا ينسخ شيئا من كتب الناس المنزلة ولا غيرها) [(٢)] .

ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أنه حتى القرن السادس من التقويم المسيحي حينما كان محمد ﷺ يرتل كلام الله الذي أوحى به إليه لم يكن الكتاب المقدس أو الأناجيل قد ترجمت بعد إلى اللغة العربية، ولم يكن يستطيع أن يعرف كبشر أن كثيرا مما جاء به موجود في نسخه اليونانية، وأن ما جاء به عند مقارنته يقول المقارنون في شأنه: شتان ثم شتان .

وعلى فرض صحة إدعاء الزاعمين لو زعم أحدهم أن جميع النسخ العربية للكتاب المقدس كانت بين يديه كما هي الآن بين يدي أقلبها ورقة ورقة، أو قل إن شئت جميع نسخ الكتاب المقدس بلغاتها الأصلية ومترجمة له بكل لغات العالم لغة لغة، فإن ما جاء به أعلم وأكمل، وأدق

---

(١) انظر بتصرف إعجاز القرآن لأبي بكر بن القاسم محمد بن الطيب الباقلاني ص٣٤ نشر دار المعارف مصر ١٩٩٧م، وتفسير ابن كثير ٤١٨/٣.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٣٣٨/٥ تحقيق علي سيد صبح المدني، نشر مطبعة المدني مصر.

وأشمل، وأعظم وأجمل، وأعلى وأفضل من أصله الذي نقل عنه، هذا لو فرضنا في قول الزاعم صحة زعمه، فعند نظر العاقل ومقارنته يقول المقارنون في شأنه: شتان ثم شتان .

ولو صح جدلا أن محمدا ﷺ لم يكن نبيا، وأنه كان شخصا عاديا اشتهر عبر التاريخ عند كثير من الناس، ثم جاءنا بما هو أكمل وأجمل وأحكم وأفضل مما في الكتاب المقدس الذي بين أيدينا، فهل استطاع أحد أو يستطيع أن يأتي بمثله، وهو ينظر بعينه التي في أم رأسه إلى الكتاب المقدس بجميع نسخه واختلاف مواضعه وتنوع لغته؟ وإن جاء، ونحن على يقين من عجزه، فعند نظر العاقل ومقارنته سوف يقول المقارنون في شأنه: شتان ثم شتان .

ولو صح جدلا أن محمدا ﷺ لم يكن نبيا، وأنه كان شخصا عاديا اشتهر عبر التاريخ عند كثير من الناس، ثم جاءنا بما هو أعلم وأكمل وأحكم وأجمل وأظهر وأفضل مما في الكتاب المقدس الذي بين أيدينا، فلو كان في إمكان الشخص العادي أن يأتي بكلام تشريعي بلاغي يقول فيه المقارنون في شأنه: شتان ثم شتان، فإن لم يكن محمدا ﷺ بما قاله وجاء به نبيا، وكان على صحة زعمهم شخصا عاديا، فغيره لم يكن أبدا نبيا من باب أولى، لعجز بيانهم وكمال بيانه، واختلاف كلامهم ودقة برهانه، ومن قرأ ما ورد من مقارنات في كتابنا شتان، أدرك ذلك بعد شتان واحد، أو شتانين اثنين على الأكثر إن تثاقلت الأفهام وأغلقت عقول العوام .

لقد دار جدل كبير بين علماء محاورة الأديان في موضوع البشارة

بذكر النص على اسم النبي ﷺ الموصوف بالحمد، وعبارة اسمه أحمد، والنصارى ينفونها بكل سبيل بحجة أن الباركليت لم يرد اسما لأحمد في التوراة أو الأناجيل، ونحن وإن كنا نؤمن بأنه ورد نصا كما أخبر الله خبرا حقا وصدقا، لكن العلة التي تجعل النصارى يعرفون محمدا ﷺ كما يعرفون أبناءهم ليست مجرد ذكر الاسم النبوي، فهم قد ينازعون في المعنى، لكن ما يراه الأعشى ولا يخفى على الأعمى هو ما ورد من النصوص التي لا يمكن المنازعة فيها، ولا يمكن لهم حذفها بكليتها من الكتاب المقدس، فعند مقارنتها بما ورد في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ينكشف نور القرآن وشمس النبوة بالدليل والبرهان، وتسطع حقيقة النبوة كالقمر ليلة البدر في النور واللمعان، وكالشمس ليس دونها سحاب أو ضباب.

- **ما هو الكتاب المقدس عند النصارى على اختلاف طوائفهم؟**

الكتاب المقدس عند النصارى على اختلاف طوائفهم هو حسب اعتقادهم ذلك الكتاب الذي يتكون من التوارة التي نزلت على موسى عليه السلام، والأناجيل التي نزلت على عيسى عليه السلام، وكذلك وحي الله إلى الأنبياء الذين أرسلوا للناس ما بين عيسى موسى عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وموقف النصارى من كتابهم المقدس أنهم يرونه بعهديه القديم والجديد كلمة الله للناس أجمعين، لم يعتريها كما يزعمون أي تحريف يذكر، وحجتهم الأساسية في ذلك أن الله لا يمكن أن يترك كتابه ليحرفه الناس، وهي حجة مبنية على الاحتجاج بالمشيئة الإلهية على

الرضا بالأفعال البشرية حتى لو كانت مخالفة للإرادة التكليفية الشرعية الدينية، شأنهم في فهمهم هذا كشأن من قال الله تعالى فيهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ الأنعام: ١٤٨.

غير أنهم يعتقدون في كتابهم الكائن حتى الآن أنه معصوم من التحريف، وأنه بجميع ما فيه جاء من مصدر سماوي محض، وأن الله بين فيه أسماءه وأوصافه وأفعاله وتشريعاته وما أحدثه في الأمم الغابرة، ويعتقدون أن الله واحد مثلث، وأن وحدانية الله جامعة لثلاثة ذوات منفصلة عند الكاثوليك والبروتستانت، أو متصلة متقلبة متغيرة متلونة عند الأرثوذكس، وهم أب وابن وروح قدس.

ويعتقدون أيضا أن العلاقة بين الله والناس في الكتاب المقدس قامت على المحبة، وأن الله هو نفسه الوصف المسمى محبة، أو كما يقولون: الله محبة، فهو يحب كل البشرية رغم خطيئة الإنسانية، فالله يحب الناس جميعا محبة بلا حدود، فيحب الكافرين كمحبته للمؤمنين سواء بسواء وبلا قيود، وأن الله أعد طريقة مثلى لتوبة العصاة من الذنوب، تتمثل في صلب ولده يسوع أمام أعين الجموع وقتله مسمرا على الصليب، هذا على اعتقاد بعضهم، أو أن الله سبحانه نزل بنفسه متجسدا في صورة ابنه وولده ليسلم نفسه لأعدائه الذين هم في الأصل أحباؤه ليقتلوه على الصليب، هذا على اعتقاد البعض الآخر.

ويعتقدون أيضا أن الكتاب المقدس فريد من جميع النواحي الأدبية والبلاغية والعلمية والتاريخية والجغرافية والحقائق المحسوسة والغيبية، وإن كان واقعه مناقضا لذلك، غير أنهم يرونه من جهة وحيه قد بدأ من زمن موسى عليه السلام، أول من نزل عليه الوحي، واستمر الوحي متصلا إلى يوحنا عليه السلام بعد زمن عيسى عليه السلام بمدة طويلة، فالمدة الزمنية التي استغرقها وحي الكتاب المقدس في نزوله لهداية البشرية كما يزعمون ألف وستمائة عام متواصلة.

ويرون أن طرق الوحي الذي نزل به إلى الأنبياء والرسل كانت بالكلام المباشر وجها لوجه، والأحلام، والرؤيا، ونزول الملائكة، وإنزال الإبن الوحيد على زعم بعضهم، أو نزول الله بنفسه متجسدا في يسوع المسيح ابن الإنسان على زعم البعض الآخر، ليقتله الناس، أو قل ليقتل نفسه مصلوبا على خشبة.

والكتاب المقدس بحاله المطبوع في يومنا هذا يتكون من قسمين: القسم الأول ويسمى بالعهد القديم، وهو يحتوي التوراة، وأسفار تاريخية وغيرها، كسفر الخروج، واللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية، والأسفار التاريخية كسفر يشوع، والقضاة وراعوث، وصموئيل الأول والثاني، وملوك الأول والثاني، وأخبار أيام الأول والثاني، وعزرا، ونحميا، وأستير. أما الجزء الثاني فيسمى بالعهد الجديد، ويحتوي على أربعة أناجيل، هي التي تم اعتمادها من قبل مجامع النصرانية التي عقدت بعد رفع المسيح بمدة طويلة، وهي إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

- **أحوال الأنبياء الدالة على صدقهم في بلاغهم الوحي عن ربهم.**

يعتقد كثيرون أن تقرير النبوة يكون فقط بحدوث المعجزات الخارقة لعادات الناس، والأمر في حقيقته ليس كذلك؛ فالإيمان بالنبوة مرتبط بعدة قرائن وأحوال وعلامات كثيرة مجتمعة، تظهر من خلالها قناعة قوم كل نبي، واعتقادهم بصدقه في دعوته وإيمانهم برسالته، ويمكنهم من خلال تلك القرائن والأحوال التمييز بين كونه صادقا أو كاذبا في دعوى النبوة [(١)] .

وكذلك فإنه ما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور والأفعال التي هي أقرب لأفعال الشياطين من أفعال المصلحين ما يعقله من له أدنى تمييز، لأن الرسول يفترض فيه أن يخبر الناس بأمور وحقائق لا تناقض شيئا في الفطرة السوية، ولا مناص للبشرية من وجود تلك الأمور الاعتقادية في قلوبهم، كما أنه لا بد أن يبين منهجا تكليفيا يأمرهم فيه بواجبات ومندوبات، وينهاهم عن محرمات ومكروهات كشريعة لهم يهتدون بها في حياتهم إلى الخير والكمال، ولا بد أن يأخذ بأيديهم إلى توحيد العبادة لرب العزة والجلال، ولابد أن يفعل أمورا يشهد لها عامة الناس وخاصتهم بأنها من أحوال النبوة. أما الكاذب فإنه يظهر فيما يأمر به الناس وما يخبرهم عنه دلائل كذبه من أوجه كثيرة .

---

(١) أغلب ما جاء في الحديث عن دلائل النبوة في هذا القسم أخذناه عن شرح ابن أبي العز الحنفي للعقيدة الطحاوية، وذلك لوضوح أفكاره ومنطقية عرضه مع بعض التصرف منا الذي رأيناه يخدم الموضوع، انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٧٦ إلى ص٨١، طبعة مكتبة سلسبيل.

وهذا أمر لا يرتبط في تمييز صدقه من كذبه بالنبوة فقط، بل كل شخصين ادعيا أمرا، أحدهما كان صادقا، والآخر كان كاذبا، لابد أن يظهر في أقوالهما وأفعالهما صدق الصادق وكذب الكاذب ولو بعد حين؛ فالصدق مقترن بالبر والخير، وتوافق الأقوال والأفعال البشرية، وعدم تعارضها في كل قول صدر منه، وكذلك الكذب مقترن بالهوى والفجور والرأي الباطل وحب النفس والظهور، ولذلك عرف المسلمون نبوة نبيهم ﷺ وشهدوا له بالرسالة بطرق كثيرة، لا تخفي على أصحاب البصر فضلا عن أصحاب البصيرة، وتأكدوا أنه مصطفى من الله لتلقي الوحي الذي نزل به روح القدس على سائر الأنبياء من قبله، ويمكن بيان بعض أدلتهم على صدقه موجزة في النقاط التالية:

أولا: الآيات والمعجزات وخوارق العادات، وشأن النبي محمد ﷺ في المعجزات وخوارق العادات شأن الأنبياء السابقين أصحاب الرسالات، فإن كل نبي أتى بمعجزة أو بعض المعجزات التي دلت على صدق دعوته، فقد أخبر نبينا محمد ﷺ أن موسى عليه السلام أيده الله بعصاه التي تنقلب إلى حية تسعى أمام الناس وتحت أنظارهم، وتأكل حبال السحرة في تزويرهم على الناس بعصيهم، وأيده بيده التي تخرج بيضاء من غير سوء في مشهد يخرق ما هو مألوف من عاداتهم، وكذلك أيده بآيات كثيرة عظيمة.

وكذلك أيد الله عيسى بن مريم عليه السلام بكتابه الإنجيل، ودلل على صدقه بأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله، وأخبر أنه كان

ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، ويخبرهم بأشياء يخفونها في صدورهم، وجاء القرآن في وصف معجزات عيسى عليه السلام بوصف أبلغ وأكمل وأجمل مما ورد في الكتاب المقدس بجميع نسخه العربية والأعجمية المعاصرة.

والمنطق العقلي يحكم بأنه إن كانت مثل تلك المعجزات والدلائل تدل قطعا ويقينا عند العقلاء على ثبوت نبوة موسى وعيسى أو غيرهما من الأنبياء، فهي من باب أولى تدل قطعا على اليقين في التصديق بنبوة محمد ﷺ خاتم الأنبياء، لقرب عهده الزمني وبُعد عهدهم، وتواتر الأخبار عنه وبقاء ما جاء به حتى الآن متلوا على أسماعهم، وعجزهم عن الاحتفاظ بالألواح المشهودة التي كتبت بيد ربهم، وتناقض كلامهم في كيفية كتابة توراتهم وأناجيلهم، وانقطاع السند المتصل بنقل العدل الضابط عن مثله في أخبارهم، فإن كانت الأخبار التي تواترت عن معجزات محمد ﷺ غير كافية عند البعض، فالأخبار التي تواترت عن معجزات الأنبياء السابقين لا تصلح دليلا من باب أولى.

والحقيقة التي لا مرية فيها هي الإيمان بنبوتهم جميعا، لاسيما أن محمدا ﷺ جاء بتصديقهم جميعا، وبين أمورهم وأحوالهم وموقفهم مع أقوامهم بصورة أدق وأجمل وأفضل مما تبقى في كتبهم حتى الآن، وهذا يظهر بمجرد مقارنة النصوص كما سنرى.

ويصعب على أحد من الناس، أو قُل: يصعب على كل الناس مجتمعين في عصرنا أو غيره من العصور أن يأتوا بعبارة واحدة من حيث قوة البلاغة وجمال التركيب والصياغة توازي قوة العبارة التي نقلها

محمد بن عبد الله ﷺ عن ربه في بيان معجزات عيسى عليه السلام .

وقد أيد الله محمدا ﷺ بمعجزات عديدة لا تكاد تحصى أو تستقصى، كان على رأسها كلام الله القرآن، فهو البيان والتبيان الذي ينقطع دونه سائر كلام بني الإنسان، ومن لا يراه ولا يقر بإعجازه إذا سمعه، فلعله لم يسمعه جيدا أو لم يدقق النظر فيه بإمعان، أو لعله مصاب بآفة فما حيلتنا في الطرش والعميان، وانتكاس الفطرة وشلل الأذهان، وعلوم التفسير والقرآن عندنا خير دليل وبرهان على أن ما كتبوه عن إعجاز القرآن قطرة من بحر بلا شطآن .

لقد استوفى العلماء دلائل النبوة في كتب كثيرة، من إخباره بمغيبات، وما وقع منه ﷺ من البركات، سواء في تكثير الطعام والشراب وجلب الخيرات، ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبه ذلك من المعجزات، وكذلك ما أخبر به من الأمور التي لم تقع فتقع كما أخبر على حد الكلمات، ولم يكن ذلك إلا بتأيد الله له بالوحي والآيات.

ثانيا: صدق أحوالهم وسعة صدورهم وبشاشة وجوههم، ومن دلائل النبوة التي يؤيد الله بها من أصطفاهم لرسالته أنه سبحانه جعل وجوههم وأحوالهم دالة على صدقهم، ولو لم يؤيدهم الله بالمعجزات لكان وجه كل نبي، وبشره، وطلاقته، وحسن تعامله في دعوته للآخرين، وحرصه عليهم، وحسرته على عدم استجابتهم، وفرحته عند انقيادهم، أكبر دليل على صدقه.

وقد كان نبينا محمد ﷺ مأمونا قبل الإسلام، وكانوا يسمونه الصادق الأمين، وكان أيضا حسن الملاطفة، لا يأتي شيئا من الذي ينكر في

الجاهلية، فكان موثوقا عندهم بكلامه، لا يقول إلا الصدق، ولا يتكلم إلا بالصدق، كما شهد له بذلك أعداؤه وأحباؤه على السواء.

ثالثا: إتيانهم بشرائع تكليفية لنجاة البشرية، من دلائل النبوة على صدق ما جاءت به الرسل إتيانهم بشرائع وأحكام إذا تأملها العاقل علم أنها ليست من صناعة بشر، فصناعة البشر وأحكامهم التشريعية معلومة في كل دستور وضعي، ولكنها تنزيل إلهي من حكيم خبير يضع الأشياء في مواضعها لصالح العباد في الدنيا والآخرة، فموسى عليه السلام وسائر الأنبياء جاءوا بشريعة إلهية، أو اتباع شريعة الرسل السابقين والتصديق بها، وجاءوا قبل محمد ﷺ بوصايا، من التزم بها من قومهم نال السعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ المائدة:٤٨.

وهؤلاء الرسل لما أمروا بتلك العبادات ونهوا أيضا عن المحرمات، تأملها كل عاقل فعرف بذلك أنها صحيحة، يقبلها العقل وتلائم الفطرة والواقع، ولذلك روي أن بعض الأعراب لما دخل في الإسلام ولامه بعض صحبه في ذلك وسأله عن السبب في إسلامه قال: (إني تأملت ما جاء به محمد، فرأيته ما أمر بأمر فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به)[١] .

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١/٢٣٥، نشر دار الكتاب العربي بيروت.

بل العقل موافق لما جاء به النقل عن الله ﷻ، ومن المحال لدى العقلاء أن يتعارض العقل الصريح الواضح مع النقل الصحيح الثابت في رسالة السماء، بل العقل الصريح يشهد للنقل الصحيح ويؤيده.

رابعا: بقاء دعوتهم وفناء دعوة الكذابين، لقد ظهر كثير من مدعي النبوة عبر التاريخ الإسلامي فظهر كذبهم خلال أيام، وانطمس أمرهم تحت قدم الإسلام، وانمحى شأنهم ولم يبق إلا سوء ذكرهم من وقتها حتى الآن، فكان منهم مسيلمة بن حبيب الحنفي في اليمامة، زعم نزول الوحي عليه بما يماثل القرآن الذي جاء به نبينا محمد ﷺ فكان من قرآنه الباطل الذي يدعي أنه يوحى إليه به قوله: (والليل الأطخم، والذئب الأدلم، والجزع الأزلم، ما انتهكت أسيد من محرم. والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطت أسيد من رطب ولا يابس. والشاء وألوانها، وأعجبها السود، وألبانها والشاة السوداء. واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق فما لكم لا تمجعون. ضفدع بنت ضفدعين، نقي ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين. والمندبات زرعا، والحاصدات حصدا، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما، إهالة وسمنا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر. الفيل وما أدراك ما الفيل؟ له ذنب وثيل، وخرطوم طويل)[1] .

وثبت عن مسيلمة الكذاب عكس ما هو وقع من الأنبياء من البركة

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج بن الجوزي ص٨٧٨، تحقيق علي حسين البواب، نشر دار الوطن، الرياض ١٤١٨هـ.

التي يؤدهم الله بها من تكثير الطعام والشراب وشفاء المرضى من الآلام والعذاب، فقد تمضمض يوما مسيلمة الكذاب، ورمى ما خرج من فمه في بئر فغارت، ولم يبق فيه شيء من الماء.

ومسح مرة على رأس صبي فذهب شعر رأسه بالقراع، ودعا لآخر أن يشفيه من مرضه فأصابه العمى. ودعا لآخر فمات من يومه، ومسح ضرع ناقة لتدر فيبست أخلافها وانقطع لبنها، ومعلوم أن ذلك مخالف لحال الأنبياء[1] .

- **وسطية الوحي الذي نزل على محمد ﷺ في وصف التوراة والإنجيل:**

لم يرد في القرآن والسنة ما يدل على أن جميع ما ورد في التوراة والإنجيل الكائن زمن النبي ﷺ ووقت نزول الوحي عليه، وقبل نسخ ما فيهما قد حرف بكليته، بل وصف التوراة والإنجيل بأنهما هداية ونور لبني إسرائيل، وفيها حكم الله الذي ورد به جبريل في التنزيل، ولكنه ﷺ شنع على كثير من الأحبار والرهبان وكشف واقعهم المؤلم في قله الإيمان، وأكلهم أموال الناس بالباطل، والتلبيس على قومهم في معرفة دينهم، ولي ألسنتهم بالكتاب ليحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، وتحريفهم للكلم عن مواضعه بأنواع عديدة، يمكن ذكر بعضها ومقارنتها بواقع ما يراه كل منصف عاقل حتى الآن في كتبهم، وكيف حجبت حقائق كثيرة وشوهت من قبل القساوسة والقائمين على طباعة كتبهم.

لقد كان الكثير من علماء بني إسرائيل من الأحبار والرهبان يلبسون

---

(١) السابق٣/٣٢١ .

الحق بالباطل، بحيث يصعب تمييزه على عامة شعبهم، وكانوا يكتمون الحق إتباعا لأهوائهم وشهواتهم، فالنصوص التي يرون فيها ما يؤيد آراءهم وأهواءهم جعلوها حجة لهم، وقدموها في استدلالهم، وما خالفهم كتموها وطمسوها، وكان أظهرها نبوة محمد ﷺ، وقد كانوا يخبرون المشركين قبل مبعثه بقرب نبي يخرج في آخر الزمان وقد ذكر الله ذلك في وصفهم فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ آل عمران: ٧٠/٧١.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ البقرة:١٤٦.

وبين القرآن تحريفهم الكلم عن مواضعه بالزيادة فيه كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ آل عمران:٧٨.

إن الاستسلام لله وحده هو دين الأنبياء جميعا فقد جاءوا بالإيمان بإله واحد لا شريك له، وهو وحده المستحق للعبادة، بل قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الزخرف:٤٣/٤٥.

والمقصود أن يسأل النبي ﷺ هو وأمته أهل الكتاب الذين أرسلت

إليهم الأنبياء، فإنه لا دليل في كتبهم على أن يعبدوا غير الله، فقضية التثليث وبنوة المسيح قضية طارئة مفتعلة، ليس لها ذكر صريح على لسان موسى أو عيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، حتى في كتاب النصارى المقدس والمترجم إلى جميع لغات العالم .

ومن استعرض الكتاب المقدس بحثا عن معنى الربوبية وما المقصود بها؟ لوجدها على معناها اللغوي الذي يراد به السَّيِّد المدَبَّر الحاكم والمرَبِّي القائد الموجه؛ فرب الإبل ورب الدار؛ أي مالكها ومدبرها وحاكمها وسيدها، وهذا يصدق على المخلوق ويصدق على الخالق، ولا يعنى الاشتراك في اللفظ تماثل المخلوق والخالق، فمعنى قول القائل: الرب يسوع، إنما المقصود به في لغة من ترجم الكتاب المقدس السيد الموصوف بالسيادة والقيادة لبني إسرائيل، فهو موجه لهم ومدبر لشئونهم بالروح القدس، وحاكم فيهم بكلمة الله، ومربيهم على طاعة ربه، وحامل رايتهم إلى سبل السلام، وليس ربا بخصائص الربوبية التي انفرد بها الرب الخالق العلي الذي فوق السماء الإله العلي المتَعَالي جِدًّا، القُدُّوس القَادِرُ عَلى كل شَيْءٍ، الذي يُغَيِّرُ الأَوْقَاتَ وَالأَزْمنةَ، ويَعْزِل ملوكا، ويُنصِّبُ ملوكا، ويُعْطِي الحُكماءَ حِكمةً، ويُعَلم العَارِفِين فَهْما، وله كل ما فِي السَّموات وَالأَرْضِ.

وقد ورد بالدليل القاطع في كتاب أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب المقدس أن اسم يسوع ليس اسما من أسماء الله الحسنى، ولا الإبن، ولا الأب، ولا الروح القدس، وأن مصطلح الأب في جميع نصوصه التي ورد فيها في الكتاب المقدس يطلق في الأصل على

الإنسان، ولو ذكر في حق الله الرب الأعلى الإله فإنه يقال من باب قياس الأوْلى وإضافة اسم المخلوق لخالقه لإدراك معنى الرعاية والإحاطة بكل معانيها من حفظ ومعية وتدبير، وحكمة وهداية وتقدير[1].

وكذلك مصطلح الابن في الكتاب المقدس يطلق في الأصل على الذكر من ولد الإنسان، ولو ذكر في حق الرب الإله الأعلى فإنه يقال من باب قياس الأوْلى لإدراك معنى الولاية الخاصة لأحباب الله وخاصته من الأنبياء والأولياء والمؤمنين الصالحين وسائر عباده المقربين، وهو مثل بلاغي تقريبي لبيان أن مقدار الولاية والمحبة أعظم من محبة الأب لابنه، وأعظم من ولايته له بكل أنواع الإحاطة والرعاية من باب قياس الأولى، وجميع الشواهد المذكورة في الكتاب المقدس في ذكر البنوة تدل جميعها على أن المقصود بأبناء الله في النصوص هم أهل الإيمان الأتقياء الأصفياء أتباع الرسل والأنبياء، وأن البنوة المعنية في الكتاب المقدس ليست مقصورة على شخص بعينه سواء كان نبيا، أو وليا ، أو فردا مؤمنا، بل يراد بها ولاية العبودية والتأدب بمنهج الله وأحكامه الشرعية، وأنها ليست بنوة ولادة عن الله انفصلت فيها ذات الإبن عن ذات الأب كإقنوم خرج منفصلا عن أقنوم، أو أقنوم ناسوتي انفصل عن أقنوم لاهوتي، فهذا من سوء الفهم وضلال العقل لدى الكتبة والمترجمين .

وقد ورد في الكتاب المقدس أن يعقوب عليه السلام وبنيه أو بني إسرائيل هم أبناء الله وأحباؤه، وتلك البنوة بمعنى الرعاية والمعية الخاصة لمن

---

(١) انظر كتاب أسماء الله الحسنى في الكتاب المقدس لفضيلة الدكتور محمود عبد الرازق الرضواني حفظه الله تعالى، نشر مكتبة سلسبيل.

وحد الله وصدّق ربه في باب الخبر، وأطاعه فيما أمر، وليست بنوة ولادة وأقانيم منفصلة، وكذلك ورد أن سليمان هو ابن الله أيضا كما أن يسوع ابن لله، وأن الله أب لسليمان كما أن الله أب ليسوع، ومن فرق بينهما فقد فرق بين متماثلين كانا يأكلان الطعام، فعلم أن البنوة التي وردت في نصوص الكتاب المقدس بأسرها هي في أصلها تعبير بلاغي فهمه من فهمه على غير ما هو في أصل اللغة التي نزل بها الكتاب المقدس، وذلك يعد من أخطاء المترجمين، وهي ليست أبدا بنوة ولادة يأخذ فيه المولود خصائص أزلية أبدية كخصائص الذات الإلهية .

وكذلك فإن المراد بالروح القدس في الكتاب المقدس هو الملك الذي ينزل بالوحي من السماء، وينقل كلمة الله وأوامره بدقة وأمانة إلى الرسل والأنبياء، ويتولى تنفيذ ما أمر الله به في بعض خلقه الأصفياء، وجميع النصوص في الكتاب المقدس تدل على أن الروح القدس ليس هو الله، وليس اسما من أسماء الله، وقد بينا الأدلة في ذلك مفصلة.

- الطعن في تفسير القساوسة للتعميد باسم الآب والابن والروح القدس.

إن التعميد باسم الآب والابن والروح القدس كان يمثل في الأصل الإيمان بالله وملائكته وما أنزلته من كتب الله على رسله، وقولهم: باسم الآب والابن والروح القدس، إنما هو كقول القائل في خطابه: باسم الشعب وباسم الوطن وباسم الأمة، وهو يعني أنه يتكلم بالنيابة عنهم وينقل للآخرين مرادهم، ويبين للجميع توجههم، ومن ثم فإن التعميد الذي ورد في إنجيل متى في الدعوة لأتباع عيسى ﷺ أن يذهَبُوا وَيتَلمذوا جَميعَ الأُممِ، وَيعَمدُوهُم بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ القُدُس

إنما هو النطق بشهادة العبودية الحق وعبادة المعبود بحق من خلال الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وكان تعميده يعني أن يشهد الإنسان أنه عقد في قلبه عقدا يعظم فيها ربه تعظيما يدفعه إلى تصديق خبره وتنفيذ أمره عن محبة وإخلاص، ومتابعة للرسل والأنبياء الذين جاءوا بكلمة الله وكتبه المقدسة، والدعوة إلى كلمة الله التي بين فيها أمور الجزاء والحساب في اليوم الآخر كحجة عليهم نقلها إليهم ولي الله وكلمته وصفيه وحبيبه ونبيه وعبده ورسوله عيسى عليه السلام، ونقلها عيسى عن الروح القدس أو سيد نقلة الوحي من الملائكة وهو جبرائيل، ونقلها روح القدس عن الله الذي صَنعْ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ بِقُوَّتِه العَظيمةِ، الرب العزيزُ الجبَّارُ الذي اسْمه مبَارَك من الأَزَل وَإلى الأَبَدِ، والذي لَهُ الحِكمة وَالجَبَرُوت، الملك إلى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ، المتَعَالي جِدًّا، القُدُّوس القَادِرُ عَلى كل شَيْءٍ، صَانعُ الإِحْسَان لأُلوفٍ، الذي يُغَيِّرُ الأَوْقَاتَ وَالأَزْمنةَ، ويَعْزِل ملوكا، وَيُنصِّبُ ملوكا، ويُعْطي الحُكماءَ حِكمةً، وَيُعَلم العَارِفِين فَهْما، وهُوَ يَكشِفُ العَمائِقَ وَالأَسْرَارَ، يَعْلم ما هُوَ فِي الظلمةِ، وَعِندَهُ يَسْكن النورُ وَالجَلاَل وَالبَهَاءُ وَالمجْدُ، لأَن له كل ما فِي السَّماءِ وَالأَرْضِ .

وليس المقصود باسم الأب والابن والروح القدس التثليث الذي يزعم فيه القساوسة أن الله ثالث ثلاثة، أو أنه ذات مثلثة الصفات، ولكن الحقيقة في أصلها كانت كائنة في أن يشهد كل إنسان أو أن يؤمن ويتعمد بالإيمان بالله الذي أنزل ملائكته بكلمته السماوية المدونة في كتبه على سائر أنبيائه ورسله لصلاح الناس في الدنيا ووراثة الملكوت في الآخرة، وسيكون الأمر لله من قبل ومن بعد إن هم استجابوا أو لم

يستجيبوا، لأن قدرة الله في النهاية ستقع وفق تقديره ومشيئته، ولا بد في النهاية من ظهور عدله وحكمته، والأمر في ملكه وملكوته الأبدي بين فضله ورحمته عند إكرام المؤمنين، وعدله وعزته عند معاقبته للكافرين، وتلك أركان الإيمان التي جاء بها محمد بن عبد الله ﷺ في أكمل بيان، وأجمل برهان حين دعا الناس جميعا إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، دعاهم إلى الإيمان بالله الذي أنزل ملائكته بكتبه على رسله ليحذروا الناس من الحساب على أعمالهم في اليوم الأخر، أو كما يسمونه يوم الدينونة ولقاء الملك الديان .

هكذا عند الإنصاف والتجرد يفهم العقلاء حقا المراد بمعنى اسم الأب، واسم الابن، واسم الروح القدس في قول الكتاب المقدس عند النصارى: (١٩فَاذهَبُوا إذن، وَتَلمذوا جَميعَ الأُمم، وَعَمدُوهُم بِاسْم الآبِ وَالاِبْن وَالرُّوحِ القُدُسِ) متى٢٨/١٩.

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ البقرة: ٢٨٥.

- **التجديف على الروح القدس هو في حقيقته الإلحاد في كلام الله.**

التجديف على الروح القدس هو في حقيقته الإلحاد في كلام الله، والقول الباطل على الله بلا علم، وتكذيب ما جاء به جبريل من الوحي على أنبياء الله وما فيه من أسمائه وصفاته، أو الاستهزاء بكلام الله ، أو السخرية منه، أو الهرطقة فيه، أو تحريف الكلم عن مواضعه في اللفظ،

أو تأويل المعنى المراد في خطاب المتكلم بغير دليل، وعدم الإيمان به كما أراد مرسله الذي فوق السماء، فهذا التجديف من أشد أنواع الباطل في الكتاب المقدس وكذا هو في الإسلام .

وقد بينا أن إحجام أساقفة النصارى عن دراسة أسماء الله الحسنى في كتابهم المقدس بصورة موسوعية حصرية عبر هذه المدة الطويلة بعد ظهور الأناجيل الأربعة؟ ليس لصعوبه الأمر أو استحالته؟ ولكنهم يخشون مواجه العقلاء من شعب الكنيسة إذا تساءلوا: هل الأسماء الحسنى التي وردت في الكتاب المقدس هي التي تدل على المسمى أبا أو المسمى ابنا؟ فإن كان الأب فهو الإله الحق والابن مخلوق حادث وليس ربا ولا إلها؟ وإن كان تلك الأسماء هي للابن دون الأب، فلم يرد في الكتاب المقدس أبدا أن الابن هو الرب العزيزُ الجبَّارُ في القِتال، الذي اسْمهِ مبَارَك من الأزَل وَإلى الأبَدِ، لأن لهُ الحِكمةَ وَالجَبَرُوتَ الذي يِحْطم ذرَاعَ الفَاجِرِ، والذي بَادَتِ الأُمم من أَرْضِهِ، الرَّبّ العَليّْ المخُوفٌ، الملك الكبِيرٌ عَلى كل الأَرْضِ، الملك عَلى الأمم، المتَعَال جِدًّا الإِلهُ القُدُّوس القَادِرُ عَلى كل شَيْءٍ السَّيِّدُ الرَّبُّ، الذي صَنعْ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ بِقُوَّتِه العَظيمةِ، ولاَ يَعْسُرُ عَليْه شَيْءٌ، رَبُّ الجُنودِ اسْمهُ إله إِسْرَائِيل المهَيْمن عليهم، الذي يُغَيِّرُ الأَوْقَاتَ وَالأَزْمنةَ، ويَعْزل ملوكا وَيُنصِّبُ ملوكا، يُعْطي الحُكماءَ حِكمةً، وَيُعَلم العَارِفِين فَهْما، وهُوَ يَكشِفُ العَمائِقَ وَالأَسْرَارَ، ويَعْلم ما هُوَ فِي الظلمةِ، وَعِندَهُ يَسْكن النورُ وَالجَلاَل وَالبَهَاءُ وَالمجْدُ، لأَن له كل ما فِي السَّماءِ وَالأَرْضِ، وَالغِنى وَالكرَامةُ من لدُنه، وَبِيَدِه القُوَّةُ وَالجَبَرُوتُ والعظمة.

بل ورد في أوصاف الابن في الكتاب المقدس عكس ذلك حيث تألم على الصليب، وكان عاجزا يصرخ بصوت عظيم؟ فلم يبق إلا أن الأسماء الحسنى التي نص عليها الكتاب المقدس هي أسماء الله الرب العلي الأعلى التي بلغها عيسى عليه السلام وسائر الأنبياء إلى كافة الناس ليوحدوا ربهم فيها ويعبدوه من خلالها وهذا يبطل عقيدة التثليث من جذورها؟ من أجل ذلك جاء القرآن بإبطال عقائد التثليث التي سرت إلى أذهان عامة النصارى بسوء فهم الكثير من قساوستهم فقال الله تعالى في شأنهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)﴾ المائدة: ١٧.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)﴾ المائدة:٧٣/٧٧.

وإذا كان الإله هو الرب العزيزُ الجبَّارُ، الرّبُّ الجبَّارُ في القِتال، الذي

اسْمهِ مبَارَك من الأَزَل وَإِلى الأَبَدِ، لأَن لهُ الحِكمةَ وَالجَبَرُوتَ الذي يُسَلم المسْكين إِليْه أَمرَهُ، والذي يعين اليَتِيم ويِحْطم ذرَاعَ الفَاجِرِ، الرَّبُّ الملك إِلى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ، والذي بَادَتِ الأُمم من أَرْضِهِ. الرَّبّ العَليُّ المخُوفٌ، الملك الكَبِيرٌ عَلى كل الأَرْضِ، الملك عَلى الأُمم، المتَعَال جِدًّا الإِلهُ القُدُّوس القَادِرُ عَلى كل شَيْءٍ السَّيِّدُ الرَّبُّ، الذي صَنَعْ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ بِقُوَّتِه العَظيمةِ، ولاَ يَعْسُرُ عَليْه شَيْءٌ، صَانعُ الإِحْسَان لأُلوفٍ، وَمجَازِي ذنب الآبَاءِ فِي حِضْن بَنيهِم بَعْدَهُم، الإِلهُ العَظِيم الجَبَّارُ، رَبُّ الجُنودِ اسْمهُ إِله إِسْرَائِيل المهَيْمن، ملك المجدِ هوَ الرّبُّ، وَهُوَ يُغَيِّرُ الأَوْقَاتَ وَالأَزْمنةَ، يَعْزِل ملوكا ويُنصِّبُ ملوكا، يُعْطي الحُكماءَ حِكمةً، وَيُعَلم العَارِفِين فَهْما، وهُوَ يَكشِفُ العَمائِقَ وَالأَسْرَارَ، يَعْلم ما هُوَ فِي الظلمةِ، وَعِندَهُ يَسْكن النورُ وَالجَلاَل وَالبَهَاءُ وَالمجْدُ، لأَن له كل ما فِي السَّماءِ وَالأَرْضِ، وَالغِنى وَالكرَامةُ من لدُنه، وَبِيَدِه القُوَّةُ وَالجَبَرُوتُ والعظمة، إذا كان الإله مسمى بتلك الأسماء وموصوف بتلك الصفات في الكتاب المقدس، فلا يعقل أبد أن تكون له أم ترضعه وتدغدغه، وتخلع سراويله وتشخلعه، ثم تحمله على كتفها وتدلعه، ثم يبكي فتطبطب عليه حتى ينام فتغطيه وتتركه في مخدعه، وغير ذلك مما لا نرغب في ذكره ونستحي من سرده .

ولا يعقل أبدا لو خطر ببالنا هذا الاعتقاد أن تكون تربيته هذا الإله العظيم أو تربية ابنه الوحيد لو فرض وجوده موكولة لتربية امرأة، ولو كان لكانت تربيته موكولة إلى خواص الملائكة في السماء، أو من يصطفي الله ممن يشاء ليربي ولده وابنه الوحيد في مكان عليٍّ بعيد عن الحقد والحسد والبغض الشديد الذي يقع في نفوس أسوأ العبيد، فهذا

فعلا ما يليق بابن الله إن كان له ولد .

بل لو كان له ولد حقا لكنا أول العابدين، ولكن عيسى عليه السلام أو يسوع بشر كسائر البشر مكون من لحم وعظم وجلد ودم، يسري في عروقه كما يسري الدم في عروق كل إنسان، وكذلك روح القدس فإنه ملك يبلغ رسالة الله كما بلغها لسائر الأنبياء، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) ﴾ الزخرف: ٨١/٨٥.

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠) ﴾ يونس: ٦٨/٧٠.

وقال سبحانه: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١) ﴾ الإسراء: ١١١.

وقد أراد الله أن يبرأ عيسى وأمه من دعواهم فيه وأمه الإلوهية، وأنه عبد لله نفذ أمره وصدق خبره، وأنه بريء من أن يقول ما ليس له بحق، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ

عِلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ المائدة:١١٦/١١٨.

• مقارنة نصوص الإسلام في تعلم آدم للأسماء والأكل من الشجرة.

ولنضرب ما استطعنا من الأمثلة التي تدل دليلا قاطعا على أن ما جاء به محمد ﷺ هو الوحي الذي نزل على كل نبي من الأنبياء يخبره برسالة الله من فوق السماء لصلاح البشرية، وأن جحود النبي محمد ﷺ أو جحود أحدهم هو كفر بهم جميعا .

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٩وَكان الرَّب الإلهُ قَدْ جَبَل من التُّرَابِ كل وُحُوشِ البَرِّيَّةِ وَطيُور الفضَاءِ وَأَحْضرَهَا إلى آدَم ليَرَى بِأَيِّ أَسْماءٍ يَدْعُوهَا، فَصَارَ كل اسْم أَطلقهُ آدَم عَلى كل مخْلوق حَيٍّ اسْماً لهُ. ٢٠وَهَكذا أَطلقَ آدَم أَسْماءً عَلى كل الطيُور وَالحَيَوَانات وَالبَهَائِم. غيْرَ أَنهُ لم يَجِدْ لنفسِهِ معِينا مشَابِهاً لهُ) التكوين ٢ :١٩/٢٠.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: (١٩وَجَبَل الرَّب الإلهُ من الأَرْضِ كل حَيَوَاناتِ البَرِّيَّةِ وَكل طيُورِ السَّماءِ، فَأَحْضَرَهَا إلى آدَم ليَرَى ماذا يَدْعُوهَا، وَكل ما دَعَا بِهِ آدَم ذات نفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمها. ٢٠فَدَعَا آدَم بِأَسْماءٍ جَميعَ البَهَائِمِ وَطيُورَ السَّماءِ وَجَميعَ حَيَوَاناتِ البَرِّيَّةِ. وَأَما لنفْسِهِ فَلم يَجِدْ معِينا نظيرَهُ) التكوين ٢ :١٩/٢٠.

وفي نسخة ثالثة للكتاب المقدس تغير فيها النص عن النصين السابقين

في بعض مواضعه كما يلي: (١٩فجبل الرَّب الإلهُ من الأرضِ جميعَ حيواناتِ البرِّيَّةِ وجميعَ طيرِ السَّماءِ، وجاءَ بِها إلى آدم ليرى ماذا يُسَميها، فيحمل كل منها الاسم الذي يُسميها بهِ. ٢٠فسمى آدم جميعَ البَهائمِ وطيورَ السَّماءِ وجميعَ حيواناتِ البرِّيَّةِ بأسماءٍ، ولكنهُ لم يَجدْ بَينها مثيلاً له يُعينهُ) التكوين ٢ :١٩/٢٠.

وقد نزل الوحي على النبي ﷺ يخبر عن تعلم آدم للأسماء فقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ البقرة:٣١/٣٣.

وقد روى البخاري من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (يَجْتَمعُ المؤْمنون يوم القِيامةِ فيَقُولون: لو اسْتَشْفَعْنا إلى ربِّنا، فيَأْتُون آدَم فيَقُولون: أنت أبو الناس خَلقَك الله بيده، وأَسْجدَ لك ملائِكتَهُ، وعَلمك أَسْماءَ كل شَيْءٍ) [(١)].

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (وَكانتِ الحيَّةُ أَمكرَ وُحُوش البَرِّيَّةِ التِي صَنعَهَا الرَّب الإلهُ، فَسَأَلتِ المرْأَة: أَحقّاً أَمرَكما الله أَلاَّ تَأْكلاَ من جَميعِ شَجَرِ الجَنةِ؟ ٢فَأَجَابَتِ المرْأَةُ: يُمكننا أَن نأْكل من ثمرِ الجَنةِ كلهَا، ٣ما عَدَا ثمرَ الشَّجَرَةِ التِي فِي وَسَطهَا، فَقَدْ قَال الله: لاَ تَأْكلاَ منهُ وَلاَ تَلمسَاهُ لكيْ لاَ تَموتَا. ٤فَقَالتِ الحَيَّةُ للمرْأَةِ: لن

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة البقرة باب قول الله: وعلم آدم الأسماء كلها ٤/١٦٢٤ (٤٢٠٦).

تَموتَا، ٥بَل إن الله يَعْرِفُ أَنهُ حِين تَأْكلان من ثمر هَذهِ الشَّجَرَةِ تَنفَتِحُ أَعْيُنكما فَتَصِيرَان مثلهُ، قَادِرَيْن عَلى التَّمييز بَيْن الخَيْر وَالشَّرِّ. ٦وَعِندَما شَاهَدَتِ المرْأَةُ أَن الشَّجَرَةَ لذيذةٌ للمأْكل وَشَهيَّةٌ للعُيُون، وَمثيرَةٌ للنظر قَطفَتْ من ثمرهَا وَأَكلتْ، ثم أَعْطتْ زَوْجَهَا أَيْضاً فَأَكل معَهَا، ٧فَانفتَحَتْ للحَال أَعْيُنهُما، وَأَدْرَكا أَنهُما عُرْيَانان، فَخاطا لأَنفُسِهما مآزِرَ من أَوْرَاقِ التِّين) سفر التكوين ٣ :١/٧.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه على النحو التالي: (١وَكانتِ الحَيَّةُ أَحْيَل جَميعِ حَيَوَاناتِ البَرِّيَّةِ التِي عَملهَا الرَّب الإلهُ، فَقَالتْ للمرْأَةِ: أَحقًّا قَال اللهُ لاَ تَأْكلاَ من كل شَجَرِ الجَنةِ؟ ٢فَقَالتِ المرْأَةُ للحَيَّةِ: من ثمر شَجَرِ الجَنةِ نأْكل، ٣وَأَما ثمرُ الشَّجَرَةِ التِي فِي وَسَط الجَنةِ فَقَال اللهُ: لاَ تَأْكلاَ منهُ وَلاَ تَمسَّاهُ لئَلاَّ تَموتَا. ٤فَقَالتِ الحَيَّةُ للمرْأَةِ: لن تَموتَا! ٥بَل اللهُ عَالم أَنهُ يَوْم تَأْكلاَن منهُ تَنفَتِحُ أَعْيُنكما وَتَكونان كاللهِ عَارِفَيْن الخَيْرَ وَالشَّرَّ. ٦فَرَأَتِ المرْأَةُ أَن الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ للأَكل، وَأَنها بَهجَةٌ للعُيُون، وَأَن الشَّجَرَةَ شَهيَّةٌ للنظر. فَأَخَذتْ من ثمرهَا وَأَكلتْ، وَأَعْطتْ رَجُلهَا أَيْضًا معَهَا فَأَكل. ٧فَانفتَحَتْ أَعْيُنهُما وَعَلما أَنهُما عُرْيَانان. فَخَاطا أَوْرَاقَ تِين وَصَنعَا لأَنفُسِهما مآزِرَ) التكوين ٣ :١/٧.

وقد نزل الوحي على النبي ﷺ يخبره عن الأكل من الشجرة في قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ البقرة: ٣٥.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ

أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ طه: ١٢١/١١٦.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ الأعراف: ٢١/١٩.

ثم انظر إلى قول كتاب النصارى المقدس: (٧فَانفتَحَتْ أَعيُنهُما وَعَلما أَنهُما عُرْيَانان. فَخَاطا أَوْرَاقَ تِين وَصَنَعَا لأَنفُسِهما مآزرَ. ٨وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّب الإِلهِ ماشِيًا فِي الجَنةِ عِندَ هُبُوبِ رِيحِ النهَار، فَاختْبَأَ آدَمُ وَامرَأَتُهُ من وَجْهِ الرَّب الإِلهِ فِي وَسَط شَجَرِ الجَنةِ. ٩فَنادَى الرَّب الإِلهُ آدَم وَقَال لهُ: أَيْن أَنتَ؟. ١٠فقَال: سَمِعْتُ صَوْتَك فِي الجَنةِ فَخَشِيتُ، لأَني عُرْيَان فَاختْبَأْتُ. ١١فقَال: من أَعْلمك أَنك عُرْيَان؟ هَل أَكلتَ من الشَّجَرَةِ التِي أَوْصَيْتُك أَن لاَ تَأْكل منهَا؟ ١٢فقَال آدَم: المرْأَةُ التِي جَعَلتَهَا معِي هِيَ أَعْطتْنِي من الشَّجَرَةِ فَأَكلتُ. ١٣فقَال الرَّب الإِلهُ للمرْأَةِ: ما هذا الذي فَعَلتِ؟ فَقَالتِ المرْأَةُ: الحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكلتُ. ١٤فَقَال الرَّب الإِلهُ للحَيَّةِ: لأَنك فَعَلتِ هذا، ملعُونةٌ أَنتِ من جَمِيعِ البَهَائِم وَمن جَمِيعِ وُحُوشِ البَرِّيَّةِ. عَلى بَطنك تَسْعَيْن وَتُرَابًا تَأْكلين كل أَيَّام حَيَاتِك.

١٥وأَضعُ عَداوةً بيْنك وبَيْن المرْأَةِ، وبَيْن نسْلك ونسْلها. هُوَ يَسْحَقُ رأْسَك، وأَنتِ تَسْحقين عَقبَهُ. ١٦وقَال للمرْأَةِ: تَكثيرًا أُكثرُ أَتْعَابَ حبَلك، بِالوَجَعِ تَلدِين أَوْلاَدًا. وإِلى رَجُلك يَكون اشْتِيَاقُك وَهُوَ يَسُودُ عَليْك. ١٧وقَال لآدَم: لأَنك سَمعْتَ لقَوْل امرأَتِك وأَكلتَ من الشَّجَرَةِ التِي أَوْصَيْتُك قَائِلاً: لاَ تَأْكل منهَا، ملعُونةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِك. بِالتَّعَبِ تَأْكل منهَا كل أَيَّامِ حيَاتِك. ١٨وَشَوْكا وَحَسَكا تُنبِتُ لك، وَتَأْكل عُشْبَ الحَقْل. ١٩بِعَرَق وَجْهك تَأْكل خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلى الأَرْضِ التِي أُخِذتَ منهَا. لأَنك تُرَابٌ، وَإِلى تُرَابٍ تَعُودُ) تكوين ٣ :١٩/٧.

وانظر إلى جمال القرآن وكماله وإعجازه وقد ورد فيه ما حدث لآدم في قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الأعراف:٢٢/٢٧ .

- ما جاء في تكريم الله لبني آدم وتفضيلهم وتسخير المخلوقات لهم.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٢٦وقَال اللهُ: نعْمل الإنسَان عَلى صُورَتِنا كشبَهِنا، فَيَتَسَلطون عَلى سَمك البَحْرِ وَعَلى طيْرِ

السَّماءِ وَعَلى البَهَائِم، وَعَلى كل الأَرْضِ، وَعَلى جَميعِ الدَّبَّابَاتِ التِي تَدِبُّ عَلى الأَرْضِ. ٢٧فَخَلَقَ اللهُ الإنسَان عَلى صُورَتِهِ. عَلى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذكرًا وَأُنثى خَلقَهُم. ٢٨وَبَارَكهُم اللهُ وَقَال لهُم: أَثمرُوا وَاكثرُوا وَاملأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلطوا عَلى سَمك البَحْرِ وَعَلى طيْرِ السَّماءِ وَعَلى كل حَيَوَان يَدِبُّ عَلى الأَرْضِ. ٢٩وَقَال اللهُ: إِني قَدْ أَعْطيْتُكم كل بَقْل يُبْزِرُ بِزْرًا عَلى وَجْهِ كل الأَرْضِ، وَكل شَجَرٍ فِيهِ ثمرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لكم يَكون طعَاما. ٣٠وَلكل حَيَوَان الأَرْضِ وَكل طيْرِ السَّماءِ وَكل دَبَّابَةٍ عَلى الأَرْضِ فِيهَا نفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطيْتُ كل عُشْبٍ أَخْضَرَ طعَاما. وَكان كذلك. ٣١وَرَأَى اللهُ كل ما عَملهُ فَإِذا هُوَ حَسَن جِدًّا. وَكان مسَاءٌ وَكان صَبَاحٌ يَوْما سَادِسًا. ١فَأُكملتِ السَّماوَاتُ وَالأَرْضُ وَكل جُندِهَا. ٢وَفَرَغَ اللهُ فِي اليَوْمِ السَّابعِ من عَملهِ الذي عَمل. فَاسْتَرَاحَ فِي اليَوْمِ السَّابعِ من جَميعِ عَملهِ الذي عَمل. ٣وَبَارَك اللهُ اليَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ من جَميعِ عَملهِ الذي عَمل اللهُ خَالقًا) التكوين ١ :٢٦/٣١.

ورد في السنة النبوية قول رسول الله ﷺ: (خَلَقَ اللهُ آدَم عَلى صُورَتِهِ، طولهُ سِتُّون ذرَاعًا فَلما خَلَقَهُ قَال: اذهَبْ فَسَلم عَلى أُولئِك النفَرِ من الملائِكةِ جُلوسٌ، فَاستَمعْ ما يُحَيُّونك، فَإِنهَا تَحِيَّتُك وَتَحِيَّةُ ذرِّيَّتِك، فَقَال: السَّلام عَليْكم، فَقَالوا : السَّلام عَليْك وَرَحْمةُ اللهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمةُ اللهِ، فَكل من يَدْخُل الجَنةَ عَلى صُورَةِ آدَم، فَلم يَزَل الخَلقُ يَنقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآن) (١).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب بدء السلام ٥/٢٢٩٩ (٥٨٧٣).

وقال رسول الله ﷺ: (إن الدُّنيا حُلوةٌ خَضِرَةٌ، وإن الله مستَخْلفُكم فِيهَا فَينظرُ كيْفَ تَعْملون، فَاتَّقُوا الدُّنيَا واتَّقُوا النسَاءَ، فَإن أَوَّل فِتْنةِ بَني إِسْرَائِيل كانتْ فِي النسَاءِ) (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ الإسراء: ٧٠.

وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ النازعات: ٢٧/٤١.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ

(١) رواه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ٤/٢٠٩٨ (٢٧٤٢).

مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النحل:٥/١٨.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ طه: ٥٣/٥٤.

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾عبس: ٢٤/٣٢.

وروى مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: (قالوا: يا رَسُول اللهِ، هل نرَى رَبَّنا يوم القِيامةِ؟ قال: هل تُضَارُّون في رُؤْيَةِ الشَّمس في الظهيرَةِ ليْسَتْ في سَحَابَةٍ؟ قالوا: لا، قال: فَهَل تُضَارُّون في رُؤْيَةِ القمرِ ليْلةَ البَدْرِ ليس في سَحَابَةٍ؟ قالوا: لا، قال: فوَالذي نفْسِي بيده، لا تُضارُّون في رُؤْيَةِ رَبِّكم إلا كما تُضارُّون في رُؤْيَةِ أَحَدِهِما، قال: فَيَلقى العَبْدَ فيقول: أَيْ فُل، أَلم أُكرمك وأُسَوِّدْك وأُزَوِّجْك وأُسَخِّرْ لك الخَيْل وَالإِبِل وأَذرْك تَرْأَسُ وتَرْبَعُ؟ فيقول: بَلى، قال فيقول: أَفَظننتَ أَنك ملاقِيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فَإِني أَنسَاك كما نسِيتَني، ثم يَلقَى الثانيَ

فيقول: أَيْ فُل أَلم أُكرمك وأُسَوِّدْك وأُزَوِّجْك وأُسَخِّرْ لك الخَيْل وَالإِبِل وَأَذرْك تَرْأَسُ وتَرْبَعُ؟ فيقول: بَلى أَيْ رَبِّ، فيقول: أَفَظننتَ أَنك ملاقِيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فَإِني أَنسَاك كما نسِيتَني، ثم يَلقَى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رَبِّ آمنتُ بِك وَبِكتَابِك وَبِرُسُلك وَصَلَيْتُ وَصُمتُ وتَصَدَّقْتُ ويثنى بِخَيْرٍ ما استَطاع، فيقول: ها هنا إِذا، قال: ثم يُقَال له : الآن نبْعَث شَاهِدَنا عَليْك، وَيَتَفَكرُ في نفْسِهِ من ذا الذي يَشْهَدُ عَليَّ، فَيُخْتَم على فيه، وَيُقَال لفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظامِهِ أنطقي، فَتَنطقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظامُهُ بِعَمله، وَذلك لِيُعْذرَ من نفْسِهِ، وَذلك المنافِقُ، وَذلك الذي يَسْخَطُ الله عليه) [1].

- مقارنة النصوص في ابني آدم والقربان وحمل وزر كل قاتل للإنسان.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قول الكاتب: (وَعَاشَرَ آدَم حَوَّاءَ زَوْجَتَهُ فَحَبِلتْ، وَوَلَدَتْ قَايِين إذ قَالتْ: اقْتَنيْتُ رَجُلاً من عِندِ الرَّب. ٢ثم عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيل، وَكان هَابِيل رَاعِياً للغَنم. أَما قَايِين فَقَدْ عَمل فِي فَلاَحَةِ الأَرْضِ. ٣وَحَدَث بَعْدَ مرُور أَيَّام أَن قَدَّم قَايِين من ثمار الأَرْضِ قُرْبَاناً للرَّبِّ، ٤وَقَدَّم هَابِيل أَيْضاً من خَيْرَةِ أَبْكار غَنمِهِ وَأَسْمنهَا. فَتَقبَّل الرَّب قُرْبَان هَابِيل وَرَضِيَ عَنهُ. ٥لكنهُ لم يَتَقَبَّل قُرْبَان قَايِين وَلم يَرْضَ عَنهُ. فَاغْتَاظ قَايِين جِدّاً وَتَجهَّم وَجْهُهُ كمداً.. ٨وَعَادَ قَايِين يَتَظاهَرُ بِالوُدِّ لأَخِيهِ هَابِيل. وَحَدَث إذ كانا معاً فِي الحَقْل أَن قَايِين هَجَم عَلى أَخِيهِ هَابِيل وَقَتَلهُ. ٩وَسَأَل الرَّب قَايِين: أَيْن أَخُوك هَابِيل؟ فَأَجَابَ: لاَ أَعْرِفُ. هَل أَنا حَارِسٌ لأَخِي؟ ١٠فقَال الرَّب لهُ:

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ٤/٢٢٧٩ (٢٩٦٨).

ماذا فَعَلتَ؟ إن صَوْتَ دَم أَخِيك يَصْرُخُ إليَّ من الأَرْضِ. ١١فَمنذ الآن، تَحِل عَلَيْك لعْنةُ الأَرْضِ التِي فَتَحتْ فَاهَا وَابْتَلعَتْ دَم أَخِيك الذي سَفَكتْهُ يَدُك. ١٢عِندَما تَفْلحُهَا لن تُعْطِيَك خَيْرَهَا، وَتَكون شَرِيداً وَطرِيداً فِي الأَرْضِ) التكوين ٤ :١/١٢.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: (١وَعَرَفَ آدَم حَوَّاءَ امرأَتَهُ فَحبِلتْ وَوَلَدَتْ قَايين. وَقَالتِ: اقْتَنيْتُ رَجُلاً من عِندِ الرَّب. ٢ثم عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيل. وَكان هَابِيل رَاعِيًا للغَنم، وَكان قَايين عَاملاً فِي الأَرْضِ. ٣وَحدَث من بَعْدِ أَيَّام أَن قَايين قَدَّم من أَثمارِ الأَرْضِ قُرْبَانا للرَّبِّ، ٤وَقَدَّم هَابِيل أَيْضًا من أَبْكارِ غَنمهِ وَمن سِمانهَا. فَنظرَ الرَّب إلى هَابِيل وَقُرْبَانه، ٥وَلكن إلى قَايين وَقُرْبَانهِ لم يَنظرْ. فَاغْتَاظ قَايين جِدًّا وَسَقَط وَجْهُهُ.. ٨وَكلم قَايين هَابِيل أَخَاهُ. وَحدَث إذ كانا فِي الحَقْل أَن قَايين قَام عَلى هَابِيل أَخِيهِ وَقَتَلهُ. ٩فَقَال الرَّب لقَايين: أَيْن هَابِيل أَخُوك؟ فَقَال: لاَ أَعْلم! أَحَارِسٌ أَنا لأَخِي؟ ١٠فَقَال: ماذا فَعَلتَ؟ صَوْتُ دَم أَخِيك صَارِخٌ إليَّ من الأَرْضِ. ١١فَالآن ملعُون أَنتَ من الأَرْضِ التِي فَتَحَتْ فَاهَا لتَقْبَل دَم أَخِيك من يَدِك. ١٢متَى عَملتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطيك قُوَّتَهَا. تَائِهًا وَهَارِبًا تَكون فِي الأَرْضِ) التكوين ٤ :١/١٢.

وفي نسخة ثالثة للكتاب المقدس استبدلت فيها بعض الألفاظ مثل تقبل والقربان مع تغيير في النص في بعض مواضعه عن النصين السابقين كما يلي: (٤واضطجعَ آدم معَ امرأتِهِ حَوَّاءَ فحَملت وولَدَت قايين. فقالت: رَزَقَني الرَّب ابنا. ٢وعادَت فولَدَت أخاهُ هابيل. وصارَ هابيل

راعيَ غنم وقايين فلاَحًا يفلحُ الأرضَ. ٣وَمرَّتِ الأيّام فقَدَّم قايين من ثمرِ الأرضِ تَقدِمةً للرّبِّ، ٤وقَدَّم هابيل أيضًا من أبكارِ غنمهِ ومن سِمانها. فنظرَ الرَّب برضًى إلى هابيل وتَقدِمتِهِ، ٥أما إلى قايين وتَقدِمتِهِ فما نظرَ برضًى، فغَضِبَ قايين جدًا وعبَسَ وجهُهُ.. ٨وقال قايين لهابيل أخيهِ: هيَّا لنخرُج إلى الحقل. وبَينما هُما في الحقل هجم قايين على هابيل أخيهِ فقَتَلهُ. ٩فقال الرَّب لقايين: أين هابيل أخوك؟ قال: لا أعرفُ. أحارِسٌ أنا لأخي؟١٠فقال لهُ الرَّب: ماذا فَعَلتَ؟ دَم أخيك يصرُخ إليَ من الأرضِ. ١١والآن، فملعون أنتَ من الأرضِ التي فتَحت فَمها لتقبَل دَم أخيك من يَدِك. ١٢فهِيَ لن تُعطيَك خصبَها إذا فلحْتَها، طريدًا شريدًا تكون في الأرضِ) تكوين ١ :١٢/٤.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١ ﴾ المائدة: ٣٠/٢٧.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٣فَقَال قَايين للرَّبِّ: عُقُوبَتِي أَعْظم من أَن تُحتَمل. ١٤هَا أَنتَ اليَوْم قَدْ طرَدْتَني عَن وَجْهِ الأَرْضِ، وَمن أَمام حَضْرَتِك أَختَفِي، وأَكون شَرِيداً طرِيداً فِي الأَرْضِ،

وَيَقْتُلني كل من يَجِدُني. ١٥فَقَال الرَّب لهُ: سَأُعَاقِبُ كل من يَقْتُلك بِسَبْعَةِ أَضْعَافِ العُقُوبَةِ التِي عَاقَبْتُك بِهَا. وَوَسَم الرَّب قَايِين بِعَلامَةٍ تَحْظرُ عَلى من يَلقَاهُ اغْتِيَالهُ. ١٦وَهَكذا خَرَجَ قَايِين من حَضرْةِ الرَّب وَسَكن فِي أَرْضِ نودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ) التكوين ٤: ١٣/١٦.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: ([١٣]فَقَال قَايِين للرَّبِّ: ذنبِي أَعْظم من أن يُحتَمل. [١٤]إنك قَدْ طرَدْتَني اليَوْم عَن وَجْهِ الأَرْضِ، وَمن وَجْهك أَخْتَفِي وَأَكون تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ، فَيَكون كل من وَجَدَني يَقْتُلني. [١٥]فقَال لهُ الرَّب: لَذلك كل من قَتَل قَايِين فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنتَقَم منهُ. وَجَعَل الرَّب لقَايِين عَلاَمَةً لكيْ لاَ يَقْتُلهُ كل من وَجَدَهُ. [١٦]فَخَرَجَ قَايِين من لدُن الرَّب، وَسَكن فِي أَرْضِ نودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ) التكوين ٤: ١٣/١٦.

قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ المائدة:٣٢.

وروى البخاري من حديث ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تُقتَل نفْسٌ ظلما إلا كان عَلى ابْن آدَم الأَوَّل كفْل من دَمهَا؛ لأَنهُ أَوَّل من سَن القَتْل) [(١)].

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ٣/١٢١٣ (٣١٥٧)، ومسلم في كتاب القسامة، باب بيان إثم من سن القتل ٣/١٣٠٣ (١٦٧٧).

• **قصة نوح عليه السلام بين ما ورد في القرآن وما ذكره أهل الكتاب.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٩وَهَذا سِجِل موَالِيدِ نوح: كان نوحٌ صَالحاً كاملاً فِي زَمانهِ، وَسَارَ نوحٌ معَ اللهِ. ١٠وأَنجَبَ نوحٌ ثلاَثةَ أَبْناءٍ هُم سَام وَحَام ويَافَث. ١١وإذ سَادَ الشَّرُّ الأَرْضَ أَمام الله وَعَمهَا الظلم، ١٢نظرَ الله وإذا بِهَا فَاسِدَةٌ لأن كل بَشَرٍ عَلى الأَرْضِ قَدْ سَلك فِي طرِيقِ الإِثم) التكوين ٦: ٩/١٢.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: (٩هذهِ موَاليدُ نوحٍ: كان نوحٌ رَجُلاً بَارًّا كاملاً فِي أَجْيَالهِ. وَسَارَ نوحٌ معَ اللهِ. ١٠وَوَلَدَ نوحٌ ثلاَثةَ بَنِين: سَاما، وَحَاما، وَيَافَث. ١١وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمام اللهِ، وَامتَلأَتِ الأَرْضُ ظلما. ١٢وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذ كان كل بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طرِيقَهُ عَلى الأَرْضِ) التكوين ٦: ٩/١٢.

وفي نسخة ثالثة للكتاب المقدس تغير فيها النص عن النصين السابقين في بعض مواضعه كما يلي: (٩وهذهِ سِيرَةُ نوحٍ :كان نوحٌ في زمانهِ رَجلاً صالحًا لا عَيبَ فيهِ، وسَلك نوحٌ معَ اللهِ ١٠ووَلَدَ نوحٌ ثلاثةَ بَنين، هُم سام وحام ويافث.١١وفسَدَتِ الأرضُ أمام اللهِ وامتَلأَت عُنفًا. ١٢ونظرَ اللهُ الأرضَ فرآها فسَدَت لأن كل بشَرٍ أفسَدَ سُلوكهُ فيها) التكوين ٦: ٩/١٢.

قال تعالى في وصف ما حدث لنوح عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ

اتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ هود: ٢٥/٢٧.

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ نوح: ١/٢٤.

ورد في الكتاب المقدس عن صناعة نوح للفلك قوله: (١٣فَقَالَ اللهُ لنوح: نِهَايَةُ كل بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمامي، لأَن الأَرْضَ امتَلأَتْ ظلما منهُم. فَهَا أَنا مهْلكهُم معَ الأَرْضِ. ١٤اِصْنَعْ لنفسِك فُلكا من خَشَبِ جُفْر. تَجْعَل الفُلك مسَاكن، وَتَطليهِ من دَاخِلٍ وَمن خَارِجٍ بِالقَار. ١٥وَهكذَا تَصْنعُهُ: ثلاَث مئَةِ ذرَاعٍ يَكون طول الفُلك، وَخَمسين ذرَاعًا عَرْضُهُ،

وثلاثين ذراعًا ارتفاعهُ. [16]وتَصنعُ كوًّا للفُلك، وتُكمله إلى حَدِّ ذراعٍ من فوقُ. وتَضعُ بابَ الفُلك في جانبه. مساكن سُفليَّةً ومتوسِّطةً وعُلويَّةً تجعَلهُ) تكوين ١٣:٦/١٦.

قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ هود: ٣٦/٣٩.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١٩وتَأْخُذ معك في الفُلك زَوْجَيْن، ذكراً وأُنثى، من كل كائن حَيٍّ ذي جَسَدٍ، لاستبْقَائِهَا معَك. ٢٠تُدْخِل معَك اثنيْن من كل صنفٍ من أَصْنافِ الطيُور والبهَائم والزَّوَاحِفِ عَلى الأَرْضِ، حِفَاظاً عَلى استِمرَارِ بَقَائِهَا.٢١وتَدَّخِرُ لنفْسِك من كل طعَام يُؤْكل وتَخزُنهُ عِندَك ليَكون لك ولَها غِذاءً. ٢٢وفَعَل نوحٌ تَماماً بِمقْتَضَى كل ما أَمرَ الرَّب بِهِ) تكوين ٦: ٢٢/١٩.

وفي نسخة أخرى تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: ([19]ومن كل حَيٍّ من كل ذي جَسَدٍ، اثنيْن من كل تُدْخِل إلى الفُلك لاستِبْقَائِهَا معَك. تَكون ذكرًا وأُنثى. [20]من الطيُور كأَجْناسِهَا، ومن البَهَائِم كأَجْناسِهَا، ومن كل دبَّابَاتِ الأَرْضِ كأَجْناسِهَا. اثنيْن من كل تُدْخِل إليْك لاستبْقَائِهَا. [21]وأَنتَ، فَخُذ لنفْسِك من كل طعَام يُؤْكل واجْمعْهُ عِندَك، فيَكون لك ولَها طعَاما.[22]ففَعَل نوحٌ حَسَبَ كل ما أَمرَهُ بِهِ اللهُ. هكذا فَعَل) تكوين ١٩:٦/٢٢.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ هود: ٤٠/٤١.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١٧فَهَا أنا أُغْرِقُ الأَرْضَ بِطوفَان من المِيَاهِ لأُبِيدَ كل كائِن حَيٍّ فِيهَا ممن تَحْتَ السَّماءِ. كل ما عَلى الأَرْضِ لاَبُدَّ أَن يَموتَ. ١٨ولَكنني سَأُقِيم معَك عَهْداً، فَتَدْخُل أَنتَ معَ بَنيك وَامرأَتِك وَنسَاءِ بَنيك إِلى الفُلك) تكوين ٦: ١٧/١٨.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: (١٧فَهَا أَنا آتٍ بِطوفَان الماءِ عَلى الأَرْضِ لأُهْلك كل جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ من تَحْتِ السَّماءِ. كل ما فِي الأَرْضِ يَموتُ. ١٨ولَكن أُقِيم عَهْدِي معَك، فَتَدْخُلَ الفُلك أَنتَ وَبَنوك وَامرأَتُك وَنسَاءُ بَنيك معَك) تكوين ٦: ١٧/١٨.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (١٠وَحَدَث بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّام أَن مياهَ الطوفَان صَارَتْ عَلى الأَرْضِ. ١١فِي سَنَةِ ستِّ مئَةٍ من حَيَاةِ نوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثانى، فِي اليَوْم السَّابعَ عَشَرَ من الشَّهْر فِي ذلك اليَوْم، انفجَرَتْ كل يَنابِيعِ الغَمرِ العَظِيم، وَانفتَحَتْ طاقَاتُ السَّماءِ. ١٢وَكان المطرُ عَلى الأَرْضِ أَرْبَعِين يَوْما وَأَرْبَعِين لَيْلة. ١٣فِي ذلك اليَوْم عَيْنِهِ دَخَل نوحٌ، وَسَام وَحَام وَيَافث بَنو نوحٍ، وَامرأَةُ نوحٍ، وَثلاَث نسَاءِ بَنِيهِ معَهُم إِلى الفُلك. ١٤هُم وَكل الوُحُوشِ كأَجْناسِهَا، وَكل البَهَائِم كأَجْناسِهَا، وَكل الدَّبَّابات التِي تَدِبُّ عَلى الأَرْضِ كأَجْناسِهَا، وَكل الطيُورِ كأَجْناسِهَا: كل عُصْفُورٍ، كل ذي جَناحٍ. ١٥وَدَخَلتْ إِلى نوحٍ إِلى

الفُلك، اثنيْن اثنيْن من كل جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حيَاةٍ. ١٦وَالدَّاخِلاَتُ دَخَلتْ ذكرًا وأُنثى، من كل ذي جَسَدٍ، كما أَمرَهُ اللهُ. وأَغْلقَ الرَّب عَليْهِ.١٧وكان الطوفَان أَرْبَعِين يَوْما عَلى الأَرْضِ. وتَكاثرَتِ المِيَاهُ وَرَفَعَتِ الفُلك، فَارْتَفعَ عَن الأَرْضِ. ١٨وتَعَاظمتِ المِيَاهُ وتَكاثرَتْ جِدًّا عَلى الأَرْضِ، فكان الفُلك يَسِيرُ عَلى وَجْهِ المِيَاهِ. ١٩وتَعَاظمتِ المِيَاهُ كثيرًا جِدًّا عَلى الأَرْضِ، فَتَغَطتْ جَمِيعُ الجِبَال الشَّامخَةِ التِي تَحْتَ كل السَّماءِ. ٢٠خَمسَ عَشَرَةَ ذراعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظمتِ المِيَاهُ، فَتَغَطتِ الجِبَال. ٢١فَماتَ كل ذي جَسَدٍ كان يَدِبُّ عَلى الأَرْضِ من الطيُورِ وَالبَهَائِم وَالوُحُوشِ، وكل الزَّحَّافَاتِ التِي كانتْ تَزْحَفُ عَلى الأَرْضِ، وَجَمِيعُ الناسِ. ٢٢كل ما فِي أَنفِهِ نسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ من كل ما فِي اليَابِسَةِ ماتَ. ٢٣فَمحَا اللهُ كل قَائِم كان عَلى وَجْهِ الأَرْضِ: الناسَ، وَالبَهَائِم، وَالدَّبَّابَاتِ، وَطيُورَ السَّماءِ. فَانمحَتْ من الأَرْضِ. وَتَبَقَّى نوحٌ وَالذين معَهُ فِي الفُلك فَقَط. ٢٤وتَعَاظمتِ المِيَاهُ عَلى الأَرْضِ مئَةً وَخَمسِين يَوْما) تكوين ٧: ١٠/٢٤.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ العنكبوت: ١٤.

وقال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر: ١١/١٧.

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ

رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ هود: ٤١/٤٣.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ الحاقة: ١١/١٢.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (ثم افْتَقَدَ اللهُ نوحاً وَما معَهُ فِي الفُلك من وُحُوشٍ وبَهائِم، فَأَرْسَل رِيحاً عَلى الأَرْضِ فتَقَلصَتِ المِيَاهُ ٢وانسَدَّتْ يَنابِيعُ اللجَج وَميَازِيبُ السَّماءِ، وَاحْتَبَسَ المطرُ. ٣وتَرَاجَعَتِ المِيَاهُ عَن الأَرْضِ تَدْرِيجِيّاً. وبَعْدَ مئَةٍ وخَمسِين يَوْماً نقَصَتِ المِيَاهُ. ٤واسْتَقَرَّ الفُلك عَلى جِبَال أَرَارَاط فِي اليَوْم السَّابِعَ عَشَرَ من الشَّهْرِ السَّابِعِ للطوفَان. ٥وَظلتِ المِيَاهُ تَتَناقَصُ تَدْرِيجِيّاً حَتَّى الشَّهْرِ العَاشِرِ. وَفِي اليَوْمِ الأَوَّل من الشَّهْرِ العَاشِرِ بَدَتْ قِممِ الجِبَال) تكوين ٨: ١/٥.

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ هود: ٤٤.

وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ يونس: ٧٣.

وقال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ الأنبياء: ٧٦/٧٧.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (وَبَارَكَ الله نوحاً وَأَبْناءَهُ قَائِلاً لَهُم: أَثمِرُوا وَتَكاثَرُوا وَاملأُوا الأَرْضَ، ٢لتَطغَ الخَشْيَةُ منكم وَرَهْبَتُكم عَلى كل حَيَوَاناتِ الأَرْضِ وَطيُورِ السَّماءِ، وَعَلى كل ما يَتَحَرَّك عَلى الأَرْضِ، وَعَلى سَمك البَحْرِ، فَإنها كلهَا قَدْ أَصْبَحَتْ خَاضِعَةً لكم) تكوين ٩: ١/٢.

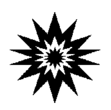
وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: (١وَبَارَك اللهُ نوحًا وَبَنيهِ وَقَال لَهُم: أَثمِرُوا وَاكثرُوا واملأُوا الأَرْضَ. ٢وَلتَكن خَشْيَتُكم وَرَهْبَتُكم عَلى كل حَيَوَاناتِ الأَرْضِ وَكل طيُورِ السَّماءِ، معَ كل ما يَدِبُّ عَلى الأَرْضِ، وَكل أَسْماك البَحْرِ. قَدْ دُفِعَتْ إلى أَيْدِيكم) تكوين ٩: ١/٢.

قال تعالى في بيان انتهاء الطوفان: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ هود:٤٨/٤٩.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٢١وشربَ نوحٌ من الخمر، فسَكرَ وتَعَرَّى في خيمتِه. ٢٢فرأى حام أبو كنعان عَورَةَ أبيهِ، فأخبَرَ أخويهِ وهُما خارجا. ٢٣فأخذ سام ويافَث ثوبًا وألقَياهُ على أكتافِهما. ومشيا إلى الوراءِ لِيَستُرا عَورَة أبيهما، وكان وجهاهُما إلى الخلفِ، فما أبصَرا عَورَةَ أبيهما. ٢٤فلما أفاقَ نوحٌ من سُكرِهِ عَلم بما فعَل بِهِ ابنهُ الصَّغيرُ، ٢٥فقال: ملعون كنعان! عبدًا ذليلاً يكون لإخوتِهِ. ٢٦وقال: تَبارك الرَّب إلهُ سام، ويكون كنعان عبدًا لسام. ٢٧ويَزيدُ اللهُ يافَث، فيسكن

في خيام سام ويكون كنعان عبدًا لهُ!.٢٨وعاشَ نوحٌ بَعدَ الطوفان ثلاث مئةٍ وخمسين سنةً، ٢٩فكانت كل أيّام نوحِ تسعَ مئَةٍ وخمسين سنةً عِندَما ماتَ) تكوين ٩: ٢١/٢٩.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ العنكبوت:١٤.



المطلب العشرون

مقارنات واقعية فعلية بين النصوص القرآنية والنبوية والنصوص المعاصرة لأهل الكتاب



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن منهج القرآن في مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وأنه أفضل المناهج في مقارنة الأديان، وبينا أن الحوار الهادف في الإسلام ينطلق من الحرص على نجاة الآخرين، وعلمنا فاعلية المقارنة الإيجابية بين القرآن والسنة ونصوص أهل الكتاب، ثم تعرفنا على ماهية الكتاب المقدس عند النصارى على اختلاف طوائفهم.

ثم تحدثنا عن أحوال الأنبياء الدالة على صدقهم في بلاغهم الوحي عن ربهم، ووسطية الوحي الذي نزل على محمد ﷺ في وصف التوراة والإنجيل، وكذلك تحدثنا عن الطعن في تفسير القساوسة للتعميد باسم الآب والابن والروح القدس، وأن التجديف على الروح القدس هو في حقيقته الإلحاد في كلام الله.

وبينا وجه المقارنة بين نصوص الإسلام وما ورد في الكتاب المقدس عند النصارى في تعلم آدم للأسماء والأكل من الشجرة، وما جاء في تكريم الله لبني آدم وتفضيلهم وتسخير المخلوقات لهم، ومقارنة

النصوص في ابني آدم والقربان وحمل وزر كل قاتل للإنسان.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن مقارنات واقعية فعلية بين النصوص القرآنية والنبوية ونصوص أهل الكتاب المعاصرة.

- **القرآن وموقف النصارى المنصفين عند سماعهم له وشهادتهم بالإسلام.**

بين الله ﷻ في القرآن الكريم وصف بعض النصارى عرفوا الحق واتبعوه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٤) فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (٨٦)﴾المائدة:٨٢/٨٦.

لقد كان لمعرفة الحق لدى كثير من النصارى انعكاسا سلوكيا إيجابيا غير لديهم مجرى الحياة، وانقلبت عقيدتهم إلى الإيمان بعد الشرك بالله، والمثل الذي يقدم هنا لبيان الأثر السلوكي لمعرفة النبي محمد ﷺ وما نزل عليه من القرآن، ليس لشخص عادي ولكنه لملك قوي يُسلم بإسلامه أمة من قومه، فلما عرف النجاشي وصف النبي ﷺ وسمع القرآن انتصر للحق، ولم تمنعه عزة الملك من المكابرة والثبات على دينه.

روى أحمد بإسناد حسن من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت عن النجاشي: (ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ،

فَلمَّا جاءَهُمْ رَسُولهُ، اجْتَمعُوا، ثمَّ قَال بَعْضُهُمْ لبَعْض: مَا تَقُولونَ للرَّجُل إذا جِئْتُمُوهُ ؟ قَالوا: نَقُول وَاللهِ مَا علمَنَا، وَمَا أَمرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنٌ فِي ذلكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلهُ سَأَلهُمْ فقَال: مَا هَذا الدِّينُ الذي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلوا فِي دِينِي وَلا فِي دِينِ أَحَد مِنْ هَذهِ الأُمَمِ ؟

قَالتْ: فَكَانَ الذي كَلمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالب، فَقَال لهُ: أَيُّهَا المَلكُ، كُنَّا قَوْما أَهْل جَاهِلِيَّة، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ وَنَأْكُل المَيْتَةَ، وَنَأْتِي الفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ وَنُسيءُ الجِوَارَ، يَأْكُل القَويُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلى ذلكَ حَتَّى بَعَث اللهُ إليْنَا رَسُولا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إلى اللهِ لنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالأَوْثان، وَأَمرَنَا بِصِدْق الحَدِيث وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الجِوَار، وَالكَفِّ عَنِ المَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الفَوَاحِشِ وَقَوْل الزُّورِ وَأَكْل مَال اليَتِيمِ وَقَذفِ المُحْصَنَةِ، وَأَمرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئا وَأَمرَنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، قَالت: فَعَدَّدَ عَليْهِ أُمُورَ الإِسْلامِ، قال: فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَليْنَا وَأَحْللنَا مَا أَحَل لنَا، فَعَدَا عَليْنَا قَوْمُنَا، فَعَذبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا ليَرُدُّونَا إلى عِبَادَةِ الأَوْثان مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِل مَا كُنَّا نَسْتَحِل مِنَ الخَبَائِث، فَلمَّا قَهرُونَا وَظَلمُونَا وَشَقُّوا عَليْنَا وَحَالوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إلى بَلدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لا نُظْلمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا المَلكُ.

قَالتْ: فقَال لهُ النَّجَاشِيُّ: هَل مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَن اللهِ مِنْ شَيْء ؟ فقَال لهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فقَال لهُ النَّجَاشِيُّ، فَاقْرَأْهُ عَليَّ، فَقرَأَ عَليْهِ صَدْرا مِنْ كهيعص، قَالتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَل لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَليْهِمْ، ثمَّ قَال النَّجَاشِيُّ: إنَّ هَذا وَاللهِ وَالذي جَاءَ بِهِ مُوسَى ليَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاة وَاحِدَة انْطَلقَا فوَاللهِ لا أُسْلمُهُمْ إليْكُمْ أَبَدا وَلا أُكَادُ، قَالتْ أُمُّ سَلمَةَ: فَلمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَال عَمْرُو بْنُ العَاصِ: وَاللهِ لأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ ثمَّ أَسْتَأْصِل بِهِ خَضْرَاءَهُمْ.

قَالتْ: فقَال لهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُليْنِ فِينَا: لا تَفْعَل فَإِنَّ لهُمْ أَرْحَاما، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالفُونَا، قَال: وَاللهِ لأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالتْ: ثمَّ غَدَا عَليْهِ الغَدَ، فقَال لهُ: أَيُّهَا المَلكُ إنَّهُمْ يَقُولونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلا عَظِيما، فَأَرْسِل إليْهِمْ فَاسْأَلهُمْ عَمَّا يَقُولونَ فِيهِ ؟ قَالتْ: فَأَرْسَل إليْهِمْ يَسْأَلهُمْ عَنْهُ، قَالتْ: وَلمْ يَنْزِل بِنَا مِثلهُ، فَاجْتَمَعَ القَوْمُ، فَقَال بَعْضُهُمْ لبَعْض: مَاذا تَقُولونَ فِي عِيسَى إذا سَأَلكُمْ عَنْهُ ؟ قَالوا: نَقُول وَاللهِ فِيهِ مَا قَال اللهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنا فِي ذلكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلمَّا دَخَلوا عَليْهِ قَال لهُمْ: مَا تَقُولونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؟ فَقَال لهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالب: نَقُول فِيهِ الذي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولهُ، وَرُوحُهُ وَكَلمَتُهُ أَلقَاهَا إلى مَرْيَمَ العَذرَاءِ البَتُول.

قَالتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إلى الأَرْضِ فَأَخَذ مِنْهَا عُودا ثمَّ قَال: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلتَ هَذا العُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلهُ حِينَ

قَال مَا قَال، فَقَال: وَإنْ نَخرَتُمْ وَاللّهِ اذهبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي، وَالسُّيُومُ الآمِنُونَ، مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ ثمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لي دَبْرا ذهَبا وَأَنِّي آذيْتُ رَجُلا مِنْكُمْ، وَالدَّبْرُ بِلسَان الحَبَشَةِ الجَبَل، رُدُّوا عَليْهمَا هَدَايَاهُمَا، فَلا حَاجَةَ لنَا بِهَا، فَوَاللّهِ مَا أَخَذ اللّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَليَّ مُلكِي فَآخُذ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ، تقول أم سلمة رضى الله عنها عن وفد قريش: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقبُوحَيْنِ مَرْدُودا عَليْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَار مَعَ خَيْرِ جَار) [1].

وروى الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المائدة:٨٣. قال: إنهم كانوا كرابين يعني فلاحين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة فلما قرأ رسول الله ﷺ عليهم القرآن آمنوا وفاضت أعينهم، قال رسول الله ﷺ: لعلكم إذا رجعتم إلى أرضكم انتقلتم عن دينكم؟ فقالوا: لن ننتقل عن ديننا ، فأنزل الله عز وجل ذلك من قولهم [2].

- قصة إبراهيم ولوط عليها السلام بين نصوص النصرانية والإسلام.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى عن نجاة إبراهيم ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين: (وَقَال الرَّب لأَبْرَامَ: اتْرُكْ أَرْضَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ وَاذهَبْ إِلى الأَرْضِ التِي أُرِيك، ٢فأَجْعَل مِنْكَ

(١) رواه أحمد في المسند ٥/٢٩٠ (٢٢٥٥١)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق.

(٢) رواه الطبراني معجم الطبراني الكبير ١٢/٥٥ (١٢٤٥٥).

أُمَّة كَبِيرَة وأُبَارِكَكَ وأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وتَكُونَ بَرَكَة لكَثيرين. ٣وأُبَارِكُ مُبَارِكِيك وأَلعَنُ لاعِنِيك، وتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ. ٤فَارْتَحَلَ أَبْرَامُ كَمَا أَمَرَهُ الرَّب ، ورَافَقَهُ لوطٌ. وكَانَ أَبْرَامُ فِي الخَامِسَةِ والسَّبْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا غَادَرَ حَارَانَ. ٥وأَخذ أَبْرَامُ سَارَايَ زَوْجَتَهُ ولَوطا ابْنَ أَخِيهِ وكُل مَا جَمَعَاهُ مِنْ مُقْتَنَيَات وكُل مَا امْتَلكَاهُ مِنْ نُفُوس فِي حَارَانَ، وانْطَلقُوا جَمِيعا إلى أَرْضِ كَنْعَانَ إلى أَنْ وَصلوهَا ٦فَشَرَعَ أَبْرَامُ يَتَنَقَّل فِي الأَرْضِ إلى أَنْ بَلغَ مَوْضِعَ شَكِيمَ إلى سَهْل مُورَةَ. وكَانَ الكَنْعَانِيُّونَ آنَئِذ يَقْطُنُونَ تِلكَ الأَرْضَ. ٧وَظَهَرَ الرَّب لأَبْرَامَ وقَال لهُ: سَأُعْطِي هَذهِ الأَرْضَ لذرِّيَّتِكَ. فَبَنَى أَبْرَامُ هُنَاكَ مَذبَحا للرَّبِّ الذي ظَهَرَ لهُ. ٨وانْتَقَل مِنْ هُنَاكَ إلى الجَبَل شَرْقِيَّ بَيْتِ إيل حَيْث نَصَبَ خِيَامَهُ مَا بَيْنَ بَيْتِ إيل غَرْبا وعَايَ شَرْقا وَشَيَّدَ هُنَاكَ مَذبَحا للرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِهِ. ٩ثمَّ تَابَعَ أَبْرَامُ ارْتِحَالهُ نَحْوَ الجَنُوبِ) تكوين/١٢.

ورد في القرآن الكريم: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾الأنبياء:٦٢ /٧١.

وقال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ

ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ العنكبوت: ٢٤/ ٢٧.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى عن ضيف إبراهيم المكرمين: (ثمَّ ظَهَرَ الرَّب لإِبْرَاهِيمَ وَهُوَ جَالسٌ عِنْدَ بلوطَاتِ مَمْرَا وقْتَ اشْتِدَادِ حَرِّ النَّهَار، ٢فرَفَعَ عَيْنَيْهِ وإذا بِهِ يَرَى ثلاثَةَ رِجَال مَاثلينَ لديْهِ. فَأَسْرَعَ لاستِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الخَيْمَةِ وَسَجَدَ إلى الأَرْضِ. ٣وقَال: يَاسَيِّدِي، إنْ كُنْتُ قَدْ حَظِيْتُ بِرضَاكَ فَلاَ تَعبُرْ عَنْ عَبْدِكَ. ٤بَل دَعْنِي أُقَدِّمُ لكُمْ بَعْضَ مَاء تَغْسِلونَ بِهِ أَرْجُلكُمْ وتَتَّكِئُونَ تَحْتَ الشَّجَرَة، ٥ثمَّ آتِي لكُمْ بِلقْمَةِ خُبْز تُسْنِدُونَ بِهَا قُلوبَكُمْ، وبَعْدَ ذلكَ تُواصِلونَ مَسِيرَتَكُمْ، لأَنَّكُمْ قَدْ مِلتُمْ إلى بَيْتِ عَبْدِكُمْ. فَأَجَابُوهُ: حَسَنا، لِيَكُنْ كَمَا قُلتَ. ٦فأَسْرَعَ إبْرَاهِيمُ إلى دَاخِلِ الخَيْمَةِ إلى زَوْجَتِهِ سَارَةَ وقَال: هَيَّا أَسْرِعِي وَاعْجِنِي ثَلاَث كَيْلاَت مِنْ أَفْضَل الدَّقِيقِ وَاخْبِزِيها. ٧ثمَّ أَسْرَعَ إبْرَاهِيمُ نَحْوَ قَطِيعِهِ وَاخْتَارَ عِجْلا رَخْصا طَيِّبا وَأَعْطَاهُ لغُلام كَيْ يُجَهِّزَهُ. ٨ثمَّ أَخَذَ زُبْدا ولَبَنا وَالعِجْل الذي طَبَخَهُ، وَمَدَّهَا أَمَامَهُمْ، وبَقِيَ وَاقِفا فِي خِدْمَتِهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَهُمْ يَأْكُلونَ) تكوين ١٨: ١/ ٨.

وقال تعالى عن ضيف إبراهيم المكرمين: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ

فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الذاريات: ٢٤/٢٧.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ هود: ٦٩/٧٠.

ورد في الكتاب المقدس عن سارة زوجة إبراهيم: (١٥وَقَال الرَّب لإِبْرَاهِيمَ: أَمَّا سَارَايُ زَوْجَتُك فَلاَ تَدْعُوهَا سَارَايَ بَعْدَ الآنَ، بَل يَكُونُ اسْمُهَا سَارَةَ وَمَعْنَاهُ أَمِيرةٌ. ١٦وأُبَاركُهَا وأُعْطِيك ابْنا مِنْها. سأُبَاركُهَا وأَجْعَلهَا أُمّا لشُعُوب، وَمِنْهَا يَتَحدَّرُ مُلوكُ أُمَم.١٧فَانْطَرَحَ إِبْرَاهِيمُ عَلى وَجْهِهِ وَضَحِكَ قَائِلا فِي نَفْسِهِ: أَيُولَدُ ابْنٌ لِمَنْ بَلغَ المِئَةَ مِنْ عُمْرِهِ؟ وَهَل تُنْجِبُ سَارَةُ وَهِيَ فِي التِّسْعِينَ مِنْ عُمْرِهَا؟) تكوين ١٧: ١٥/١٧.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (٩ثُمَّ سَأَلوهُ: أَيْنَ زَوْجَتُكَ؟ فَأَجَابَ: هَا هِيَ فِي الخَيْمَةِ. ١٠فَقَال: إِنيِّ أَرْجِعُ إِليْكَ فِي مِثْلِ هَذا الوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ القَادِمَةِ فَتَكُونُ سَارَةُ آنَئِذ قَدْ وَلدَتْ لكَ ابْنا. وَكَانَتْ سَارَةُ وَرَاءَهُ، عِنْدَ بَابِ الخَيْمَةِ، فَسَمِعَتْ حَدِيثهُ. ١١وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ عَجُوزَيْنِ طَاعِنَيْنِ جِدّا فِي السِّنِّ وَقَدْ تَجَاوَزَتْ سَارَةُ سِنَّ اليَأْسِ. ١٢فَضَحِكَتْ سَارَةُ فِي نَفْسِهَا قَائِلة: أَبَعْدَ أَنْ فَنِيَ عُمْرِي وَأَصْبَحَ زَوْجِي شَيْخا يَكُونُ لِي هَذا التَّنَعُّمُ؟ ١٣فَقَال الرَّب لإِبْرَاهِيمَ: لِمَاذا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلة: أَحَقّا أَلدُ ابْنا وَقَدْ بَلغْتُ سِنَّ الشَّيْخُوخَةِ؟ ١٤أَيَتَعَذرُ عَلى الرَّب شَيْءٌ؟ سَأَرْجِعُ إِليْكَ فِي مِثْل هَذا الوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ القَادِمَةِ فَتَكُونُ سَارَةُ قَدْ أَنْجَبَتِ ابْنا. ١٥فَخَافَتْ سَارَةُ وَأَنْكَرَتْ قَائِلة: لمْ أَضْحَكْ. فَقَال: لاَ، بَل ضَحِكْتِ) تكوين ١٨: ٩/١٥.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ هود: ٦٩/٧٣.

وقال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الحجر: ٥١/٥٦.

وقال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ الذاريات: ٢٩/٣٠.

وقال تعالى: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ هود: ٧١/٧٣.

ورد في الكتاب المقدس عن ذهاب الملائكة لقوم لوط قوله: (١٦ثمَّ نَهَضَ الرِّجَال وتَطَلَّعُوا نَحْوَ سَدُومَ. فَمَشَى إِبْرَاهِيمُ مَعَهُمْ لِيُوَدِّعَهُمْ. ١٧فقَال الرَّب: أَأَكْتُمُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ؟ ١٨وإِبْرَاهِيمُ لأَبُدَّ أَنْ يُصبِحَ أُمَّة كَبِيرَة وَقَوِيَّة، وَبِهِ تَتَبَارَكُ شُعُوبُ الأَرْضِ جَمِيعا، ١٩لأَنَّنِي

قَدِ اخْتَرْتُهُ لِيُوْصِيَ بَنِيهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَيْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّب، عَامِلِينَ البِرَّ وَالعَدْل، حَتَّى يُنْجِزَ الرَّب مَا وَعَدَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ. ٢٠وَقَال الرَّب: لأَنَّ الشَّكْوَى ضِدَّ مَظَالِمِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَتْ وَخَطِيئَتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا ٢١أَنْزِل لأَرَى إِنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ مُطَابِقَة للشَّكْوَى ضِدَّهُمْ وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ. ٢٢وَانْطَلَقَ الرَّجُلاَن مِنْ هُنَاكَ نَحْوَ سَدُومَ، وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ مَاثِلا أَمَامَ الرَّب) تكوين ١٨: ١٦/٢٢.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) ﴾ الذاريات: ٣١/٣٤.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) ﴾ الحجر: ٥٧/٦٠. وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) ﴾ هود: ٧٠.

ورد في الكتاب المقدس عن خبر إبراهيم للملائكة بأن سدوم فيها لوط: (٢٣فَاقْتَرَبَ إِبْرَاهِيمُ وَقَال: أَتُهْلِكُ البَارَّ مَعَ الأَثِيم؟ ٢٤لوْ وُجِدَ فِي المَدِينَةِ خَمْسُونَ بَارّا، فَهَل تُدَمِّرُهَا وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهَا مِنْ أَجْل الخَمْسِينَ بَارّا الذِينَ فِيهَا؟ ٢٥تَنَزَّهْتَ عَنْ أَنْ تُهْلِكَ البَارَّ مَعَ الأَثِيم، فَيَكُونُ البَارُّ كَالأَثِيم؛ حَاشَا لكَ. أَدَيَّانُ الأَرْضِ كُلهَا لاَ يُجْرِي عَدْلا؟ ٢٦فَقَال الرَّب: إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارّا فَإِنَّنِي أَصْفَحُ عَنِ المَكَان كُلهِ مِنْ أَجْلهِمْ. ٢٧فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ: هَا أَنَا قَدْ أَخَذْتُ فِي مُخَاطَبَةِ المَوْلى، مَعَ أَنَّنِي لسْتُ سِوَى تُرَاب وَرَمَاد. ٢٨مَاذا لوْ نَقَصَ الخَمْسُونَ بَارّا خَمْسَةً؟ أَفَتُهْلِكُ المَدِينَةَ كُلهَا مِنْ أَجْل الخَمْسَةِ؟ فَأَجَابَهُ: إِنْ وَجَدْتُ خَمْسَةَ

وَأَرْبَعِينَ بَارّاً لاَ أُهْلِكُهَا. ٢٩فَخَاطَبَهُ إِبْرَاهِيمُ ثَانِيَةً: وَمَاذا لوْ وُجِدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ بَارّاً فَقَطْ؟. فَأَجَابَهُ: لاَ أُهْلِكُهَا مِنْ أَجْلِ الأَرْبَعِينَ. ٣٠وَقَال إِبْرَاهِيمُ: لاَ يَغْضَبِ المَوْلى، بَل دَعْنِي أَتَكَلمُ. مَاذا لوْ وُجِدَ هُنَاكَ ثَلاَثُونَ بَارّاً؟. فَأَجَابَهُ: لاَ أُهْلِكُهَا إِنْ وَجَدْتُ ثَلاَثِينَ. ٣١وَقَال إِبْرَاهِيمُ: هَا أَنَا قَدِ اسْتَرْسَلتُ فِي الكَلاَمِ أَمَامَ المَوْلى، فَمَاذا لوْ وَجَدْتَ هُنَاكَ عِشْرِينَ بَارّاً؟ فَقَال: لاَ أُهْلِكُهَا مِنْ أَجْل العِشْرِينَ. ٣٢وَقَال إِبْرَاهِيمُ: لاَ يَغْضَبِ المَوْلى، فَأَتَكَلمَ مَرَّةً أُخْرَى: مَاذا لوْ وُجِدَ هُنَاكَ عَشَرَةٌ؟. فَأَجَابَهُ الرَّب: لاَ أُهْلِكُهَا مِنْ أَجْل العَشَرَةِ. ٣٣وَعِنْدَمَا فَرَغَ الرَّب مِنْ مُحَادَثَةِ إِبْرَاهِيمَ مَضَى، وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلى مَكَانِهِ) تكوين ١٨: ٢٣/٣٣.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝٧٦﴾ هود: ٧٤ /٧٦. وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۝٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٣٢﴾ العنكبوت: ٣١ /٣٢.

- **مقارنة النصوص في توجه الملائكة إلى لوط واجتماع قومه عليهم.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (وَأَقْبَل المَلاَكَان عَلى سَدُومَ عِنْدَ المَسَاءِ. وَكَانَ لوطٌ جَالسا عِنْدَ بَابِ سَدُومَ، فَمَا إِنْ رَآهُمَا حَتَّى نَهَضَ لاسْتِقْبَالِهِمَا، وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلى الأَرْضِ، ٢وَقَال: يَاسَيِّدَيَّ، انْزِلاَ فِي بَيْتِ عَبْدِكُمَا لتَقْضِيَا ليْلتَكُمَا، وَاغْسِلاَ أَرْجُلكُمَا، وَفِي الصَّبَاحِ البَاكِرِ تَمْضِيَان

فِي طَرِيقِكُمَا. لكِنَّهُمَا قَالاَ: لاَ، بَل نَمْكُث اللَيْلةَ فِي السَّاحَةِ. ٣فَأَصَرَّ عَليْهِمَا جِدًّا حَتَّى قَبِلاَ الذهَابَ مَعَهُ وَالنُّزُول فِي بَيْتِهِ. فَأَعَدَّ لهُمَا مَأْدُبَة وَخَبَزَ فَطِيرا فَأَكَلاَ.٤وقَبْل أَنْ يَرْقُدَا، حَاصَرَ رجَال مَدِينَةِ سَدُومَ مِنْ أَحْدَاث وَشُيُوخ، البَيْتَ، ٥ونَادُوا لوطا: أَيْنَ الرَّجُلاَن اللذان اسْتَضَفْتَهُمَا اللَيْلةَ؟ أَخْرِجْهُمَا إِليْنَا لنُضَاجِعَهُمَا. ٦فَخَرَجَ إِليْهِمْ لوطٌ بَعْدَ أَنْ أَغْلقَ البَابَ خَلفَهُ، ٧وقَال: لاَ تَرْتَكِبُوا شَرًّا يَاإِخْوَتِي. ٨هُوَذا لي ابْنَتَان عَذرَاوَان أُخْرِجُهُمَا إِليْكُمْ فَافعَلوا بِهِمَا مَا يَحْلو لكُمْ، أَمَّا هَذان الرَّجُلاَن فَلاَ تُسِيئوا إِليْهِمَا لأَنَّهُمَا لجَآ إلى حِمَى مَنْزِلي. ٩فقَالوا: تَنَحَّ بَعِيدا، وَأَضَافُوا: لقَدْ جَاءَ هَذا الإِنْسَانُ ليَتَغَرَّبَ بَيْنَنَا، وَهَا هُوَ يَتَحَكَّمُ فِينَا. الآنَ نَفْعَل بِكَ شَرًّا أَكْثَرَ مِنْهُمَا. وَتَدَافعُوا حَوْل لوط وَتَقَدَّمُوا ليُحَطِّمُوا البَابَ. ١٠غَيْرَ أَنَّ الرَّجُليْنِ مَدَّا أَيْدِيَهُمَا وَاجْتَذبَا لوطا إلى دَاخِلِ البَيْتِ، وَأَغْلقَا البَابَ. ١١ثمَّ ضَرَبَا الرِّجَال، صَغِيرَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ، الوَاقِفِينَ أَمَامَ بَابِ البَيْتِ بِالعَمَى، فَعَجَزُوا عَنِ العُثُورِ عَلى البَابِ) تكوين ١٩: ١/ ١١.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾ الحجر: ٦١ /٦٤. وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾العنكبوت: ٣٣.

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ

رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ هود: ٧٧ /٨٠. وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الحجر: ٦٧ /٧٢.

وقال تعالى: ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٤.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١٢وَقَال الرَّجُلاَن للوط: أَلَكَ أَقْرِبَاءُ فِي هَذهِ المَدِينَةِ؟ أَصْهَارٌ وأَبْنَاءٌ وبَنَاتٌ أَوْ أَيُّ شَخْص آخرَ يَمُتُّ إِلَيْكَ بِصِلة؟ أَخرِجْهُمْ مِنْ هُنَا، ١٣لأَنَّنَا عَازِمَان على تَدْمِير هَذا المَكَان، إِذ أَنَّ صُرَاخَ الشَّكْوَى مِنْ شَرِّهِ قَدْ تَعَاظَمَ أَمَامَ الرَّب، فَأَرْسَلنَا الرَّب لنُدَمِّرَهُ. ١٤فَمَضَى لوطٌ وَخَاطَبَ أَصْهَارَهُ أَزْوَاجَ بَنَاتِهِ، قَائِلا: هَيَّا. قُومُوا وَاخرُجُوا مِنْ هَذا المَكَان، لأَنَّ الرَّب سَيُدَمِّرُ هَذهِ المَدِينَةَ. فَبَدَا كَمَازِح فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِهِ. ١٥وَمَا إِنْ أَطَل الفَجْرُ حَتَّى طَفِقَ المَلاَكَان يَلحَّان عَلَى لوط قَائِليْن: هَيَّا انْهَضْ وَخُذ زَوْجَتَكَ وَابْنَتَيْكَ اللتَيْن هُنَا، لئَلاَّ تَهْلك بِإِثم المَدِينَةِ. ١٦وَإِذ تَوَانَى لوطٌ، أَمْسَكَ الرَّجُلاَن بِيَدِهِ وَأَيْدِي زَوْجَتِهِ وَابْنَتَيْهِ وَقَادَاهُمْ إِلى خَارِج المَدِينَةِ، لأَنَّ الرَّب أَشْفَقَ عَليْهِمْ. ١٧وَمَا إِنْ أَخْرَجَاهُمْ بَعِيدا حَتَى قَال أَحَدُ المَلاَكَيْن: انْجُ بِحَيَاتِكَ. لاَ تَلتَفِتْ وَرَاءَكَ وَلاَ تَتَوَقَّفْ فِي كُل مِنْطَقَةِ السَّهْل. اهْرُبْ إِلى الجَبَل لئَلاَّ تَهْلكَ. ١٨فقَال لوطٌ: ليْسَ هَكَذا يَاسَيِّدُ. ١٩هَا عَبْدُكَ قَدْ حَظِيَ بِرِضَاكَ، وَهَا أَنْتَ قَدْ عَظَّمْتَ لطْفَكَ إِذ أَنْقَذتَ حَيَاتِي، وَأَنَا لاَ أَسْتَطِيعُ اللجُوءَ إِلى

الجبَل لئَلاَّ يُدْرِكَنِي مَكْرُوهٌ فَأَمُوتَ. ٢٠هَا هِيَ المَدِينَةُ قَرِيبَةٌ يَسْهُل الهَرَبُ إلِيْهَا. إنَّهَا مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ، فَدَعْنِي أَلجأُ إليْهَا. أَلَيْسَتْ هِيَ مَدِينَة صَغِيرَة جِدًّا فَأَنْجُو فِيهَا بِحَيَاتِي؟ ٢١فقَال لهُ المَلاَكُ: إنِّي قَدْ قَبِلتُ طِلبَتَك بِشأْن هَذا الأَمْر، ولَنْ أُدَمِّرَ هَذهِ المَدِينَةَ التِي ذكَرتَها ٢٢أَسْرِعْ، واهْرُبْ إليْهَا، لأَنَّنِي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصنَعَ شَيْئا إلى أَنْ تَبْلغَهَا. لذلكَ دُعِيَ اسْمُ تِلك المَدِينَةِ صُوغَرَ ومَعْنَاهَا صَغِيرَةٌ. ٢٦وتَلفتَّتْ زَوْجَةُ لوط السَّائِرَةُ خَلفَهُ وَرَاءهَا، فَتَحَوَّلتْ إلى عَمُود مِنَ المِلحِ) تكوين ١٩: ١٢/٢٦.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ ﴾ هود:٨١. وقال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأعراف:٨٣/٨٤. وقال تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الحجر: ٦٥.

وقال تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنبياء:٧٤.

ورد في الكتاب المقدس عن موعد إهلاك قوم لوط قوله: (٢٣ومَا إنْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلى الأَرْضِ حَتَّى كَانَ لوطٌ قَدْ دَخَل إلى صُوغَرَ، ٢٤فَأَمْطَرَ الرَّب عَلى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتا ونَارا، مِنْ عِنْدِهِ مِنَ السَّمَاءِ. ٢٥وقَلبَ تِلكَ المُدُنَ والسَّاكِنِينَ فِيهَا، والسَّهْل المُحِيطَ بِهَا وكُل مَزْرُوعَاتِ الأَرْضِ. ٢٧ومَضَى إبْرَاهِيمُ مُبَكِّرا فِي الصَّبَاحِ إلى المَكَان الذي وَقَفَ فِيهِ أَمَامَ الرَّب. ٢٨وتَطَلعَ نَحْوَ سَدُومَ وعَمُورَةَ ولَسَائِرِ

أَرْضِ السَّهْلِ، فَأَبْصرَ الدُّخَانَ يَتَصَاعَدُ مِنْهَا كَالأَتُون. ٢٩وَهَكَذا عِنْدَمَا دمَّرَ اللهُ مُدُنَ السَّهْلِ ذكَرَ إِبْرَاهِيمَ، فَأَخْرَجَ لوطا قُبَيْل وُقُوعِ الكَارِثةِ حِينَ قَلبَ المُدُنَ التِي قَطَنَ فِيهَا لوطٌ. ٣٠وَغَادَرَ لوطٌ وَابْنَتَاهُ بَعْدَ ذلك صُوغَرَ، وَاسْتَقَرُّوا فِي الجَبَلِ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَلجَأَ هُوَ وَابْنَتَاهُ إِلى كَهْفِ هُنَاكَ) تكوين ١٩: ٣٠/٢٣.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ هود: ٨٣/٨١. وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ الحجر:٧٥/٧٣. وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ الأعراف:٨٤/٨٣.

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ القمر: ٣٣/٤٠..

- **حفظ سارة من محاولة اعتداء الفرعون وقصة هاجر وإسماعيل.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١٠وَحَدَث جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لأَنَّ الجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدا.

[11]وَحَدَث لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُل مِصرَ أَنَّهُ قَال لسَارايَ امْرَأَتِهِ: إِنِّي قَدْ علمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ المَنْظَرِ. [12]فَيكُونُ إذا رَآكِ المِصرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولونَ: هذهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. [13]قُولي إِنَّكِ أُخْتِي، لِيَكُونَ لي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلكِ.[14]فَحَدَث لَمَّا دَخَل أَبْرَامُ إلى مِصرَ أَنَّ المِصرِيِّينَ رَأَوْا المَرْأَةَ أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا. [15]وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لدَى فِرْعَوْنَ، فَأُخِذتِ المَرْأَةُ إلى بَيْتِ فِرْعَوْنَ، [16]فَصنَعَ إلى أَبْرَامَ خَيْرا بِسَبَبِهَا، وَصَارَ لهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَال. [17]فَضَرَبَ الرَّب فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَات عَظِيمَة بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ. [18]فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وقَال: مَا هذا الذي صَنَعْتَ بِي؟ لمَاذا لمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ [19]لمَاذا قُلتَ: هِيَ أُخْتِي، حَتَّى أَخَذتُهَا لي لتَكُونَ زَوْجَتِي؟ وَالآنَ هُوَذا امْرَأَتُكَ! خُذهَا وَاذهَبْ!. [20]فَأَوْصَى عَليْهِ فِرْعَوْنُ رِجَالا فَشَيَّعُوهُ وَامْرَأَتَهُ وَكُل مَا كَانَ لهُ) تكوين ١٢: ١٠/ ٢٠.

ورد في السنة النبوية قول رَسُول اللهِ ﷺ: (لم يَكْذبْ إِبْرَاهِيمُ النبي عليه السلام قَطُّ إلا ثلاث كَذبَات ثنْتَيْنِ في ذاتِ اللهِ قَوْلُهُ: إني سَقِيمٌ، وَقَوْلُهُ: بَل فَعَلهُ كَبِيرُهُمْ هذا، وَوَاحِدَةٌ في شَأْنِ سَارَةَ، فإنه قَدِمَ أَرْضَ جَبَّار وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ الناس، فقال لها: إنَّ هذا الجَبَّارَ إن يَعْلمْ إنك امرأتي يَغْلبْنِي عَليْكِ، فَإِنْ سَأَلكِ فَأَخْبِرِيهِ إنك أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي في الإِسْلام، فَإِنِّي لا أَعْلمُ في الأرض مُسْلما غَيْرِي وَغَيْرَكِ، فلما دخل أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْل الجَبَّار أَتَاهُ فقال له: لقد قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لا يَنْبَغِي لها أَنْ تَكُونَ إلا لك، فَأَرْسَل إِليْهَا، فأتى بها فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إلى الصَّلاةِ، فلما دَخَلتْ عليه لم يَتَمَالكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِليْهَا، فَقُبِضَتْ يَدُهُ

قَبْضَة شَدِيدَة، فقال لها: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي ولا أَضُرُّكِ، فَفَعَلتْ، فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ من القَبْضَةِ الأُولى، فقال لها مِثل ذلك، فَفَعَلتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ من القَبْضَتَيْنِ الأُولَيَيْن، فقال: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلكِ اللهَ أَنْ لا أَضُرَّكِ، فَفَعَلتْ وأُطْلِقَتْ يَدُهُ، ودَعَا الذي جاء بها فقال له: إنَّكَ إنما أَتَيْتَنِي بِشَيْطَان ولم تَأْتِنِي بِإِنْسَان، فَأَخْرِجْهَا من أَرْضِي وأَعْطِهَا هَاجَرَ، قال: فَأَقْبَلتْ تَمْشِي فلما رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام انْصَرَفَ، فقال لها: مَهْيَمْ، قالت: خَيْرا، كَفَّ اللهُ يَدَ الفَاجِرِ وأَخْدَمَ خَادِما، قال أبو هُرَيْرَةَ: فَتِلكَ أُمُّكُمْ يا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ) (١).

وورد في الكتاب المقدس في إسكان هاجر قوله: (١وَأَمَّا سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ فَلَمْ تَلِدْ لهُ. وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ، ٢فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: هُوَذَا الرَّب قَدْ أَمْسَكَنِي عَنِ الوِلاَدَةِ. ادْخُل عَلَى جَارِيَتِي لعَلِي أُرْزَقُ مِنْهَا بَنِينَ. فَسَمِعَ أَبْرَامُ لقَوْل سَارَايَ. ٣فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ هَاجَرَ المِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا، مِنْ بَعْدِ عَشَرِ سِنِينَ لإِقَامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَعْطَتْهَا لأَبْرَامَ رَجُلهَا زَوْجَة لهُ. ٤فَدَخَل عَلَى هَاجَرَ فَحَبِلتْ. وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلتْ صَغُرَتْ مَوْلاَتُهَا فِي عَيْنَيْهَا. ٥فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: ظُلمِي عَليْكَ! أَنَا دَفَعْتُ جَارِيَتِي إِلى حِضْنِكَ، فَلمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلتْ صَغُرْتُ فِي عَيْنَيْهَا. يَقْضِي الرَّب بَيْنِي وَبَيْنَكَ. ٦فَقَال أَبْرَامُ لسَارَايَ: هُوَذَا جَارِيَتُكِ فِي يَدِكِ. افْعَلي بِهَا مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكِ. فَأَذَلتْهَا سَارَايُ، فَهَرَبَتْ مِنْ وَجْهِهَا. ٧فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّب عَلى عَيْنِ المَاءِ فِي البَرِّيَّةِ، عَلى العَيْنِ التِي فِي طَرِيقِ شُورَ. ٨وَقَال: يَا هَاجَرُ جَارِيَةَ

---

(١) مسلم في الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ٤/١٨٤٠ (٢٣٧١).

سَارَايَ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ؟ وَإِلى أَيْنَ تَذهَبِينَ؟. فَقَالتْ: أَنَا هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ مَوْلاَتِي سَارَايَ. [٩]فقَال لهَا مَلاَكُ الرَّب: ارْجِعِي إِلى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا. [١٠]وقَال لهَا مَلاَكُ الرَّب: تَكْثِيرا أُكَثِرُ نَسْلك فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الكَثْرَةِ. [١١]وقَال لهَا مَلاَكُ الرَّب: هَا أَنْتِ حُبْلى، فَتَلدِينَ ابْنا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيل، لأَنَّ الرَّب قَدْ سَمِعَ لمَذلتِكِ. [١٢]وإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانا وَحْشِيّا، يَدُهُ عَلى كُل وَاحِد، وَيَدُ كُل وَاحِد عَليْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ. [١٣]فَدَعَتِ اسْمَ الرَّب الذي تَكَلمَ مَعَهَا: أَنْتَ إِيل رُئِي. لأَنَّهَا قَالتْ: أَههُنَا أَيْضا رَأَيْتُ بَعْدَ رُؤْيَة؟ [١٤]لذلكَ دُعِيَتِ البِئْرُ بِئْرَ لحَيْ رُئِي. هَا هِيَ بَيْنَ قَادِشَ وَبَارَدَ. [١٥]فَوَلدَتْ هَاجَرُ لأَبْرَامَ ابْنا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الذي وَلدَتْهُ هَاجَرُ إِسْمَاعِيل. [١٦]كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ سِتّ وَثَمَانِينَ سَنَة لمَّا وَلدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيل لأَبْرَامَ) تكوين ١٦: ١/١٦.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (٩ورأت سارةُ ابنَ هاجرَ المِصْريَّةِ الذي ولدتْهُ لإبراهيمَ يلعبُ مع ابنِها إسحَقَ، ١٠فقالت لإبراهيمَ: أُطرِدْ هذهِ الجاريةَ وابنَها! فابنُ هذهِ الجاريةِ لا يرِث معَ ابني إسحَقَ. ١١وساءَ إبراهيمَ هذا الكلامُ، لأنَّ إسماعيل، كانَ أيضا ابنَه. ١٢فقال له اللهُ: لا يَسوؤُكَ هذا الكلامُ على الصَّبيِّ وعلى جاريتِكَ. إسمعْ لكُل ما تقولهُ لكَ سارةُ، لأنَّ بإسحَقَ يكونُ لكَ نسل. ١٣وابنُ الجاريةِ أيضا أجعلهُ أُمَّة لأنَّهُ مِنْ صُلبِكَ. ١٤فبكَّرَ إبراهيمُ في الغدِ وأخذ خبزا وقِربةَ ماء، فأعطاهُما لهاجرَ ووضَعَ الصَّبيَ على كتِفِها وصرفَها، فمضَت تَهيمُ على وجهِها في صحراءِ بئرَ سَبْعَ. ١٥ونفدَ الماءُ مِنَ القِربةِ، فألقت هاجرُ الصَّبيَ تَحتَ إحدى الأشجارِ ١٦ومضَت فجلسَت قُبالتَهُ على بُعْدِ

رميَتَي قوس وهيَ تقول في نفْسِها: لا أُريدُ أنْ أرى الولدَ يموتُ. وفيما هيَ جالسةٌ رفعت صوتَها بالبُكاءِ.١٧وسَمِعَ اللهُ صوتَ الصَّبيِّ، فنادى ملاكُ اللهِ هاجرَ مِنَ السَّماءِ وقال لها: ما لكِ يا هاجرُ؟ لا تخافي. سَمِعَ اللهُ صوتَ الصَّبيِّ حَيث هوَ. ١٨قُومي اَحملي الصَّبيَ وخذي بيدِهِ، فسأجعَلَهُ أمَّة عظيمة. ١٩وفتحَ اللهُ بصيرتَها فرأت بئرَ ماء، فمضَت إلى البئرِ وملأتِ القِربةَ ماء وسقتِ الصَّبيَ.٢٠وكانَ اللهُ معَ الصَّبيّ حتى كبُرَ، فأقامَ بالصَّحراءِ، وكان راميا بالقوسِ. ٢١وحينَ أقامَ بصحراءِ فارانَ، زوَّجتْهُ أمُّهُ بامرأة مِنْ أرض مِصْرَ) تكوين ٢١: ٩/٢١.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٥/٤١.

ورد في السنة النبوية قول ابن عبَّاس ﷺ: (لمَّا كان بين إبراهيم وبَيْنَ أَهْلِهِ ما كان، خَرَجَ بِإِسْمَاعِيل وأُمِّ إسْمَاعِيل وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فيها مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيل تَشْرَبُ من الشَّنَّةِ فَيَدِرُّ لبَنُهَا على صَبِيِّهَا حتى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَة، ثمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إلى أَهْلِهِ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ

إِسْمَاعِيل حتى لَمَّا بَلغُوا كَدَاء نَادَتْهُ من وَرَائِهِ: يا إِبْرَاهِيمُ إلى من تَتْرُكُنَا؟ قَال: إلى اللهِ، قالت: رَضِيتُ بِاللهِ، قال: فَرَجَعَتْ فَجَعَلتْ تَشْرَبُ من الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لبَنُهَا على صَبِيِّهَا حتى لَمَّا فَنِيَ المَاءُ، قالت: لو ذهَبْتُ فَنَظَرْتُ لعَلي أُحِسُّ أَحَدا، قال: فَذهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ هل تُحِسُّ أَحَدا؟ فلم تُحِسَّ أَحَدا، فلما بَلغَتْ الوَادِيَ سَعَتْ وَأَتَتْ المَرْوَةَ، فَفَعَلتْ ذلك أَشْوَاطا، ثمَّ قالت: لو ذهَبْتُ فَنَظَرْتُ ما فَعَل تَعْنِي الصَّبِيَّ؟ فَذهَبَتْ فَنَظَرَتْ فإذا هو على حَالهِ، كَأَنَّهُ يَنْشَغُ للمَوْتِ، فلم تُقِرَّهَا نَفْسُهَا، فقالت: لو ذهَبْتُ فَنَظَرْتُ لعَلي أُحِسُّ أَحَدا، فَذهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فلم تُحِسَّ أَحَدا، حتى أَتَمَّتْ سَبْعا، ثمَّ قالت: لو ذهَبْتُ فَنَظَرْتُ ما فَعَل؟ فإذا هِيَ بِصَوْت، فقالت: أَغِث إن كان عِنْدَكَ خَيْرٌ، فإذا جِبْرِيل، قال: فقال بِعَقِبِهِ هَكَذا، وَغَمَزَ عَقِبَهُ على الأرض، قال: فَانْبَثقَ المَاءُ فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيل، فَجَعَلتْ تحفر، قال: فقال أبو القَاسِمِ ﷺ: لو تَرَكَتْهُ كان المَاءُ ظَاهِرا، قال: فَجَعَلتْ تَشْرَبُ من المَاءِ وَيَدِرُّ لبَنُهَا على صَبِيِّهَا، قال: فَمَرَّ نَاسٌ من جُرْهُمَ بِبَطْنِ الوَادِي، فإذا هُمْ بِطَيْر كَأَنَّهُمْ أَنْكرُوا ذاكَ، وَقَالوا: ما يَكُونُ الطَّيْرُ إلا على مَاء، فَبَعَثوا رَسُولهُمْ، فَنَظَرَ فإذا هُمْ بِالمَاءِ، فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَأَتَوْا إِليْهَا فَقَالوا: يا أُمَّ إِسْمَاعِيل أَتَأْذنِينَ لنا أَنْ نَكُونَ مَعَكِ، أو نَسْكُنَ مَعَكِ، فَبَلغَ ابْنُهَا فَنَكَحَ فِيهِمْ امْرَأَة، قال: ثمَّ إنه بَدَا لإِبْرَاهِيمَ، فقال لأَهْلهِ: إني مُطَّلعٌ تَرِكَتِي، قال: فَجَاءَ فَسَلمَ، فقال: أَيْنَ إِسْمَاعِيل؟ فقالت امْرَأَتُهُ: ذهَبَ يَصِيدُ، قال: قُولي له إذا جاء غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، فلما جاء أَخْبَرَتْهُ، قال: أَنْتِ ذاكِ فَاذهَبِي إلى أَهْلكِ، قال: ثمَّ إنه بَدَا لإِبْرَاهِيمَ، فقال لأَهْلهِ: إني مُطَّلعٌ تَرِكَتِي، قال: فَجَاءَ فقال: أَيْنَ إِسْمَاعِيل؟ فقالت امْرَأَتُهُ: ذهَبَ

يَصِيدُ، فقالت: ألا تَنْزِل فَتَطْعَمَ وتَشْرَبَ، فقال: وما طَعَامُكُمْ وما شَرَابُكُمْ؟ قالت: طَعَامُنَا اللحْمُ وَشَرَابُنَا المَاءُ، قال: اللهم بَارِكْ لهم في طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، قال: فقال أبو القَاسِمِ ﷺ بَرَكَةٌ بِدَعْوَةِ إبراهيم) [(١)].

وقال عبد بن عَبَّاس ﷺ:(أَوَّل ما اتَّخَذ النِّسَاءُ المِنْطَقَ من قِبَل أُمِّ إِسْمَاعِيل، اتَّخَذتْ مِنْطَقا لتُعفِّيَ أَثَرَهَا على سَارَةَ، ثمَّ جاء بها إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيل وَهِيَ تُرْضِعُهُ حتى وضعها عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَة فَوْقَ زَمْزَمَ في أَعْلى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بها مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالك وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابا فيه تَمْرٌ وَسِقَاء فيه مَاءٌ، ثمَّ قفي إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيل فقالت: يا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذهَبُ وَتَتْرُكُنَا بهذا الوَادِي الذي ليس فيه إِنْسٌ ولا شَيْءٌ؟ فقالت له ذلك مِرَارا، وَجعَل لا يَلتَفِتُ إِلَيْهَا، فقالت له: آللهُ الذي أَمَرَكَ بهذا؟ قال: نعم، قالت: إِذنْ لا يُضَيِّعُنَا، ثمَّ رَجعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حتى إذا كان عِنْدَ الثنِيَّةِ حَيْث لا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَل بِوَجْهِهِ البَيْتَ ثمَّ دَعَا بِهَؤُلاءِ الكَلمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فقال: ربنا إني أَسْكَنْتُ من ذريَّتِي بِوَاد غَيْر ذي زَرْع.. حتى بَلغَ يَشْكُرُونَ، وَجعَلتْ أُمُّ إِسْمَاعِيل تُرْضِعُ إِسْمَاعِيل وَتَشْرَبُ من ذلك المَاءِ، حتى إذا نَفِدَ ما في السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجعَلتْ تَنْظُرُ إِليه يَتَلوَّى، أو قال: يَتَلبَّطُ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِليه، فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَل في الأَرض يَلِيهَا، فَقَامَتْ عليه ثمَّ اسْتَقْبَلتْ الوَادِيَ تَنْظُرُ، هل تَرَى أَحَدا؟ فلم تَرَ) [(٢)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب يزفون ٣/١٢٣٠(٣١٨٥).

(٢) الموضع السابق ٣/١٢٢٧ (٣١٨٤).

- **اختتان إبراهيم ﷺ بالقدوم وميراث الإمامة لذريته من بعده.**

ورد في الكتاب المقدس قول كاتبه عن ختان إبراهيم وأولاده: (٢٣فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ ابْنَهُ، وَجَمِيعَ وِلْدَانِ بَيْتِهِ، وَجَمِيعَ الْمُبْتَاعِينَ بِفِضَّتِهِ، كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ، وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ كَمَا كَلَّمَهُ اللهُ. ٢٤وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ، ٢٥وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ ابْنَ ثَلاَثَ عَشَرَةَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ. ٢٦فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ خُتِنَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ. ٢٧وَكُلُّ رِجَالِ بَيْتِهِ وِلْدَانُ الْبَيْتِ وَالْمُبْتَاعِينَ بِالْفِضَّةِ مِنِ ابْنِ الْغَرِيبِ خُتِنُوا مَعَهُ) تكوين ١٧: ٢٣/٢٧.

وورد عند البخاري قول رَسُولِ اللهِ ﷺ: (اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَاخْتَتَنَ بِالْقَدُومِ) [(١)]. وقال رَسُولِ اللهِ ﷺ: (كان أول من ضيف الضيف إبراهيم، وهو أول من اختتن على رأس ثمانين سنة واختتن بالقدوم) [(٢)].

ورد في الكتاب المقدس عن إمامة إبراهيم وذريته: (١وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً، ٢فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا. ٣فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ قَائِلاً: ٤أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ، ٥فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ. ٦وَأُثْمِرُكَ

---

(١) البخاري في الاستئذان، باب الختان بعد الكبر ٥/٢٣٢٠ (٥٩٤٠).

(٢) انظر السلسلة الصحيحة ٢/٣٥١ (٧٢٥).

كَثيرا جِدًّا، وَأَجْعَلكَ أُمما، وَمُلوكٌ مِنْك يَخرُجُونَ. ٧وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إلها لكَ وَلنَسْلكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨وَأُعْطِي لكَ وَلنَسْلكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُل أَرْضِ كَنْعَانَ مُلكا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إلهَهُمْ.٩وَقَال اللهُ لإِبْرَاهِيم: وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ) تكوين ١٧: ١/ ٩.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾ البقرة: ١٢٤.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤ ﴾ البقرة: ١٣٠/ ١٣٤.

وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣ ﴾ الأنبياء: ٧٢/٧٣.

- **قصة الذبيح وهل هو إسماعيل أم إسحاق؟ وما حدث فيها من تحريف.**

ورد في الكتاب المقدس: (١وَحَدَث بَعْدَ هذهِ الأُمُور أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَال لهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ!. فَقَال: هأَنَذا. ٢فقَال: خُذ ابْنَكَ وَحِيدَكَ،

الذي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذهَبْ إلى أَرْضِ المُرِيَّا، وأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَة عَلى أَحَدِ الجِبَال الذي أَقُول لَكَ. ٣فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صبَاحا وَشَدَّ عَلى حِمَارِهِ، وأَخَذ اثنَيْنِ مِنْ غِلمَانِهِ مَعَهُ، وإِسْحَاقَ ابْنَهُ، وَشَقَّقَ حَطَبا لِمُحْرَقَة، وَقَامَ وَذهَبَ إلى المَوْضِعِ الذي قَال لهُ اللهُ. ٤وَفِي اليَوْمِ الثالث رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصرَ المَوْضِعَ مِنْ بَعِيد، ٥فقَال إِبْرَاهِيمُ لِغُلاَمَيْهِ: اجْلسَا أَنْتُمَا ههُنَا مَعَ الحِمَار، وَأَمَّا أَنَا وَالغُلاَمُ فَنَذهَبُ إلى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ، ثمَّ نَرْجعُ إِليْكُمَا. ٦فَأَخَذ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ المُحْرَقَةِ ووَضَعَهُ عَلى إِسْحَاقَ ابْنِهِ، وَأَخَذ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذهَبَا كِلاَهُمَا مَعا. ٧وَكَلمَ إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبِاهُ وَقَال: يَا أَبِي!. فَقَال: هأَنَذا يَا ابْنِي. فَقَال: هُوَذا النَّارُ وَالحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الخَرُوفُ للمُحْرَقَةِ؟ ٨فقَال إِبْرَاهِيمُ: اللهُ يَرَى لهُ الخَرُوفَ للمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي. فَذهَبَا كِلاَهُمَا مَعا. ٩فلَمَّا أَتيَا إلى المَوْضِعِ الذي قَال لهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ المَذبَحَ وَرَتَّبَ الحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلى المَذبَحِ فَوْقَ الحَطَبِ. ١٠ثمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذ السِّكِّينَ ليَذبَحَ ابْنَهُ. ١١فنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّب مِنَ السَّمَاءِ وَقَال: إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!. فقَال: هأَنَذا ١٢فقَال: لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إلى الغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَل بِهِ شَيْئا، لأَنِّي الآنَ عَلمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي. ١٣فرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظرَ وَإِذا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكا فِي الغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذ الكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَة عِوَضا عَنِ ابْنِهِ. ١٤فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلكَ المَوْضِعِ يَهْوَهْ يِرْأَهْ. حَتَّى إِنَّهُ يُقَال اليَوْمَ: فِي جَبَل الرَّب يُرَى. ١٥وَنَادَى مَلاَكُ الرَّب إِبْرَاهِيمَ ثانِيَة مِنَ السَّمَاءِ ١٦وَقَال: بِذاتِي أَقْسَمْتُ يَقُول الرَّب، أَنِّي مِنْ أَجْل أَنَّكَ فَعَلتَ هذا الأَمْرَ، وَلمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، ١٧أُبَارِكُكَ مُبَارَكَة، وَأُكَثرُ نَسْلكَ

تَكْثيرا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الذي عَلى شَاطِئِ البَحْرِ، وَيَرث نَسْلك بَابَ أَعْدَائِهِ، [١٨]وَيَتَبَارَك فِي نَسْلكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لقَوْلي) تكوين ٢٢: ١/١٨.

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ الصافات: ٨٣/١١٣.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ البقرة: ١٢٥/ ١٢٨.

ورد في السنة النبوية قول عبد بن عبَّاس ﷺ: (ثمَّ إنه بَدَا لإِبْرَاهِيمَ

فقال لأَهْلِهِ: إني مُطَّلعٌ تَرِكَتِي، فَجاءَ فَوَافَقَ إسْمَاعِيل من وَرَاءِ زَمْزَمَ يُصْلحُ نَبْلا له، فقال: يا إسْمَاعِيل، إنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ له بَيْتا، قال: أَطِعْ رَبَّكَ، قال: إنه قد أَمَرَنِي أَنْ تُعِينَنِي عليه، قال: إذنْ أَفْعَل أو كما قال، قال: فَقَامَا فَجعَل إبْرَاهِيمُ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيل يُنَاوِلهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولان: رَبَّنَا تَقبَّل مِنَّا إنَّكَ أنت السَّمِيعُ العَلِيمُ، قال: حتى ارْتَفَعَ البِنَاءُ وَضَعُفَ الشَّيْخُ عن نَقْلِ الحِجَارَةِ، فَقَامَ على حَجَرِ المَقَام، فَجَعَل يُنَاوِلهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولانِ: رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إنَّكَ أنت السَّمِيعُ العَلِيمُ) [(١)].

وقد ذكر ابن تيمية أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم أن إسماعيل وُلدَ ولإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمْر إبراهيم تسع وتسعون سنة، وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة بكْره، فأقحموا هاهنا كذبا وبهتانا إسحاق، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحَرّفوا وحيدك، بمعنى الذي ليس عندك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة، وهذا تأويل وتحريف باطل، فإنه لا يقال: وحيد إلا لمن ليس له غيره، وأيضا فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب يزفون ٣/١٢٣٠(٣١٨٥).

(٢) انظر مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ٥٢٣/١.

• يوسف عليه السلام ومحبة والده ورؤياه ومحاولة قتله وبيعه لعزيز مصر.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، حَيْث تَغَرَّبَ أَبُوهُ، ٢وَهَذا سِجِل بِسِيرَةِ يَعْقُوبَ. إذ كَانَ يُوسُفُ غُلَامًا فِي السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، رَاحَ يَرْعَى الغَنَمَ مَعَ إخْوَتِهِ أَبْنَاءِ بِلهَةَ وَزِلفَةَ زَوْجَتَيْ أَبِيهِ، فَأَبْلَغَ يُوسُفُ أَبَاهُ بِنَمِيمَتِهِم الرَّدِيئَةِ. ٣وَكَانَ إِسْرَائِيل يُحِبُّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ بَقِيَّةِ إِخْوَتِهِ، لأَنَّهُ كَانَ ابْنَ شَيْخُوخَتِهِ، فَصَنَعَ لهُ قَمِيصا مُلوَّنا. ٤وَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ أَنَّ أَبَاهُمْ يُحِبُّهُ أَكْثرَ مِنْهُمْ كَرِهُوهُ وَأَسَاءُوا إِليْهِ بِكَلَامِهِمْ) تكوين ٣٧: ١/ ٤. وقال تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾يوسف:٧/ ٨.

وورد في الكتاب المقدس عن رؤيا يوسف قوله: (وَحَلمَ يُوسُفُ حُلما قَصَّهُ عَلى إِخْوَتِهِ، فَازْدَادُوا لهُ بُغْضا. ٦قَال لهُمْ: اسْمَعُوا هَذا الحُلمَ الذي حَلمْتُهُ. ٧رَأَيْتُ وَكَأَنَّنَا نَحْزِمُ حُزَما فِي الحَقْل، فَإِذا بِحُزْمَتِي وَقَفَتْ ثُمَّ انْتَصَبَتْ، فَأَحَاطَتْ بِهَا حُزَمُكُمْ وَانْحَنَتْ لهَا. ٨فَقَال لهُ إِخْوَتُهُ: أَلعَلكَ تَمْلكُ عَليْنَا أَوْ تَحْكُمُنَا؟ وَزَادَ بُغْضُهُمْ لهُ بِسَبَبِ أَحْلامِهِ وَكَلامِهِ. ٩ثُمَّ حَلمَ حُلما آخَرَ سَرَدَهُ عَلى إِخْوَتِهِ، قَال: حَلمْتُ حُلما آخَرَ، وَإِذا الشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبا سَاجِدَةٌ لي. ١٠وَقَصَّهُ عَلى أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ، فَأَنَّبَهُ أَبُوهُ وَقَال: أَيُّ حُلم هَذا الذي حَلمْتَهُ؟ أَتَظُنُّ حَقّا أَنَّنِي وَأُمَّكَ وَإِخْوَتَكَ سَنَأْتِي وَنَنْحَنِي لكَ إِلى الأَرْضِ؟ ١١فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ. أَمَّا أَبُوهُ فَأَسَرَّ هَذا الكَلامَ فِي قَلبِهِ) كوين ٣٧: ٥/ ١١.

وقال تعالى:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ

وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ يوسف: ٣/٦.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (فَانْطَلَقَ يُوسُفُ فِي إِثْرِ إِخْوَتِهِ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ فِي دُوثانَ. ١٨وَمَا إِنْ رَأَوْهُ مِنْ بَعِيد، وَقَبْلَ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُمْ حَتَّى تَآمَرُوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلوهُ. ١٩وَقَال بَعْضُهُمْ لبَعْض: هَا هُوَ صَاحِبُ الأَحْلاَمِ مُقْبِل. ٢٠هَيَّا نَقْتُلهُ وَنُلق بِهِ فِي إِحْدَى الآبَار، وَنَدَّعِ أَنَّ وَحْشا ضَاريا افْتَرَسَهُ، لنَرَى مَاذا تُجْدِيهِ أَحْلاَمُهُ. ٢١وَإِذ سَمِعَ رَأُوبَيْنُ حَدِيثهُمْ، أَرَادَ أَنْ يُنْقِذهُ فَقَال: لاَ نَقْتُلهُ، ٢٢وَلاَ تَسْفِكُوا دَما، بَل اطْرَحُوهُ فِي هَذهِ البِئْر فِي البَرِّيَّةِ، وَلاَ تَمُدُّوا إِليْهِ يَدا بِأَذى. وَقَدْ أَشَارَ رَأُوبَيْنُ بِهَذا لأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُخَلصَهُ مِنْهُمْ وَيَرُدَّهُ إِلى أَبِيهِ) تكوين ٣٧: ١٧/٢٢.

وقال تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ يوسف: ٩/١٠.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١٢وَانْطَلَقَ إِخْوَتُهُ لِيَرْعَوْا غَنَمَ أَبِيهِمْ عِنْدَ شَكِيمَ، ١٣فَقَال إِسْرَائِيل لِيُوسُفَ: أَلاَ يَرْعَى إِخْوَتُك الغَنَمَ عِنْدَ شَكِيمَ؟ تَعَال لأُرْسِلك إِليْهِمْ. ١٤اذهَبْ وَاطْمَئِنَّ عَلى إِخْوَتِكَ وَعَلى المَوَاشِي، ثُمَّ عُدْ وَأَخْبِرْنِي عَنْ أَحْوَالِهِمْ، فَمَضَى مِنْ وَادِي حَبْرُونَ حَتَّى أَقْبَل إِلى شَكِيمَ. ١٥وَالتَقَاهُ رَجُل فَوَجَدَهُ تَائِها فِي الحُقُول، فَسَأَلهُ: عَمَّنْ

تَبْحَث؟ ١٦فَأَجَابَهُ: أَبْحَث عَنْ إخْوَتِي. أَرْجُوكَ أَنْ تُخْبِرَنِي أَيْنَ يَرْعَوْنَ مَوَاشِيَهُمْ؟ ١٧فَقَال الرَّجُل: لقَدِ انْتَقَلوا مِنْ هُنَا، وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولونَ: لنَذهَبْ إلى دُوثانَ. فَانْطَلقَ يُوسُفُ فِي إِثْر إِخْوَتِهِ حَتَّى قَدِمَ عَليْهِمْ فِي دُوثانَ. ١٨وَمَا إِنْ رَأَوْهُ مِنْ بَعِيد، وَقَبْل أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُمْ حَتَّى تَآمَرُوا عَليْهِ ليَقْتُلوهُ. ١٩وَقَال بَعْضُهُمْ لبَعْض: هَا هُوَ صَاحِبُ الأَحْلامِ مُقْبِل. ٢٠هَيَّا نَقْتُلهُ وَنُلقِ بِهِ فِي إِحْدَى الآبَارِ، وَنَدَّعِ أَنَّ وَحْشا ضَاريا افْتَرَسَهُ، لنَرَى مَاذا تُجْدِيهِ أَحْلامُهُ. ٢١وَإِذ سَمِعَ رَأُوبَيْنُ حَدِيثهُمْ، أَرَادَ أَنْ يُنْقِذهُ فَقَال: لاَ نَقْتُلهُ، ٢٢وَلاَ تَسْفِكُوا دَما، بَل اطْرَحُوهُ فِي هَذهِ البِئْرِ فِي البَرِّيَّةِ، وَلاَ تَمُدُّوا إِليْهِ يَدا بِأَذى. وَقَدْ أَشَارَ رَأُوبَيْنُ بِهَذا لأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُخَلصَهُ مِنْهُمْ وَيَرُدَّهُ إِلى أَبِيهِ. ٢٣وَعِنْدَمَا قَدِمَ عَلى إِخْوَتِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ قَمِيصَهُ المُلوَّنَ الذي كَانَ يَرْتَدِيهِ، ٢٤وَأَخَذوهُ وَأَلقَوْا بِهِ فِي البِئْرِ. وَكَانَتِ البِئْرُ فَارِغَة مِنَ المَاءِ) تكوين ٣٧: ١٢/٢٤.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٣١فَأَخَذوا قَمِيصَ يُوسُفَ المُلوَّنَ، وَذبَحُوا تَيْسا مِنَ المِعْزَى وَغَمَسُوا القَمِيصَ فِي الدَّمِ، ٣٢وَأَرْسَلوهُ إِلى أَبِيهِمْ قَائِلينَ: لقَدْ وَجَدْنَا هَذا القَمِيصَ، فَتَحَقَّقْ مِنْهُ، أَهُوَ قَمِيصُ ابْنِكَ أَمْ لاَ؟ ٣٣فَتَعَرَّفَ يَعْقُوبُ عَليْهِ وَقَال: هَذا قَمِيصُ ابْنِي. وَحْشٌ ضَار افْتَرَسَهُ وَمَزَّقَهُ أَشْلاَءَ. ٣٤فَشَقَّ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَارْتَدَى المُسُوحَ عَلى حَقْوَيْهِ، وَنَاحَ عَلى ابْنِهِ أَيَّاما عَدِيدَة. ٣٥وَعِنْدَمَا قَامَ جَمِيعُ أَبْنَائِهِ ليُعَزُّوهُ أَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَال: إِنِّي أَمْضِي إِلى ابْنِي نَائِحا إِلى الهَاوِيَةِ. وَبَكَى عَليْهِ أَبُوهُ) تكوين ٣٧: ٣١/٣٥.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يوسف: ١١/ ١٨.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٢٥وَحِينَ جَلسُوا ليَأْكُلوا شَاهَدُوا عَنْ بُعْد قَافِلة مِنَ الإِسْمَاعِيليِّينَ قَادِمِينَ مِنْ جِلعَادَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلى مِصْرَ، وَجِمَالُهُمْ مُثقَّلةٌ بِالتَّوَابِلِ وَالبَلسَانِ وَاللاذن. ٢٦فَقَال يَهُوذا لإِخْوَتِهِ: مَا جَدْوَى قَتْل أَخِينَا وَإِخْفَاءِ دَمِهِ؟ ٢٧تَعَالوْا نَبِيعُهُ إِلى الإِسْمَاعِيليِّينَ وَنُبْرِىءُ أَيْدِينَا مِنْ دَمِهِ لأَنَّهُ أَخُونَا وَمِنْ لحْمِنَا. فَوَافَقَ إِخْوَتُهُ عَلى رَأْيِهِ. ٢٨وَعِنْدَمَا دَنَا مِنْهُمُ التُّجَّارُ المِدْيَانِيُّونَ، سَحَبُوا يُوسُفَ مِنَ البِئْرِ وَبَاعُوهُ لهُمْ بِعِشْرِينَ قِطْعَة مِنَ الفِضَّةِ، فَحَمَلوهُ إِلى مِصْرَ) تكوين ٣٧: ٢٥/ ٢٨.

وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ يوسف: ١٩/ ٢٠.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (وَأَخَذ الإِسْمَاعِيليُّونَ يُوسُفَ إِلى مِصْرَ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهُمْ مِصْرِيٌّ يُدْعَى فُوطِيفَارَ، كَانَ خَصِيَّ فِرْعَوْنَ وَرَئِيسَ الحَرَسِ. ٢وَكَانَ الرَّب مَعَ يُوسُفَ، فَأَفْلحَ فِي أَعْمَالِهِ، وَأَقَامَ فِي بَيْتِ سَيِّدِهِ المِصْرِيِّ. ٣وَرَأَى مَوْلاهُ أَنَّ الرَّب مَعَهُ وَأَنَّهُ يُكلل كُل مَا

تَصْنَعُهُ يَدَاهُ بِالنَّجَاحِ، ٤فَحَظِيَ يُوسُفُ بِرِضَى سَيِّدِهِ، فَجَعَلَهُ وَكِيلا عَلى بَيْتِهِ وَوَلاَّهُ عَلى كُل مَالهُ. ٥وَبَارَكَ الرَّب بَيْتَ المِصْرِيِّ وَكُل مَالهُ مِنْ مُقْتَنَيَات فِي البَيْتِ وَالحَقْل بِفَضْل يُوسُفَ. ٦فعَهدَ بِكُل مَالهُ إلى يُوسُفَ. وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَهُ شَيْئا إِلاَّ الخُبْزَ الذي يَأْكُل. وَكَانَ يُوسُفُ جَمِيل الهَيْئَةِ وَسِيمَ الوَجْهِ) تكوين ٣٩: ١/٦.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يوسف: ٢١/٢٢.

• مراودة امرأة العزيز ليوسف وسجنه وتأويله لرؤيا صاحبيه والملك.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٧ثمَّ لَمْ تَلبَث أَنْ أُغْرِمَتْ بِهِ زَوْجَةُ مَوْلاَهُ فَقَالتْ: اضْطَجِعْ مَعِي. ٨فَأَبَى وَقَال لهَا: هُوَذا سَيِّدِي قَدْ عَهدَ إِليَّ بِكُل مَا يَمْلكُ فِي هَذا البَيْتِ وَلَمْ يُشْغِل نَفْسَهُ بِأَيِّ شَأْن فِيهِ. ٩وَليْسَ فِي هَذا البَيْتِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنِّي. وَلَمْ يَمْنَعْ عَنِّي شَيْئا غَيْرَكِ لأَنَّكِ زَوْجَتُهُ. فَكَيْفَ أَقْتَرِفُ هَذا الشَّرَّ العَظِيمَ وَأُخْطِيءُ إِلى اللهِ؟ ١٠وَلَمْ يُذعِنْ يُوسُفُ لهَا مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ تُلحُّ عَليْهِ يَوْما بَعْدَ آخرَ. ١١وَحَدَث يَوْما أَنَّهُ دَخَل البَيْتَ ليَقُومَ بِعَمَلهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي المَنْزل أَحَدٌ، ١٢فأَمْسَكَتْهُ مِنْ رِدَائِهِ وَقَالتْ: اضْطَجِعْ مَعِي. فَتَرَكَ رِدَاءَهُ بِيَدِهَا وَهَرَبَ خَارِجا تَارِكا رِدَاءَهُ بِيَدِهَا ١٣وَعِنْدَمَا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ رَفَضَ وَهَرَبَ خَارِجا تَارِكا رِدَاءَهُ بِيَدِهَا ١٤نَادَتْ أَهْل بَيْتِهَا وَقَالتْ: انْظُرُوا مَا جَرَى؟ هَذا العِبْرَانِيُّ الذي جَاءَ بِهِ زَوْجِي إِلى البَيْتِ. شَرَعَ يُرَاوِدُنِي عَنْ نَفْسِي. دَخَل غُرْفَتِي وَحَاوَل

اغْتِصَابِي، فَصَرَخْتُ بِأَعْلى صَوْتِي. ١٥وَعِنْدَمَا سَمِعَنِي قَدْ رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، تَرَكَ رِدَاءَهُ مَعِي وَهَرَبَ خَارِجا. ١٦وَأَلْقَتْ رِدَاءَهُ إلى جَانِبِهَا حَتَّى قَدِمَ مَوْلاَهُ إلى بَيْتِهِ، ١٧فَقَصَّتْ عَلَيْهِ مِثل هَذا الحَدِيث قَائِلة: دَخَلَ العَبْدُ العِبْرَانِيُّ الذي جِئْتَ بِهِ إلَيْنَا لِيُرَاوِدَنِي عَنْ نَفْسِي، ١٨وَحِينَ رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَفَرَّ خَارِجا. ١٩فَلَمَّا سَمِعَ سَيِّدُهُ كَلاَمَ زَوْجَتِهِ وَمَا اتَّهَمَتْ بِهِ يُوسُفَ احْتَدَمَ غَضَبُهُ، ٢٠فَقَبَضَ عَلَى يُوسُفَ وَزَجَّهُ فِي السِّجْنِ، حَيْث كَانَ أَسْرَى المَلِكِ مُعْتَقَلِينَ، فَمَكَث هُنَاكَ) تكوين ٣٩: ٧/٢٠.

قال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ

فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾﴾ يوسف:٣٥/٢٣.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٥وحَلمَ كُل مِنْ سَاقِي مَلكِ مِصْرَ وَخبَّازهِ المُعْتَقلَيْنِ فِي السِّجْنِ حُلما فِي ليْلة وَاحِدَة. وكَانَ لحُلمِ كُل مِنْهُمَا مَعْنَاهُ الخَاصُّ بِصَاحِبِهِ. ٦فَأَقْبَل عَليْهِمَا يُوسُفُ فِي الصَّبَاحِ فَوَجَدَهُمَا مُكْتَئِبَيْنِ. ٧فسَأَلهُمَا: لمَاذا وَجْهَاكُمَا مَكْمَدَّان فِي هَذا اليَوْمِ؟ ٨فأَجَابَاهُ: حَلمَ كُل مِنَّا حُلما وَليْسَ مَنْ يُفَسِّرُهُ. فَقَال يُوسُفُ: أَليْسَتْ تَفَاسِيرُ الأَحْلامِ للهِ؟ حَدِّثَانِي بِهِمَا. ٩فسَرَدَ رَئِيسُ السُّقَاةِ حُلمَهُ عَلى يُوسُفَ. قَال: رَأَيْتُ فِي حُلمِي وَإِذا كَرْمَةٌ أَمَامِي، ١٠فِيهَا ثلاثة أَغْصَان أَفْرَخَتْ ثمَّ أَزْهَرَتْ، وَمَا لبِثتْ عَنَاقِيدُهَا أَنْ أَثمَرَتْ عِنَبا نَاضِجا. ١١وكَانَتْ كَأْسُ فِرْعَوْنَ فِي يَدِي، فَتَنَاوَلتُ العِنَبَ وَعَصَرْتُهُ فِي كَأْسِ فِرْعَوْنَ وَوَضَعْتُ الكَأْسَ فِي يَدِهِ.١٢فقَال لهُ يُوسُفُ: إِليْك تَفْسِيرَهُ: الثلاثةُ أَغْصَان هِيَ ثلاثةُ أَيَّام. ١٣بَعْدَ ثلاثةِ أَيَّام يَرْضَى عَنْك فِرْعَوْنُ، وَيرُدُّك إِلى مَنْزِلتِك حَيْث تُنَاوِل فِرْعَوْنَ كَأْسَهُ، تَمَاما كَمَا كُنْتَ مُعْتَادا أَنْ تَفْعَل عِنْدَمَا كُنْتَ سَاقِيَهُ) تكوين ٤٠: ٥/١٣.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (١٦وَعِنْدَمَا رَأَى رئِيسُ الخَبَّازِين أَنَّ يُوسُفَ أَحْسَنَ التَّفْسِيرَ، قَال لهُ: رَأَيْتُ أَنَا أَيْضا حُلما، وَإِذا بِثلاثةِ سِلال بَيْضَاءَ عَلى رَأْسِي. ١٧وكَانَ السَّل الأَعْلى مَليئا مِنْ طَعَامِ فِرْعَوْنَ مِمَّا يُعِدُّهُ الخبَّازُ، إِلاَّ أَنَّ الطُّيُورَ كَانَتْ تَلتَهِمُهُ مِنَ السَّل الذي عَلى رَأْسِي.

١٨فَقَال يُوسُفُ: إِلَيْكَ تَفْسِيرُهُ: الثلاَثَةُ السِّلاَل هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّام ١٩بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّام يَقْطَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ وَيُعَلقُكَ عَلى خَشَبَة فَتَأْكُل الطُّيُورُ لحْمَكَ. ٢٠وَكَانَ اليَوْمُ الثالث هُوَ يَوْمُ عِيدِ مِيلاَدِ فِرْعَوْنَ، فَأَقَامَ مَأْدُبَة لجَمِيعِ رِجَالِهِ، وَأَحْضَرَ مِنَ السِّجْنِ رَئِيسَ السُّقَاةِ وَرَئِيسَ الخَبَّازِينَ أَمَامَهُمْ. ٢١وَرَدَّ رَئِيسَ السُّقَاةِ إِلى عَمَلِهِ، فَصَارَ يُقَدِّمُ الكَأْسَ لِيَدِ فِرْعَوْنَ. ٢٢أَمَّا رَئِيسُ الخَبَّازِينَ فَقَدْ عَلقَهُ عَلى خَشَبَة مِثلمَا فَسَّرَ لهُمَا يُوسُفُ حُلمَيْهِمَا) تكوين ٤٠: ١٦/٢٢.

وقال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)﴾ يوسف:٣٦/٤١.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (إِنَّمَا إِذا أَصَابَكَ خَيْرٌ فَاذكُرْنِي وَأَحْسِنْ إِليَّ. اذكُرْنِي لدَى فِرْعَوْنَ وَأَخْرِجْنِي مِنْ هَذا السِّجْنِ، ١٥لأَنِّي حُمِلتُ عَنْوَة مِنْ أَرْضِ العِبْرَانِيِّينَ، وَهُنَا أَيْضا لمْ أَجْنِ شَيْئا

ليزُجُّوا بِي فِي هَذا السِّجْنِ...٢١ورَدَّ رئِيسَ السُّقَاةِ إلى عَمَلهِ، فَصَارَ يُقَدِّمُ الكأْسَ ليَدِ فِرْعَوْنَ. ٢٢أمَّا رئِيسُ الخَبَّازِين فقَدْ عَلقَهُ (عَلى خَشبَة) مِثلمَا فَسَّرَ لهُمَا يُوسُفُ حُلمَيْهمَا. ٢٣ولكِنَّ رئِيسَ السُّقَاةِ لمْ يَذكُرْ يُوسُفَ بَل نَسِيَهُ) تكوين ٤٠: ١٤/٢٣.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ يوسف:٤٢.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (وَبَعْدَ انْقِضَاءِ سَنَتَيْنِ رَأَى فِرْعَوْنُ حُلما، وَإذا بِهِ وَاقِفٌ بِجُوَارِ نَهْرِ النِّيل ٢وَإذا بِسَبْعِ بَقَرَات حِسَان المَنْظَرِ وَسَمِينَاتِ الأَبْدَان، صَاعِدَات مِنَ النَّهْرِ أَخَذتْ تَرْعَى فِي المَرْجِ، ٣ثمَّ إذا بِسَبْعِ بَقَرَات أُخْرَى قَبِيحَاتِ المَنْظَرِ وَهَزِيلاَت تَصْعَدُ وَرَاءَهَا مِنَ النَّهْرِ وَتَقِفُ إلى جُوَارِ البَقَرَاتِ الأُولى عَلى ضَفَّةِ النَّهْرِ. ٤والتَهَمَتِ البَقَرَاتُ القَبِيحَاتُ البَقَرَاتِ السَّبْعَ الحَسَنَاتِ المَنْظَرِ وَالسَّمِينَاتِ. وَأَفَاقَ فِرْعَوْنُ. ٥ثمَّ نَامَ، فَحَلمَ ثانِيَة، وَإذا بِسَبْعِ سَنَابِل نَابِتَة مِنْ سَاق وَاحِدَة زَاهِيَة وَمُمْتَلئَة ٦ثمَّ رَأَى سَبْعَ سَنَابِل عَجْفَاءَ قَدْ لفَحَتْهَا الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ نَابِتَة وَرَاءَهَا، ٧فَابْتَلعَتِ السَّنَابِل العَجْفَاءُ السَّبْعَ السَّنَابِل الزَّاهِيَةَ المُمْتَلئَةَ. وَأَفَاقَ فِرْعَوْنُ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ حُلمٌ. ٨ولَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ اسْتَوْلى الانْزِعَاجُ عَلى فِرْعَونَ فَأَرْسَل وَاسْتَدْعَى جَمِيعَ سَحَرَةِ مِصْرَ وَكُل حُكَمَائِهَا، وَسَرَدَ عَليْهِمْ حُلمَهُ، فَلمْ يَجِدْ مَنْ يُفَسِّرُهُ لهُ) تكوين ٤١:١/٨. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ يوسف: ٤٣/٤٤.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (٩عِنْدَئِذ قَال رَئِيسُ السُّقَاةِ لفِرْعَوْنَ: إنِّي أذكُرُ اليَوْمَ ذنُوبِي. ١٠لقَدْ سَخطَ فِرْعَوْنُ على عَبْدَيْهِ، فزَجَّنِي وَرَئِيسَ الخَبَّازِينَ فِي مُعْتَقَل بَيْتِ رئِيسِ الحَرَس. ١١فَحَلمَ كُل مِنَّا حُلما فِي نَفْسِ الليْلةِ، وَكَانَ تَفْسِيرُ كُل حُلم يَتَّفِقُ مَعَ أَحْوَال رَائِيهِ. ١٢وَكَانَ مَعَنَا هُنَاكَ غُلامٌ عِبْرَانِيٌّ، عَبْدٌ لرَئِيسِ الحَرَس، فَسَرَدْنَا عَليْهِ حُلمَيْنَا فَفَسَّرَهُمَا لكُل مِنَّا حَسَبَ تَعْبِيرِ حُلمِهِ. ١٣وَقَدْ تَمَّ مَا فَسَّرَهُ لنَا. فَرَدَّنِي فِرْعَوْنُ إلى وَظِيفَتِي وَأَمَّا ذاكَ فَعَلقَهُ (عَلى خَشَبَة).١٤فَبَعَث فِرْعَوْنُ وَاسْتَدْعَى يُوسُفَ، فَأَسْرَعُوا وَأَتَوْا بِهِ مِنَ السِّجْنِ فَحَلقَ وَاسْتَبْدَل ثِيَابَهُ وَمَثل أَمَامَ فِرْعَوْنَ. ١٥فقَال فِرْعَوْنُ ليُوسُفَ: لقَدْ رَأَيْتُ حُلما وَليْسَ هُنَاكَ مَنْ يُفَسِّرُهُ، وَقَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ حَدِيثا أَنَّكَ إِنْ سَمِعْتَ حُلما تَقْدِرُ أَنْ تُفَسِّرَهُ. ١٦فَأَجَابَ يُوسُفُ: لاَ فَضْل لي فِي ذلك، بَل إِنَّ اللهَ هُوَ الذي يُعْطِي فِرْعَوْنَ الجَوَابَ الصَّائِبَ) تكوين ٤١: ٩/١٦.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (٢٥فَقَال يُوسُفُ لفِرْعَوْنَ: حُلمَا فِرْعَوْنَ هُمَا حُلمٌ وَاحِدٌ. وَقَدْ أَطْلعَ اللهُ فِرْعَوْنَ عَمَّا هُوَ فَاعِل. ٢٦السَّبْعُ البَقَرَاتُ الحِسَانُ هِيَ سَبْعُ سَنَوَات. وَالسَّبْعُ السَّنَابِل الزَّاهِيَاتُ هِيَ أَيْضا سَبْعُ سَنَوَات. فَالحُلمَان هُمَا حُلمٌ وَاحِدٌ. ٢٧وَالسَّبْعُ البَقَرَاتُ القَبِيحَاتُ الهَزِيلاَتُ التِي صَعِدَتْ وَرَاءَهَا هِيَ سَبْعُ سَنَوَات. وَالسَّبْعُ السَّنَابِل الفَارِغَاتُ المَلفُوحَاتُ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ سَتَكُونُ سَبْعَ سَنَوَاتِ جُوع ٢٨وَالأَمْرُ هُوَ كَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ فِرْعَوْنَ: فَقَدْ أَطْلعَ اللهُ فِرْعَوْنَ عَمَّا هُوَ صَانِعٌ ٢٩هُوَذا سَبْعُ سِنِينَ رَخَاء عَظِيم قَادِمَةٌ عَلى كُل أَرْضِ مِصْرَ، ٣٠تَعْقُبُهَا سَبْعُ سَنَوَاتِ جُوع، حَتَّى يَنْسَى النَّاسُ كُل الرَّخَاءِ الذي عَمَّ

أَرْضَ مِصْرَ، وَيُتْلفُ الجُوعُ الأَرْضَ، ٣١وَيَخْتَفِي كُل أَثر للرَّخَاءِ فِي البِلاَدِ مِنْ جَرَّاءِ المَجَاعَةِ التِي تَعْقُبُهُ، لأَنَّهَا سَتَكُونُ قَاسِيَة جِدّا ٣٢أَمَّا تَكْرَارُ الحُلمِ عَلى فِرْعَوْنَ مَرَّتَيْنِ فَلأَنَّ الأَمْرَ قَدْ حَتَمَهُ الله، وَلاَبُدَّ أَنْ يُجْرِيَهُ سَرِيعا) تكوين ٢٥:٤١/٣٢.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يوسف: ٤٥/٤٩.

- التمكين ليوسف ومجيء إخوته من أرض فلسطين إلى مصر.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٣٣وَالآنَ لِيَبْحَث فِرْعَوْنُ عَنْ رَجُل بَصِير حَكِيم يُوَلِيهِ عَلى البِلاَدِ، ٣٤وَلِيُقِمْ فِرْعَوْنُ نُظَّارا عَلى أَرْضِ مِصْرَ يَجْبُونَ خُمْسَ غَلتِهَا فِي سَنَوَاتِ الرَّخَاءِ السَّبْعِ. ٣٥وَلِيَجْمَعُوا كُل طَعَامِ سَنَوَاتِ الخَيْرِ المُقْبِلةِ، وَيَخْزِنُوا القَمْحَ بِتَفْوِيض مِنْ فِرْعَوْنَ وَيَحْفَظُوهُ فِي المُدُن لِيَكُونَ طَعَاما، ٣٦وَمَؤُونَة لأَهْل الأَرْضِ فِي سَنَوَاتِ المَجَاعَةِ السَّبْعِ التِي سَتَسُودُ أَرْضَ مِصْرَ فَلاَ يَهْلكُونَ جُوعا. ٣٧فَاسْتَحْسَنَ فِرْعَوْنُ وَرِجَالهُ جَمِيعا هَذا الكَلاَمَ، ٣٨وَقَال فِرْعَوْنُ لعَبِيدِهِ: هَل نَجِدُ نَظِيرَ هَذا رَجُلا فِيهِ رُوحُ اللهِ؟ ٣٩ثمَّ قَال فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: مِنْ حَيْث أَنَّ الله قَدْ أَطْلعَكَ عَلى كُل هَذا، فَليْسَ هُنَاكَ بَصِيرٌ وَحَكِيمٌ نَظِيرَكَ. ٤٠لذلكَ أُوَليكَ عَلى بَيْتِي، وَيُذعِنُ شَعْبِي لكُل أَمْر تُصْدِرُهُ، وَلنْ يَكُونَ أَعْظَمَ

مِنْكَ سِوَايَ أَنَا صَاحِبِ العَرْشِ. ٤١ثمَّ قَال فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: هَا أَنَا قَدْ وَلَيْتُكَ عَلى كُل أَرْضِ مِصْرَ. ٤٢وَنَزَعَ فِرْعَوْنُ خَاتَمَهُ مِنْ يَدِهِ وَوَضَعَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ، وَأَلبَسَهُ ثِيَابَ كَتَّان فَاخِرَة وَطَوَّقَ عُنُقَهُ بِطَوْق مِنْ ذهَب، ٤٣وَأَرْكَبَهُ فِي مَرْكَبَتِهِ الثانِيَةِ، وَنَادُوا: ارْكَعُوا أَمَامَهُ. وَأَقَامَهُ وَاليا عَلى كُل أَرْضِ مِصْرَ. ٤٤وَقَال فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: أَنَا فِرْعَوْنُ، وَلاَ أَحَدَ يُمْكِنُ أَنْ يُحَرِّكَ سَاكِنا فِي كُل أَرْضِ مِصْرَ مِنْ غَيْرِ إِذنِكَ.٤٥وَدَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ (وَمَعْنَاهُ بِالمِصْرِيَّةِ القَدِيمَةِ مُخَلصُ العَالمِ أَوْ حَافِظُ الحَيَاةِ). وَزَوَّجَهُ مِنْ أَسْنَاتَ بِنْتِ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ، فَذاعَ اسْمُ يُوسُفَ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ مِصْر) تكوين٤١: ٣٣/٤٥.

وقال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يوسف:٥٠/٥٧.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (وَعِنْدَمَا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّ القَمْحَ مُتَوَافِرٌ فِي مِصْرَ، قَال لأَبْنَائِهِ: مَا بَالكُمْ تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ؟ ٢لقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ القَمْحَ مُتَوَافِرٌ فِي مِصْرَ. فَانْحَدِرُوا إِلى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لنَا

قَمْحا لنَبْقَى عَلى قَيْدِ الحَيَاةِ وَلاَ نَمُوتَ. ٣فَذهَبَ عَشَرَةٌ مِنْ إخْوَةِ يُوسُفَ لِيَشْتَرُوا قَمْحا مِنْ مِصْرَ، ٤أَمَّا بَنْيَامِينُ أَخُو يُوسُفَ فَلَمْ يُرْسِلهُ يَعْقُوبُ مَعَ إخْوَتِهِ خَوْفا مِنْ أَنْ يَنَالهُ مَكْرُوهٌ. ٥فَقَدِمَ أَبْنَاءُ إسْرَائِيل إلى مِصْرَ مَعَ جُمْلَةِ القَادِمِينَ لِيَشْتَرُوا قَمْحا، لأَنَّ المَجَاعَةَ كَانَتْ قَدْ أَصَابَتْ أَرْضَ كَنْعَانَ أَيْضا. ٦وَكَانَ يُوسُفُ هُوَ المُتَسَلطُ عَلى مِصْرَ، وَالقَائِمُ عَلى بَيْعِ القَمْحِ لأَهْلهَا جَمِيعا. فَأَقْبَل إخْوَةُ يُوسُفَ وَسَجَدُوا لهُ بِوُجُوهِهِمْ إلى الأَرْضِ. ٧فلمَّا رَآهُمْ عَرَفَهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَنَكَّرَ لهُمْ وَخَاطَبَهُمْ بِجَفَاء وَسَأَلهُمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَأَجَابُوهُ: مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ لنَشْتَرِيَ طَعَاما. ٨وَمَعَ أَنَّ يُوسُفَ عَرَفَهُمْ، إلاَّ أَنَّهُمْ لمْ يَعْرِفُوه) تكوين٤٢: ١/٨.

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ يوسف:٥٨.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٩ثمَّ تَذكَّرَ يُوسُفُ أَحْلاَمَهُ التِي حَلمَهَا بِشَأْنِهِمْ، فَقَال لهُمْ: أَنْتُمْ جَوَاسِيسُ، وَقَدْ جِئْتُمْ لاكْتِشَافِ ثغُورِنَا غَيْرِ المَحْمِيَّةِ ١٠فَقَالوا لهُ: لاَ يَاسَيِّدِي إنَّمَا قَدِمَ عَبِيدُكَ لشِرَاءِ الطَّعَامِ، ١١فَنَحْنُ كُلنَا أَبْنَاءُ رَجُل وَاحِد، نَحْنُ أُمَنَاءُ وَليْسَ عَبِيدُكَ جَوَاسِيسَ. ١٢وَلكِنَّهُ قَال لهُمْ: لاَ! أَنْتُمْ قَدْ جِئْتُمْ لاكْتِشَافِ ثغُورِنَا غَيْرِ المَحْمِيَّةِ ١٣فَأَجَابُوهُ: إنَّ عَبِيدَكَ اثنَا عَشَرَ أَخا، أَبْنَاءُ رَجُل وَاحِد مُقِيم فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَقَدْ بَقِيَ أَخُونَا الصَّغِيرُ عِنْدَ أَبِينَا اليَوْمَ، وَالآخَرُ مَفْقُودٌ. ١٤فَقَال لهُمْ: إنَّ الأَمْرَ كَمَا قُلتُ لكُمْ! أَنْتُمْ جَوَاسِيسُ. ١٥وَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ إنَّكُمْ لنْ تُغَادِرُوا هُنَا حَتَّى تَأْتُوا بِأَخِيكُمُ الأَصْغَرِ، وَبِذلكَ تُثبِتُونَ صِدْقَكُمْ. ١٦أَوْفِدُوا وَاحِدا مِنْكُمْ ليَأْتِيَ بِأَخِيكُمْ، أَمَّا بَقِيَّتُكُمْ

فَتَمْكُثونَ فِي السِّجْنِ حَتَّى تَثْبُتَ صِحَّةُ كَلامِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ. وَإِلاَّ فَوَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ أَنْتُمْ لسْتُمْ سِوَى جَوَاسِيسَ. ١٧وَطَرَحَهُمْ فِي السِّجْنِ مَعا ثلاَثَة أَيَّام) تكوين ٤٢:٩/١٧.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (٢٥ثمَّ أَمَرَ يُوسُفُ مُوَظَّفِيهِ أَنْ يَمْلأُوا أَكْيَاسَهُمْ بِالقَمْحِ، وَأَنْ يَرُدُّوا فِضَّةَ كُل وَاحِد مِنْهُمْ إِلى عِدْلِهِ، وَأَنْ يُعْطُوهُمْ زَادا للطَّرِيق. فَفَعَلوا ذلكَ. ٢٦فَحَمَّلوا حَمِيرَهُمُ القَمْحَ وَانْطَلَقُوا مِنْ هُنَاكَ. ٢٧وَحِينَ فتحَ أَحَدُهُمْ عِدْلَهُ فِي الخَان ليَعْلفَ حِمَارَهُ، لَمَحَ فِضَّتَهُ لأَنَّهَا كَانَتْ مَوْضُوعَة فِي فَمِ العِدْل. ٢٨فقَال لإِخْوَتِهِ: لقَدْ رُدَّتْ إِلَيَّ فِضَّتِي، انْظُرُوا هَا هِيَ فِي عِدْلي. فَغَاصَتْ قُلوبُهُمْ، وَتَطَلعَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْض مُرْتَعِدِينَ وَقَالوا: مَا هَذا الذي فَعَلهُ اللهُ بِنَا؟) تكوين ٤٢:٢٥/٢٨.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ يوسف:٥٩/٦٢.

- **يعقوب عليه السلام يجد ريح يوسف وينتقل مع بني إسرائيل إلى مصر.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٢٩وَعِنْدَمَا قَدِمُوا عَلى أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ قَصُّوا عَليْهِ مَا حَل بِهِمْ، وَقَالوا: ٣٠الرَّجُل المُتَسَلطُ عَلى مِصْرَ خَاطَبَنَا بِجَفَاء، وَظَنَّ أَنَّنَا جَوَاسِيسُ عَلى الأَرْض، ٣١فَقُلنَا لهُ: نَحْنُ أُمَنَاءُ وَلسْنَا جَوَاسِيسَ. ٣٢نَحْنُ اثنَا عَشَرَ أَخا أَبْنَاءُ أَبِينَا. أَحَدُنَا مَفْقُودٌ، وَالأَصْغَرُ بَقِيَ اليَوْمَ مَعَ أَبِينا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. ٣٣فقَال لنَا الرَّجُل سَيِّدُ

البِلاَدِ: لكَيْ أَتَحقَّقَ أَنَّكُمْ أُمَنَاءُ. دَعُوا أَخا وَاحِدا مِنْكُمْ عِنْدِي رَهِينَة وَخُذوا طَعَاما لبُيُوتِكُمُ الجَائِعَةِ وَامْضُوا، ٣٤ثمَّ أَحْضِرُوا لي أَخَاكُمُ الأَصْغَرَ، وَبَذلك أَعْرِفُ أَنَّكُمْ لسْتُمْ جَوَاسِيسَ بَل قَوْما أُمَنَاءَ، فَأُطْلقَ لكُمْ أَخَاكُمْ وَتَتَّجِرُونَ فِي الأَرْضِ. ٣٥وَإذ شَرَعُوا فِي تَفْرِيغِ عِدَالِهِمْ وَجَدَ كُل وَاحِد مِنْهُمْ فِضَّتَهُ فِي عِدْلِهِ، وَمَا إنْ رَأَوْا هُمْ وَأَبُوهُمْ ذلكَ حَتَّى اسْتَبَدَّ بِهِم الخَوْفُ. ٣٦فَقَال لَهُمْ أَبُوهُمْ: لقَدْ أَثْكَلتُمُونِي أَوْلاَدِي. يُوسُفُ مَفْقُودٌ، وَشِمْعُونُ مَفْقُودٌ، وَهَا أَنْتُمْ تَأْخُذونَ بَنْيَامِينَ بَعِيدا! كُل هَذِهِ الدَّوَاهِي حَلتْ بِي! ٣٧فَقَال لهُ رَأُوبَيْنُ: اقْتُل ابْنَيَّ إنْ لمْ أَرْجِعْ بِهِ إليْكَ. اعْهَدْ بِهِ إليَّ وَأَنَا أَرُدُّهُ إليْكَ. ٣٨فَقَال: لنْ يَذهَبَ ابْنِي مَعَكُمْ، فَقَدْ مَاتَ أَخُوهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ بَاق. فَإِنْ نَالهُ مَكْرُوهٌ فِي الطَّرِيقِ التِي تَذهَبُونَ فِيهَا، فَإِنَّكُمْ تُنْزِلونَ شَيْبَتِي بِحُزْنٍ إلى قَبْرِي) تكوين ٤٢:٢٩/٣٨.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (وَتَفَاقَمَتِ المَجَاعَةُ فِي الأَرْضِ. ٢وَلَمَّا اسْتَهْلكُوا القَمْحَ الذي أَحْضَرُوهُ مِنْ مِصْرَ، قَال لَهُمْ أَبُوهُمْ: ارْجِعُوا وَاشْتَرُوا لنَا قَليلا مِنَ الطَّعَامِ. ٣فَقَال يَهُوذا: لقَدْ حَذرَنَا الرَّجُل أَشَدَّ تَحْذير وَقَال: لنْ تَرَوْا وَجْهِي مَا لمْ يَكُنْ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ. ٤فَإِنْ كُنْتَ تُرْسِل أَخَانَا مَعَنَا، نَمْضِي وَنَشْتَرِي لكَ طَعَاما ٥وَإِلاَّ فَلنْ نَذهَبَ لأَنَّ الرَّجُل قَال لنَا: لاَ تَرَوْا وَجْهِي مَا لمْ يَكُنْ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ. ٦فَقَال إِسْرَائِيل: لمَاذا أَسَأْتُمْ إليَّ فَأَخْبَرْتُمُ الرَّجُل أَنَّ لكُمْ أَخا أَيْضا؟ ٧فَأَجَابُوا: إِنَّ الرَّجُل قَدْ دَقَّقَ فِي اسْتِجْوَابِنَا عَنْ أَنْفُسِنَا وَعَنْ عَشِيرَتِنَا سَائِلا: هَل أَبُوكُمْ حَيٌّ بَعْدُ؟ هَل لكُمْ أَخٌ؟ فَأَجَبْنَاهُ حَسَبَ أَسْئِلتِهِ. فَمِنْ أَيْنَ لنَا أَنْ نَعْرِفَ أَنَّهُ سَيَقُول: أَحْضِرُوا أَخَاكُمْ إلى هُنَا؟ ٨وَقَال يَهُوذا لإِسْرَائِيل أَبِيهِ:

أَرْسِلِ الغُلاَمَ مَعِي فَنَقُومَ وَنَذهَبَ فَنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ نَحْنُ وَأَنْتَ وَأَوْلاَدُنَا جَمِيعا. ٩وَأَنَا ضَامِنٌ لهُ. مِنْ يَدِي تَطْلُبُهُ. فَإِنْ لَمْ أَرُدَّهُ إِليْكَ وَأُوقِفْهُ أَمَامَكَ، أَكُنْ مُذنِبا إِليْكَ كُل الأَيَّامِ. ١٠فَلوْ لَمْ نَتَوَانَ فِي السَّفَرِ لكُنَّا قَدْ رَجَعْنَا مَرَّتَيْنِ) تكوين ٤٣: ١/١٠.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يوسف: ٦٣/٦٧.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٢٩وَتَلفَّتَ فَرَأَى أَخَاهُ الشَّقِيقَ بَنْيَامِينَ، فَقَال: أَهَذا أَخُوكُمُ الأَصْغَرُ الذي أَخْبَرْتُمُونِي عَنْهُ؟ ثُمَّ قَال: لِيُنْعِمِ اللهُ عَليْكَ يَاابْنِي. ٣٠وَانْدَفَعَ يُوسُفُ إِلى مُخْدَعِهِ وَبَكَى هُنَاكَ لأَنَّ عَوَاطِفَهُ حَنَّتْ إِلى أَخِيه) تكوين ٢٩:٤٣/٣٠.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ يوسف: ٦٩.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (وَأَمَرَ يُوسُفُ مُدَبِّرَ بَيْتِهِ قَائِلا: امْلأْ

عِدَال الرِّجَال بِالطَّعَامِ بِقَدْرِ وُسْعِهَا، وَرُدَّ فِضَّةَ كُل رَجُل إِلى فَم عِدْله. ٢وضَعْ فِي فَمِ عِدْل الصَّغِير كَأْسِيَ الفِضِّيَّةَ وَثمَنَ قَمْحِهِ. فَنَفَّذ أَمْرَ يُوسُفَ. ٣وَمَا إِنْ أَشْرَقَ الصَّبَاحُ حَتَّى انْطَلَقَ الرِّجَال، هُمْ وَحَمِيرُهُمْ. ٤وَمَا كَادُوا يَبْتَعِدُونَ عَنِ المَدِينَةِ قَليلا حَتَّى قَال يُوسُفُ لِمُدَبِّرِ بَيْتِهِ: اسْعَ خَلفَ الرِّجَال، وَمَا إِنْ تُدْرِكُهُمْ حَتَّى تَقُول لهُمْ: لِمَاذا تُكَافِئُونَ الخَيْرَ بِالشَّرِّ؟ ٥أَليْسَتْ هَذهِ هِيَ الكَأْسُ التِي يَشْرَبُ فِيهَا سَيِّدِي وَيَتَفَاءَل بِالغَيْبِ؟ لشَدَّ مَا أَسَأْتُمْ فِي مَا صَنَعْتُمْ.٦فَلمَّا أَدْرَكَهُمْ خَاطَبَهُمْ بِهَذا القَوْل، فَأَجَابُوهُ: ٧لِمَاذا يَتَكَلمُ سَيِّدِي بِمِثْل هَذا الكَلامِ؟ حَاشَا لعَبِيدِكَ أَنْ يَرْتَكِبُوا هَذا الأَمْرَ. ٨هُوَذَا الفِضَّةُ التِي عَثرْنَا عَليْهَا فِي أَفْوَاهِ عِدَالنَا رَدَدْنَاهَا لكَ مَعَنَا مِنْ أَرْض كَنْعَانَ، فَكَيْفَ نَسْرِقُ فِضَّة أَوْ ذهَبا مِنْ بَيْتِ سَيِّدِكَ؟ ٩مَنْ تَجِدْ مَعَهُ الكَأْسَ مِنْ عَبِيدِكَ يَمُتْ، وَنَكُنْ نَحْنُ أَيْضا عَبِيدا لسَيِّدِي. ١٠فقَال: فَليَكُنْ كَمَا تَقُولونَ. فَالذي أَجِدُهَا مَعَهُ يُصْبِحُ عَبْدا لِي، وَالبَاقُونَ يَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ. ١١فَبَادَرَ كُل مِنْهُمْ إِلى عِدْلهِ وَحَطَّهُ عَلى الأَرْضِ وَفَتَحَهُ، ١٢فَفَتَّشَ مُبْتَدِئا مِنْ عِدْل الكَبِيرِ حَتَّى انْتَهَى إِلى عِدْل الصَّغِيرِ، فَعَثرَ عَلى الكَأْسِ فِي عِدْل بَنْيَامِينَ. ١٣فَمَزَّقُوا ثِيَابَهُمْ وَحَمَل كُل مِنْهُمْ عِدْلهُ عَلى حِمَارِهِ وَرَجَعُوا إِلى المَدِينَة) تكوين ١:٤٤/١٣.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى

ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ يوسف: ٧٠/٧٦.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١٤وَدَخَل يَهُوذا وَإخْوَتُهُ إلى بَيْتِ يُوسُفَ إذ كَانَ مَا بَرِحَ هُنَاك، فَارْتَموا أَمَامَهُ إلى الأَرْضِ. ١٥فقَال لهُمْ يُوسُفُ: أَيُّ جِنَايَة اقْتَرَفْتُمْ؟ أَمَا عَلمتُمْ أَنَّ رَجُلا مِثلي يَسْتَخْدِمُ كَأْسَهُ فِي مَعْرِفَةِ الغَيْبِ؟ ١٦فقَال يَهُوذا: مَاذا نَقُول لسَيِّدِي، وَبِمَاذا نُخَاطِبُهُ، وَكَيْفَ نُبْرِيءُ أَنْفُسَنَا؟ إنَّ الله قدْ فَضَحَ إثْمَ عَبِيدِكَ. فَنَحْنُ وَمَنْ عُثِرَ مَعَهُ عَلى الكَأْسِ عَبِيدٌ لسَيِّدِي. ١٧فقَال: حَاشَا لي أَنْ أَفْعَل هَذا؛ إنَّمَا الرَّجُل الذي عُثِرَ مَعَهُ عَلى الكَأْسِ هُوَ يَكُونُ لي عَبْدا، أَمَّا أَنْتُم فَامْضُوا إلى أَبِيكُمْ بِأَمَان. ١٨فَتَقَدَّمَ مِنْهُ يَهُوذا وقَال.. ٢٠ لنَا أَبٌ شَيْخٌ، وَابْنُ شَيْخُوخَة صَغِيرٌ مَاتَ أَخُوهُ الشَّقِيقُ وبَقِيَ هُوَ وَحْدَهُ مِنْ أُمِّهِ، وَأَبُوهُ يُحِبُّهُ...٣٣فَأَرْجُو مِنْ سَيِّدِي أَنْ يَتَّخِذني عَبْدا لهُ بَدَلا مِنْ الغُلامِ، وَدَعِ الغُلاَمَ يَمْضِي مَعَ بَقِيَّةِ إخْوَتِهِ، ٣٤إذ كَيْفَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَرْجِعَ إلى أَبِي وَالغُلاَمُ ليْسَ مَعِي وَأَشْهَدَ مَا يَحِل بِهِ مِنَ الشَّرِّ؟) تكوين ٤٤: ١٤/٣٤ .

وقال تعالى: ﴿ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ

ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرٗاۖ فَصَبْرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ يوسف: ٨٦/٧٧.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١فَلَمْ يَسْتَطِعْ يُوسُفُ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ لدَى جَمِيعِ الوَاقِفِينَ عِنْدَهُ فَصَرَخَ: أَخْرِجُوا كُل إِنْسَان عَنِّي. فَلَمْ يَقِفْ أَحَدٌ عِنْدَهُ حِينَ عَرَّفَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ بِنَفْسِهِ. ٢فَأَطْلقَ صَوْتَهُ بِالبُكَاءِ، فَسَمِعَ المِصْرِيُّونَ وَسَمِعَ بَيْتُ فِرْعَوْنَ. ٣وَقَال يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: أَنَا يُوسُفُ. أَحَيٌّ أَبِي بَعْدُ؟ فَلمْ يَسْتَطِعْ إِخْوَتُهُ أَنْ يُجِيبُوهُ، لأَنَّهُمُ ارْتَاعُوا مِنْهُ. ٤فَقَال يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: تَقَدَّمُوا إِليَّ. فَتَقَدَّمُوا. فَقَال: أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمُ الذِي بِعْتُمُوهُ إِلى مِصْرَ. ٥وَالآنَ لاَ تَتَأَسَّفُوا وَلاَ تَغْتَاظُوا لأَنَّكُمْ بِعْتُمُونِي إِلى هُنَا، لأَنَّهُ لاسْتِبْقَاءِ حَيَاة أَرْسَلنِيَ اللهُ قُدَّامَكُمْ. ٦لأَنَّ للجُوعِ فِي الأَرْضِ الآنَ سَنَتَيْنِ. وَخَمْسُ سِنِينَ أَيْضا لاَ تَكُونُ فِيهَا فَلاَحَةٌ وَلاَ حَصَادٌ. ٧فَقَدْ أَرْسَلنِي اللهُ قُدَّامَكُمْ ليَجْعَل لكُمْ بَقِيَّة فِي الأَرْضِ وَليَسْتَبْقِيَ لكُمْ نَجَاة عَظِيمَة. ٨فَالآنَ ليْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلتُمُونِي إِلى هُنَا بَل اللهُ. وَهُوَ قَدْ جَعَلنِي أَبا لفِرْعَوْنَ وَسَيِّدا لكُل بَيْتِهِ وَمُتَسَلطا عَلى كُل أَرْضِ مِصْرَ) تكوين ١:٤٥/٨.

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ يوسف: ٨٧/٩٢.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٩أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إلى أَبِي وَقُولوا لهُ: هكَذا يَقُول ابْنُك يُوسُفُ: قَدْ جَعَلنِيَ اللهُ سَيِّدا لكُل مِصْرَ. اِنْزِل إِليَّ. لاَ تَقِفْ. ١٠فَتَسْكُنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَكُونَ قَرِيبا مِنِّي، أَنْتَ وَبَنُوك وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُل مَا لكَ. ١١وَأَعُولكَ هُنَاك، لأَنَّهُ يَكُونُ أَيْضا خَمْسُ سِنِينَ جُوعا. لئَلاَّ تَفْتَقِرَ أَنْتَ وَبَيْتُك وَكُل مَا لكَ. ١٢وَهُوَذا عُيُونُكُمْ تَرَى، وَعَيْنَا أَخِي بَنْيَامِينَ، أَنَّ فَمِي هُوَ الذي يُكَلمُكُمْ. ١٣وَتُخْبِرُونَ أَبِي بِكُل مَجْدِي فِي مِصْرَ وَبِكُل مَا رَأَيْتُمْ، وَتَسْتَعْجِلونَ وَتَنْزِلونَ بِأَبِي إلى هُنَا. ١٤ثُمَّ وَقَعَ عَلى عُنُقِ بَنْيَامِينَ أَخِيهِ وَبَكَى، وَبَكَى بَنْيَامِينُ عَلى عُنُقِهِ. ١٥وَقَبَّل جَمِيعَ إِخْوَتِهِ وَبَكَى عَليْهِمْ. وَبَعْدَ ذلكَ تَكَلمَ إِخْوَتُهُ مَعَهُ. ١٦وَسُمِعَ الخَبَرُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ، وَقِيل: جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ. فَحَسُنَ فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَفِي عُيُون عَبِيدِهِ. ١٧فَقَال فِرْعَوْنُ ليُوسُفَ: قُل لإِخْوَتِكَ: افْعَلوا هذا: حَمِّلوا دَوَابَّكُمْ وَانْطَلقُوا، اذهَبُوا إِلى أَرْضِ كَنْعَانَ. ١٨وَخُذوا أَبَاكُمْ وَبُيُوتَكُمْ وَتَعَالوْا إِليَّ،

فَأُعْطِيَكُمْ خَيْرَاتِ أَرْضِ مِصْرَ وَتَأْكُلوا دَسَمَ الأَرْضِ. [١٩]فَأَنْتَ قَدْ أُمِرْتَ، افْعَلوا هذا: خُذوا لكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ عَجَلاَت لأَوْلاَدِكُمْ وَنِسَائِكُمْ، وَاحْمِلوا أَبَاكُمْ وتَعَالوْا. [٢٠]وَلاَ تَحْزَنْ عُيُونُكُمْ على أَثَاثكُمْ، لأَنَّ خَيْرَاتِ جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ لكُمْ) تكوين ٩:٤٥/٢٠.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: ([٢٥]فَصَعِدُوا مِنْ مِصْرَ وَجَاءُوا إلى أَرْضِ كَنْعَانَ، إلى يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. [٢٦]وَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدُ، وَهُوَ مُتَسَلطٌ عَلَى كُل أَرْضِ مِصْرَ. فَجَمَدَ قَلْبُهُ لأَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ. [٢٧]ثمَّ كَلمُوهُ بِكُل كَلاَمِ يُوسُفَ الذي كَلمَهُمْ بِهِ، وَأَبْصَرَ العَجَلاَتِ التِي أَرْسَلهَا يُوسُفُ لتَحْمِلهُ. فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. [٢٨]فَقَال إِسْرَائِيل: كَفَى! يُوسُفُ ابْنِي حَيٌّ بَعْدُ. أَذهَبُ وَأَرَاهُ قَبْل أَنْ أَمُوتَ) تكوين ٢٥:٤٥/٢٨.

وورد في الكتاب المقدس قوله: ([١]فَارْتَحَل إِسْرَائِيل وَكُل مَا كَانَ لهُ وَأَتَى إِلى بِئْرِ سَبْعٍ، وَذَبَحَ ذَبَائِحَ لإِلهِ أَبِيهِ إِسْحَاقَ. [٢]فَكَلمَ اللهُ إِسْرَائِيل فِي رُؤَى الليْل وَقَال: يَعْقُوبُ، يَعْقُوبُ!. فَقَال: هأَنَذا. [٣]فَقَال: أَنَا اللهُ، إِلهُ أَبِيك. لاَ تَخَفْ مِنَ النُّزُول إِلى مِصْرَ، لأَنِّي أَجْعَلك أُمَّة عَظِيمَة هُنَاكَ. [٤]أَنَا أَنْزِل مَعَكَ إِلى مِصْرَ، وَأَنَا أُصْعِدُكَ أَيْضا. وَيَضَعُ يُوسُفُ يَدَهُ عَلى عَيْنَيْك) تكوين ١:٤٦/٤.

وقال تعالى: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ يوسف: ٩٣/١٠٣.

- **قصة مولد موسى عليه السلام ووضعه في البحر وتحريم المراضع.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (وتَزَوَّجَ رَجُل مِنْ بَيْتِ لاَوِي فَتَاة ابْنَةَ لاَوِي. ٢فَحَمَلَتِ المَرْأَةُ وَأَنْجَبَتِ ابْنا، وإذ رَاقَهَا جَمَالهُ خَبَّأَتْهُ ثلاثَة أَشْهُر. ٣وَلَمَّا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُخْفِيَهُ بَعْدُ، أَتَتْ بِسَفَط مِنَ البَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالحُمَر والزِّفْتِ وأَضْجَعَتِ الطِّفْل ووَضَعَتْهُ بَيْنَ الحَلفَاءِ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ. ٤وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيد لتَرَى مَا يَحْدُثُ لهُ) خروج ١:٢/٤.

قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ القصص:٧.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ طه: ٣٧/٣٩.

وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ القصص: ١٠/١١.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٥وَأَقْبَلتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ لتَسْتَحِمَّ فِي النَّهْرِ، بَيْنَمَا رَاحَتْ وَصِيفَاتُهَا تَتَمَشَّيْنَ عَلى ضَفَّةِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الحَلفَاءِ فَأَرْسَلتْ وَصِيفَتَهَا لتَأْتِيَ بِهِ. ٦ففَتَحَتْهُ وَرَأَتِ الطِّفْلَ وَإِذا هُوَ يَبْكِي، فَرَقَّتْ لهُ وَقَالتْ: هَذا مِنْ أَوْلادِ العِبْرَانِيِّينَ ٧فقَالتْ أُخْتُهُ لابْنَةِ فِرْعَوْنَ: هَل أَذهَبُ وَأَدْعُو لك مُرْضِعَة مِنَ العِبْرَانِيَّاتِ لتُرْضِعَ لكِ الوَلدَ؟ ٨فأَجَابَتْهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: اذهَبِي؛ فَمَضَتِ الفَتَاةُ وَدَعَتْ أَمَّ الصَّبِيِّ. ٩فقَالتْ لهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: خُذي هَذا الصَّبِيَّ وَأَرْضِعِيهِ لي، وَأَنَا أُعْطِيكِ أُجْرَتَكِ. فَأَخَذتِ المَرْأَةُ الصَّبِيَّ وَأَرْضَعَتْهُ. ١٠ولَمَّا كَبُرَ الوَلدُ، رَدَّتْهُ إِلى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَتَبَنَّتْهُ وَدَعَتْهُ مُوسَى وَمَعْنَاهُ مُنْتَشَل قَائِلة: إِنِّي انْتَشَلتُهُ مِنَ المَاءِ) خروج ٢: ٥/١٠.

وقال تعالى: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ القصص: ٨/٩.

وقال تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ القصص: ١٢/١٣.

وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ

أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ طه: ٤٠.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١١وحَدَث بَعْدَ أَنْ كَبُرَ مُوسَى أَنَّهُ ذهَبَ لِيَفْتَقِدَ إِخْوَتَهُ العِبْرَانِيِّينَ ويَشْهَدَ مَشَقَّتَهُمْ، فَلمحَ رَجُلا مِصْرِيّا يَضْرِبُ رَجُلا عِبْرَانِيّا، ١٢فَتَلفَّتَ حَوْلَهُ، وإِذ لَمْ يَجِدْ أَحدا هُنَاكَ قَتَلَ المِصْرِيَّ وطَمَرَهُ فِي الرَّمْل. ١٣ثمَّ خرَجَ فِي اليَوْمِ الثاني وإذا رَجُلاَن عِبْرَانِيَّان يَتَضَارَبَان، فقَال للمُسِيءِ: لماذا تَضْرِبُ صاحِبَك؟ ١٤فأَجابَهُ: مَنْ أَقَامَكَ رئِيسا وقَاضِيا علَيْنَا؟ أَعازِمٌ أَنْتَ على قَتْلي كَمَا قَتَلتَ المِصْرِيَّ؟فَخَافَ مُوسَى وقَال: حقّا إِنَّ الخَبَرَ قَدْ ذاع) خروج٢: ١١/١٤.

وقال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ القصص: ١٥/٢٠.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١٥وبَلَغَ الخَبَرُ مَسْمَعَ فِرْعَوْنَ، فَسَعَى إلى قَتْل مُوسَى، إلاَّ أَنَّ مُوسَى هَرَبَ مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ، ومَضَى لِيُقِيمَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، فَبلَغَهَا وجَلس عِنْدَ البِئْر ١٦وكَانَ لكَاهِنِ مِدْيَانَ سَبْعُ

فَتَيَات فَأَقْبَلْنَ واسْتَقَيْنَ مَاء ومَلأْنَ الأَجْرَانَ لِيَسْقِينَ غَنَمَ أَبِيهنَّ. ١٧فأَتَى الرُّعَاةُ وطَرَدُوهُنَّ. غيْرَ أَنَّ مُوسَى هَبَّ لنَجْدَتِهنَّ وسَقَى غَنَمَهُنَّ. ١٨وَعِنْدَمَا رَجَعَتِ الفَتَيَاتُ إلى رَعُوئِيل أَبِيهنَّ سَأَلَهُنَّ: مَا بَالكُنَّ بَكَّرْتُنَّ بِالرُّجُوعِ اليَوْمَ؟ ١٩فَأَجَبْنَهُ: رَجُل مِصْرِيٌّ أَنْقَذنَا مِنْ أَيْدِي الرُّعَاةِ، فَاسْتَقَى لنَا ولَغَنَمِنَا أَيْضا. ٢٠فَسَأَلَهُنَّ: وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذا تَرَكْتُنَّ الرَّجُل؟ ادْعُونَهُ ليَأْكُل طَعَاما. ٢١وقَبِل مُوسَى أَنْ يُقِيمَ مَعَ الرَّجُل الذي زَوَّجَهُ مِن ابْنَتِهِ صَفُّورَةَ. ٢٢فَأَنْجَبَتْ لهُ ابْنا دَعَاهُ جِرْشُومَ وَمَعْنَاهُ غَرِيبٌ إِذ قَال: كُنْتُ نَزِيلا فِي أَرْض غَرِيبَة) خروج٢: ١٥/٢٢.

وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ القصص: ٢١/٢٨.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (وأَمَّا مُوسَى فكَانَ يَرْعَى غَنَمَ حَمِيهِ يَثْرُونَ كَاهِنِ مِدْيَانَ، فقَادَ الغَنَمَ إلى مَا وَرَاءِ الطَّرَفِ الأَقْصَى مِنَ

الصَّحْرَاءِ حَتَّى جَاءَ إلى حُوريبَ جَبَلِ اللهِ. ٢وَهُنَاكَ تَجَلى لهُ مَلاَكُ الرَّب بِلهِيبِ نَار وَسَطَ عُلَيْقة. فَنَظَرَ مُوسَى وَإذا بِالعُلَيْقَةِ تَتَّقِدُ دُونَ أَنْ تَحْتَرِقَ. ٣فقَال مُوسَى: أَمِيل الآنَ لأَسْتَطْلعَ هَذا الأَمْرَ العَظِيمَ. لِمَاذا لاَ تَحْتَرِقُ العُلَيْقَةُ؟ ٤وَعِنْدَمَا رأَى الرَّب أَنَّ مُوسَى قَدْ دَنَا لِيَسْتَطْلعَ الأَمْرَ، نَادَاهُ مِنْ وَسَطِ العُلَيْقةِ قَائِلا: مُوسَى. فقَال: هَا أَنَا. ٥فقَال: لاَ تَقْتَرِبْ إلى هُنَا: اخْلعْ حِذاءَكَ مِنْ رِجْليْك، لأَنَّ المَكَانَ الذي أَنْتَ وَاقِفٌ عَليْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ) خروج٣: ١/٥.

وقال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾ طه: ٩/١٢. وقال تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ القصص: ٢٩/٣٠.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (٦ثمَّ قَال: أَنَا هُوَ إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلهُ إِسْحقَ، وَإِلهُ يَعْقُوبَ. عِنْدَئِذ غَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ خَوْفا مِنْ أَنْ يَرَى اللهَ فَيَمُوتَ. ٧فقَال الرَّب: قَدْ شَهِدْتُ مَذلة شَعْبِي الذي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ جَرَّاءِ عُتُوِّ مُسَخِّرِيهِمْ وَأَدْرَكْتُ مُعَانَاتَهُمْ، ٨فنَزَلتُ لأُنْقِذهُمْ مِنْ يَدِ المِصْرِيِّينَ وَأُخْرِجَهُمْ مِنْ تِلكَ الأَرْضِ إِلى أَرْض طَيِّبَة رَحِيبَة تَفِيضُ لبَنا وَعَسَلا، أَرْضِ الكَنْعَانِيِّينَ وَالحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالفَرِزِّيِّينَ وَالحِوِّيِّينَ وَاليَبُوسِيِّينَ. ٩وَهَا هُوَ الآنَ قَدْ وَصَل إِليَّ صُرَاخُ بَنِي

إِسْرَائِيل، وَرَأَيْتُ كَيْفَ يُضَايِقُهُمُ المِصْرِيُّونَ. ١٠فَهَلُمَّ الآنَ لأُرْسِلكَ إِلى فِرْعَوْنَ، فَتُخْرِجَ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيل مِنْ مِصْرَ.فَقَال مُوسَى للهِ: مَنْ أَنَا حَتَّى أَمْضِيَ إِلى فِرْعَوْنَ وَأُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيل مِنْ مِصْرَ؟ ١٢فَأَجَابَ: أَنَا أَكُونُ مَعْكَ. وَمَتَى أَخْرَجْتَ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ تَعْبُدُونَ اللهَ عَلى هَذا الجَبَل، فَتَكُونُ هَذِهِ لكَ العَلامَةَ أَنَّنِي أَنَا أَرْسَلتُكَ. ١٣فَقَال مُوسَى للهِ: حِينَمَا أُقْبِل عَلى بَنِي إِسْرَائِيل وَأَقُول لهُمْ: إِنَّ إِلهَ آبَائِكُمْ قَدْ بَعَثنِي إِليْكُمْ وَسَأَلونِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذا أَقُول لهُمْ؟ ١٤فَأَجَابَهُ اللهُ: أَهْيَهِ الذي أَهْيَهْ (وَمَعْنَاهُ أَنَا الكَائِنُ الدَّائِمُ). وَأَضَافَ: هَكَذا تَقُول لبَنِي إِسْرَائِيل: أَهْيَهْ (أَنَا الكَائِنُ)، هُوَ الذي أَرْسَلنِي إِليْكُمْ. ١٥وَقَال أَيْضا لمُوسَى: هَكَذا تَقُول لشَعْبِ إِسْرَائِيل: إِنَّ الرَّب الكَائِنَ إِلهَ آبَائِكُمْ، إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحق وَيَعْقُوبَ قَدْ أَرْسَلنِي إِليْكُمْ. هَذا هُوَ اسْمِي إِلى الأَبَدِ، وَهُوَ الاسْمُ الذي أُدْعَى بِهِ مِنْ جِيل إِلى جِيل) خروج٦:٣/١٥.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ طه:١٣/١٦.

وقال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ طه: ٤٧/٤٨

ورد في الكتاب المقدس قوله: (فَقَال مُوسَى: مَاذا إِذا لمْ يُصَدِّقُونِي وَلمْ يَصْغُوا إِليَّ وَقَالوا: إِنَّ الرَّب لمْ يَظْهَرْ لكَ؟ ٢فَسَأَلهُ الرَّب: مَا تِلكَ التِي بِيَدِكَ؟ فَأَجَابَ: عَصا. ٣فَقَال: أَلقِهَا عَلى الأَرْضِ. فَأَلقَاهَا فَإِذا هِيَ

حَيَّةٌ، فَهَرَبَ مِنْهَا مُوسَى. ٤فقَال الرَّب لمُوسَى: مُدَّ يَدَكَ واقْبِضْ عَلَيْهَا مِنْ ذيْلهَا. فَمدَّ مُوسَى يَدَهُ وقَبَضَ عَليْهَا، فَارْتَدَّتْ عَصا فِي يَدِهِ. ٥وقَال الرَّب: هَذا لكَي يُؤْمِنُوا أَنَّ الرَّب إِلهَ آبَائِكُمْ، إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهَ إِسْحقَ وَإِلهَ يَعْقُوبَ قَدْ ظَهَرَ لكَ) خروج٤: ١/٥.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ طه:١٧/٢١. وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ القصص: ٣٠/٣١.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٦ثمَّ قَال الرَّب أَيْضا: أَدْخِل يَدَكَ فِي عُبِّكَ. فَأَدْخَل يَدَهُ فِي عُبِّهِ. وَعِنْدَمَا أَخْرَجَهَا إذا بِهَا بَرْصاءُ كَالثلج. ٧وأَمَرَهُ الرَّب: رُدَّ يَدَكَ إلى عُبِّكَ ثانِيَة. فَرَدَّ يَدَهُ إلى عُبِّهِ ثانِيَة ثمَّ أَخْرَجَهَا مِنْ عُبِّهِ، وَإذا بِهَا قَدْ عَادَتْ مِثل بَاقِي جَسَدِهِ. ٨وقَال الرَّب: إذا لمْ يُصَدِّقُوك، أَوْ يُعِيرُوا المُعْجِزَةَ الأُولى انْتِبَاهَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ الثانِيَةَ) خروج٤: ٦/٨. وقال تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ طه: ٢٢/٢٤.



المطلب الحادي والعشرون

شهادة الكتاب المقدس بصدق الوحي الذي نزل على محمد وطمس القساوسة لها عن العامة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن مقارنات واقعية فعلية بين النصوص القرآنية والنبوية والنصوص المعاصرة لأهل الكتاب، وتحدثنا عن القرآن وموقف النصارى المنصفين عند سماعهم له وشهادتهم بالإسلام، وقصة إبراهيم ولوط عليهما السلام بين نصوص النصرانية والإسلام، ومقارنة النصوص في توجه للملائكة إلى لوط واجتماع قومه عليهم، وتحدثنا عن حفظ سارة من محاولة اعتداء الفرعون وقصة هاجر وإسماعيل.

وبينا وجه المقارنة في قصة اختتان إبراهيم بالقدوم وميراث الإمامة لذريته، وقصة الذبيح وهل هو إسماعيل أم إسحاق؟ وما حدث فيها من تحريف، وبينا ما كان من يوسف ﷺ ومحبة والده ورؤياه ومحاولة قتله وبيعه لعزيز مصر، ومراودة امرأة العزيز ليوسف وسجنه وتأويله لرؤيا صاحبيه والملك، والتمكين ليوسف ﷺ، ومجيء إخوته من أرض فلسطين إلى مصر، وما وجده يعقوب ﷺ من ريح يوسف وانتقاله مع بني إسرائيل إلى مصر، وقصة مولد موسى ﷺ ووضعه في البحر وتحريم المراضع.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن شهادة الكتاب المقدس بصدق الوحي الذي نزل على محمد ﷺ وطمس القساوسة لها عن العامة.

• موسى وإرسال أخيه هارون ومناظرة فرعون وانقلاب العصا حية.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٠فَقَال مُوسَى للرَّب: استَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لسْتُ أَنا صَاحِب كلاَم مُنذ أَمْسِ وَلاَ أَوَّل مِن أَمْسِ، وَلاَ مِن حِين كلمْتَ عَبدَك، بل أَنا ثقِيل الفَمِ وَاللسَان. ١١فقَال لهُ الرَّب: مَن صَنعَ للإِنسَان فَما؟ أَوْ مَن يَصنْعُ أَخرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بصِيرا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنا الرَّب؟ ١٢فالآن اذهَب وَأَنا أَكون مَعَ فَمِك وَأُعَلمُك مَا تَتَكلمُ بهِ. ١٣فقَال: استَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِل بيَدِ مَن تُرْسِل. ١٤فحَمِيَ غَضَب الرَّب عَلى مُوسَى وَقَال: أَليْسَ هَارُون اللاَّوِيُّ أَخَاك؟ أَنا أَعْلمُ أَنهُ هُوَ يَتَكلمُ، وَأَيْضا هَا هُوَ خَارِجٌ لاستِقْبالك. فَحِينمَا يَرَاك يَفْرَحُ بقَلبهِ، ١٥فتُكلمُهُ وَتَضَعُ الكلمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنا أَكون مَعَ فَمِك وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعَلمُكمَا مَاذا تَصنْعَان. ١٦وَهُوَ يُكلمُ الشَّعْب عَنك. وَهُوَ يَكون لك فَما، وَأَنتَ تَكون لهُ إِلها. ١٧وَتَأْخُذ فِي يَدِك هذهِ العَصَا التِي تَصنْعُ بهَا الآيَاتِ) خروج ٤: ١٠/١٧.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ طه: ٢٥/٣٦.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ

اتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ القصص: ٣٥/٢٥.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (وَبعْدَ ذلك ذهَب مُوسَى وَهرُون وقَالاَ لفِرْعَوْن: هَذا مَا يُعْلنهُ الرَّب إلهُ إسْرائِيل: أَطْلقْ شَعْبي ليَحْتَفِل لي فِي البرِّيَّةِ. ٢فقَال فِرْعَوْن: مَن هُوَ الرَّب حَتَّى أُطِيعَ أَمْرَهُ وأُطْلقَ إسْرائِيل؟ أَنا لاَ أَعْرِفُ الرَّب ولَن أُطْلقَ بني إسْرائِيل. ٣ثمَّ قَالاَ: إن إلهَ العِبرانيِّين قَدِ التقَانا، فَدَعْنا نذهَب مَسِيرَةَ ثَلاَثةِ أَيَّام فِي الصَّحْرَاءِ لنقَدِّمَ ذبائِحَ للرَّب إلهِنا لئَلاَّ يُعَاقِبنا بوَبأء أَوْ سَيْف. ٤فقَال لهُمَا مَلك مِصرَ: يَا مُوسَى وَهرُون، لمَاذا تُعطِّلاَن الشَّعْب عَن أَعْمَالهِ؟ ارْجِعُوا إلى أَعْمَالكمُ الشَّاقَةِ. ٥ثمَّ قَال فِرْعَوْن: هُوَذا شَعْب الأَرْضِ قَدْ كثرَ الآن، وأَنتُمَا تُرِيدَان أَن تُرِيحَاهُمْ مِن الأَعْمَال الشَّاقَةِ) خروج ٥: ١/٥.

وقال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ طه:٤٢/٥٥. وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ

وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الشعراء:٢٣/٢٩.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٨وَقَال الرَّب لمُوسَى وَهَرُون: ٩عِندَمَا يَطْلب فِرْعَوْن منكما قَائِلا: أَريَاني عَجِيبة فَإنك تَقُول لهَرُون: خُذ عَصَاك وأَلقِهَا أَمَامَ فِرْعَوْن فَتَتَحَوَّل إِلَى حَيَّة. ١٠فَمَثل هَرُون وَمُوسَى أَمَامَ فِرْعَوْن وَفَعَلاَ تَمَاما حَسَب أَمْر الرَّب، فَأَلقَى هَرُون عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْن وَأَمَامَ حَاشِيَتِهِ فَتَحَوَّلتْ إِلى حَيَّة. ١١فَاسْتَدْعَى فِرْعَوْن حُكمَاءَهُ وَسَحَرَتَهُ فَصَنَعَ سَحَرَةُ مِصْرَ عَلى غِرَار ذلك بسِحْرِهِمْ. ١٢فَطَرَحَ كل وَاحِد عَصَاهُ فَتَحَوَّلَتْ إِلى حَيَّة. غَيْرَ أَن عَصَا هَرُون ابتَلعَتْ عِصِيَّهُمْ. ١٣لكن قَلب فِرْعَوْن ازْدَادَ تَصَلبا فَلمْ يَسْتَمِعْ لهُمَا، تَمَاما كمَا قَال الرَّب) خروج ٧: ٨/١٣.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ

أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ طه: ٧٦/٥٧.

- **الآيات التي أيد الله بها موسى وخروجهم من مصر إلى أرض سيناء.**

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٤ثمَّ قَال الرَّب لُموسَى: إن قَلب فِرْعَوْن قَدْ تَصلب، وَهُوَ يَرْفُضُ أَن يُطْلق سَرَاحَ الشَّعْب. ١٥فَامْثل أَمَامَ فِرْعَوْن فِي الغَدِ عِندَمَا يَخْرُجُ إلى المَاءِ، وَقِفْ للقَائهِ عِندَ ضَفَّةِ النهْر، وَخُذ بيَدِك العَصَا التِي تَحوَّلتْ إلى حَيَّة، ١٦وَقُل لهُ: إن الرَّب إلهَ العِبرَانيِّين قَدْ أَرْسَلني إليْك قَائلا: أَطْلقْ سَرَاحَ شَعْبي ليَعْبدُوني فِي الصَّحْرَاءِ. وَهَا أَنتَ حَتَّى الآن لمْ تَسْتَمِعْ. ١٧لهَذا إليْك مَا يَقُولهُ الرَّب: سَتَعْلمُ بمَا أُجْرِيهِ الآن أَنني أَنا الرَّب. هَا أَنا ضَارِب بهَذهِ العَصَا التِي فِي يَدِي عَلى مَاءِ النهْر فَيَتَحوَّل دَما. ١٨فيَمُوتُ السَّمَك، وَيَنتِن النهْرُ، فَيَعَافُ المِصْريُّون مِن الشُّرْب مِن مَائِهِ. ١٩وَخَاطَب الرَّب مُوسَى: قُل لهَرُون: خُذ عَصَاك وَابسِطْ يَدَك عَلى مِيَاهِ المِصْريِّين وَعَلى أَنهَارِهِمْ وَعَلى جَدَاولهِمْ وَسَوَاقِيهِمْ وَخَزَّانَاتِ المِيَاهِ فَتَتَحوَّل كلهَا إلى دَم، وَيَكون دَمٌ فِي كل أَرْضِ مِصْرَ حَتَّى فِي الأَوَاني الخَشَبيَّةِ وَالحَجَرِيَّةِ. ٢٠وَهَكذا فَعَل مُوسَى وَهَرُون كمَا أَمَرَ الرَّب، فَرَفَعَ هَرُون العَصَا وَضَرَب مَاءَ النهْرِ عَلى مَشْهَد مِن فِرْعَوْن وَحَاشِيَتِهِ فَتَحوَّل كل مَاءِ النهرِ إلى دَم، ٢١وَمَاتَ كل سَمَكهِ وَأَنتَن النهْرُ فَلمْ يَسْتَطِعِ المِصْريُّون الشُّرْب

مِن مَائِهِ. وَكان دَمٌ فِي كل أَرْجَاءِ أَرْضِ مِصْرَ) خروج ١٤:٧/٢١.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (ثمَّ قَال الرَّب لمُوسَى: امْثل أَمَامَ فِرْعَوْن وقُل لهُ: هَذا مَا يُعْلنهُ الرَّب: أَطْلقْ سَرَاحَ شَعْبي ليَعْبدُوني. ٢وإن أَبيْتَ أن تُطْلقَهُمْ فهَا أَنا ضَارب جَميعَ تُخُومك بالضَّفَادِعِ. ٣فَيَفِيضُ النهْرُ بالضَّفَادِعِ التِي تَصْعَدُ وَتَقْتَحِمُ بيْتَك وَمُخْدَعَ فِرَاشِك وَسَرِيرَك وَبيُوتَ حَاشِيَتِك وَشَعْبك وَأَفْرَانك وَمَعَاجِنك. ٤عَليْك وَعَلى شَعْبك وَعَلى سَائِرِ حَاشِيَتِك تَصْعَدُ الضَّفَادِعُ.٥ثمَّ قَال الرَّب لمُوسَى: قُل لهَرُون أَبسِطْ يَدَك بعَصَاك عَلى الأَنهَارِ وَالسَّوَاقِي وَالبرَك وَأَصْعِدِ الضَّفَادِعَ عَلى كل أَرْض مِصرَ. ٦فَبسَطَ هَرُون يَدَهُ عَلى مِيَاهِ مِصرَ فَأَقْبلتِ الضَّفَادِعُ وَغَطَّتْ أَرْضَ مِصْرَ. ٧وَكذلك فَعَل السَّحَرَةُ بسِحْرِهِمْ فَأَصْعَدُوا ضَفَادِعَ عَلى أَرْضِ مِصرْ) خروج ٨: ١/٧.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (٨ثمَّ اسْتَدْعَى فِرْعَوْن مُوسَى وَهَرُون وقَال: تَضرَّعَا إِلى الرَّب ليَرْفَعَ الضَّفَادِعَ عَني وَعَن شَعْبي، فَأُطْلقَ سَرَاحَ الشَّعْب ليُقَدِّمُوا ذبائِحَ لهُ. ٩فأَجَاب مُوسَى فِرْعَوْن: عَيِّن لي مَتَى أُصَلي مِن أَجْلك وَمِن أَجْل عَبيدِك وَشَعْبك، لكيْ تُبادَ الضَّفَادِعُ عَنك وَعَن بيُوتِك، مَا عَدَا تِلك الباقِيَةَ فِي النهْر. ١٠فقَال فِرْعَوْن: غَدا. فَأَجَابهُ مُوسَى: فَليَكن كقَوْلك، لتَعْرِفَ أَنهُ لاَ مَثِيل للرَّب إلهِنا. ١١فإن الضَّفَادِعَ ستَنسَحِب مِن حَوْلك وَمِن بيُوتِك وَمِن حَوْل حَاشِيَتِك وَشَعْبك، وَلاَ تَبقَى إلاَّ فِي النهْر.١٢وَبعْدَ أَن انصرَفَ مُوسَى وَهَرُون مِن لدُن فِرْعَوْن صَلى مُوسَى إِلى الرَّب مِن أَجْل الضَّفَادِعِ التِي أَصْعَدَهَا عَلى فِرْعَوْن، ١٣ففعَل الرَّب حَسَب دُعَاءِ مُوسَى، فَانقَطَعَتِ الضَّفَادِعُ مِن البيُوتِ وَالدُّورِ وَالحُقُول، ١٤فجمَعُوهَا أَكوَاما كثِيرَة حَتَّى أَنتَنتْ مِنهَا

الأَرْضُ. ١٥وَعِندَمَا رَأَى فِرْعَوْن أَن البليَّةَ قَدِ انقَشَعَتْ، أَغْلَظَ قَلبهُ وَلَمْ يَسْتَمِعْ لهُمَا، تَمَاما كمَا قَال الرَّب) خروج ٨: ١٥/٨.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٣فدخل موسى وهرون على فِرعَون وقالا له: يقول لك الرَّب إلهُ العِبرانيِّين إلى متى ترفُضُ أن تخضَعَ لي؟ أطلقْ شعبي ليَعبدوني، ٤وإن رفَضْتَ أن تُطلقَهُم، أجلب الجرادُ غدا على أرضِك. ٥فيُغطِّيَ الجرادُ وجهَ الأرضِ حتى لا يقدِرَ أحدٌ أن يراها، ويأكل البقيَّةَ التي سَلمَت مِن البرَدِ وجميعَ الشَّجرِ النابتِ لكم في البرِّيَّةِ. ٦ويَملأُ الجرادُ بيوتَك وبيوتَ جميعِ رجالك وجميعِ المِصْريِّين. فلا آباؤُك ولا آباءُ آبائِك رَأوا مِثلهُ مُنذ يومَ وُجدوا على الأرضِ إلى هذا اليومِ. وأدارَ موسى ظهرَهُ وخرَج مِن عِندِ فِرعَون. ٧فقال رجال فِرعَون لسيِّدِهِم: إلى متى نقعُ في حبائِلِ هذا الرَّجل؟ أطلقْ هؤلاءِ القومَ مِن مِصْرَ ليعبدوا الرَّب إلهَهُم. أما علمْتَ بعدُ أن مِصْرَ خربت؟٨فأُعيدَ موسى وهرون إلى فِرعَون فقال لهُما: اَذهَبوا اَعبدُوا الرَّب إلهكم. ولكن مَن هُمُ الذين يذهَبون؟ ٩فأجابهُ موسى: نذهَب بشَبابنا وشُيوخنا وبنينا وبناتِنا وغنمِنا وبقَرِنا، لأننا سنعَيِّدُ للرّب. ١٠فقال لهُما: أُقسِمُ بالرَّب لا أُطلقُكم معَ عيالكم. فأنا أرى الشَّرَ على وجوهِكم. ١١لا، فليَذهَب الرِّجال مِنكم وحدَهُم، فيَعبدون الرَّب كما تَطلبون. وطرَدَهُما فِرعَون مِن أمامِهِ. ١٢فقال الرَّب لموسى: مُدَ يَدَك على أرضِ مِصْرَ ليَجيءَ الجرادُ ويصعَدَ عليها ويأكل جميعَ عُشْب الأرضِ وكل ما تركهُ البرَدُ. ١٣فمَدَ موسى عصاهُ على أرضِ مِصْرَ. وسيَّرَ الرَّب ريحا شرقيَّة على الأرضِ طول ذلك النهارِ وطول الليل. وعِندَ الصُّبحِ حملَتِ الرِّيحُ الشرقيَّةُ الجرادَ،

١٤فصعِدَ على جميعِ أرضِ مِصْرَ ونزل فيها بأعداد كثيرة لا مَثِيل لها مِن قَبل ولن يكون لها مَثِيل مِن بعدُ. ١٥فغطَّى كل وجهِ الأرضِ حتى أظلمَتِ الدُّنيا. وأكل الجرادُ جميعَ عُشْبها وكل ما تَرَكهُ البرَدُ مِن ثمرِ الشَّجرِ، فما بقيَ شيءٌ مِن الخضرةِ في الشَّجرِ ولا في عُشْب البرِّيَّةِ في جميعِ أرضِ مِصْرَ) خروج ١٠: ٣/١٥.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ الأعراف:١٣٢/١٣٥. وقال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ الزخرف:٤٦/٤٨. وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ الزخرف:٤٩/٥٠.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (وَقَال الرَّب لُموسَى: ٢قُل لبني إِسْرَائِيل أَن يَرْجِعُوا وَيَتَجَمَّعُوا مُقَابل فَم الحِيرُوث بيْن مَجْدَل وَالبحْرِ أَمَامَ بعْل صَفُون مُباشَرَة تُخَيِّمون عِندَ البحْرِ، ٣فَيَظُن فِرْعَوْن أَنكمْ هَائِمُون فِي الأَرْضِ عَلى غَيْر هُدي، وَقَدِ اسْتَغْلقَتْ عَليْكمُ الصَّحْرَاءُ، ٤فَأُقَسِّي قَلب فِرْعَوْن حَتَّى يَسْعَى وَرَاءَكمْ فَأَتَعَظَّمُ آنئِذ

بالقَضَاءِ عَلى فِرْعَوْن وَعَلى جَيْشِهِ، وَيَعْرِفُ المِصْرِيُّون أني أَنا الرَّب. وَهَكذا فَعَل الإسْرَائيليُّون ٥وَقِيل لَملك مِصْرَ: هُوذا الشَّعْب قَدْ هَرَب. فَتَحوَّل قَلب فِرْعَوْن وَقُلوب حَاشِيَتِهِ ضِدَّهُمْ، وَقَالوا: مَاذا دَهَانا حَتَّى أَطْلَقْنا إسْرَائيل مِن خِدْمَتِنا؟ ٦فَأَعَدَّ مَرْكبتَهُ وَاصْطَحَب جَيْشَهُ مَعَهُ، ٧فَأَعَدَّ سِتَّ مِئَةِ مَرْكبة وَسَائِرَ مَرْكباتِ مِصْرَ، وَحَمَل عَليْهَا قَادَةَ سِلاَحِ المَرْكباتِ. ٨وقَسَّى الرَّب قَلب فِرْعَوْن مَلك مِصْرَ، فَطَارَدَ بني إسْرَائِيل الذين غَادَرُوا مِصْرَ بقُدْرَة ظَاهِرَة. ٩وَسَعَى المِصْرِيُّون وَرَاءَهُمْ بجَميعِ خَيْل فِرْعَوْن وَمَرْكباتِهِ وَفُرْسَانِهِ وَجُيُوشِهِ، فَأَدْرَكوهُمْ وَهُمْ مُتَجَمِّعُون عِندَ البحْرِ بالقُرْب مِن فَمِ الحِيروث مُقَابل بعْل صَفُون. وَلَمَّا اقْتَرَب فِرْعَوْن، نظَرَ بنو إسْرَائِيل، وَإذا بالمِصْرِيِّين يَندَفِعُون نَحْوَهُمْ، فَارْتَعَبوا وَاسْتَغَاثوا بالرَّب، ١١ثمَّ قَالوا لُموسَى: هَل لافْتِقَارِ مِصْرَ للقُبورِ أَخْرَجْتَنا إلى الصَّحْرَاءِ لنمُوتَ فِيهَا؟ مَاذا فَعَلتَ بنا حَتَّى أَخرَجْتَنا مِن مِصْرَ؟ ١٢أَلَمْ نقُل لك فِي مِصْرَ: دَعْنا وَشَأْننا فَنخْدُمَ المِصْرِيِّين، إذ كان خَيْرًا لنا أَن نَخْدُمَ المِصْرِيِّين مِن أَن نمُوتَ فِي الصَّحْرَاءِ. ١٣فَقَال مُوسَى للشَّعْب: لاَ تَخَافُوا. قِفُوا وَانظُرُوا خَلاصَ الرَّب الذي يُجْرِيهِ لكمُ اليَوْمَ، لأَن المِصْرِيِّين الذين رَأَيْتُمُوهُمُ اليَوْمَ، لن تَرَوْهُمْ فِي مَا بعْدُ إلى الأَبدِ. ١٤فَالرَّب يُحَارِب عَنكمْ وَأَنتُمْ تَصْمُتُون) خروج ١:١٤/١٤.

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ الشعراء:٥٢/٦٢.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٥وَقَال الرَّب لُموسَى: مَا بالك تَسْتَغِيث بي؟ قُل لبني إِسْرَائِيل أَن يَرْحلوا. ١٦ارْفَعْ عَصَاك وابسِطْ يَدَك فَوْقَ البحْرِ وَشُقَّهُ، فَيَجْتازَ بنو إِسْرَائيل فِي وَسْطِ البحْرِ عَلى اليَابسةِ. ١٧فهَا أَنا أُغْلظُ قُلوب المِصْرِيِّين فَيسْعَوْن ورَاءَكمْ، فَأَتَعظَّمُ بالقَضَاءِ عَلى فِرْعَوْن وَعَلى مَرْكباتِهِ وَفُرْسَانه، ١٨فيُدْرك المِصْريُّون أَنني أَنا الرَّب، عِندَمَا أَتَعظَّمُ بالقَضَاءِ عَلى فِرْعَوْن وَمَرْكباتِهِ وَفُرْسَانهِ.٢١وَبسَطَ مُوسَى يَدَهُ فَوْقَ البحْرِ، فَأَرْسَل الرَّب طَوَال تِلك اللَّيْلةِ رِيحا شَرْقِيَّة قَوِيَّة رَدَّتِ البحْرَ إلى الوَرَاءِ، وَحوَّلتْهُ إلى يَابسَة. وَهَكذا انشَقَّ البحْرُ، ٢٢فَاجْتازَ الإِسْرَائِيليُّون فِي وَسْطِ البحْرِ عَلى أَرْض يَابسَة، فكان المَاءُ بمَثابةِ سُورَيْن عَن يَمِينهِمْ وَعَن يَسَارِهِمْ. ٢٣وَلحِقَ بهِم المِصْرِيُّون وَدَخلوا وَرَاءَهُمْ إلى وَسْطِ البحْرِ، بجَميع خيْل فِرْعَوْن وَمَرْكباتِهِ وَفُرْسَانهِ. ٢٤وَقبل طُلوعِ الصَّباحِ أَشْرَفَ الرَّب فِي عَمُودِ النارِ وَالسَّحَاب عَلى عَسْكرِ المِصْرِيِّين وَأَرْبكهُمْ. ٢٥فجَعَل عَجَلاَتِ مَرْكباتِهِمْ تَتَخلعُ. فَطفِقوا يَجُرُّونهَا بمَشَقَّة حَتَّى قَال المِصْرِيُّون: لنهْرُب مِن الإِسْرَائيليِّين، لأَن الرَّب يُحَارِب عَنهُمْ ضِدَّنا) خروج ١٤: ١٥/٢٥.

وقال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ الشعراء:٦٠/٦٨. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ طه:٧٧.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٢٦وَقَال الرَّب لُموسَى: ابسِطْ يَدَك فَوْقَ البحْرِ لِيَرْتَدَّ المَاءُ عَلى المِصْرِيِّين مَعَ مَرْكباتِهِمْ

وَفُرْسَانِهِمْ. ٢٧فَبسطَ مُوسَى يَدَهُ فَوْقَ البحْرِ عِندَ انبثاق الصَّباحِ، فَارْتَدَّ البحْرُ إلَى مَوْضِعِهِ عَلى المِصْرِيِّين الهَاربين فِي اتِّجَاهِهِ، فَجَرَفَهُمُ الرَّب نحْوَ وَسْطِ البحْرِ. ٢٨وَارْتَدَّتِ المِيَاهُ وَأَغْرَقَتِ المَرْكباتِ وَالفُرْسَان وَكل جَيْشِ فِرْعَوْن الذي لحِقَ بهِمْ إلى البحْرِ، فَلمْ يَفْلتْ مِنهُمْ ناج وَاحِدٌ. ٢٩أَمَّا بنو إسْرَائِيل فَقَدْ سَارُوا فَوْقَ أَرْض يَابسَة وَسْط مِيَاهِ البحْرِ. وَكانتِ المِيَاهُ كسُورَيْن عَن يَمِينهِمْ وَعَن شِمَالهِم. ٣٠وَهَكذا أَنقذ الرَّب فِي ذلك اليَوْمِ الإسْرَائِيليِّين مِن يَدِ المِصْرِيِّين، وَشَاهَدُوا جُثث المِصْرِيِّين مَطْرُوحَة عَلى شَاطِيءِ البحْرِ. ٣١وَعِندَمَا شَهدَ الإسْرَائِيليُّون القُوَّةَ العَظِيمَةَ التِي عَامَل بهَا الرَّب المِصْرِيِّين، خَافَ الشَّعْب الرَّب وَآمَنوا بهِ وَبمُوسَى عَبدِهِ) خروج ١٤: ٣١/٢٦.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ طه: ٨٢/٧٧. قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ الأعراف:١٣٧/١٣٦.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا

رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾﴾ الإسراء: ١٠١/١٠٣.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ الزخرف: ٥١/٥٦.

- **موسى يستسقي لقومه ويضرب الحجر وينزل عليهم المن والسلوى.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٢٢ثمَّ ارتَحل مُوسَى بإسْرائِيل مِن بَحْرِ سُوفَ وَخرَجُوا إلى بريَّةِ شُور. فَسارُوا ثلاثَةَ أيَّام فِي البرِّيَّةِ ولَمْ يَجِدُوا مَاء. ٢٣فَجاءُوا إلى مَارَّةَ، ولَمْ يقْدِرُوا أن يَشْرَبوا ماء مِن مَارَّةَ لأَنهُ مُرٌّ. لذلك دُعِيَ اسْمُهَا مَارَّةَ. ٢٤فَتذمَّرَ الشَّعْب عَلى مُوسَى قَائِلين: مَاذا نشْرَب؟ ٢٥فصَرَخَ إلى الرَّب. فَأَرَاهُ الرَّب شَجَرَة فطَرَحَهَا فِي المَاءِ فَصَارَ المَاءُ عَذبا. هُناك وَضَعَ لهُ فَرِيضَة وَحُكما، وَهُناك امْتحَنهُ. ٢٦فقَال: إن كنتَ تَسْمَعُ لصَوْتِ الرَّب إلهِك، وتَصْنعُ الحَقَّ فِي عَيْنيْهِ، وتَصْغَى إلى وَصَايَاهُ وتَحْفَظُ جَمِيعَ فَرَائِضِهِ، فَمَرَضا مَا مِمَّا وَضَعْتُهُ عَلى المِصْرِيِّين لاَ أَضَعُ عَليْك. فَإِني أنا الرَّب شَافِيك. ٢٧ثمَّ جَاءُوا إلى إيليمَ وَهُناك اثنتَا عَشْرَةَ عَيْن مَاء وَسَبعُون نخْلة. فنزلوا هُناك عِندَ المَاءِ) خروج ١٥: ٢٢/٢٧.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (وَتَنقَّل بنو إسْرَائِيل عَلى مَرَاحِل، مِن صَحْرَاءِ سِين بمُقْتَضَى أَمْرِ الرَّب إِلى أَن خيَّمُوا فِي رَفِيدِيمَ حَيْث لمْ

يَجِدُوا مَاء للشُّرْب. ٢فتَخَاصَمَ الشَّعْب مَعَ مُوسَى قَائِلين: أَعْطُونا مَاء لنشْرَب. فَأَجَاب مُوسَى: لمَاذا تُخَاصِمُونني؟ ولمَاذا تَجرِّبون الرَّب ؟ ٣ولَكن الشَّعْب كان ظَامِئا إلى المَاءِ، فتَذمَّرُوا على مُوسَى وقَالوا: لمَاذا أَخرَجْتَنا مِن مِصرَ لتُميتَنا وأَوْلادنا ومَوَاشِينا عَطَشا؟ ٤فصَرَخَ مُوسَى إلى الرَّب: مَاذا أَصْنعُ بهَذا الشَّعْب؟ إنهُمْ يَكادُون يَرْجُمُونني ٥فأَجَابهُ الرَّب: تَقَدَّم الشَّعْب وَخُذ مَعَك بعْضَ شُيُوخ بني إسْرَائِيل، وَخُذ بيَدِك عَصَاك أَيْضا التِي ضَرَبتَ بهَا النهْرَ، ٦فهَا أَنا أَقِفُ هُناك أَمَامَك عَلى الصَّخْرَةِ فِي حُوريب. اضْرب الصَّخْرَةَ فَيَنفَجِرَ مِنهَا المَاءُ لِيَشْرَب الشَّعْب. وَهَكذا فعَل مُوسَى أَمَامَ شُيُوخ إسْرَائِيل. ٧ودَعَا اسْمَ المَوْضِع مَسَّةَ وَمَرِيبةَ (وَمَعْنَاهُ الامْتِحَان وَالمُخَاصَمَة) نتيجَة لتَخَاصُمِ بني إسْرَائِيل وَامْتِحَانهِمْ للرَّب قَائِلين: هَل الرَّب فِي وَسْطِنا أَمْ لاَ؟) خروج ١:١٧/٧.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ البقرة:٦٠.

وقال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٠.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى: (١ثمَّ ارْتَحَلوا مِن إيليمَ. وأَتَى كل جَمَاعَةِ بني إسْرَائِيل إلى بريَّةِ سِين، التِي بيْن إيليمَ وَسِيناءَ فِي اليَوْمِ الخَامِسَ عَشَرَ مِن الشَّهْرِ الثاني بعْدَ خروج هِمْ مِن أَرْضِ مِصْرَ. ٢فتَذمَّرَ

كل جَمَاعَةِ بني إِسْرَائِيل عَلى مُوسَى وَهَارُون فِي البرِّيَّةِ. ٣وَقَال لهُمَا بنو إِسْرَائِيل: ليْتَنا مُتْنا بيَدِ الرَّب فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذ كنا جَالسِين عِندَ قُدُور اللحْمِ نأْكل خُبزا للشَّبعِ. فَإِنكمَا أَخْرَجْتُمَانا إِلى هذا القفْرِ لكيْ تُمِيتَا كل هذا الجُمْهُور بالجُوعِ.٤فَقَال الرَّب لمُوسَى: هَا أَنا أُمْطِرُ لكمْ خُبزا مِن السَّمَاءِ. فَيَخْرُجُ الشَّعْب وَيَلتَقِطُون حَاجَةَ اليَوْمِ بيَوْمِهَا. لكيْ أَمْتَحِنهُمْ، أَيَسْلكون فِي نامُوسِي أَمْ لاَ. ٥وَيَكون فِي اليَوْمِ السَّادِسِ أَنهُمْ يُهَيِّئُون مَا يَجِيئُون بهِ فَيَكون ضِعْفَ مَا يَلتَقِطُونهُ يَوْما فَيَوْما. ٦فَقَال مُوسَى وَهَارُون لجَمِيعِ بني إِسْرَائِيل: فِي المَسَاءِ تَعْلمُون أَن الرَّب أَخْرَجَكمْ مِن أَرْضِ مِصْرَ. ٧وَفِي الصَّبَاحِ تَرَوْن مَجْدَ الرَّب لاسْتِمَاعِهِ تَذمُّرَكمْ عَلى الرَّب. وَأَمَّا نحْن فَمَاذا حَتَّى تَتَذمَّرُوا عَليْنا؟. ٨وَقَال مُوسَى: ذلك بأَن الرَّب يُعْطِيكمْ فِي المَسَاءِ لحْما لتَأْكلوا، وَفِي الصَّبَاحِ خُبزا لتَشْبعُوا، لاسْتِمَاعِ الرَّب تَذمُّرَكمُ الذي تَتَذمَّرُون عَليْهِ. وَأَمَّا نحْن فَمَاذا؟ ليْسَ عَليْنا تَذمُّرُكمْ بل عَلى الرَّب. ٩وَقَال مُوسَى لهَارُون: قُل لكل جَمَاعَةِ بني إِسْرَائِيل: اقْتَربوا إِلى أَمَامِ الرَّب لأَنهُ قَدْ سَمِعَ تَذمُّرَكمْ. ١٠فَحَدَث إِذ كان هَارُون يُكلمُ كل جَمَاعَةِ بني إِسْرَائِيل أَنهُمُ التَفَتُوا نحْوَ البرِّيَّةِ، وَإِذا مَجْدُ الرَّب قَدْ ظَهَرَ فِي السَّحَاب. ١١فَكلمَ الرَّب مُوسَى قَائِلا: ١٢سَمِعْتُ تَذمُّرَ بني إِسْرَائِيل. كلمْهُمْ قَائِلا: فِي العَشِيَّةِ تَأْكلون لحْما، وَفِي الصَّبَاحِ تَشْبعُون خُبزا، وَتَعْلمُون أَني أَنا الرَّب إِلهُكمْ.١٣فَكان فِي المَسَاءِ أَن السَّلوَى صَعِدَتْ وَغَطَّتِ المَحَلةَ. وَفِي الصَّبَاحِ كان سَقِيطُ الندَى حَوَالي المَحَلةِ) خروج ١٦: ١/٣.

وقال تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) ﴾ البقرة:٥٧.

وقال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) ﴾ الأعراف: ١٦٠.

وقال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠) ﴾ طه: ٨٠.

- **دعوة التوحيد التي جاء بها موسى عليه السلام ينطق بها الكتاب المقدس.**

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٣لاَ يَكن لك آلهَةٌ أُخْرَى سِوَايَ. ٤لاَ تَنحَتْ لك تِمْثالا، وَلاَ تَصنْعْ صُورَة مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِن فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِن تَحْتُ، وَمَا فِي المَاءِ مِن أَسْفَلِ الأَرْض. ٥لاَ تَسْجُدْ لَهُن وَلاَ تَعْبدْهُن، لأَني أَنا الرَّب إلهك، إلهٌ غيُورٌ، أَفْتَقِدُ آثَامَ الآباءِ فِي البنين حَتَّى الجِيل الثالث وَالرَّابعِ مِن مُبغِضِيَّ، ٦وَأَبدِي إحْسَانا نحْوَ أُلوف مِن مُحِبيَّ الذين يُطِيعُون وَصَايَايَ. ٧لاَ تَنطِقْ باسْمِ الرَّب إلهك باطِلا، لأَن الرَّب يُعَاقِب مَن نطَقَ باسْمِهِ باطِلا. ٨اذكرْ يَوْمَ السَّبتِ لتُقَدِّسَهُ، ٩سِتَّةَ أَيَّام تَعْمَل وَتَقُومُ بجَمِيع مَشاغِلك، ١٠أَمَّا اليَوْمُ السَّابعُ فَتَجْعَلهُ سَبتا للرَّب إلهك، فَلاَ تَقُمْ فِيهِ بأَيِّ عَمَل أَنتَ أَو ابنك أَوْ ابنتُك أَو عَبدُك أَوْ أَمَتُك أَوْ بهيمَتُك أَو النزيل المُقِيمُ دَاخِل أَبوَابك. ١١لأَن الرَّب قَدْ صَنعَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالبحْرَ وَكل مَا فِيهَا فِي سِتَّةِ أَيَّام، ثمَّ استْرَاحَ فِي اليَوْمِ السَّابعِ. لهَذا بارَك الرَّب يَوْمَ السَّبتِ وَجَعَلهُ مُقَدَّسا. ١٢أَكرِمْ أَباك وَأُمَّك لكيْ يَطُول عُمْرُك فِي الأَرْضِ التِي يَهَبك إِيَّاهَا الرَّب إلهك. ١٣لاَ تَقتُل.

١٤لاَ تَزْنِ. ١٥لاَ تَسْرِقْ. ١٦لاَ تَشْهَدْ زُورا عَلى جَارك. ١٧لاَ تَشْتَهِ بيْتَ جَارِك، وَلاَ زَوْجَتَهُ، وَلاَ عَبدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيَئا مِمَّا لهُ) خروج ٢٠: ١٧/٣.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (لا تنقل خبرا كاذبا، ولا تضَعْ يدَك بيَدِ الشِّرِّير لشَهادَةِ زُور. ٢لا تتبع الكثْرَةَ إلى السُّوءِ، ولا تُسَايِرْها في الدَّعاوي خلافا للحَقِّ، ٣ولا تهدُرْ حَقَ المِسكين في دعواهُ. ٤إذا لقِيتَ ثورَ عَدُوِّك أو حمارَهُ شاردا، فَرُدَّهُ إليهِ. ٥وإذا رأيتَ حمارَ مَن يُبغِضُك رازِحا تحتَ حِمْلهِ، فلا تمتَنعْ عَن مُساعَدَتِهِ ورَفْعِ الحِمْل معَهُ.٦لا تسكتْ عَن إنصافِ المِسكين في دعواهُ. ٧اَبتَعِدْ عن الحُكمِ في الدَّعاوي الكاذبةِ، ولا تحكمْ بالموتِ على البريءِ والصِّدِّيق، ولا تُصدِّق الشِّرِّيرَ. ٨لا تأخذ رَشوَة، فالرَّشوَةُ تُعمي أبصارَ القُضاةِ وتُكَذب أقوال الصَّادِقين. ٩لا تُضايِق الغريب. فأنتُم تعرفون حقيقةَ ما يشعُرُ به الغريب، لأنكم كنتُم غُرَباءَ في أرضِ مِصْرَ..١٣جميعُ ما قُلتُهُ لكم اَعملوا بهِ، واَسمَ إله آخرَ لا تذكروا ولا يُسمَعْ مِن أفواهِكم) خروج ١:٢٣/١٣.

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا

﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ الإسراء: ٢٢/٣٩.

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ الفرقان: ٧٦/٦١.

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ الأنعام: ١٥١.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٧لا يَجوزُ لساحِرَة أن تحيا. ١٨كل مَن ضاجعَ بهيمَة، فليُقتَل قَتلا. ١٩مَن ذبحَ لآلَهة إلاَ للرّب، فقتْلهُ حَلال) خروج ٢٢: ١٩/١٧.

ورد في السنة النبوية قوله ﷺ : (حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بالسَّيْفِ). روي موقوفا على جندب بن عبد الله، وروي ذلك عن عمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم(١). وقال رسول اللهِ ﷺ: (من وقَعَ على ذاتِ مَحْرَم فَاقتُلوهُ، وَمَن وقَعَ على بهيمَة فَاقتُلوهُ واقتُلوا البهيمَةَ) (٢).

وعن أبي الطُّفَيْل قال: (قُلنا لعَليٍّ بن أبي طَالب: أَخبرْنا بشَيْء أَسَرَّهُ إِليْك رسول اللهِ ﷺ، فقال: ما أَسَرَّ إلي شيئا كتَمَهُ الناس، وَلكني سَمِعْتُهُ

---

(١) الترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر ٦٠/٤ (١٤٦٠)، وقد ضعفه الألباني، انظر ضعيف الجامع (٢٦٩٩)، والسلسلة الضعيفة (١٤٤٦).

(٢) ابن ماجه في الحدود، باب من أتى ذات محرم ومن أتى بهيمة ٨٥٦/٢ (٢٥٦٤)، وقال الألباني: ضعيف دون الشطر الثانى فهو صحيح، الإرواء ١٤/٨.

يقول: لعَن اللهُ من ذبحَ لغَيْرِ اللهِ، ولَعَن اللهُ من آوَى مُحْدِثا، ولَعَن اللهُ من لعَن وَالدَيْهِ، ولَعَن اللهُ من غيَّرَ المَنارَ)[١].

وقال النبي ﷺ: (لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من غير تخوم الأرض، ولعن الله من كمه أعمى عن السبيل، ولعن الله من سب والديه، ولعن الله من تولى غير مواليه، ولعن الله من وقع على بهيمة، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط، قالها ثلاثا في عمل قوم لوط)[٢].

• **موسى ونزول التوراة بعد الأربعين وعبادة بني إسرائيل للعجل.**

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٩ثمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَرُون وَنادَاب وَأَبيهُو وَسَبعُون مِن شُيُوخِ إِسْرَائِيل، ١٠وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيل، وَتَحْتَ قَدَمَيْهِ أَرْضِيَّةٌ كأَنها مَصْنوعَةٌ مِن اليَاقُوتِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ تُماثل السَّمَاءَ فِي النقَاءِ، ١١ولَكن الله لمْ يَمُدَّ يَدَهُ ليُهْلك أَشْرَافَ بني إِسْرَائِيل. فَرَأَوْا الله وَأَكلوُا وَشَربوا ١٢وَقَال الرَّب لمُوسَى: اصْعَدْ إلى الجَبل وَامْكث هُناك لأُعْطِيَك الوَصَايَا وَالشَّرَائِعَ التِي كَتبْتُهَا عَلى لوْحَيِ الحَجَرِ لتُلقِّنهَا لهُمْ. ١٣فَقَامَ مُوسَى وَأَخَذ خَادِمَهُ يَشُوعَ وَصَعِدَ إلى جَبل اللهِ. ١٤وَقَال للشُّيُوخ: انتَظِرُونا هُنا حَتَّى نرْجِعَ إِليْكمْ. وَهُوَذا هَرُون وَحُورُ مَعَكمْ، فَإِن كان لأَحَد دَعْوَى فَليَرْفَعْهَا إِليْهمَا. ١٥وَعِندَمَا صَعِدَ مُوسَى إِلى الجَبل، تَغَطَّى الجَبل بالسَّحَاب، ١٦وَحَل مَجْدُ الرَّب عَلى جَبل سِيناءَ، وَغَطَّاهُ السَّحَاب سِتَّةَ أَيَّام. وَفِي اليَوْمِ

(١) مسلم في الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ٣/١٥٦٧ (١٩٧٨).

(٢) رواه أحمد في المسند ١/٣١٧ (٢٩١٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، والسلسلة الصحيحة (٣٤٦٢)، وصحيح الترغيب والترهيب ٢/٣١١ (٢٤٢١).

السَّابعِ دعَا الرَّب مُوسَى مِن وَسَطِ السَّحَاب. ١٧وبدَا مَجْدُ الرَّب لعيُون بني إسْرَائِيل كنار آكلة عَلى قِمَّةِ الجَبل. ١٨واختَفَى مُوسَى فِي وَسَطِ السَّحَاب وَصَعِدَ إلى الجَبل حَيْث مَكث هُناك أَرْبعِين نهَارا وَأَرْبعِين ليْلة) خروج ٢٤: ٩/٨.

وقال تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ الأعراف: ١٥٥/ ١٥٦.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ البقرة: ٥١/ ٥٢.

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ الأعراف: ١٤٢.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٨وَعِندَمَا فَرَغَ اللهُ مِن مُخَاطَبَةِ مُوسَى فِي جَبل سِيناءَ، أَعْطَاهُ لوْحَي الشَّهَادَةِ، وَهُمَا لوْحَان مِن حَجَر) خروج ٣٢/ ١٨.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٥فَانصَرَفَ مُوسَى وَنزَل مِن الجَبل وَلوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ: لوْحَان مَكتُوبان عَلى جَانبيْهِمَا.

مِن هُنا وَمِن هُنا كانا مَكتُوبيْن. ١٦وَاللوْحَان هُمَا صَنعَةُ اللهِ، وَالكتَابةُ كتَابةُ اللهِ مَنقُوشَةٌ عَلى اللوْحَيْن) خروج ٣٢: ١٥/١٦.

وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٥. وورد في السنة النبوية قول رسول اللهِ ﷺ: (احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فقال مُوسَى: يا آدَمُ أنت أَبونا، خَيَّبتَنا وأَخْرَجْتَنا من الجَنةِ فقال له آدَمُ: أنت مُوسَى اصْطَفَاك اللهُ بكلامِهِ، كتَب لك التَّوْرَاةَ بيده، أَتَلومُني على أَمْر قَدَّرَهُ اللهُ على قبل أَن يَخْلقَني بأَرْبعِين سَنة، فقال النبي ﷺ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى) [(١)].

ورد في الكتاب المقدس قوله: (وَلَمَّا رَأَى الشَّعْب أَن مُوسَى قَدْ طَالتْ إِقَامَتُهُ عَلى الجَبل، اجْتَمَعُوا حَوْل هَرُون، وَقَالوا لهُ: هَيَّا، اصنعْ لنا إِلها يَتَقَدَّمُنا فِي مَسِيرنا، لأَننا لاَ ندْري مَاذا أَصَاب هَذا الرَّجُل مُوسَى الذي أَخْرَجَنا مِن دِيَار مِصْرَ. ٢فأَجَابهُمْ هَارُون: انزعُوا أَقْرَاطَ الذهَب التِي فِي آذان نسَائِكمْ وَبناتِكمْ وبنيكمْ، وأَعْطُوني إِيَّاهَا. ٣فَنزَعُوهَا مِن آذانهمْ، وَجَاءُوا بهَا إِليْهِ. ٤فأَخَذهَا مِنهُمْ وَصَهَرَهَا وَصَاغَ عِجْلا. عِندَئِذ قَالوا: هَذهِ آلهَتُك يَاإِسْرَائِيل التِي أَخْرَجَتْك مِن دِيَار مِصْرَ. ٥وَعِندَمَا شَاهَدَ هَارُون ذلك شَيَّدَ مَذبحا أَمَامَ العِجْل وَأَعْلن: غَدًا هُوَ عِيدٌ للرَّب. ٦فبكرَ الشَّعْب فِي اليَوْمِ الثاني وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَات وَقَدَّمُوا قَرَابين سَلاَم. ثمَّ احْتَفَلوا فَأَكلوا وَشَرِبوا، وَمِن ثمَّ قَامُوا للهْوِ وَالُمجُون) خروج ٣٢: ١/٦.

(١) البخاري في القدر، باب تحاج آدم وموسى ٦/٢٤٣٩ (٦٢٤٠)، ومسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٤/٢٠٤٢ (٢٦٥٢).

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٢.

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٨/١٤٩. وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ ﴾ طه: ٨٣/٩٠.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٧فأَمَرَ الرَّب مُوسَى: قُمْ وانزل فإن الشَّعْب الذي قَدْ أَخْرَجْتَهُ من دِيَار مِصْرَ، قَدْ فَسَدَ. ٨إذ انحَرَفُوا سَرِيعا عَن الطَّرِيق الذي أَمَرْتُهُمْ به، فَصَاغُوا لَهُمْ عِجْلا وَعَبدُوهُ وَذبحُوا لهُ الذبائِحَ هَاتِفِين: هَذا هُوَ إلهُك يَاإِسْرَائِيل الذي أَخْرَجَك مِن دِيَار مِصْرَ. ٩وقَال الرَّب لمُوسَى: لقَدْ تَأَمَّلتُ فِي هَذا الشَّعْب، وإذا به شَعْب عَنيدٌ مُتَصَلب القَلب. ١٠والآن دَعْني وَغضَبي المُحتَدِمَ فَأُفنِيَهُمْ،

ثمَّ أَجْعَلك أَنتَ شَعْبا عَظِيما. ١١فَابتَهَل مُوسَى إِلى الرَّب وَقَال: لَمِاذا يَحْتَدِمُ غَضَبك عَلى شَعْبك الذي أَخْرَجْتَهُ مِن دِيَارِ مِصْرَ بقُوَّة عَظِيمَة وَذرَاع مُقْتَدِرَة؟ ١٢لَمِاذا يَشْمَتُ المِصْرِيُّون فِينا قَائِلين: لقَدِ احْتَال عَلَيْهِمْ إِلَهُهُمْ فَأَخْرَجَهُمْ مِن هَهُنا ليُهْلكهُمْ فِي الجِبال وَيُفْنِيَهُمْ عَن وَجْهِ الأَرْضِ. ارْجِعْ عَن حُمُوِّ غَضَبك وَلاَ تُوْقِعْ هَذا العِقَاب بشَعْبك. ١٣اذكُرْ وُعُودَك لعَبيدِك إِبرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَإِسْرَائِيل الذين أَقْسَمْتَ لَهُمْ بنفسِك قَائِلا: أُكثِرُ نسْلكَمْ كنجُومِ السَّمَاءِ، وَأَهَبكَمْ جَمِيعَ هَذهِ الأَرْضِ التِي وَعَدْتُ بهَا فَتَمْلكونهَا إِلى الأَبدِ. ١٤فَتَرَاءَفَ الرَّب وَلَمْ يُوْقِعْ بشَعْبهِ العِقَاب الذي تَوَعَّدَ به. ١٥ثمَّ نزَل مُوسَى وَانحَدَرَ مِن الجَبل حَامِلا فِي يَدِهِ لوْحَي الشَّهَادَةِ الوَصَايَا العَشْرِ، وَقَدْ نقِشَتْ كِتَابَةٌ عَلى وَجْهَيْ كل مِنهُمَا، ١٦وَكان الله قَدْ صَنعَ اللوْحَيْن وَنقَشَ الكتَابَةَ عَلَيْهِمَا. ١٧وَسَمِعَ يَشُوعُ هُتَافَ الشَّعْب فَقَال لمُوسَى: هَذا صَوْتُ تَأَهُّب لقِتَال فِي المُخَيَّم. ١٨فَأَجَابهُ مُوسَى: هَذا ليْسَ هُتَافَ نصْرَة وَلاَ صُرَاخَ هَزيمَة، لكن مَا أَسْمَعُهُ هُوَ صَوْتُ غِناء. ١٩وَمَا إِن اقْتَرَب مُوسَى مِن المُخَيَّمِ وَشَاهَدَ العِجْل وَالرَّقْصَ حَتَّى احْتَدَمَ غَضَبَهُ وَأَلقَى باللوْحَيْن مِن يَدِهِ وَكسَّرَهُمَا عِندَ سَفْحِ الجَبل. ٢٠ثمَّ أَخَذ العِجْل الذهَبيَّ وَأَحْرَقَهُ بالنارِ وَطَحَنهُ حَتَّى صَارَ ناعِما، وَذرَّاهُ عَلى وَجْهِ المَاءِ وَأَرْغَمَهُمْ عَلى الشُّرْب مِنهُ. ٢١وَخَاطَب مُوسَى هَرُون: مَاذا فَعَل بك هَذا الشَّعْب حَتَّى جَلبتَ عَليْهِ هَذهِ الخَطِيئَةَ العَظِيمَةَ؟ ٢٢فَأَجَاب هَرُون: لاَ يَحْتَدِمْ غَضَب سَيِّدِي. إِنك تَعْرِفُ شَرَّ هَذا الشَّعْب. ٢٣لقَدْ قَالوا لي: اصْنعْ لنا إِلها يَتَقَدَّمُنا فِي مَسِيرِنا، لأَننا لاَ ندْري مَاذا أَصَاب هَذا الرَّجُل مُوسَى الذي أَخْرَجَنا مِن دِيَارِ مِصْرَ، ٢٤فَقُلتُ لهُمْ مَن لدَيْهِ ذهَب فَليَنزِعْهُ وَيُعْطِنِي إِيَّاهُ، فَطَرَحْتُهُ

فِي النارِ فَخرَجَ هَذا العِجْل. ٢٥ولَمَّا رأَى مُوسَى أَن الشَّعْب غَارِقٌ فِي مُجُونه بعْدَ أَن أَفْلتَ هَرُون زمَامَهُمْ فَصَارُوا بذلك مَثارَ سُخْريَةِ أَعْدَائِهِمْ، ٢٦وقَفَ فِي باب المُخيَّمِ وَصَاحَ: كل مَن يَتْبعُ الرَّب فَليُقْبل إليَّ هُنا. فَاجْتَمعَ حَوْلهُ اللاَّويُّون. ٢٧فَهتَفَ بهِمْ: هَذا مَا يُعْلنهُ الرَّب إلهُ بني إسْرَائيل: ليَتَقلَدْ كل وَاحِد سَيْفَهُ، وَجُولوا فِي المُخيَّمِ ذهَابا وَإيَابا مِن مَدْخَل إلى مَدْخَل، وَاقْتُلوا كل دَاعِرٍ سَوَاءٌ أَكان أَخا أَمْ صَاحِبا أَمْ قَريبا. ٢٨فَأَطَاعَ اللاَّويُّون أَمْرَ مُوسَى. فَقُتِل مِن الشَّعْب فِي ذلك اليَوْمِ نَحْوَ ثلاَثةِ آلافِ رَجُل. ٢٩عِندئِذ قَال مُوسَى للاَّويِّين: لقَدْ كرَّسْتُمُ اليَوْمَ أَنفُسَكمْ لخِدْمَةِ الرَّب، وَقَدْ كلفَ ذلك كل وَاحِد مِنكمْ قَتْل ابنهِ أَوْ أَخيهِ، وَلكن ليُنعِمْ عَليْكمُ الرَّب فِي هَذا اليَوْمِ ببركة) خروج ٣٢: ٧/٢٩.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ طه: ٩٠ – ١٠١.

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٠/١٥٣.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ البقرة: ٥٤.

- موسى يلقي الألواح ويخاطبه الله من على جبل الطور في سيناء.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١ثمَّ قَال الرَّب لُموسَى: انحَتْ لك لوْحَيْن مِن حَجَر مِثل الأوَّلَيْن، فأَكتُب أنا عَلى اللوْحَيْن الكلمَاتِ التِي كانتْ عَلى اللوْحَيْن الأوَّلَيْن اللذيْن كسَرْتَهُمَا. ٢وَكن مُسْتَعِدّا للصَّباحِ. وَاصعَدْ فِي الصَّباحِ إِلى جَبل سِيناءَ، وَقِفْ عِندِي هُناك عَلى رَأْسِ الجَبل. ٣وَلاَ يَصعَدْ أَحَدٌ مَعَك، وَأَيْضا لاَ يُرَ أَحَدٌ فِي كل الجَبل. الغَنمُ أَيْضا وَالبقَرُ لاَ تَرْعَ إِلى جِهَةِ ذلك الجَبل. ٤فَنحَتَ لوْحَيْن مِن حَجَر كالأوَّلَيْن. وَبكرَ مُوسَى فِي الصَّباحِ وَصَعِدَ إِلى جَبل سِيناءَ كمَا أَمَرَهُ الرَّب، وَأَخَذ فِي يَدِهِ لوْحَي الحَجَرِ) خروج ٣٤: ١/٤.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٣٠وَفِي الغَدِ قَال

مُوسَى للشَّعْب: لقَدِ ارْتَكبتُمْ خَطِيئَة عَظِيمَة، وَهَا أَنا أَعُودُ إِلى الجَبل لأَمْثل أَمَامَ الرَّب، لعَلي أَحْظَى لكمْ بغُفْرَانه. ٣١ورَجَعَ مُوسَى إِلى الرَّب وَتَضرَّعَ قَائِلا: يَارَب لقَدِ اقْتَرَفَ هَذا الشَّعْب خَطِيئَة عَظِيمَة، وَصَاغُوا لأَنفُسِهِمْ إِلها مِن ذهَب. ٣٢وَالآن إِن شِئْتَ، اغْفِرْ لهُمْ، وَإِلاَّ فَامْحُنِي مِن كِتَابك الذي كتَبتَ. ٣٣فَأَجَاب الرَّب مُوسَى: الذي أَخْطَأَ إِليَّ أَمْحُوهُ مِن كِتَابي ٣٤وَالآن اذهَب، وَقُدِ الشَّعْب إِلى المَكان الذي ذكرْتُهُ لك. وَهَا هُوَ مَلاكي يَتَقَدَّمُك، وَلَكن لاَبدَّ مِن مُعَاقَبَةِ الشَّعْب عَلى خَطِيئَتِهِمْ فِي يَوْمِ قَضَائِي. ٣٥وَضَرَب الرَّب الشَّعْب بالوَبأِ عِقَابا لهُمْ عَلى عِبادَةِ العِجْل الذي صَنعَهُ هَرُون) خروج ٣٢: ٣٠/٣٥.

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأعراف:١٥٤/١٥٩.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٨وَقَال مُوسَى: أَرني مَجْدَك. ١٩فقَال الرَّب: أُجِيزُ إِحْسَاناتِي أَمَامَك، وأُذيعُ اسْمِي الرَّب أَمَامَك. أُغْدِقُ رأْفَتِي عَلى مَن أَشَاءُ ورَحْمَتِي على مَن أُرِيدُ، ٢٠وأَضَافَ: ولكنك لن تَرَى وَجْهِي، لأن الإِنسَان الذي يَرَاني لاَ يَعِيشُ. ٢١ثمَّ قَال الرَّب: لدَيَّ مَكان قَرِيب مِني. فَقِفْ عَلى الصَّخْرَةِ، ٢٢وَعِندَمَا يَعْبرُ مَجْدِي، أَضَعُك فِي نقْرَة مِن الصَّخْر، وأَحْجُبك بيَدِي حَتَّى أَعْبرَ، ٢٣ثمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتنظُرُ ورَائِي، أَمَّا وَجْهِي فَيظَل مَحْجُوبا عَن العِيَان) خروج ٣٣: ١٨/٢٣.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: ([١٨]فقَال: أَرِني مَجْدَك. [١٩]فقَال: أُجِيزُ كل جُودَتِي قُدَّامَك. وأُنادِي باسْمِ الرَّب قُدَّامَك. وأَتَرَاءَفُ عَلى مَن أَتَرَاءَفُ، وأَرْحَمُ مَن أَرْحَمُ. [٢٠]وقَال: لاَ تَقْدِرُ أَن تَرَى وَجْهِي، لأن الإِنسَان لاَ يَرَاني وَيَعِيشُ. [٢١]وقَال الرَّب: هُوَذا عِندِي مَكان، فتَقِفُ عَلى الصَّخْرَةِ. [٢٢]ويَكون مَتَى اجْتَازَ مَجْدِي، أَني أَضَعُك فِي نقْرَة مِن الصَّخْرَةِ، وأَسْتُرُك بيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ. [٢٣]ثمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنظُرُ ورَائِي، وأَمَّا وَجْهِي فَلاَ يُرَى) خروج ٣٣: ١٨/٢٣.

وفي نسخة ثالثة للكتاب المقدس تغير فيها النص عن النصين السابقين

في بعض مواضعه كما يلي: (١٨فقال موسى: أرِني مَجدَك. ١٩فقال الرَّب: سأعرِضُ كل جلالي أمامَك وأُنادي باسمي أنا الرَّب على مسمَعِك، وأتَحَنن على مَن أتَحنن وأرحَمُ مَن أرحَمُ. ٢٠وقال: أمَّا وجهي فلا تقدِرُ أن تراهُ، لأن الذي يراني لا يعيشُ. ٢١وقال الرَّب: هُنا مكان بجانبي تقِفُ فيهِ على الصَّخرةِ، ٢٢وحين يمُرُّ مَجدي أجعَلك في فَجوَةِ الصَّخرةِ وأُغَطِّيك بيَدي حتى أمُرَ. ٢٣ثم أُزيحُ يَدي، فتنظُرُ ظَهري. وأما وجهي، فلا تراهُ) خروج ٣٣: ١٨/٢٣.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٥فنزَل بهَيْئَةِ سَحَاب، وَوَقَفَ مَعَهُ هُناك حَيْث أَعْلن لهُ اسْمَهُ: الرَّب، ٦وعَبرَ مِن أمَام مُوسَى مُنادِيا: أنا الرَّب. الرَّب إِلهٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، بطِيءُ الغَضَب وَكثيرُ الإحْسَان وَالوفَاءِ. ٧أدَّخِرُ الإِحْسَان وَأَغْفِرُ الإِثمَ وَالمَعْصِيَةَ وَالخَطِيئَةَ. وَلَكني لاَ أُعْفِي الُمذنب مِن العِقَاب، بل أَفْتَقِدُ إثمَ الآباءِ فِي الأبناءِ وَالأَحْفَادِ حَتَّى الجِيل الرَّابع. ٨فَخرَّ مُوسَى فِي الحَال وَسَجَدَ، ٩وقَال: إن حَظِيتُ برِضَاك أَيُّهَا السَّيِّدُ، فَليُرَافِقْنا الرَّب فِي مَسِيرنا وَمَعَ أَن هَذا الشَّعْب مُتَصَلب القَلب. لكن اصْفَحْ عَن إثمِنا وَخَطِيئَتِنا وَاتَّخِذنا خَاصَّة لك) خروج ٣٤: ٥/٩.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ

مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ الأعراف: ١٤٣/١٤٧.

- **ما حرمه الله في القرآن والسنة نص عليه كتاب النصارى المقدس.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٤إنمَا تُطَبقُون أَحْكَامِي وتَحْفَظُون فَرَائِضِي لتَسْلكوا فِيهَا. أَنا الرَّب إلهُكمْ. ٥احْفَظُوا فَرَائِضِي وأَحْكَامِي التِي إذا أَطَاعَهَا الإِنسَان يَحْيَا بهَا. أَنا الرَّب ٦لاَ يُقَارب إنسَان جَسَدَ مَن هُوَ مِن لحْمِهِ وَدَمِهِ لِيُعَاشِرَهُ. أَنا الرَّب. ٧لاَ تَتزَوَّجْ فَتَاةٌ أَباهَا، وَلاَ ابن أُمَّهُ إنهَا أُمُّك فَلاَ تَكشِفْ عَوْرَتَهَا ٨لاَ تَتزَوَّجْ امْرَأَةَ أَبيك لأَنها زَوْجَةُ أَبيك. ٩لاَ تَتزَوَّجْ أُخْتَك بنتَ أَبيك، أَوْ بنتَ أُمِّك، سَوَاءٌ وُلدَتْ فِي البيْتِ أَمْ بعِيدا عَنهُ، وَلاَ تَكشِفْ عَوْرَتَهَا. ١٠لاَ تَتزَوَّجِ ابنةَ ابنك أَو ابنةَ ابنتِك، وَلاَ تَكشِفْ عَوْرَتَهَا لأَنها عَوْرَتُك. ١١لاَ تَتزَوَّجْ بنتَ امْرَأَةِ أَبيك المَوْلودَةَ مِن أَبيك، وَلاَ تَكشِفْ عَوْرَتَهَا لأَنهَا أُختُك. ١٢لاَ تَتزَوَّجْ أُخْتَ أَبيك. إنهَا عَمَّتُك. ١٣لاَ تَتزَوَّجْ أُخْتَ أُمِّك. إنهَا خَالتُك. ١٤لاَ تَتزَوَّجْ فَتَاةٌ عَمَّهَا، وَلاَ تُعَاشِرْ زَوْجَةَ عَمِّك. إنهَا عَمَّتُك. ١٥لاَ تَتزَوَّجْ كنتَك، فَإنهَا امْرَأَةُ ابنك، وَلاَ تَكشِفْ عَوْرَتَهَا. ١٦لاَ تَتزَوَّجِ امْرَأَةَ أَخيك، فَإنهَا عَوْرَةُ أَخيك. ١٧لاَ تَتزَوَّجِ امْرَأَة وَابنتَهَا، وَلاَ تَتزَوَّجْ مَعَهَا ابنةَ ابنهَا أَو ابنةَ بنتِهَا، لأَنهُمَا قَرِيبتَاهَا، وَإن فَعَلتَ تَرْتكب رَذيلة. ١٨لاَ تَتزَوَّجِ امْرَأَة

عَلى أُخْتِهَا لتَكون ضَرَّة مَعَهَا فِي أَثناءِ حَيَاةِ زَوْجَتِك ١٩لاَ تُعَاشِرِ امْرَأَة وَهِيَ فِي نَجَاسَةِ حَيْضِهَا، ٢٠ولاَ تُقَارب امْرَأَةَ صَاحِبك فتُعَاشِرَهَا وَتَتَنجَّسَ بهَا. ٢١لاَ تُجزْ أَحَدَ أَبنائِك فِي النارِ قُرْبانا للوثن مُولك، لئَلاَّ تُدَنسَ اسْمَ إلهِك. أنا الرَّب ٢٢لاَ تُضَاجِعْ ذكرا مُضَاجَعَةَ امْرَأَة. إنها رَجَاسَةٌ، ٢٣ولاَ تُعَاشِرْ بهيمَة فَتَتَنجَّسَ بهَا، ولاَ تَقِفِ امْرَأَةٌ أَمَامَ بهِيمَة ذكر لتُضَاجِعَهَا. إِنهُ فَاحِشَة) لاويين ١٨: ٢٣/٤.

وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ النساء:٢٣. وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ النور: ٣٠/٣١.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۢ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ ﴾ النور:٥٨/٦٠. وقال تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣ ﴾ البقرة: ٢٢٢/٢٢٣.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (وَأَمَرَ الرَّب مُوسَى وَهَرُون: ٢أَوْصِيَا بني إِسْرَائِيل: هَذِهِ هِيَ الحَيَوَانَاتُ التِي تَأْكلونهَا مِن جَمِيع بهَائِمِ الأَرْض: ٣تَأْكلون كل حَيَوَان مَشْقُوق الظِّلفِ وَمُجْتَر، ٤أَمَّا الحَيَوَانَاتُ المُجْتَرَّةُ فقط، أَو المَشْقُوقَةُ الظِّلفِ فَقَطْ، فَلاَ تَأْكلوا مِنهَا، فَالجَمَل غَيْرُ طَاهِر لكمْ لأَنهُ مُجْتَرٌّ وَلكنهُ غَيْرُ مَشْقُوق الظِّلفِ، ٥وَكذلك الوَبرُ نجِسٌ لكمْ لأَنهُ مُجْتَرٌّ وَلكنهُ غَيْرُ مَشْقُوق الظِّلفِ، ٦أَمَّا الأَرْنب فَإِنهُ مُجْتَرٌّ وَلكنهُ غَيْرُ مَشْقُوق الظِّلفِ، لذلك هُوَ نجِسٌ لكمْ، ٧وَالخنزيرُ أَيْضا نجِسٌ لكمْ لأَنهُ مَشْقُوقُ الظِّلفِ وَلكنهُ غَيْرُ مُجْتَر. ٨لاَ تَأْكلوا مِن لحْمِهَا وَلاَ تَلمِسُوا جُثثهَا لأَنهَا نجِسَةٌ لكمْ.

٩أَمَّا مَا يَعِيشُ فِي المَاءِ فَتَأْكلون مِنهُ كل مَا لهُ زَعَانفُ وَقُشُورٌ، سَوَاءٌ كان يَعِيشُ فِي البحَارِ أَمِ الأَنهَارِ، فَهَذهِ تَأْكلونهَا. ١٠ولَكن إِيَّاكمْ أَن تَأْكلوا الحَيَوَانَاتِ المَائِيَّةَ التِي ليْسَ لهَا زَعَانفُ أَوْ قُشُورٌ، سَوَاءٌ كانتْ تَعِيشُ فِي الأَنهَارِ أَوِ البحَارِ، أَوِ الزَّوَاحِفَ فِي المِيَاهِ، أَوْ كل نفْس حَيَّة فِيهَا، فَهَذهِ كلهَا مَحْظُورَةٌ عَليْكمْ. ١١فَلاَ تَأْكلوا مِن لحْمِهَا وَامْقُتُوا جُثثهَا. ١٢كل حَيَوَان مَائِي خَال مِن الزَّعَانفِ وَالقُشُورِ يَكون مَحْظُورا عَليْكمْ) لاويين١١: ١٢/١.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٢٦لاَ تَأْكلوا لحْما بدَمِهِ، وَلاَ تُمَارسُوا العِرَافَةَ وَالعِيَافَةَ. ٢٧لاَ تَحْلقُوا رُؤُوسَكمْ حَلقا مُسْتَدِيرا، وَلاَ تُقَلِّمْ جَانبيْ لحْيَتِك. ٢٨لاَ تَجْرَحُوا أَجْسَامَكمْ حُزْنا عَلى مَيْت، وَلاَ تَرْسِمْ وَشْما عَليْهِ. فَأَنا الرَّب. ٢٩لاَ تُدَنس ابنتَك فَتَبذلهَا للفُجُورِ، لئَلاَّ تَزْنِيَ الأَرْضُ وَتَمْتَليءَ بالرَّذيلةِ) لاويين ١٩: ٢٩/٢٦.

وفي نسخة أخرى تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: ([٢٦]لاَ تَأْكلوا بالدَّم. لاَ تَتَفَاءَلوا وَلاَ تَعِيفُوا. [٢٧]لاَ تُقَصِّرُوا رُؤُوسَكمْ مُسْتَدِيرا، وَلاَ تُفْسِدْ عَارِضَيْك. [٢٨]وَلاَ تَجْرَحُوا أَجْسَادَكمْ لمَيْت. وَكتَابَة وَسْم لاَ تَجْعَلوا فِيكمْ. أَنا الرَّب. [٢٩]لاَ تُدَنس ابنتَك بتَعْرِيضِهَا للزِّنى لئَلاَّ تَزْنِيَ الأَرْضُ وَتَمْتَلئَ الأَرْضُ رَذيلة) لاويين ١٩: ٢٩/٢٦. وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (وَلاَ تَغُشُّوا فِي القِيَاسِ أَوِ الوَزْنِ أَوِ الكيْلِ، ٣٦بل استَخْدِمُوا مَوَازِين عَادِلة وَعِيَارَات عَادِلة وَمَكاييل عَادِلة، فَأَنا الرَّب إِلهُكمُ الذي أَخْرَجَكمْ مِن دِيَارِ مِصْرَ. ٣٧فَاحْفَظُوا جَمِيعَ فَرَائِضِي وَأَحْكامِي وَاعْمَلوا بهَا، فَأَنا الرَّب) لاويين١٩: ٣٧/٣٥.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥)﴾ البقرة: ١٧٣/١٧٥.

وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)﴾ المائدة: ٣.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٥)﴾ النحل: ١١٥.

وقال تعالى: ﴿۞ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥)﴾ آل عمران: ٩٣/٩٥.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ

﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾ فاطر:١٢. وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩٦﴾ المائدة:٩٦.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٣﴾ النور:٣٣.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢﴾ الأنعام:١٥٢. وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥﴾ الإسراء:٣٥. وقال تعالى: ﴿۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ١٨٣﴾ الشعراء:١٨١/١٨٣.

وقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ المطففين:١/٦.

- **قول الله تعالى وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين.**

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٧وإذا قَتَل أَحدٌ إنسَانا فَإنهُ يُقْتَل. ١٨ومَن أَمَاتَ بهيمَةَ جَارهِ يُعَوِّضُ عَنهَا نفْسا بنفْس. ١٩ومَن أَوْقَعَ بقَريبهِ ضَرَرا فبمِثل مَا أَوْقَعَ يُوْقَعُ بهِ. ٢٠كسْرٌ بكسْر وَعَيْن بعَيْن، وَسِن بسِن. وَكمَا أَنزَل بسِوَاهُ مِن أَذى يُنزَل بهِ. ٢١مَن قَتَل

بهيمةَ جَارِهِ يُعَوِّضُ عَنهَا، وَمَن قَتَل إنسَانا يُقْتَل. ٢٢حُكمٌ وَاحِدٌ يُطَبقُ عَلَيْكمُ، الغَرِيب كالإِسْرَائِيليِّ، إِني أَنا الرَّب إِلهُكمْ) لاويين٢٤: ١٧/٢٢.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: ([17]وَإذا أَمَاتَ أَحَدٌ إنسَانا فَإنهُ يُقْتَل. [18]وَمَن أَمَاتَ بهيمَة يُعَوِّضُ عَنهَا نفْسا بنفْس. [19]وَإذا أَحْدَث إنسَان فِي قَريبهِ عَيْبا، فكَمَا فَعَل كذلك يُفْعَل بهِ. [20]كسْرٌ بكسْر، وَعَيْن بعَيْن، وَسِن بسِن. كمَا أَحْدَث عَيْبا فِي الإِنسَان كذلك يُحْدَث فِيهِ. [21]مَن قَتَل بهيمَة يُعَوِّضُ عَنهَا، وَمَن قَتَل إنسَانا يُقْتَل. [22]حُكمٌ وَاحِدٌ يَكون لكمْ. الغَرِيب يَكون كالوَطَنيِّ. إِني أَنَا الرَّب إِلهُكمْ) لاويين٢٤: ١٧/٢٢.

وفي نسخة ثالثة تغير فيها النص عن النصين السابقين في بعض مواضعه كما يلي: (١٧مَن قَتل إنسانا، يُقتَل قَتلا، ١٨ومَن قتَل بهيمة، يُعوِّضْ مِثلها رأسا بدل رأس.١٩مَن أضرَ بآخرَ، يُفعَل بِهِ كما فعَل: ٢٠الكسْرُ بالكسْرِ والعَين بالعَين، والسِّن بالسِّن، كالضَّررِ الذي يُنزله بهِ. وكذلك كل ضَرَر يُنزلهُ الإنسان بالإنسان ينزل بهِ مِثلهُ. ٢١مَن قتَل بهيمَة يُعَوِّضْها، ومَن قتَل إنسانا يُقتَل. ٢٢حُكمٌ واحدٌ يكون لكم جميعا، للدَّخيل كما للأصيل. أنا الرَّب إلهُكم) لاويين٢٤: ١٧/٢٢.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٢مَن ضرَب إنسانا فماتَ، فليُقْتَل قَتلا. ١٣فإن قتَلهُ عَن غيرِ عَمْد، وإنما اللّٰهُ أوقَعَهُ في يَدِهِ، فسأُعَيِّن له مَوضِعا يهرُب إليهِ. ١٤وإذا غدَرَ أحدٌ بآخرَ وقتَلهُ عَمْدا، فَمِن عِندِ مذبحي إذا هرَب إليهِ يُؤخذ ليُقتَل. ١٥مَن ضرَب أباهُ أو أُمَّهُ، فَليُقتل قَتلا. ١٦مَن خطَفَ أحدا فباعَهُ أو وُجدَ في يَدِهِ، فَليُقتَل قَتلا.

١٧مَن لعَن أباهُ أو أُمَّهُ، فليُقتَل قَتلا. ١٨إذا تَشاجرَ رَجلان، فضَرب أحدُهُمَا الآخرَ بحجر أو لكمَة فلم يمُتْ بل لزِمَ الفِراشَ، ١٩فإن قامَ يوما ومشى خارجا على عُكازِهِ، فلا يُعاقَب الضَّارِب، وإنما يُعَوِّضُهُ بدل عُطْلتِهِ عَن العمَل ويُنفِقُ على عِلاجِهِ. ٢٠إن ضرَب أحدٌ عبدَهُ أو جاريَتَهُ بقضيب فماتَ تحتَ يَدِهِ، يُنتقَمُ مِنهُ. ٢١وإن عاشَ يوما أو يومَين فلا يُنتَقَمُ مِنهُ، لأن العبدَ مالهُ. ٢٢إذا وقَعَ خصامٌ وصدَمَ أحدُهُم اَمرأة حُبلى فسَقطَ الجنين مِن دون ضرَر آخرَ، فليَدفَعِ الصَّادِمُ الغرامَةَ التي يَفرضُها عليهِ زَوج المَرأةِ بمُوافَقةِ القُضاةِ. ٢٣وإن وقعَ ضرَرٌ على المَرأةِ فنفسٌ بنفْس، ٢٤وعين بعين، وسِن بسِن، ويَدٌ بيد، ورِجل برِجل، ٢٥وحَرْقٌ بحَرْق، وجرْحٌ بجرْحٍ، ورَضّ برَضّ. ٢٦وإن ضرَب أحدٌ عين عبدِهِ أو جاريَتِهِ فأتلفَها، فليُحَرِّرْهُ بدل عينهِ. ٢٧وإن أسقَطَ سِن عبدِهِ أو جاريتِهِ فَليُحَرِّرْهُ بدل سِنه) خروج ٢١: ٢٧/١٢.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ المائدة: ٤٤/٤٥. وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ

وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ البقرة:١٧٨/١٧٩.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾النساء:٩٢/٩٣.

وورد في الكتاب المقدس عن تحريم الربا قوله: (٣٥وَإِذا افْتَقَرَ أَخُوك وَعَجَزَ عَن إِعَالةِ نفْسِهِ فِي وَسَطِك، فَأَعِنهُ، سَوَاءٌ كان غَرِيبا أَوْ مُوَاطِنا، لِيتَمَكن مِن العَيْشِ مَعَك. ٣٦اِتَّقِ إِلهَك وَلاَ تَأْخُذ مِنهُ رِبا وَلاَ رِبحا، لِيتَمَكن مِن العَيْشِ فِي وَسَطِك ٣٧لاَ تُقْرِضْهُ فِضَّتَك بربا، وَلاَ تَبعْهُ طَعَامَك بربح. ٣٨أَنا الرَّب إِلهُكمُ الذي أَخْرَجَكمْ مِن دِيَارِ مِصْرَ لِيَهَبكمْ أَرْضَ كنعَان، فَيَكون لكمْ إِلها) لاويين٢٥: ٣٥/٣٨.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: (٣٥وَإِذا افْتَقَرَ أَخُوك وَقَصُرَتْ يَدُهُ عِندَك، فَاعْضُدْهُ غَرِيبا أَوْ مُسْتَوْطِنا فَيَعِيشَ مَعَك. ٣٦لاَ تَأْخُذ مِنهُ رِبا وَلاَ مُرَابَحَة، بل اخْشَ إِلهَك، فَيَعِيشَ أَخُوك مَعَك. ٣٧فِضَّتَك لاَ تُعْطِهِ بالرِّبا، وَطَعَامَك لاَ تُعْطِ بالْمُرَابَحَةِ. ٣٨أَنا الرَّب إِلهُكمُ الذي أَخْرَجَكمْ مِن أَرْضِ مِصْرَ

لِيُعْطِيَكمْ أَرْضَ كنعَان، فَيكون لكمْ إِلها) لاويين٣٥:٢٥/٣٨.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾آل عمران: ١٣٠.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ البقرة:٢٧٥. وقال تعالى: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾ البقرة:٢٧٦.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ البقرة: ٢٧٨/٢٨١.

- **أحداث وقعت من بني إسرائيل في أرض سيناء ذكرها القرآن.**

ورد في الكتاب المقدس في عدم صبرهم على طعام واحد قوله: (٤واشْتَهى أَخْلاطُ الأُمَمِ المُقِيمين بيْن بني إِسْرَائِيل، مِمَّن خَرَجُوا مَعَهُمْ مِن مِصْرَ، طَعَامَ مِصرَ، فَعَادَ بنو إِسْرَائِيل يَبكون قَائِلين: مَن يُطْعِمُنا لحْما؟ ٥لقَدْ تَذكرْنا سَمَك مِصْرَ الذي كنا نأْكلهُ مَجَّانا، وَالقِثاءَ وَالبطِّيخَ وَالكرَّاتَ وَالبصَل وَالثومَ، ٦أَمَّا الآن فقَدْ فقَدْنا شَهيَّتنا وَهُزلنا، وَليْسَ أَمَامَ أَعيُننا سِوَى هَذا المَن. ٧وَكان المَن فِي حَجْمِ بذورِ الكزْبرَةِ،

وَشَكلهُ مُمَاثلا للمُقْل. ٨وكان الشَّعْب يَطُوفُون ليَجْمَعُوهُ ثمَّ يَطْحَنونهُ بالرَّحَى أَوْ يَدُقُّونهُ فِي الهَاوَن وَيَطْبخُونهُ فِي القُدُور أَوْ يَخبْزُونهُ عَلى حِجَارَة مُحْمَاة. وكان طَعْمُهُ كطَعْمِ قَطَائِفَ بزَيْت. ٩وكان المَن ينزل بنزُول الندَى عَلى المُخيَّمِ فِي أَثناءِ الليْل) العدد١١: ٤/٩.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ البقرة: ٦١.

وورد في الكتاب المقدس عن أمر موسى عليه السلام لهم بدخول الأرض المقدسة قوله: (ثمَّ قَال الرَّب لمُوسَى: ٢أَرْسِل جَوَاسِيسَ إِلى أَرْضِ كنعَان التِي أَنا وَاهِبهَا لبني إِسْرَائِيل. أَرْسِل رَئِيسا مِن كل سِبط مُمَثلا لهُ. ٣فأَرْسَل مُوسَى مُمَثلي الشَّعْب الرُّؤَسَاءَ مِن صَحْرَاءِ فَارَان طِبقا لأَمْرِ الرَّب) عدد ١٣: ٣/١.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٢٥وبعْدَ أَرْبعِين يَوْما رَجَعُوا مِن استِكشَافِ الأَرْضِ. ٢٦فأَقْبلوا عَلى مُوسَى وَهَرُون وَسَائِرِ شَعْب إِسْرَائِيل فِي صَحْرَاءِ فَارَان فِي قَادِش، وَبلغُوهُمْ بمَا شَاهَدُوهُ، وَأَرَوْهُمْ ثمَرَ الأَرْضِ. ٢٧وقَالوا: قَدِ انطَلقْنا إِلى الأَرْضِ التِي أَرْسَلتَنا إِليْهَا، فَوَجَدْناهَا تَفِيضُ حَقّا لبنا وَعَسَلا، وَهَذهِ هِيَ ثمَارُهَا، ٢٨غيْرَ أَن الشَّعْب المُسْتَوْطِن فِيهَا بالغُ القُوَّةِ وَمُدُنهُ مَنيعَةٌ وَعَظِيمَةٌ جِدّا. كمَا

شَاهَدْنا هُناك بني عَناقَ، ٢٩فَالعَمَالِقَةُ مُقِيمُون فِي أَرْضِ الجَنوب، وَالحِثيُّون وَاليَبوسِيُّون وَالأَمُورِيُّون مُتَمَنِعُون فِي الجَبل، وَالكنعَانيُّون مُسْتَوْطِنون عِندَ البحْرِ وَعَلى مُحَاذاةِ الأُرْدُن ٣٠ولَكن كالب هَدَّأَ رَوْعَ الشَّعْب المَاثل أَمَامَ مُوسَى وقَال: لنمْضِ ونمتَلك الأَرْضَ لأَننا قَادِرُون حَقّا عَلى ذلك. ٣١فعَارَضَهُ الرِّجَال الذين كانوا مَعَهُ وقَالوا: لاَ نقْدِرُ أَن نقَاوِمَ سُكانهَا لأَنهُمْ أَقْوَى مِنا. ٣٢وبذلك أَشَاعُوا الذعْرَ بيْن الإِسْرَائِيليِّين مِن البلاَدِ التِي تَجَسَّسُوهَا قَائِلين: سَتَفْتَرِسُنا الأَرْضُ التِي تَجَسَّسْناهَا، وَجَمِيعُ مَن شَاهَدْناهُمْ مِن سُكانهَا عَمَالِقَةٌ. ٣٣فقَدْ رَأَيْنا هُناك الجَبابرَةَ بني عَناقَ، فَبدَوْنا فِي أَعْيُن أَنفُسِنا كالجَرَادِ، وَكذلك كنا فِي عُيُونهِمْ) عدد ١٣: ٢٥/٣٣.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (فَرَفَعَ الشَّعْب كلهُ صَوْتَهُ وَبكى فِي تِلك الليْلةِ، ٢وَتَذمَّرَ عَلى مُوسَى وَهَرُون، وَقَالوا: ليْتَنا مُتْنا فِي دِيَارِ مِصْرَ، أَوْ ليْتَنا مُتْنا فِي الصَّحْرَاءِ. ٣لمَاذا أَحْضَرَنا الرَّب إِلى هَذهِ الأَرْضِ لنهْلك بحَدِّ السَّيْفِ، وَتُؤْخَذ نسَاؤُنا وَأَطْفَالنا سَبايَا؟ أَليْسَ مِن الأَفْضَل لنا أَن نرْجِعَ إِلى مِصْرَ؟ ٤وقَال بعْضُهُمْ لبعْض: لننتَخِب لنا قَائِدا وَنرْجِعْ إِلى مِصْرَ ٥فخَرَّ مُوسَى وَهَرُون عَلى وَجْهَيْهِمَا أَمَامَ جَمِيعِ شَعْب إِسْرَائِيل، ٦وَمَزَّقَ يَشُوعُ بن نون وَكالب بن يَفُنةَ ثِيَابهُمَا، وَهُمَا مِمَّن تَجَسَّسُوا الأَرْضَ، ٧وَقَالاَ لكل الشَّعْب: إِن الأَرْضَ التِي اجْتَزْنا فِيهَا هِيَ أَرْضُ خَيْرَات عَظِيمَة جِدّا. ٨فإِن رَضِيَ عَنا الرَّب يُدْخِلنا إِليْهَا وَيَهَبهَا لنا، أَرْضا تَفِيضُ لبنا وَعَسَلا. ٩إِنمَا لاَ تَتَمَرَّدُوا عَلى الرَّب وَلاَ تَجْزَعُوا مِن شَعْب الأَرْضِ، لأَننا سَنبتَلعُهُمْ كالخُبزِ، فَقَدْ تَلاَشَى ظِل

الحِمَايَةِ عَنهُمْ، وَالرَّب مَعَنا فَلاَ تَرْهَبوهُمْ) عدد ١٤: ١/٩.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى: (٣٢أَمَّا أَنتُمْ فَإِن جُثَثكمْ تَتَساقَطُ فِي هَذا القَفْرِ، ٣٣وَيَبقَى بنوكمْ فِي الصَّحْرَاءِ أَرْبعِين سَنة، تُعَانون مِن فَجُورِكمْ، حَتَّى تَبلى جُثَثكمْ فِيهَا. ٣٤وتَحْمِلون أَوْزَارَكمْ أَرْبَعِين سَنة. كل يَوْم بسَنة، عَلى عَدَدِ الأَيَّامِ الأَرْبَعِين التِي تَجَسَّسْتُمْ فِيهَا الأَرْضَ، فَتُدْرِكون عَاقِبةَ ابتِعَادِي عَنكمْ. ٣٥أنا الرَّب قَدْ تَكلمْتُ، وَهَذا مَا سَأُعَاقِب بهِ هَذهِ الجَمَاعَةَ الشِّرِّيرَةَ المُتَآمِرَةَ عَليَّ: فِي هَذهِ الصَّحْرَاءِ يَفنوْن وَيَمُوتُون) عدد ١٤: ٣٢/٣٥.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ المائدة: ٢٠/٢٦.

ورد في الكتاب المقدس عن قصة قارون وأنه كان من قوم موسى فبغى عليهم قوله: (وَشَرَعَ قُورَحُ بن يِصْهَارَ بن قَهَاتَ بن لاَوِي، وَدَاثان وَأَبيرامُ ابنا أَليَاب، وَأُون بن فَالتَ مِن سِبطِ رَأُوبيْن، ٢يَتَآمَرُون عَلى

مُوسَى، مَعَ مِئَتَيْن وَخَمْسِين مِن رُؤَسَاءِ جَمَاعَةِ بني إِسْرَائِيل، ذوي المَكانةِ مِمَّن تَمَّ تَعْيِينهُمْ فِي المَجْلس. ٣هَؤُلاءِ تَأَلبوا عَلى مُوسَى وَهَرُون وَقَالوا: حَسْبكمَا! إن كل الجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ، وَفِي وَسَطِهَا الرَّب. فَمَا بالكمَا تَتَرَفَّعَان عَلى جَمَاعَةِ الرَّب؟ ٤فَلمَّا سَمِعَ مُوسَى هَذا، أَكب عَلى وَجْههِ، ٥ثمَّ قَال لقُورَحَ وَسَائِرِ جَمَاعَتِهِ: غَدا يُعْلن الرَّب مَن هُوَ لهُ، وَمَن هُوَ المُقَدَّسُ فيُقَرِّبهُ مِنهُ) عدد ١٦: ١/ ٥.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى: (٢٥فَذهَب مُوسَى إلى دَاثان وَأَبيرَامَ، وَتَبعَهُ شُيُوخُ إِسْرَائِيل، ٢٦وَقَال للجَمَاعَةِ كلهَا: ابتَعِدُوا عَن خِيَامِ هَؤُلاءِ القَوْمِ الأَشْرَارِ، وَلاَ تَلمَسُوا شَيْئا مِمَّا لهُمْ لئَلاَّ تَهْلكوا مِن جَرَّاءِ خَطَايَاهُمْ. ٢٧فَابتَعَدُوا مِن حَوَاليْ خِيَامِ قُورَحَ وَدَاثان وَأَبيرَامَ، وَخَرَجَ دَاثان وَأَبيرَامُ، وَوَقَفَا أَمَامَ خَيْمَتَيْهِمَا مَعَ زَوْجَاتِهِمَا وَأَوْلاَدِهِمَا صِغَارا وَكبارا. ٢٨فَقَال مُوسَى: بهَذا تَعْرِفُون أَن الرَّب قَدْ أَرْسَلني لأُجْرِيَ كل هَذهِ الأَعْمَال، وَأَنهَا ليْسَتْ صَادِرَة عَن نفْسِي: ٢٩إن مَاتَ هَؤُلاءِ مَوْتا طَبيعِيّا، أَوِ ابتُلوا بمَا يُبتَلى بهِ الناسُ عَادَة، فَلاَ يَكون الرَّب قَدْ أَرْسَلني. ٣٠وَلكن إن أَجْرَى الرَّب بدْعَة، وَانشَقَّتِ الأَرْضُ وَابتَلعَتْهُمْ مَعَ كل مَالهُمْ، وَدُفِنوا فِي باطِنِ الأَرْضِ أَحْيَاء، عِندَئِذ تُدْركون أَن هَؤُلاءِ القَوْمَ قَدِ ازْدَرَوْا بالرَّب ٣١وَحَالمَا انتَهَى مِن كلاَمِهِ انشَقَّتِ الأَرْضُ تَحْتَهُمْ، ٣٢وَفَتَحَتْ فَاهَا وَابتَلعَتْهُمْ مَعَ بيُوتِهِمْ، كمَا ابتَلعَتْ رِجَال قُورَحَ مَعَ كل مَا يَمْلكون. ٣٣فَاخْتَفَوْا هُمْ وَكل مَا يَمْلكون أَحْيَاء فِي باطِنِ الأَرْضِ التِي انطَبَقَتْ عَليْهِمْ، فَبادُوا مِن بيْن الجَمَاعَةِ. ٣٤وَهَرَب الإِسْرَائِيليُّون الذين حَوْلهُمْ مِن صَوْتِ صَرَخَاتِهِمْ

قَائِلين: لئَلاَّ تبتَلعنا الأَرْضُ. ٣٥وانَدلَعتْ نارٌ مِن عِندِ الرَّب فَالتَهَمَتِ المِئَتيْن وَالخَمْسِين رَجُلا الذين قرَّبوا البخُور) عدد ١٦: ٢٥/٣٥.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ القصص: ٧٦/٨٣.

- **التحذير من الشرك والحلف بغير الله وإمهال الله للظالمين ليوم القيامة.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١٣فَالرَّب إلهكمْ تَتَّقُون، وَإيَّاهُ تَعْبدُون، وَباسْمِهِ تَحلْفُون. ١٤لاَ تَسِيرُوا خَلفَ آلهَة أُخْرَى مِن آلهَةِ الأُمَمِ المُحِيطَةِ بكمْ، ١٥لأن الرَّب إلهكمْ إلهٌ غيُورٌ حَال فِي وَسَطِكمْ، فَيَحْتَدِمُ غَضَبَهُ عَلَيْكمْ وَيُبيدُكمْ عَن وَجْهِ الأَرْضِ) التثنية١٣:٦/١٥.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في

بعض مواضعه كما يلي: (١٣الرَّب إلهَك تتَّقِي، وإيَّاهُ تعْبدُ، وباسْمِهِ تَحلفُ. ١٤لاَ تَسِيرُوا ورَاءَ آلهة أُخرَى مِن آلهَةِ الأُمَمِ التِي حَوْلكمْ، ١٥لأن الرَّب إلهكمْ إلهٌ غَيُورٌ فِي وَسَطِكمْ، لئَلاَّ يَحمَى غَضَب الرَّب إلهِكمْ عَليْكمْ فيُبيدَكمْ عَن وَجْهِ الأَرْضِ) التثنية٦: ١٣/ ١٥.

وفي نسخة ثالثة للكتاب المقدس تغير فيها النص عن النصين السابقين في بعض مواضعه كما يلي: (١٣بل اتَّقُوا الرَّب إلهكم واعبدوهُ وباسمِهِ وحدَهُ تحلفون. ١٤لا تتْبعوا آلهة أخرى مِن آلهةِ الأُمَمِ الذين حواليكم. ١٥الرَّب إلهُكم إلهٌ غيورٌ حاضرٌ فيما بينكم، فإذا اشتَدَ غضبَهُ عليكم يُبيدُكم عَن وجهِ الأرضِ) التثنية٦: ١٣/ ١٥.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ النساء: ١١٦.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر:٦٥. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ المؤمنون:٥٢. وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ الأنبياء:٩٢. وقال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٥٦.

وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾ الزمر: ١/ ٣.

وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة:٥. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ آل عمران:٦٤. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ البينة:٥.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ النساء:٤٨. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ۝٣٦﴾ الرعد:٣٦. وقال تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝٣٨﴾ الكهف:٣٨. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۝٢٠﴾ الجن:٢٠.

وورد في السنة النبوية أن رسول الله ﷺ قال: (يَا أُمَّةَ مُحَمَّد، وَاللهِ مَا مِن أَحَد أَغْيَرُ مِن اللهِ أَن يَزْنيَ عَبدُهُ أَوْ تَزْنيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّد، وَاللهِ لوْ تَعْلمُون مَا أَعْلمُ لضَحِكتُمْ قَليلا وَلبكيْتُمْ كثيرا) [(١)]. وقال رسول الله ﷺ: (من كان حَالفا فَليَحْلفْ باللهِ أو ليَصْمُتْ) [(٢)].

وقال ﷺ: (ألا من كان حَالفا فلا يَحلفْ إلا باللهِ.. لا تَحْلفُوا

---

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب الغيرة ٢٠٠٢/٥ (٤٩٢٣)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف ٦١٨/٢ (٩٠١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف ٩٥١/٢ (٢٥٣٣).

بآبائِكمْ) [١]. وقال رسول الله ﷺ: (من حَلفَ بغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَك) [٢].

ورد في الكتاب المقدس عن التحذير من الإلحاد في أسماء الله قوله: (١١لاَ تَنطِقْ باسْمِ الرَّب إلهك باطِلا، لأن الرَّب لاَ يُبرِيءُ مَن يَنطِقُ باسْمِهِ باطِلا) التثنية٥: ١١.

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ الأعراف:١٨٠.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٣٥لِيَ النقْمَةُ وأَنا أُجَازِي. وَفِي الوَقْتِ المُعَيَّن تَزل أَقْدَامُهُمْ فَيَوْمُ هَلاَكهِمْ باتَ وَشِيكا، وَمَصِيرُهُمُ المَحْتُومُ يُسْرِعُ إليْهمْ، ٣٦لأن الرَّب يَدِين شَعْبهُ وَيَرْأَفُ بعَبيدِهِ. عِندَمَا يَرَى أَن قُوَّتَهُمْ قَدِ اضْمَحَلتْ وَلَمْ يَبقَ عَبدٌ وَلاَ حُرٌّ، ٣٧عِندَئِذ يَسْأَل الرَّب: أَيْن آلِهَتُهُمْ؟ أَيْن الصَّخْرَةُ التِي التَجَأُوا إليْهَا؟ ٣٨التِي كانتْ تَلتَهِمُ شَحْمَ ذبائِحِهِمْ وتَشْرَب خَمْرَ سَكائِبِهِمْ؟ لِتَهُب لمُسَاعَدَتِهِمْ وتَبسُط عَليْهِمْ حِمَايَتَهَا. ٣٩انظُرُوا الآن: إنِي أَنا هُوَ وَليْسَ إلهٌ آخرُ مَعِي. أَنا أُمِيتُ وَأُحْيِي، أَسْحَقُ وأَشْفِي، وَلاَ مُنقِذ مِن يَدِي. ٤٠أَبسُطُ يَدِي نحْوَ السَّمَاءِ قَائِلا: حَيٌّ أَنا إلى الأَبدِ. ٤١إذا سَننتُ سَيْفِي البارقَ وَأَمْسَكتْ بهِ يَدِي للقَضَاءِ، فَإِنِي أَنتَقِمُ مِن أَعْدَائِي، وَأُجَازِي مُبغِضِيَّ) التثنية٣٢: ٣٥/٤١.

---

(١) البخاري في فضائل الصحابة، باب أيام الجاهلية ٣/١٣٩٤ (٣٦٢٤)، ومسلم في الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى ٣/١٢٦٧ (١٦٤٦).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب فى كراهية الحلف بالآباء ٣/٢٢٣ (٣٢٥١)، وصححه الألباني، انظر إرواء الغليل (٢٥٦١).

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس: (٣٥لِيَ النقْمَةُ والجَزَاءُ. فِي وَقْت تَزِل أَقْدَامُهُمْ. إن يَوْمَ هَلاَكِهِمْ قَرِيب وَالْمُهَيَّآتُ لَهُمْ مُسْرِعَةٌ. ٣٦لأَن الرَّب يَدِين شَعْبَهُ، وَعَلى عَبِيدِهِ يُشْفِقُ. حِين يَرَى أَن اليَدَ قَدْ مَضَتْ، وَلَمْ يَبقَ مَحْجُوزٌ وَلاَ مُطْلَقٌ، ٣٧يَقُول: أَيْن آلِهَتُهُمُ، الصَّخْرَةُ التِي التَجَأُوا إِلَيْهَا، ٣٨التِي كانتْ تَأْكل شَحْمَ ذبائِحِهِمْ وَتَشْرَب خَمْرَ سَكائِبِهِمْ؟ لِتَقُمْ وَتُسَاعِدْكمْ وَتَكن عَلَيْكمْ حِمَايَة! ٣٩اُنظرُوا الآن! أَنا أَنا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ، وَإِني أَشْفِي، وَلَيْسَ مِن يَدِي مُخَلصٌ. ٤٠إِني أَرْفَعُ إِلى السَّمَاءِ يَدِي وَأَقُول: حَيٌّ أَنا إِلى الأَبدِ. ٤١إِذا سَنَنتُ سَيْفِي البارِقَ، وَأَمْسَكتْ بالقَضَاءِ يَدِي، أَرُدُّ نقْمَة عَلى أَضْدَادِي، وَأُجَازِي مُبغِضِيَّ) التثنية٣٢: ٣٥/٤١.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ غافر: ٦٦/٧٦.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٥٢/٤٢.

- **قصة داود عليه السلام في نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب للحكم بينهم.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (وَأَرْسَل الرَّب ناثان إلى دَاوُدَ. وَعِندَمَا وَفَدَ عَلَيْهِ قَال لهُ: عَاشَ رَجُلاَن فِي مَدِينة وَاحِدَة، أَحَدُهُمَا ثريٌّ وَالآخَرُ فَقِيرٌ. ٢وَكَان الغَنيُّ يَمْتَلك قُطْعَان بقَر وغَنم كثيرَة. ٣وَأَمَّا الفقِيرُ فَلمْ يَكن لهُ سِوَى نعْجَة وَاحِدَة صَغِيرَة، اشْتَرَاهَا وَرَعَاهَا فَكبرَتْ مَعَهُ وَمَعَ أَبنائِهِ، تَأْكل مِمَّا يَأْكل وَتَشْرَب مِن كأْسِهِ وَتَنامُ فِي حِضْنِهِ كأَنهَا ابنتُهُ. ٤ثمَّ نزَل ضَيْفٌ عَلى الرَّجُل الغَنيِّ، فَامْتَنعَ أَن يَذبحَ مِن غَنمِهِ وَمِن بقَرِهِ لِيُعِدَّ طَعَاما لضَيْفِهِ، بل سَطَا عَلى نعْجَةِ الفَقِيرِ وَهَيَّأَهَا لهُ. ٥عِندَئِذ احْتَدَمَ غَضَب دَاوُدَ عَلى الرَّجُل الغَنيِّ وَقَال لناثان: حَيٌّ هُوَ الرَّب، إن الجَاني

يَسْتَوْجِب المَوْتَ، ٦وَعَلَيْهِ أَن يَرُدَّ للرَّجُل الفَقِيرِ أَرْبعَةَ أَضْعَاف لأنهُ ارْتَكب هَذا الذنب وَلَمْ يُشْفِقْ) صموئيل الثاني١٢ :٦/١.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى: (١٣فَقَال دَاوُدُ لناثان: قَدْ أَخْطَأْتُ إلى الرَّب.. ٢٠عِندَئِذ نهَضَ دَاوُدُ عَن الأَرْضِ وَاغْتَسَل وَتَطيَّب وَبدَّل ثيَابهُ وَدَخَل إلى بيْتِ الرَّب وَصَلى سَاجِدا..٢٤ثمَّ تَوَجَّهَ دَاوُدُ إلى بتشبعَ وَوَاسَاهَا وَضَاجعَهَا، فَوَلدَتْ لهُ ابنا دَعَاهُ سُليْمَان. وَأَحَب الرَّب الوَلدَ) صموئيل الثاني١٢: ٢٤/١٣.

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ص: ٢٦/٢١.

ورد في الكتاب المقدس عن وراثة سليمان لداود وتعليمه منطق الطير قوله: (٥وفي جبعون تجلى الرَّب لسُليمان في الحُلم ليلا وقال له: أُطْلب ما تُريدُ. ٦فقال سُليمان: أنتَ أظهَرتَ إلى عبدِك داوُدَ أبي رَحمة عظيمة لأنهُ سَلك أمامَك بأمانة وحَقّ واَستِقامَةِ قلب، وثابرتَ على تِلك الرَّحمةِ العظيمةِ فرزَقتَهُ اَبنا يَجلسُ على عرشِهِ كما هوَ اليومَ. ٧والآن أيُّها

الرَّب إلهي، أنتَ مَلكتَني مكان داوُدَ أبي وأنا صغيرٌ لا خبرَةَ لي في الحُكمِ. ٨وها أنا وسَطَ شعبك الذي اختَرتَهُ وهوَ شعب عظيمٌ لا يُحصى ولا يُعَدُّ لكثرَتِه. ٩فامنحْني عقلا مُدرِكا لأحكمَ شعبك وأُمَيِّزَ الخيرَ مِن الشَّرِّ، وإلاَ فكيفَ أقدِرُ أن أحكمَ شعبك هذا الكثيرَ. ١٠فحَسُن في عيني الرَّب طَلب سُليمان، ١١فقال له: لأنك طَلبتَ هذا ولم تطلب لك طُول العُمرِ والغِنى، ولا موتَ أعدائِك، بل القُدرَةَ على تمييزِ ما هوَ حَقّ، ١٢فأنا أُلبي طلبك، فأُعطيك عقلا حكيما راجحا لم يكن مِثلهُ لأحد قَبلك ولا يكون مِثلهُ لأحد بعدَك. ١٣وأُعطيك أيضا ما لم تَطلبهُ: الغِنى والمَجدَ، فلا يكون لك مَثيل في المُلوك كل أيّامِك. ١٤وأُطِيل عُمرَك إذا سَلكتَ في طريقي، حافِظا فرائِضي ووصاياي كما سَلك داوُدُ أبوك) الملوك الأول ٣: ٥/ ١٤.

وورد عندهم قوله: (٢٣وَخَلفَ سُليْمَان دَاوُدَ أَباهُ عَلى العَرْشِ الذي أَسَّسَهُ الرَّب وَأَفْلحَ وَأَطَاعَهُ كل بني إِسْرَائِيل. ٢٤كمَا أَبدَى الرُّؤَسَاءُ وَالأَبطَال وَسَائِرُ أَبناءِ المَلك دَاوُدَ خُضُوعا تَامّا لسُليْمَان المَلك. ٢٥وَعَظَّمَ الرَّب مِن شَأْن سُليْمَان فِي أَعيُن الإِسْرَائِيليِّين جَمِيعا، وأَضْفَى عَليْهِ مَهَابة مَلكيَّة لمْ يَحْظَ بهَا مَلك قَبلهُ فِي إِسْرَائِيل) أخبار الأيام الأول ٢٩: ٢٣/٢٥.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ النمل: ١٥/١٧.

وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ

بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ص: ٣٠ / ٤٠.

- **قصة ملكة سبأ في اليمن وإرسالها هدية لسليمان ليبقيها على ملكها.**

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (وَعِندَمَا سَمِعَتْ مَلكةُ سَبأَ بشُهْرَةِ سُليْمَان قَدِمَتْ إلى أُورُشَليمَ بمَوْكب حَافِل، وَجِمَال مُحَمَّلة أَطْيَابا وَذهبا وَفيرا، وَحِجَارَة كريمَة، لتَطْرَحَ عَليْهِ أَسئِلة عَسِيرَة، وأَسَرَّتْ إليْهِ بكل مَا فِي نفْسِهَا. ٢فأَجَابهَا سُليْمَان عَن كل أَسْئِلتِهَا، ولَمْ يَخْفَ عَنهُ شَيْءٌ عَجزَ عَن شَرْحِهِ لهَا. ٣ولَمَّا رأَتْ مَلكةُ سَبأَ حِكمَةَ سُليْمَان وَشَاهَدَتِ القَصْرَ الذي شَيَّدَهُ ٤ومَا يُقَدَّمُ عَلى مَائِدَتِهِ مِن طَعَام، وَمَجْلسَ رِجَال دَوْلتِهِ، وَمَوْقِفَ خُدَّامِهِ وَمَلاَبسَهُمْ، وَسُقَاتَهُ وَثيَابهُمْ، وَمُحْرَقَاتِهِ التِي كان يُقَرِّبهَا فِي بيْتِ الرَّب، اعْترَاهَا الذهُول العَمِيقُ، ٥فقَالتْ للمَلك: إن الأَخْبارَ التِي بلغَتْني فِي أَرْضِي عَن أُمُورك وَحِكمَتِك هِيَ حَقًّا صَحِيحَةٌ. ٦ولَكني لمْ أُصَدِّقْهَا حَتَّى جِئْتُ وَشَاهَدْتُ، فَوَجَدْتُ مَا سَمِعْتُهُ لاَ يُجَاوِزُ نصْفَ مَا تَتَمَتَّعُ بهِ مِن حِكمَة، فَإِن حِكمَتَك تَتَفوَّقُ عَلى مَا سَمِعْتُهُ مِن أَخْبارِك. ٧فطُوبى لرِجَالك، وَطُوبى لخُدَّامِك المَاثلين دَائِما فِي حَضْرَتِك السَّامِعِين حِكمَتَك. ٨ولَيَتَبارَك الرَّب إلهُك الذي سُرَّ بك وأَقَامَك مَلكا لهُ. لأَنهُ بفَضْل مَحَبةِ إلهِك لبني إِسْرَائِيل جَعَلك مَلكا عَليْهِمْ ليَحْفَظَهُمْ إلى

الأَبدِ فَتَقْضِيَ بينَهُمْ بالعَدْل وَالبرِّ. ٩وأَهْدَتْهُ مِئَة وَعِشْرين وَزْنة مِن الذهَب نحْوَ أَرْبعَةِ آلاف وثلاَث مِئَة وَعِشْرين كيلوجْرَاما وأَطْيَابا كثيرَة وَحِجَارَة كرِيمَة، ولَمْ يُوْجَدْ مَا يُمَاثل الطِّيب الذي أَهْدَتْهُ مَلكَة سَبأَ للمَلك سُلَيْمَان. ١٠وكان رِجَال المَلك حُورَامَ ورِجَال سُلَيْمَان قَدْ أَحْضَرُوا ذهَبا مِن أُوفِيرَ، وَجلبوا مَعَهُمْ أَيْضا خَشَب الصَّنْدَل وَحِجَارَة كرِيمَة. ١١فَاسْتَخْدَمَ المَلك خَشَب الصَّنْدَل فِي صُنعِ سَلاَلِمَ لبيْتِ الرَّب وقَصْرِ المَلك، كمَا صَنعَ مِنهُ أَعْوَادا وقِيثارَات، ولَمْ يَكن لهَا نظِيرٌ مِن قَبل فِي أَرْضِ يَهُوذا١٢ وأَعْطَى المَلك سُلَيْمَان مَلكَةَ سَبأَ كل مَا رَغِبتْ فِيهِ، فَضْلا عَمَّا أَهْدَاهُ إليْهَا مُقَابل الهَدَايَا التِي حَمَلتْهَا إِليْهِ، ثمَّ انصرَفَتْ هِيَ وَعَبيدُهَا إِلى أَرْضِهَا) أخبار الأيام الثاني٩: ١/١٢.

وقال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم

بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النمل:٢٣/٤٤.

- **النهي عن صناعة التماثيل واتخاذها أصناما ولعن الله المصورين.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١٥فانتبهوا جدًا لأن الرّب حين خاطبكم في حوريب مِن وسَطِ النارِ لم تَرَوا له صورة ١٦لِئلاَ تفسُدوا وتعملَوا لكم تِمثالا مَنحوتا على شكلِ صورة ما مِن ذكر أو أُنثى، ١٧أو شكلِ شيء مِن البهائمِ التي على الأرضِ أو شكلِ طائر مُجنح مِمَّا يطيرُ في السَّماءِ، ١٨أو شكلِ شيء مما يَدِب على وجهِ الأرضِ، أو شيء مِن السَّمك، مِمَّا في الماءِ تَحتَ الأرضِ، ١٩ولِئلاَ ترفعوا عيونكم إلى السَّماءِ فتنظروا الشَّمسَ والقمرَ والكواكبَ وسائرَ نجومِ السَّماءِ، مِمَّا جعَلَهُ الرّب إلهُكم نصيبا لجميعِ الشُّعوب التي تَحتَ السَّماءِ، فتندَفِعوا وتسجدوا لها وتعبدوها، ٢٠وأنتُمُ الذين اَختاركمُ الرّب وأخرجكم مِن أتون الحديدِ، مِن مِصْرَ، لتكونوا شعبةُ الخاصَ بهِ كما في هذا اليومِ.

٢١والرّب غضِب عليَ بسببكم وأقسمَ أن لا أعبرَ الأردن ولا أدخلَ الأرضَ الطَّيبةَ التي يُعطيها الرّب إلهُكم مُلْكا لكم. ٢٢فأنا أموتُ في هذهِ الأرضِ، لا أعبرُ الأردُن، وأنتُم تعبرُونهُ وتمتلِكون الأرضَ الطيَّبةَ. ٢٣فانتبهوا لِئلاَ تَنسَوا عَهدَ الرّب إلهِكم الذي قطَعَهُ معَكم، فتصنعوا لكم تِمثالا مَنحوتا على شكل صورة مِمَّا نهاكم عَنهُ، ٢٤لأن إلهكم إلهٌ غيورٌ، نارٌ آكلةٌ. ٢٥وإذا ولَدتُم بنين وبني بنين وطالت أيّامُكم في الأرضِ، ففسَدتُم وعَمِلْتُم تِمثالا مَنحوتا على شكلِ صورة ما، وفعَلتُم ما هوَ سيِّءٌ في نظرِ الرّب إلهِكم وكدَّرتُموهُ ٢٦فأنا مِن اليومِ أُشهدُ علَيكمُ السَّماءَ والأرضَ بأنكم تَبيدون سريعا مِن على الأرضِ التي أنتُم عابرون الأردن إليها لِتمتَلِكوها. لا تطولُ أيّامُكم علَيها بل تزولون لا مَحالةَ ٢٧ويُشتِّتُكمُ الرّب فيما بين الأمَمِ حتى تَبقوا جماعة مَعدودة في الأمَمِ الذين يسوقُكمُ الرّب إليهِم، ٢٨وتعبدون هُناك آلهة صَنعَتها أيدي البشَرِ مِن خشَب وحجر، مِمَّا لا يَرى ولا يسمَعُ ولا يأكلُ ولا يشُمُّ. ٢٩وتطلبون هُناك الرّب إلهكم فتجدونهُ إذا التمَستُموهُ بكلِّ قلوبكم وكلِّ نفوسِكم. ٣٠وإذا نزَلَ بكم ضيقٌ وأصابتْكم هذهِ الأمورُ كلُّها في آخرِ الأيّامِ ترجعون إلى الرّب إلهِكم وتسمَعون لِصوتِهِ ٣١لأن الرّب إلهَكم رحومٌ لا يخذلُكم ولا يُهلِككم ولا ينسى عَهدَهُ لآبائِكمُ الذي أقسمَ بهِ لهُم) التثنية ٤: ١٥/٣١.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (١٤فيُنادي اللاَويُّون ويقولون لِكلِّ رَجل في بني إسرائيلَ بصوت عال: ١٥ملعون مَن يصنعُ تِمثالا منقوشا أو مسبوكا ويضَعُهُ في الخفاءِ، فهوَ رِجسٌ عِندَ اللهِ لأن يَدَ بشَر صنعَتهُ فيُجيب جميعُ الشَّعب ويقولون: آمين) التثنية ٢٧: ١٤/١٥.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: (١٤فَيَقُولُ اللاَّوِيُّون بصَوْت عَال لِجَمِيعِ شَعْب إِسْرَائِيلَ:١٥مَلْعُون الإِنسَان الذي يَصْنعُ تِمْثالا مَنحُوتا أَوْ مَسْبوكا مِمَّا تَصْنَعُهُ يَدَا نحَّات، وَتَنصِبهُ لِلْعِبادَةِ فِي الْخَفَاءِ، لأن ذلِك رِجْسٌ لَدَى الرب. ويُجِيب جَمِيعُ الشَّعْب قَائِلِين: آمِين) التثنية ٢٧: ١٤/١٥.

وفي نسخة ثالثة للكتاب المقدس تغير فيها النص عن النصين السابقين في بعض مواضعه كما يلي: ([١٤]فَيُصَرِّحُ اللاَّوِيُّون وَيَقُولُون لِجَمِيعِ قَوْمِ إِسْرَائِيلَ بصَوْت عَال: [١٥]مَلْعُون الإِنسَان الذي يَصْنعُ تِمْثالا مَنحُوتا أَوْ مَسْبوكا، رِجْسا لَدَى الرَّب عَمَلَ يَدَيْ نحَّات، وَيَضَعُهُ فِي الْخَفَاءِ. وَيُجِيب جَمِيعُ الشَّعْب وَيَقُولُون: آمِين) التثنية ٢٧: ١٤/١٥.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ الأنعام:٧٤. وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ الشعراء: ٨٢/٦٩.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ

عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٥/٣٦. وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ مريم: ٤١/٤٥.

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الحج: ٣٠/٣٢.

وعن أبي جُحَيْفة رضي الله عنه قال: (إن رَسُولَ اللهِ ﷺ نهى عن ثَمَن الدَّمِ، وَثمَن الْكلْب، وَكسْب الأمَةِ، وَلَعَن الْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَآكلَ الرِّبا وَمُوكلَهُ، وَلَعَن الْمُصَوِّرَ) (١).

وصح أن النبي ﷺ قال: (لا تَدْخُلُ الْمَلائِكةُ بيْتا فيه كلْب ولا تَصَاوِير) (٢). إن أَشَدَّ الناس عَذابا عِندَ اللهِ يوم الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُون (٣). إن الذين يَصْنَعُون هذه الصُّوَرَ يُعَذبون يوم الْقِيَامَةِ يُقَالُ لهم: أَحْيُوا ما خَلَقْتُمْ) (٤). ومن حديث أبي زُرْعَة قال: (دَخَلْتُ مع أبي هُرَيْرَةَ دَارا

---

(١) البخاري في البيوع، باب ثمن الكلب ٢/٧٨٠ (٢١٢٣).
(٢) البخاري في اللباس، باب المستوشمة ٥/٢٢٢٠ (٥٦٠٥).
(٣) الموضع السابق، باب عذاب المصورين يوم القيامة ٥/٢٢٢٠ (٥٦٠٦).
(٤) الموضع السابق ٥/٢٢٢٠ (٥٦٠٧).

بالْمَدِينةِ فَرَأَى أَعْلاهَا مُصَوِّرا يُصَوِّرُ، قال: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: قال الله: وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذهَب يَخْلُقُ كخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبة، وَلْيَخْلُقُوا ذرَّة) [١].

وقال رسول اللهِ ﷺ: (من صَوَّرَ صُورَة عَذبهُ الله حتى يَنفُخَ فيها، يَعْني الرُّوحَ وَلَيْسَ بنافِخ فيها) [٢]. وعن أبي الْهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ قال: (قال لي عَلِيٌّ بن أبي طَالِب: ألا أَبعَثك على ما بعَثني عليه رسول اللهِ ﷺ أَن لا تَدَعَ تِمْثالا إلا طَمَسْتَهُ، ولا قَبرا مُشْرِفا إلا سَوَّيْتَهُ) [٣].

- **حد رجم الزانية في التوراة الذي أخفاه اليهودي عن رسول الله ﷺ.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١٣إذا تزَوَّج رجلٌ اَمرأة وضاجعَها ثمَ أبغَضَها ١٤فنسَب إليها عِلة وأذاعَ عَنها سُمْعَة سَيِّئَة، فقالَ: أخذتُ هذهِ المَرأةَ، فلمَّا اَقتَربَتُ مِنها لم أجدْها بكرا. ١٥فعلى أبيها وأُمِّها أن يأخذا علامةَ بكارَتِها إلى شُيوخ المدينةِ في اَجتِماعِهِم عِندَ باب المدينةِ ١٦ويقولُ أبوها لِلشُّيوخ: أعطَيتُ اَبنتي لِهذا الرَّجلِ زَوجة فأبغَضَها ١٧وهوَ الآن يَنسِب إليها عِلة فيقولُ إنهُ لم يَجدِ اَبنتي بكرا ولكن هذهِ هيَ علامةُ بكارَةِ اَبنتي. ويَبسِطُ الوالِدان ثوب نومِها أمامَ شُيوخ المدينةِ. ١٨فيأخذ الشُّيوخ ذلِك الرَّجلَ ويُؤدِّبونه ١٩ويُغَرِّمونه مئَة مِن الفِضَّةِ ويُعطونها لأبي الفتاةِ تعويضا عَن السُمْعَةِ السَّيِّئةِ التي أذاعَها الرَّجلُ على

(١) الموضع السابق، باب نقض الصور ٥/٢٢٢٠ (٥٦٠٩).

(٢) الترمذي في اللباس، باب ما جاء في المصورين ٤/٢٣١ (١٧٥١)، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع (٦٣٧٠).

(٣) مسلم في الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر ٢/٦٦٦ (٩٦٩).

بكر مِن بني إِسرائيلَ، وتكون الإبنةُ لَه زوجة ولا يَقدِرُ أن يُطَلِّقَها كلَ أيّامِ حياتِهِ. ٢٠أمَّا إذا كان الأمرُ صحيحا ولم تكن الفتاةُ بكرا، ٢١يُخرِجُ شيُوخ المدينةِ الفتاةَ إلى باب بيتِ أبيها. وهُناك يَرجمُها جميعُ أهلِ مدينتِها بالحجارةِ حتى تموتَ، لأنها ارْتكبت حَماقَة في بني إِسرائيلَ بفُجورها في بيتِ أبيها. هكذا تُزيلون الشَّرَ مِن بينكم.٢٢وإن وُجدَ رَجلٌ يُضاجعُ امرأَة لها زوج، فكلا الرَّجلِ المُضاجعِ والمَرأةِ يُقتَلان. هكذا تُزيلون الشَّرَ مِن بني إِسرائيلَ.٢٣وإذا كانت فتاةٌ بكرٌ مخطوبة لِرجل، فصادَفَها رَجلٌ في المدينةِ فضاجعَها، ٢٤فأخرجوهُما إلى باب تِلك المدينةِ وارْجموهُما بالحجارةِ حتى يموتا، لأن الفتاةَ لم تصرُخ صُراخ النجدةِ وهيَ في المدينةِ، ولأن الرَجلَ ضاجعَ فتاة مخطوبة لِرَجل مِن بني إِسرائيلَ. هكذا تُزيلون الشَّرَ مِن بينكم) التثنية ٢٢ :١٣/٢٤.

وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ آل عمران:٩٣/٩٥. وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ النور:٢.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ النساء:١٥.

وورد في السنة النبوية عن ابن عمر ﷺ: (أَن الْيَهُودَ جاؤوا إلى رسول اللهِ ﷺ فَذكرُوا له أَن رَجُلا منهم وامْرَأَة زَنيَا، فقال لهم رسول اللهِ ﷺ:

ما تَجِدُون في التَّوْرَاةِ في شَأْن الرَّجْمِ؟ فَقَالُوا: نفْضَحُهُمْ ويُجْلَدُون، فقال عبد اللهِ بن سَلام: كذبتُمْ إن فيها الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بالتَّوْرَاةِ، فَنشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ على آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ ما قَبلَهَا وما بعْدَهَا، فقال له عبد اللهِ بن سَلام: ارْفَعْ يَدَك، فَرَفَعَ يَدَهُ، فإذا فيها آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا :صَدَقَ يا محمد فيها آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بهمَا رسول اللهِ ﷺ فَرُجِمَا، قال عبد اللهِ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنأُ على الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ) (١).

وعن عُبادَة بن الصَّامِتِ أن رسول اللهِ ﷺ قال: (خُذوا عَني خُذوا عَني، قد جَعَلَ الله لَهُن سَبيلا، الْبكرُ بالْبكرِ جَلْدُ مِائَة وَنفْيُ سَنة، وَالثيِّب بالثيِّب جَلْدُ مِائَة وَالرَّجْمُ) (٢).

- **يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١يُوجَدُ شَرٌّ قَدْ رَأَيْتُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ وَهُوَ كثيرٌ بيْن الناس: ٢رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ غِنى وَمَالا وَكرَامَة، وَلَيْسَ لِنفْسِهِ عَوَزٌ مِن كلِّ مَا يَشْتَهِيهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ اللهُ اسْتِطَاعَة عَلَى أَن يَأْكلَ مِنهُ، بلْ يَأْكلُهُ إنسَان غَرِيب. هذا باطِلٌ وَمُصِيبةٌ رَدِيئَةٌ هُوَ.٣إن وَلَدَ إنسَان مِئَة، وَعَاشَ سِنين كثيرَة حَتَّى تَصِيرَ أَيَّامُ سِنيهِ كثيرَة، وَلَمْ تَشْبَعْ نفْسُهُ مِن الْخَيْرِ، وَلَيْسَ لَهُ أَيْضا دَفْن، فَأَقُولُ إن السِّقْطَ خَيْرٌ مِنهُ. ٤لأَنهُ فِي الْباطِلِ يَجِيءُ، وَفِي الظَّلاَمِ يَذهَب، وَاسْمُهُ يُغَطَّى بالظَّلاَمِ. ٥وَأَيْضا لَمْ يَرَ الشَّمْسَ وَلَمْ يَعْلَمْ. فَهذا لَهُ رَاحَةٌ أَكثرُ مِن ذاك. ٦وَإن عَاشَ أَلْفَ

---

(١) البخاري في المناقب، باب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ٣/١٣٣٠ (٣٤٣٦)، ومسلم في الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا ٣/١٣٢٦ (١٦٩٩).
(٢) رواه مسلم في كتاب الحدود، باب حد الزنا ٣/١٣١٦(١٦٩٠).

سَنة مُضَاعفَة ولَمْ يرَ خيْرا، أَلَيْسَ إِلَى مَوْضِع وَاحِد يَذهَب الْجَمِيعُ؟ ٧كلُّ تَعَب الإِنسَان لِفَمِهِ، ومَعَ ذلِك فَالنفْسُ لاَ تَمْتَلِئُ. ٨لأَنهُ مَاذا يَبقَى لِلْحَكيمِ أَكثرَ مِن الْجَاهِلِ؟ مَاذا لِلْفَقيرِ الْعَارفِ السُّلُوك أَمَامَ الأَحْيَاءِ؟ ٩رُؤْيَةُ الْعُيُون خَيْرٌ مِن شَهْوَةِ النفْسِ. هذا أَيْضا باطِلٌ وقَبضُ الرِّيحِ. ١٠الذي كان فَقَدْ دُعِيَ باسْمٍ مُنذ زَمَان، وَهُوَ مَعْرُوفٌ أَنهُ إنسَان، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُخاصِمَ مَن هُوَ أَقْوَى مِنهُ. ١١لأَنهُ تُوجَدُ أُمُورٌ كثيرَةٌ تَزِيدُ الْباطِلَ. فَأَيُّ فَضْل لِلإِنسَان؟ ١٢لأَنهُ مَن يَعْرِفُ مَا هُوَ خَيْرٌ لِلإِنسَان فِي الْحَيَاةِ، مُدَّةَ أَيَّامِ حَيَاةِ باطِلِهِ التِي يَقْضِيهَا كالظِّلِّ؟ لأَنهُ مَن يُخبْرُ الإِنسَان بمَا يَكون بعْدَهُ تَحْتَ الشَّمْسِ؟) الجامعة ٦: ١/ ١٢.

وقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ البقرة:٩٦ .

وقال ابن مسعود ﵁: (اضْطَجَعَ النبي ﷺ على حَصِير فَأَثَرَ في جِلْدِهِ، فقلت: بأَبي وَأُمِّي يا رَسُولَ اللهِ، لو كنتَ آذنتَنا فَفَرَشْنا لك عليه شيئا يَقِيك منه، فقال رسول اللهِ ﷺ: ما أنا وَالدُّنيَا، إنما أنا وَالدُّنيَا كرَاكب اسْتَظَل تَحْتَ شَجَرَة ثمَّ رَاحَ وَتَرَكهَا) [(١)].

ورد في الكتاب المقدس في بيان أن العز إزاره والكبرياء رداؤه قوله: (١اَلرَّب قَدْ مَلَك. لَبسَ الْجَلاَلَ. لَبسَ الرَّب الْقُدْرَةَ، ائْتَزَرَ بهَا. أَيْضا

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد ٤/ ٥٨٨ (٢٣٧٧)، وابن ماجه واللفظ له في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا ٢/ ١٣٧٦ (٤١٠٩)، وصححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٨٢) والسلسلة الصحيحة (٤٣٩).

تَثبتَتِ الْمَسْكونةُ. لاَ تَتزَعْزَعُ. [٢]كرْسِيُّك مُثبتَةٌ مُنذ الْقِدَمِ. مُنذ الأَزَلِ أَنتَ. [٣]رَفعَتِ الأَنهَارُ يَا رَب، رَفعَتِ الأَنهَارُ صَوْتَهَا. تَرْفَعُ الأَنهَارُ عَجِيجَهَا. [٤]مِن أَصْوَاتِ مِيَاه كثيرَة، مِن غِمَار أَمْوَاجِ الْبحْرِ، الرَّب فِي الْعُلَى أَقْدَرُ. شَهَادَاتُك ثابتَةٌ جِدّا. ببيْتِك تَلِيقُ الْقَدَاسَةُ يَا رَب إِلَى طُولِ الأَيَّامِ) مزمور ٩٣ :١/٥.

وفي نسخة أخرى للكتاب المقدس تغير فيها النص عن سابقه في بعض مواضعه كما يلي: (الرّب ملَك ولبسَ الجاهَ، الرّب اَرتدى العِزَّةَ واتَّزرَ بها. ثبتَ الكون في مكانهِ ولا يتزَعزَعُ إلى الأبدِ. ٢عرشُك ثابتٌ مِن البدْءِ، ومُنذ الأزَلِ أنتَ. ٣رفَعَتِ الأنهارُ يا رب، رفَعَتْ الأنهارُ صوتَها رفَعَتْ عَجيجها٤ لا صوتُ المياهِ الغزيرةِ ولا هديرُ أمواج البحرِ كهدير الرّب في عُلاه. ٥فرائِضُك أمينةٌ جدُا،وببيتِك تَليقُ القداسةُ، يا رب طُولَ الأيّامِ) مزمور ٩٣ :١/٥.

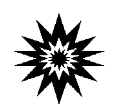
ورد في السنة النبوية قول رسول اللهِ ﷺ: (يقول الله سُبحَانَهُ: الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكبرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَن ينازعني عَذبتُهُ) [(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧﴾ هود:٧.

وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ

(١) رواه مسلم في البر والصلة والأدب، باب تحريم الكبر ٤/٢٠٢٣ (٢٦٢٠).

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ النمل: ٦٠/٦١.



المطلب الثاني والعشرون

الدليل من الأناجيل على أن نصارى اليوم يعرفون محمدا كما يعرفون أبناءهم



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن مقارنات واقعية فعلية بين النصوص القرآنية والنبوية والنصوص المعاصرة لأهل الكتاب، وتحدثنا عن موسى عليه السلام وإرسال أخيه هارون ومناظرة فرعون وانقلاب العصا حية، والآيات التي أيد الله بها موسى وخروجهم من مصر إلى أرض سيناء، وتحدثنا عن موسى عليه السلام وهو يستسقي لقومه ويضرب الحجر وينزل عليهم المن والسلوى.

كما بينا وجه المقارنة في دعوة التوحيد التي جاء بها موسى عليه السلام وكيف نطق بها الكتاب المقدس، وكذلك تحدثنا عن موسى عليه السلام ونزول التوراة بعد الأربعين وعبادة بني إسرائيل للعجل، وأنه ألقي الألواح وخاطبه الله من على جبل الطور في سيناء، وبينا أن ما حرمه الله في القرآن والسنة نص عليه الكتاب المقدس عند النصارى، وأن الأحداث التي وقعت من بني إسرائيل في أرض سيناء ذكرها القرآن، وكيف ورد التحذير من الشرك والحلف بغير الله، وإمهال الله الظالمين ليوم القيامة، وعلمنا وجه المقارنة بين النصوص في قصة داود عليه السلام في نبأ

الخصم إذ تسوروا المحراب للحكم بينهم، وقصة ملكة سبأ في اليمن وإرسالها هدية لسليمان عليه السلام ليبقيها على ملكها.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن إقامة الدليل من الأناجيل على أن نصارى اليوم يعرفون محمدا كما يعرفون أبناءهم.

- قصة زكريا ودعائه لربه وآيته في ألا يكلم الناس ثلاث ليال سويا.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٥كانَ فِي زَمَنِ هِيرُودُسَ مَلَك اليَهُودِيَّةِ كاهِنٌ اسْمُهُ زَكرِيَّا، مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا، وَزَوْجَتُهُ مِنْ نَسْلِ هَارُونَ، وَاسْمُهَا أَليصَابَاتُ. ٦وَكَانَ كلاَهُمَا بارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ، يَسْلكان وَفْقا لوَصَايَا الرب وَأَحْكامِهِ كلهَا بغَيْرِ لوْم. ٧وَلَكنْ لمْ يَكنْ لهُمَا وَلَدٌ، إذ كانَتْ أَليصَابَاتُ عَاقِرا وَكلاَهُمَا قَدْ تَقَدَّمَا فِي السِّنِّ كثيرا. ٨وَبَيْنَمَا كانَ زَكرِيَّا يُؤَدِّي خِدْمَتَهُ الكهَنُوتِيَّةَ أَمَامَ اللهِ فِي دَوْرِ فِرْقَتِهِ، ٩وَقَعَتْ عَليْهِ القُرْعَةُ التِي أُلقِيَتْ حَسَبَ عَادَةِ الكهَنُوتِ لِيَدْخُل هَيْكل الرب وَيُحْرِقَ البخُورَ. ١٠وَكانَ جُمْهُورُ الشَّعْب جَمِيعا يُصَلونَ خَارِجا فِي وَقْتِ إِحْرَاقِ البخُورِ. ١١فَظَهَرَ لهُ مَلاَك مِنْ عِنْدِ الرب وَاقِفا عَنْ يَمِينِ مَذبحِ البخُورِ. ١٢فَاضْطَرَب زَكرِيَّا لمَّا رَآهُ وَاسْتَوْلى عَليْهِ الخَوْفُ. ١٣فقَال لهُ المَلاَك: لاَ تَخفْ يَازَكرِيَّا، لأَنَّ طِلبتَك قَدْ سُمِعَتْ، وَزَوْجَتُك أَليصَابَاتُ سَتَلدُ لك ابنا، وَأَنْتَ تُسَمِّيهِ يُوحَنَّا، ١٤وَيَكونُ لك فَرَحٌ وَابتِهَاجٌ وَكثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بوِلاَدَتِهِ. ١٥وَسَوْفَ يَكونُ عَظِيما أَمَامَ الرب، وَلاَ يَشْرَب خَمْرا وَلاَ مُسْكرا، وَيَمْتَلِيءُ بالرُّوحِ القُدُسِ وَهُوَ بعْدُ فِي بطْنِ أُمِّهِ، ١٦وَيَرُدُّ كثِيرِينَ مِنْ بنِي إِسْرَائِيل إِلى الرب إِلهِهِمْ، ١٧فَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ وَلهُ رُوحُ إِيليَّا وَقُدْرَتُهُ، ليَرُدَّ قُلوب الآباءِ إِلى الأَوْلاَدِ، وَالعُصَاةَ إِلى حِكمَةِ الأَبرَارِ، ليُهَيِّيءَ

للرَّب شَعْبا مُعَدّا!) لوقا ١: ١٧/٥.

قال الله تعالى في دعاء زكريا عليه السلام: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ مريم: ٩/١ صدق الله

وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠﴾ آل عمران: ٣٨ ـ ٤٠.

وورد في الكتاب المقدس قوله:(١٨فَسأَل زَكريَّا المَلاَك: بمَ يَتأَكدُ لي هَذا، فأَنَا شَيْخٌ كبيرٌ وزَوْجَتي مُتقَدِّمَةٌ فِي السِّنِّ؟ ١٩فأَجَابهُ المَلاَك: أَنَا جِبرَائيل، الوَاقِفُ أَمَامَ اللهِ، وقَدْ أُرْسِلتُ لأُكلمَك وأُبشِّرَك بهَذا. ٢٠وَهَا أَنْتَ ستَبقَى صَامِتا لاَ تَستَطِيعُ الكلاَمَ، إلى اليَوْمِ الذي يَحْدُث فِيهِ هَذا، لأَنَّك لمْ تُصَدِّقْ كلاَمِي، وَهُوَ سَيَتِمُّ فِي حِينِه. ٢١وكانَ الشَّعْب مُنْتَظِرينَ زَكريَّا، وهُمْ مُتَعَجِّبونَ مِنْ تأَخُّرِهِ دَاخِلِ الهَيْكل. ٢٢ولَكنَّهُ لمَّا خرَجَ لمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكلمَهُمْ، فأَدْركوا أَنَّهُ رَأَى رُؤْيا دَاخِلِ الهَيْكل. فأَخَذ

يُشِيرُ لهُمْ وَظَل أَخْرَسَ. ٢٣وَلَّما أَتمَّ أَيَّامَ خِدْمَتِهِ، رَجَعَ إلى بيْتِهِ. ٢٤وَبعْدَ تِلك الأَيَّامِ، حَبلتْ أَليصَاباتُ زَوْجَتُهُ، فَكتَمَتْ أَمْرَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ، قَائِلة: ٢٥هَكذا فعَل الرب بي، فِي الأَيَّامِ التِي فِيهَا نَظرَ إِليَّ ليَنْزِعَ عَنِّي العَارَ مِنْ بيْنِ النَّاسِ!) لوقا ١: ١٨/٢٥.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾آل عمران: ٤١.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ مريم: ١٠/١١.

- **العشاء الرباني عند النصارى تحريف لقصة المائدة التي نزلت من السماء.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٢٨فَسَأَلُوهُ:مَاذا نَفعَل لنَعْمَل مَا يَطْلبهُ اللهُ؟ ٢٩أَجَاب يَسُوعُ: العَمَل الذي يَطْلبهُ اللهُ هُوَ أَنْ تُؤْمِنُوا بمَنْ أَرْسَلهُ. ٣٠فقَالوا لهُ: مَا الآيَةُ التِي تَعْمَلهَا لنَرَاهَا ونُؤْمِنَ بك؟ مَاذا تَقْدِرُ أَنْ تَعْمَل؟ ٣١فَإِنَّ أَباءَنَا أَكلوا المَنَّ فِي البرِّيَّةِ كمَا جَاءَ فِي الكِتَاب: أَعْطَاهُمْ مَنَّ السَّمَاءِ خُبزا ليَأْكلوا٣٢فَأَجَابهُمْ يَسُوعُ: الحَقَّ الحَقَّ أَقُول لكمْ: إِنَّ مُوسَى لمْ يُعْطِكمْ خُبزا مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا أَبي هُوَ الذي يُعْطِيكمُ الآنَ خُبزَ السَّمَاءِ الحَقِيقِيَّ، ٣٣فَخُبزُ اللهِ هُوَ النَّازِل مِنَ السَّمَاءِ الوَاهِب حَيَاة للعَالمِ. ٣٤قَالوا لهُ: يَاسَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كل حِين هَذا الخُبزَ. ٣٥فأَجَابهُمْ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ خُبزُ الحَيَاةِ. فَالذي يُقْبل إِليَّ لاَ يَجُوعُ، وَالذي يُؤْمِنُ بي لاَ يَعْطَشُ أَبدا. ٣٦ولَكنْ قُلتُ لكمْ إِنَّكمْ رَأَيْتمُونِي وَلاَ تُؤْمِنُونَ، ٣٧ولَكنَّ كل مَا يَهَبهُ الآب لي سَيَأْتِي إِليَّ، وَمَنْ يَأْتِ إِليَّ لاَ

أَطْرَحْهُ إلى الخَارِجِ أَبدا، ٣٨فَقَدْ نَزَلتُ مِنَ السَّمَاءِ، لاَ لأُتِمَّ مَشِيئَتِي، بل مَشِيئَةَ الذي أَرْسَلنِي. ٣٩وَمَشِيئَتُهُ هِيَ أَنْ لاَ أَدَعَ أَحَدًا مِمَّنْ وَهَبهُمْ لي يَهْلك، بل أُقِيمُهُ فِي اليَوْمِ الأَخِيرِ. ٤٠نَعَمْ! إنَّ مَشِيئَةَ أَبي هِيَ أَنَّ كل مَنْ يرَى الابنَ وَيُؤْمِنُ بهِ تَكونُ لَهُ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ، وَسَأُقِيمُهُ أَنَا فِي اليَوْمِ الأَخِيرِ.٤١فَأَخَذ اليَهُودُ يَتَذمَّرُونَ عَلى يَسُوعَ لأَنَّهُ قَال: أَنَا الخُبزُ الذي نَزَل مِنَ السَّمَاءِ. ٤٢وَقَالوا: أَليْسَ هَذا يَسُوعَ ابنَ يُوسُفَ، الذي نَعْرِفُ نَحْنُ أَباهُ وَأُمَّهُ، فَكيْفَ يَقُول: إنِّي نَزَلتُ مِنَ السَّمَاءِ؟ ٤٣فَأَجَابهُمْ يَسُوعُ: لاَ تَتَذمَّرُوا فِيمَا بيْنَكمْ! ٤٤لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إلِيَّ إلاَّ إذا اجْتَذبهُ الآب الذي أَرْسَلنِي. وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي اليَوْمِ الأَخِيرِ. ٤٥جَاءَ فِي كتُب الأَنْبيَاءِ: سَيَتَعَلمُ الجَمِيعُ مِنَ اللهِ. وَكل مَنْ يَسْمَعُ الآب وَيَتَعَلمُ مِنْهُ يَأْتِي إلِيَّ. ٤٦وَليْسَ مَعْنَى هَذا أَنَّ أَحَدا رَأَى الآب: فَمَا رَآهُ إلاَّ الذي كانَ مَعَ اللهِ. هُوَ وَحْدَهُ رَأَى الآب. ٤٧الحَقَّ الحَقَّ أَقُول لكمْ: إنَّ الذي يُؤْمِنُ بي فَلهُ حَيَاةٌ أَبدِيَّةٌ. ٤٨أَنَا هُوَ خُبزُ الحَيَاةِ. ٤٩أَكل أَباؤُكمُ المَنَّ فِي البرِّيَّةِ ثمَّ مَاتُوا، ٥٠وَلكنْ هَا هُنَا الخُبزُ النَّازِل مِنَ السَّمَاءِ ليَأْكل مِنْهُ الإِنْسَانُ فَلاَ يَمُوتُ. ٥١أَنَا الخُبزُ الحَيُّ الذي نَزَل مِنَ السَّمَاءِ. إنْ أَكل أَحَدٌ مِنْ هَذا الخُبزِ يَحيَا إلى الأَبدِ. وَالخُبزُ الذي أُقَدِّمُهُ أَنَا، هُوَ جَسَدِي، أَبذلهُ مِنْ أَجْل أَنْ يَحْيَا العَالمُ.٥٢فَأَثَارَ هَذا الكلاَمُ جِدَالا عَنِيفا بيْنَ اليَهُودِ، وَتَسَاءَلوا: كيْفَ يَقْدِرُ هَذا أَنْ يُعْطِيَنَا جَسَدَهُ لنَأْكلهُ؟ ٥٣فَأَجَابهُمْ يَسُوعُ: الحَقَّ الحَقَّ أَقُول لكمْ: إذا لمْ تَأْكلوا جَسَدَ ابنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبوا دَمَهُ فَلاَ حَيَاةَ لكمْ فِي دَاخِلكمْ. ٥٤مَنْ يَأْكل جَسَدِي وَيَشْرَب دَمِي، فَلهُ حَيَاةٌ أَبدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي اليَوْمِ الأَخِيرِ، ٥٥لأَنَّ جَسَدِي هُوَ الطَّعَامُ الحَقِيقِيُّ، وَدَمِي هُوَ الشَّرَاب الحَقِيقِيُّ. ٥٦وَكل مَنْ

يَأْكل جَسَدِي وَيَشْرَب دَمِي، يَثبتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. ٥٧وَكمَا أَنِّي أَحْيَا بالآب الحَيِّ الذي أَرْسَلنِي، فَكذلك يَحْيَا بي مَنْ يَأْكلنِي. ٥٨هَذا هُوَ الخُبزُ الذي نَزَل مِنَ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَيْسَ كالمَنِّ الذي أَكلهُ أَباؤُكمْ ثمَّ مَاتُوا. فَالذي يَأْكل هَذا الخُبزَ يَحْيَا إِلى الأَبدِ) يوحنا٦: ٥٨/٢٨.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (١٤وَلَمَّا حَانَتِ السَّاعَةُ، اتَّكأَ وَمَعَهُ الرُّسُل، ١٥وَقَال لهُمْ: اشْتَهَيْتُ بشَوْق أَنْ آكل هَذا الفِصْحَ مَعَكمْ قَبل أَنْ أَتَأَلَمَ. ١٦فَإِنِّي أَقُول لكمْ: لنْ آكل مِنْهُ بعْدُ، حَتَّى يَتَحقَّقَ فِي مَلكوتِ اللهِ. ١٧وَإِذ تَنَاوَل كأْسا وَشَكرَ، قَال: خُذوا هَذِهِ وَاقْتَسِمُوهَا بيْنَكمْ. ١٨فَإِنِّي أَقُول لكمْ إِنِّي لاَ أَشْرَب مِنْ نِتَاجِ الكرْمَةِ حَتَّى يَأْتِيَ مَلكوتُ اللهِ! ١٩وَإِذ أَخَذ رَغِيفا، شَكرَ، وَكسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ قَائِلا: هَذا جَسَدِي الذي يُبذل لأَجْلكمْ. هَذا افْعَلوهُ لذكرِي! ٢٠وَكذلك أَخَذ الكأْسَ أَيْضا بعْدَ العَشَاءِ، وَقَال: هَذِهِ الكأْسُ هِيَ العَهْدُ الجَدِيدُ بدَمِي الذي يُسْفَك لأَجْلكمْ. ٢١ثمَّ إِنَّ يَدَ الذي يُسَلمُنِي هِيَ مَعِي عَلى المَائِدَةِ. ٢٢فَابنُ الإِنْسَان لابدَّ أَنْ يَمْضِيَ كمَا هُوَ مَحْتُومٌ، وَلكِنِ الوَيْل لذلك الرَّجُل الذي يُسَلمُهُ! ٢٣فَأَخَذوا يَتَسَاءَلونَ فِيمَا بيْنَهُمْ: مَنْ مِنْهُمْ يُوشِك أَنْ يَفْعَل هَذا) لوقا ٢٢: ٢٣/١٤.

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ المائدة:١١٥/١١٢.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ المائدة: ١١٦/١٢٠.

- **معجزات عيسى وأنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٣١عِنْدَئِذ قَال لهُمْ يَسُوعُ: فِي هَذهِ الليْلةِ سَتَشْكُونَ فِيَّ كلكمْ. لأَنَّهُ قَدْ كتِب: سَأَضْرب الرَّاعِي، فَتَتَشَتَّتُ خِرَافُ القَطِيع. ٣٢ولَكنْ بعْدَ قِيامَتِي أَسْبقُكمْ إلى الجَليل. ٣٣فردَّ عَليْهِ بطْرُسُ قَائِلا: ولوْ شَك فِيك الجَمِيعُ، فَأَنَا لنْ أَشُك! ٣٤أَجَابهُ يَسُوعُ: الحَقَّ أَقُول لك: إنَّك فِي هَذهِ الليْلةِ، قَبل أَنْ يَصِيحَ الدِّيك، تَكونُ قَدْ أَنْكرْتنِي ثلاَث مَرَّات! ٣٥فَقَال بطْرُسُ: ولوْ كانَ عَليَّ أَنْ أَمُوتَ مَعَك، لاَ أُنْكرُك أَبدا! وقَال التَّلاَمِيذ كلهُمْ مِثل هَذا القَوْل) متى٢٦: ٣١/٣٥.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (٦٩فِي تِلك الأَثْنَاءِ كانَ بطْرُسُ جَالسا فِي الدَّارِ الخَارجِيَّةِ، فتَقَدَّمَتْ إليْهِ خَادِمَةٌ وقَالتْ: وَأَنْتَ كنْتَ مَعَ يَسُوعَ الجَليليِّ. ٧٠فَأَنْكرَ بطْرُسُ أَمَامَ الجَمِيعِ وقَال: لاَ أَدْري مَا تَقُولينَ! ٧١ثمَّ خَرَجَ إلى مَدْخَل الدَّار، فَعَرَفَتْهُ خَادِمَةٌ أُخْرَى، فَقَالتْ للحَاضِرينَ هُنَاك: وَهَذا كانَ مَعَ يَسُوعَ النَّاصِريِّ! ٧٢فَأَنْكرَ بطْرُسُ مَرَّةً ثانِيَةً

وأَقْسَمَ: إنِّي لاَ أَعْرِفُ ذلك الرَّجُل! ٧٣وبعْدَ قَليل تَقَدَّمَ الواقِفُونَ هُنَاك إلى بطْرُسَ وقَالوا لهُ: بالحَقِّ إنَّك واحِدٌ منْهُمْ، فَإنَّ لَهْجَتَك تَدُل عليْك!. ٧٤فابتَدَأَ بطْرُسُ يَلعَنُ ويَحْلفُ، قَائِلا: إنِّي لاَ أَعْرِفُ ذلك الرَّجُل! وَفِي الحَال صَاحَ الدِّيك، ٧٥فتَذكرَ بطْرُسُ كَلمَةَ يَسُوعَ إذ قَال لهُ: قَبل أَنْ يَصيحَ الدِّيك تَكونُ قَدْ أَنْكرْتَنِي ثلاَث مَرَّات. فَخَرَجَ إِلى الخَارِجِ، وَبكى بكاء مُرّا) متى٢٦: ٦٩/٧٥.

وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ النساء: ١٥٤/١٥٩.

ورد في السنة النبوية عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النبي ﷺ قال: (إذا سَمِعتُمْ صِيَاحَ الدِّيكَةِ فَاسْأَلوا اللهَ من فَضْلهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلكا، وإذا سَمِعتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذوا باللهِ من الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانا) (١).

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٣٨فَفَاضَ قَلب يَسُوعَ بالأَسَى

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ٣/١٢٠٢ (٣١٢٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك ٤/٢٠٩٢ (٢٧٢٩).

الشَّدِيدِ مرَّة ثانِيَة. ثمَّ اقْتَرَب إلى القَبر، وكانَ كهْفا عَلى بابهِ حَجَرٌ كبيرٌ. ٣٩وقَال: ارْفَعُوا الحَجَرَ! فقَالتْ مَرْثا: يَاسَيِّدُ، هَذا يَوْمُهُ الرَّابعُ، وقَدْ أَنْتَنَ. ٤٠فقَال يَسُوعُ: أَلَمْ أَقُل لك: إنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ؟ ٤١فرَفَعُوا الحَجرَ، ورَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إلى السَّماءِ وقَال: أَيُّهَا الآب، أَشْكرُك لأَنَّك سَمِعْتَ لي، ٤٢وقَدْ عَلمْتُ أَنَّك دَوْما تَسْمَعُ لي. ولَكنِّي قُلتُ هَذا لأَجْل الجَمْعِ الوَاقِفِ حَوْلي ليُؤْمِنُوا أَنَّك أَنْتَ أَرْسَلتَنِي. ٤٣ثمَّ نَادَى بصَوْت عَال: لعَازَرُ اخْرُجْ! ٤٤فخَرَجَ المَيْتُ والأَكفَانُ تَشُدُّ يَدَيْهِ ورِجْليْهِ، والمِنْدِيل يَلفُّ رَأْسَهُ. فقَال يَسُوعُ لمَنْ حَوْلهُ: حُلوهُ ودَعُوهُ يَذهَب) يوحنا١١: ٤٣/٣٨.

وورد في الكتاب المقدس: (ولَمَّا نَزَل مِنَ الجَبل، تَبعَتْهُ جُمُوعٌ كثيرَةٌ. ٢وإذا رَجُل مُصَاب بالبرَص، تَقَدَّمَ إليْهِ وسَجَدَ لهُ قَائِلا: يَاسَيِّدُ، إنْ كنْتَ تُريدُ، فأَنْتَ قَادِرٌ أَنْ تُطَهِّرَنِي! ٣فمَدَّ يَدَهُ ولَمَسَهُ وقَال: إنِّي أُريدُ، فَاطْهُرْ! وفِي الحَال طَهُرَ الرَجُل مِنْ برَصِهِ. ٤وقَال لهُ يَسُوعُ: انْتَبهْ! لاَ تُخبرْ أَحَدا، بل اذهَب واعْرِضْ نَفْسَك عَلى الكاهِنِ، وقَدِّمِ القُرْبانَ الذي أَمَرَ بهِ مُوسَى، فَيَكونَ ذلك شَهَادَة لهُمْ) متى ٨: ٤/١.

ورد في الكتاب المقدس: (بعْدَمَا انْتَهَى يَسُوعُ مِنْ تَوْصِيَةِ تَلاَمِيذهِ الاثنَيْ عَشَرَ، انْتَقَل مِنْ هُنَاك، وذَهَب يُعَلمُ ويُبشِّرُ فِي مُدُنِهمْ. ٢ولَمَّا سَمِعَ يُوحَنَّا، وهُوَ فِي السِّجْنِ، بأَعْمَال المَسِيحِ، أَرْسَل إليْهِ بعْضَ تَلاَمِيذهِ، ٣يَسْأَلهُ: أَأَنْتَ هُوَ الآتِي، أَمْ نَنْتَظِرُ غيْرَك؟ ٤فأَجَابهُمْ يَسُوعُ قَائِلا: اذهَبوا أَخْبرُوا يُوحَنَّا بمَا تَسْمَعُونَ وتَرَوْنَ: ٥العُمْيُ يُبصِرُونَ، والعُرْجُ يَمْشُونَ، والبرْصُ يُطَهَّرُونَ، والصُّمُّ يَسْمَعُونَ، والمَوْتَى يُقَامُونَ، والمَسَاكينُ يُبشَّرُونَ. ٦وطُوبى لمَنْ لاَ يَشُك فِيَّ) متى١١: ٦/١.

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ المائدة: ١١١/١١٠.

- نصوص الأناجيل تدل بوضوح على أن النصرانية انتشرت بالسيف.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٣٤لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُرْسِيَ سَلاما عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُرْسِيَ سَلاَما، بل سَيْفا. ٣٥فَإِنِّي جِئْتُ لأَجْعَل الإِنْسَانَ عَلَى خِلاَف مَعَ أَبِيهِ، وَالبِنْتَ مَعَ أُمِّهَا، وَالكِنَّةَ مَعَ حَمَاتِهَا. ٣٦وَهَكذا يَصِيرُ أَعْدَاءَ الإِنْسَان أَهْل بيْتِهِ. ٣٧مَنْ أَحَب أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ أَكْثرَ مِنِّي، فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي. وَمَنْ أَحَب ابنهُ أَوِ ابنَتَهُ أَكْثرَ مِنِّي، فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي) متى ١٠: ٣٧/٣٤.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ التوبة: ٢٤/٢٣.

ورد في السنة النبوية عن ابن عُمَر ﷺ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قال:

(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلِ الناس حتى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدا رسول اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلوا ذلك عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابهُمْ على اللهِ) [(١)].

وعن أبي هُرَيْرَة ﷺ قال: (لمَّا تُوُفِّيَ رسول اللهِ ﷺ وكان أبو بكر ﷺ وَكفَرَ من كفَرَ من العَرَب فقال عُمَرُ رضي الله عنه كيْفَ تُقَاتِل الناس وقد قال رسول اللهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِل الناس حتى يَقُولوا لا إِلهَ إلا الله، فَمَنْ قَالَها فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالهُ وَنَفْسَهُ إلا بحَقِّهِ وَحِسَابهُ على اللهِ، فقال: والله لأُقَاتِلنَّ من فَرَّقَ بين الصَّلاةِ وَالزَّكاةِ فإن الزَّكاةَ حَقُّ المَال، والله لو مَنَعُونِي عَنَاقا كانُوا يُؤَدُّونَهَا إلى رسول اللهِ ﷺ لقَاتَلتُهُمْ على مَنْعِهَا، قال عُمَرُ ﷺ: فَوَاللهِ ما هو إلا أَنْ قد شَرَحَ الله صَدْرَ أبي بكر ﷺ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ) [(٢)].

وعن أَنَس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (لا يُؤْمِنُ أحدكم حتى أَكونَ أَحَب إليه من وَالدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [(٣)].

وعن أَنَس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حَلاوَةَ الإِيمَان، من كان اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَب إليه مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ

(١) البخاري في الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ١/١٧(٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ١/٥٣ (٢٢).

(٢) البخاري في الزكاة، باب وجوب الزكاة ٢/٥٠٧ (١٣٣٥)، ومسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ١/٥١ (٢٠).

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، حب الرسول من الإيمان ١/١٤ (١٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ١/٦٧ (٤٤).

يُحِب المَرْءَ لا يُحِبهُ إلا للهِ، وأَنْ يَكرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكفْرِ بعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله منه كما يَكرَهُ أَنْ يُقْذفَ فِي النَّارِ)(١).

• أحداث القيامة بين نصوص الأناجيل وما ورد في التتريل على محمد.

ورد في الكتاب المقدس: (٢٩وَحَالا بعْدَ الضِّيقَةِ فِي تِلك الأَيَّامِ، تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَيَحْجُب القَمَرُ ضَوْءَهُ، وَتَتَهَاوَى النُّجُومُ مِنَ السَّمَاءِ، وَتَتَزَعْزَعُ قُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ. ٣٠وَعِنْدَئِذ تَظْهَرُ آيَةُ ابن الإِنْسَان فِي السَّمَاءِ، فَتَنْتَحِب قَبائِل الأَرْضِ كلهَا، وَيَرَوْنَ ابنَ الإِنْسَان آتِيا عَلَى سُحُب السَّمَاءِ بقُدْرَة وَمَجْد عَظِيم. ٣١وَيُرْسِل مَلائِكتَهُ بصَوْتِ بوق عَظِيم ليَجْمَعُوا مُخْتَارِيهِ مِنَ الجِهَاتِ الأَرْبعِ، مِنْ أَقَاصِي السَّمَاوَاتِ إِلى أَقَاصِيهَا) متى٢٤: ٢٩/ ٣١.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الزمر: ٦٧/ ٧٠.

وقال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾

(١) البخاري في الإيمان، باب حلاوة الإيمان ١/ ١٤ (١٦) ومسلم في الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١/ ٦٦ (٤٣).

وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ ﴾ التكوير: ١/١٤.

وقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ النمل: ٨٧/٩٠.

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحاقة: ١٣/٤٠.

ورد في الكتاب المقدس في قيام الروح والملائكة صفا لا يتكلمون قوله: (٢زَوالا أُزيل كل شيء عَنْ وجهِ الأرض، يقول الرّب: ٣أُزيل البشَرَ والبهائمَ. أُزيل طَيرَ السَّماءِ وسمَك البحرِ، وأُسقِطُ الأشرارَ، وأقطعُ

الإِنسانَ عَنْ وجهِ الأَرضِ، يقول الرّب. ٤وأمُدُّ يَدي على يَهوذا وعلى جميعِ سُكان أُورُشليمَ، وأقطَعُ مِنْ ذلك المَوضِعِ بقيَّةَ عبدَةِ البعل. وأسماءَ الخُدَّامِ والكَهَنةِ، ٥والذينَ يَسجدونَ على السُّطوحِ لكواكب السَّماءِ والذينَ يَسجدونَ للرّب ويَحلفونَ بهِ، كما بالإِلهِ مَلكومَ، ٦والذينَ اَرتَدُّوا عَنِ الرّب، والذينَ لم يَلتَمِسوا الرّب ولم يَطلبوهُ.٧أُصمُتوا أمامَ السَّيِّدِ الرّب، فيومُ الرّب قريب. أعَدَ الرّب ذبيحة وقدَّسَ مَدعوِّيهِ. ٨في يومِ ذبيحةِ الرّب أُعاقِب الأعيانَ وبني المَلك وكل لابس لباسا غريبا. ٩في ذلك اليومِ أُعاقِب كل الذينَ يَقفِزونَ مِنْ فَوق العتَبةِ ليَملأُوا بيتَ سيِّدِهِم جورا ومكرا. ١٠في ذلك اليومِ، يقول الرّب، يُسمَعُ صوتُ صُراخ مِنْ باب السَّمك في أُورُشليمَ، ووَلوَلةٌ مِنَ الحَيِّ الجديدِ، وصوتُ بوق عظيمِ مِنَ التِّلال.١١ولولوا أنتُم يا سُكانَ حَيِّ مَكتيشَ، فكل شعب كنعانَ بادَ، وكل الذينَ يَزنونَ الفِضَّةَ اَنقرَضوا. ١٢في ذلك اليومِ أُفَتِّشُ أُورُشليمَ بالمَشاعِلِ وأُعاقِب الذينَ يَقعُدونَ على أقفِيَتِهم ويَستأمِرونَ قائِلينَ في قلوبهِم: لا يُحسِنُ الرّب ولا يُسيءُ. ١٣فتكونُ ثروتُهُم نَهْبا، وبيوتُهُم خرابا. يَبنونَ بيوتا ولا يَسكنونَ فيها، ويَغرِسونَ كروما ولا يَشربونَ خمرَها. ١٤قريب يومُ الرّب العظيمِ، قريب وسريعٌ جدًا.يومُ الرّب قصيرٌ مُرٌّ يصرُخُ فيهِ الجبارُ. ١٥يومُ عِقاب ذلك اليومُ، يومُ ضرَر وضيق.يومُ سُوء ومَساءَة. يومُ ظُلمَة وسَواد.يومُ سحاب وضباب. ١٦يومُ بوق وهتافِ حرب على المُدُن الحصينةِ والبروج الشَّامِخةِ. ١٧أُضايِقُ البشَرَ فيَمشونَ كالعُميان. خطِئوا إلى الرّب، فتُهَال دِماؤُهُم كالتُّراب ولحومُهُم كالبعْرِ. ١٨لا تَقدِرُ فِضَّتُهُم ولا ذهبهُم على إنقاذهِم في يومِ عِقاب الرّب. تأكل نارُ غَيرَتِه جميعَ الأرضِ، ويَحِل الفَناءُ واللعنَةُ

على جميعِ سُكانِها) صفينا ١: ١٨/٢.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ النبأ: ١٧/ ٤٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ الإسراء: ٩٧/ ٩٨.

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ

لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ طه: ٩٩/١١٣.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ آل عمران: ٩١. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ المائدة: ٣٦/٣٧.

- قصة يونس عليه السلام ومقارنة نصوص النصرانية والإسلام.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١وَصَارَ قَوْلُ الرَّب إلى يُونَانَ بن أَمِتَّايَ قَائِلا: ٢قُمِ اذهَب إلى نِينَوَى المَدِينَةِ العَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي. ٣فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُب إلى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّب، فَنَزَلَ إلى يَافَا وَوَجَدَ سَفِينَة ذاهِبة إلى تَرْشِيشَ، فَدَفَعَ أُجْرَتَهَا وَنَزَل فِيهَا، لِيَذهَب مَعَهُمْ إلى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّب. ٤فَأَرْسَل الرَّب رِيحا شَدِيدَة إلى البحْر، فَحَدَث نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي البحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تَنْكسِرُ. ٥فَخَافَ المَلاَّحُونَ وَصَرَخُوا كل وَاحِدٍ إلى إلهِهِ، وَطَرَحُوا الأَمْتِعَةَ التِي فِي السَّفِينَةِ إلى البحْرِ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ. وَأَمَّا يُونَانُ فكانَ قَدْ نَزَل إلى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْما ثقِيلا. ٦فَجَاءَ إليْهِ رَئِيسُ النُّوتِيَّةِ وَقَال

لهُ: مَا لك نَائِما؟ قُمِ اصْرُخْ إلى إلهك عَسَى أَنْ يَفْتَكِرَ الإِلهُ فِينَا فَلاَ نَهْلك. [٧]وقَال بعْضُهُمْ لبعْض: هَلمَّ نُلقِي قُرَعا لنَعْرفَ بسَبب مَنْ هذهِ البليَّةُ. فَأَلقَوا قُرَعا، فوقَعَتِ القُرْعَةُ عَلى يُونَانَ. [٨]فقَالوا لهُ: أَخبِرْنَا بسَبب مَنْ هذهِ المُصِيبةُ عَلينَا؟ مَا هُوَ عَمَلك؟ ومِنْ أَيْنَ أَتيْتَ؟ مَا هِيَ أَرْضُك؟ ومِنْ أَيِّ شَعْب أَنْتَ؟ [٩]فقَال لهُمْ: أَنَا عِبرَانِيٌّ، وأَنَا خَائِفٌ مِنَ الرَّب إلهِ السَّمَاءِ الذي صَنَعَ البحْرَ والبرَّ. [١٠]فَخَافَ الرِّجَال خَوْفا عَظِيما، وقَالوا لهُ: لمَاذا فعَلتَ هذا؟ فَإِنَّ الرِّجَال عَرَفُوا أَنَّهُ هَارب مِنْ وَجْهِ الرَّب، لأَنَّهُ أَخبرَهُمْ. [١١]فقَالوا لهُ: مَاذا نَصْنَعُ بك ليَسْكنَ البحْرُ عنَّا؟ لأَنَّ البحْرَ كانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابا. [١٢]فقَال لهُمْ: خُذونِي واطْرَحُونِي فِي البحْرِ فَيَسْكنَ البحْرُ عَنْكمْ، لأَنَّنِي عَالمٌ أَنَّهُ بسَبَبي هذا النَّوْءُ العَظِيمُ عَليْكمْ. [١٣]ولكنَّ الرِّجَال جَذفُوا ليُرَجِّعُوا السَّفِينَةَ إلى البرِّ فَلمْ يَسْتَطِيعُوا، لأَنَّ البحْرَ كانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابا عَليْهِمْ. [١٤]فصَرَخُوا إلى الرَّب وقَالوا: آهِ يَا رَب، لاَ نَهْلك مِنْ أَجْل نَفْسِ هذا الرَّجُل، ولاَ تَجْعَل عَلينَا دَما بريئا، لأَنَّك يَا رَب فَعَلتَ كمَا شِئْتَ. [١٥]ثمَّ أَخَذوا يُونَانَ وطَرَحُوهُ فِي البحْرِ، فوقَفَ البحْرُ عَنْ هَيَجَانِهِ. [١٦]فَخَافَ الرِّجَال مِنَ الرَّب خَوْفا عَظِيما، وذبحُوا ذبيحَة للرَّب ونَذرُوا نُذورا) يونان ١: ١/١٦.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ الصافات: ١٣٩/ ١٤٨.

ورد في الكتاب المقدس قوله: ([١٧]وأَمَّا الرَّب فَأَعَدَّ حُوتا عَظِيما ليَبتَلعَ يُونَانَ. فكانَ يُونَانُ فِي جَوْفِ الحُوتِ ثلاَثَةَ أَيَّام وثلاَث ليَال. [١]فصَلى يُونَانُ إلى الرَّب إلهِهِ مِنْ جَوْفِ الحُوتِ، [٢]وقَال: دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّب، فَاسْتَجَابنِي. صَرَخْتُ مِنْ جَوْفِ الهَاوِيَةِ، فَسَمِعْتَ صَوْتِي.

[٣] لأَنَّك طَرَحْتَنِي فِي العُمْق فِي قَلب البحَار، فَأَحَاطَ بي نَهْرٌ. جَازَتْ فَوْقِي جَمِيعُ تَيَّارَاتِك وَلَجَجِك. [٤] فَقُلتُ: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْك. وَلكنَّنِي أَعُودُ أَنْظُرُ إلى هَيْكل قُدْسِك. [٥] قَدِ اكتَنَفَتْنِي مِيَاهٌ إِلَى النَّفْسِ. أَحَاطَ بي غَمْرٌ. التَفَّ عُشْب البحْرِ برَأْسِي. [٦] نَزَلتُ إلى أَسَافِل الجبال. مَغَاليقُ الأَرْضِ عَليَّ إلى الأَبدِ. ثمَّ أَصْعَدْتَ مِنَ الوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيُّهَا الرَّب إلهِي. [٧] حِينَ أَعْيَتْ فِيَّ نَفْسِي ذكرْتُ الرَّب، فَجَاءَتْ إليْك صَلاَتِي إلى هَيْكل قُدْسِك. [٨] اَلذين يُرَاعُونَ أَباطِيل كاذبة يَتْرُكونَ نِعْمَتَهُمْ. [٩] أَمَّا أَنَا فَبصَوْتِ الحَمْدِ أَذبحُ لك، وَأُوفِي بمَا نَذرْتُهُ. للرَّب الخَلاَصُ. [١٠] وَأَمَرَ الرَّب الحُوتَ فَقَذَفَ يُونَانَ إِلى البرِّ) يونان ١: ١٧ ، ٢: ١/ ١٠.

وقال تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ۝١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤٤ ۞فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ۝١٤٥﴾ الصافات: ١٣٩/ ١٤٨. وقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٨٨﴾ الأنبياء: ٨٧/ ٨٨. وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ۝٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠﴾ القلم: ٤٨/ ٥٠.

وعن سعد بن أبي وقاص ﵁ أن قال رسول الله ﷺ: (دَعْوَةُ ذي النُّون إذ هو في بطْنِ الحُوتِ: لاَ إِلهَ إلاَّ أنت سُبحَانَك إني كنت مِنَ الظَّالِمِينَ، فإنه لم يَدْعُ بها مُسْلمٌ رَبهُ في شَيء قَطُّ إلا اسْتَجَاب له) (١).

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ١٧٠ (١٤٦٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١فغَمَّ ذلك يُونَانَ غمّا شَدِيدا، فَاغْتَاظَ. ٢وَصَلى إلى الرَّب وقَال: آهِ يَا رَب، أَلَيْسَ هذا كلاَمِي إذ كنْتُ بعْدُ فِي أَرْضِي؟ لذلك بادَرْتُ إلى الهَرَب إلى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلمْتُ أَنَّك إلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بطِيءُ الغَضَب وَكثيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلى الشَّرِّ. ٣فالآنَ يَا رَب، خُذ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي. ٤فقَال الرَّب: هَل اغْتَظْتَ بالصَّوَاب؟. ٥وَخرَجَ يُونَانُ مِنَ المَدِينَةِ وَجَلس شَرْقِيَّ المَدِينَةِ، وَصنَعَ لنَفْسِهِ هُنَاك مَظَلة وَجَلسَ تَحْتَهَا فِي الظِّل، حَتَّى يَرَى مَاذا يَحْدُث فِي المَدِينَةِ. ٦فَأَعَدَّ الرَّب الإلهُ يَقْطِينَة فَارْتَفعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لتَكونَ ظِلاً عَلى رَأْسِهِ، لكيْ يُخَلصَهُ مِنْ غَمِّهِ. فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْل اليَقْطِينَةِ فَرَحا عَظِيما. ٧ثمَّ أَعَدَّ اللهُ دُودَة عِنْدَ طُلوع الفَجْرِ فِي الغَدِ، فَضرَبَتِ اليَقْطِينَةَ فَيَبسَتْ. ٨وَحدَث عِنْدَ طُلوعِ الشَّمْسِ أَنَّ اللهَ أَعَدَّ رِيحا شَرْقِيَّة حَارَّة، فَضرَبَتِ الشَّمْسُ عَلى رَأْسِ يُونَانَ فَذبل. فَطَلب لنَفْسِهِ المَوْتَ، وقَال: مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي. ٩فقَال اللهُ ليُونَانَ: هَل اغْتَظْتَ بالصَّوَاب مِنْ أَجْل اليَقْطِينَةِ؟ فقَال: اغْتَظْتُ بالصَّوَاب حَتَّى المَوْتِ. ١٠فقَال الرَّب: أَنْتَ شَفِقْتَ عَلى اليَقْطِينَةِ التِي لمْ تَتْعَب فِيهَا وَلاَ رَبيْتَهَا، التِي بنْتَ لَيْلة كانَتْ وَبنْتَ لَيْلة هَلكتْ. ١١أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلى نِينَوَى المَدِينَةِ العَظِيمَةِ التِي يُوجَدُ فِيهَا أَكثرُ مِنِ اثنَتَيْ عَشَرَةَ رِبوَة مِنَ النَّاسِ الذينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالهِمْ، وَبهَائِمُ كثيرَةٌ؟) يونان ٣: ١/١١.

وقال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾﴾ الصافات:١٣٩/١٤٨. وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ القلم:٤٨/٥٠.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١ثُمَّ صَارَ قَوْلُ الرَّب إلى يُونَانَ ثانِيَة قَائِلا: ٢قُمِ اذهَب إلى نِينَوَى المَدِينَةِ العَظِيمَةِ، وَنَادِ لهَا المُنَادَاةَ التِي أَنَا مُكلمُك بهَا. ٣فَقَامَ يُونَانُ وَذهَب إلى نِينَوَى بحَسَب قَوْلِ الرَّب. أَمَّا نِينَوَى فَكانَتْ مَدِينَة عَظِيمَة لِلهِ مَسِيرَةَ ثلاثَةِ أَيَّام. ٤فَابتَدَأَ يُونَانُ يَدْخُلُ المَدِينَةَ مَسِيرَةَ يَوْم وَاحِد، وَنَادَى وَقَال: بعْدَ أَرْبعِينَ يَوْما تَنْقَلب نِينَوَى. ٥فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى باللهِ وَنَادَوْا بصَوْم وَلبسُوا مُسُوحا مِنْ كبيرهِمْ إلى صَغِيرهِمْ. ٦وَبلغَ الأَمْرُ مَلك نِينَوَى، فَقَامَ عَنْ كرْسِيِّهِ وَخَلعَ رِدَاءَهُ عَنْهُ، وَتَغَطَّى بمسْح وَجَلسَ عَلى الرَّمَادِ. ٧وَنُودِيَ وَقِيل فِي نِينَوَى عَنْ أَمْرِ المَلك وَعُظَمَائِهِ قَائِلا: لاَ تَذق النَّاسُ وَلاَ البهَائِمُ وَلاَ البقَرُ وَلاَ الغَنَمُ شَيْئا. لاَ تَرْعَ وَلاَ تَشْرَب مَاء. ٨وَليَتَغَطَّ بمُسُوح النَّاسُ وَالبهَائِمُ، وَيَصْرُخُوا إلى اللهِ بشِدَّة، وَيَرْجِعُوا كل وَاحِد عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَعَنِ الظُّلمِ الذِي فِي أَيْدِيهِمْ، ٩لعَل اللهَ يَعُودُ وَيَنْدَمُ وَيَرْجعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبهِ فَلاَ نَهْلك. ١٠فَلمَّا رَأَى اللهُ أَعْمَالهُمْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمِ الرَّدِيئَةِ، نَدِمَ اللهُ عَلى الشَّرِّ الذِي تَكلمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بهِمْ، فَلمْ يَصْنَعْهُ) يونان ٢: ١/١٠.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨ ﴾ الصافات: ١٣٩/ ١٤٨. وقال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ يونس: ٩٨. وقال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ

ﭐلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ الأنبياء: ٨٨/٨٧.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى) [١].

• أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله وقوله عبدي مرضت فلم تعودني.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٢٤فَأَيُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذهِ وَيَعْمَل بهَا، أُشَبهُهُ برَجُل حَكيم بنَى بيْتَهُ عَلى الصَّخْرِ، ٢٥فنَزَلَتِ الأَمْطَارُ، وَجَرَتِ السُّيُول، وَهَبتِ العَوَاصِفُ، فَضَرَبتْ ذلك البيْتَ، فَلمْ يَسْقُطْ لأَنَّهُ مُؤَسَّسٌ عَلى الصَّخْرِ. ٢٦وَأَيُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذهِ وَلاَ يَعْمَل بهَا، يُشبَهُ برَجُل غَبي بنَى بيْتَهُ عَلى الرَّمْل، ٢٧فنَزَلَتْ الأَمْطَارُ، وَجَرَتْ السيُول، وَهَبتِ العَوَاصِفُ، فَضَرَبتْ ذلك البيْتَ، فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيما) متى٧: ٢٤/ ٢٧.

وورد أيضا في الكتاب المقدس عند النصارى: (٤٦وَلَمَاذا تَدْعُونَنِي: يَارَب، يَارَب! وَلاَ تَعْمَلونَ بمَا أَقُولهُ؟ ٤٧كل مَنْ يَأْتِي إليَّ، فَيَسْمَعُ كلاَمِي وَيَعْمَل بهِ، أُريكمْ مَنْ يُشبْهُ. ٤٨إنَّهُ يُشبْهُ إنْسَانا يَبنِي بيْتا، فَحَفَرَ وَعَمَّقَ وَوَضَعَ الأَسَاسَ عَلى الصَّخْرِ. ثمَّ هَطَل مَطَرٌ غَزيرٌ وَصَدَمَ السَّيْل ذلك البيْتَ، فَلمْ يَقْدِرْ أَنْ يُزَعْزِعَهُ، لأَنَّهُ كانَ مُؤَسَّسا عَلى الصَّخْرِ. ٤٩وَأَمَّا مَنْ سَمِعَ وَلَمْ يَعْمَل، فَهُوَ يُشبْهُ إنْسَانا بنَى بيْتا عَلى الأَرْضِ دُونَ أَسَاس. فَلمَّا صَدَمَهُ السَّيْل، انْهَارَ فِي الحَال؛ وَكانَ خَرَاب ذلك البيْتِ جَسِيما!) لوقا٦: ٤٦/ ٤٩.

---

(١) البخاري في الأنبياء، باب قوله تعالى: وإن يونس لمن المرسلين ٣/١٢٥٥ (٣٢٣٤)، ومسلم في الفضائل، باب في ذكر يونس ٤/١٨٤٦ (٢٣٧٧).

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ التوبة: ١٠٩.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٣١وَعِنْدَمَا يَعُودُ ابنُ الإِنْسَان فِي مَجْدِهِ وَمَعَهُ جَمِيعُ مَلاَئِكتِهِ، فَإِنَّهُ يَجْلسُ على عَرْشِ مَجْدِهِ، ٣٢وتَجْتَمِعُ أَمامَهُ الشُّعُوب كلها، فَيَفْصِلِ بعْضَهُمْ عَنْ بعْض كمَا يَفْصِلِ الرَّاعِي الغَنَمَ عَنِ المِعَاز، ٣٣فيُوقِفُ الغَنَمَ عَنْ يَمِينِهِ، والمِعَاز عَنْ يَسَارِهِ؛ ٣٤ثمَّ يَقُول المَلك للذينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعالوْا يَامَنْ بارَكهُمْ أَبي، رِثوا المَلكوتَ الذي أُعِدَّ لكمْ مُنْذ إِنْشَاءِ العَالمِ: ٣٥لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي، عَطِشْتُ فَسقَيْتُمُونِي، كنْتُ غَرِيبا فَآوَيْتُمُونِي، ٣٦عُرْيَانا فَكسَوْتُمُونِي، مَرِيضا فَزُرْتُمُونِي، سَجِينا فَأَتَيْتُمْ إِليَّ! ٣٧فيَرُدُّ الأَبرَارُ قَائِلينَ: يَارَب، مَتَى رَأَيْنَاك جَائِعا فَأَطْعَمْنَاك، أَوْ عَطْشَانا فَسقَيْنَاك؟ ٣٨ومَتَى رَأَيْنَاك غَرِيبا فَآوَيْنَاك، أَوْ عُرْيَانا فَكسَوْنَاك؟ ٣٩ومَتى رَأَيْنَاك مَرِيضا أَوْ سَجِينا فزُرْنَاك؟ ٤٠فيُجِيبهُمُ المَلك: الحَقَّ أَقُول لكمْ: بمَا أَنَّكمْ فَعَلتُمْ ذلك بأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الصِّغَار، فَبي فَعَلتُمْ ٤١ثمَّ يَقُول للذينَ عَنْ يَسَارِهِ: ابتَعِدُوا عَنِّي يَامَلاَعِينُ إِلى النَّارِ الأَبدِيَّةِ المُعَدَّة لإِبليسَ وَأَعْوَانِهِ! ٤٢لأَنِّي جُعْتُ فَلمْ تُطْعِمُونِي، وَعَطِشْتُ فَلمْ تَسْقُونِي، ٤٣كنْتُ غَرِيبا فَلمْ تَأْوُونِي، عُرْيَانا فَلمْ تَكسُونِي، مَرِيضا وَسَجِينا فَلمْ تَزُورُونِي! ٤٤فيَرُدُّ هَؤُلاَءِ أَيْضا قَائِلينَ: يَارَب، مَتَى رَأَيْنَاك جَائِعا أَوْ عَطْشَانا أَوْ غَرِيبا أَوْ عُرْيَانا أَوْ مَرِيضا أَوْ سَجِينا، ولَمْ نَخْدِمْك؟ ٤٥فيُجِيبهُمْ: الحَقَّ أَقُول لكمْ: بمَا أَنَّكمْ لمْ تَفْعَلوا ذلك بأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الصِّغَارِ، فَبي لمْ تَفْعَلوا! ٤٦فيَذهَب هَؤُلاَءِ إِلى العِقَاب الأَبدِيِّ،

وَالأَبرَارُ إِلى الحَيَاةِ الأَبدِيَّةِ!) متى٢٥: ٣١/٤٦.

وقال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ الواقعة:٢٧/٤٤. وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الحاقة:١٧/٣٧.

وورد في السنة النبوية أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُول يَوْمَ القِيامَةِ: يَا ابنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلمْ تَعُدْنِي، قَال يَا رَب كَيْفَ أَعُودُك وَأَنْتَ رَب العَالِمينَ ؟ قَال: أَمَا عَلمْتَ أَنَّ عَبدِي فُلانا مَرِضَ فَلمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلمْتَ أَنَّك لوْ عُدْتَهُ لوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُك فَلمْ تُطْعِمْنِي، قَال يَا رَب: وَكَيْفَ أُطْعِمُك وَأَنْتَ رَب العَالِمينَ ؟ قَال: أَمَا عَلمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَك عَبدِي فُلانٌ فَلمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلمْتَ أَنَّك لوْ

أَطْعَمْتَهُ، لوَجَدْتَ ذلك عِنْدِي، يَا ابنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُك فَلَمْ تَسْقِنِي قَال: يَا رَب، كَيْفَ أَسْقِيك وَأَنْتَ رَب العَالِمِينَ ؟ قَال: اسْتَسْقَاك عَبدِي فُلانٌ، فَلمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّك لوْ سَقَيْتَهُ، وَجَدْتَ ذلك عِنْدِي) [1].

- مقارنة لأمثله مضروبة لبيان الالتزام بالتوحيد وعدم الشرك.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٢٤لاَ يُمْكِنُ لأَحَد أَنْ يَكونَ عَبَدا لسَيِّدَيْن: لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبغِضَ أَحَدَهُمَا فَيُحِب الآخَرَ، وَإِمَّا أَنْ يَلزَمَ أَحَدَهُمَا فَيَهْجُرَ الآخَرَ. لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَكونُوا عَبِيدا للهِ وَالمَال مَعا) متى٦: ٢٤.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (مَا مِنْ خَادِمٍ يَقْدِرُ أَنْ يَكونَ عَبدا لسَيِّدَيْنِ فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبغِضَ أَحَدَهُمَا فَيُحِب الآخَرَ، وَإِمَّا أَنْ يَلتَحِقَ بأَحَدِهِمَا فَيَهْجُرَ الآخَرَ، لاَ تَستَطِيعُونَ أَنْ تَكونُوا عَبِيدا للهِ وَالمَال مَعا) لوقا١٦: ١٣.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الزمر: ٢٧/٢٩.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١٥اِحْذَرُوا الأَنْبيَاءَ الدَّجَّالينَ الذينَ يَأْتُونَ إِليْكمْ لاَبسِينَ ثِيَاب الحُمْلان، وَلكنَّهُمْ مِنَ الدَّاخِلِ ذِئَاب خَاطِفَةٌ! ١٦مِنْ ثَمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَل يُجْنَى مِنَ الشَّوْك عِنَب، أَوْ مِنَ العُلَيْق تِينٌ؟ ١٧هَكذا، كل شَجَرَة جَيِّدَة تُثمِرُ ثمَرا جَيِّدا. أَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيئَةُ،

---

(١) مسلم في البر والصلة والأدب، باب فضل عيادة المريض ٤/١٩٩٠ (٢٥٦٩).

فَإِنَّهَا تُثمِرُ ثمرا رَدِيئا. ١٨لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُثمِرَ الشَّجَرَةُ الجَيِّدَةُ ثمَرا رَدِيئا، وَلاَ الشَّجَرَةُ الرَّدِيئَةُ ثمَرا جَيِّدا. ١٩وَكل شَجَرَة لاَ تُثمِرُ ثمَرا جَيِّدا، تُقْطَعُ وَتُطْرَحُ فِي النَّارِ. ٢٠إِذنْ مِنْ ثمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ) متى٧: ١٥/ ٢٠.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٤/ ٢٧.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٨وَسَأَلهُ وَاحِدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ قَائِلا: أَيُّهَا المُعَلمُ الصَّالحُ، مَاذا أَعْمَل لأَرث الحَيَاةَ الأَبدِيَّةَ؟ ١٩ولَكنَّ يَسُوعَ قَال لهُ: لمَاذا تَدْعُونِي الصَّالحَ؟ ليْسَ أَحَدٌ صَالحا إلاَّ وَاحِدٌ، وَهُوَ الله ! ٢٠أَنْتَ تَعْرِفُ الوَصَايَا: لاَ تَزْنِ؛ لاَ تَقْتُل؛ لاَ تَسْرِقْ؛ لاَ تَشْهَدْ بالزُّورِ؛ أَكرِمْ أَباك وَأُمَّك! ٢١فقَال: هَذِهِ كلها عَمِلتُ بهَا مُنْذ صِغَرِي! ٢٢فلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ هَذا، قَال لهُ: يَنْقُصُك شَيْءٌ وَاحِدٌ: بعْ كل مَا عِنْدَك، وَوَزِّعْ عَلى الفُقرَاءِ، فَيَكونَ لك كنْزٌ فِي السَّمَاوَاتِ. ثمَّ تَعَال اتْبعْنِي! ٢٣ولَكنَّهُ لمَّا سَمِعَ ذلك، حَزِنَ حُزْنا شَدِيدا، لأَنَّهُ كانَ غَنِيّا جِدّا. ٢٤فلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذلك مِنْهُ، قَال: مَا أَصْعَب دُخُول الأَغْنِيَاءِ إِلى مَلكوتِ اللهِ! ٢٥فَإِنَّ مُرُورَ جَمَل فِي ثقْب إِبرَة أَسْهَل مِنْ دُخُول غَنِي إِلى مَلكوتِ اللهِ) لوقا١٨: ١٨/ ٢٥.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (١٧وَبيْنَمَا كانَ

خَارِجا إِلى الطَّرِيق، أَسْرَعَ إِليْهِ رَجُل وَجَثا لهُ يَسْأَلهُ: أَيُّهَا المُعَلمُ الصَّالِحُ، مَاذا أَعْمَل لأَرِثَ الحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟ ١٨ولكنَّ يَسُوعَ قَال لهُ: لمَاذا تَدْعُونِي الصَّالِحَ؟ ليْسَ أَحَدٌ صَالحا إِلاَّ وَاحِدٌ، وَهُوَ اللهُ. ١٩أَنْتَ تَعْرِفُ الوَصَايَا: لاَ تَقْتُل؛ لاَ تَزْنِ؛ لاَ تَسْرِقْ؛ لاَ تَشْهَدْ بالزُّور؛ لاَ تَظْلِمْ؛ أَكْرِمْ أَباك وَأُمَّك! ٢٠فَأَجَابَهُ قَائِلا: هَذِهِ كلهَا عَمِلتُ بهَا مُنْذ صِغَرِي ٢١وَإِذ نَظَرَ يَسُوعُ إِليْهِ، أَحَبَهُ، وقَال لهُ: يَنْقُصُك شَيْءٌ وَاحِدٌ: اذهَب، بعْ كل مَا عِنْدَك، وَوَزِّعْ عَلى الفُقَرَاءِ، فَيَكونَ لك كنْزٌ فِي السَّمَاءِ، ثمَّ تَعَال اتْبعْنِي. ٢٢وَأَمَّا هُوَ فَمَضَى حَزِينا وَقَدِ اكتَأَب مِنْ هَذا القَوْل، لأَنَّهُ كانَ صَاحِب ثرْوَة كبيرَ ة.٢٣فَتَطَلعَ يَسُوعُ حَوْلهُ وَقَال لتَلاَمِيذِه: مَا أَصْعَب دُخُول الأَغْنِيَاءِ إِلى مَلكوتِ اللهِ! ٢٤فَدُهِشَ التَّلاَمِيذ لهَذا الكلاَمِ. فَعَادَ يَسُوعُ يَقُول لهُمْ: يَابنِيَّ، مَا أَصْعَب دُخُول المُتَّكلينَ عَلى المَال إِلى مَلكوتِ اللهِ! ٢٥فَأَسْهَل أَنْ يَدْخُل الجَمَل فِي ثقْب إِبرَة، مِنْ أَنْ يَدْخُل الغَنِيُّ إِلى مَلكوتِ اللهِ. ٢٦فَذهِلوا إِلى الغَايَةِ) مرقس١٠: ١٧/٢٦.

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأعراف:٤٠.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٩وَأَخَذ يُكلمُ الشَّعْب بهَذا المَثل: غَرَسَ إِنْسَانٌ كرْما وَسَلمَهُ إِلى مُزَارِعِينَ، وَسَافَرَ مُدَّة طَوِيلة. ١٠وَفِي مَوْسِمِ القِطَافِ أَرْسَل إِلى المُزَارِعِينَ عَبدا، لكيْ يُعْطُوهُ مِنْ ثمَرِ الكرْمِ. وَلكنَّ المُزَارِعِينَ ضَرَبوهُ وَرَدُّوهُ فَارِغَ اليَدَيْن. ١١فعَادَ وَأَرْسَل عَبدا آخرَ. إِلاَّ أَنَّهُمْ ضَرَبوهُ أَيْضا وَأَهَانُوهُ وَرَدُّوهُ فَارِغَ اليَدَيْن. ١٢ثمَّ عَادَ وَأَرْسَل عَبدا ثالثا، فَجَرَّحُوهُ وَطَرَحُوهُ خَارِجَ الكرْمِ. ١٣فقَال رَب

الكرْم: مَاذا أَفْعَل؟ سأُرْسِل ابنِي الحَبيب، لعَلهُمْ يَهابونَهُ! ١٤ولَكنْ مَا إنْ رآهُ المُزَارِعُونَ، حتَّى تَشاوَرُوا فِيما بيْنَهُمْ قَائِلينَ: هَذا هُوَ الوَرِيث. فَلنَقْتُلهُ ليَصِيرَ المِيرَاث لنَا. ١٥فطَرَحُوهُ خَارِجَ الكرْمِ وقَتَلوهُ. فَمَاذا إذنْ يَفْعَل رَب الكرْمِ بهِمْ؟ ١٦ إنَّهُ يَأْتِي ويُهْلك أُولئِك المُزَارِعِينَ، ويُسَلمُ الكرْمَ إلى غَيْرِهِمْ.فَلمَّا سَمِعُوا ذلك، قالوا حَاشَا! ١٧ولَكنَّهُ نَظَرَ إليْهِمْ وقَال: إذنْ مَا مَعْنَى هَذهِ الآيَةِ المَكتُوبةِ: الحَجَرُ الذي رَفَضَهُ البنَاةُ، هُوَ نَفْسُهُ صَارَ حَجرَ الزَّاوِيَةِ؟ ١٨مَنْ يَقَعُ عَلى هَذا الحَجرِ يَتَكسَّرُ، وَمَنْ يَقَعُ الحَجرُ عَليْهِ يَسْحَقُهُ سَحْقا؟ ١٩فَسعَى رُؤَسَاءُ الكهَنَةِ وَالكتَبَةُ إلى إلقَاءِ القَبض عَليْهِ فِي تِلك السَّاعَةِ عَيْنِهَا، ولَكنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْب، فَقَدْ أَدْركوا أَنَّهُ عَنَاهُمْ بهَذا المَثل) لوقا٢٠: ٩/١٩.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى: (٣٣اسْمَعُوا مَثلا آخَرَ: غَرَسَ إنْسَانٌ رَب بيْت كرْما، وأَقَامَ حَوْلهُ سِيَاجا، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَة، وَبنَى فِيهِ برْجَ حِرَاسَة. ثمَّ سَلمَ الكرْمَ إلى مُزَارِعِينَ وَسَافَرَ. ٣٤ولَمَّا حَانَ أَوَانُ القِطَافِ، أَرْسَل عَبيدَهُ إلى المُزَارِعِينَ ليَتَسَلمَ ثمَرَ الكرْمِ. ٣٥فَقَبضَ المُزَارِعُونَ عَلى العَبيدِ، فَضَرَبوا أَحَدَهُمْ، وقَتَلوا غَيْرَهُ، وَرَجَمُوا الآخَرَ بالحِجَارَةِ. ٣٦ثمَّ أَرْسَل رَب البيْتِ ثانِيَة عَبيدا آخَرِينَ أَكثرَ عَدَدا مِنَ الأَوَّلينَ. فَفعَل المُزَارِعُونَ بهَؤُلاَءِ مَا فَعَلوهُ بأُولئِك. ٣٧وَأَخِيرا أَرْسَل إليْهِم ابنَهُ، قَائِلا: سَيَهَابونَ ابنِي! ٣٨فَمَا إنْ رَأَى المُزَارِعُونَ الابنَ حَتَّى قَال بعْضُهُمْ لبعْض: هَذا هُوَ الوَرِيث! تَعَالوْا نَقْتُلهُ فَنَسْتَوْليَ عَلى مِيرَاثِهِ. ٣٩ثمَّ قَبضُوا عَليْهِ، وَطَرَحُوهُ خَارِجَ الكرْمِ، وقَتَلوهُ! ٤٠فَعِنْدَمَا يَعُودُ رَب الكرْمِ، مَاذا يَفْعَل بأُولئِك المُزَارِعِينَ؟ ٤١أَجَابوهُ: أُولئِك الأَشْرَارُ، يُهْلكهُمْ شَرَّ هَلاَك. ثمَّ يُسَلمُ الكرْمَ إلى مُزَارِعِينَ آخَرِينَ يُؤَدُّونَ لهُ الثمَرَ

فِي أَوَانِهِ. ٤٢فَقَال لهُمْ يَسُوعُ: أَلَمْ تَقْرَأُوا فِي الكِتَاب: الحَجَرُ الذي رَفَضَهُ البنَاةُ، هُوَ نَفْسُهُ صَارَ حَجَرَ الزَّاوِيَةِ الأَسَاسِيَّ. مِنَ الرَّب كانَ هَذا، وَهُوَ عَجِيب فِي أَنْظَارِنَا! ٤٣لذلك أَقُول لكمْ: إنَّ مَلكوتَ الله سَيُنْزَعُ مِنْ أَيْدِيكمْ وَيُسلمُ إلى شَعْب يُؤَدِّي ثمَرَهُ. ٤٤فَأَيُّ مَنْ يَقعُ عَلى هَذا الحَجَرِ يَتَكسَّرُ، وَمَنْ يَقعُ الحَجَرُ عَليْهِ يَسْحَقهُ سَحْقا! ٤٥وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الكهَنَةِ وَالفَرِّيسِيُّونَ المَثليْنِ اللذيْنِ ضَرَبهُمَا يَسُوعُ، أَدْرَكوا أَنَّهُ كانَ يَعْنِيهِمْ هُمْ. ٤٦وَمَعَ أَنَّهُمْ كانُوا يَسْعَوْنَ إلى القَبْضِ عَليْهِ، فَقَدْ كانُوا خَائِفِينَ مِنَ الجُمُوعِ لأَنَّهُمْ كانُوا يَعْتَبِرُونَهُ نَبيًّا) متى٢١: ٣٣/٤٦.

وورد في الكتاب المقدس قوله: (وَأَخَذ يُخَاطِبُهُمْ بأَمْثال، فَقَال: غَرَسَ إنْسَانٌ كرْما، وَأَقَامَ حَوْلهُ سِيَاجا، وَحَفَرَ فِيهِ حَوْضَ مَعْصَرَة، وَبَنَى فِيهِ برْجَ حِرَاسَة. ثمَّ سَلمَ الكرْمَ إلى مُزَارِعِينَ، وَسَافَرَ. ٢وَفِي الأَوَان، أَرْسَل إلى المُزَارِعِينَ عَبدا ليَتَسَلمَ مِنْهُمْ حِصَّتَهُ مِنْ ثمَرِ الكرْمِ. ٣إلاَّ أَنَّهُمْ أَمْسَكوهُ وَضَرَبوهُ وَرَدُّوهُ فَارِغَ اليَدَيْنِ. ٤فَعَادَ وَأَرْسَل إليْهِمْ عَبدا آخرَ، فَشَجُّوا رَأْسَهُ وَرَدُّوهُ مُهَانا. ٥ثمَّ أَرْسَل آخرَ أَيْضا فقَتَلوهُ. ثمَّ أَرْسَل آخرِينَ كثيرِينَ، فَضَرَبوا بعْضا وَقَتَلوا بعْضا. ٦وَإذ كانَ لهُ بعْدُ ابنٌ وَحِيدٌ حَبيب، أَرْسَلهُ أَيْضا إليْهِمْ أَخِيرا، قَائِلا: إنَّهُمْ سَيَهَابونَ ابنِي! ٧وَلكنَّ أُولئِك المُزَارِعِينَ قَالوا بعْضُهُمْ لبعْض: هَذا هُوَ الوَرِيث؛ تَعَالوْا نَقْتُلهُ فَنَحْصُل عَلى المِيرَاث! ٨فَأَمْسَكوهُ وَقَتَلوهُ وَطَرَحُوهُ خَارِجَ الكرْمِ. ٩فَمَاذا يَفْعَل رَب الكرْمِ؟ إنَّهُ يَأْتِي وَيُهْلك المُزَارِعِينَ، وَيُسَلمُ الكرْمَ إلى غَيْرِهِمْ. ١٠أَفَمَا قَرَأْتُمْ هَذِهِ الآيَةَ المَكتُوبةَ: الحَجَرُ الذي رَفَضَهُ البنَاةُ، هُوَ نَفْسُهُ صَارَ حَجَرَ الزَّاوِيَةِ. ١١مِنَ الرَّب كانَ هَذا، وَهُوَ عَجِيب فِي أَنْظَارِنَا! ١٢فَسَعَوْا إلى القَبْضِ عَليْهِ، وَلكنَّهُمْ خَافُوا الجَمْعَ، لأَنَّهُمْ

أَدْرَكوا أَنَّهُ كانَ يَعْنِيهِمْ بهَذا المَثل. فَتَرَكوهُ وَانْصَرَفُوا) مرقس ١٢: ١/١٢.

ورد في السنة النبوية أَنَّ النبي ﷺ قَال: (إنَّ مَثلي وَمَثل الأَنْبيَاءِ مِنْ قَبلي كمَثل رَجُل بنَى بيْتا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلهُ إلا مَوْضِعَ لبنَة مِنْ زَاويَة، فَجَعَل النَّاسُ يَطُوفُونَ بهِ وَيَعْجَبونَ لهُ، وَيَقُولونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذهِ اللبنَةُ ؟ قَال: فَأَنَا اللبنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبيِّينَ) [(١)].

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (ثمَّ أَخَذ يُعَلمُ ثانِيَة عِنْدَ شَاطِيءِ البحَيْرَةِ، وَقَدِ احْتَشَدَ حَوْلهُ جَمْعٌ كبيرٌ، حَتَّى إنَّهُ صَعِدَ إلى القَارب وَجَلسَ فِيهِ فَوْقَ المَاءِ، فِيمَا كانَ الجَمْعُ كلهُ عَلى شَاطِيءِ البحَيْرَةِ.٢فَعَلمَهُمْ أُمُورا كثيرَة بالأَمْثال. وَمِمَّا قَالهُ لهُمْ فِي تَعْليمِهِ: ٣اِسْمَعُوا! هَا إنَّ الزَّارِعَ قَدْ خرَجَ ليَزْرَعَ. ٤وَبيْنَمَا هُوَ يَزْرَعُ، وَقَعَ بعْضُ البذارِ عَلى المَمَرَّاتِ، فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَالتَهَمَتْهُ. ٥وَوَقَعَ بعْضُهُ عَلى أَرْض صَخْرِيَّة رَقِيقَةِ التُّرْبةِ، فَنَمَا سَريعا لأَنَّ تُرْبَتَهُ لَمْ تَكنْ عَمِيقَة. ٦وَلكنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، احْتَرَ قَ وَيَبسَ لأَنَّهُ كانَ بلاَ أَصْل. ٧وَوَقَعَ بعْضُ البذارِ بيْنَ الأَشْوَاك، فَنَبتَ الشَّوْك وَخَنَقَهُ، فَلمْ يُثمِرْ. ٨وَبعْضُ البذارِ وَقَعَ فِي الأَرْضِ الجَيِّدَةِ، فَنَبتَ وَنَمَا وَأَثمَرَ، فَأَعْطَى بعْضُهُ ثلاَثينَ ضِعْفا، وَبعْضُهُ سِتِّينَ، وَبعْضُهُ مِئَة. ٩ثمَّ قَال: مَنْ لهُ أُذنَانِ للسَّمْعِ، فَليَسْمَع) مرقس٤: ٩/١.

وورد في الكتاب المقدس عند النصارى: (١٣وَقَال لهُمْ: أَلمْ تَفهَمُوا هَذا المَثل؟ فَكيْفَ تَفْهَمُونَ جَمِيعَ الأَمْثال الأُخْرَى؟ ١٤إنَّ الزَّارِعَ يَزْرَعُ

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ١٣٠٠/٣ (٣٣٤٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين ١٧٩٠/٤ (٢٢٨٦).

كلمةَ اللهِ. ١٥وَهَؤُلاَءِ الذينَ عَلى المَمرَّاتِ حَيْث تُزْرَعُ الكلمَةُ، هُمُ الذينَ حَالَمَا يَسْمَعُونَ يَأْتِي الشَّيْطَانُ وَيَخْطَفُ الكلمَةَ التِي زُرِعَتْ فِيهِمْ. ١٦وَكذلك هؤُلاَءِ الذينَ تُزْرَعُ فِيهِم الكلمَةُ عَلى أَرْض صَخْرِيَّة، وَهُمُ الذينَ حَالَمَا يَسْمَعُونَ الكلمَةَ يَقْبَلونَهَا بفرَح، ١٧وَلاَ أَصْل لَهُمْ فِي ذوَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا هُمْ إلى حِين. فَحَالَمَا يَحْدُث ضِيقٌ أَو اضْطِهَادٌ مِنْ أَجْل الكلمَةِ، يَتَعَثرُونَ. ١٨وَالآخَرُونَ الذينَ تُزْرَعُ فِيهِم الكَلمَةُ بيْنَ الأَشْوَاك، هَؤُلاَءِ هُمُ الذينَ قَدْ سَمِعُوا الكلمَةَ، ١٩وَلكنَّ هُمُومَ الزَّمَان الحَاضِرِ وَخِدَاعَ الغِنَى وَاشْتِهَاءَ الأُمُورِ الأُخْرَى، تَدْخُل إليْهِمْ وَتَخْنُقُ الكلمَةَ، فَتَصِيرُ بلاَ ثمَر. ٢٠وَأَمَّا الذينَ تُزْرَعُ فِيهِم الكلمَةُ فِي الأَرْضِ الجَيِّدَةِ، فَهَؤُلاَءِ هُمُ الذينَ يَسْمَعُونَ الكلمَةَ وَيَقْبَلونَهَا فَيُثمِرُونَ، بعْضُهُمْ ثلاَثين ضِعْفا وَبعْضُهُمْ سِتِّينَ، وَبعْضُهُمْ مِئَة) مرقس٤: ١٣/ ٢٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ البقرة: ٢٦٥/٢٦٦.

ورد في السنة النبوية قال النبي ﷺ: (مَثل مَا بعَثنِي اللهُ بهِ مِنْ الهُدَى وَالعِلمِ كمَثل الغَيْث الكثير، أَصَاب أَرْضا، فكانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبلتْ المَاءَ فَأَنْبَتَتْ الكلأَ وَالعُشْب الكثيرَ، وَكانَتْ مِنْهَا أَجَادِب أَمْسَكتْ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بهَا النَّاسَ، فَشَرِبوا وَسَقَوْا وَزرَعُوا، وَأَصَابتْ مِنْهَا طَائِفَة أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِك مَاء وَلا تُنْبتُ كلأً، فَذلك مَثل مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ

وَنَفَعَهُ مَا بعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَل مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذلك رَأْساً، وَلَمْ يَقْبَل هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلتُ بِهِ) [1].

ورد في الكتاب المقدس قوله: (فَإِنَّ مَلَكوتَ السَّمَاوَاتِ يُشبَهُ بإِنْسَان رَب بيْت خَرَجَ فِي الصَّبَاحِ الباكِرِ لِيَسْتَأْجِرَ عُمَّالا لكرْمِهِ، ٢واتَّفَقَ مَعَ العُمَّال عَلَى أَنْ يَدْفَعَ لكل مِنْهُمْ دِينَارا فِي اليَوْمِ، وَأَرْسَلهُمْ إِلى كرْمِهِ. ٣ثمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَبَاحا، فَلقِيَ فِي سَاحَةِ المَدِينَةِ عُمَّالا آخَرِينَ بلاَ عَمَل، ٤فقَال لَهُمْ: اذهَبوا أَنْتُمْ أَيْضا وَاعْمَلوا فِي كرْمِي فَأُعْطِيَكمْ مَا يَحِقُّ لكمْ! فَذهَبوا. ٥ثمَّ خَرَجَ إِلى السَّاحَةِ أَيْضا نَحْوَ السَّاعَةِ الثانِيَةَ عَشْرَةَ ظُهْرا. ثمَّ نَحْوَ الثالثةِ بعْدَ الظُّهْرِ، أَرْسَل مَزِيدا مِنَ العُمَّال إِلى كرْمِهِ. ٦وَنَحْوَ السَّاعَةِ الخَامِسَةِ بعْدَ الظُّهْرِ، خَرَجَ أَيْضا فَلقِيَ عُمَّالا آخَرِينَ بلاَ عَمَل، فَسَأَلهُمْ: لِمَاذا تَقِفُونَ هُنَا طُول النَّهَارِ بلاَ عَمَل؟ ٧أَجَابوهُ: لأَنَّهُ لمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدٌ. فَقَال: اذهَبوا أَنْتُمْ أَيْضا إِلى كرْمِي! ٨وَعِنْدَمَا حَل المَسَاءُ، قَال رَب الكرْمِ لوَكيلِهِ: ادْعُ العُمَّال وَادْفَعِ الأُجْرَةَ مُبْتَدِئا بالآخِرِينَ وَمُنْتَهِيا إِلى الأَوَّلينَ. ٩فَجَاءَ الذينَ عَمِلوا مِنَ السَّاعَةِ الخَامِسَةِ وَأَخَذَ كل مِنْهُمْ دِينَارا. ١٠فلمَّا جَاءَ الأَوَّلونَ، ظَنُّوا أَنَّهُمْ سَيَأْخُذونَ أَكثرَ. وَلكنَّ كل وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَال دِينَارا وَاحِدا. ١١وَفِيمَا هُمْ يَقْبضُونَ الدِّينَارَ، تَذمَّرُوا عَلى رَب البيْتِ، ١٢قَائِلينَ: هَؤُلاَءِ الآخِرُونَ عَمِلوا سَاعَة وَاحِدَة فَقَطْ، وَأَنْتَ قَدْ سَاوَيْتَهُمْ بنَا نَحْنُ الذينَ عَمِلنَا طُول النَّهَارِ تَحْتَ حَرِّ الشَّمْسِ! ١٣فَأَجَاب وَاحِدا مِنْهُمْ: يَاصَاحِبي، أَنَا مَا ظَلمْتُك؛ أَلمْ تَتَّفِقْ مَعِي عَلى دِينَار؟ ١٤خُذ مَا هُوَ لك وَامْضِ فِي

(١) البخاري في العلم، باب فضل من علم وعلم ٤٢/١ (٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبى من الهدى والعلم ١٧٨٧/٤ (٢٢٨٢).

سَبيلك: فَأَنَا أُريدُ أَنْ أُعْطِيَ هَذا الأَخِيرَ مِثلك. ١٥أَمَا يَحِقُّ لي أَنْ أَتَصرَّفَ بمَالي كمَا أُريدُ؟ أَمْ أَنَّ عَيْنَك شِرِّيرَةٌ لأَنَّنِي أَنَا صَالِحٌ؟ ١٦فَهَكذا يَصِيرُ الآخِرُونَ أَوَّلين، وَالأَوَّلونَ آخِرين) متى٢٠: ١/ ١٦.

ورد في السنة النبوية من حديث أَبي هُرَيْرَة ﷺ أن النَّبيِّ ﷺ قَال: (نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّل مَنْ يَدْخُل الجَنَّةَ، بيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَاب مِنْ قَبلنَا وَأُوتينَاهُ مِنْ بعْدِهِمْ، فَاختَلفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ) (١).

ومن حديث ابن عمر ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُول: (إِنَّمَا بقَاؤُكمْ فِيمَا سَلفَ قَبلكمْ مِنَ الأُمَمِ، كمَا بيْنَ صَلاةِ العَصْرِ إِلى غُرُوب الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْل التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ، فَعَمِلوا حَتَّى إِذا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطا قِيرَاطا، ثمَّ أُوتِيَ أَهْل الإِنْجِيل الإِنْجِيل فَعَمِلوا إِلى صَلاةِ العَصْرِ ثمَّ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطا قِيرَاطا ثمَّ أُوتِينَا القُرْآنَ، فَعَمِلنَا إِلى غُرُوب الشَّمْسِ فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَقَال أَهْل الكِتَابيْنِ: أَيْ رَبنَا أَعْطَيْتَ هَؤُلاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطا قِيرَاطا، وَنَحْنُ كنَّا أَكثرَ عَمَلا قَال اللهُ ﷻ: هَل ظَلمْتُكمْ مِنْ أَجْرِكمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالوا: لا قَال: فَهُوَ فَضْلي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ) (٢).

- الدعاء والاستجابة وإن الله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٧اِسْأَلوا، تُعْطَوْا.

---

(١) مسلم في كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ٢/٥٨٥ (٨٥٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب ١/٢٠٤ (٥٣٢).

أُطْلبوا، تَجِدُوا. اِقْرَعُوا، يُفْتَحْ لكمْ. ٨فكل مَنْ يَسْأَل، يَنَل؛ وَمَنْ يَطْلب، يَجِدْ؛ وَمَنْ يَقْرَعْ، يُفْتَحْ لهُ. ٩وَإلاَّ، فَأَيُّ إِنْسَان مِنْكمْ يَطْلب مِنْهُ ابنُهُ خبُزا، فَيُعْطِيهِ حَجَرا، ١٠أَوْ سَمَكَة، فَيُعْطِيهِ حَيَّةً؟ ١١فَإنْ كنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ، تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكمْ عَطَايَا جَيِّدَة، فَكمْ بالأَحْرَى جِدّاً يُعْطِي أَبوكمُ السَّمَاوِيُّ عَطَايَا جَيِّدَة للذينَ يَطْلبونَ مِنْهُ؟ ١٢إذنْ، كل مَا تُرِيدُونَ أَنْ يُعَامِلكمُ النَّاسُ بهِ، فَعَامِلوهُمْ أَنْتُمْ بهِ أَيْضا: هَذهِ خُلاَصَةُ تَعْليمِ الشَّرِيعَةِ وَالأَنْبياءِ) متى ٧: ١٢/٧.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾ غافر: ٦٠.

ورد في السنة النبوية أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال: (مَا مِنْ مُسْلم يَدْعُو بدَعْوَة، ليْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِم، إلا أَعْطَاهُ اللهُ بهَا إحْدَى ثلاث، إمَّا أَنْ تُعَجَّل لهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لهُ فِي الآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلهَا، قَالوا: إِذا نُكثِرُ ؟ قَال: اللهُ أَكثرُ)[1].

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى في بيان أن الله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قوله: (١٦فَإِنْ كنْتَ مِنْ أُولي الفَهْمِ، فَاسْتَمِعْ إِلى هَذا، وَأَنْصِتْ لَمَا أَقُول: ١٧أَيُمْكنُ لُمبغِضِ العَدْل أَنْ يَحْكمَ؟ أَتَدِينُ البَارَّ القَدِيرَ؟ ١٨الذي يَقُول للمَلك: أَنْتَ عَدِيمُ القِيمَةِ، وَللنُّبلاَءِ: أَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟ ١٩الذي لاَ يُحَابي الأُمَرَاءَ، وَلاَ يُؤْثِرُ الأَغْنِيَاءَ عَلى الفُقَرَاءِ، لأَنَّهُمْ جَمِيعا عَمَل يَدَيْهِ. ٢٠فِي لحْظَة يَمُوتُونَ، تُفَاجِئُهُمُ المَنِيَّةُ فِي مُنْتَصَفِ الليْل، تَتَزَعْزَعُ الشُّعُوب فَيَفْنَوْنَ، وَيُسْتَأْصَل الأَعِزَّاءُ مِنْ غَيْرِ عَوْن بشَرِي،

(١) رواه أحمد في المسند ١٨/٣ (١١١٤٩) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

٢١لأنَّ عَيْنَيْهِ عَلى طُرُق الإِنْسَان وَهُوَ يُرَاقِب خطَواتِهِ. ٢٢لاَ تُوجَدُ ظُلمَةٌ، ولاَ ظِل موْت، يَتَوَارَى فِيهِمَا فَاعِلو الإثمِ، ٢٣لأَنَّهُ لاَ يَحْتَاجُ أَنْ يَفْحَصَ الإِنْسَانَ مَرَّة أُخْرَى حَتَّى يَدْعُوهُ للمُثول أَمَامَهُ فِي مُحاكمَة. ٢٤يُحَطِّمُ الأَعِزَّاءَ مِنْ غَيْر إجْرَاءِ تَحْقِيق، ويُقِيمُ آخَرين مَكانَهُمْ ٢٥لذلك هُوَ مُطَّلعٌ عَلى أَعْمَالِهِمْ، فَيُطِيحُ بهِمْ فِي اللَيْل فَيُسْحَقُونَ. ٢٦يَضْرِبهُمْ لشَرِّهِمْ عَلَى مَرْأَى مِنَ النَّاس، ٢٧لأَنَّهُمُ انْحَرَفُوا عَنِ اتِّباعِهِ، وَلَمْ يَتَأَمَّلوا فِي طُرُقِهِ، ٢٨فكانُوا سَببا فِي ارْتِفاعِ صُرَاخِ البائِسِ إِلَيْهِ، وَاللهُ يَسْتَجِيب اسْتِغَاثَةَ المِسْكين. ٢٩فَإِنْ هَيْمَنَ بسَكِينَتِهِ فَمَنْ يَدِينُهُ، وَإِنْ وَارَى وَجْهَهُ فَمَنْ يُعَايِنُهُ، سَوَاءٌ أَكانُوا شَعْبا أَمْ فَرْدا ٣٠لكيْ لاَ يَسُودَ الفَاجِرُ، لئَلاَّ تَعْثرَ الأُمَّةُ) أيوب٣٤: ١٦/ ٣٠.

وقال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٢١/ ٢٩. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٣/ ٣٥. وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الأنبياء:١١/٢٠.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ المائدة:١٧.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ الفجر: ١٥/٢٠. وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ النساء:٧٨.

وقال رسول اللّهِ ﷺ: (إنَّ اللّهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكمْ وَأَمْوالكمْ، وَلكنْ يَنْظُرُ إلى قُلوبكمْ وَأَعْمَالكمْ) (١).

وعن جابر ﷺ قال: (خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٤/١٩٨٧ (٢٥٦٤).

خطبة الوداع فقال: يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فليبلغ الشاهد) [1].

• ما ورد من النصوص الكتابية في إن الرقي والتمائم والتولة شرك.

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٩إذا جئتُمُ الأرضَ التي يُعطيكمُ الرّب إلهُكم، فلا تتعَلموا أنْ تُمارسوا ما تُمارسُهُ الأُمَمُ مِنَ الرَّجاساتِ. ١٠لا يكنْ فيما بينكم مَنْ يَحرُقُ ابنَهُ أو ابنَتَهُ ذبيحة في النَّار، ولا مَنْ يتَعاطى العَرافةَ، ولا الشُّذوذ، ولا الفَأل ولا السِّحرَ، ١١ولا مَنْ يَرقي رقِية، ولا مَنْ يَسأل جانًا أو تابعة، ولا مَنْ يستَشيرُ أرواحَ الموتى ١٢هذهِ كلها رِجسٌ عِندَ الرّب إلهِكم وبسَببها سيَطرُدُ أولئِك الأُمَمَ مِنْ أمامِكم. ١٣كونوا كامِلينَ عِندَ الرّب إلهِكم. ١٤فأولئِك الأُمَمُ الذينَ تمتَلكونَ أرضَهُم يسمَعونَ للمُشعَوذينَ والعَرَّافينَ، وأمَّا أنتُم فلا يُجيزُ لكمُ الرّب إلهُكم مِثل ذلك.١٥يُقيمُ لكم الرّب إلهُكم نبيًا مِنْ بينِكم، مِنْ إخوَتِكم بني قومِكم مِثلي، فاسمَعوا لهُ) التثنية ٩:١٨/١٥.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾ الأنعام: ١٥١.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٤/٢٨٩ (٥١٣٧)، وقال الألباني: صحيح لغيره، انظر صحيح الترغيب والترهيب ٣/٧٩ (٢٩٦٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ الإسراء:٣١. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ النحل: ٢٢/١٩.

وورد في السنة النبوية قول رسول الله ﷺ: (حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بالسَّيْفِ) روي موقوفا على جندب بن عبد الله رضي الله عنه [(١)].

وقال رسول الله ﷺ: (من وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَل عَمَل قَوْمِ لوط فَاقْتُلوا الفَاعِل وَالمَفْعُول بِهِ) [(٢)]. وقال مُعَاوِيَة بن الحكم السُّلَمِيِّ: (قلت: يا رَسُول اللهِ، أُمُورا كنا نَصْنَعُهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، كنا نَأْتِي الكهَّانَ، قال: فلا تَأْتُوا الكهَّانَ، قال قلت: كنا نَتَطَيَّرُ، قال: ذاك شَيْءٌ يَجِدُهُ أحدكم في نَفْسِهِ فلا يَصُدَّنَّكمْ) [(٣)].

وقال النبي ﷺ: (من أتى عرافا، أو كاهنا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد) [(٤)].

قال النبي ﷺ: (من أتى كاهنا فصدقه بما يقول، أو أتى امرأة

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر ٦٠/٤ (١٤٦٠)، وضعفه الألباني، انظر السلسلة الضعيفة (١٤٤٦).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط ١٥٨/٤ (٤٤٦٢)، وصححه الألباني، انظر إرواء الغليل (٢٣٥٠).

(٣) مسلم في السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ١٧٤٨/٤ (٥٣٧).

(٤) رواه أحمد ٤٢٩/٢ (٩٥٣٢) وقال شعيب: حسن.

حائضا، أو أتى امرأة في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد) [(١)].

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ) [(٢)]. والتمائم شيء يعلق على بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين. والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبتِ) [(٣)]. العِيَافَةُ زَجْرُ الطَّيْرِ عن الإقدام على الفعل، وَالطَّرْقُ الخَطُّ يُخَطُّ في الأَرْضِ والضرب بالودع وَالجِبتُ الشيطان.

وقال زَيْد بن خَالد الجُهَنِيِّ: (صلى لنا رسول اللهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بالحُدَيْبِيَةِ في إِثرِ سَمَاء كانت من الليْل، فلما انْصرَفَ أَقْبل على الناس فقال: هل تَدْرُونَ مَاذا قال رَبكمْ؟ قالوا: اللهُ وَرَسُولهُ أَعْلمُ، قال: قال أَصْبحَ من عِبادِي مُؤْمِنٌ بي وَكافِرٌ، فَأَمَّا من قال: مُطِرْنَا بفَضْل اللهِ وَبرَحْمَتهِ، فَذلك مُؤْمِنٌ بي كافِرٌ بالكوْكب، وَأَمَّا من قال:مُطِرْنَا بنَوْءِ كذا وَكذا، فَذلك كافِرٌ بي مُؤْمِنٌ بالكوْكب) [(٤)].

وقال النبي ﷺ: (عُرِضَتْ عَليَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النبي وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ،

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الطب، باب في الكاهن ٤/١٥ (٣٩٠٤)، وصححه الألباني، انظر مشكاة المصابيح ٢/٥٤١ (٤٥٩٩).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الطب، باب في تعليق التمائم ٤/٩ (٣٨٨٣)، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٣٣١)، (٢٩٧٢).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير ٤/١٦ (٣٩٠٧)، وضعفه الألباني، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (١٧٩٤).

(٤) البخاري في صفة الصلاة، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ١/٢٩٠ (٨١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ١/٨٣ (٧١).

وَالنَّبيَّ وَمَعَهُ الرَّجُل وَالرَّجُلان، وَالنَّبيَّ ليس معه أَحَدٌ، إذ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيل لي:هذا مُوسَى ﷺ وقَوْمُهُ، وَلكنْ انْظُرْ إلى الأُفُق، فَنَظَرْتُ فإذا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيل لي: انْظُرْ إلى الأُفُق الآخَر، فإذا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيل لي: هذه أُمَّتُك، وَمَعَهُمْ سَبعُونَ أَلفا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بغَيْرِ حِسَاب ولا عَذاب، ثمَّ نَهَضَ فَدَخَل مَنْزِلهُ، فَخَاضَ الناس في أُولئِك الذينَ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بغَيْرِ حِسَاب ولا عَذاب، فقال بعْضُهُمْ: فَلعَلهُمْ الذينَ صَحِبوا رَسُول اللهِ ﷺ، وقال بعْضُهُمْ: فَلعَلهُمْ الذينَ وُلدُوا في الإِسْلامِ ولم يُشْرِكوا باللهِ، وَذَكرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عليهم رسول اللهِ ﷺ فقال: ما الذي تَخُوضُونَ فيه؟ فَأَخبَرُوهُ، فقال: هُمْ الذينَ لا يَرْقُونَ، ولا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَتَطيَّرُونَ، وَعَلى رَبهِمْ يَتَوَكلونَ، فَقَامَ عُكاشَةُ بن مِحْصَن فقال: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلنِي منهم، فقال: أنت منهم، ثمَّ قام رَجُل آخَرُ فقال: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلنِي منهم، فقال: سَبقَك بها عُكاشَةُ) [(١)].

- **وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون.**

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى قوله: (٥إنَّهُمْ يَتَنَاسُونَ، عَمْدا أَنَّهُ بكلمَةِ أَمْر مِنَ اللهِ وُجِدَتِ السَّمَاوَاتُ مُنْذ القَدِيمِ وَتَكوَّنَتِ الأَرْضُ مِنَ المَاءِ وَبالمَاءِ. ٦وَبكلمَة مِنْهُ أَيْضا دُمِّرَ العَالمُ الذي كانَ مَوْجُودا فِي ذلك الزَّمَان، إذ فَاضَ المَاءُ عَليْهِ. ٧أَمَّا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ الحَاليَّةُ، فَستَبقَى مَخْزُونَة وَمَحفُوظَة للنَّارِ بتِلك الكلمَةِ عَيْنِهَا إلى يَوْمِ الدَّيْنُونَةِ

(١) رواه البخاري في كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو ٥/٢١٥٧ (٥٣٧٨)، ومسلم واللفظ له في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ١/١٩٩(٢٢٠).

وَهَلاَك الفَاجِرِينَ!) بطْرُسَ الثانِيَةُ ٣: ٥/٧.

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ الأنعام: ٧٣. وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ النحل: ٣٨/ ٤٠.

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يس: ٧٧/ ٨٣.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى أن ما عند الله كألف سنة مما تعدون كما في قوله الكاتب: (٨وَلكنْ، أَيُّهَا الأَحِباءُ، عَلَيْكمْ أَلاَّ تَنْسَوْا هَذهِ الحَقِيقَةَ: أَنَّ يَوْما وَاحِدا فِي نَظَرِ الرب هُوَ كَألفِ سَنَة، وَأَلفَ سَنَة كيَوْمٍ وَاحِد. ٩فَالرب، إذنْ، لاَ يُبطِيءُ فِي إتْمَام وَعْدِهِ، كمَا يَظُنُّ بعْضُ النَّاسِ، وَلكنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْكمْ، فَهُوَ لاَ يُرِيدُ لأَحَد مِنَ النَّاس أَنْ يَهْلك، بل يُرِيدُ لِجَمِيعِ النَّاسِ أَنْ يَرْجِعُوا إليْهِ تَائِبِينَ. ١٠إلاَّ أَنَّ يَوْمَ الرب سَيَأْتِي كمَا يَأْتِي اللصُّ فِي الليْل. فِي ذلك اليَوْمِ، تَزُول السَّمَاوَاتُ مُحْدِثة دَوِيّا هَائِلا وَتَنْحَل العَنَاصِرُ مُحْتَرِقَة بنَار شَدِيدَة،

وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ مُنْجَزَات. ١١وَمَادَامَتْ هَذِهِ الأَشْيَاءُ جَمِيعاً سَتَنْحَل، فَكَيْفَ يَجِب أَنْ تَكونُوا أَنْتُمْ أَصْحَاب سُلوك مُقَدَّس يَتَّصِفُ بالتَّقْوَى، ١٢مُنْتَظِرينَ يَوْمَ اللهِ الأَبديَّ وَطَالبينَ حُلوله بسُرْعَة. فَفِي ذلك اليَوْم، تَنْحَل السَّمَاوَاتُ مُلتَهبة، وتَذوب العَنَاصِرُ مُحْتَرِقَة. ١٣إلاَّ أَنَّنا، وَفْقا لوَعْدِ الرب، نَنْتَظِرُ سَمَاوَات جَدِيدَة وَأَرْضا جَدِيدَة، حَيْثُ يَسْكنُ البرُّ) بطْرُسَ الثانِيَةُ ٨:٣/١٣.

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ السجدة: ٤/١٢.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الحديد: ٤. وقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحج: ٤٧. وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى

سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ السجدة:٤/٥.

• **مواطن كثيرة في الكتاب المقدس تقطع بصدق الوحي الإسلامي.**

ورد في الكتاب المقدس قوله: (٨وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِسْرَائِيل عَبدِي، يَا يَعْقُوب الذي اخترْتُهُ، نَسْل إبراهِيمَ خَليلي، ٩الذي أَمْسَكتُهُ مِنْ أَطْرَافِ الأَرْضِ، وَمِنْ أَقْطَارِهَا دَعَوْتُهُ، وَقُلتُ لك: أَنْتَ عَبدِيَ. اخترْتُك وَلَمْ أَرْفُضْك) إشعياء ٤١: ٨/١٦.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ النساء:١٢٥. وورد في السنة قول النبي ﷺ: (لو كنت مُتَّخِذا خَليلا لاتَّخَذتُ أَبا بكر خَليلا وَلَكنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وقد اتَّخَذَ الله ﷻ صَاحِبكمْ خليلا) [(١)] .

ورد في الكتاب المقدس قوله: (١بارِكي يَا نَفْسِي الرَّب، وَكل مَا فِي باطِنِي لِيُبارك اسْمَهُ القُدُّوسَ. ٢بارِكي يَا نَفْسِي الرَّب، وَلاَ تَنْسَيْ كل حَسَنَاتِهِ. ٣الذي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذنُوبك. الذي يَشْفِي كل أَمْرَاضِك. ٤الذي يَفْدِي مِنَ الحُفْرَةِ حَيَاتَك. الذي يُكللك بالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ. ٥الذي يُشْبعُ بالخَيْرِ عُمْرَك، فَيَتَجَدَّدُ مِثل النَّسْرِ شَبَابك. ٦الرَّب مُجْرِي العَدْل وَالقَضَاءِ لجَمِيعِ المَظْلومِينَ. ٧عَرَّفَ مُوسَى طُرُقَهُ، وَبَنِي إِسْرَائِيل أَفْعَالهُ. ٨الرَّب رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، طَوِيل الرُّوحِ وَكثِيرُ الرَّحْمَةِ. ٩لاَ يُحَاكمُ إِلى الأَبدِ، وَلاَ يَحْقِدُ إِلى الدَّهْرِ. ١٠لمْ يَصْنَعْ مَعَنَا حَسَب خَطَايَانَا، وَلَمْ يُجَازِنَا حَسَب

(١) مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبى بكر ٤/١٨٥٥ (٢٣٨٣).

آثامِنَا. [١١]لأنَّهُ مِثل ارْتِفَاعِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الأَرْضِ قَوِيَتْ رَحْمَتُهُ عَلى خَائِفِيهِ. [١٢]كبعْدِ المَشْرق مِنَ المَغْرب أَبعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا. [١٣]كمَا يَتَرَأَفُ الأَب عَلى البنِينَ يَتَرَأَفُ الرَّب عَلى خَائِفِيهِ. [١٤]لأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبلتَنَا. يَذكرُ أَنَّنَا تُرَاب نَحْنُ. [١٥]الإِنْسَانُ مِثل العُشْب أَيَّامُهُ. كزَهَرِ الحَقْل كذلك يُزْهِرُ. [١٦]لأَنَّ رِيحا تَعْبرُ عَلَيْهِ فَلاَ يَكونُ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مَوْضِعُهُ بعْدُ. [١٧]أَمَّا رَحْمَةُ الرَّب فَإِلَى الدَّهْرِ وَالأَبدِ عَلى خَائِفِيهِ، وَعَدْلُهُ عَلى بنِي البنِينَ، [١٨]لحَافِظِي عَهْدِهِ وَذاكرِي وَصَايَاهُ لِيَعْمَلوهَا. [١٩]الرَّب فِي السَّمَاوَاتِ ثبتَ كرْسِيَّهُ، وَمَمْلكتُهُ عَلى الكل تَسُودُ. [٢٠]باركوا الرَّب يَا مَلاَئِكتَهُ المُقْتَدِرين قُوَّة، الفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كلاَمِهِ. [٢١]باركوا الرَّب يَا جَمِيعَ جُنُودِهِ، خُدَّامَهُ العَامِلِينَ مَرْضَاتَهُ. [٢٢]باركوا الرَّب يَا جَمِيعَ أَعْمَالهِ، فِي كل مَوَاضِعِ سُلطَانِهِ. باركي يَا نَفْسِيَ الرَّب) مزمور ١٠٣: ١/ ٢٢.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ الزمر: ٥٢ /٦١. وقال

تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ الكهف: ٤٥.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يونس: ٢٤.

وورد في السنة النبوية عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ كان يقول: (اللهم إني أَعُوذ بك من الكسَل، والهَرَم والمَغْرَمِ والمَأْثمِ، اللهم إني أَعُوذ بك من عَذاب النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّار، وفِتْنَةِ القَبرِ وعَذاب القَبر، وَشَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّال، اللهم اغْسِلِ خَطَايَايَ بمَاءِ الثلجِ والبرَدِ، ونَقِّ قَلبي من الخَطَايَا كما يُنَقَّى الثوْب الأَبيَضُ من الدَّنَسِ، وَباعِدْ بيْنِي وَبيْنَ خَطَايَايَ كما باعَدْتَ بين المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ) [(١)].

ورد في الكتاب المقدس في بيان أن لكل أجل كتاب وكل شيء عند الله بمقدار قوله: (١لكل شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلكل أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتٌ: ٢للوِلاَدَةِ وَقْتٌ وَللمَوْتِ وَقْتٌ. للغَرْسِ وَقْتٌ ولَقلعِ المَغْرُوسِ وَقْتٌ. ٣للقَتْلِ وَقْتٌ وَللشِّفَاءِ وَقْتٌ. للهَدْمِ وَقْتٌ وَللبنَاءِ وَقْتٌ. ٤للبكاءِ وَقْتٌ وَللضَّحْك وَقْتٌ. للنَّوْحِ وَقْتٌ وَللرَّقْصِ وَقْتٌ. ٥لتَفْرِيقِ الحِجَارَةِ وَقْتٌ وَلجَمْعِ الحِجَارَةِ وَقْتٌ. للمُعَانَقَةِ وَقْتٌ وَللانْفِصَال عَنِ المُعَانَقَةِ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من أرذل العمر ومن فتنة الدنيا وفتنة النار ٥/٢٣٤٤ (٦٠١٤).

وَقْتٌ. ٦للكسْب وَقْتٌ وَللخَسَارَةِ وَقْتٌ. للصِّيَانَةِ وَقْتٌ وَللطَّرْحِ وَقْتٌ. ٧للتَّمْزِيقِ وَقْتٌ وَللتَّخْيِيطِ وَقْتٌ. للسُّكوتِ وَقْتٌ وَللتَّكلمِ وَقْتٌ. ٨للحُبِ وَقْتٌ وَللبغْضَةِ وَقْتٌ. للحَرْب وَقْتٌ وَللصُّلحِ وَقْتٌ. ٩فَأَيُّ مَنْفَعَة لَمَنْ يَتْعَب مِمَّا يَتْعَب بهِ؟ ١٠قَدْ رَأَيْتُ الشُّغْل الذي أَعْطَاهُ اللهُ بنِي البشَرِ لِيَشْتَغِلوا بهِ. ١١صَنَعَ الكل حَسَنا فِي وَقْتِهِ، وَأَيْضا جَعَل الأَبدِيَّةَ فِي قَلبهِمِ، التِي بلاَهَا لاَ يُدْرِك الإِنْسَانُ العَمَل الذي يَعْمَلهُ اللهُ مِنَ البدَايَةِ إِلى النِّهَايَةِ. ١٢عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ خَيْرٌ، إِلاَّ أَنْ يَفْرَحُوا وَيَفْعَلوا خَيْرا فِي حَيَاتِهِمْ. ١٣وَأَيْضا أَنْ يَأْكل كل إِنْسَان وَيَشْرَب وَيَرَى خَيْرا مِنْ كل تَعَبهِ، فَهُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. ١٤قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ كل مَا يَعْمَلهُ اللهُ أَنَّهُ يَكونُ إِلى الأَبدِ. لاَ شَيْءَ يُزَادُ عَليْهِ، وَلاَ شَيْءَ يُنْقَصُ مِنْهُ، وَأَنَّ اللهَ عَمِلهُ حَتَّى يَخَافُوا أَمَامَهُ. ١٥مَا كانَ فَمِنَ القِدَمِ هُوَ، وَمَا يَكونُ فَمِنَ القِدَمِ قَدْ كانَ. وَاللهُ يَطْلب مَا قَدْ مَضَى١٦وَأَيْضا رَأَيْتُ تَحْتَ الشَّمْسِ: مَوْضِعَ الحَقِّ هُنَاك الظُّلمُ، وَمَوْضِعَ العَدْل هُنَاك الجَوْرُ! ١٧فَقُلتُ فِي قَلبي: اللهُ يَدِينُ الصِّدِّيقَ وَالشِّرِّيرَ، لأَنَّ لكل أَمْر وَلكل عَمَل وَقْتا هُنَاك. ١٨قُلتُ فِي قَلبي: مِنْ جِهَةِ أُمُور بنِي البشَرِ، إِنَّ اللهَ يَمْتَحِنُهُمْ لِيُرِيَهُمْ أَنَّهُ كمَا البهِيمَةِ هكذا هُمْ. ١٩لأَنَّ مَا يَحْدُث لبنِي البشَرِ يَحْدُث للبهِيمَةِ، وَحَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لهُمْ. مَوْتُ هذا كمَوْتِ ذاك، وَنَسَمَةٌ وَاحِدَةٌ للكل. فَليْسَ للإِنْسَان مَزِيَّةٌ عَلى البهِيمَةِ، لأَنَّ كليْهِمَا باطِل. ٢٠يَذهَب كلاَهُمَا إِلى مَكان وَاحِد. كانَ كلاَهُمَا مِنَ التُّرَاب، وَإِلى التُّرَاب يَعُودُ كلاَهُمَا. ٢١مَنْ يَعْلمُ رُوحَ بنِي البشَرِ هَل هِيَ تَصْعَدُ إِلى فَوْق؟ وَرُوحَ البهِيمَةِ هَل هِيَ تَنْزِل إِلى أَسْفَل، إِلى الأَرْضِ؟ ٢٢فَرَأَيْتُ أَنَّهُ لاَ شَيْءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَفْرَحَ الإِنْسَانُ بأَعْمَالهِ، لأَنَّ ذلك نَصِيبهُ. لأَنَّهُ مَنْ يَأْتِي بهِ لِيَرَى مَا

سَيَكونُ بعْدَهُ؟) جامعة ٣: ٢٢/١.

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ الرعد: ٨/ ١٠. وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴿٣٨﴾ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ الرعد: ٣٨/ ٤٢.

وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ الأعراف: ٣٤. وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ النحل: ٦١. وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾﴾ فاطر: ٤٥.

ورد في الكتاب المقدس في بيان أنه من يضلل الله فلا هادي له قوله: (١٣أُنْظُرْ عَمَلَ اللهِ: لأَنَّهُ مَنْ يَقْدِرُ عَلى تَقْويمِ مَا قَدْ عَوَّجَهُ؟ ١٤فِي يَوْمِ الخَيْرِ كنْ بخَيْر، وَفِي يَوْمِ الشَّرِّ اعْتَبرْ. إنَّ اللهَ جَعَل هذا مَعَ ذاك، لكيْلاَ يَجِدَ الإِنْسَانُ شَيْئا بعْدَهُ.١٥قَدْ رَأَيْتُ الكل فِي أَيَّامِ بطْلي: قَدْ يَكونُ بارٌّ يَبيدُ فِي برِّهِ، وَقَدْ يَكونُ شِرِّيرٌ يَطُول فِي شَرِّهِ. ١٦لاَ تَكنْ بارّا كثيرا، وَلاَ تَكنْ حَكيما بزِيَادَة. لِمَاذا تَخرِب نَفْسَك؟ ١٧لاَ تَكنْ شِرِّيرا كثيرا،

وَلاَ تَكنْ جَاهِلا. لِمَاذا تَمُوتُ فِي غَيْرِ وقْتِك؟ ١٨حَسَنٌ أَنْ تَتمَسَّك بهذا، وأَيْضا أَنْ لاَ تَرْخِيَ يَدَك عَنْ ذاك، لأَنَّ مُتَّقِيَ اللهِ يَخرُجُ مِنْهُمَا كليْهِمَا. ١٩اَلحِكمَةُ تُقوِّي الحكيمَ أَكثرَ مِنْ عَشَرَةِ مُسَلطِينَ، الذينَ هُمْ فِي المَدِينَةِ. ٢٠لأَنَّهُ لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَل صَلاَحا وَلاَ يُخْطِئُ) جامعة ٧: ١٣/٢٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ الإسراء: ٩٧/٩٨. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ النساء: ١٤٢/١٤٣.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ الأعراف: ١٨٥/١٨٧.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ الرعد: ٣٣. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ

ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ الإسراء: ٢٩/٣٠.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ البقرة:١٤٣. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ الطلاق:٢/٣.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ الطلاق:٤/٥.

ورد في الكتاب المقدس في بيان أن الله عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو وهو قوله:(١اِرْمِ خُبزَكَ عَلى وَجْهِ المِيَاهِ فَإنَّك تَجِدُهُ بعْدَ أَيَّام كثيرَة. ٢أَعْطِ نَصِيبا لسَبعَة، ولثمَانِيَة أيْضا، لأَنَّك لَستَ تَعْلَمُ أيَّ شَرّ يَكونُ عَلى الأَرْضِ. ٣إذا امْتلأَتِ السُّحُب مَطَرا تُريقُهُ عَلى الأَرْضِ. وَإذا وقَعَتِ الشَّجَرَةُ نَحْوَ الجَنُوب أَوْ نَحْوَ الشَّمَال، فَفِي المَوْضِعِ حَيْث تَقعُ الشَّجَرَةُ هُناك تَكونُ. ٤مَنْ يَرْصُدُ الرِّيحَ لاَ يَزْرَعُ، وَمَنْ يُرَاقِب السُّحُب لاَ يَحْصُدُ. ٥كمَا أَنَّك لسْتَ تَعْلَمُ مَا هِيَ طَرِيقُ الرِّيحِ، وَلاَ كيْفَ العِظَامُ فِي بطْنِ الحُبلى، كذلك لاَ تَعْلَمُ أَعْمَال اللهِ الذي يَصْنَعُ الجَمِيعَ. ٦فِي الصَّبَاحِ ازْرَعْ زَرْعَك، وَفِي المَسَاءِ لاَ تَرْخِ يَدَك، لأَنَّك لاَ تَعْلَمُ أَيُّهُمَا يَنْمُو: هذا أَوْ ذاك، أَوْ أَنْ يَكونَ كلاَهُمَا جَيِّدَيْنِ سَوَاء. ٧اَلنُّورُ حُلوٌ، وَخَيْرٌ للعَيْنَيْنِ أَنْ تَنْظُرَا الشَّمْسَ. ٨لأَنَّهُ إنْ عَاشَ الإِنْسَانُ سِنِينَ كثيرَة فَليَفْرَحْ فِيهَا كلهَا، وَليَتَذكرْ أَيَّامَ الظُّلمَةِ

لأَنَّهَا تَكونُ كثيرَة. كل مَا يَأْتِي باطِل. [٩]اِفْرَحْ أَيُّهَا الشَّاب في حَدَاثتِك، وَليَسُرَّك قلبك فِي أَيَّامِ شَبابك، وَاسْلُك فِي طُرُق قَلبك وَبمَرْأَى عَيْنَيْك، وَاعْلَمْ أَنَّهُ عَلى هذهِ الأُمُور كلهَا يَأْتِي بك اللهُ إلى الدَّيْنُونَةِ. [١٠]فَانْزِعِ الغَمَّ مِنْ قَلبك، وَأَبعِدِ الشَّرَّ عَنْ لحْمِك، لأَنَّ الحَدَاثة وَالشَّباب باطِلان) جامعة ١: ١١/١٠.

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأنعام: ٥٩ /٦٤.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦/٣٧. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ لقمان: ٣٤. وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ فصلت: ٤٧.

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ ﴾ لقمان:١٦/١٨.

وورد في السنة النبوية عن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قال: (مفاتيح الغَيْب خَمْسٌ لا يَعْلمُهَا إلا الله، لا يَعْلَمُ ما في غَد إلا الله، ولا يَعْلَمُ ما تَغِيضُ الأَرْحَامُ إلا الله، ولا يَعْلمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إلا الله، ولا تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أَرْض تَمُوتُ، ولا يَعْلمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلا الله) [1].

ورد في الكتاب المقدس في بيان الأمر بالأخذ من الشباب للهرم وهو قوله: (فَاذكرْ خَالقَك فِي أَيَّامِ شَبابك، قَبل أَنْ تَأْتِيَ أَيَّامُ الشَّرِّ أَوْ تَجِيءَ السِّنُونَ إذ تَقُول: لَيْسَ لي فِيهَا سُرُورٌ. ٢قَبل مَا تَظْلمُ الشَّمْسُ وَالنُّورُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ، وَتَرْجعُ السُّحُب بعْدَ المَطَر. ٣فِي يَوْم يَتَزَعْزَعُ فِيهِ حَفَظَةُ البيْتِ، وَتَتَلوَّى رِجَال القُوَّةِ، وَتَبطُل الطَّوَاحِنُ لأَنَّهَا قَلتْ، وَتُظْلمُ النَّوَاظِرُ مِنَ الشَّبَابيك. ٤وَتُغْلقُ الأَبوَاب فِي السُّوق. حِينَ يَنْخَفِضُ صَوْتُ المِطْحَنَةِ، وَيَقُومُ لصَوْتِ العُصْفُور، وَتُحَطُّ كل بنَاتِ الغِنَاءِ. ٥وَأَيْضا يَخَافُونَ مِنَ العَالي، وَفِي الطَّرِيقِ أَهْوَال، وَاللوْزُ يُزْهِرُ، وَالجُنْدُب يُسْتَثقَل، وَالشَّهْوَةُ تَبطُل. لأَنَّ الإِنْسَانَ ذاهِب إِلى بيْتِهِ الأَبدِيِّ، وَالنَّادِبونَ

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة الرعد، باب قوله: الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ٤/١٧٣٣(٤٤٢٠).

يَطُوفُونَ فِي السُّوق. ٦قَبل مَا يَنْفَصِمُ حَبل الفِضَّةِ، أَوْ يَنْسَحِقُ كوزُ الذهَب، أَوْ تَنْكسِرُ الجَرَّةُ عَلى العَيْنِ، أَوْ تَنْقَصِفُ البكرَةُ عِنْدَ البئْرِ. ٧فيَرْجعُ التُّرَاب إلى الأَرْضِ كمَا كانَ، وَتَرْجعُ الرُّوحُ إِلى اللهِ الذي أَعْطَاهَا. ٨باطِل الأَباطِيل، قَال الجَامِعَةُ: الكل باطِل) جامعة١:١٢/٨.

وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ التكوير: ١/١٤.

وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ الانفطار: ١/٥ .

وورد في السنة النبوية أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: (اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) [١].

وعن عبد اللهِ بن عُمَر رضي الله عنهما قال: (أَخَذَ رسول اللهِ ﷺ بمَنْكبي فقال: كنْ في الدُّنْيا كأَنَّك غَريب أو عَابرُ سَبيل). وكان بن عُمَرَ يقول: إذا أَمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرْ الصَّباحَ وإذا أَصْبحْتَ فلا تَنْتَظِرْ المَسَاءَ وَخُذ من صِحَّتِك لمَرَضِك وَمِنْ حَيَاتِك لمَوْتِك) [٢].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٣٤١/٤ (٧٨٤٦)، وصححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٥)، وصحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) البخاري في الرقاق، باب قوله كن في الدنيا كأنك غريب ٢٣٥٨/٥ (٦٠٥٣).

وعن أبي هُرَيْرَة أَنَّ رَسُول اللّٰهِ ﷺ قال: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَقْتَتِل فِئَتَان عَظِيمَتَان يَكونُ بيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبعَث دَجَّالونَ كذابونَ قَرِيب من ثلاثينَ كلهم يَزْعُمُ أَنَّهُ رسول اللّٰهِ، وَحَتَّى يُقْبضَ العِلمُ، وتَكثرَ الزَّلازل وَيَتَقَارَب الزَّمَانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكثرَ الهَرْجُ، وهو القَتْل، وَحَتَّى يَكثرَ فِيكمْ المَال فَيَفِيضَ، حتى يُهِمَّ رَب المَال من يَقْبل صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُول الذي يَعْرِضُهُ عليه: لا أَرَب لي بهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَل الناس في البنْيَان، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُل بقَبرِ الرَّجُل فيقول: يا لَيْتَنِي مَكانَهُ، وَحَتَّى تَطْلعَ الشَّمْسُ من مَغْربها، فإذا طَلَعَتْ وَرَآهَا الناس يَعْنِي آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذلك حين لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمَانُهَا لم تَكنْ آمَنَتْ من قَبل أو كسَبَتْ في إيمَانِهَا خَيْرا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقد نَشَرَ الرَّجُلان ثوْبهُمَا بيْنَهُمَا فلا يَتَبايَعَانِهِ، ولا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقد انْصَرَفَ الرَّجُل بلبنِ لِقْحَتِهِ فلا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وهو يُلِيطُ حَوْضَهُ فلا يَسْقِي فيه، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقد رَفَعَ أُكلتَهُ إلى فيه فلا يَطْعَمُهَا) (١). وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال النبيﷺ: (أَصْدَقُ كلمَة قَالهَا الشَّاعِرُ كلمَةُ لبيد، ألا كل شَيْءٍ ما خَلا اللّٰهَ باطِل) (٢).

ورد في الكتاب المقدس في فرض الجزية على المحارب قوله: (٢٥وكلمَ الرّب موسى فقال: ٢٦أحص عددَ السَّبي والغَنيمةِ مِنَ النَّاسِ والبهائمِ، أنتَ وألعازارُ الكاهنُ ورُؤساءُ جماعةِ بني إسرائيل، ٢٧واَقسِمْ ذلك مُناصفَة بينَ الذينَ خرَجوا للحرب وبينَ سائرِ الجماعةِ.

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب خروج النار ٦/٢٦٠٥ (٦٧٠٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب أيام الجاهلية ٣/١٣٩٥ (٣٦٢٨)، ومسلم في كتاب الشعر ٤/١٧٦٨ (٢٢٥٦).

٢٨وخصِّصْ جزيَة للرب مِمَّا نالهُ الذينَ خرَجوا للحرب، ولتَكنْ رأسا واحدا مِنْ كل خمسِ مئة مِنَ النَّاسِ والبقَرِ والحميرِ والغنَمِ. ٢٩خذ ذلك مِما نالوه وادفَعْه إلى ألعازارَ الكاهنِ تقدمة خاصَّةً للرّب. ٣٠وخذ مِمَّا نالهُ بنو إسرائيل واحدا مِنْ خمسينَ مِنَ النَّاسِ والبقَرِ والحمير والغنَمِ وسائرِ البهائمِ، وادفَعْهُ إلى اللاوِيِّينَ المُوكلينَ بحِراسةِ مَسكنِ الرّب. ٣١ففعَل موسى وألعازارُ الكاهنُ كما أمرَ الرّب موسى.٣٢فكانَت جملةُ الغَنائمِ والأسلاب التي غَنِمَها رِجال الحرب: مِنَ الغنَمِ ستَ مئة وخمْسة وسَبعينَ ألفا، ٣٣ومِنَ البقَرِ اثنَينِ وسَبعينَ ألفا، ٣٤ومِنَ الحميرِ واحدا وستِينَ ألفا، ٣٥ومِنَ النِّساءِ العَذارى اثنين وثلاثينِ ألفا، ٣٦فكانَ نِصفُ ذلك وهوَ نصيب الذينَ خرجوا للحرب: مِنَ الغنَمِ ثلاث مئة وسَبعة وثلاثينَ ألفا وخمسَ مئة، ٣٧فكانَت جزيَةُ الرّب مِنها ستَ مئة وخمسَة وسَبعينَ رأسا، ٣٨ومِنَ البقَرِ ستَّة وثلاثينَ ألفا، فكانَت جزيَةُ الرّب مِنها اثنَينِ وسَبعينَ، ٣٩ومِنَ الحميرِ ثلاثينَ ألفا وخمسَ مئة، فكانَت جزيَةُ الرّب مِنها واحدا وستِّينَ، ٤٠ومِنَ النِّساءِ ستَّةَ عشرَ ألفا، فكانَت جزيَةُ الرّب مِنها اثنَينِ وثلاثينَ امرأة. ٤١فدفعَ موسى الجزيَةَ المُخصَّصَةَ للرّب إلى ألعازارَ الكاهنِ، كما أمرَ الرّب موسى) العدد ٢٥: ٣١/٤١.

وقال تعالى: ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ التوبة: ٢٩.

وقال جُبيْر بن حَيَّة: (فنَدَبنا عُمرُ، واستَعْمَل علينَا النُّعْمانَ بنَ مُقَرِّن، حتَّى إذا كنَّا بأرْضِ العَدُوِّ، وخرَجَ علينَا عامِل كسْرَى في أرْبعِينَ ألفا، فَقامَ تَرْجُمانٌ فقال: ليُكلمْنِي رجُل مِنْكمْ، فقال المُغِيرَةُ: سَل عَمَّا شِئْتَ،

قال: ما أنتُمْ؟ قال: نَحْنُ أُناسٌ مِنَ العَرَب كنَّا في شَقَاء شَدِيد وبلاَء شَدِيد، نَمَصُّ الجِلدَ والنَّوَى مِنَ الجُوعِ، ونَلبسُ الوَبرَ والشَّعْرَ، ونَعْبدُ الشَّجَرَ والحجَرَ، فَبيْنَا نَحْنُ كذلك إذ بعث رَب السَّماواتِ ورب الأَرَضِين تعالى ذكرُهُ وجَلتْ عَظَمَتُهُ إليْنَا نَبيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا، نَعْرفُ أباهُ وأُمُّهُ فأمَرَنا نَبيُّنَا رسول الله ﷺ أنْ نُقَاتِلكمْ حتَّى تَعْبُدُوا الله وحْدَهُ، أو تُؤدُّوا الجِزْيَةَ، وأخْبرَنا نَبيُّنَا ﷺ عنْ رِسالةِ رَبنَا أنَّهُ مَنْ قُتِل مِنَّا صارَ إلى الجَنَّةِ في نَعِيم لمْ يَرَ مِثلها قَطُّ، ومنْ بقِيَ مِنَّا ملك رِقَابكمْ، فقَال النُّعْمَانُ: رُبما أشْهَدَك الله مِثلهَا مَعَ النَّبيِّ ﷺ فلمْ يُندِّمْك ولمْ يُخزك،ولكنِّي شَهدْتُ القِتَال مَعَ رَسُول الله ﷺ،كانَ إذا لمْ يُقاتِل في أوَّل النَّهار، انْتَظَرَ حَتَّى تَهُب الأَرْوَاحُ، وتَحْضُرَ الصَّلَوَاتُ) [(١)].

وقال رسول اللهِ ﷺ: (وَالذي نَفْسِي بيده، ليُوشِكنَّ أَنْ يَنْزِل فِيكمْ ابن مَرْيَمَ حَكما مُقْسِطا، فَيَكسِرَ الصَّليب، وَيَقْتُل الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَال حتى لا يَقْبلهُ أَحَدٌ) [(٢)].

ورد في الكتاب المقدس في بيان أن من نذر أن يطع الله فليطعه وهو قوله: (٢وقال موسى لرُؤساءِ أسباطِ بني إسرائيل: هذا ما أمرَ الرّب بهِ: ٣أيُّ رَجل نَذرَ نَذرا للرّب، أو حلفَ يَمينا فألزَمَ نفْسَهُ شيئا، فلا يرجعُ عَنهُ بل يعمَل بكل ما نطَقَ بهِ. ٤وأيَّةُ امرأة نذرَت نَذرا للرّب وألزمَت نَفسَها شيئا، وهيَ صَبيَّةٌ في بيتِ أبيها، ٥فسَمِعَ أبوها نَذرَها وما ألزمَت

---

(١) رواه البخاري في أبواب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ٣/١١٥٢ (٢٩٨٩).

(٢) البخاري في البيوع، باب قتل الخنزير ٢/٧٧٤ (٢١٠٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ١/١٣٥ (١٥٥).

نفْسَها بهِ وسَكتَ لها، ثبتَت جميعُ نُذورِها وكل ما ألزَمَت نَفسَها بهِ. ٦وإنْ نَهاها أبوها عندَ سَماعِهِ ذلك، فكُل نُذورِها وإلزاماتِها لا تَثبتُ، والرّب يُسامِحُها إذا نَهاها أبوها) عدد٣٠:٢/٦.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ الإنسان: ٥/٨. وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١﴾ الرعد: ١٩/٢١.

وورد في السنة النبوية عن عُمَرَ بن الخَطَّاب ﷺ أَنَّهُ قال: (يا رَسُول اللهِ إني نَذرْتُ في الجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكفَ لَيْلة في المَسْجِدِ الحَرَام، فقال له النبي ﷺ: أَوْفِ نَذرَك، فَاعْتَكفَ لَيْلة) [(١)]. وعن بن عَباس رضي الله عنهما قال: (أتى رَجُل النبي ﷺ فقال له: إنَّ أُختِي نَذرَتْ أَنْ تَحُجَّ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ: فقال النبي ﷺ: لو كان عليها دَيْنٌ أَكنْتَ قَاضِيَهُ، قال: نعم، قال: فَاقْضِ اللهَ، فَهُوَ أَحَقُّ بالقَضَاءِ) [(٢)].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قالت قال النبي ﷺ: (من نَذرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فلا يَعْصِهِ) [(٣)].

---

(١) البخاري في الاعتكاف، باب من لم ير عليه صوما إذا اعتكف ٧١٨/٢ (١٩٣٧)، ومسلم في الأيمان، باب نذر الكافر ١٢٧٧/٣ (١٦٥٦).
(٢) البخاري في الأيمان والنذور، باب من مات وعليه نذر ٢٤٦٤/٦ (٦٣٢١).
(٣) الموضع السابق، باب النذر فيما لا يملك ٢٤٦٤/٦ (٦٣٢٢).

ورد في الكتاب المقدس في بيان عقيدة التوحيد قوله: (٤إسمعوا يا بني إسرائيل: الرّب إلهُنا رب واحدٌ، ٥فأحِبوا الرّب إلهَكم بكل قلوبكم وكل نفوسِكم وكل قُدرتِكم ٦ولَتَكنْ هذهِ الكلماتُ التي أنا آمرُكم بها اليومَ في قلوبكم. ٧إفرضوها على بنيكم وكلمُوهُم بها إذا جلستُم في بيوتِكم، وإذا مَشيتُم في الطَّريقِ، وإذا نِمتُم، وإذا قُمتُم. ٨واَجعلوها وَشْما على أيدِيكم وعصائِب بينَ عيونِكم. ٩واَكتُبوها على قوائِمِ أبواب بيوتِكم وعلى مَداخل مُدُنِكم. ١٠وإذا أَدخلكمُ الرّب إلهُكمُ الأرضَ التي أَقسمَ لآبائِكم إبراهيمَ وإسحَقَ ويعقوب أنْ يُعطيَها لكم تجدُونَ مُدُنا عظيمة حسَنَة لم تبنوها ١١وبيوتا مملوءَة كل خير لم تملأوها، وآبارا مَحفورة لم تحفروها، وكروما وزيتونا لم تغرِسوها. فإذا أكلتُم وشَبعتُم ١٢لا تنسُوا الرّب الذي أخرجكم مِنْ أرضِ مِصْرَ، مِنْ دارِ العُبوديَّةِ، ١٣بل اتَّقُوا الرّب إلهكم واعبدوهُ وباسمِهِ وحدَهُ تحلفونَ. ١٤لا تتْبعوا آلهة أخرى مِنْ آلهةِ الأُمَمِ الذينَ حواليكم. ١٥الرّب إلهُكم إلهٌ غيورٌ حاضرٌ فيما بينَكم، فإذا اَشتَدَ غضَبَهُ عليكم يُبيدُكم عَنْ وجهِ الأرضِ) التثنية ٦ :٤/١٥.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ الأنعام: ١٠٢. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ يونس: ٦١/٦٤.

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة: ١٦٣/١٦٥.

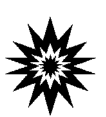
وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ۘ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٩/٢٠.

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ النحل: ١٧/٢٢. وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ النحل: ٥١/٥٢.

ورد في الكتاب المقدس عند النصارى في إعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه وهو قوله: (١٤لا تهضُمْ أُجرةَ مِسكين ولا بائِس مِنْ إخوتِك بني إِسرائيل، أو مِنَ الدُّخلاءِ الذينَ في أرضِك ومُدُنِك.

١٥بل اَدفَعْ إليهِ أجرتَهُ في يومِهِ قَبل أنْ تَغيب عليها الشَّمسُ، لأنَّهُ مِسكينٌ وبها يَعول نفْسَهُ لئلاَ يدعُوَ عليك إلى الرّب فتكونَ عليك خطيئةٌ) التثنية ٢٤ :١٤/١٥.

ورد في السنة النبوية عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول اللهِ ﷺ: (أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ قبل أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ) [١].



(١) رواه ابن ماجه في كتاب الرهون، باب أجر الأجراء ٢/٨١٧ (٢٤٤٣)، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع (١٠٥٥).

المطلب الثالث والعشرون

متناقضات واقعة في مقتطفات جامعة كدلائل متنوعة على ما صنعه الأحبار والرهبان في كتابهم



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن الدليل من الأناجيل على أن نصارى اليوم يعرفون محمدا ﷺ كما يعرفون أبناءهم، وعرضنا قصة زكريا ودعائه لربه، وآيته في ألا يكلم الناس ثلاث ليال سويا، ثم تناولنا الحديث عن العشاء الرباني عند النصارى، وأنه تحريف لقصة المائدة التي نزلت من السماء، وتحدثنا عن معجزات عيسى عليه السلام وأنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.

وبينا أن نصوص الأناجيل تدل بوضوح على أن النصرانية انتشرت بالسيف، وتحدثنا عن أحداث القيامة بين نصوص الأناجيل وما ورد في التنزيل على محمد ﷺ، وقصة يونس عليه السلام ومقارنة نصوص النصرانية والإسلام، وتحدثنا عن قوله أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله، وقوله عبدي مرضت فلم تعودني، وعقدنا مقارنة لأمثله مضروبة لبيان الإلزام بالتوحيد وعدم الشرك، وما ورد من النصوص الكتابية في إن الرقي والتمائم والتولة شرك، وتحدثنا عن

مواطن كثيرة في الكتاب المقدس عند النصارى تقطع بصدق الوحي الإسلامي.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن متناقضات واقعة في مقتطفات جامعة كدلائل متنوعة على ما صنعه الأحبار والرهبان في كتابهم.

- واقع الكتاب المقدس يشهد بصدق ما وصف الله به الأحبار والرهبان.

نزلت التوراة في ألواح من السماء، واحتفظ بها اللاوون علماء بني إسرائيل في تابوت العهد، وكانوا ينقلون منها نصوصا في قراطيس لعامة شعبهم، فيبدون منها ما يشاءون، ويخفون ويحرفون الكلم عن مواضعه، وانتشرت تلك القراطيس بعد ضياع التوراة الحقيقية أو حرقها في الخرب البابلي، فكتبوا من خلالها التوراة الموجودة الآن، وهذا ما بينه القرآن بوضوح، ففي هذه التوراة مواضع كثيرة تدل على أصل الحقيقة التي نزلت في التوراة الحقيقية، وفيها مواضع محرفة وتأويلات باطلة، وتراجم متعدد بدلت فيها المعاني والألفاظ.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ الأنعام: ٩١/٩٢.

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا

يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ البقرة:٧٨/٧٩. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ المائدة:١٣.

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ المائدة:١٥.

والغريب في الأمر أن أحد المواقع النصرانية التبشيرية حاول على نحو مضحك أن يقنع المسلمين بأن القرآن يشهد لعيسى بن مريم عليه السلام بالإلوهية، وهي بعنوان نصيحة مهمة لقراءة نص الكتاب المقدس عند النصارى فقال: (لقد عشتَ أنت في حالة عدم اليقين بخصوص أبديتك كل هذه السنين، ولا تستطيع أن تتحمل تكاليف خسارة الأبدية، لذلك قبل كل مرة تأتي فيها لقراءة كلمات الإنجيل المباركة ارفع قلبك بصلاة صغيرة إلى الله قائلا: يا رب، أرشدني لفهم كلمات كتابك، وشدد إيماني كي أقبل ما تقنعني أنت به، ساعدني لكي أفهم مشيئتك، ولكي أعمل إرادتك في حياتي) [1].

لقد حاول الدكتور إبراهيم عوض أن يعمل بهذه النصيحة فقال:

(١) http://www.al-7ewar.com/m/showthread.php?t=10276 .

(وقد نزلت على رأي الكاتب رغبة مني في تمحيص أفكاري واقتناعاتي، وقرأت الكتاب المقدس عند النصارى من جديد أكثر من مرة، ودعوت الله من عمق أعماق قلبي أن ينير بصيرتي للحق، وأن يرفع عن عيني غشاوة الباطل، إذا كان ثمة باطل عندي يشوش على عقلي ويختم على قلبي، فكانت النتيجة هي الخروج من قراءتي بالمختارات التالية التي ألهمني الله، بعد أن دعوته وألححت في الدعاء، ألا احتجزها لنفسي، بل أشرك فيها قرائي الأعزاء معي، فما رأيكم؟ تَعَالوْا من فضلكم لنقرأ ونستمتع) [(١)].

وقد ذكر أن المبشرين يسلكون سبلا مخادعة عند مخاطبتهم لعوامّ المسلمين، إذ يحاولون أن يوهموهم بأن الكتاب المقدس عند النصارى الذي مع اليهود والنصارى الآن هو التوراة والإنجيل اللذان ورد ذكرهما في القرآن المجيد، وقال عنهما إنهما وحى أوحاه الله لموسى وعيسى. وهذا خداع رخيص واستغفال للعقول، فالتوراة والإنجيل التي نزلت من السماء شيء، والكتاب المقدس عند النصارى شيء آخر، فالكتاب المقدس عند النصارى بصورته الحالية هو في أحسن أحواله يشبه على نحوٍ ما السيرة النبوية عندنا، إذ كتبه رجال الدين من اليهود والنصارى بعد وفاة موسى وعيسى بمراحل، حيث كَتَبَ اليهودُ العهدَ القديم وكتَبَ َالنصارى العهدَ الجديد، أما التوراة والإنجيل اللذان يتحدث عنهما القرآن فقد اختفيا، وإن لم يمنع هذا

(١) هذا المطلب ملخص من كتاب مقتطفات ممتعة من الكتاب المقدس د.إبراهيم عوض بتصرف مناسب لطلاب العلم.

من وجود كثير من العبارات أو المعاني في الكتاب المقدس عند النصارى بوضعه الحالي يحتوي على مادة كثير من النصوص التي جاء بها الإسلام.

وفي هذا المطلب نجول جولة في الكتاب المقدس عند النصارى نطّلع فيها على بعض النصوص الممتعة التي انتقاها الدكتور إبراهيم عوض لكي نعلم أن ذلك الكتاب ليس هو بذاته الوحي الإلهي الذي نزل على موسى وعيسى عليهما السلام، بل هو شيء آخر سطرته يد البشر بما في عقولهم وقلوبهم من أهواء ونزوات وأخطاء وشهوات، ومضحكات مبكيات لا يستوعبها العقلاء.

- وصفهم لله تعالى بالراحة من التعب وأنه كان ماشيا بين أملاكه.

هل يليق وصف الله بأنه يتعب ويستريح وكأن الحمل ثقيل عليه؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. قال الكتاب المقدس عند النصارى: (١فأكْمِلتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُل جُنْدِهَا. ٢وَفَرَغَ اللهُ فِي اليَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الذي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي اليَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الذي عَمِلَ. ٣وَبَارَكَ اللهُ اليَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الذي عَمِلَ اللهُ خَالقًا) تكوين/٢.

هل ما وصفوه في هذا النص التالي يعد إلها أم أنه وصف لشيخ بلد يتفقد أملاكه؟ قال الكتاب المقدس عند النصارى: (٨وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ ريحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الجَنَّةِ. ٩فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَال لهُ: أَيْنَ أَنْتَ؟. ١٠فَقَال: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الجَنَّةِ فَخَشِيتُ،

لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ) تكوين/٣.

هل يليق بالله أن يكون إلها حاقدا؟ قال الكتاب المقدس عند النصارى: (٢٢وَقَال الرَّبُّ الإِلهُ: هُوَ ذا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لعَلهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذ مِنْ شَجَرَةِ الحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُل وَيَحْيَا إِلى الأَبَدِ. ٢٣فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَل الأَرْضَ التِي أُخِذ مِنْهَا. ٢٤فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الكَرُوبِيمَ، وَلهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الحَيَاةِ) تكوين/٣.

هل يليق بالله أن ينجب؟ وهل ينجب ذكورا لا إناثا ويندم في قلبه على ما خلق؟! قال الكتاب المقدس عند النصارى: (١وَحَدَث لمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلى الأَرْضِ، وَوُلدَ لهُمْ بَنَاتٌ، ٢أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُل مَا اخْتَارُوا. ٣فَقَال الرَّبُّ: لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلى الأَبَدِ لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً. ٤كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلكَ أَيْضًا إِذ دَخَل بَنُو اللهِ عَلى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلدْنَ لهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الجَبَابِرَةُ الذِينَ مُنْذ الدَّهْرِ ذوُو اسْمٍ. ٥وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُل تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُل يَوْمٍ. ٦فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِل الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلبِهِ. ٧فَقَال الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الذِي خَلقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلتُهُمْ. ٨وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ) تكوين/٦.

هل يمكن أن يكون الإله حقودا إلى هذه الدرجة؟ قال الكتاب

المقدس عند النصارى: (١وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلهَا لسَانًا وَاحِدًا وَلغَةً وَاحِدَةً. ٢وَحَدَث فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. ٣وَقَال بَعْضُهُمْ لبَعْضٍ: هَلُمَّ نَصْنَعُ لبْنًا وَنَشْوِيهِ شَيًّا. فَكَانَ لهُمُ اللبْنُ مَكَانَ الحَجَرِ، وَكَانَ لهُمُ الحُمَرُ مَكَانَ الطِّينِ. ٤وَقَالوا: هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلى وَجْهِ كُل الأَرْضِ. ٥فَنَزَل الرَّبُّ ليَنْظُرَ المَدِينَةَ وَالبُرْجَ اللذيْنِ كَانَ بَنُو آدمَ يَبْنُونَهُمَا. ٦وَقَال الرَّبُّ: هُوَذا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلسَانٌ وَاحِدٌ لجَمِيعِهِمْ، وَهذا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالعَمَل. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَليْهِمْ كُل مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلوهُ. ٧هَلُمَّ نَنْزِل وَنُبَلبِل هُنَاكَ لسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لسَانَ بَعْضٍ. ٨فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلى وَجْهِ كُل الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَان المَدِينَةِ، ٩لذلكَ دُعِيَ اسْمُهَا بَابِل لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلبَل لسَانَ كُل الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلى وَجْهِ كُل الأَرْضِ) تكوين/١١.

- **وصفهم لنوح بأنه سكر وتعرت سوأته وإبراهيم لا يغار على زوجته.**

هل يليق بنبي الله نوح عليه السلام أن يصوره الكتاب المقدس عند النصارى بأنه سكر وتعرت سوأته فقال: (٢٠وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. ٢١وَشَرِبَ مِنَ الخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِل خِبَائِهِ. ٢٢فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. ٢٣فَأَخَذ سَامٌ وَيَافَث الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلى الوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلى الوَرَاءِ. فَلمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. ٢٤فَلمَّا اسْتَيْقَظ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلمَ مَا فَعَل بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ،

٢٥فَقَال: مَلعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ العَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ. ٢٦وقَال: مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. ولْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لهُمْ. ٢٧ليَفْتَحِ اللهُ ليَافَث فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، ولْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لهُمْ) تكوين/٩.

هل يليق بإبراهيم أن يديّث على زوجته من أجل المواشِي والغنم ؟ قال الكتاب المقدس عند النصارى: (١٠وَحَدَث جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاك، لأَنَّ الجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا. ١١وَحَدَث لمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُل مِصْرَ أَنَّهُ قَال لسَارَايَ امْرَأَتِهِ: إِنِّي قَدْ عَلمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ المَنْظرِ. ١٢فَيَكُونُ إِذا رَآكِ المِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولونَ: هذهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. ١٣قُولي إِنَّكِ أُخْتِي، لِيَكُونَ لي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلكِ. ١٤فَحَدَث لمَّا دَخَل أَبْرَامُ إِلى مِصْرَ أَنَّ المِصْرِيِّينَ رَأَوْا المَرْأَةَ أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا. ١٥وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لدَى فِرْعَوْنَ، فَأُخِذتِ المَرْأَةُ إِلى بَيْتِ فِرْعَوْنَ، ١٦فَصَنَعَ إِلى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا، وَصَارَ لهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَال. ١٧فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ. ١٨فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَقَال: مَا هذا الذي صَنَعْتَ بِي؟ لمَاذا لمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ ١٩لمَاذا قُلتَ: هِيَ أُخْتِي، حَتَّى أَخَذتُهَا لي لتَكُونَ زَوْجَتِي؟ وَالآنَ هُوَ ذا امْرَأَتُكَ! خُذهَا وَاذهَبْ!. ٢٠فَأَوْصَى عَليْهِ فِرْعَوْنُ رِجَالاً فَشَيَّعُوهُ وَامْرَأَتَهُ وَكُل مَا كَانَ لهُ) تكوين/١٢.

الكتاب المقدس عند النصارى يصف إسحاق بأنه يقلد أباه في التدييث على زوجته فقال: (١وَكَانَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ الجُوعِ

الأَوَّل الذي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، فَذهَبَ إِسْحَاقُ إِلى أَبِيمَالكَ مَلكِ الفِلسْطِينِيِّينَ إِلى جَرَارَ. ٢وَظهَرَ لهُ الرَّبُّ وَقَال: لاَ تَنْزِل إِلى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ التِي أَقُول لكَ. ٣تَغَرَّبْ فِي هذهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي لكَ وَلنَسْلكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذهِ البِلاَدِ، وَأَفِي بِالقَسَمِ الذي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. ٤وَأُكَثرُ نَسْلكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلكَ جَمِيعَ هذهِ البِلاَدِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، ٥مِنْ أَجْل أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لقَوْلي وَحَفِظ مَا يُحْفَظ لي: أَوَامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي. ٦فَأَقَامَ إِسْحَاقُ فِي جَرَارَ. ٧وَسَأَلهُ أَهْل المَكَان عَنِ امْرَأَتِهِ، فَقَال: هِيَ أُخْتِي. لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَقُول: امْرَأَتِي لعَل أَهْل المَكَان: يَقْتُلونَنِي مِنْ أَجْل رِفْقَةَ لأَنَّهَا كَانَتْ حَسَنَةَ المَنْظرِ. ٨وَحَدَثَ إِذ طَالتْ لهُ الأَيَّامُ هُنَاكَ أَنَّ أَبِيمَالكَ مَلكَ الفِلسْطِينِيِّينَ أَشْرَفَ مِنَ الكُوَّةِ وَنَظرَ، وَإِذا إِسْحَاقُ يُلاَعِبُ رِفْقَةَ امْرَأَتَهُ. ٩فَدَعَا أَبِيمَالكُ إِسْحَاقَ وَقَال: إِنَّمَا هِيَ امْرَأَتُكَ! فَكَيْفَ قُلتَ: هِيَ أُخْتِي؟ فَقَال لهُ إِسْحَاقُ: لأَنِّي قُلتُ: لعَلي أَمُوتُ بِسَبَبِهَا. ١٠فَقَال أَبِيمَالكُ: مَا هذا الذي صَنَعْتَ بِنَا؟ لوْلاَ قَليل لاضْطَجَعَ أَحَدُ الشَّعْبِ مَعَ امْرَأَتِكَ فَجَلبْتَ عَليْنَا ذنْبًا. ١١فَأَوْصَى أَبِيمَالكُ جَمِيعَ الشَّعْبِ قَائِلاً: الذي يَمَسُّ هذا الرَّجُل أَوِ امْرَأَتَهُ مَوْتًا يَمُوتُ) تكوين/٢٦.

من التناقض العجيب أن الله يعاهد إبراهيم وذريته إلى الأبد على الختان، فيأتي بولس ويلغيه: (٩وَقَال اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. ١٠هذا هُوَ عَهْدِي الذي تَحْفَظونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُل

ذكَر، ١١فتُختَنُونَ فِي لحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. ١٢اِبْنَ ثمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُختَنُ مِنْكُمْ كُل ذكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيدُ البَيْتِ، وَالمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُل ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. ١٣يُختَنُ خِتَانًا وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. ١٤وَأَمَّا الذكَرُ الأَغْلفُ الذي لاَ يُختَنُ فِي لحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقْطَعُ تِلكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَث عَهْدِي) تكوين/١٧.

- **هل يليق بالكتاب المقدس أن يصف ابنتي لوط باغتصاب أبيهما؟**

لا يمكن لعاقل أن يصدق أن كتابا مقدسا نزل من السماء يصف نبيا من الأنبياء بأن ابنتي لوط اغتصبتا أباهما وحبلتا منه، فقال: (٣٠وَصَعِدَ لوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الجَبَل، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي المَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. ٣١وَقَالتِ البِكْرُ للصَّغِيرَةِ: أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَليْسَ فِي الأَرْضِ رَجُل لِيَدْخُل عَليْنَا كَعَادَةِ كُل الأَرْضِ. ٣٢هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً. ٣٣فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلكَ الليْلةِ، وَدَخَلتِ البِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلمْ يَعْلمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. ٣٤وَحَدَث فِي الغَدِ أَنَّ البِكْرَ قَالتْ للصَّغِيرَةِ: إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ البَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا الليْلةَ أَيْضًا فَادْخُلي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً. ٣٥فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلكَ الليْلةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلمْ يَعْلمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، ٣٦فَحَبِلتِ ابْنَتَا لوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. ٣٧فَوَلدَتِ البِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ مُوآبَ، وَهُوَ أَبُو المُوآبِيِّينَ إِلى اليَوْمِ. ٣٨وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ بِنْ

عَمِّي، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلى اليَوْمِ) تكوين/٢٢.

التوراة تصور نبي الله يعقوب بأنه رجل نصاب خدع يعقوب بن إسحاق أخاه عيسو واشترى منه بكوريته بطبق عدس! قال الكتاب المقدس عند النصارى: (١٩وَهذِهِ مَوَالِيدُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: وَلَدَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ. ٢٠وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمَّا اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ زَوْجَةً، رِفْقَةَ بِنْتَ بَتُوئِيلَ الأَرَامِيِّ، أُخْتَ لاَبَانَ الأَرَامِيِّ مِنْ فَدَّانَ أَرَامَ. ٢١وَصَلَّى إِسْحَاقُ إِلى الرَّبِّ لأَجْلِ امْرَأَتِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا، فَاسْتَجَابَ لَهُ الرَّبُّ، فَحَبِلَتْ رِفْقَةُ امْرَأَتُهُ. ٢٢وَتَزَاحَمَ الوَلَدَانِ فِي بَطْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ كَانَ هكَذَا فَلِمَاذَا أَنَا؟ فَمَضَتْ لِتَسْأَلَ الرَّبَّ. ٢٣فَقَالَ لَهَا الرَّبُّ: فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ. ٢٤فَلَمَّا كَمُلَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ. ٢٥فَخَرَجَ الأَوَّلُ أَحْمَرَ، كُلُّهُ كَفَرْوَةِ شَعْرٍ، فَدَعَوْا اسْمَهُ عِيسُوَ. ٢٦وَبَعْدَ ذلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ وَيَدُهُ قَابِضَةٌ بِعَقِبِ عِيسُو، فَدُعِيَ اسْمُهُ يَعْقُوبَ. وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ سِتِّينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْهُمَا. ٢٧فَكَبِرَ الغُلاَمَانِ، وَكَانَ عِيسُو إِنْسَانًا يَعْرِفُ الصَّيْدَ، إِنْسَانَ البَرِّيَّةِ، وَيَعْقُوبُ إِنْسَانًا كَامِلاً يَسْكُنُ الخِيَامَ. ٢٨فَأَحَبَّ إِسْحَاقُ عِيسُوَ لأَنَّ فِي فَمِهِ صَيْدًا، وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَانَتْ تُحِبُّ يَعْقُوبَ.

٢٩وَطَبَخَ يَعْقُوبُ طَبِيخًا، فَأَتَى عِيسُو مِنَ الحَقْلِ وَهُوَ قَدْ أَعْيَا. ٣٠فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: أَطْعِمْنِي مِنْ هذَا الأَحْمَرِ لأَنِّي قَدْ أَعْيَيْتُ. لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ أَدُومَ. ٣١فَقَالَ يَعْقُوبُ: بِعْنِي اليَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ. ٣٢فَقَالَ عِيسُو: هَا أَنَا مَاضٍ إِلى المَوْتِ، فَلِمَاذَا لِي بَكُورِيَّةٌ؟ ٣٣فَقَالَ

يَعْقُوبُ: احْلِفْ لِيَ الْيَوْمَ. فَحَلَفَ لَهُ، فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ. ٣٤فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُوَ خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَقَامَ وَمَضَى. فَاحْتَقَرَ عِيسُو الْبَكُورِيَّةَ) تكوين/٢٥.

أية بركة هذه التي يحصل عليها صاحبها بالغش والحقد؟ ومن هو؟ إنه نبي ابن نبي، وبمساعدة أمه زوجة النبي، أيليق هذا بكتاب مقدس؟: (١وَحَدَثَ لَمَّا شَاخَ إِسْحَاقُ وَكَلَّتْ عَيْنَاهُ عَنِ النَّظَرِ، أَنَّهُ دَعَا عِيسُوَ ابْنَهُ الأَكْبَرَ وَقَالَ لَهُ: يَا ابْنِي. فَقَالَ لَهُ: هأَنَذا. ٢فَقَالَ: إِنَّنِي قَدْ شِخْتُ وَلَسْتُ أَعْرِفُ يَوْمَ وَفَاتِي. ٣فَالآنَ خُذْ عُدَّتَكَ: جُعْبَتَكَ وَقَوْسَكَ، وَاخْرُجْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَتَصَيَّدْ لِي صَيْدًا، ٤وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً كَمَا أُحِبُّ، وَأْتِنِي بِهَا لآكُلَ حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ. ٥وَكَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عِيسُو ابْنِهِ. فَذَهَبَ عِيسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَيْ يَصْطَادَ صَيْدًا لِيَأْتِيَ بِهِ.

٦وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَلَّمَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا قَائِلَةً: إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَبَاكَ يُكَلِّمُ عِيسُوَ أَخَاكَ قَائِلاً: ٧اِئْتِنِي بِصَيْدٍ وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً لآكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ وَفَاتِي. ٨فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا آمُرُكَ بِهِ: ٩اِذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدْيَيْنِ جَيِّدَيْنِ مِنَ الْمِعْزَى، فَأَصْنَعَهُمَا أَطْعِمَةً لأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ، ١٠فَتُحْضِرَهَا إِلَى أَبِيكَ لِيَأْكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ. ١١فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةَ أُمِّهِ: هُوَذَا عِيسُو أَخِي رَجُلٌ أَشْعَرُ وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ. ١٢رُبَّمَا يَجُسُّنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمُتَهَاوِنٍ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لاَ بَرَكَةً. ١٣فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَا ابْنِي. اِسْمَعْ لِقَوْلِي فَقَطْ وَاذْهَبْ خُذْ لِي. ١٤فَذَهَبَ

وَأَخَذ وَأَحْضَرَ لأُمِّهِ، فَصَنَعَتْ أُمُّهُ أَطْعِمَةً كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُحِبُّ. ١٥وَأَخَذتْ رِفْقَةُ ثِيَابَ عِيسُو ابْنِهَا الأَكْبَرِ الفَاخِرَةَ التِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي البَيْتِ وَأَلبَسَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الأَصْغَرَ، ١٦وَأَلبَسَتْ يَدَيْهِ وَمَلاَسَةَ عُنُقِهِ جُلودَ جَدْيَيِ المِعْزَى. ١٧وَأَعْطَتِ الأَطْعِمَةَ وَالخُبْزَ التِي صَنَعَتْ فِي يَدِ يَعْقُوبَ ابْنِهَا. ١٨فَدَخَل إلى أَبِيهِ وقَال: يَا أَبِي. فَقَال: هأَنَذا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟ ١٩فقَال يَعْقُوبُ لأَبِيهِ: أَنَا عِيسُو بِكْرُكَ. قَدْ فَعَلتُ كَمَا كَلمْتَنِي. قُمِ اجْلسْ وَكُل مِنْ صَيْدِي لكَيْ تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ. ٢٠فَقَال إِسْحَاقُ لابْنِهِ: مَا هذا الذي أَسْرَعْتَ لتَجِدَ يَا ابْنِي؟ فَقَال: إِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ يَسَّرَ لي. ٢١فقَال إِسْحَاقُ ليَعْقُوبَ: تَقَدَّمْ لأَجُسَّكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو أَمْ لاَ؟. ٢٢فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إلى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَال: الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلكِنَّ اليَدَيْنِ يَدَا عِيسُو.

٢٣وَلمْ يَعْرِفْهُ لأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيَدَيْ عِيسُو أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ. ٢٤وقَال: هَل أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو؟ فَقَال: أَنَا هُوَ. ٢٥فقَال: قَدِّمْ لي لآكُل مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي. فَقَدَّمَ لهُ فَأَكَل، وَأَحْضَرَ لهُ خَمْرًا فَشَرِبَ. ٢٦فقَال لهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: تَقَدَّمْ وَقَبِّلنِي يَا ابْنِي. ٢٧فَتَقَدَّمَ وَقَبَّلهُ، فَشَمَّ رَائِحَةَ ثِيَابِهِ وَبَارَكَهُ، وَقَال: انْظرْ! رَائِحَةُ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْلٍ قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ. ٢٨فَليُعْطِكَ اللهُ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ الأَرْضِ. وَكَثْرَةَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. ٢٩ليُسْتَعْبَدْ لكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدْ لكَ قَبَائِل. كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَليَسْجُدْ لكَ بَنُو أُمِّكَ. ليَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ.

٣٠وَحَدَث عِنْدَمَا فَرَغَ إِسْحَاقُ مِنْ بَرَكَةِ يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ قَدْ

خَرَجَ مِنْ لدُنْ إسْحَاقَ أَبِيهِ، أَنَّ عِيسُوَ أَخَاهُ أَتَى مِنْ صَيْدِهِ، ٣١فَصَنَعَ هُوَ أَيْضًا أَطْعِمَةً وَدَخَل بِهَا إلى أَبِيهِ وقَال لأَبِيهِ: لِيَقُمْ أَبِي وَيَأْكُل مِنْ صَيْدِ ابْنِهِ حَتَّى تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ. ٣٢فقَال لهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَال: أَنَا ابْنُكَ بِكْرُكَ عِيسُو. ٣٣فَارْتَعَدَ إِسْحَاقُ ارْتِعَادًا عَظِيمًا جِدًّا وَقَال: فَمَنْ هُوَ الذي اصْطَادَ صَيْدًا وَأَتَى بِهِ إِليَّ فَأَكَلتُ مِنَ الكُل قَبْل أَنْ تَجِيءَ، وَبَارَكْتُهُ؟ نَعَمْ، وَيَكُونُ مُبَارَكًا. ٣٤فَعِنْدَمَا سَمِعَ عِيسُو كَلاَمَ أَبِيهِ صَرَخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَمُرَّةً جدًّا، وقَال لأَبِيهِ: بَارِكْنِي أَنَا أَيْضًا يَا أَبِي. ٣٥فقَال: قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذ بَرَكَتَكَ. ٣٦فقَال: أَلاَ إِنَّ اسْمَهُ دُعِيَ يَعْقُوبَ، فَقَدْ تَعَقَّبَنِي الآنَ مَرَّتَيْنِ! أَخَذ بَكُورِيَّتِي، وَهُوَ ذا الآنَ قَدْ أَخَذ بَرَكَتِي. ثمَّ قَال: أَمَا أَبْقَيْتَ لي بَرَكَةً؟ ٣٧فَأَجَابَ إِسْحَاقُ وقَال لعِيسُو: إِنِّي قَدْ جَعَلتُهُ سَيِّدًا لكَ، وَدَفَعْتُ إِليْهِ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ عَبِيدًا، وَعَضَدْتُهُ بِحِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. فَمَاذا أَصْنَعُ إِليْكَ يَا ابْنِي؟ ٣٨فقَال عِيسُو لأَبِيهِ: أَلكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَا أَبِي؟ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضًا يَا أَبِي. وَرَفَعَ عِيسُو صَوْتَهُ وَبَكَى. ٣٩فَأَجَابَ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: هُوَ ذا بِلاَ دَسَمِ الأَرْضِ يَكُونُ مَسْكَنُكَ، وَبِلاَ نَدَى السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ. ٤٠وَبِسَيْفِكَ تَعِيشُ، وَلأَخِيكَ تُسْتَعْبَدُ، وَلكِنْ يَكُونُ حِينَمَا تَجْمَحُ أَنَّكَ تُكَسِّرُ نِيرَهُ عَنْ عُنُقِكَ. ٤١فَحَقَدَ عِيسُو عَلى يَعْقُوبَ مِنْ أَجْل البَرَكَةِ التِي بَارَكَهُ بِهَا أَبُوهُ.

وَقَال عِيسُو فِي قَلبِهِ: قَرُبَتْ أَيَّامُ مَنَاحَةِ أَبِي، فَأَقْتُل يَعْقُوبَ أَخِي. ٤٢فَأُخْبِرَتْ رِفْقَةُ بِكَلاَمِ عِيسُوَ ابْنِهَا الأَكْبَرِ، فَأَرْسَلتْ وَدَعَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الأَصْغَرَ وَقَالتْ لهُ: هُوَذا عِيسُو أَخُوكَ مُتَسَل مِنْ جِهَتِكَ بِأَنَّهُ

يَقْتُلَكَ. ٤٣فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي، وَقُمِ اهْرُبْ إِلى أَخِي لاَبَانَ إِلى حَارَانَ، ٤٤وَأَقِمْ عِنْدَهُ أَيَّامًا قَلِيلةً حَتَّى يَرْتَدَّ سُخْطُ أَخِيكَ. ٤٥حَتَّى يَرْتَدَّ غَضَبُ أَخِيكَ عَنْكَ، وَيَنْسَى مَا صَنَعْتَ بِهِ. ثُمَّ أُرْسِلَ فَآخُذَكَ مِنْ هُنَاكَ. لِمَاذا أُعْدَمُ اثْنَيْكُمَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟. ٤٦وَقَالتْ رِفْقَةُ لإِسْحَاقَ: مَللتُ حَيَاتِي مِنْ أَجْلِ بَنَاتِ حِث. إِنْ كَانَ يَعْقُوبُ يَأْخُذ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ حِث مِثل هؤُلاَءِ مِنْ بَنَاتِ الأَرْضِ، فَلِمَاذا لِي حَيَاةٌ؟) تكوين٢٧.

- **هل يليق أن يذكر في التوراة أن يعقوب يصارع ربه فيغلبه ويقيده؟**

لقد وصف الكتاب المقدس عند النصارى يعقوب وهو يصارع الله ويعكمه، فلا يستطيع الرب الحركة من شدة عجزه، فهل هذا كتاب مقدس؟ انظر إلى هذا النص: (٢٢ثُمَّ قَامَ فِي تِلكَ اللَّيْلةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاضَةَ يَبُّوقَ. ٢٣أَخَذَهُمْ وَأَجَازَهُمُ الوَادِيَ، وَأَجَازَ مَا كَانَ لهُ. ٢٤فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الفَجْرِ. ٢٥وَلمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَليْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلعَ حُقُّ فَخْذ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. ٢٦وَقَال: أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلعَ الفَجْرُ. فَقَال: لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لمْ تُبَارِكْنِي. ٢٧فَقَال لهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَال: يَعْقُوبُ. ٢٨فَقَال: لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَل إِسْرَائِيل، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ. ٢٩وَسَأَل يَعْقُوبُ وَقَال: أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ. فَقَال: لِمَاذا تَسْأَل عَنِ اسْمِي؟ وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. ٣٠فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ المَكَان فَنِيئِيل قَائِلاً: لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي. ٣١وَأَشْرَقَتْ لهُ الشَّمْسُ إِذ عَبَرَ فَنُوئِيل وَهُوَ يَخْمَعُ عَلى فَخْذِهِ. ٣٢لذلك لاَ يَأْكُل بَنُو إِسْرَائِيل

عِرْقَ النَّسَا الذي عَلى حُقِّ الفَخِذِ إِلى هذا اليَوْمِ، لأَنَّهُ ضَرَبَ حُقَّ فَخذ يَعْقُوبَ عَلى عِرْقِ النَّسَا) تكوين/٢٢.

لقد ذكر الكتاب المقدس عند النصارى أن بنت النبي يعقوب اغتصبها شاب فلم يرى أبوها في الأمر شيئا، قال: (١وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَةُ لَيْئَةَ التِي وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ لتَنْظرَ بَنَاتِ الأَرْضِ، ٢فرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الحِوِّيِّ رَئِيس الأَرْض، وَأَخَذهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذلهَا. ٣وَتَعَلقَتْ نَفْسُهُ بِدِينَةَ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَأَحَبَّ الفَتَاةَ وَلاَطَفَ الفَتاةَ. ٤فكَلمَ شَكِيمُ حَمُورَ أَبِاهُ قَائِلاً: خُذ لي هذهِ الصَّبِيَّةَ زَوْجَةً.

٥وَسَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ نَجَّسَ دِينَةَ ابْنَتَهُ. وَأَمَّا بَنُوهُ فَكَانُوا مَعَ مَوَاشِيهِ فِي الحَقْلِ، فَسَكَتَ يَعْقُوبُ حَتَّى جَاءُوا. ٦فَخَرَجَ حَمُورُ أَبُو شَكِيمَ إِلى يَعْقُوبَ لِيَتَكَلمَ مَعَهُ. ٧وَأَتَى بَنُو يَعْقُوبَ مِنَ الحَقْل حِينَ سَمِعُوا. وَغَضِبَ الرِّجَال وَاغْتَاظُوا جِدًّا لأَنَّهُ صَنَعَ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيل بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَهكَذا لاَ يُصْنَعُ. ٨وَتَكَلمَ حَمُورُ مَعَهُمَ قَائِلاً: شَكِيمُ ابْنِي قَدْ تَعَلقَتْ نَفْسُهُ بِابْنَتِكُمْ. أَعْطُوهُ إِيَّاهَا زَوْجَةً ٩وَصَاهِرُونَا. تُعْطُونَنَا بَنَاتِكُمْ، وَتَأْخُذونَ لكُمْ بَنَاتِنَا. ١٠وَتَسْكُنُونَ مَعَنَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ قُدَّامَكُمُ. اسْكُنُوا وَاتَّجِرُوا فِيهَا وَتَمَلكُوا بِهَا.

١١ثمَّ قَال شَكِيمُ لأَبِيهَا وَلإِخْوَتِهَا: دَعُونِي أَجِدْ نِعْمَةً فِي أَعْيُنِكُمْ. فَالذِي تَقُولونَ لي أُعْطِي. ١٢كَثرُوا عَليَّ جِدًّا مَهْرًا وَعَطِيَّةً، فَأُعْطِيَ كَمَا تَقُولونَ لي. وَأَعْطُونِي الفَتَاةَ زَوْجَةً. ١٣فَأَجَابَ بَنُو يَعْقُوبَ شَكِيمَ وَحَمُورَ أَبَاهُ بِمَكْرٍ وَتَكَلمُوا. لأَنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَّسَ دِينَةَ أُخْتَهُمْ، ١٤فقَالوُا لهُمَا: لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَل هذا الأَمْرَ أَنْ نُعْطِيَ أُخْتَنَا لرَجُل أَغْلفَ، لأَنَّهُ

عَارٌ لنَا. ١٥غَيْرَ أَنَّنَا بِهذا نُواتِيكُمْ: إِنْ صِرتُمْ مِثلنَا بِختَتِكُمْ كُل ذكَرٍ. ١٦نُعْطِيكُمْ بَنَاتِنَا وَنَأْخُذ لنَا بَنَاتِكُمْ، وَنَسْكُنُ مَعَكُمْ وَنَصِيرُ شَعْبًا وَاحِدًا. ١٧وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لنَا، أَنْ تَخْتَتِنُوا، نَأْخُذ ابْنَتَنَا وَنَمْضِي. ١٨فَحَسُنَ كَلاَمُهُمْ فِي عَيْنَيْ حَمُورَ وَفِي عَيْنَيْ شَكِيمَ بْنِ حَمُورَ. ١٩وَلَمْ يَتَأَخَّرِ الغُلاَمُ أَنْ يَفْعَل الأَمْرَ، لأَنَّهُ كَانَ مَسْرُورًا بِابْنَةِ يَعْقُوبَ.

وَكَانَ أَكْرَمَ جَمِيعِ بَيْتِ أَبِيهِ. ٢٠فَأَتَى حَمُورُ وَشَكِيمُ ابْنُهُ إِلى بَابِ مَدِينَتِهِمَا، وَكَلمَا أَهْل مَدِينَتِهِمَا قَائِلينَ: ٢١هؤُلاَءِ القَوْمُ مُسَالِمُونَ لنَا. فَليَسْكُنُوا فِي الأَرْضِ وَيَتَّجِرُوا فِيهَا. وَهُوَ ذا الأَرْضُ وَاسِعَةُ الطَّرَفَيْنِ أَمَامَهُمْ. نَأْخُذ لنَا بَنَاتِهِمْ زَوْجَاتٍ وَنُعْطِيهِمْ بَنَاتِنَا. ٢٢غَيْرَ أَنَّهُ بِهذا فَقَطْ يُواتِينَا القَوْمُ عَلى السَّكَنِ مَعَنَا لنَصِيرَ شَعْبًا وَاحِدًا: بِخَتْنِنَا كُل ذكَرٍ كَمَا هُمْ مَخْتُونُونَ. ٢٣أَلاَ تَكُونُ مَوَاشِيهِمْ وَمُقْتَنَاهُمْ وَكُل بَهَائِمِهِمْ لنَا؟ نُواتِيهِمْ فَقَطْ فَيَسْكُنُونَ مَعَنَا. ٢٤فَسَمِعَ لِحَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنِهِ جَمِيعُ الخَارِجِينَ مِنْ بَابِ المَدِينَةِ، وَاخْتَتَنَ كُل ذكَرٍ. كُل الخَارِجِينَ مِنْ بَابِ المَدِينَةِ. ٢٥فَحَدَثَ فِي اليَوْمِ الثالث إذ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذا كُل وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلى المَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُل ذكَرٍ. ٢٦وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا.

٢٧ثمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلى القَتْلى وَنَهَبُوا المَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ. ٢٨غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُل مَا فِي المَدِينَةِ وَمَا فِي الحَقْل أَخَذوهُ. ٢٩وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُل ثرْوَتِهِمْ وَكُل أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُل مَا فِي البُيُوتِ. ٣٠فَقَال يَعْقُوبُ لِشَمْعُونَ وَلاَوِي: كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا

إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأَرْضِ الكَنْعَانِيِّينَ وَالفِرِزِّيِّينَ، وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيل. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي، فَأَبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي؟) تكوين/٣١.

ملفقو العهد القديم يزعمون أن يهوذا بن يعقوب النبي ﵇ أحد إخوة يوسف النبي ﵇ يزنى بزوجة ابنه! فيقول: (١٢وَبَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ مَاتَتْ زَوْجَةُ يَهُوذا ابْنَةُ شُوعٍ. وَإِذ تَعَزَّى يَهُوذا بَعْدَهَا انْطَلَقَ إِلَى جُزَّازِ غَنَمِهِ فِي تِمْنَةَ بِرِفْقَةِ حِيرَةَ صَاحِبِهِ الْعَدُلاَمِيِّ. ١٣فَقِيلَ لِثامَارَ: هُوَ ذا حَمُوكِ قَادِمٌ لِتِمْنَةَ لِجَزِّ غَنَمِهِ. ١٤فَنَزَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَبَرْقَعَتْ وَتَلَفَّعَتْ وَجَلَسَتْ عِنْدَ مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لأَنَّهَا عَرَفَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ وَأَنَّهَا لَنْ تُزَفَّ إِلَيْهِ. ١٥فَعِنْدَمَا رَآهَا يَهُوذا ظَنَّهَا زَانِيَةً لأَنَّهَا كَانَتْ مُحَجَّبَةً، ١٦فَمَالَ نَحْوَهَا إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ وَقَالَ: دَعِينِي أُعَاشِرُكِ. وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي أَنَّهَا كَنَّتُهُ. فَقَالَتْ: مَاذا تُعْطِينِي لِكَيْ تُعَاشِرَنِي؟ ١٧فَقَالَ: أَبْعَث إِلَيْكِ جَدْيَ مِعْزَى مِنَ الْقَطِيع. فَقَالَتْ: أَتُعْطِينِي رَهْناً حَتَّى تَبْعَث بِهِ؟ ١٨فَسَأَلَهَا: أَيُّ رَهْنٍ أُعْطِيكِ؟ فَأَجَابَتْهُ: خَاتَمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ. فَأَعْطَاهَا مَا طَلَبَتْ، وَعَاشَرَهَا فَحَمَلَتْ مِنْهُ. ١٩ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ، وَخَلَعَتْ بُرْقُعَهَا وَارْتَدَتْ ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا.

٢٠وَعِنْدَمَا أَرْسَلَ الْجَدْيَ مَعَ صَاحِبِهِ الْعَدُلاَمِيِّ لِيَسْتَرِدَّ الرَّهْنَ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ لَمْ يَجِدْهَا. ٢١فَسَأَلَ أَهْلَ الْمَكَان: أَيْنَ الزَّانِيَةُ الَّتِي كَانَتْ تَجْلِسُ عَلَى الطَّرِيقِ فِي عَيْنَايِمَ؟ فَقَالُوا: لَمْ تَكُنْ فِي هَذا الْمَكَان زَانِيَةٌ. ٢٢فَعَادَ إِلَى يَهُوذا وَقَالَ: لَمْ أَجِدْهَا؛ وَكَذلِكَ قَالَ أَهْلُ الْمَكَان: لَمْ تَكُنْ هَهُنَا زَانِيَةٌ. ٢٣فَأَجَابَ يَهُوذا: فَلْتَحْتَفِظْ بِمَا عِنْدَهَا، فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ يَسْخَرَ النَّاسُ مِنِّي. لَقَدْ بَعَثتُ بِهَذا الْجَدْيِ أُجْرَةً لَهَا وَلَكِنَّكَ لَمْ تَجِدْهَا.

٢٤وَبَعْدَ مُضِيِّ ثلاثَةِ أَشْهُرٍ قِيلَ لِيَهُوذا: ثامَارُ كَنَّتُكَ زَنَتْ، وَحَبِلَتْ مِنْ زِنَاهَا. فَقَالَ يَهُوذا: أَخْرِجُوهَا لِتُحْرَقَ. ٢٥وَعِنْدَمَا أُخْرِجَتْ أَرْسَلَتْ إِلَى حَمِيهَا قَائِلَةً: أَنَا حُبْلَى مِنْ صَاحِبِ هَذهِ الأَشْيَاءِ. تَحَقَّقْ لِمَنْ هَذا الْخَاتَمُ وَالْعِصَابَةُ وَالْعَصَا؟ ٢٦فَأَقَرَّ بِهَا يَهُوذا وَقَالَ: هِيَ حَقّاً أَبَرُّ مِنِّي، لأَنَّنِي لَمْ أُزَوِّجْهَا مِنِ ابْنِي شِيلَةَ. وَلَمْ يُعَاشِرْهَا فِي مَا بَعْدُ.

٢٧وَعِنْدَمَا أَزِفَ مَوْعِدُ وِلاَدَتِهَا إذا فِي أَحْشَائِهَا تَوْأَمَان. ٢٨وَفِي أَثْنَاءِ وِلاَدَتِهَا أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا يَداً فَرَبَطَتِ الْقَابِلَةُ حَوْلَهَا خَيْطاً أَحْمَرَ، وَقَالَتْ: هَذا خَرَجَ أَوَّلاً. ٢٩غَيْرَ أَنَّهُ سَحَبَ يَدَهُ فَخَرَجَ أَخُوهُ، فَقَالَتْ: أَيُّ اقْتِحَامٍ اقْتَحَمْتَ لِنَفْسِكَ؟ لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ فَارَصَ وَمَعْنَاهُ: اقْتِحَامٌ. ٣٠وَبَعْدَ ذلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ ذو الْمِعْصَمِ الْمُطَوَّق بِالْخَيْطِ الأَحْمَرِ فَسُمِّيَ زَارَحَ وَمَعْنَاهُ: أَحْمَرُ، أَوْ إِشْرَاقٌ) تكوين/ ٣٨.

- **جلافة كتابهم المقدس في الكلام مع الله وموسى إله لهارون.**

ما هذه الجلافة في الكلام مع الله؟ وهل يمكن أن يكون موسى إلها لهارون؟ قال كتابهم المقدس: (١٠فَقَال مُوسَى للرَّبِّ: اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذ أَمْسِ، وَلاَ أَوَّل مِنْ أَمْسِ، وَلاَ مِنْ حِينِ كَلمْتَ عَبْدَكَ، بَل أَنَا ثقِيلُ الفَمِ وَاللسَان. ١١فَقَال لهُ الرَّبُّ: مَنْ صَنَعَ للإِنْسَان فَمًا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ ١٢فَالآنَ اذهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلمُكَ مَا تَتَكَلمُ بِهِ. ١٣فَقَال: اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِل بِيَدِ مَنْ تُرْسِل.

١٤فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلى مُوسَى وَقَال: أَليْسَ هَارُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلمُ، وَأَيْضًا هَا هُوَ خَارِجٌ لاسْتِقْبَالك. فَحِينَمَا

يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلبِهِ، ١٥فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الكَلمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِك وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعْلمُكُمَا مَاذا تَصْنَعَان. ١٦وَهُوَ يُكَلمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لهُ إِلهًا. ١٧وَتَأْخُذ فِي يَدِكَ هذهِ العَصَا التِي تَصْنَعُ بِهَا الآيَاتِ) خروج/٤.

وانظر إلى حكاية الكتاب المقدس عند النصارى عن أيوب وشكواه: (قَدْ كَرِهَتْ نَفْسِي حَيَاتِي. أُسَيِّبُ شَكْوَايَ. أَتَكَلمُ فِي مَرَارَةِ نَفْسِي ٢قَائِلاً لِلهِ: لاَ تَسْتَذْنِبْنِي. فَهِّمْنِي لِمَاذا تُخَاصِمُنِي! ٣أَحَسَنٌ عِنْدَكَ أَنْ تَظلِمَ، أَنْ تُرْذِل عَمَل يَدَيْكَ، وَتُشْرِقَ عَلى مَشُورَةِ الأَشْرَارِ؟ ٤أَلكَ عَيْنَا بَشَرٍ، أَمْ كَنَظَرِ الإِنْسَانِ تَنْظُرُ؟ ٥أَأَيَّامُكَ كَأَيَّامِ الإِنْسَانِ، أَمْ سِنُوكَ كَأَيَّامِ الرَّجُلِ، ٦حَتَّى تَبْحَث عَنْ إِثْمِي وَتُفَتِّشَ عَلى خَطِيَّتِي؟ ٧فِي عِلمِكَ أَنِّي لسْتُ مُذنِبًا، وَلاَ مُنْقِذ مِنْ يَدِكَ. ٨يَدَاكَ كَوَّنَتَانِي وَصَنَعَتَانِي كُلي جَمِيعًا، أَفَتَبْتَلعُنِي؟ ٩اُذكُرْ أَنَّكَ جَبَلتَنِي كَالطِّينِ، أَفَتُعِيدُنِي إِلى التُّرَابِ؟ ١٠أَلمْ تَصُبَّنِي كَاللبَنِ، وَخَثَّرْتَنِي كَالجُبْنِ؟ ١١كَسَوْتَنِي جِلدًا وَلحْمًا، فَنَسَجْتَنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ. ١٢مَنَحْتَنِي حَيَاةً وَرَحْمَةً، وَحَفِظَتْ عِنَايَتُكَ رُوحِي. ١٣لكِنَّكَ كَتَمْتَ هذهِ فِي قَلبِكَ. عَلمْتُ أَنَّ هذا عِنْدَكَ: ١٤إِنْ أَخْطَأْتُ تُلاَحِظنِي وَلاَ تُبْرِئُنِي مِنْ إِثْمِي. ١٥إِنْ أَذنَبْتُ فَوَيْل لِي، وَإِنْ تَبَرَّرْتُ لاَ أَرْفَعُ رَأْسِي. إِنِّي شَبْعَانُ هَوَانًا وَنَاظِرٌ مَذلتِي. ١٦وَإِن ارْتَفَعَ تَصْطَادُنِي كَأَسَدٍ، ثُمَّ تَعُودُ وَتَتَجَبَّرُ عَليَّ. ١٧تُجَدِّدُ شُهُودَكَ تُجَاهِي، وَتَزِيدُ غَضَبَكَ عَليَّ. نُوبٌ وَجَيْشٌ ضِدِّي.

١٨فَلِمَاذا أَخْرَجْتَنِي مِنَ الرَّحِمِ؟ كُنْتُ قَدْ أَسْلمْتُ الرُّوحَ وَلمْ تَرَنِي عَيْنٌ! ١٩فَكُنْتُ كَأَنِّي لمْ أَكُنْ، فَأُقَادَ مِنَ الرَّحِمِ إِلى القَبْرِ. ٢٠أَليْسَتْ

أَيَّامِي قَليلةً؟ اتْرُكْ! كُفَّ عَنِّي فَأَتَبَلجَ قَليلاً، ٢١قَبْل أَنْ أَذهَبَ وَلاَ أَعُودَ. إلى أَرْضِ ظلمَةٍ وَظل المَوْتِ، ٢٢أَرْضِ ظلاَمٍ مِثل دُجَى ظل المَوْتِ وَبِلاَ تَرْتِيبٍ، وَإِشْرَاقُهَا كَالدُّجَى.

حَتَّى مَتَى تُعَذبُونَ نَفْسِي وَتَسْحَقُونَنِي بِالكَلاَمِ؟ ٣هذهِ عَشَرَ مَرَّاتٍ أَخْزَيْتُمُونِي. لمْ تَخْجَلوا مِنْ أَنْ تَحْكِرُونِي. ٤وَهَبْنِي ضَللتُ حَقًّا. عَليَّ تَسْتَقِرُّ ضَلاَلَتِي! ٥إِنْ كُنْتُمْ بِالحَقِّ تَسْتَكْبِرُونَ عَليَّ، فَثبِّتُوا عَليَّ عَارِي. ٦فَاعْلمُوا إِذا أَنَّ اللهَ قَدْ عَوَّجَنِي، وَلفَّ عَليَّ أُحْبُولتَهُ. ٧هَا إِنِّي أَصْرُخُ ظلمًا فَلاَ أُسْتَجَابُ. أَدْعُو وَليْسَ حُكْمٌ. ٨قَدْ حَوَّطَ طَرِيقِي فَلاَ أَعْبُرُ، وَعَلى سُبُلي جَعَل ظلاَمًا. ٩أَزَال عَنِّي كَرَامَتِي وَنَزَعَ تَاجَ رَأْسِي. ١٠هَدَمَنِي مِنْ كُل جِهَةٍ فَذهَبْتُ، وَقَلعَ مِثل شَجَرَةٍ رَجَائِي، ١١وَأَضْرَمَ عَليَّ غَضَبَهُ، وَحَسِبَنِي كَأَعْدَائِهِ. ١٢مَعًا جَاءَتْ غُزَاتُهُ، وَأَعَدُّوا عَليَّ طَرِيقَهُمْ، وَحَلوا حَوْل خَيْمَتِي. ١٣قَدْ أَبْعَدَ عَنِّي إِخْوَتِي، وَمَعَارِفِي زَاغُوا عَنِّي. ١٤أَقَارِبِي قَدْ خَذلونِي، وَالذِينَ عَرَفُونِي نَسُونِي. ١٥نُزَلاَءُ بَيْتِي وَإِمَائِي يَحْسِبُونَنِي أَجْنَبِيًّا. صِرْتُ فِي أَعْيُنِهِمْ غَرِيبًا. ١٦عَبْدِي دَعَوْتُ فَلمْ يُجِبْ. بِفَمِي تَضَرَّعْتُ إِليْهِ. ١٧نَكْهَتِي مَكْرُوهَةٌ عِنْدَ امْرَأَتِي، وَخَمَمْتُ عِنْدَ أَبْنَاءِ أَحْشَائِي. ١٨اَلأَوْلاَدُ أَيْضًا قَدْ رَذلونِي. إِذا قُمْتُ يَتَكَلمُونَ عَليَّ. ١٩كَرِهَنِي كُل رِجَالي، وَالذِينَ أَحْبَبْتُهُمُ انْقَلبُوا عَليَّ. ٢٠عَظمِي قَدْ لصِقَ بِجِلدِي وَلحْمِي، وَنَجَوْتُ بِجِلدِ أَسْنَانِي. ٢١تَرَاءَفُوا، تَرَاءَفُوا أَنْتُمْ عَليَّ يَا أَصْحَابِي، لأَنَّ يَدَ اللهِ قَدْ مَسَّتْنِي. ٢٢لمَاذا تُطَارِدُونَنِي كَمَا اللهُ، وَلاَ تَشْبَعُونَ مِنْ لحْمِي؟) أيوب/١٠.

هل أوصى موسى عليه السلام بني إسرائيل بسرقة ذهب المصريين

وفضتهم؟ قال الكتاب المقدس عند النصارى: (٣٥وَفَعَل بَنُو إِسْرَائِيل بِحَسَبِ قَوْل مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ المِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذهَبٍ وَثِيَابًا. ٣٦وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً للشَّعْبِ فِي عُيُونِ المِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلبُوا المِصْرِيِّينَ) خروج/١٢.

وانظر إلى كتابهم المقدس وهو يصور النبي هارون ﷺ وهو يصنع العجل من الذهب المسروق من المصريين كي يعبده بنو إسرائيل: (١وَلمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُول مِنَ الجَبَل، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلى هَارُونَ وَقَالوا لهُ: قُمِ اصْنَعْ لنَا آلهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذا مُوسَى الرَّجُل الذي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلمُ مَاذا أَصَابَهُ. ٢فَقَال لهُمْ هَارُونُ: انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذهَبِ التِي فِي آذانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا. ٣فَنَزَعَ كُل الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذهَبِ التِي فِي آذانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلى هَارُونَ. ٤فَأَخَذَ ذلكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيل، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالوا: هذهِ آلهَتُكَ يَا إِسْرَائِيل التِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ٥فَلمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَال: غَدًا عِيدٌ للرَّبِّ. ٦فَبَكَّرُوا فِي الغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلسَ الشَّعْبُ للأَكْل وَالشُّرْبِ ثمَّ قَامُوا للعِبِ) خروج/٣٢.

الكتاب المقدس عند النصارى يدعو في حروبه إلى أن تكون حروب إبادة واستئصال كامل: (حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلى الصُّلحِ، ١١فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلى الصُّلحِ وَفَتَحَتْ لكَ، فَكُلُ الشَّعْبِ المَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لكَ للتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لكَ. ١٢وَإِنْ لمْ تُسَالِمْكَ، بَل عَمِلتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. ١٣وَإِذا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ

إلى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٤وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَال وَالبَهَائِمُ وَكُل مَا فِي المَدِينَةِ، كُل غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لنَفْسِكَ، وَتَأْكُل غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ التِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. ١٥هكَذَا تَفْعَل بِجَمِيعِ المُدُن البَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا التِي ليْسَتْ مِنْ مُدُن هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. ١٦وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، ١٧بَل تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالكَنْعَانِيِّينَ وَالفِرِزِّيِّينَ وَالحِوِّيِّينَ وَاليَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، ١٨لكَيْ لاَ يُعَلمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ التِي عَمِلوا لآلهَتِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلى الرَّبِّ إِلهِكُمْ) تثنية/٢٠.

كل من صُلب فهو ملعون، بهذا حكم الله في كتابهم المقدس فقال ملفقو التوراة: (وَإِذا كَانَ عَلى إِنْسَان خَطِيَّةٌ حَقُّهَا المَوْتُ، فَقُتِل وَعَلقْتَهُ عَلى خَشَبَةٍ، ٢٣فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلى الخَشَبَةِ، بَل تَدْفِنُهُ فِي ذلكَ اليَوْمِ، لأَنَّ المُعَلقَ مَلعُونٌ مِنَ اللهِ. فَلاَ تُنَجِّسْ أَرْضَكَ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا) تثنية/٢١.

بل دلت النصوص على أن التدمير والاستئصال واجب عسكري في شريعة الكتاب المقدس عند النصارى: (١وَقَال صَمُوئِيل لشَاوُل: إِيَّايَ أَرْسَل الرَّبُّ لمَسْحِكَ مَلكًا عَلى شَعْبِهِ إِسْرَائِيل. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. ٢هكَذَا يَقُول رَبُّ الجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِل عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيل حِينَ وَقَفَ لهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. ٣فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُل مَا لهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَل اقْتُل رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا. ٤فَاسْتَحْضَرَ شَاوُل

الشَّعْبَ وَعَدَّهُ فِي طَلاَيِمَ، مِئَتَيْ أَلفِ رَاجِل، وَعَشَرَةَ آلاَفِ رَجُل مِنْ يَهُوذا) صموئيل الأول/١٥.

- **الكتاب المقدس يصف النبي داود عليه السلام أنه يزني بزوجة جاره .**

الكتاب المقدس عند النصارى يصف النبي داود عليه السلام بأنه يتجسس على زوجة جاره وقائده، ويزنى بها ويتآمر على قتل الزوج ثم يضم زوجته إلى حريمه، ولكن بعد العِدّة كي يكون الزنا والقتل شرعيا، حيث قال ملفقو العهد القديم: (وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ. ٢وَكَانَ فِي وَقْتِ المَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ المَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ المَرْأَةُ جَمِيلةَ المَنْظرِ جِدًّا. ٣فَأَرْسَل دَاوُدُ وَسَأَل عَنِ المَرْأَةِ، فَقَال وَاحِدٌ: أَليْسَتْ هذهِ بَتْشَبَعَ بِنْتَ أَليعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الحِثِّيِّ؟. ٤فَأَرْسَل دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذهَا، فَدَخَلتْ إِليْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا.

ثُمَّ رَجَعَتْ إِلى بَيْتِهَا. ٥وَحَبِلتِ المَرْأَةُ، فَأَرْسَلتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالتْ: إِنِّي حُبْلى. ٦فَأَرْسَل دَاوُدُ إِلى يُوآبَ يَقُول: أَرْسِل إِليَّ أُورِيَّا الحِثِّيَّ. فَأَرْسَل يُوآبُ أُورِيَّا إِلى دَاوُدَ. ٧فَأَتَى أُورِيَّا إِليْهِ، فَسَأَل دَاوُدُ عَنْ سَلاَمَةِ يُوآبَ وَسَلاَمَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الحَرْبِ. ٨وَقَال دَاوُدُ لأُورِيَّا: انْزِل إِلى بَيْتِكَ وَاغْسِل رِجْليْكَ. فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ المَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِنْ عِنْدِ المَلِكِ.

٩وَنَامَ أُورِيَّا عَلى بَابِ بَيْتِ المَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلمْ يَنْزِل إِلى بَيْتِهِ. ١٠فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: لمْ يَنْزِل أُورِيَّا إِلى بَيْتِهِ. فَقَال دَاوُدُ لأُورِيَّا: أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَاذا لمْ تَنْزِل إِلى بَيْتِكَ؟ ١١فَقَال أُورِيَّا لِدَاوُدَ: إِنَّ

التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيل وَيَهُوذا سَاكِنُونَ فِي الخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلونَ عَلى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلى بَيْتِي لآكُل وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجعَ مَعَ امْرَأَتِي؟

وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لاَ أَفْعَل هذا الأَمْرَ. ١٢فَقَال دَاوُدُ لأُورِيَّا: أَقِمْ هُنَا اليَوْمَ أَيْضًا، وَغَدًا أُطْلقُكَ. فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذلكَ اليَوْمَ وَغَدَهُ. ١٣وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَل أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ المَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلى بَيْتِهِ لمْ يَنْزِل.

١٤وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلى يُوآبَ وَأَرْسَلهُ بِيَدِ أُورِيَّا. ١٥وَكَتَبَ فِي المَكْتُوبِ يَقُول: اجْعَلوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ. ١٦وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوآبَ المَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَل أُورِيَّا فِي المَوْضِعِ الذي عَلمَ أَنَّ رِجَال البَأْسِ فِيهِ. ١٧فَخَرَجَ رِجَال المَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوآبَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الحِثِّيُّ أَيْضًا. ١٨فَأَرْسَل يُوآبُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الحَرْبِ.

١٩وَأَوْصَى الرَّسُول قَائِلاً: عِنْدَمَا تَفْرَغُ مِنَ الكَلاَمِ مَعَ المَلكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الحَرْبِ، ٢٠فَإِنِ اشْتَعَل غَضَبُ المَلكِ، وَقَال لكَ: لِمَاذا دَنَوْتُمْ مِنَ المَدِينَةِ للقِتَال؟ أَمَا عَلمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلى السُّورِ؟ ٢١مَنْ قَتَل أَبِيمَالكَ بْنَ يَرُبُّوشَثَ؟ أَلمْ تَرْمِهِ امْرَأَةٌ بِقِطْعَةِ رَحًى مِنْ عَلى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصَ؟ لِمَاذا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُل: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الحِثِّيُّ أَيْضًا.

٢٢فَذَهَبَ الرَّسُول وَدَخَل وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِكُل مَا أَرْسَلهُ فِيهِ يُوآبُ.

٢٣وقَال الرَّسُول لدَاوُدَ: قَدْ تَجبَّرَ علَيْنَا القَوْمُ وَخرَجُوا إِليْنَا إِلى الحَقْلِ فَكُنَّا عليْهِمْ إِلى مَدْخَلِ البَابِ. ٢٤فرَمَى الرُّمَاةُ عَبِيدَكَ مِنْ عَلى السُّورِ، فَمَاتَ البَعْضُ مِنْ عَبِيدِ المَلِكِ، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الحِثيُّ أَيْضًا. ٢٥فقَالَ دَاوُدُ للرَّسُولِ: هكَذا تَقُول ليُوآبَ: لاَ يَسُؤْ فِي عَيْنَيْكَ هذا الأَمْرُ، لأَنَّ السَّيْفَ يَأْكُل هذا وَذاكَ. شَدِّدْ قِتَالكَ عَلى المَدِينَةِ وَأَخْرِبْهَا. وَشَدِّدْهُ.

٢٦فَلمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ أُورِيَّا رَجُلهَا، نَدَبَتْ بَعْلهَا. ٢٧ولَمَّا مَضَتِ المَنَاحَةُ أَرْسَل دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلى بَيْتِهِ، وَصَارَتْ لهُ امْرَأَةً وَوَلدَتْ لهُ ابْنًا) صموئيل الثاني/١١.

الله يعاقب داود عليه السلام بإعطاء نسائه لقريبه كي يضطجع معهن، وأن الكاتب جاء يكحّلها فأعماها: (٧فَقَال نَاثانُ لدَاوُدَ: أَنْتَ هُوَ الرَّجُل! هكَذا قَال الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيل: أَنَا مَسَحْتُكَ مَلكًا عَلى إِسْرَائِيل وَأَنْقَذْتُكَ مِنْ يَدِ شَاوُل، ٨وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ سَيِّدِكَ وَنِسَاءَ سَيِّدِكَ فِي حِضْنِكَ، وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ إِسْرَائِيل وَيَهُوذا. وَإِنْ كَانَ ذلكَ قَليلاً، كُنْتُ أَزِيدُ لكَ كَذا وَكَذا.

٩لمَاذا احْتَقَرْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ لتَعْمَل الشَّرَّ فِي عَيْنَيْهِ؟ قَدْ قَتَلتَ أُورِيَّا الحِثيَّ بِالسَّيْفِ، وَأَخَذتَ امْرَأَتَهُ لكَ امْرَأَةً، وَإِيَّاهُ قَتَلتَ بِسَيْفِ بَنِي عَمُّونَ. ١٠وَالآنَ لاَ يُفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلى الأَبَدِ، لأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذتَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الحِثيِّ لتَكُونَ لكَ امْرَأَةً. ١١هكَذا قَال الرَّبُّ: هأَنَذا أُقِيمُ عَليْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هذهِ الشَّمْسِ. ١٢لأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلتَ بِالسِّرِّ وَأَنَا أَفْعَل هذا الأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيل وَقُدَّامَ الشَّمْسِ.

١٣فقَال داوُدُ لنَاثانَ: قَدْ أَخْطَأْتُ إلى الرَّبِّ. فقَال نَاثانُ لدَاوُدَ: الرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَل عَنْكَ خطِيَّتَك. لاَ تَمُوتُ. ١٤غيْرَ أَنَّهُ مِنْ أَجْل أَنَّك قَدْ جَعَلتَ بِهذا الأَمْرِ أَعْدَاءَ الرَّبِّ يَشْمَتُونَ، فَالابْنُ المَوْلودُ لك يَمُوتُ. ١٥وَذهَبَ نَاثانُ إلى بَيْتِهِ.

وَضَرَبَ الرَّبُّ الوَلدَ الذي وَلدَتْهُ امْرَأَةُ أُوريَّا لدَاوُدَ فثقِل. ١٦فسَأَل دَاوُدُ اللهَ مِنْ أَجْل الصَّبِيِّ، وَصامَ دَاوُدُ صَوْمًا، وَدَخَل وَبَاتَ مُضْطَجِعًا عَلى الأَرْضِ. ١٧فقَامَ شُيُوخُ بَيْتِهِ عَليْهِ ليُقِيمُوهُ عَنِ الأَرْضِ فَلمْ يَشَأْ، وَلمْ يَأْكُل مَعَهُمْ خُبْزًا. ١٨وَكَانَ فِي اليَوْمِ السَّابعِ أَنَّ الوَلدَ مَاتَ، فَخَافَ عَبِيدُ دَاوُدَ أَنْ يُخْبِرُوهُ بِأَنَّ الوَلدَ قَدْ مَاتَ لأَنَّهُمْ قَالوا: هُوَذا لمَّا كَانَ الوَلدُ حَيًّا كَلمْنَاهُ فَلمْ يَسْمَعْ لصَوْتِنَا. فَكَيْفَ نَقُول لهُ: قَدْ مَاتَ الوَلدُ؟ يَعْمَل أَشَرًّا!.

١٩وَرَأَى دَاوُدُ عَبِيدَهُ يَتَنَاجَوْنَ، فَفَطِنَ دَاوُدُ أَنَّ الوَلدَ قَدْ مَاتَ. فَقَال دَاوُدُ لعَبِيدِهِ: هَل مَاتَ الوَلدُ؟ فَقَالوا: مَاتَ. ٢٠فقَامَ دَاوُدُ عَنِ الأَرْضِ وَاغْتَسَل وَادَّهَنَ وَبَدَّل ثِيَابَهُ وَدَخَل بَيْتَ الرَّبِّ وَسَجَدَ، ثمَّ جَاءَ إلى بَيْتِهِ وَطَلبَ فَوَضَعُوا لهُ خُبْزًا فَأَكَل. ٢١فقَال لهُ عَبِيدُهُ: مَا هذا الأَمْرُ الذي فَعَلتَ؟ لمَّا كَانَ الوَلدُ حَيًّا صُمْتَ وَبَكَيْتَ، وَلمَّا مَاتَ الوَلدُ قُمْتَ وَأَكَلتَ خُبْزًا. ٢٢فقَال: لمَّا كَانَ الوَلدُ حَيًّا صُمْتُ وَبَكَيْتُ لأَنِّي قُلتُ: مَنْ يَعْلمُ؟ رُبَّمَا يَرْحَمُنِي الرَّبُّ وَيَحْيَا الوَلدُ. ٢٣وَالآنَ قَدْ مَاتَ، فَلمَاذا أَصُومُ؟ هَل أَقْدِرُ أَنْ أَرُدَّهُ بَعْدُ؟ أَنَا ذاهِبٌ إليْهِ وَأَمَّا هُوَ فَلاَ يَرْجعُ إليَّ.

٢٤وَعَزَّى دَاوُدُ بَتشَبَعَ امْرَأَتَهُ، وَدَخَل إليْهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا فَوَلدَتِ ابْنًا، فَدَعَا اسْمَهُ سُليْمَانَ، وَالرَّبُّ أَحَبَّهُ، ٢٥وَأَرْسَل بِيَدِ نَاثانَ النَّبِيِّ وَدَعَا

اسْمَهُ يَدِيدِيَّا مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ) صموئيل الثاني/١٢.

الكتاب المقدس عند النصارى يذكر أن ابن النبي داود ﷺ يغتصب أخته فقال: (١وَجَرَى بَعْدَ ذلكَ أَنَّهُ كَانَ لأَبْشَالومَ بْنِ دَاوُدَ أُخْتٌ جَمِيلَةٌ اسْمُهَا ثامَارُ، فَأَحَبَّهَا أَمْنُونُ بْنُ دَاوُدَ. ٢وأُحْصِرَ أَمْنُونُ للسُّقْمِ مِنْ أَجْلِ ثامَارَ أُخْتِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ عَذراءَ، وَعَسُرَ فِي عَيْنَيْ أَمْنُونَ أَنْ يَفْعَل لها شَيْئًا. ٣وَكَانَ لأَمْنُونَ صَاحِبٌ اسْمُهُ يُونَادَابُ بْنُ شِمْعَى أَخِي دَاوُدَ.

وَكَانَ يُونَادَابُ رَجُلاً حَكِيمًا جِدًّا. ٤فَقَال لهُ: لِمَاذا يَا ابْنَ المَلِكِ أَنْتَ ضَعِيفٌ هكَذا مِنْ صَبَاحٍ إِلى صَبَاحٍ؟ أَمَا تُخْبِرُنِي؟ فَقَال لهُ أَمْنُونُ: إِنِّي أُحِبُّ ثامَارَ أُخْتَ أَبْشَالومَ أَخِي. ٥فَقَال يُونَادَابُ: اضْطَجِعْ عَلى سَرِيرِكَ وَتَمَارَضْ. وَإِذا جَاءَ أَبُوكَ لِيَرَاكَ فَقُل لهُ: دَعْ ثامَارَ أُخْتِي فَتَأْتِيَ وَتُطْعِمَنِي خُبْزًا، وَتَعْمَل أَمَامِي الطَّعَامَ لأَرَى فَآكُل مِنْ يَدِهَا. ٦فَاضْطَجَعَ أَمْنُونُ وَتَمَارَضَ، فَجَاءَ المَلِكُ لِيَرَاهُ. فَقَال أَمْنُونُ للمَلِكِ: دَعْ ثامَارَ أُخْتِي فَتَأْتِيَ وَتَصْنَعَ أَمَامِي كَعْكَتَيْنِ فَآكُل مِنْ يَدِهَا. ٧فَأَرْسَل دَاوُدُ إِلى ثامَارَ إِلى البَيْتِ قَائِلاً: اذهَبِي إِلى بَيْتِ أَمْنُونَ أَخِيكِ وَاعْمَلِي لهُ طَعَامًا. ٨فَذهَبَتْ ثامَارُ إِلى بَيْتِ أَمْنُونَ أَخِيهَا وَهُوَ مُضْطَجِعٌ.

وَأَخَذتِ العَجِينَ وَعَجَنَتْ وَعَمِلتْ كَعْكًا أَمَامَهُ وَخَبَزَتِ الكَعْكَ، ٩وَأَخَذتِ المِقْلاَةَ وَسَكَبَتْ أَمَامَهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُل. وَقَال أَمْنُونُ: أَخْرِجُوا كُل إِنْسَانٍ عَنِّي. فَخَرَجَ كُل إِنْسَانٍ عَنْهُ.

١٠ثُمَّ قَال أَمْنُونُ لثامَارَ: ايتِي بِالطَّعَامِ إِلى المِخْدَعِ فَآكُل مِنْ يَدِكِ. فَأَخَذتْ ثامَارُ الكَعْكَ الذِي عَمِلتْهُ وَأَتَتْ بِهِ أَمْنُونَ أَخَاهَا إِلى المِخْدَعِ. ١١وَقَدَّمَتْ لهُ لِيَأْكُل، فَأَمْسَكَهَا وَقَال لها: تَعَالِي اضْطَجِعِي مَعِي يَا

أُخْتِي. ١٢فَقَالتْ لهُ: لاَ يَا أَخِي، لاَ تُذلنِي لأَنَّهُ لاَ يُفْعَل هكَذا فِي إسْرَائِيل. لاَ تَعْمَل هذهِ القَبَاحَةَ. ١٣أَمَّا أَنَا فَأَيْنَ أَذهَبُ بِعَارِي؟ وَأَمَّا أَنْتَ فَتَكُونُ كَوَاحِدٍ مِنَ السُّفَهَاءِ فِي إِسْرَائِيل! وَالآنَ كَلمِ المَلكَ لأَنَّهُ لاَ يَمْنَعُنِي مِنْكَ. ١٤فَلمْ يَشَأْ أَنْ يَسْمَعَ لصَوْتِهَا، بَل تَمَكَّنَ مِنْهَا وَقَهَرَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا.

١٥ثمَّ أَبْغَضَهَا أَمْنُونُ بُغْضَةً شَدِيدَةً جِدًّا، حَتَّى إِنَّ البُغْضَةَ التِي أَبْغَضَهَا إِيَّاهَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ المَحَبَّةِ التِي أَحَبَّهَا إِيَّاهَا. وَقَال لهَا أَمْنُونُ: قُومِي انْطَلقِي. ١٦فَقَالتْ لهُ: لاَ سَبَبَ! هذا الشَّرُّ بِطَرْدِكَ إِيَّايَ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ الذي عَمِلتَهُ بِي. فَلمْ يَشَأْ أَنْ يَسْمَعَ لهَا، ١٧بَل دَعَا غُلاَمَهُ الذي كَانَ يَخْدِمُهُ وَقَال: اطْرُدْ هذهِ عَنِّي خَارِجًا وَأَقْفِل البَابَ وَرَاءَهَا. ١٨وَكَانَ عَليْهَا ثوْبٌ مُلوَّنٌ، لأَنَّ بَنَاتِ المَلكِ العَذارَى كُنَّ يَلبَسْنَ جُبَّاتٍ مِثل هذهِ. فَأَخْرَجَهَا خَادِمُهُ إِلى الخَارِجِ وَأَقْفَل البَابَ وَرَاءَهَا. ١٩فَجَعَلتْ ثامَارُ رَمَادًا عَلى رَأْسِهَا، وَمَزَّقَتِ الثوْبَ المُلوَّنَ الذي عَليْهَا، وَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلى رَأْسِهَا وَكَانَتْ تَذهَبُ صَارِخَةً. ٢٠فَقَال لهَا أَبْشَالومُ أَخُوهَا: هَل كَانَ أَمْنُونُ أَخُوكِ مَعَكِ؟ فَالآنَ يَا أُخْتِي اسْكُتِي. أَخُوكِ هُوَ. لاَ تَضَعِي قَلبَكِ عَلى هذا الأَمْرِ. فَأَقَامَتْ ثامَارُ مُسْتَوْحِشَةً فِي بَيْتِ أَبْشَالومَ أَخِيهَا.

٢١وَلمَّا سَمِعَ المَلكُ دَاوُدُ بِجَمِيعِ هذهِ الأُمُور اغْتَاظ جِدًّا. ٢٢وَلمْ يُكَلمْ أَبْشَالومُ أَمْنُونَ بِشَرّ وَلاَ بِخَيْرٍ، لأَنَّ أَبْشَالومَ أَبْغَضَ أَمْنُونَ مِنْ أَجْل أَنَّهُ أَذل ثامَارَ أُخْتَهُ.

٢٣وَكَانَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ، أَنَّهُ كَانَ لأَبْشَالومَ جَزَّازُونَ فِي بَعْل

حَاصُورَ التِي عِنْدَ أَفْرَايِمَ. فَدَعَا أَبْشَالومُ جَمِيعَ بَنِي المَلِكِ. ٢٤وَجَاءَ أَبْشَالومُ إلى المَلِكِ وَقَال: هُوَذا لِعَبْدِكَ جَزَّازُونَ. فَلْيَذهَبِ المَلكُ وَعَبِيدُهُ مَعَ عَبْدِكَ. ٢٥فَقَال المَلكُ لأَبْشَالومَ: لاَ يَا ابْنِي. لاَ نَذهَبْ كُلنَا لِئَلاَّ نُثَقِّل عَليْكَ. فَأَلحَّ عَليْهِ، فَلمْ يَشَأْ أَنْ يَذهَبَ بَل بَارَكَهُ. ٢٦فَقَال أَبْشَالومُ: إِذا دَعْ أَخِي أَمْنُونَ يَذهَبْ مَعَنَا. فَقَال المَلكُ: لِمَاذا يَذهَبُ مَعَكَ؟ ٢٧فَأَلحَّ عَليْهِ أَبْشَالومُ، فَأَرْسَل مَعَهُ أَمْنُونَ وَجَمِيعَ بَنِي المَلكِ.

٢٨فَأَوْصَى أَبْشَالومُ غِلمَانَهُ قَائِلاً: انْظُرُوا. مَتَى طَابَ قَلبُ أَمْنُونَ بِالخَمْرِ وَقُلتُ لكُمُ اضْرِبُوا أَمْنُونَ فَاقْتُلوهُ. لاَ تَخَافُوا. أَليْسَ أَنِّي أَنَا أَمَرْتُكُمْ؟ فَتَشَدَّدُوا وَكُونُوا ذوِي بَأْسٍ. ٢٩فَفَعَل غِلمَانُ أَبْشَالومَ بِأَمْنُونَ كَمَا أَمَرَ أَبْشَالومُ. فَقَامَ جَمِيعُ بَنِي المَلِكِ وَرَكِبُوا كُل وَاحِدٍ عَلى بَغْلهِ وَهَرَبُوا. ٣٠وَفِيمَا هُمْ فِي الطَّرِيقِ وَصَل الخَبَرُ إِلى دَاوُدَ وَقِيل لهُ: قَدْ قَتَل أَبْشَالومُ جَمِيعَ بَنِي المَلكِ، وَلمْ يَتَبَقَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ. ٣١فَقَامَ المَلكُ وَمَزَّقَ ثِيَابَهُ وَاضْطَجَعَ عَلى الأَرْضِ وَجَمِيعُ عَبِيدِهِ وَاقِفُونَ وَثِيَابُهُمْ مُمَزَّقَةٌ. ٣٢فَأَجَابَ يُونَادَابُ بْنُ شِمْعَى أَخِي دَاوُدَ وَقَال: لاَ يَظُنَّ سَيِّدِي أَنَّهُمْ قَتَلوا جَمِيعَ الفِتْيَانِ بَنِي المَلكِ. إِنَّمَا أَمْنُونُ وَحْدَهُ مَاتَ، لأَنَّ ذلِكَ قَدْ وُضِعَ عِنْدَ أَبْشَالومَ مُنْذ يَوْمَ أَذل ثَامَارَ أُخْتَهُ. ٣٣وَالآنَ لاَ يَضَعَنَّ سَيِّدِي المَلكُ فِي قَلبِهِ شَيْئًا قَائِلاً: إِنَّ جَمِيعَ بَنِي المَلكِ قَدْ مَاتُوا. إِنَّمَا أَمْنُونُ وَحْدَهُ مَاتَ. ٣٤وَهَرَبَ أَبْشَالومُ) صموئيل الثاني/١٣.

- **العهر المقدس في الكتاب المقدس الذي لا يزول منه حرف واحد.**

سِفْر نشيد الأنشاد كله هو العهر المقدس على أصوله الإباحية! ففي الأصحاح الأوَّل: (١نَشِيدُ الأَنْشَادِ الذي لسُليْمَانَ: ٢لِيُقَبِّلنِي بِقُبْلاَتِ

فَمِهِ، لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الخَمْرِ. ٣لرَائِحَةِ أَدْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ. اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ، لذلك أَحَبَّتْكَ العَذارَى. ٤اُجْذبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ. أَدْخَلَنِي المَلِكُ إلى حِجَالِهِ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ. نَذكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الخَمْرِ. بِالحَقِّ يُحِبُّونَكَ.٥أَنَا سَوْدَاءُ وَجَمِيلَةٌ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ، كَخِيَامِ قِيدَارَ، كَشُقَقِ سُلَيْمَانَ. ٦لاَ تَنْظرْنَ إليَّ لكَوْنِي سَوْدَاءَ، لأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ لوَّحَتْنِي. بَنُو أُمِّي غَضِبُوا عَلَيَّ. جَعَلونِي نَاطُورَةَ الكُرُومِ. أَمَّا كَرْمِي فَلَمْ أَنْطُرْهُ. ٧أَخْبِرْنِي يَا مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي، أَيْنَ تَرْعَى، أَيْنَ تُرْبِضُ عِنْدَ الظهِيرَةِ. لِمَاذا أَنَا أَكُونُ كَمُقَنَّعَةٍ عِنْدَ قُطْعَان أَصْحَابِكَ؟

٨إِنْ لَمْ تَعْرِفِي أَيَّتُهَا الجَمِيلةُ بَيْنَ النِّسَاءِ، فَاخْرُجِي عَلى آثارِ الغَنَمِ، وَارْعَيْ جِدَاءَكِ عِنْدَ مَسَاكِنِ الرُّعَاةِ. ٩لقَدْ شَبَّهْتُكِ يَا حَبِيبَتِي بِفَرَسٍ فِي مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ. ١٠مَا أَجْمَل خَدَّيْكِ بِسُمُوطٍ، وَعُنُقَكِ بِقَلاَئِدَ! ١١نَصْنَعُ لكِ سَلاَسِلَ مِنْ ذهَبٍ مَعَ جُمَان مِنْ فِضَّةٍ. ١٢مَا دَامَ المَلِكُ فِي مَجْلسِهِ أَفَاحَ نَارِدِينِي رَائِحَتَهُ. ١٣صُرَّةُ المُرِّ حَبِيبِي لي. بَيْنَ ثدْيَيَّ يَبِيتُ. ١٤طَاقَةُ فَاغِيَةٍ حَبِيبِي لي فِي كُرُومِ عَيْنِ جَدْيٍ. ١٥هَا أَنْتِ جَمِيلةٌ يَا حَبِيبَتِي، هَا أَنْتِ جَمِيلةٌ. عَيْنَاكِ حَمَامَتَان. ١٦هَا أَنْتَ جَمِيل يَا حَبِيبِي وَحُلوٌ، وَسَرِيرُنَا أَخْضَرُ. ١٧جَوَائِزُ بَيْتِنَا أَرْزٌ، وَرَوَافِدُنَا سَرْوٌ).

وفِي الأَصحَاحُ الثانِي: (١أَنَا نَرْجِسُ شَارُونَ، سَوْسَنَةُ الأَوْدِيَةِ. ٢كَالسَّوْسَنَةِ بَيْنَ الشَّوْكِ كَذلكَ حَبِيبَتِي بَيْنَ البَنَاتِ. ٣كَالتُّفَّاحِ بَيْنَ شَجَرِ الوَعْرِ كَذلكَ حَبِيبِي بَيْنَ البَنِينَ. تَحْتَ ظلهِ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلسَ، وَثمَرَتُهُ حُلوَةٌ لحَلقِي. ٤أَدْخَلَنِي إلى بَيْتِ الخَمْرِ، وَعَلمُهُ فَوْقِي مَحَبَّةٌ. ٥أَسْنِدُونِي بِأَقْرَاصِ الزَّبِيبِ. أَنْعِشُونِي بِالتُّفَّاحِ، فَإِنِّي مَرِيضَةٌ حُبًّا.

٦شِمَالُهُ تَحْتَ رَأْسِي وَيَمِينُهُ تُعَانِقُنِي. ٧أُحَلفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ بِالظِبَاءِ وَبِأَيَائِلِ الحُقُول، أَلاَّ تُيَقِّظنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ. ٨صَوْتُ حَبِيبِي. هُوَذا آتٍ طَافِرًا عَلَى الجِبَال، قَافِزًا عَلَى التِّلاَل. ٩حَبِيبِي هُوَ شَبِيهٌ بِالظبْيِ أَوْ بِغُفْرِ الأَيَائِل. هُوَذا وَاقِفٌ وَرَاءَ حَائِطِنَا، يَتَطَلَعُ مِنَ الكُوَى، يُوَصْوِصُ مِنَ الشَّبَابِيكِ.

١٠أَجَابَ حَبِيبِي وَقَال لِي: قُومِي يَا حَبِيبَتِي، يَا جَمِيلتِي وَتَعَاليْ. ١١لأَنَّ الشِّتَاءَ قَدْ مَضَى، وَالمَطَرَ مَرَّ وَزَال. ١٢الزُّهُورُ ظهَرَتْ فِي الأَرْضِ. بَلغَ أَوَانُ القَضْبِ ، وَصَوْتُ اليَمَامَةِ سُمِعَ فِي أَرْضِنَا. ١٣التِّينَةُ أَخْرَجَتْ فِجَّهَا، وَقُعَال الكُرُومِ تُفِيحُ رَائِحَتَهَا. قُومِي يَا حَبِيبَتِي، يَا جَمِيلتِي وَتَعَاليْ. ١٤يَا حَمَامَتِي فِي مَحَاجِئِ الصَّخْرِ، فِي سِتْرِ المَعَاقِل، أَرِينِي وَجْهَكِ، أَسْمِعِينِي صَوْتَكِ، لأَنَّ صَوْتَكِ لطِيفٌ وَوَجْهَكِ جَمِيل. ١٥خُذوا لنَا الثعَالبَ، الثعَالبَ الصِّغَارَ المُفْسِدَةَ الكُرُومِ، لأَنَّ كُرُومَنَا قَدْ أَقْعَلتْ. ١٦حَبِيبِي لِي وَأَنَا لهُ الرَّاعِي بَيْنَ السَّوْسَنِ. ١٧إِلى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظلاَل، ارْجِعْ وَأَشْبِهْ يَا حَبِيبِي الظبْيَ أَوْ غُفْرَ الأَيَائِل عَلى الجِبَال المُشَعَّبَةِ).

وفي الأصحَاحُ الثالثُ: (١فِي الليْل عَلى فِرَاشِي طَلَبْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. ٢إِنِّي أَقُومُ وَأَطُوفُ فِي المَدِينَةِ، فِي الأَسْوَاقِ وَفِي الشَّوَارِعِ، أَطْلبُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. ٣وَجَدَنِي الحَرَسُ الطَّائِفُ فِي المَدِينَةِ، فَقُلتُ: أَرَأَيْتُمْ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي؟ ٤فَمَا جَاوَزْتُهُمْ إِلاَّ قَليلاً حَتَّى وَجَدْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي، فَأَمْسَكْتُهُ وَلمْ أُرْخِهِ، حَتَّى أَدْخَلتُهُ بَيْتَ أُمِّي وَحُجْرَةَ مَنْ حَبِلتْ بِي.

٥أُحلفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ بِالظبَاءِ وَبِأَيَائِلِ الحَقْل، أَلاَّ تُيَقِّظنَ وَلاَ تُنبِّهْنَ الحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ. ٦مَنْ هذهِ الطَّالعَةُ مِنَ البَرِّيَّةِ كَأَعْمِدَةٍ مِنْ دُخَان، مُعَطَّرَةً بِالْمُرِّ وَاللبَان وَبِكُل أَذرَّةِ التَّاجِرِ؟ ٧هُوَذا تَخْتُ سُلَيْمَانَ حَوْلهُ سِتُّونَ جَبَّارًا مِنْ جَبَابِرَةِ إِسْرَائِيل. ٨كُلهُمْ قَابِضُونَ سُيُوفًا وَمُتَعَلمُونَ الحَرْبَ. كُل رَجُل سَيْفُهُ عَلى فَخْذهِ مِنْ هَوْل الليْل. ٩اَلمَلكُ سُليْمَانُ عَمِل لنَفْسِهِ تَخْتًا مِنْ خَشَبِ لبْنَانَ. ١٠عَمِل أَعْمِدَتَهُ فِضَّةً، وَرَوَافِدَهُ ذهَبًا، وَمَقْعَدَهُ أُرْجُوانًا، وَوَسَطَهُ مَرْصُوفًا مَحَبَّةً مِنْ بَنَاتِ أُورُشَليمَ. ١١اُخْرُجْنَ يَا بَنَاتِ صِهْيَوْنَ، وَانْظُرْنَ المَلكَ سُليْمَانَ بِالتَّاجِ الذي تَوَّجَتْهُ بِهِ أُمُّهُ فِي يَوْمِ عُرْسِهِ، وَفِي يَوْمِ فَرَحِ قَلبِهِ.

وفي الأصحَاحُ الرَّابعُ: (١هَا أَنْتِ جَمِيلةٌ يَا حَبِيبَتِي، هَا أَنْتِ جَمِيلةٌ! عَيْنَاكِ حَمَامَتَان مِنْ تَحْتِ نَقَابِكِ. شَعْرُكِ كَقَطِيعِ مِعْزٍ رَابِضٍ عَلى جَبَل جِلعَادَ. ٢أَسْنَانُكِ كَقَطِيعِ الجَزَائِزِ الصَّادِرَةِ مِنَ الغَسْل، اللوَاتِي كُل وَاحِدَةٍ مُتْئِمٌ، وَليْسَ فِيهِنَّ عَقِيمٌ. ٣شَفَتَاكِ كَسِلكَةٍ مِنَ القِرْمِزِ، وَفَمُكِ حُلوٌ. خَدُّكِ كَفِلقَةِ رُمَّانَةٍ تَحْتَ نَقَابِكِ. ٤عُنُقُكِ كَبُرْجِ دَاوُدَ المَبْنِيِّ للأَسْلحَةِ. أَلفُ مِجَنٍّ عُلقَ عَليْهِ، كُلهَا أَتْرَاسُ الجَبَابِرَةِ. ٥ثدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْ ظبْيَةٍ، تَوْأَمَيْنِ يَرْعَيَان بَيْنَ السَّوْسَنِ. ٦إِلى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظلاَل، أَذهَبُ إِلى جَبَل المُرِّ وَإِلى تَل اللبَان. ٧كُلكِ جَمِيل يَا حَبِيبَتِي ليْسَ فِيكِ عَيْبَةٌ. ٨هَلمِّي مَعِي مِنْ لبْنَانَ يَا عَرُوسُ، مَعِي مِنْ لبْنَانَ! انْظرِي مِنْ رَأْسِ أَمَانَةَ، مِنْ رَأْسِ شَنِيرَ وَحَرْمُونَ، مِنْ خُدُورِ الأُسُودِ، مِنْ جِبَال النُّمُورِ.

٩قَدْ سَبَيْتِ قَلبِي يَا أُخْتِي العَرُوسُ. قَدْ سَبَيْتِ قَلبِي بِإِحْدَى عَيْنَيْكِ،

بِقَلاَدَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عُنُقِكِ. ١٠مَا أَحْسَنَ حُبَّكِ يَا أُخْتِي العَرُوسُ! كَمْ مَحَبَّتُكِ أَطْيَبُ مِنَ الخَمْرِ! وَكَمْ رَائِحَةُ أَدْهَانِكِ أَطْيَبُ مِنْ كُل الأَطْيَابِ! ١١شَفَتَاكِ يَا عَرُوسُ تَقْطُرَان شَهْدًا. تَحْتَ لِسَانِكِ عَسَل وَلَبَنٌ، وَرَائِحَةُ ثِيَابِكِ كَرَائِحَةِ لبْنَانَ. ١٢أُخْتِي العَرُوسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ، عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ، يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ. ١٣أَغْرَاسُكِ فِرْدَوْسُ رُمَّان مَعَ أَثْمَار نَفِيسَةٍ، فَاغِيَةٍ وَنَارِدِين. ١٤نَارِدِينٍ وَكُرْكُم. قَصَبِ الذرِيرَةِ وَقِرْفَةٍ، مَعَ كُل عُودِ اللبَان. مُرٌّ وَعُودٌ مَعَ كُل أَنْفَسِ الأَطْيَابِ. ١٥يَنْبُوعُ جَنَّاتٍ، بِئْرُ مِيَاهٍ حَيَّةٍ، وَسُيُول مِنْ لبْنَانَ. ١٦اِسْتَيْقِظِي يَا رِيحَ الشَّمَال، وَتَعَاليْ يَا رِيحَ الجَنُوبِ! هَبِّي عَلى جَنَّتِي فَتَقْطُرَ أَطْيَابُهَا. ليَأْتِ حَبِيبِي إِلى جَنَّتِهِ وَيَأْكُل ثَمَرَهُ النَّفِيس).

وفي الأصحَاحُ السَّابعُ: (١مَا أَجْمَل رِجْليْكِ بِالنَّعْليْنِ يَا بِنْتَ الكَرِيم! دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثل الحَليِّ، صَنْعَةِ يَدَيْ صَنَّاعٍ. ٢سُرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لاَ يُعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ. ٣ثدْيَاكِ كَخَشْفَتَيْنِ، تَوْأَمَيْ ظبْيَةٍ. ٤عُنُقُكِ كَبُرْجٍ مِنْ عَاجٍ. عَيْنَاكِ كَالبِرَكِ فِي حَشْبُونَ عِنْدَ بَابِ بَث رَبِّيمَ. أَنْفُكِ كَبُرْجِ لبْنَانَ النَّاظِرِ تُجَاهَ دِمَشْقَ. ٥رَأْسُكِ عَليْكِ مِثل الكَرْمَل، وَشَعْرُ رَأْسِكِ كَأُرْجُوَان. مَلكٌ قَدْ أُسِرَ بِالخُصَل. ٦مَا أَجْمَلكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الحَبِيبَةُ بِاللذاتِ! ٧قَامَتُكِ هذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلةِ، وَثدْيَاكِ بِالعَنَاقِيدِ. ٨قُلتُ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلى النَّخْلةِ وَأُمْسِكُ بِعُذوقِهَا. وَتَكُونُ ثدْيَاكِ كَعَنَاقِيدِ الكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكِ كَالتُّفَّاحِ، ٩وَحَنَكُكِ كَأَجْوَدِ الخَمْرِ. لحَبِيبِي السَّائِغَةُ المُرَقْرِقَةُ السَّائِحَةُ عَلى شِفَاهِ النَّائِمِينَ. ١٠أَنَا لحَبِيبِي، وَإِليَّ اشْتِيَاقُهُ. ١١تَعَال يَا حَبِيبِي لنَخْرُجْ إِلى الحَقْل، وَلنَبِتْ فِي القُرَى. ١٢لنُبَكِّرَنَّ إِلى الكُرُومِ، لنَنْظرَ:

هَل أَزْهَرَ الكَرْمُ؟ هَل تَفتَّحَ القُعَال؟ هَل نَوَّرَ الرُّمَّانُ؟ هُنَالكَ أُعْطِيكَ حُبِّي. ١٣اَللفَّاحُ يَفُوحُ رَائِحَةً، وَعِنْدَ أَبْوَابِنَا كُل النَّفَائِسِ مِنْ جَدِيدَةٍ وَقَدِيمَةٍ، ذخَرْتُهَا لكَ يَا حَبِيبِي).

وفِي الأصحَاح الثامِن: (١ليْتَكَ كَأَخٍ لي الرَّاضِعِ ثدْيَيْ أُمِّي، فَأَجِدَكَ فِي الخَارِجِ وَأُقَبِّلكَ وَلاَ يُخزُونَنِي. ٢وَأَقُودُكَ وَأَدْخُل بِكَ بَيْتَ أُمِّي، وَهِيَ تُعَلمُنِي، فَأَسْقِيكَ مِنَ الخَمْرِ المَمْزُوجَةِ مِنْ سُلاَفِ رُمَّانِي. ٣شِمَالهُ تَحْتَ رَأْسِي، وَيَمِينُهُ تُعَانِقُنِي. ٤أُحَلفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَليمَ أَلاَّ تُيَقِّظنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ.

٥مَنْ هذهِ الطَّالعَةُ مِنَ البَرِّيَّةِ مُسْتَنِدَةً عَلى حَبِيبِهَا؟ تَحْتَ شَجَرَةِ التُّفَّاحِ شَوَّقْتُكَ، هُنَاكَ خَطَبَتْ لكَ أُمُّكَ، هُنَاكَ خَطَبَتْ لكَ وَالدَتُكَ. ٦اِجْعَلنِي كَخَاتِمٍ عَلى قَلبِكَ، كَخَاتِمٍ عَلى سَاعِدِكَ. لأَنَّ المَحَبَّةَ قَوِيَّةٌ كَالمَوْتِ. الغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالهَاوِيَةِ. لهِيبُهَا لهِيبُ نَارِ لظى الرَّبِّ. ٧مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْفِئَ المَحَبَّةَ، وَالسُّيُول لاَ تَغْمُرُهَا. إِنْ أَعْطَى الإِنْسَانُ كُل ثرْوَةِ بَيْتِهِ بَدَل المَحَبَّةِ، تُحْتَقَرُ احْتِقَارًا.

٨لنَا أُخْتٌ صَغِيرَةٌ ليْسَ لهَا ثدْيَان. فَمَاذا نَصْنَعُ لأُخْتِنَا فِي يَوْمِ تُخطَبُ؟ ٩إِنْ تَكُنْ سُورًا فَنَبْنِي عَليْهَا بُرْجَ فِضَّةٍ. وَإِنْ تَكُنْ بَابًا فَنَحْصُرُهَا بِأَلوَاحِ أَرْزٍ. ١٠أَنَا سُورٌ وَثدْيَايَ كَبُرْجَيْنِ. حِينَئِذٍ كُنْتُ فِي عَيْنَيْهِ كَوَاجِدَةٍ سَلاَمَةً. ١١كَانَ لسُليْمَانَ كَرْمٌ فِي بَعْل هَامُونَ. دَفَعَ الكَرْمَ إِلى نَوَاطِيرَ، كُل وَاحِدٍ يُؤَدِّي عَنْ ثمَرِهِ أَلفًا مِنَ الفِضَّةِ. ١٢كَرْمِي الذي لي هُوَ أَمَامِي. الأَلفُ لكَ يَا سُليْمَانُ، وَمِئَتَان لنَوَاطِيرِ الثمَرِ. ١٣أَيَّتُهَا الجَالسَةُ فِي الجَنَّاتِ، الأَصْحَابُ يَسْمَعُونَ صَوْتَكِ،

فَأَسْمِعِينِي. ١٤اُهْرُبْ يَا حَبِيبِي وَكُنْ كَالظبْيِ أَوْ كَغُفْرِ الأَيَائِلِ عَلَى جِبَال الأَطْيَابِ).

- **عيسى ينفى أنه جاء لنسخ الشريعة ثم يشرع في نسخها على الفور.**

من التناقضات العجيبة أن عيسى ﷺ ينفى أنه جاء لنسخ الشريعة ثم يشرع في نسخها على الفور! فقال كاتب الإنجيل: (١٧لاَ تَظنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَل لأُكَمِّل. ١٨فَإِنِّي الحَقَّ أَقُول لكُمْ: إِلى أَنْ تَزُول السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُول حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الكُل. ١٩فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذهِ الوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلمَ النَّاسَ هكَذا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِل وَعَلمَ، فَهذا يُدْعَى عَظيمًا فِي مَلكُوتِ السَّمَاوَاتِ. ٢٠فَإِنِّي أَقُول لكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلى الكَتَبَةِ وَالفَرِّيسِيِّينَ لنْ تَدْخُلوا مَلكُوتَ السَّماوَاتِ.

٢١قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيل للقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُل، وَمَنْ قَتَل يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الحُكْمِ. ٢٢وَأَمَّا أَنَا فَأَقُول لكُمْ: إِنَّ كُل مَنْ يَغْضَبُ عَلى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الحُكْمِ، وَمَنْ قَال لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ المَجْمَعِ، وَمَنْ قَال: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ. ٢٣فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَك إِلى المَذبَحِ، وَهُنَاكَ تَذكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيك شَيْئًا عَليْك، ٢٤فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَك قُدَّامَ المَذبَحِ، وَاذهَبْ أَوَّلاً اصْطَلحْ مَعَ أَخِيك، وَحِينَئِذ تَعَال وَقَدِّمْ قُرْبَانَك. ٢٥كُنْ مُرَاضِيًا لخَصْمِك سَرِيعًا مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيق، لئَلاَّ يُسَلمَك الخَصْمُ إِلى القَاضِي، وَيُسَلمَك القَاضِي إِلى الشُّرَطِيِّ، فَتُلقَى فِي السِّجْنِ. ٢٦اَلحَقَّ أَقُول لك: لاَ تَخرُجُ مِنْ هُنَاك

حَتَّى تُوفِيَ الفَلسَ الأَخِيرَ!

٢٧قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيل للقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. ٢٨وَأَمَّا أَنَا فَأَقُول لكُمْ: إِنَّ كُل مَنْ يَنْظرُ إِلى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلبِهِ. ٢٩فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ اليُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلعْهَا وَأَلقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لكَ أَنْ يَهْلكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلقَى جَسَدُكَ كُلهُ فِي جَهَنَّمَ. ٣٠وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ اليُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لكَ أَنْ يَهْلكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلقَى جَسَدُكَ كُلهُ فِي جَهَنَّمَ.

٣١وَقِيل: مَنْ طَلقَ امْرَأَتَهُ فَليُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَقٍ. ٣٢وَأَمَّا أَنَا فَأَقُول لكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لعِلةِ الزِّنَى يَجْعَلهَا تَزْنِي، وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي. ٣٣أَيْضًا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيل للقُدَمَاءِ:لاَ تَحْنَث، بَل أَوْفِ للرَّبِّ أَقْسَامَكَ. ٣٤وَأَمَّا أَنَا فَأَقُول لكُمْ: لاَ تَحْلفُوا البَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللهِ، ٣٥وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلاَ بِأُورُشَليمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ المَلكِ العَظِيمِ. ٣٦وَلاَ تَحْلفْ بِرَأْسِكَ، لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَل شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. ٣٧بَل ليَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلى ذلكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ.

٣٨سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيل: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. ٣٩وَأَمَّا أَنَا فَأَقُول لكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَل مَنْ لطَمَكَ عَلى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّل لهُ الآخَرَ أَيْضًا. ٤٠وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذ ثوْبَكَ فَاتْرُكْ لهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. ٤١وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذهَبْ مَعَهُ اثنَيْنِ. ٤٢مَنْ سَأَلكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ.

٤٣سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيل: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. ٤٤وَأَمَّا أَنَا فَأَقُول

لكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إلى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلوا لأَجْل الذينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، ٤٥لكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الذي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظالِمِينَ. ٤٦لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الذينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لكُمْ؟ أَليْسَ العَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلونَ ذلكَ؟ ٤٧وَإِنْ سَلمْتُمْ عَلى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْل تَصْنَعُونَ؟ أَليْسَ العَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلونَ هكَذَا؟ ٤٨فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الذي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِل) متى/٥.

هل كان عيسى نبي السيف والكراهية؟ وهل لا بد من كراهية كل شخص وكل شيء للفوز بالملكوت؟ (لاَ تَظنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلقِيَ سَلاَمًا عَلى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلقِيَ سَلاَمًا بَل سَيْفًا. ٣٥فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. ٣٦وَأَعْدَاءُ الإِنْسَان أَهْل بَيْتِهِ. ٣٧مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي) متى/١٠.

مؤلف الإنجيل يردد أنه عيسى ابن يوسف النجار، ولا حول ولا قوة إلا بالله! (٥٤وَلمَّا جَاءَ إِلى وَطَنِهِ كَانَ يُعَلمُهُمْ فِي مَجْمَعِهِمْ حَتَّى بُهِتُوا وَقَالوا:مِنْ أَيْنَ لهذا هذِهِ الحِكْمَةُ وَالقُوَّاتُ؟ ٥٥أَليْسَ هذا ابْنَ النَّجَّارِ؟ أَليْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذا؟ ٥٦أَوَليْسَتْ أَخَوَاتُهُ جَمِيعُهُنَّ عِنْدَنَا؟ فَمِنْ أَيْنَ لهذا هذِهِ كُلهَا؟) متى/١٣.

- **هل يمكن أن يدخل المسيح أورشليم على أتان وجحش مسروقين؟**

هل يمكن أن يدخل المسيح أورشليم على أتان وجحش مسروقين؟

هذا ما جاء في الإنجيل: (١ولَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَليمَ وَجَاءُوا إلى بَيْتِ فَاجِي عِنْدَ جَبَل الزَّيْتُون، حِينَئِذ أَرْسَل يَسُوعُ تِلمِيذيْن ٢قَائِلاً لَهُمَا: اِذهَبَا إلى القَرْيَةِ التِي أَمَامَكُمَا، فَللوَقْتِ تَجِدَان أَتَانًا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهَا، فَحُلاَهُمَا وأْتِيَاني بِهمَا. ٣وَإنْ قَال لكُمَا أَحَدٌ شَيْئًا، فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إليْهمَا. فَللوَقْتِ يُرْسِلهُمَا. ٤فكَانَ هذا كُلهُ لكَيْ يَتِمَّ مَا قِيل بِالنَّبِيِّ القَائِل: ٥قُولوا لابْنَةِ صِهْيَوْنَ: هُوَذا مَلكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعًا، رَاكِبًا عَلى أَتَان وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَان. ٦فَذهَبَ التِّلمِيذان وفَعَلاَ كَمَا أَمَرَهُمَا يَسُوعُ، ٧وَأَتَيَا بِالأَتَان وَالجَحْشِ، وَوَضَعَا عَليْهمَا ثِيَابَهُمَا فَجَلسَ عَليْهمَا. ٨وَالجَمْعُ الأَكْثَرُ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. ٩وَالجُمُوعُ الذينَ تَقَدَّمُوا وَالذين تَبِعُوا كَانُوا يَصْرَخُونَ قَائِلينَ: أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالي!. ١٠وَلَمَّا دَخَل أُورُشَليمَ ارْتَجَّتِ المَدِينَةُ كُلهَا قَائِلةً:مَنْ هذا؟ ١١فقَالتِ الجُمُوعُ:هذا يَسُوعُ النَّبِيُّ الذي مِنْ نَاصِرَةِ الجَليل) متى/٢١.

يُهينون الإله ويضربونه وهو يصيح ساعة الجِدّ ويصرخ، وما من مغيث: (٢٧فَأَخَذ عَسْكَرُ الوَالي يَسُوعَ إلى دَارِ الولاَيَةِ وَجَمَعُوا عَليْهِ كُل الكَتِيبَةِ، ٢٨فعَرَّوْهُ وَأَلبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، ٢٩وَضَفَرُوا إكْليلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلينَ:السَّلاَمُ يَا مَلكَ اليَهُودِ! ٣٠وَبَصَقُوا عَليْهِ، وَأَخَذوا القَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلى رَأْسِهِ. ٣١وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ للصَّلبِ..

٤٥وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظلمَةٌ عَلى كُل الأَرْضِ إلى السَّاعَةِ

التَّاسِعَةِ. ٤٦وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ ٤٧فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالوا:إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا. ٤٨وَللوقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلاًّ وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ. ٤٩وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالوا:اتْرُكْ. لِنَرَى هَل يَأْتِي إِيلِيَّا يُخَلِّصُهُ!. ٥٠فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ) متى/٢٧.

هل يمكن أن يشتغل الإله صبي نجار؟ (١وَخَرَجَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلى وَطَنِهِ وَتَبِعَهُ تَلاَمِيذُهُ. ٢وَلَمَّا كَانَ السَّبْتُ، ابْتَدَأَ يُعَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ. وَكَثِيرُونَ إِذ سَمِعُوا بُهِتُوا قَائِلِينَ:مِنْ أَيْنَ لِهذَا هذِهِ؟ وَمَا هذِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي أُعْطِيَتْ لهُ حَتَّى تَجْرِيَ عَلَى يَدَيْهِ قُوَّاتٌ مِثْل هذِهِ؟ ٣أَلَيْسَ هذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَأَخُو يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَيَهُوذَا وَسِمْعَانَ؟ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ ههُنَا عِنْدَنَا؟) مرقس/٦.

بطرس ينتهر ربه، وربه يتهمه بأنه شيطان، فهل يعقل هذا في كتاب مقدس؟ (٣١وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَل، وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. ٣٢وَقَال الْقَوْل عَلاَنِيَةً. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِليْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ. ٣٣فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ، فَانْتَهَرَ بُطْرُسَ قَائِلاً: اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ) مرقس/٨.

بعد أن كان المسيح قد نهى تلاميذه عن دعوة الأمم من غير بني إسرائيل ها هو ذا، وبعد موته ثم قيامته، يأمرهم أمرا بدعوة تلك الأمم، وهو ما يعد تناقضا أو إذا أحسنا الظن، نسخا مما يشغبون به على دين

الإسلام: (١٤أَخِيرًا ظهَرَ للأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَّكِئُونَ، وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلوبِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الذينَ نَظرُوهُ قَدْ قَامَ. ١٥وَقَال لَهُمُ:اذهَبُوا إِلى العَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيل للخَلِيقَةِ كُلهَا. ١٦مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ. ١٧وَهذهِ الآيَاتُ تَتْبَعُ المُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي، وَيَتَكَلمُونَ بِأَلسِنَةٍ جَدِيدَةٍ. ١٨يَحْمِلونَ حَيَّاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لاَ يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلى المَرْضَى فَيَبْرَأُونَ. ١٩ثمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلمَهُمُ ارْتَفَعَ إِلى السَّمَاءِ، وَجَلسَ عَنْ يَمِينِ اللهِ. ٢٠وَأَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكَرَزُوا فِي كُل مَكَانٍ، وَالرَّبُّ يَعْمَل مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ الكَلاَمَ بِالآيَاتِ التَّابِعَةِ) مرقس/١٦.

كيف عُرِف أن المسيح جلس عن يمين الله أو عن يساره بعد موته؟ هل رأى ذلك مؤلف الإنجيل؟ (١٩ثمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلمَهُمُ ارْتَفَعَ إِلى السَّمَاءِ، وَجَلسَ عَنْ يَمِينِ اللهِ) مرقس/١٦.

يقولون إن المسيح هو ابن يوسف، أما ابن الله فهو آدم. ولاحظ اختلاف سلسلة النسب هنا عنها فى متى! (٢٣وَلمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لهُ نَحْوُ ثلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلى مَا كَانَ يُظنُّ ابْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي، ٢٤بْنِ مَتْثاتَ، بْنِ لاَوِي، بْنِ مَلكِي، بْنِ يَنَّا، بْنِ يُوسُفَ، ٢٥بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ عَامُوصَ، بْنِ نَاحُومَ، بْنِ حَسْلي، بْنِ نَجَّاي، ٢٦بْنِ مَآث، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ شِمْعِي، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يَهُوذا، ٢٧بْنِ يُوحَنَّا، بْنِ رِيسَا، بْنِ زَرُبَّابِل، بْنِ شَأَلتِيئِيل، بْنِ نِيرِي، ٢٨بْنِ مَلكِي، بْنِ أَدِّي، بْنِ قُصَمَ، بْنِ أَلمُودَامَ، بْنِ عِير، ٢٩بْنِ يُوسِي، بْنِ أَليعَازَرَ، بْنِ يُورِيمَ، بْنِ مَتْثاتَ، بْنِ لاَوِي، ٣٠بْنِ شِمْعُونَ، بْنِ يَهُوذا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يُونَانَ، بْنِ أَليَاقِيمَ، ٣١بْنِ مَليَا، بْنِ

مَيْنَانَ، بْنِ مَتَّاثا، بْنِ نَاثانَ، بْنِ دَاوُدَ، ٣٢بْنِ يَسَّى، بْنِ عُوبِيدَ، بْنِ بُوعَزَ، بْنِ سَلمُونَ، بْنِ نَحْشُونَ، ٣٣بْنِ عَمِّينَادَابَ، بْنِ أَرَامَ، بْنِ حَصْرُونَ، بْنِ فَارِصَ، بْنِ يَهُوذا، ٣٤بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ تَارَحَ، بْنِ نَاحُورَ، ٣٥بْنِ سَرُوجَ، بْنِ رَعُو، بْنِ فَالَجَ، بْنِ عَابِرَ، بْنِ شَالَحَ، ٣٦بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَرْفَكْشَادَ، بْنِ سَامِ، بْنِ نُوحِ، بْنِ لاَمَكَ، ٣٧بْنِ مَتُوشَالَحَ، بْنِ أَخنُوخَ، بْنِ يَارِدَ، بْنِ مَهْلَلئِيل، بْنِ قِينَانَ، ٣٨بْنِ أَنُوشَ، بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ) لوقا/٣.

إن كان عيسى هو الله فالكتاب المقدس يزعم أن الله يغسل أرجل عباده وينشفها بالفوطة: (٤قَامَ عَنِ العَشَاءِ، وَخَلعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا، ٥ثمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَل، وَابْتَدَأَ يَغْسِل أَرْجُل التَّلاَمِيذ وَيَمْسَحُهَا بِالمِنْشَفَةِ التِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا) يوحنا/١٣.

إن كان عيسى هو الله فأحد الخدم يلطم الرب على وجهه، والرب يحاول نفي التهمة عن نفسه في مسكنة: (٢٢وَلَمَّا قَال هذا لطَمَ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنَ الخُدَّامِ كَانَ وَاقِفًا، قَائِلاً: أَهكَذا تُجَاوِبُ رَئِيسَ الكَهَنَةِ؟ ٢٣أَجَابَهُ يَسُوعُ:إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلمْتُ رَدِيًّا فَاشْهَدْ عَلى الرَّدِيِّ، وَإِنْ حَسَنًا فَلمَاذا تَضْرِبُنِي؟) يوحنا/١٨.

- **لا يليق أبد أن يقول إنسان لربه أفق استيقظ لماذا تتغافى؟**

ما ذكره الكتاب المقدس عند النصارى مما لا يليق بالله ولا بقدسية الوحي الإلهي كثير، وهذا يدل دلالة قطعية أن الكتاب المقدس عند النصارى ليس وحيا إلهيا معصوما كما يزعمون، ولكنه حكاية تاريخية عن وحي مفقود ممزوج بقصة تاريخية عن اليهود والنصارى، فهل يليق

أن يقول إنسان لربه أفق استيقظ لماذا تتغافى ، كما ورد في قوله كاتب الإنجيل: (٢٤أفِقْ. لماذا تنامُ يا ربُّ؟ إنهَضْ. لا تَخذلنا إلى الأبدِ. ٢٥لماذا تحجبُ وَجهَكَ عنَّا وتنسَى ما نُعاني مِنَ الضيِّق. ٢٦نُفوسُنا تَمَرَّغَت في التُّرابِ وبُطونُنا لصِقَت بِالأرضِ. ٢٧فَقُمْ لنَصْرَتِنا يا ربُّ، وافْدِنا مِنْ أجل رَحمَتِكَ) مزمور/٤٤.

وورد أيضا قول الكتاب المقدس عند النصارى : (١٢قُمْ يَا رَبُّ. يَا اَللهُ ارْفَعْ يَدَكَ. لاَ تَنْسَ المَسَاكِينَ. ١٣لِمَاذا أَهَانَ الشِّرِّيرُ اللهَ؟ لِمَاذا قَال فِي قَلبِهِ: لاَ تُطَالِبُ؟) مزمور/١٠.

ولا يليق أبد بأي إنسان أن يقول لربه: أفق، استيقظ، لماذا تتغافى؟ ولماذا تنام يا رب؟ وكأن جميع الكلمات في سائر لغات العالم لم تسعف سائر المترجمين في صياغة مثل هذا الكلام من مخطوطات الكتاب المقدس عند النصارى، سبحانك ربنا، ما يكون لنا أن نتكلم بهذا .

ومن ذا الذي يجرؤ أن يقول لغفير أو لأمين شرطة أو ما علا في الرتبة فضلا عن رب العزة والجلال: قم وارفع يدك؟ أيقال مثل هذا الكلام للإله العظيم الجبار في القتال العزيز المرهوب الذي صنع السماوات والأرض بقوته العظيمة الذي يعزل ملوكا وينصب ملوكا؟!

مع أننا نعلم أن المراد من هذه النصوص هو دعاء الله أن يرفع عنهم المقت والبلاء، والكرب والشقاء، والاستعاذة بالله من شماتة الأعداء، وأن يجعل الله ثأرهم على من ظلمهم، وأن ينصرهم على من عاداهم، وأن يعينهم ولا يعن عليهم، وألا يكلهم إلى أنفسهم طرفة عين، ومثل هذه الأدعية التي تليق بالذات الإلهية كما ثبت عن نبينا محمد ﷺ لما قال في

دعائه: (وَاجْعَل ثَأْرَنَا عَلى مَنْ ظلمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلى مَنْ عَادَانَا، وَلا تَجْعَل مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلا تَجْعَل الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلا مَبْلغَ عِلمِنَا، وَلا تُسَلطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا) [1].

وقال رسول الله ﷺ فيما صح عنه: (تَعَوَّذوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ) [2].

وكذلك ورد في الكتاب المقدس عند النصارى: (٨قال اللهُ في هَيكلهِ: بغُبْطةٍ أقسِمُ شكيمَ وأقيسُ وادي سكُّوتَ. ٩لي جلعادُ ولي منَسَّى. أفرايمُ خوذتي ويَهوذا صَولجانِي. ١٠مُوآبُ مَغسلتي وعلى أدومَ أُلقي أنا الرّبُّ حِذائي، وعلى الفِلسطيِّينَ هُتافُ انتصاري. ١١مَنْ يقودُني إلى المدينةِ الحصينةِ؟ مَنْ يَهديني بَعدُ إلى أدومَ؟ ١٢أحقًا خذلتَنا يا اللهُ وما عُدْتَ تخرُج مَعَ جيوشِنا؟ ١٣كُنْ نصيرًا لنا في الضِّيقِ، فَعَبَثا يُخلصُنا البشَرُ. ١٤باللهِ نُقاتِل بِبَسالةٍ، وهوَ يدوسُ أعداءَنا) مزمور/ ١٠٨.

هل يليق بالرب الإله العظيم أن يكون له مرحاض ومغسلة ويخلع نعله وحذاءه؟! هل عجز المترجمون عن صياغة كلام يليق بالذات الإلهية والنصوص المقدسة المنقولة عن مخطوطات الكتاب المقدس عند النصارى!! سبحانك جل شانك، ما يكون لنا أن نتكلم بهذا .



(١) الترمذي في الدعوات ٥/٥٢٨ (٣٥٠٢) وصحيح الجامع (١٢٦٨).

(٢) البخاري في القدر، باب من تعوذ بالله من درك الشقاء ٦/٢٤٤٠ (٦٢٤٢).

المطلب الرابع والعشرون

الأديان الوثنية القديمة وأثر الانحراف عن دعوة الأنبياء والمرسلين إلى توحيد الله



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن متناقضات واقعة في مقتطفات جامعة كدلائل متنوعة على ما صنعه الأحبار والرهبان في كتابهم، وبينا أن واقع الكتاب المقدس يشهد بصدق ما وصف الله به الأحبار والرهبان من إقدامهم على التبديل والتغيير والتحريف والتأويل بغير دليل، ووصفهم لله تعالى بالراحة من التعب، وأنه كان كأنه ماش بين أملاكه، ووصفهم لنوح ﷺ بأنه سكر وتعرت سوأته، وإبراهيم ﷺ لا يغار على زوجته.

وكيف يليق بالكتاب المقدس أن يصف ابنتي لوط باغتصاب أبيهما؟ أو أن يذكر في التوراة أن يعقوب ﷺ يصارع ربه فيغلبه ويقيده؟ ثم جلافة كتابهم المقدس في الكلام مع الله وهل موسى ﷺ إله لهارون؟ كما أن الكتاب المقدس يصف النبي داود ﷺ أنه يزني بزوجة جاره.

وبينا حقيقة العهد المقدس في الكتاب المقدس الذي لا يزول منه حرف واحد. وأن عيسى ﷺ في الكتاب المقدس ينفى أنه جاء لنسخ

الشريعة ثم يتناقض ويشرع في نسخها على الفور، وهل يمكن أن يدخل المسيح عليه السلام أورشليم على أتان وجحش مسروقين؟ وهل يليق أن يقول إنسان لربه عز وجل أفق استيقظ، لماذا تتغافى؟

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن الأديان الوثنية القديمة وأثر الانحراف عن التوحيد الذي دعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين.

- الديانة الفرعونية من أقدم الديانات الوثنية التي امتدت في التاريخ.

الديانة الفرعونية من أقدم الديانات التي امتدت في التاريخ قبل سبعة آلاف سنة قبل الميلاد، واعتقد المصري القديم أن السماء نوت والأرض جيب ولدت من زواج إلهين هما شو وتفنوت، ومن زواج السماء والأرض ولد أربعة آلهة، هم أوزوريس وسيت وإيزيس ونفتيس؛ فتزوج أوزوريس من إيزيس، وسيت من نفتيس، وقد أنجبت إيزيس لأوزوريس ولدا هو حوروس، أما سيت فكان عقيما.

وكان بعد فترة أن سيت قتل أخاه أوزوريس وقطع جسده إلى أربع عشرة قطعة وزعها في جميع أرجاء مصر، ولكن إيزيس عثرت عليها وجمعتها، ونفخت فيها الحياة، فقام الإله من بين الأموات، ولكن أوزوريس قرر مغادرة الأرض والصعود إلى السماء، وهناك رحب به رهط الآلهة وأعطوه سلطة مطلقة على عالم الموت، فصار قاضيا في العالم الأسفل يحاسب الموتى على ما قدمت أيديهم في الحياة الدنيا، أما أخاه سيت فقد حول نشاطه العدواني إلى حوروس الذي ورث عرش أبيه، وابتدأت جولات لا تنتهي من الصراع بين الطرفين.

واعتقد المصري القديم أن الإنسان بعد الموت سينال حقلا في إقليم

ما، يشبه ما هو في مصر، ويخترقه نهرٌ يشبه النيل، أما بعد بناء الأهرام فقد اعتقد أنه سيخلد بعد الموت خلودا سرمديا على هيئة إله، وسوف يستحيل كل عضو من أعضاء المرء إلى رب قائم بذاته، أو عضوا في جسد إله معين على أي صورة كائنة في الطبيعة.

ومن هنا ظهر تعدد الآلهة عند المصريين القدماء، فجعلوا العجل أبيس إلها لخصوبة الأرض، وجعل قرص الشمس بأشعة تنتهي بيد آدمية تمسك مفتاح الحياة الإله آتون، وقد عبده أخناتون وجعله الإله الأوحد، وجعلوا صورة الكبش أو الإوزة الإله آمون ملك الآلهة، وجعلوا كلب جالس على قاعدة الإله أنوبيس حامي وحارس الجبانة، وجعلوا رجلا يعلو رأسه تاج مكون من أربع ريشات الإله أنوريس، ويعني اسمه الذي يحضر البعيدة، وجعلوا امرأة تحمل علامة العرش على رأسها، أو تلبس تاج عبارة عن قرنين بينهما قرص الشمس الإلة إيزيس الساحرة.

وجعلوا إنسانا بدون تحديد واضح لأعضائه الإله بتاح خالق ورب كل الصناعات والفنون، وجعلوا قزما ذا سيقان مقوسة ووجها مريع الإله بس إله للمرح والسرور وحامي للمرأة عند الولادة، وأنثى فرس النهر بصدر أنثوي ضخم ومخالب أسد وذيل التمساح الإله تاورت يعني العظيمة تحمي الأمهات أثناء الحمل والولادة، وكذلك الطائر وأحيانا القرد جعلوه الإله تحوت إله القمر، ورسول الآلهة ورب فن الكتابة.

واعتقدوا أن امرأة تحمل تاجا عبارة عن قرنين بينهما قرص الشمس أو بقرة أو ثعبان أو شجرة هي الإله حتحور إلاهة الموتى، بل جعلوا آلهة على هيئة الضفدعة أو امرأة برأس ضفدعة الإله حقات تقوم بدور أفعال في مساعدة النساء أثناء الولادة، وجعلوا هيئة بشرية تجمع بين

جسم الأنثى والذكر ذو ثدي وبطن مترهل، الإله حابي الذي يدفع بمياه النيل وفيضانه، وجعلوا سمكة أو امرأة تحمل السمكة فوق رأسها الإله حات محيت ربة الأسماك، وجعلوا صبيا ذا ضفيرة ترمز إلى سن صغيرة وبعلامة القمر فوق رأسه الإله خنسو الهائم رب القمر، وإله آخر على شكل كبش هو عندهم الإله خنوم، جعلوه خالق البشر وأبا الآلهة منذ البداية، ويصورنه على هيئة رجل بلحية، وجعلوا إنسانا برأس حيوان غريب يشبه رأس الكلب بأذن مفلطحة قائمة وذيل مستقيم ممتد إلى أعلى الإله ست أحد أفراد التاسوع المقدس رمز الشر، وجعلوا فتاة عارية تمسك بيديها زهور وثعابين وتقف فوق أسد واقف الإله قادش إلهة الحب الأسيوية، وجعلوا ثعبانا برأسين وأحيانا له أرجل وأيدي بشرية الإله نحب كاو حارس الإله رع.

وقد صدق فيهم قول الله تعالى عن يوسف عليه السلام وهو في مصر حين كان في السجن: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾ يوسف:٣٩/٤٠.

ويسود اعتقاد لدى الباحثين في ديانة مصر القديمة بأن الإله سيت هو أقدم الآلهة المعروفة من الفترات التاريخية، فهذا الإله هو المعبود الرئيسي للسكان الأصليين قبل عصر الأسرات الأولى عند أعتاب الألف الثالث قبل الميلاد، وهو العصر الذي ترافق مع حلول أقوام جديدة وفدت إلى مصر من آسيا الغربية حاملة معها معتقدات جديدة، ووضعت الأسس لأول مملكة موحدة في تاريخ مصر القديمة، وقد

ترافق بسط السلطة لهؤلاء مع نشر معتقداتهم الدينية، وراح إلههم الأعلى المدعو حوروس ينافس إله السكان الأصليين سيت في كل مكان، وبذلك تم التأسيس لثنائية سيت وحوروس التي استمرت فاعلة في الديانة المصرية حتى نهايات التاريخ المصري القديم.

وتقدم لنا نصوص الأهرام وهي أقدم النصوص المصرية أن الإله سيت صار مجسدا لكل قوى المنع أو القوى السالبة في الكون وفي حياة الطبيعة، ولذلك تم إنزاله إلى المرتبة الثانية بعد حورس الذي صار مجسدا لكل قوى العطاء أو القوى الموجبة.

وتتجلى هذه الصورة البدائية للسلب والإيجاب في ثنائية النور والظلام، والنظام والفوضى، وما ينضوي تحتهما من ثنائيات، فالإله حوروس هو سيد السماء والشمس التي تهب الحياة وتعكس بحركتها المنتظمة التوازن الدقيق للكون؛ أما الإله سيت فهو العدو الأول للشمس وللضوء، وهو الذي يحرف مسار الشمس باتجاه الجنوب عقب الانقلاب الصيفي، ويسرق من نور القرص فتقصُر ساعات النهار لحساب ساعات الليل؛ وهو الذي يسرق من نور القمر عقب اكتماله بدرا فيتناقص ليلة بعد ليلة حتى ينطفئ في آخر الشهر.

ولكن الإله تحوت يعمل على إشعاله مجددا في أولى ليالي الشهر الجديد، وفي هيئة الوحش الخرافي آبيب ينقض سيت على قرص الشمس لدى شروقه لكي يطفئه، مستخدما أسلحة الظلام والمطر والغيوم والضباب، ولكن حوروس وفيما بعد أطلقوا عليه الإله راع يتصدى له متسلحا بالحر اللاهب وسهام الضوء النافذة؛ وبعد صراع مرير يقع آبيب صريعا وتتبعثر أشلاؤه، ولكنه يجمعها من جديد بقواه الذاتية

استعدادا للصراع التالي.

والإله سيت عندهم هو سيد العماء الذي يعارض نظام الطبيعة ويعمل على نشر الفوضى؛ ومملكته تقع في الجهة الشمالية من السماء حيث يقيم في كوكبة الدب الأكبر، وكانت جهة الشمال عند المصريين هي إقليم الظلام والبرد والمطر والضباب والبروق والرعود، وجميع هذه الظواهر كانت تحت سيطرة الإله سيت، ولم تكن ذات صلة بالخصب نظرا لاعتماد الزارعة في وادي النيل على الفيضان السنوي للنهر، وكان سيت يستخدمها لتهديد استقرار الطبيعة.

ولكن الإلهة ريتريت التي تمثلها الرسوم المصرية على هيئة خرتيت له ذراعي امرأة، كانت موكلة بتقييد هذه القوى بالسلاسل ومنعها من السيادة على الأرض والسماء، كما كانت تفسح طريقا في الأعالي لمسار الشمس، التي قرنتها النصوص المبكرة بالإله حوروس، وإلى جانب ريتريت هنالك أولاد حوروس الأربعة الموكلون أيضا بكف أذى سيت ولجم قواه العدوانية، وهم يقتفون أثر سيت على الدوام، ويظهرون على شكل أربعة نجوم تبدو خلف نجم الزاوية في كوكبة الدب الأكبر، وهو النجم الذي يدعى بمركبة الإله سيت[١].

- الصابئة المندائية من أقدم الديانات التي تعتقد بأن الخالق واحد.

تعد الصابئة المندائية من أقدم الديانات التي تعتقد بأن الخالق واحد وهي بهذا الوصف تعتبر من الديانات السماوية، ويعتبر أتباعها أتباع

---

(١) انظر بتصرف الموسوعة العربية العالمية مدخل حرف الميم، مصر القديمة، وقصة الحضارة ول ديورنت ص٤٠٧.

دين كتابي، والصابئة المندائية هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم والتي تعتبر يحيى عليه السلام نبيّا لها، وقد انحرفت عن دعوة يحيى عليه السلام فأصحابها يقدّسون الكواكب والنجوم ويعظمونها، ويعتبر الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي، وكذلك التعميد في المياه الجارية من أهم معالم هذه الديانة التي يجيز أغلب فقهاء المسلمين أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى.

ولقد حقق ابن تيمية حقيقة الصابئة فقال: (إن الصابئة نوعان، صابئة حنفاء، وصابئة مشركون. أما الصابئة الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعا لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل من اليهود والنصارى. وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم. والثابت أن الصابئين قوم ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي، وهم قوم من المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، ولكنهم عرفوا الله وحده، ولم يحدثوا كفرا، وهم متمسكون بالإسلام المشترك وهو عبادة الله وحده، وإيجاب الصدق والعدل وتحريم الفواحش والظلم ونحو ذلك مما اتفقت الرسل على إيجابه وتحريمه، وهم يقولون لا إله إلا الله فقط، وليس لهم كتاب ولا نبي. والصحيح أنهم كانوا موجودين قبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأرض اليمن. وأما الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية. وعلى ذلك فمن دان من الصابئة بدين أهل الكتاب فهو من أهل الكتاب، ومن لم يدن بدين أهل الكتاب فهو مشرك، ومثالهم من يعبد الكواكب، كمن كانوا بأرض حران عندما أدركهم الإسلام، وهؤلاء لا يحل أكل ذبائحهم، ولا نكاح نسائهم، وإن أظهروا الإيمان بالنبيين، وقد أفتى أبو

سعيد الاصطخري بأن لا تقبل الجزية منهم، ونازعه في ذلك جماعة من الفقهاء) [(١)].

والصابئة المندائية يدّعون بأن دينهم يرجع إلى عهد آدم ﷺ، وأنهم ينتسبون إلى سام بن نوح ﷺ، ويزعمون أن يحيى ﷺ هو نبيهم الذي أرسل إليهم، كانوا يقيمون في القدس، وبعد الميلاد طردوا من فلسطين فهاجروا إلى مدينة حران، فتأثروا هناك بمن حولهم، وتأثروا بعبدة الكواكب والنجوم من الصابئة الحرانيين، ومن حران هاجروا إلى موطنهم الحالي في جنوبي العراق وإيران، وما يزالون فيه، حيث يعرفون بصابئة البطائح، منهم الكنزبرا الشيخ عبد الله بن الشيخ سام الذي كان مقيما في بغداد سنة ١٩٦٩م، وهو الرئيس الروحي لهم، وقد كان في عام ١٩٥٤م يسكن في دار واقعة بجوار السفارة البريطانية في الكرخ ببغداد[(٢)].

والصابئة لديهم عدد من الكتب المقدسة مكتوبة بلغة سامية قريبة من السريانية، وهي الكنزاربا أي الكتاب العظيم، ويعتقدون بأنه صحف آدم ﷺ، فيه موضوعات كثيرة عن نظام تكوين العالم، وحساب الخليقة وأدعية وقصص، وتوجد في خزانة المتحف العراقي نسخة كاملة منه، وقد طبع في كوبنهاجن سنة ١٨١٥م.

وكتاب دراشة إديهيا أي تعاليم يحيى، وفيه تعاليم وحياة النبي يحيى ﷺ، وكتاب الفلستا أي كتاب عقد الزواج، ويتعلق بالاحتفالات

---

(١) الرد على المنطقيين لابن تيمية ص٤٥٤ نشر دار المعرفة بيروت.

(٢) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الأديان الشرقية، الصابئة المندائيون بتصرف مناسب لطلبة العلم.

والنكاح الشرعي والخطبة، وكتاب سدرة إدنشاماثا ويدور حول التعميد والدفن والحداد، وانتقال الروح من الجسد إلى الأرض، ومن ثمّ إلى عالم الأنوار، وفي خزانة المتحف العراقي نسخة حديثة منه مكتوبة باللغة المندائية، وكتاب الديونان وفيه قصص وسير بعض الروحانيين مع صور لهم، وكتاب إسفر ملواشه أي سفر البروج لمعرفة حوادث السنة المقبلة عن طريق علم الفلك والتنجيم.

ولهم أيضا كتاب النباتي أي الأناشيد والأذكار الدينية، وتوجد نسخة منه في المتحف العراقي، وكتاب قماها ذهيقل، ويتألف من مائتي سطر وهو عبارة عن حجاب يعتقدون بأن من يحمله لا يؤثر فيه سلاح أو نار، وكتاب تفسير بغره ويختص في علم تشريح جسم الإنسان وتركيبه، والأطعمة المناسبة لكل طقس مما يجوز لأبناء الطائفة تناوله، وكتاب ترسر ألف شياله، أي كتاب الأثنى عشر ألف سؤال، وديوان طقوس التطهير، وهو كتاب يبين طرق التعميد بأنواعه على شكل ديوان، وكتاب كدا واكد فيانا، أي كتاب العوذ.

- طبقات رجال الدين الصابئي وأهم معتقداهم وطقوسهم في العبادة.

أما طبقات رجال الدين فيشترط في رجل الدين أن يكون سليم الجسم، صحيح الحواس، متزوجا منجبا، غير مختون، وله كلمة نافذة في شؤون الطائفة كحالات الولادة والتسمية والتعميد والزواج والصلاة والذبح والجنازة، وأولى رتبهم تسمى رتبة الحلالي، ويسمى أيضا الشماس، يسير في الجنازات، ويقيم سنن الذبح للعامة، ولا يتزوج إلا بكرا، فإذا تزوج ثيبا سقطت مرتبته ومنع من وظيفته إلا إذا تعمد هو وزوجته ٣٦٠ مرة في ماء النهر الجاري.

أما الرتبة الثانية فهي الترميدة، فإذا فقه الحلالي الكتابين المقدَّسين سدره إنشماثا والنياني أي كتابَيْ التعميد والأذكار، فإنه يتعمد بالارتماء في الماء الموجود في المندى ويبقى بعدها سبعة أيام مستيقظا لا تغمض له عين حتى لا يحتلم، ويترقى بعدها هذا الحلالي إلى ترميدة، وتنحصر وظيفته في العقد على البنات الأبكار.

وكذلك الأبيسق وهو الترميدة الذي يختص في العقد على الأرامل يتحول إلى أبيسق ولا ينتقل من مرتبته هذه، ثم الكنزبرا وهي الترميدة الفاضل الذي لم يعقد على الثيبات مطلقا يمكنه أن ينتقل إلى كنزبرا، وذلك إذا حفظ كتاب الكنزاربّا، فيصبح حينئذٍ مفسرا له، ويجوز له ما لا يجوز لغيره، فلو قتل واحدا من أفراد الطائفة لا يقتص منه لأنه وكيل الرئيس الإلهي عليها.

ومن رتبهم الريش أمه أي رئيس الأمة، وصاحب الكلمة النافذة فيها ولا يوجد بين صابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة لأنها تحتاج إلى علم وفير وقدرة فائقة. ثم رتبة الربّاني، فوفق هذه الديانة لم يصل إلى هذه الدرجة إلا يحيي بن زكريا عليهما السلام كما أنه لا يجوز أن يوجد شخصان من هذه الدرجة في وقت واحد. والرباني يرتفع ليسكن في عالم الأنوار، وينزل ليبلغ طائفته تعاليم الدين، ثم يرتفع كرة أخرى إلى عالمه الرباني النوراني.

ثم رتبة الإِله فيعتقدون من حيث المبدأ بوجود الإِله الخالق الواحد الأزلي الذي لا تناله الحواس، ولا يفضي إليه مخلوق. ولكنهم يجعلون بعد هذا الإله٣٦٠ شخصا خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، وهؤلاء الأشخاص ليسوا بآلهة ولا ملائكة، يعملون كل شيء من رعد وبرق

ومطر وشمس وليل ونهار، وهؤلاء يعرفون الغيب، ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار، هؤلاء الأشخاص الثلاثمائة والستين ليسوا مخلوقين كبقية الكائنات الحية، ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا وتزوجوا بنساء من صنفهم، ويتناسلون بأن يلفظ أحدهم كلمة فتحمل أمرأته فورا وتلد واحدا منهم، ويعتقدون بأن الكواكب مسكن للملائكة ولذلك يعظمونها ويقدسونها.

والمندى هو معبد الصابئة، وفيه كتبهم المقدسة، ويجري فيه تعميد رجال الدين، يقام على الضفاف اليمنى من الأنهر الجارية، له باب واحد يقابل الجنوب بحيث يستقبل الداخل إليه نجم القطب الشمالي، لابدَّ من وجود قناة فيه متصلة بماء النهر، ولا يجوز دخوله من قبل النساء، ولا بدّ من وجود علم يحيى فوقه في ساعات العمل.

أما الصلاة عند الصابئة فتؤدى ثلاث مرات في اليوم قبيل الشروق، وعند الزوال، وقبيل الغروب، وتستحبّ أن تكون جماعة في أيام الآحاد والأعياد، فيها وقوف وركوع وجلوس على الأرض من غير سجود، وهي تستغرق ساعة وربع تقريبا، ويتوجه المصلي خلالها إلى الجدي بلباسه الطاهر، حافي القدمي، يتلو سبع قراءات يمجد فيها الرب مستمدا منه العون طالبا منه تيسير اتصاله بعالم الأنوار.

والصابئة اليوم يحرمون الصوم لأنه من باب تحريم ما أحل الله، وقد كان الصوم عند الصابئة على نوعين، الصوم الكبير ويشمل الصوم عن كبائر الذنوب والأخلاق الرديئة، والصوم الصغير الذي يمتنعون فيه عن أكل اللحوم المباحة لهم لمدة ٣٢ يوما متفرقة على طول أيام السنة، وقد نص ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥هـ في فهرسته، وابن العبري

المتوفى سنة ٦٨٥هـ على أن الصيام كان مفروضا عليهم لمدة ثلاثين يوما من كل سنة.

أما الطهارة عندهم فهي مفروضة على الذكر والأنثى سواء بلا تمييز، وتكون الطهارة في الماء الحي غير المنقطع عن مجراه الطبيعي، والجنابة تحتاج إلى طهارة، وذلك بالاغتماس في الماء ثلاث دفعات مع استحضار نية الاغتسال من غير قراءة لأنها لا تجوز على جنب، وعقب الاغتماس في الماء يجب الوضوء، وهو واجب لكل صلاة، حيث يتوضأ الشخص وهو متجه إلى نجم القطب، فيؤديه على هيئة تشبه وضوء المسلمين مصحوبا بأدعية خاصة، ومفسدات الوضوء البول، الغائط، الريح، لمس الحائض والنفساء.

ويعتبر التعميد من أبرز معالم هذه الديانة، ولا يكون إلا في الماء الحي، ولا تتم الطقوس إلا بالاغتماس في الماء، سواء أكان الوقت صيفا أم شتاء، وقد أجاز لهم رجال دينهم مؤخرا الاغتسال في الحمامات، وأجازوا لهم كذلك ماء العيون النابعة لتحقيق الطهارة، ويجب أن يتم التعميد على أيدي رجال الدين، ويكون العماد في حالات الولادة، والزواج، وعماد الجماعة، وعماد الأعياد.

السنة المندائية ٣٦٠ يوما في ١٢ شهرا، وفي كل شهر ثلاثون يوما مع خمسة أيام كبيسة، يعتقدون بصحة التاريخ الهجري ويستعملونه، وذلك بسبب اختلاطهم بالمسلمين، ولأن ظهور النبي محمد ﷺ كان مذكورا في الكتب المقدسة الموجودة لديهم. ويعظمون يوم الأحد كالنصارى ويقدسونه ولا يعملون فيه أي شيء على الإطلاق، وينفرون من اللون الأزرق النيلي ولا يلامسونه مطلقا، وليس للرجل غير المتزوج

من جنة لا في الدنيا ولا في الآخرة، ويتنبئون بحوادث المستقبل عن طريق التأمل في السماء والنجوم وبعض الحسابات الفلكية، ولكل مناسبة دينية ألبسة خاصة بها، ولكل مرتبة دينية لباس خاص بها يميزها عن غيرها.

وقد تأثر الصابئة بكثير من الديانات والمعتقدات التي احتكوا بها، وأشهر فرق الصابئة قديما أربعة هي أصحاب الروحانيات، وأصحاب الهياكل، وأصحاب الأشخاص، والحلولية.

ولقد ورد ذكرهم في القرآن مقترنا باليهود والنصارى والمجوس والمشركين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الحج:١٧. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾البقرة:٦٢.

وللصابئة أحكام خاصة بهم من حيث جواز أخذ الجزية منهم أو عدمها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى، عرف منهم الصابئة الحرانيون الذين انقرضوا والذين تختلف معتقداتهم بعض الشيء عن الصابئة المندائيين الحاليين، ولم يبق من الصابئة اليوم إلا صابئة البطائح المنتشرون على ضفاف الأنهر الكبيرة في جنوب العراق وإيران، وقد تأثروا باليهودية والمسيحية والمجوسية لمجاورتهم لهم، وتأثروا بالحرانيين الذين ساكنوهم في حران عقب طردهم من فلسطين فنقلوا عنهم عبادة الكواكب والنجوم، أو على الأقل تقديس هذه الكواكب وتعظيمها

وتأثروا بهم في إتقان علم الفلك وحسابات النجوم، وقد تأثروا بالفلسفة الدينية التي ظهرت أيام إبراهيم الخليل عليه السلام، فقد كان الناس حينها يعتقدون بقدرة الكواكب والنجوم على التأثير في حياة الناس، وتأثروا بالفلسفة اليونانية التي استقلت عن الدين.

ومواقع نفوذ الصابئة المندائية الحالية كائنة على الضفاف السفلى من نهري دجلة والفرات، ويسكنون في منطقة الأهوار وشط العرب، ويكثرون في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية والزكية وسوق الشيوخ والقرنة، وهي موضع اقتران دجلة بالفرات، وهم موزعون على عدد من الألوية مثل لواء بغداد، والحلة، والديوانية والكوت وكركوك والموصل، كما يوجد أعداد مختلفة منهم في ناصرية المنتفق والشرش ونهر صالح والسليمانية، كذلك ينتشرون في إيران، وتحديدا على ضفاف نهر الكارون، ويسكنون في مدن إيران الساحلية، كالمحمرة، وناصرية الأهواز وششتر ودزبول.

وقد تهدمت معابدهم في العراق، ولم يبق لهم إلا معبدان في قلعة صالح، وقد بنوا معبدا بجوار المصافي في بغداد، وذلك لكثرة الصابئين النازحين إلى هناك من أجل العمل، ويعمل معظمهم في صياغة معدن الفضة لتزيين الحلي والأواني والساعات وتكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم لأنهم يحرصون على حفظ أسرارهما كما يجيدون صناعة القوارب الخشبية والحدادة وصناعة الخناجر، ومهاراتهم في صياغة الفضة دفعتهم إلى الرحيل للعمل في بيروت ودمشق والإسكندرية، ووصل بعضهم إلى إيطاليا وفرنسا وأمريكا، وليس لديهم أي طموح سياسي، وهم يتقربون إلى أصحاب الديانات الأخرى بنقاط التشابه بينهم وبين الآخرين.

• **الديانة الهندوسية البرهمية ديانة وثنية يعتنقها معظم الناس في الهند.**

الهندوسية ويطلق عليها أيضا البرهمية ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، فهي ديانة تضم بعض القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية، متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله[1].

ولا يوجد للديانة الهندوسية مؤسس معين، ولا يعرف لمعظم كتبها مؤلفون معينون، فقد تمّ تشكل هذه الديانة، وكذلك الكتب المقدسة لديهم عبر مراحل طويلة من الزمن، ويعتبر الآريُّون الغزاة الذين قدموا إلى الهند في القرن الخامس عشر قبل الميلاد هم المؤسسون الأوائل للديانة الهندوسية، أما ديانة الفاتحين الجديدة، فلم تمح الديانة القديمة للهنود، بل مازجتها وتأثرت كل منهما بالأخرى.

وفي القرن الثامن قبل الميلاد تطورت الهندوسية على أيدي الكهنة البراهمة الذين يزعمون أن في طبائعهم عنصرا إلهيّا، ثم تطورت مرة أخرى في القرن الثالث قبل الميلاد عن طريق قوانين منوشاستر.

وأما أهم الأفكار والمعتقدات فللهندوسية عدد هائل من الكتب العسيرة الفهم والغريبة اللغة، وقد ألفت كتب كثيرة لشرحها، وأخرى لاختصار تلك الشروح، وكلها مقدسة وأهمها كتاب الفيدا، والفيدا

---

(٣) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الأديان الشرقية ، الهندوسية بتصرف مناسب لطلبة العلم.

هي كلمة سنسكريتية معناها الحكمة والمعرفة، وهي تصور حياة الآريين، ومدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتياب، كما أن فيه تأليها يرتقي إلى وحدة الوجود، والفيدا تتألف من أربعة كتب فرعية هي رج فيدا أو راجا فندا، أي الفيدا الملكية، وترجع إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، فيها ذكر لإله الآلهة إندار، ثم لإله النار أغني، ثم الإله فارونا، ثم الإله سوريه إله الشمس.

أما الكتاب الفرعي الثاني فيسمى يجور فيدا، وهو كتاب يتلوه الرهبان عند تقديم القرابين، والثالث سم فيدا، وينشدون أناشيده أثناء إقامة الصلوات والأدعية، والرابع أثروا فيدا، وهو عبارة عن مقالات من الرقي والتمائم لدفع السحر والتوهم والخرافة والأساطير والشياطين، وكل واحد من هذه الفيدات يشتمل على أربعة أجزاء فرعية أخرى، فيها أدعية وصلوات وأسرار ومشاهدات نفسية للعرفاء من الصوفية.

ومن كتبهم الأخرى كتاب مها بهارتا، ويمثل ملحمة هندية تشبه الإلياذة والأوديسة عند اليونان، ومؤلفها وياس ابن العارف بوسرا الذي وضعها سنة ٩٥٠ ق.م، وهي تصف حربا بين أمراء من الأسر المالكة، وقد اشتركت الآلهة في هذه الحرب، ولهم كتاب يسمى بكتاب كيتا وفيه وصف لحرب وقعت بين أمراء من أسرة ملكية واحدة، وينسب إلى كرشنا الذي جعلوه إلها ومعبودا حتى يومنا هذا، وفي الكيتا نظرات فلسفية واجتماعية.

ولهم كتاب اليوجا ويحتوي على أربعة وستين ألف بيت، ألف ابتداء من القرن السادس عبر مرحلة طويلة على أيدي مجموعة من الناس، فيها

أمور فلسفية ولاهوتية، وكذلك كتاب رامايانا، ويعتني هذا الكتاب بالأفكار السياسية والدستورية وفيه خطب لملك اسمه راما جعلوه إلها وعبدوه.

والهندوسيون إذا أقبلوا على إله من الآلهة ككرشنا أو راما أو غيرهما أقبلوا عليه بكل جوارحهم حتى تختفي عن أعينهم كل الآلهة الأخرى، وعندها يخاطبونه برب الأرباب أو إله الآلهة، ويقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلها يُعبد كالماء والهواء والأنهار والجبال، وهي آلهة كثيرة يتقربون إليها بالعبادة والقرابين.

وقد ظهرت عقيد التثليث في القرن التاسع قبل الميلاد، حيث جمع الكهنة الآلهة في إله واحد الذات مثلث الصفات، أخرج العالم من ذاته فهو براهما من حيث هو موجود، فشنو من حيث هو حافظ، سيفا من حيث هو مهلك، ومن يعبد أحد الآلهة الثلاثة فقد عبدها جميعا، أو عبد الواحد الأعلى، ولا يوجد أي فارق بينها، وهم بذلك قد فتحوا الباب أمام النصارى للقول بالتثليث.

ويلتقي الهندوس على تقديس البقرة، وأنواع من الزواحف كالأفاعي وأنواع من الحيوان كالقردة، ولكن تتمتع البقرة من بينها جميعا بقداسة تعلو على أي قداسة، ولها تماثيل في المعابد والمنازل والميادين، ولها حق الانتقال إلى أي مكان، ولا يجوز للهندوكي أن يمسها بأذى أو يذبحها، وإذا ماتت دفنت بطقوس دينية معينة.

ويعتقد الهندوس أن آلهتهم قد حلت كذلك في إنسان اسمه كرشنا وقد التقى فيه الإله بالإنسان، أو حل اللاهوت في الناسوت، وهم

يتحدثون عن كرشنا كما يتحدث النصارى عن المسيح، وقد عقد الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله مقارنة بينهما مظهرا التشابه العجيب، بل التطابق، وعلق في أخر المقارنة قائلا: وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم. ومنذ أن وصل الآريون إلى الهند شكَّلوا طبقات ما تزال قائمة إلى الآن، ولا طريق لإزالتها لأنها تقسيمات أبدية من خلق الله كما يعتقدون.

- الديانة الهندسوية جعلت المجتمع الهندي مجتمعا طبقيا معقدا نفسيا.

وحسب قوانين منو الذي وضع طقوس الديانة الهندسوية في القرن الثاني والثالث قبل الميلاد، فقد جعل الناس على طبقات منهم البراهمة، وهم الذين خلقهم الإله براهما من فمه، فمنهم المعلم والكاهن والقاضي، ولهم يلجأ الجميع في حالات الزواج والوفاة، ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرتهم، ثم الكاشتر وهم الذين خلقهم الإله من ذراعيه، ويتعلمون ويقدمون القرابين ويحملون السلاح للدفاع، ثم الويش وهم الذين خلقهم الإله من فخذه يزرعون ويتاجرون ويجمعون المال، وينفقون على المعاهد الدينية، ثم الشودر وهم الذين خلقهم الإله من رجليه، وهم مع الزنوج الأصليين يشكلون طبقة المنبوذين، وعملهم مقصور على خدمة الطوائف الثلاث السابقة الشريفة، ويمتهنون المهن الحقيرة والقذرة، ويلتقي الجميع على الخضوع لهذا النظام الطبقي بدافع ديني.

ويجوز للرجل أن يتزوج من طبقة أعلى من طبقته، ويجوز أن يتزوج من طبقة أدنى على أن لا تكون الزوجة من طبقة الشودر الرابعة، ولا يجوز للرجل من طبقة الشودر أن يتزوج من طبقة أعلى من طبقته بحال

من الأحوال.

والبراهمة هم صفوة الخلق، وقد ألحقوا بالآلهة، ولهم أن يأخذوا من أموال عبيدهم شودر ما يشاءون، والبرهمي الذي يكتب الكتاب المقدس هو رجل مغفور له، ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه، ولا يجوز للملك مهما اشتدت الظروف أن يأخذ جباية أو إتاوة من البرهمي، وإن استحق البرهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه، أما غيره فيقتل، والبرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشودري الذي ناهز المائة ،كما يفوق الوالد ولده، ولا يصحُّ لبرهمي أن يموت جوعا في بلاده، والمنبوذون أحط من البهائم، وأذل من الكلاب بحسب قانون منو، ومن سعادة المنبوذين أن يخدموا البراهمة، وليس لهم أجر أو ثواب، وإذا مدّ أحد المنبوذين إلى برهمي يدا أو عصا ليبطش به قطعت يده، وإذا هَمَّ أحد من المنبوذين بمجالسة برهمي فعلى الملك أن يكوي استه وينفيه من البلاد، وإذا ادّعى أحد المنبوذين أنه يعلِّم برهميا، فإنه يسقى زيتا مغليّا، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء.

وقد ظهر مؤخرا بعض التحسن البسيط في أحوال المنبوذين خوفا من استغلال أوضاعهم، ودخولهم في أديان أخرى لا سيما النصرانية التي تغزوهم، أو الشيوعية التي تدعوهم من خلال فكرة صراع الطبقات، ولكن كثيرا من المنبوذين وجدوا العزة والمساواة في الإسلام فاعتنقوه.

وتظهر معتقدات الهندوس في الكارما، وتناسخ الأرواح، والانطلاق، ووحدة الوجود، فالكارما قانون الجزاء أي أن نظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، هذا العدل الذي سيقع لا محالة إما في الحياة الحاضرة

أو في الحياة القادمة، وجزاء حياةٍ يكون في حياة أخرى، والأرض هي دار الابتلاء كما أنها دار الجزاء والثواب.

وتناسخ الأرواح مبني عندهم على أنه إذا مات الإنسان يفنى منه الجسد وتنطلق منه الروح لتتقمص وتحل في جسد آخر بحسب ما قدم من عمل في حياته الأولى، وتبدأ الروح في ذلك دورة جديدة، أما الانطلاق فصالح الأعمال وفاسدها ينتج عنه حياة جديدة متكررة لتثاب فيها الروح أو لتعاقب على حسب ما قدمت في الدورة السابقة، ومن لم يرغب في شيء ولن يرغب في شيء وتحرر من رق الأهواء، واطمأنت نفسه، فإنه لا يعاد إلى حواسه بل تنطلق روحه لتتحد بالبراهما، ويؤخذ على هذا المبدأ أنه جعل التصوف والسلبية أفضل من صالح الأعمال لأن ذلك طريق للاتحاد بالبراهما.

وأما وحدة الوجود عند الهندوس فهي تمثل التجريد الفلسفي الذي يرتقى بالهندوسي إلى أن تصير نفسه هي عين القوة الخالقة، وتصبح الروح كالآلهة أزلية سرمدية مستمرة غير مخلوقة، ويصبح هذا الكون كله ليس إلا مظهرا للوجود الحقيقي، والروح الإنسانية جزء من الروح العليا.

ومن أفكارهم ومعتقداتهم الأخرى أن الأجساد تحرق بعد الموت لأن ذلك يسمح بأن تتجه الروح إلى أعلى وبشكل عمودي لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن، كما أن الاحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصا تاما، وعندما تتخلص الروح وتصعد، يكون أمامها ثلاثة عوالم، إما العالم الأعلى عالم الملائكة، وإما عالم الناس مقر الآدميين بالحلول، وإما عالم جهنم وهذا لمرتكبي الخطايا والذنوب،

وليس هناك جهنم واحدة، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم.

وعندهم أن المرأة التي يموت عنها زوجها لا تتزوج بعده، بل تعيش في شقاء دائم، وتكون موضعا للإهانات والتجريح، وتكون في مرتبة أقل من مرتبة الخادم، وقد تحرق المرأة نفسها إثر وفاة زوجها تفاديا للعذاب المتوقع الذي ستعيش فيه، وقد حرم القانون هذا الإجراء في الهند الحديثة، وتجيز الديانة الهندية عقد القران للأطفال وهم يَحْبُون، ويحدث أن يموت الولد فتشب البنت أرملة ابتداء.

ولكن القانون الهندي الحديث حرم ذلك ومنع عقد القران إلا في سن الشباب، وليس للفرد أهمية إلا إذا كان عضوا في جماعة، وتكون هذه الجماعة عضوا في جماعة أكبر، ذلك لأن العناية للجماعة لا للفرد، ويلاحظ هبوط المستوى الاقتصادي لمعتنقي الهندوسية لأن بعض الطبقات لا تعمل؛ ذلك لأن العمل لا يليق بمكانتها السامية كطبقة البراهمة مثلا.

وقد رفضت الهندوسية حركة الإصلاح الداخلي المتمثلة في الإسلام وقاومتها محتفظة بتعليماتها ومعتقداتها، وقد حاول الزعيم الهندي غاندي تقليص الحدة بين الطبقات وبين المنبوذين ولكن محاولاته ذهبت أدراج الرياح، بل كان هو ذاته ضحية لهذه المحاولة، كما حاولت جماعة السيخ إنشاء دين موحد من الهندوسية والإسلام لكنهم فشلوا إذ سرعان ما انغلقوا على أنفسهم وصاروا طبقات متميزة يرفضون التزاوج مع غيرهم.

وقد كانت الديانة الهندوسية، تحكم شبه القارة الهندية وتنتشر فيها على اختلاف في التركيز، ولكن البون الشاسع بين المسلمين والهندوس

في نظرتيهما إلى الكون والحياة وإلى البقرة التي يعبدها الهندوس ويذبحها المسلمون ويأكلون لحمها؛ كان ذلك سببا في حدوث التقسيم حيث أُعلن عن قيام دولة الباكستان بجزأيها الشرقي والغربي والتي معظمها من المسلمين، وبقاء دولة هندية معظم سكانها هندوس، والمسلمون فيها أقلية كبيرة.

- **الديانة الشنتوية ديانة وضعية ظهرت في اليابان وبقيت إلى الآن.**

الشنتوية ديانة وضعية اجتماعية ظهرت في اليابان منذ قرون طويلة، ولا زالت الدين الأصيل فيها، وقد بدأت بعبادة الأرواح، ثم قوى الطبيعة، ثم تطور احترام الأجداد والزعماء والأبطال إلى عبادة الإمبراطور الميكادو الذي يعد من نسل الآلهة كما يزعمون، ولا تنتسب الشنتوية إلى شخص معين كما نجد ذلك في البوذية مثلا، بل هي دين اجتماعي مر بأدوار متعددة [١].

وتشيع في الشنتوية الحالية عبادة الطبيعة وقواها المنتجة، حيث يعظمون الشمس وكذلك الأرز الغذاء الرئيسي لهم، والذي تكثر معابده في الأقاليم الزراعية، وفي الشنتوية يوقر الناس الأجداد والأسلاف من الزعماء والأبطال والملوك، وهناك فرق بين عبادة الأسلاف في الصين وبين توقير اليابانيين واحترامهم لأجحدادهم.

ويطلق الشنتويون لفظ كامي على كل إله أو شيء يسمو فوق الإنسان كالسماء أو السلطان، وقد تطورت فكرة احترام الأجداد إلى

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الأديان الشرقية، الشنتوية بتصرف مناسب لطلبة العلم.

عبادتهم، وانحصرت هذه العبادة والتأليه في الإمبراطور الميكادو الخالد في نظرهم، وهو المنزه عن العيوب والنقائص، والسمو به إلى درجة لا يشاركه فيها سواه، وقد جاء في منشور صدر عن وزارة المعارف اليابانية عام ١٩٣٧م: إن أرضنا بلد إلهية يحكمها الإمبراطور وهو إله، ولا ندري كيف يجتمع هذا السخف مع التقدم العلمي في اليابان الحديثة، ويعد الإمبراطور والدولة هما كل شيء، ولا قيمة للفرد في الديانة الشنتوية لذلك تعد التضحية به شرف عظيم له، ويعد الاهتمام بالنظافة أمرا مقدسا، ويكره أتباع الشنتوية كل شيء يدنس الجسد أو الثوب.

وقد تطورت الشنتوية من احترام وتوقير الأسلاف من زعماء القبائل أو الأبطال إلى عبادتهم، وكان رجال قبيلة يماتو أشد الناس إحياء لتوقير السالفين من القبائل، وهم الذين صاروا سادة اليابان فيما بعد، وكان زعيمهم المعروف بالميكادو مركز دينهم وعبادتهم. ثم زعموا أن الشمس تمتُّ إليهم بصلة القربى، ومنها تحدد الميكادو فحسبوه ممثل الشمس وآلهة السماء على الأرض.

وكانت عبادة أسلاف القبائل الذائعة في اليابان قبل إخضاع أسرة يماتو لها خير ممهد لهذه العقيدة الجديدة، وفعل رجال يماتو الكثير لتبسيطها وتقريبها إلى أذهان العامة بأن أدخلوا عليها آلهة صغرى هم زعماء القبائل التي دانت بالطاعة والولاء لحكم الأسرة الغالبة، وكان لهذا الجمع بين الآراء السياسية والدينية أثره الكبير في وجود توقير يكاد يبلغ حد العبادة لشخص الإمبراطور.

وفي منتصف القرن السادس الميلادي هاجر إلى اليابان بعض الكهنة

البوذيين من كوريا والصين، وكان لهم أثر عميق في البلاط الملكي، فقد حاولوا أن ينشروا البوذية في اليابان، ولكنهم أخفقوا إخفاقا عظيما وذلك لتمسك الشعب الياباني بالشنتوية، وفي القرن الثامن الميلادي استطاع راهب بوذي أن يؤثر في الشنتوية على اعتبار أن آلهتها مظاهر مجسدة لبوذا.

وفي العصر الحديث حينما استيقظ الشعور القومي في اليابان، وبلغ ذروته في ثورة ١٨٦٨م نفر الشعب من كل ما هو أجنبي، ومنه البوذية فأزيلت تماثيل بوذا من المعابد، وأوقف الكهنة البوذيون عن ممارسة وظائفهم وعادت الشنتوية دينا قوميا، وكانت الحكومة اليابانية تعمل على توطيد الشنتوية في البلاد للاحتفاظ بعبادة الإمبراطور الميكادو.

وبعد انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م عملت السياسة الأمريكية على إبطال عبادة الإمبراطور، وحاولت القضاء على الوطنية الفائقة التي تغرسها الشنتوية في النفس اليابانية التي أفرزت أثناء الحرب العالمية الفرق الانتحارية التي أنهكت الأسطول الأمريكي، ومن الملاحظ أن البوذية دخلت اليابان ولم تخرج منه، إلا أن البوذية اليابانية تختلف عن البوذية الهندية والصينية في كثير من التعاليم.

ولكن التسامح سائد بين البوذية اليابانية والشنتوية، ولهذا نرى الناس في اليابان ينتقلون من هيكل بوذي إلى معبد شنتوي دون حرج، والعقائد التي يعتنقها الفرد الياباني العادي مزيج من الشنتوية والكونفشيوسية والبوذية، والشنتوية منتشرة في اليابان فقط، ولا زالت الدين الأصيل فيها حتى الآن.

- **الكونفوشيوسية ديانة صينية وثنية ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس.**

الكونفوشيوسية ديانة أهل الصين وهي ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعيا إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفا إليها جانبا من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم، وهي تقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد[١].

يعتبر كونفوشيوس المؤسس الحقيقي لهذه العقيدة الصينية، ولد سنة ٥٥١ قبل الميلاد في مدينة تسو، وهي إحدى مدن مقاطعة لو، وكونفوشيوس مكونة من كلمتين الأولى كونف أو كونج، وهو اسم القبيلة التي ينتمي إليها، وفوشس معناه الرئيس أو الفيلسوف، فهو بذلك رئيس كونج أو فيلسوفها، وينتسب إلى أسرة عريقة، فجدّه كان واليا على تلك الولاية، ووالده كان ضابطا حربيًّا ممتازا، وكان هو ثمرة لزواج غير شرعي، توفي والده وله من العمر ثلاث سنوات، وقد عاش يتيما، فعمل في الرعي، وتزوج في مقتبل عمره قبل العشرين، ورزق بولد وبنت، لكنه فارق زوجته بعد سنتين من الزواج لعدم استطاعتها تحمل دقته الشديدة في المأكل والملبس والمشرب.

تلقى علومه الفلسفية على يدي أستاذه الفيلسوف لوتس صاحب النِحلة الطاوية، حيث كان يدعو إلى القناعة والتسامح المطلق، ولكن كونفوشيوس خالفه فيما بعد داعيا إلى مقابلة السيئة بمثلها، وذلك

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الأديان الشرقية، الكونفوشيوسية بتصرف مناسب لطلبة العلم.

إحقاقا للعدل، وعندما بلغ كونفوشيوس الثانية والعشرين من عمره أنشأ مدرسة لدراسة أصول الفلسفة، وتكاثر تلاميذه حتى بلغوا ثلاثة آلاف تلميذ، بينهم حوالي ثمانين شخصا عليهم أمارات.

تنقل في عدد من الوظائف فقد عمل مستشارا للأمراء والولاة، وعيّن قاضيا وحاكما، ووزيرا للعمل، ووزيرا للعدل ورئيسا للوزراء في سنة ٤٩٦ ق.م حيث أقدم حينها على إعدام بعض الوزراء السابقين وعددا من رجال السياسة وأصحاب الشعب حتى صارت مقاطعة لو نموذجية في تطبيق الآراء والمبادئ الفلسفية المثالية التي ينادي بها.

رحل بعد ذلك وتنقل بين كثير من البلدان ينصح الحكام ويرشدهم ويتصل بالناس يبث بينهم تعاليمه حاثا لهم على الأخلاق القويمة، وأخيرا عاد إلى مقاطعة لو فتفرغ لتدريس أصدقائه ومحبيه منكبّا على كتب الأقدمين يلخّصها ويرتبها ويضمنها بعض أفكاره، وحدث أن مات وحيده الذي بلغ الخمسين من عمره، وفقد كذلك تلميذه المحبّب إليه هووي فبكى عليه بكاء مرّا، وقد مات سنة ٤٧٩ قبل الميلاد بعد أن ترك مذهبا رسميّا وشعبيّا استمرّ حتى منتصف القرن العشرين.

وقد كان كونفوشيوس مرحا، مؤدّبا، يحبّ النكتة، ويتأثر لبكاء الآخرين، يبدو قاسيا وغليظا في بعض الأحيان، وكان طويلا، دقيقا في المأكل والملبس والمشرب، مولعا بالقراءة والبحث والتعلم والتعليم والمعرفة والآداب، وكان مغرما بالبحث عن منصب سياسي بغية تطبيق مبادئه السياسية والأخلاقية لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو إليها، وكان خطيبا بارعا، ومتكلّما مفوّها، لا يميل إلى الثرثرة، وعباراته موجزة تجري مجرى الأمثال القصيرة والحكم البليغة، لديه شعور ديني،

يحترم الآلهة التي كانت معبودة في زمانه، ويداوم على تأدية الشعائر الدينية، يتوجه في عباداته إلى الإِله الأعظم أو إله السماء، يصلي صامتا، ويكره أن يرجو الإله النعمة أوِ الغفران إذ أن الصلاة لديه ليست إلا وسيلة لتنظيم سلوك الأفراد، والدّين في نظره أداة لتحقيق التآلف بين الناس، وكان يغني، وينشد، ويعزف الموسيقى، وقد ترك كتابا في الأغاني كما أنه كان مغرما بالحفلات والطقوس إلى جانب اهتمامه بالرماية وقيادة العربات والقراءة والحساب ودراسة التاريخ.

وقد انقسمت الكونفوشيوسية إلى اتجاهين، مذهب متشدد حرفي ويمثله منسيوس إذ يدعو إلى الاحتفاظ بحرفية آراء كونفوشيوس وتطبيقها بكل دقة، ومنسيوس هذا تلميذ روحي لكونفوشيوس إذ أنه لم يتلق علومه مباشرة عنه، بل إنه أخذها عن حفيدة وهو المسمى تسيزي الذي قام بتأليف كتاب يسمى بالانسجام المركزي .

أما الاتجاه الثاني فهو المذهب التحليلي، ويمثله هزن تسي ويانج تسي إذ يقوم مذهبهما على أساس تحليل وتفسير آراء المعلم واستنباط الأفكار باستلهام روح النص الكونفوشيوسي، وأبرز الشخصيات إضافة إلى ما سبق تسي كنج ولد سنة ٥٢٠م، وأصبح من أعظم رجال السلك السياسي الصيني، وتسي هسيا ولد سنة ٥٠٧م وأصبح من كبار المتفقهين في الدين الكونفوشيوسي وغيرهما.

ومن أبرزهم تشو هزي ولد سنة ١٢٠٠م حيث قام بنشر الكتب الأربعة التي كانت تدرس في المدارس الأولية والابتدائية في الصين، وفي سنة ٤٢٢م أقيم معبد لكونفوشيوس على قبره، ثم أقيم معبد آخر في العاصمة سنة ٥٠٥م وأصبحت كتبه تدرس في المدارس على أنها كتب

مقدسة، وفي سنة ٦٣٠م أمر أحد الأباطرة ببناء معابد مزودة بتماثيل لكونفوشيوس في جميع أنحاء الإمبراطورية، كما أمر بإنشاء كليات لتعليم آراء كونفوشيوس الذي أصبح رمزا للوحدتين السياسية والدينية.

وقد بدأ نجم الكونفوشيوسية بالأفول سنة ١٩٠٥م حيث أُلغي الامتحان الديني الذي كان يعتبر ضروريا للتعيين في الوظائف، وبعد الثورة الشعبية تحولت الصين إلى النظام الجمهوري مما أدى إلى اختفاء الكونفوشيوسية من الحياة الدينية والسياسية، لكنها بقيت ماثلة في الأخلاق والتقاليد الصينية، وفي سنة ١٩٢٨م صدر قرار بتحريم تقديم القرابين لكونفوشيوس، ومنع إقامة الطقوس الدينية له.

وعندما استولى اليابانيون على منشوريا عادت الصين إلى استنهاض الهمم بالعودة إلى الكونفوشيوسية وعاد الناس عام ١٩٣٤م إلى تقديم القرابين مرة ثانية، كما أعيد تدريس الكونفوشيوسية في كل مكان لاعتقادهم بأن نكبتهم ترجع إلى إهمالهم تعاليم المعلم الأكبر، وسادت حركة إحياء جديدة بزعامة تشانج كاي شيك، وقد استمرت هذه الحركة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وفي عام ١٩٤٩م سيطرت الشيوعية على الصين، ولكن شيئا فشيئا بدأت الخلافات بين الصين والاتحاد السوفيتي بالظهور مما أوجد تباينا بين كل منهما، وبعد موت الزعيم الصيني الشيوعي الشهير ماو تسي تونج بدأ التراجع عن الشيوعية في الصين، وبدأت رياح الغرب تهب عليها.

- معتقدات الكونفوشيوسية تتمثل في الإله والملائكة وأرواح الأجداد.

والمعتقدات الأساسية للكونفوشيوسية تتمثل لديهم في الإله أو إله السماء، والملائكة، وأرواح الأجداد، حيث يعتقدون بالإله الأعظم أو

إله السماء ويتوجهون إليه بالعبادة، كما أن عبادته وتقديم القرابين إليه مخصوصة بالملك، أو بأمراء المقاطعات، وكذلك للأرض إله يعبده عامة الصينيين، والشمس والقمر، والكواكب، والسحاب، والجبال، وغيرها لكل منها إله، وعبادتها وتقديم القرابين إليها مخصوصة بالأمراء.

وكذلك يقدسون الملائكة ويقدمون إليها القرابين، ويقدس الصينيون أيضا أرواح أجدادهم الأقدمين، ويعتقدون ببقاء الأرواح، والقرابين عبارة عن موائد يدخلون بها السرور على تلك الأرواح بأنواع الموسيقى، ويوجد في كل بيت معبد لأرواح الأموات ولآلهة المنزل.

ولم يكن كونفوشيوس نبيّا، ولم يدّع هو ذلك، بل يعتقدون أنه من الذين وهبتهم السماء وفوضتهم ليقوموا بإرشاد الناس وهدايتهم، فقد كان مداوما على إقامة الشعائر والطقوس الدينية، وكان يعبد الإله الأعظم والآلهة الأخرى على غير معرفة بهم، ودون تثبُّت من حقيقة الآراء الدينية تلك.

وقد كان كونفوشيوس مغرما بالسعي لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو إليها، وهي مدينة مثالية لكنها تختلف عن مدينة أرسطو الفاضلة، إذ إنّ مدينة كونفوشيوس مثالية في حدود واقع ممكن التحقيق والتطبيق، بينما مدينة أرسطو تجنح إلى مثالية خيالية بعيدة عن مستوى التطبيق البشري القاصر، وكلا الفيلسوفين متعاصران.

ولا يعتقد الصينيون في وجود الجنة والنار، ولا يعتقدون بالبعث أصلا، إذ إنّ همَّهم منصبّ على إصلاح الحياة الدنيا، ولا يسألون عن مصير الأرواح بعد خروجها من الأجساد، وقد سأل تلميذٌ أستاذه

كونفوشيوس عن الموت، فقال: إننا لم ندرس الحياة بعد، فكيف نستطيع أن ندرس الموت.

والجزاء والثواب عندهم إنما يكونان في الدنيا، إن خيرا فخير، وإن شرّا فشر، ويعتقدون في القضاء والقدر، فإن تكاثرت الآثام والذنوب كان عقاب السماء لهم بالزلازل والبراكين، ويعتقدون أن حاكمهم هو ابن للسماء، وأنه إذا ما قسا وظلم وجانب العدل، فإن السماء تسلط عليه من رعيته من يخلعه ليحلّ محلّه شخص آخر عادل.

والأخلاق هي الأمر الأساسي الذي تدعو إليه الكونفوشيوسية، وهي محور الفلسفة وأساس الدين، وهي تسعى إليه بتربية الوازع الداخلي لدى الفرد ليشعر بالانسجام الذي يسيطر على حياته النفسية مما يخضعها للقوانين الاجتماعية بشكل تلقائي، وتظهر الأخلاق في طاعة الوالد والخضوع له، طاعة الأخ الأصغر لأخيه الأكبر، وطاعة الحاكم والانقياد إليه، وإخلاص الصديق لأصدقائه، وعدم جرح الآخرين بالكلام أثناء محادثتهم، وأن تكون الأقوال على قدر الأفعال، وكراهية ظهور الشخص بمظهر لا يتفق مع مركزه وحاله، والبعد عن المحسوبية في الوساطة أو المحاباة.

وتحترم الكونفوشيوسية العادات والتقاليد الموروثة، فهم محافظون إلى أبعد الحدود، فيقدّسون العلم والأمانة، ويحترمون المعاملة اللينة من غير خضوع ولا استجداء لجبروت، ويقوم المجتمع الكونفوشيوسي على أساس احترام الملكية الفردية مع ضرورة رسم برنامج إصلاحي يؤدي إلى تنمية روح المحبّة بين الأغنياء والفقراء، ويعترفون بالفوارق بين الطبقات، ويظهر هذا جليّا حين تأدية الطقوس الدينية وفي الأعياد

الرسمية وعند تقديم القرابين.

والنظام الطبقي لديهم نظام مفتوح، إذ بإمكان أي شخص أن ينتقل من طبقته إلى أية طبق اجتماعية أخرى إذا كانت لديه إمكاناته تؤهله لذلك، وليس الإنسان إلا نتيجة لتزاوج القوى السماوية مع القوى الأرضية، أي نتيجة لتقمص الأرواح السماوية في جواهر العناصر الأرضية الخمسة. ومن هنا وجب على الإنسان عندهم أن يتمتع بكل شيء في حدود الأخلاق الإنسانية القويمة.

ويبنون تفكيرهم على فكرة العناصر الخمسة، فتركيب الأشياء معدن وخشب وماء ونار وتراب، والأضاحي والقرابين خمسة، والموسيقى لها خمسة مفاتيح، والألوان الأساسية خمسة، والجهات خمس شرق وغرب وشمال وجنوب ووسط، ودرجات القرابة خمس أبوّة وأمومة وزوجية وبنوّة وأخوّة، وتلعب الموسيقى دورا هاما في حياة الناس الاجتماعية، وتسهم في تنظيم سلوك الأفراد وتعمل على تعويدهم الطاعة والنظام، وتؤدي إلى الانسجام والألفة والإيثار.

وترجع الكونفوشيوسية إلى معتقدات الصينيين القدماء، تلك المعتقدات التي ترجع إلى ٢٦٠٠سنة قبل الميلاد، وقد قبلها كونفوشيوس أولا، والكونفوشيوسيون ثانيا، دون مناقشة أو جدال أو تمحيص، وفي القرن الرابع قبل الميلاد حدثت إضافة جديدة وهي عبادة النجمة القطبية لاعتقادهم بأنها المحور الذي تدور السماء حوله، ويعتقد الباحثون بأن هذه النزعة قد وفدت إليهم من ديانة بعض سكان حوض البحر المتوسط.

وقد تغلبت الكونفوشيوسية على النزعة الشيوعية والنزعة الاشتراكية اللتان طرأتا عليها في القرنين السابقين للميلاد وانتصرت عليهما، كما أنها استطاعت أن تصهر البوذية بالقالب الكونفوشيوسي الصيني وتنتج بوذية صينية خاصة متميزة عن البوذية الهندية الأصلية، ولا تزال المعتقدات الكونفوشيوسية موجودة في عقيدة أكثر الصينيين المعاصرين على الرغم من السيطرة السياسية للشيوعيين.

وتنتشر الكونفوشيوسية في الصين، وهي ماثلة في النظم الاجتماعية في فرموزا أو الصين الوطنية، وانتشرت كذلك في كوريا، وفي اليابان حيث درست في الجامعات اليابانية، وهي من الأسس الرئيسية التي تشكل الأخلاق في معظم دول شرق آسيا وجنوبها الشرقي في العصرين الوسيط والحديث.

- البوذية فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية ظهرت بعد الهندوسية.

البوذية فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير، وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألَّهوه[١].

والبوذية تعتبر نظاما أخلاقيا ومذهبا فكريا مبنيا على نظريات

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الأديان الشرقية، البوذية بتصرف مناسب لطلبة العلم.

فلسفية، وتعاليمها ليست وحيا، وإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني، وتختلف البوذية القديمة عن البوذية الجديدة في أن الأولى صبغته أخلاقية، في حين أن البوذية الجديدة هي تعاليم بوذا مختلطة بآراء فلسفية وقياسات عقلية عن الكون والحياة.

والبوذية أسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا ولد سنة ٥٦٠ قبل الميلاد ومات سنة ٤٨٠ قبل الميلاد، وكلمة بوذا تعني العالم، ويلقب أيضا بسكيا موني ومعناه المعتكف، وقد نشأ بوذا في بلدة على حدود نيبال، وكان أميرا فشبَّ مترفا في النعيم وتزوج في التاسعة عشرة من عمره، ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته منصرفا إلى الزهد والتقشُّف والخشونة في المعيشة والتأمل في الكون ورياضة النفس، وعزم على أن يعمل على تخليص الإنسان من آلامه التي منبعها الشهوات، ثم دعا إلى تبني وجهة نظره حيث تبعه أناس كثيرون.

واجتمع أتباع بوذا بعد وفاته في مؤتمر كبير في قرية راجا جراها عام ٤٨٣ قبل الميلاد لإزالة الخلاف بين أتباع المذهب، ولتدوين تعاليم بوذا خشية ضياع أصولها، وعهدوا بذلك إلى ثلاثة رهبان هم كاشيابا وقد اهتم بالمسائل العقلية، وأويالي وقد اهتم بقواعد تطهير النفس، وأناندا وقد دون جميع الأمثال والمحاورات.

ويعتقد البوذيون أن بوذا هو ابن الله، وهو المخلّص للبشرية من مآسيها وآلامها، وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم، ويعتقدون أن تجسد بوذا قد تم بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا، ويقولون إنه قد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء، ويدعونه نجم بوذا، ويقولون أيضا إنه لما ولد بوذا فرحت جنود السماء، ورتلت الملائكة

أناشيد المحبة للمولود المبارك، وقد قالوا: لقد عرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته، ولم يمض يوم واحد على ولادته حتى حيَّاهُ الناس، وقد قال بوذا لأمه وهو طفل: إنه أعظم الناس جميعا، وقالوا: دخل بوذا مرة أحد الهياكل فسجدت له الأصنام، وقد حاول الشيطان إغواءه فلم يفلح، ويعتقد البوذيون أن هيئة بوذا قد تغيَّرت في أخر أيامه، وقد نزل عليه نور أحاط برأسه، وأضاء من جسده نور عظيم فقال الذين رأوه: ما هذا بشرا إن هو إلا إله عظيم.

ويصلي البوذيون لبوذا ويعتقدون أنه سيدخلهم الجنة، والصلاة عندهم تؤدى في اجتماعات يحضرها عدد كبر من الأتباع، ولما مات بوذا قال أتباعه: صعد إلى السماء بجسده، بعد أن أكمل مهمته على الأرض، ويؤمنون برجعة بوذا ثانية إلى الأرض ليعيد السلام والبركة إليها، ويعتقدون أن بوذا هو الكائن العظيم الواحد الأزلي، وهو عندهم ذاتٌ من نور غير طبيعية، وأنه سيحاسب الأموات على أعمالهم، ويعتقدون أن بوذا ترك فرائض ملزمة للبشر إلى يوم القيامة، ويقولون إن بوذا أسس مملكة دينية على الأرض.

وفي تعاليم بوذا دعوة إلى المحبة والتسامح والتعامل بالحسنى والتصدق على الفقراء وترك الغنى والترف، وحمل النفس على التقشف والخشونة، وفيها تحذير من النساء والمال، وترغيب في البعد عن الزواج، ويجب على البوذيِّ التقيد بثمانية أمور حتى يتمكن من الانتصار على نفسه وشهواته، منها الاتجاه الصحيح المستقيم الخالي من سلطان الشهوة واللذة وذلك عند الإقدام على أي عمل، والتفكير الصحيح المستقيم الذي لا يتأثر بالأهواء، ومطابقة اللسان لما في القلب، ومطابقة السلوك

للقلب واللسان، والحياة الصحيحة التي يكون قوامها هجر اللذات، والناس في نظر بوذا سواسية، لا فضل لأحد إلا بالمعرفة والسيطرة على الشهوات.

ومن وصايا بوذا قوله: لا تقض على حياة حي، لا تسرق ولا تغتصب، لا تكذب، لا تتناول مسكرا، لا تزن، لا تأكل طعاما نضج في غير أوانه، لا ترقص ولا تحضر مرقصا ولا حفل غناء، لا تتخذ طيبا، لا تقتن فراشا وثيرا، لا تأخذ ذهبا ولا فضة.

وينقسم البوذيون إلى قسمين، البوذيون المتدينون وهؤلاء يأخذون بكل تعاليم بوذا وتوصياته، والبوذيون المدنيون وهؤلاء يقتصرون على بعض التعاليم والوصايا فقط.

وقد احتفظت البوذية ببعض صورها الأولى في منطقة جنوب آسيا وخاصة في سيلان وبورما، أما في الشمال وعلى الأخص في الصين واليابان فقد ازدادت تعقيدا وانقسمت إلى مذهبين هما، مذهب ماهايانا أو مذهب الشمال، ويدعو إلى تأليه بوذا وعبادته وترسُّم خطاه، ومذهب هنايانا مذهب الجنوب وقد حافظ على تعاليم بوذا، ويعتبر أتباع هذا المذهب أن بوذا هو المعلم الأخلاقي العظيم الذي بلغ أعلى درجة من الصفاء الروحي.

وقد عبروا عن بلوغ النفس الكمال الأسمى والسعادة القصوى وانطلاقها من أسر المادة وانعتاقها من ضرورة التناسخ بالنرفانا وتعني الخلاص من أسر المعاناة والرغبة، واكتساب صفاء الدين والروح، والتحرر من أسر العبودية واللذة، وانبثاق نور المعرفة عن طريق تعذيب

النفس ومقاومة النزعات، مع بذل الجهد والتأمل والتركيز الفكري والروحي، وهو هدف البوذية الأسمى.

والكتب البوذية المقدسة تنقسم ثلاثة أقسام، مجموعة قوانين البوذية ومسالكها، ومجموعة الخطب التي ألقاها بوذا، والكتاب الذي يحوي أصل المذهب والفكرة التي نبع منها. وتعتمد جميع كتبهم على الآراء الفلسفية ومخاطبة الخيال، وتختلف في الصين عنها في الهند لأنها تخضع لتغيرات الفلاسفة.

وشعار البوذية عبارة عن قوس نصف دائري، وفي وسطه قائم ثالث على رأسه ما يشبه الوردة، وأمام هذا التمثال صورة مجسمة لجرة الماء وبجوارها فيل يتربع عليه بوذا في لباسه التقليدي.

وليس هناك ما يثبت أن للبوذية جذورا فكرية أو عقائدية إلا أن الناظر في الديانات الوضعية التي سبقتها أو عاصرتها يجد بينها وبين البوذية شبها من بعض الجوانب مثل الهندوسية في القول بالتناسخ والاتجاه نحو التصوف، والكونفوشيوسية في الاتجاه إلى الاعتناء بالإنسان وتخليصه من آلامه، وينبغي أن يلاحظ التشابه الكبير بينها وبين النصرانية وبخاصة فيما يتعلق بظروف ولادة المسيح وحياته والظروف التي مرّ بها بوذا مما يؤكد تأثر النصرانية بها في كثير من معتقداتها.

والديانة البوذية منتشرة بين عدد كبير من الشعوب الآسيوية حيث يدين بها أكثر من ستمائة مليون نسمة، ولهم معبد ضخم في كاتمندو بالنيبال، وهو عبارة عن مبنى دائري الشكل وتتوسطه قبة كبيرة وعالية وبها رسم لعينين مفتوحتين وجزء من الوجه، ويبلغ قطر المبنى أربعين

مترا، أما الارتفاع فيزيد عن خمسة أدوار.

- **السيخية جماعة دينية هندية جديدة تدعو إلى ترك الإسلام والهندوسية.**

السيخ جماعة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين داعين إلى دين جديد، زعموا فيه شيئا من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار لا هندوس ولا مسلمون، وكلمة سيخ كلمة سنسكريتية تعني المريد أو التابع[1].

ويعتبر تاناك المؤسس الفعلي للسيخية ويدعى غورو أي المعلم، ولد سنة ١٤٦٩م في قرية تبعد ٤٠ ميلا عن لاهور، كانت نشأته هندوسية تقليدية، ولما شب عمل محاسبا لزعيم أفغاني في سلطان بور، وهناك تعرف على عائلة مسلمة ماردانا كانت تخدم هذا الزعيم، وقد أخذ ينظم الأناشيد الدينية، كما نظّم مقصفا ليتناول المسلمون والهندوس الطعام فيه، درس علوم الدين، وتنقل في البلاد، كما قام بزيارة مكة والمدينة، وزار أنحاء العالم المعروفة لديه، وتعلم الهندية والسنسكريتية والفارسية.

وقد ادعى أنه رأى الرب حيث أمره بدعوة البشر، ثم اختفى أثناء استحمامه في أحد الجداول، وغاب لمدة ثلاثة أيام ظهر بعدها معلنا لا هندوس ولا مسلمون، وكان يدّعي حب الإسلام، مشدودا إلى تربيته وجذوره الهندوسية من ناحية أخرى، مما دفعه لأن يعمل على التقريب بين الديانتين فأنشأ دينا جديدا في القارة الهندية، وبعض الدارسين

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الأديان الشرقية السيخية بتصرف مناسب لطلبة العلم.

ينظرون إليه على أنه كان مسلما في الأصل، ثم ابتدع مذهبه هذا.

أنشأ المعبد الأول للسيخ في كارتار بور بالباكستان حاليًا، وقبل وفاته عام ١٥٣٩م عيّن أحد أتباعه خليفة له، وقد دفن في بلدة ديرة بابا ناناك من أعمال البنجاب الهندية الآن، ولا يزال له ثوب محفوظ فيه مكتوب عليه سورة الفاتحة وبعض السور القصيرة من القرآن، وقد خلفه من بعده عشرة خلفاء معلمون أخرهم غوبند سنغ المتوفى سنة ١٧٠٨م والذي أعلن انتهاء سلسلة المعلمين، وقد صار زعماؤهم بعد ذلك يعرفون باسم المهراجا، ومنهم المهراجا رانجيت سنغ المتوفى سنة ١٨٣٩م.

وأبرز أفكارهم ومعتقداتهم أنهم يدعون إلى الاعتقاد بخالق واحد، ويقولون بتحريم عبادة الأصنام، وينادون بالمساواة بين الناس، فيؤكدون على وحدانية الخالق الحي الذي لا يموت، والذي ليس له شكل، ويتعدى أفهام البشر، كما يستعملون عدة أسماء للإله منها، واه غورو، والجاب، وأفضلها عند ناناك الخالق الحق، وكل ما عداه وَهْمٌ، ويمنعون تمثيل الإله في صور، ولا يقرون بعبادة الشمس والأنهار والأشجار التي يعبدها الهندوس، كما لا يهتمون بالتطهر والحج إلى نهر الغانج، وقد انفصلوا تدريجيًّا عن المجتمع الهندوسي حتى صارت لهم شخصية دينية متميزة، وقد أباح ناناك الخمر، وأكل لحم الخنزير، وقد حرم لحم البقر مجاراة للهنادكة.

وأصول الدين لديهم خمسة بانج كهكها أي الكافات الخمس لأنها تبدأ بحرف الكاف، وهي خمسة توجيهات، تتمثل في ترك الشعر مرسلا بدون قص من المهد إلى اللحد، وذلك لمنع دخول الغرباء بينهم بقصد التجسس، وأن يلبس الرجل سوارا حديدا في معصميه بقصد التذلل

والإقتداء بالدراويش، وأن يلبس الرجل تبانا وهو أشبه بلباس السباحة تحت السراويل رمزا للعفة، وأن يضع الرجل مشطا صغيرا في شعر رأسه، وذلك لتمشيط الشعر وترجيله وتهذيبه، وأن يتمنطق السيخي بحربة صغيرة أو خنجر على الدوام، وذلك لإعطائه قوة واعتدادا، وليدافع به عن نفسه إذا لزم الأمر.

ومعلمو السيخ ينكرون المعجزات والقصص والخرافات ذات الأساطير، إلا أنه على الرغم من ذلك فقد خلَّد السيخ معابد لهم كغور دوارا مبنية على قصص تتحدث عن معجزات وقعت، وللمعلم ويسمي عندهم غورو درجة دينية تأتي بعد مرحلة الرب، فهو الذي يدل في نظرهم على الحق والصدق، كما أنهم يتعبدون الإله بإنشاد الأناشيد الدينية التي نظمها المعلمون.

ويعتقدون بأن ترديد أسماء الإله الناما يطهر المرء من الذنوب، ويقضي على مصادر الشر في النفوس، وإنشاد الأناشيد كيرتا، والتأمل بتوجيه من معلم غورو كل هذا يؤدي إلى الاتصال بالإله، ويعتقدون بأن روح كل واحد من المعلمين تنتقل منه إلى المعلم التالي له، وهناك بعض التنبؤات وأسمها ساوساكي المائة قصة، والمنسوبة إلى المعلم غوبند سنغ والتي تدور حول الانقلابات في الحكم القائم، ومجيء مخلص ينشر السيخية في جميع أنحاء العالم، ويؤمنون بولادة الإنسان وموته ثم إعادة ولادته كارما بحيث تتقرر حياة الإنسان المستقبلية على ضوء حياته السابقة، ويتوقف خلاصه على هذه المرحلة.

ولما تعرض السيخ لاضطهاد المغول الذين أعدموا اثنين من معلميهم، وكان أشد المغول عليهم نادر شاه المتوفى سنة ١٨٣٩م حيث هاجمهم

مما اضطرهم إلى اللجوء إلى الجبال والشعاب، لما تعرض السيخ لاضطهاده قام غوبند سنغ وهو المعلم العاشر بإنشاء منظمة الباختا أوا الخالص ادال التي سمى رجالها أسودا ونساءها لبؤات، وهدف شباب السيخ أن يصبحوا مؤهلين لأن يكونوا من رجال الخالص ادال ويطلعوا على تعاليمها، فهي مجموعة من الشباب الذين يرتبطون بنظام سلوكي ديني قاس، حيث ينصرفون إلى الصلاة والقتال من أجل الحق والعدل الذي يعتقدون به ممتنعين عن المخدرات والمسكرات والتبغ.

وقد صاروا بعد عام ١٧٦١م حكاما للبنجاب، وذلك بعد ضعف المغول، حيث احتلوا لاهور عام ١٧٩٩م، وفي عام ١٨١٩م امتدت دولتهم إلى بلاد الباتان متغلبين على الأفغان، وعندما وصل الإنجليز حصلت مصادمات بينهم وبين السيخ، واضطروهم لأن يتراجعوا ويتوقفوا عند نهر سوتلج، واعتبار ذلك حدودا لدولة السيخ من الناحية الجنوبية الشرقية، ثم انكسروا بعد ذلك وتراجعوا أكثر، وأجبرهم البريطانيون على دفع غرامة كبيرة وتسليم جامو وكشمير، كما عينوا في لاهور مقيما بريطانيا يدير بقية مملكة السيخ، وصاروا بعد ذلك شديدي الولاء للإنجليز، بل ساعدوهم على احتلال البنجاب.

ثم تحول السيخ إلى أداة في أيدي الإنجليز يقمعون بهم حركات التمرد ١٨٥٧م، وحصلوا من الإنجليز على امتيازات كثيرة، منها منحهم أراض زراعية، وإيصال الماء إليها عبر قنوات مما جعلهم في رخاء مادي يمتازون به عن جميع المقيمين في المنطقة، وفي الحرب العالمية الأولى كانوا يشكلون أكثر من عشرين بالمائة من الجيش الهندي البريطاني، وانضموا إلى حركة غاندي في طلب الحرية، وذلك إثر قيام

مشكلات بينهم وبين الإنجليز.

وبعد عام ١٩٤٧م صاروا مقسمين بين دولتين: الهند والباكستان، ثم اضطر مليونان ونصف المليون منهم أن يغادروا باكستان إلى الهند إثر صدامات بينهم وبين المسلمين، فألغت الحكومة الهندية الامتيازات التي حصل عليها السيخ من الإنجليز مما دفعهم إلى المطالبة بولاية البنجاب وطنا لهم، وعلى إثر المصادمات المستمرة بين الهندوس والسيخ أمرت أنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند في شهر يونيو ١٩٨٤م باقتحام المعبد الذهبي في أمرتيسار حيث اشتبك الطرفان وقتل فيه حوالي ١٥٠٠ شخص من السيخ وكذلك ٥٠٠ شخص من الجيش الهندي.

وفي يوم ٣١ أكتوبر ١٩٨٤م أقدم السيخ على قتل رئيسة الوزراء هذه انتقاما لاقتحام المعبد، وقد حصلت مصادمات بين الطرفين عقب الاغتيال، قتل بسببها عدة آلاف من السيخ يقدرها بعضهم بحوالي خمسة آلاف شخص، واشتهر السيخ خلال حكمهم بالتعسف والظلم والجور والغلظة على المسلمين من مثل منعهم من أداء الفرائض الدينية والأذان وبناء المساجد في القرى التي يكونون فيها أكثرية، وذلك فضلا عن المصادمات المسلحة بينهما والتي يقتل فيها كثير من المسلمين الأبرياء.

وأكبر معبد للسيخ في مدينة أمرتيسار يحجون إليه، ويسمى دربار صاحب، أي مركز ديوان السيد الملك، وأما سائر المعابد فتسمى كرو داوره، أي مركز الأستاذ، وأكثرية السيخ وهم الأقلية الثالثة بعد الإسلام والمسيحية تقطن البنجاب، إذ يعيش فيها ٨٥٪ منهم، فيما تجد الباقي في ولاية هاريانا، وفي دلهي، وفي أنحاء متفرقة من الهند، وقد أستقر بعضهم في ماليزيا وسنغافورة وشرق إفريقيا وإنجلترا والولايات المتحدة

وكندا، ورحل بعضهم إلى دول الخليج العربي بقصد العمل، ولهم لجنة تجتمع كل عام منذ ١٩٠٨م، تنشئ المدارس وتعمل على إنشاء كراسي في الجامعات لتدريس ديانة السيخ ونشر تاريخها.

وقد انشق قسم من السيخ عن الاتجاه العام متبعين ابن ناناك الأكبر وسموا أدواسي إذ يتجه هؤلاء نحو التصوف، ولديهم اعتقاد راسخ بضرورة إيجاد دولة لهم، وأن ذلك أحد أركان الإيمان لديهم إذ ينشدون في نهاية كل عبادة نشيدا يقولون فيه، سيحكم رجال الخالص ادال كما يحلمون بأن تكون عاصمتهم في شانديغار، ويقدر عدد السيخ حاليّا بحوالي ١٥ مليون نسمة داخل الهند وخارجها.

- الطاوية إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي ما تزال حية إلى اليوم.

الطاوية إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي ما تزال حية إلى اليوم، إذ ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، تقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية، والوقوف موقفا سلبيا من الحضارة والمدنية، كان لها دور هام في تطوير علم الكيمياء منذ آلاف السنين وذلك من خلال مسيرتها في البحث في إكسير الحياة ومعرفة سر الخلود[1].

ويعتقد بأن لوتس الذي كان ميلاده عام ٥٠٧ قبل الميلاد هو صاحب مذهب الطاوية التي تُرجع بعض معتقداتها إلى زمن سحيق، وقد وضع كتابه طاو تي تشينغ أي كتاب طريق القوة. وقد التقى به

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الأديان الشرقية، الطاوية بتصرف مناسب لطلبة العلم.

كونفوشيوس فأخذ عنه أشياء وخالفه في أشياء أخرى.

وبقيت الطاوية خلال أكثر من ألفي سنة تؤثر في الفكر الصيني وفي التغيرات التاريخية الصينية، وقد ظهر شوانغ تسو الذي يرجع إلى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد زاعما بأن لوتس كان أحد المعلمين السماويين كما قام بشرح كتاب معلمه لوتس مضيفا إليه شيئا من فلسفته.

لقد نمت الطاوية المنظمة في منطقة جبال شي شوان قبل غيرها، وفي عام ١٤٢م زعم شانغ طاولينغ أنه قد جاءه الوحي من الرب تعالى بأن يتحمل تبعات إصلاح الدين الطاوي، وأنه قد ارتقى وسمي المعلم السماوي. وقاد ذلك التنظيم الذي صار تبعا لسلالته الذين عرفوا بالمعلمين السماويين، وفي القرن الثاني الميلادي انتشرت الطاوية الشعبية وقد كان للمعلمين السماويين دور كبير في نشرها.

ولهم أدب فلسفي وديني سري، قسم منه يعود إلى القرن الرابع والقرن الثاني قبل الميلاد ويركز على إقناع الحكام، وقسم يبدأ منذ نهاية القرن الثاني الميلادي وهو يمثل حركات دينية منظمة، وينتقل من الشيخ إلى تلاميذه من أداء القسم للمحافظة على سريته.

والإله لديهم ليس بصوت ولا صورة، أبدي لا يفنى، وجوده سابق وجود غيره وهو أصل الموجودات، وروحه تجري فيها، ويعتقدون أن طاو هو المطلق الكائن، وهو مراد الكون، إنه ليس منفصلا عن الكون بل هو داخل فيه دخولا جوهريًا، انبثقت عنه جميع الموجودات، كما أنهم يؤمنون بوحدة الوجود إذ إن الخالق والمخلوق شيء واحد لا تنفصل أجزاؤه وإلا لاقى الفناء، وتعد نظرتهم إلى الإله قريبة جدًا من

مذهب الحلولية الذي يذهب إلى أن الخالق حالٌّ في كل الموجودات، كما أن الخالق لا يستطيع أن يتصرف أو يعمل إلا بحلوله في الأشياء.

ويؤمنون بالقانون السماوي الأعظم الذي هو أصل الحياة والنشاط والحركة لجميع الموجودات في السماء والأرض، ويرى شونغ تسي بأن الإنسان قد جاء إلى الوجود مع الكون، فهو يحب الله ولكنه يحب المصدر الذي جاء منه الله أكثر من حبه لله، فهو تصور يدل على أنهم يعتقدون بأن هناك مبدأ قبل الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وهناك طقس شيو وهو أقدم الطقوس إذ هو تجديد لعلاقة الجماعة بالآلهة، ولا يزال هذا الطقس موجودا في تايوان إلى اليوم، وهناك طقوس لتنصيب الكهنة، وأخرى عند ميلاد الآلهة، وبعض الكهنة يمارسون طقوسا معينة في مناسبات الدفن والزواج والولادة، ومن طقوسهم معالجة المريض، وذلك بإدخاله إلى غرفة هادئة يقضي فيها بعض الوقت متأملا منشغلا بذنوبه، كما يقوم بعضهم باستعمال الوسطاء الذين يسترخون في سبات، ويزعمون أنهم يقومون بنقل آراء الآلهة أو الأموات أو الأقارب، وحرق البخور موضوع أساسي لكل عبادة طاوية، فضلا عن استعمال الخناجر والماء المسحور والموسيقى، والأقنعة والكتب المقدسة.

ويجب على الطاوي المتصوف أن ينظف نفسه من جميع المشاغل والشوائب ليوجد في داخله فراغا هو في الحقيقة الامتلاء نفسه، وذلك بالوصول إلى الحقائق المجردة، ويتم ذلك عن طريق التجرد من الماديات ليصبح الإنسان روحا خالصا، وأعلى مراتب التصوف هي مرحلة الوحدة التامة بين الفرد والقانون الأعظم، وذلك بحصول اندماج بين

المتصوف والذات العليا لتصيرا شخصية واحدة، وإذا ارتقى الإنسان إلى المعرفة الحقة عندها يستطيع أن يصل إلى الحالة الأثيرية حيث لا موت ولا حياة.

إن الطاوية تتجه اتجاها سلبيا على عكس الكونفوشيوسية، ذلك لأن الفضيلة لديهم تكمن في عدم العمل والاقتصار على التأمل داعين إلى الحياة على الجبال المقدسة وقرب الجزر النائية، إنهم يهاجمون الشرائع والقوانين والعلم وما إلى ذلك من مظاهر المدنية التي عملت على إفساد فطرة الإنسان الذي ولد خَيِّرا، ومثلهم الأعلى في ذلك هو في العودة إلى النظام الطبيعي المتميز بنقاء الفطرة وسلامتها.

وقد اهتم الطاويون بطول العمر، ويعتبر التقدم في السن دليلا على القداسة حتى صار من أهداف التصوف الطاوي السعي لإطالة العمر والخلود، وقد ذهب بعضهم إلى ادعاء إمكانية إطالة العمر مئات السنين، وأفضل الخالدين في نظرهم هم الذين يصعدون إلى السماء في وضح النهار، هذا الخلود الذي من الممكن أن يتم بواسطة تدريبات ورياضات خاصة جسدية وروحية كما يزعمون، هذا الاهتمام في البحث عن إكسير الحياة كان عاملا مهمّا في تقدم الطب والكيمياء على أيديهم فضلا عن السحر والشعوذة والدجل، مما أدى إلى ثراء الكهنة ثراء فاحشا، كما أنهم يؤكدون حرصهم على التعاليم الأخلاقية وعلى ضرورة المشاركة في الاحتفالات الجماعية الموسمية، وليس لديهم بعث ولا حساب، إنما يكافأ المحسن بالصحة وبطول العمر بينما يجازى المسيىء بالمرض وبالموت المبكر.

وهناك عوامل تأثر وتأثير بين الطاوية والكنفوشيوسية والبوذية بسبب

توطن هذه الديانات في منطقة واحدة متجاورة، حيث يمكن ملاحظة فكرة التصوف التي يعبر عنها بأساليب مختلفة ولكن في مضمون واحد.

والديانة الطاوية ما تزال حية في الثقافة الصينية التقليدية وتوجد فئات طاوية في بعض نواحي ماليزيا وبينيانغ وسنغافورة وبانكوك، وتعتبر اليابان من أوسع البلاد علما بالطاوية في أيامنا الحالية، وأما تايوان فهي أهم ملجأ للطاوية في القرن العشرين بسبب الهجرة الطاوية إليها في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

- **الزرادشتية هي الديانة المجوسية ويطلق عليها المانوية والثنوية.**

يطلق على المجوسية الزرادشتية، ومجوس اسم رجل أو اسم لقبيلة فارسية أو وصفٌ لعبادة النار، وقد أتى زرادشت فحددها وأظهرها وزاد فيها، فالمجوسية أسبق من الزرادشتية، وقيل إن زرادشت بن يورشب المولود في القرن السابع قبل الميلاد هو مؤسس هذه الديانة، وأن المجوس قبيلة فارسية دخلت في هذه الديانة، فصح الانتساب لها على أن الأصل هو زرادشت.

وأيا كانت الأسبقية، فهما اسمان لديانة واحدة فالمجوسية هي الزرادشتية والعكس، كما يطلق عليهما المانوية والثنوية وذلك لقولهم بإلهين اثنين، وهي ديانة فارسية وثنية ثنوية تُقدس النار وتقول بإلهين اثنين إله للخير وإله للشر، وقد تأثروا ببعض الديانات الهندية، فقالوا بتناسخ الأرواح، وكان لهم أثر كبير في ظهور بعض الحركات الباطنية الذين تستروا بحب آل البيت لهدم الإسلام من الداخل فمنهم عبد الله بن سبأ المجوسي أصل الباطنية في الأمة الإسلامية، وكذلك أبو لؤلؤة المجوسي قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ويبلغ تعداد المجوس الزرادشتية في العالم أكثر من ثلاثمائة ألف نسمة يعيش أكثرهم في إيران موزعين على مدن طهران وكرمان وأصفهان، ويوجد عددٌ قريبٌ من ذلك في الهند، كما يوجد أقلية منهم في باكستان ودول أوربا وأفريقيا الجنوبية وأمريكا، مع ملاحظة أن العدد الحقيقي غير معلومٍ بالدقة لأن بعضهم يخفي انتماءه الديني.

وأهم عقائدهم الثنوية وهي القول بإلهين غير متساويين، وهما إله النور وإله الظلمة، وأن الأصل هو إله الخير ولا يصدر عنه إلا ما هو خير، ونتيجة لوجود الشر فقد جعلوا إلها آخر وهو إله الظلمة الذي يصدر منه الشرور، وأن الصراع مستمرٌ بين الإلهين، وأن الشرور والأشرار ينتسبون إلى إله الظلمة، وأن الصالحين أنصار إله النور.

ويؤمنون بتناسخ الأرواح وانتقال الروح من بدن قد مات صاحبه إلى بدن آخر لمخلوق حي، إنسانا كان أم حيوانا، ويقدسون النار عندهم لأنها مصدر للنور الذي يجب عليهم الاتجاه إليه، لأنه قبسٌ من نور الإله، ويؤمنون بأن نهاية العالم تكون بانتصار إله الخير على إله الشر، فتنتهي الشرور من العالم وكل أنواع الشقاء.

ويؤمنون أيضا بالرجعة وفكرة ظهور من سينشر العدل، ويدعى عندهم بصاحب العودة أشيزريكا، أي الرجل العالم، يحي العدل ويميت الجور، وتنقاد له الملوك، وينصر الدين والحق، ويحصل في زمانه الأمن والمحن.

وقد اختلف أهل العلم في المجوس، هل هم أهل كتاب ولهم رسول ولكنهم بدلوا وحرفوا أم لا؟ وذلك على قولين ذهب الجمهور إلى أنهم

ليسوا بأهل كتاب، كما ذكر ابن القيم وابن قدامة والقرطبي، وهو ما عليه أغلب السلف، وإنما يعاملون معاملاتهم فيما يتعلق بالجزية فقط.

ولدى الديانة الزرادشتية العديد من الأعياد من أشهرها النيروز، وهو عيد بداية العام، وأوانه الاعتدال الربيعي، وقد عرفته الأقوام الإيرانية منذ القدم، ولا يزال يعد عيدا قوميا في إيران إلى اليوم إذ هو بداية السنة الفارسية، وكذلك هو عيد قومي للأكراد في العراق وتركيا وبقية الدول التي يعيشون فيها، ولهم عيد يسمى بالعيد المجيد ٢١ مارس وهو أيضا من أهم الأعياد.

وقد اجتثت الديانة المجوسية الزرادشتية بأيدي فرسان الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، ومن الفرس من حسن إسلامه، وكان منهم العلماء، وكثير منهم ممن تحول إلى دين الرافضة في عهد الدولة الصفويه، وهو دين لا يقل شركا عن المجوسية ولكنه أخطر منه لأنه اتخذ من الإسلام غطاءا له وحب آل البيت وسيلة، والتقية درعا لتدمير الإسلام والثأر لدولتهم الكسروية.

- المهاريشية نحلة هندوسية دهرية ملحدة تدعو إلى طقوس كهنوتية.

المهاريشية نحلة هندوسية دهرية ملحدة، انتقلت إلى أمريكا وأوروبا متخذة ثوبا عصريًا من الأفكار التي لم تخف حقيقتها الأصلية، وهي تدعو إلى طقوس كهنوتية من التأمل التصاعدي التجاوزي بغية تحصيل السعادة الروحية، وهناك دلائل تشير إلى صلتها بالماسونية والصهيونية التي تسعى إلى تحطيم القيم والمثل الدينية وإشاعة الفوضى الفكرية

والعقائدية والأخلاقية بين الناس[1].

ومؤسس المهاريشية فقير هندوسي لمع نجمه في الستينات واسمه مهاريشي ماهيش يوجي انتقل من الهند ليعيش في أمريكا ناشرا أفكاره بين الشباب الضائع الذي يبحث عن المتعة الروحية بعد أن أنهكته الحياة المادية الصاخبة، وقد بقي في أمريكا مدة ١٣سنة حيث التحق بركب نحلته الكثيرون، ومن ثم رحل لينشر فكرته في أوروبا وفي مختلف بلدان العالم، وفي عام ١٩٨١م انتسب إلى هذه الفرقة ابن روكفلر عمدة نيويورك السابق وخصص لها جزء من أمواله يدفعها سنويًا لهذه الحركة، ومعروف انتماء هذه الأسرة اليهودية إلى الحركة الصهيونية والمؤسسات الماسونية.

ولا يؤمن أفراد هذه النحلة بالله سبحانه وتعالى، ولا يعرفون إلا المهاريشي إلها وسيدا للعالم، فلا يؤمنون بدين من الأديان السماوية، ويكفرون بجميع العقائد والمذاهب، ولا يعرفون التزاما بعقيدة إلا بالمهاريشية التي تمنحهم الطاقة الروحية على حد زعمهم، وهم يرددون: لا رب ولا دين، ولا يؤمنون بشيء اسمه الآخرة أو الجنة أو النار أو الحساب، ولا يهمهم أن يعرفوا مصيرهم بعد الموت لأنهم يقفون عند حدود متع الحياة الدنيا لا غير.

وحقيقتهم الإلحاد، لكنهم يظهرون للناس أهدافا براقة لتكون ستارا يخفون بها تلك الحقيقة، فمن ذلك أنهم يدعون إلى التحالف من أجل

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الأديان الشرقية، المهاريشية بتصرف مناسب لطلبة العلم.

المعرفة أو علم الذكاء الخلاق، ويفسرون ذلك بالعلم من حيث دعوتهم إلى البحث المنهجي التجريبي، وبالذكاء من حيث الصفة الأساسية للوجود متمثلا في هدف ونظام للتغيير، وبالأخلاق من حيث الوسائل القوية القادرة على إحداث التغييرات في كل زمان ومكان.

وهم يصلون إلى ذلك عن طريق التأمل التجاوزي الذي يأخذ بأيديهم كما يعتقدون إلى إدراك غير محدود، والتأملات التجاوزية عندهم تتحقق عن طريق الاسترخاء، وإطلاق عنان الفكر والضمير والوجدان حتى يشعر الإنسان منهم براحة عميقة تنساب داخله، ويستمر في حالته الصامتة تلك حتى يجد حلاّ للعقبات والمشكلات التي تعترض طريقه، وليحقق بذلك السعادة المنشودة، ويخضع المنتسب للتدريب على هذه التأملات التصاعدية خلال أربع جلسات موزعا على أربعة أيام، وكل جلسة مدتها نصف ساعة، وينطلق الشخص بعد ذلك ليمارس تأملاته بمفرده على أن لا تقل كل جلسة عن عشرين دقيقة صباحا، ومثلها مساء كل يوم وبانتظام.

ومن الممكن أن يقوموا بذلك بشكل جماعي، ومن الممكن أن يقوم به عمال في مصنع رغبة في تجاوز إرهاقات العمل وزيادة الإنتاج، ويحيطون تأملاتهم بجو من الطقوس الكهنوتية، مما يجعلها جذابة للشباب الغربي الغارق في المادة، والذي يبحث عما يلبي له أشواقه الروحية، وينطلقون في الشوارع يقرعون الطبول، وينشدون دون إحساس بشيء اسمه الخجل أو العيب أو القيم، ويرسلون شعورهم ولحاهم، ولعل بعضهم يكون حليق الرأس على نحو شاذ، وهيئتهم رثة، كل ذلك جذبا للأنظار، وتعبيرا عن تحللهم من كل القيود.

وقد استعاض المهاريشية عن النبوة والوحي بتأملاتهم الذاتية، واستعاضوا عن الله بالراحة النفسية التي يجدونها، وبذلك أسقطوا عن اعتبارهم مدلولات النبوة والوحي والألوهية، ويطلقون العنان لشبابهم وشاباتهم لممارسة كل أنواع الميول الجنسية الشاذة والمنحرفة، إذ إن ذلك كما يعتقدون يحقق لهم أعلى مستوى من السعادة، وقد وجد بينهم ما يسمى بالبانكرز وما يسمى بالجنس الثالث.

والمهاريشية يدعون شبابهم إلى عدم العمل وترك الدراسة، وإلى التخلي عن الارتباط بأرض أو وطن، فلا يوجد لديهم إلا عقيدة المهاريشي، فهي العمل وهي الدراسة وهي الأرض وهي الوطن، وعدم إلزام النفس بأي قيد يحول بينها وبين ممارسة نوازعها الحيوانية الطبيعية، ويحثون شبابهم على استخدام المخدرات كالماريجوانا والأفيون حتى تنطلق نفوسهم من عقالها سابحة في بحر من السعادة الموهومة، ويلزمون أتباعهم بالطاعة العمياء للمهاريشي وعدم الخضوع إلا له إذ إنه هو الوحيد الذي يمكنه أن يفعل أي شيء.

ويلخصون أهدافهم ومجالات عملهم بسبع نقاط براقة تضفي على حركتهم جوّاً من الروح العلمية الإنسانية العالمية، وهي أهداف لا يكاد يكون لها وجود في أرض الواقع وهي: تطوير كل إمكانات الفرد، وتحسين الإنجازات الحكومية، وتحقيق أعلى مستوى تعليمي، والتخلص من كل المشكلات القديمة للجريمة والشر، ومن كل سلوك يؤدي إلى تعاسة الإنسانية، وزيادة الاستغلال الذكي للبيئة، وتحقيق الطموحات الاقتصادية للفرد والمجتمع، وإحراز هدف روحي للإنسانية.

وأما وسائلهم المعتمدة لتحقيق هذه الأفكار فهي افتتاح الجامعات في

الأرياف والمدن، ونشر دراسات عن علم الذكاء الخلاق والدعوة إلى تطبيقها على المستوى الفردي والحكومي والتعليمي والاجتماعي وفي مختلف البيئات، وإيجاد تلفزيون ملون عالمي لبث التعاليم من عدة مراكز في العالم.

وترجع الجذور الفكرية والعقائدية للمهاريشية إلى ديانة هندوسية مصبوغة بصبغة عصرية جديدة من الحرية والانطلاق، فهي مزيج من اليوغا، ومن الرياضات المعروفة عند الهندوس خالطت معتقداتها طقوس صوفية بوذية هندية.

ومواقع انتشارها مرتبط بمؤسسها الهندوسي، فلما لم يجد له مكانا في الهند لمضايقة الهندوس له لخوفهم من استقطابه الأتباع بسبب اتباعه سياسة الانفتاح الجنسي، انتقل إلى أمريكا وأنشأ جامعة في كاليفورنيا، ومن ثم انتقل إلى أوروبا وصار له أتباع فيها، ورحل بحركته إلى أفريقيا ليقيم لها أرضية في ساليسبورغ، ووصلت دعوته إلى الخليج العربي ومصر حيث يزرع الأتباع هنا وهناك، ويتحرك فوق ثروة مالية هائلة، وتملك المهاريشية إمكانيات مادية رهيبة تدعو إلى التساؤل والاستغراب تشير إلى الأيدي الصهيونية والماسونية التي تقف وراءها مستفيدة من تدميرها لأخلاق وقيم الأمم.

وفي عام ١٩٧١م أنشأ زعيمهم جامعة كبيرة في كاليفورنيا سماها جامعة المهاريش العالمية، ويقول بأنه فعل ذلك بعد أن أحس بتقبل مذهبه في أكثر من ٦٠٠ كلية وجامعة في أنحاء العالم، وفي عام ١٩٧٤م أُعلن عن قيام الحكومة العالمية لعصر الانبثاق برئاسة مهاريشي ماهيشي يوجي ومقرها سويسرا، كما أن لهذه الدولة دستورا ووزراء وأتباعا

وثروة طائلة، واستثمارات في مختلف أنحاء العالم.

وفي كانون الأول ١٩٧٨م ادعوا بأن حكومتهم المهاريشية قد أرسلت إلى إسرائيل بعثة من ٤٠٠ محافظ ليقيموا دورة هناك لثلاثمائة رجل حتى تجعل الشعب أكثر اجتماعية وأقل حدة وتوترا، ويعتبر عام ١٩٧٨م عام السلام لديهم حيث إنهم قد أعلنوا أنه لن تقهر أمة في العالم بعد ذلك، وقد دعوا في ذلك العام إلى عقد مؤتمر في ساليسبورغ لتكوين نظام عدم القهر لأية أمة، كما أسس فيه المجلس النيابي لعصر الانبثاق.

وكتبهم ومطبوعاتهم تكتب بماء الذهب، وهم يمتلكون أكبر المصانع والعقارات في أوروبا، وقد اشتروا قصر برج مونتمور في بريطانيا لتأسيس عاصمتهم الجديدة هناك، ويحرصون دائما على اعتبار مؤسستهم مؤسسة خيرية معفاة من الضرائب على الرغم من غناهم الفاحش، ويخدم مع المهاريشي سبعة آلاف خبير، ويشتري هذا المهاريشي، الفقير أصلا عشرات القصور الفارهة فمن أين له ذلك؟ إن اليهودية قد وجدت فيها خير وسيلة لنشر الانحلال والفوضى بين البشر فتبنتها ووقفت وراءها مسخرة لها الأموال والصحافة وعقدت لها المناقشات لطرح نظريتها والدعوة إليها.

وصل بعضهم إلى دبي وعقدوا اجتماعا في فندق حياة ريجنسي يدعون فيها علانية لمذهبهم، وقد ألقي القبض على هؤلاء الأشخاص الأربعة الذين قدموا إليها بتأشيرة سياحية ثم أُبعدوا عن البلاد، ووصل بعضهم إلى الكويت، وتقدموا بطلب للحصول على ترخيص لهم باعتبارهم مؤسسة خيرية غير تجارية، وقد نشروا في الصحافة الكويتية

أكثر من مقال وبث لهم التلفزيون الكويتي بعض المقابلات قبل أن تتضح أهدافهم الحقيقية.

وقد نظموا دورة لموظفي وزارة المواصلات في الكويت في فندق هيلتون، وقد دعوا الموظفين أثناء الدورة إلى مراجعة مواريثهم العقائدية والفكرية، وطُرد المهاريشي من ألمانيا بعد أن ظهر أثره السيئ على الشباب، وقد نشرت رابطة العالم الإسلامي في مكة بيانا أوضحت فيه خطر هذا المذهب على الإسلام والمسلمين، مؤكدة ارتباطه بالدوائر الماسونية والصهيونية، فالمهاريشية دين هندوسي وضعي دهري ملحد، لا يعترف بالآخرة، ويدعو إلى إلغاء كافة العقائد والأديان السابقة، ويطالب بالتخلي عن كل القيود والتعاليم الخلقية، ويسعى لاستقطاب الشباب وإغراقه في متاهات التأمل التجاوزي والانحلال الجنسي والسقوط فريسة سهلة للمخدرات.

والحقيقة أن المهاريشية ما هي إلا ضلالة جديدة انتهزت فرصة إخفاق النصرانية في احتواء الشباب، وظهور صرعات الهيبيز والخنافس وأبناء الزهور، فتقدمت لتملأ الفراغ، تحت وهم جلب الراحة النفسية ومطاردة موجات القلق والاضطراب عن طريق الرياضات الروحية، بعيدا عن طريق الوحي والنبوات، ولا يستبعد أن تكون ذراعا جديدا للماسونية.



المطلب الخامس والعشرون

المذاهب الفكرية المعاصرة وآثارها السلبية على الأمة الإسلامية وقيادتها العالمية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن الأديان الوثنية القديمة والانحراف عن دعوة الأنبياء والمرسلين إلى توحيد الله، وبينا أن الديانة الفرعونية من أقدم الديانات الوثنية التي امتدت في التاريخ، وأن الصابئة المندائية من أقدم الديانات التي تعتقد بأن الخالق واحد، وبينا طبقات رجال الدين الصابئي وأهم معتقداتهم وطقوسهم في العبادة.

وعلمنا أن الديانة الهندوسية البرهمية ديانة وثنية يعتنقها معظم الناس في الهند، وأنها جعلت المجتمع الهندي مجتمعا طبقيا معقدا نفسيا، وبينا أن الديانة الشنتوية ديانة وضعية ظهرت في اليابان وبقيت إلى الآن، وأن الكونفوشيوسية ديانة صينية وثنية ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس، وعلمنا أن معتقدات الكونفوشيوسية تتمثل في الإله والملائكة وأرواح الأجداد، وأن البوذية فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية وقد ظهرت بعد الهندوسية، وتحدثنا عن السيخية وأنها جماعة دينية هندية جديدة تدعو إلى ترك الإسلام والهندوسية.

ثم تحدثنا عن الطاوية إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي ما

تزال حية إلى اليوم، وكذلك بينا أن الزرادشتية هي الديانة المجوسية ويطلق عليها المنوية والثنوية، وعلمنا أن المهاريشية أنها نحلة هندوسية دهرية ملحدة تدعو إلى طقوس كهنوتية.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن المذاهب الفكرية المعاصرة وآثارها السلبية على الأمة الإسلامية وقيادتها العالمية.

- العلمانية مبنية على إقامة الحياة بعيدا عن الدين والفصل الكامل بينهما.

العلمانية كلمة ينسبونها في اللغات الأوربية للعلم، وهي ترجمة مضللة لأنها توحي بأن لها صلة بالعلم، بل المقصود بها في تلك اللغات هو إقامة الحياة بعيدا عن الدين، أو الفصل الكامل بين الدين والحياة[١].

ذكرت دائرة المعارف البريطانية في تعريف العلمانية بأنها حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها، ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطي رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر، ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت العلمانية تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالانجازات الثقافية البشرية، وبإمكانية تحقيق طموحاتهم في هذه الحياة القريبة، وظل الاتجاه إلى العلمانية يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية.

وهكذا يتضح أنه لا علاقة للكلمة بالعلم، إنما علاقتها قائمة بالدين

---

(١) انظر في هذا المطلب بحث العلمانية من إعداد الباحث علي بن نايف الشحود بتصرف مناسب لطلبة العلم.

ولكن علي أساس سلبي، أي علي أساس نفي الدين والقيم الدينية عن الحياة، وأولى الترجمات بها في العربية أن نسميها اللادينية بصرف النظر عن دعوي العلمانيين في الغرب بأن العلمانية لا تعادي الدين، إنما تبعده فقط عن مجالات الحياة الواقعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وغيرها، ولكنها تترك للناس حرية التدين بالمعني الفردي الاعتقادي علي أن يظل هذا التدين مزاجا شخصي لا دخل له بأمور الحياة العملية، فاللادينية هي أقرب ترجمة تؤدي المقصود من كلمة العلمانية عند أصحابها.

وتبدو نشأة العلمانية في أوروبا أمرا منطقيا مع سير الأحداث هناك، إذا رجعنا إلى عبث الكنيسة بدينها، وتحريفه وتشويهه، وتقديمه للناس في صورة منفرة، دون أن يكون عند الناس مرجع يرجعون إليه لتصحيح هذا العبث وإرجاعه إلى أصوله، كما هو الحال مع القرآن المحفوظ بحفظ الله من كل عبث أو تحريف.

لقد كان هناك نفوذ ضخم جدا يمارس باسم الدين في مجال العقيدة وفى مجالات الحياة العملية كلها من قبل رجال الدين، فالصورة الواقعية للدين في أوروبا كانت تتمثل أولا في عقيدة مأخوذة من الأناجيل وشروحها تقول بإن الله ثالث ثلاثة وأنه المسيح ابن مريم، وتتمثل ثانيا في صلوات وقداسات ومواعظ واحتفالات تقام في الكنائس يوم الأحد بصفة خاصة، وتتمثل أخيرا وليس آخرا في نفوذ رجال الدين على الملوك وعلى عامة الناس، فأما نفوذهم على الملوك فيتضمن أنهم لا يجلسون على عروشهم إلا بإذن البابا ومباركته، ولا يتولون سلطانهم على شعوبهم إلا بتولية البابا لهم، وإذا غضب عليهم البابا غضبا

شخصيا لا علاقة له البتة بالدين نبذتهم شعوبهم ولم تذعن لأوامرهم، وأما نفوذهم على عامة الناس فيتضمن أنهم لا يصبحون مسيحيين إلا بتعميد الكاهن لهم، وليس لهم صلاة إلا بحضور الكاهن أمامهم في الكنيسة، ولا يموتون موتا صحيحا إلا بإقامة قداس الجنازة لهم على يد الكاهن، ولا يعتقدون إلا ما يلقنهم إياه رجال الدين من شئون العقيدة، ولا يفكرون إلا فيما يسمح لهم رجال الدين بالتفكير فيه، ولا يتعلمون إلا ما يسمح لهم رجال الدين تعلمه، ولرجال الدين فوق ذلك نفوذ على أموالهم وعلى أجسادهم وعلى نسائهم.

هذا الدين بهذه الصورة مخالف للفطرة وما عليه الكتاب المقدس بالرغم من تحريفه، لأن فيه من حقائق الدين أن الله هو الذي خلق الكون كله، وهو الذي خلق الإنسان على هذه الصورة الإنسانية، وجعله عاقلا مفكرا مريدا، وكلفه الأمانة، وكلفه عمارة الأرض والهيمنة عليها، وعرفه أن هناك بعثا ونشورا وحسابا وثوابا وعقابا يوم القيامة، وأن هناك جنة ونار أبديتين يصير الناس إليهما كل بحسب عمله، وفيه من حقائق الدين كذلك أن الله حرم القتل والسرقة والزنا والربا والكذب والغش والخيانة، وأوجب على الناس في حياتهم أخلاقيات معينة يتقيدون بها في تعاملهم بعضهم مع بعض، وأن الله شرع الزواج وحرم الزنا واللواط والشذوذ الجنسي، وشرع الأسرة وأوجب صيانتها وجعل للرجل القوامة عليها إلى آخر ما يجرى هذا المجرى من حقائق الدين.

والدين المنزل من عند الله ليس فيه أن يفرض رجال الدين على شعبهم الخضوع الكامل لأهوائهم في الوقت الذي لا يستخدمون فيه

سلطانهم الرهيب في فرض شريعة الله على الأباطرة والملوك ليحكموا بها بدلا من القانون الروماني، ويكتفون بجعل هذه الشريعة مجرد مواعظ خلقية وروحية من شاء أن يتقيد بها تقيد، ومن شاء أن يتفلت منها فلا سلطان لأحد عليه في الأرض، بينما القانون الروماني يعاقب المخالفين له بالقتل أو الحبس أو ما سوى ذلك من العقوبات.

وليس في الدين المنزل أن الأرض منبسطة وليست كروية، وأن من قال بكرويتها يحرق حيا في النار! وليس فيه أن يفرض رجال الدين لأنفسهم لا للفقراء والمساكين عشور أموال الناس، ولا السخرة المجانية في أرض الكنيسة، وليس فيه كل ما فعله رجال الدين من فضائح ومخاز ودناءات كصكوك الغفران والفساد الخلقي بكل أنواعه، ومناصرة الكنيسة للمظالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الواقعة على الشعوب! ولكن أوروبا حين أنشأت علمانيتها نبذت الدين كله، ولم تفرق بين أباطيل الكنيسة وبين حقائق الدين! صحيح أن الدين الكنسي بحقائقه وأباطيله لم يكن صالحا للحياة، ولم يكن مقبولا عند الله، إلا أنها حين نبذت دين الكنيسة الفاسد لم تبحث عن الدين الصحيح الذي يصدق الحقائق ويبطل الأباطيل.

ولكن أوروبا بدافع العصبية الصليبية أعرضت عن هذا الدين واتجهت إلى الجاهلية الإغريقية الرومانية، تنتقم بها من الكنيسة ودينها الفاسد الذي يهمل الحياة الدنيا، ويلغى الوجود الإيجابي للإنسان، واندفعت أوروبا في نهضتها تنزع من طريقها كل معلم من المعالم الإلهية سواء كانت إلهية حقا أو مدّعاة من قبل الكنيسة، وتضع مكانها معالم بشرية من صنع الإنسان، كما تنزع من طريقها كل ما يتصل بالآخرة لتضع

بدلا منه ما يتصل بالدنيا، وكانت هذه هي بداية العلمانية بالتعريف الأوروبي.

لقد أصبح الطابع المميز للفكر الأوروبي منذ النهضة هو التمرد على الدين والتمرد على الله، وكان ذلك نابعا من تأثيرين في آن واحد، التأثير الأول هو روح رد الفعل الذي قام ضد الدين والكنيسة، والثاني هو تأثير الجاهلية الإغريقية في هذا الشأن بالذات، وغني عن البيان أن الموقف الصحيح للإنسان في ظل الدين الصحيح ليس هو ما نزل على خاتم الأنبياء.

غير أنه بهذه الروح بدأ الكتاب والمفكرون الأحرار يهاجمون فكرة الإلوهية وينفون الرسالات والوحي، وينفون الحياة الآخرة والجنة والنار، ويقولون إن هذه كلها أوهام تبنتها البشرية في غيبة من العقل، والآن وقد صحا العقل فقد آن الأوان لنبذها وتركها للهمج المتأخرين، وربما كان خير ممثل لهذا الاتجاه هو فولتير الكاتب الفرنسي الملحد المشهور.

أما تأثير الجاهلية الإغريقية التي تصور العلاقة بين البشر والآلهة علاقة صراع وخصام لا ينتهي، فالآلهة تريد أن تقهر الإنسان وتكبته وتحطمه لكي لا يطمح في أن يكون مقتدرا مثلها، فلا تفتأ كلما حقق نجاحا أن تصب الكوارث فوق رأسه لكي لا يستمتع بثمرات نجاحه، وهو من جانبه دائم التحدي للآلهة، كلما وقع في حفرة من حفائرها عاد يستجمع قواه ليصارعها من جديد، من هذين التأثيرين معا انطلق الفكر المتحرر يهاجم الدين، ويصفه بأنه الأغلال التي تغل الفكر عن الانطلاق، والتي ينبغي أن تحطم لكي يثبت الإنسان وجوده، ويقوم بدوره الذي يجب أن يقوم به في الأرض!

• للعلمانية صورتان منتشرتان كل صورة منهما أقبح من الأخرى

الصورة الأولى للعلمانية العلمانية الملحدة وهي التي تنكر الدين كلية وتنكر وجود الخالق البارئ المصور، ولا تعترف بشيء من ذلك، بل وتحارب وتعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله، وهذه العلمانية على فجورها ووقاحتها في التبجح بكفرها، إلا أن الحكم بكفرها أمر ظاهر ميسور لكافة المسلمين، فلا ينطلي بحمد الله أمرها على المسلمين، ولا يُقبل عليها من المسلمين إلا رجل يريد أن يفارق دينه، وخطر هذه الصورة من العلمانية من حيث التلبيس على عوام المسلمين خطر ضعيف، وإن كان لها خطر عظيم من حيث محاربة الدين، ومعاداة المؤمنين وحربهم وإيذائهم بالتعذيب أو السجن أو القتل.

أما الصورة الثانية للعلمانية فهي العلمانية غير الملحدة وهي علمانية لا تنكر وجود الله، وتؤمن به إيمانا نظريا، لكنها تنكر تدخل الدين في شؤون الدنيا، وتنادي بعزل الدين عن الدنيا، وهذه الصورة أشد خطرا من الصورة السابقة من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين، فعدم إنكارها لوجود الله، وعدم ظهور محاربتها للتدين يغطي حقيقة هذه الدعوة الكفرية على أكثر عوام المسلمين، فلا يتبينون ما فيها من الكفر لقلة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالدين، ولذلك تجد الأنظمة الحاكمة اليوم في بلاد المسلمين إلا من رحم الله أنظمة علمانية، والكثرة الكاثرة والجمهور الأعظم من المسلمين لا يعرفون حقيقة ذلك.

ومثل هذه الأنظمة العلمانية اليوم إلا من رحم الله تحارب الدين حقيقة، وتحارب الدعاة إلى الله، وهي آمنة مطمئنة أن يصفها أحد بالكفر والمروق من الدين؛ لأنها لم تظهر بالصورة الأولى، وما ذلك إلا

لجهل كثير من المسلمين.

ولهذا فليس من المستبعد أو الغريب أن يجد المسلم ذو البصيرة في كلمات أو كتابات كثير من العلمانيين المعروفين بعلمانيتهم ذكر الله سبحانه وتعالى، أو ذكر رسوله أو ذكر الإسلام، وإنما تظهر الغرابة وتبدو الدهشة عند أولئك الذين لا يفهمون حقائق الأمور.

لقد كان للنصارى العرب المقيمين في بلاد المسلمين دورٌ كبيرٌ، وأثرٌ خطيرٌ في نقل الفكر العلماني إلى ديار المسلمين والترويج له، والمساهمة في نشره عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، كما كان أيضا للبعثات التعليمية التي ذهب بموجبها طلاب مسلمون إلى بلاد الغرب لتلقي أنواع العلوم الحديثة أثرٌ كبيرٌ في نقل الفكر العلماني ومظاهره إلى بلاد المسلمين، حيث افتتن الطلاب هناك بما رأوا من مظاهر التقدم العلمي وآثاره، فرجعوا إلى بلادهم محملين بكل ما رأوا من عادات وتقاليد، ونظم اجتماعية وسياسية واقتصادية، عاملين على نشرها والدعوة إليها، في الوقت نفسه الذي تلقاهم الناس فيه بالقبول الحسن، توهما منهم أن هؤلاء المبعوثين هم حملة العلم النافع، وأصحاب المعرفة الصحيحة، ولم تكن تلك العادات والنظم والتقاليد التي تشبع بها هؤلاء المبعوثون وعظموا شأنها عند رجوعهم إلى بلادهم إلا عادات، وتقاليد ونظم مجتمع رافض لكل ما له علاقة أو صلة بالدين.

والعلمانيون في العالم العربي والإسلامي كثيرون، منهم كثير من الكتاب والأدباء والصحفيين، ومنهم كثير ممن يسمونهم بالمفكرين، ومنهم أساتذة في الجامعات، ومنهم جمهرة غفيرة منتشرة في وسائل الإعلام المختلفة وتسيطر عليها، ومنهم غير ذلك، وكل هذه الطبقات

تتعاون فيما بينها، وتستغل أقصى ما لديها من إمكانات لنشر العلمانية بين المسلمين، حتى غدت العلمانية متفشية في أغلب جوانب الحياة.

• الآثار الخبيثة للعلمانية ونتائجها السيئة على واقع البلاد الإسلامية.

وقد كان لتسرب العلمانية إلى المجتمع الإسلامي أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم، فمن الثمار الخبيثة للعلمانية رفض تفعيل الحكم بما أنزل الله، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة عن الوحي الإلهي المُنزل على محمد ﷺ بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربين لله ورسوله، واعتبار الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية، اعتبار ذلك تخلفا ورجعية وردة عن التقدم والصورة الحضارية، وسببا في السخرية من أصحاب هذه الدعوة واحتقارهم، وإبعادهم عن تولي الوظائف التي تستلزم الاحتكاك بالشعب والشباب حتى لا يؤثروا فيهم.

ومن الثمار الخبيثة للعلمانية تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه، وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية على أنها عصور همجية تسودها الفوضى والمطامع الشخصية، وكذلك إفساد التعليم وجعله خادما لنشر الفكر العلماني، وذلك عن طريق بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ والطلاب في مختلف مراحل التعليم، وتقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن، ومنع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم، وتحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني، أو على الأقل أنها لا تعارضه، وإبعاد الأساتذة المتمسكين بدينهم عن التدريس، ومنعهم

من الاختلاط بالطلاب، وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش، وجعل مادة الدين مادة هامشية، حيث يكون موضعها في آخر اليوم الدراسي، وهي في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب، وإذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد، وصهر الجميع في إطار واحد، وجعلهم جميعا بمنزلة واحدة من حيث الظاهر، وإن كان في الحقيقة يتم تفضيل أهل الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان على أهل التوحيد والطاعة والإيمان، فالمسلم والنصراني واليهودي والشيوعي والمجوسي والبرهمي كل هؤلاء وغيرهم في ظل هذا الفكر العلماني بمنزلة واحدة، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني.

وفي ظل هذا الفكر يكون زواج النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الشيوعي بالمسلمة أمرا لا غبار عليه ولا حرج فيه، كذلك لا حرج عندهم أن يكون اليهودي أو النصراني أو غير ذلك من النحل الكافرة حاكما على بلاد المسلمين.

وهم يحاولون ترويج ذلك في بلاد المسلمين تحت مسمى الوحدة الوطنية، بل جعلوا الوحدة الوطنية هي الأصل المعصوم، وكل ما خالفها من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ طرحوه ورفضوه، وقالوا: هذا يعرض الوحدة الوطنية للخطر!! .

ومن ثمار العلمانية نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية، وتشجيع ذلك والحض عليه، وذلك عن طريق سن القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها، وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب

أن تكون مكفولة ومصونة، وكذلك وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة ونشر الرذيلة بالتلميح مرة، وبالتصريح مرة أخرى ليلا ونهارا، وفي المقابل محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات.

ومن ثمار العلمانية محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق تضييق الخناق على نشر الكتاب الإسلامي، مع إفساح المجال للكتب الضالة المنحرفة التي تشكك في العقيدة والشريعة الإسلامية، وإفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين المنحرفين لمخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر الضال المنحرف ولتحريف معاني النصوص الشرعية، مع إغلاق وسائل الإعلام والقنوات الفضائية في وجه علماء المسلمين الذين يُبصرون الناس بحقيقة الدين.

ومن ثمارهم الخبيثة مطاردة الدعاة إلى الله ومحاربتهم، وإلصاق التهم الباطلة بهم، ونعتهم بالأوصاف الذميمة، وتصويرهم على أنهم جماعة متخلفة فكريا ومتحجرة عقليا، وأنهم رجعيون يُحارون كل مخترعات العلم الحديث النافع، وأنهم متطرفون متعصبون لا يفقهون حقيقة الأمور، بل يتمسكون بالقشور ويَدعون الأصول.

ومن آثارهم وثمارهم الدعوة إلى القومية أو الوطنية، وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس أو اللغة أو المكان أو المصالح، على ألا يكون الدين عاملا من عوامل التجميع، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعد عاملا من أكبر عوامل التفرق والشقاق، حتى قال قائل منهم: والتجربة الإنسانية عبر القرون الدامية دلت على

أن الدين وهو سبيل الناس لتأمين ما بعد الحياة ذهب بأمن الحياة ذاتها.
هذه هي بعض الثمار الخبيثة التي أنتجتها العلمانية في بلاد المسلمين، وإلا فثمارها الخبيثة أكثر من ذلك بكثير.

والمسلم يستطيع أن يلمس أو يدرك كل هذه الثمار أو جُلها في غالب بلاد المسلمين، وهو في الوقت ذاته يستطيع أن يُدرك إلى أي مدى تغلغلت العلمانية في بلدٍ ما اعتمادا على ما يجده من هذه الثمار الخبيثة فيها، والمسلم أينما تلفت يمينا أو يسارا في أي بلد من بلاد المسلمين يستطيع أن يدرك بسهولة ويسر عدة ثمار من هذه الثمار الخبيثة، بينما لا يستطيع أن يجد بالسهولة نفسها بلدا خاليا من جميع هذه الثمار الخبيثة.

- الشيوعية والماركسية دعوة مادية تنكر الأديان كلها وتسعى لهدمها.

الشيوعية الماركسية دعوة مادية تنكر الأديان كلها وتسعى لهدمها من أصولها، واقتلاعها من جذورها ؛ لأنها لا تعترف بغير المادة، وشعارها لا إله والحياة مادة، بل إن الدين عند الشيوعية وهم، وهو مخدر يتعزى به الفقراء والكادحون.

والشيوعية هدامة من جهة مخالفتها للفطرة، فهي تبعث على الحقد بين طبقات الأمة الواحدة، وتوغر صدور بعضها على بعض، وتوهم بتوحيد الطبقة العاملة على الرغم من اختلاف الأوطان والأديان، وهي في الحقيقة تستعبد هذه الطبقة لصالح النظام وزعمائه، والشيوعية تهبط بالنوع البشري وتهوى به إلى الحيوانية؛ لأنها تحصر أهداف الإنسانية في الكسب والرزق، والشيوعية من هذه الجوانب تدخل في طوائف الكفر من أوسع أبوابه.

وقد نشأت الشيوعية في جو ملتهب بالاضطراب والاستبداد والظلم والبؤس وكل ألوان الاضطهاد، نشأت الشيوعية كنتيجة من نتائج الصراع الذي قام بين السلطة في الكنيسة والسلطة في الدولة، تماما كما نشأت العلمانية، فالكنيسة غاشمة والسلطة ظالمة، وبالتالي انتشرت المحسوبية والفساد، وابتزاز الأموال على حساب الشعوب.

قال فيشر في كتابه تاريخ أوروبا في العصور الوسطى: (كل ذلك أسخط العقول المتزنة في جميع أنحاء أوروبا، وجعل بعض النقاد الذين لم يعرفوا بشيء من التصون أو التقوى ينعتون رجال الدين بأنهم صيادو الذهب والفضة) [١].

وقال الراهب جاروم: (وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطا عظيما، واستحوذ عليهم الجشع وحب المال حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع، وقد تباع بالمزاد العلني، ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران، حتى بلغ إيراد الكنيسة سنويا ما يقرب من مائتي مليون جنيه من أموال الجباية، ودخل الأراضي الموقوفة وكانت تبلغ خمس أرض فرنسا تقريبا، ويضاف إلى هذا موقف الكنيسة في أوروبا من العلم والعلماء، ومحاربتها لهم، وإنشاء محاكم التفتيش، وقد عاقبت الكنيسة ثلاثمائة ألف منهم بالإعدام حرقا، منهم اثنان وثلاثون ألفا أحرقوا وهم أحياء، وكان من هؤلاء جاليليو، وبرونو عالما الطبيعة) [٢].

---

(١) انظر تاريخ أوروبا في العصور الوسطى لهربرت فيشر، ترجمة محمد مصطفى زياده، السيد الباز العريني، نشر دار المعارف القاهرة ١٩٦٩.
(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي ص١٥٥.

وهكذا تولد عند الأوروبيين عامل الثورة ضد الانحراف الديني والظلم الاجتماعي فاتجهوا إلى المادية بكل معانيها، قال فيفث في كتابه الإسلام على مفترق الطرق: (إن الحضارة الغربية لا تجحد الله في شدة وصراحة، ولكن ليس في نظامها الفكري موضع لله في الحقيقة، لا تعرف له فائدة، ولا تشعر إليه بحاجة) [(١)].

وفي هذه الأجواء الدينية العكرة كانت أوروبا تريد الخلاص من الظلم الذي حرمها حق الحياة الكريمة، ومع هذه البيئة العكرة وجدت عوامل أخرى اجتماعية، فهناك طبقة أشراف تسيطر على كل شيء، وطبقة الكنيسة ورجالها، في مقابل طبقة العامة التي تمثل أكثر من خمسة وتسعين بالمائة، وفيها المفكرون والمتعلمون والتجار والمزارعون والصناع الذين كانوا في حالة بؤس شديد، وهناك عوامل سياسية واقتصادية وعسكرية وثقافية وغيرها، فكانت أوروبا تنظر إلى الخلاص من رق الاستبداد والظلم الاجتماعي، فقبلت أول الأطباق التي قُدمت إليها على مائدة الإصلاح فأكلته بنهم لتصيبها بعد ذلك غصة الشيوعية السوداء.

وقد كان لفظ الشيوعية مستعملا في فرنسا في الفترة التي أعقبت ثورة فرنسا عام ١٨٣٠م، ولا يعرف أصلها ولا تاريخ نشأتها، كما قال الدكتور رءوف شلبي في كتابه التضليل الماركسي: (ولكننا نجزم أنها سُمِعت لأول مرة مرتبطة ببعض الجماعات السرية الثورية في باريس خلال العقد الثالث من القرن التاسع عشر، وكان مدلولها يختلف باختلاف المذاهب الثورية، فعند الفرنسيين كان معناها تنظيم اجتماعي

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق، الطبعة الخامسة ص٤٠، وانظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن علي الندوي ص١٦٢.

يقوم على الاتحاد الفدرالي بين جماعات متجاورة من السكان سميت بالكومنيون) [١].

واستعملت بمعنى الشيوع أي تكون الأشياء مشاعة وملكيتها مشتركة، ثم أُطلقت على اليسار المتطرف الذي أُطلق عليه العصبة الشيوعية سنة ١٨٤٧م.

- ماركس أسس النظرية الشيوعية وقام تلميذه لينين بتطبيقها قهرا.

ماركس أبو الشيوعية والمادية الجدلية والتفسير المادي للتاريخ وهو صاحب المقولة الشهيرة، الدين أفيون الشعوب، وهو يهودي ألماني ولد في مدينة ترير سنة ١٨١٨م بألمانيا وأبوه محام، وفي السابعة عشرة من عمره دخل جامعة بون، وانتقل بعد ذلك إلى جامعة برلين ثم حصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة فينا، ثم اشتغل بالصحافة، وعمل رئيسا لتحرير صحيفة الراين في مدينة كولونيا، وبسرعة أوقعته أفكاره السياسية في مشاكل كثيرة، ولذلك انتقل إلى باريس ثم إلى بلجيكا، وفي بلجيكا سنة ١٨٤٧م أصدر أول مؤلفاته، إفلاس الفلسفة، وفي السنة التالية أصدر البيان الشيوعي، ثم انتقل إلى كولونيا وطرد منها فسافر إلى لندن حيث عاش فيها حتى نهاية حياته، وأمضى ماركس معظم الوقت يدرس ويكتب، وفي سنة ١٨٦٧ أصدر كارل ماركس الجزء الأول من كتابه الشهير رأس المال، وصدر الجزءان الأخيران بعد وفاته.

أخذ ماركس جوهر النظرية الداروينية التي زعم فيها داروين بأن

---

(١) انظر التضليل الماركسي دراسة مقارنة للشخصية الشيوعية تأليف رءوف شلبي دار العلم الكويت ١٩٨١م.

الإنسان نسيج من التطور في الخلق والتكوين من خلية أولية مائية ثم برمائية ثم تطور إلى أن أصبح قردا ثم إنسانا، أخذ جوهر هذه النظرية وأنشأ على أساسه نظرية اقتصادية وتفسيرا لحياة البشرية يحصر الإنسان في عالم المادة والتطور المادي، ويجعل قوانين المادة منطبقة على عالم البشر، كما يجعل أمور الحياة كلها من عقائد ومشاعر وأفكار وأنماط سلوكية ومنظمات ومؤسسات الخ تبعا للطور الاقتصادي وللأوضاع المادية التي يعيش فيها الإنسان ومجرد انعكاس لها، لا تسبقها ولا تخرج عنها، ولا دور للإنسان فيها إلا أن يدور مع الطور الاقتصادي ومقتضياته لأنها عنده حتميات.

وقسم الحياة البشرية بمقتضي هذا التصور إلى خمس مراحل حتمية، هي الشيوعية الأولى والرق والإقطاع والرأسمالية والشيوعية الثانية والأخيرة، وجعل الانتقال من كل طور من هذه الأطوار إلى الطور اللاحق له حتميا من جهة، ومردودا إلى أسباب مادية واقتصادية من جهة أخري، فالشيوعية الأولى هي الأصل الذي عاشت عليه البشرية الأولى في بداوتها، وجوهرها المميز هو عدم وجود ملكية فردية لشيء على الإطلاق، ولا النساء أيضا، فقد كان الجنس يمارس على المشاع، كل النساء لكل الرجال على السواء، والأرض ملك للقبيلة بأكملها، والطعام يتناوله الجميع معا، والسلاح مملوك للقبيلة سواء سلاح الصيد أو الحرب، والحياة ملائكية شعارها التعاون والحب والتناسق والانسجام.

ثم اكتشف الإنسان الزراعة فأدى هذا الأمر المادي البحث إلى الانتقال إلى طور اقتصادي جديد تبدل فيه كل شيء تبدلا كاملا، فراحت القبائل القوية تقاتل القبائل الضعيفة وتسترقها وتشغلها في

فلاحة الأرض، فنشأ الرق ونشأت الملكية الفردية، وانتهت الفترة الملائكية التي عاشتها البشرية في فترتها الأولى.

ثم اخترع الإنسان المحراث، ومرة أخرى أدى هذا الأمر المادي البحت إلى الانتقال إلى طور اقتصادي جديد، فقد اكتشف الإنسان أنه يستطيع أن يزرع بهذه الآلة الجديدة مساحة أوسع بكثير مما كان يمكن زرعه بالآلات السابقة، فنشأ الإقطاع ونشأت معه أفكار وعقائد ونظم ومؤسسات جديدة مختلفة تماما عن السابقة.

ثم اخترع الإنسان الآلة فنشأت الرأسمالية بسبب مادي بحت وانتقلت صورة الملكية الفردية من ملكية زراعية إقطاعية إلى ملكية صناعية رأسمالية، ونشأت أوضاع فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية جديدة بالمرة، فتغيرت الطبقة ذات السيادة، فلم تعد هي طبقة الأشراف وأمراء الإقطاع، إنما أصبحت طبقة الرأسماليين أصحاب المصانع وأصحاب رؤوس الأموال، ولم يعد الشعب في مجموعة فلاحين، إنما صار عمالا صناعيين، وتغيرت مفاهيم هؤلاء وهؤلاء، وتغيرت نظرتهم إلى كل القيم التي كانت سائدة من قبل في المجتمع الزراعي.

ثم نشأ الصراع بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال، فنشأت الشيوعية لا لأسباب مادية في هذه المرة، وإنما لأسباب اقتصادية وهي صنو الأسباب المادية في نقل الناس من طور إلى طور، ولكن في هذه المرة لا يحدث تطور ينقل الناس إلى طور جديد بعد الشيوعية، إذ الشيوعية هي المستقر الأخير للبشرية كما كانت بدايتها هي الشيوعية، وتحدث في داخلها تغيرات، ولكنها لا تغير المبدأ الرئيسي لها، وهو إلغاء الملكية الفردية وإقامة الملكية الجماعية بدلا منها، وفي النهاية نهاية كل

تطور وتغير، تلغي الدولة لانتفاء الحاجة إليها، ويزيد الإنتاج بالدرجة التي تسمح بتطبيق مبدأ: من كل حسب طاقته، ولكل حسب حاجته. ومن ثم يزول الصراع نهائيا من حياة البشر، ويعيشون في حالة من الملائكية كالتي بدئوا بها حياتهم أول مرة.

ويركز ماركس في كلامه عن مراحل التطور الحتمية، وأسبابها المادية والاقتصادية، في الانتقال من مرحلة الإقطاع إلى مرحة الرأسمالية لأن هذا هو الطور الذي كان قائما في وقته، ولأنه هو الذي وقع فيه التغيير الضخم الذي أحدثه اليهود في المجتمع الأوروبي، فيقول إن سمات المجتمع الإقطاعي الزراعي التدين، وترابط الأسرة، وسيطرة الرجل على الأسرة بكل أعضائها، أي على الزوجة والأولاد، ويرد هذا كله إلى أسباب مادية واقتصادية، فلا يقول إنه يرجع إلى قيم معنوية، ولا يقول إن هذا في ذاته أمر طيب وفاضل ومستحب أو واجب، إنما هو انعكاس لأوضاع مادية واقتصادية، فالفلاح وهو المنتج الرئيسي في المجتمع الزراعي يضع البذرة في الأرض، ثم لا يستطيع أن يسيطر عليها ولا أن يستعجلها عن موعدها، ولا أن يقيها من الآفات والتأثيرات الجوية المختلفة، ومن ثم يفترض وجود قوة غيبية يكل إليها هذا الأمر كله، الذي يعجز عن التحكم فيه والسيطرة عليه، ويروح يترضي هذه القوة الغيبية بالعبادات، والنسك والقرابين، لكي ترضى عنه وتبارك زرعه، ولكي يتقي غضبها عليه وانتقامها منه، ومن ثم يكون التدين قويا، ويكون سمة بارزة في المجتمع الزراعي.

ثم إن الرجل في المجتمع الزراعي هو المتكسب، وهو الذي ينفق على الزوجة والأولاد، ومن ثم يسيطر عليهم ويبسط سلطانه، ويكون

سلطانه أشد ما يكون على الزوجة، فيفرض عليها أن تكون له وحده، ومن ثم تصبح قضية العفة والمحافظة على العرض ذات قيمة كبيرة في المجتمع الزراعي، ويفرض على المرأة أن تحافظ على عرضها إرضاء لأنانية الرجل المتكسب المنفق، ويضفي على ذلك ثوب الدين والأخلاق، فتصبح قضية العفة قضية دينية وأخلاقية في حين أنها مجرد انعكاس لوضع اقتصادي معين يكون الرجل فيه هو المتكسب دون المرأة.

وعليه إذا تحول الناس إلى المجتمع الصناعي المتطور تغير الأمر بالكلية، فالعامل هنا غير محتاج لافتراض القوة الغيبية التي كان يلجأ إليها العامل الزراعي لأنه يتولى عملية الإنتاج بنفسه، فهو الذي يعالج المادة الخامة ويشكلها كما يريد، ومن ثم يقل التدين إلى أقصى حد في المجتمع الصناعي.

ومن جانب آخر فإن المرأة تستقل اقتصاديا؛ لأنها تعمل وتتكسب ولا تعود عالة على الرجل كما كانت في المجتمع الزراعي المتأخر، ومن ثم يفقد الرجل سيطرته عليها، ولا يعود في إمكانه أن يفرض عليها أن تكون له وحده، كما كان يفرض عليها في المجتمع الزراعي فتتحرر من القيود، وتفقد قضية العفة أهميتها في المجتمع الصناعي المتطور، لأنه أصبح من حق المرأة أن تهب نفسها لمن تشاء دون سيطرة الرجل عليها.

وكما أن الوضع المحافظ في المجتمع الزراعي لم يكن فضيلة ولا شيئا مرغوبا في ذاته، إنما مجرد انعكاس للطور الاقتصادي، فكذلك لا يعد الانحلال في المجتمع الصناعي رذيلة، إنما هذه وتلك هي السمات المصاحبة لهذا الطور وذاك، لا توصف في أي الحالين بأنها فضيلة أو

رذيلة، إنما كل شئ في إبانه هو الصواب لأنه هو الانعكاس الطبيعي للطور الاقتصادي الذي يقرر وحده كل العقائد والقيم والمبادئ، فإذا تغير الطور لم يعد صوابا ما كان صوابا من قبل، إنما يكون استمراره ظاهرة مرضية ينبغي أن تقاوم وأن تزال.

ويعتبر لينين الذي ولد سنة ١٨٧٠م ومات سنة ١٩٢٤م هو المسئول عن قيام الشيوعية في روسيا، وهو تلميذ كارل ماركس، ولكن بسبب أثره العميق في بلاد كثيرة في العالم، يعتبر من أخطر الرجال أثرا في التاريخ، واسمه فلاديمير أليتش أوليانوف، ولكن أصبحت شهرته لينين، ولد في مدينة سمريسك والتي تسمى الآن أوليانوفسك تيمنا به سنة١٨٧٠م، وأبوه موظف في الدولة، وأخوه الكسندر أعدم بسبب اشتراكه في مؤامرة لاغتيال القيصر، وفي الثالثة والعشرين من عمره أصبح لينين ماركسيا متحمسا، واعتقل في ديسمبر ١٨٩٥م لنشاطه الثوري، وأمضى في السجن ١٤ شهرا، ثم نفي بعد ذلك إلى سيبيريا وفي سنوات سيبيريا تزوج زميلة ثورية، ثم أكمل كتابا له بعنوان تطور الرأسمالية في روسيا، وأنهى فترة السجن سنة ١٩١٠م، وبعدها سافر إلى أوروبا الغربية، ثم توالت الأحداث بعد ذلك، وظهر لينين كشخصية ثورية في غاية العنف، واستطاع أن يقفز من جانب إلى آخر ليكون قمة السوفيت، وعندما توفي سنة ١٩٢٤م احتفظوا بجثمانه في متحف يشاهده الناس بالألوف يوميا في الميدان الأحمر بموسكو.

وهذا الرجل الذي حول أفكار كارل ماركس إلى واقع بمنتهى القوة والعنف والقسوة، ومن رأيه أنه لا يمكن حل مشكلة من المشاكل إلا بالعنف، وقد أشار كارل ماركس إلى مثل هذا المعنى، ولكن لينين هو

الذي استطاع أن يجعل العنف والقهر فلسفة في الحكم.

وكان لينين كتلة هائلة من الحيوية والإنتاج، فقد أصدر خمسة وخمسين كتابا، وعلى الرغم من أن لينين كان داعية ضد القهر والظلم وتحكم فئة في فئة، فإن التاريخ الشيوعي لم يعرف رجلا استطاع أن ينفرد بالقهر والإرهاب والتخويف وإبادة الملايين كما فعل لينين في الاتحاد السوفيتي دون أن تهتز له شعرة، فقد وضع أمام عينيه سيطرة الحزب على الشعب بمنتهى القسوة، وشعاره لا يلتوي الحديد بغير النار، والإنسان أشد صلابة من الحديد، فهو في حاجة إلى نار بغير دخان الضغط والقهر والعنف في كل صوره، والشيوعيون يقدسون لينين كأنه إله، رغم أنهم لا يعرفون المقدسات ولا يؤمنون بالله!

- إلغاء الملكية الفردية وإلغاء الطبقات من أسس النظرية الشيوعية.

تقوم النظرية الشيوعية على مجموعة من الأسس والمبادئ يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١- إلغاء الملكية الفردية لتحل الملكية الجماعية محلها، فلا يملك أحد شيئا من وسائل الإنتاج وأدواته ملكية فردية، سواء كان الإنتاج زراعيا أو صناعيا، إنما تكون الملكية جماعية، وليس معنى الملكية الجماعية أن أي مجموعة من الناس يملكون أو يمكن أن يملكوا ما تحت أيديهم من وسائل الإنتاج وأدواته ملكية مشتركة، كأن يملك العمال المصنع الذي يعملون فيه، أو يملك الفلاحون المزرعة التي يفلحونها، كما يتبادر أحيانا إلى أذهان البعض الذين يتسمعون إلى الدعاية الشيوعية فيتصورونها على غير حقيقتها، إنما معناها أن الدولة هي المالك الوحيد للإنتاج كله، بوسائله وأدواته وناتجة، فهي التي تملك المصانع وإنتاجها

كما تملك المزارع ومحاصيلها، وتقول النظرية إن الدولة تقوم بذلك نيابة عن الشعب، أو عن طبقة البروليتاريا، ومعناها الطبقة الكادحة التي يفترض فيها حسب النظرية أنها هي المالك الحقيقي، ذلك أن النظرية الشيوعية تقول إن المنتج الحقيقي لأي سلعة هو العامل الذي يبذل الجهد لإنتاجها، ولكنه في ظل الإقطاع والرأسمالية لا يملك الناتج الذي أنتجه بجهده، إنما هو يبيع جهده للإقطاع أو الرأسمالي الذي يشتري هذا الجهد بأبخس الأثمان، ويستمتع وحده بفائض القيمة، وهو الفرق بين ثمن المادة الخامة مضافا إليه أجر العامل وبين سعر السلعة في السوق، وعلي هذا يعتبر الإقطاعي والرأسمالي مستغلا لجهد العامل وظالما له، ويعتبر العامل في وضع غير إنساني لأنه مستغل لحساب إنسان آخر، وهذا في شرعة الشيوعية غير جائز لأن الجريمة الكبرى في حق الإنسان هي أن يكون مستغلا من قبل إنسان آخر، أما في الشيوعية فليس هناك استغلال من إنسان لإنسان لأن الكل مالكون، وإن كانت الدولة من الوجهة العملية هي التي تدير هذه الملكية، وهي التي توزع الناتج على المالكين الحقيقيين.

٢- إلغاء الطبقات، فمنذ خرج الناس من الشيوعية الأولى التي لا ملكية فردية فيها، أو بعبارة أخرى منذ بدأت الملكية الفردية، بدأ ظهور الطبقات في المجتمع، إذ انقسم الناس إلى مالكين ومستغَلين، واستغل المالكون ما في أيديهم من الملك لاستغلال الآخرين الذين لا يملكون، فأصبحت الملكية سلطة استغلالية، وأصبحت الطبقة المالكة هي التي تحكم، وبما أن السلطة في يدها فقد صارت تحكم بما يناسب مصالحها على حساب الطبقة التي لا تملك ولا تحكم، واستمر هذا الوضع

بصورة سافرة في عهدي الرق والإقطاع، وبصورة مقنعة في ظل الرأسمالية، وتقرر الشيوعية أن هذا كان ظلما فاحشا بالنسبة لطبقة الكادحين الذين هم المنتجون الحقيقيون، إذ بدلا من أن يملكوا نتيجة جهدهم؛ فإن طبقة السادة التي تستغلهم هي التي تستمتع وحدها بثمرة هذا الجهد، بينما يظلون هم في الحرمان والذل والهوان، وليس أقل الذل أن يضطروا إلى بيع جهدهم للمستغل الذي يعملون عنده أو يعملون لحسابه.

ثم تقرر النظرية أن هذا الظلم الفاحش لا سبيل إلى إزالته إلا بإزالة النظام كله، نظام الطبقات القائم على الملكية الفردية، فطالما كان هناك ملكية فردية فهناك طبقات، وطالما كان هناك طبقات فهناك ظلم، والسبيل هو إلغاء الطبقات المستغلة أي المالكة، والإبقاء على الطبقة الوحيدة المنتجة، وهي طبقة الكادحين البروليتاريا لأن الطبقات الأخرى طبقات طفيلية لا تستحق البقاء، كل عملها أن تمتص دماء الكادحين وهي لا تتعب ولا تبذل جهدا، وإنما تسرق الجهد لتعيش به حياة ترف وكسل وخمول بينما المنتجون الحقيقيون في شقاء وكدح وعناء، والطريق المؤدي إلى ذلك هو الثورة، وهي ثورة حمراء تراق فيها دماء غزيرة حتى يستتب الأمر لطبقة البروليتاريا، فتصل إلى السلطة وتبيد الطبقات الأخرى إبادة كاملة، ثم تلغي الملكية الفردية حتى لا تظهر من جديد طبقة مالكة تستغل الكادحين، ويسمى نظام الحكم الذي ينشأ من هذه الثورة دكتاتورية البروليتاريا، لأن البروليتاريا لابد أن تكون بالديكاتورية ما دامت المعركة ما تزال قائمة بين الشيوعية وأعدائها.

٣- كفالة الدولة لجميع المواطنين، فتقوم الشيوعية على مبدأ كفالة

الدولة لجميع المواطنين على أساس أن هذا واجب الدولة تجاه المواطنين، وحق المواطنين على الدولة، ويندد الشيوعيون بالرأسمالية خاصة التي تحتفظ دائما بجيش من العاطلين لتضرب به حركات العمال الذين يتمردون على الظلم ويطالبون بحقوقهم، وبالإقطاع الذي يترك الناس يموتون جوعا ليكتنز الإقطاعي ويسمى من دماء الكادحين، وفي الإعلان الشيوعي الذي أعلنه ماركس أوجب على الدولة أن تكفل لكل فرد من أفراد المجتمع ضروراته الأساسية وهي الطعام والملبس والمسكن والجنس باعتبارها حقوقا طبيعية وضرورات ينبغي إشباعها، وتعتبر الدولة مقصرة إذا قصرت في تحقيق شيء من ذلك لأي فرد من المواطنين.

وفي مقابل كفالة الدولة لجميع المواطنين فإنه ينبغي على كل قادر على العمل أن يعمل رجالا ونساء ومن لا يعمل لا يأكل، فكما أن الكفالة واجبة على الدولة فالعمل واجب على الفرد مادام قادرا عليه، ولا يعفي من ذلك أحد على الإطلاق إلا الأطفال حتى يبلغوا السن التي تؤهلهم للعمل، والعجزة من الرجال والنساء الذين لا يقدرون على أي نوع من أنواع العمل، فأولئك تكفلهم الدولة بلا مقابل.

وبما أن الدولة هي من الوجهة العملية المالك الوحيد والمسيطر الوحيد على الإنتاج، فهي التي تحدد لكل فرد في المجتمع نوع العمل الذي يقوم به ومكانه كذلك مقابل كفالة الدولة له، وتحدد الدولة صلاحية أي إنسان لنوع معين من العمل بحسب اختبارات تجريها على الأفراد لتحديد مواهبهم وقدراتهم، أما مكان العمل فتحدده الدولة حسب احتياجاتها بوصفها المشرفة على الإنتاج كله، والمرأة كالرجل لابد أن تعمل في أماكن العمل خارج البيت، وكونها زوجة وأما لا

يتعارض مع هذا المبدأ، فهي تأخذ الإجازة المقررة في حالات الحمل والوضع، أما الأطفال فتتولاهم المحاضن لا الأمهات.

٤- المساواة في الأجور، وتقوم النظرية الشيوعية على أساس مبدأ المساواة بين جميع الأفراد في المجتمع، لأن هذه هي الصورة التي كانت عليها البشرية في الشيوعية الأولى، وهي عندهم الأصل الذي تستمد منه كل المبادئ التي ينبغي أن تعود إليها البشرية، وتقول النظرية إن أول صورة للوجود البشري هي التعبير الطبيعي عن هذا الوجود، وإن أي انحراف طرأ بعد ذلك لا ينبغي أن يعتد به، بل ينبغي أن تعود البشرية فتصحح أوضاعها بالرجوع إلى الصورة الطبيعية التي كانت عليها أول مرة.

وفي الشيوعية الأولى كان جميع الأفراد متساوين في الحقوق والواجبات، وفي المأكل والملبس والمسكن والجنس، فينبغي عندهم أن تكون هذه هي الصورة الدائمة البشرية، ولكن التطور الذي حدث بعد اكتشاف الزراعة غير هذا المبدأ الجميل، وأخل بالمساواة التي كانت قائمة في المجتمع الشيوعي الأول، فأصبح بعض الناس مالكين وبعضهم غير مالكين، فاختلفت الحقوق والواجبات بين المالكين وغير المالكين، وأصبحت للمالكين امتيازات اقتصادية، ومن ثم سياسية واجتماعية تميزهم عن غير المالكين.

ولكن عدم المساواة ليس أصلا من أصول الوجود البشري، ومن ثم فهو ظلم ينبغي إزالته، وطريقة إزالته بعد إلغاء الملكية الفردية وأيلولة الإشراف على الإنتاج إلى الدولة أن تسوي الدولة بين أجور جميع العاملين، لكي تتحقق المساواة التامة في كل شيء، ويزول الظلم الذي

عاشت فيه البشرية عدة قرون، ومن أجل تقرير هذه المساواة قررت وحدة عمل إجبارية ينبغي على كل قادر أن يقوم بها، وتصرف للعامل بمقتضاها كل حاجاته الأساسية من مسكن وملبس ومطعم على قدم المساواة، وعلي هذا النحو تحقق الشيوعية الثانية ما كان قائما من المساواة في الشيوعية الأولي، وتلغي الفوارق والامتيازات الطبقية التي أحدثتها فترات الظلم في الحياة البشرية، وهي فترات الرق والإقطاع والرأسمالية.

• إلغاء الدين وإلغاء الصراع والحكومات من أسس النظرية الشيوعية.

٥- إلغاء الدين حيث تعتبر الشيوعية الدين أمرا واجب الإلغاء من اعتبارات عدة، أحد الاعتبارات أنه خرافة ونحن الآن في عصر العلم، فقد كان الباعث الأول على الدين كما يزعمون هو جهل الإنسان بالطبيعة من حوله، وعجزه عن السيطرة عليها، فتخيل وجود قوي خفية تسيطر على هذا الكون وتجري الأحداث فيه، وراح يسترضي هذه القوي ليدفع أذاها عنه فتقرب إليها بالشعائر التعبدية وتقديم القرابين، ولما كانت البشرية اليوم قد خرجت عن هذا الطوق، وتعلمت من العلم ما تعرف به قوانين الطبيعة وتسيطر به على البيئة، فقد آن أن تتخلص من هذه الخرافة غير اللائقة بالإنسان المتعلم.

الاعتبار الثاني أن الدين كان ناشئا من طبيعة الوضع المادي والاقتصادي في العهد الزراعي، حيث كان جزء من عملية الإنتاج خارجا عن سيطرة الإنسان، فتخيل وجود قوة غيبية نسب إليها الهيمنة على ذلك الجزء الخارج عن سيطرته، وراح يتعبدها لاجتلاب رضاها وصرف أذاها وغصبها عنه، وسماها الله، والآن تغير الوضع المادي

والاقتصادي وأصبحت عملية الإنتاج كلها منظورة، وكلها تحت سيطرة العامل الذي يقوم بالإنتاج، فلم تعد هناك حاجة لافتراض تلك القوة الغيبية التي أصبحت الآن غير ذات موضوع.

الاعتبار الثالث أن الدين يخالف المعتقد الشيوعي القائم في نظرهم على أسس علمية، وهو أن المادي هي الأصل، وهي سابقة في الوجود على الفكر، إذ يقوم الدين على أساس أن المادة مخلوقة، وبالتالي فليست هي الأصل، وليست سابقة على الفكر، ومن ثم وجب إلغاء الدين لأنه يصادم التصور الشيوعي، الذي ينبغي أن يبقي وحده ويلغي كل ما سواه.

الاعتبار الرابع أن الدين أفيون الشعب فقد كان المستغلون من الإقطاعيين والرأسماليين يستخدمونه لتخدير الجماهير لكي ترضى بالظلم الواقع عليها ولا تتمرد عليه، مقابل الحصول على نعيم الجنة في الآخرة، وبصفة خاصة فقد كان الدين يستخدم ضد الشيوعية بالذات، فحين يقوم الشيوعيون بالدعوة إلى الشيوعية يستخدم الدين لوقف هذه الدعوة ومحاربتها، فالآن بعد قيام المجتمع الشيوعي الذي ليس فيه مستغلون، ينبغي إلغاء ذلك المخدر الذي كانوا يستخدمونه إذ لم تعد هناك حاجة لاستخدام المخدر، ومن جهة أخرى فقد وجب القضاء على ذلك العدو اللدود الذي يستخدم ضد العقيدة الجديدة ومحوه من الوجود.

٦- من كلٍ بحسب طاقته ولكل بحسب حاجته، حيث كان هذا المبدأ من ضمن المبادئ النظرية التي وضعت في أول الأمر لتقوم الشيوعية عليها، ومقتضى هذا المبدأ أن الناس في ظل التطبيق الشيوعي

سيرتفعون بمشاعرهم وسلوكهم إلى صورة مثالية تجعل كل إنسان يبذل أقصي ما في طاقته من جهد من تلقاء نفسه دون ضغط عليه ولا إلزام، ولكن من جراء حبه للنظام وللمزايا التي يحققها له، وشعوره بالاستقرار والطمأنينة والسعادة في ظله، وفي الوقت ذاته لا يأخذ من الإنتاج الذي يشارك فيه الجميع كل بحسب طاقته إلا بمقدار ما يحتاج إليه فحسب، فلا يزيد عن الحاجة بدافع الجشع والطمع الناشئين أساسا من الحياة في مجتمع طبقي يمارس الملكية الفردية والصراع الطبقي، فإذا زالت الأسباب زالت الأعراض أي أنه إذا ألغيت الملكية الفردية وألغيت الامتيازات الطبقية بإزالة الطبقات كلها إلا الطبقة الكادحة فإن الجشع والطمع يزولان من نفوس الناس بزوال الأسباب الدافعة إليهما، وعندئذ يأخذ كل إنسان من الإنتاج العام بقدر ما يحتاج إليه فحسب، ويترك الباقي للمحتاجين من الناس، ولكن عند التطبيق تعدلت النظرية شيئا ما، فلم يلغ هذا المبدأ إلغاء كاملا، ولكنه أجل إلى أجل غير محدد بزمن معين، ولكنه مرهون بزيادة الإنتاج بوسائل التقدم العلمي إلى الحد الذي يمكن معه تطبيق المبدأ.

٧- إلغاء الصراع، حيث يزعمون أنه حين تلغى الملكية الفردية ينتهي الصراع، فالنظرية الشيوعية تتنبأ بحلول هذا العهد السعيد الذي يزول فيه الصراع نهائيا من حياة البشرية ويصبح المجتمع البشري مجتمعا ملائكيا يسوده الوئام والسلام، وذلك حين تنتشر الشيوعية في أرجاء الأرض كلها.

٨- إلغاء الحكومة في مستقبل البشرية وهو مبدأ من تنبؤات الشيوعية، ونظريتهم في ذلك أن الحكومة موجودة الآن لأنها تؤدي مهام معينة

لابد من أدائها في المجتمعات الحالية حتى المجتمعات الشيوعية ذاتها أي الاشتراكية باعتبار أننا لم نصل بعد إلى مرحلة الشيوعية الكاملة، ولكن الحكومة ليست أصلا من أصول المجتمع البشري بحيث تلازمه في جميع أطواره، ويزعمون أنه سيأتي اليوم الذي تلغي فيه الحكومة إلغاء تاما يوم تنتهي المهام التي تؤديها، فحين تعم الشيوعية الأرض كلها وتصبح هناك حكومية عالمية واحدة، يأتي وقت لا تعود هذه الحكومة ذاتها لازمة، لأن مهمة الدفاع عن الشيوعية ستنتهي، ثم إنه لن يكون هناك صراع يحتاج إلى تدخل الحكومة بالقوة لحسمه، فتسقط مهمة أخرى من مهام الحكومة الحالية، ثم يزيد الإنتاج فيصل إلى الحد الذي يجد فيه كل إنسان طلبته دون أن يؤثر ذلك على احتياجات الآخرين، فلا يعود هناك موجب لتدخل الحكومة في التوزيع، وتكون مشاعر الناس قد ارتفعت بتأثير الحياة في ظل التطبيق الشيوعي، فيبذلون غاية جهدهم دون حاجة إلى رقابة مفروضة عليهم من خارج ضمائرهم، وكذلك لا يتنازعون فيما بينهم بعد إلغاء السبب الوحيد في النزاع والصراع، وهو الملكية الفردية فيستتب الأمن تلقائيا نتيجة سيطرة مشاعر المحبة والإخاء والتعاون بين الناس، وهكذا تسقط كل مهام الحكومة الحاضرة فتسقط إلى غير رجعة.

إن الشيوعية والصهيونية اسمان ولكنهما في الحقيقة شيء واحد وهذه حقيقة تؤكدها الوقائع ويؤكدها الواقع، ويكفي أن نقول إن ماركس كان يهوديا متعصبا يمثل في حياته الخاصة والعامة كل ما تنطوي عليه نفوس اليهود من كراهية لسائر طوائف البشر، ورغبة في الانتقام والقضاء عليهم، فهذه هي الشيوعية التي رفعت شعارات

الكفر والإلحاد من مثل، لا إله والكون مادة، وأن وحدة العالم تنحصر في ماديته، والمادة سابقة في الوجود على الفكر، ولم يكن هناك وقت لم تكن المادة موجودة فيه، والإنسان نتاج المادة، والفكر نتاج الدماغ، والدماغ مادة، فهي إذن مذهب إلحادي اقتصادي مادي لا أخلاقي لا يعرف العدل ولا يعرف الروحانية، ولا يعرف الإيمان، ولذلك زالت دولتهم في أسرع وقت مضى من الزمان، ومن المؤسف أن بعض أفكارهم ما زالت سارية في كثير من البلدان مثل مصر وليبيا واليمن والعراق وسوريا ولبنان.

- الوجودية مذهب يبالغ في قيمة الإنسان ووجوده وعدم احتياجه لموجه.

الوجودية مبنية على المبالغة في قيمة الإنسان ووجوده واستغنائه بنفسه عن غيره في اتخاذ قراراته دون الحاجة إلى موجه ديني أو وضعي، وأن الإنسان صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه، وهي فلسفة تعبر عن جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألم، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم، ونظرا لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار(١).

ويرى رجال الفكر الغربي أن سورين كيركجورد المتوفى سنة ١٨٥٥م هو مؤسس المدرسة الوجودية، ومن مؤلفاته كتاب رهبة واضطراب، وأشهر زعمائها المعاصرين جان بول سارتر الفيلسوف الفرنسي المولود سنة ١٩٠٥م وهو ملحد، ويناصر الصهيونية وله عدة

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية، الوجودية، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

كتب وروايات تمثل مذهبه، منها الوجودية مذهب إنساني، الوجود والعدم، الغثيان، الذباب، الباب المغلق.

ومن رجالها كذلك القس جبرييل مارسيل، وهو يعتقد أنه لا تناقض بين الوجودية والنصرانية، وكارل جاسبرز وهو فيلسوف ألماني، وبسكال بليز وهو مفكر وفيلسوف فرنسي، وفي روسيا بيرد يائيف، شيسوف، سولوفييف.

وأهم معتقداتهم أنهم يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات وكل ما جاءت به الأديان ويعتبرونها عوائق أمام الإنسان نحو المستقبل، وقد اتخذوا الإلحاد مبدأ ووصلوا إلى ما يتبع ذلك من نتائج مدمرة.

ويعاني الوجوديون من إحساس أليم بالضيق والقلق واليأس والشعور بالسقوط والإحباط، لأن الوجودية لا تمنح شيئا ثابتا يساعد على التماسك والإيمان، وتعتبر الإنسان قد أُلقي به في هذا العالم وسط مخاطر تؤدي به إلى الفناء، ويؤمنون إيمانا مطلقا بالوجود الإنساني ويتخذونه منطلقا لكل فكرة، ويعتقدون بأن الإنسان أقدم شيء في الوجود، وما قبله كان عدما، وأن وجود الإنسان سابق لماهيته.

ويعتقدون أن الأديان والنظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الإنسان، ويقولون إنهم يعملون لإعادة الاعتبار الكلي للإنسان ومراعاة تفكيره الشخصي وحريته وغرائزه ومشاعره، ويقولون بحرية الإنسان المطلقة وأن له أن يثبت وجوده كما يشاء وبأي وجه يريد دون أن يقيده شيء، ويقولون إن على الإنسان أن يطرح الماضي وينكر كل القيود، دينية كانت أم اجتماعية أم فلسفية أم

منطقية، ويقول المؤمنون منهم إن الدين محله الضمير، أما الحياة بما فيها فمقودة لإرادة الشخص المطلقة، ولا يؤمنون بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الناس وتضبطه، إنما كل إنسان يفعل ما يريد وليس لأحد أن يفرض قيما أو أخلاقا معينة على الآخرين.

وقد أدى فكرهم إلى شيوع الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية والتحلل والفساد، ورغم كل ما أعطوه للإنسان فإن فكرهم يتسم بالانطوائية الاجتماعية والانهزامية في مواجهة المشكلات المتنوعة، والوجودي الحق عندهم هو الذي لا يقبل توجيها من الخارج، إنما يسير نفسه بنفسه، ويلبي نداء شهواته وغرائزه دون قيود ولا حدود.

والوجودية لها الآن مدرستان، واحدة مؤمنة، والأخرى ملحدة، وهي التي بيدها القيادة، وهي المقصودة بمفهوم الوجودية المتداول على الألسنة، فالوجودية إذا قائمة على الإلحاد، وهي في مفهومها تمرد على الواقع التاريخي، وحرب على التراث الضخم الذي خلفته الإنسانية، وتمثل الوجودية اليوم واجهة من واجهات الصهيونية الكثيرة التي تعمل من خلالها، وذلك بما تبثه من هدم للقيم والعقائد والأديان.

وقد ظهرت في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى ثم انتشرت في فرنسا وإيطاليا وغيرهما، وقد اتخذت من بشاعة الحروب وخطورتها على الإنسان مبررا للانتشار السريع، وترى حرية الإنسان في عمل أي شيء متحللا من كل الضوابط، وهذا المذهب يعد اتجاها إلحاديا يمسخ الوجود الإنساني ويلغي رصيد الإنسانية، وقد انتشرت أفكارهم المنحرفة المتحللة بين المراهقين والمراهقات في فرنسا وألمانيا والسويد والنمسا وإنجلترا وأمريكا وغيرها، حيث أدت إلى الفوضى الخلقية والإباحية

الجنسية واللامبالاة بالأعراف الاجتماعية والأديان.

وقد سرت الوجودية كاتجاه إلحادي يمسخ الوجود الإنساني، ويلغي رصيد الإنسانية من الأديان، وسرت قيمها الأخلاقية إلى كثير من البلاد العربية والإسلامية ممثلة في الاتجاه الإلحادي الداعي إلى عدم الإيمان بعالم الغيب والكفر بالبعث والحساب والجزاء والعقاب.

- **العقلانية مذهب فكري اعتزالي معاصر يدعو إلى انفراد العقل بالمعرفة.**

العقلانية مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية، وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه[1].

ويحاول المذهب إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أن يستمدها من التجربة العملية الحياتية، أي أن الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي المجسد.

والعقلانية مذهب قديم جديد في نفس الوقت، برز في الفلسفة اليونانية على يد سقراط وأرسطو، ثم الجهمية والمعتزلة والأشعرية في دولة الإسلام، وبرز في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي بعض الفلاسفة أبرزهم ديكارت المتوفى سنة١٦٥٠م، وهو فيلسوف فرنسي اعتمد المنهج العقلي لإثبات الوجود عامة ووجود الله على وجه أخص، وذلك من مقدمة واحدة عُدت من الناحية العقلية غير قابلة للشك وهي

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية، العقلانية، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

قوله: أنا أفكر فأنا إذن موجود.

ومنهم ليبنتز والمتوفى سنة ١٧١٦م وهو فيلسوف ألماني، قال بأن كل موجود حي وليس بين الموجودات مِنْ تفاوت في الحياة إلا بالدرجة التي تميز الإدراك، والدرجات أربع عنده هي مطلق الحي أي ما يسمى جمادا، والنبات فالحيوان فالإنسان.

وفي المجتمع الإسلامي نجد أن المعتزلة قد اعتمدوا على العقل وجعلوه أساس تفكيرهم ودفعهم هذا المنهج إلى تأويل النصوص من الكتاب والسنة التي تخالف رأيهم، ولعل أهم مقولة لهم قولهم بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح ولو لم يرد بها شيء، ونقل المعتزلة الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية وذلك لتأثرهم بالفلسفة اليونانية.

وقد فند علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ثم جاء بعد ذلك ابن تيمية ورد عليهم ردا قويا في كتابه درء تعارض العقل والنقل، وبين أن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفا لصحيح النقل، وهناك من يحاول اليوم إحياء فكر المعتزلة إذ يعدونهم أهل الحرية الفكرية في الإسلام، ولا يخفى ما وراء هذه الدعوة من حرب على العقيدة الإسلامية الصحيحة، وإن لبست ثوب التجديد في الإسلام أحيانا.

وتعتمد العقلانية على عدد من المبادئ الأساسية أبرزها أن العقل لا الوحي هو المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود، ويمكن الوصول إلى المعرفة عن طريق الاستدلال العقلي وبدون لجوء إلى أية مقدمات تجريبية، ومن مبادئهم عدم الإيمان بالمعجزات أو خوارق

العادات، وأن العقائد الدينية ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي.

وقد كانت العقلانية اليونانية لونا من عبادة العقل وتأليهه وإعطائه حجما أكبر بكثير من حقيقته، وفي القرون الوسطى سيطرت الكنيسة على الفلسفة الأوروبية، حيث سخرت العقل لإخراج تحريفها للوحي الإلهي في فلسفة عقلية مسلمة لا يقبل مناقشتها، وفي ظل الإرهاب الفكري الذي مارسته الكنيسة انكمش نشاط العقل الأوروبي، وانحصر فيما تمليه الكنيسة والمجامع المقدسة، واستمرت على ذلك عشرة قرون.

وفي عصر النهضة، ونتيجة احتكاك أوروبا بالمسلمين في الحروب الصليبية والاتصال بمراكز الثقافة في الأندلس وصقلية والشمال الإفريقي أصبح العقل الأوربي في شوق شديد لاسترداد حريته في التفكير، ولكنه عاد إلى الجاهلية الإغريقية ونفر من الدين الكنسي، وسخر العقل للبعد عن الله، وأصبح التفكير الحر معناه الإلحاد، وذلك أن التفكير الديني عندهم معناه الخضوع للكنيسة التي قيدت العقل وحجرت عليه أن يفكر.

ومن ثم فإن العقلانية مذهب فكري فلسفي يزعم أن الاستدلال العقلي هو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود، بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية، وأنه لا مجال للإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات، كما أن العقائد الدينية يمكن، بل ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي، وهنا تكمن علله التي تجعله مناوئا ليس فقط للفكر الإسلامي، بل أيضا لكل دين سماوي صحيح.

• **الوضعية مذهب فلسفي ملحد تقوم فيه المعرفة على الوقائع التجريبية.**

المذهب الوضعي مذهب فلسفي ملحد يرى أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية، ولاسيما تلك التي يتيحها العلم التجريبي، وينطوي المذهب على إنكار وجود معرفة تتجاوز التجربة الحسية، ولاسيما فيما يتعلق بما وراء المادة وأسباب وجودها [1].

تأسس المذهب الوضعي في فرنسا على يد الفيلسوف كونت، ومعظم من جاء بعده طبق منهجه في العلم والمعرفة، والمؤسس أوغست كونت المتوفى سنة ١٨٥٧م هو فيلسوف الفرنسي عمل أمينا للسر أو سكرتيرا للفيلسوف الاشتراكي سان سيمون، وبدأ بإلقاء محاضرات عن فلسفته الوضعية سنة ١٨٢٦م، ثم أصيب بمرض عقلي وحاول الانتحار.

وقد نشر كتابه بعد ذلك تحت عنوان، محاضرات في الفلسفة الوضعية، بسط فيه نظريته في المعرفة والعلوم، وقد نادى بضرورة قيام دين جديد هو الدين الوضعي يقوم على أساس عبادة الإنسانية كفكرة تحل محل الله سبحانه وتعالى في الأديان السماوية.

ومن أبرز شخصيات هذا المذهب سان سيمون المتوفى سنة ١٨١٣م وهو فيلسوف فرنسي اشتراكي النزعة، جعل الوضعية مبنية على العلوم القائمة على الوقائع الخاضعة للملاحظة والتحليل، والعلوم التي لم تؤسس على هذا النحو يسميها العلوم الظنية، ومنهم أيضا ريتشاد كوبجريف

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية، الوضعية، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

وهو مفكر إنكليزي ناصر الوضعية واعتنق أفكارها، وزكي نجيب محمود وهو مفكر عربي مصري، تبع الفلسفة الوضعية الملحدة، وتبنى أفكارها، وألف كتاب المنطق الوضعي.

وقد صاغ الفيلسوف الفرنسي كونت مبادئ وأفكار المذهب الوضعي، ثم بلور من جاء بعده من الوضعيين هذه الأفكار وسار على منهجها العلمي، وقد استحوذت على تفكير كونت فكرة التقدم الإنساني، ووضع كونت قانون التقدم الإنساني، وهو قانون الحالات الثلاث الذي يتقدم العقل البشري بمقتضاه من المرحلة اللاهوتية إلى المرحلة الميتافيزيقية ثم إلى المرحلة الوضعية الأخيرة.

وقد قسم كونت المرحلة اللاهوتية إلى ثلاث مراحل، المرحلة الوثنية والمرحلة التعددية والمرحلة التوحيدية وهي المرحلة الأخيرة التي بدأت بظهور النصرانية والإسلام، أما المرحلة الوضعية بدأت بالثورة الفرنسية، وهي المرحلة التي تفسر الظواهر عن طريق الاستقرار القائم على الملاحظة، ويطبق كونت هذا القانون في التطور على جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية مثل الحضارة والسياسة والفن والأخلاق.

وقد اعتبر فرنسيس بيكون ١٦٢٦م نفسه داعية للعلوم الجديدة، وهي العلوم التي كانت في طريقها إلى الانفصال عن الفلسفة في القرنيين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وربما عد بيكون بادئ الوضعية وواضع الاسم الذي سميت به في القرن التاسع عشر، ففي كتابه في المبادئ والأصول ١٦٢٣م أطلق بيكون صفة وضعي على الحقائق الأولية التي يجب تقلبها إيمانا بصدق الخبرة.

وقد كان بيكون موضع تقدير كبير من الفلاسفة التجريبيين في القرن التاسع عشر في كل من إنكلترا وفرنسا، وأصبحت كلمة وضعي تطلق على مناهج العلوم الطبيعية، نظرا لاعتماد هذه المناهج على الملاحظة واستخدمها للتجربة، وقد اقتبس كونت هذه الأفكار وأقام عليها نظريته وقانونه الوضعي.

وقد زحف المذهب الوضعي من فرنسا إلى إنكلترا، واعتنق بعض الفلاسفة مبادئ المذهب الوضعي إلا أن بعض كبار المفكرين والفلاسفة رفضوا متابعة كونت في مفهوم دين الإنسانية الذي وضعه، وبالرغم من ذلك فقد أُنشئت جمعيات وضعية في أجزاء مختلفة من العالم على غرار النموذج الذي أسسه كونت نفسه عام ١٨٤٨م، وفي هذه الجمعيات كانت الإنسانية هي موضوع الشعائر الدينية، واتخذ من علم الاجتماع سندا لمثل هذه الديانة الاجتماعية، وقويت هذه الحركة بصورة خاصة في أمريكا اللاتينية، ولكنها ازدهرت لعدة سنوات في إنكلترا.

وصدرت المجلة الوضعية التي أطلق عليها فيما بعد اسم الإنسانية من عام ١٨٩٣م إلى عام ١٩٢٥م، وقامت محاولات لإحياء الوضيعة في إنكلترا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، من خلال أعمال الفلاسفة الإنجليز إير، وراسل.

ومن ثم فإن المذهب الوضعي مذهب فلسفي ملحد، يركز على المعرفة اليقينية في الظواهر التجريبية، وينكر وجود معرفة مطلقة، ويقول إن التقدم بدأ في العلوم الطبيعية، وبدأ ينتقل للعلوم الاجتماعية وأن العقل البشري يتقدم من المرحلة اللاهوتية الدينية إلى المرحلة الميتافيزيقية لكي يصل في النهاية إلى المرحلة الوضعية التي هي قمة التخلي عن كل

العقائد الدينية، وبذا تتضح مخاطر هذا المذهب على كل مسلم.

• الفرويدية مذهب تحليلي نفسي يفسر السلوك الإنساني تفسيرا جنسيا.

الفرويدية مدرسة في التحليل النفسي أسسها اليهودي سيجموند فرويد، وهي تفسر السلوك الإنساني تفسيرا جنسيا، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء، كما أنها تعتبر القيم والعقائد حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي مما يورث الإنسان عقدا وأمراضا نفسية [١].

وقد ولد سيجموند فرويد سنة ١٨٥٦م من والديْن يهوديين، استقرت أسرة أبيه في كولونيا بألمانيا زمنا طويلا، وتلقى تربيته الأولى وهو صغير على يدي مربية كاثوليكية دميمة عجوز متشددة كانت تصحبه معها أحيانا إلى الكنيسة مما شكل عنده عقدة ضد المسيحية فيما بعد، وقد نشأ يهوديا، وأصدقاؤه من غير اليهود نادرين، إذ كان لا يأنس لغير اليهود ولا يطمئن إليهم.

دخل فرويد الجامعة عام ١٨٧٣م وعقب على ذلك بأنه يرفض رفضا قاطعا أن يشعر بالدونية والخجل من يهوديته، لكن هذا الشعور الموهوم بالاضطهاد ظل يلاحقه على الرغم من احتلاله أرقى المناصب، وفي سنة ١٨٨٥م غادر فيينا إلى باريس، وتتلمذ على شاركوت مدة عام حيث كان أستاذه هذا يقوم بالتنويم المغناطيسي لمعالجة الهستيريا، وقد أعجب فرويد به عندما أكد له بأنه في حالة من حالات الأمراض العصبية لا بد من وجود اضطراب في الحياة الجنسية للمريض، فأخذ

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية، الفرويدية، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

فرويد عنه وكان ممن يستعملون التنويم المغناطيسي، ثم تابع فرويد عمله تاركا طريقة التنويم معتمدا على طريقة التحدث طالبا من المريض أن يضطجع ويتحدث مفصحا عن كل خواطره، وسماها طريقة الترابط الحر سالكا طريق رفع الرقابة عن الأفكار والذكريات، وقد نجحت طريقته هذه أكثر من الطريقة الأولى.

وقد أخذ يطلب من مريضه أن يسرد عليه حلمه الذي شاهده في الليلة الماضية، مستفيدا منه في التحليل، وقد وضع كتاب تفسير الأحلام الذي نشره سنة ١٩٠٠م، ثم كتاب علم النفس المرضي للحياة اليومية، ثم توالت كتبه وصار للتحليل النفسي مدرسة سيكولوجية صريحة منذ ذلك الحين، وانضم عام ١٨٩٥م إلى جمعية بناي برث أي أبناء العهد، وكان حينها في التاسعة والثلاثين من عمره، وهذه الجمعية لا تقبل بين أعضائها غير اليهود.

ومن تلاميذ فرويد كارل جوستاف ١٩٦١م ولد في زيوريخ، وهو مسيحي نصبه فرويد رئيسا للجمعية العالمية للتحليل النفسي، لكنه خرج على أستاذه معتقدا بأن هذه المدرسة التحليلية ذات جانب واحد وغير ناضجة، وكان لخروجه أثر بالغ على فرويد، وضع نظرية السيكولوجيا التحليلية مشيرا إلى وجود قوة دافعة أكبر هي طاقة الحياة مؤكدا على دور الخبرات اللاشعورية المتصلة بالعِرق أو العنصر.

وحدث انسلاخ كبير عن الفرويدية الأصلية، وذلك عندما تكونت الفرويدية الحديثة التي كان مركزها مدرسة واشنطن للطب العقلي، وكذلك معهد إليام ألانسون هوايت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي مدرسة تتميز بالتأكيد على العوامل الاجتماعية معتقدة أن ملامح

الإنسان الأساسية إيجابية، وهم يلحون على نقل التحليل النفسي إلى علم الاجتماع للبحث عن أصول الحوافز البشرية في تلبية مطالب الوضع الاجتماعي، ومن أبرز شخصياتهم:

والأسس التي تركز عليها المدرسة التحليلية هي الجنس والطفولة والكبت، فهي مفاتيح السيكولوجية الفرويدية، وهم يركنون إلى إشباع الرغبة الجنسية، وذلك لأن الإنسان عندهم صاحب الطاقة الجنسية القوية والذي لا تسمح له النصرانية إلا بزوجة واحدة؛ إما أن يرفض قيود المدنية ويتحرر منها بإشباع رغباته الجنسية، وإما أن يكون ذا طبيعة ضعيفة لا يستطيع الخروج على هذه القيود فيسقط صاحبها فريسة للمرض النفسي ونهبا للعقد النفسية.

ويزعمون أن الامتناع عن الاتصال الجنسي قبل الزواج قد يؤدي إلى تعطيل الغرائز عند الزواج، ودعوا إلى تحريم بقاء المرأة عذراء قبل الزواج، وزعموا أن ذلك يحمل مشكلات وأمراضا لكلا الطرفين، واستدلوا على ذلك بأن بعض الأقوام البدائية كانت تقوم بإسناد أمر فض البكارة لشخص آخر غير الزوج، وذلك ضمن احتفالات وطقوس رسمية.

لقد برر عندهم عشق المحارم لأن اليهود أكثر الشعوب ممارسة له بسبب انغلاق مجتمعهم الذي يحرم الزواج على أفراده خارج دائرة اليهود، وهم يرجعون هذا التحريم إلى قيود شديدة كانت تغل الروح وتعطلها، فيساعدون اليهود بذلك أولا على التحرر من مشاعر الخطيئة كما يسهل للآخرين اقتحام هذا الباب الخطير بإسقاط كل التحريمات واعتبارها قيودا وأغلالا وهمية، وقد استغل اليهود هذه النظرية وقاموا

بإنتاج عدد من الأفلام الجنسية الفاضحة التي تعرض نماذج من الزنا بالمحارم، وفي كفاحهم ضد القيود، والأوامر العليا الموجهة إلى النفس، صاروا إلى محاربة الدين واعتباره لونا من المرض النفسي الوسواسي.

ويرى فرويد أن العقائد الدينية أوهام لا دليل عليها، فبعضها بعيد عن الاحتمال، ولا يتفق مع حقائق الحياة، وهي تقارن بالهذيان، ومعظمها لا يمكن التحقق من صحته، ولابد من مجيء اليوم الذي يصغى فيه الإنسان لصوت العقل، وحديثه عن الكبت فيه إيحاءات قوية وصارخة بأن الوقاية منه تكمن في الانطلاق والتحرر من كل القيود، كما يحرم الإدانة الخلقية على أي عمل يأتيه المريض، مركزا على الآثار النفسية المترتبة على هذه الإدانة في توريثه العقد المختلفة مما يحرفه عن السلوك السوي.

ومن أكبر الآثار المدمرة لآراء فرويد أن الإنسان حين كان يقع في الإثم كان يشعر بالذنب وتأنيب الضمير، فجاء فرويد ليريحه من ذلك، ويوهمه بأنه يقوم بعمل طبيعي لا غبار عليه، وبالتالي فهو ليس بحاجة إلى توبة، وبذلك أضفى على الفساد صفة أخلاقية إذا صح التعبير، وألف نحو ثلاثين كتابا في الدراسات النفسية من أشهرها: الذات والذات السفلى، والطواطم، والمحرمات، وتفسير الأحلام، وثلاث مقالات في النظرية الحسية، والأمراض النفسية المنتشرة في الحياة اليومية. وكلها تدور من زوايا مختلفة حول موضوع واحد مكرر فيها جميعا هو التفسير الجنسي للسلوك البشري.

وقد بدأت هذه الحركة لفرويد في فيينا، وانتقلت إلى سويسرا، ومن ثم عمت أوروبا، وصارت لها مدارس في أمريكا، وقد حملت الأيام

هذه النظرية إلى العالم كله لاسيما بلاد المسلمين عن طريق الطلاب الذين يذهبون إلى هناك ويعودون لنشرها في بلادهم، وتلاقي هذه الحركة اعتراضات قوية من عدد من علماء النفس الغربيين اليوم.

- البرجماتية الذرائعية مذهب يجعل المنفعة الواقعية معيارا للحياة والفكر.

البرجماتية الذرائعية مذهب فلسفي اجتماعي يقول بأن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية، لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع، وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما هو في كونها مفيدة للناس [(١)].

وقد أصبحت الذرائعية طابعا مميزا للسياسة الأمريكية، وفلسفة الأعمال الأمريكية كذلك، لأنها تجعل الفائدة العملية معيارا للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقائدي.

وقد نشأت الذرائعية البرجماتية كمذهب عملي في الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية القرن العشرين، وقد وجدت في النظام الرأسمالي الحر الذي يقوم على المنافسة الفردية خير تربة للنمو الازدهار.

ومن أبرز رموز المذهب وأغلبهم من الأمريكيين تشارلس بيرس المتوفى سنة١٩١٤م ويعد مبتكر كلمة البرجماتية في الفلسفة المعاصرة، عمل محاضرا في جامعة هارفارد الأمريكية، وكان متأثرا بدارون ووصل إلى مثل آرائه، وكان أثره عميقا في الفلاسفة الأمريكيين كوليم جيمس١٩١٠م وهو عالم نفسي وفيلسوف أمريكي من أصل سويدي

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية، الذرائعية البرجماتية، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

بنى مذهب الذرائعية البرجماتية على أصول أفكار بيرس، ويؤكد أن العمل والمنفعة هما مقياس صحة الفكرة ودليل صدقها، كان كتابه الأول، مبادئ علم النفس، قد أكسبه شهرة واسعة ثم توالت كتبه تترا مثل موجز علم النفس، وإرادة الاعتقاد، وأنواع التجربة الدينية، والبرجماتية، وكون متكثر الذي عارض فيه وحدة الوجود، ويؤكد جيمس في كتبه الدينية أن الاعتقاد الديني صحيح لأنه ينظم حياة الناس ويبعث فيهم الطاقة، ومن تلاميذ تشارلس فيلسوف أمريكي يسمى جون ديوي ١٩٥٢م، فيلسوف بريطاني يسمى شيلر ١٩٣٧م.

ومن أهم أفكار ومعتقدات المذهب الذرائعي البرجماتي أن أفكار الإنسان وآراءه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولا ثم السير نحو السمو والكمال ثانيا، وإذا تضاربت آراء الإنسان وأفكاره وتعارضت كان أحقها وأصدقها أنفعها وأجداها، والنفع هو الذي تنهض التجربة العملية دليلا على فائدته، كما أن العقل خُلق أداة للحياة ووسيلة لحفظها وكمالها، فليست مهمته تفسير عالم الغيب المجهول، بل يجب أن يتوجه للحياة العملية الواقعية.

وعندهم أن الاعتقاد الديني لا يخضع للبيئات العقلية، والتناول التجريبي الوحيد له هو آثاره في حياة الإنسان والمجتمع إذ يؤدي إلى الكمال، بما فيه من تنظيم وحيوية، ويعتبرون النشاط الإنساني له وجهتان، فهو عقل، وهو أداة، ونموه كعقل ينتج العلم، وحين يتحقق كإرادة يتجه نحو الدين، فالصلة بين العلم والدين ترد إلى الصلة بين العقل والإرادة.

إن البرجماتية أو الذرائعية ثورة ضد الفكر النظري البعيد عن الواقع

وعن الإنسان خاصة والذي لا يخدم الإنسان في حياته العملية، أما كلمة برجماتية فكانت قليلة الاستعمال في اللغة الإنكليزية ولم تكن تستعمل مطلقا في سياق الحديث الفلسفي، حتى أدخلها الفيلسوف الأمريكي بيرس عام ١٨٧٨م كقاعدة منطقية معرفا البرجماتية بأنها النظرية القائلة بأن الفكرة إنما تنحصر فيما نتصوره لها من أثر على مسلك الحياة.

وقد تأسس المذهب في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم انتقل إلى أوروبا وبريطانيا بشكل خاص، وسرى في أناس كثيرين في العالم الإسلامي، وعليه فإن الذرائعية أو البرجماتية مذهب فلسفي نفعي يرى أن الحقيقة توجد من خلال الواقع العملي والتجربة الإنسانية، وأن صدق قضية ما يكمن في مدى كونها مفيدة للناس، كما أن أفكار الناس هي مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقائه ثم البحث عن الكمال، وعندما تتضارب الأفكار فإن أصدقها هو الأنفع والأجدى، والعقل لم يخلق لتفسير الغيب المجهول، ولذا فإن الاعتقاد الديني لا يخضع للبيانات العقلية، ولما كان نشاط الإنسان يتمثل في العقل والإرادة، وكان العقل ينتج العلم، وحينما يتحقق العلم كإرادة يتجه نحو الدين، لذا فإن الصلة بين العلم والدين ترجع إلى الصلة بين العقل والإرادة. ومخاطر هذا المذهب الفلسفي على العقيدة واضحة جلية فهو مذهب يحبذ إلغاء دور العقل في الإفادة من معطيات النقل أو الوحي.

وقد رأينا في واقعنا المعاصر كيف أفلست الذرائعية كما أفلست سواها من الفلسفات المادية وعجزت عن إسعاد الإنسان بعدما أدت إلى تأجيج سعار المادية، وأهدرت القيم والأخلاق السامية التي دعت إليها جميع الأديان السماوية.

- **العولمة من المصطلحات الغامضة التي لم تُحدد معالمها بدقة.**

ما زال مصطلح العولمة من المصطلحات الغامضة التي لم تُحدد معالمه بدقة؛ على الرغم من كثرة الكتب والدراسات التي كتبت فيه، لكن يبدو أن هناك رأيا سائدا عند جمهرة من الساسة والمفكرين يشير إلى أن مصطلح العولمة قرين لمصطلح الأمركة، نظرا إلى التقدم البشري في مختلف مجالات الحياة وبطريقة أصبح الوجود الإنساني شديد التشابك والارتباط بما تصدره أمريكا.

والعولمة مذهب من عملية أمريكية تنخرط من خلالها الشعوب والدول عبر القارات والأقاليم في سلوك نمط من القيم الغربية الأمريكية، فأظهرت للوجود نوعا من المؤسسات المشتركة لم تكن معهودة من قبل، ولعل الطابع التكنولوجي والاقتصادي والإعلامي للعولمة زاد من أثرها الثقافي والاجتماعي والسياسي، فصارت الأرض كلها تقوم على مبادئ السوق والتبادل التجاري والإعلامي والتكنولوجي والثقافي والمعرفي، وانتهت بموجبه كثير من مفاهيم الاستقلال والصياغات المحلية لمفردات الحياة.

إن العولمة تواجهنا بمجموعة من التحديات في مختلف المستويات، أبرزها المستوى المعرفي والمستوى الأخلاقي والمستوى العالمي، أما تحدي النموذج المعرفي فالنسق المعرفي الغربي في رؤيته عن الله ﷻ والكون والحياة هو الذي يسيطر على توجهات أغلبية شعوب الأرض الآن، فأصبحت الحضارة الغربية قانون العصر المهيمن، فالغرب أتلف الرؤية الصحيحة للوجود في النفوس والضمائر وأتلف الفطرة النقية المبنية على تعبيد الناس لربهم والافتقار الاختياري إلى خالقهم، بسبب الثقافة

الغربية التي أخضعت كل شيء، وكل فكرة إلى مقاييس المادة واعتبارها المنهج العلمي الصحيح، فالتطور الهائل الذي عرفته العلوم الطبيعية والتكنولوجية قائم على الفكر المادي البحت، وصار المجال العقائدي وفق النظرة المادية الوضعية من قبيل الشأن الشخصي الذي لا يخضع لمنطق البرهان أو الاستدلالي العقلي، وبالتالي فالمنهج المعرفي الغربي مادي في أساسه، ينكر الغيب وما يتصل به من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وترفض الحضارة الغربية وفق منهجها العلمي أي مصدر آخر للمعرفة خارج عن نطاق الفحص الحسي المادي الخاضع للتجربة المخبرية أو المشاهدة، ولا يوجد هناك ما يسمى ثابت مثل القيم والأخلاق، لأنها ليست أشياء يمكن تقديرها بالكم، فالصدق والمحبة والتواضع بما أنه لا يمكن وزنها ولا قياسها بالكمية أو بالأرقام فهي في المفهوم الغربي شيء مفتعل وغير موجود، ولا ثمرة من ورائها.

وأما تحدي الأزمة الأخلاقية فمن من أهم التحديات التي تواجهنا بها العولمة تحدي الفساد الأخلاقي الذي يكتسح العالم بفعل غياب بعد الأخلاق في الحياة المعاصرة، والقيمة الخلقية أرقى من السلوك التجاري الذي يظهر في تصرفات الكثير، وليس الغاية من ذلك نداء الضمير بقدر ما هو إتكيت بالتعبير الغربي، وهناك فرق بين الخلق الذي هو ألصق بالفطرة ونداء الإيمان والتزام التقوى، وبين السلوك الغربي الذي يراعي المظهر الشكلي دون الجوهر.

لقد غدت الأخلاق بالمفهوم الغربي ذات بعد نفعي تجاري، فالرجل لا يكذب لأن سمعته تتأثر، فإذا لم تتأثر فليس في الأمر تثريب، هذا من

جهة، ومن جهة أخرى فإن التحلل من القيم صار موضة، وعلامة على الحضارة الغربية التي هتكت الأستار وعرت الإنسان، وتجاوزت في إباحيتها كل وصف، وهذا الذي دفع كثيرا من الشباب إلى الاستقالة الاجتماعية من الحياة؛ إما عن طريق الانتحار بطرقه المختلفة، وإما بالانغماس في عالم الرذيلة والمخدرات والفجور، مما أصبح يهدد الأسرة بالانهيار والتفكك، ويقضي على قيم التآلف والرحمة والعطف، وكل القيم الروحية التي تفتح أمام الإنسان أبواب الأمل في الحياة الكريمة، التي يؤدي فيها العلة من وجوده.

وأما تحدي الفساد الكوني للعولمة فالمجتمع الغربي كله يدفع حاليا ثمن الثورة الصناعية، فبملاحظة سريعة لبعض الإحصاءات التي تشير إلى التدهور الخطير الذي أحدثته هذه الثورة في الطاقة الإنتاجية للطبيعة نجد ازدياد التلوث لدرجة تهدد الجنس البشري، بل أصبح سائر الناس بدولهم مطالبين في نظام العولمة بتحمل تبعات التقدم الصناعي الغربي الذي يستفيد وحده من هذه العولمة، فالغابات بدأت تضمحل بمعدل ١٦ مليون هكتار سنويا، ويفقد العالم ٢٤ مليار طن من تربته السطحية، وتختفي العديد من المناطق الرعوية، وانخفض مستوى المسطحات المائية بصورة مفزعة.

كما أن تكنولوجيا القتل الجديدة تهدد بقتل البشر وغيرهم من الكائنات الحية، وكذلك الأسلحة الكيميائية والبكتيرية الفيروسية، والنووية من أحدث تقنيات هذه التكنولوجيا القاتلة للحياة على كوكب الأرض، لقد حقق الإنسان الذروة فيما يستطيع به أن يدمر كل الكائنات الحية على الأرض والبحار، إن قنبلتي هيروشيما

وناجازاكي وما أحدثتاه من الدمار، وحادثة محطة القوى النووية في تشيرنوبيل، قد أظهرت كيف يمكن حين لا يتم التحكم في آلية محطة القوى النووية أن تقتل المواد المتفجرة الشديدة السريعة كل إنسان بالقرب منها، وتسبب دمارا إشعاعيا بالغ الخطورة للناس والكائنات الحية التي تعيش على مسافات بعيدة بل حتى في القارات البعيدة.

وإذا نظرنا إلى مخزون الولايات المتحدة وروسيا الذي يصل إلى مئة ألف سلاح نووي، تبلغ قوة كثير منها أكبر من القنبلتين اللتين ألقيتا على اليابان آلاف المرات، فإذا انفجر حتى جزء قليل منها فليس هناك احتمال أن يبقى على قيد الحياة أي كائن من الكائنات الثديية، كما سوف تقاسي الكائنات الأخرى من أضرار مرعبة، ولن يصبح العالم قابلا للحياة بالنسبة للجميع.

- الديمقراطية المعاصرة حكم الشعب لنفسه بواسطة الانتخاب العام.

الديمقراطية كلمة تعني سلطة الشعب، ومعناها الحكم الذي تكون فيه السلطة للشعب، وتطلق على نظام الحكم الذي يكون الشعب فيه رقيبا على أعمال الحكومة بواسطة المجالس النيابية، ويكون لنواب الأمة سلطة إصدار القوانين[١].

ولقد ظل نظام الإقطاع يحكم أوروبا أكثر من ألف عام في ظل الإمبراطورية الرومانية والقانون الروماني، ولم تغير المسيحية شيئا من سماته في هذه الناحية، لأن الكنيسة لم تحاول تطبيق الشريعة، وتركت

---

(١) انظر مفهوم التعددية الديمقراطية وعلاقته بالأقليات بقلم أحمد الخطيب، نقلا عن مجلة الوعي، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

الأوضاع السياسية الاقتصادية والاجتماعية تجري على ما كانت عليه في ظل الإمبراطورية الرومانية دون تعديل يذكر، وحين نازعت المملوك والأباطرة سلطانهم لم يكن ذلك من أجل إلزامهم بتحكيم التوراة والإنجيل، كما فعل المسلمون في الأرض التي حرروها من قبضة الرومان في مصر والشام والشمال الأفريقي وغيره، إنما كان من أجل إلزامهم بالخضوع لهواها هي وسلطانها الشخصي.

وفي ظل الإقطاع لم يكن للشعب وجود إلا بوصفه قطعا آدمية لاصقة بالطين، لا كرامة لها ولا حقوق، وكان هناك ملوك مستبدون بالحكم يحكمون بمقتضى الحق الآلهي المقدس باعتبارهم ظل الله في الأرض فكلامهم أمر، وأمرهم مقدس، وما عن لهم من أهواء فهي أوامر واجبة التنفيذ.

ولكن أوروبا حين تفجرت ثورتها لم تكن في وضع يسمح لها أن تستبدل بالجاهلية التي ثارت عليها دين الله الحق، وشريعته الإسلامية العادلة التي كانت تحكم الأرض من حولها في الشرق والغرب والجنوب، لأن الحروب الصليبية وحملات التنفير الديني والثقافي التي قامت بها الكنيسة ضد الإسلام وقفت حاجزا بينها وبين اتخاذ الإسلام عقيدة وشريعة، فارتدت إلى تراثها الإغريقي الروماني تبحث فيه عن حلول مشكلاتها، بدلا من أن تلجأ إلى الإسلام.

ووقع اختيار أوربا على الديمقراطية بديلا عن الإقطاع، وكانت هناك عوامل كثيرة تمهد لهذا الاختيار، فطبقة الشعب هي الطبقة المكبوتة المسحوقة، وهي الطبقة الثائرة التي تسعى إلى المشاركة في السلطان، والطبقة الرأسمالية هي الطبقة الجديدة التي صار المال في يدها

بدلا من طبقة الإقطاعيين بسبب انتقال الإنتاج تدريجيا من إنتاج زراعي إلى إنتاج صناعي بعد اختراع الآلة وهذه الطبقة الجديدة تريد أن تنتزع السلطان من الطبقة المالكة السابقة.

لذلك كانت الديمقراطية عندهم هي التي توفق بين رغبة الطبقتين الساعيتين إلى السلطة، إحداهما وهي الطبقة الرأسمالية تستولي على السلطان الحقيقي، والثانية وهي طبقة الشعب تشارك بقدر ما في ذلك السلطان، وذلك فضلا عن عنصرين آخرين، أحدهما إحياء الفكر الإغريقي القديم وتأثيره على المفكرين الغربيين منذ عصر النهضة، وهو فكر يحمل صورة تذكارية للديمقراطية من أيام أثينا وإسبرطة، والثاني هو الشعارات التي وضعتها الماسونية للثورة الفرنسية وهي الحرية والإخاء والمساواة، والديمقراطية هي المنطق الأنسب لهذا الشعارات، ومن ورائها يحقق إليهود ما يحلو لهم من أهداف، لذلك كله كانت الديمقراطية هي الإطار المناسب للعناصر المتفاعلة في أوربا في ذلك الحين في ظل الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية القائمة في تلك الفترة.

إن الإسلام نظام كفيل بسعادة كل من تمسك به من جماعات وأفراد ودول، ولا يحتاج أن يستعير من غيره شيئا، وهو لا يتفق مع نظام رأس المال، ولا مع الشيوعية، ولا مع الاشتراكيات بأنواعها، وقد سبق إلى كل خير يوجد في هذه النظم، وتجنب كل شر فيها، لأنه مبني على العدل والإحسان وفيه سعادة البشر أجمعين.

أما دعاة الديمقراطية في هذا الزمان فإنهم يصفونها بأنها حكم الشعب نفسه بنفسه بواسطة الانتخاب العام، فكل جماعة من الناس تختار نائبا يمثلها أو ينوب عنها في مجلس يسمى البرلمان؛ وهذا المجلس هو الذي

يختار رئيس الوزراء ويعينه، ورئيس الوزراء يختار نوابه من أولئك النواب أو من غيرهم بموافقة المجلس، وكل فرد من أفراد الشعب له الحق أن ينتقد النواب والوزراء ورئيسهم في حدود القانون الذي يمنع التعدي والظلم، وهذا القانون يضعه علماء اختصاصيون ويقره المجلس.

وقالوا هذا أرقى ما وصل إليه العقل البشري في الحرية والمساواة فكل من وقع عليه الظلم يستطيع أن يدفعه عنه بواسطة نائبه، وكذلك من تعسر عليه الوصول إلى حق يستعين بنائبه على الوصول إليه، وحرية الاعتقاد والانتقاد في ضمن القانون، وإبداء الرأي وسائر الحريات مكفولة، فلا يعاقب أحد بحبس أو غرامة إلا إذا خالف القانون المتفق عليه، وتوزع الحقوق والواجبات بالتساوي، فلا يعفى من الواجبات أحد كيف ما كان مركزه، فيكون كل فرد آمنا مطمئنا على نيل حقوقه، لا يحتاج إلى تملق ولا تعلق، فلا يخاف الإنسان إلا مما قدمت يداه، ومع هذا التحري كله فقد يقع الغش في الانتخاب، فإن مالك المزرعة ومالك المعمل إذا رشح نفسه للنيابة يشعر الفلاحون والمزارعون بأن من اللياقة أن ينتخبوا مالك مزرعتهم، ويشعر العمال كذلك أنه ينبغي عليهم أو يجب عليهم أن ينتخبوا مالك معملهم فيختل ميزان المساواة.

وهناك استعمال آخر للديمقراطية وهو استعمالها لفظا مرادفا لاشتراكية الشيوعية، وهذا الاستعمال دعاية مجردة غير معقولة، لأن كل شعب يحكم بنظام الحزب الواحد لا يمكن أن يكون ديمقراطيا، وحتى ذلك الحزب الواحد لم ينتخبه الشعب، وإنما طائفة تسلطت عليه بالقهر والغلبة وأسرته واستعبدته شر استعباد وصارت تتكلم باسمه، وتستخدمه بلا رحمة ولا شفقة، ومن العجب أن هؤلاء الجبابرة الذين يحكمون

شعوبهم بالحديد والنار حكما كله دماء ودموع، وقهر وكبت، وإذلال وإهانة، ومع ذلك يتغنون بالديمقراطية والحرية، وهم يعلمون أنهم أبعد الناس عن الحرية والديمقراطية.

والديمقراطية التي تجعل مبدأ الشورى وإنكار المنكر أمورا أساسية في الحكم فهذا من الإسلام الذي أمر الله به، وهذا لا يعني التشابه الكامل بين الشورى والديمقراطية الأمريكية العلمانية، ففي الإسلام الحقائق الفكرية هي أساس فوق التصويت، ولا تخضع للمشاورة إلا في كيفية تطبيقها بمعنى أن الخمر مرفوضة وكذلك الربا وهذه الأمور لا تصبح قانونية، أما في الديمقراطية الغربية فإذا وافقت الأغلبية على المخدرات أو الشذوذ الجنسي أو القمار أو الزنا فإنه يصبح قانونا يتم تطبيقه وحمايته.

- القومية العربية حركة سياسية فكرية متعصبة تحولت إلى وطنية قطرية.

القومية العربية حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا [١].

وقد ظهرت بدايات الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية، ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقراًّ لها، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٢م.

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الأحزاب والحركات والاتجاهات المعاصرة، القومية العربية، بتصرف مناسب لطلبة العلم.

ومن أهم الجمعيات ذات التوجه القومي حسب التسلسل التاريخي الجمعية السورية التي أسسها بطرس البستاني وناصيف اليازجي سنة ١٨٤٧م في دمشق، والجمعية السورية في بيروت أسسها نصارى منهم سليم البستاني ومنيف خوري سنة ١٨٦٨م، والجمعية العربية السورية التي ظهرت سنة ١٨٧٥م ولها فروع في دمشق وطرابلس وصيدا، وجمعية حقوق الملة العربية ظهرت سنة ١٨٨١م ولها فروع كذلك، وهي تهدف إلى وحدة المسلمين والنصارى، وجمعية رابطة الوطن العربي أسسها نجيب عازوري سنة ١٩٠٤م بباريس، وألف كتاب يقظة العرب، وجمعية الوطن العربي التي أسسها خير الله خير الله سنة ١٩٠٥م بباريس، وفي هذه السنة نشر أول كتاب قومي بعنوان الحركة الوطنية العربية، وجمعية العربية الفتاة التي أسسها في باريس طلاب عرب منهم محمد البعلبكي سنة ١٩١١م، وغيرها الكثير والكثير.

هذا وقد ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها، ولم تصبح تيارا شعبيا عاما إلا حين تبنى الدعوة إليها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر حين سخر لها أجهزة إعلامه وإمكانيات دولته، ويمكن أن يقال إنها الآن تعيش فترة انحسار أو جمود على الأقل.

ويعد ساطع الحصري ١٩٦٨م داعية القومية العربية وأهم مفكريها وأشهر دعاتها، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي يقوم عليه فكرة القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية ميشيل عفلق.

والفكر القومي يعلي من شأن رابطة القربى والدم على حساب رابطة

الدين، وإذا كان بعض كتاب القومية العربية يسكتون عن الدين، فإن بعضهم الآخر يصر على إبعاده إبعادا تامًّا عن الروابط التي تقوم عليها الأمة، بحجة أن ذلك يمزق الأمة بسبب وجود غير المسلمين فيها ويرون أن رابطة اللغة والجنس أقدر على جمع كلمة العرب من رابطة الدين.

ويرى دعاة الفكر القومي على اختلاف بينهم في ترتيب مقومات هذا الفكر أن أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي اللغة والدم والتاريخ والأرض والآلام والآمال المشتركة، ويرون أن العرب أمة واحدة لها مقومات الأمة وأنها تعيش على أرض واحدة هي الوطن العربي الواحد الذي يمتد من الخليج إلى المحيط، كما يرون أن الحدود بين أجزاء هذا الوطن هي حدود طارئة، ينبغي أن تزول وينبغي أن تكون للعرب دولة واحدة، وحكومة واحدة، تقوم على أساس من الفكر العلماني.

ويدعو الفكر القومي إلى تحرير الإنسان العربي من الخرافات والإيمان بالغيبيات والأديان كما يزعمون، لذلك يتبنى شعار الدين لله والوطن للجميع، والهدف من هذا الشعار، إقصاء الإسلام عن أن يكون له أي وجود فعلي من ناحية، وجعل أخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين من ناحية أخرى.

ويرى الفكر القومي أن الأديان والأقليات والتقاليد المتوارثة عقبات ينبغي التخلص منها من أجل بناء مستقبل الأمة، ويقول عدد من قادة هذا الفكر: نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

ويقرر الفكر القومي أن الوحدة العربية حقيقة، أما الوحدة الإسلامية فهي حلم وأن فكرة القومية العربية من التيارات الطبيعية التي تنبع من أغوار الطبيعة الاجتماعية، لا من الآراء الاصطناعية التي يستطيع أن

يبدعها الأفراد.

وقد ذكر أبو الحسن الندوي أنه من المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم، وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات، إنها جريمة قومية تفوق جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة، وإنها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ، وإنها خطوة حاسمة مشئومة في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي.

وقد انكمشت الدعوة إلى القومية العربية في إطار الوطنية بمفهومها الغربي الحديث الذي يعني أن الولاء للوطن مقدم على أي ولاء سواه، والولاء للوطن يعني الولاء لبقعته الجغرافية ولجماعته من الناس ولدولته ولشاراته كالعَلَم والنشيد الوطني والتراث القومي، وهي نزعة فكرية مذهبية قديمة لها مبادئها العامة وطقوسها السلوكية التي يزرعها رواد هذه النزعة في نفوس الناس وينشئون عليها ناشئتهم، ويحاكمون إليها مواقف أتباعهم، وينظرون إلى الآخرين من خلالها، فقد وجدت في المجتمعات القديمة، ومن أشهر صورها الوطنية اليونانية، ثم وطنية الإمبراطورية الرومانية التي كانت تنظر للشعوب الأخرى المنضوية تحت ظل الدولة الرومانية بصفتهم عبيدا تابعين للوطن الأم، لا يقبل من هؤلاء الأتباع الانصهار في بوتقته والاندماج به كما حصل مثلا الاندماج في الحضارة الإسلامية.



المطلب السادس والعشرون

حقيقة التنمية البشرية ومنهج الجهمية في البرمجة اللغوية العصبية وأثرها في هدم العقيدة الإسلامية



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن المذاهب الفكرية المعاصرة وآثارها السلبية على الأمة الإسلامية وقيادتها العالمية، وعلمنا أن العلمانية مبنية على إقامة الحياة بعيدا عن الدين والفصل الكامل بينهما، وأن للعلمانية صورتين منتشرتين كل صورة منهما أقبح من الأخرى، وعلمنا الآثار الخبيثة للعلمانية ونتائجها السيئة على واقع البلاد الإسلامية، وبينا وسائل العلمانية في تحريف الدين وتزييفه في نفوس المسلمين، كما تحدثنا عن الشيوعية والماركسية، وأنها دعوة مادية تنكر الأديان كلها وتسعى لهدمها، كما علمنا أن ماركس أسس النظرية الشيوعية وقام تلميذه لينين بتطبيقها قهرا، وأن إلغاء الملكية الفردية وإلغاء الطبقات وإلغاء الدين وإلغاء الصراع والحكومات من أسس النظرية الشيوعية.

ثم تحدثنا عن الوجودية وأنها مذهب يبالغ في قيمة الإنسان ووجوده وعدم احتياجه لموجه، وعلمنا أن العقلانية مذهب فكري اعتزالي معاصر يدعو إلى انفراد العقل بالمعرفة، وأن الوضعية مذهب فلسفي ملحد تقوم فيه المعرفة على الوقائع التجريبية، والفرويدية مذهب تحليلي

نفسي يفسر السلوك الإنساني تفسيرا جنسيا.

وكذلك تحدثنا عن البرجماتية الذرائعية وأنها مذهب يجعل المنفعه الواقعية معيارا للحياة والفكر، وأن العولمة من المصطلحات الغامضة التي لم تُحدد معالمها بدقة، وأن الديمقراطية المعاصرة حكم الشعب لنفسه بواسطة الانتخاب العام، وأن القومية العربية حركة سياسية فكرية متعصبة تحولت إلى وطنية قطرية.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن حقيقة التنمية البشرية ومنهج الجهمية في البرمجة اللغوية العصبية، وأثرها في هدم أصول العقيدة الإسلامية [1].

- أصل البرمجة اللغوية من وضع غير المسلمين لعلاج بعض المجانين.

البرمجة اللغوية العصبية عبارة عن مدرسة نفسية ظهرت كي تعالج بعض الأمراض النفسية للمرضى دون الأصحاء للخروج بالمريض من أزمته إلى حالة سليمة، بعد ذلك طوروا الموضوع وبدءوا يقدمون هذه البرمجة اللغوية العصبية للأصحاء بحثا عن التميز والتفوق.

والذي أنشأ هذا العلم أمريكيان هما ريتشارد باندلر، وجون جندر سنة ١٩٧٣م، خلطوه بدراسة لاثنين من العلماء أحدهما أمريكي يهودي والأخر بولندي يهودي أيضا أخذوا دراستهم وصنعوا منها هذا العلم، ثم أنشئوا الإتحاد العالمي للبرمجة اللغوية العصبية سنة ١٩٩٣م بعد عشرين سنة من ظهور هذه المادة ثم انتقلت إلى العالم العربي، وأنشئ الإتحاد

---

(١) أغلب ما ورد في هذا المطلب مختصر بتصرف عن حقيقة البرمجة اللغوية العصبية، الأصول، والمضامين، والمخرجات تأليف دكتورة فوز بنت عبد اللطيف.

العربي للبرمجة اللغوية العصبية سنة ٢٠٠٠م.

والبرمجة هي إعادة تفكيك المعتقدات الموجودة عند الإنسان وإزالتها شيئا فشيئا لكي يضع معتقدات أخرى جديدة، سواء كانت معتقدات دينية أو غيرها، وإن كان هذا أمر يحاولون تجنبه حتى لا يصيبوا المسلمين بالحساسية، لكن هي عملية تفكيك للمعتقدات وإزالتها، فالشخص الذي يعتقد أنه ضعيف يعاد تفكيك اعتقاداته ويبرمج من جديد ليعتقد أنه قوي، ولو وجد من يعتقد أنه فاشل، يفكك هذا المعتقد ويوضع مكانه معتقد إيحائي بأنه ناجح وهكذا، تفكيك المعتقدات القديمة ليعاد برمجتها على معتقدات جديدة من وضع غير المسلمين.

وكلمة البرمجة توحي بأن الإنسان يعامل كآلة أو جهاز كمبيوتر يعاد تهيئته لكل جديد من البرامج الوافدة، فننزع المواد التي بداخله ونضع مواد جديدة بغض النظر عن المشاعر الإنسانية، أو المعتقدات الإيمانية، أو حب الله ورسوله ﷺ، أو الإيمان بالغاية من وجود الإنسان وعبادته لله، فيتعاملون مع الإنسان كجهاز كمبيوتر، ويسقطون الجانب الوهبي الذي منحه الله لمن شاء من عباده.

ويزعمون أن سعيهم إنما هو برمجة الإنسان ليستطيع تحقيق النجاح مثل إسحاق نيوتن، أو إديسون أو عالم من العلماء، وننظر كيف نجح هذا الشخص فنحاكي طريقته في النجاح، وهذا منطلق لا يراعي الحكم العليا في تحقيق معاني الابتلاء التي خلق الإنسان من أجلها. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ الملك:٢.

وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً

﴿وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ المائدة:٤٨.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ الأنعام:١٦٥. وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ الإنسان:١/٢.

وأصحاب البرمجة اللغوية العصبية يسقطون من حساباتهم التنوع الذي ابتلى الله به العبادة وجعلهم مختلفين آجالا وأرزاقا، وألوانا وأخلاقا، فجعل منهم الغني والفقير، والأعمى والبصير، والجاهل والخبير، منهم الظالم والمظلوم، والحاكم والمحكوم، والمالك والمعدوم، فلن يكونوا سواسية في المسكن والملبس والمطعم، ولن يُمكّن للبرمجة العصبية أن تجعل كلهم على حد سواء في النجاح المزعوم لو طبقها جميع أفراد البشرية لأنها تتعارض مع الغاية الأساسية التي خلق الله الكون من أجلها وهي الابتلاء والامتحان.

ومن ثم ابتلى الله الرسل بأممهم، وابتلى الأمم برسلهم، وابتلى الحكام بشعوبهم، وابتلى المحكومين بحكامهم، وهكذا في المجتمع الواحد تتنوع المستويات وتتعدد أنواع الابتلاءات تحقيقا للحكمة التي أراد الله ﷻ أن يخلقهم من أجلها، ولن ينجح أي فكر يحاول العبث بها لأن الله نظم الكون على إثرها، وبنى على ذلك تفاوت الدرجات وتنوع القدرات.

كما أن مفهوم النجاح والفشل ضابطه التقوى والإتباع، وليس كثرة المال أو الغني أو الشهرة أو المكانة كما يصورها أصحاب البرمجة اللغوية

العصبية، لأن النجاح عند المصدرين لهذه البرمجة هو نجاح دنيوي زائف، أما النجاح في الإسلام فأمر آخر، بل قد تكون منزلة الفقراء الصابرين توازى منزلة الأغنياء الشاكرين كما قال رب العالمين عن شكر سليمان لربه في غناه، وصبر أيوب في مرضه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ ص:٣٠. فالأتقى عند الله هو الأفضل، وإن كان غنيا شاكرا أو فقيرا صابرا، لأن الله أسقط الغنى والفقر من ميزان الكرامة والإهانة وجعل الميزان ميزان الأمانة، فالفقر والغنى فعل الله وابتلاؤه للإنسان، والحساب عند الله على مدى كسب العبد للإيمان وقد قال رسُولُ اللهِ ﷺ: (عجبا لأمْرِ الْمُؤْمِنِ، إنّ أمْرهُ كُلّهُ خيْرٌ، وليْس ذاك لأحدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابتْهُ سرّاءُ شكر فكان خيْرا لهُ وإنْ أصابتْهُ ضرّاءُ صبر، فكان خيْرا لهُ) [1].

ومن ثم فإن الابتلاء في الحقيقة له علاقة دقيقة بحياة الإنسان وما حوله من الكائنات، أما الدورة التي يقيمها أصحاب البرمجة اللغوية العصبية والمسماة بالتنمية البشرية، فربما يوجد بها مائة شخص أو مائتان كلهم يرغبون في النجاح ولا يعلمون في أي شيء سينجحون، وبنفس الكلام ونفس الطريقة وكأنهم أجهزة يضعون داخلها المعلومات ويبرمجوها كما يقولون برمجة لغوية عصبية، وهذا يبين لنا النظرة المادية عند الغرب للإنسان، وتعظيم المادية البحتة في الحياة وفي الكون وفي كل شيء ليس عندهم أي نوع من النظر إلى الغاية من خلق الإنسان.

- ماهية ما يسمى بالبرمجة اللغوية العصبية ومضامينها وفرضياتها.

البرمجة اللغوية العصبية واختصارها الغربي **NLP** هي خليط من العلوم

---

(١) مسلم في الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير ٤/٢٢٩٥ (٢٩٩٩).

والفلسفات والاعتقادات والممارسات، تهدف تقنياتها لإعادة صياغة صورة الواقع في ذهن الإنسان من معتقدات ومدارك وتصورات وعادات وقدرات بحيث تصبح في داخل الفرد وذهنه بطرقة البرمجة لتنعكس على تصرفاته، وقد تأسس هذا العلم وطُور في السبعينات الميلادية أي ما بين عام ١٩٧٣م، وعام ١٩٧٨م على يد مجموعة من الأشخاص.

ولكن ما هو هذا العلم؟ يقول الدكتور روبرت كارول أستاذ الفلسفة والتفكير الناقد بكلية ساكرمنتوا بكاليفورنيا بأمريكا: (إنه من الصعب تعريف البرمجة، لأن الذين بدأوها والذين ساهموا في إخراجها استخدموا لغة غامضة مبهمة متلبسة غير واضحة، ولذلك أصبحت البرمجة تعني أشياء كثيرة يختلف فيها الناس، ويدّعي أهل البرمجة أنها تساعد الإنسان على التغيير بتعليمه كيف يبرمج دماغه؟ فيقولون: إننا أعطينا أدمغة، ولم نعط معها دليل تعليمات التشغيل، فالبرمجة اللغوية العصبية تقدم لك دليل مستخدم للدماغ، ولذلك يطلق عليها أحيانا برامج للدماغ) [(١)].

إن البرمجة اللغوية العصبية تعتمد بقوة على عدة أمور أولها اللاواعي والذي يرون أنه يؤثر بسطوة ونفوذ على التفكير المدرِك الواعي للشخص وتصرفاته، وكذلك تقوم على التصرفات والأقوالَ المجازية، وتحديدا يعتمدون على الطرق التي استخدمها فرويد لتفسير الأحلام، ثم التنويم المغناطيسي، كما أنها تأثرت كثيرا بفلسفة تسمى التحكم عبر

---

(١) نقلا عن حقيقة البرمجة اللغوية العصبية تأليف دكتورة فوز بنت عبد اللطيف.

الاتصال، وقد يفسر كلام الدكتور روبرت كارول سبب الخلاف الكبير حول تعريف البرمجة اللغوية العصبية وبيان حقيقتها بين الناس، فالمدربون المسلمون يعرّفونها على أنها شيء جميل جدا، وتقنية نافعة جدا، بينما يعرفها الغربيون بحيادية أكبر، ولها عند الباحثين من المسلمين تعريف خاص استحدثوه بالنظر لأصولها الفلسفية ومضامينها التدريبية.

يقول بعضهم: البرمجة اللغوية العصبية هي علم يكشف عالم الإنسان الداخلي وطاقاته الكامنة، ويمدنا بأدوات ومهارات نستطيع من خلالها التعرف على شخصية الإنسان، وطريقة تفكيره، وسلوكه، وأدائه، وقيمه والعوائق التي تقف في طريق إبداعه وتفوقه، كما يمدنا بأدوات وطرائق يمكن أن يحدث بها التغيير الإيجابي المطلوب في تفكير الإنسان وسلوكه وشعوره وقدرته على تحقيق هدفه، وبعضهم يجعلها فن الاتصال بعالمنا الداخلي والخارجي، أو هي فن الوصول بالإنسان إلى النجاح، أو هي كيفية التعامل مع نفسك ثم الآخرين.

وكما هو ملاحظ فهذه التعاريف لا تدل إلا على شيء نافع جدا ينبغي المسارعة لتعلمه وتعليمه، ولو كانت هذه هي حقيقة البرمجة اللغوية العصبية فلا شك أنه لن ينتقدها أحد من العقلاء لا في الشرق ولا في الغرب، أما ومنتقدوها كثر فالأمر خلاف ما يظنون، فهي في حقيقتها تشمل ضمن مزيجها المنتقى شيء من هذه المنافع والفوائد لتشكل إطارا يبدو مقبولا يدخلون من خلاله بفلسفاتهم إلى الناس كما سيأتي بيانه، هذا بالنسبة للمغرمين بالبرمجة اللغوية العصبية من المسلمين.

أما الغربيون روادها ومنشئوها فيعرفونها بما يوضح معالم تقنياتها

أكثر فيقولون: إنها خليط من العلوم والفلسفات والاعتقادات والممارسات تهدف تقنياتها لإعادة صياغة صورة الواقع في ذهن الإنسان من مدارك ومعتقدات وممارسات وعادات وقدرات بحيث تكون داخل الفرد وذهنه لتنعكس على تصرفاته، ويقول عنها مدربها العالمي ود سمول: البرمجة اللغوية العصبية عبارة عن مجموعة من الأشياء، ليس هناك شيء جديد فيها، أخذنا بعض الأمور التي نجحت في مكان معين، وشيء آخر نجح في مكان آخر وهكذا.

وإذا أردنا أن نعرّفها تعريفا موضوعيا بعيدا عن غرور المنبهرين وجهل الجاهلين ومنظور الغربيين، فلا بد من تفكيكها والنظر في حقيقتها من منظورنا الشرعي وثوابتنا العقائدية والعلمية، فظاهر البرمجة اللغوية العصبية ملبّس بمجموعة منتقاة من النظريات والفرضيات من علوم شتى إدارية ونفسية ولغوية، مع بعض الممارسات والتقنيات لمجموعة من الناجحين، أما لبها وحقيقة باطنها فهو إحداث حالات وعي مغيّرة لدى الإنسان بهدف إطلاق قوى النفس الكامنة، ومخاطبة العقل الباطن لإيصاله إلى النجاح والتميز، فيستطيع تغيير واقعه ومستقبله حسبما يريد بقدرات تتجاوز محدودية قدراته إلى قوى نفسه وعقله الباطن بحسب فلسفاتهم، فهي علم انتقائي قائم على ما تم جمعه من فروع العلم الأخرى المستقلة على الوحي الإلهي، كعلم النفس السلوكي والمعرفي وشيء من الإدارة وغيرها؛ فإنها تشمل بعض التقنيات السلوكية الصحيحة غير أنها ليست منها وإنما انتحلتها من غيرها، وقد بيّن ذلك بوضوح تاد جيمس أحد أبرز مدربيها في أحد مقالاته عن ماهية البرمجة اللغوية العصبية، كما أكده ود سمول بقوله: ليس في البرمجة شيء جديد.

ومن هنا فإنا نستطيع تعريف البرمجة اللغوية العصبية بأنها علم باطني له ظاهر يدعي أهله أنه يحسن قدرة الفرد على التعامل مع الآخرين وقدرته على محاكاة المتميزين، وله باطن يركز على التنويم بإحداث حالات وعي مغيّرة لزرع بعض الأفكار إيجابية كانت أو سلبية فيما يسمونه اللاواعي بعد تغييب إدراك العقل والوعي.

وعلى هذا فإن تتبع مضامين وتقنيات البرمجة بالنقد واحدة واحدة منهج غير صحيح فالبرمجة العصبية مستويات متعددة وبرنامج متكامل ينبغي أن يلاحظ وينقد بحسب طبيعته المتكاملة، ولا يفصّل النقد في تقنياته، وقد جمعت معا في برنامج واحد، إذ قد تكون منها واحدة جيدة مع بعض تنبيهات، والتقنية الأخرى مقبولة إلى حد ما لو وجدت وحدها أو في إطار آخر، أما وجودهما معا في برنامج واحد يبرز الإشكال الذي لم يكن واضحا في كل واحدة على حدة، وخذ مثالا على هذا ما أسماه بعض النقاد الفضلاء: عبادة العقل الباطن، أو إلغاء التوكل على الله، أو تعزيز الذاتية والاعتماد على القدرات، تجده أمرا من العسير نسبته لتقنية بعينها، أو تحديده بفرضية معينة من فرضيات البرمجة، ولكنك إذا فحصت برنامج البرمجة اللغوية العصبية كاملا وجدته يؤدي إلى هذه النتيجة، وهي نتيجة موجودة بوضوح في واقع كثير من المتدربين عليها، وكلما كان الالتزام بتدريبات البرمجة أكبر كانت النتيجة أوضح.

وسأذكر فقط ما لمسته بنفسي من شدة الغفلة عن الدعاء والافتقار والعبودية تحت التدريب المتواصل على مخاطبة اللاواعي وبرمجة الباطن وتنمية الذاتية والتوكل على النفس والقدرات، وهو ما عبّرت عنه إحدى الحاصلات على شهادة ممارس معتمد في البرمجة اللغوية العصبية

بقولها: إذا أردنا التعبد ندعو الله ونرجوه فيجيب دعاءنا سواء أعطانا سؤلنا أو لم يعطنا إياه، ولكن إذا أردنا تحقيق مطلبنا كما هو تماما، وبلوغ مرادنا مباشرة فلابد من الجزم والحسم عبر رسائل اللاواعي البرمجية دون ترجي أو سؤال! وهي نفسها البرمجة اللغوية العصبية فبعد أن عرفت الحق حرمتني لذة العبودية، وقلّ الدعاء في حياتي تدريجيا فقناعتي الداخلية بقدرات عقلي الباطن أزالت كل معاني الافتقار لقوة خارجية غيبية لا بد لكل مسلم من الإيمان بها، فهي فتنة، لم أكن ألتفت لكونها هكذا أبدا لكثرة ما تلقيت من مدربي هداه الله عن مشروعيتها وتوافقها مع منهج الدين الحنيف.

وذات ليلة وأنا أقرأ كتاب الله، استيقظ قلبي وأنكرت نفسي وبحثت لطلب الحق فأبصرت بفضل الله الفرق الشاسع بين منهج العبودية ومنهج البرمجة العصبية، فالحمد لله الذي هداني وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله.

ومن هنا فالنقد الذي يوجه لمضمون البرمجة اللغوية العصبية وتقنياتها هو نقد عام يشمل برنامج البرمجة اللغوية العصبية بجميع دوراتها ومستوياتها وملحقاتها، وليس نقدا مفصلا لكل تقنية على حدة، وهذا يشكل نقطة من أكثر النقاط خطورة في قضية التدريب على البرمجة اللغوية العصبية.

- نقد البرمجة في ثوابتها العلمية سبب كاف لرفضها والتحذير منها.

احتوت البرمجة اللغوية على أخطاء في المنهج العلمي لهذه الفرضيات والتدريبات وجعلته سببا كافا لرفضها والتحذير منها، فكثير من

المشاهدات التي بنيت عليها فرضيات البرمجة اللغوية العصبية ليست لها مصداقية إحصائية، تجعلها فرضيات مقبولة علميا، ومن ذلك تصنيف الناس بحسب ما يسمونه الأنماط التمثيلية إلى سمعي وبصري وحسي، وتحديد سمات لكل صنف، فذلك لا يعدو كونه مجرد ظنيات لم تثبت علميا، بل رفضها المتخصصون النفسيون بعد الملاحظة العلمية والتجريب فقال الدكتور مايكل هيب أستاذ علم النفس السريري بجامعة شفيلد ببريطانيا: إن البحث العلمي فشل في دعم هذه الفرضية.

كما أن الفرضيات التي تقوم عليها البرمجة تعامل وتطبق ويدرب عليها الناس باعتبارها حقائق، رغم أنها لا ترقى لمستوى النظرية، وأغلب التقنيات البرمجية ونظرياتها المعتمدة عليها مقتبسة من مراقبة بعض الظواهر على المرضى النفسيين الذين يبحثون عن العلاج، ثم تعمم على الأصحاء الذين يبحثون عن التميز، فعلى سبيل المثال لوحظ على المرضى الانجذاب لمن يحاكي تصرفاتهم ويوافق ذوقهم ويشبه حركاتهم، ومن ثم التأثر والقبول؛ فبنى على هذا في البرمجة اللغوية العصبية ما يسمى بتقنية الألفة التي مفادها أن تتبع حركة الفرد وطريقته ودرجة تنفسه ومحاكاة ذلك كله بطريقة خفية وسريعة يوجد ألفة خفية في اللاواعي، ويتيح الفرصة للقيادة والتأثير والتحكم الذي لا يعيه الفرد المقابل ولا ينتبه إليه.

ومن نفس هذا المنطلق العلمي نقد كثير من العلماء الغربيين البرمجة اللغوية العصبية معتمدين فقط على مصادمتها للمنهج العلمي وما فيها من الادعاءات غير المثبتة، فإذا كان رفض عقلاء الغرب لها بناء على خللها العلمي فقط، فكيف ينبغي أن يكون رفض عقلاء المسلمين الذين

يرون علاوة على هذا الخلل العلمي ما بنيت عليه فلسفتها من مصادمات لأصول عقيدتهم ومنهجهم، فبعض فرضياتها لها جذورها فلسفية متناقضة مع المعتقد الحق، كما يرى نقادها المسلمون وجها آخر من خطرها على العامة حيث تأخذهم في طريق الوثنيين والباطنيين ومنهم توقع شهاداتها واعتماداتها، وإليهم يرحل كثير من الأغرار من شباب الأمة الذين دلهم على خطواتها الأولى المدربين المسلمين هداهم الله.

ومن وجه آخر فهي تمثل خطر متحقق على الدين والعبودية بما تقدمه للمتدربين من تقنيات شكّلت عند عمومهم صوارف عن هدى الكتاب والسنة، وكذلك فمن نقاط النقد الموجهة إلى مضمونها، اشتمالها على بعض تقنيات فيها تشبّه بالضالين وضرر على العقل والدين، كما في الدعوة إلى الوصول للنشوة والغشية عبر الاسترخاء والتنويم الذي يمثل مطلوب البوذيين في النرفانا.

والنرفانا أو النشوة يُقصد بها الوصول إلى حالات الوعي المغيرة وهي الحالات التي يحدث فيها خروج عن سيطرة العقل الواعي بطرق شتى، وقد ذكرت دراسات علمية أن القبائل البدائية التي لا دين لها كانت تسعى دائما للدخول فيها بطرق كثيرة، منها ترديد ترنيمات خاصة، أو الدوران بصور رتيبة، أو التنفس التحولي، أو باتباع حميات غذائية قاسية أو بتمارين التركيز، كما توصلت الدراسة إلى أن الحالة المطلوبة هي الحالة نفسها التي كانت تصل إليها طوائف من المتصوفة والدراويش أثناء الدوران في الذكر والسماع، كما أنها الحالة نفسها التي يصل لها متعاطو المخدرات.

والذي رأى حقيقة ما يدور في قاعات التدريب على البرمجة اللغوية

العصبية، وجلسات العلاج البرمجية وما يتبعها من العلاج بخط الزمن وغيره في واقع بلاد المسلمين، وكيف يتأثر المنوّمين فيها بإيحاءات المنوِّمين لا يملك إلا أن يرفع صوته محذرا من خطر تقنيات البرمجة اللغوية العصبية وتدريباتها على المسلمين ذلك الخطر الذي قد يتجاوز أموالهم إلى أنفسهم وأعراضهم وعقولهم ودينهم الذي هو عصمة أمرهم بينما هم منومين بتقنيات البرمجة اللغوية العصبية وقد يكون المنوِّم ساحرا ملحدا.

- البرمجة اللغوية أصل فكرها وفلسفتها وتاريخها وتوجهات منشئيها.

قال الدكتور عبد الرحمن المحمود: (إن التركيز على خلفية العلوم الحقيقية أمر يجب ألا يُغفل عنه، فعندما نعرف أن هذه البرمجة ابتدأت مع أصول الانحراف عند فرويد، وعند فلان وفلان من الموصوفين بالمكر والمخادعة، يجب أن نعيد النظر فيها ونفحصها ولا يشتبه علينا قول خذ الحق ولو من الكافر فنحن نأخذه نعم إذا كان حقا والرسول ﷺ قال في قصة الغول المشهورة: صدقك وهو كذوب[1]. لأن الشيطان قال حقا وهو آية من كتاب الله ﷻ، لكن الرسول ﷺ عندما أتاه عمر ﷺ بقطعة من التوراة فيها عن بني إسرائيل ما هو حق وفيها ما ليس بحق، كما هو معلوم في الروايات عن بني إسرائيل قال: أفي شك أنت يا بن الخطاب، والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) [2].

والخطر في البرمجة اللغوية العصبية ليس فقط أنها وافدة من مشبوهين

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز ٢/٨١٢ (٢١٨٧).

(٢) رواه أحمد في المسند ٣/٣٨٧ (١٥١٩٥)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله، انظر إرواء الغليل (١٥٨٩).

فقط، بل لأنها تحمل فلسفاتهم وعقائدهم، كما أنها ليست مجرد نتائج لأبحاث علمية أو دراسات نفسية محايدة حتى نعتبرها حكمة مشتركة يسوغ لنا أن ننتقي منها ما يوافق ثوابتنا، بل هي فكر فلسفي عقدي ملحد يلبس ثوب الحكمة والعلم ليتسلل في صفوفنا، وحتى يتضح الأصل الفلسفي والفكر العقدي الذي تقوم عليه البرمجة اللغوية العصبية؛ لابد أولا من التعريف بأبرز الاعتقادات الفلسفات لفهم الكون والحياة التي يُنادي بها في العالم اليوم، وهي كثيرة جدا ويعنيننا منها لفهم موضوع البرمجة هذا عقائد ثلاث:

الأولى: العقيدة الصحيحة، وهي أصل جميع الأديان السماوية، وتظهرها بوضوح نصوص الوحي في الرسالة الخاتمة، ومفادها أن للكون إله حق واحد، متصف بالكمال والجلال على التفصيل والإجمال فله سبحانه ذات تليق بجلاله وعظمته، وله صفات عُلا أسماء حسنى، عرف نفسه بها لعباده بما أوحى لأنبيائه، وتتضمن هذه العقيدة تأكيدا على أنه تعالى مباين لخلقه مستو على عرشه، وأن كل ما عداه مخلوق من مخلوقاته مباين له مفتقر إليه.

والثانية: ما تسمى بعقيدة تأليه الطبيعة أو تأليه الوجود، ومفادها تصور مبني على الاعتقاد بأن الوجود شيء كلي واحد، سواء كان عقلا كليا، أو وعيا كاملا، أو طاقة كونية، أو قوة عظمى، وأن كل ما هو موجود إنما هو انطباع لذلك الكلي وتجلٍ له، فليس في الوجود شيء غيره، وهذه العقيدة هي أصل فكر أديان الشرق بتلوناتها الكثيرة، وبأسمائها المتنوعة التي من أشهرها الطاوية والبرهمية والبوذية، وهي ذات الفكر الذي تبناه كثير من فلاسفة اليونان، واصطلح على تسميتها

عند علماء المسلمين بعقيدة الصوفية في وحدة الوجود.

والثالثة: عقائد سرية باطنية نتجت من دمج عقيدة وحدة الوجود التصور الثاني مع التصور الأول من قِبل منتمين للديانات السماوية، فأنتج ذلك الدمج وحدة وجود باطنية تستخدم الألفاظ والمصطلحات الدينية وأهمها الإلوهية على التصورات الإلحادية في معتقدات الشرق الوثنية، وهذه الأخيرة تظهر جلية لدى اليهود والنصارى، وبعض فلاسفة المسلمين وغلاة المتصوفة، وشكّلت وتشكّل الخطر الأكبر على أصل الأديان السماوية والعقيدة الصحيحة لما فيها من التلبيس بباطنيتها.

وقد اتضح جليا من خلال الدراسة والبحث أن معتقد وحدة الوجود مثّل في العصر الحديث توجها قويا في الغرب، وظهرت لنشره جمعيات، وتبناه فلاسفة ومفكرون بصور شتى، أبرزها ما كان في القرن التاسع عشر الميلادي متمثلا في حركة النيوثوت التي أتى بها فينياس كويمبي ١٨٦٦م، ثم تلتها جمعية الثيوصوفي في نيويورك التي أسستها مدام بلافاتسكي١٨٩١م ونهجت بأنشطتها محاربة معتقدات الأديان السماوية بقوة وبمواجهة صريحة، وأظهرت عدائها للدين والفكر المستقى منه، فواجهتها الكنيسة وتصدى لها النصارى المتدينون بقوة، مما أدى لخفوت دعواتها بعد حذر الناس منها.

ولكن هذا الفكر المبني على عقيدة وحدة الوجود عاد مرة أخرى للظهور في الستينات الميلادية من القرن العشرين بعد احتضان الفكرة في معهد إيسلان بكاليفورنيا الذي أسسه مايكل ميرفي وريتشارد برايس سنة١٩٦١م، ويمثل هذا المعهد أحد أكبر المؤسسات البحثية التي تعارض

الفكر الديني من قِبل المتبنين لفكر الثيوصوفي، وتتبنى البحث في قوى الإنسان الكامنة وتتبع العقائد والفلسفات التي تحرر هذه القوى من أسر المعتقدات الدينية غير العقلانية بتعبيرهم، ويقصدون التحرر من المعتقدات السماوية القائمة على التلقي والنظر في كيفية نشر الفكر الروحاني بين العامة والخاصة كبديل عن الدين وبطرق متنوعة ومعاصرة.

وهكذا ظهر فكر وحدة الوجود بفلسفاته مرة أخرى من خلال معهد إيسلان تحت شعار حركة القدرة البشرية الكامنة بريادة كارلوس كاستنيدا ١٩٩٨م ومؤسسي المعهد، ولكن في هذه المرة بمنهج جديد لا يصادم الفكر الديني أو يواجهه وإنما يداهنه ويزاحمه ويسعى للتقارب مع فكر وعقائد أديان الشرق من بوذية وهندوسية وطاوية وغيرها، وأنتج المعهد قوالب جديدة لنشر هذا الفكر من خلال أكثر من عشرة آلاف دراسة للتقنيات والممارسات والفرضيات في القدرات الكامنة في فترة الأربعين سنة الماضية.

وتكونت في المعهد طائفة تسمت بحركة النيو إيج، أي المتعدون عن الدين، ومن أهم ما يميزها أنها ترى أن عصر التلقي من الوحي السماوي والتطبيق للأوامر الإلهية قد انتهى، وأن العصر الجديد يستطيع الإنسان فيه مع الطبيعة والعقل والقدرات غير المحدودة له أن يكفل صناعة حياته السعيدة، بشكل يضمن اشتراك الإنسانية جمعاء معه دون تمايز ديني، ذلك التمايز الذي لم يسبب على مدى العصور السابقة بزعمهم إلا الحروب والكراهية.

إذا في معهد إيسلان تكونت بذرة حركة النيو ايبج، ووضعت اللبنات الأولى لطرق نشر فكرها؛ فجُمعت عشرات الطرق والتقنيات

والتدريبات التي تتنوع لتلبي احتياجات متنوعة لدى الناس فتضمن بذلك انتشارا واسعا، ومن بين تلك الطرق البرمجة اللغوية العصبية، وانتشر حملة فكر النيو إيبج في أنحاء أمريكا لنشر فكرهم بتقنيات جديدة ذات قوالب تدريبية، وتكّونت لنشرها وترويجها عشرات المؤسسات الخاصة داخل وخارج أمريكا من أشهرها مؤسسة فايند هورن ببريطانيا.

وللتنبيه فإن معهد إيسلان يطور أبحاثه، ويغيّر إطار أفكاره بحسب نتائج ما يرى في واقع الناس وقبولهم، ولذلك ففي قاعاته اليوم وبرئاسة أحد مؤسسيه ويسمى مايكل ميرفي تعاد دراسة فكر عقيدة وحدة الوجود، وإعادة تشكيله ودمجه مع عقيدة الحلول والاتحاد ليتناسب أكثر مع اعتقاد أكثر الناس بوجود إله والرغبة في الطلب منه والاتصال به.

كما أن المعهد يمثل الآن جزءا من نشاط كبير تتبناه جامعات ومراكز أبحاث ومؤسسات فكرية للبحث عن المؤثرات الميتافيزيقية الماورائية للأداء البشري، ويعتمد هذا النشاط على القدرات البشرية الكامنة فقط، مغفلا ما تخبر عنه الأديان السماوية من عالم الغيب، وليس مستغربا من أهل الضلال تعظيم شأن العقل وإقحامه فيما لا مجال له فيه، ولكن الغريب أن يتبع الضالين فئام من المنتسبين للدين الحق؛ فيسيرون وراءهم ويقبلون تفسيراتهم، بل ويتدربون على برامجهم! وصدق رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى إذا دخلوا جحر ضب لدخلتموه)[1].

وعليه فهل البرمجة اللغوية العصبية بعد هذا البيان هي مجرد علم

---

(١) البخاري في الاعتصام، باب لتتبعن سنن من كان قبلكم ٦/٢٦٦٩ (٦٨٨٩).

حيادي وسلاح مؤثر استخدمه النيو اييج، وينبغي أن نستخدمه نحن المسلمين من باب أولى لأن الحكمة ضالتنا كما يزعم المدربون والمتدربون من إخواننا المفتونين بها ؟

- **أهم المؤسسين للبرمجة اللغوية العصبية والمؤثرين فيها من الغربيين.**

كل الأشخاص الذين ساهموا في تأسيس البرمجة اللغوية العصبية والمؤثرين فيها نيو ايج أي المبتعدون عن الدين قبل أن يكونوا مطوري برمجة، ثم تبنوها وأسهموا في إخراجها، وهم الآن أشهر مدربيها ومروجيها في العالم، فهي بتقنياتها وفرضياتها طريقة ممتازة لنشر فكرهم، وقالب جذاب لفلسفتهم، لا بطريق المواجهة والمصادمة، بل بالمزاحمة المتدرجة، ولا بطريق التنظير والفلسفة ولكن بطريق التدريب والتطبيق والممارسة، وأبرزهم:

١- ريتشارد باندلر ١٩٥٠م: وهو المطور الرئيس للبرمجة وصاحب فكرتها الأساسية مع زميله وأستاذه المشرف على رسالته جرندر الذي مازالت الاتهامات والمرافعات القضائية بينهما قائمة، وكان باندلر ملتحقا بمعهد إيسلان أثناء دراسته الجامعية، وعمل محررا لمسودات كتب فريتز بيرلز عام ١٩٧٠م، وهو رائد الدورات التدريبية المتدرجة التي تبدأ بتفعيل قوى النفس أو التنمية البشرية بالإيحاء وتقنيات البرمجة، وتنتهي باستمداد القوة الكونية والقوة السفلية فيما هو معروف عندهم من السحر والتعامل مع الأرواح.

٢- جريجوري بيتسون ١٩٨٠م: ويمثل المشجع الداعم فكريا وتنظيريا، وهو باحث في مجال السايبر نتكس، أي السيطرة على

المجتمعات من خلال الاتصال، وهو من المتبنين للفلسفة البوذية حتى إنه مات في مركز زن البوذي بمدينة سان فرانسسكو بأمريكا بعد أن قضى السنوات الخمس الأخيرة من عمره باحثا ومحاضرا في معهد إيسلان.

٣- كروزيبسكي ١٨٧٩م وشومسكي ١٩٢٨م: وهما أصحاب أبحاث سابقة استُفيد منها في انتقاء مضامين البرمجة وفرضياتها وتقنياتها، والأول أبحاثه تدور في مجال العلاج الذي يجمع بين الفلسفة النفسية وعقيدة وحدة الوجود في الأديان الشرقية، أما الثاني شومسكي فمن أبحاثه ومجالات إبداعه اللغويات والمناورة اللفظية، وإعادة تشكيل مدلولات الألفاظ والجمل ،أو ما يمكن ترجمته بالنفاق اللغوي وهي فلسفة الحداثة ذاتها.

والبرمجة اللغوية العصبية كما يقول مؤسسوها؛ بنيت على تقديم ثلاث نماذج لشخصيات متميزة هي: ميلتون أريكسون، وفرتز بيرلرز، وفرجينيا ساتير، وتشمل دراسة هذه الشخصيات الفكر والسلوك والمشاعر ودراسة أسباب نجاحهم، ودراسة تطبيقهم الناجح لأفكارهم وممارستهم لمعتقداتهم، وإليكم تعريفا بهؤلاء الثلاثة:

أ ـ ميلتون أريكسون ١٩٨٠م وهو مَن أبدع تقنيات الخروج من العقل إلى حالات الوعي المغيرة حتى نسب إليه ما يسمي التنويم الأريكسوني، وقد كان من المهتمين بالفلسفة البوذية، ويعتبر أسلوبه في التنويم والعلاج النفسي تطبيقا مباشرا لبوذية زن.

ب ـ فرتز بيرلز ١٩٧٠م وهو من رواد وحدة الوجود ومطور العلاج النفسي المسمى بالجشطالتي مع زوجته لورا بيرلز وهو علاج

معتمد ضمن تقنيات البرمجة اللغوية العصبية، وقد التحق بيرلز بمعهد إيسلان في عام ١٩٦٤م وعاش بها حتى مرضه عام ١٩٦٩م، حيث اعتمد عندها على الطالب الجامعي ريتشارد باندلر لكتابة مسودات كتبه في أوائل عام ١٩٧٠م.

ج ـ فرجينيا ساتير ١٩٨٨م وهي معالجة أسرية برعت في مجال التأثير على الآخرين، وعملت بمعهد إيسلان منذ عام ١٩٦٦م، وأسست أحد مراكز النيو اييج في أمريكا ويسمى مركز آفانتا الذي يعد أكبر مركز لبث وتسويق أفكارها وتقنياتها في العلاج الأسري بمفهوم وحدة الوجود ومعتقدات النيو اييج، وتتبنى فرجينيا الفكر الفلسفي الشرقي حتى أنها طلبت حرقها بعد وفاتها، وبث رمادها على معتقد الهندوسية في محاولات النجاة من جولان الروح حسب عقائد الهند، وتم حرقها بالفعل.

هذه توجهات مؤسسي البرمجة العصبية والتنمية البشرية والمؤثرين فيها والنماذج الأوائل بها، وهذه معتقداتهم التي تم تنظيرها وقولبتها في قوالب عدة وتقنيات تدريبية، وتم تسويقها وعرضها بطريقة البيع متعدد المستويات، ومن ضمن هذه القوالب والتقنيات دورات البرمجة اللغوية العصبية، أما الصفات الشخصية لهؤلاء من حيث سيرتهم وأخلاقهم فحدث ولا حرج عن سيرتهم السيئة التي كانت سببا كافيا لنبذ البرمجة اللغوية العصبية في الغرب.

قال الدكتور رشلي كرابو أستاذ علم النفس بجامعة يوتا بأمريكا: (إنه كان من أوائل المهتمين بالبرمجة اللغوية العصبية نظرا للادعاءات الكبيرة التي صاحبت ظهورها، وأنه أجرى العديد من البحوث في مجال تقييم

ادعاءات البرمجة اللغوية العصبية وكان متحمسا لها ثم تركها تماما سنة ١٩٨٦م، وأعلن فيها رأيه الأخير سنة ٢٠٠٣م فقال: لقد وجهنا لذلك الوليد البرمجة اللغوية العصبية غاية الاهتمام حتى سنة١٩٨٦م عندما حوكم مؤسس هذا العلم باندلر أبو الوليد في قضايا القتل وترويج المخدرات والقوادة، عندها ألقينا بالوليد مع المغطس) [1].

• **المطورون والناشرون لبدعة البرمجة اللغوية في الساحة الإسلامية.**

انتقلت بدعة البرمجة اللغوية العصبية من المؤسسين والمؤثرين الكبار في تكوينها إلى الساحة العربية والإسلامية عن طريق بعض المدربين الأكثر تأثيرا، ومن أشهر هؤلاء رجل يسمى وايت ود سمول، وهو مخترع تقنية العلاج بخط الزمن والتعامل مع الأرواح، ويعرفون العلاج بخط الزمن بأنه عملية إعادة تكوين عالية المستوى تجعل الفرد قادرا على إعادة التحكم في نفسه بسرعة، وتحجم معتقداته التي تحد من قدراته لتمكنه من الوصول لأهدافه من النجاح والتميز، ويفسرون قوة هذه التقنية بأنها تمسح المحدوديات المنطبعة في أذهاننا التي وجدت في ماضينا من قناعات أو اعتقادات غير عقلانية بتعبيرهم،.

وطريقة هذا العلاج تتلخص في إدخال الفرد في حالات وعي مغيرة متنوعة المستويات، ثم تطبيق تمارين معينة بالذهاب للماضي والمستقبل، وقد يكون ذلك بقوة الخيال، وقد يصاحبه تعامل مع الجن، أدرك ذلك المدربون أو لم يدركوا، حيث كثيرا ما تعتري العميل حالات هلوسة أو تخيل صور وغيرها، وهذا يفسره المعالجين بنشاط القدرات النفسية

---

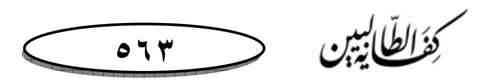
(١) نقلا عن حقيقة البرمجة اللغوية العصبية تأليف دكتورة فوز بنت عبد اللطيف.

والقوى الروحية بسبب خروج الإنسان من قيد الوعي عبر حالات الوعي المغيرة إلى الوعي الكامل اللاواعي.

وقد صرح تاد جيمس للمتدربات المسلمات معه أن فعالية هذه التقنية تتم عندما يكون المدرب قادرا على إرجاع العميل لحياته السابقة حسب عقيدة تناسخ الأرواح، كما صرح أحد المتدربين المسلمين مع ود سمول بأنه تعجب كثيرا من فعالية هذه التقنية لأنه قابل أثناء تنويمه أشخاص سابقين في حياته، ومنهم موتى وتخاطب معهم، وتُعد مدرسة ود سمول في عالمنا العربي وفي السعودية من أكبر مدارس البرمجة، ولها ممثل خاص بدول الخليج لاتحادها العالمي للبرمجة العصبية يرأسه أحد أهل الدعوة والعلم الشرعي هداه الله.

ويعد تاد جيمس من أشهر مدربي البرمجة للمدربين المسلمين، ومدرسته من أشهر مدارس البرمجة التي ينتمي لها كثير من المدربين السعوديين، إذ أنه مع ود سمول يتنافسان على السوق السعودية، وفي أوقات متقاربة عام ٢٠٠١م قدمت أول دورة على مستوى مدرب لهما في العالم الإسلامي في كل من مصر والبحرين، ومن بعدها توالت دوراتهما في البلاد.

ويعتبر تاد جيمس هو صاحب جامعة أميركان باسيفك الجامعة الوحيدة التي اعتمدت البرمجة اللغوية العصبية ضمن مناهجها، وتعد الجامعة الرئيسة للعلوم الباطنية في أمريكا، وتقدم برنامجين فقط لمرحلتي البكالوريوس والدكتوراة، البرنامج الأول في العلاج بالتنويم، ومن ضمن مقرراته التنويم الشخصي، تنويم الآخرين، التنويم الحديث، علم تناسخ الأرواح عبر التنويم، الأنظمة الرئيسة للبرمجة اللغوية العصبية،



تقنيات حديثة للبرمجة اللغوية العصبية.

والبرنامج الثاني في الدراسات الباطنية يدرسون عددا من المقررات من ضمنها مقدمة للدراسات الباطنية، الطب الذبذبي، الانعكاسي، الهوائي، الشمان، تانترا التبت، التانترا الطاوية، الهونا، الترانيم القديمة، الريكي، التارو، العلوم الباطنية الغربية، القبالة، الفينج شوي، تاريخ السحر، الراجا يوجا، التنجيم، العلاج بالطاقة، وتشريح الروح.

كما أنه مبتكر دورات الهونا التي تصوغ فلسفة دين هواي الوثني وعقيدة وحدة الوجود في صورة مستويات متدرجة تدريبية تتميز بتفعيل أسرع، وإطلاق أكثر لما يسمونه قوى النفس باستخدام الترانيم والطقوس الوثنية والرقصات الدينية لأهل جزر هواي، لأنهم نشئوا بعيدين عن تأثير الأديان السماوية، فعقائدهم كما يزعمون هي الصحيحة لأنها تعتمد على حاجاتهم وقدراتهم الروحية لا على مصدر خارجي عنهم، وكان ضمن المتدربين في دورته للهونا عام ٢٠٠٣م أحد الدعاة وحفظة القرآن الكريم من الخليجيين.

وهناك رجل آخر ممن نقلوا بدعة البرمجة اللغوية العصبية إلى العالم العربي يسمى أنتوني روبنز الذي يدرب بشكل جماهيري على البرمجة، وتنظم بعض المؤسسات التدريبية في السعودية ودول الخليج رحلات تدريبية للمسلمين معه في بريطانيا وأمريكا، وهو المشهور بدورات أيقظ العملاق في داخلك وأطلقه، وتتضمن تدريبات المشي على النار منفصلة أو متصلة بالبرمجة اللغوية العصبية.

- صلاح الراشد لم يكتف بنقل البدعة وإنما ناصرها بنصوص الإسلام.

يعتبر صلاح الراشد أحد الثلاثة المسلمين الذين أدخلوا البرمجة اللغوية العصبية لدول الخليج، وهو من الدعاة وطلبة العلم الشرعي وحفظة كتاب الله، ولكنه في الآونة الأخيرة أفصح بجلاء عن تبنيه لنفس الفكر وفلسفاته، فبقراءة متأنية لما يوزع في كافة مراكز الراشد بالكويت يظهر بوضوح بثه لتصورات وحدة الأديان، والوعي الكامل والعقل الكلي، والتأكيد على أن الدنيا احتمالات كثيرة كلها في مستوى واحد، وليس هناك حق وباطل، وإيمان وكفر، وإنما هي مجرد نظرات مختلفة من زوايا مختلفة بثقافة وبيئة مختلفة لا أكثر ولا أقل.

وتتضمن دعوات متكررة للتأمل التجاوزي والقراءة في نبوءات الكهنة، وكتب الديانات المختلفة باعتبارها علم وتراث من رؤية خاصة كما أن القرآن والحديث علم من رؤيا خاصة، والقرآن يمثل العهد الأخير من بعد العهد القديم والعهد الجديد.

وصلاح الراشد لم يكتف بنقل بدعة البرمجة العصبية بما تحمله من فلسفات وثنية، بل قام بمزجها بنصوص إسلامية وابتدع التقنية التطبيقية لما أسماه قانون الجذب، وتغيير المستقبل مستدلا بالنصوص الشرعية على منهج وطقوس وفلسفة الطاوية والبوذية في قوى النفس.

ولد الدكتور صلاح الراشد بالكويت عام ١٩٦٣م، وحصل على الثانوية الأمريكية، وكذلك البريطانية، ثم درس علم الاجتماع في جامعة ميتشيجان بالولايات المتحدة، وحصل على ماجستير في الدراسات الإسلامية من باكستان، وحصل على دكتوراه في علم النفس الإدراكي من ميتشيجان، وحصل على دبلومي الطب النفسي والعلاج النفسي من بريطانيا، والدكتور ممارس مرخص في البرمجة اللغوية

العصبية والتنويم والعلاج به من بريطانيا.

ويعمل رئيسا لمجلس إدارة شركة فانشايز الراشد منذ عام ١٩٩٨م، كما كان أمينا عاما للجنة التعريف بالإسلام منذ عام ١٩٨٩ حتى ١٩٩٥، وقد بدأ العمل بشخصين وميزانية لا تزيد عن ٤٥ ألف دولار حتى وصل إلى ميزانية تفوق المليون دولار وتسعين عاملا باللجنة.

وصلاح الراشد يعدونه من الكفاءات العربية والإسلامية المشهود لها في مجال تفعيل دور الشباب العربي والإسلامي في المجتمع من خلال البرمجة اللغوية العصبية، وتأسيس مركز الراشد للتنمية الاجتماعية الذي يؤهلهم حسب زعمهم في العديد من مجالات الحياة، من خلال عقد العديد من الدورات والندوات التثقيفية والتدريبية للبرمجة اللغوية العصبية، وقيامة برحلات شبابية تعليمية تربوية تؤهلهم للاعتماد على النفس حول العديد من دول العالم، ويمتلك قناة سمارت الفضائية والتي بها العديد من برامج البرمجة اللغوية العصبية في العديد من مجالات الحياة.

ولكن على حد تعبير أحد المتأثرين به المعجبين ببرمجته يقول: مما أحزنني وأساء إلى كثير من جمهور الدكتور بارك الله فيه، كما أنه أساء بالدرجة الأولى إلى هذا الصرح من صروحنا التربوية العربية أنني وأثناء مشاهدتي للقناة المذكورة، ومتابعة برنامج عن أحد رحلات دكتورنا العزيز في جزر المالديف بالأخص، شاهدت في هذه الرحلة التي كانت تعرض على شاشة القناة اختلاط بين شباب وشابات ورجال ونساء مع ارتداء النساء ما يخل بالأدب من ملابس ضيقة وقصيرة، وهذا لا يليق بديننا، ولا عاداتنا ونربأ بدكتورنا العزيز عن مثل هذه التصرفات التي أعيد وأكرر أنها ساءت جمهوره المحب له، كما أسأت إليه بالدرجة

الأولى، كما أننا نذكره بما كان يذكرنا به هو دائما من الأسوة في التربية والتقيد بما جاء في الكتاب والسنة والاقتداء بنبينا محمد ﷺ الذي نهى عن اختلاط الرجال بالنساء حتى أثناء خروجهن من الصلاة، مع الأخذ في الاعتبار أنهن يرتدين النقاب، وكن يصلين خلف خير البرية محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، أي في عبادة، وليس في رحلة ترفيهية ولا حتى تربوية، فما نقل عن حمزة ابن أبي أسيد الأنصاري ﷺ عن أبية أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: (استأخرن فإنه ليس لكن أن تحتضن الطريق، عليكن بحافات الطريق، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به) [(١)].

ثم يتابع قائلا: فنتمنى من دكتورنا العزيز أن يتقي الله في نفسه ويتقي الله فيمن معه من الشباب وأن لا ينشأهم على غير ما كان يدعونا له.

ثم تحول صلاح الراشد من إمام مسجد في الكويت منذ أكثر من خمسة عشر عاما وفاجأ جميع من حوله بطرح ألبوم موسيقي مع شركة روتانا للصوتيات يضم أحد عشر أغنية، ويحمل اسم كن كما تشاء، منها ما هو عربي وآخر باللغة الإنجليزية، وجميعها من كلماته وألحانه مستخدما فيها جميع الآلات الموسيقى صراحة خلاف ما يلجأ إليه البعض في استخدام الدفوف أو الصدى في التمويه، واتصلت قناة الجزيرة بالدكتور الراشد الذي تحدث من مقر إقامته في بلده قائلا: جميع أغاني ألبومي ترمي إلى أهداف ومضمون أطمح لها لتتحدث واحدة منها عن غزة وأخرى

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق ٤/٣٦٩ (٥٢٧٢)، وحسنه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٨٥٦).

فيها رسالة موجهة للرئيس الأمريكي الحالي باراك أوباما وأغنية وحيدة تخص السعودية ومستثنيها عن باقي الدول العربية.

وحول ردود الفعل، قال الراشد: إن هناك ردود فعل متنوعة منها ما هو مؤيد وآخر معارض، لكن الألبوم لقي قبولا واسعا وكبيرا بين الجمهور رغم أن طرحه في الأسواق لم يتجاوز الأسبوعين، وقد نفذ في الكثير من مراكز البيع، ولكم أن تسألوا روتانا عن هذا الإقبال، وأنا سعيد بهذه الأصداء، وبكل شجاعة ووسط أجواء متأزمة طرح إمام المسجد سابقا ألبومه الغنائي الأول، الدكتور صلاح الراشد وجد بالغناء الوظيفة الأنسب له من وظيفة إمام مسجد، صلاح الراشد الذي أبدع بمؤلفاته عن القيم الإنسانية بالبرمجة اللغوية العصبية والمحاضرات الأخلاقية والمساهمات في الجمعيات الخيرية، قدم هديته الإضافية إلى محبيه ومريديه في التنمية البشرية وهي ألبوم غنائي في روتانا أغاني.

- **صلاح الراشد يمثل الجعد بن درهم في نقل ثقافة الفكر اليهودي.**

لقد كان الجعد سفير الفكر اليهودي إلى بلاد المسلمين عندما أخذ مقالته في التعطيل وتقديم العقل على النقل بغير دليل عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي، الساحر الذي سحر النبي ﷺ. وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل: من أهل حران، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة، بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين، الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم [1].

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٢٠.

وهو بذاته ما يفعل صلاح الراشد في نقل البرمجة اللغوية العصبية عن فلسفات الديانات الوثنية الشرقية التي بنيت عليها فلسفة البرمجة اللغوية العصبية والتي رفعوا لها شعار التنمية البشرية والتنمية الاجتماعية والثقافية.

قال ابن تيمية: (أصل مقالة التعطيل للصفات، إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فان أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام، أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى، ونحو ذلك، هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي، الساحر الذي سحر النبي ﷺ. وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل: من أهل حران. وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة، بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين، الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم) [١].

وكان قد تجلى حقد اليهود بعد هزيمتهم، والقضاء عليهم في إقدامهم على إيذاء النبي ﷺ بسحرهم، وطرقهم المعهودة في الغدر، والوقيعة بين أبناء الأمة حتى حدثت الفتنة التي قتل فيها الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ.

روى الإمام البخاري من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها

(١) السابق ٥/٢٠.

قَالتْ: (سَحَرَ رَسُول اللهِ ﷺ رَجُل مِنْ بَنِي زُرَيْق، يُقَال لهُ لبِيدُ بْنُ الأعْصَمِ، حتى كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ يُخيَّل إليْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَل الشَّيْءَ، وَمَا فَعَلَهُ، حتى إذا كَانَ ذاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذاتَ ليْلةٍ وَهُوَ عِنْدِي، لكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَال: يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلان، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْليَّ، فَقَال أَحَدُهُمَا لصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُل؟ فَقَال: مَطْبُوبٌ، قَال: مَنْ طَبَّهُ؟ قَال: لبِيدُ بْنُ الأعْصَمِ، قَال: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَال: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلعِ نَخْلةٍ ذكَرٍ، قَال: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَال: فِي بِئْرِ ذرْوَانَ، فَأَتَاهَا رَسُول اللهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَال: يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، قُلتُ: يَا رَسُول اللهِ، أَفَلا اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَال: قَدْ عَافَانِي اللهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثوِّرَ على النَّاسِ فِيهِ شَرًّا، فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ) (١).

ذلك السحر إنما صدر عن حقد يهودي امتد ليفرق كلمة الأمة بظهور عبد الله بن سبأ اليهودي، ثم امتد ليصل إلى الجعد بن درهم وتلميذه الجهم بن صفوان، فعقائد الجهم ونظرياته إنما هي تشكيك في العقيدة، واعتراض على الوحي، استقاها من أسس يهودية بعيدة كل البعد عن منهج الصحابة في العقيدة الإسلامية.

وصلاح صالح الراشد من مواليد الكويت ١٩٦٣م، وحاصل على بكالوريس علم الاجتماع، وماجستير في الدراسات الإسلامية وحاصل

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطب، باب السحر ٥/٢١٧٤ (٥٤٣٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب السحر ٤/١٧١٩ (٢١٨٩).

على دكتوراه الفلسفة في علم النفس، يشبه الجعد بن درهم إذا نظرت إلى أفعاله فهو ممارس أول في البرمجة اللغوية العصبية، وممارس مرخص بالتنويم المغناطيسي ودبلوم العلاج بالتنويم وممارس مرخص في العلاج بخط الزمن، ورئيس مركز الراشد للتنمية الاجتماعية والنفسية، وله إصدارات عدة منها، كن مطمئنا، البرنامج العلمي للتغلب على القلق، وكن شجاعا، البرنامج العلمي المواجهة المخاوف، وبرنامج السعادة في ثلاثة شهور، ومئة فكرة للحصول على السعادة الحقيقية، وكيف تصبح متفائلا؟ وكتاب مجددو الإسلام، وغيرها من الكتب.

يقول في كتابه كيف تخطط لحياتك: (فجمعت مجموعة من المعلومات والتجارب القيمة لأناس مهتمين بتطور حياتهم بالفعل، وتكمن الأهمية لهذا البرنامج في كونه برنامجا علميا مكتوبا ينفع الناس الراغبة في وضع رسالة ورؤية لحياتهم، وهو يعالج مشكلة كيفية الانطلاق في حياة بما فيها من عقبات ومشاكل لابد من تحديد رسالة لحياتك، ووضع أهداف وسوف تتعلم عدة أمور منها، كيف تكتشف رسالتك الحالية في الحياة؟ كيف تضع أو تغير في هذه الرسالة وفق ما تتمناه؟ وكيف ترسم خطة استراتيجية وبعيدة المدى لحياتك؟ وكيف تضع خطة قصيرة المدى وسريعة التنفيذ؟ وكيف تطبق الخطة؟ وكيف تكون شخصا منجزا وفعلا؟.. إلى أن قال: إن كل ما أود أن أسمعه منك هو أنك فعلا مستعد لذلك، وبعدما تضع خطتك لحياتك ورؤيتك وتتبع بعض الإرشادات التي سأذكرها لك سوف تفاجأ من التغييرات التي ستطرأ على حياتك سترى أبواب التوفيق تتفتح لك، وستشعر بأن لحياتك معنى ستحب الحياة، ولن تهاب الممات سيتساوى لك الأمران،

وستثري جوانب حياتك المتنوعة وستترك لمن بعدك إرثا ماليا أو علميا أو خلقيا أو غير، أو كل ذلك، إن هذا البرنامج ليس لعمر معين فقد تكون في سن المراهقة، وقد يكون عمرك في السبعين إن كلا الأمرين متساويان، هذا البرنامج ليس لثقافة معينة أيضا، فقد تكون أستاذ دكتور في الجامعة، وقد تكون من حملة الشهادات الابتدائية حتى إذا كنت لا تقرأ ولا تكتب، فيمكنك متابعة البرنامج من خلال من يقرأ ويكتب لك، هذا البرنامج لكل إنسان يود أن يضع لحياته معنى، وأن يتعلم كيف يحقق أمانيه بطريقة تضمن له بعون الله ذلك) [(١)].

ثم يمزج مصطلحات بدعة البرمجة التي استوردها من فلسفة المدربين الكافرين ويضع تحتها المعاني التي وردت في كلام رب العالمين على بعض الألفاظ المتوافقة، فتناول المعنى المختصر لكل من الرسالة والرؤية فذكر أن الرسالة ويحلو للبعض أن يسميها المهمة أو الدور، وهي ما تود أن تسير عليه في الحياة وتقول لشخص: ما رسالتك في الحياة؟ أو ما دورك في الحياة؟ أو ما مهمتك في هذه الحياة؟. والرؤية هي النتيجة النهائية التي تسعى شخصيا لصنعها يعني هو ما تود الوصول إليه، والرؤية كلمة عامة للأهداف بما أن الأهداف تنقسم إلى بعيدة ومتوسطة وقصيرة المدى.

ثم يقحم الرؤية والرسالة بالمعنى القرآني النبوي في الرؤية والرسالة بالمصطلحات التي أنشأها في بدعة البرمجة العصبية، ويزعم أن الرؤية والرسالة وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ

---

(١) كيف تخطط لحياتك للدكتور صلاح الراشد ص١٦ نشر مركز الراشد.

ﭐلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الفتح:٢٧.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ المائدة:٦٧.

ثم يوحي للناس أن قواعد البرمجة التي يبتدعها تنطبق على الأنبياء والرسل والقادة الذين غيروا في أممهم ومجتمعاتهم، فذكر أن الناس أربعة أنواع في الرسالة والرؤية:

١- رسالة ورؤية: فهؤلاء يعرفون مسارهم وتخصصهم فيه، ولديهم أهداف واضحة، فهؤلاء العظماء المؤثرون السعداء الأقوياء المنتجون الواضحون المقدامون، مثلهم مثل الأنبياء والرسل والقادة الذين غيروا في أممهم ومجتمعاتهم وأروع الأنبياء محمد ﷺ وأروع القادة الخلفاء.

٢- رسالة دون رؤية، فهؤلاء يعرفون مسارهم لكن ليس لديهم خطة مكتوبة، فهؤلاء صالحون نافعون والقادة وهؤلاء جيدون غير أنهم غير واضحين في تحقيق الرسالة ليس لديهم خطة ومتابعة.

٣- رؤية دون رسالة، فهؤلاء يعرفون ما يريدون دون أن يحددوا مسار حياتهم مثلهم مثل العاملين في مؤسسات هادفة، والتجار المركزين في تجارتهم فقط من أجل المال والنجاح، وهؤلاء جيدون في الخطوط الثانية في سير الحياة لكن عادة ما يحققون النجاح ولا يحققون السعادة.

٤- لا رسالة ولا رؤية، فهؤلاء لا يعرفون مسارهم في الحياة ولا يعرفون ما يريدون فهم أنواع، منهم الحائرون .. الخ.

ثم تكلم عن الرسالة الشخصية، وكيف تضع رسالتك في الحياة، وما رسالتك الحالية؟ ثم استعرض صلاح الراشد طريقة البرمجة العصبية، في الصعود وأخذ القارئ بتسلسل للوصول إلى اكتشاف رسالته، وتكلم عن محتويات مهمة في الرسالة، ربك. نفسك. الآخرين. غايات أخرى. وبين أنه يمكن التعديل والتغير في الرسالة ولكن ليس بشكل مستمر، وأنه إذا عجزت عن ذلك يمكنك أن ترجع إلى سير الناجحين.

ثم يستشهد بنصوص من الكتاب والسنة لكل ما يلقى في خواطره من أفكار بدعية وشبهات يعتقدها حقا وهي من نزغ الشيطان وتلبيسه حتى يظن الظان أن البرمجه العصبية التي تكونت من ملل الكافرين والملحدين هي الأصل الذي يرفع الإيمان في نفوس المؤمنين.

- **ما أحدثه إبراهيم الفقي من البدع يماثل ما أحدثه الجهم بن صفوان.**

ومن مشاهير مدربي البرمجة اللغوية العصبية في العالم الإسلامي دكتور إبراهيم الفقي وهو مصري هاجر إلى كندا لدراسة الإدارة، وبدأ هناك في وظيفة غسيل الأطباق، وفي وظيفة حارس لمطعم، وحمال كراسي وطاولات في فندق بسيط، وتدرج في الوظائف الفندقية حتى درجة مدير قسم في قطاع الفنادق بفندق فلسطين بالإسكندرية ووصل إلى الدرجة الثالثة وهو في سن الخامسة والعشرين.

حاصل على مرتبة الشرف الأولى في السلوك البشري من المؤسسة الأمريكية للفنادق، وحاصل على مرتبة الشرف الأولى في الإدارة والمبيعات والتسويق من المؤسسة الأمريكية للفنادق، وحاصل على ثلاثة وعشرين دبلوم حسب زعمه، وثلاث من أعلى التخصصات في علم

النفس والإدارة والمبيعات والتسويق والتنمية البشرية، وشغل منصب المدير العام لعدة فنادق خمسة نجوم في مونتريال كندا، وله عدة مؤلفات ترجمت إلى ثلاث لغات الإنجليزية والفرنسية والعربية حققت مبيعات لأكثر من مليون نسخة في العالم، درب أكثر من ستمائة ألف شخص في محاضراته حول العالم، وهو يحاضر ويدرب بثلاث لغات الإنجليزية والفرنسية والعربية، وبطل مصر السابق في تنس الطاولة، وقد مثل مصر في بطولة العالم في ألمانيا الغربية عام ١٩٦٩م.

ولو رجعنا إلى الوراء لوجدنا أن أساس البلاء والشقاء، وحامل لواء مقدمي العقل الباطن والآراء على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، رجل يدعى الجهم بن صفوان الخرساني الذي توفى في نهاية الربع الأول من القرن الثاني الهجري [(١)].

وكان الجهم ت:١٢٨هـ في شخصيته كشخصية إبراهيم الفقي متحذلقا كثير الكلام والجدال، ولم يكن له علم بالشرع، ولا مجالسة لأهل العلم، بل كلامه وجداله أساسه التفلسف في الرأي، والسفسطة بالهوى والعقل، وأنت ترى في شخصية الفقي رجلا تربي بين الفنادق

(١) انظر ترجمته في أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي ص٢٣٠، وإثبات صفة العلو لابن قدامة ص١٣١، وإيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد لمحمد القاسمي ص٢٨٩، والتحفة المدنية في العقيدة السلفية لحمد آل معمر ص١٦٦، والرد على القائلين بوحدة الوجود لعلي الحنفي ص٣٠، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٣/١٠٥، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٩٣، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ص٥٤٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/٣٥٠.

السياحية وما فيها من مناظر جنسية يعف اللسان عن ذكرها.

كانت عقائد الجهم بن صفوان ونظرياته إنما هي تشكيك في العقيدة، وبرمجة الوحي الإسلامي على رؤيته الخاصة بحسن نية طبعا كما يحدث من رائد التنمية البشرية إبراهيم الفقي، وقد استقاها الجهم كما هو معلوم من أسس يهودية بعيدة كل البعد عن منهج الصحابة في العقيدة الإسلامية، كذلك استقى إبراهيم الفقي البرمجة العصبية عن خليط من الفلسفات الكفرية بعيدة كل البعد عن منهج الصحابة في العقيدة الإسلامية، وحسن صورتها وسماها دورات التنمية البشرية.

استمد الجهم بن صفوان فكره من طريق وثني، ظهر إثر احتكاكه بالمشركين، فالجهم لقي أناسا من المشركين، يقال لهم السمنية، نسبة إلى قرية بالهند تسمى سُومَنَات. وهي فرقة تعبد الأصنام، وتقول بتناسخ الأرواح، وتنكر الوحي والدين، جرت بينهم وبين الجهم مناظرة عقلية. لما عرفوا الجهم قالوا له: نكلمك ونناظرك، فإن ظهرت حجتنا عليك، دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا، دخلنا في دينك، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له: ألست تزعم أن لك إلها؟ قال الجهم: نعم. قالوا له: فهل رأيت إلهك؟ قال: لا. قالوا: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا. قالوا: فهل شممت له رائحة؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له حسا؟ قال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إله؟ فتحير الجهم، فلم يدر من يعبد أربعين يوما [1].

---

(١) انظر الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل (١/١٩) ، وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/٣١٨)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢١٨).

وقد استدرك الجهم بن صفوان حجة كحجة النصارى الذين يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو الله، وأن الله يحل فيه، فإذا أراد الله أمرا، دخل في عيسى فتكلم على لسانه، فيأمر بما يشاء، وينهى عما يشاء، وهو روح غائبة عن الأبصار، فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، وقال لمن ناظره من السمنية: ألست تزعم أن فيك روحا؟ قال السمني: نعم، فقال له: هل رأيت روحك؟ قال: لا. قال: فسمعت كلامها؟ قال: لا، قال: فوجدت لها حسا؟ قال: لا. قال: فكذلك الله لا يرى له وجه، ولا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، وهو في كل مكان، فالمخلوقات بمثابة الجسد، والله ﷻ في داخلها بمثابة الروح [١].

قال أبو معاذ البلخي: (كان جهم على معبر ترمذ ـ بلد من نواحي إيران ـ وكان رجلا كوفي الأصل، فصيح اللسان، لم يكن له علم، ولا مجالسه لأهل العلم، وكان قد تناقل كلام المتكلمين، وكلمه السمنية، فقالوا له: صف لنا ربك الذي تعبده؟ فدخل البيت لا يخرج كذا وكذا، ثم خرج عليهم بعد أيام فقال: هو هذا الهواء، مع كل شيء، وفي كل شيء، ولا يخلو منه شيء) [٢].

بهذا الفكر العقلي الخبيث الذي زعم به الجهم بن صفوان أن الله ﷻ حل في مخلوقاته، وهو بذاته في كل مكان، نظر في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فما توهم بظنه السيئ أنه

---

(١) السابق ١/١٩.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي ٣/٣٨٠ (٦٣٥) نشر دار طيبة، والعلو للعلي الغفار للذهبي (١/١٥٥)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/٣٣٧).

يوافق رأيه من النصوص احتج بها، وما توهم أنه يخالف مذهبه منها، أنكرها وعطلها عن مدلولها، وإن كانت تلك النصوص من السنة الصحيحة فالويل لها منه، فقد اتهمها بأنها أمور ظنية وآحاد مروية لا تدل على اعتقاد، فوجد قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ الحديد:٤. فأخذه حجة لرأيه في الحلول والاتحاد.

وكذلك وجد قول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ الأنعام:١٠٣. فبنى عليه نفي صفات الله وتعطيلها. ووجد قوله ﷻ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ طه:٥. وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ المعارج:٤. يخالف ما ذهب إليه من القول بالحلول. ماذا صنع الجهم بتلك النصوص؟

لقد كان إبراهيم الفقي متخوفا من تدريب الناس على البرمجة اللغوية العصبية في العالم العربي في البداية، لكنه فوجئ بالسوق الرائجة للبرمجة، بل والطلب الشديد على الطاقة والتأمل والتنفس، مما جعله ينقل إليه كثيرا من تجارته، ويتعاون مع دكتور صلاح الراشد الذي يماثل الجعد بن درهم في تقديم دورات المستويات العليا في ما يسمى الطاقة البشرية يدرب فيها على طقوس أكثر ومفاهيم الأديان الشرقية مخلوطة بتقنيات إدارية وسلوكية تحت اسم البرمجة الغوية العصبية والطاقة البشرية وغيرها.

- التنمية البشرية مبنية على تقديس العقل والمبالغة في القدرة البشرية.

إن المتتبع لمسلمات برمجة اللغة العصبية أو فلسفة هذا العصر في التنمية البشرية يجدها تزعم كسابقيها أن بمقدور العقل واللغة عمل العجائب والمعجزات في حياة الإنسان، وقسمت العقل إلى: عقل واعي وعقل

لاواعي أو باطن. وتزعم أن العقل الباطن هو مصدر قوة الإنسان، فقد ذكر ميرفي في كتابه قوة عقلك الباطن توضيحا لمفهوم العقل الظاهر والعقل الباطن، حيث أشار أن الأول هو الواعي الذي هو يكمن فيه القرار، ويتعامل مع الأمور الظاهرية والخارجية؛ فيكتسب منها الإدراك والمعرفة من خلال حواسه الخمس ووظيفة التفكير.

أما الثاني العقل اللاواعي الذي هو مصدر الذكاء، يكتسب علمه ومعرفته من البيئة المحيطة به بواسطة الحدس والبديهة، وهو مركز العواطف والانفعالات، ومخزن للذاكرة، ومن تقرير ميرفي بأن العقل الباطن يؤدي أعظم وظائفه في حال غياب الحواس الخمس، وذلك في حالة النعاس أو النوم أو الهدوء، يتبين سبب استخدامهم للتنويم المغناطيسي وذلك لتعطيل العقل الواعي.

ويزعم ميرفي أن هذا العقل الباطن بإمكانه أن يرى كل ما هو واقع خارج نطاق البصر، وبإمكانه مغادرة الجسد ويرحل إلى أماكن بعيدة لجلب معلومات مهمة عن الشخصية أو النمط المُراد، ويزعم أن العقل الباطن بإمكانه قراءة أفكار الآخرين، وتقدير محتويات الخطابات والخزائن المغلقة، ويؤكد أهل هذه المهنة أن العقل الباطن يتقبل أي افتراضات أو إيحاءات مهما كانت خادعة أو غير صادقة، ولذلك فإن العقل الواعي يستجيب وفقا لطبيعة الافتراض المُوحى إليه من قِبل العقل الباطن.

وهذا من قبيل التأثير الإيحائي والتخييلي وإدخال الشعور في اللاشعور عن طريق التخاطب مع العقل الباطن بإملاء أو إرسال رسائل متواصلة وهمسات متكررة وتخييلات حتى يستوعبها وتستقر فيه، وبذلك

يتحكم اللاشعور أو اللاواعي في هذا الإيحاء، فيستلم زمام الأمر ويستمر ليوحي ويذكر ويقرر كما يزعم أهل البرمجة.

والتأثير الإيحائي والتخييلي في الأصل يرتكز على تأثير وقوة الكلمات والألفاظ والعبارات وتمويجها وزخرفتها ولحنها ورنين ونبرة الصوت وهمسه؛ لتؤثر على العقل الباطن اللاواعي، وكذلك جُعل للعقل الباطن قوانين تخالف النقل الصحيح والعقل الصريح كقوانين الجذب والحسم والتحكم والتنبؤ وغيرها.

وهذه الفلسفة أو تقنية البرمجة اللغوية العصبية وُلدت من رحم التنويم المغناطيسي، كما أقر بذلك المتخصصون بها، إلا إنها فاقتها في كونها تتعامل مع حواس الإنسان جميعا عند إدارة عقل الإنسان وذلك من خلال عمل وتجارب علمية منظمة ومقننة، سمع، وبصر، ومذاق، ولمس، وشم، وأما التنويم المغناطيسي القديم فكان يعتمد فقط على حاسة السمع من خلال الموسيقى الهادئة والاسترخاء، وتسجيل التجربة، ويُستخدم هذا العقل الباطن في طلب الشفاء، والثروة، والسعادة، والزواج، وجذب الأشخاص، وغيرها من الأمور الدنيوية.

ويزعمون أن سبب الشفاء هو الحالة الذهنية التي سيرت الإيحاء بالصحة من خلال العقل الباطن، والتي قبلها العقل الظاهر للمريض، ولذلك فإن المُنوم سوف يقوم بما يُملي عليه المعالج بدقة متناهية كما يزعمون، وسوف تتغير شخصيته في خلال هذه العملية.

- **اعترافات بضلال من تلقى دورات البرمجة العصبية والتنمية البشرية.**

ذكرت متدربة تحكي تجربتها أنها حضرت كمن حضر بعض

الدورات عن البرمجة اللغوية العصبية التي أصبحت منتشرة في مجتمعنا اليوم بموضوعات مختلفة، وتحت عناوين متنوعة، وقالت: إني بمقالي هذا لا أهاجم هذا العلم المسمى البرمجة اللغوية العصبية، ولا أقف ضد أصحابه، فلكل منا يوم القيامة بين يدي ربه شأن يغنيه، ولكنني وكل مسلم ينبغي أن نقف في وجه كل علم كائنا ما كان إن تطاول بعنقه على كتاب الله وهدي رسوله ﷺ برأي يخالف قولهما.

في إحدى الدورات قال لنا المدرب: من أراد الخشوع في صلاته فلينظر ببصره إلى هذه الجهة وحددها وسيزداد خشوعا، وبدأ يبرر ويشرح عمل فصي الدماغ، وكيف أن هذا التدريب يوصلك إلى درجات عالية من الخشوع، فاعترضت وقلت: ولكن الثابت عن الرسول ﷺ أنه كان يتجه ببصره موضع سجوده وهو القائل عن نفسه فداه أبي وأمي: (أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له)[1].

وقال أيضا: (صلوا كما رأيتموني أصلي)[2]. وقال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) [3]. فأراد المحاضر المبرمج أن يوضح لي الأمر ويثبت صحة ما يقول وليته لم يوضح، فقال: جربي بنفسك وسترين النتائج، واستمر النقاش بيننا ومدربنا يؤكد صحة ما يقول مستدلا بما جاء في علم البرمجة اللغوية العصبية وفلسفات الطاقة الكونية، تمنيت لو قلت له: غفر الله لك يا أخي، إن رجلا أكل بشماله فقال له النبي ﷺ:

---

(١) البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ٥/١٩٤٩ (٤٧٧٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة وكذلك بعرفة وجمع ١/٢٢٦ (٦٠٥).

(٣) مسلم في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ٣/١٣٤٣ (١٧١٨).

كل بيمينك. فقال: لا أستطيع فقال له النبي ﷺ: لا استطعت، فما رفع الرجل يده[1].

وأنا أقول لك كان نظر النبي ﷺ موضع سجوده فتستدل بالتجربة، أخشى والله إن رددت قول رسول الله ﷺ لقولك ألا يرتد إلي بصري، أجزم أنه قال ما قال بجهل وربما حسن نية، ولكن كم من كلمة أوردت صاحبها المهالك وضلت وأضلت، فهل يرضى مسلم واحد أن يرد حديث رسول الله ﷺ بهذا الهراء؟

وفي دورة أخرى حضر معي ابني، وتحدث المدرب عن العقل الواعي والعقل اللاواعي وكيف أن العقل اللاواعي يحذف النهي وينفذ ما بعده وشرح وأفاض، واقتنع ولدي وكثير من الحاضرين بهذا الكلام؛ فحاورت المحاضر ولكنه أصر على قوله واستدل بأنه استقصى كل آيات النهي في القرآن ولكنه لم يتمكن بعد من إجراء هذا الاستقصاء على أحاديث المصطفى ﷺ. ودخلت معه في حوار طويل مفاده، إن أول ما يتعلمه المسلم من الدين بالضرورة معنى الإسلام وهو الاستسلام والانقياد لله فيما أمر واجتناب ما نهى، ولن تهدم هذه القناعات الواهية هذا الأساس الجليل، فلن يكون هناك استسلام ولا انقياد مادام لكل منا عقل لاواعي يقرر ويحذف دون أن نعرف.

من يقبل أن تربى أجيالنا على هذا الخواء، ليقبل عقلك اللاواعي أو لا يقبل، أنت كلك من أنت حتى ترفض؟ أويسع المسلم أن يقول غير سمعنا وأطعنا بلا استقصاء ولا تفكير ولا تردد؟ هل تجتمع البرمجة

---

(٤) مسلم في الأشربة، باب آداب الطعام والشراب ٣/١٥٩٩ (٢٠٢١).

العصبية مع منهج جيل رباه النبي ﷺ على الانقياد للحق فكانوا كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لم أكن أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس)[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب:٣٦.

قال الأوزاعي: (اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم)[2].

ومنهج يراد أن تربي عليه أجيالنا اليوم اعتماده قائم على عقول لا واعية تحذف النهي الشرعي، أو تستقصي لتبحث عن سبب النهي فيها حتى يقبلها عقله اللاواعي إنما هو منهج اعتراض ليس فيه إسلام ولا استسلام.

لقد كان عمر رضي الله عنه وقافا إذا قرأ الآية لم يتجاوزها، أما مدربو البرمجة العصبية اليوم أو دعاة الإصلاح بمهارات البرمجة اللغوية فإنهم يدربون عقولنا اللاواعية لتبحث عن سبب النهي في كل أمر شرعي، وإلا فإن النهي سيحذف.

وهذه متدربة أخرى تقول عن تجربتها بل وجميع المتدربات الراغبات في السؤال أو التعقيب يسألن ويعقبن إلا واحدة هي أنا، لماذا؟ لأني

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحج، باب التمتع والإقران والإفراد بالحج، وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدي ٢/٥٦٧ (١٤٨٨).

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٥٤ (٣١٥).

أخالف أهوائهم، أقف أمام إعجاب واندهاش الحاضرين باختراعهم وعلمهم؟ لأنهم لا يملكون الرد على ما أضعه أمامهم من نقد يُظهر ضحالة برمجتهم وسخفها ومخالفتها لمراد الله ورسوله ﷺ، ولما تعلمناه من أمور ديننا من قواعد وقوانين في التعامل مع النفس والآخرين، وسنن الله في خلقه؟

قلت ومن خرافات بعض المبرمجين قولهم: اتخذ القرار لتسير على النار، وكأنه إما نبي كالخليل عليه السلام أو ولي صالح أكرمه الله بذلك، وأين الاعتماد على القوة الذاتية من قوله الله تعالى عن خيرة الناس: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ التوبة:٢٥.

يقول أحد الأفراد: كنت مع شخص قد تعلم البرمجة، وكنت أبدي الندم على شيء فعلته، فقال لي بفخر: إن من قواعد البرمجة ألا تندم على شيء فعلته بالأمس لأنه خير أمر فعلته في ذلك الوقت، فأين محاسبة النفس؟

- **اعترافات بضلال من تلقى دورات البرمجة العصبية والتنمية البشرية.**

ذكر دكتور استشاري أخصائي نفسي أنه لدي عيادة خاصة تستخدم فيها الأساليب الإسلامية في معالجة كثير من الأمراض العقلية والنفسية، ويقول: كثير من الذين يزوروننا في العيادة يشكون من الغش الذي تعرضوا له من جراء المنادين بالبرمجة العصبية والتنويم المغناطيسي والعلاج بخط الزمن والإيحاء، وللأسف إنهم يتميزون بصفتين: الصفة

الأولى أنهم غير متخصصين. والصفة الثانية: أنهم متدينون درسوا في أوروبا وأمريكا يحملون كثيرا من العلم الأوروبي وقليل من العلم الشرعي، فرجعوا ومعهم هذا الأفكار.

وتكلمنا كثيرا معهم ومع من يهرولون وراء هذا النوع من الدورات ولكن دون جدوى، والأدهى والأمر وما يجب محاربته، هو التنويم المغناطيسي وخط الزمن والإيحاء، فقد جاءت إلى العيادة واحدة ممن وقع في هذا الطريق تعرض خدماتها لتنضم إلى فريق العيادة، وعندما سألتها عن الأدوات التي تحتاجها لتنويم المغناطيسي والعلاج بخط الزمن والإيحاء، قالت: أريد إضاءة خافته، وبخور وأشياء أخرى، وهي تريد أن تحويل الغرفة إلى مكان يشبه مكان السحرة والمشعوذين والعياذ بالله.

لقد بلغت خطورة انتشار هذا الاتجاه البدعي عند المتدربين بالبرمجة اللغوية العصبية إلى درجة أن الكويت فيها أكثر من ثلاثة آلاف مدرب معتمد بالبرمجة اللغوية العصبية في غضون بضع سنوات، وللأسف أنهم تخرجوا من مركز صلاح الراشد للاستشارات النفسية والاجتماعية على يد صلاح الراشد وإبراهيم الفقي، ومعهد نجيب الرفاعي، والملاحظ أنهم كلهم متدينون[١].

ويذكر الدكتور صالح بن علي أبو عراد أن هذه النوعية من البرامج دائما ما تكتسي بزي العلم والمعرفة، وهي في واقع الأمر كذب وخداع وزيف لا فائدة منه ولا نفع فيه، لاسيما وأن بعض الكتابات المعنية بهذا الشأن تُشير إلى أن هذه البرامج على اختلاف أنواعها مما يمتزج فيه

---

(١) مجلة الفرقان مجلة الفرقان الكويتية العدد رقم٣١٣.

الشرك بالوثنية من الفلسفات القديمة في الصين والهند؛ فهي بذلك ذات جذور فلسفية شرقية قديمة تعتمد على فكر فلسفي مادي يقوم على كثير من المغالطات التي تُعظم شأن الإنسان، وتعمل على تضخيم قدراته العقلية بصورة مُبالغ فيها حتى أنها قد تصل إلى إعطاء الإنسان كما يزعم بعض دعاة هذه البرامج قدرات حتمية، يمكن له من خلالها تحقيق النجاح في كل شأنه، متى ما عرف ما يُسمى بوصفة النجاح التي يُمكنه من خلالها تحقيق كل ما يريد من أهداف ومقاصد، مهما كانت عظيمة أو مستحيلة، اعتمادا على تلك القدرات المزعومة التي يأتي من أبرزها عندهم ما يُسمى بالقوة المعجزة والفاعلة للعقل الباطن الذي يجعل منه أصحاب هذه البرامج ركيزة أساسية تصنع المعجزات وتُحقق المستحيل في حياة الإنسان.

وعلى الرغم من انتشار هذه البرامج بطريقة لافتة للنظر حتى ضج بها المجتمع، وانتشرت فيه انتشار النار في الهشيم لتكون بمثابة الموضة العصرية التي تدعي وتزعم أنها علم يطور مهارات الإنسان ويزيد من جودة الأداء في مختلف المجالات الحياتية؛ إلا أن هناك العديد من المآخذ التي يمكن للجميع ملاحظتها على هذه البرامج المزعومة، والتي يأتي من أبرزها ما يلي:

١- أن تسمية هذه البرامج بالبرمجة اللُغوية العصبية أو برمجة الأعصاب لُغويا تدل دلالة واضحة على الغموض الذي يكتنفها، والضبابية التي تحول دون معرفة حقيقتها، لاسيما وأن عملية نقل المصطلح من لغة أو ثقافة إلى أُخرى لا بُد وأن يكون متلائما مع البيئة المنقول إليها، لأن اللفظ قد يكون مشحونا كما يُشير إلى ذلك بعض

الكُتاب بدلالات غير مناسبة في هذه البيئة، أو أن يكون غامضا وغير واضح المعنى، وهو ما يتوافر ويتحقق بوضوح في هذا المصطلح المشوه.

٢- أن هذه البرامج المزعومة أصبحت عند الكثيرين ممن فُتنوا بها تُمثل الحل الأمثل والمخرج الوحيد لجميع مشكلات الناس على اختلاف مستوياتهم وفئاتهم الاجتماعية، وأنها بمثابة السبيل الذي لا بديل عنه لتحقيق آمالهم وزيادة نجاحاتهم.

٣- أن هذه البرامج عبارة عن خليط من العلوم المختلفة التي تقوم على التخيل والإيحاء والمنطق وغيرها من العلوم التي لم يُنزل الله بها من سلطان، ولذلك فهي تُشكِل في مجموعها تلاعبا بالعقل، وعبثا بالمشاعر والأحاسيس عند الإنسان.

٤- أنها تعتبر الإنسان في كثير من الحالات مجرد آلة صماء يمكن إعادة برمجتها حسب الطلب، ومن ثم تشغيلها وفقا لتلك البرمجة؛ ولذلك فإن كثيرا من المهتمين بها يعدونها برامج لهندسة النفس الإنسانية، أو هندسة النجاح الإنساني على حد تعبيرهم.

٥- أن هذه البرامج تعتمد في المقام الأول على طرائق التفكير وأنماطه عند الإنسان حيث تعد التفكير بمثابة الموجه الوحيد للإنسان، وعندما يختل التفكير فإن الإنسان كله يختل معه؛ فلا بد من التنبه الواعي لخطر هذه البرامج التي لا تقل في خطورتها عن غيرها من المظاهر والدعوات التغريبية التي أفرزتها العولمة، والتي تعمل بهدوء على سلب هوية الأمة، ومسخ فكرها، والطعن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في عقيدتها ومبادئها وقيمها ومنطلقاتها الرئيسة.

ومن المؤسف أن بعض الدعاة كالدكتور عوض القرني طعن فيمن يلمس حِمى البرمجة اللغوية العصبية وراح يتطاول على منتقديها وكأنهم نقضوا ركنا من أركان الإسلام فقال عنهم: (ولئن كان بعض الناس يشككون في هذا العلم، فإنما أتوا من جهلهم بالشرع أو جهلهم بالبرمجة اللغوية العصبية أو جهلهم بالأمرين معا، أو لأغراض في نفوسهم، وفي كل مجتمع أناس عقولهم منغلقة وتفكيرهم سطحي يقفون ضد كل جديد لأنه جديد فقط، ويرفعون لافتة الغيرة على الدين والشريعة، وهم في الحقيقة إنما يدافعون عن أهوائهم، وينفسون عن نظراتهم السوداوية لكل شيء، لا يوجد على كلامهم أثارة من علم وليس لديهم ذرة من إنصاف، يجهلون كل من سواهم ويتهمون نيات من لا ينظر بمنظارهم الأسود، أصحاب عبارات متأججة بالحماس الانفعالي وكلمات متدثرة بالتعميم الخاطئ، لا منهج علمي صريح ولا حجاج عقلي صحيح، كالخشب المسندة التي نخرها السوس حين تراها تظنها صحيحة سليمة، فإذا وضعت يدك عليها تهاوت فارغة من كل حقيقة، عارية من كل حق والعياذ بالله) [1].

وهذا الكلام يعد في غاية الخطورة ففيه اتهام للنيات ومحاكمة للسرائر على غرار محاكم التفتيش التي حذر الدكتور من الوقوع فيها، بعد ذلك تطاول دكتور عوض القرني على الداعية الفاضلة فوز كردي، وبطريقة مستهجنة عند أهل الفضل والعلم والأدب، لأنها كشفت عورتهم ونجاسة فكرتهم، وخطورة بدعتهم على عقيدة التوحيد .

---

(١) جريدة المدينة ملحق الرسالة يوم الجمعة ١٨/٥/١٤٢٤هـ

ومن الغريب سكوت دكتور عوض القرني عما في البرمجة من مخالفات عقدية وشرعية وقوله عنها إنها من العلوم المحايدة، فهل عبادة العقل الباطن وهو أحد ركائز البرمجة تعد من الأمور المحايدة؟ وهل المشي على الجمر الذي بات ينتشر في دورات البرمجة يعد من الأمور المحايدة أم من الطقوس الوثنية التي لا يجوز للمسلم أن يتعلمها وينشرها بين المسلمين؟[(١)].

وتذكر الدكتورة نجاح الظهار في موقفها من هذه البرمجة أنه لن يهدأ أعداء الإسلام، ولن تغمض عيونهم؛ حتى يروا الإسلام وقد ذهبت عنه هيبته، وانمحى أثره من النفوس؛ لذا نجدهم يتقلبون على الجمر ويشحذون عقولهم وفكرهم لاختراع الأساليب الماكرة، التي ستحقق مآربهم حسب ظنهم، ولكن هيهات هيهات، فهم كلما شقوا طريقا للفساد، واعتقدوا أنهم وصلوا إلى النهاية، وشارفوا على حصد النتائج والثمار، يُفاجئون بأن الطريق قد رُدم، وأُوصد دونهم، فيرتدون على أعقابهم خاسرين، لذا نجد أساليبهم دائمة التجدد، وفيها من الخفايا والخبايا ما لا يعلمه إلا الله. فأخطر ما تفتقت عنه أذهانهم الخبيثة، هو الدخول على أبناء الإسلام بخديعة التجديد والتطور، وتنمية القدرات والأداء البشري، وتطوير الذات، وإكسابها القوة والثقة، وفي سبيل ذلك استخدموا تقنيات حديثة، فيها من التزييف والتزويق ما يخدع الألباب، وسموها بفلسفة البرمجة اللغوية العصبية.

وإن أخبث ما قاموا به، أنهم أفلحوا في تصيد عدد من خيرة الأفراد

---

(١) صحيفة المدينة، ملحق الرسالة، الجمعة ١٤٢٤/٦/٣هـ.

الذين يتمتعون بسمعة طيبة، ويظهر عليهم التمسك بالدين والعقيدة، واتخذوهم مدخلا للتدليس على البقية، وأوهموهم بأن علم البرمجة اللغوية العصبية لا يتعارض مع الدين الإسلامي، بل إن كثيرا من مبادئه وتقنياته موجودة في القرآن والسنة، وعلى هذا الأساس شرعوا يؤسلمون تلك المبادئ، ويبحثون لها عن وجهة إسلامية غير مبالين بلي أعناق النصوص وتأويلها، بما يخدم أغراضهم، حتى أصبح أبناء الإسلام أشد خطرا من أعدائه عليه.

وقد غفلوا عن باطن هذه الفلسفة وفرحوا بظاهرها، وبالمصطلحات المشتركة بين هذه الفلسفة وبين المصطلحات الإسلامية، وتناسوا أنه اشتراك في ظاهر اللفظ فقط، أما المضمون فإنه يختلف تماما لاختلاف العقيدة، لقد اغتر أبناؤنا بالأهداف المعلنة البراقة، التي لا يدل ظاهر معظمها على أي خطر، وبالتالي لا يجرؤ أحد على رفضها، وانشغلوا بها عن البحث الجاد عن حقيقة هذه الأهداف والوقوف على خفاياها، ولم يلتفتوا إلى الطرق والممارسات التي تتحقق من خلالها تلك الأهداف، وما فيها من مخالفات للدين والشرع.

لقد حق لمن أدرك خطر هذا الاتجاه البدعي المسمى بالتنمية البشرية والبرمجة اللغوية العصبية أن يسميها الوثنية في ثوبها الجديد؛ لأن هذه الفلسفة تدعو إلى عبادة العقل والذات عن طريق تعظيم قدرات الإنسان التي يحققها عقله الباطن، فصارت النفس والعقل صنما يُعبد من دون الله، وكذلك فُتن الناس بالمال، فأصبحوا يلهثون وراء تحقيق المكاسب العظيمة والسريعة التي أخذت تتدفق إلى جيوبهم من خلال إقامة هذه الدورات، حتى أصبحوا عبدة الدرهم والدينار، وضحوا في سبيل ذلك

بعقيدتهم ودينهم من حيث لا يعلمون.

ومن فإن الوثنية في هذا العصر قد تزينت بأثواب كثيرة خادعة وبراقة، وأخطر تلك الأثواب التي تلبسها هو ثوب الإسلام؛ لتجتذب به أكبر شريحة من أبنائه، الذين ما إن رأوا آياته وأحاديثه تتصدر تلك الفلسفة حتى ظنوا بها خيرا، فتسابقوا إليها، ولم يخطر ببالهم أن هذه الفلسفة تهدف في باطنها إلى جعلهم دمى في يد كل ناعق[1].



(١) مختصر بتصرف من مقال دكتورة نجاح الظهار على الإنترنت.

المطلب السابع والعشرون

الصراع الحضاري وتحوله من صراع عسكري إلى غزو فكري على يد الملك الفرنسي لويس التاسع



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن حقيقة التنمية البشرية ومنهج الجهمية في البرمجة اللغوية العصبية، وأثرها في هدم العقيدة الإسلامية، وعلمنا أن أصل البرمجة اللغوية من وضع غير المسلمين لعلاج بعض المجانين، وتعرفنا على ماهية ما يسمى بالبرمجة اللغوية العصبية ومضامينها وفرضياتها، وأن نقد البرمجة في ثوابتها العلمية سبب كاف لرفضها والتحذير منها، وتحدثنا عن البرمجة اللغوية وأصل فكرتها وفلسفتها وتاريخها وتوجهات منشئيها.

كما علمنا أهم المؤسسين للبرمجة اللغوية العصبية والمؤثرين فيها من الغربيين، وتعرفنا على المطورين والناشرين لبدعة البرمجة اللغوية في الساحة الإسلامية، وعلمنا أن صلاح الراشد لم يكتف بنقل البدعة وإنما ناصرها بنصوص الإسلام، وأنه يمثل الجعد بن درهم في نقل ثقافة الفكر اليهودي إلى المسلمين، وكذلك ما أحدثه إبراهيم الفقي من البدع يماثل ما أحدثه الجهم بن صفوان.

وعلمنا أن التنمية البشرية مبنية على تقديس العقل والمبالغة في القدرة

البشرية، وذكرنا اعترافات من تلقى دورات البرمجة العصبية والتنمية البشرية بضلالهم.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن الصراع الحضاري بين المسلمين وأعدائهم وتحوله من صراع عسكري إلى غزو فكري على يد الملك الفرنسي لويس التاسع.

- الغزو الفكري والمآرب الخفية من أشد الأسلحة فتكا بالأمة الإسلامية.

منذ أن بعث الله محمدا ﷺ بدين الحق ورسالة الإسلام وأهل الباطل تتوالي مكائدهم تترا، الواحدة تلو الأخرى، يعملون بمكر شديد للقضاء على الإسلام والمسلمين، وعصرنا اليوم من أصعب العصور التي مرت في تاريخ الصراع بين المسلمين وأعدائهم، وذلك لعدة أسباب:

الأول: أن هذا العصر هو عصر جني ثمرات الكيد، وقطف خبرات المكر التي بذلها العدو في جهوده المتواصلة للفتك بهذه الأمة، فمكائدهم الخبيثة أينعت ثم أثمرت، وهم بالطبع سوف يحافظون على نتاج جهدهم وحصاد فكرهم ولن يفرطوا فيه.

الثاني: أن هذا العصر تشكلت فيه مستنقعات فكرية وأوبئة بيئية، تمثل كل الأفكار الهدامة التي طرأت على ذهن الإنسانية، والتي أسهم في بنائها الشيطان، فجميع الفرق والنحل وسائر الطوائف والملل، سواء التي أنشأها أهل الباطل في أمة الإسلام، أو التي قامت على الفلسفة الوافدة وعلم الكلام، أفرغت سوادها الفكري في هذا العصر.

الثالث: أن وسائل نشر هذه الأمراض وتفشيها في المجتمع المسلم تطورت بشكل خطير، وبصورة لم يسبق لها مثيل، وأصبحت السيطرة

عليها بكاملها وتلافي آثارها ضربا من المستحيل الذي يستنزف الوقت الكثير والجهد الكبير.

الرابع: أن الأعداء تكاتفوا في عداوتهم واتفقوا في مناهجهم للقضاء على الإسلام والمسلمين، فلم تعد العداوة مقصورة على دويلات صغيرة يسهل صدها، أو معاهدات طويلة يسهل مدها، ولكن تكالبت الأمم واجتمعت علينا كما تتكالب الأكلة على قصعتها.

روى أبو داود وصححه الألباني من حديث ثوْبَان ﷺ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: (يُوشِكُ الأُمَمُ أَن تَدَاعَي عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَي الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا، فَقَال قَائِل: وَمِن قِلةٍ نَحْن يَوْمَئِذٍ؟ قَال: بَل أَنتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنكُمْ غُثاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْل، وَلَيَنزَعَن اللهُ مِن صُدُور عَدُوِّكم المَهَابَةَ مِنكُم، وَلَيَقْذِفَن اللهُ فِي قلوبكمُ الوَهْن، فَقَال قَائِل: يَا رَسُول اللهِ وَمَا الوَهْن؟ قَال: حُبُّ الدُّنيا وَكَرَاهِيَة المَوْتِ) [١].

ومن أشد الأسلحة فتكا بالأمة الإسلامية هو ما عرف بسلاح الغزو الفكري، فالغزو الفكري مصطلح يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى، أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة، وهو أخطر من الغزو العسكري، لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المآرب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة المغزوة، ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس، تحب ما

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام ٤/١١١ (٤٢٩٧)، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

يريده لها عدوها أن تحبه، وتكره ما يريد منها أن تكرهه، وهو داء عضال يفتك بالأمم ويُذهب شخصيتها، ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها، والأمة التي تبتلي به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه، ولذلك يصبح علاجها أمرا صعبا، وإفهامها سبيل الرشد شيئا عسيرا.

والغزو الفكري تبقى من خلاله الشعوب الضعيفة أو النامية خاضعة لنفوذ القوي المعادية لها، تلك القوى التي تتمثل في عدد محدود من الدول الكبيرة، التي يحمي بعضها بعضا ويتبادل ساستها الدفاع عن مصالحها مجتمعة، بغض النظر عما يبدو على السطح في بعض الأحيان من خلافات، إذ الحق أنها خلافات سطحية تبدوا توزيعا للأدوار.

إن هذا الغزو يهدف إلى أن تظل بلدان العالم الإسلامي خصوصا والعالم النامي عموما تابعة لتلك الدول الكبيرة تبعية غير منظورة، وفي التبعية يمكن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاؤها، فليس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال بينما هي ترسف في قيود الذل والتبعية وفقد الهوية الذاتية، وليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها وهي دائرة في فلك دولة كبيرة واهمة ذاهلة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية.

إن الغزو الفكري هو أن تتبني أمة من الأمم وبخاصة الأمة الإسلامية معتقدات وأفكار أمة أخرى من الأمم الكبيرة دون نظر فاحص وتأمل دقيق مما يترتب على ذلك من ضياع لحاضر الأمة الإسلامية في أي قطر من أقطارها وتبديد لمستقبلها، فضلا عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابها وسنة رسولها ﷺ، وما يترتب على هذا الصرف من ضياع وذلة، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة

الإسلامية عن منهجها الإلهي ونظامها الشامل المتكامل في كل زمان ومكان.

الغزو الفكري هو أن تتخذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبيرة، فتطبقها على أبنائها وأجيالها تطبيقا دقيقا، فتشوه بذلك فكرهم، وتمسخ عقولهم، وتخرج بهم عن غايتهم من هذه الحياة، ثم يلبس الأمر عليهم بعد ذلك فيحسبون أنهم بذلك على الصواب، ثم يجادلون عما حسبوه صوابا ويدعون إليه، وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر، فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الاتباع شبرا بشبر وذراعا بذراع، مصداقا لما روي من حديث سعد بن مالك بن سنان ﷺ أَن النبِيَّ ﷺ قَال: (لَتَتَّبِعُنِ سَنَن مَن قَبْلَكمْ شِبْرا بِشِبْرٍ وَذِرَاعا بذِرَاعٍ حتى لوْ سَلَكوا جُحْرَ ضَبٍّ لسَلَكتُمُوهُ، قلنا: يَا رَسُول اللهِ اليَهُودَ وَالنصَارَى؟ قَال: فَمَن) [1].

وفي وروابة أبي هريرة ﷺ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القرُون قَبْلهَا، شِبْرا بِشِبْرٍ وَذِرَاعا بِذِرَاعٍ، فَقِيل: يَا رَسُول اللهِ كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَال: وَمَن الناسُ إلا أولئِكَ) [2].

الغزو الفكري هو أن يحول العدو بين أمة من الأمم وبخاصة الأمة الإسلامية وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدولة الكبيرة الغازية وأحلامها وسير أعلامها وقادتها، فيشب المثقف من أبناء تلك الأمة المقهورة، وليس في نفسه مثل أعلى إلا

---

(١) البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣/١٢٧٤ (٣٢٦٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم ٦/٢٦٦٩ (٦٨٨٨).

ما يقرأ عنه في تاريخ الدولة الغازية، وليس في خلده أبطال إلا أبطالها ولا مفكرون إلا مفكروها، بل يصبح وهو لا يعرف من الحق والباطل إلا ما رأته هذه الأمة الغازية حقا أو باطلا فتشوه بذلك رؤيته الصحيحة للناس والأشياء، ويذهل عن تاريخه وسير الصالحين من أسلافه، ويذهل عن حاضره ومستقبله ويضل عن معالم طريقه.

الغزو الفكري هو أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب فضلا عن أن تحل محلها، أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية والإقليمية، وما دام الإنسان لا يفكر إلا باللغة، كما يجمع على ذلك العلماء، فإن إضعاف لغة الأمة هو إضعاف لفكرها، وإحلال لغة أمة محل لغة أمة أخرى، هو إجبار للأمة المغلوبة على أن تفكر كما تفكر الأمة الغالبة، وأن ترى من العادات والتقاليد مثل ما ترى الأمة صاحبة اللغة الغازية، وما سكتت أمة غازية في تاريخنا المعاصر عن لغة أمة مغزوة، وإنما تخطط لحربها بنفس الضراوة التي تخطط بها للاستيلاء على مقدراتها الاقتصادية وخيراتها النفطية، وليست الصورة الماثلة أمامنا في كثير من بلدان العالم الإسلامي، وفي كثير من بلدان العالم النامي ببعيدة عن الأذهان.

الغزو الفكري هو أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية وعاداتها وتقاليدها في عولمة تامة، وما دامت الأخلاق السائدة في أمة من الأمم هي المعيار الدقيق الذي تقاس به القيم في هذه الأمة، فإن هذه الأخلاق يجب أن تكون نابعة من القيم الأصيلة التي تسود الأمة، وتحكم سلوكها وتوجهه، فإذا ما استوردت أمة من الأمم أخلاقها وقيمها من أمة أخرى، مسخت بذلك شخصيتها وتنكرت لأصالتها وعاشت تابعة ذليلة للأمة التي قلدت أخلاقها، وخسرت مستقبل أجيالها

ووجدت نفسها أمام التبعية والضياع.

هذه أضواء على مفهوم الغزو الفكري لتوضيح حقيقته بصفة عامة، وعندما يتعلق أمر الغزو الفكري بالعالم الإسلامي والثقافة الإسلامية، فإن الإسلام دين الله سبحانه الذي ارتضاه للبشرية كلها منهجا وشريعة لحياتهم، ومعبرا وجسرا وزادا لحياتهم الأخرى، وهذا الدين كان ومازال بمبادئه ونظرياته ومثله وقيمه حربا على كل انحراف بالبشرية عن الحق والميزان، وأعداء الإسلام أعداء الحق والميزان، لأن الحق والميزان يحول بينهم وبين الاستغلال والعدوان، لذلك فإن أصحاب المذاهب والنظريات المعادية للإسلام ما سكتوا عنه، ولن يسكتوا، وكيف بهم أن يسكتوا وفي الإسلام ومبادئه حربا لهم ولما يمارسونه من أعمال؟

من أجل ذلك أصبح الغزو الفكري للإسلام والمسلمين يستهدف الجذور لا القشور، ويحاول القضاء الأصول لا الفروع، ومن هنا تركز الغزو الفكري ضد الإسلام في حرب ضارية على زوال الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكل عمل، وكل خطة يقوم بها أعداء الإسلام والمسلمين في الفكر أو الثقافة أو التوجه أو المبدأ والمذهب أو العادات والتقاليد أو الزي والشكل، إنما يعد معركة جانبية فرعية تخدم المعركة الكبرى، معركة حرب أصل الإسلام والتمسك بجذره المتمثلة في القرآن الكريم ولغته.

وما أكثر المعارك الجانبية وما أخبث خططها إذ تتناول مظاهر حياة المسلمين كلها ابتداء من تغير الزي وتغيير العادة إلى تغيير الخلق والسلوك، وانتهاء بتغيير المنهج والشريعة، ومرورا بإفساد اللغة وإقصائها

عن ألسنة المسلمين، أي إقصاء القرآن عن ألسنتهم وقلوبهم وحياتهم[١].

• أسباب النصر والتمكين الذي حالف المسلمين في حروبهم العسكرية.

ليس هناك إلا سببان رئيسيان للنصر والتمكين، ثم بعد ذلك أسباب ثانوية أخرى مكملة لهذين السببين وقائمة عليهما، وهي نتائج مبنية على السببين الرئيسيين:

أما السبب الأول: فهو قيام عهد وعقد بين من آمنوا برسالة الإسلام وبين الله سبحانه وتعالى، يقوم المسلمون في بنده الأول ببيع أنفسهم وأموالهم لله ﷻ، في مقابل وعد الله لهم بالنصر والتمكين في الدنيا والجنة في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الصف: ١٠/١٣.

لقد خاض صدر الإسلام غمار هذه التجارة وربحوا ثمرتها العظيمة، فلقد باعوا أموالهم وأنفسهم لله ﷻ، ولقد وفي الله سبحانه وتعالى وعده معهم، فأتاهم النصر القريب وآواهم في جنته كما وعد، لقد كان هذا العقد والعهد هو صلب عقيدة الإسلام وغايتها وثمرتها، فلئن كان الرسول ﷺ قد دعا الناس في مكة إلى الإيمان بالله وتوحيده، فإن ثمرة هذا هو بذل النفس والمال في سبيل الدعوة، بل إنه مجرد قبولها إبان دعوة

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام لعبد الحميد متولي ص١١ بتصرف، نشر منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٨٦.

الرسول ﷺ كان معناه تعريض النفس والمال للجنة، فبيعة العقبة في حقيقتها كانت قبولا بهذا العهد مع الله، فالبيعة التزام من الأنصار ببذل المال والنفس دفاعا عن دعوة الإسلام، ووعدا من الله بالجنة في مقابل ذلك.

وكذلك بيعة الرضوان كانت على الموت في سبيل الله، ليس فقط في المعركة المنتظرة والثأر لعثمان بن عفان ﷺ الذي أشيع أنه قتل بمكة، وإنما للدوام والاستمرار، ولذلك ناداهم الرسول بهذه البيعة في غزوة حنين يا أصحاب الشجرة، عندما فر المسلمون في أول المعركة.

روى مسلم من حديث العباس ﷺ أنه قال: (شَهِدْتُ مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْن، فَلزمْتُ أنَا وَأَبُو سُفْيَان بْن الحَارث بْن عَبْدِ الُمطّلبِ رَسُول اللهِ ﷺ فَلمْ نفَارقْهُ، وَرَسُول اللهِ ﷺ على بَغْلةٍ لهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لهُ فَرْوَةُ بْن نفَاثَة الجُذَامِيُّ، فَلمَّا التَقي الُمسْلمُون وَالكُفّارُ وَلي الُمسْلمُون مُدْبِرين، فَطَفِقَ رَسُول اللهِ ﷺ يرْكُضُ بَغْلتَهُ قِبَل الكُفَّار. قَال العَبَّاسٌ وَأَنا آخِذٌ بِلجَام بَغْلةِ رَسُول اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَن لا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَان آخِذٌ بِركَابِ رَسُول اللهِ ﷺ فقَال رَسُول اللهِ ﷺ : أَيْ عَبَّاسُ، نادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ فقَال العَبَّاسٌ وَكَان رَجُلا صَيِّتا فقُلتُ بِأَعلى صَوْتِي: أَيْن أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَال: فَوَاللهِ لكَأَن عَطْفَتَهُمْ حِين سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ على أَوْلادِهَا، فَقَالوا: يَا لبَّيْكَ، يَا لبَّيْك، قَال فَاقْتَتَلوا وَالكُفّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنصَارِ يَقُولون: يَا مَعْشَرَ الأَنصَارِ يَا مَعْشَرَ الأنصَارِ، قَال: ثمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ على بَنِي الحَارِث بْن الخَزْرَجِ، فقَالوا: يَا بَنِي الحَارِث بْن الخَزْرَجِ، يَا بَنِي الحَارِث بْن الخَزْرَجِ فَنظَرَ رَسُول اللهِ

ﷺ وَهُوَ على بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِل عَلَيْهَا إلى قِتَالِهِمْ؛ فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ هَذَا حِين حَمِيَ الوَطِيسُ قَال: ثمَّ أَخَذَ رَسُول اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَي بِهِن وُجُوهَ الكُفَّار، ثمَّ قَال: انهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، قَال: فَذَهَبْتُ أَنظُرُ فَإِذا القِتَال على هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَال: فَوَاللهِ مَا هُوَ إلا أَن رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلتُ أَرَي حَدَّهُمْ كَلِيلا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرا) [1].

وبهذا نخلص إلى أن السبب الأول في انتصار المسلمين قديما وحديثا هو إيجاد الفرد المستعد لأن يبذل دمه وماله في سبيل غايته، وليس هناك عقيدة في الأرض أقوى من هذه، ولا فرد في الأرض أقوى من هذا الفرد الذي يؤمن بهذه العقيدة.

وأما السبب الثاني: في النصر فهو التآخي بين أفراد الأمة، صحيح أنه قد وجد الفرد المؤمن ذو العقيدة الدافعة القوية وهذه خطوة عظيمة، لكن هذا الفرد وحده لا يصنع شيئا ذا بال في تغيير مصير أمة، ولذلك كانت الخطوة الثانية هي تآخي هؤلاء الأفراد في وحدة جامعة لم يعرف لها التاريخ مثيلا قبل ذلك، ووحدة متماسكة يفدي فيها الأخ أخاه بنفسه وماله، فالوحدة الجامعة والرابطة القوية التي ربطت بين المسلمين جميعا على العقيدة كانت سببا أساسيا في نصرة الأمة.

وهذه الوحدة لم تكن وليدة خطبة حماسية، وإنما كانت وحدة وأخوة مبنية على قواعد اعتقادية ثابتة من الله بها على المسلمين. قال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنفال:٦٣.

---

(١) مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين ١٣٩٨/٣ (١٧٧٥).

وهذه القواعد معلومة مدونة، وهي باختصار عقيدة كاملة واحدة ونظام تشريعي كامل موحد، ونظام أخلاقي اجتماعي فريد يقدم العفو على الانتقام والتشفي، ويأمر بالفضل والإحسان قبل المماثلة في العقوبة، ويجعل الذي يقابل السيئة بالحسنة في أعلى درجات الناس، والذي يؤثر غيره على نفسه أعظم شأنا وأعلى مكانا من الذي يقدم نفسه عليهم، ثم هو نظام كامل في رفض الفرقة والشتات.

وماذا ننتظر من أمة تكونت على عقيدة دافعة متأججة وأخوة غامرة حانية، إن أمة هذه حالها لا تقف أمامها سدود ولا يعوزها مفقود ولا ينتصر عليها أحد، لقد ساحت هذه الأمة بمجرد تكونها على النحو السابق في الأرض شرقا وغربا وهي تتوقد حماسة وتمتلئ رقة وعطفا ورحمة ولطفا، تشتد فتكون نارا محرقة، وتلين فتكون ماء عذبا زلالا، وتصفو وتشف فتكون نورا وهداية ورحمة، ولذلك لم يقف أمامها سد من السدود، ولا استطاع ملاقاتها أمة من الأمم، وذلك بالرغم من قلة العدد والعدة.

ولا شك أنه كانت هناك أسباب أخرى لانتصار المسلمين كتعلمهم فنون أعدائهم في القتال، ولكن هذا السبب وغيره من الأسباب الصحيحة إنما كان نتيجة للسببين السابقين، لكن الأصل أن قوة الله وإمداده فوق ذلك، وهل العقيدة الصحيحة في القلب المؤمن إلا قوة من قوة الله لا تقهر ولا تغلب، لقد نزلت الملائكة في حروب المسلمين لأن هناك التقاء على عقيدة واحدة، عقيدة المبنية على اليقين في الله وهي قوة لا تعدلها قوة، لأنها تستمد قوتها من خالق السموات والأرض سبحانه وتعالى.

• رؤية النصارى للإسلام والمسلمين من البداية إلى نهاية الحروب الصليبية.

لقد كانت دعوة الإسلام في أعين أعدائها عند مبعث النبي ﷺ تمثل ثورة من قبل العرب للخروج من أرض قحطاء جدباء، قليلة الزرع والماء، إلى أرض الجداول والأنهار والخيرات والثمار في فارس والروم، هذه رؤيتهم للإسلام في بدايته، لم ينظروا إليه بعين سليمة تتعرف على حقيقته وسمو دعوته، وإنما نظروا إليه نظرة دنيوية مادية بنوا عليها تصورهم، وأساس حربهم، وعلة قتالهم حتى وصل استهزاؤهم أن يأمر كسري ملك الفرس بإرسال اثنين من الجنود إلى أرض العرب ليقبضوا على رسول الله ﷺ [(١)].

ثم فوجئوا بالمسلمين ينتصرون عليهم، ويحالفهم في كل مرة نصر كبير بعدد قليل، وثبات لم يعهد له مثيل، ورغبة في الموت والشهادة أكبر من رغبة أعدائهم في الحياة، فهالهم الأمر، ولم يتمكنوا من ضبطه على الصورة التي رسموها في أذهانهم للعرب، قوم همج رعاع بدو جياع يريدون الغزو والقتال من أجل المال والمتاع والاستحواذ على خيرات الفرس والروم [(٢)].

ومن المعلوم أن أخبار المعارك التي نصر الله فيها المسلمين على عدوهم كانت تنتشر في العالم كله أيام الخلفاء الراشدين وبعدهم، يسمعون عن أبي عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد وغيرهم في أكثر من ثلاثين معركة، حتى أصبح خالد بن الوليد

---

(١) انظر تفصيل القصة في تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٣٣/٢ نشر دار الكتب العلمية بيروت، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٧٠/٤ نشر مكتبة المعارف بيروت.
(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام للدكتور على عبد الحليم ص٥.

في نفوس النصارى صورة أسطورية خيالية مرعبة، يخوفون بها أولادهم عند نومهم، ويعلمونهم أن قدوم خالد يعني موتا محققا وهلاكا محتوما.

ازداد النصارى غيظا وبغضا لهذا الدين، كيف يواجهون المسلمين ويقضون عليهم؟ لم يدركوا وقتها طبيعتهم، فظنوا أن كثرة العدد والعدة تحقق لهم النصر والغلبة، فكونوا في كثير من المعارك جيوشا ضخمة، لكن المعركة الفاصلة بين المسلمين والنصارى هي التي تجسدت يوم اليرموك، حيث كان عدد المسلمين قرابة الأربعين ألفا أو الخمسين، وعدد النصارى يقارب الربع مليون، وقيل مليون، فكانت النسبة تمثل السدس أو العشر تقريبا، وبالرغم من ذلك مكن الله لأمة الإسلام ونصرهم على عدوهم، وجعل النصارى صرعي في أغوار الأردن [١].

كيف تمكن هذا العدد القليل من إحراز هذا النصر الكبير؟ بعث ذلك في المجتمع الغربي الحيرة والجنون، وازدادوا حنقا وحقدا وغيظا وكمدا، ولا حيلة لهم إلا معاودة الكرة ولو بعد حين، وقد تهيئت لهم أيام الجمل وصفين الأسباب المواتية للانقضاض على المسلمين، ولكن النصارى انكسرت شوكتهم آنذاك، وبلغت قوتهم من الضعف والهذيان بحث تبقي ساكنة بلا حراك أربعة قرون من الزمان، حتى تمكنوا بالفعل من تجميع أكبر عدد ممكن من جندهم للقضاء على أمة الإسلام، فبلغت جيوشهم أكثر من ستمائة ألف مقاتل أيام السلطان ألب أرسلان زمان الدولة العباسية [٢].

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد ١/٢٧ نشر دار بن كثير دمشق ١٤٠٦هـ، وفتوح البلدان للبلاذري ١/١٤١ نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٢/١٠١.

جمع النصارى هذا العدد الضخم، وعلى الرغم من حالة الضعف والانقسام والتناحر والخصام الذي كانت عليه أمة الإسلام إلا أن المسلمين أدركوا أن العلة في نصرهم لا تكمن في كثرة عدتهم أو عددهم، وإنما تكمن في إيمانهم وإخلاصهم واستعانتهم بالله، وكانوا قد طلبوا الهدنة من قائد النصارى أرمانوس فأبى، فاستفتوا في حالهم العلماء، في وقت كان يعرف فيه قدر أهل العلم، فقالوا: إنكم لا تنتصرون بقوتكم، ولكن بفضل الله وعقيدتكم في الإيمان به.

قال تعالى: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾الأعراف:١٢٨.

وأشار أهل العلم أن يكتبوا دعاءا موحدا يوزع على المساجد في جميع البلاد الإسلامية، وأن يقف الشيوخ الكبار والنساء والأطفال ليستعينوا بالله تعالى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، ويتحرك المسلمون ليبادئوا النصارى الهجوم، وكان عدد المسلمين ستين ألفا، بنسبة الواحد إلى العشرة، وقيل أكثر من ذلك، وفي يومها تجرد السلطان لله وخلع ثوب الإمارة ولبس كفنه، وقال: لست اليوم أميرا إلا أن ينصرنا الله تعالى، فلما أخلصوا ووحدوا واستعانوا سحقوا النصارى وأسروا ملكهم، وهذه المعركة تسمى منازكرد، ولم تنل حظها من الشهرة في التاريخ كما نالته القادسية واليرموك مع أنها من أفضل المعارك التي مرت في تاريخ الأمة الإسلامية [١].

ازداد النصارى في الغرب غيظا وجهلا بطبيعة هذا الدين فعادوا إلى

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين أبو جرادة ٤/١٩٨٠، نشر دار الفكر.

أوربا، وجمعوا كيدهم وحقدهم في إعلان كليرمونت الذي ألقي فيه بابا روما أوربيان الثاني خطابه الشهير في النصارى ليثير حفيظتهم ضد المسلمين في تجهيز الحروب الصليبية، ووعد من يشترك بالغفران الكامل، فأعدوا العدة وبدئوا بالتدفق على العالم الإسلامي، واتسم غزوهم بروح التعصب والانتقام [(١)].

وقد كان المسلمون وقتها متناحرين متنازعين منقسمين إلى دويلات صغيرة هجرت دينها، ومصدر عزها ومجدها وأساس قوتها، فتمكن النصارى بالفعل من استباحة حرمة المسلمين والاستيلاء على القدس ثالث الحرمين، وصبوا حقدهم، وأفرغوا كيدهم في الانتقام والتشفي بالمسلمين، كما ذكر الراهب روبرت أحد الصليبين المتعصبين، وهو شاهد عيان لما حدث في بيت المقدس واصفا سلوك قومه: (كان قومنا يجيبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي خطفت صغارها، كانوا يذبحون الأولاد والشباب ويقطعونهم إربا إربا، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، وكان قومنا يقبضون على كل شيء يجدونه، فيبقروا بطون الموتى ليخرجوا منها قطعا ذهبية، فيا للشره وحب الذهب، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث) [(٢)].

وقال ريموند داجميل وهو أحد الكهان الشامتين الشهادتين على حقد

---

(١) انظر بتصرف حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة لأستاذنا الدكتور جميل عبد الله محمد المصري ص٦٣، نشر مكتبة العبيكان.

(٢) الحضارة العربية لغوستاف لوبون ص٣٢٥، وانظر تاريخ العرب لفيليب ص١٩٤، نقلا عن حاضر العالم الإسلامي د. جميل المصري ص٦٤.

النصارى: (حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، قد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم في النار، فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يري في شوارع القدس وميادينها سوي أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوي بعض ما نالوا) [١].

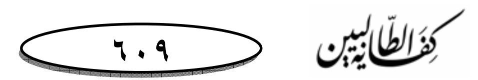
ويقول أيضا في وصف تلك المذبحة: (لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراع بجسم، لم يعرف أصلها، ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه على إبادة سكان القدس من المسلمين) [٢].

لقد ظن النصارى أن أمة الإسلام كتب عليها الفناء، وأنها لن تقوم لها قائمة، ولكن الله تعالي خيب ظنهم، فقد كتب لهذا الدين البقاء وأزاح عنه النفوس الظالمة، فبعد قرنين من الزمان انتهت الحملات الصليبية بمعركة حطين على يد القائد الأيوبي صلاح الدين الذي نصر الله به الإسلام والمسلمين، فازداد غيظ النصارى وتراكم حقدهم، وأرسلوا حملة أخرى فجاءت جيوش صليبهم بقيادة الملك لويس التاسع، ودخلت إلى البلاد الإسلامية من دمياط في مصر وهزم في المنصورة شر

---

(١) الحضارة العربية لغوستاف لوبون ص٣٢٥.

(٢) السابق ص ٣٢٦.



هزيمة، وأسر في دار بن لقمان [1].

- نقطة التحول الفاصلة في تاريخ الصراع بين النصارى والمسلمين.

وهنا كانت نقطة التحول الفاصلة في حياة النصرانية وبذور الكيد للأمة الإسلامية، جلس لويس التاسع مع نفسه في سجنه يحلل تاريخ الصراع بين المسلمين وأعدائهم تحليلا منطقيا، وتعليلا عقليا، فوجد النصارى منذ سبعة قرون في تدهور مستمر وهزائم متوالية في حربهم مع العرب، ينهزمون في كل مرة بصورة تدهش العقول وتثير العجب، فالعرب في كل معركة ينتصرون بعدد قليل وحماس كبير فما السبب؟ فوصل إلى حيثيات أكيدة وأحكم للمسلمين المكيدة، وأيقن أن السبب في نصرهم التزامهم بدينهم وإسلامهم، أما ذواتهم وأشخاصهم فهم بشر لا يزيدون عن الآخرين في الحجم والصور، ومن ثم توصل إلى حقيقية يقينية أساسها أنه لكي ينتصر النصارى عليهم لا بد أن نفصل بينهم وبين إسلامهم، ونحدث فجوة بين عقيدتهم في ربهم وقلوبهم، فنزرع فيها الشهوات والشبهات، ونخلع عن أبدانهم لباس الإيمان والطاعات حتى يستووا معنا في الذات والصفات، عندها وفقط يتمكن النصارى من كسرهم وإخضاعهم واستعبادهم وتقطيع أوصالهم.

وقرر أنه لا بد من دراسة هذه الديانة التي هي سبب نصرهم ولا بد للجهد النصراني أن يتحول إلى غزو فكري يحقق هذا الهدف، فأحسن لويس التاسع التحليل والتفسير، وأحكم الخطة والمكر والتدبير منذ أكثر من سبعة قرون مضت، والآن يقطف النصارى ثمارها والمسلمون

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبي الأتابكي ٦/٣٦٦، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.

يشعرون بآثارها، بل يمكن أن نفسر من خلالها أحداث العالم التي تدور من حولنا، وحال المسلمين المشين إنما هو نتيجة مباشرة لخطة الغزو الفكري الذي يتكاتف فيه الجهد النصراني مع الخبث اليهودي.

لقد قرر لويس التاسع ملك فرنسا في وثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية في باريس أنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب، وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة بإتباع ما يلي:

١- إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين، وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملا في إضعاف المسلمين.

٢- عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح.

٣- إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء حتى تنفصل القاعدة عن القمة.

٤- الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق يضحي في سبيل مبادئه.

٥- العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة.

٦- العمل على قيام دولة غربية في المنطقة العربية تمتد ما بين غزة جنوبا وأنطاكية شمالا، ثم تتجه شرقا وتمتد حتى تصل إلى الغرب[1].

---

(١) نقلا عن قادة الغرب يقولون دمّروا الإسلام أبيدوا أهله لجلال العالم ص٣٢ دار الفكر بيروت ١٩٧٨م. وانظر أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، للأخ الدكتور عبد الله عبد الرحمن الجربوع، طبعة الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ص ١١٤. وانظر الصراع الفكري في البلاد المستعمرة لمالك ابن نبي ص١٤، دار الفكر المعاصر بيروت. والغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ص٧، دار الأنصار القاهرة.

ويخطئ من يظن أن الغزو الفكر إنما هو مصطلح عصري نشأ في القرن العشرين، لأن الملك لويس النصراني في بنود وثيقته زرع الفكرة وخطط لها بإتقان، وعمل الغرب الصليبي على تنفيذها من زمنه حتى الآن، ويمكن النظر والمقارنة بين ما جاء في وثيقته وما يحدث للمسلمين في العقود الماضية والحاضرة من خلال النقاط التالية:

أولا: ضرورة تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف نفس الغرض وهو مواجهة الإسلام والقضاء عليه وتملك بلاد آسيا وأفريقيا، ولا فرق بين الحملات الصليبية الجديدة والحملات العسكرية إلا من حيث نوع السلاح الذي يستخدم في المعركة، ومعلوم أن أسلوب الغزو الفكري يفوق بعشرات المراحل أسلوب الغزو العسكري، فهو يعتمد على عدة أمور منها:

١ـ الخداع: فالعدو من خلال هذا الغزو لا يقف أمامك عيانا بيانا، بل هو مستخف يأتيك من وراء حجاب ويداهمك بدون شعور، قد يأتيك في صورة مقال جذاب أو كتاب بغلاف براق، أو برنامج إذاعي أو تلفزيوني، أو فيلم أو مسلسل، بل إنه قد يأتيك من خلال واحد من أبناء جلدتك ووطنك، بل ودينك أحيانا.

٢ـ الخطورة: الغزو الفكري أخطر بكثير من الغزو العسكري، لأنه عميق التأثير في الشعوب المغزوة، إذ يمتد تأثيره عشرات، بل مئات السنين أحيانا، والشعب الذي يحارب بالغزو الفكري ينصرف بمحض اقتناعه هو كما يريد الغازي.

٣ـ البساطة: فالغزو الفكري سهل وبسيط، وأقل تكلفة من الغزو

العسكري الذي يكلف كثيرا من الدماء والطاقات.

ومما يزيد في ضراوة المعركة أن معظم الطبقة التي تملك زمام البلاد الإسلامية من المفكرين والسياسيين مع القيم الغربية قلبا وقالبا، وزاد من خطر هذه الهجمة الفكرية التقاء المصالح والجهود النصرانية واليهودية في التخطيط للسيطرة على العالم وتدمير الإسلام، والتقاء هؤلاء مع الشيوعيين والعلمانيين على عداوة الإسلام واعتباره الخطر الأول عليهم، وعملهم جميعا على محاربته بكل الوسائل الفكرية والمادية، وقد استخدموا لهذا الغرض جيوشا من المبشرين والمستشرقين ودورهم هو نشر الفكر الهدام في صفوف المسلمين، وصرفهم عن المفاهيم الصحيحة التي جاء بها الإسلام في كل المجالات.

وقد أدرك المستشرقون ومن ورائهم من قادة الاستعمار أن عقيدة كثير من المسلمين قد شابها ما شابها من الانحراف، وعملت فيها جهود الحاقدين القديمة، ولولا ذلك ما نجحت مخططاتهم الحديثة بهذه السهولة، ولذلك اتجهت أهدافهم إلى ترسيخ الانحراف والعمل على منع عودة المسلمين إلى الفهم الصحيح للإيمان المستمد من الكتاب والسنة وما كان عليه السالف الصالح، وقد عملوا لتحقيق ذلك في عدة مجالات، منها إحياء تلك الجهود القديمة وإذكاء نارها.

- التخطيط للوقيعة بين أبناء المسلمين وإثارة الخلافات بينهم.

ثانيا: إحداث الوقيعة بين أبناء المسلمين وإثارة الخلافات بينهم والعمل على بقاء نارها مستعرة، وقد تم ما خطط له على وجه الكمال، فقسمت الأمة الإسلامية إلى حدود جغرافية وهمية، وأشاعوا أنها حدود عالمية تحت مسمى الشرعية الدولية، بحيث تتعصب كل دولة لأرضها،

وتجعل الولاء لها مقدما على الولاء لدينها، وتقدم بني جنسها في الوطنية على إخوانها في العقيدة الإسلامية، ولم يكن ذلك معهودا فيما سبق فولاء المسلم لإسلامه مقدم على ولائه لأرضه وعشيرته، ولولا ذلك ما هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ إلى المدينة، أما أن يكون الولاء كله للأرض والوطنية وشعارات القومية ولواء الإسلام في ذيل القوائم دون أهمية، فهذه عبودية لغير الله أرادها لويس التاسع في وثيقته.

والمسلم إذا جعل وطنه مقدما على دينه ضيعه الله ووكله إلى نفسه حتى يرجع إلى دينه، ومن جعل الإسلام مقدما على وطنه حفظ الله دينه ووطنه، ولذلك فإن الإسلام لا ينظر إلى صور الناس أو أجناسهم أو أوطانهم أو قومهم أو أرضهم، ولكن ينظر إلى مقدار التقوى في قلوبهم كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ الحجرات:١٣.

وروى الترمذي وصححه الألباني من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لَيَنتَهِيَن أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُون بِآبَائِهِم الذِين مَاتُوا، إنمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنمَ، أَوْ لَيَكونن أَهْوَن على اللهِ مِن الجُعَل الذِي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنفِهِ، إن اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إنمَا هُوَ مُؤْمِن تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، الناسُ كُلهُمْ بَنو آدَمَ وَآدَمُ خُلقَ مِن تُرَابٍ) [(١)].

وها نحن نري الآن تكتلات غربية في مقابل تمزقات إسلامية، فنجد الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من خمسين ولاية، كل ولاية تعادل

---

(١) الترمذي في كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن ٥/٧٣٤ (٣٩٥٥) وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع (٥٤٨٢).

دولة من الدول الإسلامية، ونرى الآن في الدول الأوربية تكتلات تجارية واتحاد في العملة ورفع الفواصل بين هذه الدول وإذابتها، بحيث تكون دولة واحدة وقوة ضاربة، والسؤال الذي يضرب في قلب المسلم بشدة لماذا لا يحدث هذا بين المسلمين؟ هل هذا لتقصير القائمين على الأمر في البلاد الإسلامية؟ أم هناك عدو خطط منذ زمن طويل وبصبر كبير وقع المسلمون في شباكه حتى ذقنا مرارة الواقع في عصرنا الحاضر؟

أين دعوة الإسلام وغاياته وأهدافه؟ وكل إنسان من قومنا يتعصب إلى قوميات بغيضة وشعارات منتنة تزلزل مكانة المسلم وتهوي به إلى مستنقع يقيم فيه الآخرون، نعم نحن عرب، ولكن العروبة لا تعطينا بذاتها عقيدة عن الحياة ولا نظاما لها، وما خلفته الجاهلية لا يعدو أن يكون ضروبا من الشعر والنثر والخطابة في أغراض تافهة محدودة، وتاريخا مليئا بالفرقة والشتات مع بعض الأخلاق الحميدة التي تطغى عليها أضدادها من ألوان القبيح، ولقد جربنا أن ندخل حروبا قديما وحديثا باسم العروبة فقط فبؤنا في جميعها بالخيبة أمام القومية التركية والقومية اليهودية والقومية الإيرانية والقوميات الأوروبية، وأسباب هزيمة القومية العربية في كل حروبها كثيرة منها:

أ ـ أن الأصول لمن يتكلم العربية الآن مختلفة، فالمقيمون في البلاد الآن منهم القبط والبربر والأكراد والزنوج والآشوريون والبابليون والإيرانيون وبقايا الصليبيين والترك والمغول، ومن هؤلاء من يحن لقوميته القديمة وخاصة بعد بعث الدعوة إلى القومية العربية، وهذه الأصول المختلفة لا شك أنها تجعل أهواءنا ورغباتنا وآمالنا مشتتة متفرقة.

ب ـ الناطقون بالعربية الآن يتبعون ديانات مختلفة، منها الإسلام

والنصرانية واليهودية وغير ذلك، ولا شك أن جل هؤلاء، ولاء أحدهم لدينه أكبر من ولائه لعروبته، وإذا قرأنا التاريخ علمنا أن النصارى العرب فرحوا بالاستعمار ورحبوا به وقاتلوا في صفوفه، وأن بعض اليهود العرب هربوا أموالهم إلى دولتهم في فلسطين وهاجروا إليها وحاربوا في صفوف أبناء قوميتهم ودينهم ضد أبناء أوطانهم ولسانهم.

ج ـ القومية العربية لا تعطي أبناءها عقيدة يعيشون لها، ويموتون في سبيلها، وإذا جردت عن الإسلام فليس لها تاريخ مشرف يبني عليه ويدفع أصحابه إلى احتذائه.

د ـ القومية العربية بالإسلام تكون أمرا ذا بال، ودعوة ذات كيان، فالعرب لا شك أنهم مادة الإسلام، وحاملوا لوائه، والمبشرون به قديما وحديثا، ولكنهم بالعروبة وحدها لم يكونوا شيئا يذكر، فلما جاء الإسلام جعل منهم أمة واحدة، وهذه أولى درجات المجد والعز، ثم دفعهم إلى دعوة الناس جميعا للإيمان بدعوتهم، وكانت هذه هي الدرجة الثانية في سبيل عزهم ومجدهم، وفي سبيل تحقيق ذلك أمرهم بالعلم والقوة، وكل ما يؤهلهم للسيادة ففعلوا، وبذلك صاغهم الإسلام صياغة جديدة وجعلهم على مستوي المسؤولية التي كلفهم الله بها، فلما رجعوا إلى شعار العروبة مرة ثانية، وهذا بدفع أعدائهم لما أدركوا خطورتهم كما رأينا في فكرة لويس التاسع، وجدوا أنهم لا شيء مطلقا، فكيف نقدم بعد هذا شعار العروبة على شعار الإسلام؟

نحن مسلمون أولا لأنه بالإسلام كان عزنا ومجدنا، وعرب ثانيا، ويشرفنا ذلك؛ لأن الله اختارنا لرسالته الخاتمة التي يؤهلنا بها لنكون هداة للعالمين جميعا، ولم يكرم الله شعبا كما أكرمنا، فنحن مسلمون

عرب وهذه هويتنا، وليست العروبة عندنا عصبية نتعصب لها، فنظلم بها المسلم غير العربي، أو نقدم بها الكافر العربي على إخواننا في الدين مهما كانت جنسيتهم وألوانهم.

أما كوننا أهل أوطان لا أهل وطن واحد، فإنما كان ذلك بفعل أعدائنا، وتمزيقهم لأرض أمتنا التي قامت عليها، وما هذه الحواجز والسدود بين دولنا العربية إلا أثر سيئ من آثار أعدائنا، وليس هناك مسلم حق يتعصب لهذه التجزئة، ويراها نهاية لمطاف أمته وعزتها، ولقد أثبت هذا التمزيق أنه أنفع سلاح في يد الأعداء، فلم تستطع ولن تستطيع دولة واحد منا أن ترد عن نفسها أي عدو من الشرق أو الغرب، والوقائع شاهدة بذلك.

وإذا كنا نستطيع أن نحل دعوة الإسلام مكان الدعوة إلى القومية العربية بجهد قليل نسبيا، فإننا لن نستطيع أن نقضي على الدعوة للتعصب الوطني المخالف للإسلام إلا بعد جهد طويل وشاق، وذلك أن للتعصب الوطني الآن دولا وحكومات وأعلاما وأناشيد وطنية، وشعوبا كاملة ترى في هذه التجزئة نفعها المادي ومراكزها المرموقة، ولذلك فلا بد أن يسبق ظهور الوطن الواحد دعوة صادقة إلى الإخوة والمحبة ووضع أسس ثابتة تحفظ لكل ذي حق حقه، وإلا كان الاندماج نوعا من الاستغلال والسيطرة وبذلك يقع الظلم وتتضرر دعوة الإسلام.

والدعوات الجديدة التي غرسها الأعداء في بلادنا هي تمزيق جديد لوحدة الأمة، ولا بد لها من الزوال إن أردنا العزة والنصر، وشعار العروبة الذي تلبسه أحيانا الدول العربية، شعار زائف لأنه سريعا ما يظهر أنهم يعملون ضد العروبة وضد الإسلام لمصلحة أعداء هذه الأمة.

هذه هوية الأمة ومنطلقها نحو النصر، فيها الإسلام هو الأرض الصلبة التي نقف عليها ثم العروبة، وهذا تشريف يحمل في طياته تكليفا عظيما، لأن العرب اختارهم الله لحمل هذه الرسالة، فلا انفكاك لهم عنها إلا إلى الكفر والتمزق والضياع، والأوطان المختلفة وضع شاذ يخالف طبيعة الأمة الواحدة، ولا بد أن يعمل الجميع مخلصين معا، القادة والشعوب للقضاء على هذا الشذوذ بما يحقق العدل والخير ويحفظ لكل ذي حق حقه، ويجعل أمة الإسلام ذات وطن واحد. فكانت أول وصايا الغزو الفكري العمل على دس الوقيعة بين أبناء المسلمين وإثارة الخلافات في الأوساط الإسلامية وبعث القوميات والنعرات الجاهلية، والعمل على إبقاء نارها مستعرة بين حكامهم وأمرائهم.

ثالثا: استغلال الخلافات والمنافسات بين حكام المسلمين لتحقيق امتيازات سياسية واقتصادية للغرب، وقد تم ذلك على وجه الكمال فعلى سبيل المثال، من المستفيد من الخلافات بين الدول الإسلامية وما تأجج بينها من حرب ودمار؟ ومن المستفيد من الخلاف بين العراق ودول الجوار حتى احتلت العراق؟ ومن المستفيد من زعزعة السودان وتفتيت الصومال؟ ومن المستفيد من بقاء المنقطة في دوامة مستمرة دون استقرار؟ إنها خطة مدروسة طويلة الأمد.

رابعا: تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا واعتبار هؤلاء المبشرون جنودا للغرب، والعمل على استخدام مسيحي الشرق بعد توحيد صفوفهم ضد الإسلام في تنفيذ سياسة الغرب، فهؤلاء إن لم يدخلوا المسلمين في دينهم، فيكفيهم أن يخرجوهم من عقيدتهم في إسلامهم، فالعقيدة

السليمة جعلت من المسلمين أمة سامية، وهي التي دفعهم إلى العز والمجد الذي حققوه في وقت قصير من الزمان، فإذا تمكن النصارى في معركة سلمية من هدم أسباب النصر ومحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا فإن الغلبة لا شك ستكون لهم.

- العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق كشوكة مؤلمة.

خامسا: العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الأوسط تشمل فلسطين والأردن والبلاد المقدسة ثم لبنان بأسره وجزءا من سوريا، ومن هنا نشأت فكرة غرس اليهود في فلسطين وإمدادها بالسلاح والقوة لكي تبقي شوكة قوية في جسد الأمة الإسلامية، لا تقوى على الحراك من شدة الألم، ولا تتطلع يوما للوقوف في وجه الغرب، ويمكن الآن تفسير العلة في تطبيق الشرعية الدولية على جميع البلاد العربية دون إسرائيل، وسياسة الغربيين في الكيل بمكيالين.

لقد مر الغزو الفكري بمرحلة الإعداد، وهذه المرحلة قبل الاستعمار العسكري المباشر، ويشمل ذلك التخطيط للتفريق بين المسلمين وإسقاط الدولة العثمانية، وإيجاد الدول القومية لدي الشعوب الإسلامية، وإثارة الكراهية بين العرب والترك، وقد نشطت هذه المرحلة في القرن التاسع عشر الميلادي، ثم مرحلة الاستعمار العسكري، وفيها وقعت معظم البلدان الإسلامية تحت حكم المستعمرين النصارى في أوائل القرن العشرين الميلادي، وبذلك استلم الأعداء مباشرة مراكز التعليم والتربية والحكم والإعلام وسائر مؤسسات الدولة، فوجهوها وجهة غربية إلحادية، وأقاموها على الأفكار والنظريات الضالة التي توافق وضع المستعمر وتحقق أهدافه، وأثيرت الأفكار الجاهلية والشكوك والطعن في

الإسلام، والدعوة إلى مسايرة الغرب علنا في مجالات واسعة كالإذاعات والمسارح والسينما والمدارس والصحف وغيرها.

ثم مرحلة ما بعد الاستعمار، وهي فترة تعتبر في كثير من البلاد استمرار لمرحلة الاستعمار العسكري حيث أن المستعمرين يسلمون الحكم لمن ربوهم على أفكارهم واتجاهاتهم، أو يعاونون شرذمة قليلين من الموالين المنحرفين إلى بعض الأفكار الخبيثة، كالشيوعية والاشتراكية أو الرأسمالية أو القومية البعثية أو العلمانية الوطنية أو غيرها، ففرض على الشعوب الإسلامية ما غرسه الاستعمار، أو وقعت تحت أوضاع أشد خطرا وكفرا وتسلطا [١].

قال القس سيمون: (إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية)[٢].

وقال المبشر لورنس براون: (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، أو أمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير) [٣].

ويقول أرنولد توينبى: (إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ) [٤].

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة ص١١٤.
(٢) كيف هدمت الخلافة للشيخ تقي الدين النبهاني ص١٩٠.
(٣) جذور البلاء لعبد الله التل ص٢٠٢، نشر دار الإرشاد١٩٧١م.
(٤) الإسلام والغرب والمستقبل لأرنولد توينبي، ترجمة نبيل صبحي ص٧٣.

وفي العام السابع من القرن التاسع عشر عقد مؤتمر أوربي كبير ضم أضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح: (إن الحضارة الأوروبية مهددة بالانحلال والفناء، والواجب يقضي علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا) (١).

واستمر المؤتمر شهرا من الدراسة والنقاش، واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التي يمكن أن تقضي على الحضارة الغربية الآفلة فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربا، فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط، لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربا، وأخيرا قرروا إنشاء قومية غربية معادية للعرب والمسلمين في فلسطين، ليبقي العرب متفرقين، وبذلك أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين (٢).

وقد عملوا منذ زمن طويل على إنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية التي كانت رغم بعد حكمها عن روح الإسلام في كثير من النواحي، إلا أن الأعداء كانوا يخشون أن تتحول هذه الخلافة من خلافة شكلية إلى خلافة حقيقية تهددهم بالخطر، وكانت فرصتهم الذهبية التي مهدوا لها طوال قرن ونصف هي سقوط تركيا مع حليفتها ألمانيا الخاسرة في الحرب العالمية الأولى، فدخلت الجيوش الإنكليزية

---

(١) المؤامرة ومعركة المصير لسعد جمعة ص٢٥ دار الكاتب العربي بيروت ١٩٦٨م.
(٢) السابق ص٢٥ بتصرف.

واليونانية والإيطالية والفرنسية أراضي الدولة العثمانية، وسيطرت على جميع أراضيها ومنها العاصمة اسطنبول، ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين، اشترطت إنكلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد إلغاء الخلافة الإسلامية، وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله، وأن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة، وأن تقطع تركيا صلتها بالإسلام، وأن تختار لها دستورا مدنيا بدلا من دستورها المستمد من أحكام الإسلام.

وقد نفذ كمال أتاتورك الشروط السابقة كاملة، فانسحبت الدول المحتلة من تركيا، ولما وقف وزير خارجية إنكلترا كرزون في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جري مع تركيا، احتج بعض النواب الإنكليز بعنف على كرزون واستغربوا كيف اعترفت إنكلترا باستقلال تركيا التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب، فأجاب كرزون: لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم، لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في الإسلام والخلافة، فصفق النواب الإنكليز كلهم وسكتت المعارضة [١].

وقد نجحوا في إلغاء الخلافة الإسلامية وتفريق كلمة المسلمين وجعلهم أمما وشعوبا مختلفة بعد أن كانوا تحت لواء الخلافة أمة واحدة، ليس هذا وفقط بل أنشئوا ديكتاتوريات عميلة في أشلاء العالم الإسلامي المتبقية.

يقول المستشرق سميث الأمريكي والخبير في شئون باكستان: (إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة

---

(١) كيف هدمت الخلافة للشيخ تقي الدين النبهاني ص١٩٠.

ديمقراطية، فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها) [(١)].

وينصح رئيس تحرير مجلة تايم الحكومة الأمريكية أن تنشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره.

لكنهم لا ينسوا أن يعطوا هذه الشعوب فترات راحة حتى لا تنفجر، يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا: (إن الخطر لا يزال موجودا في أفكار المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي أنزلناها بهم، لكنها لم تثبط من عزائهم) [(٢)].

ويقول المستشرق البريطاني مونتجومري وات في جريدة التايمز اللندنية عام ١٩٦٨: (إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوي السياسية العظمى في العالم مرة أخرى) [(٣)].

ويقول المستشرق جب: (إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة تدعو إلى الدهشة، فهي تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة، لا ينقصها إلا ظهور صلاح

---

(١) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي ص١٩.
(٢) السابق ص١٩.
(٣) الحلول المستوردة للدكتور يوسف القرضاوي ص١١.

الدين في ثوب جديد) [١].

وقد ترتب على ذلك إلغاء المحاكم الشرعية في ديار المسلمين، والسيطرة على أوقاف المسلمين، ونشر القوانين الوضعية ودراستها حتى أنشئت كليات للحقوق في أكثر البلاد الإسلامية يدرس فيها القانون الروماني والقانون الفرنسي وغيرهما من القوانين الأجنبية، ولا تدرس الشريعة الإسلامية إلا في زاوية من زواياها، وهي الأحوال الشخصية فقط، أما حقائق الشريعة الإسلامية وتشريعاتها المختلفة فلا مجال عندهم ليعرف المسلم عنها شيئا بل يجهل أبسط مبادئها وأحكامها.

- كيف خططوا لإضعاف سلطان الإسلام في نفوس المسلمين؟

الغربيون يعتبرون القرآن هو المصدر الأساسي لقوة المسلمين، وبقاؤه بين أيديهم حيا يؤدي إلى عودتهم إلى قوتهم وحضارتهم، يقول غلادستون: (ما دام هذا القرآن موجودا، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا تكون هي نفسها في أمان) [٢].

ويقول المبشر وليم جيفورد بالكراف: (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه) [٣].

ويقول المبشر تاكلي: (يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضي سلاح

---

(١) الاتجاهات الحديثة في الإسلام لهاملتون جيب ص٣٦٥، عن الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين ٢/٢٠٦.

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ص ٣٩.

(٣) جذور البلاء لعبد الله التل ص٢٠١.

في الإسلام ضد الإسلام نفسه حتى نقضي عليه تماما، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد فيه ليس صحيحا) [١].

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها: (يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم) [٢].

وقد أثار هذا المعنى حادثة طريفة جرت في فرنسا، فمن أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت فرنسا بتجربة عملية، حيث قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماما، وبعد أحد عشر عاما من الجهود هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون، ولما ابتدأت الحفلة، فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري، فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن، بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاما؟ أجاب لاكوست وزير المستعمرات الفرنسى: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوي من فرنسا؟ [٣].

وحتى يفصلوا بين المسلمين ودينهم، ويضعفوا سلطان الإسلام والقرآن في نفوسهم، عملوا جاهدين بتخطيط هادئ محكم بدت معالمه

(١) التبشير والاستعمار لمصطفى الخالدي ص٤٠.
(٢) مجلة المنار عدد ٩/١١/١٩٦٢.
(٣) جريدة الأيام عدد ٧٧٨٠، الصادر بتاريخ ٦ كانون أول ١٩٦٢.

في محاولة السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم سياستها، إما بطريق مباشر كما حصل في بعض بلاد الإسلام حينما تولي القسيس دنلوب تلك المهمة فيها، أو بطريق غير مباشر عندما يؤدي المهمة نفسها تلاميذ ناجحون درسوا في مدارس دنلوب، وتخرجوا فيها فأصبح معظمهم معول هدم في بلاده وسلاحا فتاكا من أسلحة العدو، يعمل جاهدا على توجيه التعليم توجيها علمانيا لا يرتكز على الإيمان بالله والتصديق برسوله ﷺ وإنما يسير نحو الإلحاد ويدعو إلى الفساد، ودراسة الإسلام لهدمه وكذلك اللغة العربية، وتأليف الكتب وتحقيق تراث الطوائف الضالة، وتولي النصارى واليهود كراسي التدريس في الجامعات الغربية، حتى أحدث هؤلاء المستشرقين فتنة فكرية كبيرة بين المثقفين من أبناء الإسلام بالشبه التي يلقونها لطلابهم، أو التي تمتلئ بها كتبهم وتروج في بلاد المسلمين، حتى أصبح بعض تلك الكتب مراجع يرجع إليها بعض الكاتب والباحثين في الأمور الفكرية أو التاريخية.

ولقد تخرج على يد هؤلاء المستشرقين من أبناء المسلمين رجال قاموا بنصيب كبير في إحداث فتن كبرى أدت إلى نزع هوية الثقافة الإسلامية من عقول أبنائنا، وساعدهم في ذلك ما يحاطون به من الثناء والإعجاب، وما يتولونه من مناصب هامة في التعليم والتوجيه والقيادة، فأكملوا ما بدأه أساتذتهم، وحققوا ما عجزوا عنه، لكونهم من أبناء المسلمين ومن جلدتهم، ينتسبون إليهم ويتكلمون بلسانهم.

كما سعوا لإرسال أكبر قدر ممكن من شباب المسلمين وأبنائهم إلى ديار الغرب لينهلوا من ثقافته المسمومة هناك، ويودعوا دينهم وخلقهم ومبادئهم، ثم يعودوا إلى ديارهم وبلادهم محاطين بهالة عظيمة من

المدح والثناء حتى يتسلموا المناصب والقيادات في بلدانهم، رجعوا يحملون أمانة التبشير النصراني مهيئين لشن حرب لا هوادة فيها على الإسلام.

ومن مخططاتهم إسهامهم في نشر الكتب المفسدة العابثة المضللة التي تشغل الشباب عن ثقافتهم الأصلية، وتلهيهم بالعبث والخيال الماجن الذي يجرهم إلى الابتذال والسخرية والمجون والجنون، وتمجيد وإحياء الحضارات القديمة كالحضارة الآشورية، والحضارة الفينقية، والحضارة الفرعونية، وتسليط الأضواء عليها لينبهر بها الشباب المسلم، وينسى حضارته الإسلامية الأصلية، وقد طمسوا عنها أخبارها وشوهوا لها حقائقها وفتحوا عينيه على حضارتهم الهشة وأمجادهم المبتورة.

ومن مخططاتهم فتح المدارس الأجنبية في ديار المسلمين وتكثيرها وتنويعها، وإرسال القسس والرهبان ليشرفوا على هذه المدارس ويربوا أجيال المسلمين على أعينهم، ففتحوا المدارس التي كمن التبشير والاستعمار في طيات كتبها المسمومة، وفي صدور أساتذتها الحاقدين على الإسلام، والذين وهبوا أنفسهم لمكافحة الإسلام ودحر المسلمين، وكذلك إنشاء الجامعات الغربية، ودور الحضانة ورياض الأطفال، والمستشفيات والمستوصفات، وجعلها أوكارا لأغراضهم السيئة، وتشجيع الدراسة فيها عند الطبقة العليا من أبناء المجتمع، ومساعدتهم بعد ذلك على تسلم المراكز القيادية، والوظائف الكبيرة حتى يكونوا عونا لأساتذتهم في تحقيق مآربهم في بلاد المسلمين.

ومن مخططاتهم فتح نوافذ للحضارة والثقافة الغربية وتمجيدها والدعاية لها، لينظر منها شباب الإسلام فيفتن بمباهجها، وتأخذه

مظاهرها الخلابة الكاذبة، فيبدأ بتبني ثقافتها، ويعجب بحضارتها، ويحتقر في المقابل أمته وبلاده لسوء حاضره الماثل أمام عينيه، وقد جهل هو ماضيها، وفتن بحاضر الغربيين حتى أصبح قلبه معهم، وإن كان جسمه معنا، وروحه مع الغرب وإن عاش في الشرق وسكنه وولد فيه.

ومن مخططاتهم العمل على تعطيل دور علماء الدين، والسخرية منهم وتصويرهم في الإنتاج الإعلامي بصورة الجهلاء الجامدين، والمنافقين المستغلين لسلطان وظائفهم ونفوذهم، وبث الإشعاعات واختلاق الأكاذيب حولهم، ونشر الاتهامات بينهم، لتقليص دورهم ونفوذهم وإزالة مكانتهم المعنوية من نفوس المسلمين، ومع مضي الوقت سوف تنقلب الأمور ويصبح المصلحون هم المفسدون، وها نحن نرى في عصرنا أن أهل الفساد من العلوج الفاسقين والفاسقات والراقصين والمومسات، هم أعلام القدوة وأصحاب الإبداع والفنون، وهم النجوم الساطعة والقيادات اللامعة التي تنال الحظوة والاحترام، وللأسف نجح الأعداء في تشويه صورة العلماء الذين يأخذ عنهم الدين وتكتسب منهم الدعوة ويقتبس منهم نور الإسلام وحقائقه، وأصبح التخصص في أصول الدين آخر الأولويات في حسابات المقبلين على الكليات والجامعات الإسلامية.

ومن هذه المخططات تشويه حقائق الإسلام والتركيز على القرآن الكريم، وتوجيهه الهجوم عليه من قبل العلمانيين والشيوعيين المسئولين عن القطاعات الأدبية والصحفية والمؤسسات الحزبية، وكذلك فسح المجال للمذاهب والمبادئ الهدامة، كالماسونية والبهائية والقاديانية وغيرها، وإشغال المسلمين بها، وإخراجهم من دينهم بزعامات فارغة

يوجهها رجال من الشرق والغرب، وهم جميعا أعداء الإسلام.

ومن مخططاتهم تشويه التاريخ الإسلامي والتشكيك في حوادثه، وإبراز الجوانب الضعيفة أو المؤسفة فيه، ووصفه بالرجعية والتخلف وعصر الظلمات، وغير ذلك من المصطلحات، وقد قدم كثير من المستشرقين في هذا الميدان ما أشبعوا به شبابنا حقدا على الإسلام، وكرهوهم ونفورهم من تراثهم وتاريخهم.

ومن مخططاتهم تنشيط تعليم اللغات الغربية في البلدان الإسلامية والدعوة إلى نشر اللغة العامية، وجعلها تزاحم اللغة العربية، لغة القرآن الكريم التي أنزل الله بها كتابه، والتي يتعبد بها المسلمون ربهم في الصلاة والحج والأذكار وغيرها، وتشجيع كل الدعوات الأدبية الهدامة التي تحارب اللغة العربية، وتحاول إضعاف التمسك بها في ديار الإسلام، كالدراسات الكثيرة التي يراد بها تطوير النحو وإفساده، وتمجيد ما يسمونه بالأدب الشعبي والتراث القومي، وتخصيص إذاعات موجهة تعتمد في برامجها على الخلاعة، واللهو والغناء ودوام الإذاعة لكل ما يغضب الله ﷻ، حتى يعتاد أبناء المسلمين على ذلك، ويصبح قرآنهم ألبومات الغناء التي تبث في هذه الإذاعات.

- كيف خطط نصارى الغرب لتدمير أخلاق الجيل الإسلامي المعاصر؟

تقول المبشرة آن ميليغان: (لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات، ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وبالتالي ليس هناك من طريق أقرب إلى تقويض حصن

الإسلام من هذه المدرسة) [١].

إنهم يعنون بإخراج المرأة المسلمة من دينها أن يخرج معها الجيل الذي تربيه، ويخرج معها زوجها وأولادها، وتصبح أداة تدمير قوية لجميع القيم الإسلامية، والمجتمع الذي يحاولون تدميره وإلغاء دوره الحضاري من العالم.

لقد أكد قادم من الضفة الغربية أن السلطات الصهيونية تدعو الشباب العربي بحملات منظمة وهادئة إلى الاختلاط باليهوديات، وخصوصا على شاطئ البحر، وتتعمد اليهوديات دعوة هؤلاء الشباب إلى الزنا بهن، كما أن السلطات اليهودية تلاحق جميع الشباب الذين يرفضون هذه العروض بحجة أنهم من المنتمين للحركات الفدائية، كما أنها لا تُدخل إلى الضفة الغربية إلا الأفلام الجنسية الخليعة جدا، وكذلك تفتح على مقربة من المناطق الصناعية التي يعمل فيها العمال العرب الفلسطينيون دورا للدعارة شبه مجانية، كل ذلك من أجل تدمير أخلاق أولئك الشباب، لضمان عدم انضمامهم إلى المقاومة في الأرض المحتلة.

قال مرماديوك باكتول: (إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقا، بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم) [٢].

ويقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس

---

(١) التبشير والاستعمار لمصطفى الخالدي ص٨٧.

(٢) نقلا عن قادة الغرب يقولون دمّروا الإسلام أبيدوا أهله لجلال العالم ص٢٥.

للمبشرين المنعقد عام ١٩٣٥م: (إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريما، إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له، ألا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقا لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، ويسعي للحصول على الشهوات بأي أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، أيها المبشرون إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه) (١).

ويقول زويمر: (مادام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية، ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب) (٢).

ويقول جب: (لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا حتى انحصرت في طقوس محددة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا عن غير وعي وانتباه،

(١) جذور البلاء لعبد الله التل ص٢٧٥.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي لشاتيليه ص ٨٢.

وقد مضي هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الإسلامي، وعلى الشباب منهم خاصة، كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني) [١].

لقد دعا هؤلاء في غزوهم إلى إفساد المجتمع المسلم، وتزهيد المرأة في وظيفتها في الحياة، وجعلها تتجاوز الحدود التي حد الله لها، وجعل سعادتها في الوقوف عندها، وذلك حينما يلقون بين المسلمين الدعوات بأساليب شتي وطرق متعددة إلى أن تختلط النساء بالرجال، وإلى أن تشتغل النساء بأعمال الرجال، يقصدون من ذلك إفساد المجتمع المسلم والقضاء على الطهر والعفاف الذي يوجد فيه، وإقامة قضايا وهمية ودعاوي باطلة في أن المرأة في المجتمع المسلم قد ظلمت، وأن لها الحق في كذا وكذا، ويريدون إخراجها من بيتها وإيصالها إلى حيث يريدون، فما بالنا وهم بنشر المجلات الخليعة والسينما المسمومة والتلفزيون المشحون بما يثير غرائز الشباب، ويشغلهم بالتفكير في إشباع غرائزهم عن التفكير في مصالح أمتهم ومستقبل دينهم وعقيدتهم وحرية أوطانهم وأمتهم، وما بالنا بالعمل المتواصل لإفساد شبابنا ورجالنا بزجاجات الخمر وفتاة الهوى والصورة الخليعة والقصة الماجنة باسم الحرية والترفيه.

- **مفهوم الاستشراق وتاريخه وأهدافه وبيان آثاره في إضعاف المسلمين.**

الاستشراق في اللغة مصدر استشرق، أي اتجه إلى الشرق وتزيا بزي أهله وتعلم لسانه ولغته، وفي الاصطلاح القيام بالدراسات المختلفة عن

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد حسين ٢/٢٠٤بتصرف.

الشرق الإسلامي والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته وأرضه، وما فيها من كنوز وخيرات وكل ما يتعلق بهم [(١)].

والمستشرق هو من درس لغة أو أكثر من لغات الشرق كالعربية والعبرية والسريانية، ثم درس بهذه اللغة علومها، وعلى هذا فهو في ظاهره حركة علمية يراد بها دراسة لغة الشرق وتراثه، وفي حقيقة أمره تيار منظم لمواجهة الإسلام وتشويهه وصرف الناس عنه، وتمهيد للاستعمار النصراني للعالم الإسلامي، وخدمة الصهيونية العالمية، فالمستشرقون إلا ما ندر لم يريدوا خدمة العلم بهذه الدراسة، ولم يكن لهم قصد حسن، أو نزاهة في البحث، وكيف يكون ذلك وكثير منهم قساوسة منتظمون في السلك الدبلوماسي، حاقدون على الإسلام وحضارة المسلمين، فهي كهانة جديدة تلبس مسوح العلم في البحث، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد، أما من تجرد منهم للبحث العلمي فهم قليل جدا، وبعضهم كان منصفا ودفعه ذلك إلى إظهار الحقيقة، أو الدخول في الإسلام.

أما تاريخه فقد بدأ الاستشراق بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام ١٣١٢م، وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية، ولكنه بدأ قبل ذلك بصورة فردية بعد فشل الحروب الصليبية وانتشار الحضارة الإسلامية الكبيرة خاصة في بلاد الأندلس، حيث قصدها بعض الرهبان الغربيين إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم

(١) ملخص بتصرف من بحث التنصير والاستشراق من وسائل الغزو الحديث على العالم الإسلامي للأخ الأستاذ الدكتور عبد الله شاكر الجنيدي المبحث الثاني.

وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات، ومن أوائل هؤلاء الرهبان جربرت الراهب الفرنسي الذي اختير بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده.

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ولكنه لم يظهر كحركة منظمة لها أهداف محددة ومنهج معين إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته، فقد ظهر أولا في انجلترا عام ١٧٧٩م وفي فرنسا عام ١٧٩٩م كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م.

وقد نبغ في هذه الفترة عدد من علماء الغرب في الاستشراق، وأصدروا لذلك المجلات في كثير من البلاد، وأغاروا على المخطوطات العربية وسرقوا كثيرا منها، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م وتوالى عقد المؤتمرات التي تلقي فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته، ولم يقف الاستشراق عند حد الغرب النصراني، بل إن الشرق الشيوعي أيضا قد شكل جمعية للمستشرقين تحت عنوان رابطة تحرير الشرق أسسها عام ١٩٢٠م واعتبرها مدرسة علمية لتخريج الطلائع المبشرة بالشيوعية في العالم الإسلامي، ولم يقتصر الاستشراق على الغرب النصراني والشرق الشيوعي فقط، بل إن اليهود وجدوا فيه بابا هاما من أبواب السيطرة على البلاد التي يحلمون بها، فتخصص فريق منهم بالدراسات الشرقية، وتابعوا المسيرة ضمن الدراسات الشرقية في الجامعات الكبرى.

وقد قام المستشرقون بجهود كبيرة وواسعة في علوم الشرق، وبذلوا في

سبيل ذلك كثيرا من الوقت والجهد، مع تخطيط منظم دقيق، وذلك لأهداف أرادوها، وسعوا لأجلها وهي كما يلي:

١- الهدف الديني يأتي هذا الهدف على رأس أهداف الاستشراق ودوافعه، وهذا واضح لا يحتاج إلى برهان، ذلك أن طلائع المستشرقين كانوا من الرهبان والقساوسة الحاقدين على الإسلام، كما أن العلاقة بين الغرب والإسلام قائمة على صراع ديني ظهر واضحا أثناء الحروب الصليبية التي امتدت قرنين من الزمان، وقد سلكوا طرقا متعددة لتحقيق هذا الهدف تتمثل في التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ والقرآن والطعن فيه، حتى ينصرف الناس عنه.

٢- التشكيك في صحة الحديث الشريف وزعمهم أنه لا يعقل أن يصدر هذا كله من النبي الأمي ﷺ، وأن ذلك من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، والهدف من وراء حربهم للسنة أن يفقد المسلمون الصورة التطبيقية لأحكام الإسلام وللقرآن بصورة عامة، ذلك أن السنة هي الشارحة والموضحة لكتاب الله، والتقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمدا من الفقه الروماني، والتشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، لنظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا،

٣- ومن أهدافهم الدعوة إلى التنصير، وقد بدأ الاستشراق بالرهبان والقساوسة، وكانت دوافعهم واحدة، وتتلخص في انصراف المسلمين عن دينهم ومحاولة إدخالهم في النصرانية، أو بقائهم بلا دين، وخدمة الصهيونية العالمية وتمكين اليهود من احتلال فلسطين.

٤- ومن أهداف الاستشراق الهدف التجاري، وهو من الدوافع التي شجعت الغربيين على دراسة علوم الشرق، خاصة قبل الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين حتى يتمكنوا من استغلال خيرات العالم الإسلامي، ويحصلوا منهم على المواد الأولية التي يستخدمونها في صناعتهم بأبخس الأثمان، ثم تكون بعد ذلك بلاد الشرق الإسلامي سوقا واسعا لترويج بضاعتهم بأغلى الأسعار.

٥- ومن أهداف الاستشراق الهدف السياسي الاستعماري، وقد دعت الحاجة إلى هذا الهدف حينما أراد الاستعمار الغربي غزو بلاد المسلمين واحتلال أراضيهم، وكان الاستشراق هو الممهد لهذا الأمر بعد دراسة حاجة البلاد الإسلامية والوقوف على نقاط الضعف فيها، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري قاموا بإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين.

٦- ومن أهداف الاستشراق الهدف العلمي حيث قام نفر من المستشرقين بالبحث العلمي المتجرد للوقوف على أسس التقدم والحضارة الإسلامية للأمة المحمدية، وقد أدى هذا الغرض النبيل لاعتناق بعضهم للإسلام والدفاع عنه ضد خصومه من الغربيين، ومن هؤلاء المستشرق الفرنسي رينيه، ومن مؤلفاته أشعة خاصة بنور الإسلام، بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله ﷺ، ومنهم عبد الكريم جرمانوس وهو عالم مجري اعتنق الإسلام في الهند عام١٩٣٠م وعاش خمسا وتسعين سنة وكان عضوا في المجمع اللغوي في القاهرة، وقد تعرض أمثال هؤلاء مع ندرتهم إلى مضايقات من أقوامهم، ولم يجدوا رواجا لكتبهم.

• المستشرقون سلكوا وسائل مختلفة وأساليب متنوعة لتحقيق أهدافهم.

سلك المستشرقون وسائل مختلفة وأساليب متنوعة لتحقيق أهدافهم السابقة، ومن هذه الوسائل ما يلي:

١- تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله ﷺ، والقرآن الذي نزل عليه، وفيها كثير من التحريف المتعمد والطعن على هذا الدين، ومن هذه الكتب كتاب حياة محمد للسير وليم مور، وكتاب الإسلام لزويمر، ودائرة المعارف الإسلامية وهي معجم ألفه المستشرقون لخدمة اليهودية والنصرانية، لم يتركوا شيئا من عقائد الإسلام ولا شرائعه إلا وصوروه لقرائهم بما يخالف الصورة الصحيحة في كثير من الوجوه، وما لم يشوهوه من الحقائق عرضوه بصورة عادية لا مزية فيها، وفي هذه الدائرة كثير من العيوب العلمية والتاريخية المغرضة ، وهكذا كان الحال في معظم ما كتبوه ونشروه عن الإسلام، وكانت هذه الكتب بما فيها من تحريف متعمد لحقائق الإسلام من أخطر الوسائل، خاصة وأنه اقتنع بما فيها كثير من الغربيين فصرفتهم عن الإسلام وشوهت صورته أمامهم.

٢- إرساليات التنصير إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالا إنسانية في الظاهر كالعمل بالمستشفيات والخدمات الاجتماعية وغيرها، ثم يقومون بتحقيق أهداف الاستشراق إلى جانب التنصير، فعمل المستشرقين ليس منفصلا عن عمل المنصرين، بل إن مهمة كل من الطائفتين تدخل في الأخرى، ولذلك نلاحظ تعاونا وتقاربا بين التنصير والاستشراق والاستعمار، ومعظم المستشرقين إما منتسبون لمؤسسات دينية يعملون لها منسجمين مع مخططات التنصير، وإما أنهم يعملون لمؤسسات سياسية

يحققون من خلالها غرضا استعماريا لتدعيم نفوذ إحدى الدول.

٣- عقد الندوات والمؤتمرات وإلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، وفي كل الأماكن المتاحة لهم، ومن المؤسف أن أشدهم خطرا وعداء للإسلام كانوا يُسْتدعوْن إلى الجامعات العربية الإسلامية في بعض البلاد ليتحدثوا عن الإسلام بطريقتهم وعقولهم الفاسدة، ولا شك أن هذا من العجب حينما يجلس أبناء المسلمين ليتعلموا إسلامهم وأدبهم من اليهود والنصارى، بل فيهم ملاحدة لا يؤمنون بالله، وفي هذه الندوات ولقاءات التحاور يستدرجون بعض المسلمين حتى يساير المفاهيم الغربية.

إن الغاية لدى أعداء الإسلام واضحة مكشوفة، وهي القضاء على الإسلام وتمزيق المسلمين، وقد يحاول بعضهم كتمان بعض أهدافهم بضروب مختلفة من المراوغة كإعلان الرغبة في السمو بالإنسانية، ونشر الحضارة والمدنية وما إلى ذلك، والحقيقة أن غايتهم واحدة، وجميعهم يلتقي حولها، ويشكلون جبهة واحدة ضد الإسلام والمسلمين، وليس هناك أخطر من إخراج المسلم عن دينه أو زعزعته عن عقيدته ومبادئه حتى يبوء بالخسران المبين.

وهم يخططون منذ أمد برعاية الهيئات والجامعات والمؤسسات العالمية النصرانية لاكتساح العالم الإسلامي والقضاء عليه، ويتمركزون بصورة خاصة في أندونيسيا وماليزيا وبنجلاديش وباكستان، وفي بلدان أفريقيا بصورة عامة، كما أنهم نجحوا في تنصير أربعة أخماس الفلبيين، كما محوا المعالم الإسلامية في سنغافورة.

وقد كانت هناك خطة موضوعة لإزالة الإسلام من أفريقيا مع نهاية القرن العشرين، ويشرف على هذه الخطة بابا الفاتيكان الذي يتابع بنفسه مدى نجاح الخطة المرسومة، ولكن الله ضيع جهودهم وباءوا بالخسران وأصابهم الفشل في كثير من أعمالهم، وستظل بإذن الله راية الإسلام عالية في هذه البلاد التي أرادوا محو الإسلام منها [١].



(١) ملخص بتصرف من بحث التنصير والاستشراق من وسائل الغزو الحديث على العالم الإسلامي للأخ الأستاذ الدكتور عبد الله شاكر الجنيدي المبحث الثاني.

المطلب الثامن والعشرون

غزو القنوات الفضائية الموجه إلى أبناء الأمة الإسلامية وخطورته على هوية المسلمين وعقيدتهم



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن الصراع الحضاري وتحوله من صراع عسكري إلى غزو فكري على يد الملك الفرنسي لويس التاسع، وبينا أن الغزو الفكري والمآرب الخفية من أشد الأسلحة فتكا بالأمة الإسلامية، وعلمنا أسباب النصر والتمكين الذي حالف المسلمين في حروبهم العسكرية، وبينا رؤية النصارى للإسلام والمسلمين من البداية إلى نهاية الحروب الصليبية.

ثم تحدثنا عن نقطة التحول الفاصلة في تاريخ الصراع بين النصارى والمسلمين، وجهودهم في التخطيط للوقيعة بين أبناء المسلمين وإثارة الخلافات بينهم، والعمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق كشوكة مؤلمة، وكيف خططوا لإضعاف سلطان الإسلام في نفوس المسلمين؟ وكيف خطط نصارى الغرب لتدمير أخلاق الجيل الإسلامي المعاصر؟ وتحدثنا عن مفهوم الاستشراق وتاريخه وأهدافه وبيان آثاره في إضعاف المسلمين، وأن المستشرقين سلكوا وسائل مختلفة وأساليب متنوعة لتحقيق أهدافهم.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن غزو القنوات الفضائية الموجه إلى أبناء الأمة الإسلامية وخطورته على هوية المسلمين وعقيدتهم.

- غزو القنوات الفضائية هو أخطر ما يواجه به المسلمون اليوم.

روى البخاري من حديث عوف بن مالكٍ ﷺ أنه قال : (أتيْتُ النبيّ ﷺ في غزْوة تبُوك وهُو في قبّةٍ من أدمٍ فقال: اعْدُدْ ستًّا بيْن يدي السّاعة.. فذكر منها، ثمّ فتْنة لا يبْقي بيْتٌ من العرب إلا دخلتْهُ) [1].

إن أخطر ما يواجه به المسلمون اليوم، ذلك الغزو الوافد إلينا عن طريق القنوات الفضائية التلفزيونية، تلك الفتنة التي هي أقرب تفسير لحديث عوف بن مالك ﷺ، والتي لم يبق بيت من بيوت العرب إلا دخلته، والذي يؤرق الأعداء أنهم مع ما بذلوا من جهد جهيد وجدوا على مشارف القرن الجديد رجالا يحملون قضية الإسلام ويحفظون حدوده ويزودون عن حياضه، فلا يزال في الأمة الإسلامية من يؤرقهم هم الإسلام، وهذا ما دعا الأعداء لأن يزيدوا من حملتهم المسعورة ضد الإسلام، ويضاعفوا من مؤامراتهم وخططهم المبتورة لإفسادهم المسلمين وإخراجهم من دينهم، وجعلهم دمي يحركونها كيفما أرادوا. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)﴾ البقرة:٢١٧. وقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾ البقرة:١٢٠.

---

(١) البخاري في الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر ٣/١١٥٩ (٣٠٠٥).

واستغلالا للتقنية الإعلامية الحديثة في انتشار الصورة المرئية عبر القنوات الفضائية ظهرت حرب الفضائيات كغزو جديد ليس له في صفوف الأعداء خسائر تذكر، ولا نفقات كبيرة تبذل، ولكنه على الرغم من ذلك يؤدي إلى هدم جيل الشباب في صفوف المسلمين.

إن هذا الغزو القادم إلينا من الفضاء يفعل ما لا تفعله الطائرات ولا الدبابات، ولا الجيوش الجرارة، إنه يهدم العقائد الصحيحة والأخلاق الكريمة والعادات الحسنة، والشمائل الطيبة والشيم الحميدة والخصال الجميلة، ومتى تخلت الأمة عن عقيدتها وأخلاقها وقيمها سقطت في بؤر الضياع والانحلال.

مع خيوط الفجر الأولى وإشراقته الندية تبدأ جيوش من وسائل الإعلام نشاطها المحموم لتغزو العالم الإسلامي وتقتحم على المسلمين في الغرفات خلوتهم، مئات من الفضائيات تلعب دورا خطيرا في قلب مفاهيم الشباب واهتماماتهم، تفتح أبوابها وأبواقها وتسخر أدواتها وإمكانياتها للفكر الانحلالي الغربي، وتصرف هم الشباب وتحول اهتماماتهم من الالتفاف حول العقيدة والانتصار لدين الله والاندفاع نحو خدمة الأمة إلى الاهتمام بالمظاهر والانغماس في الشهوات والتعلق بالأضواء والسطحيات حتى غدا الشباب وهو في زهرة عمره، يتطلع إلى البطولات أو إبراز الذات، أو النجاح في مغامرات عاطفية سخيفة أملاها عليه فيلم سينمائي أو قصة مكتوبة أو برنامج مذاع أو دعايات مكثفة.

ولاشك أن نوعية البرامج التي يشاهدها الفرد لها أثرها الواضح في سلوكه والعكس صحيح، فمن يشاهد البرامج المثيرة للغرائز قد تكون دافعة للجنوح من خلال ما يكتسبه المشاهد منها، من قيم ومواقف تدفعه

لتقمصها ومحاولة تقليدها، وقد أشار أحد الأحداث المنحرفين إلى أن سبب دخوله دار الملاحظة هو محاولة تقليد بعض الأفلام [١]. كما أثبتت بعض الدراسات أثر وسائل الإعلام المرئية على الشباب ودورها في انحرافه[٢]. وأظهرت دراسة علمية أن نسبة ٣٢٪ من المنحرفين يقلدون بعض المشاهد التي يشاهدونها في الأفلام [٣]. وكذلك توصلت دراسة إلى أن مشاهدة برامج العنف قد تؤدي إلى سلوك عدواني مستقبلا [٤].

كل ذلك يدل على حجم تأثير وسائل الإعلام بمختلف أنواعها المقروءة والمسموعة والمرئية على الشخصية المسلمة وخصوصا الفئة الشبابية، وتبين هذه الدراسات مقدار ما تبثه من دواعي الشر وأسبابه وتقديمه لفئة سريعة التأثر والانجذاب إليه، خاصة وأنه يُعرض في صورة تأسر أصحاب النفوس المضطربة.

إن الأعداء عملوا ولا يزالون يعملون دون كلل أو ملل على هدم القيم الإسلامية السامية التي تبني الشخصية الإيجابية المؤثرة في رفعة الإسلام ومجد المسلمين، فهم يرون ثمار مخططاتهم الخبيثة تزداد يوما بعد يوم وعاما بعد عام، حتى ظهرت هذه الفضائيات التي استطاعوا من خلالها وفي أعوام يسيرة تحقيق ما لم يستطيعوه في قرون طويلة.

---

(١) قضاء وقت الفراغ وعلاقته بانحراف الأحداث لعبد الله السدحان ص١٧٠.
(٢) أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي لعدنان الدوري ص٢٧٤.
(٣) انظر السينما والشباب لسعد عبد المنعم، وقضاء وقت الفراغ وعلاقته بانحراف الأحداث لعبد الله بن ناصر السدحان ص ١٧٩.
(٤) وسائل الاتصال الجمعية وانحراف الأحداث في الوطن العربي لحسون تماضر ص١١١، نشر مجلة الأمن، العدد الثالث السعودية الرياض١٤١١هـ.

لقد استطاعوا من خلالها اقتحام ديارنا وبيوتنا وحتى غرف نومنا بلا مقاومة منا ولا غضب، ولا محاولة لمنعهم من ذلك، بل ذلك بموافقة من العامة ورضي وترحيب، لقد جعلت هذه الفضائيات أغلب المسلمين عاكفين في بيوتهم على هذه القنوات متنقلين من خلالها بين بلد وأخري ومن قناة إلى قناة، بحثا عن المتعة الشهوانية، واللذة البهيمية والسعادة الزائفة، من أفلام هابطة ومسلسلات ساقطة، وخمر وقمار وفساد وجريمة ومخدرات، وعقائد فاسدة ووثنية بائدة وجاهلية عمياء.

لقد حرصت الدول ذات القوة العسكرية والسيطرة السياسية وغيرها على استغلال الفضائيات بما يخدم مصالحها ويحقق طموحاتها، فلا يخفي ما للإعلام والاتصالات من الأثر الكبير على الشعوب وثقافاتها وتصوراتها وتوجهاتها في مجالات عدة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن اليهود وقفوا على أهمية الإعلام وتأثيره في حياة الشعوب فقد هبوا للاستئثار به وتصريفه وفق ما يريدون [1]. فشبكات التلفزة العالمية الشهيرة تقع تحت

---

(١) في مجال وكالات الأنباء، وكالة رويترز مؤسسها اليهودي جوليوس رويتر ووكالة أسوشيتدبرس هي شركة تأسست عام ١٩٥٥ من قبل صحف ومجلات أمريكية تقع معظمها تحت سيطرة اليهود، وفي مجال الصحافة اشتري مليونير يهودي يدعي روبرت ميردوخ عددا من الصحف والمجلات البريطانية، وهي صحيفة التايمز والصنداي تايمز، ومجلة الصن، ونيوز أُف ذا وورلد، وسيتي مجازين، وفي أمريكا اشتري اليهودي أودلف أوش أشهر صحيفة أمريكية وهي نيويورك تايمز، وذلك عام ١٨٩٦م، ولليهود سيطرة علي صحف أخري مثل الواشنطن بوست، والديلي نيوز وغيرهما، ومن المجلات الأمريكية يسيطر اليهود علي عدد منها كمجلة التايم ونيوزويك، وفي الصحافة الفرنسية يسيطر اليهود ويؤثرون بوضوح علي أشهر صحفها مثل لوفيجارو .

سيطرة اليهود، ومن أشهرها الشبكات الثلاث المسماة: N.B.S وC.B.S. وA.B.C.، فالأولى رئيسها يهودي يدعي ليونارد جونسون، والثانية رئيسها ومالكها اليهودي ويليام بيلي، والثالثة يرأسها اليهودي الفرد سلفرمان.

وبعد حرب الخليج الثانية سعت كثير من الدول العربية لتملك قنوات تلفزة تعبر طبقات الفضاء لتصل إلى أبعد حد ممكن، وكان هذا بدافع دخول ميدان السباق في هذا المجال، وإن لم ترد بذلك خيرا محضا أو خدمة دين الإسلام فيما يظهر، وقد ظن كثير من الناس بهذا الحدث خيرا لا لذاته، ولكن لأجل أن يكون تيارا مضادا للبث الفضائي الغربي لكن الواقع خالف هذا التصور، حيث أن تلك القنوات الفضائية العربية انضمت لغيرها، وأصبحت تابعة لها في تكوين انفجار سرطاني فضائي يقضي على البقية الباقية من ثقافة الأمة الإسلامية وموروثاتها.

ومن ثم فلا بد من التبصير بخطورة ما يحاط بالمسلمين من مؤامرات يجند لها أبناء الإسلام دون وعي منهم، وأن يدركوا كيف أن الأعداء تكاتفوا في عداوتهم، واتفقوا في مناهجهم للقضاء على الإسلام والمسلمين، فلم تعد العداوة مقصورة على دويلات صغيرة يسهل صدها أو معاهدات طويلة يسهل مدها، ولكن تكالبت الأمم واجتمعت علينا كما تتكالب الأكلة إلى قصعتها.

- الغزو الفكري القادم من القنوات الفضائيات ذات البرامج المختلطة.

الفضائيات المختلطة هي تلك الفضائيات المتنوعة في برامجها بين النذر اليسير من البرامج الدينية والإخبارية والثقافية، والكم الكبير من البرامج المنحلة التي تمثل رغبة الأعداء وهي في حقيقتها امتدادا لقضية الغزو

الفكري التي تبناها العدو عبر مراحل صراعه مع الإسلام والمسلمين، سواء كانت هذه البرامج هي بذاتها برامج غربية أو محاكاة لها في الفكرة والهيكل، أو كان القائمون عليها غارقون في مخطط محكم من قبل الأعداء لمسح الهوية الإسلامية من وجوه أهلها، أو أنها تقدم من قبل الحكومات العربية لتصوير المسلمين بالصورة التي يرغب الغربيون أن نكون فيها خشيه التهديد بختم الإرهاب والرجعية [١].

والهيمنة لهذه البرامج التي تبث في تلك القنوات أسندت إلى من امتلأ جوفه وتشبع بدنه بالأفكار التي تجعله غربيا أكثر من كونه مسلما ولد في

---

(١) من أمثلة الفضائيات المختلطة أغلب الفضائيات العربية مثل الفضائية المصرية الأولي والثانية الثالثة إلى الثامنة وما يشابه ذلك من القنوات المصرية، ومجموعة قنوات النيل وقناة المحور الفضائية والتنوير، والفضائة العمانية، والأردنية، والفضائية الفلسطينية، واليمنية والسورية والعراقية قبل توقفها، والكويتية، والسعودية الثانية، والإمارتية، والفضائية المغربية والتونسية، والجزائرية، والليبية، والسودانية، وقناة أبي ظبي، وقناة دبي الفضائية وقناة عجمان الفضائية، والفضائية البحرينية، وقناة قطر الفضائية، وقناة الأندلس وقناة **mbc** الفضائية، وهي من أقدم الفضائيات التي وجهت إلي العالم العربي ومن أخطرها وأشدها غزوا وفتكا بالهوية الإسلامية، وقبيل حرب العراق واحتلالها من قبل الأمريكان إلي الآن انتقلت أغلب هذه الفضائيات نقلة نوعية إلي ما هو أشد فتكا وأقوا تأثيرا علي غزو المسلمين في بيوتهم، وخصوصا الفضائية الكويتية والإماراتية، وقناة أبي ظبي، وقناة دبي الفضائية وقناة عجمان الفضائية، والفضائية البحرينية، وقناة قطر الفضائية، والفضائة العمانية، وأخطرهم كما تقدم قناة **mbc** الفضائية، بل فتحوا لها صنوا جديدا **mbc2**، إذ يلاحظ المشاهد بثا مكثفا متواصلا لم يكن من قبل لأفلام الخلاعة الأمريكية وأفلام الرعب الوثنية الجاهلية إشباعا لرغبة عسكر الأمريكان في أوقات فراغهم، وتدميرا منظما مقصودا لنوعية معينة من خلص المسلمين في دول الخليج وبقية البلاد العربية .

الإسلام، فهم فريسة الغزو الفكري ونتاج الجهد الغربي عبر القرن الماضي، فربما تجد على رأس برامجهم علمانيا منحلا، أو اشتراكيا مختلا أو حداثيا مملا، أو فتاة كاسية عارية، أو مذيعة جوفاء خاوية

هؤلاء في أغلب برامج الفضائيات المختلطة يقدمون العلمانية على أنها الصورة المعتدلة للإسلام، والخلاعة النسائية تقدم للمشاهدين تحت الدعوة إلى الحرية والمرأة العصرية، وكذلك قل في البرامج الرياضية والأغاني الشبابية الماجنة، وبث الأفلام العربية والأجنبية التي تصور الجريمة والانحلال والخمور على أنها أمور مألوفة عادية، والأفلام الكرتونية وغير ذلك من البرامج التي تفقد المسلم هويته الإسلامية وضوابط الالتزام.

والقنوات الفضائية المختلطة تحل زائرة بغير استئذان على بيوت المسلمين، وببث متلاحق عشوائي عبر ساعات طويلة، حتى إذا لم تجد تلك القنوات ما تملأ به ساعاتها أقامت مذيعة كاسية عارية قد صبغت وجهها بمختلط من الألوان، وكلمات مائعة من مائلة مميلة تدعوا إلى الفتنة وإشاعة الفحشاء، ثم فتحت الكاميرا والميكرفون على جمهور بائس من الخليج إلى المحيط، لتعبث بالأخلاق والآداب كيف ما شاءت وفي كل ليلة يتكرر الأمر دواليك استخفافا وعبثا إلى غير ذلك من أكوام البرامج المسفة والأفلام الهابطة المبنية على الزور والآثم والرزيلة

أما المتلقون والشرائح المستهدفة فهم في معظمهم وسوادهم الأعظم ينتصبون أمام الشاشات وقد أسلموا قياد أنفسهم لأكثر القنوات إسفافا فبحسب أكوام اللحوم وكمية ما يعرض منها تتحقق الجماهيرية في ظل ما يسمي الأفلام الرومانسية والبرامج المفتوحة، حيث وئدت الفضيلة وسفك دم الحياء، وقد جعلت تلك القنوات والشبكات أنواعا من الطعم

والشباك لاصطياد السذج من الناس من خلال التهييج الجنسي الفاضح، وعرض وجوه الحسناوات وإبراز مفاتنهن .

وينبغي أن يعلم أن معظم ما تعرضه الفضائيات المختلطة ضرره ماحق وخطره كبير جدا في مجالات عدة، وهذا ما يصرح به معظم العقلاء، ومن كان له إمكانية الوقوف على الرصد الإحصائي والموضوعي في بعض المعاهد المتخصصة في الدول الغربية ذاتها، فإنه سيقف مشدوها من حجم الأرقام المعلنة والتقارير المنشورة والتي ترصد الأضرار والأخطار التي يسببها ما يعرض عبر الشاشات التلفزيونية، أضرار وأخطار في التصورات والمفاهيم وفي الآداب والأخلاق والقيم الإنسانية هذا فضلا عن هدم الثوابت الإسلامية، وكذلك في الأمن والاستقرار وصحة العقول والأبدان.

وقد أظهرت إحصائية علمية ضمن رسالة جامعية بعضا من السلبيات المنعكسة على الأسرة بسبب متابعتها للقنوات الفضائية، وجاء ضمن ذلك أن نسبة ٨٥٪ من جمهور المشاهدين يحرصون على مشاهدة القنوات التي تعرض المناظر الإباحية، ونسبة ٥٣٪ قلت لديهن تأدية الفرائض الدينية، ونسبة ٣٢٪ فتر تحصيلهن الدراسي، ونسبة ٤٢٪ يتطلعن للزواج المبكر ولو كان عرفيا، ونسبة ٢٢٪ تعرضن للإصابة بأمراض نسائية نتيجة ممارسة عادات خاطئة [١].

إن الغزو الذي يأتي من هذه القنوات المختلطة والتي تغلغلت في بيوت

---

(١) مقال بعنوان القنوات الفضائية وآثارها العقيدة والثقافية والاجتماعية والأمنية لخالد عبد الرحمن الشايع، انظر **http//www.mknon.net/new2/fthaeah.htm**.

المسلمين عكس أضرارا مباشرة على المشاهد والمجتمع الذي يعيش فيه بحيث تظهر آثاره الأشد فتكا على المدى البعيد في الحاضر والمستقبل وبعد جيل أو جيلين يتأقلم ويدمن أصحابه التكيف مع هذا البلاء فيصبح هو الأصل ويصبح الالتزام بالإسلام شذوذا وإرهابا وتطرفا.

- أنواع الأضرار والمخاطر الناجمة عن التأثر بالقنوات الفضائية المختلطة.

ونحن إذا تأملنا في أنواع الأضرار والمخاطر الناجمة عن التأثر بالغزو الذي يعرض عبر شاشات القنوات الفضائية المختلطة نجد أنه يكاد يتمثل في الوجوه التالية:

أولا: معظم ما تبثه تلك القنوات يورث ضعف الإيمان بالله تعالى ويؤدي إلى الإعراض عن طاعته والانغماس في عبودية الشهوة، وهذا الأمر مشاهد ملموس، فإن المشاهد المحرمة التي تعرضها تلك القنوات تضعف الإيمان وتباعد بين العبد وربه، فتجعله يستغرق في ارتكاب المحرمات حتى يألفها ويستوحش الطاعات، فمن حديث حذيفة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (تُعْرضُ الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أشْربها نكت فيه نكتة سوْداءُ، وأيُّ قلبٍ أنكرها نكت فيه نكتة بيْضاءُ حتى تصير على قلبيْن، على أبْيض مثل الصّفا، فلا تضُرُّهُ فتْنة ما دامت السّماواتُ والأرْضُ، والآخرُ أسْودُ مُرْبادًّا كالكوز مُجخّيًا، لا يعْرفُ معْرُوفا ولا يُنكرُ مُنكرًا إلا ما أشْرب من هواهُ) [(١)].

وإذا وصل الشخص إلى هذه المرحلة تثاقل العبادة واستصعبها، وفي

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ١/١٢٨ (١٤٤)، وانظر السابق بتصرف.

المقابل يجد نشاطا وإقبالا على المعاصي، ثم يصل به الأمر إلى أن تكون الشهوات المحرمة إلها يعبد من دون الله.

ثانيا: ومن التأثير الخطير الذي تحدثه متابعة هذه النوعية من الفضائيات إضعاف عقيدة الولاء والبراء، ومن المعلوم أن هذه العقيدة لها أصلها الأصيل من هذا الدين، كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ المجادلة:٢٢.

فالواجب هو محبة المسلمين ومحبة الخير لهم، والفرح بكل ما يؤدي إلى نصرهم ورفعة دينهم، ويجب بغض الكفار والتبرؤ منهم والحذر من مودتهم، فمن البرامج ما يقدمه بعض النصارى الرجال والنساء، فتجد المتابع أو المتصل بالهاتف يبدي إعجابه وتعلقه بهم ويحرص على لقائهم أو مشاركتهم في مسابقتهم، وخاصة إذا كانت المقدمة أو المذيعة امرأة، وأيضا من خلال المقابلات مع الممثلين والمغنيين الفاسقين المنحلين والذين حازوا ظلما وزورا على مصطلح الفنانين، تجد جمهورا عريضا يتابعهم ويتابع إنتاجهم، ويتصل بهم عبر هذه الفضائيات ويطلب التوقيع على أوتوجراف، ويفرح بذلك ويفاخر به بين أهله وعشيرته، ولا شك أن هذه محبة لهم، وقد ثبت من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (المرْءُ مع من أحبّ) [١]. وهذا عام في الرجال والنساء.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله ٥/٢٢٨٣ (٥٨١٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والأدب، باب المرء مع من أحب ٤/٢٠٣٤ (٢٦٤٠).

ثالثا: من تأثير الغزو العقدي الناجم عما تبثه كثير من الفضائيات المختلطة التشبه بالكفار والانبهار بعاداتهم وتقاليدهم، وذلك أن معظم ما تبثه كثير من هذه الفضائيات يظهر المجتمعات الغربية المنحلة بوجهها الجميل فقط، وجه القوة والنظام والإنتاج والإبداع.

ولا غرابة في ذلك، إذ أن إنتاج تلك المواد الإعلامية هو تحت نظر وسمع الغربيين والمنبهرين بهم، المتشبهين بثقافتهم، لكن أين ذلك التصوير الحقيقي لحياتهم التي يعيشونها الآن، من إحساس الغرب بالخواء الروحي المرير والشقاء والحيرة والاضطراب، والتفكك الأسري والانحلال الخلقي والشذوذ الجنسي، والتشتت الاجتماعي، والذي يهربون منه إلى جحيم المخدرات والمغامرات الحمقاء، والشذوذ في مختلف مناحي الحياة، الشذوذ في الحركات والمظاهر واللباس والطعام الشذوذ الأخلاقي والسلوكي الذي أورث أمراضا عصبية ونفسية لا حصر لها، وجعلتهم لا يجدون في الحياة ما هو جدير بالبقاء بها، هذه الصورة لا تعرضها القنوات الفضائية عن واقع الغرب، ولكن تعرض الصورة على منحي آخر، وأن ما لدي الغرب من تقليعات هو قمة التحضر والتقدم، ونتيجة لذلك لا نكاد نمر في طريق إلا ونجد واحدا من أبناء المسلمين والبنات المسلمات إلا وقد تأثروا بشيء من تلك التقليعات، وهذا التشبه يورث المحبة ولا شك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة كان بينهما من المودة والموالاة

والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين أو كانا متهاجرين، وذلك لأن الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة، بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب أو الشعر أو المركوب ونحو ذلك لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما)[1].

- تمييع المفاهيم والثوابت الإسلامية في الفضائيات المختلطة.

رابعا: ومن مظاهر الغزو والأضرار الناجمة عما تعرضه الفضائيات المختلطة في جانب العقيدة، تمييع المفاهيم والثوابت الإسلامية التي لا مجال للمساس بها، حتى بلغ الأمر أن يعتبر بعض مقدمي البرامج وممثلوا القنوات الفضائية الرقص والخلاعة والتمثيل والغناء والباليه عملا لا يؤاخذ الله عليه حيث يندرج عندهم تحت الكسب من خلال العمل الشريف والإبداع الفكري والأدبي والفني.

خامسا: من الأضرار الناجمة عن الفضائيات المختلطة ما يكون في الأخلاق والأمن ونحو ذلك، فمن أبرز الأضرار التربوية والأخلاقية والاجتماعية لما تبثه كثير من القنوات الفضائية المختلطة حصول الانحراف السلوكي لدي الأطفال والشباب والفتيات، وهكذا الكبار من الرجال والنساء، وذلك أن المشاهد المعروضة عبر تلك الفضائيات تظهر العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة بأنه نموذج لابد أن يسلكه كل رجل و امرأة وكل شاب وفتاة.

ومن العجيب حقا أن تلك المشاهد تجد الاستنكار ومحاولة التغيير من

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ص٢٢١.

قبل كثير من العقلاء في بلاد الغرب، في حين أن بعض القنوات العربية تعزز هذا المنهج في قنواتها الفضائية، وتجد الاستجابة لدي كثير من متابعيها، ولنتوقف قليلا عند التصورات الذهنية التي تخلفها كثير من المشاهد التي تبثها معظم القنوات الفضائية السالفة الذكر في تكوين العلاقة بين الرجل والمرأة، سنجد التساهل في تكوين العلاقة المحرمة بين الرجل والمرأة واعتباره أمرا طبيعيا، وسنجد استساغة حمل المراهقات سفاحا واعتياد ذلك وشرح كيفية التخلص منه، وسنجد عدم الاستهجان أو الاستغراب لمواعدة الرجل المرأة الأجنبية كأمر محرم، مع شرح الكيفية والوسيلة لتحقيق ذلك والتحايل لأجله، وهكذا الخلوة بينهما، والقيام بحركات مثيرة من لمس ونحو ذلك، بل إن كثيرا من الناس لم يعودوا يستغربون أن تعرض بعض القنوات مشهد رجل وامرأة يضطجعان على سرير واحد في المسلسلات والأفلام.

ماذا ستكون النتيجة لهذه المشاهد المتكررة والمتلاحقة تلاحق الساعات والدقائق؟ سيكون من النتائج انتشار الفواحش على اختلاف أنواعها مع ما يلحقها من الاختلال الاجتماعي في نواح عدة، فعرض تلك المناظر لابد وأن يؤثر في الشباب والفتيات وخاصة من لم يتزوج منهم، ذلك أن تلك المناظر تؤجج الشهوات وتجعل الشخص ذكرا أو أنثي مهيئا للوقوع في الرذيلة متى فتح له بابها، بل إنه ليعمد إلى كسر كل باب يمنعه من مشتهياته المحرمة.

ومن العجب حقا أنه يوجد تصور لدى كثير من الناس رجالا ونساء آباء وأمهات شبابا وفتيات، مفاد هذا التصور أن النظرة البريئة والحديث الطليق والاختلاط الميسور والدعابة المرحة بين الجنسين والاطلاع على

مواضع الفتنة المخبوءة، أن ذلك تنفيس وترويح وإطلاق للرغبات الحبيسة ووقاية من الكبت ومن العقد النفسية وتخفيف من الضغط الجنسي، والواقع أن هذا التصور خاطئ جملة وتفصيلا .

سادسا: في الجانب التربوي والأخلاقي أيضا وما يتبعهما من التداعيات الاجتماعية، أن مشاهد مناظر الحب والغرام المحرم تؤدي إلى ضعف الغيرة وانعدامها، وإلا فبأي وجه يمكن أن تبدي المرأة في بجاحة مألوفة إعجابها بالفنان أو الممثل الفلاني، وأنه جميل قسيم وسيم وتتلفظ به أمام زوجها ولا تتحرك لذلك مشاعره، وكأنها تتحدث من فراغ وبعض الناس يغفل أنه بتساهله في تمكين زوجته النظر إلى المشاهد المحرمة ومناظر أسباب الفاحشة ومقدماتها، وجلبه للأفلام والمجلات الهابطة الداعية للفحش والغرام، أنه بفعله ذلك يكون قد مهد الطريق لإفساد بيته.

وقد أكدت أحد الدراسات الأكاديمية في رسالة علمية حول الانحرافات الأسرية وأثرها على ظاهرة الخيانة الزوجية، ذكرت في بحثها جملة من الأسباب، منها خروج المرأة للعمل واختلاطها بزملائها الرجال وتحادثها معهم بخصوصياتها، ومن ذلك الاطلاع على الكتب والأفلام الجنسية، والتي يحضرها الزوج أو لا يمانع في تعاطي زوجته لها، وهكذا المرأة التي تشاهد زوجها وقد كادت عيناه أن تخرجا من الحدقتين، يقلبهما في وجه الممثلة أو المغنية وهي لا تعير لذلك اهتماما فالغيرة بين الزوجين على بعضهما مطلوبة، الزوج يغار على زوجته فيحفظها ويصونها ويحرص على أن تقصر طرفها عليه، والمرأة تغار على زوجها أن يمتد نظره إلى غيرها.

سابعا: من التداعيات الاجتماعية في هذا الجانب الاستظهار بالمنكرات وعدم الاكتراث بنظر وعلم الآخرين، وهذه القضية نجدها في تزايد يوما بعد آخر، ومن له اطلاع على مجتمعات الشباب من الفتيان والفتيات يلمس ذلك الأمر عن كثب، حيث تبدو آثار ذلك جلية في جوانب مختلفة، فعند الشباب تجد الواحد منهم منذ صغره يعتاد شرب الدخان لأنه يري نماذج متعددة في هذه الفضائيات، ثم إنك تجد تلك المسالك والتصرفات المنحرفة التي تظهر في التعامل واللباس وغير ذلك، وستجد لديهم أيضا الميل لتكوين العلاقات المحرمة فتجده ينصب شركه لاصطياد من يستطيع اصطياده ليمارس من خلاله الفاحشة التي تكرس مفهومها لديه عبر مئات المناظر والمشاهد التي جعلت منه إنسانا مهيجا جامحا لارتكاب الفاحشة بأي سبيل ممكن.

وبعض الشباب تحدث له مناظر القنوات الفضائية المغرية انتكاسا في فطرته وسقوطا في رجولته، حيث يعمد إلى المسلك الأنثوي، فهو ينافس البنات في ميوعتهن ونعومتهن لتشبهه بهن في الكلام والحركات واللباس، ولم يعد غريبا أن توجد الأعداد المتكاثرة من الشباب الذين يسافرون في أوقات الإجازات إلى الشرق والغرب، حيث موابئ الفتنة ومعارض الفحش بأبخس الأثمان، وهذا ما حمل كثيرا من وكالات السفر والسياحة إلى إعداد قوائم متعددة بالبلدان والمدن وتخفيض تكاليف السفر للمجموعات، وهكذا الخطوط الجوية الأجنبية، حيث تقوم بتقديم العروض الخاصة لاصطياد أولئك السذج من الشباب الذين عبثت بأفكارهم في عقر دارهم من خلال تلك الفضائيات، وجعلت لهم الطعم اللذيذ المهيأ لاصطيادهم عبر برامج إغراء الدعاية في هذه القنوات

الفضائية، والذي تصنعه وكالات السفر طمعا في الربح المادي حتى ولو تسببت في هدم أخلاق الأمة بأسرها.

ثامنا: الفتيات المتابعات لبرامج الإسفاف ستلحظ جنوحا مقيتا عندهن نحو أنواع من الارتكاسات الأخلاقية بما تظهر معه نذر الخطر على أخلاقيات المجتمع بأسره، فكل فتاة وكل امرأة، لديها استعداد فطري ككل الرجال للتفاعل مع الغرائز التي وظفتها الشريعة توظيفا حسنا ووجهتها إلى ما فيه صلاح الأمة وعمارة الأرض، لكن الفتيات والنساء المتأثرات ببرامج وتمثيليات التفلت الأخلاقي يظهر عليهن التبرج والسفور المحرم.

بل إنهن يتسابقن في مجاراة المذيعات والممثلات والمغنيات الانحلاليات فيقلدنهن في اللباس العاري وتقليعات الموضة المتهتكة وقد نزعن جلباب الحياء، فأقحمن أنفسهن فيما به هلاكهن، وسيجد الناظر من هذا الصنف من الفتيات والنساء جنوحا نحو إقامة العلاقات المحرمة، حيث تتلقفها الكلاب المسعورة لقمة سائغة ليعبثوا بها كيفما شاءوا، ثم يرمون بها زهرة ذابلة قد أفسدوا رحيقها، فانظر إلى هذه النهايات والنتائج المؤسفة التي تؤول إليها الفتيات والنساء في مستنقعات عفنة بعد أن كانت الآمال المعلقة عليها عريضة عرض ما بين المشرق والمغرب فأين هي الآن من حديث عبْد الله بْن عمْرو ﷺ أن رسُول الله ﷺ قال: (الدُّنيا متاعٌ وخيْرُ متاع الدُّنيا المرْأةُ الصّالحةُ) [١].

ماذا ينتظر من فتيات تفتحت أعينهن ومداركهن يوم تفتحت على

(١) مسلم في الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ٢/١٠٩٠ (١٤٦٧).

مناظر الإسفاف والتهتك من تقبيل وضم وأجساد عارية وكلام في الجنس وعلاقاته ومقدماته، فهل ينتظر منهن بعد ذلك إلا ثمارا من جنس تلك المشاهد؟

تاسعا: في كثير من المجتمعات الإسلامية المحافظة والتي غزيت بثقافة الفن الرخيص تتابعت الانتكاسات في الأفهام لدي كثير من النساء ورحن يتبارين في استحداث كل غريب، ففي مجال الألبسة وطرق التجميل جعلن من أنفسهن ألاعيب لمصممي الأزياء في شرق الدنيا وغربها، فهذا زي موضة ألوان حمار الوحشي، وهذه موضة قرد الشنبازي، وهذه موضة حيوان الكنغر، وهذه موضة الجرذان الهندية إلى آخر ما نري في اللباس وتسريحات الشعر والمكياج، وحتى في اختيار النعلين، فتأتي تلك المسلمة العفيفة الساذجة لتتلقف هذه الأضحوكات تحت مسمي الموضة والتمدن الذي تأخذه عبر القنوات وبرامج الموضة وتقليعة المجتمعات الشرقية والغربية، ثم يتتابع هؤلاء النسوة في تقليد بعضهن البعض للخروج عن المألوف، ولا يستحي المسئولون عن القنوات الفضائية العربية المختلطة التي ينفق عليها من دماء المسلمين وأموالهم العامة في نقل عروض الأزياء والملابس الداخلية للنساء في برامجها الثابتة.

- من الأضرار التربوية والأخلاقية للفضائيات العزوف عن الزواج.

عاشرا: من الأضرار والمخاطر التربوية والأخلاقية العزوف عن الزواج، والاكتفاء بالمناظر المحرمة، فالشباب الذين تأثروا بمناظر العري والفاحشة التي هي المادة الرئيسية في معظم القنوات الفضائية المختلطة ظهر من توجهاتهم عزوف عن الزواج ورغبة عنه.

وربما يتعلل الشاب بأن الزواج مسئولية وتكاليف، أو بسفرة أو

سفرتين نحصل ما يحصله المتزوجون وأحسن، ولن نجد من النساء الجميلات من يشابه الممثلة فلانة أو الراقصة فلانة لنتزوج بها، والمرأة لا تستحق من يتعب من أجلها، هي للمتعة فقط، مثل ما رأينا في المسلسلات والأفلام إلى غير ذلك من التعللات الساذجة.

إن إدامة نظر الشباب إلى مناظر الفضائيات المحرمة التي تبثها الفضائيات المختلطة أحدثت عندهم خمولا نحو فرائض الله وتشريعاته وشرها نحو الفواحش المحرمة يأخذ صورا متعددة، ولدي عزوف هؤلاء الشباب عن الزواج، تنشأ مشكلة أخري لدي الفتيات اللاتي لم يتقدم لهن أحد، مما يزيد من عدد العانسات وفي ذلك من الأضرار ما لا يخفي.

الحادي عشر: من الأضرار التربوية والأخلاقية للقنوات الفضائية المختلطة التي تعرض براجما منحرفة، الإخلال بهوية المجتمعات الإسلامية، والقضاء على البقية الباقية مما لديها من تراثها وأخلاقياتها ومن محص ما تعرضه القنوات الفضائية المختلطة، فإنه يلحظ أنها تقدم النموذج الغربي المتحلل من الأخلاق على أنه هو محل التقليد والإعجاب مع تنحيتها للأخلاق والآداب الإسلامية في أغلب الأحيان وبذلك دخل المجتمع المسلم في نفق التبعية والتقليد لما فيه هلاكه، ومن الأمثلة على ذلك:

١- أن القنوات الفضائية المنحرفة تعرض العلاقة بين الرجل والمرأة على أنها علاقة جنسية يقتحم كل منهما الأعراف الشرعية لأجلها فيتعرف كل منهما على الآخر ويختلي ويختلط ويمارس معه ما تشاء نفسه، ليس لأحد عليه أمر نهي كائنا من كان، حتى ولو كانت تلك العلاقة علاقة سفاح وخدن.

٢- تصوير تعاطي الخمور بأنه لا شيء فيه وأنه شيء اعتيادي يشبه شرب العصير والماء، وتسميته بغير اسمه رواجا وتلطيفا لجرمه.

٣- من الأمثلة أيضا الدعاية للتقليعات الغربية في اللباس وتطويل الشعر وحلقه وتسريحه، وغير ذلك من المسالك المثيرة للاشمئزاز.

٤- من أخطر الأضرار للفضائيات تقديمها لنماذج منحرفة باعتبارها قدوة مقتفاة، فقد درجت معظم القنوات الفضائية على إعداد اللقاءات بنماذج سيئة من العلوج المنتسبين والمنتسبات إلى ما يسمي الفن، وهذه النماذج عندها من السقوط الأخلاقي والتخلف الثقافي ما جعلها لا تجد غضاضة في المجاهرة بسوئها وفحشها.

وتقدم تلك النماذج على أنها نجوم لامعة في المجتمع، وهكذا تصبح هذه النماذج العفنة وما ماثلها قدوة لكل من أرادت السقوط في أوحال العهر والفواحش، هروب من المنزل، مخادنة وسفاح، وتنقيص لشريعة الله واعتراض أحكامها.

الثاني عشر: أما في جانب الإخلال بالأمن فهذه الفضائيات دأبت على استساغة الجريمة واعتيادها من خلال عرض أفلام الجريمة المسماة بالأفلام البوليسية، وتكرار هذه المناظر للجريمة على أنظار الناس بمختلف طبقاتهم وأعمارهم يجعل الجريمة في أنفسهم أمرا اعتياديا، حتى يصبح المجتمع ويمسي وروح الجريمة يدب فيه وتكون بمثابة الأحداث اليومية من حياة الناس.

كما أنها تمكن المنحرفين من ارتكاب الجريمة المنظمة، والمراد هاهنا أن الجرائم منها ما يكون عرضا من غير احترافي لها، وإنما تحت تأثير

وقتي ولغرض محدد فهذا نوع، وثم نوع ثان وهو الأخطر وهو الجريمة المنظمة، بحيث تصير الجريمة حرفة أو مهنة يمتهنها الشخص، فيرتب لها وينظم خطواتها بحيث يحكم تنفيذها لينال بغيته وينفذ بجلدته من القبض عليه، فمما تبثه تلك الشاشات فيما يسمي الأفلام البوليسية عرض كيفية الخطف، خطف النساء، خطف الأطفال، وخطف عموم الأشخاص ومن ذلك السرقة وكيفية التخطيط لها، وكيفية الوصول للأماكن المستهدفة والأدوات المستخدمة، ومن ذلك إعداد السموم والمخدرات والمواد المكونة لها، وكيفية دسها على الشخص المستهدف، ومن ذلك توضيح إعداد المتفجرات، وإعدادها من المواد الأولية القريبة من الأشخاص في حياتهم اليومية، وكيفية وضعها ونشرها للغرض المستهدف؟!

ومن ذلك توضيح الخطوات المتبعة لإخفاء معالم الجريمة والتخلص من أدواتها وإتلاف كل ما يدل عليها أو على الجناة، ومن ذلك عرض كيفية التهرب، والوسائل المتبعة للتعمية على التفتيش، ومن ذلك التشجيع على تعاطي المخدرات، وإظهار المتعاطين بمظهر البطولة والقوة والذكاء، وتوضيح وسائل وطرق تعاطيها، وكل تلك المشاهد لها متابعوها من مختلف الشرائح والأعمار ليصيروا فيما بعد عصابات مدربة تدريبا عاليا من خلال المشاهد التي حفظوا خطواتها، فسعوا إلى تطبيقها في ممارساتهم.

- الفضائيات الإخبارية وخطورة الغزو الفكري على طبقة المثقفين .

الفضائيات الإخبارية هي التي يغلب عليها الطابع الإخباري في برامجها ، وهذه الفضائيات غالبا ما تقدم نفسها على أنها فضائيات نزيهة محايدة،

أو ليس لها مصلحة مع طرف ينازع طرفا آخر، وأنها تعطي كل طرف فرصة إبداء الرأي، وتوضيح وجهة النظر دون انحياز أو تمييز بغض النظر عن توجهاته الفكرية حتى لو كان ضيفها رأس اليهودية، ولا بد أن نشير إلى طرف من إيجابيات تلك الفضائيات قبل أن نبين كيف يتسلل منها الغزو الفكري للعالم الإسلامي[١].

لم تتواجد هذه الفضائيات إلا من وقت قريب، ولم يكن آنذاك في البلاد العربية إلا القنوات المحلية التي لم تكن معنية بصورة أساسية إلا بأخبار القادة في كل قطر، فلما تطورت وسائل الإعلام وأدت إلى سرعة تداول المعلومات والآراء، انقلبت الأوضاع رأسا على عقب وأحدثت هزة كبيرة في البلاد العربية، ومشكلة هذه التطورات أنها على المستوي العربي الإسلامي تأخذ أبعادا أخري جعلتها مصدرا للقلق والخوف والإزعاج لعدد لا يستهان به من النظم الحاكمة.

وقد كان مجرد نشر مقال ينتقد أوضاعا هنا، أو بث برنامج مرئي يكشف نقصا هناك يعني التعرض لبلاء يصعب تحمله، لقد خرجت هذه الفضائيات عن دوائر التأثير الحكومي والسيطرة الرسمية، فوسائل الإعلام العربية المؤممة والمملوكة للحكومات العربية، أو المسئولين فيها أو لوكلائهم ظهرت عاجزة أمام أجهزة إعلام ذات تأثير خرج عن النطاق المعمول به، وأصبحت متنفسا للمغيبين عن عمد من قبل الآخرين،

(١) مثال ذلك قناة الجزيرة، وقناة العربية، وقناة ANN، وقناة المستقلة، وقناة النيل للأخبار، وقناةNILSAT، وقناة دبي الإخبارية، وقناة دبي الاقتصادية، وجانب من قناة أبي ظبي، وغير ذلك من الفضائيات المشابهة، انظر المزيد عن هذه القنوات في ملحق مجلة الأهرام العربي العدد ١٧، بتاريخ ٢٧/٧/٢٠٠٢، ص٣٠، ص٤١ .

وأصبح حضور القارئ والمشاهد العادي ملحوظا على صفحاتها وفي برامجها، بجانب أن هذا أتاح الفرصة أمام مفكرين وكتاب وأصحاب رأي، ممن ضاقت بهم أجهزة الإعلام الرسمية لطرح أرائهم وأفكارهم دون وصاية أو ضغط، وإن كان الأمر لم يخل من تدخل من هنا أو من هناك، إلا أن الظاهرة في مجملها هزت عروشا تربعت وهيمنت لعقود على أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، وكانت ذات تأثير كبير على الرأي العام، وترتب على ذلك تحريك الماء الراكد في الإعلام العربي، حتى يصبح على مستوى المنافسة.

وقد تنامي تأثير هذه الفضائيات بفعل الحرب الأمريكية في أفغانستان، واستمر مواكبا للحرب المستمرة على العالم الإسلامي حتى الآن، وكذلك حرب الإبادة الجارية للمسلمين في فلسطين، وهذا يفسر العلة في أن هذا النوع الجديد من أجهزة الإعلام بدأ يكشف جوانب لم تكن معروفة من قبل وصار له دور في تحديد درجة الشفافية ومستواها، ويتحدث بلغة كانت غائبة بشكل أدي إلى تراجع تأثير خطاب المديح التقليدي المنفر وانهيار منطق مداحي الملوك والسلاطين، وهذا بشر ببزوغ عصر تتلاشي فيه الهالة القدسية التي يحاط بها كل مسئول[1].

هذا فضلا عن أن هذه الفضائيات الإخبارية كانت عينا على نقل الأحداث المباشرة على هول ما يحدث من عظائم الأمور في فلسطين وغيرها، مما هز ضمائر الكثيرين في بقاع الأرض، وهذه نقلة نوعية في البلاد الإسلامية تمثل أبرز الإيجابيات للقنوات الفضائية.

---

(١) مقال بعنوان أكاذيب إعلامية لنشر ثقافة العجز وتجريم المقاومة لمحمد عبد الحكم دياب، انظر بتصرف **http//alarabnews.com/alshaab/GIF/12.htm**.

- **كيف يتسلل الغزو الفكري إلى المسلمين من القنوات الإخبارية؟**

تحتوي القنوات الإخبارية على سلبيات وثغرات تحقق ما يصبوا إليه الغرب في صراعه مع الإسلام، ويمكن عرض أبرزها في النقاط التالية:

١- تعميق الهوة بين الحاكم والمحكوم، فليس معني التعبير عن الآراء وحرية الكلمة في هذه الفضائيات، إحداث انقلابات ومنازعات في البلاد الإسلامية تؤدي إلى الفتك بالمسلمين المستضعفين، واستجلاب قوي الغرب للدفاع عن الحكام ضد المحكومين، فإن هذا مراد المتربصين من الغربيين وأساس تخطيطهم للوقيعة بالأمة.

٢- في خضم الإعجاب بجرة الفضائيات وما تحدثه من تأثيرات فعاله في الواقع، فإنها تقدم برامج لا تعبر عن هموم الفرد والأمة، بل إن هذه البرامج تصب في واد، وهموم الفرد والأمة في واد بعيد، وكذلك احتوائها على برامج تبيح الشرعية للسفور، والرضا بوضع المسلمات السافرات من خلال المذيعات اللاتي يقدمن البرامج ونشرات الأخبار فقضية الحجاب لا محل لها عندهم، فهذه القنوات ما زالت تسير في صمت وفق استراتيجية شاملة وحاسمة تسعي إلى تغريب المواطن العربي المسلم، وإشباعه بسلوكيات الغرب ومناهجهم، والدعوة إلى الإعجاب بخوارقهم حتى يصبح مسخا كما أراد له الواقفون خلف أسلحة الغزو الفكري.

٣- تقديم الفضائيات الإخبارية لمتحدثين إسرائيليين واستضافتهم لأكبر رجال دولتهم، مع هالة من الاحترام تعطي انطباعا لدي المشاهد على أنه يمثل صورة حضارية، وهو في حقيقته محتل غاصب قاتل للمواطن العربي المسلم، ففي دعوته للقنوات الإخبارية دعوة ضمنية

لقبوله والتطبيع معه وتسهيل دخوله على قلوب المسلمين وإذهاب غيرتهم، فالمتحدث الإسرائيلي يتم تقديمه أنيقا لبقا بلغة عربية غير هجينة، وليس كما تقدمنا وسائل إعلامهم في كل مكان كقتلة وإرهابيين ومتخلفين متطرفين، فنحن ما رأينا وما سمعنا فلسطينيا أو عربيا أو مسلما على شاشة دولة إسرائيل أو فضائياتها أو إذاعاتها أو أذرعها الإعلامية يقدم كما يقدم الإسرائيلي على قنواتنا الفضائية.

٤- البرامج المفتوحة للحوار كالاتجاه المعاكس وما يدار في حوار المستقلة والعربية وغير ذلك وبالصور الحالية من أكبر الأخطار، التي تفعل ما لا يفعله جند مسلحين بأنكى أسلحة الغزو الفكري، فربما تستضيف قناة الجزيرة علمانيا حاقدا على الإسلام كارها للالتزام ليقابل داعيا إسلاميا، وبأخطاء فادحة من المحاور يبدو للنظر أن العلماني متفوق في فكره على الإسلامي، والشيعي أصدق من السني، والنصر الذي يحققه الحزب الفلاني فهو بفضل إيمانه بالمذهب الشيعي أو الفكر الماركسي أو الرأسمالي.

٥- في خضم تفاعل المسلم مع البرامج المثيرة، وانجذابه إلى جوهر الموضوع، وإحساسه بأهمية الانتباه والمتابعة خصوصا إذا كانت الشخصيات البارزة في البرنامج لهم ثقل إسلامي أو ثقافي يهم المسلمين يشير مقدم البرنامج فجأة إلى فاصل إعلاني، ثم يتابع بعده الموضوع ويذهل المشاهد الذي يخاف الله مما يراه في الإعلانات التجارية، من خلاعة نسائية وانحلال أخلاقي وعرض المرأة بصورة عليها بصمة الشيطان، والمشاهد في حيرة أيغلق التلفاز حتى تنتهي الإعلانات أم يغمض عينه ويغلق سمعه حتى يواصل المتابعة، أمران متناقضان وضدان لا

يجتمعان وقع فيهما المشاهد المحافظ على أوامر الله، وهنا يكمن الغزو فمع مرور الزمن في بقاء القنوات الفضائية الإخبارية على هذا الحال يصبح الأمر مألوفا لطبقة المحافظين على إسلامهم، فإما يتقبلوا هذا الوضع المتناقض، وإما يوصفون بأنهم متشددون متعصبون، وسيبقوا متخلفين مع من ينادي بتحريم كل شيء

٦- إذا كان صحيحا أن بعض هذه الفضائيات قد ألقت بحجر في مياه الإعلام العربية الراكدة والآسنة، مما أحدث تموجات وانقلابات متتالية في مزاج المشاهد والجمهور الباحث عن الحقيقة والموضوعية والتسلية الهادئة والهادفة، فإنه صحيحا بالقدر ذاته أن هذه الفضائيات استهدفت منذ البداية صناعة بنية مزاجية ونفسية ومعنوية للمواطن العربي المسلم تؤسس لثقافة معولمة ولحالة عربية مبهورة أسيرة ومسلوبة للثقافة الغربية [1].

٧- انعدام الثبات على المفاهيم والقيم الإسلامية في عرض البرامج المعدة، فهي كما يصرح بعضها بكل ألوان الطيف، ولا مانع عند معد البرامج أن يجلس بين يديه أرذل الخلق من حثالة الأدباء والمفكرين معاكسا في وجه أعلم الخلق من المؤمنين، مستويان رأسا برأس حتى لو كان الأول مفلسا صفر اليدين لا يساوي في سوق الفكر فلسا أو هللة، ولا مانع عندهم من تقديم أصحاب الفكر الخبيث رجالا ونساء علمانيين أو حداثيين أو متحررين من كل دين أو مفتونين بكل ما هو غربي، لا مانع أن يقدموا على أنهم ضيوف في البرنامج يعبرون عن أفكارهم وكما

---

(١) انظر فضائيات تتولي التطبيع لعارف سليمان، وانظر بتصرف الرابط التالي http//www.alhadaf.cc/old1/moon.htm.

يحلو لهم مما يدغدغ مبدأ الولاء لقضية الإسلام والالتزام به في نفوس المشاهدين، وتدفعهم بالضرورة إلى التحرر من ضوابط الشرع عند النظر إلى الآخرين.

٨- نظرا لأن الهدف من إنشاء بعض هذه القنوات ليس خلصا لخدمة الإسلام والمسلمين، فإن تأثيرها الفعال الذي أحدثته في البيئة العربية، ولد ردود فعل من قبل الآخرين لإنشاء قنوات مقابلة بأموال مسلمة، كإنشاء قناة العربية ردا على قناة الجزيرة، فأموال المسلمين كثيرة، أكثر من ستين مليون دولار تنفق سنويا على هذه القناة، ولا ينفق عشرها على قناة إسلامية تتبناها دولة عربية للدعوة إلى الإسلام في العالم، فهل خدمت هذه القناة قضية الإسلام والمسلمين؟

إن القائمين على هذه القناة هم القائمون على أخطر القنوات غزوا وتدميرا للإسلام في نفوس المسلمين وهي قناة mbc، كما أنهم واكبوا قناة العربية بنذير سوء يبث سموم الغرب في بلاد المسلمين، أنشئوا قناة أخري فاجرة لعرض الانحلال الخلقي الغربي في أفلام متواصلة على مدار اليوم والليلة، وهي قناة mbc2، وأكشن ودراما وماكس فلمصلحة من أنشئت هذه القنوات؟ (١).

• الغزو الفكري والفضائيات المذهبية الشيعية المجوسية الجعفرية.

في الآونة الأخيرة فتحت الشيعة الجعفرية بتمويل من إيران أكثر من خمسين قناة شيعية مجوسية كقناة المهدي والأنوار والعراقية والغدير

---

(١) انظر الروابط الآتية

http//www.alshaab.com/GIF/18-10-2002/a20.htm .
http//www.al-mashreq.org/mashreq/2003/arabic/uae/sub2.htm .
http//www.alwatan.com/graphics/2003/02feb/17.2/heads/ft8.htm .

والسلام والزهراء والحسين والمودة وفدك وكربلاء والفرقان والفرات وبلادي والمسار والعهد وآفاق والمعارف والفيحاء وأهل البيت والكوثر وغيرها، مسخرة جميعها للطعن في القرآن والسنة إما ظاهرا أو باطنا، والطعن في أم المؤمنين عائشة وحفصة وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، واتهام الصحابة ﷺ بالكفر والردة، وخيانة الأمانة.

لقد استغلت الدول والأحزاب التي تتبني مذهبا معينا أو فرقة من الفرق استغلت الفضائيات لنشر أفكارها والتعبير عن أرائها بصورة أكثر جرأة من مؤسسي المذهب أنفسهم، وسوف نركز على بعض الفضائيات الإيرانية التي تبث بالعربية والفارسية والإنجليزية، وقناة المنار التي يتبناها حزب الله الشيعي مدعوما من إيران والقنوات الصوفية التي تبث عبر الأقمار الأوربية والكندية والمصرية وغيرها، فالشيعة هي تلك الفرقة التي زعمت أن عليا هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وقد أطلق عليهم الإمامة لأنهم جعلوا من الإمامة هي القضية الأساسية التي تشغلهم، وسُمُّوا بالإثنى عشرية لأنهم قالوا باثني عشر إماما، دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم، كما أنهم يمثلون القسم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم، وهم يعملون من خلال وسائلهم المتعددة وخصوصا الفضائيات والإنترنت لنشر مذهبهم في العالم الإسلامي بلهفة وحماس، فإعلامهم الفضائي يبرز عوامل القدوة للمشاهدين في اثني عشر إماما ويحيطهم بهالة من التقديس والمبالغة في أوصاف الأئمة وأن كل إمام من الأئمة أُودع العلم من لدن الرسول ﷺ بما يكمل الشريعة، وهو يملك علما لدنيا خاصا، ولا يوجد بينه وبين النبي ﷺ من فرق، وقد استودعهم رسول الله ﷺ أسرار

الشريعة ليبينوا للناس ما يقتضيه زمانهم، كما أن التقية التي هي عندهم أصل من أصول الدين تظهر غالبا في إظهار صورتهم في البرامج بأنهم هم أهل السنة والجماعة.

وفضائياتهم تنقل مظاهر الاحتفال بأعيادهم كعيد غدير خم، وهو عيد لهم يصادف اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة ويفضلونه على عيدي الأضحى والفطر ويسمونه بالعيد الأكبر وصيام هذا اليوم عندهم سنة مؤكدة، وهو اليوم الذي يدعون فيه بأن النبي ﷺ قد أوصى فيه بالخلافة لعلي من بعده، ويعظمون أيضا عيد النيروز وهو من أعياد الفرس، وبعضهم يقول غسل يوم النيروز سنة، ولهم عيد يقيمونه في اليوم التاسع من ربيع الأول الذي قتل فيه عمر بن الخطاب ﷺ.

كما أنهم يقيمون حفلات العزاء والنياحة والجزع وتصوير الصور وضرب الصدور، وكثير من الأفعال المحرمة والمخزية التي تصدر عنهم في العشر الأول من شهر محرم، معتقدين بأن ذلك قربة إلى الله تعالى وأن ذلك يكفر سيئاتهم وذنوبهم، ومن يشاهد فضائياتهم التي تنقل وقائع الاحتفالات في المشاهد المقدسة في كربلاء والنجف وقم فسيري من ذلك العجب العجاب.

أما علاقة هذه القنوات بقضية الغزو الفكري فإنها أحدثت فتنة عند كثير من الجاهلين بالمذهب الشيعي، عندما رفعت الشعارات الإسلامية مقترنة بالثورة الإيرانية، ومحاولة تصدير أفكارهم إلى العالم الإسلامي تحت مسمي التقارب بين الشيعة والسنة، وإظهار التقية بإيحاء الاهتمام بقضايا العالم الإسلامي المعاصر، وإظهار العداء الكامل للغرب الصليبي والدولة الصهيونية، وهذه الصورة التي تبث لعامة المسلمين العرب تختلف عن

الصورة التي تبث باللغة الفارسية.

ولعل وضع قناة المنار التي تعبر عن حزب الله الشيعي قد أسهمت بشكل فعال في اختلاف المثقفين حولها ومتابعة برامجها، فطائفة تتابعها إعجابا بما حققه حزب الله من انتصارات على اليهود وإخراجهم من لبنان، وطائفة أخري تفهم خطورة المذهب الشيعي، وكيف أنها تبث من خلال برامجها الطعن في أصول أهل السنة والجماعة.

وهؤلاء من خلال فضائياتهم لا يقدمون إلا ما يخدم التشيع ويساعد على نشره في الأوساط السنة، ويبدو أن العولمة قد امتدت آثارها حتى لحقت بالفقه والأحكام الشرعية، فقد اختلط الحابل بالنابل، والسني بالشيعي، والسلفي بالتنويري، والفضل الأول في ذلك يرجع إلى الفضائيات العربية التي أتاحت الفرصة لظهور الكثير من الرموز التي لم تكن معروفة أو مسموعة من قبل، وآخر ما أتحفتنا به تلك الفضائيات محاولتها الزج ببعض الرموز الشيعية الإمامية الاثنى عشرية في ساحة الفقه والفكر والإفتاء، ولا ندري متى أصبح رموز الشيعة الإمامية يمثلون مرجعية لأهل السنة حتى تتم استضافتهم والحديث معهم عن قضايا إسلامية عامة، من قبيل الفقه الإسلامي والتجديد في الإسلام؟

إن اهتزاز الثوابت الإسلامية وتمييعها لهو نذير خطر يتهدد الإسلام والمسلمين ويخدم فكرة الغزو التي خطط لها ومارسها الأعداء، فهو أشبه بمد كاسح، لو ترك لن يتوقف إلا عند آخر معلم من معالم الإسلام، إن غاية ما يفعله هؤلاء وأولئك أنهم يهدمون الإسلام ولكن باسم الإسلام، وعلي ضوء اعتياد البابا هذه الأيام على زيارة بلاد المسلمين قد يأتي علينا يوم نري فيه إحدي الفضائيات تقدم لنا برنامجا دينيا بعنوان فتاوي

الفاتيكان [١].

ولعل ما أقدمت عليه قناة المستقلة الفضائية من طرح الحوار الصريح بين السنة والشيعة طيلة شهر رمضان ١٤٢٣هـ، كشف بوضوح زيغ الشيعة، وما عليه علماهم من تقية وإضلال وكشف عن بغضهم المكنون فى قلوبهم لأصحاب النبي ﷺ وكل ما يؤيد حبهم، حتى وصل الأمر ببعض علمائهم إلى تحريم النظر إلى الفضائية المستقلة، ومن يتابع الفضائيات الشيعية سوف يجد الكثير من القضايا التي أشرنا إليها آنفا.

أما الفضائيات التي تبث الفكري الصوفي في البلاد العربية كقناة صوفية والصوفية وكذلك البلاد الغربية فإنها عمدت إلى أسوأ ما في التصوف وبرضا أصحابه، لتقدمهم للغربيين كصورة منفرة للإسلام والمسلمين، ومن هنا نجحوا في تعميق الكره والبغض لدي الإنسان الغربي، وقد رأيت في كندا في أحدي القنوات الفضائية ما يندي له الجبين، إذ أن الفضائيات الكندية أعطت أحد الطرق الصوفية برامج مفتوحة بساعات طويلة يعبرون فيها عن الأفكار والمعتقدات التي جاء بها الإسلام، وهم يعلمون أن هذه الطرق الصوفية مثال للجهل والتخلف، فنقلوا صورة حية بإخراج تشمئز منه النفوس البشرية، نقلوا حلقات الذكر الصوفي وصورة الصوفية وهم بين المسابح يتراقصون، الرجال والنساء مختلطون، يميل الرجل على المرأة وتميل المرأة على الرجل، ثم يظهر مخرج البرنامج الغربي على شاشة التلفاز عبارة: التصوف قلب الإسلام.

ثم تنتقل الكاميرا مباشرة من قلب الحدث في كندا لتنقل صورة

(١) إحياء الفكر الديني الأستاذ منصور بن بدر الشملاني الموقع السابق.

للمزدحمين العاكفين على قبر الحسين ﷺ في القاهرة أثناء احتفالهم بمولده، كيف يطوفون ويعفرون الخدود في التراب؟ وكيف يقبلون في ذل وخضوع الحجارة والأعتاب؟ وكيف ينام الناس بالآلاف على الأرصفة وفي الطرقات على الأوراق وأمام المارة والسيارات، في صورة مذرية تدل على حقارة الإنسان وهوانه عند المسلمين.

بل الأبشع من ذلك أنهم صوروا بكمراتهم في هذا المولد بعض أفراد الطرق الصوفية يرفعون أعلام طريقتهم الرفاعية، وهم يسحبون بقرة ليقدموها قربانا لضريح الحسين ﷺ، فلما اقتربوا من الضريح اجتمع هؤلاء على البقرة ليذبحوها أمام أعين الناس في الساحة بين النائمين والمريدين، وبالفعل ويا للحسرة ذبحوها وسال دمها حتى لطخ المارة والجالسين، وتهافتت الناس على الذبيحة متلهفين متكالبين طمعا في قطعة لحم من هذا القربان، هذه الصورة رأيتها بعيني تبث في الفضائيات الكندية تحت شعار الحرية ومنح الصوفية فرصة للتعبير عن الإسلام.

هذا ما يقدم من قبل الصوفية في الفضائيات الغربية، تقديس الأموات والغلو فيهم، واعتقادهم أن الأولياء والأنبياء هم في الدنيا بعد موتهم أحياء، وأنه متى أرد الواحد منهم أن يلتقي مع مريديه أو ذويه فذلك عليه أمر يسير، وربما تفقد اتباعه ومريديه وأعطاهم ورادا يتعبدون به، إلى غير ذلك مما يعبر عن عقيدة موغلة في الجهل بعيدة عن عقيدة الإسلام الصافية.

لقد بدى للمشاهد الغربي أن تقديس المشاهد والبناء على القبور والعكوف عليها صار معلما من معالم الديانة الإسلامية، والرسالة التي تبقي فيي خلفية الفرد في المجتمعات الغربية، أنه لا فرق بين الصوفية المعبرة

عن الإسلام أو السلوكيات الشيعية أو غيرها، وبين من العقيدة البوذية الوثنية، فوسائل الإعلام الحاقدة تنقل وتقدم هذا التقديس على أنه صورة الإسلام، وبالتالي وضعوا جدارا مانعا لانتشار الإسلام في الغرب.

- القنوات الفضائية الانحلالية وسموم الغزو المهلك لشباب المسلمين.

وأقصد بها القنوات العربية التي لا تراعي حرمة لدين، ولا مبادئ أخلاقية ولا قيود اجتماعية، بل هي حرب فضائية وغزو جديد، غزو الشهوات، غزو الكأس والمخدرات، غزو المرأة الفاتنة والرقصة الماجنة والشذوذ والفساد، غزو الأفلام والمسلسلات والأغاني والرقصات وإهدار الأعمار بتضييع الأوقات، إنه غزو لعقيدة المسلمين في إيمانهم واستحلال لحرمة دينهم، ومجاهرة بالكفر البواح لربهم [(١)].

ليس أهم سلبية في هذه القنوات محصورة في مجرد صورة فاضحة متحركة للإعلان عن جسد عار لفتاة عربية تسوق نفسها من خلال برامج تمارس من خلاله استعراض الجسد في أشكال مختلفة تحت ستار ما يطلبه المشاهدون من أغنيات وفيديو كليب أو مسلسلات مدبلجة أو عروض أزياء أو مسابقات الجمال العربيات الفاسقات والأجنبيات وهن شبه عاريات، أقل ما يقال عن ذلك أنه تصوير حي لانحطاط الأخلاق

---

(١) مثال ذلك أغلب الفضائيات اللبنان كقناة المستقبل **FUT**، و**LBC**، و**MTV** وقناة لبنان **TL**، وقناة موليدي **MOLEDY**، وقناة دريم الأولى والثانية، وقناة عجمان وقناة هي، وقناة **strike**، وقناة **zen**، وقناة **ze** الهندية، وقناة روتانا، وقناة **hits** **melody**، وقناة **mbc1**، وقناة **mbc2**، وقناة **mazzika**، وقناة **EDTV33**، وقناة **EDTVdrama**، وغيرها انظر المزيد عن هذه القنوات في ملحق مجلة الأهرام العربي، العدد ١٩ بتاريخ ٢٠٠٢/٨/١٠، ص ٢٩ ص٤٠ وما بعدها.

وانحلال القيم، واتهام مقصود للمسلمين للعرب بأنهم ظاهرة جنسية، عبر تمويل عربي أمي جاهل بعواقب الكسب غير المشروع أو جيش من النصارى يهيمن على البرامج في تلك الفضائيات [١].

في القنوات الغربية الجادة يستحوذ الصحفي على إدارة برنامج ما ربما يحمل اسمه بحكم تميزه وعمق تجربته وخلفيته الثقافية وقدرته الفريدة كمحاور، استنادا إلى رصيد هائل من المعرفة [٢]. أما عند أصحاب تلك الفضائيات فالعكس هو الصحيح، إن هذه القنوات تمثل النموذج الأمثل للإعلام الذي يشجعه الغرب في بلادنا بكل سبيل، لأنه يسيء لنا ويطعن في هويتنا، ويخدم أعداء المسلمين بتمويل من العرب أنفسهم، وليس بعد ذلك غزو وانتحار للذات التي شرفها الله بوجودها في بيئة مسلمة، ولنحاول أن نحدد بصور أكثر دقة الآثار السلبية التي تنجم عن هذه الفضائيات وتسهم بشكل سريع وخطير في غزو عقول الأمة وإهدار كرامتها:

١- المحاربة لله ﷻ ولدين الإسلام ونبي الرحمة والهدى، حيث أن معظم الفضائيات الانحلالية تدعم من قبل الدول الغربية ماديا وثقافيا فأغلب برامجها نقل مباشر للصورة الحية لحياة الكفار وأحلامهم وطعامهم وشرابهم، والموضة في ملابسهم، ووسائل ترفيههم، وتفاهة أفكارهم، وانحلال أخلاقهم، فهي أسلحة موجهة ومسلطة على محاربة الإسلام وأهله، وتشويه صورته والنيل من أبنائه وإبعاد الناس عنهم، ويكفي النظر

---

(١) الاحيدب محمد بن سليمان، عن مقالته بعنوان أرقام الفضائيات الهابطة أولي بالحجب، انظر بتصرف http//writers.alriyadh.com.sa/kpage.asp .

(٢) خذ علي سبيل المثال استحواذ لاري كنج في شبكة CNN .

إلى الأسماء التي تظهر على الشاشة لمعدي البرامج والمشاركين والمخرجين لتعلم أن أغلبهم من النصارى المدعومين بالإمكانيات من قبل الغرب لإهلاك الجيل وتقويض الهويته الإسلامية.

٢- الدعوة المحمومة للتفسخ الأخلاقي والإباحية والمجون، والتبرج والاختلاط والسفور والحرية البهيمية، وذلك من خلال الأفلام الماجنة الانحلالية والمسلسلات الهدامة، وما تجره من تأثير سلبي على الشباب والفتيات، فقد حدث تبديل سريع في نوعية الحجاب المستخدم من قبل الفتيات في البلدان الإسلامية المحافظة، وتطور هذا الحجاب بشكل واضح وملفت، وتحول من لباس للتستر إلى لباس للزينة والاستعراض الجسدي، والتخفيف منه عبر اختراع موديلات جديدة يقدمها النصارى في هذه الفضائيات، فترى المرأة التي تنتمي لأسرة مسلمة وتأثرت بهذا الغزو قد كشفت عورتها وحزمت أردافها وجلدتها وأظهرت سريرتها وسرتها، لقد تطور لباس الفتيات سواء اللباس المنزلي منه أو اللباس الذي يرتدي عند الخروج، بحيث تجد أن اللباس الذي تلبسه فاسقات الفضائيات الانحلالية يرتدينه الفتيات العربية والخليجية مباشرة، مما أدي لانحسار أنماط اللباس الإسلامي واحتشام المظهر.

٣- نشر البرامج التي تدعو إلى الاحتفال بالأعياد المحرمة كعيد رأس السنة، وعيد ميلاد المسيح وعيد الزواج وعيد الميلاد، ويصاحب كل حفل شرب الخمر، ومماسة الكاسات وتفجير زجاجات الخمر والدعوة إلى ترويج المخدرات والمسكرات، والسموم والآفات القاتلة من خلال تقليد السلوكيات التي تبث في الأفلام والمسلسلات .

٤- بعض برامجها الاجتماعية تورث التمرد على الدين والأخلاق

والعادات والتقاليد الحسنة الموروثة عن الآباء والصالحين، مثل الترابط الأسري والاجتماعي وبر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار والشفقة بالضعفاء والمساكين والأرامل والأيتام، والكرم والشجاعة والأمانة وغير ذلك من الأخلاق الطيبة والسجايا الحسنة، وفي المقابل تدعو هذه الفضائيات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى الأخلاق السيئة كالظلم والكبر والعجب والسرقة، والقتل والضرب والخيانة وتضييع الأمانة وغير ذلك من الأخلاق السيئة.

٥- الآثار الصحية على المخ والأعصاب والنظر والتفكير، لمن يطيل المتابعة لتلك المحطات، مما يحدث الإرهاق والكسل والخمول خاصة في النهار، بسبب السهر عليها في الليل، فيحدث ذلك خللا في التحصيل العلمي، والعمل الوظيفي، والقعود عن النهوض بالأمة، ورعاية مصالحها، والتخلف عن أداء الصلاة في أوقاتها مع جماعة المسلمين.

- الشعوذة والكهانة فاقت في هذه الفضائيات ما حدث في الجاهلية.

٦- الأفلام التي تعني بالسحرة والمشعوذين والكهنة والدجالين وما فيها من الشركيات، فاقت في هذه الفضائيات ما حدث في عصور الجاهلية بمئات المرات، فهذه القنوات في الآونة الأخيرة حملت لنا أفكارا ومعتقدات طالما حاربها رسول الله ﷺ، وحث أتباعه من تجنب الوقوع فيها أو اللجوء إليها، فمن ذلك الكهانة والرجم بالغيب وقراءة الطالع أو ما يسمي بالأبراج، فبعدما غزت هذه الآفات صفحات المجلات والصحف، وألفت فيها كتب وتصنيفات، تصف كيفية قراءة الكف والفنجان ومعرفة الأبراج والسحر والشعوذة، نري هذه الأيام وللأسف الشديد أن الأمر أصبح موضة ومنافسة بين بعض هذه الفضائيات التي

خصصت برامج وحلقات للأبراج، والتوجه للمشاهدين ومحاوراتهم ومشاركتهم لمعرفة أسماء أبراجهم، وتحديد يوم وتاريخ مولدهم لإعطائهم تحليلا عن أحوالهم وحياتهم، والتنبؤ بمستقبل أيامهم، وذلك بإحضار ما يسمي بالعلماء المنجمين، وما في ذلك من ادعاء للغيب.

بل زاد البعض بإحضار بعض السحرة المعروفين على نطاق العالم العربي ليتصل بهم المشاهدون، ويحضر هؤلاء السحرة ما يسمونها بالبلورة، ويتحدثون مع المشاهدين، ويحدثونهم عن أحوالهم وأوضاعهم من خلال البلورة التي يستكشفون بها أحوالهم، ويحلون مشاكلهم في أمور لا يقدر عليها إلا الله تعالى، من عطاء أو رزق أو كشف سوء أو إبراء مرض، وكلها أمور يختص بها الله ﷻ، وليست من اختصاص البشر، وللأسف كثيرا ما تنطلي هذه الخزافات على بعض السذج الذين لم يتحصنوا بعقيدة سليمة فيصدقون هؤلاء السحرة الذين يفسدون العقل ويخربون المعتقدات.

٧- الاتصال بهذه القنوات من قبل فئة مستهترة ينتمون إلى أفضل البلاد محافظة على الإسلام والعمل بأحكامه، يقوم من خلاله المتصل بتقديم إعجابه بمقدمة البرامج، ويقدم اهداءاته إلى نسائه وأقاربه، سواء كانت أسماء وهمية أو حقيقية، هذه الاتصالات الكثيرة والمتكررة تحمل غزوا فكريا يعطي انطباعا بأن هذه البلاد المتمسكة بدينها، شعبها يرغب في أن تكون المذيعة على هذا النموذج، وأن ذلك هو المطلوب لفتيات بني جنسه، فهذه إساءة للكل عبر تصرفات البعض، يجب عدم التقليل من أهميتها.

٨- تغيير نمط تفكير الشباب والفتيات لمفهوم الهوية والعادات

والتقاليد، فلم يعد ينظر باهتمام بالغ للهوية الإسلامية وخاصة من قبل الشباب، بل بات الأمر الهام هو كيف يحقق كل من الشاب والشابة حلمهما في تحقيق السعادة والمتعة، وكيف يجاريان فتيات الفضائيات في تغنجهن ودلالهن ولباسهن ومكياجهن الأنيق، وبالتالي ضعفت العلاقة بين الشباب وبيئتهم المحلية، وباتوا ينظرون لما هو موجود في الخارج من أنواع الفساد العصري، ويبحثون عن نمط الحياة والمعيشة والعلاقات كما تعرضه لهم الفضائيات الانحلالية، وهذا كله قاد في وقت قصر إلى تبديل المستوي الفكري لرؤية المفاهيم كالهوية والقيم والأخلاق والالتزام.

٩- سعت هذه الفضائيات إلى تحويل ثقافة الجيل نحو مناحي استهلاكية غير منتجة، وذلك عبر إغراقه في بحر من الإعلانات التجارية ذات النكهة الشبقة الحارة، وعبر تقديم نماذج سلوكية لشباب على الطراز الأوربي أو العبثي، أو الشباب المستمتع بحياته وملذاتها وفقط، مما يجعل شبابنا مقلدا ومنقادا بشكل لا شعوري نحو هذه الثقافة اعتقادا منه بكمالها وصحتها ومقدرتها على إسعاده، فيما هو يسير نحو الاستهلاك والهدر.

١٠- من السلبيات التي تضاف إلى تأثير هذه القنوات الانحلالية إضعاف العلاقات الاجتماعية، وانعزال الفرد وانزوائه في ركن أو زاوية، ممسكا جهاز التحكم من بعد يتصفح مئات الفضائيات وما يبث فها من أنواع الخلاعة والأفلام والمسلسلات، يبحث عن وجبة من الشهوات واللذة في رؤيته المحرمات، فمثل هذه الممارسات جعلت الشباب أمام تناقضات اجتماعية شديدة حادة، يمارس الانضباط أمام عوام الأفراد والجماعات، ويتحلل منه في عالمه الذاتي أو مع خواصه من الأصدقاء،

فتكونت لدينا شخصية مزدوجة بخطابين وسلوكين متضاربين بل ومتناقضين للغاية.

والعجيب أنه في وسط هذا الانحلال الخلقي التي تقدمه هذه الفضائيات تستضيف نوعية معينة من شواذ الدعاة في مناسبات رمضانية وغيرها أو احتفالات بدعية، لتذر الرماد في عيون المنكرين ويكون الداعي بدعوته في هذه الفضائيات الانحلالية مسخرة المشاهدين، ففي أثناء حديثه تأتي الفواصل الإعلامية الانحلالية لتقول للمتابعين إن كبار مشاهير الدعاة لا يمانعون فيما نقدمه للمسلمين، وكل ذلك يزيد من تناقض الهوية لدي الشخصية الإسلامية. وفي دراسة بحثية ميدانية حول أخلاقيات الفضائيات وأثرها في المجتمعات، أفادت الباحثة جيهان البيطار أن ٨٩٪ من الإعلانات الموجهة للشباب تحتوي قيما سلبية كالشراهة والتبذير والانحلال، وأن ٩٣٪ من الفضائيات تستخدم السيدات، وأن ٧٣٪ منها يتم تقديمها من خلال حركات المرأة ومفاتنها، وأن ٥٨٪ منها تحتوي تجاوزا في اللغة، وأن أكثر من النصف يحتوي إثارة في المضمون، ومن دراسة بحثية أخري تبين أن للتلفزيون العديد من الآثار السلبية على النوم والجهاز العصبي، والجهاز الدوري، والشعور بالتعب، وفقدان النشاط والصداع واحمرار العينين وضعف الذاكرة، وسرعة الغضب، وبعض المشكلات الجلدية كالبثور وضعف المناعة، بسبب السهر وضعف التركيز وغيرها [1]، وليس بعد هذه الآثار المدمرة نتيجة مثمرة لمحصلة الغزو الفكري وما يريد الأعداء للفرد المسلم.

---

(١) الحركة النسوية الغربية وأثرها في المجتمعات الإسلامية لمحمد الأحمر، مجلة المنار الجديد، العدد ١٩، وانظر أيضا مجلة البيان عدد ربع الآخر ١٤٢٠ ص١٨.

• **الغزو الفكري والفضائيات الإباحية التي تبث من الأقمار الأوربية.**

هدف التبشير أو التنصير قائم على إدخال الشعوب الإسلامية في النصرانية أو تشكيك المسلمين في دينهم وإخراجهم منه أو تثبيت النصارى على ملتهم ودعوتهم إلى التدين، فالتبشير حركة سياسية استعمارية تستهدف هدم أمة الإسلام للاستيلاء عليها، وقد كان المبشرون ولا يزالوا يستغلون انتشار الجهل والفقر والمرض للتغلغل بين شعوب الأمم من خلال وسائل الإعلام التقليدية من كتب ومطبوعات وإذاعة وتلفاز وأشرطة سمعية ومرئية فضلا عن المخيمات والتعليم والطب إلى جانب الأنشطة الاجتماعية الإنسانية والإغاثية الموجهة لمنكوبي الفتن والحروب، مسخرين إمكاناتهم الضخمة لتحقيق مآربهم.

كانوا يعتمدون في غزوهم على تقديم الخدمات الطبية أو إنشاء المدارس والكليات والجامعات والمعاهد العليا، وكذلك إنشاء دور للحضانة ورياض للأطفال واستقبال الطلبة في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية وإيجاد بيوت للطلبة من الذكور والإناث، وكذلك الأندية والاهتمام بدور الضيافة والملاجئ للكبار ودور لليتامى واللقطاء والاعتناء بالأعمال الترفيهية، وحشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال، وإنشاء المكتبات التبشيرية، واستغلال الصحافة بشكل واسع، وإنشاء مخيمات الكشافة التي تستغل أفضل استغلال في التنصير وزيارة المسجونين والمرضي في المستشفيات وتقديم الهدايا والخدمات لهم.

وإذا كان التنصير خطرا يهدد المسلمين منذ زمن بعيد، فهو اليوم يمد يديه ويكشر عن أنيابه، ويفتل سواعده لحرب ضروس مع الذات الإسلامية، فلم تعد وسائله السابقة في التدمير الأخلاقي كافية، بل إن

فكرتهم في تدمير الجيل والتي بنيت على دعوة الشباب إلى الحفلات والمخيمات أو حتى داخل الكنيسة حيث تدار فيها الخمور وتقام فيها حفلات الرقص الماجن للمراهقين والمراهقات حتى أوصلوهم إلى الكفر بالله وعبادة الشيطان، لقد أصبح لفكرتهم اليوم في تدمير الجيل بعدا آخر بعد وجود الفضائيات، فأساليبهم الماكرة الخبيثة التي تلونوا فيها ليكونوا أخفي من دبيب النمل، أصبح لها قنوات فضائية صريحة، لا تكلفهم الجهد والمشقة التي بذلوها في السابق، فمن إيطاليا بلد الفاتيكان ومن قبرص وإسرائيل ولبنان، وغيرهما من البلدان الأوربية وبلاد الأمريكان، أنشئت قنوات تبشيرية في النهار إباحية جنسية في الليل.

في النهار ينقلون في إرسالهم الموجه صورة محاضر من الكنيسة بلباس عصري يختلف عن اللباس الكنسي يحاضر في قاعة تستوعب ألاف الناس من عوام النصارى أو غيرهم، وهم جالسون في صمت شديد وانتباه، وهو يشرح لهم الإنجيل ويروي القصص بدقة وتفصيل، ومن المعلوم أن عوام النصارى لا يعرفون حتى قانون الإيمان عندهم، ولا يرغبون في معرفة دينهم، لأنه لا يناسب عقولهم في أغلب موضوعاته فمن الصعب أن يكونوا مجتمعين بالآلاف لطلب العلم بمحاضرات متكررة يوميا على النحو المعروض في هذه القنوات، إلا إذا كانوا كمبارس مأجورين ومجتمعين لاكتمال الصورة التي أرادوا أن يصدروها إلى المسلمين ومختلف المشاهدين، ليضعوا في صدورهم أن ما عندهم يقبل على استماعه الملايين.

وربما يأتي في هذه القنوات إيحاءات مفتعلة للقاءات مؤثرة ومواقف مزعومة تحققت فيها معجزات خارقة بسبب صدق إيمانه بالمسيح

المصلوب، ويخرجونها في صورة تجعل دموع العوام المشاهدين تتحرك من شدة التأثر والحنين، فهذا ولده التهم السرطان جميع خلاياه، وقرر الأطباء أنه سيموت بعد ساعات، ولكن أباه لما استغاث بالصليب في هذه الأوقات، قام الولد سليما من جميع الآفات، والرسالة الموجهة للمشاهدين من المسلمين أن التمسك بالصليب فيه العصمة والنجاة، فيه العزة والحياة، وهذه امرأة ذهب بصرها وبقيت عمياء عشرات السنين ولكنها لما آمنت بالصليب وكررت زياراتها للكنيسة والقسيسين جاءتها مريم ومسحت على وجهها فعاد بصرها كما كان، حكايات مفتعلة كثيرة ومتكررة تبث كل يوم من خلال هذه القنوات لغرض تحسين النصرانية في بلاد المسلمين.

لكن ليس هذا ما يعنينا في الموضوع، فلا نظن أن مسلما سيقنع بأن الإيمان بالصليب يحقق المعجزات وخوارق العادات، أو هو سبب النجاة من المهلكات، ولكن ما يعنينا أن تلك القنوات تنقلب بالليل رأسا على عقب، إذ أنها تتحول إلى قنوات إباحية يمارس فيها الزنا واللواط والشذوذ علانية.

وقد أوجدت تلك القنوات مشكلة في الدول الإسلامية التي تطل على البحر المتوسط ويمكن لمواطنيها محدودي الدخل استقبال هذه القنوات من خلال البث الأرضي الذي لا يتطلب دشا ولا تقنية رقمية ولا رأسا حديدية، وقد احتارت هذه الدول في صد هذا الغزو الإباحي الذي سيدمر جيلا بأكمله، وحاولت تمديد ساعات البث في قنواتها لتشوش على تلك القنوات، مع تطعيم البرامج بمواد راقصة ماجنة يمكن أن تكون بديلا عن القنوات الإباحية التي تغزو الشباب فالمثل يقول: مرض

أخف من مرض، لكن دون جدوى، فما زال البث الأرضي للغزو الموجه يزداد ضراوة وفتكا بالمسلمين.

ولكن الأمر تطور وانتقلت هذه المؤامرة الفتاكة لتشمل جميع دول العالم، حيث نقلوا فكرة القنوات التبشيرية الإباحية من البث الأرضي إلى القنوات الفضائية بعد انتشار التقنية الرقمية عبر الأقمار الصناعية الأوربية وغيرها، ففي غياب وعي الآباء انتشر بين الشباب الإدمان على تلك القنوات الإباحية، وتسجيل موادها ونشرها بين الشباب على أشرطة الفيديو واسطوانات الكمبيوتر بصورة مفزعة.

جاء في صحيفة الجزيرة أن شابا يافعا ذا خمسة عشر ربيعا أتي إلى مركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت زيارته غريبة للغاية حيث دخل مرتبكا خوفا مما سيقول! رحب به رئيس المركز وعرض عليه أية خدمة يقدمها له؟! فأخبره أن زيارته لأجل إنكار منكر لكنه لا ككل المنكرات، إنه منكر بل مرض خبيث سري في أوساط الشباب وانتشر انتشار النار في الهشيم.

قال هذا الشاب: لقد انبنى ضميري من انتشار هذه الفيروس الذي دمر زملائي الشباب، لقد أدمن عليه الصغير والكبير حتى أصبح حديث الشباب في المدرسة، في الشارع في كل مكان، وبدأ رئيس المركز في البحث والتأكد من صحة وجود هذا المرض الخبيث، وبعد تحر دقيق إذا برجال الهيئة يقضون على هذا المنكر وهذا المرض الخطير حيث كان له وقع كبير في قلوب أصحاب الغيرة، الكل ارتعدت فرائصه خوفا على أبنائه عندما عرف أن هناك مرضا خبيثا انتشر بين الشباب والأولاد صغارا وكبارا، الكل اتجه نحو بيته باحثا عن أبنائه ليتأكد من سلامة

أخلاقهم. بعضهم أتي إلى مركز الهيئة يصرخ فرحا وبعضهم معاتبا: أين أنتم؟ إلى هذا الحد كان المرض منتشرا دون علم الناس، أحدهم بعد أن صلي مع الجماعة استوقف الإمام والمصلين، وقال: انتظروا قليلا وذهب لبيته المجاور للمسجد، واحضر هذا المرض الخبيث وحطمه أمام الناس وقال: أعاهدكم أن أحاربه بعد اليوم، ولا أجعل له مدخلا على وعلي أبنائي وأسرتي.

تقول صحيفة الجزيرة: لعلك أخى القارئ قد ازددت حماسا لمعرفة هذا المرض الخبيث، إنه مرض إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، إنها الأفلام الخليعة والقنوات الإباحية، إنه التحول من الحياة الطيبة إلى الحياة البهيمية، إنه الغزو الفضائي، إنها العولمة في الفساد والانحراف إنه حدث عظيم وفق الله سبحانه وتعإلى فيه رجال الهيئة من القبض على الأوكار التي تعمل لنشر الفاحشة، كميات ضخمة، تجهيزات مخيفة، استعدادات مذهلة، تضحيات كبيرة، وما خفي كان اعظم نعم إنه محل فيديو[1].

ويذكر الشيخ خالد بن عبد الله الحامد رئيس قسم القضايا والشؤون الميدانية الذي باشر الموضوع بنفسه، أنه قد تم بفضل الله وتوفيقه القضاء على وكر من أوكار الفساد والضلال التي تنشر السموم بين الشباب والفتيات خاصة والتي لها دور كبير في انتشار الرذيلة، بل لا نكون مبالغين إذا ما قلنا انه سبب رئيسي في ارتفاع معدلات الجرائم الأخلاقية، حيث تم القبض على صاحب محل فيديو، والعاملين معه والبالغ عددهم ستة أشخاص، وهم يقومون بترويج وحيازة ونسخ الأشرطة الجنسية المتمثلة في ممارسة الزنا واللواط والسحاق والشذوذ الجنسي، وأشرطة

---

(١) جريدة الجزيرة العدد (١٠١٠٩) الجمعة ٢٩ صفر ١٤٢١هـ، الطبعة الأولى.

الحفلات الخاصة والأفلام الممنوعة بكميات كبيرة بيعا وتأجيرا.

وبعد الكشف والتحري تبين أن هذا المحل يتاجر ويروج الأشرطة الجنسية الخليعة علنا، إذ يعد هذا المحل أكبر محل من نوعه في المحافظة حيث يتكون من ثلاثة أدوار، ويضم بين جنباته أكثر من عشرة آلاف شريط، وأكثر من ثلاثمائة جهاز فيديو للعرض والنسخ، وأكثر من ثلاثين جهاز تلفاز، وأحد عشر جهاز رسيفر منها خمسة مزودة بمداخل الكروت الالكترونية التي يمكن من خلالها التقاط القنوات الفضائية الرقمية الإباحية المشفرة وهي أحد مصادر النسخ لدي المحل، وبعد الكشف على عينات من الأشرطة عثر على كميات كبيرة من الأشرطة، وهي حصيلة مبدئية تجاوزت سبعمائة شريط تحتوي على مادة جنسية إباحية، فبالإضافة إلى قيام المحل بنشر الفجور الذي يساهم مباشرة في انحراف الشباب عن جادة الصواب، والسعي لإشباع رغباتهم وشهواتهم من أي طريق كان ولو كان محرما، فإن المحل يستقبل القنوات الفضائية والرقمية المشفرة، وينسخ منها الأفلام الجنسية كما ينسخ منها المواد كل المواد المسمومة.

ولاشك أن هذه الفضائيات الإباحية وانتشار بيع الأفلام التي تبثها وتبادلها بين الشباب ينتج عنه من الأضرار مالا يختلف عليه اثنان، وسوف نجمل أبرز الآثار المترتبة على هذه الفضائيات الإباحية، والتي تنسف الجيل نسفا في النقاط التالية:

١- متابعة القنوات الانحلالية تؤدي إلى ضياع الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، ووأد الفضيلة وقتل الحياء وتلبس الوجه رقعة من الصفاقة والوقاحة والسواد والظلمة، وما يعلوه من الكآبة والمقت

الذي يبدو للناظرين، هذا إضافة إلى ظلمة القلب وطمس نوره.

٢ – لا شك أن النظر إلى هذه القنوات الإباحية من أعظم أسباب الزنا، وانتهاك الحرمات حتى مع المحرمات، والواقع خير شاهد على ذلك، فتارة نسمع عن شاب وقع على أخته أو ابنته أو خالته أو ما شابه ذلك من الفواحش.

٣ – انتشار هذا الوباء في المجتمع يؤدي إلى كثرة جرائم الاغتصاب والشذوذ واللواط، وإهدار كرامة المسلمين ذكورا وإناثا، مما يهيج العداوات، ويزكي نار الانتقام بين أهل المرأة والزاني، فالغيرة التي طبع عليها الإنسان على محارمه تملأ الصدر، ومن ثم تؤدي إلى وقوع المقاتلات والفتنة انتشار المحاربات، فلو بلغ الرجل أن امرأته أو إحدى محارمه قتلت كان أهون عليه من أن يقال إنها زنت، كما أن المرأة يكسوها عارا لا يقف عندها بل يتعداها إلى أسرتها، ومن حديث المغيرة أن سعْدُ بْن عُبادة ﷺ أنه قال: (لوْ رأيْتُ رجُلا مع امْرأتي لضربْتُهُ بالسّيْف غيْر مُصْفحٍ، فقال النبيُّ ﷺ: أتعْجبُون من غيْرة سعْدٍ لأنا أغْيرُ منهُ واللهُ أغْيرُ مني) [1]. ومن حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ: (لا أحد أغْيرُ من الله، ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن) [2].

٤ – لاشك أن هذه القنوات الإباحية ستؤدي إلى أضرار جسدية يصعب علاجها أو السيطرة عليها، فأبسطها الفتور والخمول، وضياع

---

(١) رواه البخاري في كتاب المحاربين، باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله ٦/٢٥١١ (٦٤٥٤)، ومسلم في كتاب اللعان ٢/١١٣٦ (١٤٩٩).

(٢) البخاري في تفسير القرآن، تفسير سورة الأنعام٤/١٦٩٦ (٤٣٥٨)، ومسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ٤/٢١١٤ (٢٧٦٠).

قوة الأمة من خلال القضاء على الخلية النشطة المنتجة، أما أسوأها فذهاب الحياة من خلال انتشار الأمراض بين المسلمين كالإيدز والزهري والسيلان ونحو ذلك.

٥- انتشار الزنا يقضي على المرأة الزانية، فيتجنب الشباب زواجها وإن ظهرت توبتها مراعاة للوصمة التي أُلصقت بعرضها سالفا، وكذلك الجناية على الولد، فإن الزاني يبذر نطفته على وجه يجعل النسمة المخلقة منها مقطوعة عن النسب إلى الآباء، والنسب معدود من الروابط الداعية إلى التعاون والتعاضد، فالزنا سبب لوجود ولد عاري من العواطف التي تربطه بأمه وأسرته، فيعيش وضيعا في الأمة، مدحورا من كل جانب، فإن الناس يستخفون بولد الزنا وتنكره طبائعهم، ولا يرون له من الهيئة الاجتماعية اعتبارا.

وإذا حملت المرأة من الزنا راودتها نفسها على قتله، فجمعت بين الزنا والقتل، وإذا حملته وخدعت زوجها أنها ليست كذلك أدخلت على أهلها وأهل زوجها أجنبيا ليس منهم، فورثهم ورآهم وخلا بهم وانتسب إليهم وهو ليس منهم إلى غير ذلك من المفاسد الناجمة عن الزنا وانتشاره بفعل هذه القنوات.

٦- ومن الأضرار والمخاطر التربوية والأخلاقية ممارسة العلاقة الزوجية على وجه محرم، يقول تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣﴾ البقرة:٢٢٣.

وقد بين أهل العلم في ضوء هذه الآية ما جاء في معناها من أحاديث المصطفي ﷺ أن محل الوقاع هو محل الولد، وحيث أن القائمين على

القنوات الفضائية الإباحية والانحلالية لا يعتدون بشرعة ولا فضيلة، وإنما الأمر عندهم شهوات مسعورة، فهم يعرضون كل ما من شأنه تهييج الشهوات بالشذوذ بين الرجل والمرأة واللواط والسحاق وغير ذلك من أنواع الإباحية الجنسية، فظهر الشذوذ الجنسي والانتكاس الفطري، حيث يكتفي بالمثيل الذكور بالذكور، والإناث بالإناث مما يستوجب الخسف الذي حل بقوم لوط [١].

ومن ثم فإن الدعوة إلى الجريمة بمشاهدة الأفلام الإباحية وإقامة العلاقات المحرمة بين الجنسين وإثارة الشهوات وفضح العورات والوقوع بالتالي في الفاحشة، كان ولا يزال دأب الغرب في غزوهم الفكري، وما زال الصليبيون يتربصون الدوائر بأهل الإيمان وينصبون لهم الشباك ويضعون الخطط للوقيعة بالمسلمين، ولئن كان ذلك في الأزمان السابقة خفيًّا وبعيدا عن الأنظار، فإنهم اليوم يصرحون بحقدهم الدفين من خلال القنوات التبشيرية الإباحية، وما تخفي صدورهم أكبر.



(١) الشايع القنوات الفضائية http//www.mknon.net/new2/fthaeah.htm .

المطلب التاسع والعشرون

كيف يتعامل المسلم مع الغزو الفكري الموجه عبر وسائل التقنية الحديثة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن غزو القنوات الفضائية الموجه إلى أبناء الأمة الإسلامية وخطورته على هوية المسلمين وعقيدتهم، وعلمنا أن غزو القنوات الفضائية هو أخطر ما يواجه به المسلمون اليوم، وتحدثنا عن الغزو الفكري القادم من القنوات الفضائيات ذات البرامج المختلطة، وعلمنا أنواع الأضرار والمخاطر الناجمة عن التأثر بالقنوات الفضائية المختلطة، وتحدثنا عن تمييع المفاهيم والثوابت الإسلامية في الفضائيات المختلطة، وأن العزوف عن الزواج من الأضرار التربوية والأخلاقية للفضائيات.

وتحدثنا عن الفضائيات الإخبارية وخطورة الغزو الفكري على طبقة المثقفين، وكيف يتسلل الغزو الفكري من القنوات الإخبارية؟ وتحدثنا عن الغزو الفكري والفضائيات المذهبية الشيعية المجوسية الجعفرية، وتناولنا القنوات الفضائية الانحلالية وسموم الغزو المهلك لشباب المسلمين، وأن الشعوذة والكهانة فاقت في هذه الفضائيات ما حدث في الجاهلية، كما تحدثنا عن الغزو الفكري والفضائيات الإباحية التي تبث

من الأقمار الأوربية.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن كيفية تعامل المسلم مع الغزو الفكري الموجه عبر وسائل التقنية الحديثة.

- **الغزو الفكري القادم من الفضائيات الكرتونية وأثره الهدام على أطفالنا.**

لقد أشغلت الرسوم المتحركة أطفالنا أيما إشغال، فما عادوا يطيقون أن يجلسوا يوما بدون أن يشاهدوا تلك الرسوم، أو كما يحلو لأطفالنا تسميتها بأفلام الكرتون، حتى إنهم يرفضون اصطحاب آبائهم بحكم أن برنامجا كرتونيا يعارض هذا الوقت، ويكفيك أن هذه الرسوم قد أكلت أوقات أبنائنا، فما عاد لهم وقت لمراجعة دروسهم فضلا على أن يجلسوا مع أهليهم.

قال الدكتور أحمد الغامدي: (من البديهي أن يكون المجتمع قد أدرك أن تأثير التلفزيون عموما على الأطفال يأتي من خلال الرسوم المتحركة، ومتابعتهم لها لمدة قد تصل إلى عشرة آلاف ساعة بنهاية المرحلة الدراسية المتوسطة فقط، وهذا ما أثبتته البحوث والدراسات من خلال الواقع المعاش) [(١)].

وفي الأثر الذي تخلفه تلك الرسوم المتحركة، قالت الكاتبة سارة الختلان: (من العوامل التي تؤدي إلى انحراف الطفل هو ما يشاهده من خلال شاشة التلفزيون، خاصة أفلام الرسوم المتحركة التي قد تبلد ذكاء الطفل، وتضعف عقيدته وتميع خلقه، لأن الطفل أشبه ما يكون بالمادة اللينة، سرعان ما يتشكل بما يشاهده؛ فيأخذ أحط العادات وأقبح

---

(١) أبو رعد محمد السبيعي، http://www.saaid.net/arabic/ar19.htm.

الأخلاق) [١].

وتضيف قائلة: (بل تجعله يسير في طريق الشقاوة بخطي سريعة فالرسوم المتحركة تلعب دورا كبيرا في شد انتباه الطفل ويقظته الفكرية والعقلية، وتحتل المركز الأول في الأساليب الفكرية المؤثرة في عقله لما لها من متعة ولذة، على الرغم من أن الرسوم المتحركة التي تعرضها الفضائيات لا تعتمد على حقائق ثابتة، وإنما على خرافات وأساطير ومشاهد غرائزية لا يمكن الاعتماد عليها في تنشئة أطفالنا، وهي في الأصل قادمة من دول بعيدة كل البعد عنا في الدين) [٢].

ويكفيك أن تعلم أن الرسوم المتحركة ما هي إلا حكاية عن واقع راسمها كما يثبته علماء الاجتماع، ومن ثم فإن كل ما تراه من مشاهد في تلك الرسوم فما هي إلا حكاية عن واقع المجتمع الذي رسم فيه الراسم تلك المشاهد، أو عقائد وأخلاق يعترف ويتعامل بها، ومن أبرز آثار الغزو الفضائي الكرتوني في هدم بنيان الطفولة الإسلامية:

١- زعزعة عقيدة الطفل في الله، فهذه الرسوم لها دور عظيم في زعزعة عقيدة الطفل في ربه، فربما يعرض للطفل رجلا يغرس بذرة ثم يسقيها، فما تلبث أن تنمو وتكبر وتطول حتى تجاوز السحاب فيصعد الرجل ويقف على متن السحاب وينظر، فإذا به يرى قصرا ضخما

---

(١) الموضع السابق.

(٢) الموقع السابق، ومن أبرز الفضائيات الكرتونية سبيس تون، MBC3، وقناة سكر، والجزيرة للأطفال، وهناك بعض القنوات الإسلامية التي خصصت للأطفال كقناة طيور الجنة، وسنا، وكراميش، لكنها تعبر عن فكر منشئيها الذين أجازوا للأطفال أن يتراقصوا طوال الليل والنهار.

هائلا، فيتقدم إليه ويدخل من تحت الباب وينظر، وإذا بكل ما حوله يفوقه حجما أضعافا مضاعفة، وإذا برجل آخر قبيح المنظر كث اللحية نائما، شخيره يدوي في أرجاء القصر، فيحرك الأول ساكنا من غير قصد فإذا بهذا العملاق ينتبه من نومه يلتفت يمنة ويسره يبحث عن مصدر الإزعاج حتى تقع عينه على هذا القزم، فيلاحقه ليقضي عليه، ويخرجان من القصر حتى ينزل القزم من الشجر حتى متن الأرض ويتبعه العملاق، فيلاحقه مرة أخرى ثم يأكل هذا القزم أكلة تقويه فيتصارع مع العملاق فيصرعه، ومن ثم يرسله بلكمة إلى قصره.

هذا المشهد الذي يصور فيه الراسم للطفل رجل السماء على أنه هو الله، ينام في سبات عميق ولا يتحرك إلا عند إزعاجه من قبل سكان الأرض، مما يبث الجرأة في الطفل على السؤال عن ماهية الله عز وجل وكيفية الذات الإلهية، ذلك السؤال الذي منعنا نحن من السؤال عنه وهناك أكثر من تساؤل يطرح نفسه حيال هذا المشهد، لماذا يصور الشخص فوق السماء ذا لحية، تلك العلامة التي تعتبر من رموز الدين لدي المسلمين؟

وكذلك ما يحصل في برنامج ميكي ماوس، هذا الفأر الذي يعيش في الفضاء، ويكون له تأثير واضح على البراكين والأمطار، فيستطيع أن يوقف البركان وينزل المطر ويوقف الرياح، ويساعد الآخرين، لماذا يجعل هذا الفأر في السماء؟ ولماذا يصور على أن له قوة في أن يتحكم بالظواهر الأرضية؟ إن تلك تلميحات خبيثة، أهدافها واضحة للجميع لا تتطلب إجهادا ذهنيا لمعرفتها.

٢- نشر بعض النظريات الفاسدة والأفكار الباطلة ومن ذلك برنامج

البوكيمون، ذلك البرنامج الذي بلغت شهرته ومحبة الأطفال له أن تباع بعض البطاقات التي تمثل شخصياتها بمائة وخمسين ريالا أو أكثر، هذا البرنامج تقوم فكرته على أن هناك حيوانات يطلق عليها اسم بوكيمون وهي في تطور مستمر، فتجد البوكيمون يتطور وحدة ويصبح شكلا آخر، أو يتطور بالاتحاد مع بوكيمون آخر وينتج كائنا آخر مختلف كليا عن اليوكيمونين المتحدين، وكل ذلك يضع في عقيدة الطفل خلفية لقبول النظريات الإلحادية والحلولية والدارونية وما شابه ذلك[1].

- **البرامج الكرتونية تبث في برامجها العقائد الوثنية فيألفها الأطفال.**

٣- اشتمالها على الكثير من الأخطاء العقدية الخطيرة والتي قد يعتاد عليها الطفل ويعتقد صحتها، وهذا كثير جدا في الفضائيات الكرتونية كظاهرة الانحناء للغير، حتى تكون الهيئة أقرب ما تكون للسجود والركوع، مثل البرنامج الشهير كابتن ماجد، فعند نهاية المباراة يقوم أعضاء الفريقين بالانحناء لبعضهما البعض بشكل أشبه ما يكون بالركوع للصلاة، كتعبير للمحبة والصفاء، وما يحصل في برنامج النمر المقنع فأحيانا يطلب المصارع من تدريب أحدهم على شيء ما صعب وعسير فينحني له حتى يكون كالساجد، وكذلك كاشتمالها على بعض العبارات القادحة في العقيدة، كعبارة: أعتمد عليك، وهذا بفضلك يا بوكيموني العزيز، أو هذا بفضل ماجد وياسين وغير ذلك من العبارات والأفكار التي يحفظها الأطفال ويرددونها دون وعي أو توجيه.

ومن ذلك أيضا الإشارة لبعض تعاليم الديانات الأخرى، فتجد فتاة

---

(١) الموقع السابق .

تطلب الانضمام للكنيسة، وتعلم العادات الدينية الوثنية المختلفة، أو إظهار الراهب ومعه الصليب، أو حتى إظهار الصليب في غير تلك المواطن، كأن يظهر رجل قوي وشجاع، ثم يخرج من داخل ثيابه الصليب ويقبله، ويبدأ المعركة.

ومن ذلك اشتمالها على السحر وهذا في الفضائيات الكرتونية كثير جدا، والغريب أنهم يصورون السحر على أن حكمه حسب المقصد من استعماله، فربما يصورون الساحر أحيانا بأنه رجل أو امرأة كل منهما قد امتلأ بالشر والبغضاء والحسد حتى يستعملانه فيما يحقق لهما ما يصبون إليه كما في برنامج السنافر، والذي يتمثل في الرجل الشرير شرشبيل، وأحيانا يصور الساحر على أنه رجل أو امرأة مليء بالطيبة ومحبة الخير للناس ويساعد المظلومين كما في السنافر أيضا، ويمثل بزعيم القرية، أو كما في برنامج سندريلا، والتي تصور فيها امرأة ساحرة طيبة تساعد سندريلا على حضور حفلة الملك والاستمتاع بالرقص وغير ذلك، وقد وبلغ تأثير مثل هذه المشاهد إلى حد أن أطفالنا يرددون الكثير من عباراتهم بشكل خطير نخاف فيه أن يطلب الأبناء من الآباء تعلم السحر.

٤- تشويه صورة المتدينين سواء قصدوا أو لم يقصدوا ويظهر هذا جليا في برنامج بيباي، والذي يصور رجلين أحدهما طيب وخلوق والآخر شرير، يصورون ذلك الشرير على صورة رجل ملتحي معيدين الكرة في استخدام أحد رموز الدين والالتزام ألا وهي اللحية، فهم يصورون الملتحي هذا بأنه شرير ومختطف وسارق ويحب الشر ويقوم بالتفجير ويلاحق النساء أو بمعني آخر إرهابي، فلماذا صور الرجل

الشرير رجل ملتحي؟ ولماذا استخدم رمز الدين لدي المسلمين؟ ولماذا لم يجعل ذلك الشرير حليق والطيب ملتحي؟ تساؤلات تطرح يمكن أن يجيب عليها منتجو تلك الرسوم من اليهود.

٥- نشر التبرج والتفسخ وتنبيه الطفل إلى بعض الأمور المخلة بالأخلاق وهذا كثير جدا في تلك الرسوم، ويمكن القول أنه ليس هناك برنامج كرتوني يعرض الآن ويخلو من عري أو غزل أو ملاحقة الفتيات، ولا عجب فهذا ما يحتويه مجتمعهم، وهذا ما يريدونه من العالم، مشاهد تحتوي على صدور بادية وأفخاذ عارية وغزل بين الجنسين، وتعبير عن المحبة في جو رومانسي عجيب وملاحقة الفتيات وتقديم الهدايا لهن لكسب مودتهن، وترك الأشغال والأعمال بمجرد ما يري الفتاة، ففي البرنامج الكرتوني كابتن ماجد يصور حضور الفتيات للمباريات وتشجيع اللاعبين والرقص والصراخ والمعانقة بين الجنسين حال تسجيل الهدف أمر عادي جدا، فتجد الفتاة تلاحق لاعبها المفضل، وتقدم له الهدية كتعبير عن المحبة، ويقبلها اللاعب الخلوق، وقد تأثير ذلك على أطفالنا حتى بعد الكبر والبلوغ خاصة على فتياتنا، فكثير ما يعلقن صورة لاعبهن المفضل في الغرفة ويتابعن أخباره ومبارياته ولو حصل لهن الاتصال بهم لما ترددن في ذلك.

وكذلك برنامج بوكيمون يظهرون فيه النساء بملابس تتجاوز نصف الفخذ وتظهر البطن وتشتمل على قصات غريبة لم تأت إلا من اليهود والنصارى وملاحقة الفتيات والتصريح بمحبتهن وترك الصحبة من أجلهن، والذهول عن الأعمال الخاصة بمجرد رؤية فتاة جميلة.

ومن ذلك أيضا برنامج سندريلا فتاة يتيمة تتعرف على شاب غني

يشتمل على مشاهد المعانقة والرقص والتبرج والسفور، وكذلك برنامج طرزان شاب نشأ بين مجموعة من الغوريلات، يجد فتاة من جنسه تتكون علاقة محبة بينهما، تنتهي بأن تعيش معه وتلبس تلك الملابس الغريبة العارية، وتجد العناق على أشده بينهما وغير ذلك من مشاهد الانحلال الأخلاقي تقدم في الفضائيات الكرتونية.

إن عرض مثل تلك المشاهد دون رقيب يجعل الطفل يعتاد مثل هذه الصور والمظاهر، بل قد تربي الطفل على تلك الأعمال المشينة والمنافية لديننا وأخلاقنا.

٦- نشر الرعب والخوف بل يتجاوز الأمر إلى فتح أفاق كبيرة للطفل في عالم الجريمة، ذكر أن والدا طفل أرادا الذهاب لأمر ما وترك ابنهما في البيت لوحده فغضب الطفل، فلما ركب والدا الطفل السيارة وجدا ضوء الإنذار مضيء كدلالة على خلل معين، فلما تكشفا الوضع وجدا أن سلكا قد قطع، وأثر القطع يبين أنه بسكين لا من نفسه، فلما استخبرا الأمر اعترف الابن بأنه هو من فعل هذا، وكان يريد أن يقطع سلك فرامل السيارة انتقاما منهما لأنهما سيتركانه وحده، ولما سُأل كيف حصل على هذه الطريقة؟ أخبرهما أنها من إحدى الرسوم المتحركة، وذكر أيضا أن أبا أمر أبنه بأن يذهب بساعته لمهندس الساعات، فرفض وأصر على الرفض، ولما سألاه: لماذا؟ فقال إن المهندس أحدب أي مرتفع الظهر، وأنا رأيت في الأفلام الكرتونية رجلا شريرا أحدب مثله وأخاف.

وما نحتاج إليه هو أن تحدد فضائياتنا القضايا الفعلية التي يحتاجها الطفل المسلم، وإعداد برامج تنمي القيم وتحافظ على العادات التي نشأ

عليها، وتحثه على التحلي بأخلاق المجتمع الذي يعيشه، ولا بد من إنتاج برامج وحكايات إسلامية بأسلوب مبسط، تؤثر بإيجابية في عقلية الطفل وتساعده في المحافظة على عاداته التي نشأ عليها، وقد تساعد البرامج الهادفة في إدراك الأطفال لمفهوم الانتفاضة مثلا، فنحن نري أطفالنا اليوم متفاعلين مع ما يشاهدونه في الأخبار، وفي برامج الكبار وسيكون الأثر أكبر لو توجهت لهم برامج تناسب إدراكهم وتوضح مفهوم النزاع وجرائم إسرائيل ضد الإنسانية (١).

وأغلب أفلام الكرتون تُنقل بجذافيرها من القنوات الأجنبية، والطفل العربي معلوم أنه لا يفهم غالبا لغة الحوار في القنوات الأجنبية، ولكنه يشاهد صورة ربما تؤثر في فكره، وتجعله يعتقد أن هناك إباحية في كل المجتمع الإسلامي الذي يعيش فيه، فالطفل يصدق ما يشاهده مهما كان خياليا ويتأثر به حتما، ومن الممكن أن تعالج الأسرة سلوك الطفولة إذا تأثر سلبا بما شاهده في الفضائيات بأسلوب المصارحة والحوار للمساعدة في بناء فكر الطفل والمصداقية وبث الثقة داخل الشخصية التي يكون لها أثر ايجابي على سلوك الطفل، ولا بد أن يسود الحب والثقة بين أفراد الأسرة الواحدة، فالثقة أمر مطلوب لأن وجودها يجعل الابن قادرا على التعبير عما يفكر فيه، وبالتالي تصبح لدينا القدرة على التصحيح والتوجيه وأنه مستقبلا لن يرتكب شيء يرفضه الدين أو المجتمع والتوجيه (٢).

---

(١) دكتورة حنان سليم، الفضائيات العربية اغتالت براءة الطفل العربي انظر بتصرف **www.arabiyat.com/magazine/publish/article_300.shtml**

(٢) **http://www.spacetoon.com/soonfla.htm** .

• **الفضائيات الرياضية وما تحمله من غزو فكري مدمر لقيم الإسلام.**

القنوات الرياضية هي القنوات التي خصصت بثها على مدار اليوم والليلة لمتابعة المباريات الرياضية للرجال والنساء، ككرة القدم والسلة واليد ومسابقات السيارات والدراجات والمصارعة الحرة للثيران من بني الإنسان، أو مصارعة الحيوان، وقد أصبحت هذه الفضائيات منفذا للغزو الفكري المسلط على المجتمع الإسلامي بأسره(١).

انظروا إلى الكم الكبير من الفضائيات الرياضية التي تغزو المسلمين في القرن الواحد والعشرين، هذا فضلا عن البرامج الرياضية في الفضائيات المختلطة والانحلالية سواء كانت محلية أو دولية، فهي تستحوذ على أكبر عدد من ساعات البث، ليت شعري لو كان هذا الجهد الفارغ الأجوف الضائع في تلك الفضائيات قد سخر بقدراته الجبارة لتعريف الشباب بدينهم، وكيفية العبودية لربهم، وكيف يحافظون على أنفسهم وأوطانهم؟ وليكون مثلهم الأعلى أهل العلم والتقوى، أكان هذا حال أمة محمد بن عبد الله ﷺ؟

لقد كان المسلم قديما يسابق صاحبه في ركوب الخيل أو الإبل، أو فنون التدريب والعمل، أو القتال والمبارزة أو نحو ذلك من مناحي الخير

---

(١) أبرز القنوات التي تغزوا العالم العربي والمجتمع الإسلامي، قناة إيه آر تي الرياضية والنيل للرياضة وقناة **MUTV**، وقناة أبو ظبي الرياضية وقناة شوتايم سبورتس، وقناة إكستريم سبورتس، ويورو سبوت نيوز، وقناة دبي الرياضية، وقناة أوربت الرياضية، ومجموعة قنوات الجزيرة الرياضية، وقناة مودرن سبوت، وقناة الأهلي المصري، وقناة الهلال السعودي، وغيرها من القنوات تسير في نفس فلك القنوات السابقة لنقل الأحداث الرياضية العربية والعالمية.

استجابة لقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الأنفال:٦٠. أو للترويح عن النفس كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ يوسف:١٧.

وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي أضمرت من الحفياء وأمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وأن عبد الله بن عمر كان فيمن سابق بها[1]. قال ابن حجر معقبا: (وفي الحديث مشروعية المسابقة، وأنه ليس من العبث، بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى تحصيل المقاصد في الغزو والانتفاع بها عند الحاجة) [2].

وروى البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ أنه قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمَّى العضباء لا تُسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشقَّ على المسلمين حتى عَرَفه فقال: (حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه) [3]. وروى أبو داود وصححه الألباني من حديث عائشة أنه قالت: كنت مع النبي ﷺ في سفر فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال: هذه بتلك [4].

---

(١) البخاري في أبواب المساجد، باب هل يقال مسجد بني فلان ١/١٦٢ (٤١٠) .

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٦/٧٢.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ناقة النبي ﷺ ٣/١٠٥٣ (٢٧١٧).

(٤) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب فى السبق على الرجل ٣/٢٩ (٢٥٧٨)، وصححه الألباني، انظر مشكاة المصابيح (٣٢٥١).

قال ابن تيمية: (إذا أخرج ولي الأمر مالا من بيت المال للمسابقين بالنشاب والخيل والإبل كان ذلك جائزا باتفاق الأئمة) [(١)].

هذه هي الرياضة التي يعرفها الإسلام، أما الرياضة التي غزتنا من خلال هذه القنوات في عصرنا، فقد انتشرت بصورة أخرجتها عن أهدافها النبيلة ومجالاتها المحددة، بحيث أصبحت تتخذ وسيلة لأغراض أخرى يهلكون من خلالها وقت الشباب في كلام أجوف وأهداف خاوية، فتتعطل بذلك القوة الفاعلة وتوجهاتها في بناء المجتمع الإسلامي لقد وقعت هذه الفضائيات فريسة يتسلط عليها غزو الأعداء من خلال تقليد سلوكياتهم والسير خلفهم شبرا بشبر وذراعا بذراع.

لقد أصبحت الرياضة وخصوصا كرة القدم طاغوتا من طواغيت العصر، انفقت من أجله الملايين وتغيرت من أجله المفاهيم وأخضعت قلوب المشاهدين، قدموا مشاهدتها على أداء الصلاة في أوقاتها واستحلوا كشف الفتيات عن عوراتها طالما أنها تسابق في الدورات الأولمبية، وتسعي للمدليات الذهبية، فسوف ترفع علم بلادها في المحافل الدولية، لم يعد حرجا أن تكون مهنة المسلم محترفا لعيبا، طالما أنه يباع في الأندية هدافا كسيبا، ولا مانع أن تؤسس قنوات فضائية للأندية الرياضية قبل أن يفكر أحد في تأسيس قناة إسلامية تدعو إلى عبادة الواحد الأحد، لقد استعبدت هذه القنوات وقت أغلب المسلمين، فهذا معلق رياضي، وآخر محرر رياضي صحفي، وثالث مذيع رياضي فضائي، ورابع دكتوراه ومحلل كروي، والمستهدفون جالسون يحصرون البول في مثانتهم، لأنه ربما يأتي هدف المباراة في لحظة قضاء حاجتهم وهذا دكانه مغلق

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/٢٨.

استعدادا للمباراة، وآخر يجمع الصلاة على الصلاة وثالث يتنبأ للفضائيات بنتيجة المبارة بالأخطابوط أو دروب السحر وغيرها.

يرجع تاريخ ألعاب الكرة من حيث هي مباريات أو منافسات يشترك فيها فريقان أو طرفان يحاول كل منهما ركل الكرة أو دفعها أو حتى تحويلها في الاتجاه المضاد، إلى احتفالات كانت تجري في أيام الفراعنة وبعض الحضارات القديمة الأخرى.

ففي الصين مثلا يحكي أحد الكتاب الصينيين عن مباراة لكرة القدم أقيمت عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، وذكروا أنهم عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد كانوا يلعبونها بكرات محشوة بالشعر، وعرفها الإغريق باسم هاربستم، ثم مارسها الرومان عبر الإمبراطورية الشاسعة التي امتدت على جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك، وعن طريق روما انتقلت اللعبة إلى بلاد الإنجليز فسحرت الشعب الإنجليزي.

وفي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي كانت مباريات كرة القدم تُجرى يوم الثلاثاء المقدس عندهم، وبعد عدة أعوام أصبح يوم الثلاثاء مهرجانا لكرة القدم في إنجلترا تعطل فيه الدوائر الحكومية في إجازة يجتمع فيها المواطنون لمشاهدة البداية الرسمية للمباراة، حيث يقوم عمدة لندن بركل الكرة إيذانا ببداية المقابلة.

ومن المدن التي اشتهرت بكرة الثلاثاء هذه، مدينة شيستر، ويقال إن احتفال الكرة كان يتم في هذا اليوم بالذات احتفالا بمثيله عام ٢١٧م عندما تصدى الإنجليز بمدينة شيستر لطرد فيالق الرومان خارج مدينتهم. واليوم هناك أكثر من ١٣٠ دولة أعضاء في الاتحاد العالمي

لفرق كرة القدم الذي تأسس عام ١٩٠٤م بمدينة باريس تحت اسم فيفا، وبرعايته وإشرافه أنشئت عام ١٩٣٠م مباريات كأس العالم لكرة القدم، وذلك بالأوروغواي، وتجري هذه المنافسة مرة كل أربع سنوات، وهناك بطولات أخرى تقام مثل بطولة الكأس الأوروبية التي تضاهي بطولة كأس العالم، وأنشئت هذه البطولة عام ١٩٥٨م [١].

وإذا كان الأصل في الأشياء الإباحة، بل لا يبعد أن تكون من المستحبات إذا مارسها المسلم ليقوِّي بها بدنه، ويتخذها وسيلة لتكسبه النشاط والقوة، إلا أن الرياضة اليوم وعلى ما هي عليه من الاشتمال على المنكرات القبيحة، والتأدية إلى مفاسد عظيمة من كسر لحاجز الولاء والبراء وتكثير لسواد الأعداء وركون إلى الدنيا والخلود إليها [٢].

- **كيف يتسلل الغزو الفكري المدمر من الفضائيات الرياضية؟**

وما اهتم الأعداء بهذه المنافسات الرياضية ووضعوا لها الميزانيات الخيالية وصرفوا فيها الأوقات والجهود، وتكبدوا من أجلها الخسائر والأضرار إلا لأنها تخدِّر الأمة الإسلامية وتصرفها عن الجهاد والدعوة في سبيل الله تعالى، لقد انحرفت الرياضة في هذا العصر من كونها وسيلة صحية تربوية إلى مجموعة من المخالفات الشرعية والصور الجاهلية وإلى لون من ألوان المسخ الفكري والانحراف الخلقي الذي يسعى الأعداد لتحقيقه في الأمة الإسلامية تمهيدا للقضاء عليها وجعلها أسيرة خاضعة، وهذه أبرز معالم الغزو الذي يتسلل من الفضائيات الرياضية:

---

(١) http://www.alminbar.net/malafilmy.

(٢) انظر الرابط السابق .

١- وقوع حب الكافر ومودته وتعظيمه وتبجيله في قلب المسلم فمن من أخطر مفاسد هذه الفضائيات الرياضية كسرُ الحاجز الديني بين المسلمين والكفار، الحاجز المعياري لقضية الولاء والبراء والذي هو أوثق عرى الإيمان، فترمي هذه الفضائيات في سياستها الكروية إلى أن لا يبقى في قلوب المسلمين بغض للكفار كما أمر الله ﷻ، ولا كراهية لهم لأجل ما هم عليه من الكفر والدين الباطل ومحاربة الحق وأهله بشتى الطرق والوسائل، وأعظم من ذلك أن يقع في قلب المسلم حب الكافر وتبجيله وأن يجري على لسانه مدحه والثناء عليه، وأن ينظر إليه نظر التعظيم والإعجاب، فيحمل صورته على صدره وفي سيارته ويعلقها في بيته ويغضب له إذا نيل منه أو طُعن فيه، ويسعى جاهدا في الوصول إليه لمصافحته وأخذ قميصه أو توقيعه، وكثيرا ما يبلغ الأمر إلى أن يُحمَل هذا الكافر بالله من لاعب أو مدرب أو مسئول على أكتاف المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢- إشغال المسلمين عن قضايا أمتهم وإبعادهم عن التفكير في الاستعداد لأعدائهم، فقد استطاع أعداء الإسلام أن يغرقوا المسلمين في مثل هذه الألعاب والألاعيب تحت ستار المنافسات والدورات الأولمبية والكؤوس العالمية، وأن ينسوهم قضايا الأمة الكبرى ومهمتها العظمى في تبليغ هذا الدين، وأن يميتوا فيهم الحس الإسلامي، فتجد كثيرا من المتابعين لهذه الفضائيات لا يكترث ولا يأبه بما يحدث لإخوانه المسلمين المستضعفين في شتى بقاع العالم من تشريد وتقتيل وتعذيب وتنكيل، وانتهاك للحرمات وتدنيس للمقدسات، بل شغلهم الشاغل تقصي أخبار الكأس والدوري وتتبع نتائج المباريات والشغف بمعرفة وضعية اللاعبين

المادية والاجتماعية، إلى غير ذلك من المهازل الفكرية والثقافية.

٣- صرف همم المسلمين عن الاشتغال بمقاصد الشرع ومعالي الأمور التي تنفعهم في الدنيا والآخرة، فهذه البرامج الرياضية التي تبثها تلك القنوات الفضائية هي في الحقيقة معول هدم في بناء الأمة الإسلامية، استخدمها أعداء الإسلام وشجعوا الشباب عليها للقضاء على الهمم وإماتتها وتحقيرها في نفوس المسلمين، ومما يؤكد ذلك ما جاء في البروتوكول الثالث عشر من برتوكولات حكماء صهيون وهذا نصه: (ولكي تبقى الجماهير في ضلال لا تدري ما وراءها وما أمامها ولا ما يراد بها، فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباهج والمسليات والألعاب الفكاهة وضروب أشكال الرياضة واللهو.. ثم نجعل الصحف تدعو إلى مباريات فنية ورياضية)[(١)].

٤- تمييع المصطلحات وانعكاس المعايير والثواب الإسلامية، فإن من أخطر أسلحة أعداء الإسلام وأشدها فتكها في محاربة الإسلام والمسلمين والذي تتبناه الفضائيات الرياضية تغيير الأسماء وتزييف الحقائق، فيسمون الحق بالأسماء الشنيعة الوضيعة المنفِّرة، ويسمون الباطل بالأسماء الجميلة الحسنة المرغوبة، فهم يسمون اللاعب الذي كرس حياته للعب واللهو وفساد الغاية والفعل، يسمونه بطلا ونجما وصانعَ تاريخ ومحققَ أمجاد، ويسمون غلبة أحد المتنافسين نصرا ونجاحا وفوزا وفلاحا، وما كانت العرب تقول قبل الإسلام ولا بعده إلا: سابقه فسبقه وصارعه فغلبه، ونحو ذلك دون ألفاظ النصر والنجاح والفوز والفلاح التي يموَّه بها في هذا العصر، ويسمون احترام المنافِس وتقديره روحا رياضية تملصا من

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ٢٥٨/١ ترجمة عجاج نويض .

الاعتراف بأن ذلك من المطالب الدينية وهربا من اللغة الشرعية، ويسمون المشجعين المتفرجين المضيعين لأوقاتهم أنصارا، ويسمون الأصوات القبيحة والأفعال المنكرة التي تصدر منهم علامات فرح بريء، ومظاهر عرس بهيج، ويسمون مباريات القمار مباريات رسمية، والأخرى يسمونها مباريات ودِّية أو حبية، ولو كانت مع ألد أعداء الدين والإنسانية إلى غير ذلك من التحريف والتزييف الذي يروِّجون به لباطلهم.

٥- تقديم القدوة السيئة الدنيئة للطفل والشاب المسلم، إن التربية بالقدوة من أعظم الوسائل التربوية تأثيرا في النفس، وإن من أهداف هذه البرامج غرس القدوة السيئة والأسوة الدنيئة في أذهان النشء، والحيلولة بينهم وبين القدوات الزكية التي ينبغي أن تُتَّخذ ومن وسائلهم في تحقيق ذلك تكثيف اهتمام أجهزة الإعلام بأولئك الرياضيين، وتتبع أخبارهم وما يتعلق بهم من صغير أو كبير، ووصفهم بالأبطال والنجوم والأسود وغير ذلك من الألفاظ النافخة، مما يجعل الطفل والشاب لا يهتم بعلم ولا عمل، وليس له في تحقيق العزة والتمكين هم ولا أمل، بل همُّه الوحيد وأمله الفريد أن يصبح بطلا من الأبطال ونجما من النجوم، وقد بلغ الأمر بكثير من الشباب إلى حد تقليد أولئك الذين لا خلاق لهم والتشبه بهم، بل ربما اقتدوا بهم في عاداتهم وحركاتهم الخبيثة والكفرية.

٦- الصدُّ عن ذكر الله تعالى وعن أداء الواجبات الشرعية، فكثير من المتابعين لهذه الفضائيات الرياضية تصدُّهم عن ذكر الله تعالى وأعظمُ ذلك الصلاة، وهذا أمر معروف عند الناس عامتهم وخاصتهم، لا ينكره إلا مكابر، وتعاطي ما يصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة حرام، فكم من أناس ممن يتابعون المباريات يسهرون إلى النصف الأخير من الليل ليشاهدوها ثم

تفوتهم صلاة الفجر، وكم منهم من يتخلف عن الجماعة بسبب الجلوس أمام الشاشات، بل منهم من لا يحضر الجمعة لأجل ذلك، أضف إلى ذلك ما يقع من كثير من الغارقين في أوحال هذه المنافسات من تضييع لحقوق الوالدين والأولاد والأرحام، بحيث يقدمها على مصالحهم وحقوقهم.

- الفضائيات والبرامج الرياضية قد تحدث أزمات قلبية تؤدي للوفاة.

٧- استعباد النفس والسيطرة على المشاعر، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن كرة القدم وغيرها تؤثر على نفسية اللاعب والمتفرج على حد سواء، ولا أدل على ذلك مما يعرض لبعض المتفرجين من أزمات قلبية تؤدي للوفاة غالب، بسبب تتبع المباريات بنفس منقبضة وأعصاب متوترة وعضلات متشنجة، وهذه الصور تعكس ارتداد ونكوص الرياضة عن دورها الصحيح في تهذيب الروح وبناء الجسم إلى سلاح قاتل يفتك بالأنفس والأرواح، وما أقبح موت من يموت في الملعب أو على مدرجات الملاعب أو يموت في سبيل فريق كرة، وما أسوأ مبعثه، فإن المرء يبعث على ما مات عليه، نسأل الله تعالى حسن الختام.

وهذا مثال حي نشرته صحيفة الأخبار المصرية حيث جاء فيها: (مات رئيس مجلس إدارة شركة النصر لمنتجات الكاوتشوك بالسكتة القلبية عندما سجل هدف الفوز للاتحاد في مرمى الأهلي في مباراة كأس مصر، كان المتوفي يتابع المباراة أمام الشاشة الصغيرة بين أفراد أسرته في منزله، وعندما أحرز الأهلي هدفه الأول قفز من مكانه واحتضن ابنته وابنه تعبيرا عن فرحته، واستمر يتابع المباراة بحماس إلى أن سجل الاتحاد هدف الفوز، وقبل نهاية المباراة بثوان وعندما فقد

الأمل في التعادل انسحب من أمام التلفزيون ودخل غرفته متعبا لينام بعد انتهاء المباراة، ودخلت زوجته إلى الغرفة فوجدته قد فارق الحياة ويده على قلبه) [1].

٨- إفساد العلاقات الاجتماعية والروابط الأسرية، فإن هوس هذه البرامج التي تبث في الفضائيات الرياضية قد اقتحم بيوتا كثيرة ودخلها من غير استئذان، وبعث فيها الإفساد وزرع الشقاق والخلاف، فكم من طلاق وقع كان سببه هذه المباريات، تجد الزوج يتعصب لفريق معين، فإذا انهزم فريقه صبَّ جام غضبه على زوجته وربما ضربها من فرط الغضب، وكم حصل بين الإخوة من مشاجرات ومضاربات بسبب اختلافهم في الفريق الذي يشجعونه، وهذا ما يطمع إليه أعداء الدين لكي يتصدع كيان الأسرة المسلمة، وتحل بالأمة النقمة [2].

٩- الوقوع في سب الوالدين ولعنهما وسب دين الله، فكثيرا ما تثير هذه المنافسات السب والشتم واللعن المتبادل في سعار يمس بعقيدة الشاتم والمشتوم معا، فلقد اعتاد كثير من المشجعين بذاءة اللسان، ووقاحة العبارة، والتخاطب بالفحش من قذف ولعن وسباب، تارة في اللاعب، وتارة في الحاكم، وتارة فيما بينهم وهذا من كبائر الذنوب.

١٠- إثارة الكراهية والبغضاء والعداوة والشحناء، فالمعلقون الرياضيون يزعمون أن المنافسات الرياضية وسيلة حضارية لتمتين العلاقات وتعميق مشاعر التآلف والاندماج وإقامة جسور التواصل والتعايش، ولكن التاريخ

---

(١) جريدة الأخبار، بتاريخ ١٢ مايو ١٩٧٣م .

(٢) حينما ننحرف بالرياضة أحمد الشرباصي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ١٠٦ ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣م .

يشهد والواقع يشهد بأنها ما كانت إلا مِسعر حرب ووقود فتن وفتيلا لإشعال نيران العداوة والبغضاء سواء بين اللاعبين أو بين مشجعي الفرق المتنافسة، بل إن ضحايا ومآسي هذه المنافسات أضعاف ما يحصل من جراء تناول الخمور والمخدرات، مما يريح الصادق في معرفة حكم هذه المنافسات من عناء التأمل والنظر وجمع الأدلة، ولا يتحرج أدنى حرج من إلحاقها بحكم الخمر والميسر بجامع إثارة العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة.

ولم يقتصر العنف على ملاعب كرة القدم فحسب، بل تجاوز هذا المجال ليصل إلى زعزعة العلاقات الدولية التي تربط بين دولتي الفريقين المتنافسين وتعريضها للقطيعة، وربما في بعض الأحيان إلى حرب ضارية يسقط فيها آلاف القتلى فداء لروح الفريق الوطني ونصرة لسمعته الكروية، كما حدث بين دولة الهندوراس ودولة السلفادور حيث قامت بينهما حرب شاملة سنة ١٩٦٩م أطلق عليها حرب كرة القدم بسبب النزاع على نتيجة مباراة دولية بينهما، وقد استمرت الحرب سبعة أيام، وقتل فيها ما يزيد على ألفين من الجانبين [١].

١١- العوة إلى تبذير الأموال وامتصاص الدخل القومي للبلاد حيث تُصرف الأموال الطائلة في نفقات تجهيز الملاعب، ودعم النوادي وتأمين تكاليف إقامة المباريات، وإصلاح الأضرار المادية التي تلحق المرافق العمومية وتجهيزات الدولة من جراء تعبير الجماهير عن سخطها وعدم ارتياحها لعطاءات فريقهم، أضف إلى ذلك ما تتطلبه مواجهة الجماهير

---

(١) حادث شيفيلد الكروي عزوز شخمان، جريدة الإصلاح المغربية السنة ٣ العدد ٤١ الجمعة ٦ شوال ١٤٠٨هـ/١٢ مايو ١٩٨٩م .

من تجهيزات أمنية تشكل عبئا كبيرا على ميزانية الدولة، ومن المؤكد أن آثار ذلك تنعكس مباشرة على الشريحة الفقيرة في المجتمع ومن المؤسف حقا أن تتصدر بعض الدول الإسلامية والعربية قائمة الدول التي ترصد لهذه الرياضة قدرا مهما من ميزانيتها، بل وبعضها تنفق في هذا المجال ما لا تنفقه في مجال الدين والعلم.

وأدهى من هذا كله وأمرّ أن يُستضاف لاعبٌ واحد بمبالغ خيالية ليشارك في مباراة واحدة كما حصل للاعب المشهور مثل السوء، وقد فاق كرمُ إحدى دول شمال إفريقيا العربية حدودَ العقل والواقع تجاه مدرب فريقها الوطني الذي يتقاضى شهريا ما قيمته ٢٥ مليون، أي ما يعادل الراتب الشهري لخمسين أستاذا بالتعليم العالي. وأنكي من ذلك أن إحدى الدول الإسلامية الكبرى استعانت بمدرب نصراني صربي بمرتب كبير لأحد أنديتها، والمسلمون في البوسنة والهرسك يُذبحون ذبحَ الشياه، وتُنتهك آدميتُهم بطريقة بشعة تذهل العقول وتحير الألباب.

١٢- ومن أبرز أثارها على شباب الأمة كونها مجالا خصبا للميسر والقمار، فهذه المنافسات تتيح مجالا واسعا لمسابقات التخمين والقمار التي جاء الشرع بتحريمها، كالتي يشرف عليها الاتحاد العالمي لفرق كرة القدم الذي يعرف بالفيفا، والتي تقوم بمراهنات أسبوعية لنتائج المباريات لمعظم المدن الأوربية، ويحصل مثل ذلك حتى في بعض الدول العربية تحت اسم لوتو، وتذهب إيرادات هذا الميسر الضخمة لصالح المتراهنين الفائزين، وللمؤسسات الرياضية، وللقائمين على هذا القمار الآكلين أموال الناس بالباطل.

ولا يخفى على العقلاء ما للقمار من أثر بليغ في تحطيم اقتصاد البلاد

وتعطيل الطاقات والقدرات، وتكثير البطالة والعاطلين، واستنزاف أموال الشعوب، وشحنهم بالحقد والغل والكراهية، وتركيب العقد النفسية فيهم، إلى غير ذلك من المفاسد التي لا تحصى(١).

• **الشبكات التلفزيونية الفضائية المشفرة وفتن كقطع الليل المظلم.**

تعتبر الشبكات التلفزيونية المشفرة في تعاملها مع أهواء المشاهدين بحر بلا شطئان، وكأس إدمان لكل ظمآن، متاهة عميقة، وهوة سحيقة، لا مجال للخروج منها إلا بالغرق في هذا الطوفان، فهم أعدوا لكل مشترك ما يحقق رغبته ويشبع شهوته، فيها كل لون من الألوان، إن أردت أخبارا تأتيك من كل مكان فها هي القنوات الإخبارية، وإن أردت الفسوق العصيان، فها هي القنوات الانحلالية فيها ما تريده من مشاهد إباحية، وها هي قنوات الرقص والخلاعة والأغاني الغربية والعربية، وها هي قنوات الأزياء والعروض الإباحية العالمية، وإن أردت أن تضيع الأوقات في متابعة الألعاب الرياضة فها هي القنوات الرياضية تنقل كل المباريات العالمية، ولا تنسوا اصطحاب أطفالكم في القنوات الكرتونية، وبناتكم في قنوات المسلسلات الهزلية والأفلام العربية والعالمية، التي تقدم الجريمة بكل أشكالها التقليدية والعصرية، بلا قيود أو حذف للمشاهد الغرامية وإن أردت جرعة إيمانية تحدث التوازن للذات الإنسانية فها هي قناة اقرأ الإسلامية والبرامج التثقيفية.

انتشرت الفضائيات المشفرة على هذا النحو بصورة مفزعة، فالطبقة التي تتعامل مع هذه الشبكات هم الطبقة أصحاب الذوات التي تتسم

---

(١) انظر هذه الوجوه بتصرف من: http://www.alminbar.net/malafilmy.

بالدخل العالي وتوفر الإمكانيات، وغالبا ما تستهدف هذه الشبكات مثل هذه الفئات، فالحصول على وحدة فك الشفرة الرقمية المدمجة مع صحن الاستقبال المناسب وإبرة استقبال البث الفضائي، بالإضافة إلى بطاقة الاشتراك التي وفرها وكيل الأجهزة والمعدات اللازمة ليس في إمكانيات الجمهور من العوام.

ولذلك فإن من يقع في مصيدة هذه الشبكات، يتعرض لأسلة الغزو الفكري الأنكى تأثيرا والأوسع دمارا، ولا يبقي من الفريسة سوي لحم على عظم، أو جلد على فحم، وهذه نماذج من تلك الشبكات الفضائية المشفرة، ويكفي من القصيدة عنوانها:

١- قنوات أوربت العربية، ماذا تقول أوربت عن أفضل قنواتها؟ القناة الأولى قناة الأفلام العربية التي تعرض مختلف أنواع الأفلام الحديثة والكلاسيكية، وتغطي مهرجانات السينما العربية والعالمية، وقد كانت القناة الأولى أول قناة عربية تبث أفلاما عربية مدبلجة إلى العربية إلى جانب تقديمها لقاءات معمقة مع نجوم السينما العربية والعالمية.

أما القناة الثانية فهي قناة أوربت العربية الفريدة التي تجمع بين متعة الترفيه وفائدة الثقافة عن طريق تقديم مجموعة جديدة من البرامج العربية والعالمية، كوميدية ووثائقية ودرامية وحوارية، بالإضافة إلى المنوعات والموسيقي والأزياء العالمية، القناة الثانية قناة الترفية العربية التي أسرت قلوب المشاهدين في المنطقة.

ويجد المسلم جيوشا جرارة من قنوات الغزو بعد الأولى والثانية مصفوفة متراصة، كقنوات المسلسلات والأفلام والرياضة والأطفال

والأخبار، وغير ذلك مما يصعب حصره ووصفه [١].

وقد قدر لي أن كنت ضيفا عدة مرات على القناة الثانية التي يزعمون أنها أسرت قلوب المشاهدين في المنطقة في البرنامج الشهير على الهواء، حيث كان محور الحديث عن الأسماء الحسني وقضية الابتلاء، وكان معي في اللقاء أخوان كريمان، ونحن بالطبع مشايخ ليس لنا سابق عهد في التعرف على القناة أو أهدافها أو ما يتخلل حديثنا من فواصل إعلانية، منضبطة أو انحلالية، رآها المشاهدون في مثل هذه اللقاءات.

غير أن المحاور يقطع الحديث فترة للإعلان ثم يعاوده، وكان الغريب في الأمر أن المحاور جاهل بمفردات الحوار الذي شاركنا فيه معد البرنامج قبل اللقاء، بل كان يترك قواعد الحوار المعد، ويسأل أسئلة تدل على عدم العلم بالمفرادات الأولية البسيطة للثقافة الإسلامية حتى بدا أمرنا للمشاهدين أنهم أقحمونا كمشايخ متخصصين في العقيدة، ليوحوا للناس أن الشبكة يحاضر فيها فلان وفلان، وهم أساتذة في الجامعات، فأصبحنا كطعم صياد ينصب شباكه عند الاصطياد، ونسأل الله العفو والمغفرة.

٢- شبكة قطر كيبل فيجن أو QCV كيوتل، وهي المؤسسة العامة القطرية للاتصالات السلكية واللاسلكية التي أدخلت خدمة الكيبل التلفزيوني اللاسلكي، وهي خدمة تقدم على أفضل وأحدث التقنيات لتوصيل البرامج التلفزيونية الفضائية إلى البيوت في قطر بنظام لاسلكي، وتقدم قطر كيبل فيجن خدمتها إلى المشتركين على أسس تجارية

---

(١) http://www.orbit.net/Channels .

ويسمح للمشتركين بطلب الاشتراك في قنوات تلفزيونية فضائية عديدة، محلية وإقليمية، خليجية وعربية، أمريكية وأوروبية وآسيوية وغيرها، الكثير من القنوات الاختيارية مدفوعة الاشتراك مقدما، قطر كيبل فيجن كما تقول عن نفسها إنها قادرة على إرضاء الاهتمامات المتنوعة للجماعات المختلفة [1].

٣- شبكة شوتايم تقول عن نفسها: نأتيك بترفيه العالم، تقدم شبكة شوتايم خمسة وعشرين قناة من أفضل القنوات الترفيهية العالمية، تتضمن أربع قنوات رياضية وأربع قنوات للأفلام التي تناسب أذواق كافة أفراد العائلة المختلفة، بالإضافة إلى عشر قنوات إذاعية تبث بصوت استريو فوني نقي، وهذا يعني قنوات أكثر وخيارات أكبر، لا توجد في أية شبكة أخرى في الشرق الأوسط، وهي قناة ذا موفي تشانل، فيها عرض متواصل على مدار الساعة لأحسن ما أنتجته هوليود من أفلام سينمائية عالمية، إن ذا موفي تشانل هي أفضل قناة تبث الأفلام الضخمة الجديدة والعديدة شهريا وحصريا في الشرق الأوسط.

وذا موفي تشانل الثانية تقدم كافة الأفلام التي ترغب في مشاهدتها في الوقت الذي تريد، إذ تقدم ذا موفي تشانل الثانية المزيد من خيارات الأفلام بتوقيتات مناسبة مع ترجمة عربية، ويبدأ عرض فيلم من الأفلام الناجحة كل ساعة بين قناة الأفلام الأولى وقناة الأفلام الثانية.

وهناك قناة ترنر الكلاسيكية قناة الأفلام التي تقدم أفضل وأرقى

---

(١) http://www.qcv.com/arabic/static/index.htm .

الأفلام وأمتنها، منذ ولادة السينما على مدار اليوم، وقناة هول مارك وهي قناة شوتايم الرابعة للأفلام التي تعرض أفلاما عائلية على مدار اليوم، تتضمن أفلاما مثيرة فازت بجوائز عالمية ومسلسلات قصيرة مسلية، ستنال إعجاب المشاهدين من كافة الأعمار.

وقناة باراماونت للكوميديا، وقناة إي الترفيهية، وقناة تي في لاند لأفلام الحركة السريعة والمغامرات والدراما والإثارة الشيقة والمسلسلات المشهورة، وقناة سوني الهندية القناة الأولى في الترفيه وتقدم مباريات الكريكيت، وبرامج ديزني مدبلجة بالهندية، وعروضا للألعاب ومسلسلات وأفلاما متعددة أخري، و قناة CNN الاقتصادية، وهي القناة الأولى في البث التلفزيوني الحي لأخبار الاقتصاد العالمية، المدعومة من مصادر البث التابعة لمحطة CNN الدولية، وتتضمن تقارير كل نصف ساعة عن سوق المال، وسي إن إن الدولية التي ليس لها منازع في تقديم تغطية مستمرة وتحليل للتقارير الإخبارية العالمية.

وشبكة كارتون نيت ويرك أفضل شبكة للأفلام المتحركة التي تقد طوال اليوم وكل يوم، إذ لديها مكتبة ضخمة من أفلام الرسوم المتحركة من دور السينما العالمية العملاقة، وقناة نيكلوديون التي تقدم أفلام كارتون وعروض ألعاب وأفلام حركة حية للأطفال وعدد من هذا القنوات والأسلحة الفتاكة مما لا يمكن للمشاهد حصره واستيعابه [(١)].

٤- شبكة راديو وتلفزيون العرب **ART**: وهي تقول عن نفسها: الشبكة تمتلك واحدا من أكبر مراكز الإرسال التليفزيوني والإذاعي في

(١) **http://www.showtimearabia.com** .

العالم، والذي تم تأسيسه في أفيزانو بإيطاليا، مزودا بأحدث تكنولوجيا الاتصال في العالم، وتم ربطه بأكبر المراكز الإنتاجية المنتشرة في العواصم العربية والعالمية في كل من القاهرة والأردن وجدة، وبيروت وروما وتونس والمغرب، والإمارات العربية المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، هذه التقنيات الحديثة تجعل مشتركينا يتمتعون بأفضل وأرقي أنظمة للصوت والصورة، وهو ما يسمي بالنظام الرقمي **DIGITAL**، والتي كانت الريادة فيها ل **ART** واليوم باقي الأنظمة الإذاعية والتليفزيونية تسعي إلى محاكاتها مما يؤكد النظرة المستقبلية ل**ART**، بامتلاك **ART** لهذه الاتصالات الضخمة والاستثمارات الهائلة المتزايدة أصبح في مقدورها أن تمتلك وتنتج سنويا ما يزيد عن ستة آلاف برنامجا، ما بين برامج مباشرة على الهواء وبرامج مسجلة وبرامج وثائقية وتسجيلية.

وتمتد الشبكة لتشمل أكبر كم إنتاجي من الموسيقي والأغاني القديمة والحديثة والدراما السينمائية والبرامج التعليمية والمسلسلات والمسرحيات والرياضة بكافة أنواعها ومستوياتها المحلية والعربية والإقليمية والعالمية، وتنفرد **ART** اليوم وبحكم امتلاكها أو مشاركتها أو ارتباطها بكبريات شركات الإنتاج الدرامي في الوطن العربي على مدار ثلاثين عاما بأكبر مكتبة للأفلام العربية تحتوي على ما يزيد عن ثلاثة آلاف وخمسمائة فيلما، يستحيل أن يجاريها في ذلك أي شبكة تليفزيونية أرضية أو فضائية [١].

أما ما يبث فيها من قنوات فهي تماثل الشبكات السابقة وتدندن

---

(١) **http://www.art-tv.net/arabic/ramadan/artAflam.asp** .

علي نفس منهجها غير أنها في خضم الاختلاط الانحلالي لقنواتها قدمت قناة اقرأ التي يغلب عليها الطابع الإسلامي، لكنها قناة تذروها رياح الغزو القادم من بقية أخواتها من قنوات الشبكة، فالشبكة تقول عن إحدى قنواتها: **ART** العالمية أكثر من مجرد قناة فهي بانوراما تقطف أحلي ثمار قنوات**ART**، فتأخذ من قناة الشرق الأوسط العالمية أقوي برامجها الجماهيرية، ومن قنوات الرياضة أكبر أحداثها ومناسباتها ومن الموسيقي أحدث إنتاجها، ومن أرتينز أهم ما يميزها، ومن قناة الحكايات أشهر ما لديها من مسلسلات ومسرحيات، وفوق كل ذلك محتويات الفضائية اللبنانية **LBC**، وقناة الجزيرة الاقتصادية، وقناة **MBC** وتليفزيون لبنان **MTV**، وتستهدف قناة الأفلام الأمريكية تلبية متطلبات العرب خارج بلادهم.

تتشارك القناة مع كثير من محتويات قناة الأفلام، التي تعتبر قناة الأفلام الرائدة في الشرق الأوسط، ولها نفس حقوق الحصول على الأفلام من أكبر مكتبة من نوعها في العالم العربي، وتقدم القناة مجموعة هائلة من الأفلام من كل الأنواع مضافا إليها المسرحيات والمسلسلات الجديدة التي لا تتوفر حاليا على قناة الأفلام [(١)].

- **لا تجتمع محبة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا مع تقديم قناة إسلامية.**

طبعا لا يخفي على المشاهدين من عامة المسلمين إدراك حقيقة الغزو التي تبثه هذه الشبكات وتروج فيه العصيان حتى ولو أنشئوا قناة إسلامية في خضم ذلك، ففي أحد ساحات الحوار مدح أحدهم قناة

(١) الرابط السابق .

اقرأ فقال: قناة اقرأ قناة تهتم بالمستجدات الإسلامية على وجه الخصوص ولغة الحوار فيها هادفة وموزونة، وليست مثل القنوات الأخرى صاحبة الصراخ والضجيج. فرد عليه آخر بقوله: أحب أن أضيف إلى معلوماتك أن القناة التي ذكرت ما هي إلا أضحوكة على أهل الخير والاستقامة وهي من باب كما يقال: دس السم في العسل، وإلا كيف يمكن لمن يحب إشاعة الفاحشة بين أفراد المجتمع أن ينشئ قناة إسلامية؟ (١). وقس على قناة إقرأ قناة الرسالة ومجموعة روتانا التي تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

روى مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَن رَسُول اللهِ ﷺ قَال: (بَادِرُوا بِالأَعْمَال فِتَنا كَقِطَعِ الليْل المُظْلمِ، يُصْبِحُ الرَّجُل مُؤْمِنا وَيُمْسِي كَافِرا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنا وَيُصْبِحُ كَافِرا يَبِيعُ دِينهُ بِعَرَض مِن الدُّنيَا) (٢).

وروى أبو داوود من حديث عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ ﷺ في فتنة العامة والدهماء أن رسول الله ﷺ قال: (ثمَّ فِتْنة الدُّهَيْمَاءِ، لا تَدَعُ أَحَدا مِن هَذهِ الأُمَّة إلا لطَمَتْهُ لطْمَة، فَإذا قِيل: انقَضَتْ، تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُل فِيهَا مُؤْمِنا وَيُمْسِي كَافِرا، حَتَّى يَصِيرَ الناسُ إلى فُسْطَاطَيْن، فُسْطَاطِ إيمَان لا نفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نفَاق لا إيمَان فِيهِ، فَإذا كَان ذاكُمْ فَانتَظِرُوا الدَّجَّال مِن يَوْمِهِ أَوْ مِن غَدِهِ) (٣).

نحن في زمان تتجاذبه الأهواء وتتلاطم فيه أمواج الفتن والإغواء فغزو

---

(١) http://www.alsaha.com/sahat/Forum1/HTML/005052.html .

(٢) مسلم في الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل الفتن ١/١١٠(١١٨).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها ٤/٩٤ (٤٢٤٢) وصححه الشيخ الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٩٧٤).

أرضي، ومثله فضائي يشنه علينا مختلف الأعداء، يركزون سهامهم على أهداف منتقاة ونماذج مدروسة، وبنية قوية لأمة الإسلام، ألا وهم شبابنا الذين يمثلون قلعة حصينة للأمة ودرعا منيعا وقوة وعزة للإسلام على مر التاريخ، إذا هم صلحوا واستقاموا على منهج الله، ومن ثم كانوا هم الهدف الأسمى والغنيمة العظمي التي يسعي لكسبها أعداءُ الله الحاقدين، فيحيكون الدسائس لهم وينصبون الفخاخ في طرقهم، منها الخفي ومنها الواضح المرئي، حتى يخرجوهم من حصنهم المنيع الذي تحصنوا به، وهو هذا الدين الذي ما تعلق به إنسان إلا وسمى به وارتفع إلى قمم المجد العالية، بعيدا عن السفاسف، والأديان المحرفة وإباحيتها المضللة المفتنة (١).

إن الأعداء يستهدفون الشباب في أي قطر كان منذ أزمنة عديدة وآماد بعيدة، ولا يزالون يحيكون لأمتنا الدسائس ويتربصون بها الدوائر ويستهدفون فيها مراكز القوة والدماء النشطة وأمل هذه الأمة بعد الله في انتصارها على الأعداء ألا وهم الشباب، فوجهوا إليهم السهام وخططوا بالليل ونحن نيام، ليقتلعوا تلك الجذور القوية ويلقوا بها في حمأة الفساد والرذيلة حتى لا تكون عضوا فعالا نافعا لهذه الأمة، فتصبح أمتنا خائرة القوي، ويصبح شبابها ما بين مدمن مخدرات ومشغول في اتباع الملذات والشهوات، وما بين صريع لأمراض جنسية قاتلة، وما بين مدخن قد أتلفت رئتيه وقلبه تلك السجائر المسمومة، فخارت قواهم عن مواجهة الأعداء (٢) .

---

(١) http://www.mknon.net/new2/fthaeah.htm .

(٢) http://www.mknon.net/new2/fthaeah.htm .

لقد خطط الأعداء ونفذوا وشنوا حربا خفية منذ أعوام عديدة وآماد بعيدة تمهيدا لهذه الحرب التي يعلمها الجميع، فأصابوا بتلك الحرب الضروس الخفية قلب أمتنا النابض وهم الشباب، فأرسلوا إليهم القنوات الفضائية التى تهافت عليها كثير من شباب المسلمين تهافت الفراش على النار، فأضحت الفضائيات فى عصرنا عدوا قاتلا لا بالسيف والسنان ولكن بسيء الأقوال والأفعال، فتقتل العفة والحياء والمروءة، بل وإنها تنشئ المودة بين والمحبة بين المسلم والكافر، فكثير من شبابنا اليوم تجده قد تعلق بممثل كافر أو ممثلة أو مغنية كافرة ويواليهم ويحبهم حتى أنك تسمع أصوات أغنياتهم في سيارته بلا حياء منه، فصار البيت كله متعلق بهذه الفضائيات وما يعرض فيها، معرضا عن نصيحة الناصحين، لأن القلوب افتتنت وأشربت بهذا العفن الساقط من بالوعات الغرب المنتنة فأصبح هو المتحكم، ولا تتعجب إن رأيت طفلا وطفلة في الخامسة من عمرهما يتعانقان ويقبلان بعضهم بعضا، أو رأيت هذا الصغير البرئ يرقص كالمرأة الطروب والغانية اللعوب[1] .

وهل اكتفي الأعداء بذلك؟ لا، بل أرسلوا وما زالوا يرسلون إلينا سموما عديدة، فجعلوا ديار الإسلام هدفا وسوقا لتجارة المخدرات فتناولها من لا يعقل من الشباب، فأدمن عليها وربما باع عرضه من أجل جرعة، وربما سرق وربما ضحى بأمه أو أخته، ولا غرابة لمثل هذا أن يقدم زوجته أو ابنته لمروج مخدرات يفعل بها ما شاء ليعطيه جرعة من هذا المخدر المسموم. فإذا بعد كل هذا، كيف نقوى على إيقاف مخططاتهم والوقوف تجاههم متى ما دعا الواجب لذلك، فالقوة منهكة،

(١) http://www.mknon.net/new2/fthaeah.htm .

والبنية مهدمة والقلوب مأسورة بحب الشهوات [١] .

- **الفضائيات الإسلامية ضرورة حتمية ودرع التصدي للغزو الفكري.**

كان طبيعيا لقنوات تكرس لمثل هذه البرامج ألا تعير اهتماما للبرامج الدينية والأخلاقية التي تدعو إلى الفضيلة والقيم الإسلامية، فمن العجب أن أغلب الفضائيات ما زالت تتعامل مع الإسلام كشعار ديني للتبرك به عند افتتاح البرامج، حيث تقدم عدة دقائق تلاوة من القرآن الكريم وكذا عند الختام، مرورا بنقل شعائر صلاة الجمعة والأعياد، والإشارة إلى مواعيد الأذان، فضلا عن تقديم الأحاديث الدينية في دقيقتين قبيل نشرات الأخبار، كما هو معروف وفق الأساليب اليومية النمطية ذات الأسلوب التلقيني الخطابي الجامد، الأسلوب الخال من إثارة كوامن المعرفة وتلقيها والتشويق بوسائل الجذب المشروع، بالرغم من أن روح العصر تفرض علينا الابتكار والجدية والإبداع وإيجاد وسائل تشويق، تجذب الأطفال والشباب، ومن ثم الانطلاق نحو فضائيات أرحب وأوسع لإيصال صورة الإسلام الحقيقية إلى الآخرين [٢].

ومن هنا توجبت الدعوة إلى إنشاء فضائيات إسلامية، وأصبح الأمر ملحا منذ أن ظهرت الأقمار الصناعية الرقمية واستخدمت في مجالات البث التليفزيوني، وخصوصا بعدما تعرضت المنطقة العربية الإسلامية للعديد من القنوات الفضائية الغربية، التي حملت أفكارا وثقافات تختلف عن ثقافتنا وقيمنا، فهذه القنوات تهدد الهوية الثقافية العربية والإسلامية.

---

(١) http://www.mknon.net/new2/fthaeah.htm .

(٢) http://www.alshaqaeq.com/d1.htm، حوار أجرته مجلة الشقائق بعنوان: أين الفاتح المنتظر لفضائية هادفة ؟ بتصرف .

ومن هنا شعرت بعض المؤسسات بالمسئولية وأسهمت في إنشاء العديد من القنوات الفضائية التي يغلب عليها النمط الإسلامي، وكان أحد الأهداف التي تسعى إليها هذه القنوات تحسين صورة العرب والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية ،والرد على الافتراءات التي تقدمها وسائل الإعلام الغربية عن الإسلام [١].

إن حاجتنا لفضائية إسلامية حاجة ماسة، فلو سخرت قناة كاملة لبيان التوحيد ونواقضه وإرشاد الناس إلى صحيح السنة، وتحذيرهم من الخرافات والبدعة، ورفع راية الفضائل وكشف عوار الرذائل، لكان ذلك زبدة الخير في هذا العصر الذي يبحث عنه الخلص من المسلمين بل ما زالوا في تلهف إلى رؤيته على أرض الواقع.

إن الطموحات الإعلامية تكمن في إطلاق أقمار صناعية إسلامية كما أطلقنا قمرا صناعيا عربيا وآخرين مصريين، لأن هذا القمر يهدف إلى الدفاع عن الثوابت الإسلامية، كما أن الغاية من هذه المنظومة أيضا هي الوصول إلى الجمهور الأجنبي باللغات الأجنبية، والتوجه صوب الولايات المتحدة الأمريكية وصوب دول أوروبا الغربية.

وما المانع أن يكون للجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي أقمارا صناعة وقنوات فضائية عامة ومتخصصة، تنقل محاضراتها نقلا حيا بلا زخرفة ولا تكلف، وتعطي عاملا للقدوة من خلال العلماء وأساتذة الجامعات بدلا من الكم الكبير الذي هيمن على الساحة من الفسقة

---

(١) مثال ذلك قناة المجد العربية والإنجليزية وقناة الهدى ومشروع قنوات نوبل وغير ذلك من القنوات التي تبث على الأقمار المصرية والعربية والأقمار الأوربية والأمريكية، انظر المزيد في ملحق مجلة الأهرام العربي والعدد ٢٠٠٢/١٩م، ص ٢٩.

والفاسقات المنحلين والمنحلات ممن وصفوا بزور العصر أنهم أصحاب الفن، لابد للشباب من إبراز القدوة الحقيقية التي استبدلها الأعداء بقدوة الممثلين والممثلات، والمطربات الفاسقات، والراقصات الفاجرات التي ضجت من خلاعتهم مئات الفضائيات التي تتبناه أكثر الحكومات على نفقة البلاد وقوت العباد.

كما أنه أصبح من الضروري الآن تعديل أو تغيير الصورة الطافية على الساحة الأجنبية للإسلام والدول الإسلامية، وهذا يستلزم التوجه إليهم بلغتهم، وهو ما بدأت فيه بعض الدول العربية والإسلامية ونشير إلى أهمية إنشاء قناة باللغة العبرية واللغات الأجنبية، للوصول للرأي العام النصراني واليهودي ودعوتهم إلى الإسلام والرد على شبهاتهم وبيان الحجة عليهم، والمعذرة إلى ربهم ولعلهم يهتدون.

لقد فتحت بتقدير الله قنوات إسلامية وإن لم يكن مخطط لبعضها أو أكثرها أن تكون كذلك، مثل قناة الناس والخليجية والحافظ وقناة الصحة والجمال والرحمة والحكمة ووصال وصفا والمجد وغيرها، وقد أثمرت في العقد الماضي ثمرة كبيرة وعرف الناس في الداخل والخارج أن صوت الإسلام الصحيح صوت قوي قد يغير العالم في غضون سنوات معدودات فكادوا لها وأوقفوا بثها.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الصف:٧/٩.

- **الإنترنت فيها من الأضرار الشيء الكبير مع فوائد لا يستهان بها.**

لم تقتصر آثار الغزو الإعلامي على الفضائيات فقط، بل تعدتها إلى شبكة الإنترنت، ففيها من الإضرار الشيء الكبير مع فوائد لا يستهان بها لمن أراد الاستفادة منها، فلا يستطيع أحد إغفال الفوائد التي حصل الناس عليها على اختلاف مستوياتهم من خدمات هذه الشبكة، حيث قدمت خدمات جمة في مجال الاتصالات كافة، وسهَّلت الحصول على المعلومات من كبريات المكتبات العالمية، وسهلت الاتصال بمراكز البحوث العالمية وإرسال البريد بسرعة هائلة، فبدلا من أن يستغرق إرسال البريد أسبوعا أو أسبوعين، أصبح لا يستغرق إلا ثواني معدودة وكذلك إمكانية مراقبة المحلات، والبيوت، والمدارس عن بعد، للحفاظ عليها من السرقات، أو ضبط العمل بها، وكذلك سهولة الحصول على الاستشارات الطبية، الشراء السهل من المواقع المختصة بالبيع [١]. وعلى قدر ما فيها من المنافع فإن ثمة مساوئ وسلبيات كبيرة جدا منها:

١- إفساد عقائد المسلمين والقول على الله بغير علم فمستخدم شبكة المعلومات الإنترنت يجد أمامه كل المواقع، ومما لا شك فيه أن أخطرها ما يتعلق بأمور العقيدة والإيمان، وقد وجد الكفرة، والمبتدعة، وأهل الضلال، الطريق إلى إفساد عقائد المسلمين وإضلالهم عبر مواقعهم، فنجد مواقع متخصصة للتشكيك بثوابت الإسلام باللغتين الإنجليزية والعربية، فليس الجنس والإباحية هو ما يسود في الإنترنت، وإنما العروض الكنسية [٢].

(١) مجلة المستقبل الإسلامي العدد ١٧٢ شعبان ١٤٢٦هـ.

(٢) الشباب والإنترنت لعادل بن محمد العبد العالي ص١٧.

وأما المذاهب الهدامة الأخرى فهي أكثر من أن تحصى فهناك مواقع لأكثر المذاهب انحرافا كشهود يهوه، وعبدة الشيطان، والشيعة، ومنكري السنة النبوية، وموقع النبي يونس وهو هولندي يدعي النبوة، وموقع لويس فرخان المسلمون السود في أمريكا، وهناك موقع لأباطيل الأحمدي والقاديانية، وغيرها الكثير من الطرق الصوفية [1].

كما لوحظ خوض مواقع كثيرة في مسائل كبيرة وأمور عظيمة من الدِّين يحجم عن الكلام فيها كبار العلماء حتى ينظروا ويبحثوا ويتشاوروا، فإذا بمن لا يُعرف بالعلم، يتكلمون في قضايا الأمة المصيرية من غير نظر ولا رويّة، ومن غير بصيرةٍ ولا بينة، ولا دليل من القرآن والسنّة، ويصدرون الفتاوى في مسائل التكفير، والخروج على الحكام، وقتل الأنفس المعصومة بمجرد أفهامهم واستحسان عقولهم، ثم يأخذ بذلك عنهم من لا يحسن قراءة الفاتحة.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل ظهر العلمانيون عبر مواقعهم يثيرون الشبهات حول بعض المسائل المتعلقة بالمرأة كالحجاب، والاختلاط، وعمل المرأة، ونحو ذلك، وبل وصل الأمر ببعضهم إلى التهجم على ثوابت الدين والعلماء وحلقات تحفيظ القرآن والحسبة، والقول بأن الأحكام الشرعية غير صالحة لمسايرة المدنية الحديثة، ولم يسلم الأمر أيضا من التطاول على ذات الله ﷻ عبر شبكات الإلحاد مثل شبكة اللادنيين العرب، وشبكة الملحدين العرب.

صحيح أنه لوحظ بفضل الله انتشار المواقع الإسلامية المتميزة لنشر

(١) الشباب والإنترنت ص١٨.

العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة، ونشر السنة النبوية الصحيحة، وفتاوى كبار العلماء، والأبحاث العلمية الموثقة، ودحض شبهات المغرضين، كل ذلك من خلال مواقع كبار العلماء وطلاب العلم، لكن لا يزال عددها قليلا والحاجة ماسة إلى المزيد.

٢- إضاعة الوقت، فالوقت الذي يمضيه بعضهم أمام الإنترنت يفوق التصور بل من أغرب الأمور أنك ربما تجد من لا يذهب إلى المنزل إلا ساعة واحدة فقط يوميا ويقضي يومه بالكامل أمام الإنترنت، وتشير إحصائية أجريت العام الفائت أن معدل ما يقضيه الشباب والفتيات في الخليج على أجهزة الكمبيوتر أربع ساعات يوميا، وإن كان هذا المعدل في ارتفاع الآن، ولنا أن نتخيل كم من الساعات تهدر دون أن يشعر هؤلاء بأهمية الوقت.

٣- الكذب وتبادل الألفاظ والمناظر التي تجر إلى الفاحشة وإثارة الغرائز، فإن أكثر من سبعين بالمائة من مستخدمي مواقع المحادثة أو ما يسمى بغرفة الدردشة، يكذبون ومعلوماتهم عن أنفسهم معلومات كاذبة ينخدع بها البعض، بل قد يتجاوز بعضهم الأدب ويتحاور بألفاظ فاحشة، وبعض الشباب يصرح أنه لوطي أو شاذ، فضلا عن محادثة الفتيات بألفاظ تقشعر منها الأبدان، لا يرضاها لأخته ولا لأمه ولا لعمته ولا لخالته ولا لابنته، كما بدأت المرأة بمحادثة الشباب بألفاظ تخدش الحياء وتؤذي العفاف ويستحيي منها الرجال، تراسل من تشاء أينما كان حتى ولو كان في أبعد البلدان، وقد وصل الأمر إلى أنها بواسطة العدسات تستطيع أن ترى من يحادثها ويراها على أي وضع كان دون حياء من الله؟

كما أن بعض المواقع يبث دعايات مثيرة وشائعات كاذبة، عن موت فلان، أو تدهور في أسعار الأسهم، أو اختفاء السلعة الفلانية، أو إشاعة عن وجود سفاح نساء في منطقة كذا حتى يثير الرعب في قلوب الناس وأمثلة ذلك كثيرة، ولم يقف الأمر إلى هذا الحد، بل ظهر أخيرا موقع عبر الإنترنت لتبادل الشتائم والصفات القبيحة، والدعوة إلى الكراهية بين الناس.

٤- العزلة والانطوائية والتفريط في أداء الحقوق، فبعضهم يقضي ست عشرة ساعة يوميا على الإنترنت، مما يبعده عن أسرته وزوجته، وأولاده، ووالديه، وأقاربه، ويجعله يقصّر في حقوقهم التي أوجبها الله عليه، فضياع لحق الزوجة، من النفقة، وحسن المعاشرة، وضياع لحق الأولاد من الرعاية والنصح والتوجيه بل والنفقة أيضا، وفي استبيان وزعته مجلة سعودية أكد أربعون في المائة من رواد المقاهي أن الإنترنت أثر على علاقاتهم الاجتماعية وجعلهم أكثر انعزالا من ذي قبل(٤).

وكثير من الزوجات بدأن يشتكين من أزواجهن الذين يقتلون أوقاتهم، ويضيعون حقوق أسرهم بسبب العكوف على الإنترنت، وحالات كثيرة وصلت إلى الطلاق بسبب زهد الزوج في زوجته ؛ لأنه يرى ويحادث من هي أجمل منها وأكثر فتنة وإغراء، فانشغال الزوجين أو احدهما بالإنترنت أحد أسباب الجمود في العلاقة الزوجية، ويعد من أبشع الأساليب التي يستخدمها الزوج في معاقبة زوجته ولو من غير قصد.

(١) مجلة المعرفة العدد ٥١ سنة ١٤٢٠هـ. نقلا عن الشباب والإنترنت ص١٥.

وقد أشارت بعض الدراسات التي خرجت بها إحدى الجامعات الأمريكية إلى أن الأزواج المشغولين بجهاز الإنترنت لا يتحدثون مع بعضهم البعض إلا بمعدل خمس دقائق يوميا، فهو مشغول طوال اليوم ويكون في البيت مشغولا أيضا، هذه هي ضريبة الجلوس أمام الإنترنت حيث تكون الضحية الأولى فيها الحوار والألفة بين الزوجين.

٥- تدني مستوى التحصيل العلمي لدى الطلاب، فيشير بعض التربويين إلى أن بعض الطلاب يجلسون في الفصول الدراسية وهم في شرود دائم وأذهانهم خارج القاعة، وكثير من طلبة الجامعات أضاعوا حصص المحاضرات لانشغالهم بها، فيخططون ويفكرون في كيفية الرد على رسائل الصداقة، أو سبل تقويتها، أو كيفية السفر لملاقاة الأصدقاء وما إلى ذلك .

٦- المخاطر الأمنية فقد يقع بعض الشباب في مخاطر استقطابهم من قبل بعض أجهزة الاستخبارات، أو الحصول منهم على معلومات قد تضر بلدانهم دون أن يعلموا أنهم ضحية عملاء مخابرات أجنبية، بل بعض هذه المواقع ينشر كيفية توجيه الفيروسات على أجهزة الآخرين وتدمير الذاكرات.

- المواقع الإباحية على الإنترنت من أخطر المواقع تأثيرا على شباب الأمة.

٧- المواقع الإباحية، ومما لا شك فيه أن هذه المواقع من أخطر المواقع تأثيرا على شباب الأمة، فهناك أكثر من سبعة ملايين موقع إباحي مبثوث على كافة أنحاء الشبكة، وتسعون في المائة من مستخدمي النت يدخلون عليها، لذا استغل أعداء الأمة هذه الشبكة لمحاربتها في دينها وأخلاقها، فوُجِّهت وجهة منحرفة عبر خطوات مدروسة ومنظمة

مستهدفين بذلك شباب وفتيات المسلمين، والغريب أن بعض هذه المواقع يملكه مسلمون عرب كرسوا أنفسهم لنشر الفاحشة والفساد بين المسلمين دون وازع أخلاقي أو مانع أدبي أو خشية من عقوبة.

وهذه المواقع في غاية الخطورة، بل هي من أسلحة الدمار الشامل التي تقضي على الأخلاق، وإذا كنا قد نهينا عن وصف المرأة لتبدو محاسنها فكيف بمن يعرضون النساء عاريات يمارسن الفاحشة مع الرجال.

وهناك دعاة ومروجون لهذه المواقع، فالدخول إلى بعضها مجاني بلا مقابل، والبعض الآخر يتقاضى مقابل كل صورة ماجنة مبلغا من المال، وبعض المواقع يفتح للمستخدم مواقع تلقائية جديدة مجانية، وهذه أكثر المواقع خطورة وإباحية.

وفي مصر قامت شرطة الآداب بمراقبة عشرة آلاف شاذ، ومن يعلنون عن عناوينهم على الإنترنت، ويبدون استعدادهم لممارسة الفجور، لكن الشرطة لم تستطع إحالتهم إلى المحاكم؛ لأنها لم تستطع إصدار إذن من النيابة لتتبعهم؛ لأنهم يمارسون فعلتهم الشنعاء من مواقع خاصة، أما تنظيم الشواذ الذي ألقي عليه القبض بالفعل، فقد تجاوزوا الدعوة والتعارف على الإنترنت إلى الالتقاء الفعلي، وهو ما مكن الشرطة من إحالتهم إلى القضاء[1].

إن كثيرا من شبابنا وقعوا ضحية المؤامرة الماكرة والتوجيه الخبيث بلا وعي ولا تفكير ولا توجيه سديد، فبدأ كثير من المراهقين والمراهقات يتداولون كيفية الدخول إلى المواقع المحجوبة والممنوعة بأسهل الطرق

---

(١) مجلة الأسرة العدد (١٥١) شوال ١٤٢٦هـ.

والوسائل، وتبادلوا عناوينها كهدايا قيِّمة تعاونا على الإثم والعدوان، كما أخذوا يتبادلون أشرطة الكمبيوتر المحملة بالصور العارية والأفلام الجنسية من جراء هذه المواقع، وقد تنبه العقلاء في الغرب إلى خطورة المواقع المنحلة فمنعوا أطفالهم منها بعدما ذهِلوا بما رأوه من شدة الإباحية والجنس، وظهرت نداءات كثيرة في أمريكا تطالب الكونغرس بل وتضغط على الرئيس الأمريكي بوضع حد لهذه المواقع، وفي بريطانيا نفس المطالب، وفي ألمانيا أقفلت السلطات شركات تتعامل مع مواقع إباحية، وفي الصين يمنع الأفراد من الاشتراك بالشبكة إلا بعد الحصول على إذن من الشرطة، وأشد العقوبات توقَّع على المخالفين، وتجرم اليابان وكوريا وفيتنام تصفح المواقع الإباحية [١].

والمؤسف أن الحصول على خدمة هذه الشبكة بات في تناول الجميع، فلا يحتاج الأمر إلا امتلاك جهاز الكمبيوتر بل يمكن ذلك عن طريق مقاهي الإنترنت التي انتشرت بشكل كبير جدا وتتنافس على تخفيض الأسعار، وبات معظمها مواخير للفساد يرتادها المراهقون والمراهقات.

لقد جرَّت هذه الاستخدامات السيئة على المسلمين ويلات ومآس كثيرة، فبدأ الآباء والأمهات يشكون من سلوك وتصرفات أبنائهم وبناتهم، وبدأ المدرسون والمدرسات والمدراء ينقلون عن الطلاب بعض ما يستحي الإنسان من نقله، فضلا عن وصفه.

٨- السرقة فقد تتم سرقة أموال البنوك بعد أن يستغل السارق رقم

---

(١) جريدة الأهرام المصرية العدد (٤٤١٩٦) الصادر في يوم السبت ٢٨من ذي القعدة ١٤٢٨هـ الموافق ٨ ديسمبر ٢٠٠٧م.

البطاقات الائتمانية عن طريق الإنترنت، فالسطو على البنوك لم يعد يتطلب تلك الإجراءات والاستعدادات التي تشاهد في أفلام الجريمة، أو حتى التي طبق بعضها في الواقع، فلم يعد الأمر بحاجة إلى عصابة كاملة وغير ذلك، بل يكفي فرد واحد ليقوم بذلك دون أن يغادر منزله، ففي عام ٢٠٠٣م كشفت السلطات الإماراتية عن متهم آسيوي قام باختلاس حسابات مصرفية من البنوك باستخدام أجهزة مقاهي الإنترنت، حيث قام المختلس بتنفيذ أربع عشرة عملية سحب من حسابات شخصية ومصرفية لضحاياه وصلت قيمتها إلى مبالغ طائلة.

٩- قتل النفس بدعوى اليأس من الحياة، وكيفية المقامرة عبر الإنترنت، فهناك مواقع تدعو إلى الانتحار ينشر فيها عشرات الطرق في كيفية الانتحار، وقد انتحر أناس بالفعل متأثرين بهذه الدعوات، فقد اعتقلت الشرطة في إحدى المدن الأمريكية شابا عاطلا عن العمل استخدم أحد مواقع الدردشة على الإنترنت لتنظيم انتحار جماعي فيما يسمى بعيد الحب لمن لم يوفق في حياته العاطفية، وهناك مواقع متخصصة بالميسر تعلم المرتادين كيفية المقامرة [٢].



(١) مجلة الأسرة العدد (١٥١) شوال ١٤٢٦هـ.

المطلب الثلاثون

العمل الجماعي بين الواقع المرير للجماعات الإسلامية وادعاء الانتماء لمنهج أهل السنة والجماعة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن كيفية التعامل مع الغزو الفكري الموجه عبر وسائل التقنية الحديثة، وبينا حقيقة الغزو الفكري القادم من الفضائيات الكرتونية وأثره الهدام على أطفالنا، وبينا أن البرامج الكرتونية تبث في برامجها العقائد الوثنية فيألفها الأطفال، وتحدثنا عن الفضائيات الرياضية وما تحمله من غزو فكري مدمر لقيم الإسلام، وكيف يتسلل الغزو الفكري منها؟

وبينا أن الفضائيات والبرامج الرياضية قد تحدث أزمات قلبية تؤدي للوفاة، وتناولنا الحديث عن الشبكات التلفزيونية الفضائية المشفرة التي تمثل فتنا كقطع الليل المظلم، وعلمنا أنه لا يمكن أن محبة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا تجتمع مع تقديم قناة إسلامية، وبينا أن الفضائيات الإسلامية ضرورة حتمية وهي درع التصدي للغزو الفكري، ثم تحدثنا عن الإنترنت وما فيها من الأضرار الفتاكة وإن تضمنت فوائد لا يستهان بها، وتحدثنا عن المواقع الإباحية على الإنترنت وأنها من أخطر المواقع تأثيرا على شباب الأمة.

وفي هذا المطلب إن شاء الله نتحدث عن العمل الجماعي بين الواقع المرير للجماعات الإسلامية وادعاء الانتماء لمنهج أهل السنة والجماعة.

- **الجماعات الإسلامية رد فعل لانتشار الشيوعية والثقافة الغربية.**

لقد مرت الأمة الإسلامية قبل وبعد زوال الخلافة العثمانية بفترة من السبات العميق، مما أتاح لأولياء الشيطان الانطلاق بقوة نحو الثقافة الغربية العلمانية اللادينية أو الشرقية الشيوعية الاشتراكية، فسرى هذا الاتجاه إلى أوصال الجسد الإسلامي الممزق، وأصبحت البيئة الإسلامية محملة بالأمراض الفكرية المتعددة والمعدية، سواء ساقتها البدع الموروثة أو الأهواء المهووسة بالتقدم الغربي، فكان انتشار الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية باعثا وأملا لامتداد رسالة الإسلام وتوحيد العبودية لله على النهج الأول الصافي.

وبدأ بعض المسلمين المخلصين الواعين يخططون في سائر البلدان لقيام حركات إسلامية دعوية تعمل على إعادة الإسلام إلى الحياة العامة في الجوهر والمظهر، وظهرت الجماعات الإسلامية على اختلاف مشاربها ومنطلقاتها وتنوع مؤسسيها لتفسح المجال لنشاط إسلامي دعوي، سياسي وفكري في مصر ومختلف بلدان العالم الإسلامي، حتى تحوَّلت كل حركة دعوية إلى حركات متعددة تختلف بحسن النية في التفاصيل العقدية، أو المفردات التشريعية، أو في النظرة السياسية.

وقد كان حسن الظن وصف من قام بالدعوة في الجماعات الإسلامية التي انطلقت على الساحة الإسلامية في مصر وسائر بلاد المسلمين، فكلهم ينادي بالعودة إلى الكتاب والسنة، ولا شك أنها

حركت المياه الراكدة، وأثرت في إعادة كثير من الناس المتأثرين بالأفكار الغربية والشرقية إلى الصورة الإسلامية التي أمر الله بها، فأصبحت صورة المسلم الملتزم والمسلمة أمر مألوف للناظرين، بعد أن كان مجرد التزام المسلمة بحجابها يمثل حالة شاذة في كثير من المجتمعات الإسلامية.

ولكن المؤسف أننا وجدنا هذه الجماعات اتخذت أصولا لها وقواعد مزجت فيها نصوص القرآن والسنة على آراء وتوجهات مؤسسيها، وحملت النصوص النقلية على المنطلقات العقلية لقياداتها، فكان التباعد بينها على قدر ما خالفت فيه الكتاب والسنة من الآراء الخاصة لكل جماعة منهم، ولذلك فإنهم وإن قدموا إيجابيات كثيرة إلا أنه ينبغي على المسلم الصادق الحريص على اتباع الحق والتزام طريقة السلف الأول خير القرون؛ الذين يمثلون الجماعة، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، ينبغي على المسلم الصادق أن يراجع موقفه إن كان منتميا لأحد هذه الجماعات، ويقيسه على منهج الفرقة الناجية الذين يقدمون النقل على العقل، ويرفعون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على رؤوسهم، وهم متجردون مخلصون لا يخشون في الله لومة لائم.

ولذلك سوف نعرض تعريفا مختصرا لأبرز الجماعات العاملة في الساحة الإسلامية في مصر مع تنبيه طلاب العلم لبعض المحاذير السلبية التي ينبغي مراعاتها في كل جماعة منها، فيسلم من دواعي التمزق والتفرق ويلتئم الجرح في الجسد الإسلامي الواحد، كنموذج يحتذى به في بقية البلدان الإسلامية.

ولا نعني بذكر السلبيات الانتقاص مما لدي هذه الجماعات من الإيجابيات، ولكن كلمة الحق قد تكون مريرة وغير مستساغة، لكن

لامناص من إعلانها والجهر بها، وما هي إلا النصيحة، وليس أحد منا بمعصوم، ولا ندعو أحدا من طلابنا إلى التعصب لرأي ذكرناه ووجده عار عن الحجة النقلية والدليل والبرهان، بل ينبغي اتباع الحق وقبول النقد طالما ظهر دليله من القرآن وصحيح السنة.

- جماعة الإخوان المسلمين أسسها حسن البنا لإقامة الخلافة الإسلامية.

مؤسس هذه الدعوة الأستاذ حسن البنا الذي ولد في إحدى قرى البحيرة بمصر، ونشأ نشأة دينية متأثرا فيها بالطريقة الصوفية الحصافية الشاذلية، ومنهج العقيدة البيجورية الأشعرية التي تبناها أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، فدرس حسن البنا في مدارس الحكومة المصرية حتى التحق بدار العلوم بالقاهرة وتخرج منها عام ١٩٢٧م، وعُيِّن مدرسا في إحدى مدارس الإسماعيلية الابتدائية، وهناك بدأ نشاطه الدعوي بين الناس، وخاصة في المقاهي وبين عمال قناة السويس، حتى أسس النواة الأولى من الإخوان عام ١٩٢٨م، ثم انتقل إلى القاهرة وانتقلت معه قيادة الحركة إليها عام ١٩٣٢م.

وقد تم إصدار جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية عام ١٩٣٣م واختير الأستاذ محب الدين الخطيب مديرا لها، ثم صدرت جريدة النذير عام ١٩٣٨م، ثم جريدة الشهاب ١٩٤٧م، وتوالت المجلات والجرائد الإخوانية، وتكونت أول هيئة تأسيسية للحركة عام ١٩٤١م من مائة عضو، اختارهم حسن البنا بنفسه، وقد أنشأ الإخوان تنظيما عسكريا خاصا دخلوا به حرب فلسطين ١٩٤٨م، وحدثت بعد ذلك منازعات متبادلة بين الحكومة المصرية والجماعة، سعى من خلالها رئيس الوزراء وقتها ويدعى النقراشي لإغلاق الجماعة وحلها، فنتج عن ذلك اغتياله

ثم اغتيال حسن البنا عام ١٩٤٩م.

تولى المستشار حسن الهضيبي منصب المرشد العام للإخوان، وكان أحد كبار رجال القضاء المصري، وقد اعتُقل عددا من المرات، وصدر ضده عام ١٩٥٤م حكم بالإعدام، ثم خفف إلى السجن المؤبد، وأفرج عنه آخر مرة سنة١٩٧١م، وظلت الجماعة في مناوشات سياسية مع الحكومة المصرية حتى قام مجموعة من الضباط المصريين عام ١٩٥١م بزعامة اللواء محمد نجيب بثورة لمؤازرة الإخوان، لكن الإخوان رفضوا بعد ذلك الاشتراك في الحكم، إذ كان لهم رأي واضح في مناهج الثورة، وقد اعتبر جمال عبد الناصر هذا الرفض نوعا من فرض الوصاية على الثورة، ودخل الطرفان سلسلة من الجدل والخصومة، تطورت أحوالها حتى قامت الحكومة سنة ١٩٥٤م باعتقال الإخوان وسجنهم وتشريد الألوف منهم، لاتهامهم بمحاولة اغتيال عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية، وأعدمت الحكومة ستة منهم.

وقد تكرر اعتقال الإخوان عام ١٩٦٥م بتهمة تشكيل جهاز سري يهدف إلى تغيير نظام الحكم، وقامت الحكومة بشن حملات السجن والتعذيب، وقد أعدمت هذه المرة ثلاثة من أعضاء الجماعة كان أبرزهم سيد قطب ١٩٦٦م الذي يعد المفكر الثاني في الجماعة بعد حسن البنا، وكان قد أمضى في السجن عشر سنوات، ثم أفرج عنه عام ١٩٦٤م بتدخل من الرئيس العراقي عبد السلام عارف، لكنه ما لبث أن أعيد إليه مرة أخرى ليواجه حكما بالإعدام.

وسيد قطب له العديد من المؤلفات الأدبية والفكرية الإسلامية التي من أبرزها تفسيره في ظلال القرآن، والعدالة الاجتماعية في الإسلام،

وخصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ومعالم في الطريق وغيرها الكثير، ومؤلفاته لا تخلو من مخالفات اعتقادية كثيرة، وقد تضمنت بعض النزعات الصوفية الشيعية، والأصول الكلامية البيجورية، يعرفها من ألم بأصول العقيدة الإسلامية النقية.

وربما يكون معذورا في عدم العلم بأصول الفرق الضالة، لكننا نحسن الظن به وبغيره، ويجدر الانتباه إلى أنه ينبغي مراعاة أن أغلب من انتمى إلى جماعة الإخوان ليسوا متخصصين دارسين لعقيدة السلف أو متعمقين فيها بصورة علمية أصيلة، بل كانوا يركزون على منهج الإخوان في التربية وكانوا إما محبين لدينهم من ذوي المناصب المختلفة، أو طلابا في الجامعات من ذوي التخصصات الطبية والهندسية والتجارية وغيرها من الكليات العملية، أو كانوا علماء متخصصين متخرجين من الكليات النظرية لكنهم متأثرين بدراستهم للبيجورية الكلامية، أو ما ألفوه من بدع الصوفية معتقدين أنهم على الحق والحقيقة.

وقد توالى على منصب المرشد العام عدد من القيادات، منهم عمر التلمساني١٩٨٦م، ومحمد حامد أبو النصر، ومصطفى مشهور، وآخرهم المهدي عاكف ثم المرشد الحالي للإخوان محمد بديع.

- المنهج المعلن لجماعة الإخوان المسلمين بين النظرية والتطبيق الواقعي.

لا شك أن المنهج المعلن للجماعة فيه إيجابيات كثيرة، وقد وصفها حسن البنا بأنها جماعة إصلاحية شاملة تفهم الإسلام فهما شاملا وتشمل فكرتها كل نواحي الإصلاح في الأمة وأنها دعوة سلفية، إذ يدعون إلى العودة إلى الإسلام بأصوله الصافية المبنية على القرآن والسنة النبوية، وهي أيضا طريقة سنية لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة

المطهرة في كل شيء، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، وهي حقيقة صوفية فيعتقدون أن أساس الخير طهارة النفس، ونقاء القلب، وسلامة الصدر، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله، والأخوة فيه.

ويعلنون أن الجماعة هيئة سياسية، يطالبون بالإصلاح في الحكم، وتعديل النظر في صلة الأمة بغيرها من الأمم، وتربية الشعب على العزة والكرامة، ويقولون إن الإخوان جماعة رياضية، يعتنون بالصحة، ويعلمون أن المؤمن القوي هو خير من المؤمن الضعيف.

وهي عندهم رابطة علمية ثقافية، فالعلم في الإسلام فريضة يحض عليها وعلى طلبها ولو كان في الصين، والدولة تنهض على الإيمان والعلم، وكذلك شركة اقتصادية فالإسلام في منظورهم يُعنَى بتدبير المال وكسبه، كما أنهم يمثلون فكرة اجتماعية، ويعنون بأدواء المجتمع، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها.

هذه أهداف جماعة الإخوان كما أعلنها مؤسسها، وبينها وبين الواقع التطبيقي مسافة بعيدة، فالمآخذ على جماعة الإخوان المسلمين لم تقتصر على المواقف السياسية في المنازعات المستمرة على بلوغ سدة الأمر، وقيادة الناس بأي وسيلة، بل وجه لها النقد في كثير من الجوانب الاعتقادية والمنهجية وأقوال أتباعها في الناحية التربوية، وتعظيمهم لأقوال مؤسسها، وتقديمهم لها على كلام الله ورسوله ﷺ في أحيان كثيرة.

ومن الناحية الاعتقادية أخذ على حسن البنا اعتبار الجماعة حقيقة صوفية، والحقيقة الصوفية تعني في المصطلح الصوفي بلوغ الفناء عن

شهود السوى عند البعض والفناء عن وجود السِّوى عند أغلبهم كما تقدم بيانه في دورة منة الرحمن ودورة كفاية الطالبين، ولعل حسن البنا فهم الحقيقة الصوفية على رؤيته الخاصة، أو لعله ذكر ذلك لتأثره بنشأته الأولى مع الطريقة الحصافية الشاذلية، فلم ير التصوف من مصادره الحقيقية، وإنما رآه من منظور شيخ الطريقة الذي لقنه أورادها، أو أنه أراد بقوله الإخوان حقيقة صوفية مغازلة الصوفية وتقريبهم أو إدخالهم في جماعته، وهذا مسلك خاطئ لأنه يستحيل جمع الحق بالباطل إلا بالتنازل والمداهنة، أو عدم العلم بمناهج الفرق الضالة.

وقد بان ذلك ظاهرا للعيان في موقفهم السلبي من سب الشيعة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على فضائياتهم الشيعية وتكفيرهم للصحابة ﷺ وعلى رأسهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب والقول بخلودهم في النار، طهرهم الله وبرأهم ورضي الله عنهم جميعا، فقد هبت الدنيا بكل من فيها ممن في قلبه ذرة من الإيمان للدفاع عن عرض النبي ﷺ وأم المؤمنين عائشة إلا الإخوان المسلمين في سائر البلدان، لأنهم يرون الشيعة والصوفية وغيرهم من الفرق الضالة أعضاء مرشحين للاجتماع معهم على ما اتفقوا فيه، على أن يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه.

كما أخذ على حسن البنا موقفة التفويضي في باب الأسماء والصفات وعدم اعتناء جماعة الإخوان بنشر عقيدة السلف الصالح والدعوة إلى التوحيد الخالص والتحذير من البدع والشركيات المنتشرة، سواء في مصر منشأ الجماعة أو غيرها؛ مما جعلها جماعة تهتم بالكثرة العددية الموالية للمرشد العام ونظام التربية على التبعية لهم.

ومما يؤخذ على جماعة الإخوان العصبية الشديدة لأتباعها، والولاء بالطاعة لمرشدها وأعضائها، بحيث يقدم قول المرشد وأوامره على كل قول، ويتربى أتباعها على الطاعة للموجه الأعلى منهم دون سؤال على دليل الطاعة أو أحكام التربية لله ورسوله ﷺ في كل قول وفعل، وذلك لاعتقادهم وحسن ظنهم أن ما يأمر به مرشدهم يمثل لهم ما ارتضاه الله لعباده، وأنه يفهم القرآن والسنة بصورة لا يطالب فيها بذكر الدليل والبرهان، فربما يجمعهم مرشدهم على انتخاب عضو منهم للبرلمان أو النقابات المهنية في لمح البصر وفي أي مكان، وتجدهم يلبون أوامر المرشد العام أو المرشد الخاص عن عقيدة منهم أن تنفيذ أوامره واجب شرعي وفرض إيماني، وأن من لم ينفذ الأمر ويمتثل سيكون عاصيا لله ورسوله ﷺ، وهذا أخطر ما يكون في جماعة الإخوان، فربما يأمرهم بالحضور لشيخ ما يؤيدهم فتجدهم حاضرين جميعا بكامل عددهم متتبعين له، وربما يأمرهم بالانصراف عن الحضور أو عدم الاستماع لشيخ ما ليس موافقا للمرشد العام أو الخاص في هواه، فتجدهم ينصرفون جميعا عن العلم ويصمون آذانهم ويعمون أبصارهم امتثالا لأمر مرشدهم، بغض النظر عما سيفوتهم من الخير في سماع العلم والتعرف على المنهج الحق.

ولذلك لا تجد واحدا منهم حريصا على طلب العلم أو شد الرحال إلى أحد من العلماء ليكون عالما في الفقه أو الحديث أو العقيدة، لأن الأصل عندهم هو التربية على الطاعة والانتماء للجماعة، وتنفيذ الأوامر وعدم الاعتراض، بل وصل تعصبهم إلى حد قصر ولائهم على من كان على إخوانيتهم فقط، أو من يحاولون جذبهم إليهم من عامة المسلمين،

ولا تجد مودة مستمرة ولا تقربا إلى أي مسلم حتى لو كان من أقرب جيرانه طالما أنه ليس على طريقتهم أو رفض منهجهم الإخواني اللهم إلا لمصلحة ضرورية لفرد منهم أو طائفة، وكأن باقي المسلمين أشباح لا وجود لهم في الواقع، بل لا يرونهم أحياء طالما رفضو الانتماء للإخوان.

وقد وصل حالهم في واقعنا المعاصر إلى حد أنهم يمثلون دولة سرية خفية متكاملة يعرف بعضهم بعضا داخل البلاد التي يعيشون فيها، ينتظرون الوقت التي تصبح فيها دولة ظاهرة بعد زال دولة الأشباح.

لقد بدأت حركة الإخوان في مدينة الإسماعيلية ثم انتقلت إلى القاهرة ومنها إلى معظم بلاد وقرى مصر، وقد بلغ عدد شعب الإخوان في أواخر الأربعينات في مصر ثلاثة آلاف شعبة ضمنت أعدادا كبيرة من الأعضاء، وانتقلت الحركة إلى الأقطار العربية وصار لها وجود قوي في سوريا وفلسطين والأردن ولبنان والعراق واليمن والسودان وغيرها، كما أن لها أتباعا في معظم أنحاء العالم اليوم.

- جماعة أنصار السنة المحمدية أسست لنشر السنة ونبذ البدعة.

تأسست جماعة أنصار السنة المحمدية عام ١٩٢٦م بمدينة القاهرة على يد الشيخ محمد حامد الفقي وبمشاركة مجموعة من إخوانه، وهم الشيخ محمد عبد الوهاب البنا، ومحمد صالح الشريف، وعثمان صباح الخير، وحجازي فضل عبد الحميد في الوقت الذي كانت تعج فيه مصر ومعظم بلدان العالم الإسلامي بالشركيات والبدع والخرافات بسبب تسلط التصوف والصوفية على المناحي الفكرية والمؤسسات الدينية، فكان تأسيس الجماعة دعوة لتجديد الدين على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة ومحاربة الشرك والبدعة في كافة صورها.

نشأ الشيخ محمد حامد الفقي في بيت علم ودين، فكان والده زميلا في الدراسة للشيخ محمد عبده، وفي عام ١٩٠٤م، بدأ الشيخ محمد حامد الفقي دراسته الأزهرية، وما بلغ سن الثامنة عشرة من عمره حتى نبغ والتف حوله أقرانه واتخذوه شيخا لهم، وفي عام ١٩١٧م حصل الشيخ على شهادة العالمية من جامعة الأزهر، وانطلق بدعوته إلى التوحيد الخالص والدفاع عن السنة من خلال مسجد شركس بالقاهرة الذي تولى إمامته، ثم من مسجد هدّارة الذي ظل إماما له حتى وفاته، ومن خلال المقاهي والمنتديات في القاهرة زاد التفاف الناس حول دعوته مما عرضه وأتباعه إلى المزيد من المضايقات والاضطهاد من أصحاب الطرق الصوفية وأهل الضلال.

بدأ التفكير بجدية في إنشاء جمعية أو دارا تحمل فكرتهم وتنشر مبادئهم وافتتحت في ديسمبر ١٩٢٦م تحت اسم دار جماعة أنصار السنة المحمدية، واختير الشيخ محمد حامد الفقي رئيسا لها، فأخذت الدعوة بعدا آخر وزاد عدد أتباعها، مما أثار حنق بعض كبار موظفي قصر الحكم بعابدين على الشيخ، فعملوا بكل السبل لصد الناس عنه وعن دعوته، لدرجة دفع بعض المأجورين لمحاولة قتله، وأثناء سفره إلى الحجاز لمدة ثلاث سنوات اعترت الجماعة فترة ركود.

وبعد عودة الشيخ من الحجاز دب النشاط في الجماعة مرة أخرى حيث وضع لها قانونا، وكون لها إدارات جديدة، فزاد عدد الفروع داخل القاهرة والجيزة وانتقلت إلى الإسكندرية وبعض المحافظات، وبلغ أتباعها الآلاف، وبعد أن استوى عود الجماعة وبلغ أشده أسس الشيخ محمد حامد الفقي مجلة الهدي النبوي لتكون لسان حال الجماعة والمعبرة

عن عقيدتها ودعوتها والناطقة بمبادئها، وتولى هو رئاسة تحريرها.

وشارك في تحريرها مجموعة من العلماء المعروفين أمثال المحدث الشيخ أحمد شاكر، والأستاذ محب الدين الخطيب، والشيخ محي الدين عبد الحميد، والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وغيرهم، ومع تطور أعمال الجماعة الدعوية أنشأ الشيخ الفقي مطبعة السنة المحمدية لنشر كتب السلف، وبوجه خاص كتب ابن تيمية وابن القيم، فجمعت محبته لهما بينه وبين شيخي الأزهر الشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبد المجيد سليم، اللذين أيدا دعوة الشيخ الفقي.

شارك الشيخ حامد الفقي المجاهدين جهادهم ضد الاحتلال البريطاني لمصر أبان الحرب العالمية الثانية، كما ساهم في طباعة المنشورات ضد الاحتلال البريطاني لمصر، وقد اشتد الصراع بين الجماعة وأصحاب الطرق الصوفية من ناحية وبين الجماعة وأصحاب دعوات التغريب والعلمنة من ناحية أخرى، فعلا صوت الشيخ في الإنكار عليهم وعلى واضعي القوانين الوضعية، حيث كان من أهم صفاته تسمية الأشياء بأسمائها بدون مداهنة في القول أو مجاملة في الحق، إذ كان يسمى المجاملة في الحق نفاقا ومداهنة، ويسمي السكوت عن قول الحق جبنا وذلا، مما زاد في اضطهاده من أهل الباطل وتعرضه للنقل من وظيفته أكثر من مرة حتى توفي سنة ١٩٥٩م في دار الجماعة، وقد نعاه بعض رؤساء وعلماء الدول الإسلامية والعربية وشيعه جمع غفير من علماء ومشايخ الأزهر وعلى رأسهم عبد الرحمن تاج وشيخ الأزهر حسنين مخلوف.

وقد تواكب على رئاسة الجماعة بعد وفاة مؤسسها مجموعة من العلماء البارزين أمثال الشيخ عبد الرزاق عفيفي١٩٠٤م الذي حصل

على شهادة الماجستير أو التخصص في الفقه وأصوله، ثم العالمية من جامعة الأزهر، وعمل مدرسا في المعاهد العلمية الأزهرية، كما عاصر تأسيس الجماعة ويعد من كتاب العدد الأول في مجلتها الهدي النبوي، وأحد علماء أول هيئة لكبار العلماء بالجماعة، مع جمع من العلماء الكبار أمثال الشيخ أحمد شاكر وعبد الحليم الرمالي، وحامد الفقي.

وبطلب خاص من مفتي السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم سافر الشيخ ومعه دكتور محمد خليل هراس إلى السعودية للتدريس بدار التوحيد بالطائف وكلية الشريعة بالرياض، وقد اختير الشيخ عبد الرزاق عفيفي رئيسا عاما للجماعة خلفا للشيخ حامد الفقي بعد وفاته، واختير الشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيسا لتحرير مجلة الهدي النبوي، وبعد سفر الشيخ عبد الرزاق عفيفي إلى السعودية انتخب الشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيسا عاما للجماعة سنة١٩٦٠م وانتخب الدكتور محمد خليل هراس نائبا له، وفي عام ١٩٦٩م أدمجت الحكومة المصرية جماعة أنصار السنة المحمدية في الجمعية الشرعية لتجمد نشاطها، وبذلك توقفت مجلة الهدي النبوي التي كان يشغل الشيخ الوكيل رئاسة تحريرها، وهكذا انتهت المرحلة الأولى من تاريخ الجماعة لتبدأ مرحلة جديدة.

- **مجلة التوحيد عنوان الدعوة في جماعة أنصار السنة في المرحلة الثانية.**

يعد الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي المعروف برشاد الشافعي هو المؤسس الثاني للجماعة الذي كان يشغل منصب سكرتير عام للجماعة والمشرف على الفروع قبل تجميد نشاطها، إذ بذل قصارى جهده في السعي لإعادة إشهار الجماعة مرة أخرى، وقد تم له ذلك في عهد رئيس مصر السابق أنور السادات عام ١٩٧٢م.

وبعد ثلاث سنوات من إعادة الإشهار أصدر العدد الأول من مجلة التوحيد لتكون بديلا عن مجلة الهدي النبوي، وتولى هو رئاسة تحريرها، ثم الشيخ عنتر حشاد، ومن بعده تولى الشيخ أحمد فهمي رئاسة تحريرها، ومن ثم عاد نشاط الجماعة إلى سابق عهده، وزاد عدد أتباعها وكثرت عدد الفروع المنتسبة إليها، وفي عام ١٩٧٥م تولى الشيخ محمد على عبد الرحيم رئيسا للجماعة خلفا له، ويعد الشيخ أحد العلماء المبرزين في الاهتمام بالسنة، مع براعته ونبوغه في علم الجغرافيا، ويذكر له دور بارز في تأسيس المعاهد العلمية، ووضع مناهجها بالمملكة العربية السعودية، ويذكر أنه ظل لسنوات طويلة يدرس بالحرم المكي.

وفي عهده توسعت الجماعة في بناء المراكز الإسلامية التي تقدم خدمات اجتماعية متكاملة لعموم المسلمين، وكانت لدروس الشيخ وعلماء الجماعة أثرها البالغ على الشباب وبخاصة بجامعتي الإسكندرية والقاهرة حيث عمقت مفاهيم الدعوة والمنهج السلفي الذي قاد تيار الصحوة الإسلامية الذي يدعو إلى التوحيد ويبين السنة ويحارب الشرك ويدحض البدعة، وأصبح الكتاب الإسلامي السليم واسع الانتشار، بعد أن كان سوق الكتاب حكرا على كتب الصوفية وأهل الأهواء والتغريب، وعم الحجاب وانتشرت الفضيلة، وانحسر تيار التصوف في بيئات محدودة.

وفي فترة رئاسة الشيخ محمد على عبد الرحيم عادت مؤتمرات الجماعة لسابق عهدها، فعقد المؤتمر الأول للدعاة، وتصدت مجلة التوحيد تحت رئاسة رئيس تحريرها الشيخ أحمد فهمي لتيار التغريب والعلمنة، وكشفت رموز التيار الرافضي والباطني المتنامي في وقتها،

بالإضافة إلى بيان الحكم الشرعي في كثير من الأحداث والمشكلات المستجدة على الساحة المصرية والإسلامية بوجه عام.

تولى الشيخ صفوت نور الدين منصب الرئيس العام للجماعة خلفا للشيخ محمد على عبد الرحيم بعد وفاته ١٩٩١م، والشيخ صفوت أحد العلماء المهتمين بالسنة النبوية وعلومها، وقد تميزت فترة رئاسته بالاهتمام بإنشاء المعاهد العلمية لتخريج الدعاة، وتوسعت الجماعة في إنشاء المساجد، وتسيير القوافل الدعوية، وإنشاء مراكز تحفيظ القرآن وإقامة الأسابيع الثقافية بشكل دوري في جميع فروع الجماعة على مستوى القطر المصري، في الوقت الذي لم تهمل الاهتمام بتقديم المساعدات الاجتماعية المختلفة للمحتاجين وكفالة الأيتام، بالإضافة إلى التصدي لمكافحة كافة أشكال التغريب والعلمنة للمجتمع المصري، مع الاهتمام بإبراز قضايا المسلمين والأقليات الإسلامية والتعريف بها من خلال مجلة التوحيد، الذي ترأس تحريرها الشيخ صفوت الشوادفي.

كما شهدت فترة رئاسته تنسيقا وتقاربا مع الهيئات الإسلامية الرسمية مثل الأزهر ووزارة الأوقاف، وقد شاركت الجماعة كعضو مراقب في اجتماعات المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بالقاهرة.

وفي الفترة الأخير بعد وفاة الشيخ صفوت نور الدين تولى الرئاسة الدكتور جمال المراكبي، ثم تنحى عنها بعد بضع سنوات وتولى رئاستها الدكتور عبد الله شاكر إلى وقتنا هذا ٢٠١٠م، وقد انحسر النشاط الدعوي في الفترة الأخيرة بسبب الخلاف على المناصب الإدارية، واختلاف الرؤى والتوجهات الشخصية والفكرية، وانشغال أغلبهم بالقنوات الفضائية، وأصبح دور الجماعة يكاد يكون محصورا في المتابعة

الإدارية لفروعها، وإنجاز المادة المطروحة كل شهر في مجلة التوحيد والتي تحولت هي الأخرى إلى ما يشبه القطاع الفكري الخاص لبعض أعضاء الجماعة وبعض رؤساء فروعها، وتشهد الجماعة حاليا فترة من الركود الدعوي الملحوظ تزول إن شاء الله إن نشط القائمون على لجان الدعوة في المركز العام وتجردوا لله كما كان سلفهم.

وقد قامت الجماعة عبر تاريخها بدور بارز في فضح عقائد غلاة الصوفية التي مازالت صاحبة النفوذ القوي في المجتمع المصري والسوداني مما عرض الجماعة للعديد من المضايقات والاضطهاد، وذلك بالإضافة إلى جهود الجماعة في تحذير المسلمين من عقائد الرافضة والمعتزلة والخوارج والاتجاهات الباطنية والعقلانية والعلمانية بصورها المختلفة.

ومن السلبيات التي أثرت على الجماعة وجود بعض المتأثرين بالمنهج الاعتزالي من غير المتخصصين ودعوتهم إلى تعظيم العقل، وإنكار بعض الأحاديث التي وردت في الصحيحين كأحاديث سحر النبي ﷺ وعذاب القبر وبعض الخوارق والمعجزات الثابتة، وسرى هذا الاتجاه في بعض فروع الصعيد وفرع دمياط وبعض فروع القاهرة، وكان هذا سببا في إعراض الكثيرين من دعاة الصحوة عن التنسيق معهم.

وتتركز جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر بلد النشأة حيث أصبح لها قرابة المائة فرع والألف مسجد، كما تتركز في السودان وإريتريا وليبيريا وتشاد وإثيوبيا وجنوب أفريقيا وبعض الدول الأفريقية، وكذلك بعض الدول الآسيوية مثل تايلاند وسيرلانكا، وفي كل دولة تقريبا يوجد للجماعة مركز تتبعه فروع موزعة على المناطق والأقاليم إلا أن

لكل جماعة قيادة مستقلة في كل دولة، مع أنه يجمعهم جميعا منهج واحد، وإن داخله بعض المتأثرين بالمناهج الأخرى.

ومن ثم فإن إن جماعة أنصار السنة المحمدية أحد الأعمال الجماعية التي تقوم على نصرة العقيدة السلفية والتصدي لغلاة المتصوفة ومحاربة البدع بكافة أشكالها، وبيان التوحيد والحض على إتباع السنة، مما كان لها الأثر الإيجابي في انحسار تيار التصوف في مصر في بيئات محدودة، وكذلك في السودان كان لها تأثير بالغ في قطاع واسع من الشباب رغم تغلل الطوائف الضالة والطرق الصوفية هناك.

- جماعة التبليغ نشأت متأثرة بالعديد من الطرق الصوفية الهندية.

المؤسس الأول لجماعة التبليغ هو محمد إلياس الكاندهلوي، ولد في كاندهلة سنة ١٣٠٣هـ وهي قرية من قرى سهارنفور بالهند، تلقى تعليمه الأوَّلي فيها، ثم انتقل إلى دهلي حيث أتم تعليمه في مدرسة ديوبند التي هي أكبر مدرسة للأحناف في شبه القارة الهندية، ومدرسة ديوبند في الهند أحناف في المذهب الفقهي، أشعرية ماتريدية في العقيدة، جشتية نقشبندية قادرية سهروردية في طريقة التصوف.

تلقى محمد إلياس تعليمه الأولي على يد أخيه الذي يكبره سنا وهو محمد يحيى الذي كان مدرسا في مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور، وكذلك الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ١٩٠٥م وقد بايعه محمد إلياس على الطريقة الصوفية سنة ١٣١٥هـ، وجدد البيعة على الشيخ خليل أحمد السهارنفوري أحد أئمة الديوبندية، واتصل بالشيخ عبد الرحيم الرائي فوري واستفاد من علمه وتربيته، وأخذ محمد إلياس بعض علومه على الشيخ أشرف على التهانوي وهو الملقب لديهم بحكيم الأمة، وأخذ أيضا

عن الشيخ محمود حسن وهو من كبار علماء مدرسة ديوبند ومشايخ جماعة التبليغ.

ومن رفاقه المقربين الشيخ عبد الرحيم شاه الديوبندي التبليغي، قضى مدة كبيرة في أمر التبليغ مع الشيخ محمد إلياس، ومع ابنه الشيخ محمد يوسف من بعده، وكذلك الشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي، زوج أخت محمد إلياس ومعتمده الخاص، قضى مدة طويلة من حياته في قيادة الجماعة ومرافقة الشيخ المؤسس.

تأسست جماعة التبليغ في الهند على يد محمد إلياس الكاندهلوي، وانتشرت في باكستان وبنجلاديش، ثم انتقلت إلى العالم العربي، فصار لها أنصار في سوريا والأردن وفلسطين ولبنان ومصر والسودان والعراق، وللجماعة جهود لا تنكر في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وخاصة في أوربا وأمريكا وأسيا وأفريقيا، ومركزهم الرئيسي في نظام الدين بدهلي، ومنه يديرون شئون الدعوة في العالم.

قرر المؤسس لهذه الجماعة ستة مبادئ جعلها أساس دعوته، ويحصرون الحديث فيها في مؤتمراتهم وبياناتهم العامة، الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإقامة الصلوات ذات الخشوع، والعلم والذكر، وإكرام المسلمين والإخلاص.

تقوم طريقتهم في نشر الدعوة بأن تنتدب مجموعة منهم نفسها لدعوة أهل بلد ما، حيث يأخذ كل واحد منهم فراشا بسيطا، وما يكفيه من الزاد والمصروف على أن يكون التقشف هو السمة الغالبة عليه، وعندما يصلون إلى البلد أو القرية التي يريدون الدعوة فيها ينظمون أنفسهم أولا بحيث يقوم بعضهم بتنظيف المكان الذي سيمكثون فيه، وآخرون

يخرجون متجولين في أنحاء البلدة والأسواق والحوانيت، ذاكرين الله داعين الناس لسماع الخطبة أو البيان كما يسمونه.

إذا حان موعد البيان التقوا جميعا لسماعه، وبعد انتهاء البيان يطالبون الحضور بالخروج في سبيل الله، وبعد صلاة الفجر يقسّمون الناس الحاضرين إلى مجموعات يتولى كل داعية منهم مجموعة، يعلمهم الفاتحة وبعض من قصار السور، وهم حلقات حلقات، ويكررون ذلك عددا من الأيام، وقبل أن تنتهي إقامتهم في هذا المكان يحثون الناس للخروج معهم لتبليغ الدعوة، حيث يتطوع الأشخاص لمرافقتهم يوما، أو ثلاثة أيام، أو أسبوعا، أو شهرا كل بحسب طاقته وإمكاناته ومدى تفرغه.

والعدد الأمثل للخروج عندهم أن يكون يوما في الأسبوع، وثلاثة أيام في الشهر، وأربعين يوما في السنة، وأربعة أشهر في العمر كله، ويرفضون إجابة الدعوة إلى الولائم التي توجه إليهم من أهل البلدة أو الحي؛ حتى لا ينشغلوا بغير أمور الدعوة والذكر، وليكون عملهم خالصا لوجه الله تعالى، ولا يتعرضون إلى إزالة المنكرات معتقدين بأنهم الآن في مرحلة إيجاد المناخ الملائم للحياة الإسلامية، وأن القيام بهذا العمل قد يضع العراقيل في طريقهم وينفّر الناس منهم، ويعتقدون بأنهم إذا أصلحوا الأفراد فردا فردا، فإن المنكر سيزول من المجتمع تلقائيا.

ويعتقدون أن الخروج والتبليغ ودعوة الناس هي أمور لتربية الداعية وصقله عمليا؛ إذ يحس بأنه قدوة وأن عليه أن يلتزم بما يدعو الناس إليه، ويرون بأن التقليد في المذاهب واجب، ويمنعون الاجتهاد معللين ذلك بأن شروط المجتهد الذي يحق له الاجتهاد مفقودة في علماء هذا الزمان، وهم متأثرون بالطرق الصوفية المنتشرة في بلاد الهند، وعليه فإنه تنطبق

عليهم جملة من الأمور التي يتصف بها المتصوفة، فلابد لكل مريد من شيخ يبايعه، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، وكثيرا ما تتم البيعة للشيخ في مكان عام مرددين البيعة بشكل جماعي، ويُفعل ذلك في جمع غفير من النساء كذلك. وكذلك المبالغة في حب شيخ الطريقة والمغالاة في حب رسول الله ﷺ، ويعتقدون أن التصوف هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان في القلوب، وترد على ألسنتهم بالمدح أسماء أعلام المتصوفة من مثل عبد القادر الجيلاني المولود في جيلان عام ٤٧٠هـ، والسهروردي المقتول، وأبو منصور الماتريدي ت٣٣٢هـ.

ولا يتكلمون في السياسة، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض في مشاكلها، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي أن تترك السياسة، ولعل هذه النقطة هي جوهر الخلاف بينهم وبين الجماعة الإسلامية التي ترى ضرورة التصدي لأعداء الإسلام في القارة الهندية.

- رأي علماء الأمة الإسلامية في الخروج مع جماعة التبليغ والدعوة.

عقيدة مؤسسي جماعة التبليغ وكبار علمائها ودعاتها في شبه القارة الهندية هي نفس عقيدة الماتريدية، على أن مذهبهم الفقهي هو المذهب الحنفي، وقد تأثروا بالمتصوفة من مثل الطريقة الجشتية في الهند ويقيمون اعتبارا خاصا لأعلام المتصوفة في التربية والتوجيه، وهناك من يعتقد بأنهم قد أخذوا أفكارهم عن جماعة النور في تركيا.

يعتمدون في اجتماعاتهم في البلاد العربية على القراءة من رياض الصالحين وحياة الصحابة، وفي البلاد الأعجمية على القراءة من تبليغي نصاب، وهو كتاب مليء بالخرافات والأحاديث الضعيفة، ويطالبهم العلماء بالإقلاع عن اللجوء إلى كتابة التمائم المملوءة بالطلاسم وترك

الأوراد والأذكار البدعية، واعتماد الرؤى والأحلام كمصدر من مصادر الاستدلال، ووجوب الاهتمام بالعلم الشرعي وبخاصة علم التوحيد.

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز عن حكم الخروج مع جماعة التبليغ، فقال السائل: خرجتُ مع جماعة التبليغ للهند وباكستان، وكنا نجتمع ونصلي في مساجد يوجد بها قبور، وسمعت أن الصلاة في المسجد الذي يوجد فيه قبر باطلة، فما رأيكم في صلاتي؟ وهل أعيدها؟ وما حكم الخروج معهم لهذه الأماكن؟ فأجاب بأن جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة، فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علمٌ وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنّة والجماعة حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير؛ لأنهم نشيطون في عملهم لكنهم يحتاجون إلى المزيد من العلم وإلى من يبصرهم من علماء التوحيد والسنَّة، رزق الله الجميع الفقه في الدين والثبات عليه، أما الصلاة في المساجد التي فيها القبور فلا تصح والواجب عليك إعادة ما صليت فيها [1].

وقال الشيخ الألباني: (جماعة التبليغ لا تقوم على منهج كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وما كان عليه سلفنا الصالح. وإذا كان الأمر كذلك؛ فلا يجوز الخروج معهم؛ لأنه ينافي منهجنا في تبليغنا لمنهج السلف الصالح، ففي سبيل الدعوة إلى الله يخرج العالم، أما الذين يخرجون معهم فهؤلاء واجبهم أن يلزموا بلادهم، وأن يتدارسوا العلم في مساجدهم، حتى يتخرج منهم علماء يقومون بدورهم في الدعوة إلى الله، وما دام الأمر كذلك فعلى طالب العلم إذا أن يدعوا هؤلاء في عقر دارهم، إلى تعلم الكتاب والسنة ودعوة الناس إليها، وهم أي جماعة

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ٨/٣٣١.

التبليغ لا يعنون بالدعوة إلى الكتاب والسنة كمبدأ عام؛ بل إنهم يعتبرون هذه الدعوة مفرقة، ولذلك فهم أشبه ما يكونون بجماعة الإخوان المسلمين، فهم يقولون: إن دعوتهم قائمة على الكتاب والسنة، ولكون هذا مجرد كلام، فهم لا عقيدة تجمعهم، فهذا ماتريدي، وهذا أشعري، وهذا صوفي، وهذا لا مذهب له. ذلك لأن دعوتهم قائمة على مبدأ: كتّل جمّع ثم ثقّف، والحقيقة أنه لا ثقافة عندهم، فقد مر عليهم أكثر من نصف قرن من الزمان ما نبغ فيهم عالم، وأما نحن فنقول: ثقّف ثمّ جمّع، حتى يكون التجميع على أساس مبدأ لا خلاف فيه، فدعوة جماعة التبليغ صوفية عصرية تدعو إلى الأخلاق، أما إصلاح عقائد المجتمع؛ فهم لا يحركون ساكنا؛ لأن هذا بزعمهم يفرق. وقد جرت بين الأخ سعد الحصين وبين رئيس جماعة التبليغ في الهند أو في باكستان مراسلات، تبيّن منها أنهم يقرون التوسل والاستغاثة، وأشياء كثيرة من هذا القبيل، ويطلبون من أفرادهم أن يبايعوا على أربع طرق، منها الطريقة النقشبندية، فكل تبليغي ينبغي أن يبايع على هذا الأساس.

وقد يسأل سائل أن هذه الجماعة عاد بسبب جهود أفرادها الكثير من الناس إلى الله، بل وربما أسلم على أيديهم أناس من غير المسلمين، أفليس هذا كافيا في جواز الخروج معهم والمشاركة فيما يدعون إليه؟ فنقول: إن هذه الكلمات نعرفها ونسمعها كثيرا ونعرفها من الصوفية، فمثلا يكون هناك شيخ عقيدته فاسدة، ولا يعرف شيئا من السنّة، بل ويأكل أموال الناس بالباطل، ومع ذلك فكثير من الفساق يتوبون على يديه، فكل جماعة تدعو إلى خير لا بد أن يكون لهم تبع، ولكن نحن ننظر إلى الصميم، إلى ماذا يدعون؟ هل يدعون إلى اتباع كتاب الله وحديث

الرسول عليه السلام وعقيدة السلف الصالح، وعدم التعصب للمذاهب، واتباع السنة حيثما كانت ومع من كانت؟ فجماعة التبليغ ليس لهم منهج علمي، وإنما منهجهم حسب المكان الذي يوجدون فيه، فهم يتلونون بكل لون) [1].

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي عن جماعة التبليغ: (الواقع أنهم مبتدعة منحرفون، وأصحاب طرق قادرية وغيرهم، وخروجهم ليس في سبيل الله، ولكنه في سبيل إلياس، هم لا يدعون إلى الكتاب والسنة، ولكن يدعون إلى إلياس شيخهم في بنجلاديش. أما الخروج بقصد الدعوة إلى الله فهو خروج في سبيل الله، وليس هذا هو خروج جماعة التبليغ. وأنا أعرف التبليغ من زمان قديم، وهم المبتدعة في أي مكان كانوا هم في مصر، وإسرائيل، وأمريكا، والسعودية، وكلهم مرتبطون بشيخهم إلياس) [2].

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: (الخروج في سبيل الله ليس هو الخروج الذي يعنونه الآن، الخروج في سبيل الله هو الخروج للغزو، أما ما يسمونه الآن بالخروج، فهذا بدعة لم ترد عن السلف، وخروج الإنسان يدعو إلى الله غير متقيد في أيام معينة بل يدعو إلى الله حسب إمكانيته ومقدرته، بدون أن يتقيد بجماعة أو يتقيد بأربعين يوما أو أقل أو أكثر، وكذلك مما يجب على الداعية أن يكون ذا علم؛ لا يجوز للإنسان أن يدعو إلى الله وهو جاهل. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ

(١) الفتاوى الإماراتية للألباني سؤال ٧٣، ص ٣٨.

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ١/١٧٤.

بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ يوسف:١٠٨. أي على علم؛ لأن الداعية لابد أن يعرف ما يدعو إليه من واجب، ومستحب، ومحرم، ومكروه، ويعرف ما هو الشرك والمعصية، والكفر والفسوق والعصيان، يعرف درجات الإنكار وكيفيته، والخروج الذي يشغل عن طلب العلم أمر باطل؛ لأن طلب العلم فريضة وهو لا يحصل إلا بالتعلم لا يحصل بالإلهام، هذا من خرافات الصوفية الضالة، لأن العمل بدون علم ضلال، والطمع بحصول العلم بدون تعلم وهم خاطئ) (١).

وقال الشيخ سعد الحصين: (أولا: تعلمون أن الدعوة إلى الله عبادة، والعبادة لا تكون إلا وفق شرع الله في كتابه أو سنة رسوله ﷺ، ثانيا: الدعوة على منهج التبليغيين، وقد عايشتها ثمان سنين، ليست موافقة لشرع الله في أسلوبها ولا محتواها، فإن ترتيب الخروج ثلاثة أيام، وأربعين يوما وأربعة أشهر وتحديد موضوع الدعوة بالكلام في الصفات الست، ثم قراءة السور العشر القصار بعد صلاة كل فجر، والتعريف بالجماعة بعد كل صلاة ظهر، والجولة بعد كل صلاة عصر، والبيان في تفصيل الصفات الست، بعد كل صلاة مغرب، والقراءة في حياة الصحابة للكاندهلوي بعد كل صلاة عشاء، وتوزيع الذكر بين جالس للذكر، وقارئ لرياض الصالحين، ودليل، ومتكلم في الجولة، وتحديد الكلمات في الجولة، والإعلان، كل هذا وأمثاله تحديد وإلزام لم يجئ به شرع الله، ولم يعرف عن السلف الصالح هذا في الأسلوب) (٢).

---

(١) المنتقى من فتاوى الفوزان فتوى رقم ١٩١.

(٢) كشف الستار ص٧٧ بتصرف.

- **الجمعية الشرعية في مصر من أكبر المؤسسات الدعوية الفاعلة.**

الجمعية الشرعية أسسها الشيخ محمود خطاب السبكي عام ١٩١٢م تحت اسم الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية، وقد ولد الشيخ السبكي سنة ١٨٥٨م في قرية سبك الأحد من قرى المنوفية بمصر، ولما بلغ الحلم رغب أن يكون مريدا في أحد الطرق الصوفية الخلوتية التابعة للشيخ العارف أحمد بن محمد جبل السبكي الصوفي الخلوتي، فعلمه ورد المريدين في الطريقة الخلوتية ليشتغل بذكر الله كثيرا ويجد في الطاعة، فكان يصوم النهار، ويقوم من الليل، مقبلا على مناجاة ربه حتى لاحت عليه علامات العارفين، فأذن له شيخه أن يرشد المريدين إلى الطريق القويم.

وبعد ذلك التحق بالأزهر فتلقى عن أستاذته بالجامع الأزهر، وكان يلقي في أوقات فراغه دروسا شتى على بعض الطلاب، ويرشد أبناء الريف إذا ما رجع إليهم فكان أزهريا بين الأزهريين، وواعظا مرشدا بين الريفيين، وما رضي المؤلف أيام طلبه العلم أن يتناول جراية من أوقاف الأزهر، ولا أن يدون أسمه بين دفاتره، وما كان شغله الشاغل إلا التفاني في العلم، والتحلي بالعمل.

وكانت الصوفية وأرباب الطرق منتشرون في مصر وهم كثير، تبلغ طرقهم الأصول ثلاثين أو تزيد، وقد كان المؤلف صوفيا خلوتيا قبل أن يخطو إلى الأزهر، واختلط بكثيرين ممن ينتسبون إلى طرق أخرى، فأنكر على صوفية الأرزاق الشطحات والمبالغات والبدع والخرافات.

وقد رأى المؤلف هذه البدع فاشية في الأزهر، وفي مساجد مصر وهو يعلم أن الناس تسير وراء العلماء شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وأن

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حاجة إلى أدلة صحيحة صريحة تزيل الشبهات حتى يظهر الحق ناصعا، وأنه لابد مع هذا من أخذ أقوال العلماء أرباب المذاهب عن تلك البدع والمنكرات التي شاعت وذاعت وحلت محل السنن والمأمورات، حتى التبست على المتعلمين أنفسهم لسكوت فطاحل العلماء عنها، فجاهد المؤلف في ردها وجمع فتاوى أئمة المسلمين من العلماء.

ثم أخذ المؤلف ينشر كتبا ورسائل يبين فيها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ونصوص أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم أن الدين ما كان عليه رسول الله ﷺ، وأصحابه والأئمة المجتهدون، فعمل بها الكثيرون بعد أن ظهر لهم أن البدع التي في الأذان والصلاة والصيام والحج والأفراح والمآتم والأضرحة والملبس والمطعم وغيرها مضادة للدين، أحدثها من لا خلاق لهم، وتعودها الناس حتى اختلط الحابل بالنابل، فحدث بينه وبين الأزهريين منازعات كبيرة نتج عنها تصوره الدعوي لإصلاح الواقع الأزهري لكي يكون بعيدا عن المنحى القبوري المنتشر في مساجدهم وموالدهم ،وكان ذلك بتأسيس الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية، وقد جاهد ما استطاع حتى أصبحت من أقوى الجمعيات الفاعلة في مصر.

وإذا كان الشيخ محمود خطاب السبكي قد جاهد لإظهار الصورة الإسلامية النقية من خلال إنشائه للجمعية الشرعية إلا أنه بقي متأثرا بالطريقة الصوفية الخلوتية في كتاباته، ويعد كتابه أعذب المسالك المحمودية في التصوف دليلا على ذلك، فقد مدح ذكر ابن عربي وجعله ذكر خاصة الخاصة حين قال:

ألا بذكر الله تزداد الذنوب : وتنعكس البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل كل شيء : فشمس الذات ليس لها غروب

هذا بالإضافة إلى بيجوريته وأشعريته التي تلقاها في الأزهر وكتابه الدين الخالص يعد أصلا أصيلا معبرا عن اعتقاد البيجورية المعطلة، بل أصبحت العقيدة البيجورة اعتقادا سائدا بين علماء الجمعية الشرعية حتى الآن، يتبناها رؤسائها ويدافعون عنها، معتقدين أنها عقيدة أهل السنة والجماعة .

وتنتشر فروع الجمعية الشرعية في جميع أنحاء مصر، وتعتبر من أبرز المنظمات العاملة في العمل الخيري، ليس فقط لأنها تمتلك أكثر من ٣٥٠ فرعا في مختلف أنحاء البلاد، بل لامتلاكها بيئة خدمية اجتماعية واقتصادية تغطي أنحاء البلاد، ورئيسها حاليا هو الدكتور محمد المختار محمد المهدي وهو بيجوري من علماء الأزهر.

أما أبرز علمائها فيأتي بعد الشيخ محمود محمد خطاب السبكي نجله الشيخ أمين الذي تولى رئاسة الجمعية بعد رحيل والده، وظل الشيخ أمين رئيسا لها حتى وفاته، وقام بتحقيق مؤلفات والده، ومن مؤلفاته إرشاد الناسك إلى عمل المناسك، وكذلك الشيخ عبد اللطيف مشتهري، وهو من أشهر رؤساء الجمعية بعد مؤسسها، وشهد عهده انطلاقة كبرى للجمعية وأنشطتها في مصر، وكان من العلماء ذوي المكانة.

ثم تولى رئاستها الشيخ الدكتور فؤاد على مخيمر، وهو من علماء الأزهر، وكان من المتجردين لعمل الجمعية، حتى إنه ترك بيته بعد تولي رئاستها، وسكن في مقر الجمعية حتى يباشر مصالح المسلمين، ومن

مؤلفاته السنة والبدعة بين التأصيل والتطبيق، والشباب وقضايا العصر.

إلى جانب أن هذه الجمعية نادت بالدين الإسلامي ككل لا يتجزأ، وإلى إحياء السنة ومحاربة البدعة، فإنها حددت عددا من الأغراض وراء إنشائها، منها نشر التعاليم الدينية الصحيحة والثقافة الإسلامية لإنقاذ المسلمين من المعتقدات الفاسدة، وكذلك فتح الكتاتيب لتحفيظ القرآن، وإنشاء المساجد، والقيام بواجب الرعاية الاجتماعية من خلال إعانة المنكوبين، وإنشاء المستشفيات لمعالجة الفقراء، وتحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي من خلال رؤية إسلامية.

وقد آمن الشيخ السبكي بالعمل الجماعي المنظم البعيد عن السياسة، فدائما ما كان يؤكد أن جمعيته لا تتعرض للأمور السياسية التي يختص بها أولو الأمر، ولعل هذا النهج في العزوف عن العمل السياسي هو ما هيأ لها أسباب الاستمرار، ولم يحفز السلطة على مناهضة أنشطتها، ومع أن هذا منصوص عليه في ميثاق الجمعية، فإن البعض يرى أن الجمعية قد انحرفت عن هذا المبدأ ولو قليلا، إلا أنها لسبب أو لآخر قامت عبر الحاج عيسى عاشور صاحب دار الاعتصام للنشر بإصدار مجلة الاعتصام، واتفق مع الجمعية الشرعية على اعتبار المجلة لسان الجمعية الشرعية، وظلت هذه المجلة تكتب عن السياسة وكأنها إحدى صحف المعارضة؛ مما دفع رئيس مصر السابق أنور السادات إلى وضعها في زمرة الصحف والمجلات التي صادرها.

لكن الجمعية الشرعية أصدرت في السنوات الأخيرة مجلة باسم التبيان وهي تنحو منحى سياسيا أشبه بالاعتصام، لكن الاتجاه الإخواني الذي تميزت به الاعتصام خف قليلا في التبيان، وإن ظل بارزا بها، ويعكس

التوجه السياسي لهاتين المجلتين برغم تعبيرهما عن جمعية تنأى بنفسها عن السياسة حالة عدم الاقتناع بالالتزام الحرفي لقاعدة عدم الاشتغال بالسياسة التي كان محمود خطاب السبكي قد التزم بها منذ تأسيس جماعته، كما يعكس أيضا اختراق جماعة الإخوان المسلمين للجمعية.

والهدف الأساسي المعلن الذي سعت إليه الجمعية عند إنشائها هو الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الالتزام بالسنة ومحاربة البدعة، وعودة الشريعة الإسلامية للحياة العامة.

- وجوب الحذر من العقيدة البيجورية في أصول الجمعية الشرعية.

إذا كانت الجمعية الشرعية قد أسهمت في محاربة البدع في مصر، فإنها من جانب آخر نشرت عقيدة البيجورية المعطلة بين علمائها وأتباعها في مساجدهم ومعاهدهم العلمية، وكانت امتدادا للعقيدة الأشعرية البيجورية التي يتبناها الأزهر في مؤسساته، ويعتبر كتاب الدين الخالص عماد العقيدة في الجمعية الشرعية، وقد نحى فيها الشيخ السبكي منحى المتكلمين في الإلهيات حيث قسم ما يتعلق بالله تعالى تقسيما عقليا كلاميا مخالفا لما عليه السلف الصالح، وجعله واجبا وجائزا ومستحيلا، فالواجب في حقه تعالى ثلاث عشرة صفة وهى الوجود، والقدم، والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية في الذات والصفات والأفعال، والحياة وهى صفة قديمة قائمة بالذات العلية تصحح لموصوفها الاتصاف بالعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر، وصفة الكلام، وليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت، ولا يوصف بجهر ولا سر، ولا تقديم ولا تأخير ولا وقف، ولا سكوت ولا وصل ولا فصل، لأن هذا كله من صفات الحوادث، وهى محالة

عليه تعالى، ودليله أنه تعالى لو كان غير متكلم لكان أبكما، والبكم نقص محال في حقه تعالى .

أما ما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهة فهي مصروفه عن ظاهرها، فالسلف كما يزعمون يفوضون علم معانيها إليه تعالى فيقولون الاستواء لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، مع جزمهم بأنه جل جلاله يستحل عليه الاستقرار على العرش أو اتصاله به أو جلوسه عليه، لأنه تعالى إله قديم موصوف باستوائه على العرش قبل خلق العرش، لأن القرآن الذي منه هذه الآية موجود قبل إيجاد العرش، فكيف يعقل أنه تعالى استقر على عرش غير موجود؟ ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان يحل فيه بل هو غني عنه.

وهم يعتقدون اعتقاد الخلف الذين يقولون الاستواء معناه الاقتدار والتصرف أو نحو ذلك، ويعتقدون أن الخلف لم يخالفوا السلف في الاعتقاد وإنما خالفوهم في تفسير المتشابه للمقتضى الذي حدث في زمانهم دون زمان السلف فاعتقادهم واحد، وهو أن الآيات والأحاديث المتشابهات مصروفه عن ظاهرها الموهم تشبيهه تعالى بشيء من صفات الحوادث، وأنه سبحانه وتعالى مخالف للحوادث، فليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا مستقر على عرش ولا في سماء، ولا يمر عليه زمان، وليس له جهة إلى غير ذلك مما هو من نعوت المخلوقين، فمن اعتقد وصفه تعالى بشيء منها فهو كافر [1].

وقال الشيخ محمود بن محمد بن أحمد خطاب السبكي المصري ما

(١) ملخص من كتاب الدين الخالص مبحث الإلهيات.

نصه: (سألني بعض الراغبين في معرفة عقائد الدين والوقوف على مذهب السلف والخلف في المتشابه من الآيات والأحاديث بما نصه: ما قول السادة العلماء حفظهم الله تعالى فيمن يعتقد أن الله ﷻ له جهة وأنه جالس على العرش في مكان مخصوص، ويقول ذلك هو عقيدة السلف ويحمل الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد، ويقول لهم: من لم يعتقد ذلك يكون كافرا مستدلا بقوله تعالى: الرحمن على العرش استوى. وقوله ﷻ: ألمنتم من في السماء. أهذا الاعتقاد صحيح أم باطل؟ وعلى كونه باطلا أيكفر ذلك القائل باعتقاده المذكور ويبطل كل عمله من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال الدينية وتبين منه زوجه، وإن مات على هذه الحالة قبل أن يتوب لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وهل من صدّقه في ذلك الاعتقاد يكون كافرا مثله؟

فأجبت بعون الله تعالى فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الهادي إلى الصواب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وأصحابه الذين هداهم الله ورزقهم التوفيق والسداد. أما بعد، فالحكم أن هذا الاعتقاد باطل ومعتقِدُه كافر بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين، والدليل العقلي على ذلك قِدَم الله تعالى ومخالفته للحوادث، والنقلي قوله تعالى: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فكل من اعتقد أنه تعالى حلّ في مكان أو اتصل به أو بشيء من الحوادث كالعرش أو الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعا، ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، وتبين منه زوجه، ووجب عليه أن يتوب فورا، وإذا مات على هذا الاعتقاد والعياذ بالله تعالى لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ومثله في

ذلك كله من صدَّقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأما حمله الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد المكفر، وقوله لهم من لم يعتقد ذلك يكون كافرا، فهو كفر وبهتان عظيم) [(١)].

هذه عقيدة الجمعية الشرعية التي سار عليها كل من تولى رئاستها، وقد كان الشيخ الدكتور فؤاد على مخيمر أقرب من غيره إلى عقيدة السلف الصالح فحاول جاهدا أن ينفي وصف البيجورية المعطلة عن الجمعية الشرعية إلا أن الدكتور محمد المختار محمد المهدي الذي خلفه والذي يتولى إمامة الجمعية حاليا بيجوري متعصب أعاد الهيمنة لمذهب البيجورية المعطلة حتى سرى في معاهدهم، وهذا ما يؤخذ على الجمعية الشرعية مما ينبغي على طالب العلم أن يحذر منه إذا درس في معاهدهم أو استمع لدعاتهم، أما سائر فروع الجمعية الشرعية وما يقدم فيها من أعمال خيرية، فما يقدمونه من خدمات للمسلمين، والحق يقال يفوق غيرهم ممن يعملون على الساحة الدعوية، وقد نالوا بسبب ذلك جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام.

- الدعوة السلفية في الإسكندرية وأثرها في انتشار الصحوة الإسلامية.

نشأت الدعوة السلفية بالإسكندرية في سبعينيات القرن الماضي بين عامي ١٩٧٢م، و١٩٧٧م على أيدي مجموعة من الطلبة أبرزهم محمد إسماعيل المقدم، وأحمد فر يد، وسعيد عبد العظيم، ومحمد عبد الفتاح، ثم ياسر برهامي وأحمد حطيبة فيما بعد، التقوا جميعا في كلية الطب بجامعة الإسكندرية، إذ كانوا منتمين تحت شعار الجماعة الإسلامية الذي كان

(١) إتحاف الكائنات ص٣، ص٤.

معروفا في الجامعات المصرية في سبعينيات القرن الماضي بالفترة الذهبية للعمل الطلابي في مصر.

وقد رفضوا جميعا الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين متأثرين بالمنهج السلفي الذي وصل إليهم عن طريق المطالعة الفردية في كتب التراث الإسلامي، ومجالسة بعض شيوخ الدعوة الإصلاحية خلال رحلات الحج والعمرة، ثم تأثرهم بدعوة الشيخ محمد إسماعيل المقدم، الذي كان قد سبقهم إلى المنهج السلفي من خلال سماعه لشيوخ جمعية أنصار السنة المحمدية منذ منتصف الستينيات، وقراءاته الخاصة لكتب ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم.

وبمرور الوقت تكونت النواة الأولى للمدرسة السلفية في الإسكندرية، وبعد انسحاب هؤلاء الطلاب المتأثرين بالمنهج السلفي من الجماعة الإسلامية التي هيمن عليها طلاب الإخوان فرضوا منهجهم، حيث شرع الشيخ محمد إسماعيل في تأسيس النواة الأولى للسلفيين من خلال درس عام كان يلقيه كل يوم خميس في مسجد عمر بن الخطاب بالإبراهيمية، وكان هذا الدرس بمثابة الملتقى الأسبوعي لهذه المجموعة الصغيرة إلى جانب حلقة أخرى بمسجد عباد الرحمن في بولكلي صباح الجمعة، ولم يكن مع الشيخ المقدم أحد في هذه الفترة غير أحمد فريد، الذي يحكي في مذكراته عن هذه الفترة قائلا:

(كان الحضور في هذه الحلقة لا يتجاوز عشرة أفراد، ولم يكن معنا أحد من قادة الدعوة السلفية الآن، وكان الشيخ محمد يحفظنا متن العقيدة الطحاوية، وكذا تحفة الأطفال، وكلفني بتدريس كتاب مدارج

السالكين) [١].

لم يكن الدعاة السلفيون في أول أمرهم بعيدين عن حركة الإخوان المسلمين فكريا ولا تنظيما، إذ نشأ بعضهم في بيوت إخوانية، بينما عمل البعض الآخر بين صفوف الحركة في أول حياته، لكنهم جميعا اتفقوا على رفض الانضمام إلى الجماعة، وقد تزعم هذا الرفض الشيخ محمد إسماعيل المقدم الذي أصر على الاستمرار في دعوته التي كان قد بدأها قبل ذلك، كما أستند السلفيون وقتها إلى أن مرشد الإخوان عمر التلمساني الذي جمع صفوف الحركة بعد رحيل المستشار حسن الهضيبي كان مجهولا وغير معلن عنه في ذلك الوقت، وقد رفض السلفيون إعطاء البيعة لشخص مجهول.

وإزاء هذا الموقف احتج السلفيون بأنهم كانوا قد دعوا التلمساني لإلقاء محاضرة في إطار النشاط الطلابي بمدرج كلية الطب بالجامعة إلا أن بعض قيادات الإخوان أنكروا عليهم دعوته باعتباره لا يمثل الإخوان المسلمين، بينما أعلن عليهم لاحقا أنه المرشد العام للجماعة.

وقد وقعت صدامات بين الطلاب السلفيين والإخوان المسلمين داخل جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٠م، وكان طلاب الإخوان ما زالوا يعملون باسم الجماعة الإسلامية.

يقول د. ياسر برهامي: (كنا نوزع أوراقا ونعمل محاضرات في ساحة الكلية ونسميها ندوة، ونتكلم فيها عن قضية التوحيد وقضايا

(١) في مذكراته عن نشأة مدرسة الدعوة السلفية في الإسكندرية، الحلقة الثانية، نشرها موقع الإسلاميون نت.

الإيمان) [١].

خطط الإخوان لمنع هذا اللقاء، ومنع خروج الطلاب للمشاركة فيه، فحصل الصدام الذي لم يكن السلفيون على استعداد له بينما كان الإخوان بعد خروجهم من معتقلات الحقبة الناصرية مرتبين أمورهم، حتى ظهر ارتباك شديد لدى السلفيين، التقوا على أثره واتفقوا على العمل بطريقة مرتبة، فجرى ما يشبه الاتحاد من أجل الدعوة بين هؤلاء الطلاب الذين يعرفون الآن بشيوخ الدعوة السلفية ورموزها، وتم الاتفاق بينهم على أن يتولى محمد عبد الفتاح أبو إدريس قيم المدرسة السلفية، ومسئولها الأول.

ويؤكد السلفيون على الأثر الكبير الذي كان لجماعة أنصار السنة المحمدية في نشأة دعوتهم تاريخيا، خاصة وقد كانت أنصار السنة على منهج أهل السنة والجماعة الذي تميزت بنشره على يد شيوخها محمد حامد الفقي، وعبد الرزاق عفيفي، وعبد الرحمن الوكيل، ومحمد على عبد الرحيم، الذي كان للسلفيين في بدايات دعوتهم معه بعض اللقاءات والمجالسات، لكن لماذا اختار السلفيون العمل خارج هذه الجماعة التي كانت قائمة بالفعل وعلى منهج يلتزم الكتاب والسنة؟ وقد عملوا ضمن إطارها في كثير من البلاد حتى حالت الظروف دون ذلك؟

يذهب د. ياسر برهامي إلى أن مسألة عمل السلفيين ضمن أنصار السنة كانت تتوقف على شخصيات القائمين على الجماعة في المناطق

---

(١) الحلقة الثالثة من شهادته عن نشأة الدعوة السلفية في الإسكندرية، الحلقة الثانية، نشرها موقع الإسلاميون نت.

المختلفة، ففي الإسكندرية كان هناك طائفة لا تستوعب الشباب ولا طاقاتهم على حد قوله، بل تكاد تحصر نفسها في قضايا بعينها تتشدد جدا فيها وتهمل غيرها، رغم أن الحق غالبا ما يكون في خلافها، مثل قضية الاقتصار على الصحيحين في الاستدلال، ومثل قضية إخراج القيمة في زكاة الفطر، ومثل قضية إنكار المهدي، ولقد كان الوضع في الإسكندرية لا يحتمل أي تطوير للعمل من خلال الأوضاع القائمة آنذاك، في حين كان التعاون التام للسلفيين في وجود الشيخ صفوت نور الدين قبل أن يتولى رئاسة الجماعة، الذي كان يحضر لقاءات السلفيين في المحافظات المختلفة.

ورغم أن الظروف التي حالت دون بقاء السلفيين ضمن إطار أنصار السنة وصفها د.ياسر برهامي بأنها خارجة عنا إلا أن المتأمل في منهج الجماعتين ووسائل دعوتهما ومساحة الحركة يمكن أن يخرج بعدد من الأسباب، أهمها ضيق المساحة المتاحة للعمل أمام السلفيين ضمن أنصار السنة، وهي الجمعية المعترف بها قانونا، وتشرف عليها رسميا وزارة الشؤون الاجتماعية، وتتلقى مساعدات من الدولة، فضلا عن المسائل الخلافية التي ذكرها برهامي، إلى جانب رغبة السلفيين في مساحة أكبر للعمل والحركة دون قيود.

وبينما كان السلفيون يضعون اللبنات الأولى لدعوتهم ظهرت جماعة التكفير والهجرة على يد شكري مصطفى، الذي استطاع بأسلوبه وذكائه أن يضم إليه عددا كبيرا من الشباب الذين نفذوا فيما بعد حادثة قتل وزير الأوقاف الأسبق الشيخ الذهبي، حيث وقعت الحادثة بينما كان السلفيون بأحد معسكراتهم الإسلامية في إستاد جامعة الإسكندرية صيف

عام ١٩٧٧، وكانت لها أصداء داخل المجتمع المصري، ولذلك وصفها أحمد فريد بأنها كانت فتنة بالفعل، حرص السلفيون على نفيها عن أنفسهم والتأكيد على عدم تبنيهم لهذا الفكر، حسبما حكى أحمد فريد في مذكراته قائلا: (خرجنا إلى المواصلات العامة ونحن نرتدي فانلة مكتوبا عليها الجماعة الإسلامية، ندعو الله ﷻ، ونتبرأ من جماعة التكفير وقتل الذهبي؛ حتى لا تستغل الفرصة لضرب الصحوة، ثم شرع محمد إسماعيل المقدم يدرس لهم ولمن حضر من الطلاب في المعسكر رسالة شرعية في الرد على جماعة التكفير) [١].

ولعل هذه الحادثة على ما فيها من توصيف لموقف السلفيين من التكفير تضفي مزيدا من الضوء على النشاط الدعوي والحركي والطلابي الذي كان متاحا لهم في هذه الفترة داخل الجامعات، وهي الوسيلة التي أتاحت لهم فرصة التواجد وسط الشباب، من خلال العمل ضمن إطار الجماعة الإسلامية حتى صار للسلفيين وجودا واضحا ينافس وجود الجماعات الأخرى العاملة قبلهم.

كان نشاطا مكثفا تمثل في إقامة المعسكرات السنوية حيث جرى تنظيم أكثر من معسكر بمبنى اتحاد الجامعة وأمام كلية الهندسة، إلى جانب الخروج لرحلات العمرة التي يتفق عليها اتحاد الجامعة من خلال اشتراكات الطلاب وكذلك عمل الأيام الإسلامية واعتكافات رمضان، وطبع الكتيبات والمطويات الإسلامية، كل ذلك باسم الجماعة الإسلامية واتحاد الطلاب، كما كان من نشاط الدعوة المتاح في هذه الفترة التي لم

---

(١) في مذكراته عن نشأة مدرسة الدعوة السلفية في الإسكندرية، الحلقة الثانية، نشرها موقع الإسلاميون نت.

يكن بها حرس جامعي يضيق على الطلاب أنشطتهم قوافل الدعوة التي تسير على طريقة جماعة التبليغ داخل الجامعة، ففي هذه الفترة أراد الرئيس السادات أن يضرب الاتجاه الشيوعي داخل الجامعة بمنح الجماعة الإسلامية حرية الحركة، فخفف من قبضة القيود تدريجيا وبالفعل حتى انتقل الكثيرون إلى صفوف الجماعة الإسلامية. وقد جرى تنظيم عدد من المعسكرات الصيفية كلها كانت ذات منهج سلفي، حيث كان يوزع فيها كتاب الأصول العلمية للدعوة السلفية، وكان يدرس فيها كتاب تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران [١].

- **الدعاة السلفيون في الإسكندرية ينشئون معهد الفرقان لإعداد الدعاة.**

وخلال مرحلة الانتشار والتوسع منتصف الثمانينات، أسست الدعوة السلفية معهد الفرقان لإعداد الدعاة في الإسكندرية عام ١٩٨٦م، كأول مدرسة إسلامية ذات منهجية سلفية لتخريج الدعاة، وشرع الدعاة السلفيون يشرفون عليه، ويضعون مناهج التدريس لطلابه، وقد لاقى هذا المعهد سمعة طيبة حتى ذاع صيته بين الراغبين في طلب العلم الشرعي بكافة فروعه في الفقه، والتجويد والحديث والأصول والتوحيد والقرآن حتى من بين خريجي الأزهر، وفي فترة وجيزة تخرج من المعهد عدد من الدعاة الذين حملوا مشعل الدعوة السلفية في مصر، وانتشروا في عدد من المحافظات والأقاليم حتى صارت المدرسة السلفية تصدر دعاتها إلى كل أقاليم القطر المصري وخارجه.

وهم الذين هيئوا لها فيما بعد الانتشار السلفي الذي بات ملحوظا،

---

(١) في مقاله السلفيون والعقيدة الصافيةالمنشور على موقع صوت السلف علي عبد العال، في ١٩ يونيو ٢٠١٠.

على الرغم من أنهم اختاروا منهجا دراسيا متعمقا يفوق عمقه المناهج التي تدرس في المعاهد الدينية الرسمية وغير الرسمية بكثير.

كما أصدرت الدعوة السلفية في هذه المرحلة مجلة صوت الدعوة وهي مطبوعة إسلامية شهرية، ظلت تصدر دون انتظام إلى حين تم إيقافها نهائيا سنة ١٩٩٤م، وكانت تهتم بكل ما يتعلق بالمنهج السلفي من خلال مقالات شرعية مطولة يكتبها الدعاة السلفيون.

ولم يتوقف النشاط السلفي في الإسكندرية على الجوانب التعليمية والدعوية فحسب، بل تعداه إلى جوانب اجتماعية وإغاثية ككفالة الأيتام والأرامل، وعلاج المرضى، وغير ذلك من النشاطات جرى العمل فيها من خلال لجنة الزكاة التي كان لها فروع في كل منطقة وحي من مناطق وأحياء الإسكندرية.

وقد استلزم هذا الانتشار السعي إلى ترتيب العمل داخل الإسكندرية أو خارجها، لاسيما مع ازدياد أعداد المنتسبين إلى السلفية والمتأثرين بمنهجها، لذلك أنشأ السلفيون المجلس التنفيذي للدعوة السلفية من أجل ترتيب العمل في المناطق بطريقة مركزية منظمة، وكان يشرف عليه سعيد عبد العظيم حتى غدا العمل السلفي ذو آلية ونظام صارم.

ولما كانت الدعوة جزءا من واقع مليء بالحسابات المعقدة على حد تعبير ياسر برهامي، فقد استفز توسع السلفيين الأجهزة الأمنية التي شرعت في التضييق عليهم، ومحاولة تفكيك الروابط التنظيمية لهذا التجمع الذي جذب في فترة محدودة عشرات الآلاف من الشباب المتدينين، وبلغ هذا التضييق ذروته في القضية التي تم فيها توقيف قيم

الدعوة السلفية الشيخ محمد عبد الفتاح أبو إدريس، والشيخ سعيد عبد العظيم عام ١٩٩٤م، وهي القضية التي تم فيها وقف مجلة صوت الدعوة، وإغلاق معهد إعداد الدعاة الذي جرى تسليمه لوزارة الأوقافل لتشرف عليه، إلا أن العمل فيه توقف تماما، كما جرى حل المجلس التنفيذي، ولم يبق للسلفيين من مجالات عمل سوى الجامعة وبين الطلائع، وهو ما لم يتم الاعتراض عليه من قبل الأجهزة الأمنية في هذه الفترة وظل مستمرا حتى عام ٢٠٠٢م.

يدعو السلفيون في الأسكندرية إلى العودة لأخذ الإسلام من أصليه الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان والأئمة أصحاب المذاهب، وتهتم دعوتهم كثيرا بمسائل التوحيد وتصحيح العقيدة، فالتوحيد هو الذي بعث الله به الرسل والأنبياء، ولا ينبغي أن يقدم على التوحيد من واجبات الدين شيئا.

وتولي سلفية الأسكندرية اهتماما كبيرا بالنهي عن البدع والخرافات كزيارة الأضرحة والتوسل بالأولياء والتبرك بهم والغلو في الصالحين وصرف العبادات إليهم، إلى جانب الاجتهادات والتصورات الغيبية التي يأتي بها المشعوذون والدجالون، فالسلفية هي الامتداد الطبيعي للإسلام الخالي من البدع، والشبهات والشهوات، وهي منهج حياة متكامل، وصياغة للحياة كما لو كان السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم من أهل القرون الخيرية يعيشون في زماننا.

ويدعو السلفيون كل من التزم بهذا المنهج إلى الاجتهاد في طلب العلم الشرعي حتى يتسنى للمسلم معرفة الأوامر الشرعية والنواهي في الفروض والسنن والواجبات، فالعلم يحفظ الشريعة من تحريف المبطلين

وتأويل الجاهلين.

يقول د. ياسر برهامي: نشأنا في ظروف يحارب فيها الدين جملة، وتنتشر الاشتراكية والقومية العربية، مع الهزائم المتلاحقة والنكسات والنكبات على الأمة التي من أعظمها سقوط القدس في يد اليهود، ودخولهم المسجد الأقصى، فكان رد الفعل الدفاعي لكل من يحب الإسلام العودة إلى هذا الدين بمصادره الصافية [1].

- **الانغلاق وعدم التأصيل العلمي من سلبيات سلفية الاسكندرية.**

على الرغم مما أحدثته الدعوة السلفية في الاسكندرية من صدى واسع في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية إلا أن الانغلاق على الذات وعدم التأصيل العلمي كان من أبرز سلبياتها، ولعل ذلك راجع إلى أن أغلب دعاتها دخلوا باب الدعوة السلفية بمحبة عاطفية كرد فعل لطمس الهوية الإسلامية في الأنشطة الجامعية الطلابية وقت انتشار الاشتراكية في مصر، ومن ثم استقوا علومهم بأنفسهم من كتب التراث مباشرة، دون إعداد علمي أو توجيه سلفي منهجي تأصيلي مسبق، فأغلبهم كما تقدم دخلوا مجال الدعوة وهم طلاب في كليات الطب والهندسة في جامعة الإسكندرية، معتمدين على مجرد قراءاتهم وفهمهم الخاص لكلام السلف، أو من كان على نهجهم، لاسيما تراث ابن تيمية وابن القيم، فلم يتأهلوا علميا قبل أن يباشروا دعوتهم، وتقيدوا حرفيا بكل نص يقرؤونه أو ينقلونه، فهو عندهم ذو قدسية خاصة طالما ورد في كتب التراث، لا يفرقون بين العصمة في فهم السلف المبنية على تصديق الخبر

(١) المشاركة السياسية وموازين القوى د. ياسر برهامي.

وتنفيذ الطلب، وعدم العصمة في أقوالهم وكلامهم إن خالفوا الدليل.

ويكفي في ذلك أن يقوم الشيخ أحمد فريد وهو في بداية أمره بتدريس كتاب مدارج السالكين بتكليف من الشيخ المقدم كما تقدم، ومعلوم أن الشيخ الهروي الصوفي ذكر في منازل السائرين من مصطلحات الصوفية في الفناء عن شهود السوى وعقيدة الاتحادية ما يعجز عن فهمه أساتذة الجامعات، فلا شك أن التصدي لشرحه قبل التأصيل العلمي سيوقع في مخالفات ربما لا يتنبه لها، وسيضفي الشارح على شرحه استنباطه الشخصي وهو غير مأمون العواقب.

وقس على ذلك ما جمعه د. ياسر البرهامي في كتابه منة الرحمن، الذي نقده كثيرون، وهم على حق في كثير من الوجوه التي انتقدوه فيها، فأغلب ما ورد فيه من فقرات منقولة عن الكتب التراثية إذا أعيدت إلى مواضعها في عملية عكسية، يستطيع الباحث فهمها دون إشكال، لكنها أحدثت لبسا حين قام د. ياسر البرهامي بتشكيل هذه النقولات حسب فهمه الخاص والمستقل النشأة والتصور، ونسبها جميعها إلى عقيدة أهل السنة والجماعة.

وهذا عند التحقيق هو السبب في اختلاف الرؤى وتضاربها حول دعاة المدرسة السلفية، فهم دعاة مخلصون محبون للمنهج السلفي، ولهم جهد مشكور ومأجور لا ينازع فيه إلا الجاحدون، غير أن شهرتهم في الآفاق اعتبرها شباب الصحوة شهادة علمية لمتخصصين باحثين في مختلف العلوم الشرعية، بل وصل الأمر بهم إلى أنه لا يجوز لأحد عندهم التعقيب على آرائهم، ولا بد من الرجوع إليهم أولا وآخرا، حتى لو كان الدليل عند غيرهم ظاهرا، وهذا هو الخطأ الذي يجعل الصحوة

الإسلامية في خطر عظيم، شأنهم في ذلك شأن إخواننا المخلصين من الدعاة السلفيين الذين نالوا شهرة واسعة لدى العامة والخاصة بسبب انتشار أشرطتهم كالأخ الشيخ محمد حسان والشيخ محمد يعقوب وغيرهما من الدعاة البارزين، الذين دخلوا باب الدعوة مما يماثل الباب السلفي الإسكندراني.

ولذلك ربما تجد الشيخ يفتي في المسألة بفتوى ما، ثم يناقض فتواه لغفلته عن لوازم فتواه الأولى وأدلتها، أو قيامه بمجرد النقل عن الآخرين وتصديق أقوالهم دون دراسة منه أو تحقيق، وهذا ملاحظ في منهج د. ياسر البرهامي بوضوح، فتجده في قضايا الإيمان يميل إلى رأى الخوارج في تكفير الحكام من جهة، وفي المقابل يميل إلى رأي مرجئة الفقهاء وإخراج العمل من الإيمان من جهة أخرى، ويأخذ من جهة برأي المعتزلة والكرامية في أن العقل يمكنه أن يحدد ما يليق بالله من الكمال في اشتقاق الأسماء من الصفات والأفعال، وفي المقابل يقول إن الأسماء الحسنى توقيفية على كلام السلف الصالح، ولا يجوز أن نشتق إلا ما اشتقه علماء السلف، وغفل عن لازم قوله، وهو ادعاء العصمة لعلماء السلف كادعاء الشيعة العصمة لأئمتهم.

وهذا ليس عن تعمد منه في العبث بمنهج السلف وتشويه عقيدتهم فهو بعيد عن ذلك، ولا يدخل أيضا تحت قول الشيخ الألباني فيمن تذبب قبل أن يتحصرم: إنه يكيل بمكيالين، ويلعب على الحبلين، فالدكتور ياسر البرهامي كما نحسبه حسن النية صادق العزيمة في الأعمال الدعوية، وإنما كان ذلك لأنه يفتقر إلى التأصيل العلمي في البدء عند النشأة، شأنه في ذلك شأن كثير من المشاهير على الساحة

الإعلامية، كما أن وضعهم الحالي وانشغالهم المتوالي وانتشارهم الإعلامي يمنعهم من الدراسة كطلاب للعلم إذا ما طولبوا بإعادة تأهيلهم لدراسة منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة السلفية في مثل هذه الدورات العلمية المنهجية.

وفي ختام هذا الطرح حول العمل الجماعي والدعوى أقول: صحيح أن كلمة الحق قد تكون موجعة عند تطهير الجراح الغائرة في جسد الأمة، لكن لا مناص من قولها، ولا مفر من علاجها حتى تندمل الجراح وتجتمع الأمة على كلمة سواء، فنحن بشر خطاءون، ولا أحد معصوم إلا محمد ﷺ فيما بلغ عن ربه، ولا ندعي أن رؤيتنا هي الحق وكل من على الساحة ضل ضلالا بعيدا، أو أن رؤيتنا للجماعات الإسلامية الفاعلة رؤية معصومة متطابقة مع واقعهم كل التطابق، فربما خفيت علينا بعض الوجوه من تجاربهم وأحوالهم لا نعلمها، ونحن نحسن الظن بهم، وأشهد الله أني أحبهم في الله بقدر ما فيهم من الموافقة، بل قد ترددت كثيرا في الحديث عن هذه القضية أو السكوت عنها، وأعلم أنني لن أسلم من تعقيب أحد ممن نحبهم في الله لم يأت الكلام وفق هواه، لكن إهمال الجراح يزيد اتساعها، والتغاضي عن النقد البناء يمنع الأمة اجتماعها، كما أن طلابنا الدارسين للدورات العلمية يفتقرون إلى رؤية واضحة في الجماعات الإسلامية الفاعلة، وهذا حق لهم واجب علينا بيانه.

قال الشيخ الفوزان: والأشخاص الذين ينتسبون إلى الدعوة يجب أن ينظر فيهم: أين درسوا؟ ومن أين أخذوا العلم؟ وأين نشئوا؟ وما هي عقديتهم؟ وتنظر أعمالهم وآثارهم في الناس، وماذا أنتجوا من الخير؟ وماذا ترتب على أعمالهم من الإصلاح؟ يجب أن تدرس أحوالهم قبل أن

يغتر بأقوالهم ومظاهرهم، هذا أمر لابد منه خصوصا في هذا الزمان الذي كثر فيه دعاة الفتنة، وقد وصف النبي ﷺ دعاة الفتنة بأنهم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، سماهم دعاة، فعلينا أن ننتبه لهذا ولا نحشد في الدعوة كل من هب ودب وكل من قال: أنا أدعو إلى الله، وهذه جماعة تدعو إلى الله، لابد من النظر في واقع الأمر، ولابد من النظر في واقع الأفراد والجماعات، فإن الله سبحانه وتعالى قيد الدعوة إلى الله بالدعوة إلى سبيل الله على بصيرة [1].

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف:١٠٨.

- **الأسباب الداعية إلى الطائفية البغيضة والحائلة دون اجتماع الكلمة.**

هناك جملة من الأمراض كانت أسبابا لهذه الطائفية، فبسببها اتسعت الهوة بين الطوائف المختلفة، بل كانت كذلك حائلا دون اقترابها من بعضها، فضلا عن اجتماعها ومن أهمها:

١- قلة أو ضعف العلم الشرعي أصولا وفروعا لدى معظم هذه الطوائف على مستوى القيادات ولدى كل الجماعات على مستوى القواعد والأفراد، روى البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) [2].

(١) الإجابات المهمة ص٣٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ١/٥٠ (١٠٠).

وقال النووي: (هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم.. ليس هو محوه من صدور حفاظه ولكن معناه أنه يموت حملته ويتخذ الناس جُهالا يحكمُون بجهالاتهم فيَضِلون ويُضِلون) [(١)].

٢- تقديم العقل على النقل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ الحجرات:١. قال السعدي رحمه الله: (هذا متضمن للأدب مع الله تعالى ومع رسول الله ﷺ، والتعظيم والاحترام له وإكرامه، فأمر الله عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله ورسوله من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله ﷺ في جميع أمورهم، وأن لا يتقدَّموا بين يدي الله ورسوله، فلا يقولوا حتى يقول، ولا يأمروا حتى يأمر، فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته تفوته السعادة الأبدية والنعيم السرمدي، وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول ﷺ على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ وجب اتباعها وتقديمها على غيرها كائنا من كان) [(٢)].

هذا هو أدب المؤمنين ودأبهم مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ألا يقدِّموا عليهما رأيا ولا عقلا ولا هوى ولا وجدا ولا مكاشفة ولا مناما ولا غير ذلك، أما عامة أهل الضلال من المبتدعة ومن شاكلهم فدأبهم تقديم عقولهم وغيرها على الكتاب والسنة.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٨٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٨٨٨.

قال الشاطبي: (عامة المبتدعة قائلة بالتحسين والتقبيح؛ فهو عمدتهم الأُولى، وقاعدتهم التي يبنون عليها الشرع، فهو المقدَّم في نحلهم بحيث لا يتهمون العقل، وقد يتهمون الأدلة إذا لم توافقهم في الظاهر؛ حتى يردوا كثيرا من الأدلة الشرعية بسببه، ولا يرد قضية من قضايا العقل بسبب معارضة الدليل الشرعي) [1].

ولما كان لكل واحد من قادة هذه الطوائف عقلٌ يفهم به الشرع من غير ضابط منهجي، تعددت الآراء ومن ثم تعددت الطوائف.

٣- اتباع الهوى، واتباع الهوى هو اتباع شهوات النفس ورغباتها وإن كان فيه هلاكها، ولك أن تتخيل ما للهوى من سلطان وتأثير على قلب من اتبعه حتى جعله الله ﷻ إلها يُعبد من دونه، تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الجاثية:٢٣. فكل مُتَّبع لهواه يسخِّر ما يحيط به لإشباع ما يهوى ويتمنى، فإن كان ممن ينتسبون للدين واستحكم به هواه، فإنه يحاول جاهدا أن يطوِّع النصوص المعصومة وفق هواه؛ لا أن يطوع هواه للشرع المعصوم، وقد ذكر الشاطبي أنك لا تجد مبتدعا ممن يُنسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي، فيُنزله على ما وافق عقله وشهوته [2].

٤- اتباع المتشابه، وهو التأويل بغير دليل فيعمدون إلى الآيات والأحاديث، فيستدلون بها على ما وافق هواهم، وما ارتضته نفوسهم

---

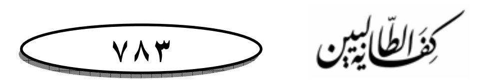
(١) الاعتصام ص١٠٩.

(٢) الاعتصام ص١٠٢بتصرف.

وحقق رغباتهم وإن كان خلاف الحق ولا يُرضى الله ﷻ مادام فيه مصلحتهم وعلو كلمتهم على من خالفهم.

٥- ادعاء العصمة لمنهج الطائفة، ومعظم الطوائف تدَّعى أنها على الصواب المطلق الذي لا صواب بعده، وغيرها على الضلال المطبق الذي لا صواب فيه، وأن منهاجها هو المنهج القويم رغم مخالفته لمنهج أهل السنة والجماعة في جملة من الأمور قد تقل أو تكثر، وهو الصراط المستقيم، وأن ما عداها من الطوائف في انحراف وزيغ وضلال مبين، وعليه فمن دخل في طائفتهم فهو منهم، ومن لم يدخل في طائفتهم فهو عدو لهم، لأنهم الكيان الذي يجب على كل الكيانات الأخرى أن تذوب فيه، وهم الأصل الذي يجب على كل الفروع أن تتشبث به، فهم الخضم وعلى كل القنوات أن تصب فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أصحاب المقالات المختلفة إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه وأنه على السنة؛ فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نُسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا؛ وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم، وإن كان جاهلا سيئ القصد ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله، وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم؛ ويقولون: هذا صديقنا وهذا عدونا، لا ينظرون إلى موالاة الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله، ومن هنا تنشأ



الفتن بين الناس)[١].

٦ - احتكار الحق، الأصل في التعامل مع المخالف قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ سبأ: ٢٤. ومعنى ذلك أنه إذا اختلف فردان أو فريقان، فعلى كل فرد أو فريق منهم إن كان منصفا أن يقول للآخر: أحدنا على الحق والآخر على الباطل، فمن استبان له أن الحق مع غيره وجب عليه أن يدع الباطل الذي معه إلى الحق الذي مع غيره، لأن الحق إنما هو واحد لا يتعدد.

٧- معاملة المخالف بالتَّقِيَّة ورميه بها، والتقية هي إخفاء الفرد أو الطائفة لما يعتقده سواء كان حقا أم باطلا مصانعة للمخالف، وإظهار الاتفاق والمصالحة تحرزا من اللوم أو التلف، وهذا مسلك معظم الطوائف العاملة على الساحة، فكل طائفة تُصانع غيرها، وتُظهر اتفاقها معها رغم البون الشاسع والاختلاف المستحكم بينها في الأصول والفروع، وتكون هذه المصانعة على ثلاثة أضرب:

أولها: مصانعة أهل السطوة والنفوذ والبطش أنى كان موقعهم بغير عذر شرعي في أمور قد فرغ من بيان مخالفتها للحق، فيتحول أصحاب الدعوات إلى أبواق في أيدي أصحاب القرار يصلون من خلالهم إلى ما يريدون من مخالفات شرعية يظهرونها شرعية تلبيسا على العوام.

وثانيها: مصانعة العوام تحت ستار التيسير خشية الصدام معهم، وحفاظا على ما نالوه باسم الدين، واكتساب تأييد أكبر عدد منهم متناسين أن التيسير مضبوط بضوابط شرعية لا محيد عنها؛ يعتمدون في

---

(١) منهاج السنة ٥/ ٢٥٥.

ذلك على ظاهر أقوال صحيحة لبعض أهل العلم دون الوقوف على حقيقتها؛ أو زلات لبعضهم، ومن ذلك اعتمادهم على قولهم: تختلف الفتوى باختلاف الزمان والمكان، والفقه رخصة من عالم، واختلاف أمتي رحمة، وما أشبه ذلك.

وثالثها: تكون المصانعة والملاطفة الظاهرة في غايتها مع الطائفة المنصورة، مع امتلاء قلوبهم في الباطن عليهم حنقا وحقدا وغيظا، وذلك لما معهم من العلم والحق الذي يميزون به ما مع طوائف الانحراف من فساد، وكفى بهذا المسلك شرا أنه يغرس في المنتمين إلى هذه الطوائف بذرة النفاق، ثم يتعاهدها بالرعاية من خلال ممارسة هذا الداء مع جل المخالفين لطائفته، ثم ما يلبس أن يتعامل الفرد بالتقية مع أفراد طائفته والمحيطين به، حتى يصير النفاق طبعا في جملة المنتمين إلى العمل الإسلامي، لأن التربية العملية أثبت في النفس من التربية النظرية. وهل ستتفق تلك الطوائف وكل طائفة تعتقد أن ما عندها الحق، وأن ما عند غيرها باطل، ثم تُصانع غيرها من الطوائف وتداهنها ظاهرا فيما ظهر الاختلاف فيه، وتنقم عليها باطنا وتتربص بها الدوائر، وتكيد لها في الخفاء؟

- السرية في الدعوة بغير عذر شرعي من الأسباب الداعية إلى الطائفية.

٨- انتهاج السرية في الدعوة بغير عذر شرعي، فالأصل في الدعوة العلن، ولكن إن حالت ظروف وأعذار شرعية بين الداعية والإعلان بالدعوة إلى الله ﷻ لجأ إلى السرية في الدعوة حتى تنقشع تلك الغيوم، ثم يعود للأصل من الجهر بالدعوة مرة ثانية، فالأصل في الدعوة الجهر والاستثناء هو السر، أما أن يكون الأصل في الدعوة هو السرية بغير عذر

شرعي، فهذا المسلك إنما تسلكه كل طائفة منحرفة عن الصراط المستقيم إن كانت ضعيفة أو مستضعفة، وذلك لتحافظ على خصوصياتها التي لو اطلع عليها من ليس منهم تسرَّب الخطر لهذه الطائفة، ويكون الخطر بحجم ما عُرف من مخالفاتهم لمنهج أهل السنة والجماعة، فهو يتناسب طردا مع حجم مخالفاتهم وكنهها، ولذلك كان السلف يعدُّون السِرِّية في الدين من غير داعٍ شرعي من علامات الضلال والفرقة، وأن أهلها على تأسيس ضلالة، فقد ورد عن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال: إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة [(١)].

وكل طائفة تسلك هذا المسلك فهي من طوائف الضلال، ومن دعاة الفرقة والتحزب، ولو كانت دعوتها حقا وإلى الحق، فلماذا تُسِّر في بلاغها طالما أنه لا يوجد مانع شرعي من العلانية؟ ولذلك فالدعوة العلنية لها الفضل دائما، والدعوة السرية متهمة بالرذائل غالبا.

٩- تقديس الشيخ، وهو من أمراض المقلدة والأتباع في جل الطوائف، فالمقلدون من كل طائفة يعتقدون أن شيخهم هو أوحد زمانه، ثم يحيطونه بهالة من التقديس والمهابة والتعظيم ما يرفعه فوق درجة الأنبياء، شعارهم معه: كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي مغسِّله، فكل ما جاءهم من طريق شيخهم مقبول، وعلى العين والرأس؛ وإن كان خطأ، وكل ما جاءهم من غيره فهو مردود غير موثوق فيه؛ وإن كان صوابا.

---

(١) شرح أصول الاعتقاد (٢٥١). وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص٨٧.

١٠- التعصب، وأشده خطرا تعصب مؤسسي الطوائف لما هم عليه وعدم حيودهم عنه للحق الذي مع غيرهم، واحتقارهم لخصومهم وإن كانوا ضعفاء.

إن تعصُّب كثير من هذه الجماعات المعاصرة لأسماء وشعارات ما أنزل الله بها من سلطان، والمفاصلة وتحديد الولاء على أساس الانتماء للأشخاص واللافتات، وليس على أساس التقوى والعمل الصالح، والولاء العام لجميع المسلمين مع عدم تلقى الحق والخضوع له من مصادره الشرعية، وإنما من نظرة حزبية ضيقة؛ ورؤية القيادة أو مزاجها؛ هو الذي يجمِّد العقل والسلوك، كلٌ عند حدود جماعته، وهو الذي يصنع تلك الحدود الموهومة التي تحيط بها كل جماعة نفسها؛ والتي تصور لأفرادها في النهاية أنها وحدها الحق وكل ما عداها باطل أو خطأ أو انحراف [١].

وعليه فلابد من ترك التعصب حالا ومقالا وبخاصة التعصب للنفس، فإنه عنوان ادعاء العصمة سواء لنفسه أو لطائفته، وكما هو معلوم أنه لا معصوم من الأفراد إلا النبي ﷺ، وعلاج تعصب النفس لما هي عليه أن يستشعر الإنسان منا بشريته وأن مبناها على النقص وعدم العصمة [٢].



(١) معالم الانطلاقة الكبرى ص١٨٠.

(٢) اختصرنا ما ورد في الفقرتين السابقتين بتصرف من كتاب العمل الجماعي في الميزان لفضيلة الشيخ سعد سعيد حفظه الله المبحث الخامس ص٢٣٦، وهو من تقديم د. محمود عبد الرازق الرضواني، نشر مكتبة سلسبيل القاهرة سنة ٢٠٠٩.